


المنهل
مجلة
شهرية للآداب والعلوم والثقافة
تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة
أسست عام
١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥١٩) المجلد (٥٦) جمادى الأولى والآخرة ١٤١٥ هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٤ م

عمارة.. والمدينة الإسلامية

«عطاء.. ومدلول



رمان الشريفان..
مة معمارية
الدة

نان» قمة الهندسة المعمارية الإسلامية و«حسن فتحي» أحد روادها

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرقية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

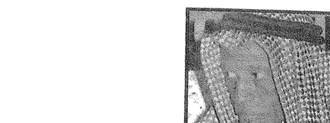
السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٨ دراهم - مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسة - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

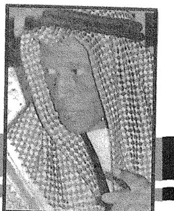
الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال









جدة.. في معمارها القديم

نال جُدة تقدم وتأخر ، وانبساط ، وانكماش عمرانيان، تبعاً للظر
والملابسات السياسية التى تغمرها من داخل ومن خارج .. شاه
ابن جبير في القرن (١٦هـ) وهى في دركات من الانحطاط والرك
العمراني والاجتماعي .. ورآها جون لويس بوركهارت عام ٨١٤
(١٢٣٠هـ) على حالة تختلف مع الحالة التى رآها عليها ابن جبير
ستة قرون.

واتخذ بناؤها طريقة البناء الشرقى المعتاد فى العالم الاسلامي
الطرق واسعة والسقوف عالية، والرواشين مزخرفة منقوشة في و
الدور، والأبواب مزخرفة والشرفات رائعة، وكانت السقوف تبنى اما
خشب الهند أو من جذوع نخيل وادى فاطمة، ويقول بوركهارت ال
زارها فى أوائل القرن (١٩م): ان مبانيها احسن طرازاً من مباني تر
وانها عالية وصحية جداً ومعظمها ذو طبقتين ونوافذ صغيرة منه
ومن خشب، وفى مداخل المنازل دهاليز بارزة، يستقبل فيها الضيو
ويستعمل المقعد الارضى مجلساً فى أيام الحر، وهو ابرد جزء فى ال
بسبب رش أرضه دائماً بالماء، ونضيف الى ذلك أن تقسيم غرف منا
جُدّة كتقسيم غرف منازل القاهرة وسورية.

«عبدالقدوس الأنصاري»

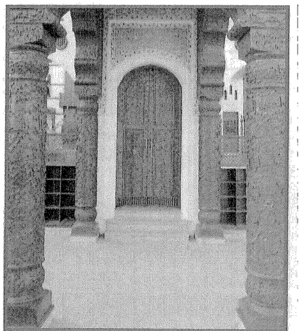
من كتاب موسوعة تاريخ مدينة جدة

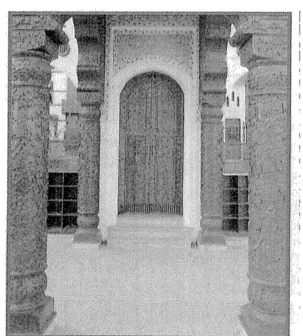




ولنا وقفة

«العمارة الإسلامية» ثروة الأجيال المتعاقبة، وعطاء حضارة تبوأت هامة المجد. على مر الأعصر.. الحفاظ عليها ضرورة، وإحياؤها توثيق رباط بين الأمس واليوم لم تنفك عراه.. «والمدينة» الإسلامية لحمة هذا المعمار وسداه.. لكل هذا، جاء هذا العدد الخاص ليقيم جسر تواصل بين عطاء خالد، وعطاء على نهجه ننتظره من أحفاد حضارة الأماجد..





○ اشـــارة

○ تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
Al Madina Printing & Publication Co.
Tel.: 6670606 - Fax: 6604676 ت: ٦٦٧٠٦٠٦، فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

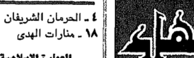
المنهل
AL MANHAL



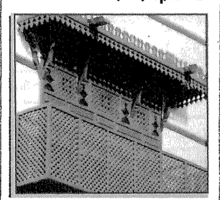
غلاف العدد

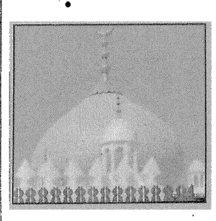
في هذا العدد

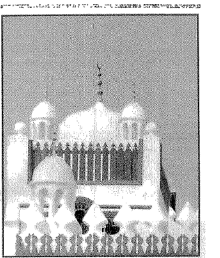
جمادي الأولى والآخرة ١٤١٥هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٤م



العدد: (٥١٩)
المجلد: (٥٦)
العام: (٦٠)







وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٢٤٤٠٠٧٦ - ٨٠٠ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

منهليات

العمارة الإسلامية.. لماذا..؟

عبر التلاحق التاريخي لمنطقية بقاء الأمم والشعوب، نلمس بوضوح مجموعة من العلامات البارزة التي تشير الى بقاء أمة من الأمم او انقراضها ·· وهذا المؤشر الدال على البقاء والخلود أو عدمه يمكن استقراؤه من خلال المآثر الحضارية البارزة التي تبقى شامخة على جبين الزمن ·· وبقاء المآثر الحضارية شامخة - يرتكز على مرتكزين أساسيين، هما الفكر - العقلية الناضجة الواعية - ونتاج هذا الفكر··

والأمة الاسلامية التي اثبتت وجودها الفعلي في كل ميادين الحياة، قامت في الاساس على ثوابت من الفكر أضاءت لها حياتها··

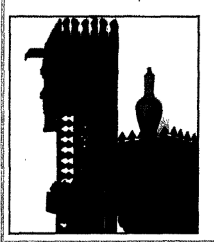
العمارة الاسلامية - في اجمالها - ظلت مؤشر الخصب الفكري والحضاري الذي استبقاه الزمن خالداً ·· ولا نظن بحال أن عبقرية هذا المعمار تقف عند الزخارف والرسوم والرواشين والبوائك وغيرها، بل تتمثل في الفكر الوضيء والعقلية الفذة التي تقف من وراء كل ذلك ·· إذن ، العمارة الاسلامية هي مضمون غني ثر.

ولما كانت العمارة الاسلامية تقوم على منهجية خالدة ، جاء هذا العدد السنوي الخاص ليُفَصِّل جوانب هذه المنهجية.

ولا شك ان القارىء الكريم سيلمس الجهد الضخم لاخراج هذا العدد، وحينئذ لا يكون في نفسه عُتْبٌ علينا في تاخير هذا العدد ، ويؤكد هذا علم القارىء الكريم أنَّا نؤصِّل الآن منهجية جديدة في مجلته المنهل.

والى الأساتذة الاكارم الذين أثروا هذا العدد بدراساتهم وبحوثهم القيمة الثرة نسوق الشكر موصولا··

(نبيه الأنصاري)



إضاءة

- تخطيط المدينة يختلف باختلاف المنهج الفكري.
- **العمارة الإسلامية أنموذج للامتثال المنهجي**
- الانفتاح على الحضارات ضرورة تنويرية.
- **المدينة الإسلامية تقنين للنظام الإجتماعي.**
- الخصائص الدينية والاجتماعية والبيئية شكلت مفردات العمارة الإسلامية.
- **التجانس في نسيج المدينة هدف العمارة الاسلامية.**
- الحي في المدينة القديمة وحدة اجتماعية متناغمة.
- **المنهج الغربي للجوار، فلسفة مادية لا روح فيها.**
- المسجد نقطة الارتكاز المحورية في نظرية المجاورة
- **المعمار الإسلامي.. الوحدة والتكامل.**
- الخط العربي أحد المكونات الجمالية للعمارة الاسلامية
- **المضمون الوظيفي للعمارة يحدد طبيعة تصميمها.**
- المدينة النبوية أول تجربة متكاملة للنموذج الاسلامي.

الحرمان الشريفان

قمة معمارية خالدة

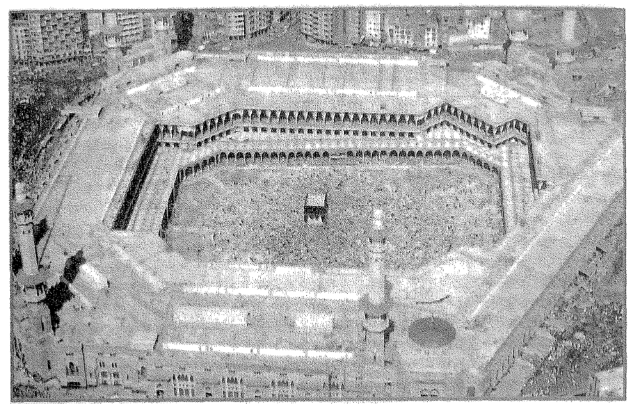


خادم الحرمين الشريفين وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس الوزراء وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء خلال وضع حجر الأساس لتوسعة وعمارة الحرم المكي الشريف

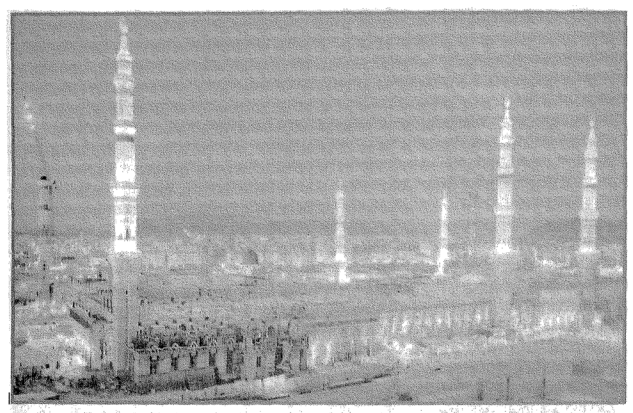
الحرمان الشريفان «مكة المكرمة» و«المسجد النبوى الشريف» خصهما الله سبحانه وتعالى بالفضل ووافر المثوبة .. وساق إليهما قلوب المؤمنين الموحدين، تطير قلوبهم وأعينهم فرحاً لتعانق هذين الحرمين الطاهرين.

الحرم المكي وفيه الكعبة المشرفة قبلة الموحدين، «إنَّ أوَّلَ بيتٍ وضع للناس لَلَّذى ببكة مباركاً».. هذا الحرم الطاهر المبارك الصلاة فيه تعدل فضل وأجر «مئة ألف صلاة» فيما سواه.. وهو الحرم الآمن.

والحرم النبوى الشريف، حيث مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقبره الطاهر، لقد خص الله سبحانه وتعالي هذا المسجد بما لم يخص به غيره، الا المسجد



الحرم المكي بعد التوسعة



الحرم النبوي بعد التوسعة

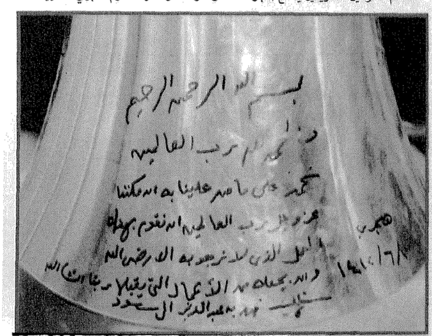
الحرام.. فالصلاة فيه يعدل أجرها «ألف صلاة» فيما سواه.. وفيه الروضة الشريفة، وهناك مثوى سيد ولد آدم أجمعين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم، وهناك صحابته الابرار الافاضل.

إذن هذان الحرمان لهما من الخصوصية فى المكانة ما يجعل إعمارهما قربة الى الله سبحانه..

توسعة الحرمين الشريفين تعد أكبر إنجاز حضاري معماري لهما عبر التاريخ



خادم الحرمين الشريفين يضع حجر الأساس لتوسعة وعمارة الحرم النبوي الشريف



كلمة خادم الحرمين على آخر هلال من أهلة المنارات الست

وعبر الازمنة الممتدة اهتم ولاة الأمر بتوسعة الحرمين الشريفين.

وتأتي توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لتكون كبرى التوسعات جميعها، بل اكثرها دقة واتقاناً وجمالاً، وبهذه التوسعة يكون الحرمان (المكى والمدنى) قد وصلا إلى قمة ما يستطاع عمله، من حيث المساحة الداخلية والخارجية، والسعة العامة، والمرافق وغيرها.

وبهذا المستوى الرائع في التصميم والتنفيذ يقف الحرمان الشريفان قمة شامخة فى مجال المعمار الاسلامي، ويشكلان أنموذجاً معمارياً خالداً أفاد كثيراً من معطيات تقنية المعمار الحديثة مع الاحتفاظ بالتراث المعماري.

الحرم المكى الشريف

ما إن تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود أمور البلاد عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م حتى كان شغله الشاغل رعاية الحرمين الشريفين والاهتمام بهما وبضيوف الرحمن. وقد أعرب - حفظه الله - عن شعوره هذا في

بالرخام الأبيض ومنها الساحة المتبقية من جهة السوق الصغير والساحة جهة الشامية، والساحة الواقعة شرقي المسعى بمساحة إجمالية تبلغ (٨٥٨٠٠)م٢ تكفي لاستيعاب (١٩٠٠٠٠) مصلٍ. وبذلك تصبح مساحة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد التوسعة الحالية، والأسطح، وكامل الساحات (٣٥٦٠٠٠)م٢ تتسع لحوالي (٧٧٣٠٠٠) مصلٍ. أما في أوقات الذروة فيتسع الحرم والتوسعة مع الساحات المحيطة به لأكثر من مليون مصلٍ.

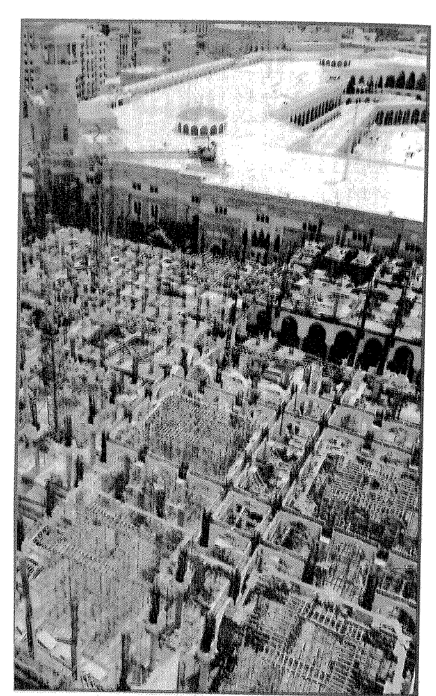
المداخل والمآذن:

يضم مبنى التوسعة مدخلاً رئيسياً وثمانية عشر مدخلاً عاديا. وقد روعي في التصميم إنشاء مدخلين جديدين للقبو إضافة الى المداخل الأربعة الحالية.

ويشمل مبنى التوسعة مئذنتين جديدتين بارتفاع تسعة وثمانين متراً تتشابهان في تصميمهما المعماري وفي المواد المستخدمة مع المآذن السبع القائمة.

حركة المصلين:

ولتسهيل وصول أفواج المصلين الى سطح التوسعة في المواسم، تم إضافة مبنيين للسلالم المتحركة أحدهما في شمالي مبنى التوسعة، والآخر في جنوبيه، مساحة كل منهما (٣٧٥)م٢، ويحتوي على مجموعتين من السلالم المتحركة، طاقة كل منهما الاستيعابية (١٥٠٠٠) شخص في الساعة الواحدة، إضافة الى مجموعتين من السلالم المتحركة داخل حدود المبنى على جانبي المدخل الرئيسى للتوسعة.



أساسات توسعة الحرم المكي أنشئت على لبشة خرسانية تتحمل دورا ثالثا وتقاوم الزلازل

كل المناسبات، وقد ترجم - رعاه الله - هذا الشعور الفياض تجاه الحرمين الشريفين بتلك التوسعة الضخمة

مبنى التوسعة الرئيسي:

يتضمن مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة وعمارة الحرم المكي الشريف إضافة جزء جديد الى مبنى المسجد الحالي من الناحية الغربية في منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك. تبلغ مساحة أدوار هذا المبنى (٧٦٠٠٠)م٢ موزعة على الدور الأرضي والدور الأول والقبو والسطح، تتسع لحوالي (١٥٢٠٠٠) مصلٍ.

كما يشمل المشروع تجهيز الساحات الخارجية وتبليطها

كمية الأعمال الانشائية للتوسعة في المسجد الحرام قدرت بحوالي (١١٧٥٠) متر مربع

وقد صممت السلالم المتحركة بحيث تستطيع بالإضافة الى وحدات الدرج الثابت الثمانية خدمة حركة الحجاج والمصلين في أوقات الذروة لا سيما كبار السن منهم دون عناء.

وبذلك يصبح إجمالى عدد مباني السلالم المتحركة سبعة تنتشر حول محيط الحرم والتوسعة لخدمة رواد الدور الاول والسطح. ويبلغ عدد الأعمدة لكل طابق بالتوسعة (٤٩٢) عمودا مكسوة جميعها بالرخام، ويبلغ ارتفاع الأعمدة بالطابق الأرضي (٥ر٤)م وبالطابق الأول (٧٠ر٤)م، أما قواعد الأعمدة فهي مسدسة الشكل. كما يبلغ ارتفاع الواجهات الخارجية للتوسعة عشرين متراً وستة وتسعين سنتيمتراً وجميعها محلاة بالزخارف الاسلامية ومكسوة بتداخلات من الرخام والحجر الصناعي.

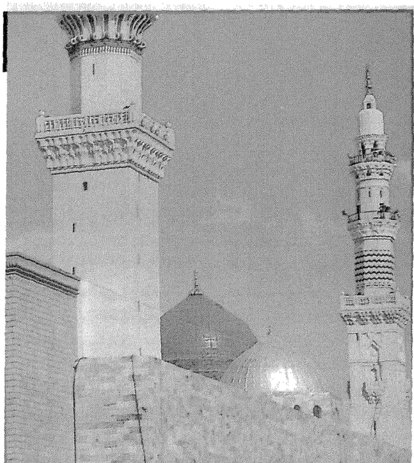
يشتمل الحرم الآن على ثلاثة طوابق، القبو وارتفاعه أربعة امتار، والطابقين الأرضي والأول ويبلغ ارتفاع كل منهما عشرة امتار، وقد تم تبليط سطح التوسعة جميعه بالرخام حتى يتسنى للمصلين استخدامه.

وثمة ثلاث قباب للتوسعة تقع جميعها بالنصف تقريبا بموازاة المدخل الرئيسى ارتفاع كل منها ثلاثة عشر متراً وتحتوي على فتحات بكامل محيطها، وشكلها الخارجي يماثل القباب الموجودة على سطح الحرم الحالي.

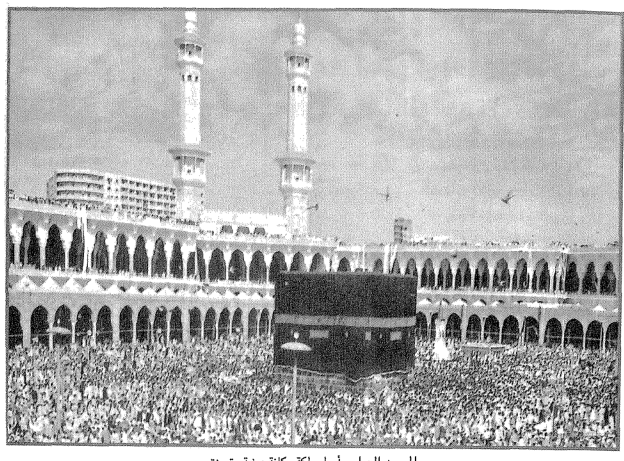
الخصائص الإنشائية :

يبلغ عدد الأعمدة بكل طابق بالتوسعة (٤٩٢) عمودا بقطر (٨١) سم للأعمدة المستديرة وضلع (٩٢) سم للأعمدة المربعة، وتبلغ أبعاد القواعد للأعمدة المربعة (٨٠ ٨٠ ٥٤) سم أما قواعد الأعمدة المستديرة فهي مسدسة الشكل بعرض كلي (٨٧) سم وارتفاع (٥٤) سم وجميع قواعد الأعمدة مكسوة بالرخام.

أما الواجهات الخارجية للتوسعة فيبلغ ارتفاعها (٥٧ر٢٢) متراً وهي محلاة بالزخارف ومكسوة بالرخام والحجر الصناعى. يبلغ الارتفاع الداخلى لطابق البدروم (٣٠ر٤) مترا وللطابق الأرضي (٨٠ر٩) مترا وللطابق الأول (٦٤ر٩) مترا. وقد تم تبليط سطح التوسعة بالرخام ليستخدم من قبل المصلين، وعليه أنشئت ثلاث قباب تقع بمنتصف سطح التوسعة وبموازاة المدخل الرئيسى حيث تشغل كل قبة مساحة (١٥ ١٥) بارتفاع (١٢)م وتحتوي القبة على فتحات على كامل محيطها ليكون الشكل



توسعة الحرم النبوي استهدفت عدم انقطاع أرتال المصلين والزائرين على مدار اليوم



المسجد الحرام.. أعطى لمكة مكانة دينية متميزة

الخارجي لها مماثلا للقباب الموجودة على سطح الحرم الحالي.

تقدر كمية الأعمال الانشائية لهذه التوسعة بحوالي (١١١٧٥٠)م٢ من الخرسانة و(١٢٧٠٠) طن حديد تسليح، وقد روعى في التشطيبات العامة أن تكون الجدران من الحجر الصناعى أو الرخام وتبلغ كميتها (٤٥٠٠٠)م٢ وكسيت العقود والكرانيش ببلاطات من الحجر الصناعي كما كسيت الاعمدة الدائرية بالموزاييك.

أما الأعمدة المربعة فقد تم تكسيتها بالرخام وتقدر كميتها بحوالي (٦٠٠٠٠)م٢ وتم تبليط الأرضيات برخام مزين بزخارف إسلامية وبمساحة تبلغ (٧٥٠٠٠)م٢ إضافة الى رخام

يستوعب الحرم المكي أكثر من مليون مصل بعد توسعته الأخيرة

الساحات الخارجية.

وقد صنعت الأبواب الخارجية من الألمنيوم ، وزودت الشبابيك بمشربيات من الألمنيوم الأصفر المخروط، وقد روعي في التصميم أن تكون أعمال الزخرفة مماثلة لنظيرتها في التوسعة السعودية الأولى مع إبراز الجانب الجمالي في الفن المعماري الإسلامي.

الأعمال الكهربائية :

وبالنسبة للكهرباء فقد أقيمت محطتا تحويل على جانبي التوسعة تحتوي كل منهما على ثلاث محولات قدرة كل منها (١ر٦) ميجافولت أمبير توفر طاقة احتياطية تبلغ ١٠٠٪ من الأحمال.

أما تجهيزات الإنارة بالتوسعة فهي مستقلة عن التجهيزات الحالية حيث زودت بثريات تتناسب مع شكلها المعماري وتوفر مستوى أعلى في الإضاءة من المستوى السابق. وقد تم تنفيذ شبكة إذاعية داخلية تتناسب مع مساحة التوسعة تم دمجها مع الشبكة القديمة. كما تم تنفيذ ثلاث حلقات للدروس وكذلك تزويد التوسعة بعدد من الساعات تتصل بالنظام المركزى للساعات الموجودة بالحرم الحالي.

الأعمال الميكانيكية :

إن التوسعة الحالية هى الامتداد الأفقي للطوابق الموجودة حاليًا وهي القبو والدور الأرضي والأول والسطح. وحيث إن القبو يقع بكامل ارتفاعه تحت منسوب الأرض فقد جرت تهويته ميكانيكيًا ، أما الطابقان الأرضى والأول فيقعان فوق منسوب سطح الأرض لذلك أمنت لهما تهوية طبيعية من خلال الفتحات المتقابلة للشبابيك مع تركيب مراوح تقليب هواء على الأعمدة.

مشروع التكييف :

استحدث نظام جديد لتلطيف الهواء بالطابقين الأرضي والأول يعتمد على مبدأ دفع الهواء البارد خلال أرض مرتفعة وتوزيعه على مستوى مرتفع حول الأعمدة المربعة. وقد أقيمت من اجل ذلك

زود المسجد النبوي بسبع وعشرين قبة متحركة زنة الواحدة (٨٠) طناً

محطة في منطقة أجياد بالقرب من فندق أجياد تحتوي على عدد من ماكينات التبريد ومضخات المياه المثلجة، ومركز تشغيل وتحكم أوتوماتيكي بطاقة (١٣٥٠٠) طن تبريد، كما تم إنشاء نفق للخدمات يربط بين المحطة المركزية والحرم المكي الشريف بطول حوالي (٤٥٠) متراً وصولا عند باب الملك عبد العزيز ثم يرتبط بعدها بعبارة الخدمات الدائرية المحيطة بالحرم. ويحتوي النفق على مواسير معزولة ناقلة للمياه، كما أنه مجهز بجميع وسائل الإضاءة والتهوية وأجهزة السيطرة والتحكم الأوتوماتيكي.

الخدمات الأخرى :

وقد تم إعادة تصميم وتوزيع الخدمات ضمن المناطق الفاصلة بين المسجد الحالي ومبنى التوسعة بما يسمح بأداء أفضل ومن ذلك تصريف مياه الأمطار وتوفير مصادر لشرب ماء زمزم عدد (٦٠) نافورة شرب بالدور الأرضى، وعدد (٣٦) نافورة بالدور الأول وشبكات لإطفاء الحرائق وشبكات تنظيف ، ومخارج لمياه التنظيف.

ويأتي مشروع تحويل أنفاق السيارات والمشاة وتهيئة الساحات



صحن المسجد النبوي الشريف من الداخل

المحيطة بالمسعى للصلاة متممة لهذه المشروعات ، حيث يتم تعديل الطريق الدائري الأول ما بين شارع أجياد ومنطقة شعب على والقشاشية بترحيل مساره شرقا، مع المحافظة على المقطع العرضي النموذجي للطريق الذي يتكون من مسارين بكل اتجاه، مع زيادة مسار إضافي لتأمين الحركة المرورية عند التقاطعات، وقد تم عمل أربعة جسور لتأمين الحركة على الطريق الدائري بالاضافة الى عدة منحدرات لتأمين حركة الالتفاف الأساسية. كذلك تم تعديل أنفاق المشاة الموصلة الى الصفا حيث تم تعديل مسار هذه الأنفاق في الجزء الأخير منها بحيث يكون مخرجها جنوب أنفاق الطريق الدائري الأول بمنطقة شعب علي، مع المحافظة على نفس المقطع العرضي لهذه الأنفاق والذي يبلغ (١١ر٤٠) مترا لكل منها مع تأمين نفس مستوى ونوعية الإنارة والتهوية ووسائل السلامة، ويبلغ طول الجزء المعدل في هذه الأنفاق نحو (٤٠٠)م. كما تم إنشاء ممر للمشاة يصل بين مخارج الأنفاق الجديدة وساحة الصلاة الجديدة شرقي المسعى، وذلك بطول إجمالي يبلغ (٣٠٠)م. ويتم تحديد الجزء من مخارج الأنفاق وحتى الجسر المقترح إنشاؤه والذي سيؤدى الى مجمع الدوائر الحكومية المقترح أيضاً بجدران خرسانية، وتظليله بأسقف من الخرسانة مسبقة الصب، كما سيتم تزويده بنظم التهوية والإنارة وخلافه، ولخدمة السفح الشرقي لجبل أبي قبيس



باب الملك فهد الباب الرئيسي للتوسعة تحده منارتان على الجانبين

والمخصص لإنشاء مجمع الدوائر الحكومية، سيتم إنشاء جسر خرساني يربط بين الطريق الدائري الجديد والمنطقة المذكورة ماراً فوق ممر المشاة هذا، ويبلغ عرض الجسر (١٣ر٨)م وهو مكون من حارة مرور بكل اتجاه لخدمة السيارات وأرصفة عريضة لخدمة المشاة.

عدد مباني السلالم المتحركة سبعة تنتشر حول الحرم لخدمة رواد الدور الأول والسطح

ساحة المسعى :

أما تهيئة الساحات المحيطة بالمسعى للصلاة فتشمل توسعة المنطقة شرقي المسعى بإلغاء دورات المياه الموجودة تحت الأرض وإزالة الكباري الحديدية وتمهيد المنطقة بمساحة كلية تبلغ (٤٢٠٠٠)م٢ من ضمنها مساحة تبلغ (٣١٥٠٠)م٢ ساحات محاطة بأسوار برونزية مجهزة للصلاة، كما تم إنشاء مبنى دورات المياه الجديد شمالي ساحات المسعى من دورين بمساحة إجمالية تبلغ (١٤٠٠٠)م٢ بالإضافة الى السطح الذي تم تبليطه بالرخام الأبيض لاستعماله للصلاة. ويحتوي هذا المبني على (١٤٤٠) دورة مياه و(١٠٩١) نقطة وضوء و(١٦٢) نافورة لمياه الشرب مع ممرات تسهل انتقال المواطنين من القشاشية الى ساحات الصلاةالجديدة دون تعارض مع

حركة المرور. كما روعي تأمين دورات مياه خاصة للنساء بمداخل منفصلة.

نفق السوق الصغير :

يمتد نفق السوق الصغير من شارع أم القرى وشارع جبل الكعبة حتى شارع أجياد السد ماراً بمحاذاة التوسعة وباب الملك عبد العزيز وصولا لمستشفى أجياد بطول اجمالي (٩٠٠م) والجزء المغطى منه (٦٠٠م).

يتألف النفق من مسارين منفصلين بجزيرة وسطية، الأول لدخول القادمين من غرب مكة وجدة من شارع أم القرى، حيث يمكنهم الخروج من مخرجين، هما مخرج شارع أجياد ومخرج شارع أجياد السد. والمسار الأخر للقادمين من شرق مكة والمشاعر عن طريق شارع أجياد السد حيث يمكنهم الخروج من مخرج جبل الكعبة ومنه الى شارع أم القرى. كما وتضاف حارة ثالثة للمرور خاصة بالحافلات وذلك بين محطات الحافلات داخل النفق.

إن الغرض من إنشاء النفق هو الفصل بين حركة انتشار المصلين على مستوى الساحة وحركة الحافلات والسيارات التى تستخدم النفق. وتحويل المنطقة أعلى النفق إلى ساحات للصلاة ومنطقة خاصة بالمشاة. وهكذا نجد الساحات أمام باب الملك عبد العزيز وباب الملك فهد خالية من حركة السيارات والحافلات ولا يوجد بها سوى شارع لاستخدامه أثناء الطوارىء وزيارة كبار الزوار.

وبهذا يتمكن المصلون حال خروجهم من الحرم الوصول إلى أماكنهم دون أي اعاقة أو تداخل مع السيارات والحافلات. كما أن الراغبين في النزول للنفق يتوجهون الي السلالم الكهربائية الموجودة بالساحة، حيث يوجد أربع مجموعات من السلالم المتحركة إضافة إلى وحدتي درج ثابت إحداهما على يمين الداخل لباب الملك عبد العزيز والآخر يسار الداخل لباب الملك فهد بالتوسعة، هذا بالإضافة الى السلالم الكهربائية المؤدية الى منطقة الحمامات.

التوسعة الحالية للمسجد النبوي الشريف شملت المدينة النبوية بكاملها

يبلغ أقل ارتفاع للنفق خمسة أمتار ونصف المتر، وهو مزود بنظام للتهوية بواسطة مراوح لسحب الهواء لضمان عدم تلوث الهواء الداخلي.

يشتمل النفق على أربعة محطات لوقوف الحافلات لغرض تحميل وتنزيل الركاب، إثنتان لكل اتجاه، محطتان منهما قرب باب الملك عبد العزيز واثنتان أخريان قرب باب الملك فهد بالتوسعة، ويمكن زيادة استيعاب محطات وقوف الحافلات باستخدام الشوارع الداخلية، حيث يبلغ عرض الشارع (١٢)م في المنطقة الوسطية و(٨ر٣٠)م عند التفرع في نهايته.

يتصل النفق في المنطقة التي أمام باب الملك عبد العزيز بنفق البركة، حيث يمكن الوصول منه إلى كدى وإلى الطريق الدائري الثالث.

تم تغطية جوانب النفق ببلاطات خرسانية سابقة الصب ذات أشكال جمالية بها إضاءة جانبيه، كما تم استخدام الرخام في مناطق محطات الحافلات، وتزويده بعلامات مرورية مضاءة لتيسير حركة السيارات وخروجها ودخولها، وبنظام مراقبة تلفزيونية داخلية ونظام مقاومة الحريق وأجهزة مراقبة غاز أول أكسيد الكربون، إضافة الى محطات كهربائية خاصة ولوحات توزيع ومولد احتياطي ومصدر طاقة غير منقطعة. وكذلك زود بشبكة تصريف مياه الأمطار لضمان عدم وصول مياه الأمطار الى داخله من المداخل والمخارج، ويشتمل المشروع على تنظيم تقاطعات الشبيكة وعمل تقاطعات أرضية بالإضافة الى جسر بطول (١٠٠)م لحركة المرور القادمة من شارع جبل الكعبة باتجاه شارع إبراهيم الخليل.

الحرم النبوي الشريف

مبنى التوسعة :

تتضمن توسعة وعمارة خادم الحرمين الشريفين للمسجد النبوي

الشريف إضافة مبنى جديد بجانب مبنى المسجد الحالي يحيط ويتصل به من الشمال والشرق والغرب بمساحة قدرها (٨٢٠٠٠)م٢ تستوعب (١٣٧٠٠٠) مصلٍّ. وبذلك تصبح المساحة الاجمالية للمسجد بعد التوسعة (٩٨٥٠٠)م٢ تستوعب (١٦٧٠٠٠) مصلٍّ . وقد تمت الاستفادة من سطح التوسعة للصلاة بعد تغطيته بالرخام وبمساحة قدرها (٦٧٠٠٠)م٢ تستوعب (٩٠٠٠٠) مصلٍّ وبذلك أصبح المسجد النبوي الشريف بعد التوسعة يستوعب أكثر من (٢٥٧٠٠٠) مصلٍّ ضمن مساحة إجمالية تبلغ (١٦٥٥٠٠)م٢، وتتضمن أعمال التوسعة إنشاء دور سفلي (بدروم) بمساحة الدور الأرضي للتوسعة وذلك لاستيعاب تجهيزات التكييف والتبريد والخدمات الأخرى.

الساحات :

يشتمل المشروع كذلك على إحاطة المسجد النبوي الشريف بساحات تبلغ مساحتها (٢٣٥٠٠٠)م٢ أرضيتها مكسوة بالرخام والجرانيت وفق أشكال هندسية بطرز إسلامية وألوان متعددة جميلة. وهي مخصصة للصلاة وتستوعب (٤٥٠٠٠٠) مصلٍّ في حالة استخدام كامل المساحة مما يجعل الطاقة الاستيعابية لكامل المسجد والساحات المحيطة به تزيد عن (٧٠٠٠٠٠) مصلٍّ لتصل إلى مليون مصلٍّ في أوقات الذروة.

وتضم هذه الساحات مداخل للمواضيء ، وبعض الخدمات تتصل بمواقف السيارات التي توجد في دورين تحت الأرض.. هذه الساحات سوف تخصص للمشاة فقط ولن يسمح بدخول السيارات اليها، كما سيجرى إضاءتها بواسطة وحدات إضاءة خاصة مثبتة على مائة وواحد وخمسين عموداً رخامياً.

أما الصحوتان المكشوفتان الواقعتان ضمن التوسعة السعودية الأولى وتفصل إحداهما فقد تم إقامة اثنتي عشرة مظلة ضخمة بنفس ارتفاع السقف تظلل كل منها مساحة (٣٠٦)م٢ يتم فتحها وغلقها أوتوماتيكيا وذلك لحماية المصلين من وهج الشمس وللإستفادة من الجو الطبيعي حينما تسمح الظروف المناخية بذلك.

الخصائص المعمارية :

صمم الطابق الأرضي للتوسعة

التوسعة الحالية هي امتداد أفقي للطوابق الموجودة

بارتفاع (١٢ر٥٥)م والدور السفلي للخدمات بارتفاع (٤)م. ويبلغ عدد الأعمدة بالطابق الأرضي (٢٠١٨) عمودا وتتباعد هذه الأعمدة عن بعضها بمسافة (٦)م أو (١٨)م لتشكل أروقة وأفنية داخلية تنسجم مع الإطار العام للتوسعة.

القباب المتحركة :

كما زود المسجد بسبع وعشرين قبة متحركة زنة الواحدة منها (٨٠) طنا تغطي مساحة (٣٢٤)م٢ وتتوفر لها خاصية الانزلاق على مجار حديدية مثبتة فوق سطح التوسعة، ويتم فتحها وغلقها بطريقة كهربائية عن طريق التحكم عن بعد مما يتيح الاستفادة من التهوية الطبيعية في الفترات التي تسمح فيها الأحوال الجوية بذلك.

وتنفيذا للتوجيهات السامية الكريمة وضع هذا التصميم بشكل يتوافق مع أحدث طرق الإنشاء وأفضل أساليب العمارة لينسجم ويتناسق مبنى التوسعة الجديد مع مبنى المسجد الحالي. كما روعي أيضا إمكانية بناء دور ثان فوق التوسعة إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك مستقبلا.

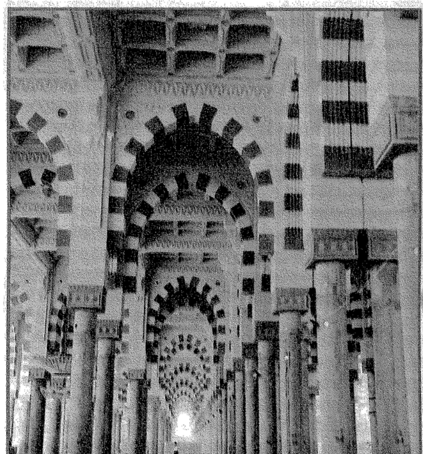
المداخل والمآذن :

تحتوى التوسعة على سبعة مداخل رئيسية بالجهة الشمالية والشرقية والغربية حيث يحتوي كل مدخل رئيسى بدوره على خمس بوابات متجاورة بالاضافة الى بوابتين جانبيتين. وهناك أيضا مدخلان رئيسيان بالجهة الجنوبية للتوسعة يحتوي كل مدخل منها على ثلاث بوابات متجاورة، بالاضافة إلى عشر بوابات جانبية واثنتي عشرة بوابه أخرى لمداخل ومخارج السلالم الكهربائية المتحركة التى تخدم سطح التوسعة. والى جانب ذلك هناك ثمانية عشر سلما داخليا.

وفي وسط الناحية الشمالية للتوسعة يوجد مدخل «الملك فهد بن عبد العزيز» وهو المدخل الرئيسى للتوسعة ويعلو هذا المدخل ويميزه بشكل خاص سبع قباب، ويحده من كل جانب مئذنة بارتفاع (١٠٤)م. وبذلك يكون للمسجد بما فيه التوسعة عشر مآذن ، ست منها جديدة ارتفاع الواحدة (١٠٤)م بزيادة (٣٢)م عن ارتفاع المآذن الموجودة بالتوسعة السعودية الأولى. وتوجد المآذن بالأركان الأربعة للتوسعة مع مئذنتين على جانبي المدخل الرئيسي.

أعمال الزخرفة :

وقد صممت أعمال الزخرفة بالتوسعة بحيث تحقق التناسق والانسجام مع نظيرتها بالتوسعة السعودية الأولى وذلك لإبراز الجانب الجمالي في الفن المعماري الاسلامي. ويشمل ذلك أعمال الحِليات، والزخارف، والكرانيش لتجميل الحوائط، والكمرات، والكينارات، والمآذن، وأعمال الخشب المشغول كالمشربيات، والشبابيك، والأبواب الخشبية المطعمة بالنحاس وأعمال النحاس كالدرابزينات، وتيجان الأعمدة ، والثريات المطلية بالذهب، وأعمال التكسية بالرخام المزخرف على كامل الجدران الداخلية للتوسعة



جزء من الواجهة الخارجية للتوسعة تبرز الناحية الجمالية للزخرفة الإسلامية

حتى علو ثلاثة أمتار، والأعمدة الدائرية المكسوة بالرخام المستدير وقواعدها أيضا مكسوة برخام مزخرف بأشكال هندسية جميلة وبها تجويفات خاصة لوضع المصاحف الشريفة بطريقة منظمة.

الأعمال الكهربائية :

وتشمل الأعمال الكهربائية لتوسعة المسجد النبوى الشريف الإنارة، ومكبرات الصوت، ونظام التحكم الأتوماتيكي، ودوائر تلفزيونية مغلقة للمراقبة تغطى جميع أجزاء المسجد والساحات الخارجية، ونظام إنارةللطوارئ باستخدام بطاريات شحن خاصة، وأنضمة كشف الحرائق ومكافحتها، وغرف خاصة للوحات المفاتيح وتركيبات الإنارة وشبكات التوزيع وذلك في الدور السفلي من التوسعة، كذلك أعمال الإنارة الخارجية للواجهات والمآذن.

الأعمال الميكانيكية :

أما الأعمال الميكانيكية فتشتمل على تمديدات المواسير لنوافير مياه الشرب المبردة، ومواسير صرف مياه الأمطار، والصرف الصحي، والتهوية، ونظام مكافحة الحريق بالإضافة الى مضخات المياه، وأعمال تلطيف الهواء.

وقد صممت أعمال تلطيف الهواء لتحافظ على الناحية الجمالية والمعمارية للمسجد بحيث تم إدخال فتحات خاصة ضمن تصميم قواعد الأعمدة مغطاه بالنحاس لدفع الهواء البارد الى المبنى من خلالها.

ويعتبر مشروع تلطيف هواء المسجد النبوي الشريف من أكبر المشاريع في العالم حيث تمر مواسير التبريد عبر نفق للخدمات بطول سبعة كيلومترات ليصل ما بين المحطة المركزية للخدمات التي توجد بها أجهزة التبريد ومعدات ومولدات الكهرباء وبين دور التسوية بالتوسعة، وبالإضافة الى ذلك فقد تم تلطيف هواء المسجد القديم وفق أسس معمارية وهندسية تحول دون إجراء أي تعديلات في المبنى القائم أو المساس به والمحافظة على شكله

المساحة الاجمالية للمسجد النبوى الشريف بعد التوسعة (٩٨٥٠٠) متر مربع

وذلك عن طريق دفع الهواء البارد من خلال فتحات النوافذ الموجودة في الجدار القبلي للمسجد. وهكذا يكون كل مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام وتوسعته قد تم تلطيف هوائها بالكامل.

ويحيط بالمشروع عبارات صندوقية من الخرسانة المسلحة مزدوجة ومفردة تضم كافة خدمات المشروع التحتية من تغذية المياه، وتصريفها، وتغذية بالكهرباء، وخطوط الهاتف. كما يحتوي المشروع على شبكة متكاملة لتوزيع المياه والصرف الصحي تكفي لأكبر عدد متوقع من الزوار والمصلين.

كما يشتمل أيضا على نظام لتصريف مياه الأمطار.

وفي نطاق الأعمال الميكانيكية يشتمل المشروع أيضا على نظام خاص للتهوية قادر على التحكم في نسبة تلوث الهواء وإبقائه ضمن الحدود المقبولة، إضافة الى نظام آخر متكامل للأمان، والإنذار، والوقاية من الحرائق صمم على مستوى عال لمقاومة الدخان والنيران - لا قدر الله - عن طريق رشاشات المياه التلقائية المزودة بالمياه من محطة ضخ خاصة.

المحطة المركزية لتبريد المياه:

أما محطة خدمات التكييف فقد تم إنشاؤها على موقع مساحته (٧٠٠٠٠)م٢ بأبعاد (٣٥٠ ٢٠٠)م وذلك لتأمين تكييف هواء المسجد النبوي الشريف. وقد روعي أن يكون موقعها هذا خارج منطقة الحرم لإبعاد الضوضاء عن المسجد، وتخفيض التكلفة المرتفعة لنزع الملكيات حول الحرم، ولسهولة إجراء عمليات الصيانة والتشغيل في الموقع.

تقع هذه المحطة على بعد حوالي سبعة كيلومترات غرب المسجد النبوي الشريف، وتتكون من عدة مبان، منها مبنى معدات التكييف، ومبنى المكثفات، ومبنى إنتاج الطاقة الكهربائية للطوارئ. وتبلغ مساحة المبنى فى هذه المرحلة حوالي (١١٠٠٠)م٢ تتضمن (١٥٠٠٠)م٣ من الخرسانة المسلحة. كما تشتمل هذه المحطة على أنظمة لتصريف مياه الأمطار والصرف الصحي والري ومكافحة الحريق. إضافة الى تجهيز الموقع

وتسويره وإنشاء الشوارع الداخلية وأعمال التنسيق والحدائق.

أما معدات التبريد المستخدمة في هذه المحطة فعددها ست ماكينات تبلغ طاقة التبريد لكل ماكينة (٣٤٠٠) طن وتبلغ طاقتها الإجمالية للتبريد (٢٠٤٠٠) طن. كما يتضمن مشروع محطة التكييف سبع مضخات لدفع الماء المبرد باتجاه المسجد قوة كل منها (٤٥٠) حصاناً.

ويضم مبنى محطة الخدمات أيضاً مبنى خاصاً بماكينات توليد الطاقة الكهربائية به ست ماكينات لإنتاج الطاقة الكهربائية، خمسة منها لتوسعة المسجد النبوي الشريف وواحدة لمشروع مواقف السيارات قوة كل منها (٢ر٥) ميجاوات.

ويضم مبنى محطة الخدمات أيضاً مبنى خاصاً بماكينات إنتاج الكهرباء الاحتياطية به ست ماكينات لإنتاج الطاقة الكهربائية، خمس منها لتوسعة المسجد النبوي الشريف وواحدة لمشروع مواقف السيارات قوة كل منها (٢٢ر٥٠) ميجاوات. ويتم تشغيل أربع منها للمسجد بطاقة إجمالية قدرها (١٠) ميجاوات في حين تبقى الخامسة بصفة احتياطية. وقد تم إضافة ماكينتين أخريين لإنتاج الكهرباء لتوسعة الحرم النبوي الشريف مؤخرا قوة كل منها (٢ر٥) ميجاوات أيضا. ويتم التحكم والسيطرة في جميع الأنظمة الميكانيكية والكهربائية بالمحطة عن طريق غرفة حاسبات آلية يتم من خلالها التحكم في أداء معدات التهوية الموجودة بالدور السفلي (البدروم) في مبنى التوسعة.

نفق الخدمات :

أما نفق الخدمات فيتم عن طريقه نقل المياه المبردة من محطة التبريد الي قبو المسجد. وهو بمثابة عبارة من الخرسانة المسلحة بارتفاع داخلي يبلغ (٤ر١)م وعرض (٦ر٢)م وبطول سبعة كيلومترات. ويحتوي هذا النفق على أنبوبتين

لم تقتصر العمارة الحديثة على المسجد النبوي فقط بل امتدت إلى أرجاء المدينة كلها

لنقل المياه المبردة قطر كل منهما (٩٠) سم.

وقد أخذ في الاعتبار إمكانية إضافة انبوبتين اخريين داخل النفق نفسه اذا ما دعت الحاجة الى ذلك مستقبلا. كما زود هذا النفق بإحدى وثلاثين غرفة تهوية مزودة بالمرواح اللازمة لذلك.

يبدأ النفق من محطة التبريد بمدينة الحجاج بطريق الجامعات ويتجه شرقا عبر باب السلام باتجاه المسجد النبوي الشريف. وقد تم حفره بعمق كاف تحت مستوى الشارع كي لا يشكل عقبة أو عائقاً للخدمات العامة التي يتوقع إنشاؤها مستقبلا، كما يمر هذا النفق تحت نفق المناخة ومن خلال مشروع مواقف السيارات تحت الساحات المحيطة بالمسجد النبوي الشريف.

إن هذا المشروع الضخم العملاق قد انتهى وتم ربط توسعة خادم الحرمين الشريفين بالتوسعة السعودية الأولى بالمسجد القديم كل في بناء واحد متناسق ومنسجم يقف شاهدا أبد الدهر على عظمة التشييد وفخامته ودقة التنفيذ ومتانته ويدل على مدى ما بذل من فكر وجهد ومال على تصميمه وتنفيذه بهذه الصورة الرائعة الخلابة.

ويأتي مشروع مواقف السيارات متمما لمشروع توسعة المسجد النبوي الشريف ومكملا له حيث يؤمن إضافة الي وقوف السيارات كافة الخدمات للمصلين والزائرين وربط هذه المواقف بالطرق المجاورة. هذه المواقف تقع تحت الساحات المحيطة بالمسجد النبوي الشريف من ثلاث جهات .. الغرب والشمال والجنوب.

مواقف السيارات :

تتكون مواقف السيارات من دورين تحت سطح أرض الساحات المحيطة بالمسجد النبوي الشريف، تبلغ مساحتها الإجمالية (٢٩٠٩٩٣٥)م٢ تكفي لاستيعاب (٤١٦٣) سيارة منها (١١٥) موقفا خاصا.

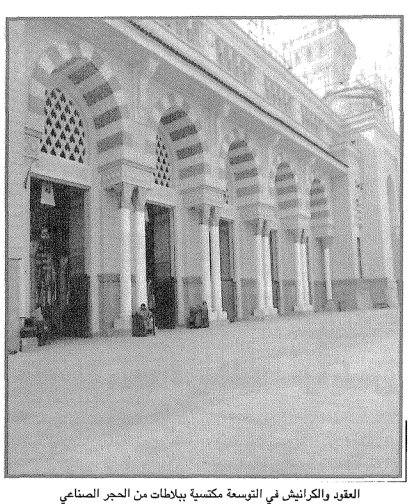
لقد تم تصميم هذه المواقف وتنفيذها حسب أفضل المواصفات

العالمية وأحدثها تقنية حيث تتكون أساساتها من قواعد خرسانية مدعمة ومحمولة على خوازيق خرسانية داخل الأرض عددها (٤١٠١) خازوقاً ويحيط بها جدار حاجز خلوي (DI-APHRAGM WALL) بطول (٣١٣٦)م إضافة الى جدار حاجز مفرد في مناطق منحدرات الدخول والخروج الرئيسية بطول (١٢٥٤)م٠

تتألف المواقف من خمسة عشر وحدة، إحدى عشر وحدة منها متماثلة، والأربع الأخرى وحدات خاصة٠ هذه الوحدات المتماثلة مخصصة لوقوف السيارات وتتكون كل وحدة منها من طابقين، ويتكون كل طابق من خمسة جسور (كباري)٠ وتبلغ مساحة الجسر الواحد (١٦٠٠)م٢ كما يبلغ العدد الإجمالي لجسور الوحدات المتماثلة (١١٠) جسرا٠ ويفصل بين كل وحدة وأخرى مبنى للخدمات مكون من أربعة طوابق تحتوي على أماكن للوضوء٠

وقد تم تكسية حوائط مباني الخدمات بالجرانيت، أما حوائط وحدات مواقف السيارات فقد تم تكسيتها بواسطة ألواح خرسانية سابقة الصب مزينة بألواح من الحجر الصناعى ذي النقوش الاسلامية٠ وقد تم كذلك رصف أرضية المواقف ببلاط خرساني وفق أشكال هندسية متداخلة٠

أما الوحدات الخاصة الأربعة فهي موزعة على أركان المشروع الأربعة٠ وتتألف هذه الوحدات من ستة وخمسين جسرا بالاضافة الى



العقود والكرانيش في التوسعة مكتسية ببلاطات من الحجر الصناعي

المخارج الرئيسية للمشروع وعددها ست منحدرات للدخول والخروج، ثلاث منحدرات منها تؤدي الى الطابق العلوي، أما الثلاث الأخرى فتؤدى الى الطابق السفلي، كما تحتوي كل وحدة على منحدر داخلي للانتقال بين الطابقين العلوي والسفلي٠

وقد زود المشروع بالخدمات الاتية:

«نظام صرف صحي - نظام تصريف المياه - نظام مياه الشرب المبردة - نظام المياه العادية - نظام مكافحة الحريق - نظام التهويه - نظام استشعار غاز أول اكسيد الكربون - نظام الهاتف - نظام النداء الجماعي - نظام الدوائر التلفزيونية المغلقة - نظام التحكم والمراقبة الالكترونية المركزية - نظام الاحتياط الكهربائي - نظام التحكم في حركة السيارات»٠

وقد تفضل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يحفظه الله - بوضع آخر لبنة لأكبر توسعة في التاريخ للمسجد النبوي الشريف يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ١٤١٤هـ الموافق السادس عشر من إبريل ١٩٩٤م٠

ويبدو مسجد الرسول العظيم الآن دُرَّة مضيئة في ثرى طيبة الطيبة ٠٠٠ صنع ذلك خادم الحرمين الشريفين الذي كان يتابع بنفسه سنويا كُلَّ ما يجري بهذا المشروع العملاق، كتب الله له أجر ما صنع وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء.

منارات الهدى



المركز الإسلامي في مدريد

المراكز الإسلامية

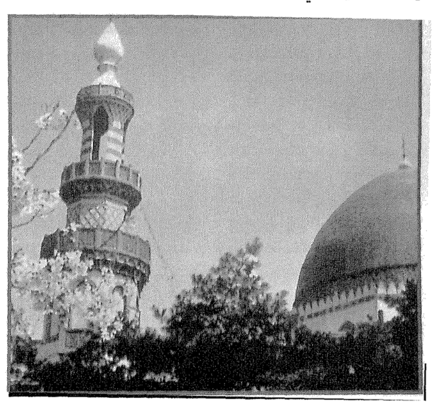
المراكز الاسلامية التى أنشأتها المملكة العربية السعودية في دول الاقليات المسلمة، وتلك التى في العالم الاسلامي بعامة، تعتبر نقاط ارتكاز لنشر المعرفة الاسلامية بين افراد الجاليات المسلمة في تلك البلدان، واشاعة الوعي الديني فى أوساط المسلمين، وهي أيضاً مراكز جذب نشطة لكل الراغبين في التعرف على الإسلام ومنهجيته في تصريف شئون الحياة.

وهذه المراكز تمثل رسل خير، وبشارة معروف، لما تحمل من نصاعة الكلمة، ووضوح الهدف، وسمو الغاية المبتغاة.

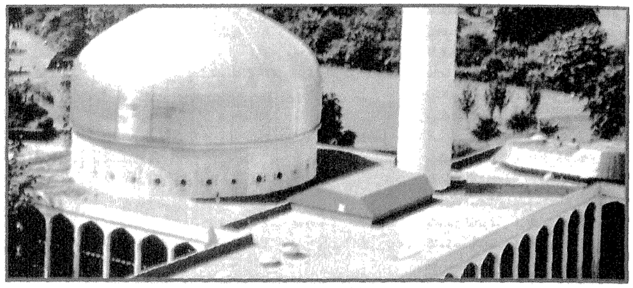
إن المملكة العربية السعودية، وبتوجيه خالص من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - تولى أمر المسلمين عناية خاصة، وتأتي خدمة الاسلام والمسلمين في انحاء المعمورة في قمة اهتمامات خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - وما نراه من جهد دؤوب ، لإنشاء وتأسيس المراكز الاسلامية في العالم الاسلامي وفي دول الاقليات المسلمة، كل هذا يمثل ترجمة صادقة لهذا الهم الرفيع.

- ولا شك أن هذه المراكز قد أدت دورها، ولا تزال على الوجه الاكمل، وقد أفاد منها الملايين من المسلمين، معرفة، وعلماً وثقافة، وكم أولئك الذين اعتنقوا الاسلام لما رأوا فيه وأهله من سماحة ومعروف.

- المراكز والمعاهد الاسلامية فى أنحاء العالم، إضافة الى الجانب التوجيهي والتربوي والتعليمي الذى تقوم به، فانها أيضاً تتصدى



مسجد طوكيو



المركز الإسلامي في لندن

منارات هداية وصوت حق في أنحاء العالم

اعداد:
هيئة التحرير بالمجلة

للحملات المعادية للاسلام والمسلمين، وترد أكاذيب المرجفين، وأباطيل الحاقدين، وافتراءات الموتورين، التي يتهمون بها الإسلام والمسلمين.

- ولا أحسبنا بحاجة الى تعداد المراكز والمعاهد والجامعات والمساجد التى قامت المملكة بتأسيسها أو ساهمت فى تأسيسها، ولكنّا يمكن ان نقول على وجه الاجمال ان المملكة العربية السعودية قد انشأت وساهمت في انشاء اكثر من (٢٥٠) مركزاً اسلامياً، واكثر من (١٥٠٠) مسجداً ومجموعة من الجامعات والمعاهد والمؤسسات الدينية فى انحاء العالم .. بلغت تكلفتها الاجمالية مئات الملايين من الدولارات.

هذا من الجانب الدعوي والمعرفي لهذه المؤسسات الاسلامية، أما في جانبها المعماري، فانها تمثل نماذج رائعة لصيغة المعمار الاسلامي بكل تفاصيله، وهي أيضاً اضافات معمارية جديدة لتراث قديم لم يغب عن الذاكرة .. وهى أيضا، بهذا المستوى الفنى الرائع، تكون قد رسمت معالم معمار خالد فرض نفسه فى زحمة المعطيات المعمارية الحديثة، وصرخات موضة غابات الاسمنت التى شاعت في عصرنا هذا.

ولما كنّا بصدد نماذج معدودة تؤكد هذا الطرح المعرفي الديني، والمعماري الفني فإنّا نجمل الحديث فى هذه الصفحات عن ثلاثة مراكز اسلامية قامت المملكة بانشائها وتأسيسها، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

المراكز الإسلامية تمثل نماذج رائعة لصيغة المعمار الإسلامي بكل تفاصيله

المركز الاسلامي في مدريد

«أسبانيا ..» أو بالأحرى تداعيات «ثمانية قرون» كان صوت الاسلام فيها عاليا، وراية المسلمين خفاقة، «ثمانية قرون» من عمر الزمن عاشها المسلمون هناك بكل أمجادهم، تديناً ومعرفة، علماً وثقافه، ومعماراً لم يشهد العالم مثيلاً له.

ويأتي العام الاسود (١٤٩٢م) انه عام الكارثة، الكارثة بكل المقاييس، إذ فيه سلّم أبو عبد الله آخر ملوك بني الأحمر فى الأندلس غرناطة الاسلامية بقصورها ورياضها ومساجدها واسواقها ومدارسها واهلها، بل سلم كل امجادها وامجاد المسلمين للعدو الحاقد على الاسلام والمسلمين

«الكاردينال مندوسة» وكان اول عمل قام به «الكاردينال» عند دخول الحمراء أن نصب الصليب فوق أعلى أبراجها.

وتأتي المفارقة السعيدة الرائعة أن تفتتح المملكة العربية السعودية في عام (١٩٩٢م) اكبر مركز إسلامي في اسبانيا.. أي بعد خمسة قرون من ضياع الفردوس المفقود.. وقيام مركز اسلامي في اسبانيا له اكثر من دلالة ومضمون، انه يمثل فيما يمثل خطوة العود الحميد.

هذا المركز قام بتوجيه كريم من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - بلغت تكلفته الاجمالية (٢٠) مليون دولار.. ويقوم المركز على مساحة (٢٠) الف متر مربع.

وهذا الصرح الحضاري يخدم مجموعة المسلمين المقيمين في اسبانيا ويقدم الخدمات الثقافية والاجتماعية في المجال الاسلامي.

اما في جانبه المعماري فيعد هذا المركز تحفة معمارية إسلامية فريدة.. ويضم المركز الى جانب المسجد مدرسة متعددة المراحل التمهيدية والابتدائية والاعدادية تتسع لاكثر من ثلاثمائة طالب مسلم من مختلف الجنسيات اضافة الى معمل للغات يضم ستاً وثلاثين مقصورة مجهزة لتدريس اللغات العربية والاسبانية والانجليزية وفق أحدث الوسائل السمعية والبصرية وفي المركز الثقافي الاسلامي في مدريد قاعة عرض كبرى تم تجهيزها بأحدث الوسائل مما يمكنها من اقامة المعارض مهما كانت نوعيتها ومدتها. كما يوجد ايضا متحف للتراث الاسلامي اعتبره الخبراء جوهرة المتاحف الاسلامية في اوروبا والمرآة التي تعكس علوم وحضارة تاريخ الأمة الاسلامية.

ويحتوي المركز على مكتبة تضم اكثر من ٣٠ ألف عنوان لمختلف العلوم والمعارفة مزودة بقاعة للمطالعة ومجهزة بوسائل سمعية وبصرية والمركز الجديد الذى شيّد على نفقة خادم الحرمين الشريفين أقيم وفق احدث طراز معماري يقع في أهم منطقة في العاصمة الاسبانية.

وتبلغ مساحته حوالى ١٨ الف متر مربع ويتوسطه المسجد بمئذنته التى تلفت الانظار ، الدور الأول منه

حرص المملكة على نشر الإسلام والحفاظ على الأقليات المسلمة دفعها لانشاء مجموعة من المراكز

يتسع لألف مصل وملحق به شرفة خاصة للنساء. ولقد اتخذ المركز والمسجد طابعا معمارياً مميزا يجسد فن العمارة الاسلامية العربية حيث زينت أعمدته بالمرمر الأحمر والاسود. كما ازدانت جدرانه بالآيات القرآنية الكريمة التي طبع بعضها على الجلد والبعض الآخر حفر على الخشب كما تمت انارة المسجد بثريات ذات طابع اسلامي.

وصف شامل للمشروع :

توجد بالمركز الاسلامي الثقافي في مدريد ثلاثة طوابق تحت الارض خصص جزء منها مواقف تتسع لثلاثين سيارة وجزء مخصص كصالة كبرى للعرض السينمائى للافلام الدينية ويمكن تحويلها الى قاعة اجتماعات كبيرة وهى مجهزة بكافة المستلزمات من الاضاءة ومكبرات الصوت كما تشمل هذه الطوابق الثلاثة غرفا خاصة مساندة لصالة العرض الكبرى بالاضافة الى مكتبة كبيرة ومخزن لحفظ المايكروفيلم واماكن اخرى كما تتوفر في الطابق الثاني كافتيريا وصالة لممارسة الرياضة مع توفر دورات المياه وغيرها من المستلزمات.. كما يوجد في الطابق السفلى رقم (١) صالة اخرى متعددة الاغراض مع مطبخ ومخزن وورشة صيانة كبيرة لحفظ الكتب.

واذا وصلنا الى الطابق الارضى فاننا نشاهد المسجد الذى تبلغ مساحته ٦٥٠ مترا مربعا ويتسع لحوالى الف مصل والى جواره يوجد فناء يتوسط المركز تسانده غرف للمعاطف والمغاسل واماكن الوضوء كما توجد الى جوار المسجد صالة عرض دائمة وفى الجهة الغربية من المركز توجد ثلاثة فصول دراسية كبيرة مع معمل ومكان مخصص للاستعلامات.

اما فى الطابق الاول «العلوى» من المركز فتوجد به الاجنحة الادارية وصالة لاجتماعات مجلس ادارة المركز وغرفة مكتب رئيس المركز والسكرتير والمدير بالاضافة الى اربعة فصول دارسية وغرفة للطبع والنسخ وللادوات السمعية والبصرية.. الخ.

كما توجد فى نفس الطابق بالاضافة الى ما سبق شقتان سكنيتان كبيرتان مع غرف مكتبية.

وفى الطابق الثانى توجد شقتان كبيرتان ايضا مع مصلى للنساء ملحقة بالمسجد مع دورات

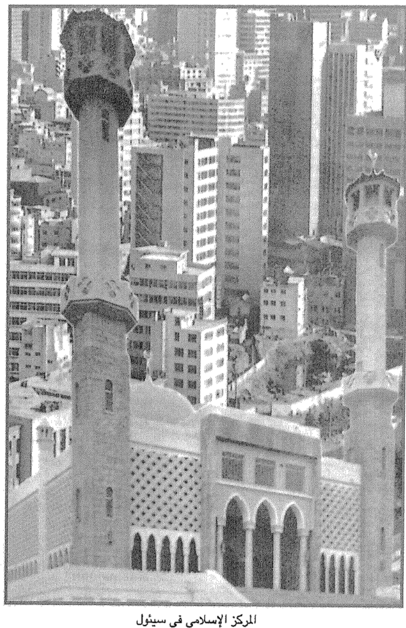
للمياه واماكن لحفظ الاحذية ٠٠ ويمكن استخدام الشقتين كسكن لامام ومؤذن مسجد المركز والاستعانة بالشقتين الاخريين تحت تصرف رابطة العالم الاسلامي المشرفة على المركز بصفة عامة٠

معهد العلوم الاسلامية والعربية في امريكا

المسلمون في بلاد المهجر (أوروبا وأمريكا) الآن هم اكثر حاجة في زماننا هذا لما يعلمهم ابجديات دينهم، ويعينهم على التمسك به٠٠ وما ذلك إلا بسبب بعدهم عن أوطانهم الأم ، وبالتالى عن موروثاتهم وتقاليدهم ومنهاج حياتهم، وأيضاً بسبب اندماجهم فى مجتمعات جديدة لا شأن لها بعرف أو دين او موروث٠٠ مجتمعات تقوم حياتها على الحرية المطلقة، مقاييس الحرية ومعطياتها ومنطقاتها عندهم تختلف تماماً عن معناها ومضمونها في ديننا الاسلامي الحنيف٠

لكل هذا ولكثير غيره، وحفاظاً على أبناء المسلمين فى دار مهجرهم كان لابد من إنشاء مراكز اسلامية ومساجد ومعاهد دينية ينخرط فيها أبناء المسلمين، يؤدون فيها صلواتهم، ويتلقون فيها العلم والمعرفة الاسلامية، ثم يلتقون فيها ويديرون شئونهم الحياتية والدينية، ولا شك أن هذه المؤسسات الاسلامية والدينية توفر للمسلمين فى ديار الغربة الكثير مما هم بصدده، والكثير مما يساعد على حركة التنمية المعرفية والاجتماعية وغيرها٠

لكل هذا فإنَّا نجد هذه المراكز قد أدت دوراً فاعلا فيما أنشئت له٠٠ ومعهد العلوم الاسلامية والعربية في واشنطن واحد من هذه الفعاليات الاسلامية التى انشأتها المملكة العربية السعودية ٠٠ وهذا



المركز الإسلامي في سيئول

المعهد تابع لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى الرياض، وقد أسست هذه الجامعة خمسة معاهد سابقة لهذا المعهد في كل من: اندونيسيا، اليابان ، رأس الخيمة ، جيبوتي ، وموريتانيا٠

ويمكن تلخيص طبيعة هذا المعهد في الآتي:

١ ـ تجلية نور الاسلام للأمريكيين والوافدين الى امريكا والتعريف بالحضارة الاسلامية والتعاون مع المؤسسات الاسلامية العاملة٠

٢ ـ نشر اللغة العربية وتعليمها للراغبين في ذلك٠

٣ ـ اجراء البحوث الخاصة بالعلوم الاسلامية واللغة العربية والتعاون مع الجهات المعنية بذلك٠

٤ ـ توفير التعليم الجامعى والعالى فى العلوم الاسلامية وعلوم اللغة العربية٠

والاقسام التى يضمها المعهد حاليا: قسم العلوم الاسلامية وقسم علوم اللغة العربية وقسم التعليم المستمر وخدمة المجتمع، ثم الدراسات المساعدة ومركز البحث العلمى ومركز الاعلام والنشر ومركز الترجمة ومركز التقنيات التربوية ومركز الحضارة والتراث

الاسلامي ومركز الحاسب الآلي والمكتبة.

ويقدم المعهد عدداً من البرامج والخدمات ، فهناك برنامجان تعليميان ينفذان في مقر المعهد حاليا احدهما للغة العربية والآخر للعلوم الشرعية كالفقه والحديث، وبرنامج اللغة العربية مقسم الى عدة مستويات بما يتناسب مع مستويات الملتحقين. اذ ان منهم المبتدئين ومنهم من يستطيع التحدث لكنه يحتاج الى تدريب واطلاع على بعض قواعد اللغة. وبشكل عام فإن هذين البرنامجين يأخذان شكل دورات مدة الدورة الواحدة سبعة أسابيع مع فترة فاصلة بحدود أسبوع للاعداد للدورة التالية، وهناك برامج تنفذ في منطقة واشنطن العاصمة مثل برنامج الدروس الأسبوعية الذي ينظمه المعهد في السنة والسيرة والفقه كل أسبوع في المركز الاسلامي ودروس النساء في مسجد الاسلام والى جانب ما سبق يقوم المعهد بإدارة برامج تعليمية في خارج منطقة واشنطن في مختلف انحاء الولايات المتحدة وذلك في شكل دورات قصيرة مكثفة في عطلة نهاية الاسبوع في علم واحد من العلوم الشرعية وتبدأ مساء الجمعة وتنتهي مساء الاحد يدرس فيها الملتحقون حوالى خمس عشرة ساعة ويؤمن المعهد خلالها الوجبات الغذائية.

مسجد ومركز روما

في روما، وعلى مقربة من الفاتيكان (ثلاثة أميال)، وبعد عدة سنوات من المحاولات المستمرة الجادة مع المسئولين في روما لاستخراج الموافقة اللازمة، بعد كل هذا الجهد المشكور تم بفضل الله وتوفيقه بناء أول مسجد في روما.. من منارات هذا المسجد ارتفع صوت الأذان «الله اكبر» يصافح قلوب المسلمين في تلك الديار.

أقيم المسجد على مساحة تبلغ ٣٠ ألف متر مربع في موقع ممتاز من المدينة هو حي فاريولي الذي يعتبر من أرقى أحياء العاصمة حيث يقيم اكثر الديبلوماسيين. وهو موقع مرتفع، ويشرف على منحدر تكسوه الأشجار، ويبعد عن الفاتيكان نحو ثلاثة أميال ونصف الميل.

ويذكر أن مسجد روما هو اكبر المساجد في اوروبا بعد مسجد باريس، ولكن المسلمين هناك يمثلون نسبة ضئيلة من عدد السكان في ايطاليا، خصوصا اذا قورن عددهم بتعداد الجاليات الاسلامية في فرنسا والمانيا وبريطانيا. وكانت الكنيسة الكاثوليكية قد اعترضت في الماضي على اقامة المسجد، ولم تسقط اعتراضاتها الا بعد قيام المجمع البابوي باعادة النظر في سياسة الفاتيكان تجاه العديد من القضايا في اواسط الستينات. ولم يكن في مقدور الحكومة الايطالية - صاحبة القول الفصل في مسألة تشييد المسجد - الموافقة على بنائه دون موافقة الفاتيكان، الضمنية على الأقل. لذلك قدمت هذه الحكومة قطعة الأرض تبرعاً منها الى الجالية الاسلامية.

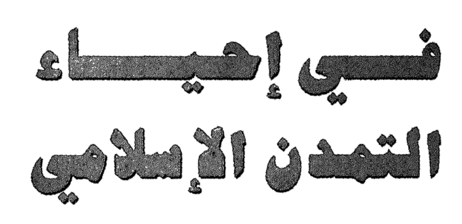
وقد صمم المسجد المهندس المعماري باولو بورتوغيسي، ويتسع لألفي مصل تحت قبة عالية يبلغ ارتفاعها ٨١ قدماً. كما ان ارتفاع المئذنة يبلغ ٣٩ مترا. ويضم المسجد مركزا اسلاميا ثقافيا ومكتبة وقاعات للمؤتمرات والاجتماعات.

وهذا المسجد بمثابة مركز أو مجمع اسلامي ضخم، يؤدى خدمات دينية وعلمية واجتماعية لحوالى ٧٠ ألف مسلم في العاصمة الايطالية روما .. وقد قام هذا المسجد بتوجيه كريم من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله.


المركز الإسلامي في كولومبيا


العمارة
الإسلامية
تصور ومنهاج

المنهاج



تعددت سبل إحياء التمدن الاسلامي وتباينت تصورات الباحثين من المتأخرين حولها، فهناك - على سبيل المثال - من يدعو إلى « إحياء الشكل » وآخر يدعو إلى « إحياء الشكل وشيء من الوظائف » وثالث يدعو إلى « الاحياء الشامل للدين الاسلامي في جميع مرافق الحياة » لأننا بهذا الاحياء سنبني النموذج المطلوب للتمدن الذي سيعكس واقعاً مكانياً ومادياً بأثر تعاليم الدين ، وهذا أحد الأحوال وأقربها للهدي النبوي.

وخلاصة القول ، لابد وأن نعلم أن الدين الاسلامي لا ينظر إلى أشكال الشوارع والزخارف بذاتها بل هو نظام حياة شامل يرمي إلى إصلاح حياة الانسان في الدنيا والآخرة وأنه إذا ما زادت الزخارف وتطاولت المباني كان ذلك دليلا على انحراف التمدن عن المنهج الصحيح.

إن هذا الدين لا يشجع البداوة والعزلة والرهبنة بل يشجع على التمدن والاستقرار والجماعة وينبذ الفرقة ودليلنا في ذلك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه في الاستقرار عندما نزل المدينة المنورة ، ويمكن أيضا مقارنة تكاليف الدين في حالة الحضر وحالة السفر.

وفي الوقت نفسه يحذر هذا الدين من التمادي في الانغماس في المدنية على غير هدى الدين لأن ذلك ايذان بزوال المدينة واندثارها مهما ارتفعت مبانيها قال تعالى : « **وكأيِّن من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد** ».

ان أساسيات التمدن والعمارة الاسلامية كالمسجد والمسكن والسوق والأنشطة الاقتصادية متفق عليها وهي موجودة ولا غنى عنها مع تبدل الزمان والمكان وإن التغير إنما يحدث في الاساليب الجديدة التي أباحها الله تعالى ليسهل على الانسان الانتفاع بثروات الأرض التي سخرها الله تعالى له.

وهنا يجب الحذر من المقولة التي تحاول أن تعزو التمدن الاسلامي إلى عصور الاتصال الثقافي مع الحضارات الرومية والفارسية وغيرها لأن من يقول ذلك يصر على أن التمدن الاسلامي لم يأت « مع » الشريعة انما جاء « عنها » كما بين ذلك الكتاني في (تراتيبه) رحمه الله.

أولا : العمارة الاسلامية بين الحفظ والاحياء

فصل المنهاج :

يتفق المهتمون بدراسة العمارة الاسلامية من المتأخرين على أنها تعاني من محنة انعكست آثارها

المدينة الإسلامية بين الحفظ والإحياء

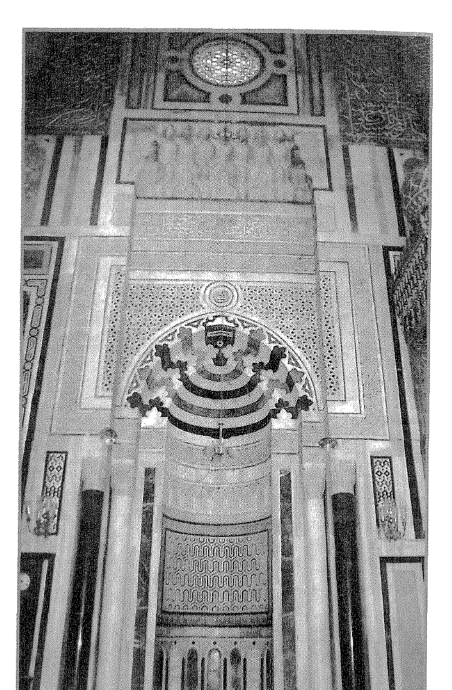
للحفظ » ظهرت دعوات أخرى منها ما يدعو « للدمج » بين العمارة الاسلامية والعمارة الحديثة بصورة تساعد على صقل واقع معماري جديد يستفيد من الحضارتين ، بينما تدعو أخرى إلى ضرورة « التثبت » من المقصد الحقيقي « للاحياء » و « الحفظ » بمعنى هل هذه الدعوات تنصب فقط على احياء وحفظ طرز معمارية فقط أم هي أشمل من ذلك؟.

ومن جانب آخر فقد تشابهت كثير من المقاصد المنصبة لمصلحة العمارة الاسلامية وإن اختلفت في المسميات كقول البعض أن الدعوات الرامية إلى معالجة مشكلة المدينة العربية الاسلامية لا تتعدى ثلاث هي :

(١) السلفية -
(٢) المعاصرة -
(٣) المتحفظة(١).

ومن خلال هذه الدعوات يرى أصحابها ضرورة البحث عن « النموذج » الذي سيحتذى به من خلال تحديد « الزمان والمكان » الذي ظهرت فيه المدينة العربية الاسلامية متكاملة مع ضرورة الاشارة إلى وجود « متغيرات » و « ثوابت » في المدينة الاسلامية منعا للتكرار وحرصا على الملاءمة لأن الأمر يتسع للاجتهاد والابداع.

وهناك مسميات أخرى تنصب في نفس الاتجاه منها قول البعض إن للمدينة العربية الاسلامية « مكونات مادية » كما أن لها « مقومات



محراب مسجد السلطان حسن وتظهر فيه روعة الزخارف

على خطة المدينة وشكلها العام ولكنهم اختلفوا في تحديد المنهاج الأمثل الكفيل بتجاوز هذه المحنة. ولقد تعددت المناهج والسبل والمسميات المراد الأخذ بها لتجاوز محنة المدينة الاسلامية وتباينت فمن راغب في «الاحياء» مطلقا لكل ما يمت بالعمارة الاسلامية بصلة إلى راغب في «حفظ» ما تبقى من العمارة الاسلامية للاستفادة منه

بقلم الأستاذ الدكتور:

وليد عبدالله عبدالعزيز المنيس

جامعة الكويت - كلية الآداب

العميد المساعد لشئون الأبحاث

كتراث محسوس قد يعطى دفعة لتشكيل أي امتداد مدني متوقع وبين الدعوة « للاحياء » والدعوة «

معنوية » وأن التصور الأمثل لحل مشكلة المدينة العربية الاسلامية هو ذلك الاسلوب الذي يوائم بينهما(٢).

لقد حاول أصحاب هذه الدعوات أن يحددوا التراث الحضاري الاسلامي أو بمعنى آخر « الخصائص الأساسية للمدينة الاسلامية التي لابد وأن يحافظ عليها بينما يترك الأمر للسعة والاجتهاد وفيما يتلاءم مع الواقع لأجزائها المتجددة.

وبالمثل نحن نرى ما يراه البعض من ضرورة الحفاظ على الأصالة أو الوظائف الأساسية التي تواجدت في كل مدينة اسلامية لكننا نختلف في بعض المسائل وان كنا نلتقي بالمقاصد.

ذكرنا في صدر هذه الدراسة أن العمارة الاسلامية محصورة بين دعوتين هما « الاحياء » أو « الحفظ » وهذا يقتضي منا تبيان الفرق بينهما. ولما كنا نرى أن «الاحياء» هو الأسلوب الأمثل لحل مشكلة «التمدن الاسلامي» ولا نقول «العمارة الاسلامية» فقط ، كان لزاما علينا أن نبين مقصدنا منه وعندها سيتضح منهجنا الذي نراه كفيلا في حل مشكلة التمدن الاسلامي. لهذا فإن تساؤلنا هو :

أولا: ما الفرق بين الحفظ والاحياء؟

ثانيا: لماذا الاحياء وما هي درجاته؟

أما بشأن «أولا» في الفرق بين الحفظ والاحياء فهذا يقتضي توضيح المعنى لغة .. جاء في اللسان:

حفظت الشيء حفظا أي حرسته ، وحفظته أيضا بمعنى استظهرته ، والمحافظة المراقبة .. والحفيظ المحافظ ومنه قوله تعالى **«وما أنا عليكم بحفيظ»** (٣).

أما معنى الاحياء فقد جاء فيه أيضا:

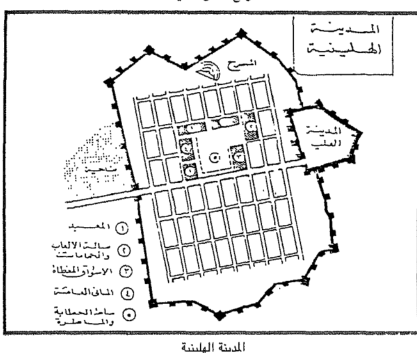
«في الحديث: من أحيا مواتا فهو أحق به ، الموات: الأرض التي لم يجر عليها ملك أحد ، وإحياؤها مباشرتها بتأثير شيء فيها من إحاطة أو زرع أو عمارة ونحو ذلك تشبيها بإحياء الميت ، ومنه حديث عمر ، وقيل سلمان ، **أحيوا ما بين العشاءين** أي اشغلوه بالصلاة والعبادة والذكر..(٤).

من خلال هذه المعاني التي يحملها الحفظ والاحياء يمكن استنتاج ما يأتي:

أولا : أن الحفظ يعني حراسة الشيء ، فقد نحافظ على العمارة الاسلامية بحفظ ما تبقى منها من آثار لينتفع به كتراث حضاري دون النظر إلى اعتبار هذا التراث في الخطط المعمارية القادمة.

ثانيا : ومن معاني الحفظ أيضا الاحياء لقوله «وحفظته بمعنى استظهرته» فقد نحافظ على العمارة

نموذج للمدن القديمة



المدينة الهلينية

الاسلامية لا بقصد إبقائها كتراث فقط بل لاظهار هذا التراث في الخطط الحضرية والمعمارية المتوقعة مستقبلا.

ثالثا : أما الاحياء فمن معانيه إحياء انتفاع معين لم يكن موجودا بالأصل ، كإحياء الأرض الميتة التي لم يسبق تعميرها وجعلها صالحة للسكني والزرع ونحوه ، قال رسول الله ﷺ

« من أحيا أرضا مواتا فهي له » رواه أحمد والنسائي وابن حبان. وعند البخاري بلفظ :

« من عمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها »(٥).

ومن ذلك نأخذ إمكانية إحياء العمارة الاسلامية من جديد في الأراضي التي يحتمل أن تكون معدة للتوسع المدني أو عن طريق التجديد الحضري الاسلامي.

يظهر من معاني الحفظ والاحياء أن الحفظ أسلوب «دفاعي» في أحد معانيه بينما الاحياء أسلوب «هجومي» وأن أحسن وسيلة لحفظ العمارة الاسلامية هو احياؤها من جديد ، إلا ان قولنا إحياء المدينة الاسلامية ، وهو احد معاني الاحياء كما مر بنا اكبر من مجرد قولنا «حفظ العمارة الاسلامية» ذلك ان «المدينة» نظام حياة شامل ، اما «العمارة» فهي أحد انعكاسات المدينة وبالتالي فإن الاحياء عندنا اشمل واقوى في معانيه وأهدافه.

أما بشأن «ثانيا» في قولنا لماذا الاحياء وما هي درجاته؟ فقد بينا في الفقرة السابقة ان الاحياء أسلوب أشمل من الحفظ أما درجاته فهي ثلاث.

أولاهما : إحياء الشكل.

ثانيها : إحياء الشكل والوظيفة.

ثالثها : الاحياء الشامل للمدينة الاسلامية وانعكاسها على الشكل والوظيفة.

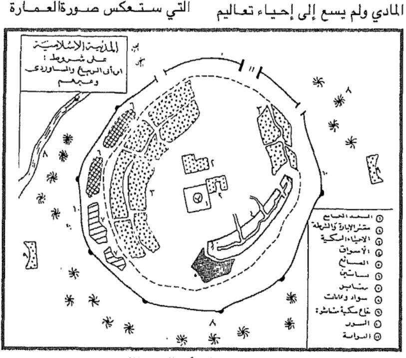
أما «إحياء الشكل» فلا يتعدى إحياء الطرز والزخرف الذي غلف المدينة الاسلامية في القرون المتأخرة. ومما يؤسف له ان طائفة كبيرة من الدعاة إلى إحياء المدينة الاسلامية قد ركزت على إحياء الشكل عن طريق إحياء الزخرف الذي غطى المدينة العربية بغلاف صناعي Artificial Veneer لا علاقة له مع الوظيفة الحقيقية التي من أجلها دعا الاسلام إلى إعمار الأرض فضلا عن تحفظ الدين على إحياء الزخرف والتطاول في البنيان كما سنبينه لاحقا.

أما إحياء «الشكل والوظيفة» فهو أحسن حالا من سابقه لأنه قضى على نسبة كبيرة من التناقض بين الشكل والواقع بمعنى آخر أن هذا الاسلوب يحقق كثيراً من مطالب المستقرين في المدينة الاسلامية كالتقارب الأسري والجوار والانسجام العرقي والديني في التوزيع المكاني أو كما سماه ابن أبي الربيع بـ«منع خلط الأضداد». لكن يظل هذا الاسلوب ناقصا أيضا لأنه أحيا الواقع المادي ولم يسع إلى إحياء تعاليم

المدينة الإسلامية بين الحفظ والإحياء

الدين الاسلامي التي تحكم المدينة وعلاقات ساكنيها بمعنى آخر أنه أسلوب يحقق شيئاً من مطالب المدينة الاسلامية إلا أنه أهمل إحياء التمدن الاسلامي في النفوس حتى تنعكس مؤثراتها على المكان وهو ما نرمي إليه في دعوتنا إلى الاحياء الشامل للدين في النفوس وعلى المستويات كافة.

أما بشأن ثالثا وهو الإحياء الشامل للمدينة الاسلامية عن طريق إحياء تعاليم الدين وربطها بحياة المدينة على كافة المستويات بين الأفراد رؤساء ومرؤوسين فهو أسماها وأشملها ذلك انه يرى ان تعاليم الدين من «عبادات» و«معاملات» و«سياسة شرعية» هي التي ستعكس صورة العمارة



المدينة الإسلامية على شرط ابن أبي الربيع والماوردي وغيرهم

الاسلامية وخطة المدينة ، بمعنى آخر ان العمارة الاسلامية وأشكالها ما هي إلا نتيجة لنمط التعاليم التي سادت في نفوس ساكني المدن وبقدر قوة هذه التعاليم في النفوس والأخذ بها بقدر ما تكون المدينة انعكاسا صادقا للاسلام وتعاليمه. وهنا لابد لنا من ان نسأل على سبيل المثال:

أولا : كيف يؤثر المعتقد ، وتعاليمه على صقل خطة المدينة وشكلها العام ووظائفها الداخلية؟.

ثانيا : هل هناك ما يمكن تسميته بالمدينة الاسلامية أو العمارة الاسلامية؟

أما السؤال الأول : فجوابه أن للمعتقد وتعاليمه أثراً كبيراً على خطة المدينة وصورتها العامة وأن الفهم الأمثل للتمدن لابد وأن ينبع من الفهم الواضح للمعتقد السائد في المدن والحضارات .

وتجدر الاشارة إلى ان المعتقدات تتباين في تأثيرها على المكان وعلى الناس بالمقارنة مثلا مع أثر تعاليم الدين الاسلامي التي تنعكس آثارها على كل ذرة من ذرات المدينة لأنها من صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

أما السؤال الثاني: فيمكن صياغته بصورة أخرى ايضا وهو هل هناك «نموذج» أو مثال صادق للمدينة الاسلامية يمكن تصنيف المدن من خلاله ، ما إذا كانت إسلامية أو غير إسلامية. وللجواب على ذلك نقول لابد من العودة مرة أخرى إلى فهم تعاليم الدين التي جاء بها الاسلام بشأن التمدن وضوابطه العامة حتى نتمكن من معرفة الصورة الصحيحة للمدينة الاسلامية ذلك ان امامنا كمّاً هائلاً من لدن العهد النبوي والخلافة الراشدة إلى المدن الأموية والعباسية وغيرها مما يجعل المهمة صعبة بل ومستحيلة لأن البحث لابد



زخارف بديعة يزدان بها سقف مسجد «بدشاهي» في مدينة لاهور

وأن يبدأ من السابق لا من اللاحق.

ثانيا: أثر المعتقد على خطة البلد

فصل

الوثنية والفلسفات الاقتصادية أو المادية

مما لا شك فيه أن للمعتقد الذي تؤمن به المجموعة المستقرة أثراً كبيراً في خطة المدينة حيث يرى ذلك واضحا من خلال النظر إلى المدينة اليونانية. والمدينة الرومانية الوثنية والمدينة الفرعونية ومن الدراسات الحديثة يتحدث ماكونيل(٦) McConnell عن المدينة الرأسمالية والمدينة الماركسية كأيدلوجيات تنعكس آثارها على المكان.

ففي حالة المدن القديمة يشير واجستاف(٧) Wagstaff إلى انها تعكس المعتقد القائم الذي يجعل خطة المدينة تدور حول المعبد أو قصر الحاكم كما هو مبين في الشكل رقم (١).

والشيء نفسه يقال عن المدينة الفرعونية التي ألّهت الحاكم حيث الشيء نفسه في خطتها. فالمعبد كان بمثابة مركز الحياة والعمران في المدينة المصرية ومن حوله كانت تنمو المدينة وتمتد مساحتها وتدور صور الحياة فيها. كما أن وجود آلهة محلية للمقاطعات كان عاملا هاما في نشأة المدن الاقليمية(٨).

وفي فترة طغيان العقل وظهور

المنطق والفلسفة كما في الحضارة اليونانية كان هذا هو الآخر سببا رئيسيا في تشكيل المدينة اليونانية في العهد الهيلينستي Hel-enistic Town إذ تشكلت المدينة على ضوء المعتقدات السائدة فيما يتعلق بسمو الجنس اليوناني على باقي الأجناس وأنه خلق لكي يسود أما باقي الأجناس فهي مسخرة لخدمة هذا الجنس الذي ظهر بالاختيار الطبيعي أو بالحتمية الطبيعية. وفي المعتقدات التي ساعدت على تشكيل خطة المدينة اليونانية القول بأن ليس للشر حدود وإنما الخير محدود بذلك اختير للخير مدينة عليا Citadal ترتبط بباقي مكونات المدينة اليونانية كما بينها الشكل رقم (٢).

يتضح من خلال النظر إلى الشكل رقم (٢) أن خطة المدينة انعكاس للواقع العقائدي السائد آنذاك. فالمدينة اليونانية كانت تتكون من عناصر خمسة هي:

(١) المعبد

(٢) صالة الألعاب والحمامات.

(٣) الأسواق المعلقة Stoa

(٤) الأجورا وهي ساحة المناظرة والخطابة Agora

(٥) المباني العامة Curia

أما نواة المدينة اليونانية فكانت تتكون من ثلاثة أقسام:

(١) الاكروبولس أي المدينة الأصلية.

(٢) المدينة العليا Citadal

(٣) الميناء.

أما المدينة الرومانية فكانت مكوناتها من الآتي:

(١) الميدان الرئيسي Forum

(٢) المسرح الدائري Am-phitheatre

ويتركز في الميدان الرئيسي المعبد والأسواق ومراكز الحكم والادارة (٩).

ويتضح من خلال وقائع التاريخ اليوناني كيف كانت المدينة اليونانية مجالا «للديمقراطية اليونانية» التي برز فيها العقل والفلسفة حيث تبرز ساحة «الاجورا» وهي ساحة الخطابة والمناظرة بين الفلاسفة والحكماء كأفلاطون وأرسطو وسقراط، والقول نفسه عن المدينة الوثنية التي يتوسطها المعبد الوثني. وكلا المدينتين كان يسودهما الطبقية العنيفة بين أبناء البلد. ومن مؤثرات المعتقدات السائدة عند اليونانيين والرومانيين هي الايمان بالمحسوس والغلو في تقدير الحياة والركون إليها والشك في الدين والاستخفاف بنظامه والاعتزاز بالقومية والحب المفرط للوطن وترابه فوق حب الله فكان نتيجة ذلك أن فصلوا السياسة عن

التمدن الإسلامي في حقيقته لا يركز على الزخرفة والبهرج الخارجي بقدر ما يركز على القيمة الموضوعية والدينية لحركة التمدن ذاتها

المدينة الإسلامية بين الحفظ والإحياء

الدين وطوروا العقل من خلال المناظرات والأقيسة العقلية فانتجوا الديمقراطية اليونانية التي هي سياسة عقلية تحمل الكافة على مقتضى النظر العقلي لجلب المصالح الدنيوية ودفع المضار دون النظر للآخرة وجعلوا أنفسهم فوق البشر وأنهم قوم خلقوا ليسودوا وذلك بالاختيار الطبيعي كما قال أرسطو(١٠).

والشيء نفسه يقال في أيامنا هذه عن المدينة الرأسمالية Cap-italist City والمدينة الماركسية Marxsist City بالنظر إلى عقيدة كل منهما.

فالمذهب الرأسمالي الذي هو عقيدة اقتصادية تنعكس انعكاسا واضحا على المكان وعلى الناس من خلال النظر إلى مبادئها وهي:

١ - تملك عناصر الانتاج.

٢ - الملكية الفردية ومضاعفة الربح.

٣ - وجود سوق حرة تحقق التوسع في التراكم المالي.

يحيط بهذه الخصائص حرية أو بمعنى آخر عدم وجود تدخل حكومي. ويمكن على ضوء هذه المبادىء تصور خطة المدينة الرأسمالية وشكلها العام. يشير ماكونيل McConnell أن الرأسماليين يعمدون إلى استثمار فائض القيمة Surplus value في مشاريع تجارية لأجل تحقيق مزيد من «فائض

القيمة»(١١) ويشير هارفي Har-vey إلى هذا المعنى ولكن بصورة أخرى أن في المذهب الرأسمالي يظهر مفهوم *التراكم* accumela-tion لأجل الحصول على تراكم رأس المال أيضا وينظر خلاله إلى العامل على أنه سلعة لابد أن توفر للرأسمالي فائض قيمة في مقابل راتب معاشي.

نخلص من مفهوم تراكم رأس المال والمشاريع التجارية والصناعية لأجل زيادة الربح أن المدينة الرأسمالية إن صح التعبير تظهر بصورة غير منتظمة تتلاصق فيها ناطحات السحاب بالمباني الأفقية بحكم التباين الشديد بين الغنى والفقر. ويشير ديروسكوت Dear and Scott أن نظام المدن التي تتبنى *المذهب الرأسمالي* تفرز نظاما تدريجيا للمراكز التجارية ذات Hirarchy of centres أحجام مختلفة لتحقيق مبادىء هذا النظام(١٢).

التمدن الإسلامي أنموذج فريد في نوعه وأسلوب معالجات عطائه

والشيء نفسه يقال عند النظر للمدينة التي تتخذ بالمذهب الاشتراكي المأخوذ من الماركسية إذ تدور مبادىء *هذا المذهب الالحادي* المادي على الآتي :

١ - منع الملكية الفردية.

٢ - منع تملك *عناصر الانتاج*.

٣ - التعويض عن ذلك بالملكية *الجماعية الإشتراكية*.

ويحيط بهذه المبادىء التدخل الحكومي المباشر الذي يشرف على كل صغيرة وكبيرة من خلال *الهيئة العليا للتخطيط* . من خلال مبادىء هذا المذهب الذي يحاول أن يمنع تراكم *الأرباح* ويعمل على تحويل المجتمع إلى طبقة عمالية منتجة ، تحت السلطة الجماعية سيكون خطة المدينة الاشتراكية الانسجام في اشكال المباني تقريبا لارتباطها بالعمال والمزارعين الذين لا يملكون شيئا. ولما كانت النظرة للفائض الربحي غير معتبرة هنا فإن المساكن والمدينة تقوم على البعد عن الابهة الحضرية إذا ما قورنت بالمدينة الرأسمالية *التي ينظر اليها* على أنها صورة من صور الاقطاع من الوجه الاشتراكي.

ويستطيع الباحث الميداني أن يتأكد من هذه المفاهيم فيما لو زار مثلا موسكو في مقابل نيويورك كانعكاسات مكانية لهذين المذهبين.

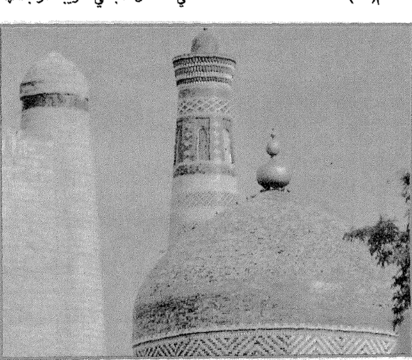
من خلال هذا العرض كان المقصد أن نصل إلى أن للمعتقد السائد أثرا بالغا بل ورئيسيا في تشكيل خطة المدينة وبالتالي فإن احياء المعتقد معناه *احياء لخطة* المدينة نفسها. ومعلوم أن الدول القديمة كاليونانية *والرومانية التي* سادتها المسيحية الآن قد تغيرت صورتها بحكم طغيان العلمانية والتوجه العقلاني الذي عزل المعبد والكنيسة عن مركز المدينة اضافة إلى دخول الوسائل الحديثة في تخطيط المدن وتطور وسائل النقل وترابط المدن مع سيطرة المذاهب الرأسمالية والاشتراكية عليها.

والشيء نفسه يقال حتى عن كثير من المدن في الدول الاسلامية التي عزلت تحكيم الشريعة ومبادئها عن الحياة مما أثر في تشكيل صورة مغايرة لماضيها الحضري السابق.

ثالثا : ضوابط العمارة والتمدن الاسلامي

فصل النموذج

بَيَّنا آنفا ان إحياء العمارة



منظر لمئذنة (إسلام خوجه) عام ١٩١٠م

والتمدن الاسلامي يستدعي احياء تعاليم وأوامر الدين ونواهيه لأنها كفيلة بتحديد شكل المدينة وخطتها وتطورها المتوقع وكل ما يتصل بحياة الناس. وأشرنا أيضا ان هذه المسألة تستتدعي تحديد نموذج معين للمدينة الاسلامية حتى تكون الانطلاقة والمقارنة منه مع أي عمارة طوال تاريخ التمدن الاسلامي.

ويبقى السؤال الذي أثار الجدل «أين هذا النموذج؟» وهل التمدن الاسلامي عبارة عن واجهات معمارية وطرز وزخرفة أم أنه اشمل من ذلك؟ هذه المجموعة من الاستفسارات إنما جاءت بسبب سوء فهم التمدن الاسلامي وحصره في زاوية مادية كالخطة والشكل العام والزخارف وبالتالي كان ذلك سببا في تباين وجهات النظر لإختيار النموذج الأمثل. ولكي نتدرج في الاجابة نقول «إن هذا الدين إنما جاء لتنظيم حياة البشر على الأرض فمن أخذ به وبتعاليمه فقد أحيا التمدن المطلوب الذى مراده أن يكون الانسان خليفة وعبدا لله في الأرض ومن حاد عن تعاليمه وزواجره فقد حاد عن الجادة الصواب فكان ذلك سببا في تشويه التمدن المطلوب ، بمعنى آخر أنه تشويه للنموذج المطلوب».

ولعلنا نتساءل أين هذا النموذج ؟ وهل جاء طبق تعاليم الدين بأكملها وعلى أحسن وجه حتى نتبع سيرته إذا ما أردنا الاحياء الصحيح؟. نقول «ان من رام معرفة التمدن الصحيح الذي قام بأثر التطبيق الصحيح لتعاليم الدين فليطلبه في تتبع سيرة خير من طبق تعاليم الدين وأوامره ونواهيه وخير معلم للأنام محمد ﷺ ومن تبعه بإحسان».

إن من تتبع سيرته ﷺ عندما هاجر إلى المدينة يستخلص منها نظرة الاسلام للتمدن والاستقرار والكيفية التي يتم من خلالها تحديد وتوزيع وظائف المكان.

إن هذه المقولة فيها تصويب لتصورات كثير ممن تعاطوا الكتابة عن التمدن الاسلامي إذ أن كثيرا منهم يعزو التمدن الاسلامي الى العهود التي تلت العهد النبوي ، والخلافة الراشدة كالعهد الأموي والعباسي وما تلاهما وهم في ذلك يرون أن التمدن الحقيقي إنما جاء بسبب الانفتاح على الحضارات المختلفة التي قدمت للتمدن الاسلامي كل ما يحتاجه ، انهم في ذلك يقولون ان التمدن الاسلامي قام «عن» الشريعة ولم يقم «معها».

إن من يقول ذلك قد وهم وأخطأ ولم يتدبر سيرة النبي ﷺ والخلفاء والمهديين من بعده والتي وضعت أساسيات التمدن وخطوطه العامة ليسلكها اللاحقون ويسيروا على نهجها وإن من حاد عنها فقد أساء الفهم وحمل العلم ما لا يطيق. كما يجب ان يفهم من قولنا هذا ان الدين الاسلامي أولا وقبل كل شيء اعتقاد وتصديق وعمل وأنه يقدر ما تكون هذه التعاليم مطبقة على كافة المستويات بقدر ما تكون المدينة انعكاسا صادقا للتمدن الاسلامي.

وللعلامة الكتاني في «التراتيب» اشارة لطيفة في ذلك فتأملها ، قال رحمه الله :

«إن الكتّاب الذين تصدروا أخيراً للبحث عن المدينة الاسلامية العربية ودونوا المدونات العدة من المسلمين والمسيحيين غاية ما ينسبون من التمدن للاسلام يذكرون ما وجد على عهد الدولة العباسية والأموية مثلا مع ما أوجدته بعد ذلك ممالك العجم والديلم والترك والفرس والبربر وغيرهم من ممالك الدول الاسلامية بالشرق والغرب بل ربما كانوا يأتون بنسبة المدينة الاسلامية لبني العباس ليتسنى لهم بعد التصريح بأنهم أخذوا ذلك عن اليونان والفرس لا عن القرآن والنبي ﷺ بل ووقع لبعض الكتاب الشاميين في رسالة له في انتشار الأديان التصريح بأن التمدن الاسلامي قام «عن» الشريعة ولم يقم «معها» وهو غلط فادح لصاحبه عن جهله بالسير والحديث»(١٣).

نخلص من ذلك ، ان التمدن المطلوب إنما جاء «مع» الشريعة التي وضعت أساسياته التي لا تتغير ، مع مراعاتها لتبدل الزمان

المدينة الإسلامية بين الحفظ والإحياء

الحفظ يعني حراسة الشيء أي نحافظ على العمارة الإسلامية بحفظ ما تبقى منها من آثار لينتفع به كتراث حضاري

والمكان مما يدخل في باب «المعاملات» والسياسة الشرعية التي تسير على هدى الشريعة وما ثبته رسول الله ﷺ ومن تبعه باحسان(١٤). كما يجب ان نشير الى أن التمدن في الصدر الأول من الاسلام كان هو التمثيل الحقيقي للتعاليم فالماديات من زخرفة ومما لا حاجة له أبدا لم يظهر إلا في العهود اللاحقة مما كان سببا في تدهور التمدن رغم أن ظاهرها المادي عظيم ولكن ليس هو المطلوب لذلك لم يدم.

رابعا : وظائف المكان

فصل الانشطة والبناءات

عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وهي موطن الاستقرار الذي باشر منه دعوته لنشر هذا الدين العظيم قام بتحديد الوظائف الأساسية للمكان الذى اختاره ، والتي لا يقوم الدين إلا بها وهي من التمدن الاسلامي ، والتي أطلق عليها المهتمون عدة تسميات مثل (عناصر المدينة العربية الاسلامية) و (التراث المعماري العربي الاسلامي) إلي غير ذلك من المسميات التي استقيت من سيرة النبي ﷺ عند نزوله المدينة ، وسنوردها تباعا كما دلت عليها الروايات الصحيحة.

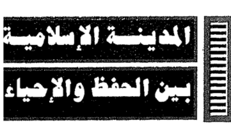
المسجد أول البناءات :

جاء في (التراتيب) باب البناء، فصل البناءات النبوية ما نصه : «بنى ﷺ مسجد قباء أول ما ورد المدينة ووقف على أساسه ، قال السهيلي في (الروض) ذكر ابن قتيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسس مسجد قباء كان هو أول من وضع حجرا في قبلته ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبي بكر ثم أخذ الناس في البنيان فقال هذا أول مسجد بني في الاسلام (١٥).

جانب داخلي لأحد البيوت التاريخية في مكة المكرمة
ويظهر في الصورة روعة التصميم والزخارف في هذا المجلس

تخطيط المدينة عند الشعوب يختلف باختلاف المنهج الفكري أو العقدي الذي يدينون به

كما أسس ﷺ «مسجد المدينة» عندما وفد على بني النجار : (قال عليه السلام كما في الصحيح وغيره إلى بني النجار بعد أن أرسل اليهم وكان موضع المسجد لهم «ثامنوني بحائطكم هذا فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادته حجارة وجعلوا الصخر وهم يرتجزون..» قال ابن اسحاق فعمل فيه النبي ﷺ ليرغب المسلمين في العمل وذكر ابن جماعة أن النبي ﷺ أمر ببناء المسجد فبنى باللبن وجعلت عضادتاه بالحجارة وسواريه جذوع النخل وسعفه الجريد وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين الآخرين مثل ذلك فهو مربع وجعل الأساس قريبا من ثلاثة أذرع على الأرض



بالحجارة ثم بنوه باللبن..» (١٦).

وقد بناه ﷺ ثلاث مرات الأولى بالسميط وهو لبنة أمام لبنة والثانية بالضفرة وهي لبنة ونصف في عرض الحائط والثالثة بالأنثى والذكر وهي لبنتان تعرض عليهما لبنتان (١٧).

يستخلص من ذلك أن أول وظيفة أحياها رسول الله ﷺ في المكان «وظيفة المسجد» الذي كان هو مكان للصلاة والعبادة اضافة إلى كونه مركزاً سياسياً واجتماعياً وحضارياً وملتقي علمياً. هذه الوظائف التي كان يؤديها المسجد جعلت مكانته أكثر من كونه للعبادة لأن الأرض كلها قد جعلت لرسول الله ﷺ طهوراً ومسجداً كما جاء في الحديث.

ثانيا المسكن

ثم باشر رسول الله ﷺ تحديد وظائف المدينة من الداخل فبنى مساكنه إلى جوار المسجد، قال في التراتيب:

«ثم بنى ﷺ مساكنه إلى جنب المسجد باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد وكان محيطها مبنيا باللبن وقواطعها الداخلة من الجريد المكسو بالطين والمسوح الصوفية وجعل لها أبواب منافذ متقنة الهواء داعية إلى السهولة في الدخول والخروج وخفة الحركة مع وفر الزمن والسرعة إلى المقصد»(١٨).

وكان للأصول السكانية والقبلية شأن كبير في توزيع السكان في أحياء المدينة بحيث أن كل حي يقطنه أسرة أو قبيلة أو جماعات دينية كتابية ذمية كما هو معلوم.

ثالثا : السوق :

كما حدد ﷺ موضع السوق لعلمه أن الاستقرار لا يقوم إلا به فهو مصدر التكسب والتجارة والحرف. روى الطبراني من طريق الحسن بن علي بن الحسن بن أبي الحسن أن رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال:

«إني نظرت موضعا للسوق أفلا تنظرون اليه، قال بلى، فقام معه حتى جاء موضع السوق فلما رآه أعجبه وركض برجله وقال نعم سوقكم هذا فلا ينقصن ولا يضربن عليكم خراج». ورواه ابن ماجه بلفظ: (ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق النبيط فنظر اليه فقال: ليس هذا لكم بسوق... ثم رجع إلى هذا السوق فطاف فيه ثم قال هذا سوقكم فلا ينتقصنّ ولا يضربنّ عليه خراج) (١٩).

الدين الإسلامي لا يدعو إلى الرهبنة والانعزال.. بل يدعو إلى الأخذ المتعقل بأسباب التمدن والرقي

كما أقر الاسلام الأسواق التي تبايع الناس بها في الجاهلية فعن ابن عباس قال:

كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فلما كان الاسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى **«ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم»** (٢٠).

وفي حديث ابن الزبير عن جابر أن النبي ﷺ لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم وبمجنة وبعكاظ وبمنازلهم بمنى يبلغ رسالة ربه. الحديث أخرجه احمد وغيره(٢١).

كما أشار القرآن الكريم إلى رحلة الشتاء والصيف التي كانت تمثل النشاط التجاري لقريش. وتجدر الاشارة هنا الى أن الأسواق كانت مكانا للحرف الصناعية ايضا وتعرف الأسواق الحرفية التي تقام فيها الصناعات اليدوية الخفيفة والمتوسطة الحجم. وكان أصحاب الحرفة الواحدة يتجمعون في أقسام معينة من السوق، ولهذا فإن احياء الأسواق احياء للصناعة أيضا مما أدى الى تنشيط حركة السلع والأموال خاصة وأن رسول الله ﷺ قد عمل في تجارة زوجته الأولى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وكان يشجع الناس علي العمل بالتجارة.

رابعا : الزراعة :

لقد نزلت الآيات على رسول الله ﷺ وهو في المدينة تذكره بما أنعم الله به من اخراج الزرع والنباتات وقد جاءت الآيات في وصف الزرع والثمار كما في قوله تعالى: **«وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء»**. أي بالماء نبت كل شيء فأخرجنا به يعني الماء خضرا يعني أخضر نخرج منه حبا متراكبا البر والشعير والأرز والذرة

وسائر الحبوب يركب بعضه على بعض وقوله تعالى: **«وهو الذي أنشأ جنات معروشات»** وهو ما انتشر كالعنب والقرع.

وقد ساق الكتاني طائفة من الأدلة على أهمية الزراعة حيث قال إن رسول الله ﷺ قد قال **«يا معشر قريش انكم تحبون الماشية فاقلوا منها فانكم باقل الأرض مطرا واحترثوا فإن الحرث مبارك وأكثروا فيه من الجماجم»** خرجه أبو داود والبيهقي(٢٢). وفي الصحيح عن **أبي هريرة رضي الله عنه (وأن اخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم)** قال القسطلاني في الزراعة والغراسة، وفيه عن ابن عمر أنه عليه السلام عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر، وبوّب عليه البخاري باب المزارعة مع اليهود. وساق قول الحبشي قوله أن العلماء قد اعتبروا الزراعات من فروض الكفاية في كثير من المصنفات لأنه لا يقوم الدين والدنيا إلا بها كالنخل والعنب وغيرهما فإن تركها كل الناس أثموا.. الخ(٢٣).

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ (دخل على أم مبشّر الأنصارية في نخل لها فقال: **لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا، فيأكل منه إنسان أو دابة أو طير أو سبع إلا كانت له صدقة)**.

وعنه ﷺ **«إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة - فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»**.

وتكلم العلماء فيما بعد عن سبل استغلال الأرض وفلاحتها وصنفوا الكتب والأبواب والفصول لذلك كما هو في كتب الأحكام السلطانية للماوردي والفراء الحنبلي وكتب الحسبة وشرح السنن وغيرها مما لابد من الرجوع إليه (٢٤).

خامسا : اختيارات لبعض المؤشرات الحضرية في عهده ﷺ

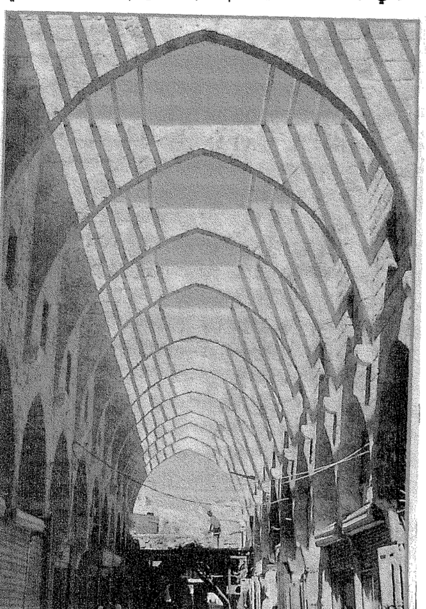
والمتتبع للسيرة النبوية، والسنة المطهرة يستطيع أن يجد فيها كثيرا من الأصول، التي تعتبر قواعد للتمدن الاسلامي، يمكن الأخذ بها، والتوسع فيها طبقا لقواعد الشرع المقررة، ونستطيع على سبيل المثال - لا الحصر - أن نذكر منها ما يأتي:

١ - تعلم الكتابة :

فمن مقتضيات هذا الدين الذي رفع من شأن العلماء والعلم أن يتعلم المسلم الكتابة والقراءة حتى يحفظ علمه وينشر دينه. كان عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يكتبان الوحي لرسول الله ﷺ فإن غاب كتب إلى أبي بن كعب وزيد بن ثابت وأوصل الحافظ بن عساكر كتاب النبي ﷺ إلى خمسة وعشرين منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين (٢٥).

٢ - تعلم لغات الأعاجم:

لما كان من مقتضيات التمدن الاسلامي أن ينشر دين الله تعالى إلى القاصي والداني والأحمر والأسود والعرب والعجم أذن ﷺ بتعلم اللغات لكي يسهل نشر الدين



خان الخياطين في طرابلس/ لبنان والخانات كانت أحد جوانب المعمار القديم

ويســـــهل فـــــهم رسل الملوك ومخاطبتهم.

ساق الكتاني في كتاب اليهود قوله: (في صحيح البخاري في شواهده والتاريخ والنص له عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال له **«تعلم كتاب يهود ، فإني ما آمن يهود على كتابي ، فتعلمته في نصف شهر حتى كتبت له إلى يهود ، وأقرأ له إذا كتبوا إليه»** وجاء في «الاستيعاب» كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب السريانية فأمر زيد بن ثابت بتعلمها فتعلمها في بضعة عشر يوما).

وجاء في العمرة للتلمساني كما ذكر الكتاني ، أن زيد بن ثابت الأنصاري النجاري كان يكتب للملوك ويجيب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان ترجمانه بالفارسية والروسية والرومية والقبطية والحبشية، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن) (٢٦).

ومن أغرب ما يتعين ذكره في هذا الباب ما جاء في موالي عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وأنه كان له ١٠٠ غلام كل غلام يتكلم بلغة وكان ابن الزبير يكلم كل أحد بلغته.

٣ ـ وضع التاريخ :

حكى الكتاني عن طائفة من الكتاب أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة في شهر ربيع الأول أمر بالتاريخ. قال القلقشندي وعلى هذا يكون ابتداء التاريخ في عام الهجرة. وساق الكتاني عددا من أقوال العلماء مثل قول الحافظ السيوطي أنه رأى في أحد المصادر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران وأمر عليا أن يكتب عنه أنه كتب لخمس من الهجرة قال فالمؤرخ لهذا إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر تبعه ، وقال السخاوي فإن ثبت ذلك فيكون عمر رضي الله عنه متبعا لا مبتكرا (٢٧).

٤ ـ الاحصاء السكاني :

جاء في صحيح البخاري بسنده عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ «**اكتبوا لي من يلفظ بالاسلام من الناس فكتبت له ألفا وخمسمائة رجل**». وقد ساق الكتاني هذا الحديث تحت باب كتاب الجيش واستشهد بأقوال العلماء في شرح هذا الحديث ، كما ساق قول

هناك فهم خاطىء يذهب إلى أن التمدن الإسلامي إنما جاء بسبب الانفتاح على الحضارات الأخرى

المقريزي في كتابه الديوان بأنها كانت تشمل كتابة الجيوش وكتابة الخراج وكتاب الانشاء والمكاتبات.

وقد استن الخلفاء الراشدون برسول الله ﷺ وذلك عندما اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديوان بعد أن كثر مال المسلمين وكذا فعل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما اتخذ ابن مسعود رضي الله عنه على بيت المال. وجاء أيضا أن معاوية رضي الله عنه ، أنه جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلا يصيح كل يوم فيدور على المجالس فيقول: هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب أسماءهم ويقال نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله فيسميه فاذا فرغ من القبيلة أتى إلى الديوان ليثبت ذلك (٢٨).

٥ ـ تحسين دور العبادة بما يساعد على العبادة (القنديل ، المجمر ، الكنس):

كما أعطى ﷺ المفتاح لمن بعده للأخذ بالأساليب التي تسهل على المسلمين حياتهم في العبادة والسكن على هدى من الشريعة مما لا يتم التمدن الاسلامي إلا به. فقد جاءت الأحاديث أن سراج مولي تميم الداري قدم على النبي ﷺ في خمسة غلمان لتميم وأنه أسرج للنبي ﷺ بقنديل الزيت وكانوا لا يسرجون قبل ذلك إلافي سعف النخل فقال رسول الله ﷺ من أسرج مسجدنا فقال تميم غلامي هذا فقال ما اسمه قال فتح قال النبي ﷺ بل اسمه سراج قال فسماني رسول الله ﷺ سراجا. ولهذا فإن أول من أسرج في المساجد تميم الداري كما جاء في السنن.

وانسحب ذلك على سرج المساكن فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان ﷺ لا يجلس في بيت مظلم إلا أسرج له فيه (٢٩).

وفي سنن أبي داود قال: أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تطيب وتنظف قال الكتاني

، ثبت هذا أيضا في مسند أحمد وابن ماجه وصحيح ابن خزيمة وغيرهم. وكان مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يجمر المسجد إذا قعد عمر على المنبر (٣٠).

وخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها فقالوا ماتت قال أفلا كنتم آذنتموني قال فكأنهم صغروا أمرها فقال دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها. ورواه ابن خزيمة في صحيحه إلا أنه قال أن امرأة كانت تلقط الخرق والعيدان من المسجد(٣١).

هذه المختارات مما أذن به رسول الله ﷺ ما هي إلا غيض من فيض وحري بالمسلم أن يطلع على مصنفات علماء الاسلام في ذلك ومنها مثلا «التراتيب» ففيها جمع المصنف معظم ما قام به رسول الله ﷺ في التمدن كما وصف الحالة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية في عهده وعهد خلفائه بما يعطي دفعة لنفوس المسلمين من المتأخرين بأن هذا الدين جاء شاملا فضلا عن أنه قد سهل السبيل للأخذ بكل ما يستجد مما لا يخالف الهدي القرآني والنبوي وهدي الخلفاء المهديين ولعمرى هو النموذج الذي يجب أن يتبع والمثل الذي يحتذى.

خامسا ضوابط التمدن

إذا كان رسول الله ﷺ قد حدد وظائف المدينة من الداخل فإنه لم يترك الأمر دون وضع ضوابط للوظائف التي قامت في المدن فكان من شأن هذه الضوابط أن منعت الغلو في الاستخدام مما لا طائل منه كما أنها قد تفتحت الآفاق لمزيد من الانتفاع على هدى من الشريعة بما يتلاءم مع الزمان والمكان.

مختارات من ضوابط السوق:

لقد حبب الاسلام التكسب والتجارة ولكنه في الوقت نفسه حذر المسلمين من العواقب الوخيمة اذا ما أخل بالضوابط التي وضعها الدين للأسواق ومنها:

أولا : أن الأسواق هي أبغض البقاع إلى الله تعالى لقوله ﷺ من حديث جبير بن مطعم:

«إن النبي ﷺ قال أحب البقاع إلى الله المساجد وأبغض البقاع إلى الله الأسواق». أخرجه أحمد والبزار وصححه الحاكم واسناده حسن وأخرجه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عمر.

المدينة الإسلامية وسط عمراني يضمن الاستقرار ويسهل الحياة على كافة المستويات

وذلك لما فيها من حلف كذب وغش وتبرج ونحوه.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ :

«أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها».

وهو من إفراد مسلم عن البخاري قاله الكتاني (٣٢).

ولكن هذا وجه تحذير من التمادي وإلا فقد أجاز الاسلام ذلك وحبب التكسب والتجارة ، قال تعالي: **«وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق».** الآية.

والفرق أنه على المسلم أن لا يلهيه البيع والتجارة عن ذكر الله ، قال تعالى: **«رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة».** الآية.

قال الكتاني ، ترجم البخاري أيضا باب التجارة في البر وغيره وساق قوله سبحانه:

«رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» ثم قال قتادة: كان القوم يتبايعون ويتجرون لكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (٣٣).

ثانيا : ومن ضوابط السوق أن يتعلم المرء أحكام السوق أو على الأقل أحكام التجارة التي يتعامل بها حتى لا يأكل هو وأهله من الربا والحرام:

«كان عمر يضرب بالدرة من يقعد في السوق ولا يعرف الأحكام ويقول لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربى».

وكان علي رضي الله عنه يقول الشيء نفسه «**من اتجر بغير فقه فقد ارتطح (ارتبك) في الربى**».

ولقد نتج عن ذلك ظهور مهمة «**المحتسب**» الذي يراقب أعمال السوق كما سنبينه تباعا. وكان التجار آنذاك ربما اصطحبوا معهم فقيها ليرجعوا إليه في أحكام التجارة كما بين ذلك الكتاني في (تراتيبه) رحمه الله .

قال الشاعر:

لا تجلسن في السوق حتى تعلما..
ما حل من بيع وما قد حرما

ثالثا : ومن ضوابط السوق أن يتولى أعماله سادة الناس وأشرافهم وأصحاب الأدب والخلق والهمم العالية الصادقون حتى لا يتلف السوق ، مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالسوق فرأى عامة القائمين عليه من الموالي والنبط فقال قولته المشهورة :

«لا تفتنكم هذه الحمراء على دنياكم» .

وكان قد قال ذلك لما رأى إعراض الصحابة رضوان الله عليهم والعرب عن السوق فدعاهم للعودة إليه لما توافر فيهم من الصفات المطلوبة للعمل بالتجارة فقال :

«والله لئن فعلتم (أي تركتم غيركم في السوق) ليحتاج رجالكم إلى رجالهم ونساؤكم إلى نسائهم» (٣٤)

وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم قد ترك العمل بالسوق لما فتح الله عليهم الأرض فضلا عن أن بعض العرب يبغض العمل بالتجارة ، ومع هذا يجب أن لا ننسى أن الرسول ﷺ قد عمل بالتجارة وكذا الصحابة مثل عثمان وأبو بكر وعلي وعمر رضي الله عنهم والصحابيات رضوان الله عليهن كخديجة رضي الله عنها .

رابعا : هذه الضوابط يضاف إليها تحريم (الغش) و(الاحتكار) و(الكذب) و(الربا) وغيرها من أعمال السوق المحرمة وفي البيوع وأبوابه ما يغني فلتراجع .

ولما فتح الله على الاسلام الأرض مشارقها ومغاربها وكثر التعامل ودخل الناس في الاسلام جاءت الحاجة لعمل (**المحتسب**) الذى كان وظيفته ضبط أعمال السوق وأحكامه وذلك بعد أن كان الخلفاء يتولون ذلك بأنفسهم. وقد صنف العلماء كتباً عظيمة في الحسبة وضبط أعمال الأسوقه مثل الشيزرى في (نهاية الرتبة) وابن الأخوة في (معالم القربة)(٣٥).

وقد اتسعت أعمال الحسبة على الأسواق لتتولى البناءات والخطط وتحديد مواقع التجارات والصنائع ، فقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهدم كير الحداد لما رأى أنه يؤذي الناس والسوق.

بل وتعدى ذلك كما جاء في نهاية الرتبة للشيزري أن جعل لكل صنعة من يشرف عليها ، قال رحمه الله :

(ولما لم تدخل الاحاطة بأفعال السوقة تحت وسع المحتسب جاز له أن يجعل لأهل كل صنعة عريفا من صالح أهلها خبيرا ببضاعتهم بصيرا بغشوشهم وتدليساتهم مشهورا بالثقة والأمانة يكون مشرفاً على أموالهم ويطالبه باختيارهم وما يجلب إلى سوقهم من السلع والبضائع.. فقد روى أن النبي ﷺ قال (**استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها..**) (٣٦).

كما جاء فى كتب الحسبة أيضا اشارات إلى خطط الأسواق وممراتها بالصورة المطلوبة التي تيسر على العباد أعمال السوق جاء ذلك في صدر كتاب (نهاية الرتبة) سابق الذكر عند حديثه عن سعة الأسواق وتسقيفها وممراتها وتوزيع أعمال السوق.

الإحياء الشامل للمدينة الإسلامية يكون بإحياء تعاليم الدين وربطها بحياة المدنية

ضوابط البناءات :

كما لم يترك هذا الدين الشامل ضوابط البناءات ومعها المساكن لما فيها من اتصال مباشر لحياة الناس بل وبدونها لا يتم الاستقرار ، ولكن في الوقت نفسه قد حذر الاسلام من التطاول في البنيان والانغماس في الزخارف والركون إلى الأرض لأن ذلك ايذان بزوال

المدينة ، قال تعالى (**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا..**).

لهذا فقد كانت المساكن في صدر الاسلام تفي بالضروريات ولا تمتد إلى الكمالات مما لا حاجة له ، أخرج البخاري في صحيحه ، أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (**لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وقد بنيت بيتاً بيدي يكنني من المطر ويظلني من الشمس وما أعانني عليه أحد من خلق الله**) (٣٧). أخرجه البخاري.

لهذا فقد كان المسكن يقي من الحر والمطر ويحفظ الناس من الأعداء والهوام وهي ضرورات لابد منها.

ومن الضوابط التي يمكن على ضوئها تصور التمدن والبناءات وخطة المدينة الاسلامية ، ان الاسلام دين يدعو إلى الاستقرار والتمدن أي سكنى المدن أو انشائها لأنها النواة التي يكون فيها الاسلام مطبقا بصورة شاملة يبدو هذا جليا لو قارنا بين التكاليف الشرعية في السفر والحضر مثلا.

وفي المقابل فإن الدين لا يشجع البداوة والعزلة إلا مع اشتداد الفتن ومع هذا فالذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم كما أخبر رسول الله ﷺ كما ان الانسان لا يمكن أن يفي بحاجاته بنفسه عندما يستقر وهذا يقتضي

التعاون مع الناس ليكفي كل حاجة الآخر لهذا يقال أن الانسان مدني بطبعه.

ويدعو هذا الدين إلى إنشاء الفرد الصالح والأسرة الصالحة والمجتمع الصالح الذي سيشغل المكان الذي اختير ليكون موطنا للاستقرار ويحرص أيضا على الجماعة والوحدة لقوله تعالى: **«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»** وقوله ﷺ **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد.. الحديث)** ونبذ الفرقة والتحزب لقوله تعالى **«فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون)** وقوله تعالى **«أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض»** (٣٩) ويحرص هذا الدين على منع ضر الآخرين لقوله ﷺ **(لا ضرر ولا ضرار)** وقوله ﷺ **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**.

ويدعو هذا الدين إلى التوسط في الحياة ويحذر من الاسراف في الأموال والأرض والموارد وغيرها كما يحذر من الانغماس في التمدن وفي مباحاته وشبهاته وزخارفه ذلك أنه سيؤدي إلى انهيار المدينة وزوالها بالمعاصي والذنوب. قال تعالى: «**وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد**».

كما يدعو هذا الدين إلى الاهتمام والاحسان إلى الجار والعناية به، لقوله ﷺ **(ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)**. متفق عليه (٣٩)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(والله لا يؤمن - ثلاثا - قالوا من يا رسول الله، قال الذي لا يأمن جاره بوائقه)**. متفق عليه.

هذا عدا الأحاديث الكثيرة عن الاحسان إلى الجار والصبر على أذاه وليس هناك مثل أعظم من احسان رسول الله ﷺ إلى جاره اليهودي الذي كان يؤذيه كما جاء في السيرة.

ويدعو هذا الدين إلى اعطاء الطريق حقه عن طريق اماطة الأذى وغض البصر ورد السلام كما جاء في الحديث عندما منعهم رسول الله ﷺ من الجلوس بالطرقات وقوله: **(إياكم والجلوس بالطرقات، فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. قال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله، قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(الايمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)** (٤٠)

كما دعا هذا الدين إلى القوة والاعداد لها بما يكفي لحماية المجتمع المستقر ولارهاب العدو ومنعه من أن يجعل الموقع مكانا للهجوم لقوله ﷺ **(ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا)**. كل ذلك محاط بشريعة تمنع الظلم وتعاقب المسيء

النموذج الأندلسي للمنزل

والمعتدي من التمادي وتضرب على يد كل من تسول له نفسه الاعتداء على الآخرين.

من خلال ذلك يمكن تصور المدينة الاسلامية على أنها وسط عمراني يضمن الاستقرار ويسهل الحياة على كافة المستويات. ولقد استخلص العلماء فيما بعد تصوراتهم للبناءات والمساكن ومواقعها كما حددوا أيضا أشكال البناء على ضوء الضوابط وخطة المدينة الاسلامية على ضوء هذه الضوابط. لكن يجب أن نشير هنا إلى أن المدينة الاسلامية انعكاس صادق لتعاليم الشريعة فكلما كانت هذه التعاليم مأخوذة في الحسبان ومدروسة كلما عكست صورة حقيقية مكانية. ولقد حاول الماوردي وابن أبي الربيع تصور المدينة الاسلامية على ضوء معطيات مأخوذة من الضوابط الشرعية كما بينها الشكل رقم (٣) أما شروطهما عند انشاء أي مدينة مراعاة ثمانية ضوابط:

أحدها : أن يسوق اليها الماء العذب حتى يسهل تناوله من غير عسف.

الثاني : أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق.

الثالث : أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.

الرابع : أن يقدر أسواقها بكفايتها لينال ساكنوها حوائجهم من قرب.

الخامس : أن يميز قبائل ساكنيها بأن لا يجمع أضداد مختلفة متباينة.

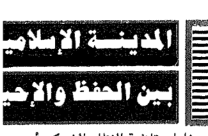
السادس : ان أراد سكناها فليسكن أفسح اطرافها وأن يجعل خواصه كنفا له من سائر جهاته.

السابع : أن يحوطها بسور خوف غدر الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة.

الثامن : أن ينقل اليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لسكانها (٤١).

ويجب أن يعرف المتتبع لبناءات المدينة الاسلامية وخطتها أنه ليس من الضروري أن تكون هذه الشروط الثمانية لمدن هذا الزمان الذي تغيرت فيه وسائل النقل وزادت فيه الأنفس وتقاربت الأماكن والزمان كما هو معلوم لهذا فإن هذه الشروط خاضعة لتغير الزمان والمكان مع بقاء الأسس المتعارف عليها والتي لا يقوم التمدن الاسلامي الاّ بها كما بينا آنفا مع ما يحيط بها من ضوابط شرعية.

كما انعكست ضوابط هذا



المدينة اليونانية كانت تتكون من خمس عناصر هي: المعبد.. صالة الألعاب.. الأسواق المغلقة.. ساحة الخطابة.. المباني العامة

الدين على شكل الوحدات والأحياء السكنية فعلى سبيل المثال يظهر المسكن عنصر الخصوصية Privacy الذي يراعي حرمة العامة ومكانتها في المجتمع المسلم فانعكس هذا على شكل المسكن من حيث انفتاحه على الداخل Introvertوانغلاقه على الخارج Extrovert (٤٢).

كما انعكس ذلك على الحي السكني الذي يبرز الترابط الأسري والتلاحم الاجتماعي فيظهر الأحياء ضيقة غير مستقيمة من التقارب بتوفير ظل ظليل يخفف من حر القيظ ووهج الشمس ويساعد على حركة الهواء وتوليد التيارات موفرة الأمن والأمان للسكان كبارا وصغارا متلافية النظام الشبكي أو الشطرنجي للأحياء الذى يبعث الملل والبعد الأسري خاصة بعد دخول السيارات.

وقد روى البيهقي في (شعب الايمان) في حق الجار عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله ما حق جاري علي (وذكر من الحقوق) ... «**ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح**» (٤٣).

وحكى الماوردي في (الأحكام السلطانية) عن ضوابط البناءات في الأحياء السكنية وعمل المحتسب في ذلك ، قال رحمه الله: «**وأما ما ينكر من حقوق الآدميين المحضة فمثل أن يتعدى رجل في حد لجاره أو من حريم لداره أو من وضع أجذاع على جداره فلا اعتراض للمحتسب فيه ما لم يستعده الجار لأنه حق يخصه فيصح منه العفو عنه والمطالبة به..** الخ(٤٤).

وحكى ابن القيم في (الطرق الحكيمة) ما نصه: «**وعليه (ولي**

الأمـر) أن يمنع اللاعبين بالحمـام على رؤوس الناس فـإنهم يتـوسلون بذلك الاشراف عليهم والتطلع على عوراتهم٠٠» (٤٥)٠

ونقل عن الجرسيفي في آداب الحسبة والمحتسب قوله: **«ويمنع أهل الذمـة من الاشـراف على المسلمين في منازلهم والتكشيف عليهم٠٠»** (٤٦)٠

الخاتمة :

ختاما يمكن عرض خلاصة هذه الدراسة على النحو التالي :

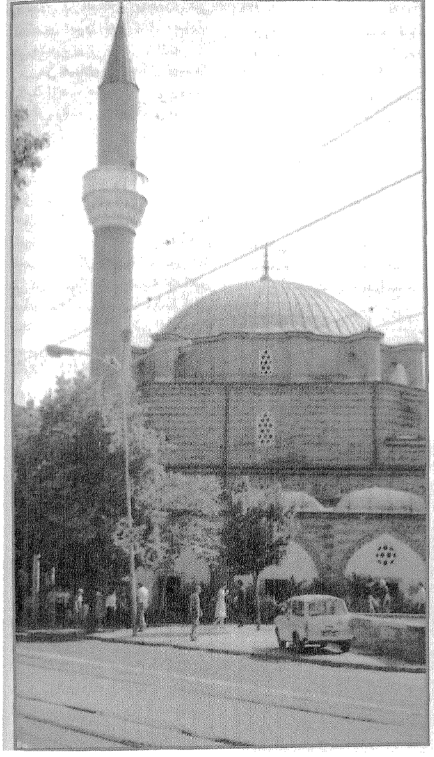
أولا : أن (إحياء) التمدن الاسلامي بإحياء تعاليم الدين أقوى وأشمل من مجرد (الحفاظ) على العمارة أو التراث البنائي المتبقي من الحضارة الاسلامية٠

ثانيا : ان إحياء التمدن لا يتم إلا بالعـودة إلى النمـوذج المدني الصحيح الذي أحياه رسول الله ﷺ بتأثير تعاليم الدين مع العمل على تتبع سبل تطويره على هدى من سنة المؤسس الأول للتمـدن الاسلامي عليه الصلاة والسلام٠

ثالثا : أن أساسيات العمارة والمدينة الاسلامية متفق عليها كالمسجد والمسكن والسوق والنشاط التجارى والزراعي ونحوه وهي باقية ولا تتغير مع الزمان والمكان وأن التغير إنما يحدث في الأساليب التي تسهل حياة الناس فيما يتعلق بالانتفاع من الموارد المتاحة وهو أمر مباح بل ومأمور به كما مر بنا في إسراج المساجد وتخطيط الأسواق الخ٠٠

رابعا : لا يمنعنا ديننا من الانتفاع بصنائع ومنتجات الأمم التي تزيدنا قوة ومنعة وتيسر سبل حياتنا كما لا يمنعنا ايضا من احداث ما يسهل حياتنا ما لم يضر لقوله ﷺ **(لا ضـرر ولا ضـرار)** وبالتالي فالمتمدن عندنا ليس عزلة عن الحضارات بل استفادة محكومة بضوابط الشريعة٠

خامسا : وأخيرا ، تأمل معي التطور المدني الذي صاحب هذا الدين منذ أيام المدينة المنورة ومرورا بعهد الخلافة الراشدة ومن تبعها بإحسان حيث كثر المسلمون وأبدعوا واحسنوا ولم يؤثر ذلك على عقيدتهم وتمدنهم وأصبحت مدنهم وحاضراتهم أمثلة يحتذى بها ولم يمنعهم ذلك من أن يكونوا كسابا في النهار وعبادا في الليل وفرسانا إذا ما نادى المنادي٠٠



المسجد في المدينة الأسلامية يمثل نقطة المرتكز فيها
«مسجد صوفيا» يمثل أحد الشواهد المعمارية القديمة

الهوامش :

نشر هذا البحث فى مجلة «رسائل جغرافية» التى يصدرها قسم الجغرافيا والجمعية الكويتية» العدد رقم ١١٠ ـ فبراير ١٩٨٨ ـ جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ بإذن امين عام منظمة المدن العربية وننشره فى هذا العدد بإذن من الباحث.

(١) الششتاوي ، حسن ، (المدينة العربية بين الدعوات الثلاث: السلفية والمعاصرة والمتحفظة) من أبحاث ندوة المدينة العربية: خصائصها وتراثها الحضارى الاسلامي المنعقدة فى المدينة المنورة من ٢٤ إلى ٢٩ ربيع الثاني ١٤٠١هـ (٢٨ فبراير- ٥ مارس ١٩٨١م). انظر مجلد الندوة ص٢٦.

(٢) سراج الدين، اسماعيل، (المدينة العربية وتراثها الحضاري الاسلامي بين المكونات المادية والمقومات المعنوية من أبحاث ندوة المدينة العربية ، المصدر السابق (١٤٠١ ـ ١٩٨١ ، ص٢١ من المجلد).

(٣) ابن منظور ، لسان العرب، المجلد الأول، ص ٦٧٣ مادة حفظ، طبعة دار لسان العرب: بيروت.

(٤) نفس المصدر السابق، ص ٧٧٤ مادة حيا.

(٥) سابق ، السيد، فقه السنة ، دار الكتاب العربي: بيروت ص ١٧١.

(٦) McConnel S. 1981 Theoris For Planning Hienemann London P.37.

(٧) Wagstaff J.M. The Oringin and Evolution of Towns 4000 BC to AD 1900 in G.H.Blake & R.I.Lawless (eds) 1980 The changing Middle Eastern City Croom Helm London PP 11-33; See.p 12-14

(٨) احمد اسماعيل، ١٩٨٢ ، دراسات في جغرافية المدن ، سعيد رأفت : القاهرة ص٣٩.

(٩) اسماعيل، د. احمد ، ١٩٨٢ دراسات في جغرافية المدن، ص٥٢ـ٥٩.

(١٠) انظر مثلا، العوايشة ، د. احمد ١٩٨٢، «موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ » المكتبة الاسلامية : عمان: ص ٢٧ ـ ٢٨ ، ٣٢، وانظر رسالتنا « التفسير الشرعي للتمدن» ص١٦، رقم ٦٢، قسم الجغرافيا جامعة الكويت فبراير ١٩٨٤.

(١١) McConnell. S. 1981. P. 37

(١٢) Harvey D." The Urban Process Under Capitalism Aframwork for Analysis" in M. Dear & A. Scott (eds) 1981. Urbanization and Urban Planning in Capitalist society. Methuen: N.Y.pp.91-121: sce p.92.

(١٣) الكتاني، الشيخ عبد الحق، نظام الحكومة النبوية المسمي التراتيب الادارية، الجزء الاول «الكتاب التراتيب» والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة التي كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية في المدينة المنورة العلية، دار الكتاب العربي. بيروت ص ١٠.

(١٤) انظر رسالتنا المسماة «التفسير الشرعي للتمدن» النشرة رقم ٦٢، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، فبراير ١٩٨٤.

(١٥) الكتاني ، التراتيب، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص٧٦.

(١٦) المصدر السابق، ص٧٧.

(١٧) المصدر السابق، ص٧٧.

(١٨) المصدر السابق، ص٧٨.

(١٩) المصدر السابق، ص١٦٣.

(٢٠) وفي قراءة منسوبة لابن عباس أضيفت بعد هذه الآية عبارة «في مواسم الحج» وهي مما تكلم فيه أئمة القراءة. راجع القرطبي (٨٣/١، ٨٤) و (٤١٣/٢).

(٢١) المصدر السابق ، ص١٦٣، ص١٦٤.

(٢٢) البيهقي: السنن الكبرى (كتاب المزارعة: ما جاء في نصب الجماجم لأجل العين) جـ٦ ص١٣٨. وعند ابن الأثير

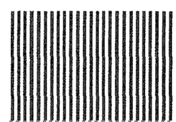
الإحياء أسلوب أشمل في الحفظ.. ويعني إحياء الشكل.. والوظيفة للمدينة الإسلامية

«الجماجم هي الخشبة التي تكون في رأسها سكة الحرث» والمقصود «اكثروا من استخدام المحراث».
(٢٣) الكتاني، الجزء الثاني، نفس المصدر، ص٤٤، انظر مثلا الأحكام السلطانية للماوردي، والفراء الحنبلي، وانظر كتب الخراج، مثلا (موسوعة الخراج) كتاب الخراج، للقاضي أبو يوسف، كتاب الخراج للامام يحيى بن آدم القرشي، الاستخراج لأحكام الخراج، لابن رجب الحنبلي، دار المعرفة : بيروت.
(٢٤) أضاف الكتاني في (تراتيبه) ما يتعلق بضوابط الزراعة والتحذير من بعض مخاطرها فليراجع، انظر الجزء الثاني ص٤٨.
(٢٥) الكتاني، الجزء الأول، ص٢٠٧.
(٢٦) الكتاني، الجزء الأول، ص٢٠٢، وانظر أيضا: صحيح البخاري (كتاب الاحكام، باب ترجمة الحكام).
(٢٧) الكتاني، الجزء الأول، ص ١٨٠ـ١٨١.
(٢٨) الكتاني، الجزء الثاني، ص ٢٢٠ـ٢٢٩.
(٢٩، ٣٠ ، ٣١) المصدر السابق ، ص٨٦ ، ص٨٧، ص٨٧.
(٣٢ ، ٣٣) الكتاني ، التراتيب، ج٢ ص٤ ، ص٧.
(٣٨) بعض التصورات مستقاة من المحاضرة القيمة التي القاها الدكتور أحمد فريد مصطفى (العميد السابق لكلية العمارة والتخطيط في جامعة الملك فيصل. والمستشار لاعادة تخطيط المدينة المنورة) وهي بعنوان (الأحياء السكنية الجديدة على ضوء العمران الاسلامي) في كلية الهندسة جامعة الكويت بتاريخ ١٨/١٢/١٩٨٤م.
(٣٩) متفق عليه، عن جرير، قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع... وذكر.
(٤٠) انظر «مشكاة المصابيح» للخطيب التبريزي ج١ ، ص١٠، حديث رقم ٥، طبعة المكتب الاسلامي.
(٤١) ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، بتحقيق د. ناجي التكريتي، ص١٩٢، وانظر الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر بأخلاق الملك وسياسة الملك، بتحقيق محي هلال السرحان، مراجعة د. حسن الساعات، ص ١٦٢ ـ ١٦٤.
(٤٢) من محاضرة الدكتور أحمد فريد مصطفى، سبق الاشارة إليها.
(٤٣) الكتاني، بين القوسين من اضافة كاتب هذه الرسالة، يرجى مراجعة الحديث بكامله ص٨٠ باب (امره عليه السلام في البناءات أن تكون على مقتضى القواعد الصحيحة)، الجزء الثاني من التراتيب.
(٤٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٥٥، طبعة دار الكتب العلمية.
(٤٥) ابن القيم، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، ص٢٨٢، طبعة دار الكتب العلمية.
(٤٦) انظر د. نقولا زيادة في الحسبة والمحتسب في الاسلام، ص١٥١، مختارات من رسائل الجرسيفي الأندلسية في الحسبة الخ.

المدينة الرأسمالية تتلاصق فيها ناطحات السحاب بالمباني الأفقية بحكم التباين الشديد بين الغني والفقير

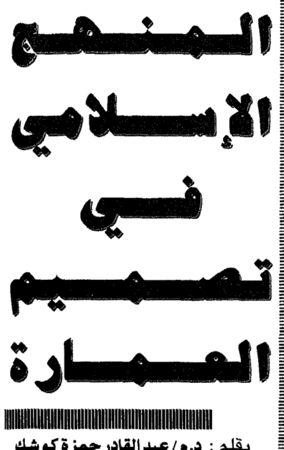
(٣٤) الكتاني، التراتيب، ص٢٠ وما قبلها. ج٢ ، قلت: في قوله عمر رضي الله عنه عن مخاطر تسليم السوق إلى هؤلاء الأعاجم متواجدة في زماننا هذا في كثير من أسواق العرب وكان أثرها ان احتاج الناس إليهم فضلا عن أن الأسواق قد دخلها أعمال الغش والجهل والغرر والله المستعان.
(٣٥) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق د. السيد الباز العريني، وابن الأخوة في معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق د. محمد شعبان وصديق عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٣٦) الشيزري، (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) تحقيق د. الباز العريني)، ص١٢ ومن كتب الحسبة المشهورة أيضا كتاب الأحكام السلطانية للماوردي والأحكام السلطانية للفراء الحنبلي، وكتاب (الحسبة في الاسلام) لابن تيمية، (تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام) لابن جماعة، السقطي في (آداب الحسبة) وغيرهم وقد جمع الدكتور نقولا زيادة مختارات من هذه الكتب في كتابه (الحسبة والمحتسب في الاسلام) طبع الكاثوليكية بيروت، ١٩٦٢ فليرجع إليها.
(٣٧) البخاري في الاستئذان باب ما جاء في البناء، وأخرجه ابن ماجه رقم (٤١٦٢) في الزهد باب في البناء والخراب، انظر الحديث وتخريجه في ابن الأثير الجزري جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج١ ص٦١٣.

شواهد معمارية





قصر شدا التاريخي تم تشييده عام ١٣٤٨هـ ١٩٢٧م.. من المعالم الأثرية الهامة يقع وسط مدينة أبها ويضم بين أدواره الأربعة متحفاً عن تراث المنطقة الجنوبية بالمملكة



المنهج الإسلامي في تصميم العمارة

بقلم : د.م/ عبد القادر حمزة كوشك
الأمين العام لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية ـ جدة ـ

المضمون والشكل للعمارة :

المضمون : هو تعبير يضم المتطلبات الوظيفية بجانب المتطلبات الانسانية والاجتماعية، وهو بالنسبة لعمارة المسلمين يرتبط بالقيم والتعاليم الاسلامية.

فالمضمون تعبير يضم الجوانب الوظيفية والعقائدية معا، وهو الجانب الثابت في المنظور الاسلامي للعمارة.

الشكل : هو الجانب المتغير فيها وله صفة محلية.

وحيث إن القرآن والسنة النبوية الشريفة هما المصدران للعقيدة والشريعة الاسلامية، فقد قال تعالى: **«ما فرطنا في الكتاب من شيء»** (سورة الانعام الآية٣٨)، وقال تعالى: **«ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مَثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا»** (سورة الكهف الآية٥٤).

ونظرا لأن الانسان خليفة الله في أرض الله، حيث قال تعالى: «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة» (سورة البقرة الآية٣٠)، وقال تعالى: **«والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعاً إلى حين. والله جعل لكم مما خلق ظلالا، وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون»** (سورة النحل الآية ٨٠/٨١). **«تتخذون من سهولها (أي الأرض) قصورا وتنحتون الجبال بيوتا»** (سورة الأعراف الآية٧٤. وقال تعالى: **«ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين .. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»** (سورة الأنعام الآية ١٦٢/١٦٣) . كما قال تعالى: **«وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون»** (سورة الذاريات الآية ٥٦).

فلذلك فان العمارة تختص بالمكان الذى تمار س فيه تلك العبادة سواء أكانت عبادة فروض أم نوافل أم عبادة عمل وعليه فان على المسلم، وبالذات المعماري، أن يراعي أسس التصميم الاضافية التالية والمستنبطة من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح:

الأسس الإسلامية الاضافية الخاصة بتصميم البيوت :

١ ـ **الحفاظ على الاسرة**: وهي لبنة المجتمع فقد دعا الاسلام للفصل بين الرجال والنساء، فقال تعالى: **«قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون .. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير اولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون»** (سورة النور الآية ٣٠، ٣١). **وهذا يستدعي توفير الخصوصية Privacy للأسرة في البيت وأن يكون البيت سكنا مما يستوجب العمل بالأسس التالية:**

ا ـ المدخل المنكسر للدار (المجاز) حتى لا يمكن مشاهدة ما بداخل البيت من خارجه وليكون للبيت حرمته. وكذلك استخدام الممرات المنكسرة والمدخل المنكسر، في الدور الكبيرة، للقاعات وصالات التوزيع من أجل تسهيل تحرك النساء دون رؤية الأجانب لهم ومن أجل تدرج الخصوصية.



المدينة المنورة يتوسطها المسجد النبوي.. ويمثل نقطة الالتقاء لكل أنحاء المدينة

ب ـ عمل فتحات الحجرات مطلة على أفنية داخلية لنفس الغرض ولتحقيق الخصوصية والاعتزال عن الخارج. ومما يحث المسلم على عدم الاطلال للداخل ما جاء في الحديث الشريف «اياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: يا رسول الله، ما لنا بد، فقال: فاذا أبيتم الا المجالس فاعطوا الطريق حقه، فقالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر وكف الاذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر».

ج ـ استخدام الدهاليز والردهات والمستويات المتعددة مع تعدد السلالم وذلك لتحديد العلاقات ودعم الخصوصية والفصل بين الأنشطة.

د ـ عند استخدام نوافذ وشرفات خارجية تطل على الخارج (الشوارع)، وان عملت فتحات تطل على الشارع فانه يتم معالجتها بحاجب يسمح بدخول الضوء والهواء وذلك باستخدام الرواشين (المشربيات أو الشناشيل أو الشيش بقلاليب أو درف ثابتة أو متحركة) بالاضافة الى انه في الدور الارضي بالنسبة للنوافذ تكون مرتفعة عن مستوى النظر. وهذه المعالجة في مجملها حاجب ساتر screen ذو سمك معين وفتحات صغيرة ثابتة أو متحركة تسمح بالرؤية من الداخل وتحجب مشاهدة ما بداخل البيت من الخارج مع السماح بدخول الضوء والهواء.

هـ ـ ايجاد اماكن في البيوت منفصلة لجلوس النساء والعائلة عن جلوس الرجال غير المحارم وهذا الفصل قد يكون افقيا أو رأسيا.

و ـ التفريق بين الأولاد في المضاجع لعشر سنين فما فوق حيث قال رسول الله ﷺ (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم ابناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع) حفاظا على الاولاد من أية انحرافات.

ز ـ الفصل بين الذكور والاناث في اماكن الخدمات العامة والتعليم لتفادي الاختلاط بين الذكور والاناث الذي نهى الاسلام عنه للحفاظ على المجتمع من الفساد وضياع الانساب.

ح ـ الفصل بين غرف نوم الأولاد والوالدين واستئذان الأولاد والخدم عند دخولهم الى مكان نوم الوالدين في

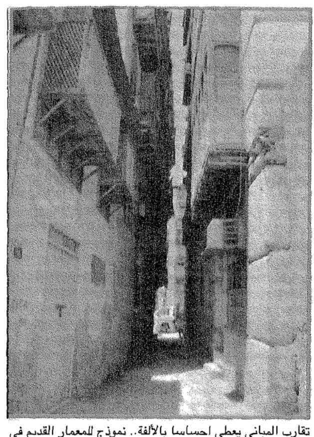
ثلاثة أوقات حسب ما ورد في قوله تعالى: **«يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم»** (سورة النور الآية ٥٨ ـ ٥٩).

ط ـ من أجل ان يكون البيت سكنا فانه يلزم حماية الساكنين من الضوضاء، والوهج ، والرياح الشديدة والامطار، والحر والبرد بأن تكون الحوائط والاسقف ذات عزل حراري جيد. كما يلزم تأمين التهوية والاضاءة والحرارة والرطوبة المناسبة للانسان بقدر الامكان باستخدام النباتات والنوافير، وملاقف الهواء.

٢ ـ **النظافة:** النظافة تدعو الى الايمان حسب ما ورد في الاحاديث، فالاسلام يدعو للوضوء وهو غسل الوجه والاطراف خمس مرات في اليوم، كما يدعو للاغتسال وجوبيا من الجنابة وسنة قبل صلاة الجمعة. ونورد بعض ما جاء في الاحاديث: (وغسلت بني .. ونظفتهم/ لاحمد)، (أن أسود كان ينظف المسجد/ لاحمد)، (وانظف طرقكم/ للدرامي)، (طهروا افنيتكم)، (فنظفوا افنيتكم/ للترمذي)، (ان الله نظيف يحب النظافة/ للترمذي). وهذا يستدعي الالتزام بالنظافة العامة والصحة العامة وطهارة ونظافة المكان والبدن والثوب.

٣ ـ **حقوق الجار:** حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه)، وقال عليه الصلاة والسلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) . والحفاظ على حقوق الجار تشمل: الا يستطيل عليه في البنيان فيسد عليه الهواء والضوء الا بإذنه ، والا يفتح عليه نوافذه فيكشف عورات بيته. ومن حقوق الجار عدم التجسس عليه، والتعاون معه، واكرامه.

٤ ـ **حقوق المسلمين والناس:** قال تعالى: **«إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون»** (سورة النحل الآية٩٠). وقال تعالى: **« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ..»** (سورة النساء الآية ٣٦). كما قال رسول الله ﷺ **(لا ضرر ولا ضرار)، (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا).، (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)** .



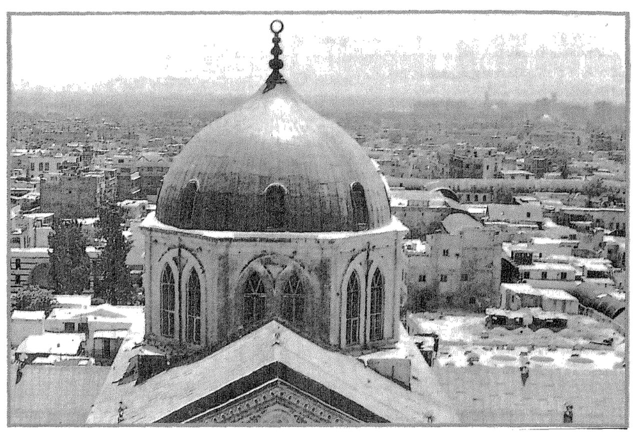
تقارب المباني يعطي احساسا بالألفة.. نموذج للمعمار القديم في جده حيث تقارب المباني والأزقة الضيقة

٥ ـ ***غض البصر بين الرجال والنساء:*** وقد ذكرنا الآية الكريمة التي تحض على غض البصر في الفقرة الأولى، وعدم الخلوة بين الرجل والمراة كما ورد في الحديث الشريف (لا يخلون رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان) . وهذا يتطلب أن تكون الطرق والممرات آمنة وان تصمم المصاعد بحيث لا تسمح بإمكانية الخلوة بامرأة أو طفل، أي ان المصعد يجب أن يكون مفتوحا ويمكن مشاهدة وسماع ما بداخله.

٦ ـ **اكرام الضيف واستضافته** : حيث ورد في الحديث، (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقه ولا يحل له ان يثوي عنده حتى يخرجه).

وهذا يتطلب ان يؤخذ في الاعتبار ايجاد مكان للضيف عند تصميم المنازل كل حسب مقدرته.

٧ ـ **عدم التطاول في البنيان:** والمقصود به عدم رفع السقف اكثر من اللازم لما فيه من تباه وتفاخر، حيث **ورد في الاحاديث (لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان)، (ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون بالبنيان)، (كل بناء ـ واشار بيده هكذا على رأسه ـ اكثر من هذا وبال)، (لما بنى رسول الله ﷺ مسجده قال ابنوه عريشا كعريش موسى عليه السلام) قيل**



صورة عامة تعطينا بعض ملامح مدينة دمشق القديمة

للحسن وما عريش موسى؟ قال اذا رفع يده بلغ العريش). كما نهى عمر رضى الله عنه ان يرفع الرجل سمكه اكبر من سبعة أذرع وقال اذا بنيتم فيه بيوتكم فابنوا منه المسجد. (الذراع حوالي ٥٠ سم).

٨ - عدم الاسراف والتبذير في البنيان: حيث قال الله تعالى: «**ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**» (سورة الاسراء الآية ٢٧). وقال تعالى: «**ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا**» (سورة النساء الآية ٣٦)، كما قال تعالى: «**ان الله لا يحب الفرحين**» (سورة القصص الآية ٧٦).

٩ - مراعاة اتجاه القبلة: ما امكن، فى غرف المباني، لتيسير صلاة الجماعة وصلاة النوافل داخل الغرف. وهذا يستدعى ان تكون حوائط الغرف متعامدة ومتوازنة لاتجاه القبلة كلما امكن ذلك.

١٠ - أفضلية عدم استقبال القبلة واستدبارها عند قضاء الحاجة، حيث يقول الحديث الشريف **(اذا أتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره)**، وهذا يستدعى توجيه معين لكراسى المرحاض.

١١ - سعة الدار: جاء في الحديث الشريف، **(فمن سعادة ابن آدم الزوجة الصالحة، والمركب الصالح، والمسكن الواسع)**، وهذا يتطلب التوسع في البيت بحيث يستوعب مساحات لامكانية الجلوس وتناول الطعام، مع امكانية اعداد الطعام بصورة جماعية خاصة في المناسبات وزيارات ذوي القربى لاداء واجب صلة الرحم وترابط الأخوة الاسلامية والعادات الاجتماعية التي لا تتعارض مع الدين الحنيف.

١٢ - ان تكون انماط المساكن متجاوبة مع الروح الاسلامية، ومحافظة على هوية المدينة، مع الحفاظ على خصائص الفن الاسلامي.

١٣ - الوسطية فى أمور الدنيا والاستمتاع بالطيبات بمالم يحرم حيث قال تعالى: «**قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**» (سورة الأعراف الآية ٣٢)، وقال تعالى:

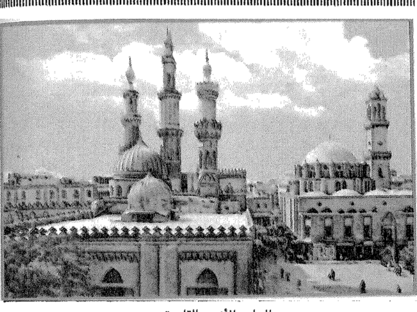
«**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**» (سورة القصص الاية ٧٧)، وقال تعالى: «**ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**» (سورة الإسراء، الاية ٢٩)، كما قال تعالى: «**كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**» (سورة طه الآية ٨١).

مقدرات التشكيل المعماري الإسلامي

تختلف مقدرات التشكيل المعمارى الإسلامى وأسسه باختلاف المكان والزمان. وتظهر الملامح التقليدية للعمارة الإسلامية فيما أفرزته فترات الحكم الإسلامى من تشكيلات وعناصر معمارية مثل العقود والأبنية والقباب والمشربيات وملاقف الهواء وزخارف هندسية ونباتية وما عبرت عنه مواد البناء المحلية من تشكيلات فنية خارجية وداخلية. ومع اختلاف منابع هذه الإفرازات ومع اختلاف حرفية البناء على مر العصور ومع التأثير المتبادل بين حضارة العالم الإسلامى وبين الحضارات الأخرى ومع العصور الحضارية لكل مكان. فقد نتج عن كل ذلك حصيلة إبداعية زاخرة من العمارة الإسلامية المعبرة عن المكان والزمان.

وإذا كان المضمون الإسلامى هو الموحد لهذه العمارة فى مواطنها المختلفة فإن اختلافها التشكيلى يرتبط بمنبع هذه العمارة بيئيا وحضاريا.. **ومع التحولات الاقتصادية والإجتماعية والسياسية التى شهدتها أقطار العالم الإسلامى انحرفت بعض المضامين عن مساراتها الإسلامية حتى أصبحت العمارة فى بعض العصور تنبع عن رغبة خاصة فى التظاهر بعظمة الحكم، الأمر الذى أخرج بعض المضامين الإسلامية فى التصميم عن مسارها الإسلامى الصحيح.**

وخرج المسجد من النسيج العمرانى للمدينة الإسلامية ليحتل مكانا بارزا بصريا على قمم التلال أو على الميادين العامة أو عند تقاطع الطرق. وكما خرج المسجد عن النسيج العمرانى خرج عن النسيج الاجتماعى للمدينة وانحسرت وظيفته فى أداء الصلاة وفقد وظيفته الإجتماعية والثقافية والحضارية.



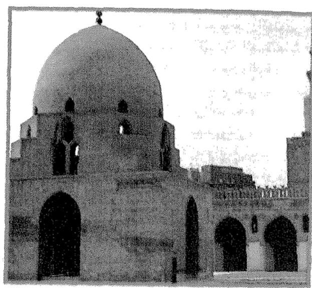
الجامع الأزهر بالقاهرة

مفردات العمارة الإسلامية التقليدية جاءت تعبيرا عن أسلوب التعامل مع الخصائص الدينية والبيئية والاجتماعية

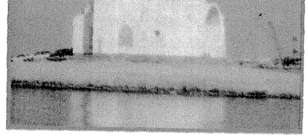
وبالمثل انحرفت العمارة السكنية عن خصوصيتها الإجتماعية وامتد التفاخر والتظاهر والخيلاء إلى العمارة الرسمية، وهكذا اختل التوازن الإقتصادى والإجتماعى فى العمارة بعيدا عن منهج الوسطية الذى كان يحكم العمارة والعمران فى العصور الإسلامية الأخرى. **وهكذا ترتبط مقدرات التشكيل المعمارى الإسلامى بالمنهج الإسلامى أكثر مما ترتبط بالشكل الظاهرى. وإن كان لابد للقيم التشكيلية فى العمارة الإسلامية أن تستجيب لمعايير التقدم العلمى والفنى والثقافى للمجتمع فإن كل هذا ينبغى ان يتم في حدود الوسطية دون إسراف أو تقتير. والفرد ما شاء فى الداخل أما فى الخارج فهناك محددات اجتماعية لابد وأن ترضى عليها جماعة المسلمين الأمر الذى يؤكد التوازن بين الظاهر والباطن والداخل والخارج.**

كاتالوجات المعمار الغربي أبعدت المعماري المسلم عن حضارته

العمارة الإسلامية نتاج تفاعلات مع ثقافات وحضارات متعاقبة



مسجد أحمد بن طولون



مسجد الكورنيش بجدة الفائز بجائزة الأغاخان في ١٩٨٩م

بقلم:
أ. د / عبد الباقي ابراهيم
رئيس مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية
- مصر -

جاءت مفردات العمارة الاسلامية التقليدية تعبيرا طبيعيا عن اسلوب التعامل مع الخصائص المناخية للمكان كما أنها جاءت أيضا معبرة عن اسلوب البناء المتوافق مع الامكانيات الحرفية ومواد البناء المتاحة فى نفس المكان مع الارتباط بالقيم الثقافية والقيم الاجتماعية والقيم الاسلامية. واذا كانت المفردات المعمارية الاسلامية المتعارف عليها قد ظهرت فى فترة محددة من التاريخ الاسلامى وفى منطقة محددة من العالم الاسلامى الممتد الى أطراف الأرض، فان المتغيرات فى أساليب البناء المتوافق مع الامكانيات المعاصرة ومواد البناء الجديدة والمتاحة فى نفس المكان مع الارتباط بالثوابت الثقافية والاجتماعية للدين الاسلامى سوف تفرز للعمارة المعاصرة مفردات جديدة تعبر عن المعاصرة المتمثلة فى مواد وأساليب البناء الجديدة والأصالة المتمثلة فى القيم التراثية المتوارثة والقيم الاجتماعية للمجتمع الاسلامى.

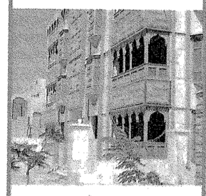
واذا كنا نعرض هنا لمفردات التشكيل المعمارى للعمارة الاسلامية التراثية فان ذلك لا يعنى بالضرورة اعتبارها من مكملات العمارة الاسلامية المعاصرة بقدر ما هى تعبير عن المعطيات الحضارية فى مكان محدد ولفترة زمنية محددة التزم فيها المجتمع بقيمه الاسلامية الصحيحة. من هنا فان تناولنا لموضوع العمارة هنا لا يأتي من مفهوم العمارة الاسلامية بتعريفها التقليدى الذى قدمه المستشرقون وأتباعهم من الباحثين والدارسين ولكن من منطلق مفهوم العمارة فى الاسلام. وهناك فرق شاسع للتناول فى الحالتين.

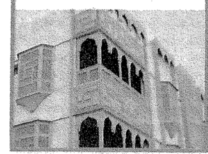
واذا كان المجتمع الاسلامى المعاصر قد فقد كثيرا من خصائصه الثقافية والاجتماعية بسبب الهجمة الشرسة للحضارة *الغربية*، فلا ننسى أن *العمارة الاسلامية الذاتية* قد تأثرت بحضارات مختلفة فى زمنها وهى لم تنبع خالصة من المكان المحدد والفترة الزمنية المحددة بل جاءت نتيجة للتفاعلات الثقافية بين الحضارات فى هذه الأزمان البعيدة فمفردات العمارة الاسلامية التركية انتشرت فى بلدان العالم العربى مع الفتح العثمانى لها.

وها هي عمارة مسجد محمد

بالقلعة ومآذن مسجد سيدنا الحسين بالأزهر تعبر عن هذا التأثير الثقافي للحضارة التركية في تلك الأزمنة . وها هي مفردات مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة تعبر عن التأثير الثقافي والحرفي لعمارة العراق شرقا.. كما أن العمارة في العراق قد تأثرت بالتالي بالعمارة الفارسية والهندية شرقا.. وعلى الجانب الغربي للعالم الاسلامي نرى مدى التأثير المتبادل بين الحضارات في شمال افريقيا والأندلس بأسبانيا . وهكذا الأمر الذي يؤكد الاستمرارية الحضارية للاسلام وانعكاسها على المفردات المعمارية على مدى العصور والأزمان مع اختلاف المكان بخصائصه الثقافية والطبيعية وثبات مضامينه الاسلامية بنسب متفاوتة بين دولة وأخرى.

ان دراسة المفردات التشكيلية للعمارة الاسلامية يأتي من منطلق التعرف على التراث وتحليله واقتباس الثوابت منه والتحرك به مع الزمن والمتغيرات. لقد أفرزت العمارة الاسلامية في القاهرة مفردات معمارية ارتبطت بالتراث الحضاري للمكان وبحرفة البناء بالحجر والخرط في الخشب وهو ما ظهر في تشكيلات الحوائط الخارجية والداخلية وفي المآذن والعقود والقباب في عمارة العصور الاسلامية التي مرت بالقاهرة، كما ظهر في أعمال النجارة في المشربيات والأبواب الداخلية والخارجية ، فقد جاءت هذه المفردات معبرة عن الخصائص الحضارية للمكان الذي نبعت منه. واذا انتقلت بنصوصها الى أماكن أخرى مثل جدة في المملكة العربية السعودية أو دبي في الامارات أو دمشق في سوريا أو الرباط في المغرب في الماضي أو الحاضر





اهتم المعمار المسلم بالمشربيات والزخارف

فقدت ذاتها وظهرت غريبة عن المكان وعن الزمان أيضا.. وهكذا مفردات العمارة المغربية تظهر غريبة عن المكان والزمان اذا ما انتقلت بنصوصها خارج المنطقة التي نبعت منها اللهم الا بهدف التجميل لبعض الفراغات الداخلية.. كما أن القباب والأقبية التي أفرزتها العمارة المحلية في جنوب الوادي في صعيد مصر تبدو غريبة عن المكان والزمان اذا ما زرعت في الكويت التي لها مفرداتها المعمارية التراثية النابعة من حضارة المكان والزمان.

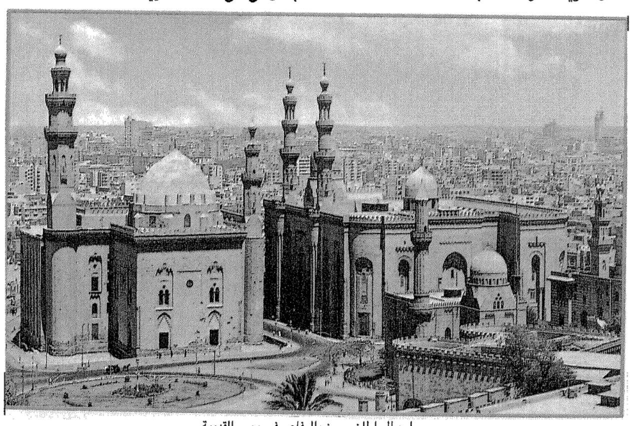
ولما كانت العمارة هي افراز حضاري للمجتمع في مكان ما وزمان ما.. بالتالي فان مفردات التشكيل المعماري تخضع لهذا المبدأ. فقد امتزجت حرفة البناء بالصانع والبناء وصاحب المبنى وتفاعلت هذه العناصر الثلاثة معا لتفرز هذه الابداعات الفنية من المفردات المعمارية، الأمر الذي لم يعد قائما بعد أن انفرط عقد الثقافة الاسلامية العربية أمام الهجمة الثقافية والاقتصادية الواردة من الغرب فقد أصبح من المتعذر جمع العناصر الثلاثة المتمثلة في المعماري المصمم والمقاول المنفذ وصاحب المبنى على وحدة فكرية مشتركة حتى أصبحت كتب العمارة الغربية المصورة مثل كتالوجات موضة الأزياء الباريسية تتناولها الأيدي العربية للاختيار والانتقاء بعيدا عن الابداعات الفنية التي تركتها الحضارة الاسلامية على مر العصور السابقة ، في الأزياء أو في النسيج كما العمارة ومفرداتها التشكيلية.. وأصبحت الدعوة الى الاقتباس من المفردات التشكيلية التراثية مجردة عن المضمون بقدر ما هي محاولة للتمسح بالماضي أو التظاهر بالاصالة مع أن بعض أصحاب هذه الدعوة لا يزالون يلبسون أربطة العنق التي لفها الغربيون حول أعناقهم دون منطق أو مبرر.. ودخلت البدلة المجتمع العربي في عهد اسماعيل باشا في مصر تقليدا للغرب وتمسحا به مع أنها لا تناسب حركة الانسان العربي في مجلسه وفي حركته.. في الوضوء وفي الصلاة. وفي المناخ الذي يعيش فيه .. والعمارة كغيرها من المكونات الحضارية لا تنفصل عن غيرها من المكونات المتمثلة في الملبس واللغة ومختلف الفنون..

وعندما يستسلم الانسان العربي لهذه الأوضاع لا يرى أمامه الا الدعوة العالمية مخرجا له دون الجهاد في سبيل اثراء خصائص الحضارة الاسلامية العربية.. هذا مع العلم بأن النظرية المعمارية

الاسلامية هى نظرية عالمية لكل زمان ومكان أكثر منها نظرية محلية نبعت فى مكان معين وزمان محدد. هى نظرية تعمل على التعامل مع المتغيرات لكل زمان ومكان كما تعمل على التعامل فى نفس الوقت مع الثوابت الفكرية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الاسلامى الذى لا يتغير بتغير المكان والزمان، هى نظرية تعمل على احترام القيم الاجتماعية فى التشكيلات المعمارية الخارجية واحترام القيم الفردية فى التشكيلات المعمارية الداخلية، هى نظرية توازن بين القيم الاجتماعية الثابتة والمتطلبات الفردية التى تختلف باختلاف القدرات المادية والثقافية.. هى تعبير صحيح لمنهج الوسطية.. من هذا المنطلق فان ثبات المفردات التشكيلية للعمارة من الخارج ترتضيه جماعة المسلمين.. ليس بالضرورة أن تثبت فى العمارة الداخلية وهى هنا تماثل الأزياء الموحدة للمجتمعات في شبه الجزيرة العربية أو فى باكستان أو فى نيجيريا أو فى المغرب العربى باعتبار الملبس بمثابة العمارة المباشرة للانسان وان اختلفت فى الملمس أو الخامة فهى واحدة فى الشكل والمضمون.

وتختلف المفردات التشكيلية فى العمارة الاسلامية من مفردات تشكيلية تؤدى وظيفة عملية مثل المشربية أو العقد أو القبو أو القبة.. أو الأثاث الداخلى أو الأبواب والنوافذ أو السبيل والنافورة أو المقاعد الثابته أو الأسقف المائلة فى المناطق الممطرة أو فى الملاقف العلوية المربعة فى المناطق الجافة أو الملاقف العلوية المربعة فى المناطق الرطبة.. ومفردات تشكيلية تؤدى وظيفة تجميلية مثل التشكيلات الهندسية أو الزخرفية أو المقرنصات أو أنواع التكسيات الخارجية والداخلية من فسيفساء أو قيشانى ومواد فخارية ملونة أو أخشاب ، **وهى فى وظيفتها التجميلية تثرى الوظيفة العملية وتزيد من قيمتها الابداعية والفنية وهكذا تجمع المفردات التشكيلية بين الوظيفة والفن فى صيغة متكاملة كما تجمع النهج الاسلامى بين الماديات والمعنويات فى صيغة متوازنة وبهذا المفهوم تصبح المفردات التشكيلية فى عمارة المسلمين على مدى الزمان وبعد المكان صيغة متكاملة تجمع الوظيفة والفن معا كتعبير للاصالة التى تمتد للمعاصرة.**

وهكذا يعالج موضوع المفردات التشكيلية فى العمار ة الاسلامية بالمنهج البحثى الذى يجمع الأصالة بالمعاصرة المرتبطة بالقيم الاسلامية أكثر منها عرضا أثريا لتطوير هذه المفردات على مر العصور وفى مختلف الأمصار الاسلامية. وهكذا يعالج موضوع المفردات التشكيلية فى العمارة الاسلامية فى اطار المنظور الاسلامى للنظرية المعمارية.



جامع السلطان حسن والرفاعي في مصر القديمة

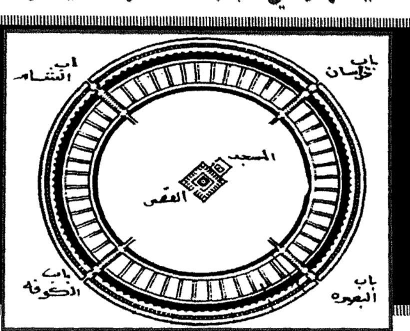
بقلم: د.م / محمد سعيد فارسي
- جدة -

التحدي المعماري في المدينة الإسلامية

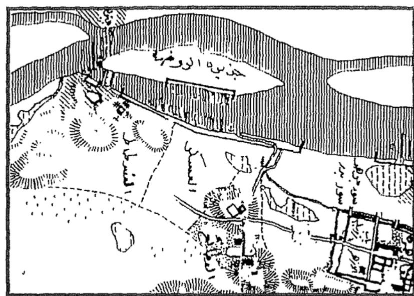
امتداد المدن خارج سور المدينة القديمة أخذ أشكالا بعيدة عن النموذج القديم

خط أفق تميزت به العمارة الإسلامية يظهر في البراحات والأفنية والمآذن والقباب

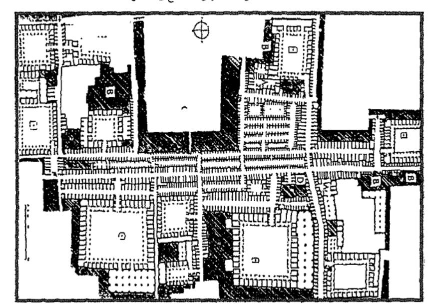




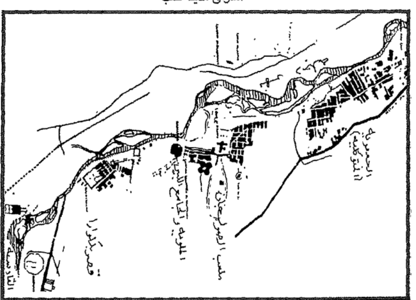
بغداد «المدينة المدورة» كما كانت أيام تأسيسها ١٤٥هـ/٧٦٢م



الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة



أسواق مدينة حلب



مدينة سامراء

لما نزل الوحي على محمد عليه الصلاة والسلام، كان ذلك مولداً لدين جديد وانطلاقة لحضارة هى حضارة الاسلام التى بدأت فى مكة المكرمة وانتقلت إلى المدينة المنورة، فالإسلام دين حضري والمدينة الإسلامية هى المكان الأمثل للمسلم لممارسة تعاليم دينه حيث يتوفر له الأمن والأمان وحيث المسجد الجامع الذى يوفر له أداء فريضة صلاة الجماعة وحيث يتبادل التجار بضائعهم ويمارس الصناع والحرفيون نشاطهم، فالمدينة الإسلامية مركز ديني وسياسي واقتصادي وثقافي وفني تميزت بمقومات وقيم أكسبتها هذا الطابع المميز.

وباستعراض تطور المدينة الاسلامية فى العصور المختلفة يمكن استخلاص هذه المقومات والمميزات التى تصبح نموذجا لمدن اليوم والغد.

التطور التاريخي والعمراني للمدينة الاسلامية القديمة

عندما فتح العرب سوريا والعراق ومصر وشمال افريقيا كانت المدن الأولي التي أسسها المسلمون مثل البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر معسكرات وقواعد لمواصلة الجهاد ونشر الدعوة وكان أول ما بني فيها المسجد الجامع ودار الإمارة، ثم تقسم المدينة إلى أقسام أو خطط، تنزل كل قبيلة في خطه ما تلبث أن تتحول إلى أحياء معمورة تتخللها الطرق والسكك التى تؤدي إلى المسجد الجامع فى وسطها.

دخل العرب أثناء الفتوحات مدنا عريقة مثل الإسكندرية

وانطاكية ودمشق والقدس، ما لبثوا أن طوروها لتناسب مقتضيات الدين الإسلامي.

وفي عصر الدولة الأموية انتقل مركز الخلافة الإسلامية من الكوفة إلى دمشق التي تصبح عاصمة الدولة ،يرتفع داخل أسوارها المسجد الأموي.

ثم اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وامتدت فتوحاتها من اسبانيا وشاطيء المحيط الأطلسي غربا إلى حدود الصين شرقا، ويؤسس العرب مزيدا من المدن مثل قيروان التى اختطها عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ فى تونس، وكان أول ما بنى فيها دار الإمارة والمسجد الجامع وأحيطت بسور له أربعة عشر بابا.

زال حكم الأمويين عام ١٣٢/٧٥٠م عقب ثورة شبت فى إقليم خرسان شرق إيران انتهت بانتصار اسرة بني العباس، ولكن أحد افراد اسرة بنى أمية وهو عبد الرحمن «الداخل» تمكن من الفرار إلى أسبانيا حيث أسس خلافة اسلامية هناك، وازدهرت مدينة قرطبة، وأسس عبد الرحمن جامعها الشهير عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م، الذي اتسع فيما بعد حتى أصبح من اجمل وأكثر الجوامع فى العالم الإسلامي.

أنشأ أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى عاصمة جديدة عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م على نهر دجلة عرفت باسم بغداد، اتخذ تخطيطها الشكل المستدير، وأحيطت بثلاثة أسوار وخندق، وكان يتوسطها القصر الذى اشتهر بقبته الخضراء وبجانبه المسجد، ويحيط بهما مساحة شاسعة من الحدائق وسور دائرى، ويقسم المدينة شوارع متسعة وأخرى دائرية.

وتصبح بغداد مركزا هاما للعلوم والفنون الإسلامية، وتترجم بها مؤلفات عدة في العلوم والفلسفة من اللغة اليونانية إلى العربية، وأنشأ بها الخليفة المأمون «بيت الحكمة» وهى دار للبحث والدرس ، وغدت بغداد مدينة من أكثر المدن ازدهارا فى عهد الخليفة هارون الرشيد.

وأنشأ المعتصم مدينة سامراء (سُرّ من رأى) على بعد ستين ميلا شمالى بغداد، واصبحت هى الأخرى مركزا للفن والثقافة ومقر الخلفاء العباسيين من سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م إلى أن هجرت فجأة فى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م.

وإذا كانت بغداد المدورة قد اختفت تحت مبانى المدينة الحديثة إلا أن اطلال سامراء مازالت باقية وتدل على تخطيطها.

تمتد المدينة على ضفاف نهر دجلة الشرقى بطول خمسة وثلاثين كيلومتر، واشتملت على عدة أحياء وسلسلة من القصور الفخمة مثل الجوسق الخاقانى وقصر بلكوارا وقصر العاشق وغيرها، كما احتوت على أكبر الجوامع الإسلامية مثل جامع المتوكل وجامع أبى دلف، هذا بجانب الأسواق والملاعب وسكن الجنود والحرس ورجال الدولة.

وكان «الشارع الأعظم» يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب وتتفرع منه شوارع عمودية عليه.

حين اوشكت الخلافة العباسية على الإنهيار، إنقسمت الإمبراطورية إلى عدة دويلات، وقامت فى مصر الدولة الطولونية.

ولد احمد بن طولون فى بغداد سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م، وتلقى علومه فى سامراء، وجاء إلى مصر وأقام أول أمره فى مدينة العسكر التى انشأها العباسيون شمالى الفسطاط، ولما ضاقت به وبجنده، شرع سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م ببناء مدينة جديدة شمالى العسكر وقسمها إلى قطع وزعها بين قواده

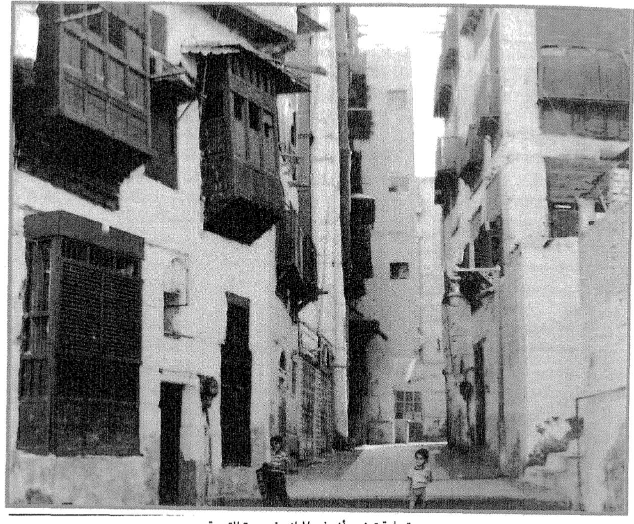
العمارة الإسلامية استخدمت «الطابوق» في بلاد العراق والحجر الجيري وقوالب الطوب في مصر كما استخدمت الخشب بلونه الطبيعي لعمل المشربيات

ورجال دولته، لذلك سميت القطائع.

جاء تخطيط مدينة ابن طولون متأثرا بسامراء، ويشبه الجامع الذى يتوسط المدينة جامع سامراء، وكانت مئذنته تشبه الملوية.

عادت مصر ولاية عباسية لفترة من الزمن، ولكن استطاع محمد بن طغج الإخشيد الإستقلال بالبلاد، ولكن ما لبث ان دخل جوهر الصقلى قائد الجيوش الفاطمية مصر بجيوشه، وأنشأ مدينة القاهرة ، ودعا الخليفة المعز لدين الله للإقامة بها عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م.

شيدت مدينة القاهرة شمالى القطائع الطولونية على شكل مربع طول ضلعه ألف ومائتي متر، وأحاطها بسور من اللبن به سبع



صورة عامة توضح أنموذج المباني في جدة القديمة

جدة القديمة نموذج للمدينة الإسلامية ذات الطابع الخاص

بوابات، وكان يتوسط المدينة ساحة يكتنفها القصر الشرقى الكبير من ناحية، والقصر الغربى الصغير من الناحية الأخرى، وبينهما ميدان لاستعراض الجند، يخترقه طريق من الشمال إلى الجنوب، هو شارع المعز أو بين القصرين، وبالقرب من القصرين اختط جوهر المسجد الجامع وأسماه الأزهر تيمنا بفاطمة الزهراء.

وفي عصر الدولة الأيوبية ٥٦٧هـ/ ١١٧١م وحد صلاح الدين بين ضواحى المدينة التى شملت الفسطاط، التى أسسها عمرو بن العاص والعسكر التى أقامها العباسيون وقطائع ابن طولون وقاهرة المعز داخل سور، وأصبحت عاصمة الدولة، وتميزت بأسوارها وقلعتها وأبوابها المنيعة، ولا غرو فقد تحملت الدولة الأيوبية عبء الدفاع عن الإسلام أثناء الحروب الصليبية.

استمرت الدولة العباسية فى التدهور وتعرضت بغداد عام ٤٥١هـ/ ١٠٦٠م لغزو السلاجقة الأتراك، الذين أبقوا على الخليفة رمزا للسلطة الروحية والدينية، ولكنهم اصبحوا الحكام الحقيقيين، وأزدهرت مدن أخرى فى عهدهم مثل الرى وقاشان التى اشتهرت بصناعة البلاط الخزفى الملون (القاشانى) الذى استخدم فى تغطية الجدران، مما اعطى هذه المدن طابعها الخاص.

وازدهرت مدينة اصفهان عاصمتهم، وأقيم بها مسجد الجمعة الذى تميز بالايوانات الأربعة، وهو النظام الذى سوف ينتشر فى العالم الإسلامي تحت إسم المسجد المدرسة.

إذا كان السلاجقة قد أبقوا على السلطة الروحية للخلافة العباسية فإن المغول الذين اجتاحوا البلاد قضوا عليها كلية.

الحدائق عناصر جمالية في مباني المدن الإسلامية

إستولى «هولاكو» حفيد جنكيزخان على بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وقتل «المعتصم» آخر الخلفاء العباسيين، ودمر بغداد وكذلك معظم المدن التى غزاها.

ولكن اعتنق «ملوك الخان» الاسلام فى اواخر القرن السابع الهجرى (١٣م) ورقت طباعهم، وازدهرت تبريز عاصمتهم، وكذلك مدينة السلطانية التى حلت محلها فيما بعد كعاصمة للدولة المغولية، ولكن ضعفت الدولة واجتاحت جيوش تيمورلنك إيران والعراق وآسيا الصغرى وكان جيشا يتكون من الخيالة البدو الذين قضوا على كل شيء فى طريقهم، يغتالون السكان ويقطعون الطرق ويدمرون المدن ويردمون الآبار، وتعرضت دلهى وشيراز وبغداد ودمشق وأصفهان للتخريب.

ولكن بعد مرحلة الهدم بدأت مرحلة البناء واستقرت الدولة التيمورية واتخذت من سمرقند عاصمة لها، وأتى الحكام إليها بالفنانين والصناع والكتاب والفلاسفة والعلماء واصبحت سمرقند المدينة الأولى فى الشرق الإسلامي وازدهرت هراه وبلخ وبخارى.

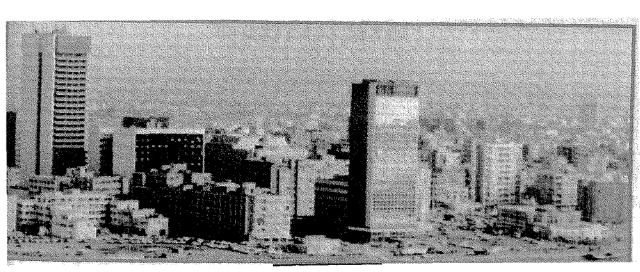
ولكن دب النزاع بين خلفاء تيمورلنك وقضى إسماعيل الصفوى على دولته واتخذ من تبريز عاصمة له ثم نقلها إلى قزوين عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م ثم غدت أصفهان العاصمة فى عهد الشاه عباس الأول (٩٩٦ - ١٠٣٨هـ/ ١٥٨٧ - ١٦٢٩م) الذى تبلغ البلاد أوج ازدهارها فى عصره وتتقدم العلوم والفنون وتعود أصفهان إلى سابق مجدها ويتم تخطيط المدينة مع المحافظة على مبانيها التاريخية مثل مسجد الجمعة، ويشيد جامع الشاه ومسجد الشيخ لطف الله وقصر على قابو (أى الباب العالى) حول ميدان فسيح (١٧٠ × ٥٠٠م) ويصل الميدان بالمركز القديم حيث جامع الجمعة بطريق تجارى «القيسرية» ويزود الشاه عباس المدينة بالحدائق والقنوات والجسور.

كانت الدولة الصفوية فى إيران معاصرة لدولة الأتراك العثمانيين الذين دخلوا آسيا الصغرى وقضوا على الدولة البيزنطية قضاءا مبرما سنة ١٤٥٣م عندما افتتح محمد الفاتح القسطنطينية وحولها إلى مدينة إسلامية إسمها استامبول أو اسلام بول أى مدينة السلام، وجعلها عاصمة للدولة وجدد أسوارها وزينها بالمنشآت الفخمة.

الملامح المعمارية للمدينة الاسلامية القديمة

هذه المدن التى أسسها المسلمون أو فتحوها ما لبثوا آن طوروها لتناسب عاداتهم وتقاليدهم واصبحت تتميز بسمات واضحة تكاد تكون ثابتة أملتها العقيدة الإسلامية، يمكن إجمالها فى العناصر الآتية:

- يحيط بمعظم هذه المدن أسوار تحميها وتحفظ خصوصيتها وتحتوى على بوابات تتصل خارجيا بطرق القوافل.
- يتوسط المدينة المسجد الجامع، مركز الإلتقاء الروحى والثقافى



جدة الحديثة

تخطيط مدينة القاهرة جاء مشابها لمدينة سامراء

ويلحق به بعض الخدمات الصحية والاجتماعية، وكانت المساجد الأولى بسيطة يحيط بها سور لحمايتها، وكان بيت القبلة مسقوفا يقى المصلين الحر والبرد، ثم اقيمت الأسقف على أعمدة مكونة من اروقة حول الصحن وزودت الجوامع والمساجد بالمآذن ، ثم استخدمت الايوانات مكونة ما يعرف بالمسجد المدرسة، ثم تطورت المساجد لتصبح مجموعة دينية معمارية تشمل المسجد والمدفن والسبيل والمستشفى والخانقاه.

- تمتد المحلات التجارية على طول الشارع الرئيسى الذى يعد العمود الفقرى للمدينة وتتفرع منه شوارع أخرى تحتوى على أسواق متخصصة كثيرا ما تسمى بأسماء السلع التى تباع بها مثل سوق العطارين وسوق القناديل وسوق الشماعين وسوق السلاح وسوق الحرير وسوق المجوهرات الخ... ولما زادت حركة التجارة أقيمت الخانات والفنادق والوكالات.

- **نمت حول المسجد والأسواق الطرق والأزقة فى اتجاهات تلقائية بشكل عضوى طبيعى ، وبدت المدينة كنسيج متداخل تتخلله البرحات والافنيه وترتفع المآذن والقباب لترسم خط أفق تميزت به المدينة الإسلامية.**

- **كانت البيوت تفتح على الداخل على حوش سماوى وتتجمع الدور لتكون الحارات والأحياء لكل منها مسجد، ويشبه هذا النسيج توريقات ورقة الشجرة**، وحتى المدن التى نشأت مخططة بشوارع مستقيمة متعامدة (سمراء ، القاهرة) أو ورثت هذا التخطيط من مدن قديمة (دمشق)، سرعان ما تتحول إلى هذا النسيج العضوى المتداخل.

- تقع معظم المدن الإسلامية فى منطقة حارة ، فاستطاعت أن تتغلب على الحر الشديد بمعالجات مناسبة مثل الافنيه وملاقف الهواء التى تستقبل الهواء من الشمال وتوجهه داخل المبنى بما يلطف من حرارة الجو.

- استخدمت العمارة الإسلامية المواد المناسبة لسد احتياجاتها مثل الطابوق فى بلاد العراق والحجر الجيرى وقوالب الطوب فى مصر كما استخدمت الخشب بلونه الطبيعى لعمل المشربيات والرواشين.

- **برع الفنان المسلم - الذى لا يميل إلى التجسيد - فى استخدام الاشكال الهندسية والنباتية بأشكال جميلة متداخلة. ظهر ذلك فى العناصر المعمارية مثل المشربيات والأبواب والزخارف مما أضفى على العمارة الإسلامية طابعها الخاص.**

- احتوت المدن الإسلامية على الكثير من العناصر الجمالية مثل الحدائق كما استخدمت المياه والنافورات لتلطيف الجو خاصة فى البيوت والقصور.

هذه بعض من المقومات التى امتازت بها المدن الاسلامية ، ولكنها تعرضت معظمها فى العصور الحديثة لضغط سكانى ، ونزح كثير من السكان من الريف إلى المدن وامتدت المدينة رأسيا وأفقيا واستخدمت وسائل النقل الآلى وفقدت المدن أنسجتها العمرانية وهويتها الإسلامية ومقياسها الإنسانى الذى تميزت به وتعرضت الأحياء التاريخية للإهمال فتدهورت ، كما ظهرت فى مدن كثيرة مناطق وأحياء عشوائية.

المدينة الحديثة وإشكالية المعمار الأنموذج ؟

وجد المخططون أنفسهم أمام تحد ومشاكل عديدة ومعضلات صعبة الحل. هل يكون الحل فى تصور مدينة مثالية ، حتى ولو كانت خيالية؟.

لقد شغل هذا الحلم كثيراً من المفكرين والفلاسفة والمخططين. وصف بعضهم المدينة المثالية مثلما فعل الفارابى الذى تصور مدينة فاضلة تكون الأخلاق ومنهج القرآن والسنة أساس التعامل بين سكانها.

هل يمكن تصور نموذج أمثل يحافظ على مقومات المدينة الإسلامية ويوفر احتياجات الإنسان المعاصر؟.

هناك بلا شك نظريات عن العدد الأمثل للسكان والخدمات اللازمة لهم ونسب الحدائق والمناطق الخضراء والطرق وعروضها وتصميماتها، ولكن هل يمكن تجميع ذلك فى مدينة مثالية؟.

لقد فشلت كل هذه المحاولات التى لم تأخذ الواقع فى الاعتبار ، وما نراه مثاليا اليوم، قد لا يناسب متطلبات الغد ونجاح المخطط الحقيقى هو أن يرتبط التخطيط بالواقع لتحسينه والإرتقاء به.

هنا يكمن التحدى الحقيقى فى ايجاد الحلول المناسبة التى تأخذ فى الاعتبار إحتياجات الإنسان المعاصر ومقومات المدينة الإسلامية التى استعرضناها، ويمكن ذكر بعض هذه الحلول أو المبادىء العامة :

- ايجاد مقياس مناسب بين المقياس الإنساني الذى تميزت به المدينة الإسلامية ومقياس السيارة التى لابد منها فى الحياة المعاصرة، وهناك حلول كثيرة منها التفرقة بين طرق المشاة وطرق السيارات على المستوى الأفقى أو الرأسى.

- المحافظة على خصوصية المساكن التى كانت تفتح على الداخل، إلا أن التشريعات الحالية قد تعوق هذا الحل، من هنا تأتي ضرورة إعادة النظر فى هذه التشريعات.

- إعادة الجامع لدوره كمركز تثقيف وبحث ومعرفة بالدين الصحيح.

- الإستفادة من أشكال الأسواق التاريخية وما تتميز به من نشاط وحيوية فى تخطيط الأسواق التجارية الحديثة.

- الحفاظ على طابع المدينة الإسلامية باستخدام المواد وأساليب البناء الحديثة وربط الحديث بالقديم.

- مراعاة متطلبات العصر الحديث مع الحفاظ على التراث.

- محاولة الإقتراب من الحلول المثالية دون البعد عن الواقع وإلا جاءت حلولا يتعذر تنفيذها.

جُدة القديمة.. النموذج الماثل

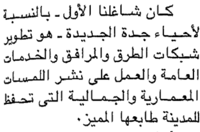
وكان لنا تجربة فى تأصيل القيم الحضارية في مدينة جدة.

كانت جدة القديمة نموذجا للمدينة الاسلامية ذات الطابع الخاص وذلك بحكم موقعها كبوابة بحرية لمكة المكرمة.

كانت تعيش داخل سور يحميها مثلها مثل معظم مدن العصور الوسطى وكانت مبانيها من أحجار الكاشور الجيرية والطين المأخوذ من بحر الاربعين فى الشمال وكانت بيوتها بيضاء فيما عدا نوافذها المغطاة بالرواشين الخشبية.

ونظرا لضيق مساحة المدينة داخل السور امتدت المنازل رأسيا وتعددت أدوارها لتفى احتياجات سكانها، فكان الدور الأرضى يخصص للإستقبال يعلوه الدور الأول وبه المضيفة، ثم يأتى أهل المنزل فى الدورين الثانى والثالث ويخصص السطح للسمر والسهر وهو بذلك يحل محل الفناء فى البيوت ذات الإمتداد الأفقى.

وفى عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م تم هدم السور لمواجهة الضغط السكانى المتزايد، وبدأ العمران يمتد فى انماط وأشكال من العمارة تعكس الثقافات والأفكار التى وردت إليها من الخارج وبدأت المدينة تفقد طابعها المميز مثلها مثل معظم المدن الإسلامية.



كان شاغلنا الأول - بالنسبة لأحياء جدة الجديدة - هو تطوير شبكات الطرق والمرافق والخدمات العامة والعمل على نشر اللمسات المعمارية والجمالية التى تحفظ للمدينة طابعها المميز.

أما بالنسبة للمدينة التاريخية فقد تمت دراسة مشروع متكامل روعي فيه الآتي:

- المحافظة على النسيج المعمارى القديم بطابعه التاريخى المميز وعدم اللجوء إلى الهدم وتوسعة الشوارع إلا فى حالة الضرورة القصوى.

- تخصيص معظم الطرق للمشاة وتحويل المرور خارج المنطقة ورصفها بما يتناسب مع استخدامها.

- المحافظة على المدينة القديمة بكامل مساكنها وإعادة ترميمها وتشجيع أصحابها على إعادة استخدامها وتحويلها من أطلال قديمة إلى أسواق ومطاعم للأكلات الشعبية.

- تشجيع الحرف التقليدية التى أوشكت على الإنقراض تحت زحف الإنتاج الآلى والتصنيع.

- تشجيع أصحاب المساكن التى تم بناؤها على النمط الغربى على كسوة شرفاتها بمشربيات خشبية لتتمشى مع المبانى القديمة مع التركيز على اللون الأبيض فى الواجهات.

- تجميل المدينة بأشكال مستوحاه من التراث الإسلامى مثل المآذن والأهلة والخط العربى.

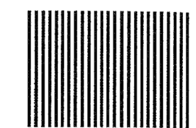
- تحويل بعض الأراضى الفضاء والبرحات إلى حدائق صغيرة.

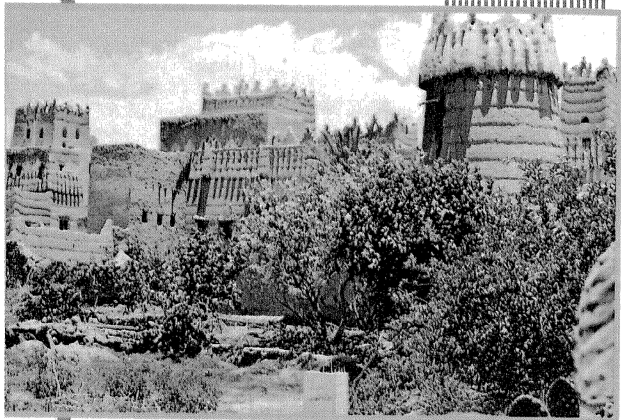
ولتنفيذ هذا المخطط تم إنشاء بلدية فرعية فى المنطقة القديمة كان من مهامها حماية المنطقة والحرص على اشكال المبانى المستجدة بحيث يتمشى تصميمها وشكلها وحجمها وموادها لتنسجم من الناحية المعمارية مع المبانى الأثرية.



مدينة جدة بين القديم والحديث

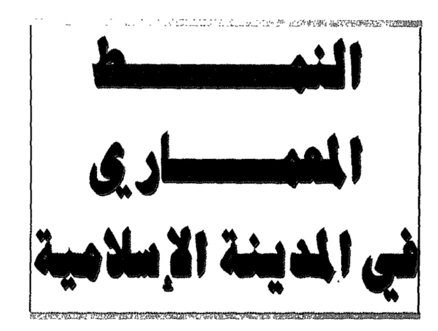
شواهد
معمارية





قصــر الإمــارة القديــم في مـدينة نجـران «جنوب المملكة» وبالتحـديد في مدينة نجران القديمة «أبو السعـود» وهـو يمثـل طـرازاً مـعـمـارياً فـريـداً فـي المنطقـة

المعمار الحديث عليه التنسيق بين الأطر المتوارثة والمعطيات الحديثة للعمارة



التجانس في نسيج المدينة الهدف الأعلى للعمارة الإسلامية

بقلم المهندس: **رائف نجم ـ الأردن**
نائب رئيس لجنة اعمار المسجد الأقصى والصخرة المشرفة

إن هوية النمط المعماري الاسلامي المعاصر تعتبر من المواضيع الشائكة التي تداولتها المؤتمرات العالمية في السنين الأخيرة، لأنه ليس شيئا ثابتا بل يتطور مع تطور الزمن . فالثبات من الجمود والجمود من الموت، ولكن التجديد من الحياة ، والاسلام يدعو الى التجديد، كما ان العمارة هي صورة مجسمة من ثقافة الأمة.

إن العمارة الاسلامية في العصور المتوسطة شرقا وغربا ـ سواء في البلاد الاسلامية أو في الشرق الادنى، أو في المغرب العربي، أو في اسبانيا، أو في الهند، أو في اندونيسيا، أو في تركيا ـ قد اكتسبت مظاهر عديدة من العمارة قبل الاسلام ، ولكنها جمعتها في نمط نموذجي يؤكد التناسق والنقاء الهندسي ودراسة الفراغ في جميع الاتجاهات، والشعور بالتوازن والتوحيد.

لنفهم النمط المعماري الاسلامي المعاصر علينا ان نفهم التراث المعماري الاسلامي ونربطه مع الحاضر والمستقبل لنستفيد من الماضي وفي نفس الوقت نقارنه بالعالم المتغير لنستفيد من العمارة الحديثة والتكنولوجيا الحديثة. فالتراث عنصر قابل للتغيير مع مرور الزمن ويجب اخضاع الحديث لاحترام القديم. وايجاد الخيط الدقيق الذى يربط الماضي مع الحاضر والمستقبل.

والمهم اذن كيف نصنع التراث الجديد؟ شريطة ان يرتبط بانسانية الانسان ومبادىء الاسلام لان الاسلام فكر ولا يفرض الشكل، وعليه يأتى النمط المعماري الاسلامي ضمن الاطار الذى يفرضه علينا الانتماء الى مجتمعاتنا وتقاليدنا . كل ذلك في ظل المبادىء الاسلامية الأساسية التي لا تتغير مع تغيير الزمن والتى يمكن استخلاص بعضها من القرآن الكريم واعتبارها قواعد ثابتة يستنير بها المعماريون في التخطيط والتصميم المعمارى العربى كالبساطة والابتعاد عن البذخ والتبذير واتباع القاعدة الوسطية والمساواة بين الافراد بالحقوق والمعاملات رغم اختلاف درجات المعيشة واحترام الشعائر الدينية.

من هذا المنطلق نستطيع ان

نصل الى تعريف للعمارة الاسلامية ونقول: (انها العمارة التى تنسجم مع المجتمع الاسلامي في مختلف البيئات والازمان، ولا تتنافر مع المبادىء والقواعد الاسلامية، وتطبق فيها الاسس الفنية والهندسية الواجب توفرها فى العمارة الجيدة).

عن طريق فن العمارة يمكن ايجاد علاقة مع المجتمع الذي يعيش في المدينة، يجب ان نستفيد من نموذج المدينة الاسلامية القديمة في تصميم المدينة الاسلامية الحديثة دون ان نهمل الصبغات والميزات الموجودة في التراث المعماري الاسلامي، مع الابتعاد عن التقليد الاعمى وايجاد اسلوب معدل متطور.

المدينة هى مجتمع انسانى تمارس فيه العلاقات الشخصية بين الافراد، هناك افراد يعرفون بعضهم البعض وهناك غرباء يعيشون بينهم، والمدينة هى مكان يأتى اليه الغرباء من كل مكان. وعلى ذلك فان الانماط المعمارية المختلفة إما ان تأخذ باعتبارها الغرباء أو ان تهملهم، يجب الاهتمام بالناس الذين سيعيشون داخل الابنية، **والا نهتم فقط بالمواد الانشائية والشكل والنمط. يجب ان نهتم بالعلاقات بين هؤلاء الناس.**

ان التغييرات الاجتماعية وخصوصا ما يؤثر منها في وضع المرأة لا شك انها تؤثر في شكل البيت وتصميمه.

ان تعديل القوانين والانظمة الخاصة بالابنية وحقوق المجتمع تؤثر في شكل البيت. ان التغييرات في الميزان الاقتصادى يؤثر على الناحية المعمارية، يجب علينا ان نضع هذه التغييرات أمام ناظرينا وان نعتبرها عوامل مؤثرة في حياة المجتمع الاسلامى الذي يعيش داخل المدينة الاسلامية. هناك أمثلة كثيرة على نموذج المدن الاسلامية التي انشئت في العصور الاسلامية المتوسطة كمدينة فاس فى المغرب ومدينة القدس الشريف في فلسطين ومدينة القيروان في تونس حيث يتمثل التخطيط النموذجى للمدينة الاسلامية القديمة، الذي يتميز بفصل القطاع العام للمدينة عن القطاع الخاص ويوضح التفاعل بين المساحات والفراغ ويضمن التجانس في نسيج المدينة.

المدينة الاسلامية هى المدينة التى نراعي فيها الله. وهي المدينة الفاضلة وهي نموذج للمدينة المثالية التي تفخر بتراثها المعماري الاصيل.

ان العمارة الاسلامية تؤدى وظيفة معينة وليس المقصود منها الشكل فقط، ويجب ان تتطور أشكالها مع تطور التكنولوجيا والمواد الانشائية ويجب أن نراعى فيها السرعة في التنفيذ والناحية الاقتصادية.

ان النظر في مجتمعات العالم الاسلامي كل على حده، ومن ثم ايجاد العوامل المشتركة فيما بينها ضمن اطار التقدم المعاصر في الفن والتكنولوجيا من شأنه أن يلقى ضوءا مشعا على توحيد الرمزية والشكل في العمارة الاسلامية المعاصرة.

إن التحدي الذي يجابه المهندسين والمعماريين في الوقت الحاضر يتمثل في اهمية التنسيق بين الاشكال القيمة والمجتمع المعاصر دون اللجوء الى التضحية بالخصائص الاساسية المتوارثة.

إن المهندس المعمارى شخص يركز اهتمامه على المستقبل بعكس رجل التاريخ الذى يدرس الماضي ويوليه اكثر اهتمامه، وتصميم العمارة الاسلامية المعاصرة يحتاج الى هذا وذاك ، ويحتاج الى هذا الرباط الوثيق بين الماضي والحاضر

المهتمون بالمعمار في العالم الإسلامي عليهم مسئولية إحياء النمط المعماري الإسلامي

الذى هو بداية المستقبل.

على كل جيل أن يترك بصماته على البيئة التي يعيش فيها حتى تستطيع الاجيال القادمة تقويم الاجيال السابقة، وحتى تكون هناك نقطة بداية واستمرارية لاجيال المستقبل وما ليس له ماض لا يمكن أن يكون له مستقبل. وعلينا تعلم اخطاء الماضي لتلافيها وعدم تكرارها.

إن البلديات اليوم تمنع انشاء الأبنية بموجب مفاهيم وأسس التراث المعماري الاسلامي وعليه فلا يوجد اليوم عمارة اسلامية تشيد في مدننا الاسلامية . ونحن نعتب في ذلك على جامعاتنا الاسلامية والعربية التى لا تشتمل برامجها التعليمية إحياء هذا الاسلوب من الفن المعماري وايجاد سبل التقارب بين التراث المعماري الاسلامي وبين العمارة المعاصرة في البلدان الاسلامية.

إن معظم البيئات الحضرية الحديثة في العالم الاسلامي والعربي تعاني من ازمة معمارية تتسم فى اكثر الاحيان بقبحها اذا ما قورنت بصفاء وجمال المدن الإسلامية القديمة.

يقول المثل اللاتيني: «فساد الافضل في الاسوأ» وهذا يشبه الى حد ما المثل العربي القائل «يبدأ فساد السمكة من رأسها».

ينطبق هذا المثل على الأقلية المتفرنجة، التي تملك التأثير الاقتصادي والاجتماعي الذي يفوق حجمها الصغير. وكل ما أرجوه هو ان تخلو هذه الاقلية من المعماريين المسلمين.

يُعْنَي الاسلام بالاخلاقيات في الحياة - كالصدق والأمانة. ويعلم الجميع ان اهتمام المعماري ينصب على الشكل والرمز ولكن يجب ان يشمل اهتمامه الحياة، والصدق مع المواد المستعملة، والتوافق مع البيئة، والاهتمام بالنسب الانسانية، واستعمال الاشكال الصادقة، وهذه كلها أمثلة على مظهر الصدق والأمانة.

يجب أن ينسجم النمط المعماري في المدن الاسلامية مع المجتمع الاسلامي في مختلف البيئات والأزمان ولا يتنافر مع الاسس المعمارية الفنية والهندسية الواجب توفرها في العمارة الجيدة.

يجب أن يتفق النمط المعماري الاسلامي المعاصر مع بيئتين الاولى خلقها الله تعالي ويجب المحافظة عليها والثانية صنعها الانسان وعليه المحافظة عليها. لقد شوهت مدننا الاسلامية بما نُقل اليها من عمارة غريبة عليها بعد ان كانت محافظة الى حد ما على طابعها المميز، وقد أضر هذا التشويه بجمال وتخطيط وشكل مدننا وسبب البلبلة في معيشة السكان، ففي تخطيط المدن مثلا يجب ان يحسب حساب مواقف السيارات تحت الارض وليس فوقها لان الله تعالي خلق الانسان على الارض ومن حقه ان يعيش فوقها والا يدع السيارة التى صنعها لكي تأخذ حيزا كبيرا فوق الارض يزيد على حيز الانسان.

إن استعمال المواد الانشائية المحلية يعتبر أمرا اساسيا في العمارة الاسلامية المعاصرة بحيث يشكل المبنى جزءا من البيئة التي تضمه ولا يختلف عنها وعن طابعها. **ولهذا فانه ليس هناك أية مواد إنشائية محددة النوعية تفرض على العمارة الاسلامية، وتتميز أبنية كل بلد اسلامي عن غيره باختلاف المواد الانشائية في هذه البلدان، علاوة على الامور الاخرى المتصلة بحياة الفرد والمجتمع.**

يتسابق معظم المعماريين اليوم في البلاد الاسلامية والعربية الى نقل وتقليد ما يشاهدونه في البلاد الغربية من عمارة حديثة أنشئت في بيئة تختلف عن البيئة الاسلامية ولمجتمعات تتنافر مع مجتمعنا، ولها فلسفة لا تتمشى مع مبادئنا وأفكارنا، وباستعمال مواد لا تمت بصلة الى موادنا المحلية، وقد بهرتهم مقاييس الضخامة وعظمة التكنولوجيا فيها، والصرعات المعمارية التي لا تنسجم مع الوظائف المطلوبة منها، اهتموا بالمظهر وتركوا الجوهر، واعتقد أصحاب هذا التقليد إن شهرتهم تتناسب طرديا مع حجم تأثرهم بالعمارةالحديثة ناسين انهم يبنون للانسان المسلم، ولا يعيرون ادنى انتباه أو اعتبار الى العلاقة بين البناء والفراغ حوله أو بين البناء والبيئة، أو بين البناء والانسان الذي سيعيش فيه، فتأتي أبنيتهم مشوهة للمنطقة التي تبنى فيها، غريبة عنها، وبدون أية روابط بينها وبين الابنية والطرقات المحيطة.

يحصل كل ذلك في بلادنا الغنية بتراثها المعماري الاسلامي الاصيل الذي أهمله معظم المعماريين في الوقت الذى اخذ الغرب يهتم به ويقتبس منه، فالرجوع الى الحق فضيله، وعلى المعماريين الذين يصممون للمجتمعات الاسلامية والعربية أن تكون تصاميمهم نابعة من مبادئ واحتياجات هذه المجتمعات ومفاهيمها وعاداتها وبيئتها ومناخها وتقاليدها. وان يستفيدوا من العمارة الحديثة العالمية بالقدر المفيد والمتناسب والمتجانس مع مجتمعاتنا، وأن يتركوا ما تبقى لأهله.

يجب إدخال مادة (نظريات العمارة الاسلامية) ومادة (تخطيط وتصميم العمارة الاسلامية المعاصرة) في جامعاتنا الاسلامية والعربية ويجب تفرغ بعض الاساتذة في الجامعات الاسلامية والعربية لتطوير هاتين المادتين ولترجمة

الاحاسيس والمرئيات لنماذج العمارة الاسلامية التراثية الى لغة معمارية تخطيطية حديثة لتستعمل من قبل المصممين ولتثقيف المهندس والمصمم والمخطط من أجل خلق المفاهيم والمعايير بصورة تدريجية. كما ان واجب الجامعات ومؤسسات الدولة وجمعيات المهندسين وضع ضوابط ومعايير تساعد المعماريين في وضع تصاميم معمارية تتصف بالاصالة والمعاصرة إذ لا يوجد تناقض بين التقنيات والطرق الحديثة من جهة وبين الاصالة من جهة اخرى.

لقد احتاجت المدينة الاسلامية الى سنين عديدة حتى تطورت تدريجيا وحتى اكتسبت نقاء وصفاء بيئتها. لقد أصبح واضحا انه في السنين القليلة القادمة سيتم تنفيذ الخطط التنموية للانشاءات بشكل كمي مكثف يوازى التضخم السكاني، وستكون صناعة الانشاءات هذه مطابقة لما يجرى في الغرب، وسنحصل على بيئات لا تنتمي الى هذه المدن ولا تتميز بالحساسية المعمارية الاسلامية. بدون شك ستكون هذه الانشاءات ذات فعالية وقادرة على تغطية المتطلبات الحياتية ولكنها بالتأكيد ستكون بعيدة كل البعد عن الناحية الانسانية.

إن معظم المدن الاسلامية والعربية اليوم تجد نفسها فى سباق كبير مع التخطيط والبناء، وفي حالة من اليأس تجدها تنجذب نحو تطبيق التكنولوجيا الغربية لايجاد حل سريع دون تفهم حقيقي للميزات الثقافية والاجتماعية والدينية لهذه المدن.

إن علماء العرب دائما يقترحون بقوة اتباع طريقة الغرب بالانتاج الكمي. وتطبيق هذا الاتجاه على التخطيط الشامل للمدن الجديدة ثم على أجزاء المدينة وهذا يخلق بيئة غربية كليا لا يمكن أن تتجاوب مع الحاجات الثقافية أو احتياجات الفرد. إن هذا الاتجاه بدون شك يؤمن النوعية المطلوبة من الابنية للناس وخلال المدة المقررة ولكن يبعدهم كل البعد عن عاداتهم وتقاليدهم ومثلهم وثقافتهم وبيئتهم.

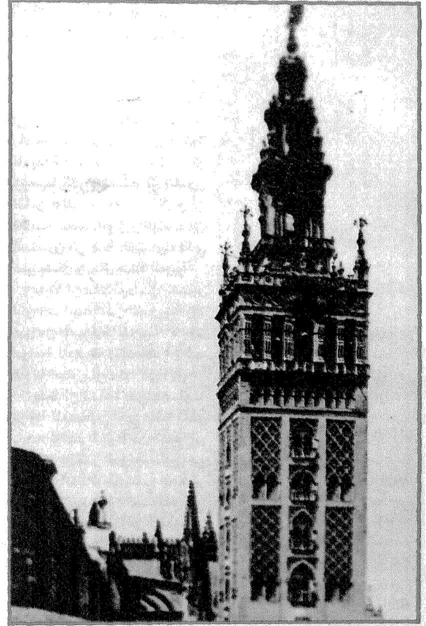
لقد شوهت مدننا الاسلامية والعربية بما نقل اليها من عمارة غربية عليها بعد ان كانت محافظة الى حد ما على طابعها الخاص كالقدس وتونس القديمة والقاهرة القديمة وبعض المدن فى تركيا مثل بورصا التي أنشئت في القرن الثامن عشر .. وقد آن الأوان أن ينتبه المعماريون والمهندسون المسلمون الى هذا التشويه الذي أضر بشكل وجمال مدننا العربية.

علينا أن نستفيد من المصير الذي آلت اليه المدن الغربية والا ننهل من العمارة الغربية الا بعد الدراسة العميقة وذلك بعد أن ثبت عقم ما استوردناه منها الى الآن.

علينا أن نحافظ على حضارتنا وتراثنا المعماري الذي قلما نجد مثيلا له عند غيرنا من الامم وان ننهل منه بالقدر الذي يتمشى مع مجتمعاتنا المتطورة في العصر الحديث. يجب أن نحافظ على هويتنا وان نبتعد عن الفوضى المعمارية التي عمت الوطن الاسلامي والعربي. هذا هو التحدي للمعماريين المسلمين. وعليهم ان يقبلوا هذا التحدي ويحاولوا أن يستفيدوا من الماضي، ويأخذوا من الحاضر، ويعملوا للمستقبل. بهذه الخطوات والجهود المجتمعة نستطيع أن نوفر بيئة معمارية تربطنا بتراثنا العريق لنستمد منه الخطوط العريضة للعمارة الاسلامية المعاصرة لتشهد لنا أجيالنا اننا قد حافظنا على هذا التراث الأصيل ليظل لهم قاعدة ومرتكزا لأعمالهم في المستقبل.

آن الأوان أن ينتبه المعماريون والمهندسون إلى التشويه الذي يضر جمال شكل مدننا العربية

العمارة الإسلامية



مئذنة جامع أشبيليه التي تعرف بـ «الجيرالدا» نسبة للتمثال الهوائي في أعلاها الذي أضيف في قمة المئذنة من الأسبان في القرن ١٦م

هذا المقال دراسة مختصرة وسريعة للعمارة الاسلامية من العصر الأموي الى العصر العثماني. وما ورد في هذا المقال يمثل توطئة لما يرد مفصلاً في بعض دراسات هذا العدد.. وميزة هذا المقال انه جمع لنا في شكل (بانورامي) - ان صحت التسمية - أهم وأبرز معالم العمارة الإسلامية عبر هذه الأعصر المذكورة..

المنهل

عناصر العمارة الاسلامية:

عند الحديث عن العمارة الاسلامية لابد من استعراض أهم العناصر الفنية المعمارية كالأقواس والأروقة والنوافذ والأبواب والمقرنصات والعقود والقباب وغيرها.

أما الأقواس فقد كانت على أنواع، ففي المغرب كما في المشرق كانت الأقواس نصف دائرية أو منكسرة والدائري بعضه متطاول من الأعلى أو يشبه نعل الفرس. أما القوس المنكسر فهو متطاول إلى أعلى بنصفه انكسار. والنوع الآخر هو الأقواس المقرنصة، والمقصصة التى شاعت في الأندلس والمغرب. أما الباب فيحاط بمستطيل ضمنه تحشيات زخرفية تنصفها زهرات مع أقواس زخرفية تعلو هذا المدخل.

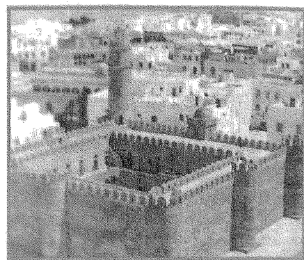
النوافذ: وهي شباك حجري أو مصنوع من الجص أو من الخشب، وله ما يسمى بالكتبية أو المشربية، واستمد الغرب نماذج منها في عمارته. وكانت النوافذ ذات أقواس ترتكز على أعمدة جانبية رفيعة.

وبرع العرب في صناعة الأبواب الكبيرة، وغلفوها بالحديد وطعموها بالذهب والفضة، ونقشوا عليها التزيينات الهندسية العربية البديعة، كما هو الأمر في باب جامع المؤيد في القاهرة.

أما المقرنصات:

Stalactites وهي مأخوذة عن النوازل والصواعد ومؤلفة من سبعة عناصر مركبة بشكل مثلثي، توجد على تاج الأعمدة أو على

.. عبر العصور



رباط سوسة في تونس

بيت من الطراز المملوكي في القاهرة



البيت العربي الشامي في دمشق

البيت العربي في متحف باردو في تونس

الطنف أو الافاريز، وتكون من الجص أو من الحجر المنحوت أو محفورة على الخشب أو من الطين المحروق.

الأعمدة والتيجان: الأعمدة ذات أشكال مختلفة، منها الأسطواني والمضلع والحلزوني والمثمن، أما التيجان فبعضها بصلي، أو مزين بوريقات نباتية، أو مزين بالمقرنصات، أو على هيئة ناقوس.

بقلم الدكتور:

عفيف البهنسي

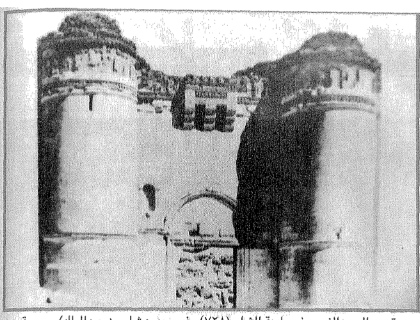
وقد استعمل الايرانيون أعمدة خشبية مذهبة. كما استعيض في بعض الأحيان عن الاعمدة بالاكتاف.

القباب: تعتبر قبة النسر في الجامع الأموى أقدم قبة إسلامية، وفي العصر الأيوبي أخذت القباب طابعاً محززاً وحليت ببعض الزخارف الجصية. وامتازت القباب المصرية الفاطمية بالارتفاع والتناسق والزخرفة الجميلة، وفي عهد المماليك ظهرت انواع شتى للقباب: منها نصف كروية، ومنها مضلعة، أو بيضوية، وقباب خشبية كقبة مسجد الإمام الشافعي ١٢١١م وهي مكسوة بالرصاص وبعضها مكسو بالقاشاني، وفي

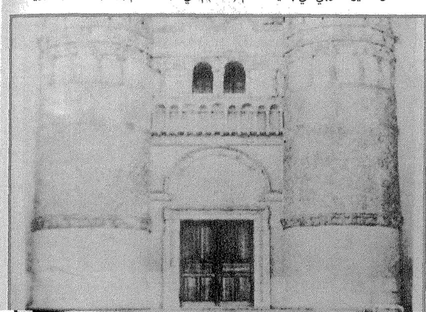
المغرب كانت القباب نصف كروية وبدون زخارف ومعظم القباب في ايران كان بيضوياً أو بصلي الشكل ومغطى بالقاشاني البراق. أما في الطراز العثماني فكانت على شكل نصف دائري مفلطح، الا أنها كانت عالية ومتعددة في الجامع الواحد، وذات أعناق لها نوافذ كالسليمانية في استانبول.

المآذن: إن مصدر فكرة المآذن والأبراج يرجع الى الزيقورات الرافدية. وأول مئذنة في سورية مئذنة جامع عمر في بصرى أو مآذن الجامع الأموي التي أنشأها الوليد عام ٧١٥م. وأصبح طراز المآذن المتبع هو أصل المآذن التي ابتدئ في بنائها منذ ذلك الحين والتي انتشرت وأصبحت الشكل النهائي للمآذن الأندلسية والمغربية، وهي مربعة كمئذنة جامع القيروان في تونس، ومنارة الكتبية في مراكش، التي تشابه منارة المسجد الجامع في اشبيلية والتي بنيت في القرن الثاني عشر الميلادي وتسمي الان الجيرالدا. ومن الزيقورات استوحيت أيضاً مئذنة الملوية في سامراء، أما مئذنة جامع ابن طولون، فهي حلزونية والسلم فيها من الخارج، وقائمة على قاعدة مربعة وهي منفصلة عن بناء الجامع وتشابه مئذنة الملوية مأذنة مسجد أبي دلف في سامراء.

وفي القرن الرابع عشر ظهرت مئذنة مزدوجة كمئذنة الغوري في الجامع الأزهر، ومنذ عهد المماليك أصبحت رقاب القباب وقمم المآذن تكسى بالقاشاني. وفي العراق ظهرت أساليب مختلفة، منها المآذن الحلزونية والمربعة والمثمنة والاسطوانية. وفي ايران ظهرت أساليب مختلفة أيضا للمآذن، ولقد زخرفت بالقاشاني وبالمقرنصات. ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي أصبح للمساجد في فارس مئذنتان على طرفي المدخل، وتمتاز المآذن الايرانية عن غيرها بأنها بدون طبقات وبدون قواعد وهي دقيقة وشاهقة حتى انها لم تستخدم للاذان قط، وفي العهد العثماني كانت المآذن أسطوانية وممشوقة عديدة في الجامع الواحد، ومثالها جامع السلطان أحمد (الأحمدية) وجامع محمد علي بالقلعة في القاهرة، وجامع التكية السليمانية في دمشق.



قصر الحير الغربي في بادية الشام (٧٢٨)م في عهد هشام بن عبدالملك/ سورية



قصر الحير الشرقي/ سورية/ في عهد هشام بن عبدالملك

المباني الإسلامية :

المسجد: من أهم المباني الاسلامية المسجد، ولقد ابتدأ بناؤه بسيطاً مؤلفاً من قطعة أرض مربعة تحيطها جدران ويقام السقف على أعمدة من جذوع النخل، أو على أعمدة حجرية مأخوذة من بناء قديم. ثم تطورت عمارات المساجد فظهرت المآذن والمحاريب والمنابر، ثم أصبح للمساجد مخطط معماري لا تكاد تخرج عنه في معظمها، فهو مؤلف من جزء متوسط اسمه

الصحن قد يكون مسقوفاً ولكن غالباً ما يكون مكشوفاً ، وتحيط به أروقة ثلاثة وبوائكها متساوية في العدد، والبائكة جزء من الرواق المؤلف من جملة عقود تستند على أعمدة أو على أكتاف. أما الرواق الرابع فهو أكبرها وضمنه الحرم وهو متجه نحو القبلة وفيه المحراب والمنبر والسدة. وتغطى الأروقة بسقوف مستوية محمولة على عقود أو أقواس.

وتطور المسجد منذ العهد السلجوقي لكي يضم مدرسة، أو يضم مدفناً أو زاوية.

الضريح: وهو مدفن ويسمي أيضاً التربة أو القبة لأنه كان يبنى على شكل قبة أو برج أسطواني ذي سقف مخروطي.

الرباط : وهي الثكنات العسكرية المحضة ولقد انتشرت خاصة في المغرب العربي. وقابلها في المشرق القلاع والحصون العسكرية.

التكية والخانقاه: وهي بيوت يأوي اليها الصوفيون والدراويش والطلاب للعبادة والدرس.

الخان : وهو البناء المخصص لايواء المسافرين وقوافلهم، وهو مؤلف من حواصل لايداع البضائع وفوقها غرف للاقامة، ولها أبواب ضخمة جميلة نرى أمثلة عليها في القاهرة وحلب ودمشق.

الحمام : ولقد انتشر بصورة واسعة وهو مؤلف من ثلاثة أقسام البراني والوسطاني والجواني.

المدرسة: وهي منشأة مصلبة أو مربعة الشكل تضم فئة من دارسي الفقه، وقد توسعت أحياناً كالمدرسة النظامية. ويعلو هذه المنشأة قبة.

المسكن أو البيت: وهو مطابق للمسكن الرافدي، مؤلف من فناء محاط بالغرف المطلة عليه من الأعلى والأسفل. والبيت مؤلف من قسمين قسم السكن العائلي وقسم الاستقبال. ومظهر البيت الخارجي كان بسيطاً قليل النوافذ، أما من الداخل فكان مزداناً بالعقود والأقواس والأعمدة، والزخارف الرخامية والحجرية والخشبية. ومن أهم أجزاء المساكن (القاعة) وهي غرفة كبيرة عالية السقف مرتفعة الأرض فيها فسقية ماء جارية وجدرانها وسقفها مغطى بالخشب الملون.

العمارة في العصر الأموي:

المدن: أهم المدن الجديدة التي أسست في عهد الأمويين، هي القيروان وواسط. ولقد بنى القيروان عقبة بن نافع عام ٥٠هـ بعد أن فتح افريقيا في عهد معاوية، وتقع القيروان جنوب مدينة تونس، وكانت محاطة بسور وفيها مسجد ودار للامارة وبيوت للجند، ثم أصبحت عاصمة الفاطميين قبل القاهرة.

أما واسط: فقد بناها الحجاج بأمر من عبد الملك وجعلها مقراً لجنده الذين جاء بهم من الشام، ثم اضمحل شأن هذه المدينة.

الأبنية الدينية: من أشهر الأبنية الدينية الأموية، قبة الصخرة والجامع الأموي الكبير بدمشق.

أما قبة الصخرة: فلقد بنيت في عهد عبد الملك بن مروان في القدس فوق قمة جبل موديا على المكان المسمى الحرم الشريف، ويقوم البناء على مخطط ثماني تتوسطه قبة قائمة على أعمدة وأكتاف ويحيطها رواق دائري، ولقد زينت الجدران الداخلية بالرخام والخزف وبالفسيفساء. كما غلفت القبة من الخارج بالألمنيوم المذهب وكانت مغلفة بالنحاس.

وبالقرب من القبة يقع المسجد الأقصى الذي بني بنفس العهد، ولقد تعرض الى الكثير من التغييرات بسبب الحروب الصليبية.

أما المسجد الأموى الكبير في دمشق: فلقد أقيم في نفس المكان الذي كان يقام فيه معبد حدد الآرامي ثم معبد جوبيتر الروماني وأخيراً كنيسة يوحنا المعمدان . وفي عهد الوليد هدمت الكنيسة وبني المسجد الأموي. وأصيب المسجد بخمسة حرائق وبزلزال أتى على أجزاء كثيرة منه. ثم رممت في حينها وكان آخر اصلاح للمسجد في عام ١٩١٩ بعد الحريق الأخير. ولقد كان المسجد الأموي النموذج الأكمل لفن العمارة الأموي وجاء على نسقه جامع ديار بكر وجامع درعا والمسجد الكبير في حلب. ومسجد القيروان وقرطبه.

ومسجد دمشق يتألف من صحن تحيطه أروقة ذات أقواس تقوم على أكتاف مزينة بالفسيفساء والرخام وفي الصحن قبة المال (عباسية ٨٣١م) والقبة الشرقية (عباسية ٨٢٠م) ثم قبة بركة الماء.

أما الحرم فيقع الى الجنوب من الصحن وعلى امتداده وفيه أربعة محاريب، ويقوم سقفه على قناطر وأقواس تحملها أعمدة ملساء ذات تيجان مزخرفة تعتبر من التيجان الكورنثية ولها قاعدة. وفي وسط الحرم تقوم قبة النسر. وللمسجد أربعة أبواب اساسية وثلاث مآذن

التكية بيوت يأوي إليها الصوفيون والدراويش والطلاب للعبادة والدرس

وهو محاط بسور، ولقد زين بالفسيفساء والرخام، كما زينت نوافذه العليا بالزخرفة الزجاجية المجردة وبالخطوط الجميلة.

العمارة المدنية: نشطت في الآونة الأخيرة الحفريات في بلاد الشام للكشف عن الآثار المعمارية المدنية الأموية، أحصينا منها ما يزيد عن ثلاثين بناء أهمها في الشمال: قصر الحير الغربي وقصر الحير الشرقي، والمشتى وقصير عمرة في الأردن، وخربة المفجر قرب جرش وقصر عنجر في لبنان.

ويعتبر قصر الخضراء، نسبة لقبته الخضراء، أول قصر أموي أقامه معاوية إلى جانب الجدار الجنوبي للجامع الأموي، ويروي ابن عساكر (أن معاوية بناه بالطوب فلما فرغ منه قدم عليه رسول ملك الروم فنظر اليه فقال معاوية: كيف ترى هذا البنيان، قال: أما أعلاه فللعصافير، وأما أسفله فللنار، قال فنقضها معاوية وبناها بالحجارة).

وكان في دمشق دار لعبد العزيز بن مروان، ودار للحجاج بن عبد الملك (قصر الحجاج) وقصر عاتكه الذي يعرف بقبر عاتكه.

يقوم قصر الحير الغربي مع ملحقاته في موقع من البادية قرب تدمر، وقد بناه هشام بن عبد الملك عام ٧٢٨م، ونقلت واجهة القصر الغربي الى متحف دمشق مع بعض التيجان ومشابك الأبواب والتماثيل وأعيد انشاؤها بشكل جيد.

ويعتبر هذا القصر الكبير أحسن نموذج للعمارة الأموية، وهو مربع الشكل تقريباً وبناؤه حجري من الأسفل أما من الأعلى فهو من الطوب والخشب والآجر، وللقصر مدخل رئيسي واحد محاط ببرجين نصف دائريين، وفي زواياه الأربعة ثلاثة أبراج والرابع برج كبير بيزنطي، وهو مقسم إلى ستة بيوت في كل طابق، كل بيت فيه ٨ - ١٣ قاعة وحجرة.

وشرقي البادية، يقع قصر الحير الشرقي، وهو مؤلف من بنائين، ومازالت واجهات البناء الصغير محفوظة، وقد استصلحت مجدداً ويحاط البناء الكبير بسور، وتدل أطلاله على أهميته. وقد شيد هذا القصر في عهد هشام أيضاً.

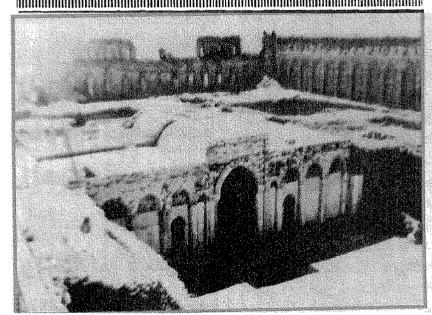
أما قصير عمرة فلقد كان أحد الأبنية المحاطة بسور يمتد إلى ٥٠ متراً طولا و٢٥ عرضاً ويتضمن غرفاً واصطبلات، ثم بناء حمام مازال بحالة جيدة هو كل ما تبقى اليوم من قصير عمرة، ويتضمن القسم البارد والدافيء والحار، وفيه أنابيب لمجرى البخار، ومغطى بقبوات طولانية وقباب دائرية ذات طراز رافدي وقد زينت الجدران الداخلية بالصور التشبيهية، ويرجع بناء هذا القصر إلى عهد الوليد بن عبد الملك.

أما قصر المشتى الذى يعود الى (عهد الوليد الثاني) فلقد نقلت واجهته الرائعة الى متحف برلين.

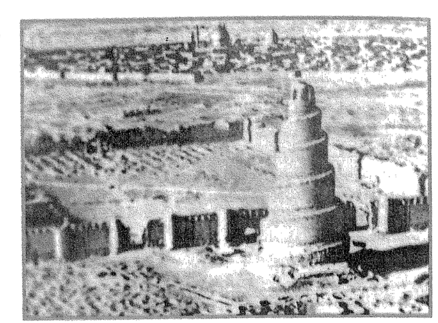
أما قصر خربة المفجر فهو يمتاز بالزخرفة المحفورة على الحجر أو على الجص وبالفسيفساء. ويسمى قصر هشام.

فى منطقة جبل أسيس التي تبعد ١٠٥ كم جنوب شرقي دمشق، يقع قصر أموي وحمام وجامع تم اكتشافها منذ عام ١٨٠٥، وتوسع التنقيب فيها عام ١٩٦٢ إذ تأكد أنها عمارة أموية صرفة ترجع إلى عهد الوليد بن عبد الملك، أما القصر فهو يشبه قصر الحير، له ثماني أبراج ومدخل ذو دهليز حجري وغرف محيطة من الداخل على طابقين. وقد بدت واجهة الصحن مؤلفة من صفين من الأقواس الأعلى يقوم على أعمدة ملساء ذات تيجان منقوشة بأوراق الكرمة ويصل بين الأعمدة صلب مزخرف، أما الأقواس السفلى فمرتكزة على مساند أو أنها أكواس على شكل

المسجد الكبير في القيروان امتاز بتزيينات مثيرة في محرابه ومنبره



قصر الأخيضر ٧٧٨م/ العراق



جامع المتوكل في سامراء العراق مع مئذنته الملوية ٨٤٨م – ٨٥٢م

نعل فرس مزخرفة وتقوم على أعمدة ملساء. ولقد أقيم القصر بالحجارة المكسوة بالجص من الخارج، ومن الداخل زينت الجدران بالتصوير المجرد الزخرفي الملون وغير الملون، كما عثر على لوحات مكتوبة بالخط الكوفي.

العمارة في العصر العباسي :

المدن: أهم المدن العباسية هي بغداد (هبة الله بالفارسية) بناها المنصور عام ٧٦٢ ولها سوران، الخارجي مستدير وقطره نحو ٣ آلاف متر وله أربعة أبواب وفي وسطها بني قصر المنصور (قصر الذهب) ثم مسجد المنصور، ثم أقطع قواده أراضي للبناء خارج الأسوار. ثم أمر المنصور ببناء الرصافة لابنه المهدي وجعل فيها ثكنات الجند، ثم بنى الكرخ جنوب بغداد عام ٧٧٣م. وبلغت بغداد ذروة مجدها في عهد الرشيد والمأمون.

ومن القصور المشهورة قصر الأخيضر الذي بناه أحد أقرباء الرشيد عام ٧٧٨م وهو شبيه بقصر المشتى في مخططه.

سامراء: بناها المعتصم شمالي

من أهم المنشآت العربية في الأندلس جامع قرطبة الذي يظم الصحن والحرم

بغداد عام ٨٣٥م وبنى فيها قصراً ومسجداً ومئذنة ملوية. ولقد فتحت فيها الشوارع وأنبتت الأشجار وبقيت العاصمة حتى عام ٨٩٩م. ولقد بنى المعتصم في سامراء قصر الجوسق الخاقاني عام ٨٣٦م أو قصر الخلفاء. كما بنى المتوكل قصر بلكوارا ٨٤٩م وبنى المعتمد فيها قصر العاشق.

اتسمت العمارة العباسية بالطابع الرافدي المحض الذي تبلور بالأسلوب الفارسي، وهكذا فإن المئذنة (الملوية) في سامراء هى اقتباس جلي لمفهوم الزيقورات عند الرافديين الساميين. ونجد نفس التأثير في القاهرة في مئذنة جامع ابن طولون (٨٧٦ ـ ٨٧٨م).

أما في شمالي افريقيا (تونس) فلقد جدد الأغالبة عام ٨٣٦ المسجد الكبير في القيروان والذي امتاز بتزيينات مثيرة رائعة. وخاصة في محرابه ومنبره الشهير.

العمارة الفاطمية :

في عام ٩٦٩م أرسل المعز لدين الله الفاطمي من القيروان قائده جوهر الصقللي للاستيلاء على مصر، وهناك بنى القاهرة، وأحاطها بسور من اللبن له سبعة أبواب من أشهرها باب زويلة وباب النصر. وفي عام ٩٧٢ تم بناء جامع الأزهر الذى أضيفت إليه زيادات كثيرة، وفي صحنه عقود منكسرة محمولة على أعمدة من الرخام تعلوها من الجهة الشرقية قبة صغيرة حلي باطنها بمجموعة من الزخارف والكتابات الكوفية. وللجامع ثلاث مآذن إحداها مزدوجة الرأس. وأصبح الأزهر اليوم جامعة.

وفي عام ١٠١٣م تم بناء جامع الحاكم من الآجر وعقوده مدببة تقوم على أكتاف تبرز منها أعمدة صورية وله مئذنتان من الحجر وهو مزين بالزخارف والخطوط الكوفية.

وعدا ذلك أقيم في مصر في العهد الفاطمي جامع الجيوش ، والمشهد الحسيني ١١٥٤م، والجامع الأحمر، وذلك عدا المدارس، كمدرسة الوزير رضوان ١٣٧م والوزير العادل ١١٥٣م. ومن القصور الفاطمية قصر العزيزة ١١٥٤م وقصر القبة.

وأقام الفاطميون جامع المهدية في تونس.

العمارة الأندلسية :

من أهم المنشآت العربية في الأندلس جامع قرطبة الذي ابتدأ ببنائه عبد الرحمن الداخل عام ٧٨٥ وقد أجريت عليه عدة اضافات فيما بعد، ويضم الصحن والحرم ذا

الأعمدة والأقواس المركبة. ثم اقيمت قبة فوق المسجد في القرن العاشر. ولقد أوحى هذا المسجد الي المرابطين والموحدين ببناء المسجد الكبير في الجزائر عام ١٠٩٦ والمسجد الكبير في تلمسان ١١٣٦ ومسجد الكتبية في مراكش (القرن السابع). وكانت مآذن هذه المساجد تماثل مئذنة الجيرالدا في اشبيلية هذه المئذنة المربعة التي أخذت عن المآذن السورية ذات الأصل الرافدي.

وتبقى مدينة الزهراء من ألمع المنشآت المدنية الأندلسية، وهي قصر ملكي أقامه عبد الرحمن الثالث مليئ بالتزيينات المجردة المستوحاة من العناصر النباتية والهندسية ذات الأصل العربي السوري والتي انتقلت عن طريق شمالي افريقيا.

وخلال حكم المرابطين والموحدين، ظهر الفن الاسباني المغربي Hespano Mou-resque بجمالية جديدة بدت في الخطوط اللينة التي زخرفت جامع الكتبية حسان في اشبيلية أو جامع في الرباط ، وظهرت بصورة عامة في جميع المآذن الموحدية.

العمارة السلجوقية :

منذ القرن الحادي عشر تسلم السلجوقيون الحكم في أصفهان ثم امتدوا الى الأناضول وسورية ومن أشهر سلاطينهم ملكشاه (١٠٧٢ - ١٠٩٢) وكان وزيره نظام الملك قد اهتم بالمدارس التي ارتقت الى مستوى الجامعة والمخصصة لتعليم الفقه والعلوم الطبيعية.

كان طراز عمارة المساجد في بدايته عباسياً في فارس، ثم ظهرت عمارة المدارس وهي مؤلفة من ايوان ثم من قاعات ودهاليز، ثم ظهرت المساجد والمدارس التي تضمنت أربعة أواوين، وغالباً ما كانت تحوي مقصورة وهي جناح من الخشب أو من الحجر ومثالها مقصورة جامع أصفهان. أما المآذن فأصبحت أسطوانية وبدت المقابر على شكل صالة مربعة ذات قبة أو غطاء هرمي وتدعى (تربة).

وشاع الرقش بأشكال آدمية وحيوانية في ديار بكر (آمد) والموصل وبغداد وقونية، وفي جامع نور الدين بالموصل محرابان من صنع (مصطفي البغدادى - ١١٤٨) وفيهما زخرفات وكتابات عربية هى نموذج عن الرقش السلجوقي. وفي باب الطلسم في بغداد نقش يمثل الخليفة جالساً.

العمارة المملوكية :

بعد سقوط الفاطميين في مصر وإنهاء اسرة الأيوبيين، ظهر في القرن الثالث عشر المماليك الشركس والأتراك الذين اهتموا بالعمارة فتركوا كثيراً من المباني



قلعة قايتباي الاسكندرية من العصر المملوكي

منها جامع السلطان بيبرس وجامع قلاوون وجامع مدرسة السلطان حسن وجامع قايتباي وقلعة قايتباي في الاسكندرية (١٤٧٢)٠ وفي دمشق جامع المؤيد، ويلبغا، وتنكز، والأفرم والتيروزي، ومنجك وغيرها٠

وكثرت القناطر والقباب العالية والمآذن ذات القاعدة المربعة والبدن المضلع والقمة المحدبة، كما ازدانت القباب والمآذن من الخارج بزخرفة بارزة ذات عناصر مجردة٠ وتحلت الجدران أحيانا بالرخام المشقف أو الأحجار الملونة أو بالميناء٠

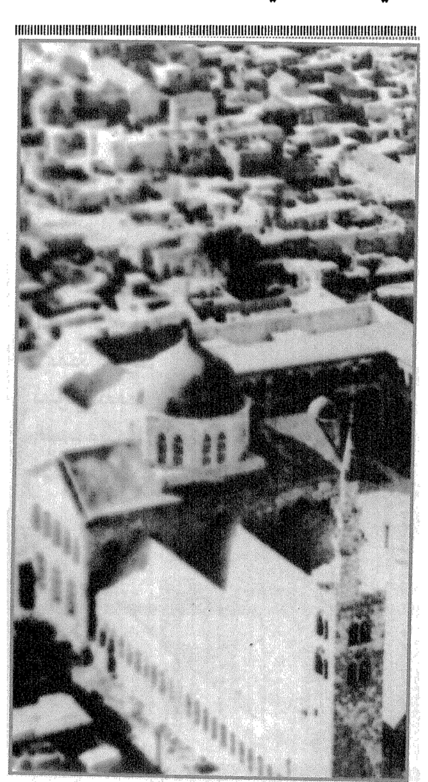
العمارة العثمانية :

قامت الامبراطورية العثمانية منذ أن أعلن عثمان عام ١٢٩٠ سلطانه على الأناضول٠ وعندما فتح محمد الثاني القسطنطينية عام ١٤٥٣ كان البحر المتوسط قد أصبح بحيرة تركية، وتوحد العالم الاسلامي باستثناء ايران وباكستان تحت سيطرة الأتراك٠

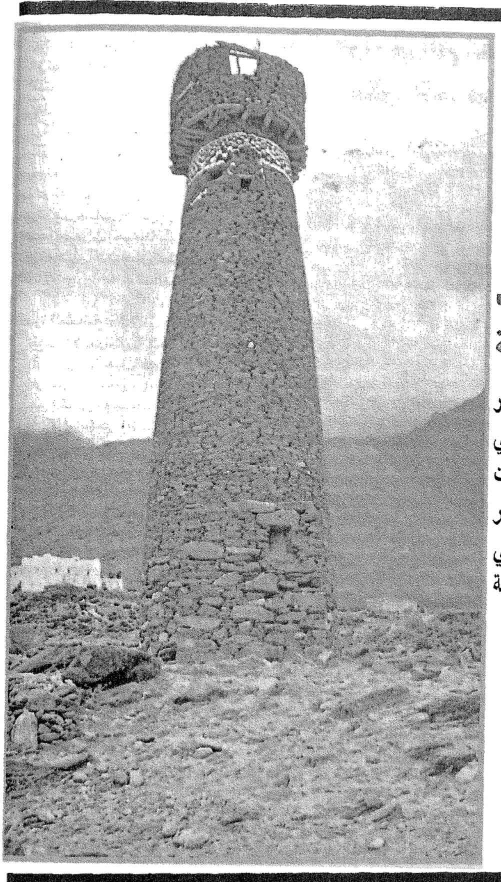
أقام العثمانيون الجوامع والمدارس والمدافن، ومن الجوامع الأولى الجامع العام في بورصة، والجامع الأخضر الذى أقامه محمد الأول ١٤١٩ ٠ ويعتبر المعمار سنان (١٤٩٠ ـ ١٥٨٨) من أبرز المعماريين الأتراك ولقد أقام خلال حياته الطويلة ما يقرب من اثني عشر بناء ووضع ما ينيف عن مائة مخطط٠ ومن روائع عمارته السليمانية ومسجد بايزيد الثاني ومسجد الفاتح ومسجد شهزاد في استانبول٠

ومن الجوامع الشهيرة الجامع الأزرق أو الأحمدية الذى أنشأه المعمار محمد آغا للسلطان احمد الأول ومن أروع القصور التركية في استانبول قصر طوب قابي Top-kapu Serai الذي ابتدئ بإنشائه عام ١٤٥٩.

مدينة الزهراء من ألمع المنشآت الأندلسية وهي قصر ملكي أقامه عبدالرحمن الثالث

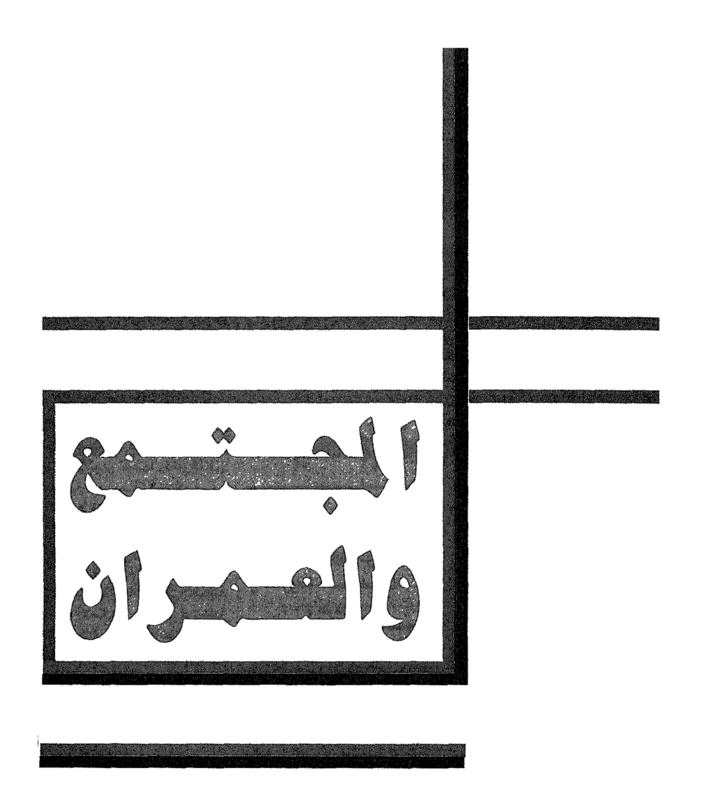


الجامع الأموي في دمشق في عهد الوليد بن عبدالملك



شواهد معمارية

جنوب خيبر البناء الطبيعي لأعمدة البازلت نموذج للمعمار القديم في شمال المملكة


المجتمع
والعمران

التحكم في استعمالات

بقلم الدكتور:
صالح بن علي الهذلول
وكيل وزارة الشئون البلدية والقروية لتخطيط المدن
- الرياض -

أسس العرب المسلمون عددا من المدن منذ هجرة النبي محمد ﷺ إلى المدينة المنورة. وقد صنفت هذه المدن الجديدة وفقا للوظائف التي كانت تؤديها وقت تأسيسها كالعسكر والفسطاط، والمدينة المحصنة أو الرباط، والمدينة الأميرية، والمدينة المقدسة كما استولى المسلمون على الكثير من المدن القائمة العامرة. ولقد أوضح الدارسون للنمط العمراني للمدن الاسلامية وتنظيمها ان هذه المدن تتشابه في كافة أرجاء العالم الاسلامي سواء منها ما أسس بعد الاسلام أو ما استولى عليه المسلمون من مدن قائمة. واشاروا الى الأحياء السكنية المسورة القائمة بذاتها، وإلى نظام البوابات التي تغلق هذه الأحياء اثناء الليل ، وإلى عدم وجود ساحات مفتوحة أو ميادين ضمن المدينة بوجه عام وضمن الأحياء السكنية بوجه خاص وإلى وجود الشوارع والممرات المتعرجة والضيقة للغاية ، كما أشاروا إلى المنزل الإسلامي الذى يوجه بعيدا عن الشارع ويطل على فناء داخلي. وقد عزوا أوجه الشبه هذه إلى عدة أسباب. حيث نسبوا تنظيم المدينة إلى أحياء سكنية الى المدن الاصلية للجيوش الاسلامية التي تكونت من قبائل عربية وكان لكل قبيلة حي سكني خاص بها.

كما عزوا ترتيب المنزل الاسلامي الي حاجة السكان للحصول على اقصى حد من الخصوصية. ولكنهم المحوا الى دور التشريع الاسلامي في تبرير نمط الشوارع والأشكال الحضرية والتحكم في استعمالات الاراضي.

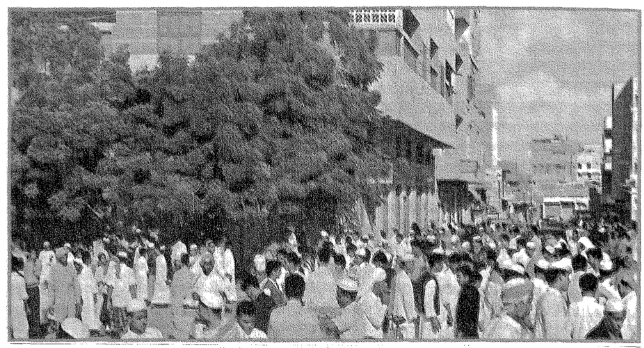
وسنتطرق في هذا البحث لدور التشريع الاسلامي في توجيه استعمالات الاراضي والتحكم بها في المدينة الاسلامية ونركز على الاسواق ، مواقعها وتنظيمها ، والمناطق السكنية والصناعية وعلاقة بعضها ببعض.

أ) الأسواق - مواقعها وتنظيمها :

بدلا من ان نتعرض للاسواق في مختلف انحاء العالم الاسلامي سنتتبع بايجاز نشأتها وتطورها في المدينة العربية الاسلامية. وبالتحديد في المدينة المنورة ومدن الامصار وبغداد وسامراء. وسنحاول أن نلقى بعض الضوء على أصل ونشأة انماطها التي ظهرت بها فيما بعد في المدينة العربية الاسلامية. ونبحث في مبدأ اختيار موقع معين للاسواق داخل المدينة ، ثم نتابع ظهور القيصرية أو السوق المغطى ونشأة المناطق المتخصصة في السوق كما نحاول ايضاح المباديء التي دعت الى تحديد الاستعمالات المتخصصة داخل السوق.

لقد كان الرسول الكريم ﷺ أول من قام باختيار وتحديد موقع معين للسوق في المدينة المنورة حيث قام باختيار بقيع الزبير المجاور للمسجد كموقع للسوق، ثم اعترض كعب بن الاشرف ونقله ﷺ الى موقع آخر يعرف اليوم فى المدينة المنورة بالمناخة. وقد روى عنه ﷺ عند تحديده لموقع السوق قوله «هذا سوقكم، لا تتحجروا ، ولا يضرب عليه الخراج» وظل السوق في المدينة المنورة في موقعه دونما بناء الى عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١هـ/ ٦٦١م - ٦٠هـ/ ٦٨٠م). واتبع النمط ذاته في مدن الامصار حيث عمد الى اختيار مكان السوق في كل مدينة من مدن الامصار الثلاث وهى الكوفة والبصرة والفسطاط فى المناطق المحيطة بالمسجد أو القريبة منه. وكانت الاسواق فى عهودها الأولى فى مدن الامصار تترك مكشوفة دونما بناء. وروى أن أول بناء للاسواق في مدينة الكوفة كان في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ/ ٧٢٤م - ١٢٥هـ/ ٧٤٣م) وفي الفسطاط بدأ بناء الاسواق في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥هـ/ ٦٨٥م - ٨٦هـ/ ٧٠٥م)(١).

ظهرت الاسواق المسقوفة أو القيصرية أول ما ظهرت في المدن العربية الاسلامية في المدينة المنورة. اذ روى بأن معاوية بن أبي سفيان قام بتشييد مبنيين في منطقة السوق عرفا بدار القطران ودار النقصان ، وكانت تستوفي الضرائب من شاغليها. ثم ظهرت بعد ذلك في الفسطاط حيث روى بأن والى عبد الملك بن مروان في مصر قام ببناء عدة قيصريات من بينها قيصرية العسل وقيصرية الحبال وقيصرية الكباش وقيصرية البز. وكان للقيروان ، التي اسست في زمن معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠هـ - ٦٧٠م ، سوق مسقوف بنهاية القرن الاول (بداية القرن


الصورة تجمع بين المناطق السكنية والسوق وتجمعات المتسوقين

الأراضي في المدينة الإسلامية

الثامن). ويروى البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) أنه كان في القيروان سوق مجاور للمسجد من جهة القبلة وكان له سقف حوى جميع الحوانيت والحرف، ولم يذكر شيئا عن زمن بنائه لكنه يشير الى تعرض سقف السوق لبعض العطب وان هشام بن عبد الملك قد أمر بتجديده في عام ١٠٥هـ/ ٧٢٤م(٢).

وتشير الامثلة السابقة التي سقناها المدينة المنورة والفسطاط والقيروان الى ان الاتجاه الى بناء الاسواق المسقوفة في المدن العربية الاسلامية يعود الى بداية عهد الدولة الاموية، لكن يبدو أن النزعة الى تشييد الاسواق المسقوفة وصلت ذروتها في فترة حكم هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ/ ٧٢٤م- ١٢٥هـ/ ٧٤٣م) حيث قام بتنفيذ برنامج انشائي هائل من الاسواق في المدينة المنورة وفي مدن الامصار وقد تم تجديد سوق القيروان المشار اليه آنفا في السنة الاولى من حكمه. وفي الفسطاط قام ببناء قيصرية كبيرة سميت قيصرية هشام، الا ان الكوفة والمدينة المنورة قد استحوذتا على اكبر المشروعات. **ففي الكوفة كان خالد القسري والي العراق في زمن هشام بن عبد الملك اول من بني وسقف الاسواق وخصص لكل نشاط تجاري دارا بمدخل مستقل لها كما استوفي الضرائب على الاسواق. وفي المدينة المنورة اخذ هشام بن عبد الملك بنصيحة عامله عليها، وقام ببناء منطقة السوق بكاملها، وقد عرفت فيما بعد بدار هشام. وكانت مجاورة للمصلى وامتدت شمالا حتى ثنية الوداع.** ويشير ابن زبالة ان دار هشام حجبت جميع المساكن والساحات في الجزء الغربي من المدينة المنورة. وقد عمد الى توفير ممرات داخلها ببوابات تفضي الى الاحياء والى الشوارع والأزقة. ويورد ايضا ان بعض الازقة كانت لها أبواب تغلق وقت الحاجة. وأن الدار شيدت على شكل بيوت وتكونت من دورين، الارضي حوانيت كانت تؤجر على التجار والعلوي تؤجر لاغراض السكن. كما يورد ابن زبالة أيضا أن هشام بن عبد الملك كرر الاسلوب ذاته في سوق بقيع الزبير المفتوح حيث اعيد بناؤه وشيدت لازقته بوابات تقفل ليلا وجرى تأجيره بالكامل(٣).

ويبدو أن ظهور المناطق المتخصصة داخل السوق لكل نوع من البضائع قد بدأت قبل بداية بناء الاسواق المسقوفة واشتراك الدولة فى بنائها . ويمكن ان يكون للاسماء التي اطلقت على القيصريات التي بنيت في مدينة الفسطاط في عهد عبد الملك دلالة على نوعية الانشطة التجارية التي

كانت تزاول داخلها برغم عدم ورود ذكر صريح بهذا الشأن. أما في حالة سوق الكوفة فقد ورد صراحة قيام عاملها خالد القسري لدى تشييده لمبنى السوق بتخصيص دار ذات مدخل مستقل لكل نوع من انواع التجارة كذلك اشتملت اسواق بغداد وسامراء على مناطق تجارية متخصصة، حيث ورد بأن الخليفة المنصور لما قرر نقل الاسواق من المدينة الدائرية والشرقية الى الكرخ طلب ان يؤتى له برقاع عريض أوضح عليه مخطط السوق، وأفرد لتجار كل سلعه جانبا خاصا بهم. وفي وصفه لمناطق أسواق الكرخ يورد اليعقوبي بأنه كانت لكل سلعة معينة أو خدمة زقاقا محددا تعرف فيه. كما لا تختلط مجموعة أو تجارة باخرى او يباع نوع من السلع مع آخر. ويشير الى فصل حوانيت الحرفيين عن بعضها في منطقة السوق اذ كان لكل حرفة زقاقها. كما يذكر اليعقوبي أن اسواق سامراء أنشئت حول المسجد الكبير بأزقة عريضة كل منها لتجارة معينة منفصلة عن الاخرى على غرار تنظيم أسواق بغداد(٤).

وفي الوقت الذي أسست فيه مدينة سامراء، في بداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كان نظام الاسواق المسقوفة بمناطقها المتخصصة قد اصبح تقليدا مميزا في المدينة العربية الاسلامية. وكانت هذه الاسواق تنشأ إما من قبل الدولة دفعة واحدة كما هي الحال بالنسبة لبناء اسواق الكوفة وبغداد ، أو انها كانت تبنى تدريجيا من قبل الافراد كما حدث في سوق المدينة المنورة بعد هدم وازالة دار هشام، أو سوق الفسطاط الذي قامت الدولة ببناء اجزاء منه على مراحل مختلفة واقام الاهالي في الارجح اجزاءه الاخرى. ويرجح أن نظام بناء الاسواق هذا قد وجد لتأمين دخل ثابت للدولة وللمدن. ففي العهد الاموي، خصوصا في زمن هشام بن عبد الملك ، أقيمت برامج هائلة لبناء الاسواق، أشرنا اليها سابقا، وكانت تؤجر على التجار في عدة مدن. وفي حالات اخرى كانت تجبى الضرائب من التجار ايضا، وهو ما كان عليه الحال في بغداد اذ فرض المهدي ضرائب على اسواق الكرخ عقب وفاة المنصور (٥).

ظهرت الأسواق المسقوفة لأول مرة في المدن العربية والإسلامية

المحتسب :

وعندما أخذت الدولة والمدن تنظر الى الاسواق كمصدر للدخل استوجبت الاوضاع تكوين أداة ادارية مهمتها تولى الاشراف على شئون تنظيم الاسواق وضمان استمرارية تدفق الدخل. وكان أن وجدت مثل تلك الاداة في صاحب الحسبة (المحتسب) وهو منصب ديني نشأ في زمن الرسول ﷺ ، حيث كان المحتسب يعني بشكل رئيسي بالاشراف على جودة السلعة وضمان ممارسة معاملات البيع والشراء في السوق وفقا لمباديء وتعاليم الاسلام (٦). وقد أخذت أهمية هذا المركز بالتنامي مع نمو نظام الاسواق المتخصصة في المدينة العربية الاسلامية.

وسرعان ما اخذت أحكام وشروط الحسبة تحدد في رسائل ثم تحولت الى دلائل عمل توضح للمحتسب كيفية أداء واجباته ومسئولياته. وأقدم ما كتب في هذا الموضوع دليلان كتبهما السرخسي (ت٢٨٦هـ/ ٨٩٩م) الذي شغل منصب الحسبة في بغداد في زمن المعتضد (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م - ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م). وقد اشتملت دلائل الحسبة على مجموعة من تنظيمات ولوائح وتقسيمات المناطق واستعمالات الاراضي للمدينة العربية الاسلاميه. ويبدو ان هذه النظم استخلصت من عرف قائم مسبقا تطور بالطريقة التى أوردناها آنفا.

تنظيم الأسواق :

وفي معرض النظر في تنظيم الاسواق يقول الشيزري (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، إن على المحتسب أن «يجعل لاهل كل صنعة منهم سوقا يختص بهم، وتعرف صناعتهم فيه، فإن ذلك لقصادهم أرفق، ولصنائعهم أنفق. ومن كانت صناعته تحتاج الى وقود نار، كالخباز والطباخ والحداد ، فالمستحب أن تبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازين ، لعدم المجانسة بينهم وحصول الاضرار»(٨).

ويظهر ان التنظيم المتتابع للانشطة التجارية المتعددة في منطقة السوق نشأ من مفهوم التماثل وفكرة تجنب ما من شأنه الحاق الاذى والضرر بالآخرين. كما ان عملية تجميع الحوانيت التي تتجر بنفس السلع سهلت على المحتسب مهمته في مراقبة جودة البضائع والسلع وجباية الضرائب ووفرت لاصحاب الحوانيت مجالا واسعا لتنظيم انفسهم ومراقبة تجارتهم. وكما يشير الشيزري كان في ذلك الترتيب للاسواق سهولة ويسر للمشترى لان يتسوق ويبحث

عن احتياجاته في مكان واحد. **وتستخدم كتب الحسبه مبدأ الحاجة كعامل أساسي في تحديد موقع السلعة بالنسبة للمدينة. فتنص هذه الكتب على وجوب نقل المنتجات والحرف التي لا يوجد عليها طلب رئيسي في منطقة السوق اما الى خارج السور أو الى مواقع في المدينة يسهل قصدها لمن يحتاجها على الا يكون في ذلك ضرر أو عرقلة للمارة. فالحطب مثلا ينبغي بيعه في مواقع معينة. وكذلك الجص والسلع المماثلة تباع جميعها في مواضع يعرفها الناس جيدا ويقصدها من يحتاج اليها(٩). كما تنص كتب الحسبه ايضا أن على المحتسب التأكد من توزيع وتفرق الخبازين في المحال واطراف البلد لما فيهم من المرافق وعظم حاجة الناس اليهم(١٠).**

وهناك مواضيع أخرى تتناولها كتب الحسبه بالتخصيص لما تنطوي عليه من الحاق الاذى بالناس اما بسبب رائحة كريهة تصدر منها أوساخ لا يمكن تلافيها كذبح الماشية وتنظيف السمك. «أما القصابون فيمنعهم المحتسب من الذبح على أبواب دكاكينهم فانهم يلوثون الطرق بالدم والروث ... فإن ذلك تضييقا للطريق واضراراً بالناس بسبب ترشيش النجاسة، بل حقه ان يذبح في المذبح»(١١). «يجب أن يكون سوق السمك بمعزل عن الطريق العام تفاديا لرائحته المنفره». كما يجب على المحتسب أيضا أن يمنع الصباغين من اقامة افرانهم على الطريق لما في أدخنتهم من أذية واضرار على السالكين»(١٢).

مما سبق يمكن تحديد ثلاثة مبادىء تعتبر اساسا للتنظيم المتعلق بموقع السلع والبضائع والخدمات في الاسواق.

الاول وهو: مبدأ التماثل وقد طبق على تنظيم السوق وتخصيص اماكن للسلع المتشابهة قرب بعضها البعض.

الثاني وهو: التكرار النسبي لحاجة الناس الى سلع معينة ولزوم توافر تلك الانشطة التي توفر مثل هذه السلع حيث كان لذلك تأثيره في اختيار مواقع تلك الانشطة.

اما المبدأ الثالث: المتمثل في تجنب الاذى والضرر، فكان المحدد لمواقع كافة المهن والحرف النافثة للدخان أو الباعثة على الروائح الكريهة. وقد

معاوية بن أبي سفيان عمد إلى اختيار الأسواق في المناطق المحيطة بالمسجد أو القريبة منه

ساعد هذا المبدأ مع مبدأ التماثل في تقريب تلك السلع والحرف التي يصدر منها أذى أو ضرر من بعضها البعض في الاسواق.

ب) المناطق السكنية والصناعات :

كان مبدأ التسبب في الاذى والضرر الوارد سابقا حاسما في تحديد مواقع الصناعات وعزلها عن المناطق السكنية في المدينة. وقد قام الفقهاء بتنظيم هذا المبدأ وتطوره معتمدين في ذلك على قول الرسول ﷺ «لا ضرر ولا ضرار» ويقسم فقهاء المذهب المالكي الضرر الى قسمين: قديم ومحدث ، ويتفقون على وجوب ازالة مصدر الضرر المحدث، أما ما كان قديما فيقسمونه الى فرعين كذلك: الاول ضرر قائم قبل تنمية الملكيات المجاورة له، وتحكم له جمهرة الفقهاء بالاستمرار لانه ضرر دخل عليه، أما الفرع الثاني فيرتبط بالانشطة التي اقيمت عقب تنمية الملكيات المجاورة له واستمر فترة طويلة قبل أن يعترض الجيران على إقامته. ولوضع كهذا ضربان من الحكم في رأي الفقهاء: فان كان الضرر الواقع بالغا كدخان منبعث من موقد نار حمام أو كير حداد أو غبار ناجم عن درس حنطة أو رائحة منفرة صادرة عن مدبغة فلا يجوز استمراره وما كان ضرره طفيفا أو لازما لاجتلاب رزق كدخان ينبعث من تنور منزل أو مطبخه فينبغي القبول باستمراره وعدم منعه(١٣).

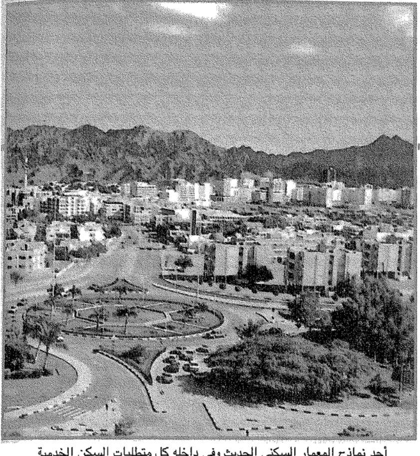
ولتوضيح ذلك نورد هنا حالتين افتراضيتين احداهما في رجل أراد أن يتخذ حماما أو فرنا في عرصة له الى جانب دار قوم، وقد سئل ابن القاسم أيكون لهم أن يمنعوه في قول مالك؟ فأجاب: إن كان مما يحدث ضررا على الجيران من الدخان وما أشبهه فلهم أن يمنعوه من ذلك(١٤). والحالة الفرضية الأخرى ايضا ما سئل عنه ابن القاسم في حداد اتخذ في العرصة المشار اليها كيرا أو اتخذ فيها افرانا يسيل فيها الذهب والفضة أيمنع من ذلك؟ قال: «نعم، كذلك قال مالك - رحمه الله - في غير واحد من هذا في الدخان وغيره». ولكن حين سئل ابن القاسم: «هل ترى في التنور ضررا في قول مالك؟ قال: ما سمعت من مالك فيه شيئا ، وأرى التنور خفيفا» (١٥).

لقد بحث الفقهاء المسلمون مصادر الضرر من دخان ورائحة وضوضاء واهتزاز بشكل موسع، فدرسوا انواع مصادر الضرر ونشأتها وضرورتها لاجتلاب ارزاق ومعايش لاصحابها. وسنتتبع ذلك ونوضح وجهة نظرهم وآرائهم فيه ومدى انعكاسه على استعمالات

الاراضي بالمدينة العربية الاسلامية.

١ - الدخان (١٦) : اعتبر الدخان بكافة أنواعه مجلبا للضرر لورود نص قرآني يشير اليه على انه «عذاب اليم» قال تعالى: **«فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم»** (سورة الدخان الآيات ١٠، ١١).

وقد عولجت الحالات الخاصة بذلك قديما والمحدث في كتب الفقه بشكل مستفيض. فالدخان المنبعث من مصدر قديم نوعان: «خان تنور أو مطبخ وما شابه، وهذا يجوز استمراره للضروره، ودخان مواقد الحمامات وأفران صهر المعادن وما شابهها ويقضى بمنعه(١٧). ومثله الطواجين التي ذكرها ابن الرامي والتي كانت تستخدم لغلي الشعير في الاسواق والدور في زمنه في تونس ، حيث يذكر، أن جماعة تظلموا الى القاضي ابن عبد الرفيع (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) بشأن هذه الطواجين فكلف القاضي أهل النظر، ومن ضمنهم ابن الرامي، بالنظر فيها، فكتبوا في وثيقة: «ان دخانها كثير مضر بالجيران» فأمر القاضي بقطعها. والحكم بشأن مصادر الدخان المحدثة أو تلك التي لم يتم الاعتراض عليها في حينها ، كدخان الحمامات والافران ونتن دباغ الدباغين، حسب رأي ابن عبد الرفيع «أن يقال لاهله اقطعوه والا فتحتالوا له حتى لا يضر بمن جاوركم، سواء أكان قديما أم حديثا، لان الضرر في مثل هذا لا يستحق بالقدم» (١٨).



أحد نماذج المعمار السكني الحديث وفي داخله كل متطلبات السكن الخدمية

«المحتسب» منصب ديني.. يشرف على جودة السلعة وممارسة البيع والشراء وفق تعاليم الإسلام

واذا كان الفقهاء قد اتفقوا على حق جواز استمرار مصدر الضرر القديم فما الحكم في صاحب مصدر دخان ان اراد اقامة مصدر جديد في نفس المكان أو عمد الى توسعه مصدر الضرر القديم؟ يشير ابن الرامي ان هذه نزلت لديهم في تونس حيث كانت لرجل كوشة فيها بيت نار واحده، فأراد صاحب الكوشة أن يحدث بيت نار أخرى في الكوشة، وأن يخرج دخانها في المدخنة التي لبيت النار الاولى فمنعه الجيران، وقالوا: احدثت علينا دخانا غير الدخان القديم، فارتفعوا للقاضي ابن القطان، فسد عليه بيت النار المحدثة (١٩).

٢ - الرائحة : الاصل في منع الروائح الكريهة قوله ﷺ «من اكل من هذه الشجرة فلا يقرب مسجدنا يؤذينا بريح الثوم» (٢٠). فإذا كان آكل الثوم ينبغي الا يقرب المسجد لانه يزعج وينفر الآخرين برائحته فإنه يمكن قياسا على ذلك الاستنتاج بعدم جواز نشر الروائح الكريهة وما تعافه النفوس في شوارع المدينة واحيائها. وقد سئل مطرف (ت٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) وابن الماجشون (ت ٣١٣هـ/ ٨٢٨م) واصبغ (ت ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م) عن

ظهور المناطق المتخصصة داخل الأسواق لكل نوع من البضائع بدأت قبل بداية بناء الأسواق المسقوفة

الرجل يتخذ مدبغة في داره لدبغ الجلود، فيشتكي جيرانه ضرر الرائحة، فهل لهم منعه؟فقالوا: نعم. ويعتبر ايضا في حكم المسبب للضرر فتح مرحاض أو شق قناة مكشوفة او أي مصدر تنبعث منه رائحة كريهة قرب منزل الجار، اذ قضى ابن عتاب وابن عبد الغفور بوجوب ايقاف مسببات الضرر تلك والزام اصحابها بتغطيتها لازالة الاذى والضرر عن الجيران(٢١).

يروى ابن الرامي واقعة حدثت في تونس في رجل أحدث خلف بيت جاره أروى(٢٢) (زريبة) لدابة صغيرة ، فاشتكي صاحب البيت من الضرر، فكلف القاضي هيئة النظر، ومنهم ابن الرامي، للنظر في ذلك فعاينوه، وأخبروا القاضي أنه محدث فأمر بازالته فطلب صاحب الدابة استئناف الحكم مدعيا أن معاشه على هذه الدابة وأن ليس له غني عنها. وطلب من القاضي ان يأذن له بالاستفهام من أهل المعرفة فيما يمنع الضرر عن جاره. يقول ابن الرامي «.. فأمرناه ان يحفر اساسا فينزل فيه قدر القامه خلف الحائط الذى هو صدر البيت ويرفع في حقه حائطا من تحت وجه الارض بخمسة أشباروبكون عرض الحائط شبرين ، ويجعل بينه وبين الحائط الذي هو صدر البيت نصف شبر ترويحا بين الحائطين ، والترويح الذي بين الحائطين من تحت وجه الارض بخمسة أشبار، الى منتهي السقف، وعرفنا القاضي بما أمرنا به صاحب الدابه، فلما فعل ذلك انقطع الضرر عن صاحب البيت (٢٣).

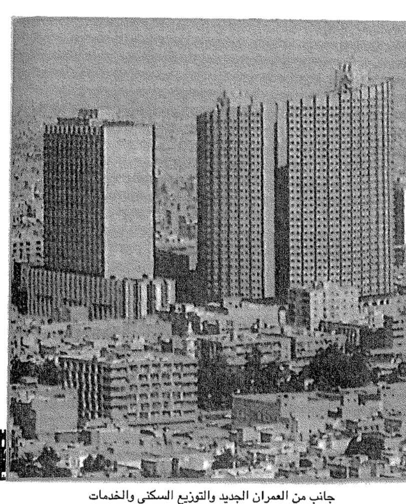
٣ - الضوضاء والاهتزاز : يقسم الضرر الناجم عن هذين المصدرين الى نوعين: أحدهما الاهتزاز وفيه اضرار بالمبنى وخطورة، لذا رأى الفقهاء منعه . يروى ابن الرامي ان جماعة في تونس اقاموا بوابة لزقاقهم تفتح على حائط لعلو رجل فقاضاهم متشكيا من أن تكرار فتح واغلاق البوابة يضر به ويقلق راحته، وبناءا على طلب القاضي حقق ابن الرامي في الواقعة وتأكد بنفسه من اهتزاز الجدار عند كل مرة تفتح فيها البوابة وتغلق فأمر بهدم وازالة البوابة (٢٤).

أما النوع الثاني فهو الضوضاء التي تقلق راحة الناس، وقد اختلف فقهاء المالكية في ذلك حيث لا يرى الاوائل منهم في الصوت أي نوع من الاذى، فمطرف وابن الماجشون واصبغ لا يرون ايقاف الغسال أو الضراب لانزعاج الناس من الضوضاء الصادرة عن عملهم. ويذهب ابن القطان الى أبعد من ذلك اذ لا يرى منع المرء من ضرب الحديد في داره سواء كان ذلك ليلا أو نهارا أن كان معاشه في ذلك (٢٥). في حين يقف الفقهاء المحدثون موقفا مغايرا من ذلك، اذ يرون في الصوت والدوى والضوضاء شيئا من الاذى ينبغي منعه، يذكر ابن الرامي أن قضاة مدينة طليله قضوا بمنع الكمادين اذا استضر بهم الجيران وقلقوا من ذلك لاستماع وقوع ضربهم (٢٦) كما قضى بن عبد الرفيع في تونس بمنع المرء من اقامة اصطبل بجانب منزل جاره لما فيه من الضرر من بول الدواب وحركتها بالليل والنهار، الحركة المانعة من النوم (٢٧) وهكذا يرى الفقهاء المحدثون في الضوضاء نوعا من الاذى ينبغي المنع منه.

يتبين المرء مما اوردنا من حالات تفريق فقهاء المسلمين بين انماط الاستعمالات في المدينة. وحيث ان الفقهاء معنيون بتلبية احتياجات الناس ودفع الاذى والضرر عنهم فقد نظروا الى الاستعمالات من زاويتين: احداهما طبقا لاحتياجات الناس وهى نوعان: تلك التي يتكرر الاحتياج لها وتكون في متناول أيدي الناس في الاسواق أو في داخل الاحياء وتلك التي تندر الحاجة لها، وتكون خارج المدينة. ويمكن ملاحظة ذلك بشكل جلي في المدن العربية الاسلامية، حيث كانت توضع الصناعات التي يندر احتياجها بصفة متكررة كصناعة مواد البناء والمعامل المشابهة خارج اسوار المدينة. هكذا كان الحال في المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م حيث كانت مواقع معامل انتاج مواد البناء والاواني الفخارية متواجدة في الناحية الجنوبية الشرقية خارج بوابة قباء في حين كانت المعامل الاخرى متواجدة خارج بوابة الشامي في الشمال (٢٨).

اما الزاوية الاخرى التي نظر منها الفقهاء الى الاستعمالات فكانت من منطلق التسبب في الحاق الاذى او الضرر، وقسموا ذلك ايضا الى نوعين: نوع مجلب للاذى

أو الضرر وآخر لا ضرر فيه. ومن خلال وضع الصناعات التي يندر احتياجها خارج المدينة، أو السماح باستمرار مزاولة الانشطة المسببة للاذى أو الضرر التي نشأت قبل بناء الملكيات المجاورة لها، أو منع اقامة انشطة مماثلة جديدة لاعتراض الجيران عليها استطاع الفقهاء التوفيق بين مناطق الانماط المحددة للاستعمالات داخل المدينة. وانطلاقا من قاعدة لا ضرر ولا ضرار فهم يعطون الاولوية للنشاط الاصلي سواء أكان سكنيا أم صناعيا اذ بمجرد نشأة استعمال معين يسمح بجوار اقامة الاستعمالات الاخرى شريطة الا تلحق اذى أو ضررا بالاستعمالات السابقة. لكن تجدر الاشارة هنا الى نزعة الفقهاء دائما لترجيح مصلحة سكان المدينة على مصلحة الانشطة الصناعية، فنلاحظ انهم يقضون باستمرار نشاط ما بسبب اسبقيته في النشوء لكنهم يقضون أيضا بعدم أحقيته فى التوسع في تلك المنطقة أو السماح باقامة انشطة اخرى جديدة يعترض عليها الجيران، لان في ذلك زيادة في الاذى والضرر للسكان المجاورين. وهذا ما يفسر الميل السائد لدى الانشطة الصناعية ومواقع الانتاج للانتقال الى مناطق الضواحي والاطراف في المدن العربية الاسلامية حال نموها وتوسعها.


جانب من العمران الجديد والتوزيع السكني والخدمات

الهوامش :

(١) المدينة المنورة : السمهودي، ص ص ٧٤٧ ـ ٧٥٠، وكذلك الفصل الاول، جزء (ب) المدينة والكوفة: اليعقوبي ص٩٦، وللفسطاط: ابن عبد الحكم، ص ص ١١٣ ، ١٣٦، ايضا الفصل الاول، جزء (ب)، الامطار.

(٢) للمدينة المنورة: السمهودي، ص ٧٥٠، وللفسطاط: ابن عبد الحكم، ص ١٣٦، وللقيروان: البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، باريس (١٩١١م) ص٢٥، اشار اليه الجنابي ص١٠٥.

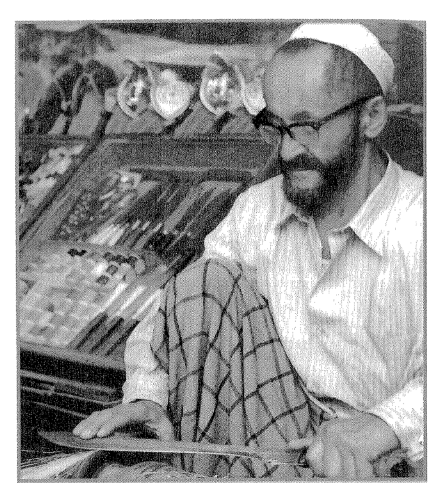
(٣) للفسطاط، ابن عبد الحكم، ص١٣٦، وللكوفة: اليعقوبي، ص٩٦ وللمدينة: السمهودي، ج٢، ص ص ٧٥٠ ـ ٧٥٢، ويروى ابن شبه بأنه لما وصلت انباء موت هشام بن عبد الملك المدينة المنورة في عام ١٢٥ـ/ ٧٤٣م عمد الناس الى هدم داره وأخذوا خشبها وأبوابها وسووها مع الارض في غضون ثلاثة ايام، نفس المصدر السابق ص٧٥٣.

(٤) لسوق بغداد، انظر: الخطيب، ص ص ٧٩ـ٨٠، اليعقوبي، ص١٨، ولسامراء: اليعقوبي، ص ص ٣٢ـ٣٥.

(٥) الخطيب ص٨١.

(٦) الحسبه: هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ظهرت الحسبه في زمن الرسول ﷺ حيث يروى بأنه عين عمر بن الخطاب محتسبا لسوق المدينة، وسعد بن العاص لسوق مكة المكرمة، الكتاني ج١، ص ص ٢٨٤ ـ ٢٩٠ . لمهام ومسئوليات المحتسب راجع الفصل الرابع المحتسب.

(٧) السرخسي، ابو العباس احمد بن محمد بن مروان، (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، غش الصناعات والحسبه الصغير، الاغشاش والصناعات والحسبه الكبير، راجع عواد، الحسبه في خزانة الكتب العربية، مجلة المجتمع العلمي العربي، مجلد ١٨، ورقم ٩ و١٠، ١٩٤٣م، ص ص



هذه الصناعات وأمثالها ينبغي أن تبعد عن أماكن السكن

٤١٧ ـ ٤٢٨، ص٤٢٠.

(٨) الشيزري (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) نهاية الرتبة في طلب الحسبه، الطبعة الثانية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١م، ص ص ١١ ـ ١٢.

(٩) ابن عبدون، (توفي في النصف الاول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبه. في ليفي بروفنسيال - E, levi Provencal) ثلاث رسائل اندلسية في أدب الحسبه والمحتسب، القاهرة (١٩٥٥م) ص ٣٨.

(١٠) الشيزري ، ص ٣٤.

(١١) ابن الاخوه، (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م)، معالم القرية في احكام الحسبه، تحقيق آر ليفي (R.Levy) مع مقدمة باللغة الانجليزية، كامبردج، دار نشر جامعة كامبردج (١٩٣٨م) ص ٩٩.

(١٢) ابن عبد الرؤوف ، (توفي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) رسالة ابن عبد الرؤوف في أدب الحسبه، في ليفي بروفنسيال، ثلاث رسائل ، ص ص ٩٧ ـ ١١١.

(١٣) ابن الرامي، (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م) كتاب الاعلان بأحكام البنيان، الرباط، دار الخزانة العامة، رقم ٨٠٢٨٣٤أ، ص٢٠، قام بتحقيق هذا الكتاب عبد الرحمن الاطرم وقدم كرسالة ماجستير الى قسم الفقه، كلية الشريعة، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ ، ومخطوطة الرباط المشار اليها يبدو أنها اصل النسخة (س) التي يشير المحقق انها مطبوعة على الحجر بمدينة بفاس. وعند الاشارة لهذا المصدر فيما بعد نشير الى ارقام صفحات المخطوطة وليست النسخة المحققة، وقد اوضح المحقق بداية صفحات النسخة س في الهامش. سيرمز له فيما بعد (ابن الرامي).

(١٤) المدونة ، ج١٤، ص ٢٣٥.

(١٥) نفس المصدر، ج ١٤، ص٢٣٥.

(١٦) ابن الرامي، ص ص ٢٠ ـ ٢١.

(١٧) نفس المصدر، ص ٢٠.

(١٨) نفس المصدر، ص٢١، قديم ، هنا لا تعني بالضرورة ان مصدر الضرر كان قائما قبل وجود الانشطة الأخرى وانما استمراره لفترة طويلة قبل ان يعترض الناس عليه.

(١٩، ٢٠، ٢١) نفس المصدر ص ٢١، ٢٢.

(٢٢) أروه ، كما هي مستخدمه هنا يقصد بها ابن الرامي «زريبة» وأروه وجمعها أروية هي انثى الماعز الجبلي:
راجع (ابن منظور) لسان العرب، بيروت ١٩٦٨م، مجلد (١٤) ص ص ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢٣) ابن الرامي ص٢٤، الشبر وحدة قياس تستخدم في المدينة الاسلامية وتختلف من إنسان لآخر وتتروح بين ٢٢ ـ ٢٥ سم تقريبا.

(٢٤) نفس المصدر، ص ص ٢٢، ٤٥.

(٢٥) نفس المصدر ، ص ص ٢٢ ، ٢٣.

(٢٦، ٢٧) نفس المصدر ص ٢٢، ص٢٤.

(٢٨) على بن موسى، وصف المدينة المنورة، كتب عام (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) في:
حمد الجاسر، رسائل في تاريخ المدينة، الرياض (١٩٧٢م)، ص ص ٤٥ ، ٤٨.

تبع حـــركـــة الفـــتـــوحـــات الاسـلامـيـة، الإكـثـار من إنشـاء المدن التى اتسمت بخصائصها الاسلامية ولقد بلغ عـدد المدن المشـيـدة حتى نهاية العصر الأموى ما يربو على الخمس وعشرين مـدينة، التى نذكر منهـا: البـصـرة ، والكوفـة ، وواسط فـى الـعـــراق ، والفسطاط في مصر ، والقـيـروان فـى شمال أفريقيه (١)٠



منظر جوي لمدينة الدوحة

التكدس العمراني وأثره على المدينة الإسلامية عبر العصور

بقلم الدكتور :

محمد محمود الجهيني

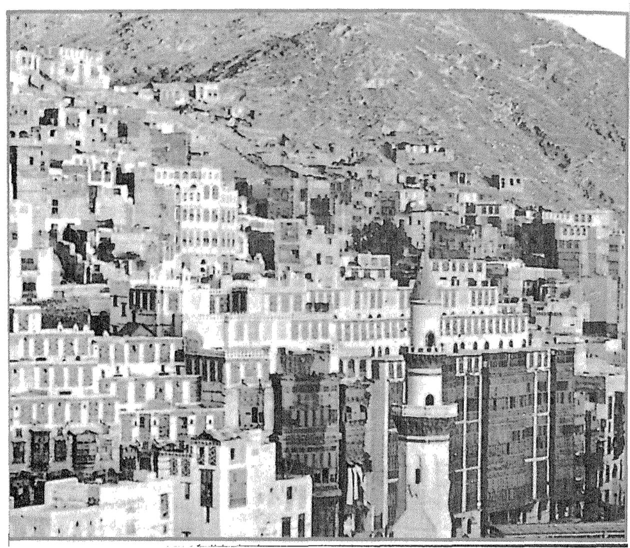
قسم الآثار ـ كلية الآداب بقنا ـ جامعة أسيوط

وسار العباسيون على نفس هذه الخطة العمرانية، فأكثروا أيضاً من إنشـاء المدن الجديدة بجانب تعميرهم للمدن القديمة، فشيدوا: الهاشمية ، وبغداد ، وسامراء فى العراق ، والعسكر والقطائع فى مصر، ورقادة ، وسوسة ، ووهران ، وفاس فى بلاد المغرب ، اما الأندلس فقد شيد بها الكثير من المدن منذ عهد الخلافة الأموية، وحتى سقوطها ، فشيدت على سبيل المثال: قرطبة ، والزهراء ، وغرناطة ، وغيرها ٠ولم تكن هذه المدن تنشأ بهيئة عشوائية، وانما كـان يتم تأسيسـهـا وفق تخطيط مسبق سواء من حيث اختيار الموقع، أو التقسيم الداخلى، أو البناء أو التحصين، فكانوا يقسمون هذه المدن الى احياء أو خطط أو حارات أو حومات، يقطن كل منهـا فـئـة متجانسة من السكان(٢)٠

وبتعاقب العصور تزايد العمران داخل المدينة الاسلامية ـ لاعتبارات عديدة ـ حتى غلبت عليهـا صـفـة التكدس العمراني ، بحيث قلّت مساحات الشوارع، وتفرعت الدروب والأزقة، وارتفعت المبانى، وتعددت طبقاتها ٠والواقع أن هذه السمة التى تتسم بها المدينة الاسلامية وهى صفة التكدس العمرانى، قد ساعد على وجودها خلال العصور المتعاقبة اعتبارات عديدة كما ذكرت، هذه الاعتبارات التى توالت عليها بتوالى العصور قد ساعدت على اكسابها هذه الصفة، وقبل أن نتناول هذه الاعتبارات نتناول فى عجالة سريعة تاريخ عدد من المدن الاسلامية وسماتها التخطيطية ثم نحاول تطبيق تلك السمات على اكثر هذه المدن تكدسا وهى مدينة القاهرة لنتبين الأسباب التى ساعدت على اكسابها هذه الصفة، واثر ذلك عليها عبر العصور٠

الفسطاط :

شيدت الفسطاط بلا أسوار، واعتمد تخطيطها على إنشاء مسجد جامع فى أولها، وخلفه دار الإمارة، ثم أقطع عمرو بن العاص الجند خططاً حول الجامع، فامتدت الخطط من النيل فى الغرب حتى «عين الصيرة» فى الشرق، ومن



مكة المكرمة تحيط بها الجبال، وقد حددت امتدادها السكني

التكدس العمراني وجه الأنظار للخروج من صخب المدينة بإنشاء أحياء أخرى

جبل يشكر فى الشمال، حتى اصطبل عنتر فى الجنوب ، فالتصقت الخطط القريبة من الجامع، ومن قصر الشمع، وهكذا بدت الفسطاط فى القرن الأول الهجرى، ولكن بعد ذلك اتسع نطاقها وغدت واسعة الخطط متلاصقة بما فيها، ثم نشأ عنها مدينة بلغت أوج الكمال حوالى القرن الرابع الهجرى /١٠م(٣) ، حيث اجتمع فيها الصناع وأرباب الحرف والتجارة، واقيمت بها الأسواق مما كان له اثره المباشرفى تكدس العمران داخل المدينة. وإعطاء تخطيطها صفة العشوائية التى صارت بلا ضابط او رابط بفعل عامل التجارة ورغبة السكان فى التواجد بجوار اعمالهم(٤).

العسكر :

وقد ساعد ذلك على الاتجاه الى إنشاء مدينة أخرى جديدة متاخمة للفسطاط فى نهاية العصر الأموى عندما خضعت مصر للحكم العباسى، إذ أن الولاه العباسيين وجدوا فى الفسطاط مدينة عمرانية متكدسة لا تهيئ لهم استقرارا ارستقراطياً بقدر ما تُهيىء لهم توفير احتياجاتهم المعيشية فأنشأوا مدينة العسكر التى خضعت لسكناهم وجندهم ، وبمرور السنين التحمت تلك المدينة بالفسطاط وكونتا مدينة واحدة(٥).

القطائع :

وظلت العسكر على مدى اكثر من مائة وعشرين عاماً مدينة تفيض بالعمران وغدت فى منتصف القرن الثالث الهجرى لا تقوى على الوفاء بمتطلبات العمران بها، نتيجة

التحامها بالفسطاط وانتقال نشاط الفسطاط التجارى اليها، وتوافد الكثير من السكان للسكن بها مما كان له أثره فى تكدس العمران بها، مما ساعد على إنشاء مدينة اخرى جديدة متاخمة شيدها وعمرها احمد بن طولون عندما قدم الى مصر والياً عن الخليفة العباسى ببغداد سنة ٢٥٤هـ(٦) والذى استطاع بعد ذلك ان يستقل بها عن مركز الخلافة، وان تكون مصر فى عهده مستقلة تماماً عن بغداد، هذه المدينة الجديدة التى شيدها احمد بن طولون نتيجة لتكدس العمران فى المدينتين «الفسطاط والعسكر» قد عرفت باسم «القطائع» لانه أقطع مساحات كبيرة منها لخاصته، وعمرت فى عهده المدينة غاية العمارة حتى بلغت حد التكدس، ويكفي للتدليل على ذلك ان ننظر الى مخطط جامع احمد بن طولون الذى شيده فوق جبل يشكر سنة ٢٦٥هـ اذ نتبين منها مدى كبر مساحته التى بلغت بالزيادات التى تعرض لها الجامع الى ما يقرب من ستة أفدنة كاملة على الرغم من وجود جامع الفسطاط (عمر بن العاص) وجامع العسكر. وهكذا قدر للقطائع ان تعمر عمارة زائدة ، وان تتصل فى عمرانها بالعسكر والفسطاط وتكون هذه المدن الثلاث مدينة واحدة عرفت فى مصادر العصور الوسطى باسم «مدينة مصر».

مدينة بغداد :

واذا ما نظرنا الى مدينة بغداد نجد أنها شيدت على هيئة تخالف تخطيط المدن السابقة وهى الهيئة الدائرية، وذلك بأمر من الخليفة أبي جعفر المنصور سنة ١٤٧هـ/ ٧٦٤-٧٦٥م، واتخذ لها سورين خارجين، الداخلى منهما أسمك واعلى وقطاع الحائط فيه مدرج، ولها أربعة مداخل رئيسية محورية،



العمران القديم داخل الأسوار كان أكثر ازدحاماً

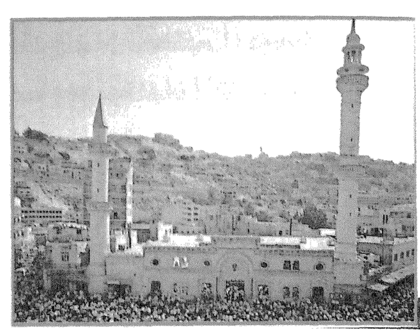
المنشآت الدينية والمدنية في مدينة فاس القديمة ساعدت على تكدس العمران مما تطلب إنشاء مدن جديدة

وزعت بينها الأحياء على السكان، ولقد اتخذت بهذه الهيئة الدائرية توفيراً لنفقات البناء اذ أن محيط قطعة أرض على شكل دائرة أقل من المربع المتساوى فى المساحة بنسبة ١١٫٣٧٪ (٧) وكذلك لبناء عدد اكبر من المساكن والمنشآت الخدمية.

ولقد اتسعت بغداد على جانبى دجلة اتساعاً منقطع النظير، وبنيت فيها الدور والقصور والمساجد ودور العلم، والبيمارستانات، والمراصد الفلكية، وانشئت فيها المدارس والربط والحمامات والطواحين والخانات، والمنتزهات(٨). وبلغت من الاتساع والتنظيم ما لم تبلغه مدينة من المدن التى بنيت قبلها او بعدها حتى غدت فى العصور العباسية المتأخرة جنة الأرض، واصبح العمران فيها يفيض حيوية وبهاءاً ، رغم تكدسه فى الجانبين (الكرخ ، والرصافة). غير أن شوارعها قد تميزت ايضاً شأنها شأن بقية شوارع المدن الاسلامية بضيقها والتوائها وتعرجها(٩). وذلك لوفرة منشآتها الخدمية والتجارية، وحرص سكانها على البقاء داخلها بالقرب من مقار اعمالهم.

مدينة فاس :

اما المغرب والأندلس ، فقد اشتملت على الكثير من المدن الاسلامية التى اتسمت فى تخطيطها بنفس الطابع الذى كانت عليه مدن المشرق الاسلامي(١٠) ، ومن هذه المدن فاس واشبيلية، وغرناطة. فمدينة فاس شيدها الأدارسة عام ١٩٢هـ ، بحيث يحتوى عمائرها الداخلية سور كبير



منظر جانبي لمدينة عمان/ الأردن ويظهر المسجد الحسيني الكبير

لازال سليماً، اما العمائر التى شيدت بداخله فانها تتسم بتقاربها لدرجة ان الزائر لهذه المدينة يستهويه اجتيازها من اولها الى آخرها من فوق أسطح المنازل، مما يعطى انطباعاً بأنها كتلة واحدة من العمائر ، وهذه السمة التكدسية تدعمها سمة أخرى وهى أن شوارعها التى تتوزع على جوانب المباني تتسم بسقوفها الخشبية، فضلاً عن التوائها وضيقها، وتفرع الأزقة والدروب على جوانبها، مما يعطى انطباعاً بتكدس عمائرها وحرص قاطنيها على البقاء داخلها لرعاية مصالحهم التجارية والحرفية والوظيفية، مما ساعد على انشاء مدينة فاس الجديدة التى تتصل بالقديمة عن طريق حدائق يتوسطها قصر الدار البيضاء(١١)٠وتشتمل مدينة فاس القديمة على الكثير من المنشآت الدينية والمدنية التى ساعدت على تكدس العمران، وتشييد فاس الجديدة، مثل المدرسة البوعنانيه، ومدرسة العطارين، وجامعة القرويين، وحول هذه العمائر امتدت الأسواق التجارية العامرة التى تتجمع فيها الحرف التقليدية

مدينة قرطبة في العهد الأموي تميزت بأنها أكثر مدن أوروبا سكانا

منذ مئات السنين٠وتتضح هذه السمات التخطيطية كذلك فى مدن الأندلس ، فهذه مدينة قرطبة التى كانت حاضرة الخليفة عبد الرحمن الداخل، قد اتسمت فى العهد الأموى بأنها من اكثر مدن أوربا سكاناً فلقد بلغت فى ذلك العهد تطوراً عمرانياً لا مثيل له فى دول الغرب المعاصرة، التى كانت ترزح فى ظلمات الجهل والانحطاط، وازداد ثراء المدينة ورخاؤها فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر من بعده لدرجة لم تبلغها اى مدينة أخرى وظلت كذلك حتى سقوط الخلافة الاموية.

وفى ظل هذه الخلافة وصف المدينة مؤرخو العرب وجغرافيوها أبدع وصف، فيذكر ابن حوقل ـ رغم عدائه للأمويين ـ ما يشير الى عظمة المدينة فى قوله **«هى أعظم مدينة بالأندلس، وليس بجميع المغرب لها عندى شبيه فى كثرة أهل وسعة محل، وقسمة أسواق، ونظافة محال، وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق»**٠ وكان يحيط بها سور على هيئة متوازى اضلاع، ومحيطه لا يتجاوز أربعة كيلومترات وقسمت فى داخلها الى احياء تعرف «بالحومات» سميت باسماء الأبواب المجاورة لها، او باهم الآثار القائمة فى مناطقها، او باسماء حرف سكانها، وهذه الاحياء كانت تقع على شوارع رئيسية تكون من التقائها ما يشبه الشكل الصليبى، وهو نفس تخطيط المدن الرومانية، ثم داخل هذه الاحياء الحارات والدروب والأزقة التى كونتها المنشآت الدينية والمدنية، ومثل هذا التخطيط نجده فى اشبيلية وغرناطة (١٢)٠

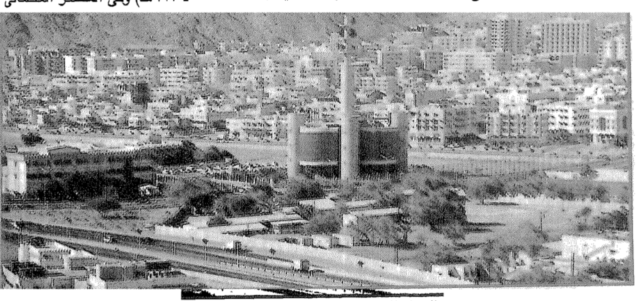
ومن خلال العرض السابق يتبين لنا أن هذه المدن التى اتخذت كنماذج قد اشتملت على الأسباب الرئيسية التى وسمتها بصفة التكدس العمرانى ، ولما كانت هذه الأسباب قد كونت مجتمعه عاملاً مشتركا اعظماً بين هذه المدن فاننا نتناولها من خلال دراسة اسقاطية على مدينة من أهم هذه المدن عمارة وعمراناً ، ونعني بها مدينة القاهرة منذ شيدها الفواطم وحتى عصرنا الحاضر٠

مدينة القاهرة :

فالمعروف أن القاهرة شيدها الفاطميون سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م لتكون عاصمة لدولتهم التى حلموا

المساجد والأسواق في القاهرة الفاطمية ساعدت على تكديس العمران داخل المدينة

بتكوينها، وانتقل اليها الخليفة المعز لدين الله من إفريقية سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م وظلت لمدة اكثر من قرنين (٣٦٢ - ٥٦٧هـ/ ٩٧٣ - ١١٧١م) عاصمة الخلافة الفاطمية ، والقاهرة هى اولى مدن مصر التى شيدت وحولها سور يحتوى عمائرها، وظلت القاهرة طوال ذلك العصر مدينة خاصة لا يسمح بدخولها للعامة الذين كانوا يقيمون فى الفسطاط (العاصمة التجارية والصناعية) الا باذن خاص بغرض خدمة اهل الخليفة وخاصته ورجال دولته(١٣). وهذه المدينة قد اشتملت على احياء سكنية خصصت لجند الخليفة وخاصته فقط وظلت كذلك حتى قرب نهاية العصر الفاطمى حتى اجتاح الفسطاط حريق هائل امر به الوزير شاور سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م استمر اكثر من اربعة وخمسين يوماً مما اضطر أهل الفسطاط للجوء الى القاهرة اولا للاحتماء بها وثانيا للدفاع عنها امام هجوم عمورى الأول ملك بيت المقدس(١٤) ، مما كان له أثره فى فقدان المدينة لخصوصيتها كمدينة عسكرية للخلفاء ولرعاياهم، وارتادها منذ ذلك التاريخ وعقب تولى السلطان صلاح الدين الايوبى مقاليد الأمور العامة من التجار والصناع والحرفيين مما كان له أثره المباشر فى ازدياد العمران وتكدسه داخل المدينة، فشيدت المساجد والجوامع والمدارس والأسواق وفي العصور التالية شيدت الأسبلة والوكالات ، والخانات ، والقيساريات ، والمنازل ، والرباع والقصور. ففي العصر الأيوبى شيدت داخل القاهرة الفاطمية كثرة هائلة من المدارس السنية التى عهد لها تدريس المذاهب السنية لمحاربة المذهب الشيعى، واتصل بهذه المدارس عدد غير قليل من الطلبة، وهيئة التدريس، الذين سكنوا بالقرب منها، وانشئت كذلك بالقرب منها الأسواق الخدمية ومنشآت الرعاية الأخرى، مما ساعد على اتصال العمران وتكدسه، وازدادت العمارة زيادة عظيمة فى الفترة (٦٤٨ - ٧٨٤هـ) . فوجدت الأسبلة المنفردة والملحقه بالمنشآت الدينية، وازداد انشاء المدارس، والمساجد الجامعة، وعمرت الأسواق وتعددت داخل المدينة التى اتسمت بسمتها الاقتصادية مثل أسواق الكتب، واسواق الأقمشة، والملابس، والنحاسين، واسواق السلع الغذائية التى تنوعت اشكالها والوانها، والتى ساعدت على توافد جمع غير قليل من التجار والحرفيين والصناع والموظفين داخل المدينة للتجارة والصناعة الخفيفة وللسكنى كذلك، وهذان السببان الدينى والتجارى قد وقع عليهما مهمة تكدس العمران داخل المدينة منذ العصر الأيوبى واستمر هذان العاملان كذلك فى العصر الجركسى (٧٨٤ - ٩٢٣هـ) وفى العصر العثمانى



العمران الحديث ومحاولات التعلق بالتراث/ مسقط

قرب المنشآت التاريخية من الصناعات التعدينية يعرضها للاندثار

ايضاً (٩٢٣ - ١٢٢٠هـ) بجانب ذلك فإن انتشار منشآت الرعاية الاجتماعية داخل حدود المدينة مثل البيمارستان المنصورى (٦٨٤هـ) والكتاتيب، لرعاية الايتام والأسبلة لسقاية العطشى، وإمداد المنازل باحتياجاتها من المياه والخانقاوات، لإقامة الصوفية ورعايتهم، والرباع السكنية، لسكنى العامة وغير ذلك قد ساعد على توافد هؤلاء الى داخل المدينة التى حرص السلاطين والوزراء واهل اليسار على تزويدها بها رغبة منهم فى الخيروالثواب غير عابئين بامكانية المدينة العمرانية، مما كان يشجع على شراء الاماكن القديمة المهدمة وإعادة تشييدها فى صورة اخرى لخدمة هذه الناحية.

نضيف إلى ذلك أن الصناعات الاخرى التى كانت تحتاجها المدينة مثل صناعة المنسوجات ، والمعادن ، والزيوت ، والدقيق ، وغير ذلك والتى كانت تحتاج الى منشآت صناعية لا تقوى المدينة على ان تضمها بين منشآتها الأخرى، ولرغبة فى الهدوء الذى لا يتوفر مع تواجد هذه المنشآت داخلها فانه قد سمح بأن تبنى هذه المنشآت خارج حدود المدينة ، فكان شارع باب البحر(١٥) الذى كان يربط بين القاهره وميناء المقسى يشتمل على عدد غير قليل من المنشآت الصناعية مثل قاعات الحياكة والقزازة ، والطواحين ، والمسابل ، والمعاصر والمصابغ وغيرها ، فضلا عن اشتماله على الكثير من الأسواق والوكالات التى كانت تعرض بها السلع الواردة من الميناء، وتزود بها مدينة القاهرة فى العصر المملوكى: مما ساعد على عمران ظواهر القاهرة، وبالتالى فإن ذلك قد ساعد على التوصل الى أن مدينة القاهرة قد تكدست عمرانياً بما ضمته من عمائر خدمية وسكنية ودينية ، وتعمير ظواهرها ليؤكد ما وصلت اليه المدينة من تكدس عمرانى منذ العصر الايوبى وحتى نهاية العصر العثمانى . وقد كان من أثر هذا التكدس العمرانى فى العصور التالية للعصر الأيوبى أن اتجهت الأنظار للخروج من صخب المدينة بانشاء احياء أخرى خارج حدودها الفاطمية فشيد حى القلعة فى العصر الايوبى الذى تكون بعد تشييد قلعة صلاح الدين، والذى اشتمل على الكثير من الشوارع والحارات التى ضمت داخلها الكثير من الأسواق التي اتسمت بصفتها الحربية مثل سوق السلاح الذى لا زال الشارع يحمل اسمه حتى الآن. ثم جاء العصر المملوكى وشهدت الظواهر نشاطاً عمرانياً متزايداً فشيدت خارج المدينة المدارس ، والمساجد ، والبيمارستانات ، والوكالات والقاعات وغيرها ، واستمر تزايد العمران فى العصر العثمانى فى نفس الاحياء التى شيدت فى العصر المملوكى خارج القاهره مثل الناصرية ، وبركة الفيل والحسينية ، والراودية ، والسروجية، والتبانة. وغيرها الكثير.غير أن هذا النشاط العمراني المتزايد خارج حدود المدينة الاسلامية (القاهرة) لم يمنع صفة التكدس العمرانى عنها فنلاحظ مثلاً انشاء الكثير من المحلات الخشبية المركبة على أسوار الكثير من منشآت المدينةفى العصر المملوكى مثل الحد الشمالى الشرقى لجامع المؤيد شيخ بخط المحمودية(١٦) وعلى الجدار الشمالى الغربى لسبيل وكتاب السلطان قانصوه الغورى (انظر لوحة رقم ٤)، كذلك فإن الكثير من المنشآت الأثرية التى تضمها المدينة قد استغلت كمكاتب حكومية مثل استغلال وكالة الغورى كمركز للتفتيش الأثرى، وكذلك منزل مصطفى جعفر اللحدار بالدرب الأصفر ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م ، واستغلال بعضها كمخازن لبعض الهيئات مثل قصر الأمير طاز بالسيوفية ، فضلاً عن التصاق المنشآت الحديثة بالمنشآت القديمة مما يؤثر على طبيعة المبنى القديم مثل ما نشاهده فى سبيل وكتاب العروس بباب البحر.كل هذه السلبيات قد كان الباعث عليها تكدس المدينة عمرانياً ، والرغبة فى البقاء داخلها لما تشكله المدينة من قيمة تاريخية واثرية تجتذب نظر الغرباء وأهالى المدينة على السواء، مما شجع على الاتجاه بالتجارة وجهة أخرى لخدمة رواد المدينة من السائحين ، والغرباء. فاستمرت الحوانيت اسفل المنشآت الاثرية واستمرت الصناعات التعدينية داخل بعض المنشآت بالقرب من خان الخليلي وبالتحديد داخل وكالة جمال الدين الذهبى، مما يضر بالمنشآت التاريخية ويعرضها للاندثار وعلى ذلك فإن كل الفئات مطالبة بالتصدى للمعتدين على الآثار بالمدينة الاسلامية وان يتجهوا



الحوانيت زحفت على المعمار القديم، وبدأت تغير في ملامحه

الى إخــلاء المدينة من سكانهــا ، بحـيث تبـقى مـتـاحف تاريخـيـة مفتوحةيستقرىء الزائر لها تاريخ المدينة وحـضـارتهـا الاسـلامـيـة العريقة.

فـهل يهتم العامـة ، والقائمـون على أمر هذه الآثار؟..

الهوامش

(١) اندريه ريموند : المدن العـربيـة الكبرى فى العهد العثمانى ـ ترجمة لطيف فرج.

(٢) جودة هلال ، ومـحمد صـبيح: قرطبة فى التاريخ الاسلامي، المكتبة الثقافية ١٩٦٢.

(٣) جومـار: وصف مدينة القـاهرة وقلعة الجبل، ترجمة ايمن فؤاد سيد

(٤) جيـمس ريموندولسـتـد : رحلة القاهرة ١٩٨٨.
الى بغداد (١٨٢٠ ـ ١٨٣٢).

(٥) حـسن البـاشـا : مـدخل الى الآثار الاسـلامـيـة ، دار النهـضـة العربية ١٩٩٠م.

(٦) حـسن عـبـد الوهاب: تاريخ المساجد الاثرية.

(٧) خالد خليل الأعظمي: الزخارف الجدارية فى آثار بغـداد ، العـراق ١٩٨٠.

(٨) سناء مـصطفى عـبـد الغني : المغـرب ، المجلس الأعلى لرعـاية الفنون والآداب، الكتـاب الوصـفى (٧) ، القاهرة ١٩٧٣م.

(٩) السـيـد عـبـد العـزيز سـالم، التـخطيط ومظاهر العـمـران فى العصور الاسلامية الوسطى ، مجلة المجلة، العدد التـاسع، سبـتـمبر ١٩٥٧م.

(١٠) السـيـد عبـد العـزيز سـالم، دائرة معارف الشعب العدد (٦١).

(١١) عـبـاس الغـزاوى : تاريخ العـراق بين احـتـلالين ، بغـداد ١٩٥٤.

(١٢) عـبـد الرحـمن زكى: القـاهرة من جـوهر القـائد الى الجـبـرتى المؤرخ.

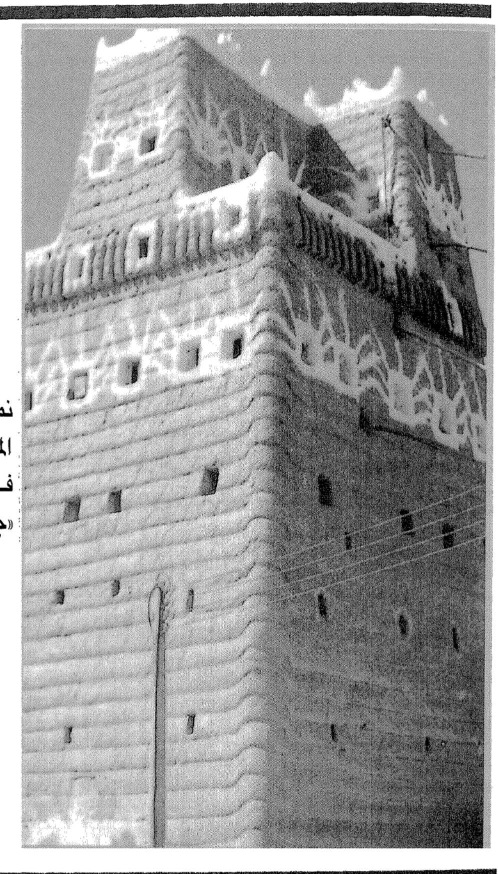
(١٣) عبد الرحمن زكى: الفسطاط وضاحـيـتـاها العـسكر والقطائع ، المكتبة الثقافية ١٩٦٩.

(١٤) كليمـان هوار: خطط بغـداد ، بغداد ١٩٦١.

(١٥) كمال الدين سامح : العمارة في صدر الاسلام.

(١٦) مـحمد الجهيني : شـارع باب البحر منذ نشأته حتى نهاية العصر العثماني ماجستير ١٩٨٨.

(١٧) محمد الجهيني : خطط مدينة القــاهرة فى جنوبهــا الغــربى «الجـودرنه المسطاح ـ المحـمـودية» منذ نشـأتهـا حـتى نهـاية النصف الاول من القـرن التـاسـع عشـر ، دكتوراه ١٩٩٢م.



شـــواهد معـمـارية

نمـوذج للتــراث المعمـاري القديم فـــي نجـــران «جنـوب المملكة»

الأحياء

يكشف تخطيط الأحياء السكنية في المدينة الإسلامية عن قانون متماسك، لتتابع سلسلة هرمية لكل من المأوى والمداخل، تستجيب لنماذج من العلاقات الاجتماعية ترتبط بخصوصية المجتمع الإسلامي. ونظام المدينة الإسلامية هو نتيجة طبيعية للتوازن بين التجانس والتباين الإجتماعي، في نظام اجتماعي يتطلب: فصل الحياة الأسرية والمشاركة في الحياة الاقتصادية والدينية للمجتمع.

ومن ثم تشكلت المدينة من نظام ثلاثي. للأماكن العامة، ونصف العامة، والخاصة . وتختلف كل من هذه الأماكن في مستويات مداخلها ومآويها.

١ ـ الأماكن العامة فى المدينة :

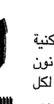
وهي التي تقع على جانبي الشارع الرئيسي التجارى للمدينة (قصبة المدينة) وتشمل: الأسواق المركزية للمدينة، والمتاجر الكبرى المغطاة والمكشوفة ، وورش المهنيين، والمساجد الكبرى، ومجموعات الأسواق المتخصصة، والحمامات وما إليها.

٢ ـ الأماكن نصف العامة:

وهي التي تقع على جانبي الشوارع المركزية للأحياء المختلفة (قصبات الأحياء) والتي تتفرع من الشارع الرئيسى التجارى للمدينة، وتشمل الأنشطة التجارية والحرفية للحى ومساجده وحماماته، وتتخللها بعض الدور والمساكن، ومبانيها أكثر ارتفاعا من تلك التى في المركز التجارى للمدينة (الأماكن العامة).

٣ ـ الأماكن الخاصة:

وهي التي تقع على امتداد الحوارى والمسالك المسدودة الضيقة أو المنعطفات والتى تتفرع من الشوارع المركزية للأحياء، وتشمل المبانى السكنية التى تتميز بواجهات مبانيها القليلة الارتفاع والفتحات.



لقد أدرك شامبليون عالم الآثار المصرية المعروف الفارق بين تخطيط المدينة الإسلامية وبين الأوربية التى نقلنا تخطيطها دون وعى إلى مدننا المعاصرة. دون أن ندرك الفارق بينهما. يقول فى مذكراته: «ثم تركنا ميدان الأزبكية وسلكنا شوارع القاهرة التى طالما أعطونا فكرة سيئة عنها، وباستثناء الشوارع الرئيسية الكبيرة حيث توجد المتاجر العامة فإن عرض الشوارع الأخرى لا يتعدى عشرة أقدام، كما ان مشربياتها تكاد تحجب أشعة الشمس. إلا أننا إذا أمعنا التفكير أدركنا أن تلك الشوارع الضيقة والمعتمة إلى حد ما تظل دائما محتفظة بالبرودة بالرغم من الإرتفاع الكبير فى درجة الحرارة. وهكذا تتجلى لنا حماقة الرجال الأوربيين الذين يعيبون على القاهرة ضيق شوارعها دون أن ينتبهوا إلى أن شوارع عريضة واسعة مثل تلك الموجودة فى «باريس» و«لندن» ستكون أتّونا وسعيرا طوال أغلب شهور السنة. ومن ناحية أخرى فإن شوارع القاهرة نظيفة، وتخلو من أى نوع من الأقذار بالرغم من كونها غير مرصوفة».

طبيعة تخطيط الحي في المدينة الإسلامية القديمة تجعل منه وحدة اجتماعية متناغمة

خصوصية الهندسة الإسلامية :

وقد تلاحظ وجود مظاهر خصوصية (١) فى الصورة العامة للمدينة وهى :

١ ـ التزام مبانى الأحياء بارتفاع يكاد يكون ثابتا فيما عدا المساجد.

٢ ـ تعدد الأفنية وتداخلها بين مجموعات المبانى وفى المبانى لاستقطاب حياة الناس الى الداخل.

٣ ـ انسياب الأسواق المغطاة وامتدادها خلال الكتلة العمرانية للمدينة، مشكلة محاور للحركة والتلاقى بين الأحياء المختلفة.

٤ ـ تلاحم الأحياء المختلفة والمبانى بعضها ببعض، معبرة عن التلاحم والترابط الإجتماعى فى المدينة.

٥ ـ تشعب مسارات الشوارع والدروب والطرقات فى خطوط ملتوية ومسالك معقدة لتوفير الحماية للمدينة.

يخترق الحى أو المجاورة شارع رئيسي واحد فى الغالب، ويسكنه مجتمع متجانس عادة قليل العدد نسبيا. وقد تلاحظ ان عدد سكان الحارة يتراوح بين ٤٠٠ الى ٦٠٠ نسمة، وهو الحجم المناسب من السكان الذين تجمعهم وحدة الجوار العرفى أو الاجتماعى، فعلى مستوى الحارات يظهر التجانس الاجتماعي مع التفاوت الاقتصادى، كما تظهر بنفس الصورة على أحياء المدينة، وهذه صورة معبرة عن التركيبة الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع

السكنية بالمدينة الإسلامية



خالد عزب ـ مصر

الاسلامي الذى تتجانس فيه المقومات الاجتماعية التى تحكم المجتمع. وتتفاوت فيه المقومات المادية التى يقوم بها الفرد تبعا لقدرته على العطاء أو العمل أو الإنتاج.(٢).

وتعطى الصورة العمرانية للمدينة القديمة مؤشرا هاما فى تجانس الكثافات البنائية والسكانية المتوسطة، فلا يتميز حيٌ عن حيٍ فى الارتفاعات وفى المستوى المعيشى إلا فى أضيق الحدود، وقد اعتبرت الدولة الحى، وحدة إدارية له رئيسه ومجلسه وفى أوقات الاضطرابات، اعتبر أيضا وحدة دفاعية.

اتجاهان متباينان للتخطيط السكني:
لا شك فى أنه لا يمكن التوصل الى تخطيط حضارى للمناطق، الا إذا كانت الخلية الأساسية الأولى فى هذا التخطيط واضحة الرؤية وهى المساكن، إن تحديد المناطق السكنية يحدده اتجاهان متعارضان هما:

ـ **الاتجاه الأول:** ذو الكتل المعمارية المنفصلة بعضها عن بعض بواسطة ما يحتمه التخطيط من ترك الفراغات حول الأبنية، فإذا اتصلت هذه الفراغات بفراغات الشوارع تكونت مساحات كبيرة من الفراغات التى تكون كمية كبيرة من الضوء والحرارة لكل من فى المنطقة. وهذا الاتجاه يكاد يكون سائداً فى معظم التجمعات السكنية فى

اتجاه التخطيط العمراني إلى الداخل يكسب الساكن الاحساس بالسعة والانفتاح

انحاء العالم وخصوصا فى الدول الغربية التى كانت سباقة فى اتباع هذا الاتجاه وتبعها بعض دول العالم، ومن بينها الدول الاسلامية التى لم تحاول مناقشة صلاحية هذا الاتجاه لطبيعة بلادها.

وبالاضافة إلى أن هذا الاتجاه يوجه حياة أهل المدينة إلى خارج مساكنهم، فى حين أن الإنسان المعاصر أحوج ما يكون بعد أن يقضى وقتا طويلا منعزلا بالكامل عن العالم الخارجى ليعيش فى عالمه الخاص، ويرمى وراء ظهره كل المنغصات الخارجية.

ـ **الاتجاه الثاني:** ويمكن تسميته بالاتجاه الأصيل فى التخطيط حيث يعتمد على ارتباط الكتلة المعمارية بعضها ببعض، دون فراغات تفصل بينها وإنما الفراغات الوحيدة بالإضافة إلى فراغات الشوارع هى

الأفنية الداخلية لهذه المساكن ٠ كما أنه استعمل على نطاق محدود فى بعض مدن المناطق الحارة كغانا والهند ، وهذا النوع من التخطيط نجده أكثر اقتصادا فى استغلال الأرض فهو يعطى أكبر سطح مبنى، مع توفير أكبر كمية من الظلال، ويقلل إلى حد كبير الضوء والحرارة. علما أن هذا الاتجاه يوجه حياة السكان الى داخل مساكنهم فتعيش كل أسرة وعائلة حياة مستقلة، كما لو كانت وحدة قائمة بذاتها، متمتعة بأسلوب معيشى سليم من الناحية الطبيعية والنفسية والاجتماعية، ولهذا الاتجاه مميزات فى التخطيط هى:

- **حرية المسقط الأفقى**: فالمخطط هنا له الحرية الكاملة فى عملية الإبداع الفنى، من ناحية أطر الشوارع وعرضها، وتحديد مساحات الأرض المخصصة للبناء حسب المتطلبات المختلفة للناس. أما وسائل النقل. كالسيارات العامة والخاصة فقد حددت لها مواقف خاصة تقع فى أطراف الأحياء السكنية. وهذا ما يوفر الحد الأدنى للسكان من مزاولة رياضة المشى.

أما وسائل النقل الاضطرارية كالإسعاف والإطفاء وبعض عربات الخدمات فباستطاعتها الوصول إلى أفضل المواقع، لتحقيق مهمتها بعد دراسة مستفيضة من المخطط.

- **عدم الرتابه**: إن حرية المسقط الأفقى، تعكس بدورها عدم الرتابة فيه، وفى المساقط الرأسية للشوارع، فالسائر بين الشوارع لا يشعر بالملل، لأنه باستمرار يشعر بالتغير فى الشارع والساحة فتارة يسير بممرات ضيقة، تتسع رويدا رويدا لتضيق ثم تنفتح على ساحة جميلة أو نافورات تجدد النشاط، إلى جانب رؤية السماء بين الحين والآخر ثم إن التلاحم بين بعض الأبنية يخلق الكثير من التشكيلات الجميلة الرائعة.

- **عدم المبالغة فى الرؤية المنظورة**: نظرا لعدم حتمية امتداد الشوارع إلى مسافات طويلة من أجل تسهيل حركة المرور فانه يتيسر للمخطط إنهاء الشوارع أو انعطافها، وبذلك

المدينة القديمة كانت تراعي الظروف الطبيعية والبيئية والاقتصادية للسكان

فإن الإنسان يحدد رؤيته المنظورة داخل إطار إنسانى معقول. وهذا بخلاف الرؤية المنظورة اللانهائية فى المدن الحديثة.

- **الأمان**: لا شك بأن تصميم هذه الشوارع بأشكالها المختلفة، يوفر الأمان للأطفال وكبار السن والمقعدين، ويؤمن لهم حرية الحركة بينما هم فى المدينة الحديثة المفتوحة نحو الخارج سجناء فى مساكنهم لا يستطيعون التجول، خوفا من حوادث قد تقع لجنون حركة المرور، ولا شك فى أن الأمان الذى توفره الساحات الصغيرة، الموزعة بين الأحياء السكنية، وخاصة اذا ماعولجت لتكون أشبه بمنتزهات صغيرة لها أكبر الأثر فى خلق حياة إجتماعية وثقافية بين سكان المنطقة السكنية، وخاصة بين كبار السن،

الذين يملون الوحدة.

- **الانتقال المنطقى بين الشارع والمسكن:** عندما يجتاز الانسان المعاصر الشارع العريض، ليصل إلى مسكنه، الذى لا يتعدى ٨٠ مترا مربعا يشعر بضيق فى النفس لعالمه الصغير، بينما لو سار الإنسان فى المدينة القديمة وشوارعها الضيقة، ليصل الى مسكنه الرحب الواسع فكأنه يملك العالم بأسره (٣)

وبهذا نجد أنه لو عولج تخطيط الأحياء والمناطق السكنية فى المدينة الإسلامية الحديثة بأسلوب مدروس على اساس انفتاحها نحو الداخل لما وجدت مصاعب أو عوائق، اللهم إلا اقتناع المسئولين عن التخطيط بهذا الاتجاه وتنفيذه فى المناطق الحديثة والمدن الإسلامية التى تزداد اتساعا مذهلا نظرا لازدياد هجرة السكان، وما يتبعها من تجمع سكانى كبير فى المدن المكتظة.

ونتمنى أن يعتبر أساتذة الهندسة المعمارية - فى جامعاتنا - المدن القديمة معامل يتعلم فيها المعماريون الشبان، وخاصة مع انتشارها فى كل الدول الإسلامية.

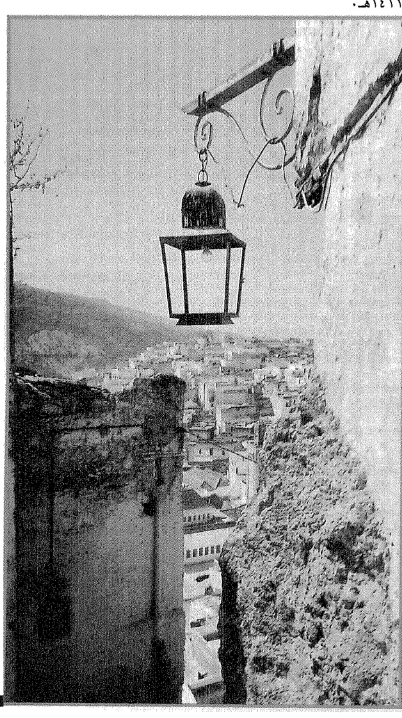
الهوامش :

(١) الخصوصية: تعنى الذاتية والتفرد، وتعنى احترام الفرد المسلم وخصوصية تفكيره، وعمله وسعيه وسكنه، فى حدود إطا ر متزن من التكافل الإجتماعى يهدف الى خلق مجتمع سعيد، يستمد نظامه الحكيم من سنن الله الكونية، تنزيلا كريما من فوق سبع سماوات، هذه الخصوصية المرتبطة بالعقيدة لا يفهمها الا المسلم العالم المدقق الواعى والحريص على دينه، كان لها دور كبير فى صياغة المدينة الإسلامية.

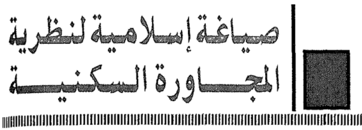
انظر: د. مهندس، احمد كمال عبد الفتاح ومهندس محمد سمير سعيد، الخصوصية فى المجتمعات العمرانية الإسلامية قديما وحديثا، ص٤٧، ٥٣، ٥٤ مجلة المهندسين، السنة ٤١، العدد ٣٦٩ ديسمبر ١٩٨٩م.

(٢) أسس التخطيط الحضرى والعمرانى فى العصور الاسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة، ص٦٤٠، ٦٤١. اصد ار منظمة العواصم والمدن الاسلامية ، جدة ١٤١١هـ.

(٣) أسمهان صوفي، الحى السكنى فى المدينة العربية المعاصرة، ص٧٩، ٨٠، ٨١ بحث فى كتاب المدينة العربية خصائصها وتراثها الحضارى الإسلامى ، اصدار معهد إنماء المدن - الرياض - ١٤٠١هـ. وانظر ما كتبه يحيى وزيرى فى: التعمير فى القرآن والسنة ص٢٠٠، ٢٠٢. إصدار شخصى، القاهرة ١٤١٢هـ.



وحدة الجوار بالمدينة المعاصرة



يرتبط علم تخطيط المدن بشكل جوهرى بالمجتمع بشقيه المادى والوجدانى، ويرتبط بمدينته ومسكنه ومنشأته وشبكات مواصلاته، كما يرتبط بالانسان وعاداته وتقاليده وتصرفاته الفردية. فالتخطيط يمس كافة جوانب المدينة ويتعامل مع هيكلها الاجتماعى والاقتصادى والعمرانى. وبالتالى يجب ان يكون التخطيط - وبالضرورة النظريات المستعملة فى اعداده - نابعا وموافقا للظروف المحلية لا مستوردا فى افكاره ونظرياته لمجتمع آخر، خصوصا مع اختلاف الدين والقيم والجذور الاجتماعية.

ونحن فى مجال تخطيط المدن - شأننا فى ذلك شأن العاملين فى مجالات العلوم الاخرى - مازلنا نقف موقف المقلدين والتابعين لما يجد فى العالم الغربى. والسؤال الآن: الى متى نقف موقف المقلدين والتابعين؟ فقد نقلنا قواعد ونظريات ومعدلات تخطيط المدن فى العالم الغربى وطبقناها وهى فى قالبها المستورد الاجنبى، بحيث لم توضع فى اطارها الاسلامى الصحيح الذى يناسب المجتمع الاسلامى الذى تقام من اجله المدينة.

ولعل من ابرز المفارقات ان نظرية المجاورة السكنية التى تستعمل كأساس لتخطيط الاحياء السكنية، مازالت تدرس وتطبق وهى فى قالبها الغربى المستورد، مع ملاحظة ان النظريات بشقيها الاجتماعى والمادى لم تبحث من

اعداد:
مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية بالقاهرة

خلال قيم المجتمع الاسلامى علما بان الدين الاسلامى الحنيف كان من أجلّ اهتماماته المجتمع.

ومن هنا تبرز اهمية وضع صياغة اسلامية لنظرية المجاورة السكنية لكى تكون اساسا لتخطيط المناطق السكنية بالعالم الاسلامى.

نظرية المجاورة السكنية في قالبها الغربي:

في سنة ١٩٣٩، وصف كلارنس بيري المجاورة السكنية على انها تلك المساحة التي تشمل مجموعة من الناس وخدماتهم التي توفى بمتطلبات العائلة العادية وتوفر لها الراحة والوسائل الكفيلة لضمان حياة حسنة. وقد تحدث عن الخدمات المطلوب توفيرها فقال انها على الاقل يجب ان تكون مدرسة ابتدائية ومحلات تجارية للبيع بالتجزئة وخدمات ترفيهية متنوعة. وقد عرفت الاهداف من المجاورة السكنية التي تبلورت الآن في:

(أ) تحقيق الوصول الى نمط تخطيطي طبيعي جديد للمدن.

(ب) ايجاد نمط معين لتوزيع مجتمع المدينة.

(ج) ايجاد نوع من الروابط الاجتماعية بين السكان.

(د) ايجاد نظام نمطي لتوزيع الخدمات على مستوى المدينة.

وقد حددت معايير معينة للمجاورة السكنية تبين مكوناتها المختلفة، سواء كانت سكنية أو خدمات تجارية أو تعليمية أو طرقا واختلفت معايير التقسيم تلك بين دولة واخرى، وبين مدينة واخرى وبين موقع وآخر بالمدينة الواحدة تبعا للظروف المؤثرة ولكن عموما بلغت نسبة الجزء السكني ٦٠٪ والشوارع والممرات ٢٠٪ والمدارس ٦٪ والخدمات التجارية ٤٪ والمناطق المكشوفة والمنشآت الاجتماعية الاخرى ١٠٪ وداره

المنهج الغربي للجوار يعتمد على فلسفة مادية لا روح فيها

مناقشة حامية حول اي المنشآت أو الانشطة لها اولوية داخل المجاورة السكنية بحيث تعتبر نواتها؟ هل تكون المدرسة الابتدائية أو المركز التجارى؟ وانتصر لهذا الرأى جماعة وللرأى الآخر جماعة اخرى. كما حددت الشروط الواجبة في المجاورة لكي تعتبر كذلك كأن تكون لها حدود معينة وألا يسمح فيها للمرور العبور وكذلك مسافات مشي قصوى الى المدرسة والسوق حددت بما لا يزيد عن ٤٠٠ متر، وحدد كذلك عدد سكان المجاورة بما يتراوح بين ٥٠٠٠ الى ١٢٠٠٠ نسمة.

صيغة المجاورة تختلف باختلاف المعتقدات والبيئات

كما عرفت منشآت الخدمات الاجتماعية العامة الاخرى على انها تلك المنشآت التى تقدم الخدمات العامة لعموم المواطنين مثل المكتبات العامة والكافيتريا والنادي ومكاتب البريد والتلغراف والتليفون وغرف تجميع القمامة والتخلص منها ودورات المياه العمومية.. الخ واحيانا يقسم هذا البند الى جزئين يعرف واحد على انه منشآت الخدمة الاجتماعية والتي عرفت على أنها ذلك المكان الضروري والمناسب لتنمية العلاقات الاجتماعية بين السكان، وبنيت على انها قد تكون ناديا رياضيا أو صالة اجتماعات أو صالة العاب أو كافيتريا.. الخ، وذلك حسب العادات والعلاقات الاجتماعية القائمة أما منشات الخدمات العامة فهي المكتبات ومكاتب البريد والتلغراف والتليفون.. الخ.

ومما يلاحظ على تلك النظرية انها ذات شقين، اولهما يرتبط بانماط توزيع السكان، وتوزيع الخدمات والنمط التخطيطى العام للمدينة.. وثانيهما يرتبط بتنمية الجانب الاجتماعى والمعنوى للسكان بايجاد نوع من الترابط والالفة. بشكل مباشر بين مجتمع المدينة ككل.

تخطيط المدينة يقوم على منهجية صيغة المجاورة في الإسلام

مناقشة نظرية المجاورة السكنية:

والآن نعود لمناقشة شقي النظرية ومعرفة سلبياتها وايجابياتها فالشق الأول يمكن ان يحدد ايجابياته في ايجاد انماط تخطيطية للمدينة ومجتمعها بحيث نقسم المدينة لمجاورات سكنية بها خدماتها الاجتماعية والاقتصادية الضرورية وتصمم المجاورة بشكل يسمح بأن تكون الحياة فيها آمنه للسكان وتبعدهم كل البعد عن اخطار الطريق والمرور السريع بحيث لا يسمح إلا للمرور المحلي الخاص بالمجاورة بالدخول اليها.

وهذا اتجاه جيد، ويتفق كل الاتفاق مع ما كان عليه الحال بمدينة الامس العربية الاسلامية حيث كانت المدينة بالمثل تقسم الى احياء سكنية تتميز تلك الاحياء بوجود حدود واضحة المعالم، وتحتوي تلك الاحياء على الخدمات الضرورية الاساسية للسكان كما ان تلك الاحياء كانت تتصف شوارعها الداخلية بصفة المحلية بحيث ان المرور الغريب عن الحي كان لا يعبر من خلال الحي بل من اطرافه أو خارجه.

وتقسيم المدينة الى احياء يمثل، نمط تخطيط متعارف عليه لتوزيع سكان المدينة وتقسيم مساحتها، وكان هذا الحال عاما وشاملا في كافة المدن العربية الاسلامية بل ووصل الامر الى شكل ديمقراطي اكثر مما عليه الحال في نظريات التخطيط الحديثة حيث كان لكل حي رئيس او شيخ يتولى تصريف اموره ومشاكله اليومية الداخلية، وهو يعتبر همزة الوصل مع الحكم، ومازالت بعض هذه المظاهر قائمة في مدينة اليوم حيث نجد شيخ الحارة مثلا. اذن فالشق المادي من نظرية المجاورة السكنية له اصوله وجذوره العربية الاسلامية ولم يأت بجديد كان غائبا عن واقع مدينتنا بالامس.

واذا انتقلنا الآن الى الشق الثاني من نظرية المجاورة السكنية الذي يرتبط بالجانب الاجتماعي والمعنوي للسكان، نجد ان النظرية اهتمت بوسائل ابراز العلاقات الاجتماعية للسكان وايجاد ترابط والفة بينهم وعددت وسائل ذلك سواء في المحلات التجارية او المدارس او الملاعب والنوادى او صالات الالعاب.. الخ وبالنظرة الموضوعية الشاملة لذلك الشق نجد

انه وان كان الهدف سليما ونبيلا في حد ذاته الا ان منهاجه غير موفق فهذا المنهج المتبع لاحياء الروابط الاجتماعية بين السكان يرتبط بالجانب المادي من الانسان دونا عن الجانب المعنوي والروحي ، فهل المدرسة او المتجر او النادى او صالة الاجتماعات او صالة الالعاب توجد روح الأخوة والتعاطف وحسن الجوار بين الاخ واخيه؟ وهل تدعو الى احترام وتقديس حرمات الغير وحماية ماله وعرضه ودمه؟ وهل تدعو الى المساواة بين كافة الناس، وتحدد لهم المقياس الابدي الذي لا يتغير ولا يتبدل للمفاضلة بين البشر؟ وهل تنمي بذرة المحبة والالفة بين الناس وتضع لهم اللبنة الأولى لايجاد تلك الالفة في كلمة «السلام عليكم» كان من الاولى بالنظرية وهي تهتم بايجاد مشاعر الجيرة والعلاقات الاجتماعية بين مجموع السكان دون ان تنظر الى الناحية الروحانية من الانسان وان يؤدى الدين دوره الاجتماعى ولكن للاسف طبقنا تلك النظرية كما هي مستوردة.

نحو صياغة اسلامية لنظرية المجاورة :

ويبرز الآن اهمية وضع صياغة اسلامية لنظرية المجاورة السكنية بجانبها المادي والاجتماعي والروحي. ولكي يتم وضع هذه الصياغة يجب ان يكون عندنا سند من القرآن وصحيح السنة، بحيث يتم وضع الصياغة الاسلامية على اساسهما.

فبالنسبة الى الجانب الاجتماعي للنظرية نجد ان الدين الاسلامى دعا الى ترابط المجتمع، فيقول الله عز وجل: «**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**..» (آل عمران/١٠٣) كما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى التواد

المسجد نقطة الارتكاز المحورية في نظرية المجاورة

والتراحم بين المسلمين «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمي**».

وإذا مررنا بآيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نجد انها تدعو الى مكارم الاخلاق، واحترام الغير وصيانة الحرمات، والبعد عن الغيبة والنميمة والتواضع، والتعاون، والتكافل والصدق في المعاملة والكرم .. الخ وهو اساس علم الاجتماع الاسلامي.

ولما كان الفرد هو اللبنة الاولى في بناء المجتمع الاسلامي فان رعايته تأخذ من الاسلام المقام الاول، فلا غرو ان يهتم الاسلام بالاسرة ولكن الاسلام لا يهتم بالاسرة بمعزل عن المجتمع ، ومن هنا كانت التوصية بالجار وفي ذلك يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه» (البخاري).

وبالنسبة للجانب المادي من

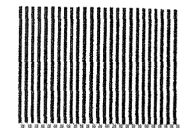


المجاورة السكنية وهو المرتبط بنمط توزيع السكان والخدمات والتخطيط العمراني لها، فاننا يلزم اولا ان نحدد وحدة الجوار وابعادها ومركز خدماتها وكثافاتها.. الخ. وذلك من منطلق اسلامي بحت ويمكن أن نستنبط وحدة الجوار الاسلامي من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي عرف حدود الجار حيث قال «**الاربعون دارا جار ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه**» (الطبراني) وعندما سئل الرسول عن (في اي اتجاه) قال في كل اتجاه.. ومن هذا المنطلق نجد ان حدود الجوار في الاسلام تمثل **٤٠ دارا × ٤ =** ١٦٠ دارا ولو قدرنا ان عدد سكان الدار الواحدة يتراوح بين ٨ الى ١٠ افراد لحصلنا على حجم وحدة الجوار الاسلامية التي تتراوح بين **١٢٨٠ الى ١٦٠٠** نسمة. ومن هذا المنطلق يمكن ان نبدأ في تقدير خدمات المجاورة السكنية، ومساحتها وكثافتها السكانية.

ولتحديد نمط التخطيط ونواة مركز المجاورة السكنية فانه يتم تحليل الحال بالمدينة الاسلامية الاولى والذي نخلص منه الى ان المسجد كان هو النواه... والمسجد هنا كان يقوم بوظائفه الدينية والصحية والثقافية والتعليمية والاجتماعية.

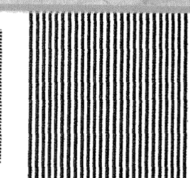
وبدمج نتائج دراسة الشق الاجتماعي والشق المادي للمجاورة السكنية من منطلق المفهوم الاسلامي يمكننا ان نصل الى الصياغة الاسلامية لنظرية المجاورة السكنية.

شواهد معمارية





قصر المصمك في الرياض أو قصر الحكم.. شهد أهم القرارات ويمثل في نفس الوقت نموذجاً رائعاً للمعمار القديم



المدينة الإسلامية

بقلم:
الدكتور / السعيد ريان
بجامعة الملك السعدي
- المغرب -

لقد خصص ابن خلدون الباب الرابع من المقدمة الى درس احوال «المدن والامصار وسائر العمران»(١) ويدخل في الباب المذكور اثنان وعشرون فصلا.

وفى هذه الفصول يعمد ابن خلدون الى دراسة الامصار والمدن من جميع الجوانب والوجوه المتعددة والمتنوعة يظهر فيها شروط اختطاط المدن والامصار وكيفية ازدهارها من ناحية وخرابها وانتقاضها من ناحية اخرى وكذا علاقاتها بالقبائل ويستعرض خصائصها الاقتصادية والسياسية ولا يهمل امر لغات اهلها ايضا.

يمكن تقسيم الشروط التي يضعها ابن خلدون في تحديد المجالات الحضرية الاسلامية الى شرطين اساسيين.

- الشروط الطبيعية.
- الشروط السياسية.

فيما يخص الشروط الاولى يكتب ابن خلدون **«اعلم ان المدن قرار تتخذه الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك القرار والمأوى وجب أن يراعي فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها» (ص٣٤٧).**

نستنتج من خلال هذه الفقرة أن ابن خلدون يقسم شروط بقاء المدن الى قسمين: الشروط التى تضمن الحماية من المضار والشروط التى تكفل جلب المنافع.

بالنسبة للقسم الاول يحله ابن خلدون الى نوعين:

- تحصين المدن.
- الوقاية من الآفات.

وبهذا يرى ابن خلدون انه لحماية المدن لابد من مراعاة الامور التالية:

«ان يدار على منازلها جميعا

سلامة المدن صحياً واجتماعياً مرتبطة بسلامة البيئة

سياج من الأسوار وان يكون وضع ذلك في ممتنع من الامكنة اما على هضبة متوعرة من الجبل واما باستدارة بحر او نهر حتى لا يوصل اليها بعد العبور على جسر القنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها (ص ٤٣).

يلاحظ من خلال هذا النص انه بالاضافة الى شرط التحصين الذى يحمى المدينة ويحافظ عليها من ضربات العدو هناك شرط استراتيجي يتمثل فى اختيار الموقع لان هذا الاختيار يشكل عنصرا اساسيا لاستمرار الامصار وبقائها.

اما الوقاية من الآفات، فلا تتم الا اذا روعى طيب الهواء لسلامته من الامراض **«لان الهواء اذا كان راكدا خبيثا أو مجاورا لمياه فاسدة او قريبا من منافع متعفنة او مروج خبيثة. اسرع اليها العفن واسرع المرض للحيوان الكائن فيها كما تفشت الامراض بين السكان»** ويضيف **«والمدن التى لم يراع فيها طيب الهواء كانت كثيرة الامراض».**

يبين هذا النص اهمية العنصر الايكولوجى في المنظور الخلدوني ذلك ان سلامة المدن وبقاءها واستمرارها مرتبط جدليا بسلامة البيئة ويدفع ابن خلدون بهذا الطرح الطبيعى الى القول حول القسم الثانى المتعلق بجلب المنافع.

واما جلب المنافع ، والمرافق للبلد فيقتضي استكمال الوسائل اللازمة لضمان حاجة الناس من الماء والحطب والمزارع والمراعى.

ويضيف ابن خلدون في هذا المجال **«يجب ان يكون البلد على نهر او بازائها عيون فان وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهى ضرورية فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة»!!**

ما نستنتجه من هذه الفقرات السابقة:

ان المصر يجب ان يكون وسط مزروع خصب وان يتوفر على الماء لانه ضرورة استراتيجية للحفاظ على استقلالية المدن من جهة ولتوفيره للساكن بها.

وفيما يخص علاقة المصر بمحيطه الريفي يكتب ابن خلدون **«يجب ان يكون في جوار المدينة مراعي طيبة لسائمتهم اذ صاحب كل قرار من دواجن الحيوان للنتاج والفرع والركوب لابد لها من الرعي فان كان قريبا طيبا كان ذلك ارفق بحالهم لما يعانون من المشقة بعد».**

اما الشروط التي يجب ان تتوفر في اختطاط المدن الساحلية فيحصيها ابن خلدون في العناصر التالية:

١) يجب ان تبنى المدن في جبل وعر المسالك .

٢) يجب ان تكون المدينة مجاورة لقبائل تلبي نداءها اذا داهمها العدو.

الامصار التي رأى ابن خلدون ان عدم مراعاتها ادى الى خراب بعض الحواضر التي انشأها العرب يقول «كما فعله العرب لأول الاسلام في المدن التي اختطوها **بالعراق وافريقيا. فانهم لم يراعوا الماء والمزارع ولا الحطب ولا مراعي السائمة.. ولهذا كانت اقرب الى الخراب لما لم تراع فيها الامور الطبيعية».**

ننتقل الآن الى تحديد الشروط السياسية التي اعتبرها ابن خلدون اساسية واولية في تشييد الامصار ذلك ان بناء واختطاط المدن من مهام الدولة والملك يقول ابن خلدون **«لابد في تمصير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك!.**

وينفسح الى ان تتسع الخطة وتبعد المسافةوينفسح درع المساحة كما وقع ببغداد وامثالها!! ويضيف ف **«الدولة اذا اختلت وانتهت فان المصر الذى يكون لسلطانها ينتقض عمرانه وربما ينتهي انتقاضه الى الخراب».**

اذن فالنشاط الاقتصادى وتوسع العمران وازدهاره مرتبط جدليا بازدهار ودوام الدولة والملك فالسلطة السياسية هى التى تهب للوجود المدنى الاسلامي كيانه ومعناه فغيابها يعنى غيابه وازدهارها ورفاهيتها يعني ازدهاره ورفاهيته.

وخلاصة لما سبق يمكن تجميع الشروط التي طرحها ابن خلدون

دراسة في المنظور الخلدوني

يقول ابن خلدون في هذا المجال **«يجب ان تكون في جبل وعر المسالك او تكون مجاورة لقبائل قوية تستطيع ان تلبى صريخها وتساعدها على دفع العدوان الذى قد يأتيها من الخارج لان اهل المدن يكونون عادة متعودين للدعة فيخرجون من حكم المقاتلة»**

يتبين من خلال هذا النص انه بالاضافة الى عنصر الموقع الذى يشكل ضرورة استراتيجية للحفاظ على المدن هناك عنصر المجاورة لقبائل قوية تساعد أهل الحضر في الدفاع عن انفسهم وحمايتهم من الاخطار المحدقة بهم ومن هنا تتضح العلاقة المتبادلة ما بين الحضريين والريفيين.

بعدما حددنا الشروط الطبيعية التي طرحها ابن خلدون في قيام

الماهية الدينية ضرورة لازمة في استقرار التمدن الإسلامي

كما ان ابن خلدون يربط ازدهار المدن وخرابها بازدهار الدولة وانتقاضها وانحطاطها!! فعمران الدولة حينئذ عمر لها فان كان عمر الدولة قصيرا وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت وان كان امد الدولة طويلا مدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحيبة تكثر ويتعدد نطاق الاسواق يتباعد

في اختطاط وتشييد الامصار في العناصر التالية:

- السلطة السياسية.
- الموقع الاستراتيجي.
- السور.
- المناخ.
- الماء.
- المصر كمركز مدينى لمحيطها الريفى.
- النشاط الاقتصادى (تكاثر الاسواق).

يتضح من خلال ما سبق ان ابن خلدون يلتقى مع الماوردي فى الشروط الطبيعية للمصر في الاسلام الا انهما يختلفان فى المعنى السياسى للمدينة. فابن خلدون يرى ان الدولة والملك يهبان للوجود المدنى الاسلامي وجوده ومعناه فالدولة هى امام اساس

المصر وليس العكس. في حين نجد عدم الاهتمام بهذا المعنى من طرف الماوردي الذى يرى حين تقسيمه للامصار ان **دور السلطة السياسية دور امني فقط.** ولا يربط قيام الامصار بتواجد الدولة، عكس **الحنفية التى تؤكد الماهية الدينية والسياسية للمجال الحضري الاسلامي** يقول ابو يوسف **«كل مصر فيه منبر وقاض ينفذ الاحكام ويقيم الحدود فهو مصر جامع يجب على اهله الجمعة»**

وتختلف الرؤية الحنفية عن المنظورين السابقين في المعنى الذى يُعْطَى للجانب السياسى.

فاذا كان الماوردى يحصر دور السلطة السياسية فى الامن وابن خلدون يجعل منها اساس المدن والامصار فباندثارها (الدولة) تندثر (المدن).

وبهذا فانه يلتقي مع المنظور الفلسفي الاسلامى خاصة عند الفارابى الذي يقول!!..

كذلك رئيس هذه المدينة واجزاؤها(٢) فالمدرسة الحنفية ترى ان المعنى السياسى ليس تأسيسا فى المصر، بمعنى ان الرئيس او السلطات لا يهب الوجود المدينى الاسلامي بمعناه كما عند الفارابي وابن خلدون، فالاصل عندهما ليس المصر او السلطان بل الامة او جماعة المسلمين!! واجتماع الجماعة او الامة اجتماع سياسى بحد ذاته بغير ما حاجة الى سلطة سياسية فى القضايا التنظيمية الداخلية، وقضايا الجهاد!!(٣).

وبهذا تكون الرؤيةالحنفية مرتبطة بالتجربة التاريخية الاسلامية مع المدينة، تلك التجربة التى بدأت بتحويل النبى ﷺ ليثرب الى المدينة وفرض الهجرة اليها من البادية والريف(٤) ثم تمصير عمر بن الخطاب للتجمعات الحضرية المعروفة: المدينة، ومكه، والبحرين، ودمشق ومصر والبصرة والكوفة.

المنظور الخلدوني للمدينة الإسلامية منظور استقرائي

المنظور الفقهي ضرورة لفحص مسألة التمدين الإسلامي عكس ما تدعيه بعض الكتابات الغربية

ابن خلدون مزج الظاهرة الحضارية بالدولة

وفي الختام يمكن القول ان المنظورات الفقهية تبقي ضرورية لفحص مسألة التمدين الاسلامي عكس ما تدعيه بعض الكتابات الغربية(٥).

الشريعة الاسلامية لم تميز ما بين هو حضري وما هو ريفي في احكامها. وعدم وجود نظرية للمدينة في كتابات الفقهاء وقد حاول Ba-ber gohahsen في دراسة حديثة(٦) عن «المصر الجامع ومسجده الجامع» ان يفند الطروحات الغربية بكشف اخطائها استنادا لكتابات الفقهاء الاحناف.

المراجع :

× انظر مقالتى المدينة الاسلامية بين الموقفين: الاروبى والاسلامي السنة الثالثة العدد ٨١ العلم. ص٣

(١) اعتمد هنا على كتاب: ابو خلدون ساطع الحصرى ، «دراسات عن مقدمة ابن خلدون»، دار الكتاب العربي بيروت لبنان. الفصل الخاص بالمدن والامصار.

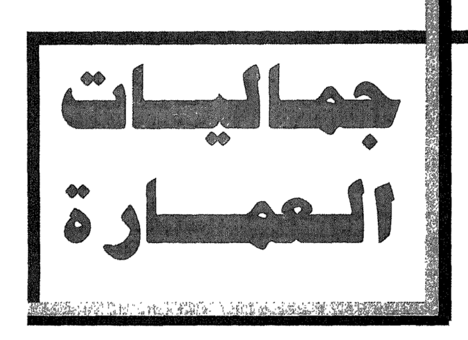
(٢) رضوان السيد «المدينة والدولة في الاسلام، مجلة الاجتهاد العدد السابع، السنة الثانية ١٩٩٠، ص٢٣٩.

(٣) رضوان السيد ، مدينة الفقهاء ومدينة الفلاسفة، نفس المرجع، ص١٣١

(٤) رضوان السيد: كتاب مفاهيم الجماعات فى الاسلام ص٤٢.

(٥) William Marcais: I,islamisme et la vie Urbaine. (Paris 1928)

(٦) بابريو هسن، «المصر الجامع ومسجده الجامع»، مجلة الاجتهاد العدد السابع ، السنة الثانية ١٩٩٠، ص ص ٦٩ الى ١٠١.


جماليات
العمارة

وحدة الطابع الإسلامي للعمارة

بقلم الدكتور:
ثروت عكاشة

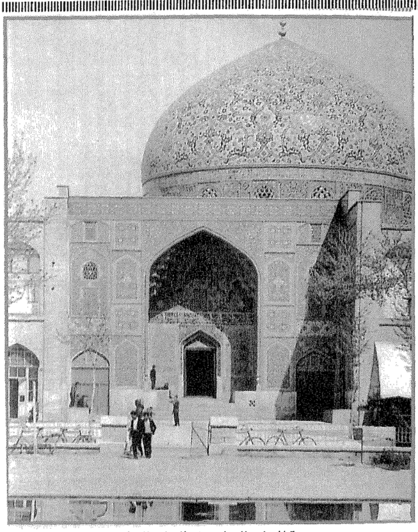
وكما كان للبيئات الصحراوية أثرها في توجيه الفن المعماري وطبعه بطابع متميز يمثل تلك البيئة في الكثير من مظاهرها كذلك كان للتعاليم التي نزل بها الدين الاسلامي هي الاخرى اثرها في الفن المعماري. فالاسلام يعد كل بقعة من الأرض طاهرة يجوز للمؤمن أن يؤدي عليها ما فرضه الله من صلاة. لذا جاءت المساجد أول ما جاءت في الاسلام صحوناً متسعة مسوَّرة بجدران. وإذ كان لابد من أن يتجه المسلمون في صلاتهم الى قبلة بعينها، جاء بناء المساجد مرتبطاً كل الارتباط بهذا التوجيه الديني.

وقد حمل فن العمارة في ظل الاسلام تعبيراً معمارياً جديداً إذ ربط هذا الفن المعماري بين المسجد والكعبة في مكة المكرمة، وتزاوج التعبير المعماري الأول الذي أحسه ساكن البادية من صلته بالسماء من خلال صحن داره المكشوف مع التعبير المعماري الجديد المستوحى من صلة العابد بالأرض.

ومع اضطراد التحضر وهجر العرب للبادية واستيطانهم المدن وانتشار الاسلام بين الأمم ذات الحضارة والعمارة الحضرية كإيران والعراق، نشأ فن معماري ديني حضري للجوامع والمساجد والمدارس والمعتكفات (الخانقاوات أو التكايا) وغير ذلك من الأبنية الدينية. والفن المعماري الإسلامي مع هذا الذي جد عليه لم يستطع أن يخلص من التأثرات الأولى ببيئته الصحراوية، فجاء فنا يجمع بين جديده الذي أفاده من المدن المتحضرة، وبين قديمه الذي علق به من آثار البيئة الصحراوية.

.. وكان الفن المعماري الاسلامي يرتكز في أول نشأته على العناصر المعمارية والزخرفية التي تتفق وروحانيته، فخرجت منجزاته تكاد تشبه بعضها بعضاً في سائر البلاد الاسلامية مع شيء من التباين اليسير الذي تحمله كل بيئة وتختص به وتمليه مواهب أهلها الموروثة إنشاء وعمارة وزخرفة وخبرة وتقاليد ومن هنا كان الاختلاف البسيط الذي يميز عمارة الجوامع في إيران بطغيان الناحية المعمارية الزخرفية كما نشهد في **مسجد شاه بإصفهان** على حين تغلب الناحية المعمارية الهندسية في مصر، كما هي الحال في **جامع السلطان حسن** الذي نبع الشكل التعبيري فيه من التكوين الإنشائي المعماري، إذ ينبض الاحساس الديني من واقع تصميم الفراغ وليس من مجرد صقل السطح وزخرفته. وفي العراق نشهد **ملوية سامراء** متأثرة بأبراج الزيقورات السومريه والبابلية القديمة

أما في تركيا فقد تأثرت العمارة الدينية بالعمارة البيزنطية حيث فرض المناخ أن يكون بيت الصلاة مسقوفاً. وإذا كانت الجماهير التي تؤم المسجد للصلاة غفيرة تتطلب مسطحاً فسيحاً، فقد اقتبس المعماريون الأتراك طريقة التسقيف بالقباب والقبوات البيزنطية ونجحوا بها في التغلب على ما واجههم من مشكلات وعلى حين نقل المسجد الاموي في الشام عن الفن الروماني المسيحي لمسات من تشكيلاته المعمارية والفنية كما



روعة المعمار والزخارف في العمارة الايرانية

طريقة التسقيف بالقباب والقبوات البيزنطية أثبتت جدارتها في المعمار التركي

شاع الطراز الهندوكي فى العمارة الهندية الإسلامية، وهو الطراز المتميز بالزخارف المستوحاة من نباتات البيئة الهندية فى نحت الأحجار على غرار قطب منار على حين اشتركت العمارة فى بلاد المغرب والأندلس في الكثير من صفات تشكيل الفراغ وتصميم الأعمدة والعقود المتراكبة وزخارف الجص المفرغ.

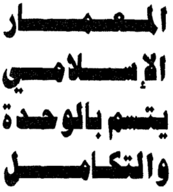
وعلى الرغم من الاختلاف بين هذه العمارات فى بعض التفاصيل أو فى العناصر المعمارية الإنشائية(٢) كمنحنيات القباب والعقود والتكوينات المعمارية للمآذن او بعض الزخارف. إلا أنها تشترك جميعها فى وحدة الروح الاسلامية الكامنة وراء التكوينات المعمارية والتشكيلات الزخرفية التى أصبحت تقليداً معمارياً يحفظه البناءون عن ظهر قلب، وغدت هذه الأشكال الزخرفية والتكوينات والعناصر المعمارية وكأنها اللغة العربية التي نزل بها القرآن ويتلى بها فى كافة البلاد الإسلامية.

واستمرت هذه الأشكال والتكوينات فى عمارة الجوامع على مر العصور متوارثة إذ اعتاد كل خليفة ان يبنى جامعاً فى عاصمة ملكه، كما درج كل قادر على أن يشيد لنفسه ضريحاً ومسجداً الأمر الذى أتاح لأهل حرف البناء بقاءهم على مزاولة حرفهم مع التطوير فى الاتجاه نفسه.

وساعد على قيام وحدة الطابع الاسلامى ما كان من تشابه ظروف البيئة ومن ارتباط بين لفظى العرب والإسلام وقيام الخلافة الاسلامية التى سيطرت على اكثر البلاد التى اعتنقت الدين الاسلامى، هذا الى جانب اسباب وظيفية من الناحية المعمارية، كوحدة البرنامج المعمارى فى الجوامع كلها نتيجة وحدة النظام فى الصلاة الأمر الذى أسفر عن هذا التشابه فى التخطيط المعمارى.

وإذ كان الاسلام قد جمع المسلمين على عقيدة بعينها لذا كان لابد لهم من الاتجاه الى مكان مقدس واحد، فاتجهوا أولا الى بيت المقدس ثم انصرفوا عنه الى الاتجاه نحو الكعبة الشريفة فغدت قبلتهم الى الأبد.

ومن هنا لزم أن يكون المسجد على شكل مستطيل طوله الذى يستقبله المصلون وفيه القبلة يتيح لعدد اكبر من المبكرين الى صلاة الجماعة أن يلحقوا أنفسهم بالصف



المعمار الإسلامي يتسم بالوحدة والتكامل

جامع السلطان المؤيد/ رواق القبلة

الاول، إذ الصلاة فيه تربي ثوابا على الصلاة فى الصفوف التى خلفه، وهذا ما لا يتوفر فى شكل آخر من الاشكال الهندسية، دائرية كانت أو ثمانية الأضلاع أو غير ذلك.

وكما وجه المعمارى الاسلامى جدران المسجد نحو الكعبة كذلك وضع قبلة أو محراباً فى الجدار المقابل لاتجاه الكعبة على شكل حنية تعلوها نصف قبة.

وفى البدء عندما كان الجامع مسطحاً من الأرض مسورا غير مسقوف لم يكن ثمة ما يحجب نظرة المصلين الى السماء، حتى إذا تطلب الأمر تغطية مكان الصلاة فى الجامع اتقاء حرارة الشمس، وتقلبات العوامل الجوية فى البلاد المختلفة، حرص المعمارى العربى على ان تكون نظرة المسلم الى السماء غير محجوبة، فشطر المسطح شطرين احدهما مسقوف للصلاة والآخر مكشوف هو الصحن. ولكي يعوض المعمارى إحساس المصلى بعدم الانفصال عن السماء جعل على السقف القريب من القبلة قبة ترمز الى السماء ، وجمل حوافي اسطح جدران الصحن بعرائس او شرافات متجاورة تتجه رؤوسها الى أعلى، موحيا بارتباط الارض بالسماء أو بتلاصق المسلمين سواسية كأسنان المشط امام الله وقد جاءت تلك العرائس على هيئة زهرة الزنبق لها بتلات ثلاث تحصر بين صفوفها الصماء فراغات تتشكل من زهرات شقائق متجانسة

البيئة والمنظور الثقافي تمثلان جوانب اختلاف طفيف في العمارة الإسلامية

صافية شفافة كأنها اقتطعت من زرقة السماء، وما اشبه ائتلافها بالتمازج القائم بين الروح والجسد(٣). وثمة عرائس مدرجة ترجع الى العصر الأموى اسفر البحث والتنقيب عن وجودها فى قصر الحير الشرقى الذى شيده هشام بن عبد الملك عام ٧٢٧م، ومثلها فى مدينة سامراء بالعراق، ويرجع أصل هذه العرائس الى العمارة الساسانية كما هى الحال فى طاق كسرى (٩٥٠ - ٦٢٨م)، ونرى مثيلا لها كذلك فى زخارف تيجان الاكاسرة الساسانيين غير أن تدرجها قد يكون رأسياً أو مائلاً (٤)، وقد حقق المعمارى المسلم فكرة الاتجاه الى أعلى بطريقة درامية فى ابتكاره للمئذنة حتى يكون صوت المؤذن اعلى على ما عداه من أصوات وتدوى كلمة «الله أكبر» فى الآفاق الى مدى بعيد.

ففى قاهرة الفاطميين نرى المآذن سامقة تشمخ فوق المبانى وكأنها واحدة من عرائس الجامع ولكنها تشير الى السماء تزهو ببهائها على مبانى المدينة العارية

المُبصر الى المئذنة ـ التى تمتد الى أعلى على حين يمتد المسجد أفقياً ـ وهو ينشد التطلع نحو السماء. وإذ كانت العرائس هي الاخرى ترمز الى التقاء الارض بالسماء على المستوى الادنى فإن المئذنة ترمز هي الأخرى الى هذا الالتقاء على المستوى الأعلى.

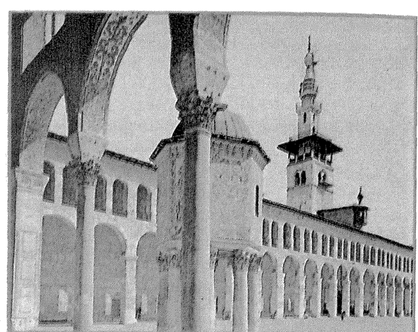
ويكاد تصميم المئذنة المعمارى ان يكون نحتاً اخضعت فيه التقنية الإنشائية للتعبير الفنى المعمارى الذى يهدف الى الصعود والتسامي، فلم يأبه المعمارى المسلم بالمصاعب الانشائية العويصة التى صادفته في سبيل تحقيق أفكاره الفنية التعبيرية، إذ قد ذلل له الايمان المصاعب فحقق المعجزات.

ولقد كان من الطبيعي أن تغدو المئذنة باستطالتها الى اعلى وبوظيفتها الشعائرية رمزاً للإسلام.

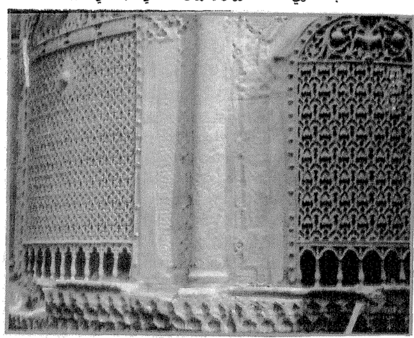
وتقع المئذنة عادة في موقع يشكل مع القبة تكويناً جمالياً، فكلاهما عنصر يجاوز ارتفاع المبنى ويشارك في تحديد صورة المسجد المنطبعة على صفحة السماء. وإذ كانت القبة تعبر عن السماء حين نتطلع اليها من الداخل، فإنها تبدو لنا عندما نرنو اليها من الخارج إنشاء منكفئاً على نفسه بخطوطه الهابطة، ومن ثم كانت فى حاجة الى مئذنة أو اكثر تنضم الى هذا التكوين لتوكيد الأثر الجمالي الشامل.

وقد جاء تصميم الجامع أصلا ليتسع لكافة أهل المدينة ليقيموا فيه صلاة الجمعة، ولذا سموه «بالمسجد الجامع» غير ان اتساع المدن أفضى الى إنشاء مساجد متعددة فى مختلف الأحياء فى المدينة الواحدة، بل تطلب الأمر أحياناً إنشاء زوايا ومصلّيات صغيرة.

(●) من كتاب القيم الجمالية في العمارة الإسلامية.



المسجد الأموي، مئذنة العروس والرواق الشمالي المجدد في القرن ١٨



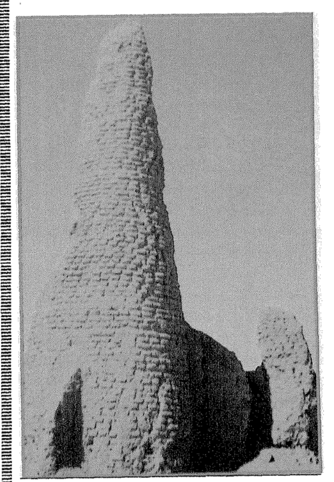
سبيل السيدة رقية

من الجمال بأسطحها المسطوحة التى تشى بانشغال القوم بحياتهم المادية اليومية. ولا شك فى أن المعمارى المسلم لم يخل فكره من دراية سيكولوجية حين قسم المئذنة صعودا الى عدة أقسام تفصلها شرفات تتناقص فى الطول كلما ارتفعنا، وكأنى به قد أراد أن يجذب نظر المشاهد الى أعلى قسراً ويصب فى وجدانه الإحساس بجلال المبنى ورفعته.

وهكذا يَقْصرُ بُعْدُ كل شرفة عما تدنوها كلما أصعدنا وفق قانون «النسبة الذهبية» التى اتخذها الاغريق أساساً لتوافق النسب فى الطبيعة والفن، والتى تقضى بأن تكون نسبة القسم الأكبر من مساحة ما الى المجموع الكلى لتلك المساحة تعادل نسبة القسم الأصغر الى القسم الاكبر، فيراح بصر

جماليات الأسطح في العمارة الإسلامية

بقلم الدكتور:
يوسف خليفة غراب
- مصر -



احدى المنارات القديمة على الأرض السعودية

انبثق فجر جديد للحضارة البشريه، اختلف في مقوماته عن ما كان من قبل، وما سيكون من بعد ..

من واد غير ذي زرع كانت بداية ميلاد جديد للحياة في جوانبها المادية والمعنوية، فكانت الماده ممثلة في ابداعات تجسد فكر وفلسفة الحياة في ضوء معايير تعاليم السماء، من بين تلك الابداعات، العمارة، والفنون التطبيقية المكمله لها.

وتمثلت المعنويات في بناء جديد لقيم الانسان هجر فيه عبادة الأصنام لعبادة الواحد الأحد ، رب السماوات والارض ، منزل القرآن الكريم دستوراً للحياه وهادياً البشرية الى صراط مستقيم، فكانت المعنويات اساس فلسفة البناء المعماري الاسلامي.

وكما ينتشر النور في النفس والعقل والجوارح ، انتشر نور الاسلام حضارة، في امصار كثيره من المعموره، ودخل الكثيرون منهم في دين الله افواجا وبدأ الموروث الثقافي للشعوب يتزاوج وينصهر في بوتقه واحده منبعها العقيدة الاسلامية في وحدة الاتجاه والصياغه.

ولا عجب ان نرى انماطاً وأساليبا كثيره في الفنون الاسلامية انصهرت في بوتقه واحدة حيث سادت قيم الابداع مؤكدة المضمون الجمالي والشكلي في وحدة واحدة مؤداها انه اذا كانت حضارات العالم قد اعطت المادة للابداع الاسلامي، فإن المادة لا قيمة لها دون الروح، والابداع الاسلامي هو روح الماده التي تزاوجت بقيم الانسان المسلم.. فكان هذا المزج ميلاداً جديداً لفن الروح والاحساس والقيم ، فن اساسه تعاليم الخالق، التي حددت اتجاهاته واساليبه، وانماطه حتى اصبح كل عطاء انساني اسلامي ابداعي ، كائن حي يمكن من خلاله نسبته الى قوم اضاءوا الدنيا نوراً بمصابيح لن يجف زيتها، فكان ميلاد ابداع ترك آثاره مؤكداً ملامح هويته على كل عطاء انساني مخلص ينتمي لامة الاسلام.

وهذا المقال يتناول محاور ثلاثه جاءت ممثلة في مباحث وهي:

المبحث الاول : مقومات الجمال في العماره الاسلامية واهم مظاهرها.

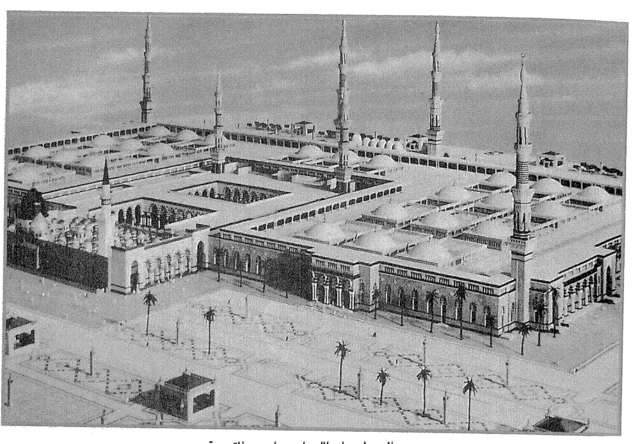
المبحث الثاني : الابداعات المكمله للعماره الاسلامية.

المبحث الثالث : زخرفة الاسطح المعمارية الاسلامية في ضوء اتجاهات بعض المدارس الاسلامية.

المبحث الرابع : رؤية مستقبلية لاستثمار الموروث الثقافي في العمارة الاسلامية.

المقومات الجمالية للعمارة الاسلامية:

برع الفنان المسلم في العمارة الاسلامية التي جاءت سماتها وخصائصها تختلف عن نظم العمارة في



مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد التوسعة

العالم حتى ان الشعوب التي تم فتح بلدانها بعد ظهور الاسلام قد صهرت فنونها فى بوتقة الفن الاسلامى المعمارى ويمكن استنتاج خصائص الفن المعمارى من خلال التالى :

- استخدام المقرنصات فى اماكن التحول من القاعدة المربعة الى الشكل المستدير.
- زخرفة القباب بوحدات هندسية اسلامية مجردة.
- استخدام الاقواس ثلاثية الفصوص.
- استخدام الارابسك فى النوافذ والشرفات.
- رشاقة المآذن وسموها واتجاهها لاعلى.
- اختلاف شكل الجوسق من مئذنة الى أخرى.
- المئذنة مجوفة من الداخل ولها وظيفة وهدف.
- استخدام الوحدات البنائية المحورة فى زخرفة القباب.
- البعد عن تصوير الأرواح داخل المساجد والتركيز على المجردات.
- المسجد الأموى فقط هو الذى يوجد به بعض الأرواح ولذلك اسبابه لدخول مدارس فنية فى دائرة الفنون الاسلامية وتحولها من حال لآخر، كما هو الحال فى الكثير من آثار المسلمين فى الاندلس.
- تحول المسجد الأموى من كنيسة الى جامع ابقى على الكثير من مقومات الفن البيزنطى.
- استخدام الصحن تحيط به الأروقة من كل جانب كما هو الحال فى جامع ابن طولون وغيره.

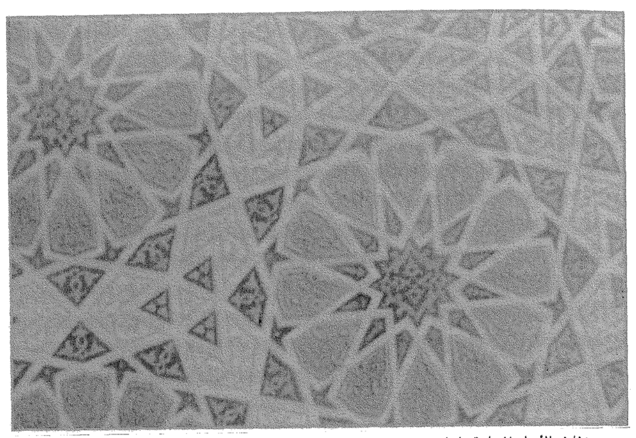
القبة دائما تحدد مكان وجود المحراب

- الميضه تتوسط الصحن.
- احياناً تستخدم المآذن الملوية مثل مئذنة احمد بن طولون.
- المئذنة الملوية فى العراق توجد فى مدينة سامراء، وهى على غرار مئذنة احمد بن طولون.
- غالبا ما تكون المئذنة الملوية قاعدتها مربعة وبدنها مربعاً وتأخذ في التدريج الى أعلى.
- من أمثلة المآذن المربعة المسجد الأموى بدمشق ومسجد وقبة السلطان قلاوون.
- تكرار الأروقة المستديرة.
- وجود مظلة أحياناً في الجزء المستخدم للآذان.
- وجود شرافات واضحة فى المآذن.
- يختلف الجزء العلوى (الجوسقه) من مئذنة إلى اخرى.
- الأروقة يمكن أن تعلوها ادوار اخرى.
- القبة دائماً تحدد مكان وجود المحراب.

- مسجد القيروان يبدو كبرج قلعة ويتكون من أربعة أجزاء.
- تعلو الشرافات كل جزء فى المئذنة.
- استخدام الاقواس العربية المستديرة فى القيروان.
- اقواس الأروقة داخل الأزهر شبه بيضاوية.
- بدن الأعمدة أملس باستثناء التاج.
- لكل عمود قاعدة يرتكز عليها.
- وجود فتحات تحت السقف وفوق الأقواس.
- تختلف اشكال الجواسق من مئذنة الى أخرى.
- المآذن المملوكية لها خاصية مميزة حيث تبتعد عن الرشاقة.
- لبعض نباتات الصبار دور فى تكوين اشكال الجوسق.

البعد عن تصوير الأرواح داخل المساجد والتركيز على المجردات من خصائص الفن المعماري الإسلامي

- السلم الخارجي فى المآذن يكون فى مئذنتى ابن طولون وسامراء.
- استخدام المقرنصات في زخرفة بدن المآذن.
- ترتكز كل مرحله فى المئذنة على مجموعة من الدرجات لتظهرها عن البدن.
- تختلف زخرفة تاج كل وحدة من المئذنة عن الأخرى.
- لكل وحدة دور ووظيفة فى المئذنه.
- لا يوجد نمط ثابت للأعمدة الاسلامية أو تيجانها.
- تختلف الأعمدة وتيجانها وفقاً للمناطق الإسلامية.
- المقرنصات لا توجد فى أى تاج فى العالم سوى الاسلامي.
- المقرنصات ابتكرها الفنان المسلم لتحويل الربع إلى دائرة.
- العمود والتاج وحدة واحدة فى زخارفها.
- التيجان على شكل ثمار الرمان وهى إما أن تكون مستديرة أو مضلعة.
- وجود أوراق عنب محورة ثمانيَّة الفصوص.
- قاعدة التاج إما أن تكون مضفرة أو مضلعة أو مستديرة.
- أعمدة قصر الحمراء بالأندلس هى أغنى الأعمدة الإسلامية فى زخارفها.
- يستخدم المسجد كمدرسة بأن يلحق به مبنى لها.
- من أشهر المساجد الملحق بها مدارس مسجد السلطان حسن بالقاهرة.
- اشتهرت العمارة المملوكية الإسلامية بكثرة زخارفها.
- للمسجد المملوكى اكثر من مئذنة تختلف أحياناً فى اشكالها.
- مسجد السلطان حسن يجمع أنظمة مختلفة للعمارة من بينها الفرعونية.
- تتميز العمارة المملوكية الإسلامية بالفخامة والارتفاع الشاهق.
- مسجد المؤيد يجمع بين الأشكال الزخرفية البصرية والنباتية والفرعونية.
- منبر المسجد احياناً يتكون من الأطباق النجمية.
- استخدام الشرافات فوق المنابر الخشبية.
- يستخدم الفنان المسلم الفسيفساء فى زخرفة المسجد.
- استخدام الأشرطة الكتابية وبخاصة الآيات القرآنية.
- استخدام الرقائق المعدنية فى تغطية القباب.
- المسجد هندسى الأضلاع المتماثله.
- كثرة استخدام اللون التركواز فى الفسيفساء.
- وجود نوافذ علوية تعلو الأعمدة.
- الأقواس شبه مستديرة.
- الخطوط الهندسية اساس فى تشكيل زخرفة القباب.
- مصدر اشعاع الوحدات الزخرفية من مركز القبة.
- الانتشار من المركز اساس لبناء الوحدة الزخرفية.
- تماثل الزخرفة فى تشكيل القبة.
- تنتهى خطوط التشكيل احياناً بمقرنصات كحلية زخرفية وتشكيل جمالي وظيفى.
- خطوط الزخارف بارزة عن السطح إما تتخذ كأنصاف دوائر أو حلزونية.
- الزخارف النجمية اساس فى بناء بعض الزخارف فى القباب.
- تنتهى القبة بقاعدة يليها مجموعات من النوافذ تعلوها أقواس.
- من أشهر القصور الإسلامية قصر عمرا فى العصر الأموى بالشام.
- شهدت العمارة الإسلامية ازدهاراً فى العصر الأموى.
- مدخل قبة الصخرة ثمانية أعمدة تعلوها أقواس مستديرة.
- المدخل الأساس لبوابة المسجد جدار به أربع فتحات.
- تعلو الزخارف أقواس البوابة فى المسجد الأقصى.
- انتشر فى عهد المماليك المدارس التى يلحق بها



زخارف الأسطح المعمارية.. ابداع متجسد يؤكد عقلانية الفنان المسلم وقدرته الفكرية على التجربة والسيطرة على الجوهر

الأضرحة لمؤسسها.
- تختلف اشكال الشرافات الإسلامية فى جميع المساجد.
- بعض الشرافات تكون كحلية زخرفية مجردة لنباتات.
- بعض الشرافات تتخذ كأشكال آدمية محورة.
- بعضها تحوير لورقة نبات الاكنش.
- بعضها تحوير لشكل ورقة العنب.
- بعضها تحوير لأشكال بيزنطية أو قبطية.
- بعضها مستمد من الفن القوطي والبيزنطي.
- تبنى جميع الشرافات جمالياً على أشرطة زخرفية.
- استمدت بعض الشرافات الإسلامية من فنون العمارة الأشورية.
- للفن المصرى القديم دور فى شكل الشرافات الإسلامية.
- الشرافات الإسلامية أكثر ثراء من غيرها من الشرافات فى الحضارات الأخرى.
- الشرافات الأشورية تبنى على أشرطة زخرفية.
- من أروع العمائر التى شيدت فى القرن الرابع عشر مدرسة السلطان حسن.
- من أشهر مشيدات المماليك البرجية إلىَ القرن التاسع مبانى السلطان قيتباى الشركسى (٨٧٧ - ٨٧٩هـ).
- تتميز العمارة المملوكية بضخامة المداخل والقباب.

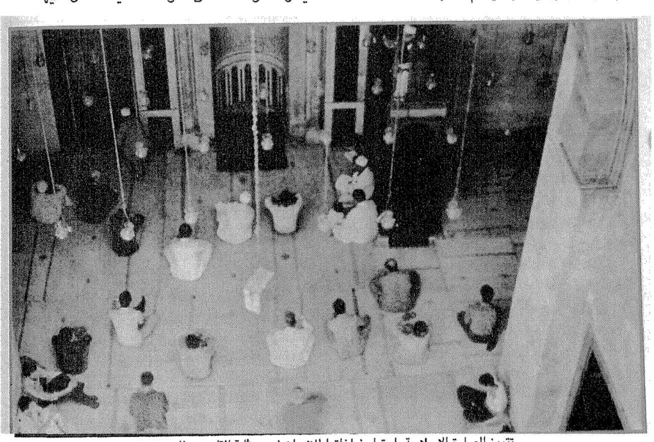
أعمدة قصر الحمراء بالأندلس أغنى الأعمدة الإسلامية في زخارفها

- تزداد زخرفة شكل القبة في عهد المماليك البرجية.
- الغرض من ارتفاع القبة اضفاء المزيد من الجلال والهيبة على المبنى.
- أكثر القباب انتشاراً ما يكون على شكل الخوذة.
- احسن مجموعة للقباب الإسلامية توجد فى منطقة المدافن شرق القاهرة.
- تدل الآثار التى عثر عليها فى سوريا من العصر المملوكي على أن طراز العمارة الدينية كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بنماذج العمارة فى قاهرة المعز.
- شيدت قصور المماليك من طابقين أو اكثر.
- تبدأ فى القرن العاشر الميلادى أهم مرحلة فى تاريخ الفن الأموى فى الأندلس.
- يعتبر جامع قرطبة الكبير الذى شيده عبد الرحمن الأول من أجمل العمائر الإسلامية.
- شيد الحكام الأمويون قصراً ليكون مقرا للخلافة فى قرطبة.
- استخدم الأمويون فى اسبانيا طريقة زخرفة الجدران

بالنحت على الحجر.
- غطيت سطوح العمارة بالزخارف المزدحمة والبعد عن ترك مساحات خالية.
- تأثر الزخارف بالفن الأموى.
- من أحسن ما أنتجه الفن الغربى بعض علب من العاج مزخرفة بنقوش مزدحمة تغطى جسم العلبة وغطاءها.
- غالباً ما تكون زخارف القصور مكونة من عناصر نباتية مزهرة.
- للأساليب القوطية فى الزخارف دور فى الزخرفة الإسلامية.
- الزخارف فى العمارة الاسلامية نسيج متكامل مترابط الوحدات.
- يلاحظ فى زخارف الألواح تفريعات النباتات المرتبطة بالبيئة وبخاصه الدقيقة.
- نبات الاكانتاس ظهر وجوده فى زخارف الفنون الاسلامية الموجودة فى الاندلس.
- استخدمت المراوح النخيلية وشجرة الحياة فى كثير من اشكال العمارة فى الأندلس.
- عمارة حضارة الاسلام فى الأندلس بوتقه صهرت فنون اوروبا وفنون الشرق.
- الأروقة الاسلامية ذات عقود كما يوجد فى جامع قرطبه نجد ان رواق القبلة يضم ١٩ بلاطة.

من أشهر المساجد الملحق بها مدارس مسجد السلطان حسن بالقاهرة

- يرتكز السقف فى جامع قرطبة على ١٨ بايكة تتكون من دورين من العقود فوق بعضها.
- يصل العقد الأعلى بالأسفل زوج من الأعمدة الصغيرة فى جامع قرطبة.
- عقود الجامع متعامدة مع جدار القبلة.
- فى جامع قرطبة استبدل العقد المستدير بعقد على هيئة حدوة حصان.
- كنيسة يوحنا تزاوج بين الفن المسيحى البيزنطى والاسلامي.
- شيد الجامع الكبير بدمشق فوق انقاض معبد وثنى كانت له أبراج مربعة وقد ترجع الابراج المربعة فى العمارة الاسلامية للجذور القديمة.
- لا يزال أحد الأبراج المربعة قائماً فى الركن الجنوبى مؤكداً امتداد الرصيد الحضارى للفنون.
- يعلو العقود صف من النوافذ لتخفيف الثقل عليها.



تتميز العمارة الإسلامية باحتواء فراغاتها للإنسان فهو بمثابة القلب من الجسد

- من أفخم المساجد الصفوية مسجد الشاه بأصفهان ولقد شيد الحكام الصفويون الاضرحة فى ايران مع ادخال بعض التعديلات.

- يتكون الضريح من مدخل ضخم يؤدى إلى حديقة مستطيلة .. ولقد استخدمت الفسيفساء الخزفية فى تغطية الجدران واستخدمت المقرنصات كعنصر من عناصر الزخارف وقد غطيت المقرنصات بالبلاط الخزفى المتعدد الألوان.. واستخدمت الألواح الخشبية المزخرفة فى كسوة الجدران.

- تتصل العمارة الحديثة الإسلامية بالعمارة القديمة فى الكثير .

- لكل عصر اسلامي مقوماته المعمارية ولكن باعتماده على التراث.

- تستخدم الشبابيك الجصية (كقمريات) داخل المساجد لاضفاء قيمة جمالية وروحانية.

- الوحدات المستخدمة فى الشبابيك هندسية أو نباتية ويستبعد منها الاشكال الحيوانية.

- تتشكل الوحدة الزخرفية وفقا لشكل النافذة فى البناء المعمارى القديم.

- جامع دمشق بدئ فى تشييده عام ٨٨هـ - ٧٠٧م، وله سمات خاصة فى تأريخ العمارة الاسلامية.

المبحث الثانى : الابداعات المكملة للعمارة الاسلامية.

اذا كانت العماره هى أمّ الفنون، فمن الضرورى عند التعرض للعمارة الاسلامية ان يتم تناول الفنون المكملة لها، فالعمارة الاسلامية فى اشكالها تتبع وظيفتها ومن ثم ترتبط مكونات العمارة الداخلية وكل ما يدخل فى نطاقها فى دائرة البناء المعمارى الاسلامى فى وحدة واحدة متكاملة.

لذلك كان هذا المبحث يتناول عدداً من المحاور هى

- مصادر الفن الاسلامي بعامه وهى المصادر المؤثرة فى انظمة العمارة.

- سمات الفن الاسلامي وما ينطبق على الفنون الصغرى التطبيقية المختلفه ينطبق ايضا على الفنون الكبرى وعلى رأسها العمارة. وبخاصة فى محور الموضوع وهو ما يتصل بجماليات الاسطح المعمارية.

مصادر الفن الاسلامي :

«الفن المسيحى - الفن المصرى القديم - الفن الساسانى - الفن القبطى - الفن الهيلينى - الفن اليونانى - الفن الرومانى - الفن البيزنطى - الفن التركى - الفن الايرانى - فن بلاد ما بين النهرين - المدرسة الاشورية - المدرسة المغولية (ايران، العراق اواخر القرن ١٣ , ١٤) - المدرسة الصفوية (اواخر القرن ١٦ ، ١٧) - الفن السلجوقى - المدرسة التيمورية - مدرسة بهزاد - مدرسة بخارى القرن ١٦ - المدرسة الهندية - عصر جهانجير (١٦٠٥ - ١٦٢٨) فى الهند - عصر شاه جهان (١٦٢٨ - ١٦٥٨) - عصر اورنجزيب (١٦٥٨ - ١٧٠٧) - الفن البيزنطى - الفن القوطى».

سمات الفن الاسلامي :

١ - اولاً التصوير :

- تحريم ذوات الارواح . مع ظهور فن المنمنمات كرسوم ايضاحية لكتب مختلفة المواضيع والمخطوطات.

- تصوير جدارى زخرفى بالفريسك او الفسيفساء يتناول الاشجار (شجرة الحياة) وأكمام النخل وشجر الرمان وغيرها وبخاصة ما وجد فى القصور القديمه والكنائس التي حولت لمساجد.

- وجود بعض فنون التصوير فى القصور القديمة ولكنها لا تعد ظاهرة عامة.

- تصوير للمخطوطات واشهرها مصورة مخطوطة

التسطيح في رسم الأشكال مع المنمنمات في الزخارف أهم سمات الفن الإسلامي

«منافع الحيوان»من المدرسة «المغولية» بايران (بداية القرن١٤)، ومخطوطة «جامع التواريخ»، ايران (نهاية القرن ١٤)، «وجنازة اسفنديار» من مخطوطة الشاهنامه من المدرسة «المغولية» بايران (حوالى ١٣٢٠) والضحاك بين جمع من العلماء والكهنة من مخطوطة «الشاهنامه» من المدرسة المغولية بايران (القرن١٤)، ومخطوطة «مؤنس الأحرار» من المدرسة «المغولية» بايران (مؤرخة من ١٣٤١)، رستم يقبض على وحش من مخطوطة الشاهنامه المدرسة التيمورية بايران (القرن١٥) مخطوطة المنظومات الخمسة، خسرو شيرين من المنظومات الخمسة، (بهزاد) وليلى والمجنون والدراويش يجادلون سلطان سوريا، من مخطوطة البستان للسعدى، (مدرسة نجارى).. الخ.

السمات الفنية :

- التسطيح فى رسم الاشكال مع المنمنمات فى الزخارف.

- ظهور فن النحتيات فى البلاد الأسيوية الاسلامية والهندية والمغولية.

- الجمع بين الازمنة والأمكنة.

اشغال المعادن :

١ - استخدام الوحدات النباتية وبخاصة فصوص

الرمـان وحـبـات العنب والاوراق المحوره والطبيعية.
٢ ـ استخدام التطعيم (التكفين) فى اشكال المعدن.
٣ ـ الأبنيـة الاسـلامـيـة والمشكاوات وحواملها.
٤ ـ اشكال المشابك الذهبيـة التى يوجد بها حيوانات خرافية.
٥ ـ الاباريق المختلفة باسـتـخـدام البرنز.

المنسوجات: بعض الاشكال الحيوانية الخرافية:

ـ التـقـابل فى أشكال الوحـدات وتكاملهـا لاحـداث التماثل.

اشكال الجص :

ـ استخدام الزخارف النباتية كأوراق الاكانتس المحورة مع فصوص العنب فى أشكال الجامات. وبخاصة فى اشكال الجص التى تظهر بها تأثير الفن القبطي.
ـ ظهور شجرة الحياة بوضوح مع الحيوانات والطيور فى بعض الاشغال وبخاصة فى الفن الساسانى.

الخط العربى :

تميزت العمارة المملوكية الإسلامية بالفخامة والارتفاع الشاهق

ـ استخدام اشكال مختلفة من الخط الكوفى المذهب وانماط من الكوفى المورق والمضفر والمزهر .. الخ.

الزخرفة :

ـ زخرفة المصاحف وتذهيبها.
ـ زخـرفـة القـصـص والحكايات (مـخطوطة كلسـتـان للسـعـدى) (المدرسة الصفوية) وزخرفة المباني والأبواب وغيرها.
ـ الزخارف المنقوشة على الحجر بالحفر البارز من العصر المغولي بايران (١٣٠٣ ـ ١٣٠٤).

النجارة :

ـ استخدام الحشوات الخشبية ذى الزخارف المطعمة.
ـ اسـتـخـدام اللاكيـهـات الملونة فى زخرفة الاخشاب لقصر جهل ستون فى اصفهان بايران (القرن١٧).
ـ استخدام حشوات العظم.
ـ عمل اشكال الصلب المطعمة بالعاج والصدف.

الفخار والخزف :

ـ استخدام ذى البريق المعدنى باشكاله المختلفة.
ـ القيشانى الملون كثير الزخارف البنائية. وتربيعات من القيشانى.

المنسوجات المطرزة :

ـ اسـتـخـدام القمـاش الحريرى من الطراز الاسـبـانى المغربى.

من أهم سمات الخزف الاسلامى :

١ ـ تعدد المدارس (التقنيات) من ذلك الجبرى ـ اللقبى ـ الآمل والخزف ذو البريق المعدني.
٢ ـ حرية التـصـمـيم وان كـان يبـدو خـاضـعـاً لايقـاع وتكرار منتظم.
٣ ـ التـعـبـيـر عن أشكال طيور تحمل عناقيد العنب واوراقها.
٤ ـ اظهار حركة الطيور ورشاقتها.
٥ ـ الاسـتـعـانة بوحـدات حـيـوانـيـة فى الرسم على الاشكال الارضية الخزفية.
٦ ـ ادراك دور الملمس فى التشكيل.
٧ ـ العلاقة الايجابية بين الشكل والارضية.
٨ ـ وضع افاريز حول الوحدات الزخرفية لتحديدها.
٩ ـ احيانا يوجد اسم الصانع على العمل الفني.

سمات التصوير الاسلامي :

ـ التسطيح.
ـ الجمع بين الأزمنة والأمكنة فى حيز واحد.
ـ عرف ذلك بفن المنمنمات.
ـ يحكى قصص وحكايات عربية واسلامية.
ـ يصور بصدق شكل الحياة الواقعية.



العمارة الإسلامية تتخذ مقوماتها البنائية من طبيعة المكان لتكون معه وحدة بنائية متماسكة (مسجد نمرة – عرفات)

- كثرة استخدام الزخارف والألوان.
- التعبير عن مظاهر الحياة اليومية ومشاهدها.
- زخرفة الكتب وبخاصة كتب الطب والحيوان وغيرها.
- يمكن استنتاج طبيعة الحياة من شكل العمل الفني.
- الصور الثقافية فى تلك العصور اكثر ثراء فى قيمها.
- كثرة استخدام العلاقات اللونية المتوافقة.
- رهافة الحس.
- القدرة على تسجيل المشاهد باحداثها.
- سهولة ادراك المعاني.
- البعد عن الرمزية.
- استخدام ضعيف للمنظور.
- الابداع فى كافة الوحدات التصويرية حيث لا يوجد وحده مثل الأخرى.
- بيان طبقات الشعب من الزى المستخدم.
- اظهار حياة الثراء والرفاهية التى يعيشها الفنان المسلم.
- ظهور مجالات الفنون الاسلامية المختلفة فى أعمال التصوير.

كرة بخور من أهم خصائص هذه المشغولات الفنية:

- اشرطة من الكتابات الكوفية التى تحمل عبارات دعائية.
- استخدام الاشكال الآدمية والاسماك وهى رموز قبطية شاع استخدامها فى مصر عند الفتح الاسلامي.
- الاشكال المحورة للنباتات والحيوانات.
- تكوين اشكال نجمية تحوى فى داخلها وحدات مختلفة.
- البعد عن التكرار والتشابه.

ان هذه الكرة يوضع بداخلها البخور وتعلق كمبخرة الدهان المحلى بالروائح والعطور من بين ثنايا الكتابات الدعائية ولذلك معتقدات خاصة لدى سكان المنطقة المنتجة للعمل الفنى.

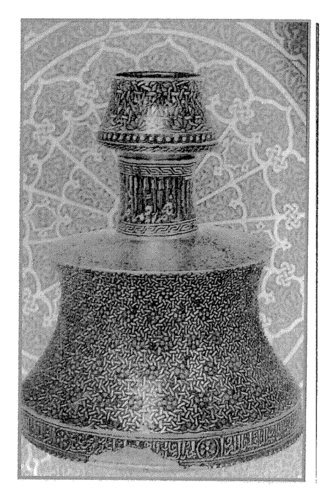
المبحث الثالث:

زخرفة الاسطح المعمارية الاسلامية فى ضوء اتجاهات بعض المدارس الاسلامية

×× توجد علاقة وثيقة بين زخرفة الاسطح والمبانى داخلياً وخارجياً ، لذلك كان من الاهمية القاء الضوء على المدارس التالية:

الزخارف العربية الاسلامية فى العصر الاموي
(٤١ - ١٣٢هـ) (٦٦١ - ٧٤٩م)

أثرت الفنون الزخرفية الموجودة في سوريا قبل دخول الاسلام على



ارتبطت النتاجات التطبيقية للفنان المسلم في وحداتها الزخرفية والتشكيلية بنفس وحدات البناء المعماري

الفنون التي جاء بها الفنان المسلم الى تلك البلاد وظهرت اساليب عديدة لاشكال الزخارف حيث استخدم الفسيفساء في كثير من النقوش الزخرفية مما اعطى سمات وتشكيلات غير مألوفة في اساليب تنفيذ الزخارف. كذلك استخدمت الزخارف في اضفاء الجمال على الاحجار بالنقش عليها وتشكيلها على غرار ما اتبع فى الزخارف البيزنطية وظهر واضحا في زخارف الجص التي كسيت بها الجدران والاعمدة.

وتعد فنون الزخرفة الاغريقية والرومانية التي كانت في سوريا ذات اهمية في الفنون الاسلامية، فقد ادخل كثير من وحداتها ومفرداتها في التصميمات

العلاقات اللونية المتوافقة كانت أكثر وضوحاً في معمارهم

الزخرفية العربية الاسلامية بعد تحويرها واخضاعها لقوانين الفن الاسلامي العربي. وكانت سوريا آنذاك خاضعة للحكم البيزنطي حيث استفاد الفنان المسلم من الصناع المهرة المسيحيين كما استفاد الامراء منهم في زخرفة المساجد وبخاصة قبة الصخرة وجامع دمشق وقصر

خربة المفجر والمنية.

ويبدو ان زخارف قبة الصخرة اقدم محاولة اسلامية عربية للافادة من الزخارف التي ظهرت في الامصار المفتوحة لزخرفة الاماكن المقدسة في اطار اسلامي وان كانت المحاولات الاولى قد اتسمت بالبعد عن التجريد الزخرفي والاقتراب من الرموز الواقعية.

الوحدات الزخرفية الاموية :

استخدمت وحدات جديدة غير مألوفة للعربي القادم من الصحراء والتي جذبت انتباهه ورأي فيها جمالا استطاع صهره في قالب اسلامي محدد المعايير، ومن هذه الوحدات.

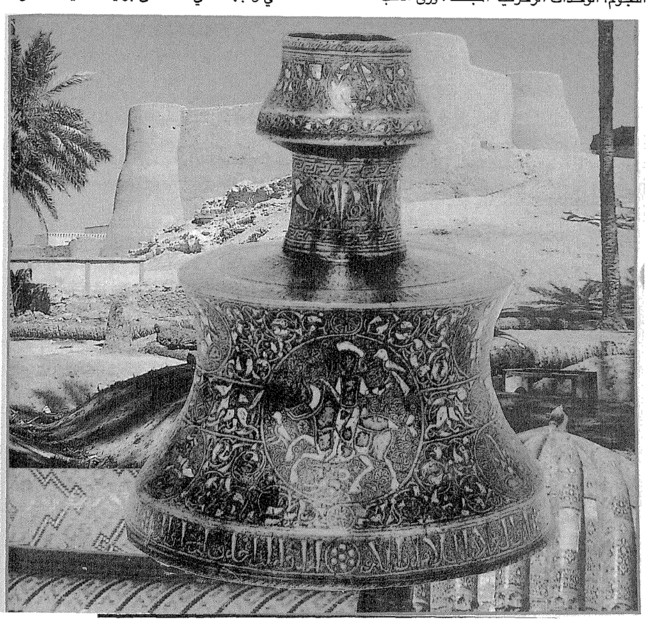
- اشجار النخيل، الصنوبر ، العنب ، الرمان ، نبات الاكانتاس ، المزهريات ، شجرة الحياة، القرون، الاهلة، النجوم، الوحدات الزخرفية المجنحة، ورق العنب.

وظهر التأثير الواضح للحضارة الهلينسية فى الجامع الاموي وقبة الصخرة كما ظهرت الزخارف الكورنشية والمناظر الطبيعية ومناظر الصيد والحيوانات المجنحة وهي من التأثيرات الساسانية. كل ذلك داخل قبة الصخرة والجامع الاموي.

وينسب قليل من الزخارف في العصر الاموي الي عصر الوليد نتيجة لما قام به السلطان السلجوفي (ملك شاه) فى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي.

ويعد قصر خربة المفجر من الاماكن الهامة التي وجدت بها زخارف تعتمد على عناصر آدمية وحيوانية كما احتوى هذا القصر على زخارف هندسية مجردة ونباتية محورة.

كما عرف قصر المشتى بزخارفه الرائعة الجمال المثلة في واجهته التي نقلت الى برلين لاستيلاء الالمان



الأشكال التطبيقية والعمارة الإسلامية والعربية نسيج واحد لشبكة واحدة من العلاقات المتجانسة

عليها ويبدو بها الزخارف الاسلامية البالغة الدقة والتصميم والالوان التي احتوت على وحدات هندسية اساسها البنائي يعتمد على المثلثات والمراوح النخيلية وازهار اللوتس والافاريز الزخرفية وبعض العناصر الحية المجنحة والخرافية واشكال الطيور واوراق العنب وافرعها المختلفة.

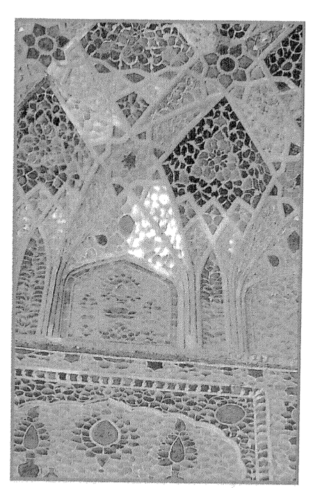
ويبدو واضحا مدى التأثر بالفنون البيزنطية التي لم يستطع الفن العربي الاسلامي التخلص منها في البداية وبخاصة الاشكال التي تنتمي الى ذوات الارواح فالتغيير لا يأتي فجأة. هكذا عرف الانسان المسلم العربي في فتحه للامصار المختلفة.

ويبدو التأثر ايضا بالفن البيزنطي فيما ظهر في العصر الاموي من رموز زخرفية جاء ت من الامصار المفتوحة مثل رمز [شوكة اليهود] التي انتقلت من سوريا الى مصر عن طريق الفن القبطي وظهر ايضا التأثير الهيلنستي والساساني بوضوح في كثير من اساليب الزخارف فى العصر الاموي.

واستخدم في ذلك العصر اشرطة تحمل اسماء الامراء والعديد من العبارات الدعائية ووحدات من فن الارابسك Arabesque التي ازدهرت في القرن الخامس الهجري وهو ما عرف بوضوح في تركيبات الوحدات الزخرفية الاسلامية. وفي العصر الاموي ازدهرت فنون المخطوطات المختلفة وزخرفتها وتذهيبها وقد اشتملت فنونا تصويرية لعناصر مختلفة وبخاصة الصيد والنباتات والطيور وبعض مشاهد الحياة اليومية.

ان هذا العصر هو عصر تزاوج بين أساليب مختلفة من الفنون مع معايير الانسان المسلم في رؤيته لمدارك الحياة وثقافات الامصار الجديدة. ولا نملك ان نطلق على الفنون الزخرفية في العصر الاموي فنونا اسلامية عربية خالصة. فالجذور والمؤثرات لحضارات اخرى لازالت ممثلة فى وحدات الزخارف ولا يعد ذلك عيبا حيث لا توجد حضارة فى العالم لم تؤسس او تستمد بعض مقوماتها من حضارات اخرى، **فالحضارة انتاج بشري ولا يحيا الإنسان بعزل عن العالم ولا يبقى في مكانه جامدا. قد يتجمد وينتهي ومن ثم كانت الحركة والتأثر والتأثير. المهم ان تكون الصورة الاخيرة للزخارف في قالب عربي اسلامي جديد يخالف ما سبقه من الفنون**، ويبقى هناك عامل هام يمتلكه الانسان العربي والمسلم وهو كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ حيث يستمد منهما المعيار للرؤية والادراك والتفكير في الحياة.

الزخارف الاسلامية في العصر العباسي (١٣٢ ـ ٤٤٧هـ) (٧٥٠ ـ ١٠٥٥م)



روائع التشكيل السطحي في العمارة الإسلامية مزيج من رموز وأشكال حضارات انصهرت في بوتقة واحدة بمقومات واحدة وسمات تحدد شخصية وهوية الفن الإسلامي في العمارة

ازدهر فن الزخرفة في العصر الاموي نتيجة لازدهار فن المعمار وكانت الزخارف لاتزال متأثرة بالفنون الهيلنستية والساسانية واحتوت الزخارف على اوراق نبات الاكانتاس واوراق العنب ذات التفريعات المختلفة الخماسية الاشكال كما ظهرت السلال في اشكال متنوعة.

وادخل في زخارف الفسيفساء اشكال لكيزان الصنوبر والمراوح النخيلية واشجار الازهار. وظهرت اشكال الزخارف المحملة بالرموز الساسانية وعرف ذلك بزخارف سامراء الأولى. اما زخارف الفترة الثانية فهي تشتمل على عناصر طبيعية وتعرف المرحلة الثالثة بسيادة الابداع في الزخارف وفنونها وازدهرت الزخارف الجصية التي دخل في تكرارها القوالب التي شاع استخدامها في ايران والعراق في العصر العباسي.

ولقد كان للاتراك دور في فنون ذلك العصر حيث ظهرت الزخارف النباتية ذات التفريعات الورقية الكبيرة التي تنسب اليهم. ان هذه النوعية من الزخارف نقلت عن طريق الاتراك الرحل. ومن الاشكال الزخرفية التي

ظهرت وحدات المحارات التي استخدمت في الاشرطة الزخرفية.

كما ظهر ايضا الخط والتذهيب في اضافة جديدة للزخارف الاسلامية العربية وشهد العصر ايضا اهتماماً كبيراً بزخرفة الكتب وهوامش النصوص الكتابية التي احتوت اشكالا للمراوح النخيلية المجنحة.

الزخارف الاسلامية في العصر العباسي خارج العراق ومصر (٢٥٤ - ٢٩٣هـ) (٨٦٨ - ٩٠٥م)

استخدمت الزخارف الجصية ذات الجامات السداسية التي تضم تفريعات المراوح النخيلية وبعض الوحدات المستمدة من العصر العباسي والمتأثرة بالفنون الزخرفية الساسانية والهيلنستية.

الزخارف الاسلامية في العصر الأموي في اسبانيا (١٣٨ - ٤٢٢هـ) (٧٥٦ - ١٠٣١م)

ظهرت الزخارف الجصية المنحوتة التي عرفت بالدقة وظهر بها نبات الاكانتاس وتفريعات المراوح النخيلية وشجرة الحياة ذات التأثير الساساني، ومن الاساليب التي اتبعت في الزخارف، تغطية الاسطح والبعد عن ترك الفراغات في الارضية وهي سمة من سمات فنون زخارف العصر الاموي وقد لجأ الفنان العربي المسلم الى الفسيفساء لتنفيذ زخارفه كما لجأ الى استخدام الكتابة باشكالها المختلفة داخل الاشرطة.

وادخلت على الزخارف الموضوعات الزخرفية المتنوعة كالطرب وتصوير المناظر الخاصة بالصيد وبيان اسماء الصناع والعبارات الدعائية ودخل تطور كبير على استخدام الزخارف المنقوشة على العاج والاخشاب والمعادن وتكفيتها والتطعيمات الزخرفية بالاصداف على الاخشاب.

الزخارف الاسلامية في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧هـ) (٩٦٩ - ١١٧١م)

عرفت الزخارف الجصية الهندسية الاشكال كما عرفت الزخارف القائمة على عناصر آدمية والتي تأثرت باساليب الزخرفة في العصر الطولوني في الجص وكذلك ما استخدم في العصر العباسي.

ومن الوحدات الزخرفية التي استخدمت في ذلك العصر، زخارف اساسها افرع النباتات واوراق العنب والاشرطة الكتابية الكوفية والمراوح النخيلية المحورة الى اشكال هندسية ويظهر بوضوح مدى تأثر زخارف ذلك العصر بما وجد في [نيسابور] وفي [نايرين] كما ظهرت الوحدات المقرنصة كزخارف بارزة وظهرت تأثيرات للفن القبطي والفارسي وتمثل ذلك في اشكال ورموز للسمك والحمام والحيوانات الخرافية الفارسية القديمة

الزخارف الاسلامية للسلاجقة والاتراك والايرانيين (٤٤٧ - ٥٥٣هـ) (١٠٥٥ - ١١٥٧م)

تميزت هذه الفترة بالزخارف الجصية ذات النقوش والاشرطة الكتابية الكوفية والتوريقات النباتية وتصاوير مناظر الصيد واستخدام البلاطات في الزخرفة للمساحات الكبيرة.

الغرض من ارتفاع القبة إضفاء المزيد من الجلال والهيبة على المبنى

الزخارف الاسلامية في العصر السلجوقي في تركيا (٤٧١ - ٧٠٨هـ) (١٠٧٨ - ١٣٠٨م)

ظهرت الزخارف المنحوتة عل الحجر والجص في تركيا ولكن باساليب تختلف كثيرا عن اساليب الزخرفة التي عرفت في العصور الاسلامية وبخاصة الزخارف التي وجدت في عمائر مدينتي (قونية وديفرجي) التي استخدم فيها المقرنصات والاشرطة الكتابية والمراوح النخيلية وتميزت بامتلاكها للفراغ وظهرت الوحدات الهندسية الدقيقة كما استخدم الوريدات في الزخرفة وكذلك الوحدات الآدمية والحيوانية التي نقشت على الجص والحجر وترجع الى العصر السلجوقي الايراني التي ظهر اثرها بوضوح في الزخارف التركية. ووجدت بعض الوحدات الزخرفية التي قوامها الاسود وهي فارسية الاصل. اما الالوان التي ادخلت علي تلك الزخارف فقد كانت الاحمر والازرق المخضر (التركواز) مع قليل من الاحمر والاصفر.

الزخارف الاسلامية في عهد اتابكة السلاجقة (١١٢٧ - ١٢٦٢م)

استبدلت الزخارف المجردة المنتشرة في العصر العباسي بزخارف بارزة بها عناصر آدمية وحيوانية مما كان شائعا في العصر السلجوقي. ويفسر ذلك على انها استخدمت كتعويذات ذات اثر سحري لدفع الشر. ووجدت وحدات لاشخاص تصارع الحيوانات وهي مستمدة من اساطير قديمة كالتي عرفت في بلاد ما بين النهرين (جلجامش يصارع الاسود). اما التنين فهو رمز مستمد من الفن الصيني.

وبدت ملامح الزخارف السلجوقية واضحة في

قـصـر (بدر الدين لؤلؤ) حـاكم الموصل وهـي تشـتـمل على عناصـر آدمية وطيور.

واستخدمت الاشرطة الكتابية في النقـوش على أرضـيـة نبـاتـيـة وتنتـهي الاحـرف الكتـابيـة برؤوس حيوانات وهي اسلوب ايراني ظهر في عصر السـلاجقة وتعتبر ديار بكر شاهدا على ذلك.

وادخلت الزخارف على الفنون التطبيقية الاخرى كالمعادن والاخشاب. امـا توزيع الوحدات فاستخدمت الاوضاع المتدابرة في اغلب الزخارف كما كان للكتابات الكوفية دور في تواجد الاشرطة الزخرفية الكتابية بوضوح وتواجدها فى كثير من اشكال الجامات.

الزخارف الاسلامية في العصر الايوبي في مصر وسوريا (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ) (١١٧١ ـ ١٢٥٠م)

ظهرت الزخارف بوضوح في اشكال المقرنصات واشرطة الكتابة الكوفية الهندسية التي وضعت على ارضية (خلفية) مورقة كما ظهرت الجامات كوحدات زخرفية بداخلها اشكال آدمية. وكان للزخارف على المعادن المكفتة دور هام في ذلك العصر وبدا التأثير المسيحي في الزخارف واضحـا فى سـوريا والتأثير القبطي في الزخارف في العصر الايوبي بمصر.



التصوير الإسلامي اتخذ في مقوماته البنائية نفس مقومات العمارة

الزخارف الاسلامية في الاسرة الخانية (٦١٥ ـ ٧٣٥هـ) (١٢١٨ ـ ١٣٣٤م)

تأثرت الزخارف في الاسرة الخانية بالفن الايراني والفن المغولي المتأثر اصلا بالفن الصيني. واحتل الخط الكوفي باشكاله المختلفة الاشرطة الزخرفية التي بنيت في تصميماتها على ارضية (خلفية) من الزخارف النباتية الدقيقة. كما ظهرت المقرنصات والاطباق النجمية والزخارف الهندسية النباتية المحورة والمجردة.

وعرفت الزخارف المنقوشة على الاخشاب والمرسومة على المصاحف والمحفورة على المعادن وكراسي المصاحف. وتميزت الوحدات النباتية بالتشابك والزهور والبراعم الطبيعية وظهرت الوحدات الزخرفية التي تحتوي على عناصر آدمية تحمل اقمارا وهو ما ظهر في عصر الاتابكة السلاجقة في الموصل.

ومن مميزات هذه الوحدات ايضا، البساطة وكثرة الزخارف الصينية والرموز الواضحة كالتنين والعنقاء (phoenix) وايضا الدقة في المحاكاة للطبيعة وبخاصة فيما يتصل بالنباتات والحيوانات والطيور وظهر ايضا في العصر الخاني تأثير زخارف القوقاز التي ترجع الي (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م).

ان ذلك العصر يعد عصر اندماج وصهر حقيقي للفنون الاسلامية المستقدمة من الامصار العديدة وهو ما جعل فنون الزخارف في الاسرة الخانية تختلف كثيرا عن فنون العصور الاخرى. ومن العناصر

الزخرفية الجديدة ما تمثل في ظهور الهالات في بعض الفنون الزخرفية وهي تأثيرات مسيحية ظهرت في كثير من المخطوطات (منافع الحيوان - تاريخ العالم - تاريخ العالم القديم - الشاهنامة) وظهرت ايضا العناصر الآدمية ذات السحن المغولية في الزخرفة. وازدهرت فنون المنمنمات الكثيرة الثراء بمفرداتها ودقتها وموضوعاتها.

تتميز العمارة المملوكية بضخامة المداخل والقباب

والنباتية المحورة وعرفت زخارف الفسيفساء الهندسية وادخلت الزخارف الجصية والبلاطات الخزفية والتربيعات الخزفية والوحدات الوردية والافاريز الخطية والافرع النباتية المذهبة في تكوينات فنية ذات سمات واضحة.

وبدت الزخارف واضحة في الاشكال والفنون التطبيقية وبخاصة

ويعتبر العهد الخاني في الفن الاسلامي من الاهمية لوضوح سمات الفنون الاسلامية التي ابدعت من خلاله ويعد ذلك من العوامل الهامة التي مهدت لظهور الزخارف الايرانية القومية في العصر التيموري والصفوي.

الزخارف الاسلامية في الاسرة التيمورية
(٧٧٢ - ٩٠٨هـ) (١٣٧٠ - ١٥٠٢م)

في هذا العصر استخدمت الزخارف الدقيقة الهندسية التي تجمع الاطباق النجمية والمساحات الهندسية القائمة على المربع كوحدة بنائية اساسية واضيف الى ذلك الخط الكوفي الهندسي والفارسي والديواني واعتمد بشكل واضح على الاشرطة الكتابية في المعادن والاخشاب والزجاج وغيرها. وظهرت الجامعات(الدوائر) كحليات زخرفية بدلا من الزخارف الهندسية التي عرفت في العصر المغولي وظهرت ايضا زخارف قوامها الخطوط والنجوم والنباتات وتعتبر المنمنمات مثالا واضحا لذلك (ديوان شعر لاسكندر سلطان في شيراز) عام ٨١٣هـ/ ١٤١٠م ومخطوط مجمع التواريخ الذى كتب للسلطان (شاه رخ) في غرة عام ٨٢٨هـ / ١٤٢٥م).

الزخارف الاسلامية للمغاربة والاسبان
(٤٢٥ - ٨٩٧هـ) (١٠٣١ - ١٤٩٢م)

في هذا العصر عرفت الزخارف المنقوشة والمرسومة على الواح المرمر (قصر الناعورة بطليطلة) واحتوت الزخارف على وحدات نباتية تقف عليها الطيور



الصراع بين التراث وبين المعاصرة حيث تأخذ العمارة المعاصرة الابتعاد تدريجيا عن الموروث الثقافي

التي تعلوها الاشرطة الكتابية الكوفية التي تحمل عبارات دعائية لاصحاب العصر من الحكام. كما استخدمت اشرطة الطور وحيوانات ومرواح نخيلية ووحدات زخرفية نباتية مجردة وظهرت ايضا المقرنصات والمحارات والحيوانات الخرافية واشكال الطاووس المتقابلة التي يفصل بينها شجرة الحياةوالاشرطة النجمية وقد اثرت اساليب الزخرفة في شمال افريقيا على الطراز العربي الاسلامي في الاندلس حيث ظهر نمط جديد من الزخارف الاسلامية.

الزخارف الاسلامية في العصر المملوكي بمصر (١٢٥٠ - ١٧١٥)

تقسم زخارف ذلك العصر الى قسمين وهما :

أ - الزخارف الاسلامية للمماليك البحرية (٦٤٨ - ٧٩٢هـ) (١٢٥٠ - ١٣٩٠م).

ب - الزخارف الاسلامية للمماليك البرجية (٧٨٤ - ٩٢٣هـ) (١٣٨٢ - ١٥١٧م).

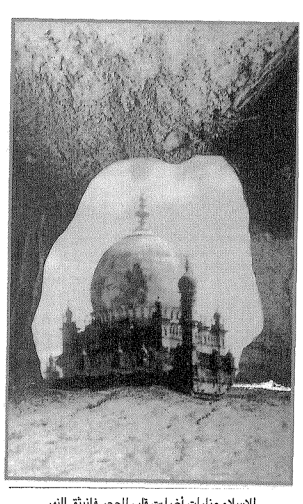
تأثرت الزخارف بفنون غرب تركستان في العصر السلجوقي وانتقل هذا الاسلوب الى مصر عن طريق سوريا التي كانت تحت حكم اتابكة السلاجقة ووجدت وحدات زخرفية ممثلة في المقرنصات الزخرفية ذات الزخارف الهندسية وادخلت الزخارف على الجص والاحجار والمعادن والاخشاب والعاج والمنسوجات وغيرها كما استخدم ايضا الخط الكوفي وظهر ذلك واضحا في عصر المماليك البحرية وكانت الزخارف متعددة المستويات واضيف اليها الزجاج المعشق الملون ويحيط بها عناصر مورقة وكتابات كوفية (مسجد قلاوون) وابنه الناصر محمد.

ولم تظهر الزخارف التي اساسها البلاطات او الفسيفساء واستعيض عنها بالبلاطات الرخامية المعشقة بوحدات هندسية مختلفة الالوان.

كما اضيفت الوحدات الزخرفية ذات الاطباق النجمية الهندسية وتضمنت وحداتها فراغات نباتية مجردة كما استخدمت العناصر الآدمية داخل جامات. كذلك بعض العبارات الدعائية وصور للحيوانات والطيور على ارضيات نباتية بسيطة اقرب الى الواقعية وازدهر ايضا فن الرنوك والتكفيت.

الزخارف الاسلامية في العصر الصفوي (٩٠٧ - ١١٣٥هـ) (١٠٥٢ - ١٧٢٢م)

استخدمت الوحدات الزخرفية النباتية المجردة والاشرطة الكتابية والخطوط الكوفية ذات الطابع الهندسي الثي اعتمد فيها على وحدات الفسيفساء وظهرت ايضا خلايا النحل للمرة الاولى في الزخارف الاسلامية وزخرفة المقرنصات بوحدات نباتية وكذلك



للإسلام منارات أضاءت قلب الحجر فانبثق النور هداية للبشر وظلت العمارة الإسلامية وعاء حاملا في مضمونه وجوهره روح الإسلام

استخدمت البلاطات الخزفية والتفريعات النباتية المتصلة (الارابسك) ورسوم الازهار والوحدات الآدمية والحيوانية الدقيقة ومناظر الصيد.

ان ذلك العصر هو عصر الثراء الزخرفي الذى لم تكن ايران تعرف ازدهارا في فنونها الزخرفية مثل ذلك العصر فهو يمثل القوة في الفنون وازدهارها وبخاصة في زخارف فن المنمنمات.

الزخارف الاسلامية في العصر العثماني (٦٨٠ - ١١٣٤هـ) (١٢٨١ - ١٧٣٠م)

يعتبر ذلك العصر بداية لتدهور الفنون الزخرفية الاسلامية حيث قل الاهتمام بها واختفت زخارف الفسيفساء والبلاطات الخزفية والنجمية التي عرفت في العصر السلجوقي وحلت محلها أنماط اخرى للبلاطات ذات الالوان المتعددة التي انتجت في مدينة (ازنك) في عصر السلطان سليم الاول.

وتداخلت الزخارف السلجوقية والمغولية في الزخارف الجصية وظهرت الزخارف الطبيعية والمجردة وانتشرت الجامات المملوءة برسوم آدمية ووجدت

زخارف نباتية دقيقة واستخدمت زهرة اللوتس وشرائط السحب المغولية.

ان زخارف ذلك العصر اصبحت خليطا غير متجانس من الفنون غير المترابطة التي لا تجمعها سمات واحدة سواء في التصميم الزخرفي الواحد او غير ذلك. وتقسم زخارف تلك الفترة الى ثلاثة اقسام هي:

- القسم الاول : (٨٩٦ - ٩٣٢هـ) (١٤٩٠ - ١٥٢٥م)

زخارف تعتمد على انماط من الفنون الصينية المغولية وتحتوي على تفريعات مزهرة دقيقة وتفريعات متصلة (ارابيسك) ومرواح نخيلية وزهور اللوتس وشرائط السحب.

- القسم الثاني: (٩٣٢ - ٩٥٧هـ) (١٥٢٥ - ١٥٥٠م)

سادت في تلك الفترة فنون الزخرفة الاسلامية التي استخدمت وحدات غير مألوفة اساسا ومن قبل في الزخارف مثل الوحدات الزخرفية الكبيرة وبخاصة زهرة القرنفل وقرن الغزال ونبات السوسن والعنب واوراقه والخرشوف. وان كثيرا من هذه الزخارف ينسب الي مدينة دمشق.

- القسم الثالث: (٩٥٧ - ١١١٢هـ) (١٥٥٠ - ١٧٠٠م)

تتشابه فيه الزخارف الى حد ما مع زخارف القسم الثاني ولكن ادخل عليها اشكال الحيوانات والطيور والازهار والنباتات واختفاء الاشكال الآدمية قبل منتصف القرن السادس عشر الميلادي من الزخارف الاسلامية.

الزخارف الاسلامية الهندسية

العصر الاسلامي الاول (العصر المغولي)
(٩٣٣ - ١٢٧٤هـ) (١٥٢٦ - ١٨٥٧م)

ازدهرت الفنون المغولية وبخاصة في فن المنمنمات وتميزت زخارف العصر بدقة الزخارف الهندسية والنباتية وشغلها للفراغات.

وتبدو بوضوح التأثيرات الايرانية في الفنون المغولية الهندسية كما اشتملت الزخارف على عناصر بحرية ونفذت على اسطح الرخام والنحاس والاخشاب والعاج والجص الابيض كما استخدمت الاحجار الملونة في الزخرفة وايضا الواح المرمر التي استخدمت باسلوب يشبه (الدانتيل).

كما اضيف الى ذلك الفسيفساء الملون لصنع اللوحات الزخرفية وابداع تصميماتها.

ويعتبر ذلك العصر عصر اسراف في عمليات التذهيب الزخرفي.

كما استخدمت الجامات في تكرارات منتظمة وعرفت الارضيات الزخرفية الحمراء وايضا المراوح النخيلية وازهار الزنبق.

المبحث الرابع : رؤية مستقبلية لاستثمار الموروث الثقافي الاسلامي في العمارة.

في ضوء ما تقدم نضع ملامح التصور المستقبلى التالي:

- ان تعيد الانظمة السكانية العربية النظر في برامج الاسكان بتأكيد مقومات البناء الاسلامي حفاظاً على الهوية الاسلامية.
- ان يعاد النظر فى زخرفة وتجميل اسطح العمارة العربية والاسلامية المعاصرة.
- ان يعاد النظر فى كل رمز او شكل دخيل على انظمة البناء العربي.
- ان تشرف اجهزة مسؤولة عن تخطيط المدن ونقد قيم ومقومات البناء الاسلامي.
- ان يرتبط شكل البناء العربى الاسلامي بالوظيفة التى انتج من اجلها.
- القضاء على عشوائيات البناء العربى الاسلامي.
- ان يرتبط البناء بفلسفة ومقومات الحياة الاسلامية.
- الحد من فوضى الاساليب غير العربية فى العمارة على الارض العربية.
- استثمار اساليب العمارة الاسلامية في ايجاد انظمة جديدة للعمارة تحقق الهوية العربية الاسلامية.
- أن يعيد البناء العربي الاسلامي الانتماء للانسان ويسهم فى اثراء مقومات الحياة الاسلامية كما كان من قبل.
- ان تعلم فلسفة البناء الاسلامي للاجيال لامكان التصدى للتيارات غير المتجانسة التي تعمل على العمارة الاسلامية ومقوماتها.
- انشاء اجهزة متخصصة للتخطيط للانشاءات الاسلامية.
- انشاء مراكز متخصصة لحفظ وصيانة التراث الاسلامي فى العمارة.
- تعريف الأجيال اعلامياً وتعليميا بتراثهم الاسلامي والعلوم المتصلة به.

سمات التصوير الإسلامي الجمع بين الأزمنة والأمكنة في حيز واحد

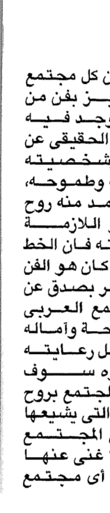


شواهد معمارية

بيت آل نصيف (القديم) نموذج لبيت من جدة القديمة تمت المحافظة عليه في خطة متكاملة للمحافظة على مباني مدينة جدة القديمة



لوحة كتب عليها.. ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.. بخط كوفي معقود مترابط مزهر ومشجر ومورق



اذا كان كل مجتمع قد تميز بفن من الفنون وجد فيه التعبير الحقيقى عن روحه وشخصيته وطابعه وطموحه، واستمد منه روح الابتكار اللازمة لنهضته فان الخط العربى كان هو الفن الذى عبر بصدق عن المجتمع العربى وطموحة وآماله وبفضل رعايته وازدهاره سوف يتزود المجتمع بروح الابتكار التى يشيعها الفن فى المجتمع والتى لا غنى عنها لنهضة أى مجتمع وتقدمه.

جماليات الخط العربي في العمارة الإسلامية

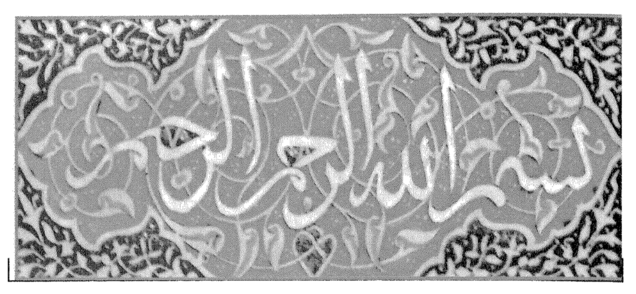
بقلم:
الدكتور حسن الباشا
- مصر -

والخط العربى موضوع موسوعى متشعب يمكن أن تتضمن جوانبه عشرات المجلدات وذلك لتعددها: اذ قد تشتمل مثلا على الكلام عن نشأته وأصوله وتطوره قبل الاسلام وبعده، ومنتجاته وأنواعه ومزاوليه ودوره فى الفنون الأخرى وتأثره وتأثيره الى غير ذلك من الأمور.

ومن هنا كان الحرص أن تقتصر هذه الدراسة على جانب واحد هو جماليات الخط العربى: أى ما يشتمل عليه الخط العربى من خصائص ذاتية جميلة وقيم فنية تبعث فيمن يزاوله أو يستوحيه أو يتذوقه النشوة والمتعة، وكذلك ما يشتمل عليه من امكانيات ساعدته على التطور نحو الاتقان والجمال.

وفى عرضنا لهذا الموضوع سوف نتطرق بطبيعة الحال الى جوانب اخرى لتساعدنا على الكشف عن هذه الجماليات بل ربما فى ذكرها توضيح لبعض أشكالها وصورها ولكننا لن نتطرق اليها مسا طفيفا.

وبادئ ذى بدء يجب أن نقرر أنه قد مارس الخط العربى واستوحاه على طول تاريخه وفى عصرنا الحاضر عباقرة وموهوبون شغفوا به وعملوا على تشكيله وتجويده وتنويعه وتطويره مما أدى الى أن صار بحق فنا مرموقا يمثل روح



بسملة موجودة بخط ثلث على أرضية زخرفية كتبها الخطاط على البسطالي عام ١٤٥٥م

المجتمع ويعبر عن طموحه ويسعد به مختلف طبقات المجتمع ويحظى بكل عناية ورعاية.

كما انتشر الخط العربى فى سائر انحاء العالم الاسلامى بل كان أوسع انتشارا من اللغة العربية نفسها اذ كتبت به لغات أخرى غير عربية كالفارسية والتركية والأوردية والمالاوية وغيرها. وحظى الخطاطون المجيدون بالحفاوة الشعبية والرعاية الرسيمة: بلغ من تقدير الشاه اسماعيل الصفوى للخطاط محمود أن حرص على حمايته بصفه خاصة حتى لا يقع فى يد عدوه السلطان سليم اذا خسر المعركة معه.

وزاول فن الخط كبار رجال الدولة وأعيانها نذكر منهم على سبيل المثال:

- عضد الدولة البويهى، والسلطان احمد جلائر (ت١٤١٠) وبايسنقر التيمورى (ت١٤٣٣) الذى أسس فى هراة مدرسة لتعليم فن الخط وعمل فيها بنفسه خطاطا، والشاه اسماعيل الصفوى والأمير داراشكو من مغول الهند والسلطان محمود بن السلطان عبد الحميد العثماني.

وكتب عن الخط ومزاوليه العديد من المؤلفات وأشيد بهم شعرا

إرتباط الحرف العربي بالقرآن الكريم أكسبه روحاً دينية خاصة



الحرف العربي لوحة فنية رائعة

ونثرا. ونذكر من هذه المؤلفات على سبيل المثال: رسالة الخط المنسوب، وألفية زين الدين شعبان الآثارى، وتحفة خطاطين لسليمان سعد الدين، ومناقب هزوران لمصطفى الدفترى المعروف بعالى الشاعر، والخطاطون والمصورون للقاضى أحمد بن ميرمنشي.

وورد الكثير عن الخط العربى فى الكثير من المؤلفات الموسوعية مثل الفهرست لابن النديم، واخوان الصفا، وصبح الأعشى.

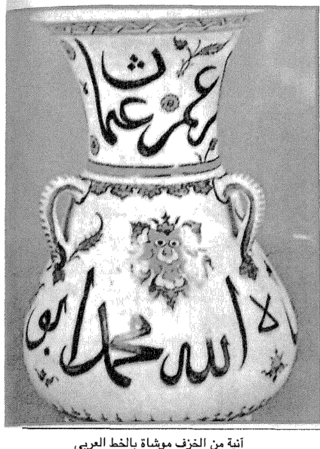
- وترجع جماليات الخط العربى الى أمور ربما كان أهمها أمرين أساسيين :

(أولهما) : أشكال الحروف العربية نفسها وطبيعتها فى الليونة والانسياب وطريقة ترابطها لتشكيل الكلمات، وربما كان لطبيعة اللغة العربية نفسها دور فى ذلك أيضا مثل استخدام حرف الواو للوصل ونهاية الجمع والمثنى بالنون وكثرة استخدام الالف واللام.

- تتكون الحروف العربية من مجموعات يختلف بعضها عن بعض بصفة عامة، فى حين تتشابه حروف كل مجموعة، وذلك بالاضافة الى حروف مفردة لكل منها شكلها المتميز وهى الالف والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء.

كما أن لكل حرف من هذه الحروف

الخط العربي استهوى الفنانين الأوربيين في عصر النهضة



آنية من الخزف موشاة بالخط العربي

أشكالا مختلفة وذلك بحسب وضعها في الكلمة: أولها أو وسطها أو آخرها.

- وزودت أشكال الحروف العربية منذ البداية بامكانيات التنوع: وليس أدل على ذلك من أن الأبجدية العربية كتبت بآلاف الأشكال.

- وعلى الرغم من أن الكلمات في الخط العربي يكتب كل منها وحدة مستقلة متصلة الحروف فان بعض الحروف لا يتصل بما بعده حتى في الكلمة الواحدة مثل الالف والدال والذال والراء والزاي والواو مما يمكن الكاتب من أن يشكل من الكلمة الواحدة تصميما يعلو بعض حروفه على بعض عند الضرورة الجمالية.

- ومما ساعد على تزويد الخط العربي بامكانيات التجميل بالاضافة إلى ما سبق أشكال الحروف نفسها بما تشتمل عليه من قوائم وبسائط وانحناءات ودوائر وزوايا وتدرج فى السمك والرشاقة واختلاف طرق وصلها، والتوازن بين الاتجاه الصاعد والاتجاه المبسوط وبين الزوايا والأقواس والدوائر.

- واذا أضفنا الى ذلك ما استلزم من اضافة علامات الاعجام كالنقط وعلامات الاعراب كالضمة والفتحة والكسرة والشدة والهمزة والتنوين أمكننا أن نتخيل ما تضمنه الخط العربى من امكانيات يستطيع الموهوب بفضلها أن يحقق مستوى عاليا من الجمال الفنى فى تناوله.

عادة زخرفة العمائر بالخط كانت متبعة في جميع العصور الإسلامية

- وفضلا عن ذلك فان الفراغات فى الخط العربى تتوازن وتنسجم مع الخطوط فى الكلمات والجمل مما كان له فضل كبير فى التوزيع الجمالى الناجح فى التصميم الكلى.

- وقد اكتشف العلماء أن أشكال الخط العربى فى حركة دائبة من امتداد وصعود وهبوط وانحناء واستدارة على الرغم مما تبدو عليه الحروف ظاهريا من سكون وجمود وهكذا تضمنت أشكال الخط العربى حياة كامنة أتاحت له التشكيل الجميل.

- كل ذلك هيأ للخط العربى أن يتطور عبر الزمان وأن يتشكل بصور تلائم العصر ومن المعروف أن التطور ظاهرة ابداعية طبيعية.

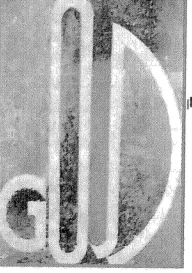
- واذا أطلقنا على هذا الأمر أو

الخط العربي أحد المكونات الجمالية والفنية للعمارة الإسلامية

العامل الجانب الشكلي فى جماليات الخط العربى فان الأمر الثانى الأساسى الذى ترجع اليه جماليات الخط العربى يمكن أن نسميه الجانب الروحى.

- ذلك أن الخط العربى نشأ وتطور فى رحاب القرآن الكريم: اذ أن القرآن كتب عند نزوله بالخط العربى، ثم جمع المصحف الشريف فى عهد أبى بكر الصديق ، ونسخت مصاحف عثمان بن عفان الخليفة الثالث بالخط العربى، ثم ظلت المصاحف كلها والآيات القرآنية والأدعية والعبارات الدينية تكتب بالخط العربى دون غيره من الخطوط، كما كتبت بدايات بعض سور القرآن الكريم بحروف الخط العربى مثل : «كهيعص»، «المر»، «طه»، «نون»، وهكذا ارتبط الخط العربى وحروفه بالقرآن الكريم وبتلاوته، وكان من أثر ذلك أن أنعم الخط العربى بروح دينية منذ البداية، وظلت هذه الروح تزداد مع الزمن، وهكذا امتزج الشكل الجميل بالعاطفة الطاهرة، وامتزج الفن بالدين فى وحدة جميلة فى الخط العربى.

بسملة.. بخط الخطاط الكبير القندوسي وتعود إلى عام ١٨٤٩م



لفظ الجلالة بالخط الكوفي المعماري من مدرسة السلطان حسن – القاهرة

- ووصلنا نسخ من القرآن الكريم تنسب الى مصحف عثمان رضى الله عنه بعضها فى القاهرة، وفى طشقند، وفى استانبول. ويبدو الخط العربى فى هذه المصاحف منسق الحروف والكلمات وخاليا من علامات الاعراب والاعجام.

- ولدينا مصاحف ترجع الى القرن الثانى وما بعده يتضح فى بعضها علامات الاعراب أو الاعجام مدونه بأسلوب مبكر يقال انه من ابتكار أبى الأسود الدؤلى ومن بعده نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر. ثم لم يلبث الخليل بن أحمد الفراهيدى أن ابتكر علامات اعراب جديدة استمد بعضها من أشكال الحروف، ثم أخذ الخطاطون يحسنون من هذه العلامات ويضيفون اليها. وكان الغرض من كل ذلك تيسير قراءة القرآن دون تحريف أو تصحيف مع عدم اغفال الجانب الجمالى.

- ونظرا الى أن الخط العربى كان فى بدايته يتضمن بذور الجفاف واللين فقد انقسم منذ صدر الاسلام الى نوعين رئيسيين هما الخط الجاف أو المبسوط الذى صار يعرف فيما بعد باسم الخط الكوفى، والخط اللين أو المقور الذى صار يعرف باسم خط النسخ.

ونظرا الى أن الخط الكوفى كان أشبه بأشكال هندسية، بل انه كان يكتب أحيانا بالأدوات الهندسية كالمسطرة والفرجار ولا سيما فى المصاحف الكبيرة، فانه كان أيسر من خط النسخ من حيث التجميل والتنسيق، ومن ثم اقتصر به فى القرون الخمسة الأولى على تدوين المصاحف الفخمة وزخرفة التحف والكتابة على الآثار. وكان الخط الكوفى فى تنسيقه يعتمد على ذوق الخطاط الذى اكتسب مهارته من ممارساته وتدربه ومشاهداته.

ولجأ الخطاطون فى تجميل الخط الكوفى بتشكيله أحيانا وبتزويده أحيانا أخرى بأشكال زخرفية معروفة كالخطوط أو الأشكال الهندسية، والزخارف النباتية والتشكيلات المعمارية التى امتزجت بأشكال الحروف نفسها فى وحدات جميلة.

ونتيجة لهذه الاضافات

والتشكيلات عرف للخط الكوفى انواع عديدة نذكر منها:
- الخط الكوفى البسيط: وهو خط يتميز بتنسيق الحروف والكلمات وخال من الزخارف.
- الكوفى ذو الزخارف الهندسية: ويضاف اليه فى بداياته ونهاياته أشكال هندسية كالشرط والمثلثات والدوائر.
- الكوفى المورق: وتتخذ بداياته ونهاياته أشكال أوراق نباتية.
- الكوفى المزهر: وتمتد من حروفه خطوط أشبه بعروق نباتية يتفرع منها أوراق نباتية وأزهار.
- الكوفى ذو الشريط الزخرفى: ويمتد أعلاه شريط زخرفى يتكون من حليات زخرفية متماثلة.
- الكوفى المعمارى وتتشكل بعض أجزاء حروفه على هيئات معمارية كالقباب والعقود والكوابيل.
- الكوفى المضفر أو المجدول.
- الكوفى المربع.
- الكوفى على أرضية نباتية.

ويمكن أن تتضمن الكتابة الواحدة اكثر من نوع.

وكان الخط الكوفى قد أهمل أمره فى العصر الحديث وعمل على احيائه خطاط مصرى هو المرحوم يوسف احمد.

أما الخط اللين أو النسخ فقد استغرق وقتا أطول حتى بلغ مستوى مناسبا من التجميل والتحسين وذلك لانه يكاد يخلو من الخطوط المستقيمة ويعتمد أساسا على يد الكاتب.

ويرجع الفضل فى تطوير خط النسخ نحو الجمال الى سلسلة من الخطاطين الأفذاذ كان كل منهم يضم جهده فى تحسين الخط الى تراث سلفه.

وينسب الفضل الأول فى تحسين الخط اللين أو النسخ الى خطاط عبقرى شغل منصب الوزير فى العصر العباسى هو أبو على بن مقلة (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) وذلك بأن قنن أشكال الحروف بأن نسبها الى حرف الالف الذى اتخذه مقياسا أساسيا وحدد طوله وعرضه بعدد النقط.

وجاء بعد ابن مقله آخرون اخذوا يضيفون من فنهم الى الخط العربى نذكر منهم أبا الحسن على بن هلال الملقب بابن البواب (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) الذى عدل معايير الحروف الى نسب جميلة.

والحق أن محاولة ضبط أشكال الحروف بنسب ومعايير جمالية وتقنينها تعتبر فريدة فى مجال

الخط العربي قيمة جمالية ساهمت في تجميل المنتجات الفنية من عمارة وفنون

الخطوط. ومن العلامات المميزة فى تطوير الخط العربى وتحسينه ياقوت المستعصى الملقب بقبلة الكتاب (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م).

وابتكر الخطاطون عشرات الأنواع الرئيسية من الخط اللين التى يتفرع كل منها الى أنواع أخرى فرعية لكل منها خصائصه الجمالية وأحيانا وظيفته الخاصة وقد تبلغ عدد أنواع الخطوط المئات.

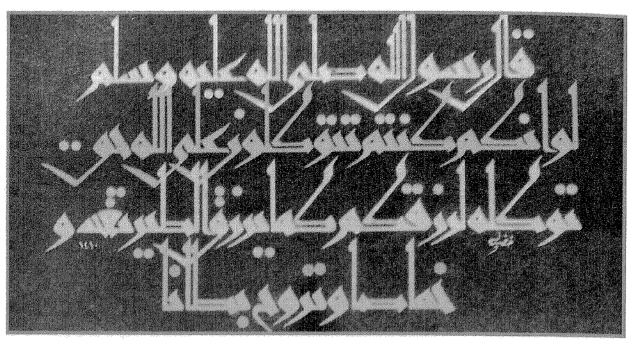
وازدهر فى العالم العربى خط النسخ والثلث بأنواعه. وفى ايران الخط الفارسى أو التعليق والنستعليق والشكسته. وفى تركيا الخط الديوانى والهمايونى والرقعة والطغراء.

وكثيرا ما كانت تجمل هذه الخطوط بالتذهيب وتزخرف أرضياتها بالحليات التى كانت تكون مع الكتابة تشكيلا جميلا متناسقا.

وحظى العالم الاسلامي بعديد من الخطاطين الموهوبين الذين كان لكل منهم أسلوبه المتميز كما كان لبعضهم ابتكارات لخطوط نسبت الى اسمائهم ونذكر من هؤلاء الخطاطين: «حمد الله بن الشيخ الأماسي - والحافظ عثمان - ومحمد مؤنس زاده صاحب النهضة الخطية بمصر - وعبد الله زهدى - والشيخ على بدوى الذى اشترك فى تأسيس مدرسة تحسين الخطوط بالقاهرة - ومحمد ابراهيم - وسيد ابراهيم - ومحمد على المكاوى - ومحمد عبد القادر عبد الله».

وعلى الرغم من أن الخط العربى قيمة جمالية فى حد ذاته فانه أسهم فى تجميل المنتجات الفنية من عمارة وفنون، غير أنه كان يتشكل على أسطح هذه المنتجات وفقا لملمس السطح وطبيعة الخامة والتصميم الكلى، فضلا عن وظيفة الكتابات كقيمة تسجيليه ووسيلة لنقل ايات قرآنية وأدعية وعبارات دينية. والحق أن الاحساس النابع من مثل هذه المنتجات يشبه الاحساس بقطعة موسيقية متكاملة متجانسة النغمات وان كان لكل نغمة منها جمالها الذاتى.

وظلت عادة زخرفة العمائر بالخط متبعة فى جميع العصور الاسلامية حتى ان العمارة الاسلامية يمكن أن تكون حقلا مناسبا لدراسة الخط العربى وتطوره وأنواعه وأساليبه الجمالية. كما وجد الخط بداخل المبنى وخارجه وفى أسقفه وقبابه وقبواته. ونفذ على العمائر بطرق شتى منها الطلاء والحفر والفسيفساء وبلاطات الخزف والطوب.



وأقدم أثر معماري يشتمل على كتابة دونت بأسلوب جميل وكان لها دورها في تصميمه فضلا عن مضمونها الديني والتسجيلي هو قبة الصخرة بالقدس وترجع الى سنة ٧٢هـ، ثم توالت بعد ذلك العمائر التي تشتمل على كتابات بخط جميل كان له دوره في تصميمها العام، وأشكالها التي تلائم جمال العمارة وزخرفتها المتعددة.

. والحق أن الكتابة الأثرية على العمائر كثيرا ما تخدم التصميم العام للمبنى سواء من الخارج أو من الداخل بحيث قد لا يستقيم جمال المظهر العام بدونها: اذ قد يكون للخط قيمة تشكيلية أحيانا في تحزيم المبنى، واضفاء طابع القوة عليه فضلا عن الحيوية وقد يكون له أثره في تقوية الاحساس بالسمو والصعود في العقود واضلاع القباب، وقد يحقق الخط التكامل بين الشكل الكلي والقيمة الضوئية، وملامس الاسطح.

وكان للخط العربي فضله على الزخرفة الاسلامية بعامة: اذ أنه أعارها طابعه الجمالي القائم على التناسب بين النقطة والخط.

كما كان له دوره في زخرفة المشغولات الفنية بكافة أنواعها، واشترك مع زخارفها النباتية والهندسية في تكوين تصميمها، بل انه في بعض الأحيان اقتصر به على زخرفه التحف وتجميلها وتكوين تصميمها العام. وجاء الخط متوافقا مع الشكل والملمس السطحي وسائر الأشكال الزخرفية الأخرى. وهكذا تعاون الخط والفن والمهارة الصناعية والفكر الناضج والخيال الفياض في تصميم التحفة الجميلة واخراجها. وكثيرا ما كانت ترمز الكتابة لوظيفة التحفة فضلا عن مضامينها الأخرى من تسجيل أو توقيع أو دعاء أو غير ذلك

الخط العربي ساهم في تطوير بعض أشكال الحروف الأوربية

واستخدم في الكتابة على التحف التطبيقية الحفر والطلاء والمينا والتكفيت والتذهيب كما استخدمت المادة نفسها احيانا كما هي الحال في النسيج والسجاد.

وكان الشريط الكتابي على التحفة يدور حولها متناسبا مع دورانها ومؤلفا قيمة تشكيلية تعبر عن الاستمرار. وأحيانا تحقق الكتابة توازنا بين الاتجاه الصاعد والحركة الدائرية، أو توازنا بين الخط والكتلة، أو يساعد على توزيع الفراغات والمساحات توزيعا جميلا.

ومن جهة أخرى اتخذ التصوير الاسلامي في أسلوبه طبيعة الخط العربي نفسه من حيث اعتماده على الخط ورشاقته، ومراعاة النسب الجميلة، والدقة في الرسم والتحكم في اليد، هذا وفي كثير من منتجات التصوير الاسلامي كان للخط العربي دوره في تصميم الصورة بالاضافة الى دوره من حيث المضمون.

ولم يقتصر الفنانون على الكتابة بالخط الجميل وادخاله في زخرفة المنتجات المختلفة بل حوروا حروفه أحيانا الى أشكال وصور

مختلفة: من ذلك مثلا تشكيل الحروف على هيئة أشجار وأغصان وعرف ذلك فى النسج، أو تشكيلها على هيئة كائنات حية آدمية وحيوانية وشاع ذلك فى المعادن فى ايران ومصر.

كما أقبل الخطاطون على تشكيل الخط العربى على هيئة صور مع الاحتفاظ بمضمونها مثل الطيور أو السفن والحيوانات.

كما كونوا من كلمات العبارة حليات جميلة أو أشكالا هندسية وساعدهم على ذلك كلمات اللغة العربية نفسها وما فيها من حروف قد تتكرر فى العبارة الواحدة مثل حرف الواو والنون والسين.

هذا وقد كان للخط العربى دوره فى الفنون الأوربيه، وكان ذلك موضوعا تناول البحث فيه الكثيرون من الكتاب الأوربيين منذ أوائل القرن التاسع عشر ونذكر من هؤلاء أدريان دى لونبيرييه Adrien de Longperierالذى كتب فى سنة ١٨٤٥ بحثا عن استخدام الأوربيين للحروف العربية فى الزخرفة.

Longperier (Adrien de), De L'emploie des Caracteres arabe dans L,ornementation Chez Les Peuples Chretiens de l'Occident.
Revue Archeologique, 11, Annee, 1845, P.696 - 706.

وظهر تأثير الخط العربى فى اوربا منذ القرن الثامن الميلادى، وظهر تأثيره فى الفنون الأوربيه المختلفة كفنون ما قبل الرومانسكى والرومانسكى والقوطى والبيزنطى وعصر النهضة واستمر التأثير الى ما بعد ذلك الى العصر الحديث.

ومن مظاهر تأثير الخط العربى فى أوربا دوره فى تطوير بعض أشكال الحروف الأوربيه نفسها كما يتضح فى الكتابات الأثرية بالخط القوطى فى قبر ريتشارد الثانى فى وستمينستر (سنة ١٣٩٩م) وفى أحد القبور فى فيشليك Fishlake فى يوركشير سنة ١٥٠٥م وفى كنيسة سوث اكر South Acre فى نورفولك (حوالى سنة ١٥٥٠).

كما كتب بالخط العربى على المسكوكات الأوربية: ومن أمثلة ذلك ربع دينار بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة باسم الملك غليالم ملك صقلية (٥٤٨ - ٥٦١هـ/ ١١٥٤ - ١١٦٦م) جاء على وجهه كتابة بالخط الكوفى نصها «الملك غليالم المستعين بالله».

وكانت الحروف العربية تمثل زخرفة رئيسية على الاطباق القوطية وأغطية الأوانى كما يتضح ذلك فى غطاء اناء من الخشب من العصر القوطى يشتمل على زخرفة من الخط العربى.

واستهوى الخط العربى الفنانين التشكيليين فى عصر النهضة بما

الفنانون التشكيليون فى أوروبا اعتمدوا على الخط العربى وحده فى تصميم بعض لوحاتهم

فيه من جمال زخرفى فظهر فى بعض لوحاتهم التصويرية وأعمالهم النحتية: ومن هؤلاء جنتيلى دافبريانو فى لوحة تبجيل المجوس (سنة ١٤٢٣) المحفوظة فى الاوفتس فى فلورنسا، وهانس هولباين الأصفر فى لوحة جورج جيز (١٥٣٢) فى متحف برلين، وفيركيو فى تمثال داوود البرنز فى البارجيلو فى فلورنسا (سنة ١٤٥٣ - ١٤٨٨).

ومما يسترعى الانتباه أن بعض الفنانين التشكيليين فى أوربا فى العصر الحديث اعتمدوا على الخط العربى وحده فى تصميم بعض لوحاتهم.

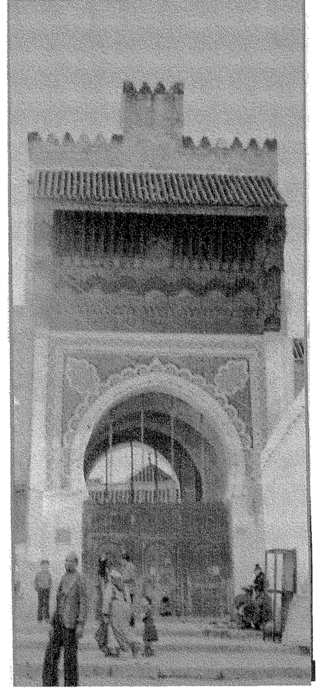
ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال باول كليه Paul Klee الذى زار مصر فى عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ وقد تأثر باول كليه باستدارة حروف الخط العربى وبحركته من اليمين الى الشمال.

وكان باول كليه ينثر أشكال الحروف العربية وأجزائها وأحيانا بعض الكلمات على سطح لوحة بألوان شاذه وبتوزيع مدروس فتفجر أحساسا قويا مبعثه التباين اللونى والايقاع الشكلى للحروف والتوزيع المنغم للمساحات. ولم تكن خطوطه كما تبدو فى الوهلة الاولى وليدة المشاهدة الآنية المجردة وانما كانت نتيجة اختمار طويل متأن للمشاهدة الحسية. ومن ثم كان للشكل لغته التصويرية وفى الوقت نفسه معنى باطن وان بدا غامضا. ومع ذلك فمن خلال الحرية التى تناول بها كليه أشكاله وألوانه لابراز العلاقات الضرورية بينها نشأت فى لوحاته صلات بين الباطن والظاهر وتتابع ايقاعى وتداخل أنغام. ولا شك أنه كان لأشكال الحروف العربية وعلامات اعجامها فضل كبير فى تحقيق ذلك كله.


المساجد..
نماذج معمارية

أثر العقيدة الإسلامية على عمارة المساجد

أ.د/ محمد محمد الكحلاوي
مدرس الآثار الإسلامية بجامعتي
القاهرة والملك سعود



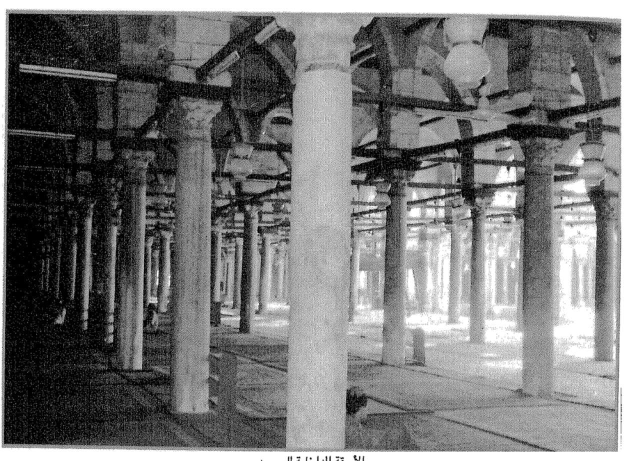
تسلطت على علماء الآثار المستشرقين فكرة ترمى الى تجريد العرب من كل فضل في عمارتهم وفنونهم، ولذلك نادرا ما نسمع او نقرأ في مؤلفاتهم مصطلح «الفن العربى» حيث لم يقتنع المستشرقون بهذه التسمية لكونهم لم يعترفوا اصلا بأن للعرب فنا خاصا بهم لكون حياتهم الاولى كانت خالية من المظاهر الحضارية والعمرانية، ولذلك لم يكن لديهم شئ من الفنون لينقلوه الى الاقطار التى فتحوها، وعلى ذلك اعتقدوا بأن الفن العربي تعبير خاطيء صحته «الفن الاسلامي»(١) وقد استند معظم المستشرقين في ذلك الفهم على ما ذكره ابن خلدون في قوله: «ان العرب كانوا ابعد الناس عن الصنائع، وانهم كانوا لا يجيدون صناعة البناء .... وانهم استعانوا بالفعله المهره في اقامة عمارتهم وتشكيل فنونهم(٢)».

وفي الواقع لم يكن مجال هذا البحث هو تفنيد تلك الآراء ، وشرح مدلول كلمة «عرب» عند ابن خلدون ، وبيان افتراء المستشرقين، وانما يهتم موضوع هذا البحث بكشف النقاب عن الخلفية العقائدية فى العمارة الاسلامية وابرازها، تلك الخلفية التى حملها العرب ضمن ما حملوا الى الاقطار التى فتحوها، والتى كان لها اعظم الاثر في وضع لبنات الفن الاسلامي الجديد.

الوازع الدينى واثره على العمارة:

ليس هناك اكثر من الدين الاسلامي حثا للمسلم على اعمار الأرض، اذ حفلت الآيات القرآنية والآحاديث الشريفة بكثير من النصوص التى تدفع المسلم إلى البناء وتحثه عليه تقربا الى الله وكسباً لثوابه.

حيث جعل الله ثواب الصدقة الجارية، والعمل



الأروقة الداخلية للمسجد

الصالح من اوجه الخير التي ينتفع بأجرهما المسلم، ولا ينقطع بهما عمله فى الدنيا الى يوم القيامه ومن هنا اخذ المسلم في العمل على تعمير آخرته بالبناء في دنياه بما ينفع الناس، فعكف على بناء العمائر الدينية كالمساجد والمدارس والزوايا والخانقاوات كما عكف على بناء العمائر الخيرية كالأسبله والتكايا واحواض الدواب والجسور ونتج عن ذلك ظهور اعداد كبيره من العمائر الاسلامية ذات الصبغه الدينية والخيريه وهي جميعها عمائر لم تكن معروفة فى اى فن معمارى سابق أو لاحق على الاسلام لا من الناحية الوظيفية فحسب بل من الناحية التصميمية ايضا.

وعلى ذلك كان الدين الاسلامي هو الدافع الحقيقى للمسلمين على بناء المنشآت المتنوعة الوظائف ، ولولا ما في الدين من وازع واجر يثيب به الله المحسنين من عباده ما كان قد لجأ المسلم الى تعمير الارض، وابتكار العديد من المبانى الخيرية أو الدينية أو التعليمية التى لا يدر من ورائها ربحا ماديا في دنياه، بل يحسب له هذا العمل في ميزان اعماله يوم القيامه اذا كان قد ابتغى به وجه الله.

الاقتباس من المضمون العام لا يعني التقليد والتبعية

لم يكن الامر مقصورا على تعمير المسلم للمنشآت الدينيه والخيرية فحسب، بل كان لزاما عليه ان يضمن لتلك المنشآت أوجه الصرف التى تعينها على اتمام رسالتها فى حياته وبعد وفاته، فقام ببناء العديد من المنشآت التجارية كالدور والطواحين والفنادق والقياسر والخانات والوكالات وغيرها الكثير، من أجل تحبيسها(٣) ووقفها للإنفاق على ما شيده من المبانى الدينيه والخيريه ، فكان يصرف من كراء تلك العمائر على طلاب العلم وشيوخ المدارس وسدنتها في المنشآت التعليمية ، وعلى المرضي في البيمارستانات وعلى السدنه والمؤذنين والامام والخطيب والقراء فى المساجد، وعلى نقل الماء وملء الصهاريج في الأسبله، وعلى تحفيظ القرآن لأيتام المسلمين فى المكاتب، وعلى مأوى الغرباء واطعامهم في التكايا والأربطه، والى غير ذلك من اوجه الصرف مثل ترميم عمائر تلك المنشآت وصيانتها من التداعى وفرشها بالاثاث(٤) كل ذلك جعل اقطار العالم الاسلامي تزخر بالعمران عبر عصورها المختلفه وهي حقيقة تؤكد على ان العقيده الاسلامية كانت الركيزة الاساسية

التى ارتكز عليها المسلم عند قدومه على تعمير الارض عملا بقوله تعالى «**ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر أولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**(٥)»٠

كانت تلك الآية الكريمة وغيرها من الآيات الكريمات، الى جانب ما جاء في احاديث الرسول ﷺ في هذا المعنى هما الوازع الحقيقى الذى كان يدفع المسلم على البناء ويحثه عليه٠

ان ما تعكسه العمائر الاسلامية التى تخلفت لنا من حضارات سابقه في اقطار العالم الاسلامي في شرقه وغربه لهي دليل واضح لكى يتفهم الانسان قدرة هذا الدين في قلوب معتنقيه٠

تلك القدرة التى جعلت المسلمين يتبارون في تشييد العمائر بأنواعها المختلفه ايمانا منهم بأنها من أهم الأعمال الصالحات التى يتقرب بها العبد إلى ربه(٦)٠

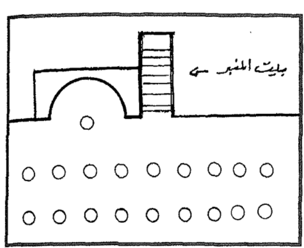
ومن الجدير بالذكر أن تلك العمائر وبخاصة الخيرية منها قد فتحت ابوابها للمسلمين وغير المسلمين اذ فتحت البيمارستانات أبوابها لعلاج العامه وشيدت الأسبله والحمامات والمطاهر والبرك وحفرت الآبار من اجل توفير الماء للمسلم وغير المسلم، وفي هذا دليل آخر على سماحة هذا الدين وغرس حب الخير وفعله في نفوس اتباعه من اجل هذا عمر المسلمون الارض٠

ومن الغريب حقا ان نرى كثيرا من المستشرقين يحاولون النيل من حضارة هذه الأمة عن طريق نسبة ما في حضارتها من عمائر اسلاميه الى أصول غير اسلامية ترجع الى عهود سابقه(٧) ٠

لقد تطاول المستشرقون كثيرا على تراثنا الحضارى، وانكروه علما بأن مضمون ديننا الحنيف يهدف الى بناء الانسان على اسس واضحة، وقيم محدده وقياسا على ذلك كانت رؤية المسلم لبناء العمران تندرج مع هذه القيم، فاذا كانت القيم الاسلامية لبناء الانسان تحدد سلوكياته الاجتماعية، فان المنظور العام لتلك القيم يعطى تعبيرا واحدا يغطى في جوانبه كافة القيم والتعاليم الاسلامية، وهما يعدان المدخل الرئيسى للمنظور الاسلامي للعمارة التى تضم فى جوانبها وخصائصها المنظور العقدي(٨)٠

العمارة الاسلامية وجوانب التأثير:

استقى الفن المعمارى



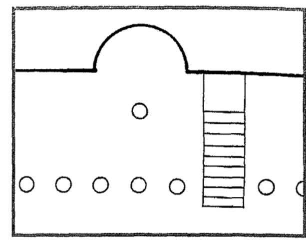
منبر داخل جدار القبلة لا يقطع امتداد صفوف المصلين

الاسلامي اصوله الاولى من اصول فنية سابقة على الاسلام شأنه فى ذلك شأن معظم الفنون الأخرى ، التى تتكون نتيجة موروثات عقدية وبيئيه الى جانب عوامل اخرى كثيره(٩)٠

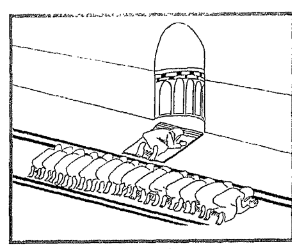
وقد اغترف الفن المعماري الاسلامي في مرحلته المبكره من الفنون البيزنطيه والساسانيه بوصفهما من الفنون التى كانت منتشره في المنطقة التى دخلها العرب الفاتحون أبان الفتح الاسلامى(١٠) **وربما كانت السمه الواضحة فى الفن المعمارى الاسلامي هو ظهور بعض التأثيرات البيزنطيه والساسانيه٠**

مما دفع معظم المستشرقين الى نسبة الفن المعمارى الأسلامي الى أصول قديمة(١١) متجاهلين بذلك ان يكون لهذا الفن الجديد اى سمات خاصه او خلفية عقائديه تتحكم فى تحديد خصائصه وملامحه الفنيه ولقد جانب المستشرقين الصوابُ عندما نسبوا كل ما فى عمارة المسلمين وفنونهم الى اصول فنيه قديمة فحسب، فهذا يعد اجحافاً بحقوقهم وتراثهم التليد، وعقيدتهم الجديدة التى كانت مصدرا خصبا استلهموا منها واستندوا عليها في بناء اعمالهم٠٠ ولكى تتضح طبيعة التأثيرات القديمة فى الفن المعمارى الاسلامي يجب ان نفرق بين جوهر التخطيط المعمارى المرتبط ارتباطا وثيقا بالوظيفة العقدية اذا كان المبنى ضمن المنشآت الدينيه، وبين مفردات تنفيذ المخطط المعمارى والممثله فى عناصر البناء ، **فليس معنى اقتباس قبه أو قبو ، أو عقد ، أو طريقة بناء نقلت من عمائر قديمة من اجل تشييد مسجد أو مدرسة أو خانقاه أو سبيل فى العمائر الاسلامية ، يعطي الحق فى نسبه المنشأة برمتها الى اصول فنية قديمة،**

العمارة الاسلامية
فن معماري علوي
منهجية خاصة
مبادئه ومعالمها



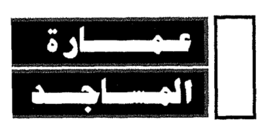
منبر خارج عن جدار القبلة يقطع امتداد صف المصلين



محراب غير عميق

فمن المتعارف عليه انه يسبق عملية تنفيذ البناء بالمواد والعناصر المعمارية، عملية هامه تتمثل في وضع التصميم المعمارى وفقا لمضمون الوظيفة، فاذا كان المبنى المراد تخطيطه مسجدا أو مدرسة أو سبيلاً فسوف يحتم على المعمارى المخطط ان يفرق بينها عند وضع التصميم، فعلى سبيل المثال هناك فرق جوهرى في وضع تصميم معمارى لمسجد وآخر لسبيل أو بين وضع تصميم معمارى لمدرسة وآخر لبيمارستان، فالوظيفة التى تؤديها كل منشأة تفرض على المعمار المخطط لها مراعاة الوحدات المعمارية التى تتلاءم مع التصميم الى جانب وضع الملاحق التى تخدم كل وظيفة، فتصميم المسجد يتطلب من المعمار المساحات الممتده عرضا بموازاة جدار القبله لكى يصطف بها أكبر عدد من المصلين، بينما يتطلب بناء السبيل من المعمار المخطط فتح شبابيك التسبيل على الطرق الرئيسية أو الفرعية من أجل تسهيل عملية تسبيل الماء العذب للماره من العامه، الى جانب عمل خزان (صهريج) كملحق معمارى هام يساعد على توفير ماء الشرب(١٢) ، كذلك يتطلب تخطيط المدرسة من المصمم أو المخطط المعمارى مراعاة قاعات التدريس بأن تكون منفصلة عن بعضها ويعيده عن مصادر الضوضاء مع توافر كمية الضوء الطبيعي والهواء، الى جانب وجود حجرات سكن الطلاب كملاحق اساسية لخدمة عملية التدريس، اذن لكل مبنى مقوماته الخاصه التى تحكمها الوظيفة بل تفرض على المعمار ايضا فى ان يسير كافة الملاحق لخدمة الغرض الوظيفي(١٣) ولما كانت الغلبة فى العمائر الاسلامية هى للعمائر الدينية، اذن كانت العقيدة والعامل الوظيفى هما جوهر تصميمها ويأتى دور التأثيرات القديمة فى مفردات البناء اى العناصر المعمارية او البنائية التى تدخل في مرحلة تنفيذ البناء، وباختصار نجد ان العقيدة هى التى تحدد جوهر التصميم في المباني الدينية بينما يقتصر دور التأثيرات الفنية القديمة فى مفردات البناء أى وسائل تنفيذه(١٤).

ومن الجدير بالذكر انه ليس كل ما ينقل من

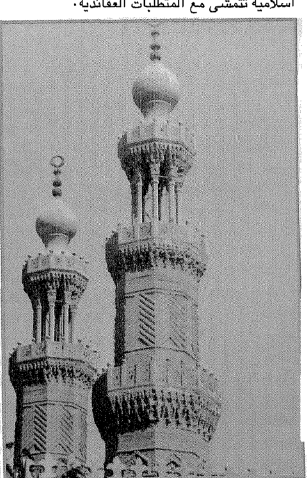


عناصر معمارية يمثل اقتباساً من فنون سابقة، فهناك ما يسمى بالعناصر السائدة والمواد المتاحةالتى تتحكم في استمراريتها العوامل المناخية والظروف البيئية ولذلك تتوارثها الأجيال الفنية بوصفها إحدى التأثيرات المحلية(١٥)، **فعلى سبيل المثال استخدام التغطيات المقببة من قباب وأقبيه كانت معروفه قبل الإسلام فى الفنون الرومانية والبيزنطية والساسانية، واستمرار استخدامها في العمائر الاسلامية في بعض الاقطار ، كان نتيجة طبيعية لملاءمة تلك العناصر للعوامل المناخية، اذ يلائم هذا النوع من التغطيات الاقطار التى تكثر بها الثلوج وتتساقط عليها الأمطار بغزارة طوال العام، حيث تساعد هذه الانواع من التغطيات المقببة من قباب واقبية وجمالونات على عدم تراكم مياه الامطار أو الثلوج على سطوحها، وبذلك يكون المعمار المصمم قد اختار للمبنى احد العناصر المعمارية التى تحفظه من التداعى عن طريق ملاءمة العنصر للعوامل المناخية، وهذا ما جعل تلك العناصر تتوارث بشكل تقليدى في جميع العصور وليس بوصفها تأثيراً وافداً أو مقتبساً دون ان يكون لها مبرر وظيفى ولكن بوصفها احد العناصر المحلية التى تشكل الخصائص المعمارية**

بعض المستشرقين لم يتحروا الدقة في محاولتهم سلب العمارة الإسلامية أهم خصائصها

والفنية لكل قطر حسب ظروفه المناخية، وتلك العناصر التى تتحكم فيها العوامل الطبيعية هى التى تجعلنا نميز اقليما عن آخر وتساعد في التعرف على أصالة العنصر هنا أو هناك(١٦)، فاذا أردنا ان نتأكد من اصالة عنصر ما فعلينا ان نرجعه اولا الى العوامل البيئية لكى نتعرف على مدى تطابق وملاءمة هذا العنصر لتلك العوامل، فاذا كانت النتيجة عدم ملاءمة العنصرالمعمارى من حيث الشكل ومادة البناء للظروف البيئية كان معني ذلك أن العنصر غير محلي، وأن استخدامه جاء من باب الشكل فقط، نتيجة لتأثير وافد.

والخلاصة هى ان وجود كثير من العناصر المعمارية المختلفه فى الفن الاسلامي كانت نتيجة عدة مؤثرات بعضها ينسب لفنون سابقه والبعض الآخر نتيجة للعوامل البيئية والبعض الآخر نتيجة لابتكارات اسلامية تتمشى مع المتطلبات العقائدية.



اثر العقيدة على عناصر المسجد :

لقد رسمت العقيدة الاسلامية الخطوط الرئيسية للمعمارى المسلم التى يجب ان يراعيها عند تصميم المسجد، وهذه الخطوط لم تقف عند تحديد الشكل العام لمخطط المسجد فحسب، وبيان انسب المساقط المعمارية التى تتوافق مع المطلب العقدى لها(١٧)، بل ساهمت العقيدة فى ابتكار بعض العناصر الجديدة التى تتواءم مع وظيفة المسجد، أو باركت وجود بعض العناصر التى كانت تعرف فى العمائر القديمة، وأوجدت لها المبررات العقدية التى تسمح لها بالاستمرارية ضمن مقومات المسجد الاساسية(١٨) ومن اهم تلك العناصر التي توافقت مع الاتجاهات العقدية ضمن عمارة المسجد :

أولا: اقبال المعمار المسلم على تخطيط المساجد الممتدة عرضا وليس طولا وذلك من أجل اقبال المصلين على الصف الاول، أو الصفوف الاولى بوصفها افضل صفوف المصلين من الناحية العقدية، **الى جانب ابتكار المعمار المسلم لنماذج جديدة من مخططات المساجد في العصر العثماني رفعت اسقفها بأعداد قليلة من الركائز، وذلك من أجل عدم قطع صفوف المصلين بصفوف الاعمدة او الدعائم التى كانت تعج بها اكثر المساجد.**

ثانيا: وجود كتلة المئذنة كعنصر اساس يتماشى مع المطلب العقدى في اعلان الآذان وإعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة.

ثالثا: توزيع فتحات المداخل فى المساجد على الجناحين وفى المؤخرة كى لا يقطع الداخل منها صفوف المصلين أو المرور امامهم.

رابعا: تعميق المعمار المسلم لدخلة المحراب بحيث أصبحت فى عمق الغرفه، وذلك من أجل تخصيصها لصلاة الامام، وتوفير موضعه خارج المحراب لصف جديد من المصلين.

خامسا: اتساع اسكوب المحراب عن بقية اساكيب المسجد في مساجد كثيره في المشرق والمغرب، وذلك من أجل استيعاب موضع وقوف الامام امام المحراب مع الصف الاول من المصلين، إلى جانب ما يضمه هذا الاسكوب من عناصر اساسية مثل المنبر، والمحراب والمقصوره.

بناء المساجد والمعاهد والتكايا

كانت على سبيل القربى إلى الله سبحانه

سادسا: اتساع بلاطة المحراب وارتفاعها عن بقية بلاطات المسجد، وذلك من اجل اضاءة ظلة القبله بعد ان زاد عمقها ، واصبحت تمتد طولا اى اصبحت اكثر عمقا.

سابعا: تغييب المنبر في حجرة خاصة تعرف باسم «بيت المنبر» وذلك بعد ان زاد حجمه وارتفاعه، واصبح عبارة عن كتلة ضخمة تقطع امتداد صف المصلين الواقفين خلف الامام مباشرة.

ثامنا: بناء المعمار المسلم لمصلى خاص بالجنائز كملحق يقع خلف جدار القبله وذلك احترازاً من ادخال الجنائز في داخل المساجد، وما يترتب على ذلك من اشياء تتنافى مع طهارة المسجد.

تاسعا: مد المعمار المسلم العمائر الدينية وبخاصة المساجد بالملاحق المائية مثل الغواره والسقاية والمطاهر والميضأة والمزملة والبئر والبرك والصهاريج، بوصفها ملاحق اساسية شرعتها العقيده.

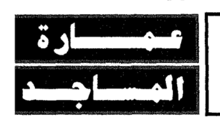
عاشرا: تشجير صحون المساجد من أجل الاستظلال بها مع تحديد الفقهاء لانواع ما يغرس من شجر فى صحونها، بحيث لا يكون من النوع المثمر حتى لا يتكالب المصلون على ثمره، ويختلفون عليه.

اثر العقيدة على مخططات المساجد:

تعد عمارة المسجد واحدة من اهم العمائر الدينية التى حددت العقيدة معالمها الفنية وبينت خطوطها واشكالها ، وأوضحت خصائصها.

فلا يستطيع احد ان ينكر ان التخطيط المعمارى للمساجد الجامعة قد اوجب على المعمار المسلم ان يخططها من الناحية المعمارية، ويشكلها من الناحية الزخرفية، وفقا لقواعد وظيفية تطلبتها العقيدة ، ولم يكن المرجع الأساسى للمعمار المسلم عند تخطيطه لتلك المساجد، هو الاقتباس من التصميمات المعمارية القديمة من أجل تكوين مخطط مبتكر دون ان يراعى في تصميمه المتطلبات العقدية التى تكمن في المضمون الوظيفى كأساس لتصميمه المعمارى، وهو الامر الذى انعكس بدوره على عمارة المسجد فجعل جميع مخططاتها قد اتفقت من حيث الشكل العام في جميع اقطارالعالم الاسلامي، على الرغم من اختلاف العوامل البيئية والفنية فى تلك الاقطار التى كان لها اثر مباشر على تنوع العناصر المعمارية، والفنية لها، بينما ظل الشكل العام المتعارف عليه في مخططات المساجد الاولى هو القاعدة الاساسية التى شيدت على غرارها كافة مساجد العالم الاسلامي(٢٠)، حيث وحد بين تلك المساجد عامل الوظيفة الواحده وهى الصلاة التى تتم عبر صفوف متراصة من المصلين خلف الامام.

من هنا اهتم المعمار المسلم المخطط بظلة القبلة التى تعرف احيانا باسم «رواق القبله» أو «ايوان القبله»، أو بيت الصلاة ، وهى أسماء عديدة تحدد موضعاً واحداً وهو الموضع الذى يشتمل على كتلة المحراب والمنبر، ودكة المؤذن.



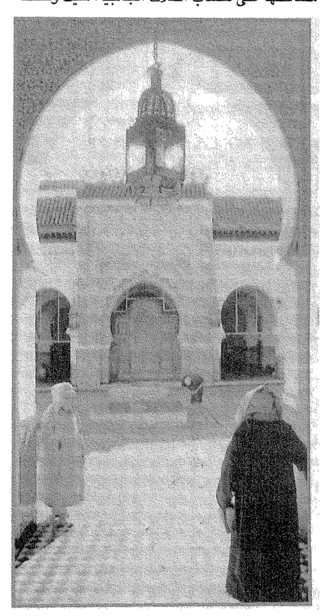
ومن هنا جاء اهتمام المعمار بظلة القبلة داخل التكوين العام لمخطط المسجد(٢١)، فجعلها اكثر الظلات من حيث الاتساع والعمق، وهذا بطبعه قد جاء وفقا لمطلب عقدى حيث فرضت صفوف المصلين المتراصة خلف الامام على هيئة خطوط مستقيمة ومتوازية لامتداد جدار القبلة على المعمار المخطط لتلك المساجد أن يراعى أن يكون امتداد المسجد عرضا، وليس طولا ، وذلك لكى يلبى المعمار رغبة اكبر عدد من صفوف المصلين التى ترغب دائما فى الوقوف بالصفوف الاولى خلف الامام مباشرة، لما في هذه الصفوف من أجر مضاعف يثيب الله به المسلم لكونه قد حرص على الوجود في المسجد مبكرا واتخذ لنفسه مكانا في الصف الاول وقد جاء المطلب العقدي الذى استند عليه المعمار المخطط فى احاديث كثيرة للرسول ﷺ منها قوله ﷺ «الصف الأول على مثل صف الملائكة(٢٢)». وفى حديث آخر قال: ﷺ «لو يعلم الناس ما فى الصف الاول ثم لم يجدوا الا ان يستهموا عليه لاستهموا(٢٣)».

واستنادا على تلك الاحاديث الشريفة وغيرها الكثير، قام المعمار المسلم المخطط ببلورة هذه المتطلبات العقدية وراعاها في تخطيطه، فنراه مد جدار القبله ليصبح أكثر استطالة، ولم يلجأ المعمار لبناء مساجد

المضمون الوظيفي للعمارة يحدد طبيعة تصميمها

يكون فيها امتداد جدار القبله أقل من جدار المؤخرة، أو تخطيط مجسد على مخطط الدائرة أو شبه المنحرف أو مثلث الشكل، كل هذه الاشكال كانت لا تؤدى الى امتداد صفوف المصلين في خط مستقيم يمتد موازيا لجدار القبلة، كما لا تساعد تلك المخططات في تلبية رغبة المصلين في الاصطفاف الى اقصى امتداد لها خلف الامام.

لقد ظل اهتمام المعمار المسلم بظلة القبلة واضحا في مخططات المساجد لدرجة انه بدأ يزيد من مساحتها على حساب الظلات الجانبية، حيث وصلتنا



بعض مخططات المساجد التى ضاعف فيها المعمار من مساحة ظلة القبلة ومن امثلتها جامع القرويين بفاس ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م وجامع الاندلسيين بفاس ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م وكذلك جامع قرطبة بعد زيادة المنصور بن ابى عامر ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م وجامع المهدية بتونس ٣٠٤هـ/ ٩١٦م، وجامع الكتيبه بمراكش ٥٥٧هـ/ ١١٤٧م وجامع القصبه بأشبيليه ٥٩٥هـ/ ١١٥٧م، وجامع حسان بالرباط ٥٩٦هـ/ ١١٥٨م.

وهناك بعض المساجد التى خططها المعمار من قسمين فقط. قسم مغطى وهو يمثل ظلة القبلة، وقسم مكشوف وهو يمثل كتلة الصحن، واستغنى المعمار بذلك عن باقى ظلات المسجد، ومن امثلة تلك المساجد جامع القيروان ٥٠هـ/ ٦٧١م، جامع قرطبه عند تأسيسه ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، وجامع الزيتونه بتونس ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، ومسجد علاء الدين في قونية(٢٤) القرن ٧هـ/ ١٣م.

وهناك نوع ثالث من المساجد اعتبر المعمار المخطط مساحتها الداخلية كلها ظلة القبلة ومن أمثلة ذلك المسجد الاقصى ٨٧هـ/ ٧٠٦م، مسجد «أبو فتاته» بتونس ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م، ومسجد علاء الدين فى نيكاد(٢٥) القرن ٧هـ/ ١٣م، والجامع الكبير في كليركا بالهند(٢٦)، ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م ومن الجدير بالذكر انه يوجد طراز رابع ابتكره العثمانيون فى تخطيط بيوت الصلاة، حيث نجح المعماريون العثمانيون فى ابتكار مخططات جديده تميزت بسعة مساحتها الداخلية مع قلة الاعمدة والدعائم والعقود التى كانت تعج بها مثل تلك المساحات فى المساجد الصغيرة والمساجد الجامعة فى النماذج السابقة(٢٧)، من اجل حمل اسقفها.

وقد وافق هذا التخطيط فى بيوت الصلاه العثمانية المطلب العقدى الذى يحث المصلين على ايصال صفوفهم بدون ان يقطع امتدادها قاطع، وبذلك يكون قد نجح العثمانيون فى ايجاد حلول قاطعة فى عملية قطع صفوف المصلين التى كانت تحدثها كثرة الاعمدة والدعائم في بيوت الصلاة فى المساجد السابقة(٢٨).

ويتبلور تخطيط بيوت الصلاة فى المساجد العثمانية من مساحة مربعه تتميز رقعتها الداخلية بالسعة نتيجة قلة الركائز المستخدمة فى حمل القبه

المعمار المسلم لا يعيبه أن يأخذ من الآخرين

المركزية التى تغطى معظم مساحة بيت الصلاه، ومن امثلة تلك المساجد جامع الشهزاده فى استنبول ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م وجامع السليمانية في استنبول ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م وجامع السليميه في أدرنه(٢٩)، ٩٥٩هـ/ ١٥٥٣م.

وتلك الامثله من المساجد العثمانية وغيرها تعبر بكل وضوح على مدى ما حققه المعمار العثماني من حلول قاطعة ومبتكره فى تغطية بيوت الصلاه بتغطيات واقبيه لا تعتمد الا على اعداد قليله من الركائز التى تعد في بعض النماذ ج على اصابع اليد الواحدة(٣٠).

وقد يظن بعض الباحثين ان تخطيط المساجد الايوانية، قد حقق هذا النجاح قبل العثمانيين بأكثر من اربعة قرون، حيث تعتمد تغطيات الايوانات فى اكثر النماذج التى وصلتنا، على القبو الذى يرتكز على الحوائط الحاملة مباشرة دون ان يكون هناك حاجة لاستخدام اعمدة او دعائم فى ارضية الايوان(٣١).

وفى الواقع اننى لا استطيع أن انكر أن التخطيط الايوانى قد أعطانا المساحة المفتوحه الخاليه تماما من صفوف الاعمده والدعائم.

ولكن يعيب مساحات تلك الايوانات أنها صغيره من حيث العرض وعلى ذلك فهى لا تلبى رغبة صفوف المصلين فى الامتداد عرضا. ولكنها تجعلهم يمتدون بعمق خلف الامام، وليس من على جانبيه كما هو الحال فى المساجد السابقة.

ولو قدر لنا تعداد المصلين فى كل صف فى المساجد التى تمتد عرضا لوجدناها اضعاف عدد صفوف المصلين فى التخطيط الايوانى الذى يمتد بعمق من جدار القبله الى الصحن.

والخلاصة:

ان جميع الامثلة السابقة التى استعرضناها لمخططات بيوت الصلاه فى المساجد تثبت بالدليل القاطع مدى اهتمام المعمار المسلم بظلة القبلة بوصفها أهم ظلات المسجد، كذلك توضح مدى الترابط الكامل فى خطوطها المستقيمة التى تمتد عرضا لكى يتجمع عليها اكبر عدد من صفوف المصلين، ومرجع ذلك كله الى العقيدة التى تعد الاساس الذى استوحي منه المعمارى المسلم مخطط المسجد الذى يمتد عرضا او بيت الصلاة الذى تقل فيه اعداد الركائز حتى لا يقطع امتداد صفوف المصلين.

تخطيط المئذنة :

انكر المستشرقون على العرب انهم انشأوا المئذنه، شأنها فى ذلك شأن الكثير من العناصر المعمارية الأخرى ، التى حاول المستشرقون ان يجدوا لها قرينا فى العمائر القديمة، **وهذا يرجع إلى أن معظم الدراسات الاولى فى مجال الدراسات الأثرية الاسلامية كانت حكرا على المستشرقين وحدهم الذين بذلوا جهدا كبيرا فى تثبيت تلك المفاهيم لدى كل من اهتم بدراسة الحضارة العربية الاسلامية، ومن المؤسف حقا ان**

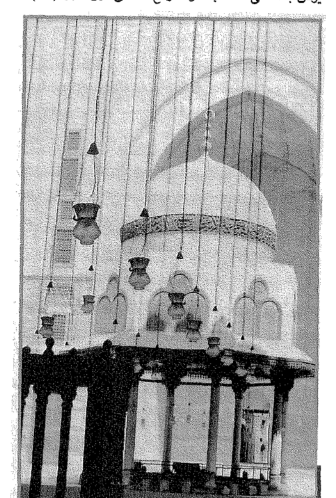


كثيراً من الباحثين العرب قد تبنوا آراء المستشرقين في تأصيل عناصر العماره الاسلامية وكأنها عناصر منقولة برمتها عن العمائر القديمة، واصبح الامر على هذا النحو حقائق مسلما بها فى الدراسات الاثرية، فالتصميم المعمارى للمسجد فى رأيهم منقول عن تخطيط المعابد القديمة والكنائس ، كما سبق واوضحناه وقياسا على ذلك أصبحت كل العناصر المعمارية التى تدخل فى تصميم المسجد، هى الاخرى منقوله عن تلك العمائر كالمحراب والمنبر والمقصوره والقبة والاعمده وتيجانها، وغيرها من العناصر المعمارية الزخرفيه.

وكانت المئذنة فى مقدمة العناصر المعمارية التى نسب المستشرقون أصولها الاولى الى ابراج المعابد الرومانية القديمة، بل أن بعضهم قد اعتبر تلك الأبراج الرومانية القديمة التى شاهدها المسلمون فى بلاد الشام، هى نفسها أول مثل فى مآذن العالم الاسلامي(٣٢) ، دون ان يكلفوا انفسهم دراسة الأسس التى اعتمد عليها المسلمون لاختيار تلك الابراج واتخاذها كمآذن، هذه الاسس تكمن فى العقيدة الاسلامية وما تحتاجه لاقامة شعائرها، فالعقيدة الاسلامية لم تولد فى بلاد الشام، ولم يكن اول مسجد للمسلمين فى الشام، بل كان الامر عكس ذلك تماما

فالمئذنة أنشئت كعنصر معماري في مسجد المدينة المنورة، حيث انشئت بشكل بدائي صغير خال من الزخرفه وكان تخطيطها قريبا من المربع، وهو ما استقيناه من خلال احاديث الرسول ﷺ وكتب السيره.

ويكمن المطلب العقدي في وجود المئذنه كعنصر اساسي في المسجد في الحاجة الماسة لاعلام المسلمين بوقت صلاتهم وكيفية وصول صوت المؤذن لاكبرعدد منهم، ولذلك كان اختيار المسلمين المكان المرتفع ليقف عليه المؤذن حتى يتمكن القاطنون بجوار المسجد من سماع صوته. وكذلك الذين في اطراف المدينة من رؤية المؤذن في مكانه المرتفع كعلامة صريحة بدخول وقت الصلاه، وهذا المكان المرتفع كان في باديء الامر هو اطول بيت في المدينة ثم اقام الرسول ﷺ على سطح مسجده موضعا مرتفعا كان له درجات يصعد عليها بلال ، وذلك استنادا على ما ذكره ابن سعد في الطبقات فقال: اخبرنا محمد بن عمر، حدثني معاذ بن محمد بن عبد الله عن عبد الرحمن بن سعد بن زراره قال أنه سمع النوار ام زيد بن ثابت تقول: «كان بيتي اطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من اول ما أذن الى ان بنى رسول الله ﷺ مسجده فكان يؤذن بعد على المسجد، وقد رفع له شئ فوق ظهره(٣٣)



كما ذكر المؤرخ السمهودي نقلا عن مؤرخي القرن الثالث الهجري فقال: انه كان في دار عبد الله بن عمر اسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليها يقال لها المطمار وهي مربعة قائمة الى اليوم وكان يصعد لها بأقتاب اي درجات(٣٤) وباستقراء النصوص السابقة نستخلص عدة حقائق اهمها:

أ - اختيار الرسول ﷺ المكان المرتفع لموضع الآذان حتى يستطيع من لم يسمع الاذان ، مشاهدة المؤذن كعلامة لحلول وقت الصلاه فبدأ باختيار اطول بيت في المدينة لكي يعلوه المؤذن. وكان الاذان يصل الى جموع المسلمين بواسطة سماع صوت المؤذن لمن هو قريب من المسجد أو مشاهدة المؤذن لمن هو بعيد عن المسجد.

ب - شكل المطمار أو الاسطوانة المربعة كعنصر معماري يلغي فكرة الاستداره التي لم تعرف كتخطيط معماري في ذلك الوقت، وربما يكون العرب قد شيدوا اسطوانة المنارة مربعة اقتداء بتربيع الكعبة المشرفة التي حظيت باهتمام العرب في الجاهلية وبتعظيمها في الاسلام.

جـ - وجود نوة المئذنة في مسجد الرسول ﷺ على هيئة كتله بنائية مربعة مرتفعة يصعد لها بدرجات نعتبرها اللبنة الأولى لميلاد عنصر المئذنة في الاسلام، قبل ان يخرج الفاتحون باسلامهم خارج جزيرتهم، بل وقبل ان يختلطوا بأمم اخرى.

د - من خلال الشكل المربع الذي كانت عليه نواة المئذنة في مسجد الرسول ﷺ نستخلص حقيقة هامة تكمن في الشكل المعماري للمئذنة المربعة، وهو الشكل الذي سيقتدى به الفاتحون المسلمون في الامصار الاسلامية ومن امثلة ذلك ما شيده زياد في البصرة سنة ٤٥هـ حيث شيد منارة جامع البصرة بالحجارة(٣٥)، ومسلمة بن مخلد الانصاري الذي شيد الصوامع الاربعة بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط عام ٥٣هـ(٣٦).

كما سيقتدي المعماريون المسلمون بالشكل المربع ايضا في بناء المآذن في العالم الاسلامي حيث شيدت معظم مآذن المغرب الاسلامي وفقا للتخطيط المربع(٣٧) بينما شغل المربع جزء من ارتفاع المئذنة في المشرق الاسلامي.

اما بالنسبة للاشكال المعمارية للمآذن في اقطار العالم الاسلامي فقد اعتاد الباحثون في مجال الدراسات الاثرية ان يضعوا لها انماطا ثابته لطرازها استنادا على الشكل العام لبدن المئذنه وبخاصه قمتها حيث قسمه الباحثون في مصر والشام الى طرازين أقدمها شكل المبخرة ، والآخر شكل(٣٨) القلة وكلاهمايرجع نشأتهما الى العصرين الفاطمي والمملوكي، هذا بجانب وجود ثلاثة طرز اخرى للمآذن

الخبرات السابقة المكتسبة والمعطيات البيئية عوامل إثراء للفكر المعماري الإسلامي

صنفها الباحثون ايضا طبقا لاقاليم انشائها التى تنحصر فى طراز الصومعة فى المغرب الاسلامي(٣٩). وطراز الملويه في العراق(٤٠)، والطراز الثالث والاخير الذى ظهر بوضوح فى مآذن اسيا الصغرى والوسطى والهند، الذى يتكون فيه بدن المئذنة من شكل اسطوانى او مخروطى تعلوه قمة مدببه، ويتخلل بدن المئذنة عدد من الشرفات المحموله على حطات من (٤١) المقرنصات.

ومن الجدير بالذكر ان هذا التصنيف السابق لطرز المئذنه قد اغفل موضع المؤذن، الذى خصص له المعمار مكانا بارزا في مآذن العالم الاسلامي حيث اختلف هذا الموضع من ناحية الشكل والتخطيط طبقا لاختلاف تخطيطات المآذن واشكالها التى تأثرت الى حد كبير بالعوامل المناخية حيث ظهرت مواضع وقوف المؤذنين على المآذن على اشكال عديده منها ما خطط على هيئة الشرفة أو الحوض بدون سقيفه (اى ظله) ومن امثلتها معظم المآذن المصرية فى عصورها المختلفه، ومآذن الاناضول واسيا الصغرى والوسطى والهند

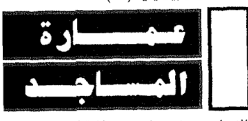
كما ظهرت مواضع وقوف المؤذن فى بعض المآذن على هيئة شرفه أو حوض يعلوه ظلة (سقيفه) من أجل حماية المؤذن من الحرارة الشديدة(٤٢).

اما بالنسبة لصوامع المغرب الاسلامى فقد جاء التكوين المعمارى لموضع المؤذن على هيئة حجرة مربعة أصغر حجما من كتلة الصومعة تحتوى على اربع نوافذ وتغطى تلك الحجرة من أعلى قبيبة صغيرة وكانت هذه الحجرة يؤذن من داخلها المؤذنون فى أوقات الحر الشديد أو عند سقوط الامطار حيث اشار المؤرخ الجزنانى الى ذلك بقوله: «وفى اعلى هذه الصومعة قبة لجلوس المؤذنين لتداول الاذان»(٤٣). وبناء على ما سبق يتضح التأثير العقدى فى عمارة المئذنة، الى جانب ما اكدت عليه النصوص التاريخيه من اصالة نشأتها فى مسجد الرسول ﷺ.

توزيع مداخل المساجد :

تعد مداخل المساجد من اهم العناصر المعمارية التى خضع توزيعها بشكل رئيسى للتأثيرات العقديـة، حيث خططت المداخل على المساقط الافقية للمساجد من خلال منظور عقدى تمثل فى كراهية المرور بين يدى المصلى او بين صفوف المصلين أو امامهم، ومن هنا قام المعمار المسلم المخطط لتلك المداخل بتخطيطها وفقا لقواعد معينة تتفق مع المطلب العقدى لها.

وقبل ان نحدد ملامح هذه القواعد، نسوق بعض الاحاديث الشريفه التى استند عليها المعمار المسلم، عند توزيعه لمداخل المساجد ووضعها في اماكن محدده، ومن تلك الاحاديث قوله ﷺ «اذا صلى احدكم الى شيء يستره من الناس، فأراد احد ان يجتاز بين يديه فليدفعه فان ابى فليقاتله، فانما هو الشيطان»(٤٤)، وفى حديث آخر قال ﷺ «لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه لكان ان يقف اربعين خيرا له من ان يمر بين يديه»(٤٥).



كانت تلك الاحاديث وغيرها هى بمثابة القاعدة الاساسية التى استند عليها المعماريون المسلمون فى توزيع فتحات المداخل بالمساجد، وعلى ذلك قاموا بمراعاة مواضعها بحيث لا تؤدى مساراتها الداخلية الى قطع صف أو المرور امام صفوف المصلين.

ومن اهم القواعد التى راعاها المعمار المسلم عند توزيعه لمداخل المساجد هى الاتى:

١ - اعرض المعمار عن فتح مداخل رئيسية أو فرعية فى جهة جدار القبله حت لا يكون الداخل منها، فى وضع يجعله يمر امام صفوف المصلين.

٢ - اكتفى المعمار بتوزيع مداخل المساجد على ثلاث جهات او جوانب هما المجنبتان والمؤخرة فقط.

٣ - وزع المعمار المداخل الواقعة على الجناحين وفق تخطيط معمارى يتسم بالتماثل والتقابل، بحيث يقع كل بابين متقابلين على محور واحد، وهذا من أجل اتمام الصفوف من الجانبين، وليس من جانب واحد.

٤ - تميزت مداخل بعض المساجد الجامعة بايجاد المعمار لممشى هابط يتقدم فتحات المداخل من الداخل بحيث لا يسمح للمصلين بالصلاه امام فتحات المداخل حتى لا تعرقل دخول باقى المصلين الى المسجد ومن امثلتها مداخل جامع عمرو بن العاص ٢١هـ/ ٦٤١م،

ومداخل المساجد الفاطمية بمصر مثل الجامع الازهر ٣٦٦هـ/ ٩٧٧م، وجامع الحاكم ٤٠١هـ/ ١٠١٠م، وجامع الاقمر ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، وجامع الصالح ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م ومن امثلتها فى المغرب جامع القصبة بمراكش ٥٩١هـ/ ١١٩٨م.

٥ - كان لتوزيع المداخل على الجانبين فى اوضاع متقابله اثره فى السماح لصفوف المصلين فى تكملة صفوفهم من الجانبين أو من الخلف دون ان يسمح هذا التخطيط بالمرور امام صفوف متكاملة بالمصلين اى انه كلما اقتربت صفوف المصلين من فتحات المداخل كان ذلك علامة بارزة باكتمال الصف، مما يجعل الداخل الى المسجد يتوجه الى تكملة صف آخر أو بناء صف جديد.

٦ - حرص المعمار على وجود باب في مؤخرة الجامع على محور المحراب يساعد اكبر عدد من المصلين من رؤية الصفوف الخالية خلف الامام، أو بداية صف جديد. حيث يبدأ الصف من المنتصف ثم يكمل من الجانبين(٤٦).

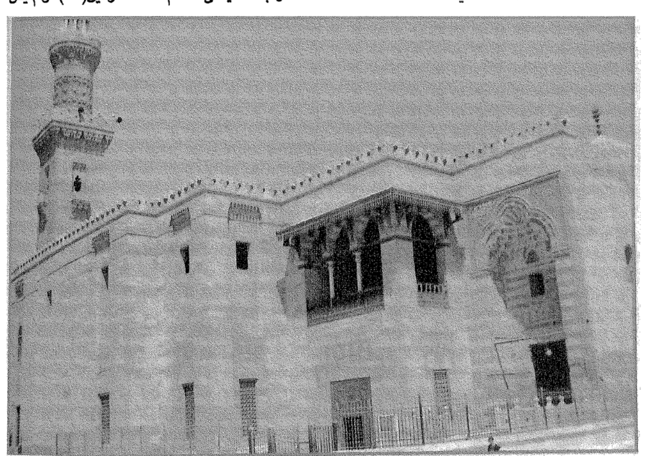
٧ - فتحت جميع مداخل المساجد الجامعة بشكل مباشر وليس منكسرا كما هو الحال فى مخططات المدارس، وذلك تسهيلا من المعمار على المصلين في عملية الدخول والخروج من المسجد.

٨ - عرفت بلاد المغرب الاسلامي نوعا آخر من مداخل المساجد عرفت بأبواب الحفاه، فرض فيه المعمار على جميع السالكين الى المسجد بالمرور على مدخل اجريت فى ارضيته المياه، وكان الهدف من ذلك ضمان طهارة المسجد من اى اشياء تكون متعلقة بأقدام الحفاة من العامة(٤٧).

عمق دخلة المحراب:

يعد المحراب ضمن العناصر الاساسية فى عمارة المسجد لكونه علامة يستدل منها على الاتجاه الصحيح للقبله، **وكما هو الحال فى كافة العناصر المعمارية الاسلامية حاول المستشرقون ان يجدوا له قرينا فى العمائر القديمة، فمنهم من نسب أصل المحراب الى المعابد الهندية، ومنهم من اعتبر المحراب مشتقا من الكنائس السورية، والبعض الآخر اكد على ان المحراب قد نقل عن المذابح القبطية، وفريق رابع انتهى الى ان المحراب مقتبس من الهيكل اليهودي(٤٨)، ومن خلال الاراء السابقة نجد ان جميعها قد اتفق على شئ واحد فقط، وهو نسبة المحراب الى اصول غير اسلاميه ولكنهم اختلفوا فى تحديد المكان الذى اقتبس منه.**

وقد تغلبت على المستشرقين فكرة واحدة وهى ان المحراب هو محور المسجد وهو بمثابة المذبح فى الكنيسه، والهيكل فى المعابد، ولكن هذه الرؤى غير صحيحه، حيث ان محور المسجد هو اتجاه القبله وليس المحراب كما يدعى معظم المستشرقين(٤٩)، ولم يكن



المحراب بالنسبة للمسجد الا علامة على اتجاه القبله، وتحديد موضع موقف الامام فقط، اما بقية صفوف المصلين فهى تتخذ من امتداد جدار القبلة علامة لها(٥٠).

اما استناد بعض المستشرقين على كون المحراب يتوسط جدار القبله وان المساجد المخططه من بلاطات جاءت اعدادها فرديه حتى يكون هناك بلاط محورية تفتح على المحراب، فهذا ايضا غير صحيح وفيه افتراء، وقد فند تلك المزاعم المرحوم احمد فكرى وضرب مثلا بتخطيطات لمساجد لم يكن فيها المحراب متوسطاً لجدار القبلة، واتى بامثله لمساجد لم يكن عدد بلاطاتها فردية(٥١).

وفى الواقع اننى احتفظ لنفسى برؤية خاصة، قد تكون هى العامل الاساسى الذى جعل المحراب وكأنه يتوسط جدار القبله، يرجع لكون جميع صفوف المصلين تقوم على ترتيب صفوفها انطلاقا من موقف الامام وليس من نقطة المحراب، ولما كان موضع الامام بالنسبة لصفوف المصلين فى المنتصف فان المعمار المخطط حاول ان يقترب عند بناء المحراب من منتصف جدار القبله، ولكي تتضح الرؤية، علينا ان نتخيل صلاة لجماعة فى خارج المسجد، فسوف نجد ان توزيع الصفوف جاءت متساوية من الجانبين من محور موقف الامام، وعلى ذلك فان محور صفوف المصلين فى داخل المسجد هو الامام وليس المحراب، كما ادعى بعض المستشرقين(٥٢).

اما عن الاثر العقدى فى تخطيط المحراب، فنجده بوضوح فى محاريب مساجد المغرب الاسلامي، حيث اراد المعمار المخطط ان يزيد من عمق دخلة المحراب، حتى يمكن الامام من الصلاة فى داخلها، ويدخر موضعه امام المحراب لصف جديد من المصلين

ومن الجدير بالذكر ان معظم محاريب المساجد فى المشرق الاسلامي كان لا يتعدى عمق دخلتها من ٦٠سم الى ٨٠سم، وهى مساحة لا تسمح بوقوف الامام بداخلها والصلاة فيها، مما جعل الامام يقف دائما امام المحراب من الخارج، وهو بذلك يشغل مكان صف من المصلين.

وقد نجح المعمار المخطط فى المغرب والاندلس فى زيادة عدد صفوف المصلين فى اسكوب المحراب، وذلك بابتكاره لفكرة تعميق دخلة المحراب لكي تصل الى المترين تقريبا، وهى مساحة كافية لصلاة الامام بداخلها، وبانتقال الامام من الصلاة خارج المحراب الى الصلاة فى داخله، قد اتاح ذلك لاضافة صف جديد من المصلين في موضع الامام.

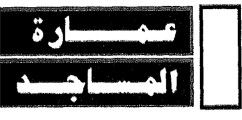
وهذه الابتكار كانت بوازع عقدى يتمثل فى تحقيق رغبة اكبر عدد من المصلين فى الصلاة في الصفوف الاولي.

ومن امثلة هذه المحاريب محراب جامع قرطبه ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م ومحراب جامع الزيتونه ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، ومحراب جامع تلمسان ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م ومحراب جامع تينملل ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م ومحراب جامع الكتبيه بمراكش ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م.

اتساع اسكوب المحراب :

ساد فى مساجد المشرق والمغرب وجود طرازين اساسيين فى تخطيط ظلة القبله، صنفهما علماء الآثار استنادا على توزيع مسار صفوف البوائك أو الاعمدة المصفوفه فى ارضية بيت الصلاة(٥٣).

الطراز الاول يعرف بطراز الاساكيب وهو يطلق على صفوف البوائك أو الاعمدة التى تسير فى خط مواز لجدار القبله دون ان تتعامد عليها، واقدم نماذج هذا الطراز الجامع الأموى بدمشق(٥٤) ٨٧هـ/ ٧٠٦م



الذى تتكون فيه ظلة القبلة من ثلاثة اساكيب تمتد من شرق الى غرب فى خط مواز لجدار القبله.

اما الطراز الثاني يعرف بطراز البلاطات وتخطيطه عكس الطراز الاول من حيث مسارات البوائك التى تسير في خط عمودى على جدار القبلة وتصبح ظلة القبله فى هذا الطراز اكثر عمقا، ومن اقدم امثلة هذا الطرازالمسجد الاقصى بالقدس(٥٥)، الذى كان تخطيطه يتكون فى العصرين الاموى والعباسى من سبع عشرة بلاطه تسير بوائكها عمودية على جدار القبلة وقد ميز المعمار البلاطه الوسطى بان جعلها اكثر ارتفاعا واتساعا، اما في العصر الفاطمى فقد اختلف تصميم المسجد نتيجة لمجموعة الزلازل التى تعرضت لها عمارته، والتى جعلت معمار تلك الفترة ينقص من عرضه ليصبح تكوينه المعمارى مكوناً من سبع بلاطات اكبرها اتساعا وارتفاعا(٥٦)، الوسطى وتتضح التأثيرات العقدية فى تخطيط هذين الطرازين من فكرة اتساع اسكوب المحراب عن بقية اساكيب ظلة القبلة فى الطراز الاول واتساع بلاطة المحراب عن بقية بلاطات ظلة القبلة فى الطراز الثانى وعلى الرغم من ان احد هذين الطرازين كان له امثلة واضحة فى الطراز البازيلكى(٥٧)، الا ان وجوده فى مخطط عمارة المسجد لم يستند على ذلك بل كانت هناك مبررات من

الناحية العقدية سمحت للمعمار المسلم بتخطيط ظلة القبلة على هذا النحو.

اما بالنسبة لفكرة اتساع اسكوب المحراب عن بقية اساكيب المسجد فهى ترجع الى رغبة المعمار المخطط فى توفير المساحة التى تستوعب كلا من الامام الواقف امام المحراب، مع صف المصلين الواقفين خلف الامام مباشرة.

الى جانب ان اسكوب المحراب يضم اهم العناصر الاساسية بالمساجد الجامعه منها المنبر والمحراب والمقصورة، واخص بالذكر كتلة المنبر الذى ارتبط حجمه بمساحة ظلة القبله، وقد ينتج عن امتداده العمودى على جدار القبله قطع مساحة الاسكوب اذا كانت مساحته متساوية مع باقى اساكيب ظلة القبلة، ولكن تفادى المعمار المخطط ذلك بأن زاد فى مساحة اسكوب المحراب، حتى يستوعب امتداد المنبر، الى جانب ألا يجعل الامام يشغل مساحة الاسكوب وحده، بل يضم اليه صفاً من المصلين.

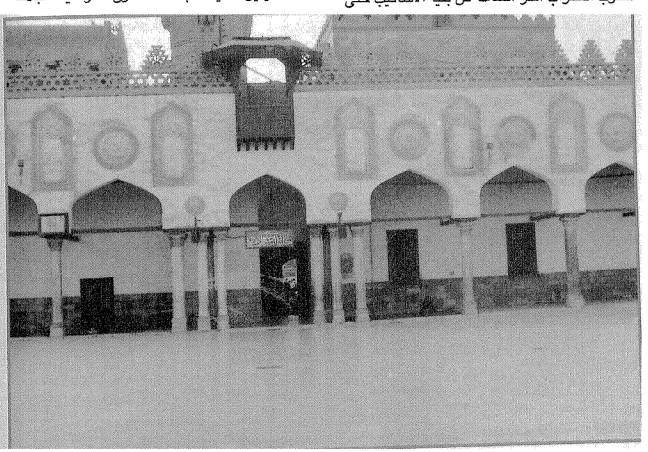
وهناك رأى آخر للمستشرق الفرنسي (pauty) ربط فيه زيادة مساحة اسكوب المحراب، لعمل التربيع السفلى الذى يحمل القبة التى تعلو المقصورة وتضيء المحراب(٥٨).

ويذكر فكرى ان بناه المساجد قد راعوا ان يكون اسكوب المحراب اكثر اتساعا عن بقية الاساكيب حتى يتضمن اكبر عدد من الصفوف الاولى(٥٩) للمصلين.

ومن اقدم امثلة المساجد الجامعة التى تميزت باتساع اسكوب المحراب المسجد الاقص فى القدس ٨٦هـ/ ٧٠٦م والمسجد الجامع فى القيروان ٥٠هـ/ ٨٦٤م، واسكوب المحراب فى جامع سوسه ٢٣٦هـ/ ٨٦٥م ، وكذلك اسكوب المحراب فى جامع القرويين بفاس ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م ، واسكوب المحراب فى جامع الكتيبه بمراكش ٥٥٧هـ/ ١١٤٧م واسكوب المحراب فى جامع القصبه بمراكش ٥٩٥هـ/ ١١٥٧م ، ومن امثلتها في مساجد الجزائر نجدها في اسكوب المحراب فى جامع تلمسان ٥٣٧هـ واسكوب المحراب في الجامع الكبير المرابطى ٥٣٩هـ/ ١١٢٨م، وفي الاندلس نجدها فى اسكوب المحراب بجامع قرطبه ١٧٠هـ/ ٧٨٦م ، وفي اسكوب المحراب فى جامع القصبة الموحدى باشبيليه ٥٩٥هـ/ ١١٥٧م ومن امثلتها فى مصر جامع احمد بن طولون ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م وجامع الازهر ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م وجامع الحاكم، وكذلك جامع الظاهر بيبرس البندقداري ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م.

اتساع البلاطه الوسطى :

اثارت البلاطه الوسطى التى تميزت فى كثير من المساجد الجامعة باتساعها وارتفاعها، جدلا واسعا بين المستشرقين ، حيث شبه المستشرق «مارسيه» البلاطه



الوسطى فى المساجد بالبلاطه الوسطى فى الكنيسه البازيلكيه، وقد شارك «مارسيه» فى هذا الرأى المستشرق الاسبانى «لامبير» وقد تصدى لهذه الآراء احمد فكرى. وفند بعض الادلة التى اعتمد عليها المستشرقون، حيث اعتبروا البلاطه الوسطى التى تتقدم المحراب فى الجامع هى نفسها البلاطه المحوريه التى تؤدى الى المحراب مباشرة اسوة بالنظام الكنائسى ، وجاء رد فكرى واضحا حيث بين انه ليس للمحراب مسلك خاص، يسلك منه واليه، كما هو الحال فى التخطيط الكنائسي، وان المحراب يسلك اليه من جميع الفتحات المعقودة التى تشرف منها ظلة القبله على الصحن، الى جانب ان الظلات الجانبيه فى المساجد تفتح بكامل اتساعها على ظلة القبله، يمكن للداخل من خلالها ان يسلك طريقه الى المحراب دون المحرور بالصحن والبلاطه الوسطى(٦٠) ، وأزيد على ما ذكره الاستاذ احمد فكرى بأن البلاطة الوسطى فى المساجد لم تكن محورية التخطيط كما هو الحال فى الكنيسه وعلى ذلك لجأت معظم مساجد المغرب الاسلامي الى حجبها عن طريق محراب خشبى (عنزه) وتلاشت بذلك الوظيفه التى تؤديها البلاطه الوسطى فى التخطيط الكنائسى(٦١). وان كان المعمار المسلم قد ميز البلاطه الوسطى فى المساجد بالاتساع والارتفاع فهذا لكونها تستخدم فى اضاءة وتهوية عمق ظلة القبله عن طريق فتح نوافذ على امتداد البلاطه من الجانبين ومن امثلتها المسجد الاقصى بالقدس وبذلك لم تكن مسلكا مباشراً الى المحراب الداخلى.

ونجد هذا فى الجامع الازهر ٣٦٦هـ/ ٩٧٧م وجامع الحاكم ٤٠١هـ/ ١٠١٠م وقد اوضح (pauty) من خلال بحثه عن تطور شكل حرف T فى المساجد ان اتساع البلاطه الوسطى، قد ارتبط بالتطور الذى جاء بالمساجد السابقة من تغطيتها بقباب تطلبت نظاما معماريا خاصا يسبق هذه التغطيات وهو ايجاد قاعدة مربعة يمكن تحويلها الى مثمن ثم الى قبة وعلى ذلك يؤكد (PAUTY) ان اتساع اسكوب المحراب وبلاطته هى نتيجة حلقه ممتده من التجارب والتقاليد المعمارية(٦٢).

ومن اقدم امثلة المساجد التى تميزت فيها بلاطة المحراب باتساعها الجامع الاموى بدمشق ٨٧هـ/ ٧٠٦م، والمسجد الأقصى بالقدس ٨٧هـ/ ٧٠٦م والمسجد الجامع فى القيروان ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، وكذلك بلاطة المحراب فى جامع سوسه ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م، وبلاطة المحراب جامع الزيتونه بتونس ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، فى المغرب الاقصى نجدها فى البلاطة الوسطى بجامع القرويين ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، وكذلك البلاطة الوسطى بجامع الاندلسيين بفاس ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م. وفى مصر نجدها فى مساجد القاهرة الفاطمية من خلال البلاطة الوسطى في جامع الازهر ٣٦٦هـ/ ٩٧٧م، وجامع الحاكم ٤٠١هـ/ ١٠١٠م.

والخلاصة :

ان وجود البلاطة الوسطى في المساجد كانت له مبرراته الوظيفية التى هى جزء لا يجزأً من المطلب العقدى اذ سبق ان أوضحت ان ظلات المساجد التى خططت وفقا لنظام البلاطات تكون اكثر عمقا عن الظلات التى خططت من الاساكيب العرضيه، وعلى ذلك تكون اكثر حاجة لاضاءتها وتهويتها نظرا لما تؤديه تلك المساجد من وظائف متعددة الى جانب الصلاة.

المنابر المتحركة :

من العناصر الاساسية فى عمارة المسجد التى نلمس فيها اثر العقيده عليها، هى كتلة المنبر التى تقع



على يمين المحراب.

ويعد المنبر من العناصر التى دارت حولها آراء كثيرة، وبخاصة من قبل المستشرقين الذين اعتبروه ضمن التأثيرات الكنائسية فى عمارة المسجد، وانه قد تمت صناعته على ايدى صناع غير مسلمين، وقد تصدى لتلك الآراء فريد شافعى، ونجح فى صد تلك الآراء وتفنيدها بعد ان استعرض كافة النصوص التاريخية وقام بتحليلها(٦٣).

وما يهمنى عرضه فى هذا البحث، لا يتعلق بأصل نشأة المنبر أو تتبع اقدم امثلته فى المساجد اذ سبقني فى هذا باحثون سابقون.

اما هذا البحث فهو يعنى بايضاح الاثر العقدى على هذا العنصر فى داخل المساجد، وهذا هو الجديد.

وقبل ان اعرض هنا لعملية حركر المنبر داخل وخارج بيت الصلاه لابد ان اشير الى نقطة هامة تتعلق بحجم وارتفاع المنبر حيث كان هو الاساس الذى اوعز للمعمار بالبحث عن حلول تتمشى مع المطلب العقدى. اذ انه من المؤكد ان ارتفاع المنبر قد ارتبط بمساحة واسعة وعمق بيت الصلاة، والامثلة على ذلك كثيره، حيث نجد فى المساجد الكبيره ان كتلة المنبر اصبحت تشغل مساحة كبيره ينتج عنها حتمية قطع امتداد صفوف المصلين الاولى ، ويبدو ان المساجد العباسية

فى الامصار الاسلامية قد عرفت صناعة المنابر الضخمة تمشيا مع مساحات مساجدها الكبيره وهذا ما نستنتجه من نص المقريزى الذى يذكر فيه ان الخليفة المهدى العباسى قد أمر ولاته فى عام ١٦١هـ/ ٧٧٧م، برفع المقاصير من المساجد وتقصير المنابر على قدر منبر مسجد الرسول ﷺ(٦٤).

ولا شك انه يترتب على ارتفاع المنبر زيادة حجمه وزيادة مساحة الرقعة التى يشغلها فى بيت الصلاه، مما يترتب عليه قطع صف أو صفين من صفوف المصلين وهذا يتنافى مع المطلب العقدى الذى اوصانا به الرسول ﷺ والذى دائما ما نسمع الامام فى المسجد يرددها عل مسامع المصلين منها قوله صلى الله عليه وسلم «من قطع صفاً قطعه الله ومن وصل صفــاً وصله الله، ومنهـا ايضـا الكتف فى الكتف والقدم فى القدم من تمام الصلاة، ومنها ايضا سد الفرج وتسوية المناكب وغيـرها من الاحـاديث الشريفة التى جعلت المصلى يعرض عن الصلاة فى صف غير مستو أو صف مقطوع بدعامة او منبر(٦٥).

وعلى ذلك حاول المعمار المسلم ان يوافق بين سعة المسجد وبين حجم المنبر وبين المطلب العقدى، فنراه ابتكر من أجل ذلك فكرة تحريك المنبر عل عجل وتغييبه داخل خزانه خاصه. وقد تطلب تحريك المنبر من المعمار ايجاد تصميم خاص لذلك حيث فتح المعمار خلف المنبر فتحة باب تؤدي الى حجرة مستطيلة تستوعب فى داخلها كتلة المنبر كاملة.

اما عن كيفية دخول المنبر وخروجه من الحجره الى المسجد أو العكس، فقد يتطلب ذلك من المعمار عمل حفرة عميقة فى ارضية الحجرة وكذلك فى ارضية المسجد ثم يقوم بتركيب قضيبين من الحديد ليساعدا فى انزلاق العجلات المثبته فى قاعدة المنبر عليهما، فاذا كانت هناك حاجة لخروج المنبر من بيته قام السدنه برفع الضلفة الخشبية التى تغلق على مسار القضيبين فى داخل المسجد، كما يقومون بفتح باب خزانة المنبر ثم يقوم السدنه بدفع المنبر من الخلف فتندفع العجلات على القضبان التى بأرضية الحجرة والتى امامها فى ارضية المسجد فيخرج المنبر الى ظلة القبله فى دفعة(٦٦) واحده وليس من شك فى ان فكرة، وجود المنبر المتحرك لهو دليل قاطع على ابتكار المعمار المسلم بوازع من العقيدة تلك الحلول التى تصبغ هذه العناصر بالصبغه الاسلامية، وتجعلها من ضمن العناصر المعمارية والفنية(٦٧) الاسلامية.

ومن امثلة المساجد التى استخدمت فيها المنابر المتحركة. جامع قرطبه ٣٥٤هـ/ ٩٦٧م، وجامع الزيتونه ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م ، وجامع القرويين ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م وجامع الاندلسيين بفاس ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م ، وجامع القصبه بأشبيليه ٥٩٥هـ/ ١١٥٧م.

كذلك انتشرت المنابر المتحركه فى المساجد المرابطيه بالجزائر، ومن امثلتها جامع تلمسان ٥٣٧هـ/ ١١٢٧م ، وجامع الجزائر، كما عرفتها المساجد الموحديه فى الاندلس والمغرب، ومن امثلتها جامع القصبه بمراكش ٥٥٧هـ/ ١١٤٧م، وجامع حسان بالرباط ٥٩٥هـ/ ١١٥٧م، كما عرفت مصر هذا النوع من المنابر فى مساجدها فى العصر الفاطمى ومن امثلتها جامع العطارين(٦٨) بالاسكندرية ٤٨٠هـ/١٠٩٧م ، ويبدو ان تأثير المنبر المتحرك قد انتشر فى المساجد الحديثه بمنطقة الخليج العربى وبخاصة المملكة العربية السعودية، ولكن فى صورة اخرى ، حيث اعرض معمار تلك المنطقة عن بناء المنابر الضخمه واكتفى بعمل دخلات غائره على يمين المحراب يصعد اليها بدرجات، دون ان يكون لها اى بروز داخل ظلة القبله وهى تعطينا صورة اخرى للتأثير العقدى على العناصر الاساسيه فى المساجد.

الشكل المربع للمئذنة يظهر بوضـــوح في عمارة المغرب العربي

مصلى الجنائز :

خصصت بعض المساجد الجامعة فى المغرب والاندلس ملحقا خاصا لصلاة الجنائز يعرف باسم مصلى الجنائز ، وقد كانت هذه المصليات منتشرة فى اقطار العالم الاسلامي، حيث كانت توجد فى كل من مصر وسوريا مصليات للجنائز كانت تلحق بمداخل القرافات ، وكانت تلحق بتلك المصليات مغاسل خاصه(٦٩)، تلاشت هذه المصليات الآن من معظم تلك الاماكن. الا انها مازالت قائمة فى مساجد المغرب الاسلامي . ومن اشهر امثلتها هناك المصلى الملحق بجامع القرويين(٧٠) بفاس ٢٤٥هـ/ ٨٦٩م ، والمصلى الملحق بجامع الاندلسيين(٧١) بفاس ٢٤٥هـ/ ٨٦٩م.

وكانت مخططات تلك المصليات عباره عن مساحة مستطيلة صغيرة بالنسبه لمساحة المسجد الملحقة به، وكانت تحتوى هذه المصليات على محاريب صغيرة كما كانت تتصل تلك المصليات بالمسجد عن طريق مداخل

صغيرة فتحت بجدار القبله.

ومن الجدير بالذكر ان هذه الملاحق المعدة للصلاة على الجنازة قد اثارت تساؤلات بعض الباحثين من حيث اسباب نشأتها والحاقها بالمساجد؟ ولماذا لم تقتصر على المساجد لكى تؤدى فيها الصلاة على الجنائز؟ ومن الذى شرع الصلاه فيها؟ واذا كانت عمارتها مشروعة لماذا لم تنتشر كملحق معمارى اساسى فى مساجد العالم الاسلامى ، كل هذه الاستفسارات قد اجابت عليها الاحاديث الشريفه وكتب السيره. اذ نلمس الاثر العقدى فى بناء هذه المصليات والحاقها بالمساجد فى الاقتداء بما كان عليه مسجد الرسول ﷺ فى المدينة ، حيث جاء فى صحيح مسلم عدة احاديث فى باب الصلاة على الجنائز في المساجد ، منها ما ذكر عن السيدة عائشة رضى الله عنها بأنها أمرت ان يمر بجنازة سعد بن ابى وقاص فى المسجد، فتصلى عليه، فأنكر الناس ذلك عليها فقالت: ما اسرع ما نسى الناس ما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن البيضا الا فى المسجد(٧٣).

وفى حديث آخر ورد في سنن ابى داود حول الصلاة على الجنائز فى المسجد روى عن ابى هريره رضى الله عنه انه قال. قال رسول الله ﷺ من صلى على جنازة فى المسجد فلا شيء عليه(٧٤).

وجاء فى كتاب فقه الاسلام لابن حجر العسقلاني ، انه قد تكاثرت الاخبار الصحيحه ان رسول الله ﷺ كان يصلى على الجنائز فى المصلى كما روى عن ابى هريره ان النبي ﷺ صف بهم فى المصلى فكبر عليه(٧٥) اربعة.

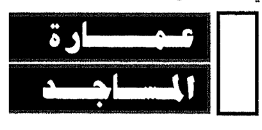
وجاء فى كتاب فتح البارى وصف لمصلى الجنازه التى كانت ملحقه بمسجد الرسول ﷺ بأنها كانت جهة الشرق ملاحقة لجدار المسجد وكانت محاطه بسور قصير غير مرتفع، وكان اكثر الصحابه يفضلون الصلاة على الجنازة خارج المسجد، ولكنهم لم يحرموا الصلاه عليها فى المسجد(٧٦) واستنادا على الأحاديث السابقة تتضح لنا حقيقتان، اولاهما ان مسجد الرسول ﷺ كان يشتمل على مصلى للجنائز كان ملحقاً فى الجدار الجنوبى الشرقى من المسجد، وكان التكوين المعماري لهذا المصلى وفقا لما جاء فى كتاب ابن حجر عباره عن ساحة مكشوفة محاطة من ثلاث جهات الشمالية والجنوبية والغربية بسور قليل الارتفاع، وعلى ذلك يكون مصلى مسجد الرسول ﷺ هو اقدم مصلى ملحق بمسجد.

وثانيهما هو جواز الصلاة على الجنائز فى المساجد العامه اذا اضطر لذلك ، وهذا ما كان يحدث فى الامصار عند حدوث الأوبئه وانتشارها وكثرة عدد المتوفين ، وقد ذكر فى ذلك المؤرخ ابن تغرى بردي.. نصوصا كثيره منها النص الذى ذكره فى حوادث سنة ٨٦٤هـ فقال: وفى يوم الاثنين كان عدة من صلى عليه بمصليات باب النصر ثلاثمائة وخمسين انسانا وبجامع الازهر ستمائة انسان(٧٧)، والنص يفيد بأنه كان يسمح فى اوقات انتشار الاوبئه الصلاة فى المساجد الجامعه.

والخلاصة: ان عادة بعض مساجد المغرب العربى الآن في الصلاة على الجنائز فى مصليات خاصه، لم تكن من باب البدعه، ولكن كانت لها اصول وجذور متصله بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فأن عادة الامصار الاسلامية مهما ابتعدت او قربت فهى تنهل من معين واحد وهو العقيدة الاسلامية(٧٨).

الملاحق المائية :

تعتبر الملاحق المائية بالمساجد من اهم الوحدات المعمارية التي انشئت بوازع من العقيدة ، من اجل



توفير الماء اللازم للطهارة والوضوء والشرب، ولذا الحقت بالمساجد اكثر من وحدة معمارية مائية، مثل الميضأه ، والمطاهر ، والسبيل ، والبرك ، والصهاريج واحواض الدواب وقد اولى المعمارى المسلم كل وحدة من تلك الوحدات أهمية خاصه، ووزعها على مخطط المسجد من خلال منظور عقدى اذ الزمت العقيدة الاسلامية المعمار بان يجعل بعض تلك الوحدات في خارج المسجد(٧٩) مثل المطاهر والمراحيض، والبرك وذلك من اجل ضمان طهارة المسجد، والحفاظ عليه بعيدا عن اماكن النجاسه، والبعض الآخر كانت تبنى فى داخل المسجد مثل السقايات، وفساقى الوضوء ، اذ لا تتعارض وظيفة تلك الوحدات مع طهارة المسجد.

وتعد الميضأة من بين اهم الوحدات المائية فى المسجد على وجه الخصوص نظرا لكونها توفر للمسلم ركناً هاماً من أركان الصلاة وهو الوضوء ، اذ لا تصح صلاة المسلم الا به.

والميضأة أو السقايه أو فسقيه الوضوء أو الشاذروان، كلها اسماء لوظيفه واحدة عرفت بها الميضأة فى المشرق والمغرب الاسلامي.

وقد حرص المعمار ان يقيم الميضأه فى صحون المساجد من الداخل لتكون قريبه من اماكن توافد المصلين. ومن الجدير بالذكر ان المعمار المسلم قد

خطط الميضأه وفقا لشروط فقهيه تتمثل فى وجوب جلوس المتوضىء على جلسه مرتفعه حتى لا يتعرض لمردود الماء الساقط على الارض فى اثناء الوضوء ولذلك اقتربت اشكال الميضأه فى المساجد من بعضها، اذ خططها المعمار على هيئة فسقيه مربعه أو مستديرة الشكل يفور من وسطها الماء الذى يسقط بدوره فى حوض اكثر اتساعا من حجم الفسقية ، ويحيط بمربع الحوض مجموعة جلسات مرتفعه، تستغل كمجالس للمتوضئين.

وغالبا ما كانت تظلل الميضأة برفرف بارز (شاذروان) او تبنى الميضأة اسفل قبه، من اجل ان تقى المتوضىء حرارة الشمس. أما المطاهر والمراحيض فكان لزاما على المعمار ان يجعلها فى خارج المسجد فى الجهه المعاكسه لاتجاه الرياح حتى يضمن للمسجد عدم تسرب ما قد ينبعث اليه من روائح كريهة(٨٠) ، الى جانب الحفاظ على طهارة المسجد في المقام الاول.

وكانت تخطط تلك المطاهر أو المراحيض على هيئة حجرات صغيره تطلق عليها الوثائق خلاوى، لكل حجره أو خلوه باب خاص يغلق عليها، كما كانت تحتوى كل حجره (خلوه) من الداخل على كرسى مرحاض، وقد راعى المعمار ان تكون حجرات الخلاوى فى موقع يخالف اتجاه القبله، وفقا للمطلب العقدى.

اما عن التخطيط المعمارى لتلك المطاهر أو المراحيض فكانت عبارة عن ساحة مستطيلة الشكل كانت تحتوى في المغرب الاسلامي وفى اليمن على برك كبيره يجرى فيها الماء الى حجرات الخلاوى التي تحيط بها من جوانبها الاربع.

اما الاسبله أو السقايات كما يطلق عليها فى المغرب الاسلامي فقد حرص المعمارى المسلم ان يزود بها المساجد من اجل توفير الماء العذب للشرب وكانت هذه الاسبله أو السقايات تبنى فى خارج المساجد من أجل تسبيل الماء لعامة الناس وكانت فى بعض المساجد المغربيه تبنى السقايات فى داخل المساجد وخارجها ومن امثلتها جامع القرويين بفاس وجامع الاندلسيين بفاس ايضا وكانت الاسبله أو السقايات تبني على صهاريج كبيره من اجل تخزين المياه المعده للشرب، وكانت هذه الصهاريج تبنى بالاحجار المنحوته وتغلف بمادة الحمراء من اجل مقاومة الرطوبة وقد اختلف التخطيط المعمارى للسبيل عن التخطيط المعمارى للسقايات، اذ غالبا ما تشيد الاسبله فى نواحى البناء من اجل فتح اكثر من شباك لتسبيل الماء العذب.

اما فى المغرب فكانت تخطط السقايات من دخلات عميقه يوجد بصدرها قيصاب يفور منها الماء فى الحوض الذى يوجد فى اسفلها، وكما وفر المعمارى المسلم الماء العذب للانسان من خلال الاسبله والسقايات والمزملات ، وفرّه كذلك للدواب من خلال احواض خاصه كانت تلحق بالمساجد ولكن منفصلة عنها، وكان يصل اليها الماء الذى يفور من احواض الاسبله أو السقايات عن طريق قيصاب من الفخار فيصب في احواض سقاية الدواب التى شكلت معماريا من دخلات عميقه صغيره تقع فى اسفل صدر حائط السقايه، وبأسفل تلك الدخلات احواض عميقة تقع فى ارضية السقاية.

المحراب يمثل نقطة ارتكاز في تنظيم صفوف المصلين

الخاتمة :

يتضح من العرض السابق ملامح التأثيرات العقدية على عمارة المسجد والوازع الدينى واثره فى حث المسلم على تعمير الارض، كما يتضح لنا جليا كيف ساهمت العقيدة الاسلامية فى تخطيط المسجد، وفى تشكيل عناصره المعماريه، وفى تطويع بعضها، بما يتفق مع المطلب العقدى لها. ولم تكن المساجد كما تخيلها المستشرقون صورة باهته اقتبست مخططاتها من عمائر قديمة، لا روح فيها ، ولا حياة لقد كانت المساجد فى صدر الاسلام مراكز ثقافية تنمي فيها العقول وتصقل، ولم يقتصر دورها على كونها مصليات فحسب، بل كانت تشكل عصب الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية لقد ساهمت العقيدة الاسلامية بقسط كبير فى توجيه المعمارى المسلم، التوجيه العقدى من اجل ان يخطط مساجد تتلاءم خطوطها الهندسية مع الاسس العقديه، كما اتاحت العقيده الاسلامية للمعمارى المسلم فرصة ابتكار مخططات لمساجد تفى برغبة المصلين الدينية فى المقام الاول، اى انه لم يجرؤ المعمارى المسلم ان يفرض تخطيطاً معمارياً لمسجد لا تتلاءم عناصره المعماريه أو الزخرفية مع المطلب العقدى لها ولكنها قد اوجبت عليه الالتزام بما جاء به ديننا الحنيف وما اوصت به سنن رسولنا ﷺ الامر الذى ساعد فى وحدة عمارة المسجد فى العالم الاسلامي.

الهوامش

(١) احمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها المدخل. دار المعارف ـ مصر ١٩٦١م ص١٠.

(٢) ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

المغربى) مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة مؤسسة الاعلمى - بيروت ١٩٧١م ص٣٢٥ - ٣٢٧.

(٣) يعد لفظ حبوس من الالفاظ التى شاع استخدامها فى المغرب والاندلس وهو يعرف فى الشرق باسم «الوقف»

ليفى بورفنسال: اداب الاندلس وتاريخها سلسلة محاضرات القاها فى الاسكندرية عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨، ترجمة عبد الهادى شعيره - المطبعه الاميرية - القاهرة ١٩٥٤م ص٨٣.

(٤) اسدى نظام الاوقاف أو التحبيس للحضاره الاسلامية خدمات جليله فبفضل هذا النظام الذى تتميز به الحضارة الاسلامية عن غيرها من الامم عاشت آلاف العمائر الاسلامية التى تخلفت عن حضارة اسلامية سابقة حيث وفر نظام الاوقاف لتلك العمائر اوجه الصرف الدائم الذى حفظ لها تأدية وظيفتها وعمارتها من التداعى عبر العصور.

(٥) سورة التوبة الآيه رقم ١٧ ، ١٨.

(٦) هناك العديد من الايات القرآنيه والاحاديث الشريفة التى تدفع المسلم على البناء وتحثه عليه منها قوله تعالى: **«ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم ان يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم»**(البقره/١١٤) ومنها ايضا قوله تعالى **«فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال»** (سورة النور الآية٣٦).

وقال: ﷺ «من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاه بنى الله له بيتا فى الجنه (رواه البخارى)

(٧) من الصعب ان نعرض لكل اراء المستشرقين عن التراث المعمارى الاسلامي وذلك بسبب كثرة ما كتب فى هذا المقام، ولكن يمكن ان نتعرف على بعض منها من خلال ما كتبه المستشرق الانجليزى (CRES-WELL) فى موسوعته عن العمارة الاسلامية ، انظر

K.A.G. CRESWELL: EARLY MUSLIM ARCHITECTURE. UMAYYADS, EARLY ABBASIDS AND TULUNIDS 2 VOLS. CLQRENDON. PRESS, OXFORD, 1932-1940

(٨) مجموعة باحثين: منظمة العواصم والمدن الاسلامية: اسس التصميم المعمارى والتخطيط الحضرى فى العصور الاسلامية المختلفه القاهرة ١٤١٤هـ ص٨٦.

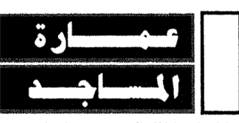
(٩) احمد عيسى: الاصول الدينيه للفنين الاسلامي والفارسي ، مقاله بمجلة رسالة الاسلام ، القاهرة ١٩٦٤ص٤٤١.

(١٠) فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الاسلامية عصر الولاه طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٠م ص ص ١٨٣ - ٢٢٦.

(١١) جرت العادة فى معظم ما كتبه المستشرقون عن العماره الاسلامية ان يتجهوا الى تخصيص مكان عند وصف الاثر المعمارى وشرح مميزاته يتضمن مقارنة وحدات او عناصر معمارية فيه بشبه لها وجدت فى طرز سابقه لكى يصلوا من ذلك الى اعتبار اصول ومصادر اشتقاق لتلك الوحدات والعناصر الاسلامية حتى ولم لم تكن هناك علاقه تصل بين تلك الوحدات.

انظر فريد شافعى: المرجع السابق ص٨٥.

(١٢) الاسبله عبارة عن مبان توجد فى الاماكن التى يعز فيها وجود الماء ، ولذلك ركبت الاسبله على



صهاريج اى خزانات لحفظ الماء العذب بغرض اعداده للشرب. وقد انتشرت الاسبله فى العماره الاسلامية وبخاصه فى المناطق الحاره، وكان لهذه الاسبله موظف مختص يعرف بالزملاتى كان يقوم على تنظيف السبيل والادوات الخاصه بالشرب، وتوصيل الماء من الصهريج الى احواض التسبيل.

انظر محمد حسنى نويصر: مجموعة سبل السلطان قايتباى بالقاهرة ، رسالة ماجستير مخطوط بكلية الاثار - جامعة القاهرة ١٩٧٠.

(١٣) محمد محمد الكحلاوى: المدارس المغربية: دراسة اثرية معمارية مقالة بمجلة العصور، عدد يناير ١٩٩١م ص١١٦.

(١٤) محمد حماد خواطر حول العمارة الاسلامية على اساس من الكتاب والسنة الرياض ١٤٠١هـ ص٤٣.

(١٥) تعد العوامل الطبيعية من اهم العوامل التى تشكل الانماط المحليه فى العماره فعن طريق ما يتوفر فى كل بيئة من مواد تشكل العمائر ، عن طريق ما فى كل بيئة من عوامل مناخيه مختلفه تشكل العناصر المعمارية التى تتمشى معها وتتواءم مع طبيعتها ، وعلى ذلك تتوارث هذه العناصر فى منشآت تلك الاقاليم وتتطور دون ان يخرجها هذا التطور عن اصولها الاولى.

(١٦) محمد محمد الكحلاى: مراكز صناعة الحرير فى

الاندلس مقالة بمجلة كلية الآثار العدد الرابع ١٩٩٠م ص ٢٠٤.

(١٧) احمد فكرى: المرجع السابق ، ص ص ٢٩٧ - ٣٠٢.

(١٨) من المسلم به ان العناصر الاساسية فى عمارة المسجد مثل المئذنه والمحراب والمنبر ، والميضأه قد وحدت بين مساجد العالم الاسلامي وعلى ذلك مهما حاول المستشرقون ارجاعها الى اصول قديمه الا ان وجودها فى داخل التكوين المعمارى للمسجد يجعلها تستمد شريعتها من وظيفتها الاساسية. راجع صلاح الدين البحيرى: عالمية الحضاره الاسلامية، صادر عن جامعة الكويت - كلية الآداب.

(١٩) مجموعة باحثين: اسس التصميم المعمارى ص٤٨٦.

(٢٠) صار تصميم مسجد الرسول ﷺ بالمدينة نموذجا للمساجد الجامعة التى اسسها المسلمون فى المدن الجديده ، التى انشئوها عقب الفتوح الاسلامية.

حسن الباشا: مدخل الى الاثار الاسلامية ، دار النهضه العربية القاهرة ١٩٩٠م ص١٠٣.

(٢١) حسن مؤنس: المساجد سلسلة عالم المعرفه يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت ١٩٨١م، ص ص ٨٨ - ٨٩.

(٢٢) الامام البخارى: الحافظ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيره: صحيح البخاري، كتاب الصلاة حديث رقم ٢٧٨ ص١٩١.

(٢٣) الامام البخارى: المصدر نفسه حديث رقم ٢٧٩ ص١٩٢.

(٢٤) اوقطاى اصلان ابا فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة احمد عيسى - صدر عن مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافه استنبول ٨٧م ص٧٩.

(٢٥) أصلان ابا: المرجع نفسه ، ص ص ٨١ - ٨٩.

(٢٦) عبد القادر الريحاوى: العماره فى الحضارة الاسلامية صادر عن مركز النشر العلمى جامعة الملك عبد العزيز - جدة ١٤٠٩هـ، ص ص ٥٦٦ - ٥٦٧.

(٢٧) فريد شافعى: النماذج الرئيسية لتخطيط المساجد مقالة فى الندوات العلمية ليوم المهندس ص ص ٥٤ - ٥٨. وانظر ايضا اصلان آبا: المرجع السابق ص١٩٥.

(٢٨) كانت المساجد العثمانية فى بداية امرها حلقة انتقال من الطراز السلجوقى الى الطراز العثمانى الذى ازدهر فى استنبول ، وانتشر منها الى سائر اقطار الامبراطوريه العثمانية ، ويبدو ذلك جليا فى المساجد التى شيدت فى مدينة بروسه فى القرن ١٨ الهجرى / ١٤م الا ان ملامح طراز جديد بدأت تظهر فى مساجد العثمانيين فى مدينة «ادرنه» حيث يمثل جامع «اوشى شريفلى» مرحلة انتقال حقيقة بين المساجد العثمانية المتأثرة بالطراز السلجوقى، وبين المساجد العثمانية التى شيدت بعد فتح القسطنطنيه ١٤٥٣م ارنست كونل:

الفن الاسلامي، ترجمة احمد عيسى طبعة دار صادر - بيروت ١٩٦٦. ص ص ١٦٢ - ١٦٤، وانظر زكى محمد حسن: فنون الاسلام ، طبعة دار الفكر العربى، ص ص ١٣٥ - ١٣٧.

تغييب المنبر في غرفة خاصة حتى لا يأخذ حيزا من المصلين

اما بالنسبة لتطابق هذا التخطيط مع المطلب العقدى الذى يكره الصلاه بين الاساطين، ذكر الزركشى فقال: «اختلف العلماء فى الصلاه فى المسجد بين السوارى، فكرهه أنس ، وقال كنا نتقيه على عهد الرسول ﷺ وفى لفظ كنا ننهى عن الصلاه بين السوارى ونطرد عنها وقال ابن مسعود لا تصفوا بين الاساطين ، لانه روى فى هذا الحديث انها مصلى الجن المؤمنين ... وقد اجاز بعض الفقهاء الصلاه بين السوارى، منهم الامام مالك، الذى قال: لا بأس بذلك لضيق المسجد.

الزركشى: محمد بن عبد الله، اعلام الساجد بأحكام المساجد، طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية تحقيق الشيخ ابى الوفا مصطفى المراغى القاهرة ١٤٠٣هـ ص٣٨١.

(٢٩) عبد القادر الريحاوى: المرجع السابق ص٤٥٠.

(٣٠) يرجع الفضل الى ابتكار هذه النماذج الرائعه من مخططات المساجد العثمانية الى المهندس العثمانى العبقرى سنان، الذى يعد بحق اعظم المعماريين المسلمين اذ ينسب اليه بناء اعظم المنشآت الدينية العثمانية فى القرن ١٧م.

انظر كونل: المرجع السابق ص ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٣١) عمر رضا كحاله: الفنون الجميله فى العصور الاسلامية المطبعة التعاونية - دمشق ١٩٧٢م، ص ص ٤٩ - ٥٠.

(٣٢) Creswell, The Evolution of The Butlingtion Magazine, Mars, Juin, 1928. PP. Y - 10

وانظر عبد المنعم رسلان: نشأة المئذنة مقالة بمجلة دارة الملك عبد العزيز العدد الاول العام الحادى عشر ١٩٨٥م ص ص ٦٥ - ٧٩.

(٣٣) ابن سعد: محمد بن سعد - الطبقات الكبرى، طبعة دار التحرير للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٠ ج٢ ص٣٠٨.

(٣٤) السمهودى: نور الدين على بن احمد المصري) وفاء الوفاء فى اخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة احياء التراث العربى - بيروت ج٢ ص ٥٣٠.

(٣٥) البلاذرى: ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر) فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد طبعة دارة النهضة العربية، القاهرة ١٩٠٧م ص٤٣٣.

(٣٦) المقريزى: تقى الدين أبو العباس احمد بن خالد) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان طبعة دار صادر (بدون تاريخ) ج٣ ص٢٤٦.

(٣٧) السيد عبد العزيز سالم: المآذن المصرية نظره عامه عن اصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى طبع مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندريه (بدون تاريخ) ص٩.

(٣٨) السيد عبد العزيز سالم: المرجع نفسه ص ص ٢٩ - ٣٣.

(٣٩) محمد الكحلاوى: العمارة الاسلامية فى الغرب الاسلامي، عمائر الموحدين الدينية فى المغرب - رسالة دكتوراه، مخطوط كلية الآثار - جامعر القاهرة ١٩٨٦ ص ص ٤٣٧ - ٤٤٤.

(٤٠) كريزول: الآثار الاسلامية الاولى، تعريب عبد الهادى عبل دار قتيبه - دمشق ١٩٨٤م ص ص ٣٦٧ - ٣٦٩.

(٤١) Percy-Brown: Indion Archi-tecture Islamic Period, Bomboy 1975, P xxx VI

(٤٢) أرجع فريد شافعى المآذن التى يغطى شرفاتها مظلة الى العوامل المناخية وبخاصة فى الاقطار التى تكثر فيها الامطار، لتمنع تسرب مياه الامطار الى سلم المئذنه الحلزونى - فريد شافعي: العمارة العربية ص٦٤٢.

(٤٣) الخزنائى : على : جنى زهر الاس فى بناء مدينة فاس تحقيق عبد الوهاب المنصور طبعة المطبعة الملكية الرباط ١٩٦٧ ص٤٢.

(٤٤) صحيح البخارى : ص ١٩٦.

(٤٥) صحيح البخاري : ص ١٩٧.

(٤٦) لا شك ان بداية صف المصلين تبدأ دائما من امام المحراب مباشرة ثم يستكمل بناء الصف من الجانبين، ولذلك لا يمكن ان يكون فى المسجد ابواب محورية وابواب ثانويه حيث انه مهما اختلف موضع الدخول فلابد ان ينشأ صف المصلين انطلاقا من المنتصف.

(٤٧) Terrasse (H), La Mosquee Des Andalous Afes. Paris, 1920, P12.

وانظر الكحلاوى : المرجع السابق ص٣٦٢.

(٤٨) احمد فكرى: المرجع السابق ص ٢٩٨ هامش ٢.

(٤٩) حسين مؤنس: المرجع السابق ص٧٨.

(٥٠) ليس من الضرورى ان يكون اتجاه القبله محراباً بل يكفى تعيين الموضع الصحيح لجهة القبله، وكانت المساجد الاولى فى صدر الاسلام بدون محاريب.

(٥١) احمد فكرى : المرجع السابق ص ٣٠٨.

عمارة المساجد

(٥٢) هناك اختلاف جوهرى بين صلاة المسلمين وصلاة غيرهم من اهل الاديان الاخرى ، فعلى الرغم من ان المسلمين يصلون فى مساجدهم فى جماعة الا ان لكل منهم حالته الخاصه اى ان كل واحد منهم فى حالة صلاه مستقله ويأتى دور الامام فى توحيد حركات جموع المسلمين فى التكبير، والركوع والسجود، ومن هنا احتاجت صلاة الجماعة الى امام دون ان تكون محتاجة الى محراب.

(٥٣) السيد عبد العزيز سالم: مسجد القرويين بفاس مقالة بمجلة الشعب بيوت الله مساجد ومعاهد الجزء الثاني ١٩٦٠م ص١٧٩.

(٥٤) السيد عبد العزير سالم: المرجع نفسه ص ١٧٩.

(٥٥) محمد محمد الكحلاوى: عمائر الموحدين الدينيه ص ٣١٥.

(٥٦) عارف العارف : تاريخ قبة الصخره والمسجد الاقصى المبارك ولمحه عن تاريخ القدس - طبعة دار الايتام الاسلامية ١٩٥٥م ص٨٩.

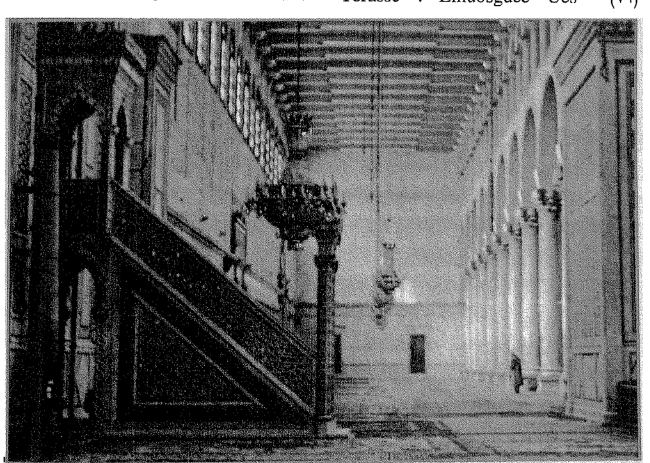
(٥٧) فريد شافعي : العمارة العربية ص ص ١٢٢ - ١٢٤.

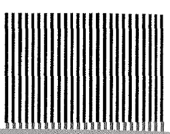
(٥٨) احمد فكرى : المدخل : ص٣٠٨.

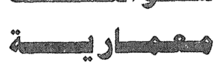
(٥٩) احمد فكرى : المرجع نفسه ص ٣٠٤.

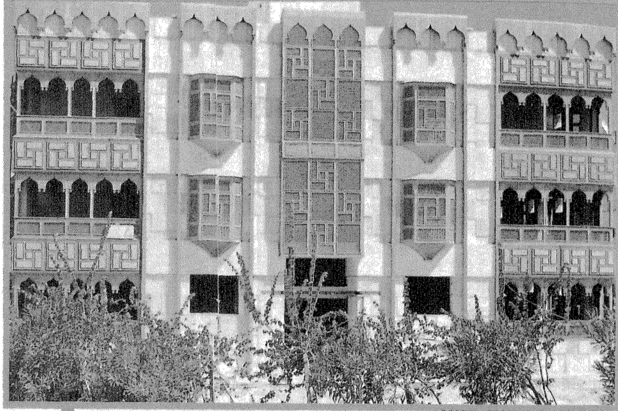
(٦٠) احمد فكرى : المرجع نفسه ص ٣٠٧.

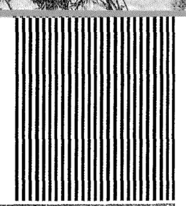
(٦١) محمد محمد الكحلاوى: المرجع السابق ٣٥٧.
(٦٢) احمد فكرى : المرجع السابق ص٣٠٨.
(٦٣) فريد شافعي: المرجع السابق ص ص ٦٢٤ - ٦٣٤.
(٦٤) المقريزى : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٥١.
(٦٥) يذكر الزركشى انه لا يستحب ان يكون المنبر كبيراً لئلا يشغل جزءا كبيرا من مساحة المسجد ، ولهذا يفضل العلماء المنبر المتحرك الذى يحرك لصق الجدار اذا لم تكن حاجة ، الزركشي: المصدر السابق ص ٣٧٤.
(٦٦) Terrasse (H) LA Mosq Uee Al Qaraouiyina Fes Paris. 1968 - P49.
(٦٧) محمد محمد الكحلاوى : المرجع السابق ص ٤٢٤.
(٦٨) حسين مؤنس: المرجع السابق ص٨٦.
(٦٩) ابن تغرى بردى (جمال الدين ابو المحاسن يوسف النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهرة ١٦ جزء - تحقيق جمال الدين الشال، فهيم محمد شلتوت - طبعة الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢م ج١٤ ص١٤٤.
(٧٠) Torrosse OP - Cit P 28.
(٧١) Terasse : Lmuosguee Ues Andalus, OP . AT. P 22 .
(٧٢) IBIA L.P. 28
(٧٣) صحيح مسلم : ج ٢ كتاب الجنائز رقم ١١ ص٦٨٨.
(٧٤) الامام ابو داود سليمان بن الاشعث السجستانى الازدى: سنن ابى داود طبعة دار الفكر العربى للطباعة ج٣ ، ص٢٠٧.
(٧٥) ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين احمد بن على بن محمد بن على)
فقه الاسلام فى شرح بلوغ المرام من جمع ادلة الاحكام. مطبعة الرشيد - المدينة المنورة ج٣ ص ص ٤٠ - ٤١.
(٧٦) الامام البخارى : المرجع السابق حديث رقم ٩٩.
(٧٧) ابن تغري بردى: المصدر السابق ج١٤ ص١٤٥.
(٧٨) محمد محمد الكحلاوى: المرجع السابق ص٤٠٧.
(٧٩) الزركشي: المصدر السابق : ص٣٤١.
(٨٠) محمد عبد الستار: نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكيه الباقيه بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه مخطوطه - كلية الآداب - جامعة اسيوط ١٩٧٩م ص ص ٣١٣ - ٣١٨.
(٨١) محمد حسنى : المرجع السابق ص٢٨.











جدة الحديثة - إحياء العمارة الإسلامية في الشكل الخارجي لعمارات حديثة - بكسوتها برواشين خشبية حديثة يتم تصنيعها محلياً

الجامع الأموي

اعداد:
شيرين عزيز ابراهيم
سوريا

في دمشق - **المسجد الاموي الذي ليس على الارض مثله بناء، ولا أحسن منه صفة، ولا أتقن منه إمكاناً، ولا أوثق منه عقداً، ولا أغرب منه رسماً ، ولا أبدع منه تلميعاً ، بأنواع الغصن المذهب، والآجر المحكوك، والمرمر المصقول.**

هذا ما قاله الشريف الادريسي (١١٥٤م) في الجامع الأموي. كما اعتبرت ثلاثة من عناصره كثلاث من عجائب الدنيا الخمس وهي: منارته العتيقة، والأموال التى أنفقت عليه - أكثر من ١١ مليون دينار - والرخام والفسيفساء التى تزينه».

فالجامع الأموى هو أحد أشهر العمائر الاسلامية فى العالم، وهو الجامع الذى شيدت المساجد الكبرى فى العالم الاسلامي فيما بعد على نسقه، ولهذا يبدو أن ما قرره الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك وما كان يرغبه قد تحقق فهو القائل: « **إني أريد أن أبنى مسجداً لم يبن من مضى قبلي، ولن يبني من يأتى بعدي مثله**». ويؤيد قول الوليد هذا ما قاله سوفاجيه عن هذا الجامع بأنه: «أول نجاح معماري فى الاسلام».

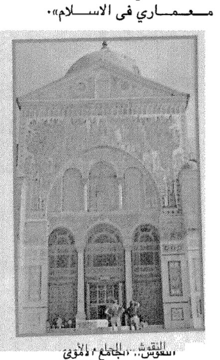
فبعد كل هذا ألا يستحق هذا الجامع، هذه الأبدة الاسلامية أن نقف عندها وقفة متأنية فيها نتعرف على قصة بنائها وما تحملها من قيم حضارية وتاريخية مع الاشارة الى دورها فى حياة الانسان عبر العصور المختلفة.

الجامع عبر التاريخ :

فى قلب مدينة دمشق القديمة أقيم هذا الجامع على بقعة كانت معبداً للاله «حدد» أو آداد إله المطر والخصب والعاصفة عند السوريين القدماء أي عند الآراميين سكان دمشق الأوائل فى القرن العاشر قبل الميلاد، وفى العهد الرومانى أنشئ على أنقاض هذا المعبد «معبد حدد» معبد آخر عرف باسم جوبتير الدمشقى الذى وصف بأنه من أضخم المعابد الرومانية، وفى أواخر القرن الرابع الميلادي أي في عهد الامبراطور تيودوس الأول (٣٧٩ - ٣٩٥م) تحول معبد جوبتير إلى كنيسة عرفت بكنيسة القديس يوحنا المعمدان «النبى يحيى» ويتحدث ابن الفقيه عن رأس هذا القديس بقوله: «قال زيد بن واقد: وكلني الوليد على العمال بمسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة، فعرفنا الوليد ذلك ، فنزله فى الليل فإذا هى كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع فى مثلها ، وإذا فيها صندوق وفي سفط مكتوب عليه: هذا رأس يحي بن زكريا، فرأيناه فأمر الوليد أن يجعل تحت عمود معين، فجعل تحت العمود المسفط الرابع الشرقي ويعرف بعمود السكاسك».

وبعد الفتح الاسلامي عام ١٤هـ - ٦٣٥م حول المسلمون الجزء الشرقى من المعبد إلى مسجد، على حين بقى الجزء الغربى منه كنيسة تحت تصرف المسيحيين، فيها يمارسون طقوسهم الدينية، واستمر الحال بهذا الشكل لمدة سبعين عاماً تقريبا وبالتحديد الى عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م وذلك حين تسلم سدة الخلافة الاموية الوليد بن عبد الملك حيث جرت مفاوضات بينه وبين المسيحيين لكي يتنازلوا عن جزئهم الغربي من المعبد مقابل السماح لهم ببناء كنائس جديدة في أماكن مختلفة من دمشق.

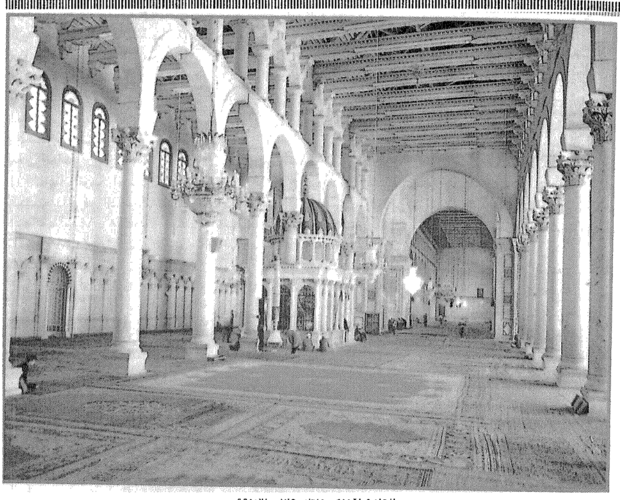
وقد هدم الوليد بن عبد الملك بناء الكنيسة وكل ما كان داخل المعبد من منشآت رومانية وبيزنطية، وأشاد الجامع وفق مخطط جديد



النقوش.. الجامع الأموي

محراب الجامع الاموي

من أشهر العمائر الإسلامية في العالم



الجامع الاموي..منظر جانبي للاروقة

يتلاءم مع شعائر الدين الاسلامي ومع حياة الناس، حتى أصبح انموذجاً على نسقه تشاد المساجد الكبرى في العالم الاسلامي، وقد جند الخليفة الوليد عدداً كبيراً من المهندسين والبنائين من اجل القيام بعملية البناء التى استغرقت قرابة عشر سنين بدءاً من ذى الحجة عام ٨٧هـ - ٧٠٥م .. ويورد لنا المسعودي في «مروج الذهب» النقش الكتابي الذي يشير إلى هذا التاريخ الذى أمر الوليد بكتابته بفسيفساء الذهب على اللازورد فى الحائط ونصه: **«ربنا الله، لا نعبد إلا الله، أمر ببناء هذا المسجد، وهدم الكنيسة التي كانت فيه، عبد الله الوليد أمير المؤمنين فى ذى الحجة سنة ٨٧هـ/ ٧٠٥م» ويقول المسعودي أيضا: بأن «هذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق الى وقتنا هذا»** وهو سنة ٣٣٢هـ - ٩٤٣م.

وقد كلفت عملية بناء هذا الجامع أرقاماً عالية وخيالية من الدنانير، فيقول ابن كثير ان الوليد أنفق على بناء الجامع خراج الشام لمدة سنتين، وقيل إنه اخذ ربع أعطيات اهل دمشق لمدة تسع سنين.. وهناك من يقول - عبد الباسط العلوي مثلا - بأن ما أنفق على الجامع كان اربعمائة صندوق في كل صندوق أربعة عشر الف دينار أي خمسة ملايين وستمائة الف دينار ذهبي.

وصف الجامع :

يتكون الجامع من صحن مستطيل يبلغ طوله ١٥٧ مترا وعرضه ٩٧ متراً تحيط به سقفية محمولة على أعمدة وأكتاف عالية،

وإلى الجنوب من الصحن يقع الحرم الذي يبلغ طوله ١٣٩ مترا وعرضه ٣٧ مترا ويتكون من ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة وتقوم وسط الحرم قبة كبيرة تدعى قبة النسر ترتفع قرابة ٣٦ متراً محمولة على أربعة اعمدة كبيرة فوقها رقبة مزودة بالنوافذ ويعلو الجامع جملون مرتفع يمتد من الشرق الى الغرب، وأهم ما يلفت النظر داخل الحرم المحاريب الأربعة: المالكي، والحنفي، والحنبلي، والشافعي.

مآذن الجامع:

(١) المئذنة الغربية: أقيمت فوق برج قديم جددت فى السنوات التالية (١١٨٤ - ١٤٠٠ - ١٤٨٨م/ ٥٨٠ - ٨٠٣ - ٨٩٣هـ) ، وتشير الكتابة المنقوشة عليها انها تجددت بعد الحريق الذي اصابها عام (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) وتم ذلك فى عهد السلطان قايتباى عام (٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م).

هذه التحفة المعمارية.. عشر سنوات من العمل المتواصل وستة ملايين دينار ذهباً

(٢) مئذنة العروس: تقوم وسط الرواق الشمالي، وقد أنشئت في عصر مليك شاه بين سنتي (١٠٧٤ - ١٠٨٤م/ ٥٧٠ - ٥٨٠هـ) ويعود قسمها السفلي الي عهد الوليد بن عبد الملك الذي طلاها بالذهب، وغدت فيما بعد انموذجاً للمآذن في سورية وشمالى افريقيا ونقل طرازها الى الاندلس وتعد أقدم مئذنة إسلامية لازالت قائمة.

أبواب الجامع:

للجامع أربعة أبواب هي:

(١) الباب الغربي: ويسمي بباب البريد أيضا، يتألف من ثلاثة مداخل صفحت ورقاته بالنحاس في العهد المملوكى في القرن الخامس عشر، وقد أنشئ هذا الباب في عهد السلطان قايتباي.

(٢) الباب الشرقي: ويعرف بباب جيرون أو باب النوفرة أو باب اللبادين وهو أكبر الأبواب.

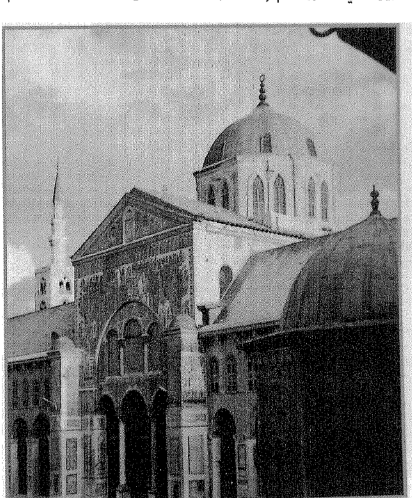
(٣) الباب الشمالي: ويسمى بباب الفراديس أو باب العمارة أو باب الناطقين.

(٤) باب العنبرية: ويسمى بباب الزيادة أو باب القوافين، وهو الباب المفتوح فى الجهة الجنوبية من الحرم.

وفى الجامع اربع صالات تعرف باسم المشاهد، وحمل كل مشهد اسم أحد الخلفاء الراشدين ويقوم في القسم الشرقي من الحرم قبر النبي (يحي) وفوقه قبة، أما في صحن الجامع فتوجد ثلاث قباب: قبة الساعات وقبة البركة - أزيلت فيما بعد - وقبة المال أو قبة عائشة.

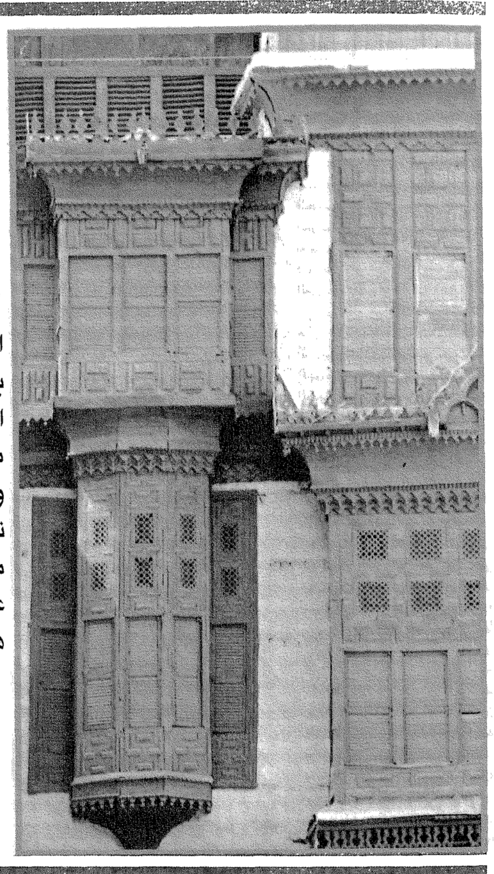
وفى الجهة الغربية الجنوبية من الجامع أقيم حديثاً متحف خاص يعرض الارث الحضارى والفني للمبنى خلال العصور الاسلامية التي تعاقبت عليه.

- وجدران واروقة واقواس الجامع الأموى زينت بالفسيفساء الجميلة في عهد الوليد بن عبد الملك.



شــواهــد معمــاريــة

الرواشين على بيــوت جــدة القديمة بعقود مــســتــديرة وتحليــــات تـعـكـس طرازاً من فن الــنـحـت على الخـــشـب هـنـدي عـــربي



● إعداد: د. حقي أونكال - تركيا

الجوامع التركية من زاوية تطور الهندسة المعمارية



جامع السليمانية.. وبجانبه المكتبة السليمانية الشهيرة

ان الجوامع التى بنيت فى عهد قره خان أول دولة تركية اسلامية لم يصلنا منها الا القسم الضئيل. ويظهر بشكل واضح أن القرة خانيين كانوا يبنون جوامعهم من الطابوق، ثم بدؤا يبنونها من القوالب الكونكريتية، وهذا بحد ذاته يعتبر تطورا كبيرا وتجديدا في هندسة الجوامع المعمارية والزخرفية التي عرفت فيها.

ان تصميم جامع قشلاك هازارا وتالهاتان بابا في هازارا، أثرا بشكل كبير في تصميم الجوامع العثمانية لقد اسندت القبة الكبيرة المركزية في هذين الجامعين على قوائم او اعمدة ووسعت هذه القبة بقباب في الجوانب. ونجد في العهد السلجوقي جوامع، كما حصل في عهد قرة خان، استخدمت فيها زخرفات بالقوالب الكونكريتية بشكل يلفت النظر.

ومن خلال اطلاعنا على الجوامع المختلفة التي بنيت في العالم الاسلامي فقد وجدنا ان السلجوقيين رغم تاثرهم بالقره خانيين والغزنويين الا انهم اضافوا اليها ما يتعلق بعاداتهم فطوروا بذلك ابنية الجوامع، كالقبة المبنية امام المحراب والاصحن الاربعة مما يجلب النظر في هذه الجوامع ومن امثلتها جامع اردستان ومسجد جوما لاريني في زوارة.

وبعد ان حقق الاتراك انتصارا في معركة مالازغرت، وبسطوا سيطرتهم على الاناضول بدأوا يقيمون ظروف الوطن الجديد الطبيعية والتاريخية والجغرافية والثقافية، فانشأوا جوامع مرتبطة

● ترجمة: د. أنور طاهر رضا – تركيا

جزئيا بالتقاليد القديمة في القسم الجنوبي الشرقي من الاناضول ، في حين انشأوا جوامع في المناطق الاخرى كثمرة للبحث الجديد، كانت الجوامع تصمم بشكل مستطيل، وتسند على قوائم ترتبط ببعضها البعض باقواس، وكان المكان يغطى بقباب تربط باحزمة. تَضَمَّنَ قسم من الجوامع التى انشئت فى العهد السلجوقي في الاناضول الاصحن، واحتوى قسم اخر منها على مساحة واسعة في داخل الجامع تذكر بالاصحن، وقد بني قسم منها من الخشب بحيث يتضمن الكثير من الزخارف ذات المنظر الجميل الملفت للنظر. لقد زخرف الباب الكبير في جامع ديوريغي اولو جامع الذى بني بين سنتى ١٢٢٨ - ١٢٢٩ زخرفات لابد من الاشارة اليها في هذا المجال.

ويظهر هذا الاثر فى العمل الماهر الذى اظهره الفنانون مع احساساتهم الجياشة لاعطاء هيبة لعملهم، واستخدموا في الوقت نفسه انواعا غنية من الاحجار في القباب، مع اعطاء الاهمية الكبيرة للمنبر والمحراب والشكل والتناسق العام الذى يعطيه هوية خاصة. كانت المنظومة التى تضمنت الجامع والتى اهديت من قبل منكوجك اوغلو احمد شاه وزوجته توران ملك خاتون قد أضافت الى الثقافة التركية اثرا ممتازا في ذلك العصر، ولا يزال يحافظ على امتيازه هذا.

لقد طور العثمانيون في كثير من المؤسسات التي انشأوها كما فعلوا ذلك في الجوامع. وقد صرفوا كل امكاناتهم لتغطية القبة الكبيرة، وفعلوا ذلك في بداية الامر للحصول

الجامع الكبير يعرف كامتداد للمعمار الفارسي في الأناضول حيث صمم بشكل خاص في الإيوان وما يقع خلف القسم المغطى بالقبة

علي مكان واسع. رغم ان التنظيم السابق المنتشر في بناء الجوامع يؤدى الى الحصول على مكان واسع الا ان هذا المكان كان ينقسم كثيرا بسبب الاعمدة الكثيرة التى تستخدم فى اقامة البناء لم يتخلف العثمانيون من تجربة بناء جوامع ذات قبة واحدة، يفهم ان المهندسين المعماريين ومنذ بداية الامر قللوا من اعداد هذه الاعمدة للحصول على كمٍ واحد في المسافة، رغم ان قبة اولو جامع (الجامع الكبير) في بورصة التي بنيت بين سنتي ١٣٩٩ - ١٤٠٠م يعتبر بناؤها على النمط السلجوقي الا ان اعمدتها مع ذلك خفضت بشكل كبير. لقد خفض هذا العدد الى اربعة اعمدة فى جامع ادرنة القديم الذى بنى بين سنتي ١٤٠٣ - ١٤١٣م. خطا العثمانيون مرحلة أخرى لتوسيع داخل الجامع باضافة انصاف القبب والقبب الصغيرة الى القبة المركزية. وفيما بعد وفي ادرنة ايضا بني جامع بين سنتي ١٤٣٧ - ١٤٤٧ بمنارات ذات ثلاث شرفات، وقد عززت القبة المركزية الكبيرة بقبتين اخريين لتغطية المكان. اما الجامع الذى انشأه السلطان محمد الفاتح بين سنتي ١٤٦٣ - ١٤٧٠م فقد اضيف الى قبته المركزية نصف قبة من جهة القبلة، وتعتبر هذه الخطوة مرحلة ثانية مهمة. بلغ عدد انصاف القبب في جامع بايزيد نصفين، وجامع اسكدار مهريماه، (١٥٤٧) ثلاثة انصاف قبب، وفي جامع شاه زادة (١٥٤٨) اربعة انصاف قبب. وهكذا وسع المكان حول القبة المركزية وبلغ اقصاه. على ان المهندس المعمارى سنان كرر اضافة نصفي قبتين الى القبة المركزية في جامع السليمانية (١٥٥٧) لكونه غير مطمئن من ذلك بعد . كانت التجربة التي طبقت في الجوامع الصغيرة قد نفذت مع القبة الكبيرة باقامتها على ثمانية اعمدة في جامع السليمية(١٥٧٥).

لقد حصل اضمحلال في المؤسسات العثمانية منذ القرن الثامن عشر. وهذا ما يظهر بشكل يجلب النظر في الهندسة المعمارية التي ظهرت في بناء جامع نور عثمانية (١٧٥٥) حيث فتحت الابواب شيئا فشيئا نحو الغرب. ورغم ان عودة الى الذات حصلت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية

جامع الفاتح باستانبول يبلغ قطر قبته ٢٦م ويعتبر نموذجاً لهندسة معمار الجوامع التركية

القرن العشرين الا انها لم تكن ناجحة.

وفي عصرنا هذا، فان ابنية الجوامع الناجحة نسبيا، تكرر تصميم العهد الكلاسيكي في التغطية مع النسب المستخدمة، وتتخذ الزخارف التي استخدمت في ذلك العصر نماذج للاعمال الجديدة.

ونعطي في الصفحات التالية بعض التفاصيل عن بعض الجوامع الكبيرة في تركيا:

١ - جامع اياصوفيا :

لقد بنيت كنيسة اياصوفيا بين سنتي ٥٣٢م - ٥٣٧م من قبل ايزيدور من مدينة ميلت وانتيميوس من مدينة تراليس. وباضافة نصفي قبتين الى القبة المركزية فقد اضحت الكنيسة ضخمة وغطت مساحة واسعة من الارض. كانت هذه الكنيسة تجربة جسورة لم يكن لها مثيل غير بانتاون، وشكلت مرحلة متقدمة في المعمار العالمي، واصبحت دائما مصدرا للالهام لدى المهندسين المعماريين العثمانيين.

وفي سنة ١٤٥٣ عندما فتح محمد الفاتح استانبول حولها الى جامع، وحافظ عليه كاعز ما يكون، ولقي من اهتمام العثمانيين بحيث يمكننا ان نقول انه كان سببا لبقائه على ما نراه اليوم.

٢ - اولو جامع (الجامع الكبير) مالاطية :

المعروف ان هذا الجامع بني في النصف الاول من القرن الثالث عشر، **يعرف هذا الجامع كامتداد للمعمار الفارسي في الاناضول في تصميمه وبشكل خاص في الايوان وما يقع خلف القسم المغطي بالقبة.** يظهر الخزف الملون باللون البنفسجي والفيروزى والابيض والاسود فى الزوايا الداخلية للجامع والمقرنصات وعناصر الانتقال المملوءة، والزخرفات التي صنعت في داخل القبة مع الكتابات، ان يدا ماهرة لصاحب ذوق سليم قد عملت فيه. نفهم من الكتابة الموجودة ان البنَّاء يعقوب بن ابي بكر من مالاطية هو الذى نفذ هذه الاعمال الدقيقة.

٣ - جامع الفاتح - استانبول :

لقد انشأ محمد الفاتح هذا الجامع بين سنة ١٤٦٢ - ١٤٧٠ على انقاض كنيسة الحواريين. يرتفع الجامع في مركز منطقة معمارية بشكل جميل ومتناسق.

لهذا الجامع قبة كانت اكبر قبة بنيت في ذلك العصر اذ بلغ قطرها ٢٦م. اضيف الى هذه القبة من جهة الجنوب نصف قبة، وبذلك مثل هذا الجامع استمرارا في هندسة معمار الجوامع التركية، واضحى نموذجا للجوامع التى بنيت فيما بعد فى نسبه ومقاييسه . تهدم هذا الجامع الذى يعتبر من عمل المهندس المعمارى التركي سنان، في سنة ١٧٦٥ على اثر الزلزال الذى ضرب استانبول. اعاد بناء الجامع السلطان مصطفي الثالث باربعة انصاف قبب تحيط القبة المركزية في الجامع الذي نراه اليوم. لقد جدد هذا الجامع في فترة بدا فيها تاثير الهندسة المعمارية الغربية على الهندسة المعمارية التركية. لقد اضاف المعمار طاهر آغا الى العناصر الكلاسيكية اسلوب الطراز الباروكي بشكل متوازن وناجح.

٤ - جامع شاه زادة - استانبول :

لقد امر السلطان سليمان القانوني المهندس المعماري الكبير سنان ببناء هذا الجامع مع الابنية الاخرى للكلية والقبر على اثر وفاة ابنه الشاب محمد شاه زادة سنة ١٥٤٣ لكي يمثل ذكراه الطيبة الى الابد.

يتضمن الجامع الصحن، وقد اضيفت الى قبته المركزية انصاف قبب بحيث امكن الحصول فى المرحلة النهائية على اوسع مساحة للمصلين. ان قطر القبة المركزية التي اقيمت على اربعة اعمدة هو ١٩م، اما ارتفاعها فهو ٣٧م. اضيفت الى هذه القبة اربعة انصاف قبب واربعة قبب صغيرة في الزوايا الاربع لكي تغطي المكان المخصص للجامع. اكمل هذا الجامع الذى قال عنه مهندسه المعمارى سنان بانه يعود الى



جامع السلطان أحمد/ المعروف بالجامع الأزرق/ من الداخل

مـرحلة تلمـذته سنة ١٥٤٨. لقـد استخد م لاول مرة من اجل مقابلة ضغط القبب باقامة قوائم جانبية في الخـارج واخـفـيت داخل الاروقـة بطريقة ماهرة.

تضمنت مآذنها ذات الشرفتين زخرفات جميلة جدا، وهي ترتفع تدريجـيـا على شكل الاهرامـات، بنسب متناسقة وعمل دقيق جدا. ولهذا فهو يعتبر من الآثار التركية الكبيرة.

٥ ـ جامع السليمانية ـ استانبول:

لقد بنى هذا الجامع بين سنتي ١٥٥٠ ـ ١٥٥٧ الذي قـال عنه مهندسه المعمارى سنان بانه يعود الى مرحلة وصل فيـها الى درجة مسـاعد الاسـتـاذ ـ بني هذا الجامع بأمر من السلطان سليمان القانوني بحيث يعكس فعلا سلطنته للعـالم. ورغم ان اضـافـة نصـفي قبتين حـول القبة المركزية بدلا من اربعة انصاف قبب تظهر عودة الى القـديم، الا ان قطر القبة المركزية بلغ ٢٦٫٥م ، وقد اسندت على اربع قوائم ضخمة. اما ارتفاعها فقد بلغ ٥٣م، وهو يصل بذلك الى ارتفـاع جامع اياصوفيا، وهذا بحد ذاته يعكس ما لهذا الجامع من ضخامة.

جامــع شــاه زاده من الآثار التركية الكبيرة حيث تأخذ مآذنـه شكــل الأهـرامــات

لقد بني الجامع على تل مشرف على الخليج وسط مجموعة كبيرة من الابنيـة، فـهـو اثر ضـخم ليس في الهندسـة المعمارية فـحسب بل في تخطيط المدينة. لقـد نظم جـريان الهواء بشكل منتظم، وتجمع الادخنة التي ترتفع من القناديل في غـرفـة الادخنة، وتوزع الصوت فـيه بشكل جـمـيل. ان اشـعـة الضـوء التي تتسـرب من الشـبابيك الزجاجية الملونة التي بنيت من الجص تضيئ داخل الجامع بشكل لطيف لا يتعب العين.

٦ ـ جامع السليمية ـ قونية :

بناه السلطان سليم الثاني في

١٥٦٦م .. وهذا الجامع له تصميم جامع الفاتح القديم، غير ان منبره ومحرابه مبنيان من الرخام مع الاغطية التي بنيت من الحجر المقطوع، ووسع رواق الجماعة المتأخرين عن الصلاة. يتضمن الجامع منارتين بشرفة واحدة لكل منهما. ولهذا فهو يعتبر من جوامع السلاطين الكلاسيكية. يبلغ القسم الذى تغطيه القبة الكبيرة المساحة الموجودة في جامع بايزيد باستانبول، ويظهر على شكل مكعب، ويحرم الجامع من اعطاء منظر هرمي، الا انه يمنحه سعة ذات تاثير كبير.

٧ ـ جامع السليمية ـ ادرنة :

لقد بني جامع السليمية في ادرنة بامر من السلطان سليم الثاني بين سنتي ١٥٦٩ ـ ١٥٧٥ بواسطة المهندس المعمارى الكبير سنان. يبلغ قطر قبته المركزية اكثر من ٣١م وهو بذلك اثر فريد في الهندسة المعمارية العثمانية. بني الجامع على ثمانية قوائم، وغطي بقبة كبيرة جدا، ويظهر البناء بذلك ككل واحد. العنصر الغالب في هذا الجامع هو القبة ، ويشعر الانسان من رؤيتها للوهلة الاولى انها تحيط ذات الانسان كاملة.

ترتفع من زوايا الجامع اربع مآذن دقيقة ، وتشرف على مدينة ادرنة. يجد المرء في هذا الجامع عندما يدقق فيه ان كل عنصر فيه قد بني بدقة بالغة وبحساب دقيق وذوق رفيع. وهكذا يعتبر جامع السليمية في ادرنة بهذه الخصائص جميعا اثرا عظيما في الهندسة المعمارية العالمية.

٨ ـ جامع السلطان احمد :

امر السلطان احمد خان الاول رئيس المهندسين صدفكار محمد آغا ببناء هذا الجامع، وبدأ به فعلا في خريف سنة ١٦٠٩، وأكمل بناؤه قبل وفاة السلطان احمد بأشهر عديدة سنة ١٦١٧.

يشكل الجامع البناء الرئيسى في الكلية، وهو انعكاس للتصميم الذى نفذه المهندس المعماري سنان في جامع شاه زاده الذى لم يكرره بعد ذلك، فطور هنا بابعاد اكبر.

جامع السليمانية بني بأمر السلطان سليمان القانوني وهو أثر ضخم في الهندسة المعمارية

ان الارض التي تغطيها القبة المركزية التي يبلغ قطرها ٢٤م تمثل كلا واحدا. غطيت جدران الجامع بالخزف الملون وزينت بالكتابات، وفتحت شبابيك كثيرة جدا في الحيطان والملحقات وانصاف القبب واطار القبة بحيث تتسرب منها اشعة براقة الى الداخل. تضفي الاضاءة التي تنعكس على الخزف الازرق والكتابات الى داخل الجامع جمالا في منتهى الروعة، ولذلك فقد عرف هذا الجامع بالجامع الازرق، **وهو الجامع التركي الوحيد الذى يتضمن ست مآذن.**

٩ ـ يني جامع (الجامع الجديد)

استانبول:

لقد بدئ ببناء هذا الجامع خلال سلطنة محمد الثالث بامر من السلطانة صافية في سنة ١٥٩٧. غير ان البناء توقف فترة من الزمن. اكمل بناء الجامع بهمة من السلطانة الوالدة خديجة تورهان سنة ١٦٦٣. شارك في هذا الجامع ثلاثة مهندسين معماريين، بدأ بالمهندس المعمارى داود آغا، واستمر به دالغج احمد جاوش، واكمله المهندس المعمارى مصطفي آغا.

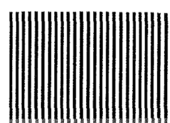
يعتبر هذا الجامع تكرارا لتصميم جامع السلطان احمد، اذ تستند القبة المركزية التي يبلغ قطرها ١٧,٥٠م على اربع قوائم صليبية الشكل. اضيفت اربعة انصاف قبب الى القبة المركزية، وغطيت الزوايا الاربع باربع قبب صغيرة. يعرف هذا الاثر بالقبب في الزوايا وانصاف القبب والابراج الثقيلة واخيرا بالقبة المركزية ارتفاعا هرميا بارزا. اما الاروقة الجانبية المزركشة فانها تلفت النظر بهذه الخاصية اكثر من مثيلاتها.

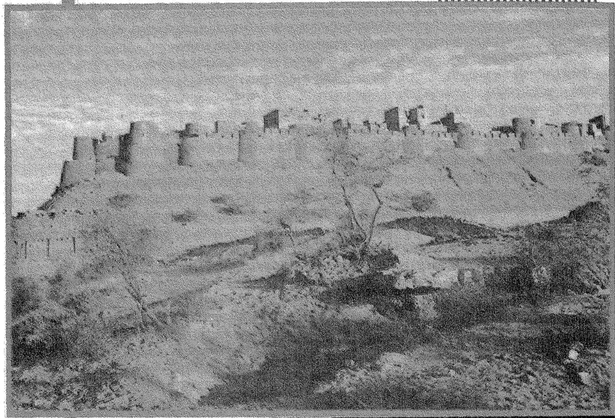
١٠ ـ جامع اورطة كوى :

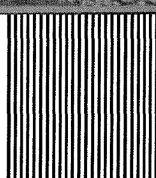
لقد أنشئ هذا الجامع سنة ١٨٥٤ في عهد السلطان عبد المجيد خان، وهو نتاج هندسة معمارية جديدة اظهر تأثيرا كبيرا مع بداية القرن الثامن عشر.

لقد غطي الجامع بقبة مركزية واحدة، ويحتوى على زخرفات كثيرة في الداخل والخارج. ان تنظيم الجهة الخارجية وابراج الزوايا ودعامات القبة السفلية بشكل خاص يشكل جميعا نموذج ذوق رفيع جديد اجنبي جزئيا.

شواهد معمارية

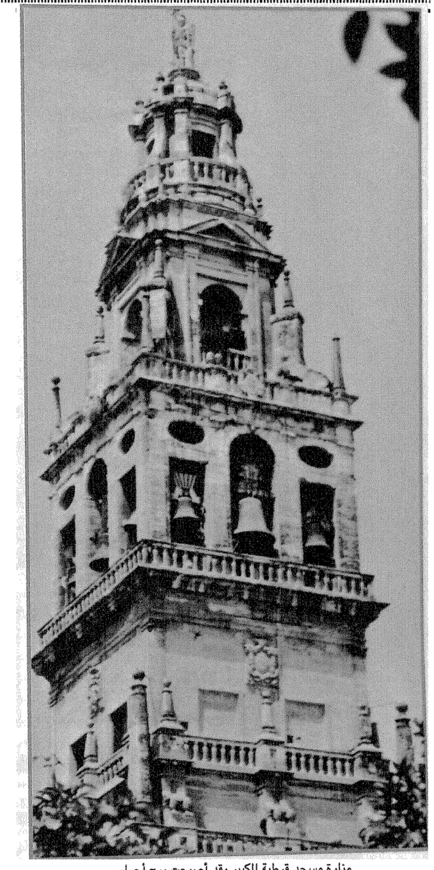






مدينة العمار.. في صحراء راجاسان بالهند - وكانت احدى المحطات الهامة على طريق القوافل ولكنها فقدت أهميتها نتيجة لنقص الماء

يعتبر المسجد الجامع بقرطبة أشهر المساجد الجامعة في العالم الاسلامي كبر مساحة، وإحكام صنعة، وتقانة بنية، وجمال هيئة. وكان لقدم إنشائه - على أيدي حنش بن عبد الله الصنعاني وأبى عبد الرحمن الحبّلى التابعيين اللذين توليا تأسيسه منذ أول الفتح الاسلامي لقرطبة وقوما محرابه - موضع إجلال أهل الأندلس والمغرب وتعظيمهم لبنيته، فأطلقوا عليه اسم الجامع الأعظم(١)، وسموه الجامع المبارك(٢)، والجامع المكرم(٣)، ولهذا السبب اتخذ عرفاء البناء فى المغرب والأندلس من عناصره المعمارية والزخرفية مثالا احتذوه فى منشآتهم الدينية: فجامع اشبيلية مثلا أخذ من جامع قرطبة مظهره الخارجى، كما ورث منه أيضا عظمة صحنه بعقوده السبعة فى أروقة مجنباته التى تحدد عظم اتساعه بدلا من أربعة عقود فى أروقة الصحن بجامعى الكتيبة بمراكش وتنمال بالمغرب(٤). كذلك قلد بناة جامع تلمسان بالمغرب الأوسط تخطيطه النهائى الذي انتهى إليه بعد زيادة المنصور محمد بن أبى عامر تقليدا تاما: فبيت الصلاة في جامع تلمسان من عهد المرابطين يشتمل على ١٣ بلاطا عمودية على جدار القبلة، يتميز البلاط الأوسط منها كما هو الحال فى قرطبة بأنه أكثر اتساعا من البلاطات الأخرى، كما يتميز نفس البلاط بوجود قبتين إحداهما أمام المحراب والثانية فوق منتصف البلاط الأوسط، على غرار ما نشاهده فى وضع القبة المخرّمة الكبرى بجامع قرطبة. كذلك يتمثل تقليد جامع قرطبة فى صف العقود القائمة على دعائم ضخمة تقطع



منارة مسجد قرطبة الكبير وقد أصبحت برج أجراس
- وهذا مما يؤسف له -

الإبتكارات المعمارية في المسجد الجامع بقرطبة وتأثيرها على العمارة الإسلامية في المغرب والأندلس

البلاطات الطولية عرضا، وتقسّم بيت الصلاة فى جامع تلمسان الى قسمين كل منهما يشتمل على ثلاثة أساكيب(٥)، وهذا الصف من الدعائم والعقود الحاجزة يشبه صفوف الدعائم والعقود التى تفصل بين بيت الصلاة القديم فى جامع قرطبة وزيادة الحكم المستنصر بالله(٦) فى نفس الجامع، كذلك أثر نظام توزيع القباب القائمة على البلاط الأوسط وأسكوب المحراب فى الزيادة الحكمية بجامع قرطبة على مساجد الموحدين الجامعة، ويتمثل هذا التأثير على نظام القباب في جامع القصبة الموحدية بإشبيلية(٧).

ومن الجدير بالذكر أن عرفاء البناء فى الأندلس فى عصر دويلات الطوائف قلدوا نظام التشبيكات البنائية التى ابتكرها بناة جامع قرطبة فى قواعد قبابهم، ومن أمثلة هذا التقليد قاعدة قبة المصلى بقصر الجعفرية بسرقسطة، والتشبيكات التى نشهدها فى القاعة الرئيسية بقصر بنى حمود فى قصبة مالقة. كذلك قلد عرفاء البناء فى المغرب فى عصر دولة الموحدين نظام الفتحتين المعقودتين اللتين تكتنفان جوفة المحراب فى المسجد الجامع بقرطبة فى مساجد تنمال والكتيبة والقصبة بمراكش، كما قلدت قبابه القائمة على العقود البارزة المتقاطعة فيما بينها بأشكالها المختلفة فى قباب من عصر دويلات الطوائف بل ومن عصر دولتى المرابطين والموحدين.



عقود الجامع المزدوجة ذات اللونين الأبيض والأحمر

بقلم الدكتور:
السيد عبدالعزيز سالم
أستاذ التاريخ الإسلامي
والحضارة بجامعة الاسكندرية

والحديث عن مظاهر هذا التقليد طويل ويبعدنا عن موضوع هذه الدراسة التى نقتصر فيها على تخصيص ثلاثة عناصر معمارية مبتكرة ظهرت فى جامع قرطبة وأثرت فى مساجد الأندلس والمغرب في العصور التالية، وتعرض بعضها للتطور نحو الزخرفة.

لقد نجح عرفاء البناء بجامع قرطبة فى التوصل الى صيغ معمارية أصيلة لم يسبقهم اليها احد فى تاريخ العمارة والإنشاء، وكانت موضع استلهام لصيغ معمارية مماثلة فى العصور التالية كنظام التشبيكات البنائية الذى سبق أن اشرنا اليه، واستخدام العقود التوأمية ثلاثية الفتحات التى ظهرت لأول مرة فى صومعة المسجد الجامع بقرطبة، وفى إحدى قاعات قصور مدينة الزهراء، ثم ظهرت فى القصر المبارك بقصر اشبيلية (داخل قاعة السفراء التى يرجع تاريخها الى عصر دويلات الطوائف) وفى قصر بنى حمود بقصبة مالقة، أو كنظام القباب ذات العقود البارزة المتقاطعة فيما بينها والتى قلدت فى كثير من القبوات والقباب الاسلامية فى الاندلس والمغرب على النحو الذى سنشير اليه، فى عصر دولتى المرابطين والموحدين.

فبالنسبة لتشبيكات العقود المفصصة التى ظهرت فى قواعد القباب بجامع قرطبة فإنها ترتبط

ارتباطا وثيقا بنظام طابقي العقود المعروف بنظام العقود المتراكبة الذي طبق على عقود الجامع داخل مسطح بيت الصلاة بأكمله فالعقود السفلى المتجاوزة لنصف الدائرة والمسماة «بعقود حدوة الفرس» Arcos de Herradura والتي تنبت من أطراف الحدائر الواقعة بين الأعمدة والدعائم هي في حقيقة الأمر عقود متحررة تسبح في الفضاء الواقع بين صفي الدعائم العليا القائمة على العمد، وتؤدي هذه العقود مهمة مزدوجة، إذ تجمع بين ربط العمد التي ترفع الأسقف الخشبية وتثبتها فيما بينها، وهي مهمة كانت تؤديها الأوتاد الخشبية في المساجد الجامعة الأولى في الاسلام، وبين إسباغ مظهر جمالي فريد من نوعه داخل مسطح بيت الصلاة الفسيح الذي يمتد امتدادا لا يحده البصر، وتوحي هذه الصفوف المتراصة من العمد بعقودها المنطلقة في الهواء بالطبيعة الحية، فتظهر للناظر كما لو كانت غابة من النخيل.

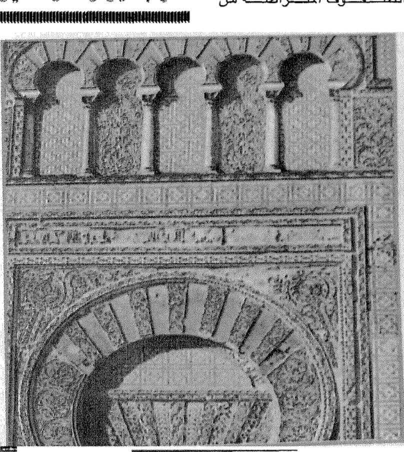
هذه العقود المتحررة في الفضاء يمكن أن تقوم بمفردها دون

جامع قرطبة كان مصدر إلهام حسي لعرفاء البناء في عصر دويلات الطوائف وعصر دولتي المرابطين والموحدين

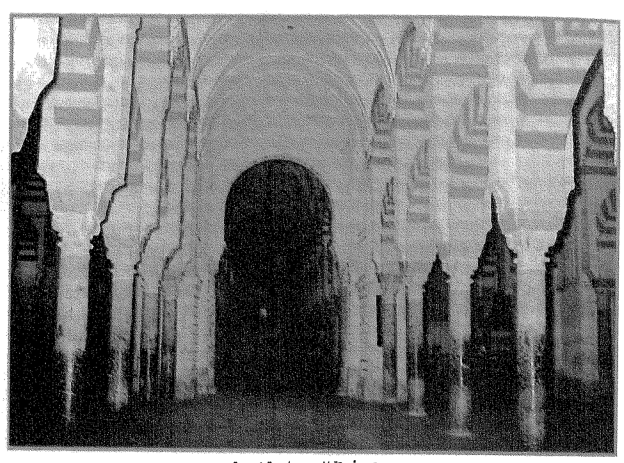
أن تندمج مع عقود أخرى كما هو الشأن في بيت الصلاة القديم بجامع قرطبة، السابق للزيادة الحكمية، أو اللاحق لها، كما يمكن أن تتقاطع مع عقود أخرى بحيث تؤلف تشبيكا من الحنايا والنحور الناتئة التي ترتكز عليها قواعد القباب الأربعة بالزيادة الحكمية في الجامع المذكور(٨).

ويعتقد عالم الآثار الاسباني مانويل جومث مورينو فكرة تشابك العقود وتداخلها فيما بينها، او قيام نحور ناتئة من أعلى رؤوس العقود المفصصة بمثابة ثورة معمارية أمكن تنفيذها في عمارة المسجد الجامع بقرطبة بوعي معجز وإدراك متقن بحيث ترتب عليه تشبيك يجمع بين الوثاقة والجمال(٩)، تتخلله فراغات مفصصة أقرب الى شكل المعيّنات، مهدت لظهور فكرة الشبكات الزخرفية التي طغت على فن البناء منذ القرن السادس للهجرة لاسيما على أوجه الصوامع الموحدية(١٠)، وعلى المسطحات المراد تزيينها في قصور بني الأحمر بغرناطة، ومساجد المغرب ومدارسه في عصر بني مرين وما تلاه من عصور بل وعلى واجهات بعض الكنائس المسيحية في إسبانيا(١١).

وفيما يتعلق بالقباب القرطبية القائمة على هياكل من الحنايا البارزة المتقاطعة فيما بينها على نحو يتشكل منه في الوسط مثمن تشغله عادة قبيبة مفصصة، فقد قلدت تقليدا يكاد يكون متماثلا في بعض قبوات مسجد باب مردوم وقبوة مسجد طليطلة(١٢)، وقبة مصلى قصر الجعفرية بسرقسطة(١٣)، وانتشر نظام التقبيب القرطبي في الكنائس المسيحية ذات الأسلوب الرومانسكي مثل قبوة كنيسة المزان بقشتالة وتشبه قبة مدخل الزيادة الحكمية



فن النقش العربي الإسلامي



تبدو أروقة المسجد واسعة فسيحة

بجامع قرطبة، وفى كنيسة سانت كروا بأولورون، ومستشفى سان بليز المعروفة بمستشفى الرحمة فى منطقة جبال البرانس(١٤)، وقبة مصلى طلبيرة بالكاتدرائية العتيقة بشلمنقة، وقبوة دير لاس إويلجاس بمدينة برغش(١٥)، كما تتمثل فى كثير من الآثار الاسلامية فى المغرب والأندلس ، مثل قبوة بهو البنود بقصر الموحدين بإشبيلية، وقبة المحراب بالمسجد الجامع بتلمسان، وقبة المحراب بجامع رباط تازى بالمغرب، وإن كانت قد تطورت فى هذه الآثار الإسلامية تطورا زخرفيا خالصا أفقدها مقوماتها البنائية التى ظهرت عليها فى جامع قرطبة.

وفيما يتعلق بظاهرة العقود المتجاوزة لنصف الدائرة التوأمية ثلاثية الفتحات، التى تتمثل فى وجهين من أوجه صومعة جامع قرطبة من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، فقد تكرر ظهورها كوحدة معمارية قائمة بذاتها فى المجلس الفني بمدينة الزهراء من عصر نفس الخليفة، ثم تكرر ظهورها مرة ثالثة فى عصر دويلات الطوائف بالأندلس فى العقود المتجاوزة ثلاثية الفتحات بقاعة السفراء من قاعات قصر إشبيلية، وفى العقود ثلاثية الفتحات بالقاعة الرئيسية فى قصر بنى حمود بقصبة مالقة(١٦).

وهكذا كان جامع قرطبة مصدر إلهام فنى لعرفاء البناء فى الأندلس فى عصر دويلات الطوائف وعصر دولتى المرابطين والموحدين، بل إن هذا المصدر الإلهامى لم يقتصر

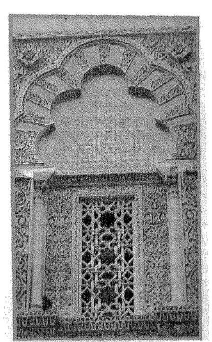
نجح عرفاء البناء بجامع قرطبة في التوصل إلى صيغ معمارية أصيلة لم يسبقهم إليها أحد في تاريخ العمارة وكانت موضع استلهام لصيغ معمارية مماثلة في العصور التالية

على جامع قرطبة، وإنما تجاوزه الى أسماء قصور قرطبة ، ففى سرقسطة نشهد قصر المذهب وقصر الجعفرية، وفى طليطلة قصر الناعورة، وفى بطليوس قصر البديع، وفى اشبيلية القصر المبارك، والقصر الزاهر، وكلها اسماء قصور تماثل نظائرها فى قصر الخلافة بقرطبة حاضرة الخلافة الأموية فى الأندلس.

الهوامش

(١) عبد الواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمي، القاهرة ١٩٤٩ ص٣٧٢ ـ ابن الخطيب ، كتاب أعمال الأعلام، تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال، بيروت ١٩٥٦ ص٤٣، ٤٨ ـ المقرى، نفح الطيب من غصن اندلس الرطيب، تحقيق الأستاذ محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩ ج٢ ص١٠ ، ٩٩.

(٢) ابن حيان، نصوص نشرها ليفى بروفنسال من المقتبس فى مجلة أرابيكا ، مجلد ١ قسم ١ ، ليدن، ١٩٥٤ ص٨٩، وورد نفس النص فى القسم الذى نشره الدكتور عبد الرحمن الحجى، بيروت ١٩٦٥ ص٢٤٣.



النقوش الإسلامية تزين بوابات المسجد ونوافذه

(٣) ابن غالب ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق د. لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦، ص٣٠.

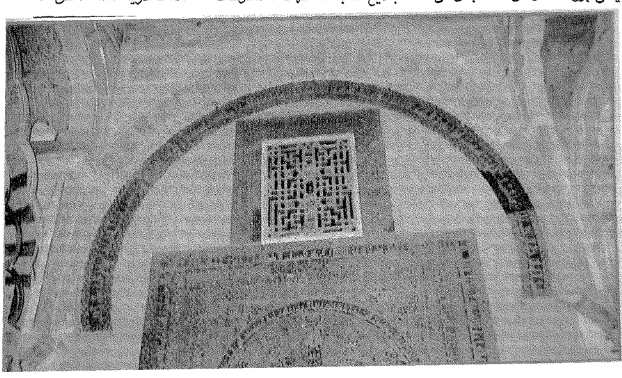
(٤) السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور فى الأندلس، القاهرة ١٩٥٨ ص٦٣.

(٥) Marcais (G), L,Architecture Musulmane D, OccIdent, Paris, 1454, P. 195.

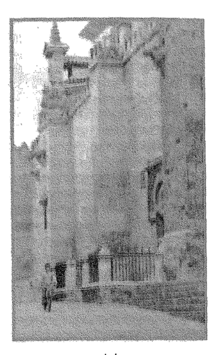
(٦) Elie Lambert, Les Mosquees De Type andalou en Espagne et en Afrique du Nord, al-Andalus, vol. X1v, 1949, p. 285.

(٧) السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج٢: المغرب الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٦، ص٨٥٦.

(٨) عبد العزيز سالم، مظاهر الأصالة فى بنيان المسجد الجامع بقرطبة، من بحوث ندوة الحضارة الاسلامية فى ذكرى المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد فكرى، الاسكندرية ١٩٨٣، ص٤١.



تزين الآيات القرآنية وأسماء الله الحسنى محراب الجامع

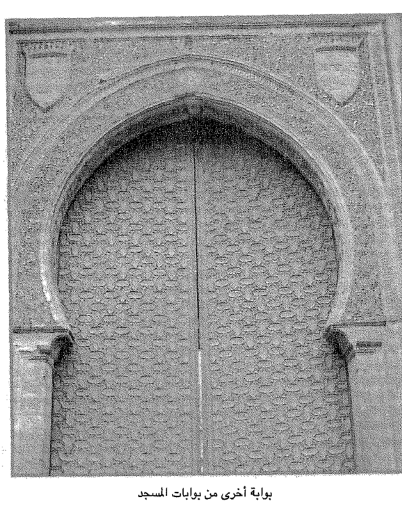


صورة لجانب من
جامع قرطبة

(٩) جودت مورينو، الفن الاسلامي في اسبانيا، ترجمة د. لطفي عبد البديع ود. السيد عبد العزيز سالم، القاهرة ١٩٥٩، ص١٢٠، ١٢٩.

والمعروف أن عرفاء البناء في الأندلس في عصر دويلات الطوائف قلدوا هذا النوع من التشبيك الذي ظهر لأول مرة بجامع قرطبة في قواعد قباب الزيادة الحكمية تقليدا يكاد يكون كاملا، ويتمثل هذا التقليد في تشبيك قاعدة قبة مصلى قصر الجعفرية بسرقسط، وتشبيك الجوسق الغربي بقصر بني حمود بقصبة مالقة، وتشبيك قاعدة قبة قاعة السفراء بالقصر المبارك بأشبيلية.

(١٠) حيث تغمر القطاعين الرأسيين بكل وجه من أوجه صومعة جامع القصبة بإشبيلية، وكذلك نشهد أمثلة من هذه الشبكات الزخرفية في صومعة جامع الكتبية بمراكش وجامع حسان بالرباط وجامع القصبة بمراكش، وفي واجهة قصر الجص بقصر إشبيلية. وقد طغى هذا النوع من العناصر الزخرفية في واجهات



بوابة أخرى من بوابات المسجد

البراطل بقصور الحمراء بغرناطة.

(١١) مثل برج كنيسة أومنيام سانكتورام Omnium Sanctorum وواجهة بهو الدميات Patio de las Munecas وبهو الفتيات Patio de las Doncellas وقاعة السفراء بقصر إشبيلية، وبداخل كنيسة الترانستو اليهودي بطليطلة، وبرجي كنيسة سان بابلو وكنيسة أتيكا وصدر كنيسة السيد بمدينة سرقسطة.

(١٢) Elie Lambert, I, Hopital Saint Blaise et son eglise hispano Mauresque, al. Andalus, PP. 179 - 187.1940.

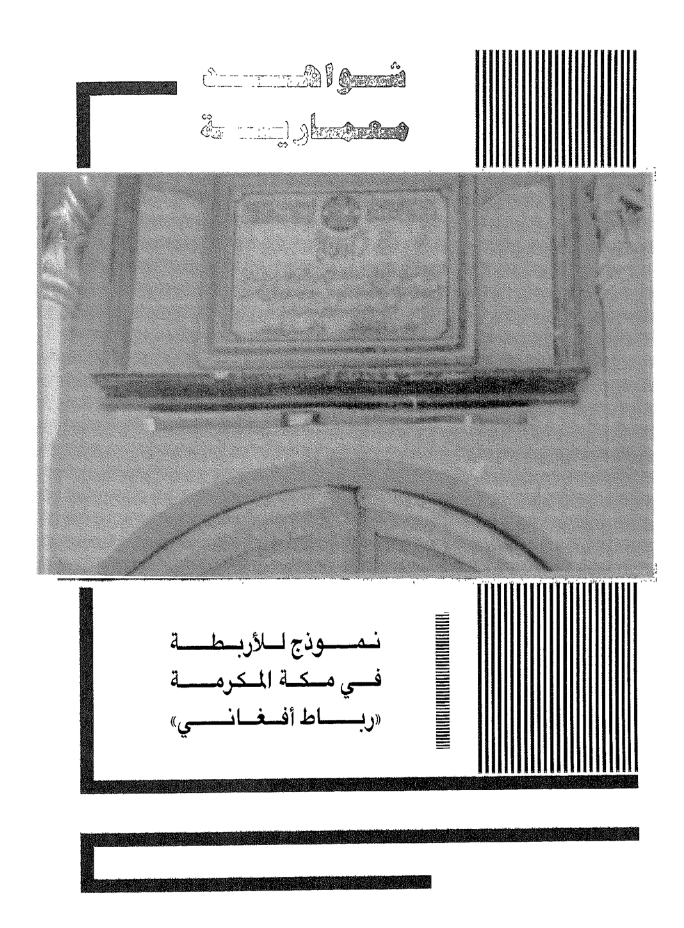
(١٣) Galiay, el Castillo de la Algaferia, 1906, P. 20.

(١٤) السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة بالاندلس، ج٢ ص٤٥.

(١٥) Jose Camon Aznar, la Boveda gotica morisca de la Capilla de Talavera en la Catedral Vieja de Salamanca, al-Andalus, vol,v, 1g 40, P. 176.

(١٦) السيد عبد العزيز سالم، تحقيق اسماء قصور بني عباد باشبيلية الواردة في شعر ابن زيدون، مجلة أوراق، عدد ٢، مدريد ١٩٧٩، ص٤٤.

شواهد معمارية



نموذج للأربطة في مكة المكرمة «رباط أفغاني»

العمارة..
نماذج تطبيقية

يحدد الحرم الشريف كمركز مكة المكرمة عند تقاطع درجة عرض ٢١ ٢٥ ١٩ شمالا، وخط طول ٣٩ ٤٩ ٣٦ شرقا، وهي عاصمة الامارة التي تعرف باسمها في غرب المملكة العربية السعودية.

وترتفع مكة عن سطح البحر عند المسجد الحرام بحوالي ٣٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، وقد كان لهذا الموقع أهمية تجارية كبرى بين مناطق الاستقرار المحيطة فارس والروم شرقا واليمن وما وراءها من أرض الحبشة جنوبا، وكانت المنطقة حلقة اتصال بين الحضارات الشمالية والجنوبية ولم تكن في عزلة جغرافية كالتي عاشت فيها كثير من مناطق الاستقرار الكبرى في آسيا الموسمية.

أما موضع المدينة المقدسة فقد خطته العناية الالهية إذ تحدد موضعها استجابة لدعاء أب وغوثا للهفة أم ..فكانت زمزم المكان الذي هرعت إليه القبائل لتعيش بجواره. ذلك الموضع المتمثل في بطن وادي إبراهيم الذي تحف به الجبال الجرداء من معظم جهاته. ومنذ ذلك التاريخ لم ينقطع اعمار المدينة المقدسة، وزادت شهرة المكان برفع قواعد البيت الحرام للتوحيد في عهد سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام. وأصبحت مكة تستقطب أفواج الحجيج إليها منذ ذلك التاريخ واستوطنتها القبائل المختلفة واتسعت شهرتها لدرجة أنها سميت بأم القرى.


صورة تبين العوامل الطبيعية المكونة لتضاريس مكة المكرمة

أثر العوامل الطبيعية في النمو

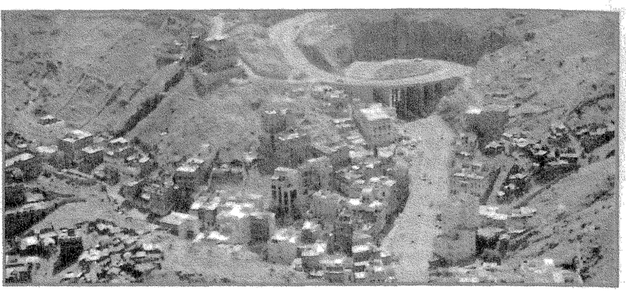
العوامل الطبيعية

١ ـ التضاريس:

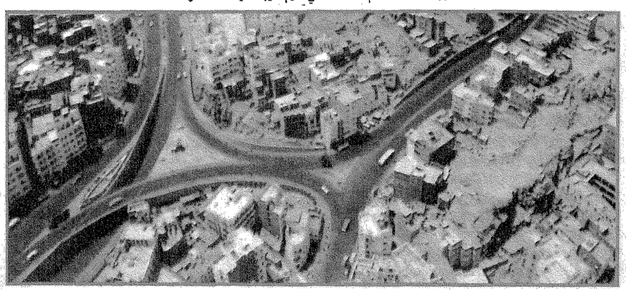
تقع مدينة مكة المكرمة في بطون الأودية وعلى سفوح الشعاب المحيطة بها. والسفوح الجبلية التي تنتشر بينها هذه الشعاب شديدة الانحدار ولها تأثير كبير على الامتداد العمراني للمدينة. إن تطور مدينة مكة عبر القرون كان دائما مرتبطا ارتباطا وظيفيا بانحدار السفوح واتجاه الأودية وموضع السهول منها.

ونظرا لضيق هذه السهول فقد قام العمران وانتشر على السفوح المطلة على الحرم الشريف. وذلك حرصا على البقاء بجوار الحرم ما أمكن ثم نظرا لعدم وجود وسائل المواصلات التي تسهم في انتشار العمران في المناطق البعيدة غير أنه منذ الأربعينيات من هذا القرن بدأ استخدام المواصلات الحديثة الأمر الذي أسهم في زيادة الانتشار العمراني وتوسعة الرقعة الأرضية التي تمتد عليها العاصمة المقدسة.

وعلى الرغم من تأثير العوامل الطبيعية في تحديد الامتداد العمراني فإن الظروف الاقتصادية



الجبال تشغل معظم المساحة التي تقوم عليها مدينة مكة المكرمة



شبكات الطرق والمواصلات تحدد طبيعة التكوين الجيولوجي للمدينة

العمراني لمكة المكرمة

اعداد:

معراج نواب مرزا

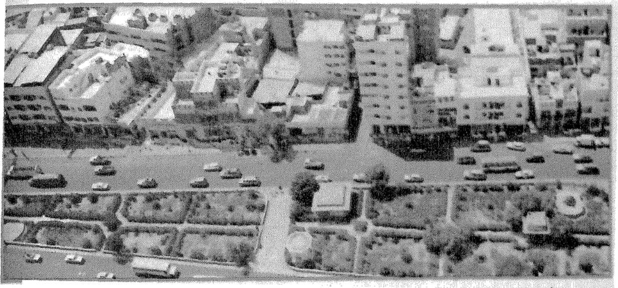
قسم الجغرافيا - كلية التربية

مكة المكرمة - جامعة أم القرى

والاجتماعية كان لها الدور الأكبر في نمو المدينة على السفوح. وعلى هذا لم تكن العوامل الطبيعية هي التي فرضت الطابع الحضاري للمدينة وإنما كان تأثيرها يتناوب في أهميته مع العوامل الاقتصادية والاجتماعية، وعلى هذا لا نستطيع الجزم بأن هناك تأثيرات طبيعية منفردة وإنما هناك تأثيرات مشتركة للعوامل الطبيعية والظواهر الاقتصادية والاجتماعية مجتمعة في نسق واحد.

ولهذا يمكن القول بأن هناك تأثيرا ملموسا للعوامل الطبيعية على تكوين ومظهر المدينة المقدسة. فإذا ما أخذنا المناطق المعمورة بعين الاعتبار نجد أن التضاريس قد حددت شكل المدينة بوضعية خاصة تماثل الامتداد الطبيعي لمجموعة من الأودية مركزها الحرم الشريف. غير أن هذا التأثير العائق للنمو العمراني لم يكن عقبة كأداء أمام امتداد المدينة على السفوح. فقد قامت مشاريع الاسكان الخاصة والحكومية بتغيير الكثير من الظواهر التضاريسية وتسهيلها وجعلها صالحة للسكن. غير أن هذا لم يؤثر بطبيعة الحال على موضع المدينة الذي فرضته العوامل





الأحياء الجديدة لمكة المكرمة، في منطقة السهول بعيداً عن الجبال.. ويظهر الفارق الكبير بين النمطين القديم والحديث

الطبيعية .. فتسهيل السفوح والانتشار العمراني عليها لم يفقد العوامل الطبيعية سلطانها في تحديد مورفولوجية المدينة. إذ أن الناظر لا يحتاج الى الكثير من العناء لادراك تأثير العوامل الطبيعية في تحديد مظهر المدينة وشكلها الذى يتطابق مع شكل الأودية والسفوح القائمة عليها. فشكل مدينة مكة المكرمة ومظهرها ان هو إلا امتدادات أودية إبراهيم، طوى ، فخ، وأعالى وادي محسر (العزيزية ومنى).

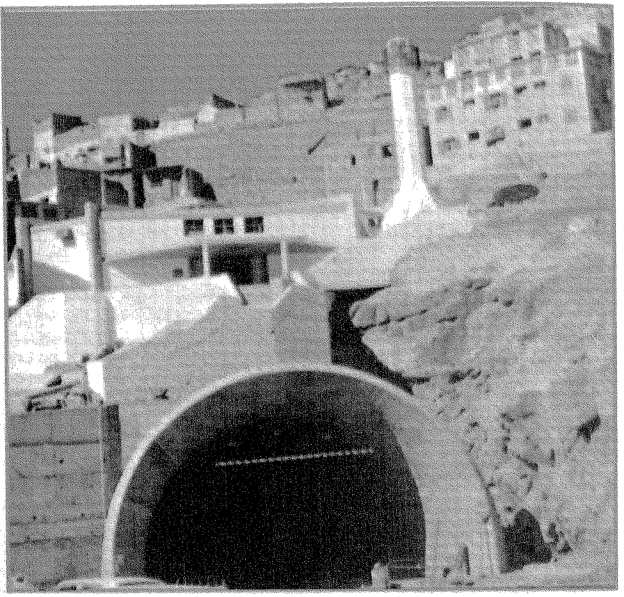
إن المواصلات القائمة في المدينة المقدسة فرضتها شبكة التصريف المائى السابقة الذكر، فشوارع مكة المكرمة الرئيسية منها والفرعية ان هي إلا بطون الأودية والشعاب التي قامت عليها المدينة. ولا يشذ عن هذه القاعدة إلا بعض الطرق القصيرة التى ربطت أحواض تصريف هذه الأودية بعضها ببعض عن طريق فتح العقبات وبناء الجسور أو عن طريق الأنفاق.

ولم تكن هذه إلا في العقدين الماضيين مما يبرز التأثير الكبير للعوامل الطبيعية في الهيمنة على طرق مواصلات المدينة المقدسة. **مما يمكن معه القول بأن هناك ارتباطا طرديا بين وجود الأودية والشعاب ووجود طرق المواصلات.**

أما في المناطق الجبلية وعلى السفوح فقد فرضت وعورة المنطقة واكتظاظها العمراني نمطا خاصا من طرق المواصلات يمتاز بضيق المسالك والدروب من ناحية كما يمتاز باستعمال درج الصعود الحجرية من ناحية أخرى.

٢ ـ الحرارة :

وبالاضافة إلى تأثير العوامل الطبيعية المتعلقة بالتضاريس فإن



الطوق الجبلي الذي يحيط بمكة المكرمة اضطر المخططين للطرق لشق الأنفاق في قلب الجبال

المناخ يلعب دورا كبيرا في المظهر العمراني للمدينة المقدسة.. فعلى سبيل المثال ان معظم ذوى الدخل العالي يفضلون العيش والاستقرار في أحياء معينة مثل العزيزية - النزهة - والزهراء - والرصيفة ولعل من أسباب اختيار هذه المناطق هو التصور الذي كان سائدا في الماضي من أن هذه المناطق مفتوحة والتيارات الهوائية المتحركة بين ثناياها تساعد على تلطيف درجة الحرارة نسبيا فيها .. ولذا فقد كانت مناطق المتنزهات التي يهرب اليها الناس من حر القيظ. وعندما بدأ الامتداد العمراني للمدينة بالاتساع كان هذا التصور دافعا الى إقبال هؤلاء الناس من ذوى الدخل العالى على الاستيطان في هذه المناطق.. ولهذا لابد لنا من تلمس ظاهرة مناخية في تفضيل السكان لهذه المناطق والأحياء .. ألا وهي الانخفاض النسبي لدرجة الحرارة بالمقارنة مع مناطق مكة المكرمة

والأهم من هذا هو توسعة الحرم المكي الشريف التي بدأت عام ١٣٧٥هـ والتي شملت المناطق المحيطة بالحرم، التي كانت في الأساس منطقة سكن ذوى الدخل العالى من سكان مكة. فالمدن القديمة بطبيعة الحال يسكن قلبها في العادة هذه الفئة من الناس. وإذا أخذنا مكة بعين الاعتبار ووجود الحرم في وسطها أدركنا أن هؤلاء الناس ميالون للسكن بجوار الحرم أولا ثم بجوار المراكز التجارية التي يعملون بها، وكذلك مؤسسات الطوافة وغيرها التي تستلزم أن تكون بجوار الحرم الشريف. ولما كانت التعويضات التي حصل عليها هؤلاء تعويضات مجزية في ذلك الوقت بالاضافة إلى

أن حالتهم المادية كانت جيدة ولم يفكر هؤلاء بالسكن في المناطق المجاورة لمنطقتهم كالمسفلة وجرول والعتيبية بل فضلوا المناطق البعيدة نسبيا لحالتها المناخية السابقة بالاضافة إلى أن أمانة العاصمة المقدسة قد راعت تخطيط هذه المناطق مسبقا قبل القيام بأعمال الهدميات.

ومما ساعد على الاستقرار المبكر في هذه المناطق وخاصة مناطق الششة والعزيزية والزاهر وجود المياه الجوفية العذبة وسهولة استنباطها من باطن الأرض.

إن العلاقة المباشرة بين المناخ والمظهر العمراني في مدينة مكة المكرمة تظهر بوضوح في تخطيط المدينة القديم.

فالشوارع الضيقة التي كان يتراوح عرضها بين ٣ : ٦ أمتار والتي تحيط بها البنايات العالية التي تزيد عن ثلاثة أدوار بارتفاع يتراوح بين ١٥ ، ٢٥ مترا كانت تلقى بظلالها المستديمة على هذه الشوارع الأمر الذي يجعلها لا تتلقى اشعة الشمس المباشرة مما يسهل حركة المشاة ويبعدهم عن تأثيرات الحرارة الشديدة في المدينة المقدسة.

كما أن التخطيط الداخلي للمباني السكنية يظهر بوضوح العلاقة المباشرة بين المناخ والتخطيط العمراني ، فالجدران الحجرية والمادة اللاحمة من النورة البلدى والدمار التي كانت تبنى بها مساكن مكة كانت عريضة وذات سماكة كبيرة تمنع وصول الحرارة إلى داخل المنازل، وتشكل طبقة عازلة تحفظ الحرارة والرطوبة من التسرب . كما أن الرواشين والنوافذ الخشبية قد صممت بطريقة روعي فيها العامل المناخي بحيث تكون في وضعية تسمح بتكوين تيارات هوائية داخل المنزل كما تسمح بظروف تهوية مناسبة في ضوء غياب وسائل التبريد الحديثة.

التساقط :

إن التأثيرات المناخية تظهر بصورة جلية وقت سقوط الأمطار في مدينة مكة المكرمة فعلى الرغم من أن مكة المكرمة قليلة المطر إلا أنها لا تعدم سنويا بعض الأمطار الاعصارية التي قد تستمر لفترة تتراوح بين ساعة إلى ثلاث ساعات .. ولما كانت هذه الامطار شديدة الغزارة فإنها تجرف معها المواد المنحوتة من الجبال المحيطة بها وتلقى بها في شوارع مكة التي هي

شدة إنحدار السفوح كانت عائقاً في الامتداد العمراني في مكة المكرمة إلا في منطقة الحرم

بطبيعة الحال بطون الأودية التي تنصرف إليها مياه المطر.

والنتيجة هنا مزدوجة هي تكون السيول الجارفة التي سببت الكثير من الأضرار في السابق والتي لا زال لها بعض الآثار السيئة في حالة حدوثها ..

والأمر الثاني هو تغطية شوارع المدينة بالأنقاض والرواسب المحمولة بواسطة المياه (السيول) والتي نجمت عن عوامل التحلل الميكانيكى التي تعرضت لها جبال مكة وشعابها.

وقد لعبت الظروف الاقتصادية والتأثيرات الدينية دورا بارزا في تحدى الأخطار والأضرار الناجمة عن السيول في المناطق المحيطة بالحرم الشريف.

فعلى الرغم من أن منطقة الحرم تتعرض لسيول جارفة إلا أن الناس لم يبتعدوا عنها نظرا لمجاورة الحرم من جهة وللفوائد المادية من جهة أخرى في حين نجد أن المناطق البعيدة عن الحرم كالزاهر وأسفل مكة مثلا لم تكن لتستوطن مخافة هذه السيول التي كان تصور الناس لخطورتها يبدو أكثر من الحوافز المادية والروحية التي شجعت على بقاء الناس بجوار الحرم.

الخلاصة :

إن العرض التحليلي السابق للعوامل الطبيعية الثلاث وهي : التضاريس والحرارة والسيول أثبتت لنا ما كنا قد افترضناه في بداية هذا البحث.

١ - إن شدة انحدار السفوح كانت عائقا في الامتداد العمراني للمدينة إلا في منطقة الحرم.

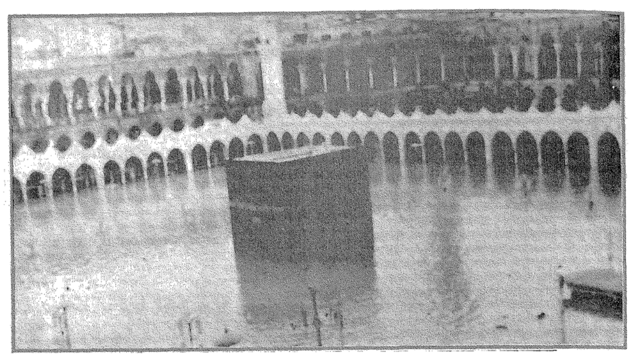
٢ - ان امتداد العمران فرضته شبكة الأودية في المدينة.

٣ - ان امتداد السلاسل الجبلية في المدينة فرض تطورها على شكل خلايا منعزلة قائمة بين شعاب هذه الجبال وسفوحها غير أن هذه العزلة قد زالت بافتتاح الأنفاق الموصلة بين هذه الخلايا.

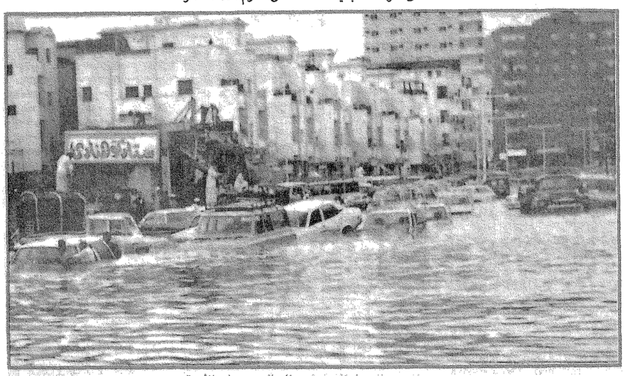
٤ - ان تصور الناس في مكة عن وجود انخفاض نسبي في درجة حرارة بعض المناطق المحيطة بمكة نتيجة تيارات هوائية ناجمة عن انفتاح هذه المناطق ساعد على الامتداد العمراني في هذه المناطق قبل غيرها.

٥ - لقد كانت السيول عائقا أخّر الامتداد العمراني في المناطق البعيدة عن الحرم أما في المناطق المحيطة بالحرم الشريف فقد انعدم تأثير هذا العامل.

إن مدينة مكة المكرمة تتمتع



الحرم المكي تحيط به الجبال من كل جوانبه لذا فهو عرضة للسيول المنحدرة من الجبال..
الا أن التوسعة الجديدة قد دفعت عن الحرم هذه المخاطر

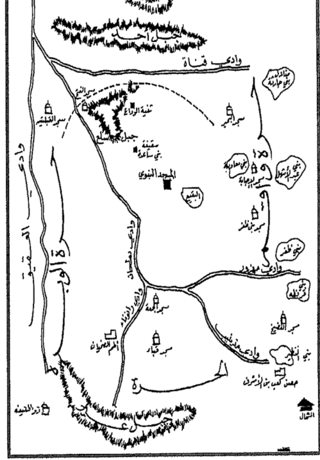


جانب من السيول المنحدرة من الجبال وقد غطت الأودية

بموقع فريد من بين مدن العالم أجمع. ذلك الموقع الذى تؤثر فيه النواحي الطبيعية والتاريخية والحضارية. وهذا البحث ركز على أثر بعض العوامل الطبيعية في نمو المدينة وامتدادها وتطورها. وما تفرضه هذه العوامل من آثار أغلبها سلبي وبعضها ايجابي على الواقع الحالي للمدينة والتخطيط المستقبلي لامتدادها ونموها العمراني، ونستطيع القول بأن هذه العوامل الطبيعية قد وقفت حاجزا مانعا في السابق دون تطوير المدينة. غير أن التكنولوجيا الحديثة استطاعت التغلب على عقبات الموضع وفرضت نمطا معينا من الامتداد العمراني يتناسب وطبيعة الموقع الجغرافي لمدينة مكة المكرمة. وستبقي هذه العوامل الطبيعية ذات أثر فعال يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في أي تخطيط مستقبلي للمدينة المقدسة.

إن ما اشتملت عليه هذه المقالة في أغلبه حقائق تاريخية استقيت من كتب التاريخ ، إضافة الى بعض الآراء والاجتهادات التي قدمها الكاتب آملا أن تكون في محلها، وأن يقدم هذا المقال شيئاً من المعرفة عن تراث المدينة المنورة العمراني، ونمطها المعماري الإسلامي. وكان جل الاعتماد في هذه المقالة على ثلاث دراسات عن الأحواش ، وميدان المناخة ، والنمط العمراني التقليدي للمدينة المنورة التي نشرت وستنشر في مجلات علمية. فما هذه السطور إلا مقتطفات من تلك الدراسات التي ربما لا يتيسر الحصول عليها بسبب محدودية التوزيع للنشر الجامعي. تتباين الآراء حول تحديد مفهوم العمارة الإسلامية ، فلكل وجهة نظر تتحدد بقدر فهمه لهذا الموضوع وتعمقه فيه. ومن المؤكد أن الموضوع يتطلب نقاشاً مستفيضاً وحواراً شاملاً قد لا تتسع له هذه المقالة . وتستعرض هذه العجالة آراء بعض المختصين في هذا المجال لاستجلاء الأمر وإيضاح الصورة.

العمارة الإسلامية في المدينة المنورة

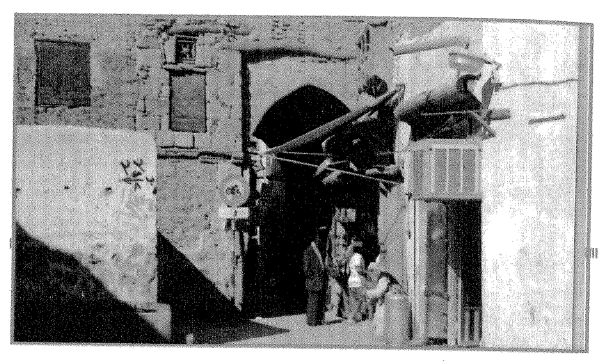


المدينة المنورة في بداية تأسيسها بعد الهجرة المباركة

بقلم الدكتور:
محمد بن عبدالرحمن الحصين
أستاذ مشارك كلية العمارة والتخطيط - جامعة الملك سعود

كثيرا ما تثار الأسئلة عن كنه العمارة الإسلامية والتراث العمراني الإسلامي ومن ذلك التساؤل ، هل العمارة الإسلامية ترجمة لمجموع الزخارف ، والأقواس ، والقباب التي تبرز ظاهرة للعيان في واجهات المباني؟ ام انعكاس لمواد البناء ؛ أو المفردات المعمارية مثل الرواشين ، وملاقف الهواء والأفنية؟.

يقول حسن فتحي بهذا الصدد «يتكون التراث المعماري والعمراني من الأعمال الفردية والجماعية التي يورثها السلف للخلف في صورة بيئية عمرانية تشمل المكونات الجزئية بدءاً من الزخارف وأعمال الحرفيين ، وانتهاء بالمباني والميادين والشوارع ، وما جرى العرف على تسميته بالنسيج العمراني» (١).



حارة الأغوات في المدينة المنورة توضح الصورة تقارب المباني وضيق الأزقة والطرقات

ويؤكد سعيد ذو الفقار، عندما كتب عن ازمة التراث العمراني الإسلامي في العالم العربي ، أن المراكز التاريخية في المدن العربية غنية بعناصر التراث المعماري والعمراني العريق الذي يظهر الوجه الأصيل للحياة العربية والمجتمع الإسلامي، ويعكس مراحل تطوره عبر العصور (٢)۰ كما أن هناك مقومات معنوية، ومكونات مادية للمدينة العربية الإسلامية تطورت بتطور الفكر، وترابط بعضها مع بعض لتكون المقوماتُ المعنويةُ مرآةً للمكونات المادية (٣)۰

يشير جميل أكبر الى أن عبارة (العمارة الإسلامية) أصبحت ذات مفهوم متغير حسب ادراك واهتمام المستخدم لها، لكنها تعني للمهنيين دراسة الأنماط والأفكار البنائية التقليدية (٤)۰ ويؤكد صالح الهذلول أن التقاليد شكلت منطلقاً لنشوء وتطور المدينة العربية الإسلامية التي شهدت تنوعاً في الأشكال والتكوينات العمرانية۰ ولقد استنتجت الدراسات في تلك الأشكال العمرانية مجرد سمات شكلية مع الاعتقاد بأنها غير قابلة للتغيير والتطور، ويتطلب الاحتفاظ بالصلة بالماضي استخدام تلك الأشكال في هيئتها الأصلية (٥) ۰

العمارة الإسلامية تتكون من وسط عمراني يعيش فيه مجتمع يمارس تعاليم الإسلام

تكمن الحقيقة في أن العمارة الإسلامية مهما تعددت اشكالها، واختلفت سماتها، هي نتاج للتشريع السماوي الذي اتبعته ومارسته المجتمعات الإسلامية خلال الأربعة عشر قرناً الماضية، حيث تبلورت حصيلة مفيدة من الأنظمة والأعراف التي كان لها أثر كبير في تشكيل الأنماط العمرانية الإسلامية۰ ويفيد الهذلول أن التشريع الإسلامي أسهم في الوصول إلى المستوى الفكري للمجتمع، والمستوى التطبيقي للأنظمة والتشريعات، ومن ثم التعامل مع الأشكال والتكوينات العمرانية في إطارها الثقافي والاجتماعي (٦)۰ وبدون جهود العلماء المسلمين الأفاضل من أئمة وفقهاء ما كان للأسس التي بنيت عليها تشريعات الإحياء والإقطاع والإرتفاق والإجارة ، والهبة والشفعة والوقف ، أن تظهر ولا ان تنفذ في غياب القاضي والمحتسب اللذين كان لهما دور مهم وفاعل في إدارة المدينة الإسلامية۰

يتضح مما تقدم أن العمارة الإسلامية تتكون من وسط عمراني يعيش فيه مجتمع يمارس تعاليم الإسلام في شؤون حياته كلها، على أن يهيىء هذا الوسط جميع ما

يحتاجه المجتمع من خدمات ثقافية واجتماعية تسهم في تربية الأفراد وتوجيـهـهم الوجـهـة الإسـلامـيـة السليـمـة. لذلك تشكل التـركـيـب العمراني للأحياء والمدن الإسلامية حسب احتياجات المجتمع ، وأسـهم في تمسكهم بتـعـاليم الإسـلام ، ويسر لهم ممارسته.

تشكيل البنية العمرانية للمدينة المنورة:

تعـد المدينة المنورة أول مـدينة إسـلامـيـة وأول تجربة عـمـرانيـة احـتـضنت المسلمين وتكون بين ارجائها نموذج حي للمـجـتـمع الإسلامي. ولكي نتعـرف على هذه التـجـربة لابد من عـرض تاريخي مـوجـز لوضـع المدينة المنورة العمـراني قبل الإسلام وفي بداية تأسيس الدولة الإسلامية بعد هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

تشيـر كتب التـاريخ إلى أن أول من سكن يثـرب بعـد الطوفـان التبابعة والعماليق الذين نزلوا في موضع يسمى سوق قينقاع ، وبعد انهيار سد مأرب ، في القرن الثاني ق.م. ، نزحت قبائل من اليمن من

حســن فتحــي:

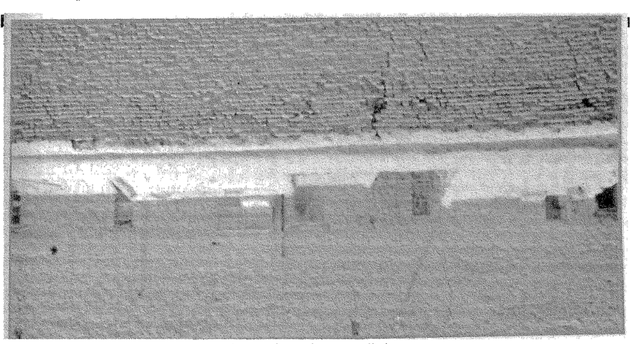
التراث المعماري.. أعمال فردية وجماعية يورثها السلف للخلف في صورة عمرانية

بشيــر جميــل:

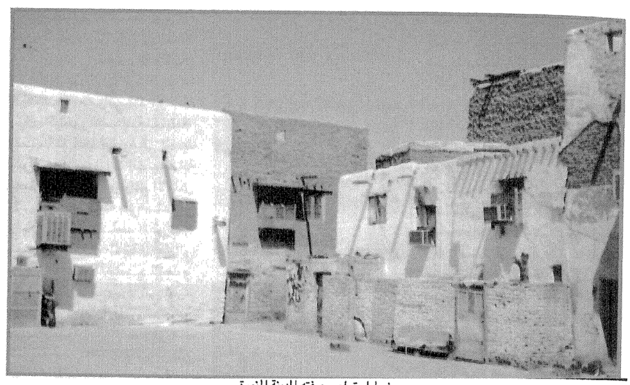
العمارة الإسلامية مفهوم متغير حسب إدراك واهتمام المستخدم له

بينهم بنو أنيف، وبنو مـعـاوية بن الحارث ، وبنو الجذماء ثم نزل على هؤلاء الأوس والخزرج وبنو قريظة ، وبنو قـينقـاع، وبنو النضـيـر، وقـوم آخرون. وبعد استقرار هذه القبائل نشبت مناوشات بين اليهود من جهة والأوس والخزرج من جـهـة انتـصـر فـيـهـا الأوس والخـزرج.

كونت القبائل التي استوطنت يثرب أحياء منفصلة استقرت حول ينابيع مياه متفرقة في أنحاء المنطقة، وقد ساعد على ذلك اختلاف ديانات هذه القـبـائل ، فـسكن اليـهـود من بني قريظة ، وبني قينقاع ، وبني النضير في الجنوب الشـرقي الذي يعـرف الآن بمنطقة العوالي. أما الأوس



مواد التشييد من طوب فخاري وحجارة



نمط اجتماعي عرفته المدينة المنورة

صالح الهذلول: التقاليد شكلت منطلقاً لنشوء وتطور المدينة العربية الإسلامية

والخزرج ، وبنو حارثه ، وبنو عبد الأشهل فسكنوا في الشمال الشرقي الذي يعرف الآن بمنطقة العُرَيْض. وقد اختيرت هذه المناطق لقربها من الحَرَّات التي كانت تتيح الحماية الطبيعية من هجمات الأعداء.

عند مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجراً ابتدأ ببناء المسجد. قال السمهودي إنه عليه السلام كان « كلما مر على قوم دعوه لينزل عندهم، فيدعو لهم ، ويقول إنها مأمورة خلوا سبيلها. وقد بركت الناقة عدة مرات، وعاودت المسير حتى بركت في موضع باب المسجد، وجاء أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فأخذ رحله وأدخله في بيته ». وقد شارك رسول الله ﷺ في بناء المسجد، وكان بناؤه باللَّبِن وسقفه من الجريد ، والعمد من جذوع النخل. وكان البناء بالسميط لبنة على لبنة، ثم بالسعيدة لبنة ونصف على لبنة ونصف، ورفعوا أساسه بالحجارة قريباً من ثلاثة أذرع ، وارتفاع المسجد سبعة أذرع (٧).

وبعد تشييد المسجد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته المكون من حجرتين لزوجتيه سودة وعائشة رضي الله تعالى عنهما ، وبنى بقية الحُجر عند الحاجة إليها ، وكانت من لَبِن ولها حُجر من جريد مستورة بمسوح الشعر تمتد في ثلاث جهات من المسجد هي القبلة والشرق والشام ، وقد بلغ عددها تسع حجرات (٨) . وتبع الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بناء بيوتهم بالقرب من المسجد ، وكان أغلبها في شرقيه ، ثم انتقل الأوس والخزرج وبنوا لهم دوراً قربه أيضاً ، وبذلك تأسست أول مدينة إسلامية ظلت عاصمة الإسلام طوال عهد الخلفاء الراشدين ، ودامت وستظل مكانتها ومحبتها في أفئدة المسلمين إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبنية المدينة المنورة العمرانية تشكلت تدريجياً على مر السنين ، مقدمة نموذجاً رائعاً ، ونمطاً فريداً للمدينة الإسلامية. وقد مرت عليها فترات نمو وازدهار أكسبتها خصائص عمرانية فريدة ، ونقلت إليها تقنيات البناء من مختلف البلاد الإسلامية ، كما جذبت مكانتها الدينية اهتمام سلاطين المسلمين وذوي اليسار منهم للمشاركة في توسعة المسجد النبوي الشريف وتعميره، وبناء الأسوار والمدارس والمكتبات والأربطة والحمامات وغيرها من المرافق.

وإنه لمن العصي نوعاً ما التعرف على الأنماط العمرانية التي اتصفت بها المدينة في غياب المخططات العمرانية التي توضح نموها وتركيبها العمراني منذ الهجرة وخلال العصور الإسلامية المختلفة. وقد تساعد كتب التاريخ في تحديد مواقع بعض بيوت الصحابة رضوان الله عليهم ومواقع الأماكن الأثرية مثل سقيفة بني ساعدة ، وثنية الوداع، والمساجد المأثورة. ، ويبدو أن انتشار المدينة العمراني بدأ في شرقي المسجد النبوي الشريف حيث تقع بيوت أبي بكر ، وعثمان ، وأبي أيوب، وخالد بن الوليد رضوان الله عليهم في هذه المنطقة. وقد امتد العمران إلى الجهات الأخرى من المسجد حيث أحاطت المساكن به من كافة الجهات في العصرين الأموي والعباسي ، ثم اتسعت رقعة العمران في العهد العثماني إلى مختلف الاتجاهات فتكونت أحياء جديدة احيطت بأسوار خارجية ، ومن أهمها حارة الأغوات، وذروان ، والساحة والشونة، وباب الكومة ، وزقاق الطيار ، والسيح ، وباب قباء، والعنبرية ، وباب قباء.

التركيب العمراني للمدينة المنورة:

تميزت المدينة الإسلامية بالكتل البنائية المتراصة التي تحصر بينها فراغات عمرانية مفتوحة متنوعة المساحات ، متصفة بالتكوين الطبيعي الذي يشبه الكائن الحي، كما ترتبط الكتل والفراغات بعضها ببعض مولدة الشعور بالتوازن بين الكتل المبنية والفراغات . ونتيجة لهذا التنوع الملاحظ في الكتل برز نمط عمراني متجانس في مظهره العام، متباين في تفاصيله. ومن أهم خصائص المدن الإسلامية وضوح نظام

المدينة المنورة تعتبر أول تجربة عمرانية احتضنت المسلمين كنموذج للمجتمع الإسلامي

الحركة الذى يبدأ من الطرقات المسدودة أو الأحواش ، كما هو شائع في المدينة المنورة ، وينتهي إلى مركز المدينة ماراً بسلسلة من الطرقات والشوارع ذات السعات المتدرجة . وقد نجح المسلمون بشكل عام في إعطاء جزء كبير من الفراغات العامة صفة الخصوصية الجزئية وشبه التامة ، لذلك كان الناس يتمتعون في هذه الفراغات ببيئة داخلية محتواة بشكل يلائم احتياجاتهم المعيشية.

تتكون البنية العمرانية للمدينة المنورة من كتلة متراصة من المباني والمتاجر والمدارس والأربطة التي تحيط بالمسجد النبوي الشريف الذى يحتل المركز ، وتفضي

نظام الحارة الشائع ونظام الأحواش نمطان يميزان التكوين المعماري للمدينة المنورة

الشوارع الرئيسية إلى أبوابه المتميزة. ويمثل الحرم عنصراً مهماً ترتبط به جميع أجزاء المدينة كارتباط أجزاء الجسم بالقلب عن طريق الأوردة والشرايين ، وتتكون الكتلة العمرانية للمدينة من جزئين متميزين تفصلهما الأسوار والطرق الرئيسية وميدان المناخة هما:

١ - **الجزء القديم المحاط بالسور السلطاني** ويقع الحرم في وسطه . تتصف الكتلة العمرانية لهذا الجزء بأنها متراصة البنيان، ضيقة الشوارع والطرقات ، تكاد تخلو من الميادين والساحات الفسيحة عدا عدد محدود من الأحواش الصغار. لذلك يظهر صحن الحرم النبوي بشكل واضح مشكلا الفراغ الرئيس المفتوح. كما يتصف نمط الطرقات بالتعرج والانتهاء بطرقات غير نافذة ما عدا شارع العَيْنيَّة الذي فتح في مرحلة متأخرة باستقامة واضحة.

٢ - **الأجزاء التي تقع خارج السور السلطاني** وعددها أربعة تحيط بها أسوار ولها بوابات تفضي إلي خارج المدينة ، وهي:

أ - **القسم الشمالي** ويتكون من حارة باب المجيدي ويتخلله عدد من البساتين مثل الفيروزية وبضاعة، ويفصله عن الجزء القديم شارعا باب المجيدي والسحيمي. كما يصله بالحرم شارع رئيسي يتفرع إلى شعبتين إحداهما شارع الحميدية والأخرى درب الجنان.

ب - **القسم الجنوبي** ويتكون من حارتي التاجوري والجديدة وتتصف بنيته العمرانية بفراغات واسعة هي مجموعة من الأحواش وبلاد الصافية التي تتوسطه.

جـ - **القسم الغربي** ويتكون من منطقة باب الكومة وزقاق الطيار ، وبه مجموعة من الأحواش المختلفة الأحجام التي تصطف على جانبي الشارع والزقاق.

د ـ **القسم الجنوبي الغربي** ويفصله عن الجزئين السابقين «وادي أبو جيدة». ويتكون هذا القسم من شارع العنبرية الذي تقع عليه مبان مهمة مثل التكية المصرية ، والقشلة (ثكنة الجيش) ، وينتهي بميدان المحطة، كما يصطف على جانبي الشارع عدد من الأحواش الواسعة (٩).

تجمع المدينة المنورة في تكوينها العمراني التقليدي بين نمطين أحدهما نظام الحارة الشائع في معظم المدن الإسلامية ، والآخر نظام الأحواش الذي تتميز به عمرانياً . والفرق بين النظامين أن نظام الحارة يتكون من شارع رئيس يطلق عليه اسم الحارة، وتتفرع منه طرقات ثانوية تصطف على جنباتها المساكن ، بينما يتكون نظام الأحواش من شارع رئيس مماثل للحارة تتفرع منه فتحات هي عبارة عن بوابات تفضي إلى فراغ مفتوح تحيط به المساكن من جميع الجهات. وقد كان للأحواش في المدينة اهمية بالغة في تشكيل الكتل العمرانية واتصال بعضها ببعض ، والتخفيف من التراص والتزاحم البنائي الذي كان اسلوباً شائعاً في المدن الإسلامية.

وقد كان لاستخدام الأحواش ميزة أساسية هي رفع كفاءة استخدام الأراضي إذا ما قورن بالأنماط الأخرى لنظم الحركة والمسارات. وتتلخص كفاءة الاستخدام في التالي:

١ ـ قصر أطوال الشوارع والمسافات بين أجزاء المدينة.

٢ ـ الاقتصاد في تكاليف الخدمات ووسائل النظافة.

٣ ـ اعتناء الأهالي بمظهر الحوش مما يخفف من مسؤوليات السلطات المحلية.

٤ ـ التوفير في مساحة الأراضي المخصصة للسكنى، حيث يقوم فراغ الحوش الواحد مقام عدد من الحدائق والأفنية الخاصة التي تلحق عادة بالبيوت في المناطق الأخرى.

إن اشتراك الأهالي في هذه المساحة المحددة من الحوش التي تطل عليها مساكنهم يحملهم على الاهتمام بساحة الحوش من حيث النظافة وحُسْنُ الاستخدام. ولابد أن العرف قد جرى بين السكان على تنظيم واتفاق غير مكتوب



جانب من طرقات المدينة القديمة

يتوارثونه جيلاً بعد جيل على عدم الاستئثار بالحوش وتحويله لأغراض شخصية. ويتبين أن ما ساعد سكان الحوش على الالتزام بمثل هذه القيود هو العلاقات الاجتماعية الحسنة ورعاية حقوق الجوار المستمدة من الشريعة الإسلامية (١٠)

النمط المعماري:

تتأثر الأنماط المعمارية بمستوى دخل الفرد والازدهار الاقتصادي العام الذي يسود البلاد. وتظهر سمات ثراء المجتمع غالباً على العمارة في رحابة المباني، واستخدام الزخارف والنقوش وتطور أساليب التشييد، والزيادة في الارتفاعات، واستخدام مواد ذات كفاءة عالية ومظهر لائق.

وكانت بيوت المدينة في العهد الإسلامي الأول بسيطة البناء، ذات دور واحد، ومشيدة باللَّبِن. وبعد انتشار الإسلام في بلاد الله الواسعة تغير اسلوب البناء شيئاً فشيئاً حتى حل الطوب الفخاري والحجر محل اللَّبن مما اكسبها متانة وقوة ، واضفى عليها نسقاً معمارياً مختلفاً . ويتصف النمط المعماري في المدينة بالنمط الحجازي الشائع في مكة وجدة والطائف حيث يتصف بالرواشين التي تغطي نسبة كبيرة من مساحة واجهات المباني.

تحدد الواجهات الأمامية للمساكن بفتحاتها، وأسلوب معالجاتها، ومواد البناء الظاهرة على سطوحها سمات النمط المعماري لأي عمارة ، لأنه الجزء الظاهر من المبنى الذى تنطبع صورته في أذهان الناس. ومما ميز مباني المدينة المنورة أن الرواشين الخشبية تكسو واجهات المباني. وتتكون أغلب الرواشين من وحدات مكررة لها نفس الأبعاد

من أهم خصائص المدن الإسلامية وضوح نظام الحركة الذي يبدأ من الطرقات المسدودة أو الأحواش وينتهي إلى مركز المدينة

والمعالجات الزخرفية ، وتزين بعضها عقود مزخرفة بزخارف نباتية وهندسية محفورة على الخشب.

وهناك ، بجانب الرواشين كعنصر مميز للطابع المعماري، معالجات وتقنيات داخلية لا تظهر عادة للعيان وتشكل عناصر وظيفية مهمة، ومن هذه العناصر:

١ ـ الجلا : ويتكون من فتحة سماوية في وسط المنزل يتحكم في فتحها حسب الحاجة.

٢ ـ رؤوس المداخن : التي تبرز على حواف ستر الأسطح لسحب الدخان من المطابخ.

٣ ـ نوافذ داخلية متنوعة التغطيات تسمح بنفاذ الضوء والهواء لكافة أرجاء المنزل.

٤ ـ أقواس في بعض أماكن الجلوس ، وأقبية لتسقيف المساحات الصغيرة مثل الممرات والسلالم.

وتتصف أغلب بيوت المدينة المنورة بصغر المساحة ، وتعدد الأدوار ، وذلك لرغبة الناس في القرب من الحرم ، وصغر الرقعة التي كانت محاطة بالأسوار. وغالباً ما يكون للمنزل مدخل واحد يؤدي إلى الجزء السفلي المخصص لاستقبال الضيوف ، أما الأدوار العليا فهي مخصصة لأفراد الأسرة. وتتكون مواد البناء من الحجر والطوب الفخاري والجص في بناء الحوائط حيث استخدم الحجر في بناء الأساسات والأدوار السفلية ، واستخدم الطوب في بناء الأدوار العليا لخفة وزنه وقلة الأحمال عليه. وتظهر مواد البناء من الخارج كما هي دون تغطيات ، أما الداخل فيغطي بالجص ويطلى بالجير.

ومن العناصر التزيينية التي تضفي على الواجهات رونقاً وبهاء الطوب الملون الذي يرص في أجزاء من سترة السطح مؤلفاً أشكالاً هندسية بديعة.

تتصف واجهات المباني في مجملها بالتجانس والانسجام وذلك للتماثل بين مواد البناء المحلية وجودتها ، والتقارب بين المهارات

بيوت المدينة المنورة في العهد الإسلامي الأول بسيطة البناء ذات دور واحد ومشيدة بالطوب اللبن

اليدوية التي تبدع في البناء. وتظهر بعض الفروق في اشكال الزخارف التي تزين الرواشين نتيجة للتنافس في الإبداع بين الصناع ، ورغبة الملاك في تميز مساكنهم. وقد كان للتنظيم من جانب المحتسب وشيوخ الحرف دور كبير في التحكم في جودة البناء وتقنين أساليبه وتجنب الغش والتلاعب. وهذا ، مما لا شك فيه ، جانب إيجابي كانت تختص به المدن الإسلامية مما جعلها تكتسب أنماطاً معمارية بديعة.

الخلاصـــة :

كانت المدينة المنورة تتَّسمُ بتكوين عمراني متوازن في كتله البنائية ، ومتجانس في مظهره العام ، لكنه متباين في تفاصيله. والحرم النبوي الشريف أهمية بالغة في ربط أجزاء المدينة بعضها ببعض ، فهو بمثابة القطب المغناطيسي الذي يجذب إليه ما حوله من تكوينات عمرانية تتمثل في الدور والمتاجر والمدارس والأربطة وغيرها من المنافع العامة. وكان لهذا الجذب القوي تأثير بالغ على تشكيل نمط الطرقات والشوارع بحيث تقود المارة إلى الحرم النبوي بسهولة ويسر.

إن ما تكوَّن من أنماط عمرانية ومعمارية في المدينة لهو حصيلة تجارب وخبرات عديدة لأفراد كثيرين وجماعات تكونت خلال الأربعة عشر قرناً الماضية ، وامتزجت فيها احتياجات المجتمع ، والحرفيين ومهارات الصنَّاع التي أبدعت هذه الأنماط . كما أن تشكيل النسيج العمراني المدني أتى من تفاعل حصيلة منتقاة من الأنظمة والأعراف التي تطورت على مر الزمن وكونت وسطاً عمرانياً يمارس فيه المجتمع تعاليم الإسلام ويهيىء له ما يحتاجه من خدمات دينية وثقافية واجتماعية.

تشكلت العمارة المدنية من أعمال صناع وأرباب حرف قدموا من بلاد الإسلام المختلفة وأبرزوا مهاراتهم بدافع من الإخلاص والمحبة للبلد

البنيـة العمرانية للمدينة المنورة تتكون من كتلة متراصة من المباني والمتاجر والمدارس التـي تحيـط بالمسجد النبوي الذي يحتـل المركز

الظاهر فأثمر إبداعاً ثرياً في العديد من جوانب العمارة كتشكيل الواجهات ، ومتانة البناء ، وتوفير احتياجات السكان، وهذا ما تعكسه بحق العناصر والتفاصيل المعمارية في مباني المدينة المنورة . ولابد من ملاحظة أن ما تبرزه هذه المباني من متانة في البناء، وكفاءة في الاستخدام ، وجمال في المظهر ما هو إلا انعكاس واضح لبعض آداب وتعاليم الشريعة الإسلامية التي تبلورت مع تجارب المسلمين في البناء ، وكونت عمارة إسلامية واضحة المعالم.

إن المدينة المنورة هي أول مدينة إسلامية تكونت على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، فلابد من معرفة خصائص هذا التكوين العمراني وتكويناته ليكون النموذج الذي يحتذى به في بناء المدن الإسلامية ، فلا تطغى على مدننا تشكيلات ونماذج عمرانية مستوردة لا تتلاءم واحتياجاتنا كمسلمين . ولابد من نظرة شاملة لأسس العمران الإسلامي التي قام عليها ودراستها وتحليلها للتعرف عليها ، ومن ثم استخلاص معايير تخطيطية وتصميمية تطبق على المدن والأحياء الجديدة والاستفادة منها قدر الإمكان في تحسين وتطوير ما هو قائم

الهوامش

١ ـ فتحي ، حسن « العمارة الإسلامية والتعبير الحضاري الأصيل في المدينة العربية المعاصرة » . أبحاث من ندوة المدينة العربية ، المعهد العربي لإنماء المدن ، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ٦٨.

٢ ـ ذو الفقار ، سعيد . « أزمة التراث العمراني الإسلامي في العالم العربي » . أبحاث من ندوة المدينة العربية ، المعهد العربي لإنماء المدن ، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ٤٨.

٣ ـ سراج الدين ، إسماعيل « المدينة العربية وتراثها الحضاري الإسلامي بين المكونات المادية والمقومات المعنوية » أبحاث من ندوة المدينة العربية ، المعهد العربي لإنماء المدن ، (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ٢١ ـ ٢٤.

٤ ـ أكبر ، جميل. عمارة الأرض في الإسلام ، جدة : دار القبلة للثقافة الإسلامية ، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ص١٨.

٥ ـ الهذلول ، صالح . المدينة العربية الإسلامية ـ أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية ، الرياض : ص.ب ٨٨٩٥٢ ، (١٤١٤هـ) ، ص٣٨.

٦ ـ الهذلول ، صالح ، ص٢٣٧.

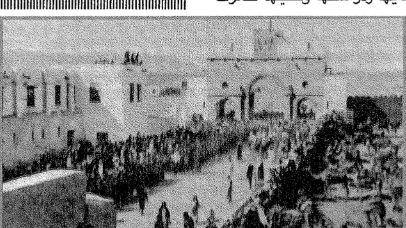
٧ ـ السمهودي ، علي. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، القاهرة: دار احياء الكتب العربية ، (١٣٦٧هـ) ، ص١٣٤ ـ ١٤٨.

٨ ـ السمهودي ، علي ، ص١٧٣.

٩ ـ الحصين ، محمد . « النمط العمراني التقليدي للمدينة المنورة » . مجلة جامعة الملك عبد العزيز ـ العلوم الهندسية.

١٠ ـ الحصين ، محمد . « خصائص البنية العمرانية للأحواش بالمدينة المنورة » . مجلة جامعة الملك سعود ـ العمارة والتخطيط ، م ٤ ، (١٤١٢هـ) ٣٧ ـ ٩١.

بيوت المدينة المنورة الحديثة تتصف بصغر المساحة وتعدد الأدوار وذلك لرغبة الناس في القرب من الحرم النبوي



باب العنبرية

تطور الخريطة المعمارية للقدس في العصور الإسلامية

يعد تخطيط المدن العربية الاسلامية من اهم الظواهر الجغرافية عند المسلمين التي بدأت مع الفتح العربي الاسلامي بانشاء المساجد ودور العلم والمستشفيات والمتاجر والحصون. وكانت المراكز الحضارية الاسلامية لها صفاتها عند تخطيطها الأول إلا انها اشتملت على سمات حضارية تعكس تخطيط المدن عند العرب.

ومنذ (العهدة العمرية) دخلت القدس في إطار التخطيط العربي الاسلامي، فقد شجع الدين الاسلامي الحياة الحضرية والاستقرار البشري بين سكان القدس .. واكد المسلمون على اللقاءات فى المسجد الاقصى عند كل صلاة وخصوصاً صلاة الجمعة لما فيها من منافع عديدة دينية واجتماعية يضاف الى ذلك ان المسجد الاقصى يعتبر مركزاً اساسياً وثقافياً وإدارياً في القدس.

تأثر الملامح العمرانية للقدس بالطابع الاسلامي

ومن المعالم العمرانية التي شهدتها القدس في العصر الإسلامي وجاءت نتيجة تأثر الحياة كلها في القدس بالتراث الحضاري الإسلامي .. المسجد الأقصى.

ويرجع اهتمام المسلمين بإنشاء المسجد الأقصى في القدس الي اعتبارات دينية كثيرة منها: تجسيد المفهوم العلمي لما للمساجد وفضلها واحكامها من اهمية عند المسلمين.

والمسجد يقع في القسم الجنوبي من القدس الشريف. فالزاوية الشمالية الغربية تبعد عن سور باب المغاربة نحو سبعين متراً وتوازي واجهته الشمالية سور القدس من الجنوب. والخط المستقيم المسحوب على واجهته ينحصر بين سوري الحرم الشرقي والغربي بطول يقرب من مائتين وخمسة وثمانين متراً. ويقابل الداخل للمسجد من الجهة الشمالية رواق كبير انشئ على شكل سبع قناطر عقدت على ممر ينتهى الى سبعة أبواب كل باب يؤدى الى رواق من اروقة المسجد السبعة .. وللمسجد - عدا هذه الأبواب - باب في الجهة الشرقية وآخر في الجهة الغربية، وهناك مدخل لجامع النساء الذي يمتد من باب القطانين الي باب السلسلة، والرواق الممتد من باب (حصة) الى باب شرف الأنبياء (باب فيصل). والرواق المحاذي لباب شرف الأنبياء الأروقة الغربية وتمتد من باب الغوانمة الى باب المغاربة، الرواق الممتد من باب الناظر الى باب القطانين.

- وفي المسجد اعمدة كثيرة تقوم

الواقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد، وهو مؤلف من رواقين ممتدين غرباً مسافة ٥٣ متراً الى أن يتصلا بجامع المغاربة .. ويقع في الجهة الشرقية أيضا جامع عمر، الذي أطلق عليه اسم امير المؤمنين «عمر» لأنه بقية الجامع الذى بناه «عمر» عند فتح القدس .. ويضم المسجد مجموعة من الأروقة من أهمها:

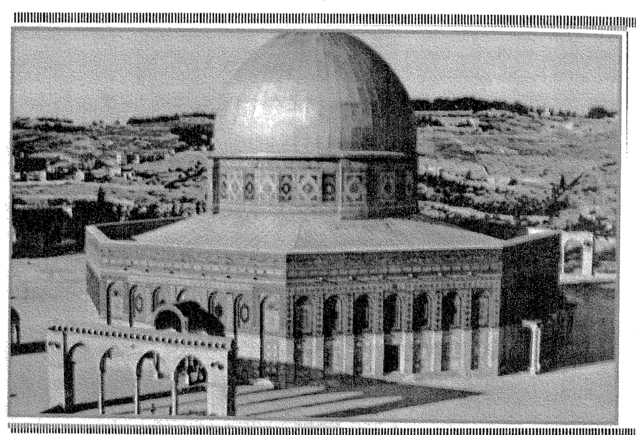
- الرواق الذي يمتد من باب الغوانمة الي باب الناظر، والرواقان السفليان اللذان تحت دار النيابة شمال القدس من الغرب. والرواق على قواعد جميلة. وتعلوها تيجان غاية في الجمال والإبداع وفي أعلى الأقواس صفان من الشبابيك. يقسم القسم السفلي نحو الرواقين الجانبيين، وسطح الرواق الرئيسى اعلي من سطح الرواقين المجاورين له، وفوق كل رواق من هذين الرواقين «نصبة» من الخشب قليلة الإرتفاع في الوسط تسمى «الجملون».

وفي الجهة الشمالية الغربية شيد إيوان كبير وبالقرب منه صمم محراب زكريا في شكل ايوان رائع المنظر.

والمسجد مجموعة من المآذن والقباب أهمها القبة الوسطى وقبة السلسلة وقبة سليمان، والقبة النحوية، وقبة الشيخ الخليلي، وقبة الخضر، وقبة المعراج، وقبة موسى، وقبة يوسف، وقبة محراب النبي، ومئذنة باب الأسباط ومئذنة باب المغاربة أو مئذنة باب الغوانمة، ومئذنة باب السلسلة.

على أعمدة من الرخام على يمين القبة الصغيرة عند المدخل وعلى يسارها .. وقد ورد في كتب المؤرخين أن عبد الملك بن مروان حين فرغ من بناء مسجد قبة الصخرة الذى لم يكن يتسع لجميع المصلين أمر ببناء المسجد الأقصى بجواره .. وشرع فى بنائه، وقبل أن يتم .. توفي .. وخلفه إبنه

الأمطار .. ومن ثم يحتمل ان لا يكون الخليفة عبد الملك بن مروان قد استعمل انقاض مسجد عمر في تشييد المسجد الاقصى .. وعلى ذلك يكون ذلك الخليفة ـ حين شرع في بناء المسجد ـ قد استخدم بعض العناصر المعمارية من أطلال كنيسة «سان ماري نوفا» التى بناها «جستنيان» والتي يرجح وجودها



وقد زود القدس بمجموعة من «السبل» للشرب والوضوء، من أكبرها سبيل قايتباي، وسبيل قاسم باشا، وسبيل البديرى، وسبيل شعلان، وسبيل باب الحبس، والحائط الجنوبي للمسجد متين جداً ـ لم يتأثر بالحريق المعروف ـ لأنه يقوم على أساس قوي من أيام تشييده الأولي.

ويعتبر المؤرخون الوليد بن عبد الملك أول من أنشأ المسجد الأقصى في مكانه الحالي وكان ذلك سنة ٧٢هـ/ ٦٩٠م .. ولم يبق من مسجد الوليد هذا إلا العقود القائمة

الوليد بن عبد الملك الذي عزم على إتمام ما بدأ به أبوه.

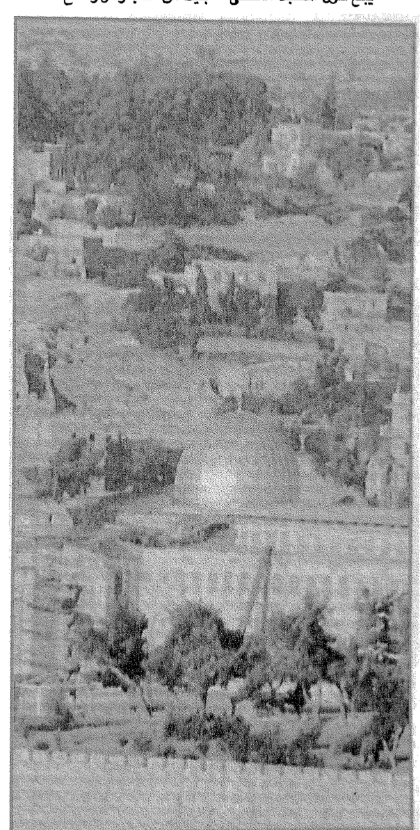
فأمر بنقل الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ومنه الى بيت المقدس ليزين بها جدار المسجد، ولكن القبة غشاها بالنحاس .. وخرج شكل المسجد رائعاً حسب أحدث فنون العمارة الاسلامية التي كانت سائدة آنذاك .. وكانت المساجد في صدر الاسلام تبني من الخشب والطوب واللبن الطيني ومن بعض المواد الاخرى التي لا تقاوم عوامل التهوية والتعرية والنحت والتآكل ونحر

تحت الموقع الذي بنى فوقه المسجد الأقصى.

وقد ذكر المقدسي أن للمسجد الأقصى في عصره ثلاثة عشر باباً ، وهو في ذلك يقصد أبواب القدس الشريف ككل .. وذكر ان المسجد يقع في الركن الجنوبي الشرقي للمدينة المقدسة، وأن اساسات القدس الشريف بلغ طولها عشرة أذرع وانها كانت من حجارة صلبة ومن ثم فقد تحملت بناء المسجد فوقها، والذي حرص عبد الملك بن مروان أن يكون أفخم من مسجد دمشق كي ينافس كنيسة القيامة

التي تقع بجواره، بل لقد راعى ان تكون عمارة المسجد الأقصى اكثر عظمة مما جاورها من مبان مسيحية.

يبلغ طول المسجد الأقصى ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً وقد جددت جميع أعمدته القديمة. وبذلك تم توحيد اشكالها وعددها (٥٣) عموداً، ومعها ٤٩ سارية مربعة، بنيت من الحجارة وارتفاع الأعمدة والسواري خمسة امتار، قامت فوقها أقواس حجرية، اتساع كل منها تسعة أمتار، ويربط بين الأعمدة شدادات من النحاس. وبالجانب الأيمن للفناء ـ على طول السور الغربي للقدس الشريف ـ أبهاء بأعمدة من الرخام مستديرة ومربعة.. ومن الخلف ـ أبهاء لها سقوف مقببة بالحجارة .. والجزء الأوسط من البناء الرئيسي (للمسجد الأقصى) مغطى بسقف يعلوه قبة فخمة .. وقد غطيت الأسقف في جميع الجوانب فيما عدا أبهاء العمد الخلفية بصفائح من رصاص. اما سقوف الأبهاء الشمالية فقد غطيت بالفسيفساء وكذلك غطيت القبة القبلية التي ترتفع ١٧ متراً عن الأرض الفسيفساء والتي تضم جميع مظاهر الفن ـ باستثناء الصور الآدمية أو الحيوانية التي بها روح ـ أي انها اقتصرت على الزينات النباتية مراعاة للطابع الاسلامي في زخرفة البناء.



وفي قبلة المسجد يقف منبر نور الدين، ومحراب صلاح الدين.. وحول المحراب كتبت آية الإسراء وتخلو الناحية اليسرى من الأبهاء ذات الأعمدة ولم يصل البناء الرئيسى للمسجد الأقصى الى السور الشرقي للقدس الشريف.. وفي ذلك يقول المقدسي .. ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر الناس بإقامة بناء في الجزء الغربي من القدس الشريف، ليصبح مكاناً للصلاة وعلى ذلك فقد تركت هذه المنطقة خالية من المباني خشية عدم الالتزام بما أشار به عمر بن الخطاب خليفة المسلمين رضى الله عنه كما أن امتداد البناء الرئيسى للأقصى حتى الزاوية الجنوبية الشرقية لسور القدس لم يكن ممكناً خشية الا يقع المحراب الكبير في مركز وسط في نهاية المسجد تجاه

الصخرة الشريفة التي تحت القبة.

وبدراسة وصف كل من المقدسي (٩٨٥م) ووصف ناصر خسرو (١٠٤٧م) لم نجد اختلافاً جوهرياً في التخطيط العمراني للمسجد الأقصى إلا في عدد الأبواب والأعمدة.. فقد ذكر «خسرو» أن المسجد مقام فوق قطعة من الأرض مساحتها ١٢٠ ذراعاً × ١٥٠ ذراعاً .. وحصر الأعمدة فوجدها ٢٨٠ عموداً موزعة على ١٤ رواقا كما ذكر أن المقصورة تضم عدة أعمدة وفوقها قبة مزينة بطلاء خزفي ثمين، وذكر ان المحراب الكبير كان قد زين بنفس الطلاء الخزفي .. وانه وجد في كل جانب منه عمودان من رخام لونه يميل الي الإحمرار وأن ثمة محراب صغير هو محراب الخليفة معاوية كان يقع على يمين المحراب الكبير.. وعلى يساره محراب الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولعل الزلازل التي حدثت بالقدس في حقب مختلفة كانت السبب في اختلاف المؤرخين المسلمين عند وصفهم لاجزاء المسجد الأقصى.. فقد تهدم معظم مسجد الوليد في زلزال وقع سنة ١٣٠هـ (٧٤٧/ ٧٤٨م) فأعاد بناءه الخليفة المنصور حوالي سنة ١٤٠هـ - (على الأرجح) - بعد أن اقتلع الذهب عن أبوابه لينفق عليه.. ثم تهدم مرة أخرى، ورفع الأمر إلى الخليفة المهدي.. فقال: «رث هذا المسجد وطال، وخلا من الرجال، انقصوا من طوله، وزيدوا في عرضه» .. وهكذا تم إنشاؤه بأمر الخليفة المهدي العباسي (١٦٣هـ/ ٧٤٧م).

وذكر مؤلف مثير الغرام في كتابه حدوث زلزال سنة ٧٤٦م (١٣٠هـ) أطاح بالجزء الأكبر من المسجد الأقصى .. ولم يذكر الطبرى ولا ابن الاثير عن هذا الزلزال.. أما المقدسي فقد ذكر زلزالا حدث في القدس زمن العباسيين .. ومما يؤسف له ان معظم البناء الذى شيده الخليفة المهدي تهدم في زلزال وقع في مطلع القرن الثالث، فوزع الخليفة المأمون بناءه على امراء الأطراف، يبني كل منهم رواقاً على نفقته، وتولى البناء عبد الله بن طاهر بعد سنة ٢١٠هـ.. وقد زلزل هذا البناء مرة اخرى سنة ٤٢٤هـ (١٠٣٣م) وأعيد بناء المسجد زمن الخليفة الفاطمي الظاهر سنة ٤٢٦هـ (١٠٣٥). وقد ذهب جزء كبير من تتوسط الرواق الأوسط قبة لطيفة.

وحين دخل السلطان صلاح الدين القدس سنة ١١٨٧م وجدها قد تأثرت بأحداث الحروب الصليبية.. ووجد ان الفرنج قد بنوا منبراً ومذبحاً فوق الصخرة نفسها، وملأوها بالصور والتماثيل فأمر بإزالتها وإعادة التخطيط العمراني لها حسب النمط الإسلامي والحضارة الإسلامية المميزة .. حتى عادت القدس إسلامية الطابع وعادت أبنية القدس مسجداً إسلاميا كما كان.

وحين هوى الصليب الى الأرض

الأقصى الذي أنشأه الوليد لم يبق منه إلا العقود القائمة على أعمدة من الرخام

هذا البناء أثناء الحروب الصليبية وما اصاب القدس خلالها من أحداث، ولكن بقي لنا من الهيكل العام المكون من سبعة أروقة عمودية على القبلة، وجوف بيت الصلاة الذي يتكون من ١١ اسكوباً (أي صفاً) من العقود الموازية لجدار القبلة.. والرواق الأوسط - أو المجاز الأعظم - يساوي ضعف بقية الأروقة في الاتساع، وتقوم فوق البلاطة الأخيرة منه قبة صغيرة فوق المدخل مباشرة وهناك قبة اخرى اكبر من هذه فوق البلاطة التى تؤدى الى المحراب.. ولكن بيت الصلاة هذا زمن المقدسي كان يتكون من ٢٦ رواقاً تشرع كلها من جدار القبلة الى الصحن، أما أبواب المسجد فكانت - آنذاك - سبعة .. اكبرها هو الأوسط وكان الباب الرئيسى ملبساً بالنحاس وكانت سمع صوته من جميع أرجاء المدينة فألقي الرعب في قلوب الصليبيين الراجعة الى أوربا.. ثم اخذ صلاح الدين يبحث عن المحراب الذى كان الصليبيون قد بنوا عليه جداراً لإخفائه وتركوا بينه وبين السور الجديد فجوة جعلوها مرحاضاً.

وحين أمر صلاح الدين بهدم الجدار القذر ظهر المحراب الطاهر برخامه وحرص صلاح الدين على تسجيل كل إصلاحاته في عمران المسجد الأقصى بكتابة من الذهب الخالص منقوشة فوق المحراب بعد إستعادة المسلمين له.. وتحولت كنيسة القديسة حنة الى مدرسة للفقه الشافعي، كما حولت دار البطريرك المجاورة للكنيسة الى رباط للصوفية والعلماء المسلمين المجاورين وأصبحت فيما بعد كل منهما مدرسة لها اهميتها في

الدراسات الإسلامية.

وواصل المماليك إضفاء النمط الاسلامي على ملامح مدينة القدس.. فأكثروا من بناء المساجد والمدارس والمقابر واسبلة الماء في القدس، وغالوا في تزيينها وتجميلها حتى جاءت آيات في الفن الإسلامي والحضارة الإسلامية.

وقد بلغت زخرفة الأبواب العالية مبلغاً لا يضاهي من الأناقة والجمال، كما اخذت الكتابات تشغل كل فراغ على الطراز زخرفاً قائماً بذاته، وذلك يعني أن الحروف أصبحت نوعاً من انواع الزخرفة في الحضارة الإسلامية بالقدس.

واتخذ كل سلطان من المماليك شعاراً خاصاً (يعرف بالرنك) يميز ما أضافه من عمران في القدس.

وفي سنة ١٩٢٢.. اهتم المجلس الأعلى في فلسطين بتعمير المسجد الاقصى وصيانته وترميمه فاستدعوا مهندسين (مصريين وأتراك) لهذا الغرض.. وانهمك الفريق في وضع مخطط عمراني اسلامي لصيانة المسجد تناسب قدسيته وجلال قدره ومزاياه التاريخية والدينية عند المسلمين.

وبالفحص وجد الفريق الهندسي ان تيجان الاعمدة وقواعدها قد تصدعت ومال بعض الأعمدة عن الوضع الرأسي بما يشير الى عجزها عن تحمل ثقل البناء القائم عليها، ووجدوا أن قسماً من الفسيفساء والنوافذ المصنوعة من الجص الملون سقط مما ادى الى تشويه منظر البناء الفخم.

وكان الفريق المصري منذ اللحظة الاولى مصمماً على الابقاء على ملامح المسجد القديمة وعدم التعرض لأي جزء منها بالهدم مهما كان حسبما كان يرى الفريق التركي.. وكان الفريق المصري يرى القيام بعملية (الإعمار) بأن تقوى الأسس والأعمدة وتجدد الشدات الخشبية وتحفظ العقود والمقرنصات ورقبة القبة وحفظ القبة نفسها لاعتبارات إسلامية واجتماعية. وفي سنة ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م تمت عمليات تجديد قبة المسجد الأقصى للمرحلة الأولى.. وفي نفس السنة أصيبت المنطقة بزلزال احدث شروخاً في الجهة الشرقية من المسجد وكذلك الجهة

المسجد الأقصى عبر تاريخه الطويل تعرض لكثير من الزلازل والهزات الأرضية

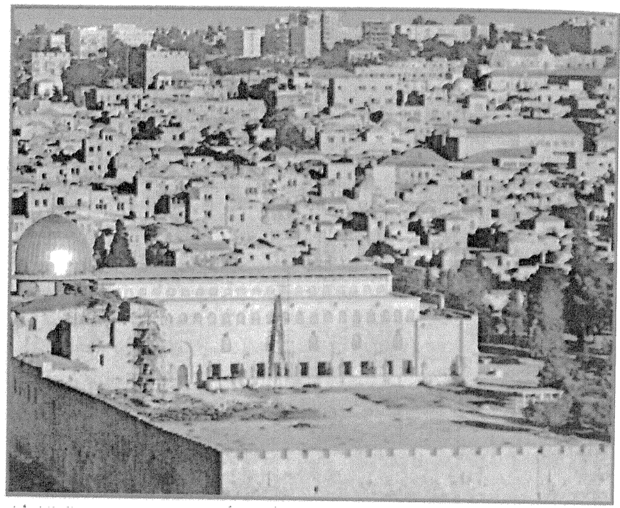
الغربية.. وشرع المهندسون في اصلاح الأضرار سنة ١٣٣٧هـ - (١٩٣٨).. واستمرت هذه العملية خمس سنين تم فيها هدم الرواق الشرقي، وإعادة بنائه من جديد مع إستعمال كل ما كان صالحاً من مواد البناء القديم. مع المحافظة الشديدة عل تخطيطه الأصلي في العصور الإسلامية الأموية - العباسية - الفاطمية.

وما زال المسجد الأقصى يحتفظ بهذه الهيئة على وجه التقريب.. ومازال حتى اليوم يحمل آثار التراث الحضاري الاسلامي في تطور الخريطة العمرانية للمسجد الأقصى خاصة والقدس عامة.. ومن يقف وسط الرواق الأوسط - اليوم - في إتجاه القبة، يرى المربع البديع - الذي حمل القبة الكبرى - مرفوعاً على اعمدة رخامية سامقة الارتفاع تعلوها عقود تقوم على أرجل يعدل ارتفاعها إرتفاع العمد، والجدار الحامل للقبة فوق العقود مزين بنوافذ صغيرة على هيئة بوائك صغيرة.. وهذا الارتفاع العظيم للسقف هو الذي حدا بالمعماري الى ان يربط الاعمدة بأوتاد خشبية سميكة، وهذه الأوتاد هي الشيء الوحيد الذي يشوب روعة جمال هذا الجامع الجليل رغم زخارفها الكثيرة.

ويذهب المعماريون الى ان هذه الأوتاد ترجع الى بناء «الظاهر» الفاطمي، ومعنى ذلك ان القبة الكبيرة نفسها ترجع الى ذلك العصر أيضا.

والمسجد الأقصى الحالي عمل معماري إسلامي يجمع بين البساطة والجلال ويحكي تاريخ المسلمين معه عبر ١٤٠٠ عام.. وتبرز قبة الجدران الحاملة للقبة الكبرى في رقة وعدم سماكة.. والقبة نفسها تقوم على هيكل خشبي وزينة الجدران نفسها قليلة غير مبالغ فيها.. والقبلة بسيطة رغم زخارفها ولكن يضيف الى روائها أن الجدار - الى يمينها ويسارها الى إرتفاع المحراب - مغطى بالقيشاني المزخرف وجزء كبير من فخامة المسجد يرجع الى سعة بيت الصلاة التى تملأ النفس روعة وبهجة.. وهذه السعة هي التي جعلت المعماري يكتفي بتسقيفه بالخشب.

وتضم القدس من صور التراث الحضاري الاسلامي أربعة وثلاثين جامعاً خلا جامعي الأقصى والصخرة، وهي موزعة فى أحياء المدينة منها تسعة وعشرون في المدينة القديمة داخل السور، وسبعة خارج السور وعدد المآذن في القدس خمس عشرة مئذنة بما في ذلك مآذن الحرم الأربع.. وعلى



طريق القدس ـ أريحا ـ يوجد مقام (النبي موسى) وعليه جامع ومئذنة ويزور المسلمون هذا المقام كل سنة.

وتنتشر في جنبات القدس هنا وهناك مجموعات من الزوايا التي كانت منازل معدة لإيواء الغرباء والمسافرين المسلمين الذين كانوا يفدون الى القدس عبر تاريخها الاسلامي الطويل من مختلف البلدان بقصد زيارتها، وفيها يقدم الطعام للفقراء والمحتاجين ومنها الزاوية النقشبندية وزاوية الشيخ جراح وغيرها.

وتوجد في القدس قبور طائفة من المجاهدين والشهداء وجماعة من الصحابة الذين سكنوا القدس وماتوا فيها .. ومن هؤلاء شداد بن أوس، الصحابي الجليل وعلم من أعلام المقدس، وكذلك عبادة بن الصامت، أحد نقباء الأنصار وأول قاض مسلم في القدس، وهما مدفونان في مقبرة «باب الرحمة» التي تلي سور القدس الشريف من الناحية الشرقية.. كما يوجد مقام (مجير الدين الحنبلي) وفي وادي قدرون، على مقربة من «الجثمانية» وكان قاضي القدس وعالمها الجليل، وقد ولد وتوفي بها، وكانت وفاته سنة ٩٢٧هـ وهو مؤرخ ومن أهم مؤلفاته المشهورة: كتاب «الأنس الجليل في اعيان القدس والخليل».

وللمسلمين في القدس تعود ملكية «البراق الشريف» الذي يسميه اليهود الآن «حائط المبكي»، ويدعون انه البقية الباقية من الهيكل القديم ولكنه اثر إسلامي، فهو يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة القدس الشريف التي هي من املاك الوقف.. وينطبق ذلك أيضاً على الرصيف الكائن امام الحائط وأمام المحلة المعروفة «بحارة المغاربة» والتي تقابل حائط البراق الشريف، لكونه موقوفاً حسب احكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير.

ومن هنا جاء قرار مجلس الأمم في الخامس من مايو سنة ١٩٣٠ بشرعية الحق العربي الإسلامي للحائط والرصيف.. والحائط مبنى من حجارة ضخمة يبلغ طوله نحو ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٦٥ قدماً، والمسلمون يقدسونه لعلاقته الوثيقة بقصة إسراء الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى بيت المقدس. وهو يمثل الآن الجدار الغربي للقدس الشريف.

● **هذا المقال مأخوذ بتصرف من مقال الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر المنشور في مجلة المنهل العدد ٨٠٥.**

نماذج تطبيقية للفن المعماري في مدينتي الفسطاط والقاهرة مع عناصر زخرفية

بقلم الدكتور:
مصطفى عبدالله شيحه
أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة والملك سعود

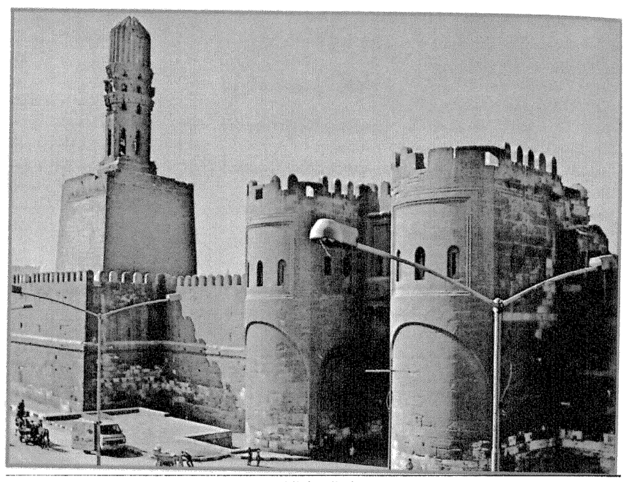
تعد العمارة الاسلامية في مقدمة أنواع العمائر العالمية، ومفخرة للتراث الإسلامي فى شتى بلاد العالم الاسلامي، بفضل ما قدمته عمارة الاسلام من تنوع في البناء وشمول فى عناصر الإبداع الفنى والجمالى وابتكار فى الجوهر وفى التفاصيل. والعمائر الاسلامية على إختلاف تنوعها ووظائفها ، إلا أنها تشكل وحدة معمارية ذات طابع واحد فى كل بلاد العالم الاسلامى : طابع واحد وأغراض متعددة وعناصر معمارية مبتكرة وقيمة جمالية رائعة ... إنها قدرة مهندس وبناء وصانع وفنان.. قدرات ومهارات اجتمعت لتشكل معا وحدة فنية في طابع مدرسة الفن الاسلامي . حقيقة قد تختلف العمائر الاسلامية فى تفاصيلها المعمارية والزخرفية من بلد لآخر ولكن عناصرها الأساسية واحدة، وجوهر نماذجها واحد، وهذا الاختلاف فى التفاصيل يزيد من عناصرها وأصولها الواحدة.. يزيدها جمالا وفنا وقدرة فى المهارات والابداع.

لقد ضمت المدينة الاسلامية كل نماذج العمارة الاسلامية وكذلك طرز الزخرفة المتنوعة بحيث صارت العمارة والزخرفة وحدة فنية متحدة، لا يمكن الفصل بينهما، وهو الأمر الذى أكسب الفن الاسلامى مظهرا جماليا رائعا إتحدت فيه العمارة الدينية والمدنيه والحربية بعناصرها ونماذجها المتنوعة مع الأساليب الزخرفية المتطورة والمتنوعة معا.

جمعت المدينة الاسلامية بداخلها من نماذج العمارة الدينية والمدنية والحربية كل ما هو معروف تقريبا من تنوع نماذج البناء، فالعمارة الدينية تبدو واضحة فى المساجد الجامعة والاخرى المنتشرة فى المدينة ومع التطور الزمنى ظهرت المدارس والخوانق والتكايا والزوايا والقباب وغيرها، ونماذج العمارة المدنية واضحة فى تخطيط القصور والمنازل والحمامات والأسواق والرباع والقناطر والوكالات والبيمارستانات وغيرها والعمارة الحربية جلية واضحة فى أسوار المدينة حيث يتخللها البوابات والأبراج التى تدعم أسوارها، وفى كل هذه الأنواع المعمارية الدينية والمدنية والحربية ظهرت النماذج التطبيقية لفن العمارة الاسلامية من خلال العناصر المعمارية الخاصة بالأبنية الدينية ، حيث نجد فى العمارة الدينية المصطلحات الخاصة بهذه العناصر كبيت الصلاة والرواق والبلاطة والفناء أو الصحن والبائكة والإيوان والمحراب والمنبر والمئذنة والمقصورة وبيت المال والميضأة والقبة والقبو، ثم الواجهات والمداخل التى ميزت العمارة الدينية الاسلامية من غيرها من المنشآت المعمارية الأخرى.

هذا فضلا عن العقود بأنواعها وأشكالها المتباينة. وفى مجال العمارة المدنية، تبدو القصور الاسلامية بروعتها فى واجهاتها وقاعاتها وأفنيتها وردهاتها ودهاليزها وأعمدتها وجواسقها وزخارفها، وفى مجال العمارة الحربية ، تظهر الأبراج المتعددة الطوابق للدفاع والمراقبة وفى الربط بمشتملاتها من الوحدات المعمارية وفى فتحات السهام للدفاع وفى فتحات صب المواد الكاوية على رؤوس المقتحمين وفى الدهاليز الداخلية والممرات داخل الأسوار.

والواقع أن هذا البحث الموجز يتناول عدة نقاط تتعلق بالمدينة الاسلامية فى بعض مشتملاتها المعمارية كنماذج تطبيقية كانت من المنشآت التى حرص المعمار على توافرها فى المدينة لأهميتها فى استمرار الحياة فيها ، حيث ستشير إلى الإكتشاف الأخير فى مدينة الفسطاط الذى قمت بانجازه(١) ويختص بالكشف عن شبكة تزويد المدينة بالمياه العذبة من ساحل النيل المشرف عليها، وكذلك الإشارة إلى منازل الفسطاط



باب الفتوح/ القاهرة

القديمة، والبوابات الأثرية بمدينة القاهرة التى ترجع إلى فترة العصر الفاطمي بمصر، كما أننا سنتناول أيضا بايجاز الإشارة الى بعض العناصر الزخرفية القديمة التى اقتبسها الفنان فى العصر الاسلامي واستخدمها كنماذج تطبيقية على تحفه وعمائره.

تعد مدينة الفسطاط التى شيدها عمرو بن العاص غداة فتحه مصر، من أهم عواصم المدن الاسلامية القديمة الباقية، رغم تقلص مساحتها اليوم، وتهدم مبانيها، وقد كشفت الحفائر العلمية التى اجريت فيها، عن نماذج فريدة ، أوضحت تخطيط شوارعها ودروبها وحاراتها ومنازلها ووحداتها المتنوعة ووسائل إمدادها بالمياه والتخلص من مخلفات المياه، وأحمد الله سبحانه وتعالي بأن مكنني من الحفر العلمي فى الفسطاط لمدة تقارب التسع سنوات، كشفت فيها عن بعض منازلها وقاعاتها الصيفية المحفورة فى باطن الصخر ومستودعات المياه العذبة وقنواتها، التى أوضحت لنا تلك الأساليب العلمية عند مآخذ المياه ثم سيرها فى شوارع المدينة ودروبها حتى تصب فى مستودعاتها ومنها قنوات أخرى تتفرع من هذه المستودعات لتصب فى مستودعات أقل داخل المنازل الكبيرة. وقد أوضح هنا الإكتشاف مدى حرص المعمار والمخطط معا على سلامة استخدام المياه الصحية فى هذه المدينة الكبيرة التى ظلت تنمو حتى نهاية العصر الفاطمي.

التنوع والشمول.. الإبداع والجمال التجديد والابتكار كلها سمات واضحة في العمارة الاسلامية

إمداد المدينة بالمياه :

تميزت مدينة الفسطاط منذ أن وضع عمرو بن العاص تخطيطها وتوزيع مناطقها بين القبائل العربية المختلفة التى صحبته فى فتح مصر تميزت بقربها من نهر النيل، ومن الميناء القديم الذى كان قائما بجوار حصن بابليون، فضلا عن حماية المدينة من النواحى الشرقية والجنوبية الشرقية بتلال جبل المقطم(٢) ، وقد بدأ إنشاء منازل الفسطاط بمجرد الانتهاء من الاستيلاء على حصن بابليون، حيث وضع أساس المنازل الأولى التى كانت بطبيعة الحال بسيطة فى

عمارتها، ولكنها موزعة على أساس هندسى فى أخطاط متجاورة، وشيد الجامع العتيق وهو المسجد الجامع على مقربة من النيل بالمدينة(٣)، وظلت هذه المدينة فى نمو واضطراد حتى اكتظت بالمبانى المتنوعه ثم تلاحمت منشآت العسكر والقطائع معها، وبلغت ذروة ازدهارها فى العصر الفاطمى ، فكان بها الدور الضخمة المشيدة من عدة طوابق على أسس هندسية متينة، وقد كشفت

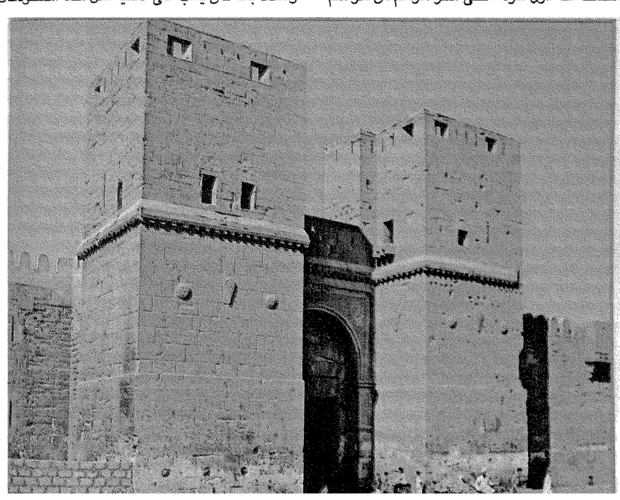
النموذج العراقي في التصميم المعماري بدا واضحاً في تصميم منازل الفسطاط

الحفر الأثرى فى عام ١٩٧٢م، اذا بمعول الحفار يصطدم بجدار سميك ليكشف لنا بعد ذلك عن قناة من أنابيب الفخار المتصلة فى باطن الجدار يستمر سيرها فى اتجاه عرضى يشق المدينة بغير انتظام، ويتفرع من هذا المجرى الرئيسى عدة قنوات من أنابيب الفخار المتصلة، حيث تنتهى لتصب فى مستودعات أعدت بعناية فائقة لتخزين المياه بها فى باطن الأرض، وفق أسلوب عنى

الحفائر عن عدد لا بأس به منها.

لقد كان من الطبيعي بعد ازدهار المدينة ونمو الحياة فيها أن يتم التفكير فى ربط هذه المدينة بشبكة من المياه العذبة لتمد المنازل والمنشآت الأخرى بالمياه بأسلوب علمى وهو الأمر الذى ترجمه المعمار بنموذج نادر من شبكات المياه فى المدن القديمة الباقية وكان من حسن حظى أن وفقني الله سبحانه وتعالى فى الكشف عنه لأول مرة ، ففى آخر موسم من مواسم

به المعمار فى بناء جدرانها سميكه وتغطيتها بطبقة قوية من الملاط لا تتفاعل مع المياه، فضلا عن حرصه على تنظيف هذه المستودعات كلما لحقت بها الشوائب ، وذلك بعمل أرضية المستودع مائلة جهة الوسط لتصب بقايا المياه عند التنظيف فى حوض صغير وسط أرضية المستودع غائر قليلا فى أرضيته، وذلك لتجميع ما بقى من مخلفات التنظيف فيه حتى يمكن إلتقاطها، ونعتقد بأنه كان يغلب على تغطية مثل هذه المستودعات



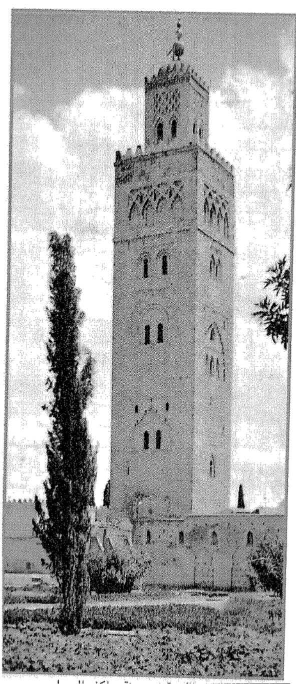
باب النصر في القاهرة

القباب، نظرا لبقاء حَنيَّه من على السطح، أغلب الإحتمال أنها كانت ضمن أربع حَنَايَا استخدمت فى مناطق الإنتقال للقبة.

كشفت الحفائر التى قمت بها عن مستودعين كبيرين، كان موقعهما بين الدور الفخمة والمنازل الكبيرة المتعددة الطوابق بالمدينة وقد أكد لنا العثور على خط من الأنابيب الفخارية يخرج من سمك جدران المستودعين بقصد إعادة توصيل المياه العذبة إلى المنازل الكبيرة المحيطة بها، كما هو الحال فى عصرنا الحاضر، بمعنى ربط هذه الدور الكبيرة بشبكة من المياه تسير وفق نظرية الأوانى المستطرقة، أما عن تاريخها فيدل العثور على تحف أثرية وإن كانت قليلة أثناء رفع مخلفات الأتربة بداخلها على نسبتها لفترة العصر الفاطمى وخاصة فى القرن الخامس الهجرى /١١م ، وهو الأمر الذى يؤكد مدى ما كانت عليه عمارة مدينة الفسطاط فى العصر الفاطمى من روعة فى التخطيط وفى البناء المعمارى.

وكشفت لنا الحفائر ذاتها فى نفس الموسم عن المصدر الذى يتم الإمداد بالمياه منه وقد استغرق الحفر الأثرى فى الكشف عنه مدة عامين، حيث ثبت العثور على ساقية كبيرة أسفل أرضية فناء جامع عمرو بن العاص مغطاة بقبو كبيركان يتم رفع المياه منها إلى الخط الرئيسى ، الذى تتفرع منه القنوات الفرعية لتصب فى المستودعين، وبطبيعة الحال نعتقد بوجود مستودعات أخرى لم يتم الكشف عنها حتى الآن. وإذا كان نهر النيل هو المصدر الأساسى الذى كان يمد مدينة الفسطاط فى ذلك الزمن بالمياه فإن بركة الحبشى ذات المياه العذبة كانت هى الأخرى تمد مدينة الفسطاط بمياه عذبة من خلال قنوات أخرى ممتدة داخل شوارع المدينة ودروبها، إلا أنه لم يتم حتى الآن الكشف عن هذه القنوات.

هذا وتوضح لنا أساليب بناء هذه القنوات الموصلة للمياه ذلك النموذج التطبيقى الجيد الذى عالجه المعمار فى هذه الفترة بقصد المحافظة على سلامة الأنابيب الفخارية المتصله فى جعلها فى سمك بناء الجدران الموجودة بداخلها، إذ أنه لم يجعلها على سطح الجدران وإنما بداخلها حتى لا تتعرض المياه للتلوث أو أن تكون عرضة للتلف من جراء عوامل التعرية، وقد زاد من قوة اندفاع المياه جعل الجدران لا تمتد مستقيمه بل منكسرة فى امتدادها مما يحقق للمياه قوة إندفاع كبيرة، تساعد فى اندفاعها على التخلص من أى عوائق قد تترسب كالطمي أو غيره ، لا سيما وأن المياه غير مكشوفة، كما أننا لا نستبعد أن يكون المعمار قد جعل له نقط ارتكاز فى القناة الرئيسية من النيل وحتى



صومعة الكتبية في مدينة مراكش الحمراء

المستودعات التى تصب فيها المياه كنقاط للكشف دوما عن أى عطب قد يصيب توقف المياه خلال جريانها فى الفرع الرئيسى.

على أن وجود هذه القناة الرئيسية وفروعها الكثيرة فى مدينة الفسطاط التى يتعدى طولها اكثر من ثلاثة كيلومترات، لا يتنافى مع ما ذكره بعض المؤرخين فى إشارتهم التاريخية عن تزويد المنازل براويات المياه العذبة بواسطة سقاة المياه فى الفسطاط كان بها الدور الكبيرة والأخرى الصغيرة، وكان مستوى الحياة فيها متفاوتا بين الطبقات وقد سكنها كثير من التجار وأصحاب المصانع وغيرهم.

أما عن أسلوب التخلص من مخلفات مياه المنازل فنماذجه واضحة جلية الى الآن فى منازل مدينة الفسطاط، اذ تدل ظاهرة الآبار الكثيرة المنتشرة والباقية بالمدينة على استخدامها لتلقي عوادم المياه من المنازل وبعضها صغير والآخر كبير، والحق أن ظاهرة الآبار الكثيرة بشكل لافت للنظر فى هذه المدينة تجعلنا نعتقد بأن مساجد هذه المدينة الأولى التي اختارها عمرو بن العاص لتكون أول حاضرة فى مصر فى العصر الاسلامي ، كان بها نوع من الحياة قبل العصر الاسلامي فى العصر البيزنطى ، اذ أنه من المستحيل حفر هذه الآبار الكثيرة فى هذه المنطقة دون أن يكون لها دلالة على وجود نوع من المعيشة بها، فربما كان بهذه المنطقة بعض ثكنات الجيش الرومانى ثم البيزنطى لا سيما وأن موقعها خلف حصن بابليون الذى رابض عمرو وجيشه خلفه، أما عن وسيلة صرف المياه من المنازل الى هذه الآبار فكان يتم خلال الأنابيب الفخارية المتصلة التى تنتهى عندها، وكثير من الآبار الصغيرة كان يتم تغطيتها، حتى لا يتعرض احد من المارة إلى الوقوع فيها، كما كان يتم التعلية بحوائط صغيرة تحيط بالآبار الكبيرة.

لقد ساعد قُرب حواضر مصر الاسلامية من نهر النيل على إمدادها بالمياه العذبة كما كان فى مدينة الفسطاط ومدينة القطائع التى أنشأها احمد بن طولون وإن تطور الأمر بإنشاء قناطر معقودة تجرى أعلاها قناة تستمد مياهها من جهة البساتين حتى يتم توصيل المياه الى مدينته الجديده فى قصره ومسجده الجامع وكذلك أخطاط المدينة، كما كان لمنشآت مدينة القاهرة فى العصر الفاطمى مستودعات مياه كثيرة وأحجامها مختلفه لتخزين المياه، لعل منها ما كشف أخيرا تحت أطلال المدرسة الصالحية بشارع المعز لدين الله الفاطمى الذى كان من المحتمل أن تمد مياهه القصر الشرقى الكبير، ولعل بقاء سور مجرى العيون بالقاهرة بدءاً من محاولات إنشائه منذ العصر الأيوبى وتكامله فى العصر المملوكى ليعطى صورة واضحة عن إنجازات المعمار وفن هندسة البناء كنموذج تطبيقى للعمارة فى العصر الاسلامي(٤).

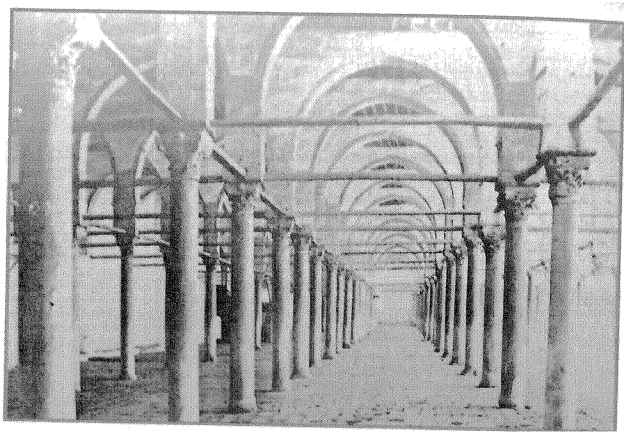
نماذج تطبيقية من منازل الفسطاط :

بقى فى مدينة الفسطاط عدة منازل اسلامية قديمة، أسفرت عنها أعمال الحفر الأثرى فى فترات مختلفه من هذا القرن (٥)، من أهمها ما كشف عنه الراحل الدكتور على بهجت وغيره من العلماء المصريين والعلماء الأجانب فى البعثات الأجنبية التى عملت فى مجال التنقيب عن الآثار فى مصر، حيث تعود هذه المنازل فى تاريخها الى العصرين الطولونى والفاطمى، وهى على جانب كبير من الأهمية، سواء فى فكرة التصميم المعمارى أو تعدد الطوابق أو فى استخدام مواد البناء المختلفة، أو غير ذلك من توافر العناصر المعماريه والزخرفية.

أما عن فكرة التصميم المعمارى ، فقد راعى فيها مهندس البناء جوانب هامة كمراعاة حجب السكان عن المارة باستخدام المداخل المنكسرة التى لا تتيح لمن بالخارج رؤية من بالداخل وتحفظ للمنزل حرمته، وأيضا روعى فى التصميم المعمارى حرارة الشمس وشدتها، وقد تغلب على ذلك ببناء الجدران السميكة واستخدام الأقبية والقباب فى بعض الأحيان فى التغطية وعمل فراغات داخلية تساعد على تلطيف درجة الحرارة داخل المنازل واستخدام ملاقف الهواء لزيادة سرعة حركة الهواء فى تخفيف حدة الحرارة. هذا إضافة إلى هدف التصميم الرئيسى فى توفير وسائل الراحة داخل المنزل مهما كان حجمه فى احتوائه على فناء رئيسى تتوسطه عادة فسقية مياه على جانبيها أحواض للزرع(٦)، وفى احتواء هذه المساكن على إيوان رئيسى للإستقبال وبعضها احتوى على ايوانين متقابلين، بل أن تخطيط أو تصميم الإيوانات الأربعة ثبت وجوده بمنازل الفسطاط متعامدة على فناء رئيسى ، فضلا عن حجرات المعيشه المتعددة بالمنزل والوحدات الاخرى اللازمة من مطابخ ودورات مياه واسطبل للدواب وغير ذلك ، **وقد روعي فى التصميم دقة التزام واجهات المنازل المطلة على الشوارع والدروب بشكل منظم - هذا ويتضح فى تصميم منازل الفسطاط تأثير المنازل العراقيه عليها(٧).**

الزخارف الهيلنسية فرضت نفسها على المعمار الفاطمي

أما فكرة تعدد الطوابق فى مدينة الفسطاط فقد جاءت وليدة عدة إعتبارات منها أن التصميم والبناء فى مواضع مختلفة من المدينة كان يتبع إلى حد كبير طبيعة الأرض المشيد عليها البناء، فإذا كانت دكة الأرض صخرية بنى الطابق الأرضى للسكن مباشرة وإذا كانت رملية رفع الطابق الأول على دعامات وأعمدة من الآجر متين البناء واستخدم لغرض التخزين أو



جامع عمرو بن العاص بالقاهرة

للأغراض المنزلية الأخرى ، وهذا ما يمكن أن يتضح للمتجول في أطلال منازل الفسطاط ثم تتعدد الطوابق بعد ذلك وفقا لثراء صاحب المنزل وحالته الإجتماعية ، وقد أشار بعض الرحالة بل أشادوا بتعدد طوابق مدينة الفسطاط، ويبدو تصميم تعدد الطوابق واستمراره في مصر في أمثلة عديدة ، وإن كانت منازل مدينة رشيد بمصر(٨)، تميزت بنفس فكرة التصميم في تعدد الطوابق في المنزل المصرى وأن استمرار هذا الأمر حتى العصر العثماني، إنما مرده إلى تأثير منازل ودور الفسطاط القديمة عليها، وقد تميزت هذه المنازل بتصميم المشربيات الخشبية الدقيقة الصنع في واجهاتها وبوجود تصميم الفراغات الكبيرة واستخدام الدواليب الخشبية في قاعاتها الرئيسية وحجرات المعيشة بداخلها.

ولقد كان من الطبيعي في تصميم وبناء دور الفسطاط القديمة استخدام مواد البناء المتوافرة في البيئة ذاتها لا سيما مادة الآجر من قوالب صغيرة الحجم تميزت بها هذه الدور بجانب استخدام قليل من الأحجار في الأدوار السفلى للتدعيم واستخدام ملاط قوى ناتج من مكونات متوفرة في البيئة ذاتها، وقد استطاع المعمار ببراعه مطلقة تكوين أشكال مختلفة من أنواع العقود المدببه والمستديرة ذات وظيفة معمارية وزخرفيه في الوقت نفسه، مع استخدام ميدات خشبيه بين مداميك البناء بقصد التقوية في بعض الأحيان، فضلا عن استخدام عناصر الزخرفة الجصية في تحلية الجدران من الخارج والداخل على حد سواء سواء أكانت هذه الزخارف متأثرة بطرز سامراء الثلاثة أم كانت بأسلوب الألوان المائية (الفرسكو)، وهو الأمر الذى عثر من خلاله على بعض الزخارف المائية في المنازل الطولونية المتاخمة لمدينة الفسطاط حاليا، حيث يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ببعض منها، وبإيجاز فإن المعمار والمزخرف جمعا بين التصميم والزخرفة في المنزل الاسلامي القديم في آن واحد.

على أى حال فإن نماذج التصميم التطبيقى للعمارة الاسلامية تبقى واضحة في معالم الدور السكنية بمدينة الفسطاط كأحد المدن الاسلامية المبكرة التى تركت تأثيرها المتواصل على العمارة السكنية بعناصرها المعمارية والزخرفية التطبيقية.

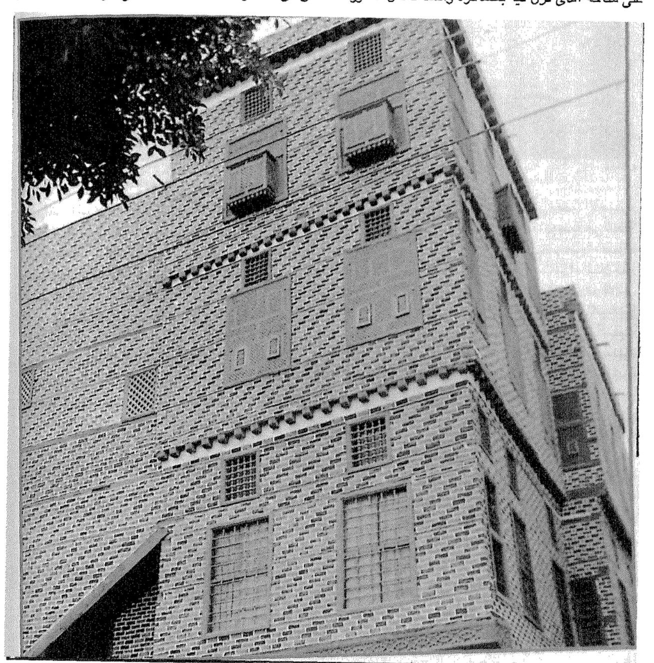
وإذا كانت مدينة الفسطاط بنماذجها الباقية تعد غاية في الأهمية حاليا لقدم تاريخها ، فإنه على الجانب الاخر تحظى مدينة القاهرة بنماذج باقية من فن العمارة الاسلامية طوال عصورها المتتابعة منذ تأسيس جوهر الصقلى لهذه المدينة في عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م حيث ظلت هي الحاضرة الرابعة لمصر خلال العصر الأيوبي فالمملوكي فالعثماني وحتى وقتنا الحاضر.

نماذج تطبيقة من مدينة القاهرة:

كان جوهر الصقلى قائد جيش الفاطميين عند دخوله مصر، موفقا فى اختيار موقع المدينة الجديدة ، التى سميت بالقاهرة ، على نفس الامتداد الشمالى الشرقى للمدن الثلاثة السابقة: القطائع فالعسكر فالفسطاط، فى مساحة فسيحة خالية(٩) قريبة من نهر النيل، إختطها جوهر لتكون الحاضرة الرابعه لمصر وقصرا جديدا للدولة الفاطمية بعد أن ساء ت أحوالها فى بلاد المغرب، لذلك كان الإختيار فى الموقع سهلا على جوهر الصقلى، حيث اختط فيه مدينته الجديده، فشرع فى رمى الأساس ، حيث كانت البداية بطبيعة الحال بعمل الأسوار، وفى ذلك يذكر المقريزى «فأدار السور اللبن على مناخه الذى نزل فيه بعساكره وأنشأ داخل السور جامعا وقصرا وأعدها معقلا يتحصن به وتنزل عساكره»(١٠).

نشطت حركة البناء والتعمير فى هذه المدينة الجديدة فأخذت الأسوار ترتفع والأزهر يسطع نوره والقصور تكتمل، ومن حول ذلك منشآت تبنى وبساتين تحيط، فى مساحة لا تتعدى حوالى الأربعمائة فدان، بغرض أن تكون مدينة خاصة للفاطميين، لا يسكنها إلا الخلفاء والوزراء ورجال الدواوين وحاشيتهم، وقد ظلت مدينة القاهرة منذ أن أنشأها جوهر الصقلى هى حاضرة مصر خلال العصور الاسلامية المتتابعة.

لقد حفلت مدينة القاهرة بنماذج تطبيقية كثيرة من فن العمارة، تمثلت هذه النماذج فى عمارة الأسوار



احدى واجهات متحف رشيد الوطني

والأبراج والمساجد والمشاهد والأضرحة وفى القصور، وهى تحمل بعناصرها المعمارية والزخرفية رياح التطور والتأثيرات المتبادلة الجديدة والممتزجه معا، بعد أن آخذ الفن الاسلامي ثباته واستقراره وتشكيله من خلال مرحلة سابقة من التطور، بحث يمكن القول بأن فترة العصر الفاطمي فى مصر تؤلف وحدة معمارية مستقلة فى الفن الاسلامى إذ امتزجت الأساليب الفنية والصناعية والزخرفية المحلية بأساليبها المتوارثة فى مصر مع التأثيرات الوافدة من شمال افريقيا والشام والعراق، بل أن الجذور القديمة لعناصر الزخارف الهيلنسية لم تغب فى أصول الزخارف فى العصر الفاطمى فى مصر، وإن كانت قد خفت وقل تأثيرها ، بل وأصبحت بعد ذلك ذات طابع إسلامي بحت.

والحق أن النماذج التطبيقية فى مدينة القاهرة خلال العصر الفاطمى كثيرة ويصعب جمعها فى هذا البحث الموجز، لذلك نشير بايجاز إلى مثال واحد تمثل فى عمارة بوابات القاهرة القديمة كنموذج لأعمال الدفاع عن مدينة القاهرة وتحصينها.

العمارة الحربية فى مدينة القاهرة :

لقد كانت مدينة القاهرة بتخطيطها هى المدينة الأولى ضمن عواصم مصر السابقة التى حظيت منذ بداية تأسيسها بعناية فائقة فى توافر الأمن والحماية، وهذا ما فعله جوهر الصقلى عند تخطيط المدينة فى حفر أساس الأسوار، ثم رفعها وتزويدها بالأبراج والبوابات التى تسمح بالدخول إليها والخروج منها، ولعل هذا الدافع كان مرده متاخمة عواصم ثلاث سابقه على القاهرة كانت حدودها قد وصلت إلى القرب من المدينة الجديدة ، فضلا من الهدف الأساسى من إنشاء المدينة الجديدة ، فى كونها مدينة رسمية وليست لعامة الناس، لذلك فقد كانت أسوار جوهر ترسم مستطيلا غير منتظم الأضلاع طوله حوالي ألف ومائة متر من الشرق إلى الغرب والف ومائتى متر من الشمال إلى الجنوب(١١)، تتخللها ثمانى بوابات فى الجهات الأصلية الأربعة فى الشمال باب الفتوح وباب النصر وفى الجنوب أبواب زويلة والفرج وفى الشرق باب البرقية وباب القراطين وفى الغرب باب القنطرة وباب سعادة، واستخدمت مادة الطوب اللبن للبناء من قوالب كبيرة الحجم، وبنيت جدران الأسوار سميكة، يزيد سمكها عن المترين(١٢).

ظلت أسوار القاهرة التى بناها جوهر الصقلى باقية إلا أن عوامل الزمن أصابتها مما دفع بالوزير بدر الجمالى أن يجددها، إلا انه اضاف تعديلا عليها بعد توسعته لمدينة القاهرة شمالا وجنوبا . وقد بنى الأسوار الجديدة من الحجر المنحوت، بدلا من الطوب اللبن إعتبارا من عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م وظلت العمارة متصلة بها حتى فرغ من عمارة باب زويلة فى الجنوب عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م.

وقد بقى من عمارة الأسوار والأبراج التى ترجع إلى أعمال القائد بدر الجمالى بابا النصر والفتوح فى شمال القاهرة وباب زويلة فى جنوب القاهرة، إضافة الى الممر المدعم بأبراج ، الذى يصل بين بابى الفتوح والنصر وأجزاء أخرى قليلة، كما ظلت عمارة الأسوار التى بناها جوهر من الطوب اللبن قائمة وإن تهدمت حتى القرن التاسع الهجرى/ ١٥م حين رآها المقريزى وذكرها فى خططه(١٣).

تميزت أبراج القاهرة القديمة بكثير من العناصر المعمارية الحربيه بل والزخرفيه أيضا، وحتي يمكن الإشارة الى نماذجها القديمة وعناصرها(١٤)، فإن الأمد يتطلب إعطاء وصف معمارى موجز عنها نظرا لما لها من أهمية.

في مجال عمارة المدن عامة والعمارة الحربية فى مصر فى العصر الفاطمى خاصة، فقد تجلى فيها دقة التصميم الهندسى ومتانة البناء وإحكامه، فهى أبواب ضخمة مشيدة من الحجر المصقول من أحجام كبيرة مدعمة بأعمدة حجرية تتخلل البناء مع استخدام مادة الآجر، خاصة فى تغطية الأجزاء المعمارية بها، إضافة الى الحرص على زخرفتها، مما يجعلها واحدة من اندر نماذج العمارة الحربية فى العالم كله، مما حدا ببعض العلماء بنسبة تصميمها الى مهندسين من خارج مصر(١٥).

طبيعة الفن الإسلامي تنفر من التجسيم

باب النصر :

تشكل كتلة بناء هذا الباب مساحة مستطيلة الشكل ٢٠ر٢٤م × ٦٣ر٢١م، ويعتمد فى تخطيطه على برجين كبيرين يبرزان خارج السور، تتوسطهما رحبة المدخل ، مسقطها مربع الشكل ٢٥ر٨م ويتحكم فى الدخول والخروج باب خشبى كبير مصفح من مصراعين. البرجان مصمتان الى ثلثيهما تقريبا ويشغل الثلث العلوي لكل برج حجرة دفاعية بها فتحات للسهام وتغطيها قبة ضحلة من الحجر، مناطق انتقالها من المثلثات الكروية، ويتم الوصول الى هذا الطابق من خلال سلم تلتف درجاته على عمود حجرى، مغطى

بقبو، ويصل بين الحجرتين الدفاعيتين ممر فوق كتلة المدخل بأرضيته فتحات غائره نافذة لصب المواد الكاوية إذا ما تمكن الأعداء من الوصول إلى البوابة.

يلاحظ وجود زخارف بارزة على هيئة درع حجرى يكتنفه ترسان يتناسقان مع زخرفة أعلى كوشتى عقد فتحة المدخل، ويتوسط كل كوشة جامة بارزة لشكل ترس، مزخرف بدوائر متداخلة يخترقه سيف، ويحصر واجهة المدخل من الخارج عقد كبير منفوخ داخل إطار زخرفى.

تبلغ سعة فتحة مدخل البوابة حوالى ٥م، ويعلوها عتب مزرر، هو المثل الأول من نوعه فى تجميع الصنج المعشقة فى العمارة الاسلامية فى مصر، وكذلك بالنسبة للعتب الآخر أعلاه ويعلوهما عقد عالق من نوع الصنجات المسلوبة، أعلاه نص تأسيسى بالخط الكوفى من ثلاثة سطور.

هذا ويزخرف كتلة المدخل ذاتها إطار بارز من الحجر، يستمر على واجهه البرجين من الخارج، مرتكزا على حليات معمارية من الحجر، كما يتقدم المدخل من أعلى وعلى جانبي البرج سقاطتان للدفاع، باستخدام المواد الكاوية. تؤدى فتحة مدخل البوابة الى دركات داخل المدينة، يغطيها قبو حجرى كبير ويغطى قبو شبه متقاطع الدخلة اليمنى والأخرى اليسرى، ويلاحظ وجود مشكولى بارز من الحجر فى الضلع الجنوبى الشرقى من هذه الدركات(١٦).

جانب من سور المدينة القديمة/ القيروان

باب الفتوح :

يختلف هذا الباب عن باب النصر في مسقط برجيه من الخارج إذ أنهما على شكل مستدير ويبلغ طول أطراف الواجهه حوالى ٢٣م ويشبه باب النصر فى الثلثين المصمتين وفى الحجرتين الدفاعيتين مع بعض الإختلافات البسيطة ويصلهما ممر أو دهليز جزء منه مغطى بقبو صغير على شكل نصف دائرة. يزين واجهة كل برج بارز من الخارج هيئة عقد نصف مستدير، يصل حتى قمة الطابق الثانى المصمت وكذلك على جانبيه ، أما داخل البرجين فيلاحظ وجود عقد فى كل ناحية ذو صنجة على شكل وسائد متماسة تظهر لأول مرة فى تاريخ العمارة الاسلامية فى مصر ويحدد هيئة العقد من أعلى إطار مفصص.

يشاهد على فتحة المدخل من الخارج، عتب ذو صنجات مزررة ، فوقه عقد نفيس ، يعلوه عقد عاتق صنجاته مسلوبه، ويحدد هيئة هذا التكوين المعمارى إطار حجرى بارز على شكل عقد مفصص، ويتوج الكتلة المعمارية كلها عقد نصف دائري، زخرف باطنه بأشكال هندسية ونباتية على هيئة معينات متماسه، تحصر بداخلها أشكال من النجوم الخماسية، وورود متعددة البتلات والأشكال المحاريه وأوراق اللوتس، ويعلو العقد الرئيسى السابق إفريز حجرى محمول علي ستة كوابيل حجرية كانت مزخرفة فى الأصل برؤوس الكباش، إضافة إلى كابولين فى الجانبين، يرتكزان على

كتف حجرى صغير بارز، ينتهى بحلية معمارية حجريه ، ويعلو هذا الافريز أيضا عقد موتور صنجاته مزررة، ترتكز عليه الفتحات الخمس النافذة والمعدة لإلقاء المواد الكاوية على المقتحمين، ويتوج كتلة هذا الباب مشرفات معقودة.

يغلق على فتحة مدخل البوابة، باب خشبي سميك من مصراعين، مصفح بالحديد، وتفضى فتحة المدخل إلى دركات مغطاة بقبة حجرية ضحلة مناطق إنتقالها من أشكال المثلثات الكروية، يكتنفها من الجانبين دخلتان عميقتان، يغطى كل منها قبو نصف دائرى، وتشرف على داخل المدينة بواسطة عقد كبير نصف دائرى.

يعلو كل برج حجرة دفاعية، الغربية منها مستطيلة الشكل ويغطيها قبو حجرى متقاطع، وبصدر هذه الحجرة ثلاث فتحات للسهام، أما الحجرة الشرقية فيغطيها أيضا قبو متقاطع وهى مماثلة للحجرة السابقة. هذا ويصل بين البرجين رحبه أو ممر، أعلى مساحة فتحة المدخل تقريبا، مكشوفة فى الناحية الجنوبية ومغطاة بقبو نصف دائرى فى الجزء الشمالى منها وتطل على خارج المدينة بوساطة خمس نوافذ معقودة نصف دائرية الشكل وبأرضيتها سقاطات صب المواد الكاوية.

باب زويلة :

أنجز بدر الجمالى هذه البوابة فى نهاية تجديده للأسوار عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٥م فى جنوب المدينة، وتشغل مساحة مربعة الشكل، وتتكون من برجين مسقطهما على شكل نصف دائرى، يشبه مسقط برجي باب الفتوح ويتوسط البرجين كتلة المدخل.

والواقع أن هذه البوابة تشبه إلى حد كبير فى كثير من تفاصيلها بوابة الفتوح، إلا أن تغييرات معمارية طرأت عليها نتيجة تعديل وإضافة من أعمال السلطان الملك المؤيد شيخ فى عام ٨١٩هـ/ ١٤١٧م، حتى فتح مجلسا (مقعدا) له فى أعلى الضلع الشمالى الغربى من دركاة الدخول وذلك لمشاهدة المواكب والقوافل خلال دخولها وخروجها من وإلى المدينة، إضافة إلى استغلاله إرتفاع البرجين فى بناء مئذنتيه الشهيرتين عليهما، مما ترتب عليه ضياع حجرتى الدفاع فى الثلث العلوى لكل برج.

أما الممر الهام الذى يصل بين باب النصر وباب الفتوح، فيتمثل فيه روعة البناء الحربى ودقة الإحكام سواء فى مساحته الكبيرة بين البرجين وطول إمتداده أو فى وسائل الاغطية باستخدام الأقبية المتنوعة أو فى فتحات السهام التى تؤمن هذا الممر فى الدفاع عن المدينة من الناحية الشمالية، أو فى تدرج المستويات بالنسبة للأرضيات بداخله ، أو في غير ذلك من الأغراض الدفاعية التى نجح فيها المعمار الى حد كبير.

والواقع أن نماذج العناصر التطبيقية التى نفذها المعمار فى عمارته لهذه البوابات بأبراجها الباقية كثيرة ومتنوعة، فضلا عما اندثر من الأبواب الأخرى التى كان بها على أغلب الظن عناصر اخرى ضاعت معالمها، وضاع معها الحديث عنها. ومن هذه العناصر استخدام الأشكال المربعه والمستديرة أو النصف الدائرية فى عمارة الأبراج واستخدام تنوع أكبر فى أشكال العقود نصف الدائرية، والعقود العاتقه والنفيسه والمزررة وظهور العقد ذي الوسائد واستخدام المقرنصات والمثلثات الكروية فى مناطق الإنتقال والعناصر الحربية الدفاعية والأعتاب المستقيمة والمزررة والأفاريز المحموله على كوابيل وبعضها على شكل رؤوس الكباش والشرافات وفتحات السهام وفتحات

الأطباق النجمية من الزخارف الرائعة التي اشتهر بها الفن الإسلامي

صب المواد الكاوية والأبواب المصفحة بالحديد وغير ذلك من العناصر المعمارية.

أما فى مجال العناصر الزخرفية فتبدو نماذج العناصر الزخرفية واضحة على هذه البوابات من زخارف على هيئة الدروع والتروس والسيوف، وهى عناصر توحى بطبيعة العمل الحربى الدفاعى لها، بجانب الزخارف الأخرى المعتاد استخدامها فى المنشآت الدينية والمدنية ذات الطابع الهندسى والنباتى كالأشكال النجميه الخماسية والثمانية وأشكال الورود والزهور والأوراق النباتية المتنوعة، فضلا عن الأشكال المحارية ذات الأصول الهيلنسية القديمة وأوراق اللوتس النباتية القديمة وغيرها من الزخارف المتنوعة ، التى حفرت بارزة وغائرة على هذه البوابات القديمة.

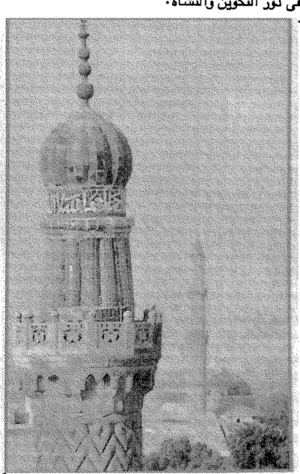
وقد كان لمثل هذه العناصر الزخرفية والأخرى المعمارية ، أثرها الهام فيما حدث بعد ذلك من تطور لها واضح على عمائر مدينة القاهرة القديمة، وكذلك فى مجال الفنون التطبيقية على مواد الفنون الزخرفية، خلال العصر نفسه وفى العصور المتتالية، بحيث يمكن القول بنشأة مدينة القاهرة، حدث تطور معمارى وزخرفى، ظهر أثرهما بعد ذلك على المنشآت الدينية

والمدنية والحربية فى تطور اكثر.

نماذج تطبيقية من العناصر الزخرفية القديمة :

إعتمد الفن الاسلامي فى نشأته الأولى على تأثيرات الفنون السابقه عليه، والواقع أن هذا الأمر لا يعيب الفن الاسلامى فى شيء ، فمن المعروف، أن كل الفنون العالمية تأثرت بما سبقها من عناصر فنية حتى إكتمل لها أسلوبها وطرازها الخاص والمميز متخلصة بذلك من تأثير العناصر القديمة، ثم بدأت تؤثر وتتأثر بالفنون المعاصرة لها واللاحقة عليها.

والحق أن الفن الاسلامي قد إتبع هذا المنهج ولم يخرج عنه فى بداية نشأته فقد اعتمد فى بداياته على عناصر الزخرفة القديمة فى الفنون السابقة عليه الساسانيه والبيزنطية المتأثرة بالأسلوب الهيلنستي الأقدم ، ساعد على ذلك تلك السياسه التى حدثت فى البلاد المفتوحة، وهى سياسة التسامح الدينى، حيث ترك لأهل الأمصار الاستمرار على ما كانوا عليه من صناعات وحرف دون أن يتدخلوا تدخلا ملحوظا فى منتجاتهم الفنية، فكانت الأساليب الفنية المحلية تتطور فى كل إقليم تطورا لا تفقد فيه كل صلتها بماضيها(١٦)، حتى بدأ الفن الاسلامي يشق طريقه فى دور التكوين والنشأة.



صورة لأحد المآذن القديمة في القاهرة

لقد تفاوت الاقتباس من العناصر الزخرفية القديمة من بلد لآخر وفقا لما كان سائدا فيها من طراز زخرفي.
وإذا كنا عادة نجرى فى دراستنا الزخرفية للعناصر المختلفة التى إقتبسها الفن الاسلامي من الفنون البيزنطية والساسانيه، بل وأصولها القديمة التى اعتمدت عليها، فإنه قد حان الوقت لدراسة جديدة نُضمنها للتأثيرات القديمة فى الفن الاسلامي، فى ضوء المكتشفات الحديثة فى الجزيرة العربية بشمالها وجنوبها التى أسفرت عن حقائق جديدة، نعتبر من أهمها فى هذا المجال وضوح طراز الحضارات السابقة على العصر الاسلامي فى مجال الزخارف على إختلاف تنوعها(١٨) ، ويزيد من هذا الأمر أهمية ذلك الإدراك الحضارى الذى صاحب المسلمين فى فتوحاتهم فى شرق وغرب العالم الاسلامي، فلم تكن حضارات شعوبها غريبة عليهم، كما يدعى بعض المستشرقين، أو لم يألفوها من قبل، وربما كان هذا الادراك الفنى الذى إستوعبوه سريعا هو السبب فى تركهم لصناعاتهم وحرفهم تسير على ما كانت عليه من قبل دون تدخل منهم وحتى يتفرغوا لنشر الإسلام فى بقاع الأرض.

لقد عاشت الجزيرة العربية فى معظم فترات تاريخها فى ظل حضارات متتابعة، شهد سكانها خلالها البناء والتعمير والكتابه والزخرفة والصناعات والحرف والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن ثم كان استيعابهم سريعا كما سبقت الإشارة وحتى إذا ما بدأت ملامح الفن الاسلامي الجديد فى التشكيل والبداية والنشأة، كان هناك أمر آخرصاحب طبيعة الفن الجديد من سمات خاصة تتطلبها العمائر الجديدة ومواد الفنون التطبيقية لتتوافق والغرض منها، متضمنه ملامح قديمة ظهرت بجانب الفنون الأخرى السابقة على الفن الاسلامي ، وهذا موضوع قد نعود إليه فى بحث آخر إذا شاء الله سبحانه وتعالى.

وإذا تتبعنا بعض العناصر الزخرفية القديمة التى انتقلت إلى الفن الاسلامي فى تطوره ، فسنجد أن هذه العناصر كثيرة ومتنوعة فى مجالات مختلفة، فمن المعروف أن العناصر الآدمية والحيوانية وأشكال الطير لم تنل فى الفن الإسلامي اهتماما كبيرا بسبب النفور منها، رغم وجود أمثلة لها فى القرن الأول والثانى للهجرى/٧، ٨م، إلا أن الإقبال عليها قد ساده التحوير والبعد عن التمثيل الواقعى وإهمال التفاصيل والنفور من التجسيم، وهو أمر يتمشى مع طبيعة الفن الاسلامي فى نشأته الأولى.

أما الزخارف النباتية والهندسية فقد أقبل عليها الفنان فى العصر الاسلامي بكثرة، بجانب إقباله الشديد على استخدام الخط العربى كعنصر جديد

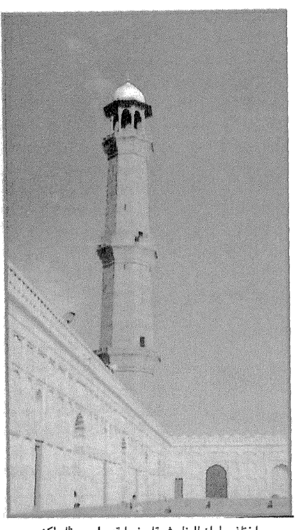
تماما فى مجال الزخارف فأبدع فيه وأجاد.

عناصر الزخارف النباتية :

أقبل الفنان فى العصر الاسلامى على استخدام الزخارف النباتية بشكل واضح وفريد من نوعه بين الفنون كلها، ولعل هذا الاقبال مرده إلى طبيعة نشأة الفن فى بدايته متأثرا بخصائصه الأولى فى النفور من استخدام عناصر الزخارف الحيوانية وأشكال الطير تمشيا مع طبيعة الاسلام فى البعد عن صناعة التماثيل وأشكال الصور، وفى وقت يتمشى مع تحريم عملها بعدا عن عبادة الأوثان والتأثر بمظاهرها، فقد جاء الاسلام ليحرم التماثيل وأشباهها ويدعو لعبادة الواحد الخالق سبحانه وتعالى، ومن ثم فقد انعكس هذا الأمر مباشرة على المنتجات الفنية للفن الاسلامي ، حيث بدأ الإقبال السريع على استخدام عناصر الزخارف النباتيه المتمثله فى الأوراق النباتيه وفروعها وأشكال الورود المتنوعة التى تخيلها الفنان أو نقلها من العناصر القديمة حتى ظهر طراز سامراء الجديد فى الربع الأول من القرن الثالث الهجرى ليعلن عن طراز جديد، اتسمت فيه العناصر الزخرفية النباتية بالتحوير الشديد عن الطبيعة.

لقد كان من الطبيعى أن يتأثر الفنان فى بداية الأمر بالتأثيرات الفنية القديمة الساسانية والهيلنسية التى استخدمت العناصر النباتية مثل الفروع النباتية وأوراق العنب وأوراق الأكانتس والمراوح النخيلية وأنصافها وكيزان الصنوبر وأشكال الورود وبعض ثمار الفواكه وسعف النخيل واستخدام الوحدات النباتية المركبة من أكثر من عنصر زخرفى نباتى واحد، وأن يستخدم أيضا مثل هذه الوحدات النباتية الزخرفية متأثرا بنماذجها التطبيقية القديمة فى قربها من الطبيعة، واحتفاظها بكثير من التفاصيل الدقيقة حتى التعرقات النخيلية الدقيقة جدا بداخلها ، وهو الأمر الذى يظهر على كثير من منتجات الطراز الأموى فى مجال الفنون الزخرفية التطبيقية على مواد الخشب والحجر والرخام والخزف والمعادن والنسيج وغيرها ، فقد جرى استخدام العناصر السابقة بكثرة وتحتفظ متاحف العالم بأمثلة واضحة من هذا التأثير.

على أن التأثر بعناصر الزخارف النباتية يبدو واضحا فى القرن الأول الهجرى فى زخارف قبة الصخرة بالقدس الشريف، التى بناها عبد الملك بن مروان عام ٧٢هـ وجلب لها الصناع والفنانين من أنحاء العالم، وحقا فقد أنجزوا فى زخارفها جمعا متباينا من الوحدات المختلفة ذات التأثيرات القديمة ، جمع الفنان فيه بين الأوراق والثمار والأشجار جمعا متباينا بين الواقعية وبداية التحوير عن الطبيعة فى الطراز الأموى الجديد.



اختلف طراز البناء شرقا وغربا قديما وحديثا ولكن المآذن بقيت سجلا للمعمار الراقي الجميل والمتميز

إن المتأمل فى الزخارف النباتية فى قبة الصخرة فى مدينة القدس ليجد الاوراق النباتية من أوراق العنب وأوراق الأكانتس وأوراق أزهار اللوتس وأوراق سعف النخيل ونبات القصب وغيرها فى اشكال منظمة وبعضها متماثل إلى حد كبير، فضلا عن النخيل والأشجار بفروعها وثمارها، فمن عناقيد للعنب وعراجين البلح وثمار الفواكه. ومثل هذه العناصر النباتيه وثمارها المتنوعة من جذور قديمة فى الفنون القديمة، وانما استطاع الفنان أن يستخلص منها أشكالا جديدة تتمشى وبداية نشأة الفن الاسلامي، ولا سيما فى استخدامها فى تزيين وزخرفة مبنى اسلامي جديد، فاصبح لها فيه طابعها المميز الجديد، وقد أضفى من جمالها وزاد فى روعتها ، بل وفى صعوبة تنفيذها أيضا، استخدام الفنان لها على الفسيفساء، وتجميعها بجانب بعضها بشكل دقيق وبألوان مختلفة، وقد حقق الفنان فى ذلك فى بداية الطراز الأموى

تنفيذه فى هذا الأثر علامة واضحة فى أصل نشأة الفن الاسلامي لجمعه عناصر متباينه من وحدات الزخارف النباتية داخل مبنى واحد، مستخدما فى ذلك النماذج التطبيقية القديمةبذكاء وقدرة وبأسلوب جديد أفصح من بداية نشأة الزخارف النباتية الجديدة فى الفن الاسلامي ، **فهو إذا كان قد اقتبسها من اصولها القديمة إلا أنه نفذها بحرية وابتكار جديدين، وهو الأمر الذى استخدمه أيضا فى تنفيذ زخارف الفيسفساء فى الجامع الأموى بدمشق، ولكن على قدر أكبر من الحرية فى تنفيذ عناصر الزخارف النباتية، وخاصة فى استخدام الأشجار الكبيرة.**

لقد تبع طراز الزخارف النباتية وتطوره فى الفن الاسلامي مرحلة زمنية دامت لأكثر من قرنين من الزمان، وهى تسير متأثرة بمثيلاتها من الوحدات والعناصر النباتية فى الفنون السابقة، وحتى ظهرت مراحل هذا التطور فى النماذج المعروفة بطرز سامراء الثلاثة حيث يظهر فى طرازها الأول تلك الصلة المباشرة مع نماذج العناصر النباتية القديمة ذات الجذور الهيلنسية فى القرب من الطبيعة واستخدام التجسيم، وظهور التعرق النخيلى والعيون بين الفصوص، وفى الطراز الثانى بدأ يطرأ على العناصر النباتية التحوير الواضح، فظهرت الوحدات الزخرفية الكبيره التي تميل الى التسطيح مبتعدة عن التجسيم. وفى الطراز الثالث أصبح التحوير هو الصفه الغالبة على عناصر الزخارف النباتية فضلا عن بعدها عن المؤثرات القديمة الساسانية والبيزنطية واحتوائها على الأسلوب المشطوف فى الحفر، وقد ترتب عل ظهور هذا الطراز الثالث استخدام القوالب في الزخارف الجصية(١٩).

على أننا نعتقد أن التطور الذى حدث بظهور طرز سامراء فى مدينة سامراء العراقية فى فترة وجيزة من الزمن، قد سبقه تطور لم تكشف بعد حلقاته، ومهما يكن من أمر فإن الطراز الأخير من طرز سامراء ، زاد انتشارا فى بلاد العالم الاسلامى وأصبح هو نواة التطور فى الزخرفة النباتية فى كل بلد على حدة، وقد تطور بعد ذلك الى ما عرف بزخارف التوريق التى تطورت بدورها إلى الزخرفة المحورةالمعروفة بالأرابيسك(٢٠) حيث الفروع النباتية والجذوع المنثنيه والأوراق الملتفه، بل والثمار المتخفية التى يصعب تحديد أصولها الأولى ، وقد أصبح هذا الطراز (الأرابيسك) من أهم خصائص الزخرفة الاسلامية التى تركت تأثيرها عل الزخرفة فى الفنون الغربية.

إن التخلص من جميع العناصر الزخرفية القديمة فى الفن الاسلامي ، لم يكن من الأمور السهله، والدليل على ذلك استمرار التأثر بالجذور القديمة الى فترة طويلة من الزمن وصلت ربما الى القرن العاشر الهجرى/ ١٦م على أقل تقدير، ويستطيع المدقق فى عناصر الزخرفة وأنواعها التحقق من ذلك بسهولة ويسر.

على أى حال فإن عناصر الزخارف النباتية هى اكثر العناصر الدالة على الفن الاسلامى وبها يسهل تمييز القطع الأثرية الاسلامية من غيرها، وقد غطت الزخرفة النباتية، العمائر الاسلامية على اختلاف تنوع منشآتها، وكذلك التحف الاسلامية لمواد الفنون الزخرفية بل أن استخدام الزخارف النباتية كان من أهم العناصر الزخرفية على مواد بعينها كالنسيج والسجاد وغيره فى دلالة واضحة على أهمية العناصر النباتية فى الفن الاسلامي.

الفنان في العصر الإسلامي حقق في ميدان الزخارف الهندسية عملاً زخرفيا كبيراً حلى به منشآته

الزخارف الهندسية :

عرفت الزخارف الهندسية فى كل الفنون العالمية خاصة بأشكالها البسيطة كالخطوط المستقيمة والمنحنية والأفقية والرأسية وأشكال المثلثات والمربعات وأنصاف الدوائر والدوائر والمصنفات وغير ذلك من هذه الأشكال البسيطة، وهو الأمر الذى عرف أيضا فى بداية العصر الاسلامي ، ولعل واجهة قصر المشتى(٢١) تعد من أحسن أمثلة الواجهات فى العمائر الاسلامية التى يتضح فيها التقسيم الهندسى القائم على المثلثات المقلوبة والمعدوله بالتبادل حيث تضم بداخلها عناصر زخرفية آدمية وحيوانية وأشكال من الطير فضلا عن الزخارف النباتية.

أقبل الفنان فى العصر الاسلامى على اقتباس العناصر الهندسية فى زخارف منذ بداية العصر الاسلامي ونجح فى ذلك نجاحا كبيرا ، لا سيما عل مواد الفنون الزخرفية مستغلا فى ذلك بساطة هذا النوع من الزخارف فاستخدم أشكال الأهلة والأشكال النجمية وهو ما يظهر بكثرة فى زخارف قبة الصخرة بالقدس الشريف، كما يلاحظ استخدام التقسيمات

الهندسية فى رسوم أشكال العمائر فى مصورة نهر بردى بالجامع الأموى بدمشق.

لقد كان الإقتباس من عناصر الزخارف الهندسية واضحا وهو ما ينسجم مع طبيعة الفن الاسلامي واتجاهه فى النفور من الزخارف الآدمية والحيوانية وأشكال الطير، فقد وجد فى مجال الزخارف الهندسية ميدانا جديدا بجانب الزخارف النباتية، وهو الأمر الذى أسفر عن ظهور زخارف الأطباق النجمية التى اشتهر بها الفن الاسلامي عامة، التى ترجع بداياتها الى أواخر القرن السادس الهجرى، ليصبح استخدامها من عناصر الزخرفة الهندسية بشكل لافت للنظر على العمائر ومواد الفنون التطبيقية كالأخشاب والمعادن والرخام وفى جلود الكتب وبعض صفحات المخطوطات وغير ذلك.

ولعل ظهور الأطباق النجمية فى مجال الزخارف الهندسية فى الفن الاسلامي، كان من أهم العوامل المميزة لهذا الفن، والتى تركت تأثيرها على الفنون الغربية ، إذ جرى إقتباس هذا العنصر الزخرفى بكثرة.

بدأت المحاولات الأولى للطبق النجمى فى نهاية العصر الفاطمى، على محراب السيدة رقية المحفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة، من خلال حشوات كبيرة مجمعه الى حد ما، ثم بدأت مساحة هذه الحشوات، تصغر تدريجيا، حتى وصلت الى قطع صغيرة للغاية، كان يتم تجميعها وفق أسلوب صناعى وفنى، وصاحب هذا الأسلوب الصناعى ما عرف باسلوب التطعيم على مادة الخشب، حيث توضع قطع صغيرة من مواد قيمة، أقيم من مادة الخشب المراد تطعيمها بجانب بعضها بلصقها مباشرة على سطح الخشب، كما فى الفسيفساء الزجاجية أو الخزفية، وأحيانا ما تلصق تلك القطع وترتب ترتيبا هندسيا وزخرفيا وتملأ الفراغات بينها بمعجون ملون، وفى أحيان أخرى تحفر أمكنة فى الخشب حسب الشكل الزخرفى المطلوب، وتنزل فيه قطع من المواد السابقة مشكلة حسب الأشكال الزخرفية وتترك فى أمكنتها فتملأها تماما(٢٢).

هذا وقد ازدهر هذا الأسلوب الصناعى خلال العصر المملوكى، وأصبح من أهم مميزات صناعة وزخرفة المنابر الخشبية التى جرى تطعيمها فى المنشآت الدينية فى هذا العصر، بحيث يمكن القول بأن نماذج استخدام الأطباق النجمية كان ابتكارا فنيا فى العصر الاسلامي.

وخلاصة القول: بأن الفنان فى العصر الاسلامي قد حقق فى ميدان الزخارف الهندسية عملا زخرفيا كبيرا حلى به منشآته المختلفه واستخدمه فى النماذج التطبيقية لمواد الفنون الاسلامية الزخرفية، وفاق فى هذا المجال كل ما هو معروف من ضروب الزخارف الهندسية فى الفنون العالمية الأخرى.

الكتابات :

تعد الكتابات الأثرية فى مقدمة النماذج التطبيقية التى نفذها الفنان على العمائر فى كل بلاد العالم الاسلامي سواء أكانت هذه الكتابات لها أهميتها الانشائية أم الزخرفية ، فالخط العربى كان من أهم عناصر الفن الاسلامي عامة مثلما كانت له تلك الأهمية الخاصة عند نشأة الحضاره الاسلامية.

والحق أن الخط العربى وحده ليعتبر هو العنصر الزخرفى الوحيد المستقل الذى إنفرد به الفن الاسلامي دون الفنون الأخرى كتابة وزخرفة، وقد إحتل الخط العربى مكانة متميزة على المنشآت الاسلامية من الداخل والخارج على حد سواء، بجانب استخدامه بطبيعة الحال فى المخطوطات وعلى مواد الفنون الاسلامية . وإذا كان الخط الكوفى بنماذجه العديده المختلفه كان من أهم أنواع الأقلام العربية التى جرى استخدامها على الآثار ، فإنما ذلك يرجع إلى تلك المميزات الخاصة التى اكسبت هذا الخط خصائص لم توجد فى أنواع الخطوط العربية ولعل من أهمها إلحاق زخارف التوريق بحروفه وبأرضياته، فتارة يكتب به على العمائر على أرضيات مورقه الزخارف وتارة أخرى تنتهى هامات حروفه بالزخارف المورقه وتارة ثالثة تتشابك حروفه وتتضافر وتتعقد ويصعب القراءة فيها وتارة أخرى، تأخذ أشكال الحروف الأشكال الهندسية المربعه والمستطيلة والدائرية وغير ذلك، مما أعطى حقيقة لهذا الخط ميزات لم توجد فى أنواع الخطوط العربية الأخرى أو غيرها من خطوط العالم الاخرى .

وعن اقدم الكتابات الأثرية على العمائر الاسلامية فى العصر الأموى، تبقى كتابات قبة الصخرة بالقدس

بدأت المحاولات الأولى للطبق النجمي في نهاية العصر الفاطمي على محراب السيدة رقية

الشريف بالخط الكوفي البسيط من أهم كتابات هذا العصر، خاصة وأنها كتبت بأسلوب الفسيفساء، ثم زاد استخدام الكتابات الكوفيه على العمائر الاسلامية، خلال العصر العباسي وفي عصور الدويلات المستقلة في كل بلاد العالم الاسلامي، وقد أصبح هذا الخط وكأنه جزء لا يتجزأ من واجهات المنشآت أو في داخل المنشآت الدينية، وقد ظل هذا الخط مستخدما بصفة أساسية على العمائر حتى القرن السادس الهجرى/ ١٢م حيث بدأ خط النسخ وخط الثلث في الانتشار وإن استخدمه الأتابكة قبل القرن السادس الهجرى على العمائر.

والحق أن لكل خط من الخطوط العربية جماليته وروعته ، بل وصعوبة قراءته فالخط الكوفي وكذلك كل من خطي النسخ والثلث لهما قواعدهما الخاصة في الكتابة ولحروفهما معيار خاص وقلم خاص وأسلوب خاص، وأيضا لكل خطاط قواعده ومعياره وقلمه الذى

تعد الكتابات الأثرية في مقدمة النماذج التطبيقية التي نفذها الفنان على العمائر الإسلامية

يتميز به عن غيره، ومن هنا جاءت الكتابات الأثرية على الآثار على جانب كبير من التنوع والاختلاف وإن جمعتها جميعا تلك الجودة التى تميز بها الخطاطون في العصر الاسلامي.

ظل الخط العربى يحظى طوال العصور الاسلامية بالمرتبة الأولى بين العناصر الفنية الأخرى وأصبح يتبع ذلك أهمية خاصة للخطاطين عن غيرهم من سائر الفنانين في البلاد الاسلامية حيث ارتقت مكانتهم وزادت أهميتهم وكان منهم الكثير ممن يجيدون كتابة المصحف الشريف فعلت أقدارهم وزاد تقربهم من السلاطين والخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة، وأصبح للخطاطين من يكتبون تراجم حياتهم وصار لكثير منهم أعمال عديدة باقية إلى اليوم في المتاحف والمكتبات وفي المجموعات الخاصة.

وخلال العصر العثماني زادت أهمية الخط وابتكر من الخط العربي أنواع جديدة انتشرت في بلاد العالم الاسلامي، حيث تجاوز الخطاط العثماني مرحلة التقليد الى مرحلة التحسين ومنها إلى مرحلة الابتكار ومن ذلك الخط المعروف بالخط الغباري المصغر عن خط النسخ والخط المثني أو الكتابة المنعكسة وفيه تكتب العبارة مرتين، بحيث يمكن قراءتها من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين ، وهو يمزج بين حروفها ، بحيث يخرج من هذا المزج شكلا زخرفيا جميلا(٢٣).

وبعد فإن النماذج التطبيقية للفن المعماري القديم كثيرة ومتنوعة ومنها ما يتصل بطبيعة الإنشاء سواء في المدينة ذاتها أو في منشآتها المتفردة أو في عناصر الزخرفة ، وحقا فإن كل النماذج الاسلامية تشهد للمعمار وللفنان في العصر الاسلامي بالجودة والإبتكار وبالأصالة والاتقان ، لذلك فقد بقيت حتى الآن رغم مرور مئات السنين عليها، وإن لم يتعد بعضها الألف لتشهد بأن العطاء الصادق يدوم ويبقى على مرالزمن.

الهوامش

(١) تقوم حاليا بالنشر العلمي لهذه المكتشفات، تحت إشراف عالم الآثار الاسلامية الاستاذ عبد الرحمن عبد التواب والتي تمت في مواسم للحفر عديدة.

(٢) يذكر المقريزى قوله عن موقع هذه المدينة: «إعلم أن موضع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع، فيما بين النيل والجبل الشرقي الذى يعرف بالجبل المقطم، ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة» المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. طبعة المركز الاسلامي للطباعة والنشر، مصر، جـ١، ص٢٨٦.

(٣) وضع عمرو بن العاص أساس مسجده الجامع عام ٢١هـ، ووقف على إقامة قبلته ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان صغيرا في مساحته بطبيعة الحال ثم أضيفت إليه إضافات كثيرة خلال العصور الاسلامية المتعاقبة وجدد هذا الجامع مؤخرا باشراف هيئة الآثار المصرية. أنظر: مصطفى شيحه: الآثار الاسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي ، القاهرة ١٩٩٢، ص٦٩ - ص٧٧.

(٤) أنظر عن هذا الموضوع: د. سعاد ماهر: مجرى مياه فم الخليج، المجلة التاريخية الأثرية، المجلد السابع ١٩٨٠حسن الهوارى: الفسطاط: ص١٢، كازانوفا: وصف قلعة القاهرة، ترجمة د. احمد دراج، القاهرة ١٩٧٤م، المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ٢، ص٢٢٨ - ٢٣٠، كريزول: وصف قلعة الجبل، ترجمة د. جمال محرز، القاهرة ١٩٧٤، د. عبد الرحمن زكى: قلعه صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة، القاهرة ١٩٦٠، وعبد الرحمن زكى ايضا، قلعة مصر، القاهرة ١٩٥٠م، ابن إياس: بدائع الزهور، في وقائع الدهور، جـ٤ ، ص١١٠.

(٥) د. علي بهجت، ألبير جبرييل: حفريات الفسطاط، ترجمة علي بهجت ومحمود عكوش، القاهرة ١٩٢٨ د. عباس حلمي: تطور المسكن المصري الاسلامي من الفتح العربي الى الفتح العثماني، القاهرة.

(٦) عثرت في فسقية أحد منازل الفسطاط خلال أعمال الحفر الأثري على قواديس كبيرة في عمق كل ضلع من أضلاع مثمن الفسقية على عظام وبتحليلها، ثبت أنها عظام أسماك كانت تربى في فسقية المياه وقد أعدت هذه القواديس لراحتها.

(٧) انظر: د. فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الاسلامية، عصر الولاة، الهيئة المصريةالعامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠، ص ٤٢٧، ص٤٣١ .

(٨) تحتفظ مدينة رشيد بعدد كبير من المنازل الأثرية التي يرجع جميعها الى العصر العثماني، ويسبق هذه المنازل في تاريخها عدة منازل أثرية من عصر المماليك الجراكسه كمنزل زينب خاتون قبل عام ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م ومنزل الغوري ٩٠٩هـ - ٩١٠هـ/ ١٥٠٤ - ١٥٠٥م، فضلا عن بقاء بعض المنازل العثمانية الأخرى بمدينة القاهرة كمنزل آمنة بنت سالم ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م ومنزل الكريدليه ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م، ومنزل جمال الدين الذهبي ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م ومنزل السحيمي ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م ، ومنزل ابراهيم السناري ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م.

انظر: صالح لمعي: التراث المعماري الاسلامي في مصر، بيروت ١٩٧٥م، ص٨٢ - ٨٣.

(٩) يذكر المؤرخ تقي الدين المقريزي عن وضع هذه المساحة الجديدة قوله:«فنزل جوهر حيث القاهرة الآن وأناخ هناك.. وكانت حينئذ هناك رملة فيما بين مصر وعين شمس، يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط إلى عين شمس ... ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أماكن هي بستان الإخشيد (الكافوري) ودير للنصارى يعرف بدير العظام .. وقصر يعرف بقصر الشوك تنزله بنو عذرة في الجاهلية.

المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١ ، ص ٣٥٩.

(١٠) المقريزي : المصدر السابق، جـ١ ، ص ٣٦١.

(١١) د./ احمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ، مصر، جـ١ ، ص٢١.

(١٢) إزدحمت مدينة القاهرة بعد تأسيسها بالأحياء والأخطاط، إضافة الى أحياء أخرى خارج أسوارها.

(١٣) المقريزي : المواعظ والاعتبار، جـ١ ص ٣٥٩.

(١٤) عرف إحاطة المدن القديمة بالأسوار والأبراج الدفاعية وتزويد الأسوار بدعائم ساندة منذ أقدم العصور.

(١٥) Creswell: K, A,C: The Muslim Architecture of Egypt, Ikhshids and Fatimids, Oxford, pp. 23_32.

(١٦) الوصف المعماري للأبراج مقتبس من: مصطفى شيحه، الآثار الاسلامية، ص٩٧ - ص١٠٠.

(١٧) د. زكي محمد حسن: فنون الاسلام، الطبعة الاولى، ص٧.

(١٨) د. عبد الرحمن الطيب الانصاري : الموسم الرابع لحفريات قرية (الفاو)، (تقرير مختصر)، ضمن الكتاب الثاني: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص١١ - ص١٥.

(١٩) د. فريد شافعي: زخارف وطرز سامراء ، مجلة كلية الاداب، جامعة القاهرة، المجلد ١٣، جـ٢ ، ص٢ - ص٥.

(٢٠) د. زكي حسن: فنون الاسلام ، ص٢٥٠ ، ديمانه: الفنون الاسلامية ، ترجمة احمد عيسى،

«الخط العربي» حظي طوال العصور الإسلامية بالمرتبة الأولى بين العناصر الفنية

أرنست كونل: الفن الاسلامي، ترجمة احمد موسى، بيروت.

(٢١) يقع هذا القصر على بعد عشرين ميلا جنوب شرقي عمان وينسب الى الخليفة الأموي الوليد الثاني وهو عبارة عن قصر صحراوي غير تام البناء، وقد نقلت اهم الأجزاء من الزخارف المحفورة في الحجر الجيري في الواجهة الجنوبية الى برلين، مهداه من السلطان عبد الحميد الى القيصر غليوم الثاني، وقد وضعت في متحف القيصر فردريك ببرليه منذ عام ١٩٠٣م.

انظر: د. كمال الدين سامح: العمارة في صدر الاسلام، القاهرة ١٩٨٢، ص٤٣.

(٢٢) أنظر: د. محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الاسلامي في العصر الايوبي ، العدد ٨٠/ المكتبة الثقافية ، ص٢٧ - ص٢٨، د. فريد شافعي: الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد رقم ١٤، جـ٢ ، ص١٠٦.

(٢٣) د. محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني، القاهرة ١٩٧٤، ص١٧٩ - ص١٨٠.

الخصائص العمرانية والإدارية لمدن الأندلس الإسلامية

كان يحكم اسبانيا حين فتحها العرب القوط الغربيون، الذين كانوا قبل دخولهم الأندلس من القبائل المتوحشة التى اكتسحت ممالك الامبراطورية الرومانية، ومنها اسبانيا. وقد أقام الرومان قبلهم حضارة راقية فى اسبانيا، لكن إدارتهم للبلاد تفسخت حتى إن القوط دخلوها بدون عناء، وفتحت لهم المدن أبوابها عن طواعية، كان للقوط باسبانيا أكثر من مائتي عام حينما وصل العرب فى أوائل القرن الثامن الميلادى إلى شواطئ المحيط الأطلنطى بأفريقيا. وكان المجتمع الأسبانى عندئذ يرزح تحت نير الظلم الاجتماعى والفساد الدينى وتفسخ الادارة السياسية، فقد انقسم المجتمع إلى أربع طبقات: النبلاء والأغنياء من ملاك الأراضى والضياع وطبقة العبيد والاحلاس الذين يكدون فى الزراعة وحملت الطبقة المتوسطة من سكان المدن الأحرار عبء الانفاق على الدولة بتأدية الضرائب المجحفه. وكانت الكنيسة بقساوستها طبقة أخرى تتمتع بالثراء العريض والاقطاعيات الواسعة، ولقد غضت بصرها عن فساد المجتمع والظلم الاجتماعى، وكرست جهودها على الطقوس، واصدار صكوك الغفران، فى حين مارست العسف على الاتباع والمخالفين، ولم تلق بالاً إلى إزالة الظلم الإجتماعى، أما الاقلية اليهودية فقد عانت من صنوف الاضطهاد الدينى ألوانا، ومن التمييز العنصرى صورا مختلفة، لذلك كانوا عونا للعرب عند فتح الأندلس.

وقد وفر الحكم الإسلامى الجديد بالأندلس المقومات التشريعية والاجتماعية لقيام حضارة مزدهرة ، فقد رفع الحيف الاجتماعى، وأشاع التسامح الدينى ، والغى

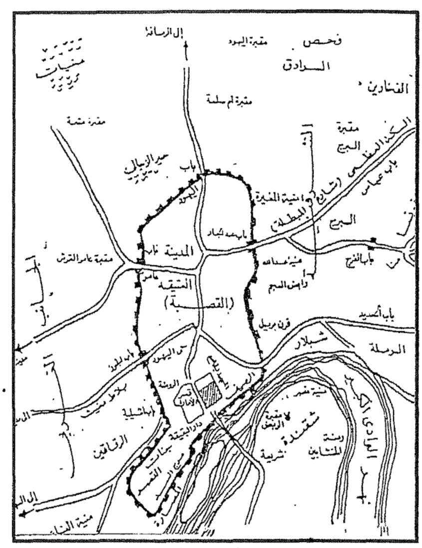
بقلم الدكتور:

محمد عبدالله الحماد

مدير عام المعهد العربي لانماء المدن - الرياض

الضرائب التى كانت تكبل الطبقة الوسطى من سكان المدن، فازدهرت فيها الحركة التجارية، وتنامى سكانها، وتجددت مرافقها بعد إهمال، فقد أعيد - مثلا - بعد الفتح مباشرة بناء قنطرة مدينة قرطبة وجزء من أسوارها بعد أن ظلت مهملة فى عهد القوط. وتوفرت فى المجتمع الجديد ظروف سهلت الاختلاط بين العرب وسكان الاندلس الاصليين، من خلال التزاوج طبقا للشريعة الاسلامية فنشأت عبر القرون التالية طبقة من الأندلسيين المسلمين، فى حين ظل العرب والبربر يتوافدون على الاندلس من المشرق والمغرب العربي.

وقد وجد المسلمون حين دخلوا الاندلس مدنا عريقة مثل قرطبة وطليطلة واشبيلية وغيرها، ولم يتعرضوا لها بالتخريب خلال الفتح. وإن كانت فى دور الاضمحلال والركود فعملوا على الإفادة من معطياتها العمرانية واقتضى منهم ادخال بعض التعديلات على أضيق نطاق ، ومن ذلك اقامة المسجد الجامع وسط المدينة، ودار الامارة والاسواق، وتركوا بقية العمران ليتم



مخطط مدينة قرطبة

تحويره أو الاضافة اليه بمرور الزمن، مع انتشار الاسلام ومفاهيمه بين سكان الاندلس الاصليين، ولقد توسعت جميع الحواضر الاندلسية القديمة منذ الفتح وخلال القرون التالية، واكتسبت تدريجيا طابعا مميزا وسمتا جديدا ذا صلة بالمفاهيم الاسلامية لتنظيم المجتمع الاسلامي وإدارته، وبمظاهر الحياة العربية، مع امتزاج لما افرزه التلاقح العربي الاسباني، وأملته ظروف البيئة الطبيعية للاندلس ، ولم يُعْنَ العرب بالاندلس بإقامة مدن جديدة شاع صيتها أو نافست المدن الاسبانية القديمة، كعناية عرب المشرق الفاتحين. فلم تظهر مثلا مدن اندلسية جديدة بمنزلة بغداد أو القاهرة أو البصرة أو الكوفة. ومع ذلك فإن الاندلس الاسلامية أنشأت مدنا جديدة متصلة بالقديمة، كمدينتي الزهراء والزاهرة في قرطبة، أو مدنا منفردة في مواقع جديدة أو على انقاض مدن قديمة مثل المرية.

الحكم الإسلامي بالأندلس عمل من خلال المقومات التشريعية والاجتماعية لقيام حضارة مزدهرة

تخطيط المدينة وعمرانها:

(١) الشكل العام.

أ) قرطبة :

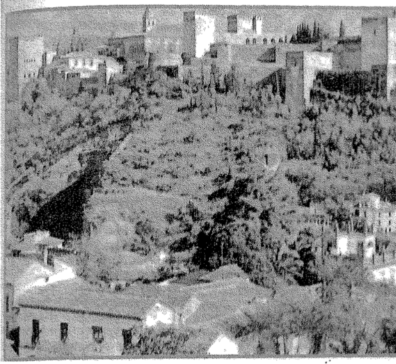
كانت قرطبة تمتد على سهل فسيح بين سفح جبل العروس من جبال «سيرامورنيا» والوادي الكبير الذي جرى فيه نهر وأقيمت عليه قنطرة ، وقرطبة مدينة ضاربة في القدم يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد، مرت بفترات - بين المد والجزر - من الأهمية، نافستها فيها اشبيليه وطليطلة. وحين فتحها المسلمون عام ٩٤هـ (٧١٢م) لم تكن في أحسن احوالها، ولكن المسلمين اتخذوها داراً للإمارة، فنمت وتطورت فإذا هي أيام عبد الرحمن الداخل وخلفه إحدى ثلاث مدن شهيرة في العالم مع القسطنطينيه وبغداد، وربما اعتبرت بمصطلح اليوم «عاصمة أوروبا».

من حيث الشكل العام كانت مدينة قرطبة تنقسم الى قسمين: المدينة القديمة (القصبه) و(الارباض) أما الأولى فهي المدينة التي تأسست في القدم ، وفيها اتخذ المسلمون دار الامارة، وشيدوا جامع قرطبة العظيم على جزء من الكنيسة، وأقاموا الاسواق والقيسارية، والحمامات وكانت لذلك مركز الحياة السياسية والاقتصادية والتجارية. أما «الارباض» فكانت احياء سكنية وترويحية، وقد بلغ عددها واحدا وعشرين ربضا. وكانت «المدينة القديمة» محاطة بسور منذ العصر الروماني، وتعرض بعض اجزائه للتهدم فأعيد بناؤه عام ٧٦٦م من اللبن، وكذلك اعيد بناء القنطرة التي تعلو الوادي بطول ٢٢٣ مترا وتصل المدينة بضفتي الوادي. أما الارباض فلم

يكن يحيطها سور في الاصل الا بعد أن شاعت الفتنة فأقيمت الاسوار حولها وشقت الخنادق. ولذلك قال بعض الرحالة إن قرطبة تكونت من خمس مدن وكان لسور قرطبه سبعة ابواب احدها يفتح على القنطرة وبعضها على الطرق الرئيسية للمدينة. أما شبكة الطرق فقد تكونت من طريق رئيسي عرف بـ «المحجه العظمى» يمتد من باب القنطره فيمر بدار الامارة والجامع ثم يسير إلى باب آخر، وكان يرتبط بهذا الطريق الرئيسي طريقان وربما ثلاثة طرق رئيسيه تتفرع عنها جميعا شبكة من الدروب الضيقة والازقة التي تدخل في نسيج الاحياء ولكن لا تنفذ منها غالبا، فلا يستطيع أحد الدخول أو الخروج منها إلا من منفذ واحد، مما وفر سهولة لحفظ الأمن. وكانت طرق وازقة المدن الاندلسية تضاء ليلا، حيث وضعت الفوانيس في اماكن محددة وعندما أطلت الفتن برأسها وكثرت حُفَرَ لقرطبة خندق حولها من ثلاث جهات، أما الجهة الرابعة فكان النهر لها بمثابة خندق طبيعي، وأما الارباض فكان كل منها قائماً بذاته من حيث توفر المساجد والاسواق والحمامات وغيرها من المرافق.

(ب) غرناطة :

أما غرناطه فقد كانت عند فتح الأندلس مدينة صغيرة لا أهمية لها وتابعة لولاية البيرة التي كانت



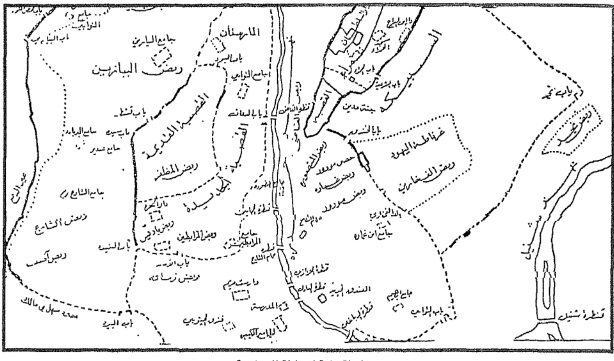
جانب من الأسلوب المعماري في قرطبة

عاصمتها مدينة البيرة على مسافة قريبة من غرناطة، وظلت مدينة البيرة عاصمة الولاية في ظل الدولة الأموية انهارت اواخر القرن الرابع حين عاث البربر في النواحي وتعرضت البيرة للتخريب حتى حلت غرناطة محلها، واتخذت الولاية اسمها. تقع مدينة غرناطة في واد عميق يمتد المنحدر الشمالي الغربي منها لجبال سيرانفادا، تعلوها الغابات من الشرق والجنوب ويحدها نهر شنيل من الجنوب متفرعا عن الوادي الكبير. ويخترق المدينة فرع لهذا النهر يسمى حدَّره أو هدَّره EL - DARRO ثم يلتقي مع النهر عند جنوبي المدينة وتشرف مدينة غرناطة من الجنوب الغربي على سهل مرج La Vege وافر الخصب.

(مخطط مدينة غرناطه)

ومن حيث الشكل العام تشبه غرناطة قرطبة من حيث أن مجرى مائيا يمر من خلالهما ويقسمهما إلى قسمين، على أن لمدينة غرناطة حوالي سبع قناطر توصل بين قسمي المدينة، وقد كانت مدينة غرناطة مسورة بأكثر من سور، ولها العديد من الابواب والقلاع العالية، فقد عاشت في زمن غير مستقر، عرضة لغزو الممالك المسيحية، سيما الملكين الكاثوليكيين في اواخر أيامها. بل نجد أن بعض الارباض مسورة داخل المدينة مثل غرناطة اليهود وربض الفخارين، أو نجد تسويرا منيعا لمجموعة الارباض داخل المدينة المسورة. ويلاحظ أن للمدينة قصبتين قديمة، وجديدة، الثانية امتداد للأولى ، ولكل منهما سور.

شهدت مدينة غرناطة على يد المسلمين تغيراً كبيراً .. حيث كانت قبل الفتح مدينة صغيرة لا أهمية لها



خارطة عامة لغرناطة الإسلامية

ولا غرو في ذلك فقد شهدت غرناطة توسعا على مدى مائتين وخمسين عاما قبل سقوط مملكة غرناطة، اذ لاذ بها المسلمون من مختلف المدن الاندلسية التي سقطت بايدي الأسبان المسيحيين حتى قدر عدد سكانها بزهاء خمسمائة الف نسمة

(٢) وسط المدينة :

كان وسط المدينة الاسلامية في الاندلس يتكون من الجامع والاسواق والحمامات والفنادق ودار الإمارة ثم يليها بعض الدور السكنية، وإن كان غالبية السكان يقيمون بعيدا عن وسط المدينة الذي طالما عج بمختلف النشاطات منها الإدارية، والدينية والتعليمية، والتجارية.

[أ] الجامع :

كان للجامع في المدن الاسلامية الاندلسية عدة وظائف أهمها بطبيعة الحال الجانب الديني، ففيه تقام الصلوات المفروضة وصلاة الجمعة فضلا عن اقامة الاحتفالات الدينية الأخرى. أما صلاة العيدين والاستسقاء فقد كانتا تقامان في

جامع قرطبة يعد من أعظم المآثر المعمارية في القرون الوسطى

«المصلى» خارج المدينة المسورة كما كان الحال في قرطبة واشبيليه والمرية وغيرها. كما كان الجامع مركزاً تعليمياً يتلقى فيه الطلاب علوم الدين واللغة العربية، وفيه ايضا كان يعقد الخليفة أو الأمير الوية الجيش للأعمال الحربية، ويقوم القاضي بالقضاء بين الناس.

وجامع قرطبة يعد من أعظم المآثر المعمارية في القرون الوسطى، وقد شيد على مراحل تعاقب عليها ثمانية من الأمراء والخلفاء، إذ بدأ بناؤه عام ١٦٩هـ (٧٨٥م)، ثم وسع مع ازدياد سكان قرطبة مرات عديدة كان آخرها عام ٣٧٧هـ (٩٨٧م) من قبل المنصور بن ابي عامر ولا حاجة إلى تكرار وصف تخطيطه، وعظمة بنائه، وروعة زخارفه، فقد قال فيه شارلكان بعد هدم جزء منه وإقامة كنيسة مكانه إثر سقوط قرطبة عام ١٢٣٦م «لو كنت قد علمت بما وصل إليه ذلك لما كنت قد سمحت بأن يمس البناء القديم، لأن ما بنيتموه موجود في كل مكان، وماهدمتموه فريد في العالم أجمع».

وكان الجامع يتزود بالماء للوضوء وغيره بواسطة مواسير من الرصاص تمتد على مسافة بعيدة من الجبل إلى الجامع علاوة على أن الكثير من الحمامات كانت تقوم قريبة منه.

وفي مدينة اشبيلية اقيم عند الفتح جامع روبينه، وكان جزءا من كنيسة سانتاروفينا، ثم شيد الجامع الكبير المعروف بمسجد ابن عبدس عام ٢١٤هـ/ ٨٣٠م لأن عمر بن عبدس قاضي اشبيليه هو الذي بناه بأمر الأمير عبد الرحمن بن الحكم قريبا من قصر الإمارة، واشتهر

قامت الأسواق حول جامع قرطبة من دورين.. في الأسفل المحلات التجارية وفي الطابق الثاني فنادق لاقامة التجار

بحسن هندسته وروعة عمارته، ولكن ازدياد عدد سكان اشبيلية اقتضى دولة الموحدين بناء جامع آخر فى عام ٥٦٧هـ اشتهرت منارته المعروفة بالخيرالدا فى انحاء الأندلس واوروبا، وبعد سقوط الاندلس حول الى كنيسة عام ١٠٤٢م وهى الكاتدرائية العظيمة التى لا تزال إلى اليوم.

[ب] الأسواق :

فى قرطبة قامت غالبية الأسواق حول جامع قرطبة من دورين فقط فى اسفلها المحلات التجارية، وفى الطابق الثاني خانات أو فنادق لإقامة المسافرين والتجار الوافدين إلى المدينة، أو تستخدم كمخازن وكانت تنتظم على دروب ضيقه تفتح إلى الطريق الرئيسى (المحجة العظمى) أو الساحة القائمة حول الجامع ودار الإمارة، أما القيسارية فقد كانت عبارة عن دكاكين متقابلة بينها شارع أو فناء مغطى قد يكون به حوض ماء أو حوض مشجر، وكانت تختص بأنواع السلع الثمينه أو الفاخرة، وقد نظمت الأسواق بحيث يجتمع أهل المهنة الواحدة فى مكان معين ويشغلون شارعا مخصصا. ولما كان الجامع قريبا من السوق فقد منع بيع السلع أو المصنوعات ذات الروائح قريبا منه. كبيع الفجل وغيره وقسمت السوق إلى مناطق منها ما يختص ببيع اللحوم، والأسماك، والفواكه والخضار والبذور، والحبوب وما إلى ذلك وقد امتلأت الأسواق بالمتسوقين من أجناس وفئات متنوعة منهم العرب، والبربر والمستعربين واليهود والنصارى، والرجال والنساء، إلا أن لغتهم كانت العربية مخلوطة باللغة اللاتينية الدارجة، وكان التسوق وعمليات البيع والشراء محكومة بضوابط وآداب يراقب المحتسب (صاحب السوق) الالتزام بها. وقد قيل إن عدد حوانيت قرطبة فى عهد ابن أبى عامر بلغ ٥٥٥ر٨٠ حانوتا، و٦٠٠ خان وفندق.

[ج] الحمامات :

كانت الحمامات من المرافق الحيوية فى المدن الأندلسية، وارتبطت بحياة الناس اليومية ولا أدل على ذلك من أن «محاكم التفتيش» التى أكرهت المسلمين على التنصر بعد سقوط الأندلس كلها كانت ترى أن فى تردد المرء على الحمامات ما يفصح عن نفس مسلمة. كانت الحمامات تتركز قرب الجوامع والفنادق وتوزعت فى بقية أنحاء المدينة والأرباض، واكتسبت من الأهمية حتى قيل إن حمامات قرطبة بلغت ٣٧١١ حماماً عند نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى. وقيل أيضا إنها بلغت ٧١١ حماماً أو ٦٠٠ حمام زمن

بلغ عدد الحمامات في قرطبة عند نهاية القرن الرابع الهجري حوالي ١١٧٣ حماماً

المنصور ابن أبى عامر. ومكان الحمام فى المدينة الاسلامية بالقرب من الجامع عادة ذو دلالة مهمة فى وظيفته الاساسية، الا وهى توفير مرفق مناسب للطهارة، فى حين أن الحمام الرومانى كان ايضا وسيلة اساسية للترفيه والتمتع واقامة العلاقات الاجتماعية، ولذلك اختلفت عمارة الحمامين والتفنن فيهما وكانت حمامات قرطبة عملية غير مترفة فى الغالب، ويتكون كل منها من ثلاث إلى اربع حجرات لغرض الاستحمام كلها مغطاة بأقباء، ومرحاض، ويتدرج كل بيت (حجرة) دفئا وحرارة، ففى «البيت البارد» يخلع المستحمون ثيابهم، ثم يدخلون «البيت الوسطانى» وهو دافئ ، ثم «البيت الساخن» وفيه قدر كبير من النحاس تخرج منه أنابيب حاملة الماء إلى أحواض مصنوعة من الرخام أو الحجر. وكان بالحمام خادم «حكاك» يعمل على حك جسم المستحم بقفاز من الشعر لإزالة الطبقة الخارجية العالقة بالبشرة. وقد خصصت بعض الحمامات للنساء. أو حددت أوقات مختلفة لهما. وقد اعتبرت الحمامات من المرافق العامة فقد كانت ملكا للدولة أو تابعة للمساجد أو الهيئات العامة.

(٣) الاسكان والسكان :

يلغ عدد السكان فى بعض المدن الأندلسية أرقاما لم تصل اليها المدن الاوروبية إلا بعد قرون. فقرطبة كانت تؤوى ثلاثمائة ألف نسمة.. وقد احصيت دور قرطبة وأرباضها أيام الحاجب المنصور بن

توفر المياه شرط جوهري لقيام المدن لذلك كانت المدن الأندلسية تقع على مورد ماء أو بمقربة منه

أبي عامر فبلغت مائة الف دار وثلاثة عشر الفا وسبعة وسبعين دارا وهي للعامة. اما خاصة القوم فكانت لهم ستون الفا وثلاثمائة دار في حين قدر سكان مدينةغرناطة في أواخر أيامها بنصف مليون نسمة، وذلك يعود إلى نمو المدينة من جهة ووصول أعداد غفيرة من المسلمين الأندلسيين إليها بعد سقوط المدن الأندلسية الأخرى تحت حكم النصارى. أما المرية فقد كانت متوسطة الحجم، وقدر عدد سكانها بسبعة وعشرين الف نسمة عام ٥٤٢هـ، وكان بها نحو ٤٦٠٤ دارا. وحتى تسلمها الملكان الكاثوليكيان عام ١٤٨٩م.لم يكن بها من السكان إلا العدد القليل، وقد ذكر الرحالة الالماني منتزر أن عدد دورها لم يزد عن ثمانمائه، بعد أن كانت خمسة آلاف دار في العصر الاسلامي.

أما من حيث بناء الدور العامة فقد كانت على طراز واحد بالاندلس خلال القرن الخامس الهجري فكان البيت يتكون من عدة حجرات وفناء. وبه بئر أحيانا، وربما أقيمت غرفة أو غرفتان علويتان من الداخل يوصل اليهما عن طريق درج مبنى من الطوب أو سلالم خشبية. أما مادة البناء الأساسية فكانت الآجر والقرميد التي كانت مصانعها خارج المدينة المسورة.

ظاهر المدينة (الضواحي) :

الارباض في المفهوم الأندلسي لا تقابل الضواحي بالمفهوم المعاصر، وإنما كانت الارباض أجزاء من المدينة، وإن كانت في أول الأمر بعيدة عن وسط المدينة. وربما ظلت لفترة منفصلة عن بعضها البعض. ففي المدن الكبرى مثل قرطبة وغرناطة امتدت الارباض حتى تلاصقت بعضها ببعض **حتى قيل أن الزاهرة في الجانب الشرقي من قرطبة اتصلت عمرانيا بالزهراء في الجانب الغربي المقابل مرورا بقلب المدينة حتى أنه «كان يمشي فيها بضوء السرج المتصلة عشر أميال ».**

استخدم ظاهر المدينة اي خارج اسوارها مقابر ومتنزهات وبناء المنيات ولأغراض صناعية، ومناطق زراعية. وقد انشئت المقابر على الطرق الرئيسية النافذة من أبواب السور. وكان لقرطبة ثلاث عشرة مقبرة في حين كان للمرية مقبرتان على أن بعض خاصة القوم كانوا يدفنون بروضات قصورهم. كما اخرجت بعض الصناعات من داخل المدينة إلى ظاهرها ومنها صناعة الآجر والطوب حيث تتوفر المواد الخام قريبة منها وربما وضعت بعض الصناعات (كدار الصناعة) في المرية على الجانب الداخلي بمحاذاة السور. ولا شك أن صناعات أخرى ينطوى اداؤها على الإضرار بالناس - كالتي تنتج روائح كريهة - كانت تقوم في ظاهر المدينة. وقد اولع الأندلسيون بالمتنزهات فقام ميسورو القوم بإنشاء الجنات و«المنيات» الخاصة، فكانت مع الأودية القريبة في قرطبة وغرناطة مرافق ترويحية وانتاج زراعي لسكان المدينتين.

موارد المياه والسقاية :

إن توفر المياه شرط جوهري لقيام المدن، وغزارتها من مقومات نمائها، لذلك كانت المدن الأندلسيه - سواء القديمة منها أو التي أحدثها الفاتحون المسلمون - تقع على مورد ماء أو بمقربة منه فمدينة قرطبة تقع على مجرى نهر الوادي الكبير، ومدينة غرناطة يخترقها نهر حدره وهو أحد فروع نهر شنيل الذي يمر بمحاذاتها. أما المرية فقد كانت تقع عل مصب نهر صغير لوادي بجانه. وفي مدينة قرطبة كان الماء يرفع من الوادي بواسطة النواعير التي اقيمت عل ضفتي الوادي وغزارة مياه الوادي قد أدت إلى ارتفاع منسوب المياه الجوفيه فأمكن لبعض الناس - سيما الموسرين - من حفر آبار سطحية في أفنية منازلهم أو قصورهم. وهناك ما يشير إلى أن قصور الخلافة في قرطبة كانت تحصل على الماء من الجبال عن طريق مواسير من الرصاص امتدت على مسافة بعيدة.. وهناك بطبيعة الحال السقاؤون الذين كانوا يجلبون الماء من الوادي في قِرَبٍ من الجلد ويبيعونه إلى الأهالي، ويعتقد أن مدينة غرناطة بعددها المأهول من السكان في أواخر أيامها قد اتبعت نفس الطرق في الحصول على الماء، خاصة إذا عرفنا غزارة نهريها. أما في مجريط (مدريد) فقد انشئت شبكة فذة لتوزيع المياه من خلال قنوات جوفيه تمتد تحت أرض المدينة. كانت تحفر الآبار في

المواقع التى يرتفع فيها منسوب المياه الجوفية ثم تربط الآبار فيما بينها بخنادق تبنى جوانبها بالطوب الأحمر عل ارتفاع قامة الإنسان، وفيها تمتد الأنابيب المصنوعة من الفخار التى يجرى فيها الماء بعوامل الجاذبية. وتوصل إلى الأحياء والمنازل وربما رفع الماء فى بعض الحالات بواسطة النواعير. أما فى المرية فقد اقيمت ساقية تجلب الماء من مصب وادى بجانه إلى المدينة. وقد لعب المحتسب دورا مهما فى الحفاظ على نظافة المياه، فقد منع النساء مثلا من غسل الثياب بجانب موارد مياه الشرب، ومنع القاء الأقذار بالقرب منها، وعين للسقائين أماكن محددة يأخذون منها الماء، إن كثرة الحمامات العامة فى المدن الأندلسية، وولع الأندلسيين بالحدائق والبرك التجميلية، من الدلالات الهامة لتوفر المياه فيها بكميات وافرة.

إدارة المدينة :

كانت إدارة المدن الاسلامية الأندلسية موكلة إلى الأمير نفسه فى القضايا الأساسية، وصاحب الشرطة فى ضبط الأمن وتوقيع العقوبات، والقاضى فى فض المنازعات والمحتسب فى تنظيم الأسواق والرقابة عليها، واستندت شريعة الحكم الاسلامى طبقا للمذهب المالكى، الذى يستدعى المقام هنا الالمام به سريعا. فقد اتخذه الخليفه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية مذهبا رسميا للأندلس فى عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م وجرى تطبيقه فى عموم الأندلس وترسخ خلال القرون التالية فى الأندلس كلها ومدنها بالرغم من وجود منافسة ضعيفة من المذاهب الأخرى، ذلك لأنه لقى مساندة مطلقة من الدول التى توالت على الأندلس، والمعروف أن القواعد الأساسية للمذهب المالكى هى:- « القرآن الكريم - السنه والحديث - عمل أهل المدينة المنورة - المصالح المرسلة » .. ورغم أن المذهب المالكى يعد أكثر محافظة وتطبعه الصرامة إلا أنه قد وافق الحياة الأندلسية الاسلامية وأثبت قدرة على التكييف مع الأوضاع المتغيرة، فقد استطاع مواجهة مشكلات جديدة لم تكن لها سوابق

كانت قرطبة تتميز بكثرة عدد قضاتها وعلو كعبهم في الفقه تلتها مدينة أشبيليه

فى المجتمع الأندلسي كتنوعه العرقى والدينى والثقافى.

وكان لمبدأ «المصالح المرسلة» أهمية عظيمة فى معالجة المشاكل المستجده، ويعنى المبدأ اعطاء المصالح العامة اسبقية عند سكوت المصادر الأساسية للتشريع الإسلامى ، ولا يطبق المبدأ إلا بعد اعتبار المصادر الأساسية، وينقسم المبدأ إلى عدة فروع منها الضرورة (أو الحاجة) والتحسينية، وسد الذرائع وغير ذلك، وكان لهذا المبدأ علاقة بالحياة اليومية، والشئون المالية للدولة والمشاكل الإدارية لموظفى الدولة، ويتعلق أيضا بالمؤسسات الاجتماعية كالأسرة.

كان كل قاض أندلسى فقيها مالكيا لأنه من شروط تولى القضاء التبحر فى الدراسات الفقهية، ولما كان التعليم مجانيا ومتوفرا لمن يملك الجهد فقد أتى القضاة من مختلف الطبقات الإجتماعية.. وكانت قرطبة تتميز بكثرة عدد قضاتها، وعلو كعبهم فى الفقه، تلتها مدينة اشبيليه، ويعين الحاكم القاضى بهدف اقامة العدل ضمن اختصاصاته الشرعية بتجرد وحياد، وأن يقضى بين المتخاصمين ، ويأخذ الحق للمظلومين والضعفاء الذين يلجأون إليه.

وكان لكل قاض بإشبيلية عشرة مساعدين، فضلا عن اعتماده على عدد من الفقهاء ويطلب مشورة الوزراء، وينسق مع صاحب المدينة والمحتسب. أما فى قرطبة فى القرن الخامس الميلادى فقد توزع القضاء بين عدة قضاة لكل منهم اختصاص معين، علاوة على التدرج من حيث أهمية الدعاوى ومراتب القضاة، ولا غرو فى ذلك فقد كان المجتمع القرطبى الحضرى تقوم نشاطاته على كثير من المعاملات التجارية والمالية والمدنية وغيرها، وكان هناك القاضى العادى ، وقاضى المظالم، وقاضى الرد، وهذا الآخر تفردت به الأندلس الأسبانية دون المشرق الاسلامى ويبدو أن وظيفته كانت قبول الطعون فى الأحكام التى يصدرها القضاة الآخرون ومن الجدير بالتنويه أن أهم القضايا فى مدينة قرطبة كانت منازعات عقارية.

وعلاوة على القضاة كان صاحب المدينة، وصاحب الشرطة، والمحتسب يمارسون ضبط المجتمع الحضرى الأندلسى ويهمنا عند دراسة المجتمع الحضرى وظيفة المحتسب وسنقف عندها قليلا .. الأصل فى الاحتساب دينى يقوم على «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ولكن المحتسب أصبح موظفا

رسميا مع تطور المجتمع الاسلامي وتحضره وتشعبت مسئولياته حتى تركزت في الاشراف على الاسواق ، ولذلك دُعي أيضا بصاحب السوق.

كان الأمير يعين المحتسب، ربما بعد استشارة القاضي وكان له اجره من بيت المال، ووظيفة المحتسب اجمالا تمتد إلى الصناع والتجار، واصحاب المهن وحماية الآداب العامة، واخلاء المساكن الآيلة إلى السقوط وكان من حقه أن يحكم بالسجن وتوقيع العقوبات وينظم المعاملات بين المتعاملين في السوق، ومراقبة الموازين والمكاييل، وتسعير بعض أو كل السلع، ومكافحة الغش. وقد تجمع عن وظائف وأعمال الحسبة تراث ضخم تناول تفاصيل كثيرة من مسئوليات المحتسب تجاه المجتمع في ضبط الأسواق والصناعات والاشراف عليها وسلطة المحتسب عموما تقع في منزلة بين القضاء والشرطة.

كان المسئول عن الأمن يعرف بالأندلس بلقب صاحب الشرطة أو صاحب المدينة أو صاحب الليل، غير أن مسئولياته انحصرت داخل المدن ، سيما الحواضر الكبرى، ورغم خمول ذكر صاحب الشرطة إلا أنه مارس سلطات واسعة في الحفاظ على الأمن والقضاء على الجريمة، وتطبيق احكام القاضي في المجرمين والمخالفين . وربما تجاوز في بعض الاحيان سلطات القضاة ، ويستخدم صاحب الشرطة العسس للطواف بالليل لاقرار الأمن في شوارع المدينة وأحيائها وكانوا يسمون في الأندلس بـ «الداربين».

الخاتمة :

فتح العرب الأندلس وكانت في طور الاضمحلال بسبب سوء الادارة الذي انعكس في تنظيم اجتماعي تربع على قمته الاقطاع والكنيسه، ورزح في قاعدته العبيد، وبين هاتين الطبقتين كانت الطبقة الوسطى من سكان المدن الذين وقع عليهم العبء المالي والضريبي لتوفير ايرادات الدولة، وكانت المدن الأسبانية حينئذ مكبلة بالقيود الضريبية والادارية مما أضفى عليها طابع الركود والتدهور، بعد أن كانت ذات حضارة زاهرة في العصر الروماني، وفترة من العهد القوطي الذي تلاه.

كان المسئول عن الأمن يعرف بلقب صاحب الشرطة أو صاحب المدينة أو صاحب الليل

لقد وفر الحكم لمدن الأندلس الاسلامية مقومات النماء والتطور بعد أن أزال عنها القيود الضريبية، وحرر تجارتها واقتصادها إلا ما كان من دفع جزيه ضئيلة على غير المسلمين، والخراج في المناطق الزراعية، كما ساعد ازدياد السكان بعد الفتح، ورفع الحيف عن عبيد الأرض على انعاش النشاط التجاري والاقتصادي.

ولم يدخل المسلمون عند حلولهم بالمدن الأسبانية تعديلات جوهرية في عمرانها، فيما عدا اقامة الجوامع ودور الأمارة وربما الأسواق في اوساطها، ولكنهم عنوا بتنظيم العمران الجديد مع توسع تلك المدن مستمدين من الشريعة وتراثهم المشرقي افكاراً في التنظيم الحضري، ولذلك لا تختلف مدن الأندلس الاسلامية عن المدن المشرقية إلا في التفاصيل، ومقتضيات البيئة المحلية لمجتمع اندلسي اكثر تعددا في أجناسه وثقافاته، واديانه.

وقد يصعب على المرء تقدير عبقرية التمدين في المدن الاسلامية والاحاطة بتفاصيله من حيث تنظيم العمران، وتوفير المرافق والادارة البلدية، والحياة العلمية والثقافية، واقامة الأمن لنشاطات اقتصادية وتجارية زاهرة.

يكفي أن نذكر أن عدد سكان قرطبة في أوج مجدها بلغ نحو ثلاثمائة الف نسمة. وإن عدد سكان غرناطة في أواخر أيامها قدر بخمسمائة الف، في حين كانت أكبر مدن أوروبية آنذاك لا تزيد عن ثلاثين الف نسمة.

إن هذا العدد السكاني الضخم لابد أن تكون مقومات بقائه، بل وازدهاره متوفرة، إن توفير مياه الشرب - مثلا لمثل هذا العدد، وفي ذلك التاريخ لابد أنه قد اعتمد على إدارة ممتازة، ولابد أنه قد كان من تلك المدن نشاطات اقتصادية وتجارية توفر فرص العمل لعدد كبير من الناس.

ثم أن هذا العدد في الأجناس والأديان، وقد تعايشوا جنبا إلى جنب لابد وأنه اقتضى وجود نظام متطور من التسامح، وآليات التقاضي، وكذلك الحياة الفكرية والأدبية والفنية، وما خلفته من مآثر تمتلىء بها كتب التاريخ لابد أن مقوماتها من التعليم قد شاعت لطالبيها.

وإذا تذكرنا أن هذه المراكز الحضرية دامت حوالي سبعة قرون لعرفنا بأننا ازاء حضارة رائعة، وإن غابت عن المؤرخين بعض تفاصيلها المهمة.

فنون المدجنين بأسبانيا في العمارة والزخرفة

بقلم الدكتور:
عثمان عثمان اسماعيل
- المغرب -

انصهرت بالاندلس قبل الاسلام بقايا عناصر فنية تستمد أصولها من الفن الاغريقي وفنون البيزنطيين والقوط، وامتزج ذلك كله في اطار التخلف الاجتماعي والمحن الاقتصادية والتقلبات الفكرية والسياسية التي عرفتها شبه الجزيرة الايبيرية(١) قبل بزوغ حضارة العرب وشمس الاسلام على الاراضي الاوروبية بالبلاد الاندلسية.

وكان الفن الاسلامي قد شهد مولده في مسجد الرسول في المدينة المنورة على عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ثم بدت أسسه ومميزاته في عصر الامويين بقبة الصخرة وقصور الامويين بالشام كقصر المشتى وقصير عمرا وغيرها، الى أن نضجت شخصيته وتحددت معالمه بازدهار حضارة الاسلام أيام العباسيين. وباتساع رقعة الدولة الاسلامية وصعوبة استمرار الحكم المركزي بدأت ظاهرة الانفصال وتعددت الإمارات والدول والممالك فازدهرت فنون الاسلام في العمارة والزخرفة بتأسيس العواصم والمراكز الحضارية في الاطار العام للفن الاسلامي الذي يميزها عن غيرها من الفنون العالمية الاخرى، وذلك رغم احتفاظ كل اقليم بصفات وعلامات محلية تميزه عن غيره من الطرز والمدارس الاسلامية الاخرى(٢).

وهكذا استقبلت شبه الجزيرة الإيبيرية منذ فجر الاسلام ٩٢هـ(٣) تأثيرات عربية إسلامية ابان عصر الولاة ثم عصر الخلافة الاموية بدمشق الى سنة ١٣٢هـ. لكن قيام الدولة العباسية كان إيذاناً بانتقال عبد الرحمن الداخل صقر قريش الى الاندلس(**ش١**)، ونجاحه في تأسيس إمارة (١٧٢هـ) حول مدينة قرطبة(**ش٢**)، أصبحت خلافة فيما بعد ومركزا لاشعاع معالم ونور الحضارة الاسلامية التي لم تعرف لها أوروبا نظيراً الى اليوم ولازالت اسبانيا تعيش على الضوء المستعار من شمس العرب.

وشاء القدر ان يعقب عصر الخلافة بالاندلس إمارات ودويلات يستقل بكل منها أمير كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد.. تتناحر وتتحارب، ويتحالف بعضها مع العدو ضد الأخ الشقيق، وتتوالى الصفعات على خدود ملوك الطوائف إلى تاريخ استنجادهم أخيراً بالمرابطين الذين قدمت جيوشهم الجهادية من المغرب الأقصى لنجدة الاسلام وإنقاذ المسلمين من عدوهم أولا، ثم من أنفسهم أخيراً، وذلك منذ تاريخ انتصار الزلاقة الذي حققه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالأندلس سنة ٤٧٩هـ(٤).

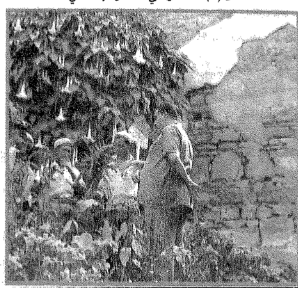
لقد تحددت معالم الفن الاسلامي بالاندلس منذ الفتح الى وصول المرابطين في إطار ما يسميه مؤرخو الفن (بالطراز الأندلسي) الذي صهر التأثيرات الاسلامية العربية مع التقاليد الاسبانية المحلية. لكن وصول المرابطين من المغرب الى الاندلس حمل معه تاثيرات فنية جديدة ميزت الفنون المغربية التي كانت قد استقطبت مميزات إفريقية ومصر والشام وما وراء ذلك شرقاً وصهرتها في بوتقتها المغربية المحلية بميراثها الوطني لاخراج روائع العمائر والفنون في الطراز



شكل (١) الأندلس في العصر الإسلامي



شكل (٢) قنطرة وادي نهر الوادي الكبير في قرطبة



شكل (٣) عمال الحفر في الموقع الذي اكتشفت به
قبور شهداء موقعة طريف بالأندلس



شكل (٤) القاعة التي استقبلت شهداء موقعة طريف
أثنـاء الحفر الأثري والتنقيب

الاسلامي المغربى المبكر الذى ساد المغرب الأقصى الى وقت يوسف بن تاشـفين المرابطى وضم الاندلس الى المغرب سياسياً وعسكرياً.

غير ان اتصـال المغرب والاندلس لم يبق اتصـالا عسكرياً وسياسياً فقط بقدر ما كان التحاماً وتكاملا حضـاريا وفنيـا أبدعت خـلاله كل من العدوتين المغرب والاندلس معـالم ومميزات معمـارية وفنية جديدة ذات صبغة مشتركة ساهم فيها فنانون من العدوتين طبعت الفنون الاسلامية على جانبى المضيق فى اطار مغربى اندلسى جديد يمتاز عن فنون كل من المغرب والاندلس قبل الوحدة المرابطية بينهما(٦).

هذا هـو الطـراز المغـــربى الاندلسـى الذى راج وانتـشــر فى العــدوتين طوال عــهـود المرابطين(٧) والموحدين(٨) . غير أن انهيار الامبراطورية الموحدية أعقبه انقسام المملكة فانفرط العقد الفريد فى الغرب الاسلامي الى وحدات سياسيـة أربعة ، ففى افريقية (تونس) بنو حـفص، وفى المغرب الاوسط بتلمسـان بنو زيان أو بنو عبد الواد ، وفى المغرب الاقصى بفاس بنو مـرين، وبقى بـالاندلس بنو الأحـمـر فى غـرناطة وهم الذين ضـعفـوا وسقطوا بسبب ضـعف دولة بنى مـرين وتوقـفـهـا عن الجـهـاد المقـدس بالاندلس بعـد وقـعـة طريف(٩) (Rio Salado)سنة ٧٤١هـ التى هزم فيـها جيش ابى الحسن المرينى وكانت خاتمة الجهاد المقدس فيما وراء المضيق. (ش ٣ ـ ٤ ـ ٥).

لقد كان سقوط مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين بالاندلس ومـراكزهـم المستقلة اعلانا باستكمـال الردة المسـيـحـيـة سنة ١٤٩٢ للمـيـلاد، **وهنا يتبلور دور المدجنين.**

من هم المدجنون :

يقول المرحوم الدكتور زكي محمد حسن في كتابه الجامع عن فنون الاسلام ان المدجنين هم المسلمون الذين عاشوا في المدن الاسبانية بعد أن استردها المسيحيون(١٠). ولا شك أنه تعريف عام لازال بحاجة الى تحديد وتفسير، فعندما وصف الاستاذ جورج مارسيه سنة ١٩٤٦م في كتابه «الفن الاسلامي» فن المدجنين (I,Art mudejar)قال ان الكلمة العربية المستمد منها ذلك الاصطلاح تعني المسلمين في اسبانيا تحت مظلة الحكم المسيحي(١١)، ثم بحث نفس المستشرق الفرنسي سنة ١٩٥٤م في كتابه الكبير عن العمارة الاسلامية الغربيه أصل الكلمة وقال ان الاسم (Mudejar) يبدو أنه يرتبط بالاصل العربي (دَجَنَ Dajana) التي تعني (ثَبَتَ وأَنَسَ ودَجَّنَ)

وأضاف جورج مارسيه ان المؤرخين العرب يتحدثون عن المدجنين (Ios mou-dajjan) أو جمهور القوم الداجن، ويفهم من (المدجن) انه المسلم الذي ظل بالارض المسيحية ، أو ذلك الذي قبل العبودية بالبقاء بين الكفار(١٢).

وقد طرح علماء متخصصون من الاسبان اصطلاحات تاريخية تسترعي النظر للمقارنة بمصطلح (المدجنين) فالاستاذ جوميث مورينو عقد فصلا بكتابه (الفن الاسلامي في اسبانيا)(١٣)، عن دورة عمائر (المستعربين)، وهي العمارة التي شيدها الشعب الاسباني الخاضع للعرب مع احتفاظه بدينه ونظمه بقدر الامكان، ومن ثم كان مزيجا من عناصر وتقاليد لاتينية قوطية وأخرى عربية يمتد تاريخها الى القرن الثاني عشر الميلادي الى ان انتزعت الفتوحات الافريقية ولا سيما فتح الموحدين من المجتمع العربي الاندلسي كل عنصر للعشرة مع المسيحيين واليهود.

اي ان وضع (المستعربين) وانتاجهم يذكر بوضع (المدجنين) وانتاجهم ، فكل من الفريقين حاول ان يستمر في الانتاج للفاتح الجديد بما لدى الفنان من تقاليد محلية وموروثة بالاضافة الى التجديد الذي يرضي ذوق الحاكم الجديد، مع ملاحظة ان المستعربين - في نظرنا - كانوا مرآة مجتمع إيبيري متخلف على عكس المدجنين الذين ورثوا قمة التراث الزاهر للحضارة العربية الأندلسية التي وضعت أسس النهضة الاوروبية.

وحجتي على هذا أستقيها من تصريح جوميث مورينو (فان تأثير الحضارة العربية الاسلامية انتقل من المنطقة التي ساد فيها سلطان الاسلام الى بقية اسبانيا المسيحية على يد المستعربين الهاربين من سلطان العرب أو لأن التفوق الثقافي للخلافة القرطبية أعان على انتشال مجتمع شمال شبه الجزيرة الإيبيرية من بؤسه الذي كان ينوء به ثم هو تفوق على ما كان يعرف حينئذ بأوروبا وقد كانت في القرن العاشر سائرة في ظلمات الهمجية)(١٥).

ويذكر الباحث المغربي الاستاذ محمد قشتيليو اصطلاح (المولدين) الذين كانوا يواصلون انتاجهم على الطريقة القوطية الى جانب (المدجنين) الذين كانوا يبنون على الطريقة الاسلامية وينقل عن الاستاذ باسيليو بافون ما أورده تحت عنوان (الفن الاسلامي المدجن) عند الكلام على كنائس المولدين انهم حافظوا على العوائد القوطية التي تطورت ببطء مع امتزاج التقاليد الرومانية القديمة والقوطية والاسلامية.

الطراز المعماري الأندلسي هجين بين البيئة المحلية والتأثيرات الإسلامية العربية

ونعود الى اصطلاح (المدجنين) وهم المهندسون البناؤون والفنانون المزخرفون الذين نفذوا أعمالا رسمية وأخرى شعبية دينية ومدنية وحربية للحكام المسيحيين باسلوب وخصائص الطراز الاسلامي (المغربي الاندلسي) وقد أبدعوا في هندستها الانشائية وبرعوا في زخرفتها المعمارية كلما دعاهم حكام النصارى الى تشييد معابد وقصور وحصون وأبراج وغيرها من المشاريع المعمارية فطبعوا ذلك كله بطابعهم الاسلامي، بل اكثر من ذلك، فان بعض المساجد التي تحولت بعد الردة المسيحية الى كنائس فانها ظلت تحتفظ بهندستها العربية وروحها الاسلامية ، وعلى الخصوص في منطقة الاندلس وعواصمها الحضارية وكذلك في طليطلة ونواحيها العمرانية.

عصر وموطن انتاج المدجنين :

باديءَ ذي بدء لا يمكن اعتبار عام ١٤٩٢م تاريخ سقوط غرناطة كتاريخ لنهاية حياة الفن الاسلامي باسبانيا(١٧)، فبينما ظهر فن مدجن شعبي أول في قشتالة عقب سقوط طليطلة سنة ١٠٨٥م/ ٤٧٨هـ بقليل ، فقد شهدت هذه المدينة القديمة تشييد مجموعة من الكنائس التي ظُنَّ أنها عربية (Moz

(arabes لوقت طويل، كما تبدو فى نفس الوقت كانها مبان شيدت بأيدى المسيحيين فى عصر السيادة الاسلامية.

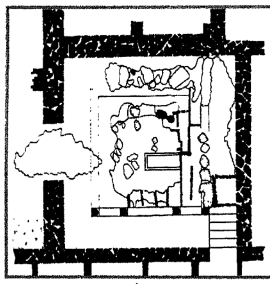
وبالنسبة لتحديد أفضل لعصر انتاج المدجنين ينبغى ألا ننسى أن إنتاجهم المعمارى والفنى تحت سيادة حكام من النصارى لم يبدأ فى وقت واحد، وقد سبقت الاشارة الى ان عام ١٤٩٢م تاريخ سقوط غرناطة لم يكن التاريخ الوحيد لاحلال السلطة النصرانية مكان السيادة الاسلامية(١٨)، اذ يمكن القول بوجود المدجنين منذ القرن الاول لمحاولات الردة المسيحية، أى منذ ما قبل سقوط غرناطة فقد كانت الجذور الاسلامية قد تأصلت فى شبه الجزيرة الايبيرية بحيث ظهرت العناصر الاسلامية بالكنائس الرومانية منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادى، **بمعنى ان فن المدجنين قد شغل حيزاً تاريخياً يمتد خلال القرون الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر للميلاد،** والمعلوم كما ذكر جورج مارسيه ان حكم المسيحيين عاد الى طليطلة سنة ١٠٨٥م والى سراقسطة ١١١٨م وقرطبة ١٢٣٦م واشبيلية سنة ١٢٤٨م ثم عاد الى غرناطة سنة ١٤٩٢م، وهو نفس ما أورده الألمانى أرنسنت كونل فى كتابه «الفن الاسلامى»(١٩).

واكثر من ذلك ان الفن الاسلامى لم يتوقف عند سقوط غرناطة معقل المسلمين الاخير (فالى جانب منجزاتهم الشعبية والاقليمية من تواريخ غير محددة غالباً ، فلهم أعمال أخرى أنجزوها عندما استقدمهم حكام من النصارى بعد تمام الردة المسيحية (عدداً من فنانى ومهندسى المدجنين لانجاز اعمال معمارية متنوعة)(٢٠).

ونحن لا نغالى اذا قلنا انه الى غاية القرن الثامن عشر الميلادى نجد أن الفن الاسبانى لازال يحمل علامات تؤكد استمرار تقاليد المدجنين كنوع من التراث القومى(٢١) ، لقد كان لابد للفن ان يستمر بعد سقوط غرناطة لعدة قرون تحت اسم فن المدجنين.

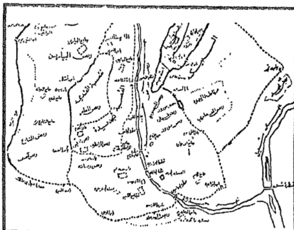
وقد ساد طوال تلك العصور فى شتى نواحى الاقاليم بشبه الجزيرة الايبيرية وخاصة فى الاندلس بمدنها الحضارية الكبرى مثل قرطبة واشبيلية وغرناطة كما كان متمركزا بصفة محورية رئيسية فى طليطلة ومنها اتجه شمالا الى اقاليم قشتالة، حيث ترك هناك أثارا فنية كثيرة.

وجاء بكتاب «الاثار الاندلسية الباقية» لمحمد عبد الله عنان(٢٢) (انه لازالت بكتدرائية سرقسطة وثائق عربية تلقى ضوءا على تاريخ المدجنين فى مملكة أراجون منذ القرن الثانى عشر للميلاد الى القرن الخامس عشر وهى ستة عشر وثيقة بيع وعقود ووديعة



شكل (٥) تخطيط مسقط رأسي لقاعة شهداء طريف

المعمار المغربي الأندلسي غطى الفترة الزمنية لحكم المرابطين والموحدين



شكل (٦) غرناطة الإسلامية

شكل (٧) تخطيط قصر الحمراء، موقعه ومرافقه

بين افراد من المدجنين والنصارى وفيها وثائق محررة من سنتى ١٤٨٤ و ١٤٩٦ ويؤيد جميعه وجود المدجنين محتفظين بدينهم بعد سقوط غرناطة)٠

فنون المدجنين وخصائصها :

اذا كان فن المدجنين ليس من السهل حصر عمره الزمني بتحديد دقيق إذ أنه ليس مقيداً بفترة زمنية محددة، إلا أنه على أية حال يمثل مرحلة مميزة فى تاريخ الفن الاسبانى من الطراز (المغربى الاندلسى) الذى يسميه المستشرقون (I,Art Hispano Mauresque) الى الطراز الذى ساد فى عصر النهضة(٢٣)٠

إن ظروف ميلاد وأعمال فن المدجنين ومنجزاتهم الكبيرة وزمان ومكان الانتاج وشخصيتهم الشعبية او العرقية ، ونسب العناصر الاسلامية والمسيحية فى أعمالهم قد مكن من تصنيف هذا الفن وتحديد معالمه وحصر خصائصه ومميزاته خاصة بعد حركة الانبعاث التى عرفتها تلك الدراسات على ايدى الرواد العرب مع الاخذ بعين الاعتبار جملة الدراسات التى نشرها د٠ مانويل، وجوميث مورينو، والاستاذ لامبير، وغيرهم امثال جورج مارسيه وليفى بروفنسال٠

وبالجملة فقد كان الفن المدجن - بوجه عام ومبدئيا - من انتاج الفنانين المسلمين الذين ظلوا بالارض المسيحية للعيش والانتاج تبعا لاساليبهم الفني (Tech-niques)وعلى ضوء تقاليدهم الخاصة (Traditions) ولكن تحت حكم الغالبين النصارى ووفق رغباتهم٠

فنون البلاط والفن الشعبى :

لقد كان لذلك الطراز مسرحان متميزان شأن جميع طرز الفنون الجميلة، الاول يعرف بفن البلاط (Art mudejar de cour) والثانى يمكن تسميته بالفن الشعبى او الاقليمى او القروى (Art pop-ulaire ou de provincal)

ذلك ان الفنون بوجه عام سواء منها فنون القول شعراً ونثراً ، وفنون الغناء موسيقى ولحناً وفنون التصوير رسماً ونحتاً ، وفنون العمارة هندسة ونقشاً ٠٠ فجميع ذلك يعرف الازدهار والرواج والتطور الناعم فى ظل الامارة وداخل القصور على ضوء المنح والاعطيات والهدايا والهبات التى تشحذ القرائح وتجلى العبقريات ٠ ولهذا فالراجح ان يعتبر الفن الرسمى بمثابة المصدر الاكبر لدراسة فن من الفنون فى عصر من العصور، اذ هو فضلا عن ذلك يكون من السهل تأريخه ومعرفة مصادر انتاجه ومبدعه والآمر بانتاجه والقصد منه، مما يجعله حقاً مرآة لعصره٠ بينما يظل الفن الشعبى ينتقل بالرواية دون تدوين أو تأريخ فيصعب الاعتماد عليه فى تحديد معالم الشخصية والمميزات الذاتية لعصر من العصور٠

الأندلس ستظل مدينة لعبقرية الفنان المسلم

ومن أجل ذلك نقصر بحثنا هنا على دراسة الفن المدجن الرسمى للبلاط ، اى الذى نفذه فنانون

مسلمون لامراء وحكام ونبلاء المسيحيين وشخصياتهم السامية واعيانهم المرموقة. ولهذا سوف نبحث عن اخبار ذلك الفن فى عواصم الامارات المسيحية التى كانت ايضا مراكز سيادة اسلامية عرفت رواج الفن الاسلامى المغربى الاندلسى الذى يعيش عدة قرون اخرى في كنف منجزات المدجنين، وهكذا تظهر اسماء من الاندلس كاشبيلية وغرناطة (ش٦) وقرطبة ثم بالشمال طليطلة ونواحيها واشعاعها القوى شمالا الى قشتالة وليون.

مميزات وخصائص الفن المدجن:

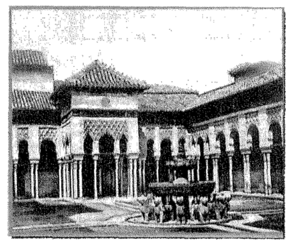
سوف نطرح مسبقا ما يمكن ايجازه من مميزات وخصائص فنون المدجنين التى تميزها عن غيرها من فنون الاسلام بالاندلس وبقية الفنون الإيبيرية السابقة لها واللاحقة عليها، ثم نتبع ذلك بالنماذج المتبقية فى الاثار المعمارية والمنجزات الفنية.

ولا شك ان طراز المدجنين يعتبر طرازاً قائماً بذاته ضمن سلسلة الطرز الاسلامية ببلاد الاندلس ، فبعد مولد الفن الاسلامى ايام الخلفاء الراشدين بمسجد الرسول الاعظم بالمدينة المنورة وتشكيل الشخصية الذاتية أيام الأمويين بقبة الصخرة وغيرها، بدأت فنون الاسلام بالاندلس (بعد فترة التبعية لحكم الولاة ثم الخلفاء الأمويين بدمشق والعباسيين ببغداد الى سنة ١٧٢هـ) بالطراز الاسلامى لعصر الخلافة الأموية بقرطبة الذى تبلورت شخصيته وغطى ارجاء شبه الجزيرة الايبيرية ثم تخطى حدودها الى قلب أوروبا ذاتها.

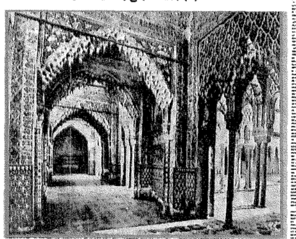
ويعد فن الخلافة تنتشر فنون ممالك الطوائف الى تاريخ ضم المرابطين للاندلس ووحدة العدوتين وانتشار الفن المغربى الاندلسى (I, Art Hiapano Mau-resque) وهو الطراز الذى ساهم فى انتاجه فنانون من المغرب والاندلس بما أبدعوا من معجزات وحيل هندسية وابتكروا من نظم وأساليب معمارية وفنية لم تفقده مسارح الفنون العالمية بمجرد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م.

ذلك ان فن المدجنين ولو أنه كان سابقاً على تاريخ سقوط غرناطة كما أسلفنا، بيد أنه كان الوريث الوحيد المؤهل لحمل الأمانة الحضارية بعبقرية وصمود كامتداد لابداعات الطراز الاسلامى المغربى الأندلسي فى ضوء التعديلات التى اقتضتها الظروف السياسية والدينية التى لم يكن هناك سبيل الى تجاهلها، وهذه التعديلات والمؤثرات الجديدة هى التى منحت فنون المدجنين صفتها المميزة لها عن سابقتها فى الطراز المغربى الاندلسى، كما ان الميراث الفنى الذى انطلق

ابداع المدجنين نقطة مضيئة على جبين الفردوس المفقود



شكل (٨) بهو السباع بقصر الحمراء



شكل (٩) قاعة العدل بقصر الحمراء

منه طراز المدجنين بتأثيراته ومقوماته الاسلامية جميعها ، مشرقية ومغربية، كان هو المميز لفن المدجنين عن بقية فنون شبه الجزيرة اللاحقة على فن المدجنين أو المعاصرة له.

مجمل الأصول التاريخية لفن المدجنين:

١ ـ يمكن اجمال ذلك في مصادر ومؤثرات الفن الاسلامي المشرقية من القاهرة ودمشق وبغداد عبر القيروان الى المغرب الاقصى حيث يتم انصهارها مع المؤثرات المغربية ـ المحلية والاسلامية ـ قبل انتقالها الى الاندلس.

٢ ـ حصيلة المؤثرات الإيبيرية القديمة يونانية ورومانية وقوطية التى انصهرت مع المؤثرات الاسلامية الاندلسية، ولهذا تختلط زخارف المدجنين وتندمج احيانا بالفن المعمارى البيزنطى الذى استمر حيا فى بعض الاقاليم الاسلامية الى عصر متأخر(٢٤)، وهو امر يلاحظه ارنست كونل فى (محاولة التوفيق بين الموضوعات الهندسية المعمارية المغربية والاشكال الزخرفية، ورسوم وتفرعات الكروم القوطية وأفاريز الكتابة العبرية)(٢٥).

٣ ـ نتاج التمازج والتكامل الحضارى، الثقافى والفكرى والفنى، فى العصر المغربى الاندلسى ايام المرابطين والموحدين وتأثيره الواضح بعناصر فنية محددة واساليب هندسية مميزة.

٤ ـ مقتضيات الظروف السياسية والدينية ورغبات الحكام الجدد بعد حرب الردة المسيحية، ومع هذا فان المبانى ذات الخصائص المختلطة الرومانية المغربية (Romano Mauresque) تظهر كما هو الحال فى قشتالة بعلامات اسلامية اكثر منها مسيحية.

٥ ـ وبصفة اجمالية فان المظهر العام للهندسة المعمارية والعناصر الفنية والموضوعات الزخرفية يظهر فى اطار طراز الحمراء **(ش ٧ ـ ٨ ـ ٩)** الممثل لقمة الطراز المغربى الاندلسى كنظيره بمدارس المغرب المرينية وعلاماته المعروفة لدى مؤرخى الفن **(ش ١٠ ـ ١١)** اعمدة رقيقة وتيجان دقيقة، وعقود رخوية ومقرنصات لا حصر لها، وزليج باسفل كسوة الجدران تعلوه زخارف الجص المخرم ثم الاسقف الخشبية منقوشة ومدهونة، والتغطية الشاملة للوحدات المعمارية وعناصرها بالزخرفة المنتشرة انتشار النغم الاندلسى بالموشحات العربية، مع دقة الزخارف وانتشارها بشبكات المعينات المتجاورة على الجص والخشب والحجارة، وتلوين الوحدات، وانتشار زخارف التوريق (الأرابسك) بكل مكان وعلى جميع الواد.

٦ ـ ومن حيث العناصر المعمارية والزخرفية يغلب على الفن المدجن بالكنائس كثرة استعمال العقود علي هيئة حدوة الفرس (Fer a cheval) والمعروفة عند المشتغلين بالآثار كابتكار اسلامى يحقق زيادة الاضاءة ونقص الاحمال واقتصاد الخامات(٢٦).

٧ ـ ان موضوع العقد المسنن الذى تعلوه تكعيبات المعينات قد نقل من (الجيرالدا) بصومعة المسجد الموحدى الجامع باشبيلية ، لكن تنفيذه فى كتل متراخية يؤكد انتهاج الاسلوب الغرناطى فى صنعه(٢٧).

٨ ـ الاطارات الصماء ، عندما توجد فانها تدل على احياء روح مساجد الموحدين**(ش١٢)**(٢٨).

٩ ـ كانت الاسقف الخشبية بتاثيراتها الاسلامية من انتاج المدجنين حيث كان الصناع المغاربة يعهد اليهم بانجازها الى ان تم ادماجهم فى العهد الجديد او طردوا نهائيا سنة ١٦١٠م(٢٩).

١٠ ـ تشييد وزخرفة أبراج الكنائس المسيحية بأساليب ومميزات طراز المدجنين من حيث البناء بالآجر وتفضيل العقود العربية وزخارف الجص الاسلامية(٣٠) ولازالت كنيسة (سان رومان) تمتاز بعقودها المتجاوزة (Out-repasse) ومثلها باب الشمس بطليطلة **(ش١٣)** وغيرهما.

١١ ـ استخدام الآجر بالواجهات المعمارية وابراج النواقيس خاصة فى طليطلة منذ ظهوره بواجهه مسجد باب المردوم (كنيسة كريستو دى لا لوز فيما بعد) **(ش١٤)**.

١٢ ـ الاعمدة الرقيقة المغلفة بالزليج ترتقى فوقها عقود حدوة (٣١) الفرس تجعلها اشبه ما تكون بطراز الحمراء ومدارس فاس المرينية من حيث الاعمدة، كما انها تشبه مساجد الموحدين من حيث العقود.

١٣ ـ النقوش العربية الكتابية (Epigraphiques) الكوفية المنحوته فى الجص والخشب وغيرها، بنوعيها الدعائية أو القرآنية والتأسيسية، وتقليدها بنقوش عبرية تظهر احيانا على غرار ما تراه فى المعبد اليهودى (Del Transito) فى طليطلة.

١٤ ـ واجهات بعض الكنائس صممت على غرار المساجد الاسلامية من حيث وضع الابواب وعقودها وزخارفها ونظام الفتحات والنوافذ ، وقد ذكر بافون فى كتابه « الفن الطليطلى الاسلامى المدجن) بان كنيسة (بار طولومى) تشبه بواجهتها صومعة حسان بالرباط(٣٢). **(ش١٥)**.

١٥ ـ خاصية البناء (بالتابية) وهى البتن غير المسلح(٣٣)، التى يعرفها الفرنسيون فى دراستهم للفن

المغربى باسم (pise) على الطريقة العربية المغربية الى عرفت تطوراً أيام الموحدين بزيادة نسبة الجير فيها، لاسيما وقد أسس المدجنون معملا فى طليطلة لانتاج (التابية) وتصديرها وعنهم اخذ الاسبان استعمالها(٣٤)٠

١٦ ـ اختيار تيجان الاعمدة ذات اوراق الاكانتس (d'Accanthes) المنحدرة من فن الموحدين٠

١٧ ـ تصميم القبو القائم على الضلوع (La vout e en nervures) الثرى بالمقرنصات Sta- (lactites) والزخارف النباتية (Vegetaux) التى تذكر بقبو غرناطة المعاصر٠

١٨ ـ تصميم القصور الملكية وهندسة قاعاتها وساحاتها الباهية وتنظيم وتنسيق فضائها الداخلى وحدائقها الزاهرة باسلوب هندسة وتنسيق وحدات المجموعة التاريخية بقصر الحمراء بغرناطة٠

١٩ ـ تزيين الجدران الداخلية بحشوات -Pan) (neaux واطارات ذات زخارف زهرية (Florale) ونماذج عديدة من زخرفة (الارابسك) وهى زخرفة التوريق العربية والكتابات العربية الدعائية والتأسيسية٠

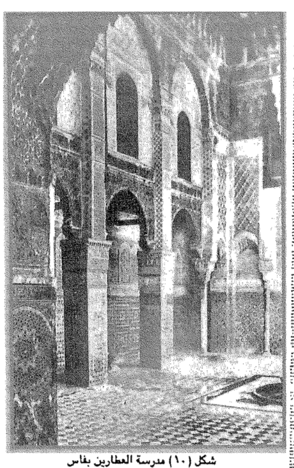
٢٠ ـ استخدام حجارة الدبش (Moellons) والآجر (Briques) فى البناء يذكر بتقاليد طليطلة القديمة كما هو الشأن فى باب الشمس (Puerta del sol) ومبانى طليطلة الاسلامية٠

نماذج من فنون المدجنين بالفردوس المفقود:

ولا بأس هنا من الاقتصار على بعض النماذج من انتاج المدجنين فى مدينة طليطلة ومجالات اشعاعها شمالا ثم مدن اشبيلية وقرطبة وغرناطة كاشهر مراكز الفن بالاندلس٠

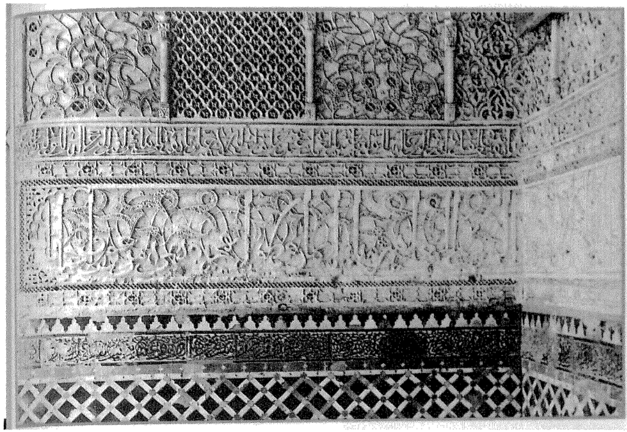
طليطلة :

كانت طليطلة معقل القوط الحصين وعاصمة مملكة القوط صخرة كبرى وعقبة كأداء امام القادة الفاتحين طارق بن زياد وموسى بن نصير(٣٥)، وفى العصر الاسلامي اصبحت من اعظم واهم القواعد الاندلسية الكبرى، بل انها غدت وكأنها صاحبة السيادة الفنية (Domaine Artistique) وتبدو دون منازع وكأنها عاصمة اسبانيا الداجنة(٣٦) بما تملكه من مؤهلات ذلك ان طليطلة انسلخت عن الاسلام منذ القرن الحادى عشر الميلادى(٣٧) ـ قبل غيرها من عواصم الاندلس ـ ولتوسط موقعها الجغرافى بالنسبة لشبه الجزيرة الإيبيرية بالاضافة الى ميراثها الثقافى



شكل (١٠) مدرسة العطارين بفاس

المساجد التي حولت إلى كنائس بعد انحسار المد الإسلامي ظلت محتفظة بطابعها الإسلامي



شكل (١١) مدرسة الطالعة بسلا

الذى جعلها حلقة اتصال بين الديانتين الاسلام والمسيحية، والحضارتين العربية واللاتينية، والثقافتين الشرقية والغربية.

غير ان الوضع اصبح الآن معكوسا عن ذى قبل، فبعد ان كانت طليطلة مركزا رئيسيا للفنانين الوطنيين ورثة التقاليد الفيزوقوطية (Wisigothiques) وحملتها فى عصر الفتح الاسلامى ، نراها اليوم تتقلد الزعامة ولكن بوجه آخر عندما تصبح مدينة الفنانين المعروفين باسم (Vassalos Moros)ومركزا للفن المدجن بعد الاسترجاع المسيحى.

وفى طليطلة تبقت آثار فنون المدجنين فى عدة كاتدرائيات مثل كنيسة(٣٨) (Santiago del Ar-rabel) من منتصف القرن الثالث عشر للميلاد او كنيسة (Santo Tome) حيث ابراج الاجراس المتأثرة ببناء الصوامع الاسلامية التى وصفت بأنها كانت استمرارا لانتاج المصنع المغربى(٣٩) (Ate-lier du Maure) وكذلك كنيسة (سان رومان) ١٢٢١م ببلاطها المحاط بعقود متجاوزة (Outre passe) والصنج (Claveaux) الملونة التى تغلفها(٤٠).

وفى غضون عام ١٣٥٥م وقبل تمام ونهاية الاشغال المنجزة بالقصر (Alcazar) باشبيلية ، شيد اليهودى صمويل هاليفى وزير مالية بيير القاسى بيعة (Synagogue) فى طليطلة تعرف باسم(٤١) (Transito) تعتبر من اهم ابداعات الفن المدجن الخاص بالبلاط (Mudej ar de cour).

ويتحقق تاريخ بناء (الترانسيتو) بنقش كتابى يتضمن اسم الامير بيير القاسى (Pierre le Cruel) ووزير ماليته صمويل هاليفى ابو العافية الذى شيد المعبد سنة ١٣٥٧م، وبواجهة البيعة جدران من الآجر دون زخارف ونوافذ ذات عقود مفصصة (Arcs lobes) واخرى على هيئة حدوة الفرس منكسرة (fer a cheval brise) وبالداخل زخارف نباتية ذات جمال رائع تتضمن نماذج من اوراق نخيلية (palmes)وزهيرات مستعارة من الفن المغربى ووريقات من ثلاثة أو خمسة فصوص تحاكى الطبيعة ويروج قوطية.

غير ان معبد الترانسيتو لم يكن البيعة الوحيدة التى شيدها الفنانون المسلمون المدجنون فى طليطلة ، ففى تاريخ غير محقق حوالى سنة ١٢٠٠م وربما من اواخر القرن الثانى عشر للميلاد اقيم فى طليطلة معبد

يهودى خصص فيما بعد للديانة الكاثوليكية وهو يعرف باسم(٤٢) (Sainte Marie la blanche) (ش١٦).

وفى طليطلة ايضا بنى الكاردينال (Ximenes) ما بين عامى ١٥٠٤م و١٥١٠م فى كاتدرائية المدينة معبدا (Chapalle Mozarabe) مع قاعة للمجمع الرهبانى تستخدم فى دخلتها الزخارف المعروفة فى فن المدجنين.

واذا كان مسجد باب المردوم فى طليطلة يمثل دخول الاسلام الفن الاسلامى الاقليمى القديم بمنطقة طليطلة وتأثيراته الاولى فى بناء الواجهات بالآجر (ش١٤) وتغطية بيت الصلاة بالقباب القائمة على ضلوع متقاطعة فان نفس البناء المعروف اليوم باسم (كرسيتو دى لا لوز) لازال مصدر الهامات وتأثيرات شتى بالمنطقة من حيث رسم العقود على هيئة حدوة الفرس واحاطة العقود بالاطارات المستطيلة التى ظهرت نظائرها بكنائس رومانية محلية.

وعلى بعد خطوات من مسجد باب المردوم المشيد خلال القرن الرابع الهجرى يقع باب الشمس الشهير بطليطلة(٤٣) وتظهر به عقود حدوة الفرس واستخدام حجارة الدبش (Moellons) فى البناء مع الاجر تبعا للتقاليد القوطية القديمة.

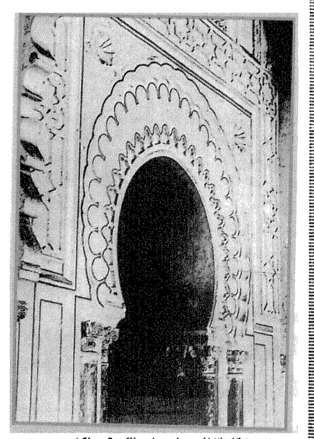
كما يرجع قصر (La casa de Mesa) بطليطلة والدير الملكى (Las Huelgas) بمدينة برغش (Burgos) الى سلسلة مآثر المدجنين التى كانت الاندلس المسلمة تقدم نماذجها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد(٤٤).

ومن طليطلة ينبعث اشعاع الفن الاسلامى المدجن تجاه الشمال لينفذ الى هضاب قشتالة التى تستقبل تأثيرات طليطلة القديمة بميراثها الضخم الذى توجه فن المسلمين المدجن حيث يمتزج هناك فى قشتالة ويمقاطعة ليون بالمعطيات الرومانية التى احياها الفرنسيون، وهكذا نرى فى كنيسة (سان تيرسو San Tirso حنية محراب (Abside) تبدأ جدرانها من الحجر الى ارتفاع مترين ثم تعلو ببناء الاجر تبعا لتقاليد طليطلة، فالآجر الذى يظهر فى كثير من معابد قشتالة يمثل اشعاع طليطلة تجاه شمال شبه الجزيرة الإيبيرية(٤٥).

اشبيلية :

وحوالى عام ١٣٦٣م عندما اراد بيبر القاسى تثبيت اقامته باشبيلية التى عادت الى ماضيها كمدينة مسيحية منذ ما يزيد عن قرن من الزمان، كان عليه ان

فن المدجنين شغل حيزاً زمنياً إمتد لثلاثة قرون

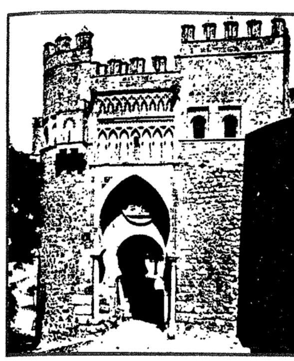


شكل (١٢) محراب جامع الكتبية بمراكش

يستقر بطبيعة الحال فى (Al Vasar) القصر الاطار التقليدى للسلطة الملكية الاسلامية والمسيحية (ش١٧ - ١٨).

كانت اشبيلية من عواصم الاندلس الاسلامية فى عصر الخلافة ، ثم كانت عاصمة المعتمد بن عباد فى عصر ملوك الطوائف ، فمقر اقامة امراء المرابطين المفضل بالاندلس ومن بعدهم امراء الموحدين. وفى سنة ١٢٤٨م سقطت اشبيلية فى يد القشتاليين الذين حولوا مسجدها الموحدى الجامع الى كنيسة استمر العمل فى بنائها قرنا ونصف قرن الى ان غدت برقعتها الشاسعة وعقودها المنيفة وزخارفها الشهيرة ثانى كنائس العالم ضخامة وروعة وبها قبر مكتشف العالم الجديد كريستوف كولمبو، وقد بقى من المسجد الجامع الذى شيده الموحدون صحنه وبابه الرئيسى شمال الصحن بعقده وزخارفه الاسلامية والنقش العربى على قبضتيه (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد)، ولازال الباب بزخارفه الاسلامية ونقوشه العربية يعرف بباب الغفران (Puerta del Perdon)(٤٦) ، وبجنوب غربى الصحن تقف صومعة مسجد اشبيلية الاعظم التى تحولت الى برج للاجراس أضيف أعلاها وعلى رأسها تمثال من البرنز يتحرك مع الريح أينما سار يسمى (جيرالدا) وهو الاسم الذى اشتهرت به الصومعة منذ ذلك التاريخ.

وبعد ان فتح فرديناند الثالث اشبيلية جاء الملك الفونس الحكيم فبنى مجموعة معمارية بجنوب (القصر) ثم اضاف بيير القاسى الى القصر الذى يرجع الى القرن الثالث عشر للميلاد، وبقربه بناء بذوقه الخاص لم يكن تابعا للاساليب الواردة من فرنسا، وانما كان منسجما مع الاسلوب الاندلسى المزدهر بنفس العصر فى بهو السباع (la cour des lions) بقصر الحمراء من عصر محمد الخامس من ملوك بنى نصر المعروفين ببنى الاحمر.



شكل (١٣) باب الشمس في طليطلة

عصر بيير القاسى وتحمل واجهته نقشا تأسيسيا باسم ذلك الامير وتاريخ ١٣٦٤م (ش١٧). وبنفس الواجهة اطار زخرفى بنقش عربى كوفى لشعار بنى الاحمر المميز لعصرهم (لا غالب الا الله)، وهو أمر لا يدع مجالا للشك فى ان فنانين غرناطيين استقدموا أو أرسلهم السلطان محمد الخامس لخدمة خليفة الملك بيير.

وبنفس (القصر) عمل فنانون من طليطلة خاصة فى تنفيذ اشغال الخشب وزخرفته، كما وجد فنانو اشبيلية المحليين مجالهم الفنى فى نطاق اختصاصهم التقنى ضمن ذلك الانتاج الفذ.

وشأن معظم الاعمال التاريخية الكبرى استقبل (القصر) على مر القرون التحسينات والاضافات الجمالية وعرفت اسماء مهندسين مشاهير تركوا

فنون المدجنين في الأندلس تحولت إلى تراث قومي فرض نفسه

لقد كان افشاء بيير القاسى لرقى الزخارف التى ازدانت بها حياة امراء المسلمين عاملا على انتقال ذوقه الفنى الى افراد أسرته وكبار موظفيه مما جعل الاشعاع الحضارى لفن المسلمين المدجن يتجاوز حدود الاندلس.

ويعتبر (القصر) من اشهر معالم الابداعات المعمارية والفنية التى انجزها المدجنون، وترجع معظم اقسام (القصر) باشبيلية الى

بصماتهم بالمبنى التاريخي، فمن عصر هنرى الثانى (القرن ١٤م) ظهر اسم المعلم (على) الى جانب البنائين النصارى ، ومن عصر جان الثانى ١٤٣٨م ظهر اسم (HEMETE) ولعله (احمد) الذى كان مشرفا على البناء ، كما ترك الكاثوليكيان فرناند وايزابيلا بصماتهما بالقصر إبان القرن الخامس عشر للميلاد(٤٧).

قرطبة :

على غرار طليطلة وربما بالنسج على منوالها وجدت فى قرطبة عاصمة الخلافة الاسلامية الاولى بالاندلس بيعة واحدة على الاقل باسلوب المدجنين وقد حفظ بها نقش تأسيسى يشهد بانها شيدت بواسطة (ISAAC Mijeb) خلال عامىْ ١٣١٤م و١٣١٥م.

وكما دخلت فنون الاسلام الداجنة بيع اليهود، فانها دخلت ايضا كاتدرائيات ومعابد المسيحيين. ولعل المثال المميز لتلك الحالة الذى يشرح فتوحات فن المدجنين يوجد فى المسجد الجامع (من عصر الخلافة الاموية) بقرطبة الذى عرف تطورات طويلة وتحولات عديدة لتحويله الى كاتدرائية استكملت مراحلها سنة ١٥٢٣م(٤٨) (ش١٩).

وعلى منوال قباب القرن العاشر الميلادى(٤هـ) (ش٢٠)، جاءت قبة القرن الثالث عشر مصممة على تقاطع العقود الداخلية (Coupole a nervures) ويذكر تصميمها بقبة تلمسان المرابطية بالمسجد الاعظم الذى بناه الامير يوسف بن تاشفين سنة ٥٣٠ للهجرة.

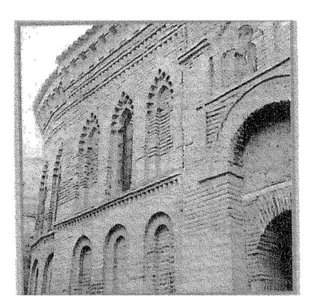
لقد كانت قبة تلمسان المثال الاول (Prototype) للقبة القائمة على ضلوع متقاطعة تتوجها قبيبة من نفس الاسلوب المعمارى والزخرفى.

غرناطة :

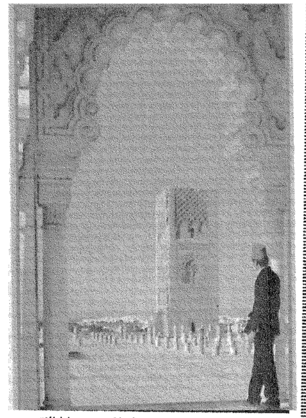
اما غرناطة ومعناها بالاسبانية (الرمانة) التى هى شعارها التاريخى المحفور فى الحجر فى شكل ثلاث رمانات صخرية كبيرة على باب قصر الحمراء، فقد كانت هى خاتمة فتوح(٤٩) الاسترداد المسيحى وفاتحة عصرهم الذهبى ولهذا أصبحت مثوى ملوكهم الكاثوليكيين الأبدى.

ففى غرناطة تتمثل أهم وأشهر منجزات الفن الاسلامى المدجن على الاطلاق، ولا غرو، فقد كانت غرناطة عاصمة بنى الاحمر اصحاب الشعار التاريخى (لا غالب الا الله)(٥٠)، آخر ممالك الاسلام بالاندلس ذلك الفردوس المفقود، ومن ثم كانت أهم مركز لتجمع فنانى المسلمين من مهندسين ومزخرفين لانوا بها الى النفس الاخير.

وفى هذا المقام لا يغنى الايجاز عن الحقيقة التى يمكن الكشف عنها فى قاعات وقباب وبساتين قصر الحمراء المثال القدوة...، وذلك بالزيارة والمشاهدة المباشرة، والشروح والرسوم والتصميمات التى تضمنتها أبحاث المستشرقين، ولعل فيما أشرت اليه من دراسة الاستاذ جورج مارسيه بكتابه الكبير عن



شكل (١٤) مسجد باب المردوم بطليطلة وقد تحول إلى كنيسة (كريستودي لالوز)



شكل (١٥) صومعة مسجد حسان الموحدي برباط الفتح



شكل (١٦) كنيسة سانت ماريا لابلانكا في طليطلة

العمارة الاسلامية الغربية ما يشفى غليل الباحث ويسيل دمع المعتبر أمام هول الكارثة.

إن خروج الاسلام من الاندلس يمثل الشذوذ الوحيد فى القاعدة التاريخية التى تقول بان الاسلام، بقى وازدهر فى كل ارض فتحها منذ صدر الاسلام الى اليوم فيما عدا الاندلس ذلك الفردوس المفقود.

طُرِدَ المسلمون من ذلك الفردوس المفقود عندما حرصوا على الحياة فاستحقوا ميتة الهوان.. طردوا من الفردوس المفقود عندما آثروا العاجلة فخسروا الآجلة .. طُرِدُوا من الفردوس المفقود عندما تنكروا للتاريخ فنكبهم وحالفوا العدو على الاخ الشقيق فخذلهم... فقدوا بمجونهم بقايا الإباء، وأسقطوا بعبثهم عروش الآباء وما سال دونها من دماء الشهداء.. طُردوا من الفردوس المفقود وكم تركوا وراءهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين.

اقبلوا على الخمر والنساء والترف وخلعوا عن انفسهم تاج الفخار والشرف الى ان لجأوا الى المغرب مشردين يتسولون وتشتتوا بموانئ المغرب العربى وقراه يستجدون كرم العربى وقراه.

خرج آخر ملوكهم من قصر الحمراء تاج الحضارة على مفرق الزمن حانى الرأس تحت سيفين صليبيين وسط صيحات اعداء الله... (هذه آخر حسرات العربى)، (ذلك بان الله لم يكن مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم).

الهوامش

(١) دكتور حسين مؤنس: فجر الاندلس ، القاهرة ١٩٥٩، ٣١/٢١ الحالة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية بشبه الجزيرة الإيبيرية قبل الاسلام وأحوال اسبانيا تحت حكم القوط والمجتمع الاسبانى.

(٢) عثمان عثمان: كتابنا تاريخ العمارة الاثرية والفنون الاسلامية بالمغرب الاقصى ج١ تفاصيل مولد الفن الاسلامى ومصادره ثم ظهور الطرز والمدارس.

(٣) د. حسين مؤنس: نفس المصدر فصل٣ ص٦٧ حملة طريف وطارق ونجدة موسى بن نصير.

(٤) عثمان عثمان: كتابنا سيرة ابطال الاسلام فى المغرب من الاصول والمصادر ص٦٢/٦٦ عن موقعة الزلاقة وانتصار يوسف بن تاشفين ٤٧٩هـ، وانظر د. السيد سالم: المغرب الكبير ٢/٧٢٣.

(٥) اصطلاح اطلقته عليه فى تقسيم مراحل الفن الاسلامى بالمغرب، كتابنا: تاريخ العمارة جـ٢ الخاص

بعصر المرابطين.

(٦) عثمان عثمان: كتابنا تاريخ شالة الاسلامية، المقدمة المسهبة واستخدامنا اصطلاح الطراز المغربي الاندلسي وليس الاندلسي المغربي الذي يستخدمه المستشرقون.

(٧) عثمان عثمان: كتابنا تاريخ العمارة جـ٢.

(٨) عثمان عثمان: نفس المصدر جـ٣.

(٩) عثمان عثمان: كتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص٣٢ تفاصيل أخبار وقعة طريف واسماء الشهداء وكتابنا حفائر شالة الاسلامية ص٢١٦/ ٢٢٥، اكتشافنا لقاعة دفن شهداء موقعة طريف من ٧٤١هـ.

(١٠) د. زكي محمد حسن: فنون الاسلام، القاهرة ١٩٤٨ ص١٢٢.

(١١) C. MARCAIS: L'Art de I. IS-LAM Paris 1946, P. 178

(١٢) G. MARCAIS: l'architecture Musulmane d,Occident, Paris 1954 P. 361

(١٣) جوميث مورينو (تعريب لطفي عبد البديع والدكتور السيد سالم) الفن الاسلامي في اسبانيا، مصر ١٩٦٨ ص٤٢١.

(١٤) عثمان عثمان: كتابنا سيرة ابطال الاسلام في المغرب ص٨٥/٨٨ انتصار يعقوب المنصور الموحدي في معركة الارك ٥٩١هـ على امراء النصارى بالاندلس التي كانت اخت معركة الزلاقة وانتصار يوسف بن تاشفين المرابطي وضم الاندلس لمملكة الاسلام بالمغرب.

(١٥) جوميث مورينو. نفس المصدر، فنون الترف المستعربة ص٤٧٠.

(١٦) محمد قشتيليو: الفن المعماري الاسلامي في المعابد المسيحية باسبانيا: مقال بمجلة دعوة الحق، الرباط ديسمبر ١٩٨٤م ص٩٤.

(١٧) جورج مارسيه: الفن الاسلامي (المشار اليه بالفرنسية) ص١٧٨.

(١٨) نفس المصدر ص ١٧٨.

(١٩) ارنسنت كونل (تعريب احمد موسى). الفن الاسلامي، بيروت ١٩٦٠ ص١٣٣.

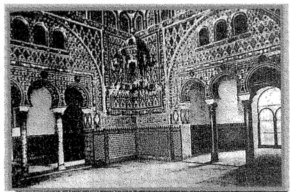
(٢٠) جورج مارسيه: الفن الاسلامي ص١٧٩.

(٢١) نفس المصدر ص١٧٩.

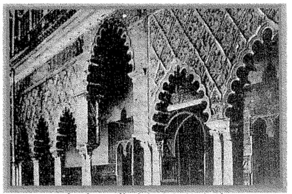
(٢٢) محمد عبد الله عنان: الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، القاهرة ١٩٦١ ص١١٢، تحت عنوان ضوء على تاريخ المدجنين.

(٢٣) دكتور زكي محمد حسن: فنون الاسلام

آخر ملوك قصر الحمراء خرج من القصر تحت سيفين صليبيين



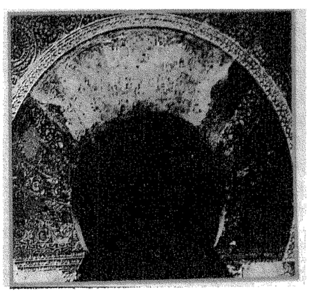
شكل (١٧) قاعة السفراء في القصر باشبيليه وتحمل واجهة البناء نقشاً باسم الأمير وتاريخ البناء ١٣٦٤م



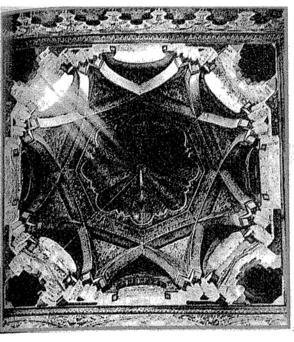
شكل (١٨) داخل قاعات القصر باشبيليه

ص١٢٢.
(٢٤) جورج مارسيه: الفن الاسلامى ص١٧٩.
(٢٥) ارنسنت كونل: الفن الاسلامى ص١٣٣، وانظر الفن الاسلامى لجورج مارسيه ص١٨٨ وفنون الاسلام للدكتور زكى محمد حسن ص١٢٢.
(٢٦) دكتور احمد فكرى: المدخل من (مساجد القاهرة ومدارسها) دار المعارف مصر ص٢٧.
(٢٧) ارنسنت كونل: الفن الاسلامى ص١٣٣.
(٢٨) نفس المصدر والصفحة.
(٢٩) نفس المصدر والصفحة.
(٣٠) نفس المصدر.
(٣١) د. زكى محمد حسن: فنون الاسلام ص١٢٣.
(٣٢) محمد قشتيليو: نفس المقال بدعوة الحق ديسمبر ١٩٨٤م.
(٣٣) عثمان عثمان: كتابنا حفائر شالة الاسلامية.
(٣٤) محمد قشتيليو. نفس المقال بمجلة دعوة الحق، الرباط ديسمبر ١٩٨٤ ص٩٤.
(٣٥) د. حسين مؤنس/ فجر الاندلس ص٧٨ و٩٩.
(٣٦) جورج مارسيه: العمارة الاسلامية الغربية (بالفرنسية المشار اليه) ص٣٦٤.
(٣٧) د. حسين مؤنس: فجر الاندلس ص٧ مميزات موقع طليطلة الجغرافى والسياسى كانت طركونة عاصمة اسبانيا الرومانية وقرطبة عاصمة اسبانيا المسلمة.

وانظر محمد عبد الله عنان: الاثار الاندلسية الباقية ص٨٠ طليطلة كانت بموقعها على المنحدرات الصخرية وقلاعها الضخمة واسوارها الحصينة كانت من أمنع مدن العصور الوسطى.



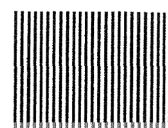
شكل (١٩) محراب المسجد الجامع في قرطبة
العقد والزخارف

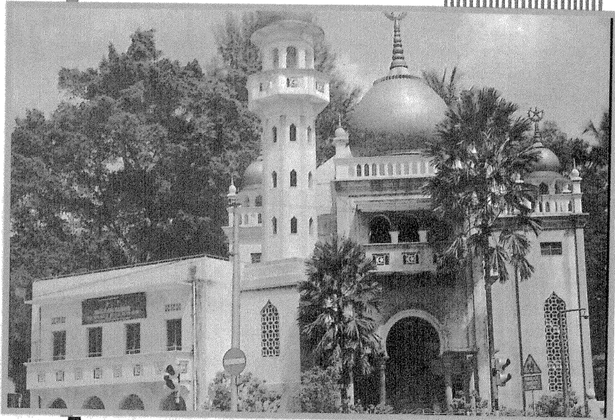


شكل (٢٠) من قباب المسجد الجامع في قرطبة
وتقوم هندستها على تقاطع العقود

(٣٨) جورج مارسيه: العمارة الاسلامية الغربية ص٣٦٦ وما بعدها آثار المدجنين فى طليطلة.
(٣٩) نفس المصدر ص٣٦٤.
(٤٠) نفس المصدر ٣٦٧.
(٤١) نفس المصدر ص٣٦٢ والتفاصيل ص٣٦٦ واللوحة بصفحة ٣٦٩ وشكل ٢٣٢ بصفة ٣٦٦ لزخارف الاسقف.
(٤٢) نفس المصدر ص٣٦٢/ ٣٦٣.
(٤٣) نفس المصدر ص٣٦٨ المبانى الحربية وباب الشمس.
(٤٤) جورج مارسيه: الفن الاسلامى (بالفرنسية) ص١٨٨.
(٤٥) جورج مارسيه: العمارة الاسلامية الغربية (بالفرنسية) ص٣٦٥.
(٤٦) محمد عبد الله عنان: الاثار الاندلسية الباقية ص٤٩، ٥١.
(٤٧) جورج مارسيه: العمارة الاسلامية الغربية ص٣٧٣/ ٣٧٦، التخطيط ص٣٧٣ شكل ٢٣٣ ونقش عربى كوفى مضفر باسم السلطان بدرو ص٣٧٤ شكل ٢٣٤، بقبة قصور اشبيلية ص٣٧٦، ص٣٧٠ واجهة القصر، ص٣٧١ قاعة السفراء وساحة القصر.
(٤٨) نفس المصدر ص٣٦٣ ـ التفصيل ص٣٧٧/ ٣٧٨.
(٤٩) محمد عبد الله عنان: الاثار الأندلسية الباقية ص١٦١.
(٥٠) نفس المصدر ص١٨٤.

شواهد معمارية

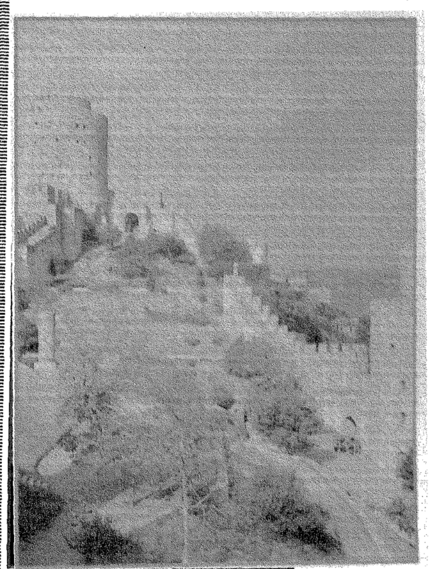




لاشك أن الطابع المحلي له أثره الواضح في التشكيلة المعمارية.. وهذا المسجد في سنغافورة نلمح فيه طبيعة المعمار الآسيوي.

خالد عزب
- مصر -

الاستحكامات الحربية بالمدن الإسلامية


الأبراج والقلاع في اسطنبول

اشترط علماء السياسة الشرعية عند تأسيس أي مدينة جديدة تحصينها لحمايتها من الأعداء ولذا وضع حكام المسلمين ضمن أولويات تأسيس أي مدينة تحصينها. ولم يقتصر الأمر على المدن المستحدثه بل يمتد الي المدن القديمة التي فتحها المسلمون، وتنوعت أنواع الاستحكامات الحربية بالمدن الاسلامية ومنها:-

- الحصن:

هو أكبر عمائر الاستحكامات الحربية، وهو كل بناء يحيط بمساحة من الأرض ليحميها ويحصنها ضد أي اعتداء من داخل البلاد أو خارجها ، ومن ثم فان أسوار المدن كانت تعرف فى العصور الوسطى باسم الحصون(١)، مثال ذلك اسوار بغداد والقيروان وفاس والمهدية وقرطبة والمدينة المنورة والقاهرة وصنعاء وزبيد والدرعية وغيرها كثير.

وتطور استخدام الحصون في العصور الوسطى حتى بداية العصر الحديث تبعا لتطور النظم العسكرية والسياسية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت، اذ لم يعد الحصن معقلا فحسب بل أضحى المقر الطبيعى لإقامة الأمير أو الملك أو السلطان واتباعه ، كبغداد عند تأسيسها على يد ابى جعفر المنصور، والقاهرة عند تأسيسها على يد جوهر الصقلي، وقد يضم الحصن المدينة بكاملها كما نرى فى مدينة خيوة(٢) التى تضم حصنين: احدهما داخلى والآخر خارجي وظلت معظم حصون العصور الوسطى، تستخدم كمقار للأمراء والسلاطين حتى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كما حدث فى القاهرة عندما نقل الخديوى اسماعيل مقر الحكم من قلعة الجبل الى قصر عابدين عام ١٨٧٤م وقد كانت جزءا من حصن القاهرة.

ـ القلعة :

القلعة استحكام حربي يبنى في منطقة استراتيجية كالجبل أو التل أو الروابي الصخرية أو على سواحل البحار، ومهمة هذه المباني مقصورة على المراقبة والدفاع ضد أي اعتداء خارجي، ومن ثم فهي بالضرورة لابد ان تتكون من مجموعة من الابراج والمراقب وما الى ذلك من المباني الحربية، كما تمتاز القلعة بأن ساكنيها من الجند فقط، ولا مجال لإقامة المدنيين فيها.

وعلى ذلك يشتمل الحصن على قلعة أو اكثر ، ضمن مبانيه كقلعة دمشق ضمن سور مدينتها وقلعة الجبل ضمن سور القاهرة الذى بناه صلاح الدين الأيوبى، وقلعة بخارى والأخيرة من روائع المنشآت العسكرية القديمة التى شيدت ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وهذه القلعة جددت مرات عدة آخرها التاريخ السابق ذكره، ويطلق عليها قلعة «أرك» وكانت مقرا رسميا لأمراء بخارى وخربت مبانيها اثناء حوادث ١٩٢٠م، ولم يبق الآن منها الا ثلثها تقريبا، وتوجد لها صورة فريدة من القرن الماضى صورها مصور مجهول، وهي محفوظة في موسكو في معهد الاستشراق.

ـ البرج :

البرج عبارة عن بناء حربى مستطيل أو مستدير الشكل يبرز عن الجدار أو الاسوار، ويحتوى البرج على مساقط ومراقب ومزاغل لرمى السهام، ولذلك فانه يتحتم ان تزود اسوار الحصون والقلاع بعدد مناسب من الأبراج ومن ثم فان حجمها عادة يكون صغيرا لتعددها(٣).

وقد يحدث ان تكتفى بعض القرى أو الثغور الصغيرة باقامة برج للمراقبة والدفاع المبدئى وفى هذه الحالة فان البرج لابد ان يكون كبيرا حتى يتسع لإقامة حامية كبيرة يمكنها صد هجمات الاعداء ، أو على الأقل تعطيل تقدمهم حتى تستعد القلاع والحصون القريبة منها(٤) ولذا كان ابن ايامل دقيقا حينما سمى التحصين الذى شيده السلطان قايتباى برشيد بالبرج نظرا الى صغر حجمه والى وجود قلعة فى تل أبى مندور الى الجنوب منه تتولى حماية المدينة.

ـ الاستحكامات المبكرة :

لم يحاول احد من المؤرخين الى

التربية المتحفية قــراءة جديــدة للتاريــخ فــي المكــان والزمــان

الآن ان يتتبع تاريخ الاستحكامات الحربية في القرون الأولى للهجرة، لسبب واضح هو ان الأكثرية العظمى لهذه الاستحكامات قد بادت، وكانت النتيجة اهمال هذا الجانب الحضارى لتاريخ الحضارة الاسلامية ، وقد ركز معظم الباحثين على المدن التى أسسها المسلمون كمعسكرات لجيوشهم مثل الفسطاط والكوفة والبصرة وغيرها كثير.

وتركز المصادر التاريخية المبكرة على جهود المسلمين فى تحصين بلاد الشام امام خطر البيزنطيين في القرنين الاول والثاني الهجريين، ونستطيع ان نقول ان فن التحصين ازدهر على يد المسلمين، واستطاع الأب بوادبار عن طريق التصوير بالطائرات ان يكشف عن اساسات مطمورة لا يراها الانسان وهو يمشى فوقها، وكشفت حفائر الرقة عن كثير من المعلومات المهمة فى هذا المجال، ولا يزال البحث عن العمارة الحربية الاولى مهملا الى الآن، واجريت فى السنوات الأخيرة بعض الدراسات الجادة أسفرت عن نتائج توضح صورة لا بأس بها لهذه الاستحكامات، فعندما انتصر المسلمون على الروم فى البر انتصاراً ساحقا وحاسما قدروا خطر نزول العدو الرومى الى السواحل الشامية تقديرا سليما، واتخذوا لذلك اجراءات دفاعية كثيرة منها بناء المناظر، ومنها تحصين المدن الساحلية الى جانب الرباطات الدائمة والجند الغازى وجمع الساحل كله تحت ادارة عسكرية واحدة.

وأقدم الاستحكامات التى أقامها المسلمون على الساحل الشامى هى المناظر ، ولفظ المناظر لفظ اصطلاحي حل محله اصطلاح جديد في العصر المملوكي ورد في المصادر المملوكية وهو لفظ المرقب، ويبدو ان أهل الأندلس استعملوا اصطلاحا ثالثا وهو لفظ «الطلائع».

أما من حيث الوظيفة ، فيدل سياق الروايات التاريخية الواردة خصوصا عند البلاذرى على ان المناظر الحربية عبارة عن ابراج حراسة مبنية فى الاماكن العالية المشرفة على البحر ابتغاء رؤية المراكب المعتدية، قبل اقترابها من الساحل، والمناظر فى الوقت نفسه وسيلة اتصال عن طريق ايقاد النيران بالمناظر الأخرى ايذانا بقدوم العدو وحلول الخطر، وبسبب هذه الوظيفة نفترض ان النيران كانت توقد اعلى الأبراج شأنها فى ذلك شأن المنارات بالنسبة الى الملاحة البحرية، قديما وحديثا، وبنيت المناظر الاسلامية على طول الساحل الشامى بأمر صادر من

الخليفة عمر بن الخطاب، ويحدد البلاذرى عام ١٨هـ تاريخا لبنائها(٥)، ومن المرجح ان المسلمين بنوا مناظر ايضا على طول الساحل المصرى لكثرة تعرضه لهجمات البيزنطيين من البحر على نحو ما حدث من هجمات على الاسكندرية ونستراوة.

واهتم المسلمون كذلك بالمدن الساحلية وكان تحصين مدن الساحل ضرورة استراتيجية تقتضيها الظروف السياسية والبشرية واستجاب المسلمون فى هذه الظروف لتلك التحديات الحربية وتصرفوا على ثلاثة اوجه:

١ ـ الاحتفاظ بالحصون البيزنطية القائمة والاستفادة بها مثل تحصينات انطاكية واللاذقية وطرابلس.

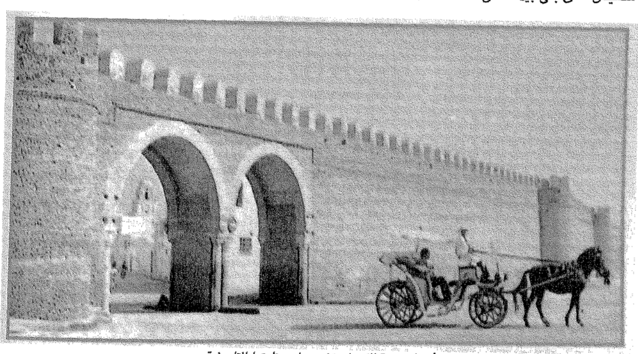
٢ ـ اعادة بناء المتهدم من الحصون، وعلى هذا الأساس اعادوا بناء التحصينات فى ثمانى مدن وهى: «بلدة طرطوس ومرقية وبانياس وصيدا وعرقة وجبيل وبيروت»•.

٣ ـ بناء حصون جديدة من اولها الى أخرها ومن ابرزها حصن سفيان الذى بنى بين عامى ٢٣ ، ٢٥هـ واستمر الاهتمام بالاستحكامات فى عصر بنى أمية، خصوصا فى بلاد الشام التى اصبحت قاعدة لحكمهم واستمرت السياسة نفسها في العصر العباسى، ووصلنا من هذا العصر رباط المنستير وكان بناؤه على يد هرثمة بن اعين وبقي من هذا العصر أيضا قصر الأخيضر وهو يبعد خمسة وعشرين ميلا غرب كربلاء ، وهو عبارة عن سور مستطيل يحيط بالقصر ويحصنه ثمانية واربعون برجا، طول اضلاعه ٥٥٤ قدما، وارتفاعه ٦٩ قدما وسمك حائطه تسعة اقدام، وفى كل ركن من اركان الحصن الاربعة برج فيه درج، ويتوسط كل جدار من جدرانه الأربعة باب كبير، ويرجع بناء الأخيضر الى ما بين عامى ٧٢٠ ـ ٨٠٠م، وشيده عيسى بن موسى.

وخلال العصر العبيدى (الفاطمى) شيد العبيديون حصونا عدة أبرزها مدينة المهدية ثم مدينة القاهرة، وجددت أسوار القاهرة على يد بدر الجمالى وبقى من اعمال بدر الجمالى بتلك الاسوار قطاعات كبيرة من السور الذى شيده بالحجر، كما بقيت ثلاثة أبواب لها قيمتها التاريخية والمعمارية وتعد من أجمل الأعمال التى أنجزت في تاريخ العمارة الحربية الاسلامية، وهي باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة المعروف عند العامة باسم «بوابة المتولى» وتم بناء تلك الأبواب والأسوار بين عامى ٤٨٠ و ٤٨٥هـ.

وتتميز تلك الأبواب والأسوار بابتكارات معمارية غاية في الروعة ، منها على سبيل المثال ذلك السلم الحلزونى الضخم الذى يوصل بين أرضية الحصن من الداخل وبين سطح الكتلة البنائية التى تضم باب النصر، اذ يلتف ذلك السلم حول عمود ضخم شيد بالحجر المتقن النحت والبناء كما تتجلى روعة حقيقية فى بناء قبو نصف دائرى يعلو قلبات السلم الدائرية، ويصعد مائلا معها، أى أنه يتقوس في اتجاهين مما ينتج اسطحا كروية مما يزيد من صعوبة التنفيذ والبناء ، ويدل على براعة فائقة ودراية بالهندسة الوصفية.

وهناك روائع معمارية أخرى تتمثل فى قبو النفق فى جوف



أسوار مدينة القيروان تشهد على عظمتها التاريخية

السور فوق زاوية الانكسار عند تقابله مع مئذنة جامع الحاكم، وهناك روائع معمارية أخرى تبرهن بغير ما شك على دراية المسلمين بعلم الهندسة الوصفية الذى يعد من العلوم الصعبة فى أيامنا هذه(٦).

الحروب الصليبية وأثرها :

لابد عند تناول موضوع القلاع والحصون التى تم بناؤها خلال العصور الوسطى من البحث فى الاحداث التاريخية التى رافقت هذه المبانى ذات الطابع الحربى ، اذ انطلقت أربعة جيوش من القوات الصليبية عام ١٠٩٦م استجابة للنداء الذى أطلقه البابا أربان فى مجمع كليرمونت، وتم لهذه الجيوش احتلال عدد من المدن الاسلامية المهمة منها القدس، وبعد استيلائها على مدن الشام الساحلية أصبحت هذه القوات معرضة لخطر الهجمات التى كانت تقوم بها الجيوش الاسلامية لذلك تحتم عليها اتخاذ مواقع دفاعية، وانشاء حصون ليتمكنوا من الصمود امام هجمات المسلمين بالاضافة الى محاولاتهم عرقلة التجارة عبر الطريق البري بين الشام ومصر، وكذلك عرقلة قوافل الحجاج، وهكذا قام بلدوين الأول خلال الأعوام ما بين ١١١٥ - ١١١٦م، بانشاء قلاع الشوبك (مونتريال) فى معان، وايله على جزيرة جراى فى خليج العقبة، وقلعتى الوعيرة والحبيس في وادى موسى، ثم بنيت قلعة الكرك .. عندها كان لابد للمسلمين من القيام بحركة مماثلة للرد على هذه السلسلة من الحصون والقلاع ، فقام عز الدين أسامة أحد أمراء صلاح الدين الأيوبى ببناء قلعة الربض (عجلون)، وكان غرض السلطان من تشييد الربض حرمان الأمير أرناط الصليبى من وضع يده على اقليم شرق الأردن الشمالى، وجعله تحت اشراف جند دمشق، وفى الوقت نفسه لاجتناب قلاقل بنى عوف سكان الاقليم ضده وكان عز الدين أسامة سجن مشايخهم في الربض بعد انتهائه منها وبنيت كذلك قلعة جزيرة فرعون(٧).

وكانت هناك أربعة متطلبات أساسية لابد من وجود احدها أو وجودها مجتمعة فى أى بناء صليبى ذى طبيعة عسكرية وهى:

١ - حصن منيع يسهل الدفاع عنه نظراً لنقص القوى البشرية.

٢ - ان يمتاز الحصن بموقع يمكن رؤيته من بقية الحصون لتسهيل عملية ايصال وتبادل الرسائل.

٣ - ان يمتاز بجدران مرتفعة وسميكة لتصمد فى وجه أى هجوم مباشر مع العلم بان امكانية القيام باصلاحات دورية دائمة كانت غير واردة لنقص القوى البشرية كما ذكر سابقا.

٤ - توفر مساحة كبيرة نسبيا داخل البناء خلف الأسوار يمكن اللجوء اليها من قبل الصليبيين القريبين من التحصين مع امكان حمايتها او الدفاع عنها.

لقد جاء الصليبيون الى بلاد الشام حاملين معهم مفاهيم خاصة معينة بيزنطية ونورماندية وفرنسية - فيما يتعلق بالعمارة العسكرية، ومن ثم خرجوا متأثرين بما فى هذه البلاد من مفاهيم حربية ، ولعل اكثر العناصر التى تأثرت بها العمارة الحربية الأوربية، بعد الحروب الصليبية مباشرة، عنصر المدخل المنكسر أو الباشورة الذى رأيناه للمرة الأولى فى تحصينات بغداد، ومازال يوجد له مثل قائم فى أسوار صلاح الدين في القاهرة سجلته الحملة الفرنسية باسم الباب الجديد وكان يوصل الى الباب قنطرة متحركة فوق الخندق المحيط بالقاهرة وله نماذج عديده بالمغرب الاسلامى.

ومن أروع أمثلته الباقية

المسلمون كانوا أكثر إجادة وبراعة في بناء الحصون

الباشورة التى زودت بها قلعة حلب، وذلك لما تمتاز به من كثرة عدد المنعطفات اذ تبلغ نحو ستة منعطفات وهى كثرة تزيد من مناعة التعويق عن المرور بسهولة من خلالها بما تجعل المهاجمين يتعرضون لضربات قاتلة بالسهام والحراب فى أثناء مرورهم بتلك المنعطفات . فضلا عن المنحدر القاسى الذى يتقدم المدخل والذى تحمله القناطر المشيدة فوق الخندق المحيط بالقلعة(٨).

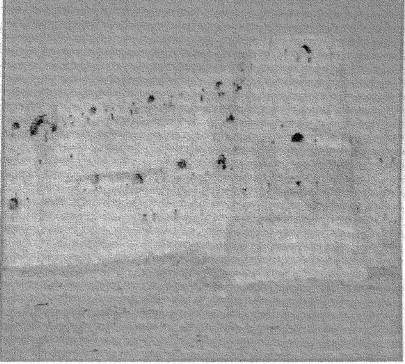
ومن هذه العناصر السقاطات وهى عبارة عن قوائم يتقارب بعضها من بعض وتحمل فوقها حواجز بارزة وبين كل دعامتين فتحة مقفولة بباب مستور يمكن ان تصوب السهام منه الى رؤوس المحاصرين الذين يحاولون ان يحفروا تحت الجدران كما يمكن ان يصب على رؤوسهم الزيت او الماء المغلى او غير ذلك من المواد المؤذية.

وتطورت الاستحكامات الحربية لتتناسب مع تطور الأسلحة المستخدمة بها وبصفة خاصة

القلعة استحكام حربي يبنى في منطقة إستراتيجية كالجبل أو التل أو على سواحل البحار

المدافع ونرى هذا بوضوح فى الاستحكامات العثمانية.

والذى يهمنا هو توظيف التراث الحربى الاسلامي المعمارى فى تربية النشء فزيارة الأطفال ومعلمهم لقلاع حلب او القاهرة أو دمشق أو أسوار فاس أو مراكش ليشرح لهم المعلم فصولا من تاريخ هذه الاستحكامات وجهاد الأجداد من خلالها، ليربط لديهم المكان الذى مرت به الأحداث بالأحداث التى مرت عليها قرون ويثبت لديهم التاريخ الاسلامى والدروس المستفاده منه، ويخلق لديهم رغبة فى استعادة أمجاد الأجداد . ان هذا النوع من التربية الذى يعرف فى الغرب بالتربية المتحفية أمر نفتقده كثيرا عند توظيفنا لتراثنا المعمارى فى الحاضر لنبنى من خلاله أجيال المستقبل.



قلعة الدوسرية على قمة أحد الجبال تشرف على الميناء

المراجع :

(١) د. سعاد ماهر محمد، العمارة الاسلامية على مر العصور، جـ٢، ص٨١٩.

(٢) امجد بوهميل بورخازكا، خوارزم عمارة الحضارة المنسيه بين بحرى، ص٢٤، ٢٥، ٢٦، اصدار منظمة العواصم والمدن الاسلامية ١٩٩١م.

(٣) د. سعاد ماهر ، مرجع سابق.

(٤) د. محمد محمد امين، وليلى على ابراهيم ، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، ص٢١. دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٩٠م.

(٥) د. محمد عبد الهادى، من تاريخ التحصينات الحربية فى القرنين الأول والثانى للهجرة، ص١٢، كتاب دراسات فى الآثار الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٩م.

(٦) د. فريد شافعى، العمارة العربية الاسلامية، ماضيها، وحاضرها ومستقبلها، عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، ١٤٠٧هـ، ص٧٥ ، ٧٦.

(٧) حنان الكردى، القلاع الأثرية فى الأردن، ص٢، دائرة الآثار العامة بالأردن ١٩٧٤م.

لانكستر هاردن، آثار الأردن، ص٦٣ ، ١٢٩ ، ١٣٧. ترجمة سليمان موسى، وزارة السياحة والآثار الأردنية جـ٣، ١٩٧٥م.

(٨) صبحى صواف، قلعة حلب ، مديرية الآثار والمتاحف سورية ١٩٦٧م.

أعلام.. في المعمار

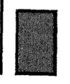
نموذجان لقمتين معماريين الفارق الزمني بينهما حوالي أربعة قرون لكنهما ملتقيان في عشق فن المعمار.

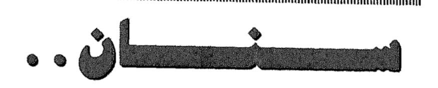
المعماري الخالد بأعماله وانجازاته الرائعة (سنان) ويرجع تاريخ ميلاده الى عام (٧٩٨هـ/ ١٤٩٠م) وله من الانجازات المعمارية ٣٦٤ عملاً.

والمعماري المعاصر، أو شيخ المعماريين المعاصرين المهندس حسن فتحي المتوفي في عام ١٩٨٩م، وله الكثير من الأعمال الخالدة.

قمتان في المعمار الإسلامي أردنا أن نسجل بهما مجرد أنموذج ماثل لمقدرة العالم الاسلامي في العطاء المعماري.. وعالمنا الاسلامي فيه من القمم المعمارية ما لا يُحصَى عدداً.

المنهـــل





بقلم الدكتور:
أنور طاهر رضا
أزمير – تركيا

سنة ١٩٨٨ وافقت المئة الرابعة لوفاة المهندس المعماري الاسلامي التركي سنان. وقد اعلنت منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) سنة ١٩٨٨ لتكون سنة المهندس المعماري سنان. وهذا الاعلان بحد ذاته يعتبر تقديرا واعجابا للاعمال الجسام التي انجزها هذا الرجل الفذ. وهو في الوقت ذاته رد لبعض افضال هذا الشخص الذى كرس كل حياته في بناء الابنية وخاصة الاسلامية منها، فاجاد كل الاجادة، فترك بذلك من الآثار ما كانت خالدة الى الابد. على ان الصحافة العربية تكاد تكون صامتة عن هذا الحدث الكبير، اليس من واجبنا نحن المسلمين ان نتذكر هذا الرجل المبدع، وقد بنى لنا من الاثار ما يرفع عليها اسم الله كل يوم خمس مرات؟.

ان الامبراطورية العثمانية التي توسعت حدودها من تركستان الى المجر ومن البوسنة الى مكة المكرمة، وحكمت قرونا طويلة، ودافعت عن العالم الاسلامي ضد مكائد الصليبيين لم يبق من ذكراها الا ما صرفته من جهود لاعلاء كلمة الله من عمارات كان معمارها سنان. لقد بنى هذا المعمار المئات من الآثار الضخمة التي يقف الكثير منها شامخ الرأس الى حد الان وسوف تبقى كذلك باذن الله تعالى الى ابد الابدين. وهل هناك عمل اشرف من بناء بيوت الله؟

حياة سنان:

لقد عاش هذا المهندس المعمارى في فترة تعتبر العصر الذهبي للامبراطورية العثمانية. وسنان المعروف بالشيخ الهرم سنان كان بحق اهلا لعصر كهذا. ولد سنان بن عبد المنان في سنة ٧٩٨هـ الموافق ١٤٩٠م في قرية اغرناس التي تتبع ناحية كسي من مدينة قيصرى في وسط الاناضول. وفي سنة ١٥١٢م جاء الى العاصمة استانبول ليخضع الى تربية خاصة في القصر السلطاني في عهد السلطان ياوز سليم خان. اشترك سنان مع السلطان فى سفره الى جالدران سنة ١٥١٤م وفي سفرته الى مصر سنة ١٥١٧م. ترقى الى مرتبة انكشارى في عهد السلطان سليمان القانوني. اشترك مع السلطان سليمان في سفرته الى بلغراد سنة ١٥٢١م، والى رودس سنة ١٥٢٢، وترقي الى مرتبة اعلى نتيجة لذلك . ترقى بعد ذلك الى مراتب اعلى نتيجة للمعارك التى اشترك فيها . وفي سنة ١٥٣٨ وخلال معركة قرة بغدان بنى على نهر بروت جسرا في ١٣ يوما مما اعجب السلطان سليمان القانوني، فرقّاه، السلطان في السنة نفسها الى مرتبة رئيس المهندسين المعماريين في الديوان السلطاني. ترك لنا سنان خلال حياته الطويلة وعمله الشاق آثارا مدهشة تحتاج الى تدقيق كبير. توفي في سنة ١٥٨٨م، ودفن في كلية جامع السليمانية في استانبول. لقد كان سنان منهلا من مناهل الاشعاع الاسلامي لم ينضب الا مع وفاته. ولكن هذه الاثار ستبقى مصدر الهام للمهندسين المعماريين الاسلاميين بشكل خاص ما شاء الله.

كان سنان كما يبدو كثير السفر، فزار مصر والعراق وايران

ودول البلقان وفينا. دقق في كل مكان الاثار المعمارية الموجودة. تعرف في استانبول على اشهر بنَّاء في ذلك العصر وهو خير الدين الذى بنى جامع بايزيد في استانبول. تولى سنان منصب رئيس المهندسين في الديوان السلطاني مدة ٤٩ سنة بلا منازع.

انجازات سنان :

لقد انشأ هذا المهندس المعمارى في المجموع على وجه التحديد ٤٧٧ عملا، واشار كتاب مصطفى صاعين الموسوم تذكرة الابنية الى ٣٦٤ عملا، منها ٨٤ جامعا، ٥٢ مسجدا، ٥٧ مدرسة، ٧ دور قراء، ٢٢ ضريحاً، ١٧ عمارة، ٣ دور شفاء، ٥ اطواق، ٨ جسور،

يعتبر جامع السليمية قمة فن سنان ولا شك. ولا يختلف اثنان في هذا الخصوص. وقد قال عنه سنان نفسه انه انشأه في مرحلة وصل فيها مرتبة الاستاذية. وصدق فيما قال. فقد بذل سنان في هذا الاثر جهودا جبارة لاظهاره بناء فريدا من نوعه في العالم. لقد بدأ ببنائه بامر من السلطان سليم الثاني في سنة ٩٧٦هـ الموافق ١٥٦٩م، واستمر العمل فيه ست سنوات ، وعمل فيه الكثيرون.

وفيما يتعلق ببناء هذا الجامع قصة طريفة لا بأس من ايرادها. عندما تم اختيار الارض التي قرر بناء الجامع فيها، وجد ان جزءاً منها ملكٌ لامرأة باسم لالة خاتون.

سنان على انجاز شرطها. وفي يوم افتتاح الجامع جاءت لكي تتأكد من انجاز الشرط. وهنا قابلها المعمار سنان قائلا:

لقد نفذت مطلبك. انظرى فقد زخرفت على احدى قوائم محفل المؤذن الاربع وردة (لالة) معكوسة، وسوف تبقى ذكراك هنا الى الابد. ولقد زخرف المهندس المعماري سنان الوردة على هذه الصورة لكى يظهر للجميع عنادها واصرارها.

ان جامع السليمية واسع كل السعة، وبناؤه متوازن كل التوازن. وعندما يدخل الانسان فيه يشعر بخشوع كبير ، ويعيش في عالم آخر غير الذى نعيش فيه. فقد اعد المحراب من المرمر الصافي البسيط

قمة الهندسة المعمارية الإسلامية

جامع السليمانية في مدينة استانبول أحد منشئات المعماري سنان

٢٠ خانا، ٣٥ قصرا، ٨ مخازن، و٤٨ حماما. لقد نشأ سنان في فترة وصلت فيها الامبراطورية العثمانية القمة في كل شيء، وتمثل اعمال سنان قمة الهندسة المعمارية. لقد انجز سنان في هذه الفترة ثلاثة اعمال ضخمة تظهر المراحل التي تطورت فيها هندسة هذا المعمار. انجز عملين منهما في استانبول، اما الثالث فقد انجزه في ادرنة.

الانجاز الاول هو جامع وكلية شاه زادة، والانجاز الثاني فهو جامع السليمانية. يعتبر الانجاز الثالث اجمل انجازات سنان على الاطلاق، فقد نفذها وهو في الثمانين من عمره، انه جامع السليمية في ادرنة.

جامع السليمية في ادرنة:

قبل البدء بالعمل كلف السلطان سليم الثاني هذه المرأة ان تبيع قطعة ارضها، وتأخذ مقابل ذلك من الخزينة. ولكنها رفضت بيع قطعتها واصرت على ذلك، فتأخر البناء طويلا، ثم اشترطت على ان يخلد ذكراها في البناء الذى يراد اقامته بدلا من بيع قطعة ارضها. وعدها

جدا الا انه ذو احتشام كبير، وقد اعد من مقرنصات على نصف قبة بحيث يبرز هذا القسم نحو الخارج.

لقد قرب رئيس المهندسين سنان القوائم التى تحمل هيكل القبة الكبيرة من الجدران الى اقصى ما يستطيع ان يفعل ذلك، فوسع بذلك مساحة الارض التي تقام فيها الصلاة، وجعلها كلا واحدا. لقد صرف السلطان سليم خان على هذا الجامع جميع حصته من الغنائم التي حصل عليها من فتح قبرص، ومقدارها ٢٧٧٦٠ كيسا من الذهب.

- تستند القبة الكبيرة على اطار مثمن يقوم على ثمانية قوائم ضخمة. قطر القبة الكبيرة ٥ر٣١م، وارتفاع القبة من قاعدتها

٨٦ر٥١م. وهذا يعني ان هذه القبة اعلى من قبة جامع أياصوفيا بمتر واحد.

لجامع السليمية اربع مآذن، ارتفاع المئذنة الواحدة ابتداء من الارض ٨٩ر٧٠ مترا، ولكل مئذنة ثلاث شرفات. وقد بنيت مئذنتان منهما بطريقة بحيث يصعد الى كل شرفة من طريق مختلف. وهذا يعني ان ثلاثة اشخاص يصعدون على شرفات المآذن في الوقت ذاته دون ان يرى احدهم الآخر. ولا يمكن الانتقال من شرفة مئذنة الى شرفة مئذنة اخرى إلا بالنزول الى الارض اولا والصعود من سلم

من اوقات الليل والنهار. يحصل الجامع في كل وقت من النهار على اضاءته بحيث يضفي الى داخله جمالا مختلفا، ويؤثر في داخله تأثيرا متباينا، يتضمن الجامع في الجموع ٩٩٩ شباكا. سئل رئيس المهندسين سنان يوما:

- لماذا بنيت هذا الجامع بـ ٩٩٩ شباكا وليس بالف؟ اجابهم سنان:

- من السهل على المرء ان يقول ألفاً وينتهي كل شيء، اما عندما يقول ٩٩٩ يفهم من كلامه كبر هذا الرقم.

ان الايطاليين الذين رأوا جامع السليمانية في استانبول، قالوا: «لو كان هذا الجامع لدينا في ايطاليا لحافظنا عليه داخل الزجاج». لو شاهد هؤلاء الايطاليون جامع السليمية في ادرنة، ترى ما كانوا يقولون عنه؟ واين يحافظون عليه؟.

نهب الروس :

وفي سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٨ استولى الروس على مدينة ادرنة لفترة معينة من الزمن بعد معارك طاحنة دارت بينهم وبين العثمانيين. اقتلع الجنرال الروسي سوكولوف من خزف هذا الجامع عددا كبيرا، واخذه الى متحف موسكو. لقد صبغ هذا الجزء من الجامع فيما بعد.

وحشية البلغار:

لقد حصل جامع السليمية نصيبه من وحشية البلغار. في سنة ١٩١٢ وخلال حرب البلقان استولى البلغار على مدينة ادرنة. وعندما دخلوا هذا الجامع اندهشوا مما رأوا وارادوا ان ينتقموا من حسدهم القاتل، فجلبوا المدافع إلى داخل الجامع، وبدأوا يطلقونها بهدف تخريبه. الا ان الله سبحانه وتعالى لم يشأ ان يخرب جامعا يذكر عليه اسمه. تركت المدافع اثارا على قبة الجامع. رممت التخريبات فيما بعد عدا في مكانين تركا عمدا لاظهار وحشية البلغار للعالم الاسلامي.

جامع السليمية في أدرنة يعتبر أجمل انجازات المعماري سنان على الاطلاق فقد نفذه وهو في الثمانين من عمره

مختلف ثانيا.

يرى الاستاذ الالماني ديز ان جامع السليمية لا يضاهيه بناء على وجه الارض في تأثير المكان وكبره وارتفاعه وكونه كلا واحدا.

لقد جلب المرمر المستخدم في الصحن من جناق قلعة وسوريا واثينا وطاوشانلي. استخدم في هذا الجامع ١٥٧٥ مترا مربعا من المرمر.

اكمل جامع السليمية سنة ٩٨٢هـ الموافق ١٥٧٥. وقد عمر هذا الجامع لاسباب مختلفة في السنوات ١٨٥٩ و ١٨٨١ و١٨٨٤ و ١٩٠٧.

جمال السليمية :

ان جامع السليمية عروس الجوامع قاطبة، اذ ان للجامع جاذبية وجمالا مختلفا في كل وقت



النقوش في مسجد السليمانية
أحد ابداعات المعماري سنان

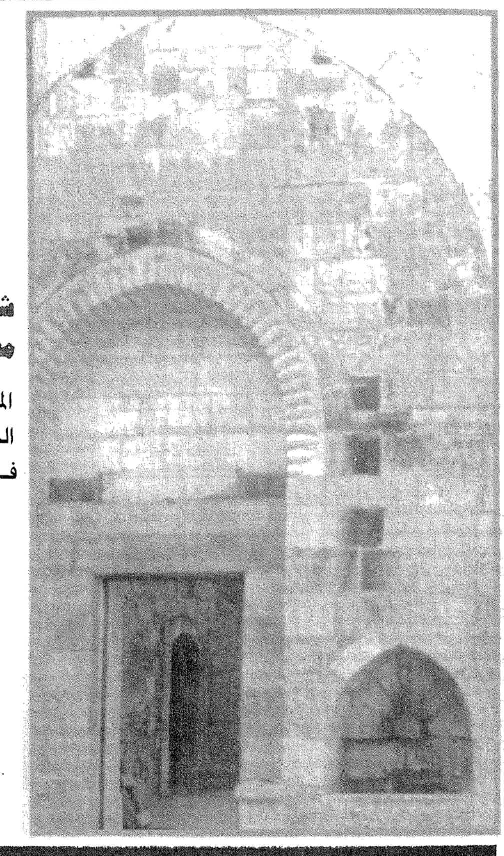
آثار تحتاج الى ترميم:

ليست الآثار التى تركها رئيس المهندسين سنان في حالة جيدة جميعا. وقد زال نصف الاثار التى بناها سنان من الوجود، وغيرها بحاجة الى ترميم لتخليد ذكرى الرجل. نذكر من اثار ادرنة ما يأتي:

«جامع الشيخ شجاع الدين - جامع يحيى بك - جامع الصخور - خان رشدى بك - جامع السلطانة اسماء - جسر السراى - جامع الدفتر دار مصطفى باشا».

شواهد معمارية

المكتبة الخالدية في القدس



حسن فتحي .. أحد رواد العمارة الإسلامية المعاصرة

بقلم: م. كريم عوف
- مصر -

« حسن فتحى » ، أو «شيخ المعماريين» ، أو كما عرفناه «حسن بيه».

- العنوان: ٤ درب اللبانه - القلعه بجوار ورش النجارة والتكيه القديمه، وخلف مسجد «الرفاعى»، فى بيت من بيوت القاهرة القديمه بمعمارها الاسلامى الفريد، ذي الاحواش السماوية والمشربيات ، والمسمى بـ «بيت الفن».

- فى الدور العلوى: السكن والمكتب فى نفس المكان.

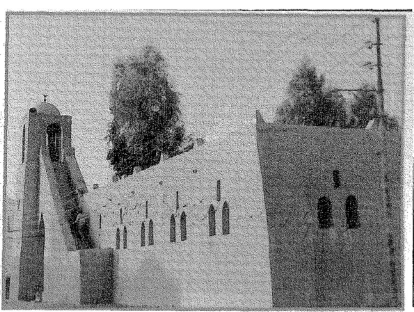
- الحالة الاجتماعية: لم يكن متزوجاً ، أو له أولاد ، فكان عطاؤه الكبير للإنسانية كلها، واستطاع ان يفتح باباً لم يكن موجودا من قبل، وأن يؤسس مدرسة فكرية ، وعملية وأن يمهد الطريق لأجيال من بعده فى مشوار التواصل الحضارى.

- من مواليد عام ١٩٠٠م، تخرج من «المهندسخانه» جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة)، وذاعت شهرته فى عدة مجالات، فما ذكر الفن والعمارة، أو البيئة أو تعمير الصحراء ، أو الثقافة المحلية، أو التراث والحضارة، أو الأصالة والمعاصرة، أو العمارة الاسلامية، أو التكنولوجيا المتوافقة، أو الاسكان، إلا وذكر اسم «حسن فتحى» ، وهذا يجعلنا امام عبقرى قلما نجده فى صفحات التاريخ.

كان شديد الذكاء، لماحاً ذا ثقافه واسعة ومتعددة الجوانب، له دراية بعدة لغات، وله عدة هوايات يجيدها إجادة تامة، كالشعر ، الرسم ، التأليف ، الموسيقى (وخاصة عزف الكمان) ، التصوير ، تربية الخيل، وغيرها، كل ذلك ساعد على تكوين رؤية متعددة الجوانب والأبعاد، والى تكوين عقلية متوقدة ووجدان مرهف، الأمر الذى قلما نجده فى حياتنا الآن، إنه عقلية مفكر وفيلسوف ، وباحث ودارس ، وفنان متذوق، مرهف الشعور، وكل هذا جعل منه تركيبة فريدة، وعبقرية نادرة تجسدت فى رؤيته للعمارة والانسان والعلاقه بينهما.

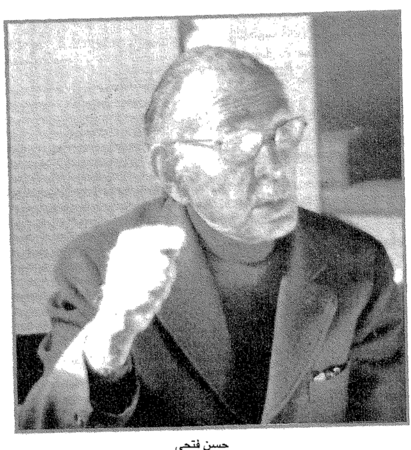
عن العلم والعمل:

كانت ابحاثه ودراساته لا تنتهى، ودأبه على العمل متواصل



مسجد القرنة ١٩٨٨

كتالوجات المعمار الغربي عروض أزياء لا تعبر عن ذاتنا



حسن فتحي

برغم كونه لا يسعى للحصول على شهادة أو مكانه علمية، بل لم يكن يؤمن بأن الغرب بإمكانه أن يعطيه شهادة أو أن يتعلم منهم أو يجد عندهم ما يبحث عنه، ويرى أن اعمال الاساتذة والممارسين المعماريين المتأثرين بثقافة الغرب، هى أعمال متفرنجة وغريبه عن المكان، وعن ثقافتنا، ويطلق عليها اسم «سخافه» بدلا من «ثقافة»!! وهذا ما دعاه فى وقت كانت الغالبية العظمى من رواد العمارة فى عالمنا العربى الاسلامى، من الاجانب، أو عرب يعملون على أصول أجنبيه، دعاه الى البحث والدراسه فى عمارتنا المحليه، كالعمارة التلقائيه vernawlar Aich. خاصة فى النوبه والمدن الصحراوية، والعمارة المصرية القديمة، والعمارة الاسلامية، ووجد فيها حلولا فنية وتقنية غاية فى الجمال والكفاءه، ووجد فيها ابعاداً لم تكن تحظى بالاهتمام على الساحة، ولم يتعرض لها العلم الغربى، ولم توجد بالكتب، وجد ابعاداً تراعى البيئة وتستطيع توفير مناخ لطيف دون اللجوء الى تكييف الهواء صناعياً، وحلولا تتعامل مع انشطة الانسان الحياتية، وتأصل ثقافته وتنميها، وبها من الابداعات مالا يمكن حصره وكأنها ترجمة لشخصية الانسان المسلم ورؤيته للحياه.

ويعبر عن ذلك بكلماته:

«اذا كنت انساناً عربياً أصيلا، أسمر الوجه، اسود الشعر، اسود العيون، فإن بنات افكارى تكون مثلى لأنها نابعة منى، أما اذا ظهرت بنات افكارى بيضاء اللون، شعرها اصفر، وعيونها خضراء، فإنها تكون غريبة عنى ويقال عليها بنت حرام».

والحال فى العمارة كذلك فإذا كنت عربياً مسلماً ولى ثقافتى وخصائصى الطبيعية، ولى متطلبات معيشتى واسلوب حياتى، فإن العمارة التى أحيا فيها يجب ان توافقنى وتشابهنى.

- واذا كان العلم المتشعب المتشابك مع الابعاد الفنية يشكلان معاً أرضية خصبه لظهور الافكار الا انها تظل فى دور النظريات والدراسات، ولا تكتمل الا بتجربة عملية، بمحاولة التنفيذ والتحقيق على ارض الواقع، وباحتكاك فعلي مع الانسان، والمكان والامكانات.

وهذا ما قام به، فكانت افكاره وفلسفاته فى احتكاك دائم بين النظرية والتطبيق، الحلم والواقع، وكانت البداية فى صعيد مصر فى مشروع «قرية القرنه» ١٩٤٢م، حاول فيه تطبيق فكرة البناء الجماعى بأن تتحول عملية التعمير الى عملية ذاتية تنبع من الناس انفسهم بثقافتهم وباستخدام المواد المتاحة لهم وهى «الطين»، وبتقنية

بسيطة لا تعتمد على الميكنة المستورده.

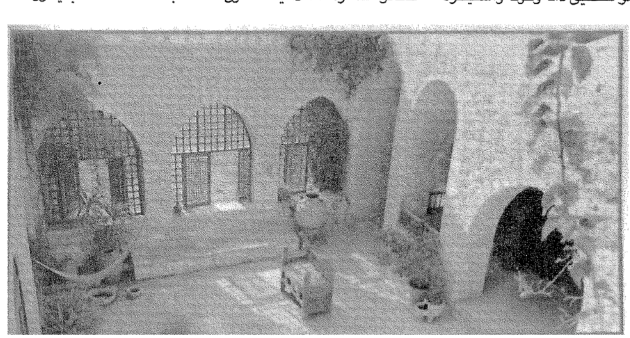
وتجربة مشروع القرنه لم تكتمل ولم يقبلها كثير من الناس والاهالى إلا انها تعتبر نموذجاً يجب دراسته وفهمه واستخلاص الدرس منه.

وكما استطاع «حسن فتحى» استخلاص القيم، والمعانى، الموجودة فى العمارة التلقائيه كذلك استطاع استخلاص دروس ومفاهيم ومعانى كثيرة من المدينة والعمارة الاسلامية، فالانسان والعمارة والبيئة منظومة ثلاثية لا يمكن فصل أحد اطرافها وتختلف العمارة بحسب اختلاف رؤية الانسان، والمعماري المسلم فى تعامله مع البيئة الصحراوية استطاع ان يبتكر اساليب وحلول معمارية فنية كالملاقف والاحواش السماوية والمشربيات والفسقيات، تحقق له الراحة الحرارية، ولا شك ان رؤية هذا المعمارى المسلم للبيئة المحيطة تختلف عن تلك الرؤية المادية الغربية، فهدف المسلم هو التكامل والانسجام مع ما حوله والشعور بأنه يعامل المولى عزّ وجل فى اعماله، بينما يرى الغربى أن الهدف هو تحقيق ذاته وقوته والسيطرة على الطبيعة.. الخ، دون الشعور بأن يعمل مع مخلوقات الله فى ملكوت الله، وفى هذا يقول حسن بيه:

«إن الله سبحانه وتعالى قد اختص الانسان وحده دون باقى المخلوقات بإمكانية تغيير البيئة الطبيعية الى حد كبير، ووضع تكويناته المعمارية وتشكيلاته التخطيطية . وأن فى هذا ما يلقى على عاتق المعمارى والمخطط مسؤوليات جسام ، ولكى نقدر هذه المسؤوليات فلنتأمل قليلا فى طبيعة التكوينات التى من صنع الله».

هذه الرؤية الايمانية هى الفارق الاساسى بين المعماري المسلم المؤمن ونظيره المادى الغربى، والعمارة الاسلامية لا يمكن ان تصدر الا من معمارى مسلم، يشعر بها عقلا ووجدانا، وتظهر فى اعماله بتلقائية دون الحاجة لفلسفات ونظريات لأنها تكون معاشة فى حياته اليومية. والا فكثير من دارسي العمارة فى الخارج والممارسين مثلهم مثل الاجانب، يعتقدون انهم بمجرد استخدامهم للمشربيات والعقود، والنقوش، قد صنعوا عمارة اسلامية، فتكون اعمالهم عمارة زائفة لا تحوى القيم الاسلامية الحقه التى يمكننا ان نشعر بها اذا تأملنا المبنى وتحركنا بداخله ، فالعمارة الاسلامية ليست قوالب ثابتة انما هى شعور متجدد ومتدفق مع الحركة فى الفراغ، فالبيت العربى الذى يضم الحوش السماوى، والتختبوش، والدرقاله وايواناتها، ونسبها الجميلة، حاول حسن فتحى اعادة صياغة تلك المفردات فى قالب جديد حسب المتطلبات المعيشية الجديدة، ويلخص حسن فتحى فهمه للبيت العربى فى اختياره لكلمات الكاتب الفرنسى انطوان دسانت اكزوبدى، الذى كان يرددها دائما بأنه **«منزل أبى الذى كل خطوة فيه لها معنى»**، ويقارن ذلك البيت ببيوت اليوم مضيفا انها **«بيوت العم سام حيث كل خطوة وراءها دولار»!!**

- وتأخذه التأملات فى الحياة والسياسة والدين وملكوت الله ومخلوقاته، محاولا ان يستنبط من قوانين الطبيعة وطبائع المخلوقات قوانينه للتخطيط المعماري، تتناسب مع الكون ونواميسه الأزلية، وتحقق أوامر المولى عز وجل. ففى احد كتاباته الخاصة كتب يقول:



منزل خاص بسقارة (أعمال حسن فتحي)

«إن أول ظاهرة اجتماعية في تطور الحياة على سطح الكرة الأرضية تبدأ من تكوين الخلايا المفردة التي هي ادنا الكائنات الحية للمستعمرات أو التجمعات التي تضم عدداً من هذه الخلايا التي وجدت في تجمعها تشكيلاً خاصاً ما يعطيها ميزات تجعلها أقدر على مواجهة صعوبات الحياة عما لو لم تنظم هذه الخلايا في سلك الجماعة».

وفي مكان آخر يقول: «... مثال لذلك آن «الأصبع» الذي يتكون من عدة وحدات هي «العقلات» يصبح هو نفسه وحدة في تنظيم اكبر منه هو «اليد» التي تتكون من عدة اصابع عندما تكتمل مختلف عناصر تكوين اليد».

ثم ينتقل اثر ذلك الى التخطيط فيقول: **«وينطبق ذلك على التخطيط فنجد اننا اذا جمعنا بين عدة منازل - مثل عقلات الأصبع - في تنظيم خاص، سنخلق شارعاً له صفات نوعية تختلف عن مجرد مجموع المنازل التي يتكون منها كما «لليد» صفة تختلف عن مجموع الأصابع التي تتكون منها، وبذلك نكون اذا قمنا بتجميع عدة من المنازل من ناحية الكم سنخلق شيئا جديداً من ناحية الكيف، كما لو تخطينا عتبه..».**

وتتميز اعمال حسن فتحي بقيمها الجمالية العالية برغم بساطتها، ويشرح ذلك بأن هذه النوعية من المباني توافق القوى الناتجه من التشكيل، وتتوافق مع الطبيعة والبيئة حولها، وتضع نفسها في إطار من النسب الجميلة لا يمكنها الفكاك منه وفي نقده لاحد اعمال المعماريين المعاصرين وكان المبنى المصمم مسجدا ، فذكر ان المئذنة في هذا المبنى تخضع لنسب جمال اجنبية وليست عربية، برغم كون المسجد في بلد عربي ، ثم

التخلي عن الأساسيات المعمارية التي تتطلبها البيئة يحدث خللاً كبيراً في المنظومة المعمارية بكاملها

قارن تلك المئذنة بمئذنة «قايتباى» في مصر، ويشرح ذلك بأنه **اذا ما وضعنا «كليم بدوى» بالوانه الزاهية، في صالون «لوفكانز» فرنساوى، فإن الاهانة تكون للاثنين للكليم البدوى برغم جماله، وكذلك للصالون الفرنسي.**

وعن هذه النسب الجميلة نعرض كتابته عنها فيقول:

«هناك حد أقصى لنمو أى كائن عضوى، لا يزيد عنه وإلا فقد الترابط الداخلي بين اجزائه وقد لا يقوى على الحياة بشكله الجديد، ففي عالم الحيوان نجد ان الفأر مثلا لا يمكن ان يكبر عن حد معلوم، فإنه عندما يزيد طوله مثلا سيزيد عرضه وارتفاعه اى الحجم، اذن فعندما يزيد الطول سيزيد الوزن بنسبة مكعب الطول، وبذلك سنجد ان بعض اعضائه لن تقوى على حمله، اذا لم يحتفظ بشكله وتصميمه الذى خُلق على اساسه».

ويتكلم الكثير من الناس عن ان العمارة الاسلامية العربية، اصبحت من الماضي وقد عفا عليها الزمان، وان التطور والنحو الثقافي هو ما نراه في العمارة الحديثه وربما نوضح هذه النقطة في اجزاء من المحاضرة التي القاها في جامعة بيروت سنة١٩٧١ فيقول:

«وقد يخيل للبعض بأنه باستعمال آلات تكييف الهواء التي هيأتها التكنولوجيا الحديثة للانسان ما سيجعل كل العناصر المعمارية ومبادئ التصميم المستخدمه في العمارة العربية لتلطيف الجو الداخلى كالمشربيات والسلسبيلات يمكن الاستغناء عنها، وكان ذلك صحيحاً اذا ما كان القصد والهدف الوحيد منها هو خفض درجة الحرارة، ولكن يجب علينا ان ندرك أن هذه العناصر كان لها دور هام في الثقافة قد يفوق أهميته عن الناحية العملية، باعتبار المكان الذى تشغله العمارة والفنون الزخرفية في الثقافة العربية، لذا فإن المعمارى العربى الحديث عندما الغى كل العناصر المعمارية والزخرفية السالفة الذكر من قاموس العمارة الحديثة باستعمال آلات التكييف، فإنه قد خلق فراغاً كبيراً في ثقافته».

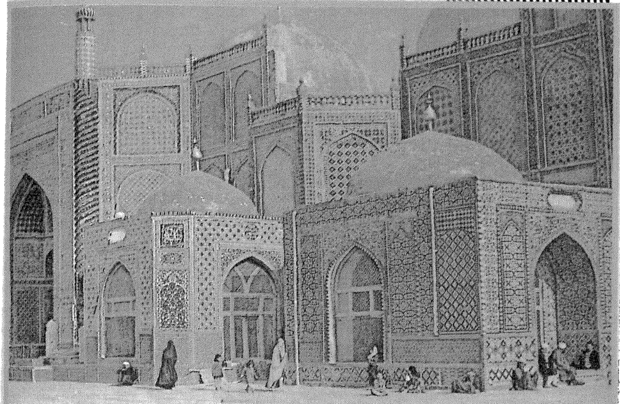
وعن العمارة العربية والمستقبل يقول في النهاية:

«... فإن من اول مسؤوليات المهندس العربى المعاصر ان يرجع صفة المعاصرة الى عمارته كما كانت في كل عصر من العصور التي مرت بها عندما كانت سائرة في طريقها، ولتحقيق ذلك يجب ان نأخذ العمارة العربية من اللحظة التي تخلينا فيها عنها، وان نعمل على وصل ما انقطع من سلسلة تطورها الطبيعى.. وبحيث نصل بالعمارة العربية الى ما كان يصح ان تكون عليه وليس ما هى عليه».

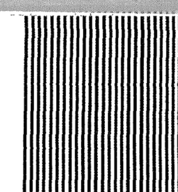
- وفي سنة ١٩٨٩م توفى «حسن فتحى» في منزله بالقلعة. رحم الله استاذنا وجزاه عنا خير الجزاء.

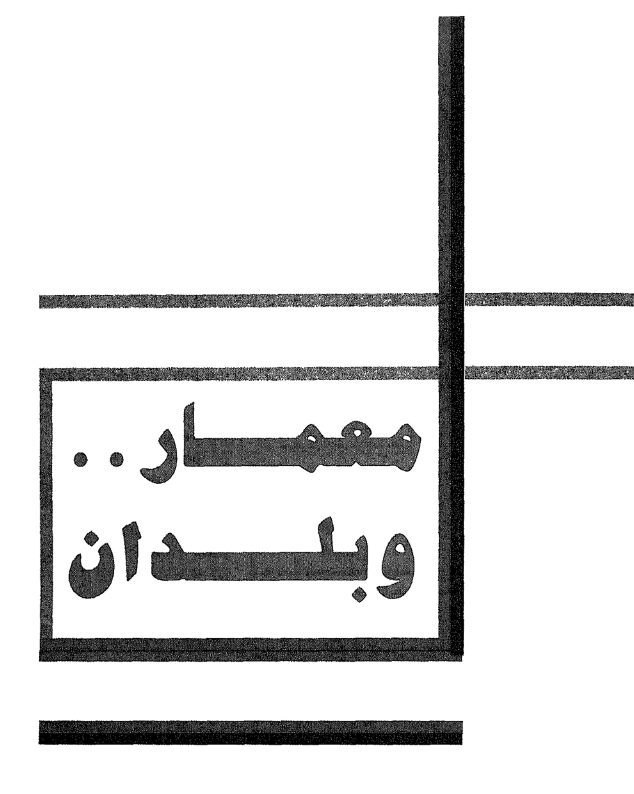


شواهد معمارية



في أفغانستان.. نجد المعمار الإسلامي يأخذ طابعاً مغايراً لما هو عليه في المشرق والمغرب الإسلامي، ويتفرد بأسلوبه المميز في النقوش والزخارف




معمار..
وبلدان

ربما كان من المفيد أن أحاول في مستهل هذا المقال أن أبيّن ما الذى يقصد بمصطلحى الحفاظ والإحياء لدى الحديث عن المدن والأحياء والمباني التاريخية.

الحفاظ في مصطلح أهل الشأن يعني صيانة المنشآت التاريخية والحفاظ عليها دون أي تعديل أو تغيير يمس جوهرها أو يخالف طرازها. والإحياء يعني صيانة تلك المنشآت التاريخية وإعادة توظيفها توظيفا نافعا. إما وفق ما كانت عليه أو استعمالها لأغراض جديدة مشابهة، ومثال ذلك، كأن يحافظ على «سمسرة»(١) قديمة: وذلك عن طريق ترميمها وصيانتها وتنظيفها، ثم تحويلها الى مركز عمل حرفي أو مكتب سياحي أو ما شابه ذلك.



نموذج بوابة كبيرة من تراث البيئة العمرانية القديمة في اليمن

صنعاء القديمة

بقلم الدكتور:
يوسف محمد عبدالله
– اليمن –

يقول المهندس المعمارى رفعة الجادرجي(٢): «إن وظيفتى الحفاظ والإحياء في التخطيط الحضارى تتخذ ثلاثة أوجه:

الوجه الاول: هو الحفاظ على معالم التراث كمرجع لدراسات آنية ومستقبلية.

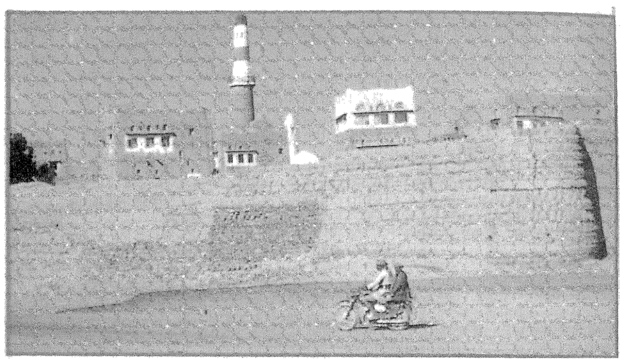
الوجه الثاني: هو الحفاظ على معالم التراث كموجودات تراثية لغرض المتعة واشباع الحنين الى الماضي وتكوين عقد «مراكز» تراثية متنوعة في المدينة الجديدة وذلك لتلافي الملل وخلق نبض حي فيها.

الوجه الثالث: هو الحفاظ على تلك المعالم التراثية باعتبارها تمثل خلفية لتكويننا وكياننا الحضاري.

أي أن الحفاظ والاحياء عمليتان متكاملتان إذ لا يقتصر على ابقاء المباني القديمة بحالتها الأصلية وصيانتها وترميمها، وانما ينبغى إعادة تنمية تلك المبانى فى اطار بيئتها. وتجديد وظائفها وتحبيب سكناها للناس وإنعاش الحياة فيها والمحافظة على عناصر الأصالة من خلال استمرارية عملية الابداع فى التخطيط والمعمار.

ولقد حرصت على أن أمهّد لهذا المقال بالتعريف السابق، حتى لا يظن بي القارئ الظنون إن هو قرأ العنوان، إذ ان لكل من لفظتي الحفاظ والإحياء معاني عدة لغة واصطلاحا، وظلال معان مختلفة. وقد حدث قبل فترة وجيزة أن شاركت في مناقشة مخطط موضوع دراسة اجتماعية تزمع احدى طالبات الدراسات العليا بجامعة صنعاء القيام بها وتقديمها رسالة علمية ، للحصول على درجة الماجستير من قسم الاجتماع. وكان موضوع الدراسة يعنى بالتحضر وأثره على الاسرة فى المجتمع اليمنى، وكانت الطالبة تنوي ان تتخذ من مدينة صنعاء العاصمة حالة تطبيقية ضمن دراستها. فكان أن اقترحت عليها بحضور استاذها المشرف ان تتخذ

الخلط غير الواعي بين القديم والحديث أنتج مدناً هجيناً فاقدة الهوية والمذاق



منظر جانبي لسور صعده

ولماذا الحفاظ والإحياء

مدينة صنعاء القديمة وليست صنعاء العاصمة ككل مجالا للتطبيق فلعل ذلك يكون اوضح فى الدلالة كما أن الدراسة قد يستفاد منها فى تنفيذ المشروعات المعدة للحفاظ على مدينة صنعاء القديمة وإحيائها، خاصة وأن معظم الدراسات التى تمت بهذا الشأن قد اقتصرت على الجوانب المعمارية وأهملت المناحي الاجتماعية. وهي في تصورى جوانب هامة ولا تتم محاولات الحفاظ والاحياء دونها. وما أن اكملت اقتراحي بهذا الشأن حتى انبرى الاستاذ المشرف محتجا، ووجه الي سؤالا على الفور، «ما الذى تعنيه بقولك الحفاظ على المدينة القديمة وإحيائها؟» إن الجديد يحل محل القديم، والجديد أنفع من القديم، والحي أفضل من الميت؟ فأجبته بإيجاز مستعيناً بشيء مما سلف ذكره عن الحفاظ والاحياء ثم اردفت قائلا: نريد أن نحتفظ بمدينة صنعاء القديمة حية بسكانها عاجة بأسواقها، عامرة بمساجدها نشطة بحرفها فخورة بتقاليدها ... فقاطعنى بقوله. هل ذلك ممكن؟ هل تقدرون على ايقاف التقدم؟ هل يستمع الناس لمثل هذه الاقوال الرومنطيقية، ويصرفون النظر عن الانتقال من المدينة القديمة الى خارج الاسوار لينعموا بخيرات المدينة الجديدة ووسائل الحياة الحديثة؟ هل تريدون أن تتخذوا من مدينة صنعاء القديمة متحفا اثرياً !! إن دراسة هذه الطالبة قد تفيد فى رصد حركة الانتقال من المدينة القديمة الى المدينة الحديثة، ولكن لن تفيد فى اعداد مشروعات الحفاظ علي مدينة صنعاء القديمة وإحيائها، لأن ذلك لن يتم ابدا ، فأهل المدينة القديمة سينتقلون بأسرهم وتقاليدهم الى حيث يجدون سبل العيش الحديثة وخدمات الحياة الجديدة ورفاهيتها. إنهم يتوقون الى الماء النقي والكهرباء والمطابخ والحمامات على أحدث طراز، ويتعشقون الاسواق الحديثة وصخب المدينة ووسائل الترف واللهو وغير ذلك. ولن يبقوا قابعين فى تلك الاحياء العتيقة التى تعكس مظاهر حياة العصور الوسطى؟.

كان صاحبى يتحدث بصدق وثقة، وهو العارف الخبير بمشكلات التحضر المعاصرة وكنت استمع اليه وأهز رأسي بين الفينة والأخرى، مشجعاً له على الاستمرار فى طرح اسئلته وشرح موقفه. ذلك لأني أيقنت أنه لا يقصد من اسئلته احراجي شخصياً، ولا يرمي الى تثبيط عزيمة العاملين على انجاز مشروعات الحفاظ والإحياء لمدينة

صنعاء القديمة، وإنما رغب أن يقدم وجهة نظر معينة يراها هو صوابا، وضمنها تلك الاسئلة الصعبة. كما أنه احب أن يبصر الباحثة بعملها، وهدف الى حسن توجيههما، على أنني بدلا من أن أرد على أسئلته، وجهت إليه أولا بعض الاسئلة. سألته مثلا: هل زرت مدينة صنعاء القديمة؟ وهل أنت على بينة من برامج الحملة الوطنية والحملة الدولية لصيانة المدينة؟. ولم تدل اجابته على حسن اطلاع واحاطة. والحق يقال فله العذر فى ذلك ! فهو ضيف كريم واستاذ قدير ولكنه قريب العهد بصنعاء ولم يتسن له التعرف عليها والالمام بقضاياها. وكان يتحدث أمامي بحياد تام. وازعم ان وجهة نظره تنطبق على كثير من مدن العالم المتقدم والنامي، فقد رأينا كثيراً من المدن الأوربية تتحول الى انقاض بسبب الحرب العالمية الثانية، واستبدلت كثير منها بعد الحرب بمدن جديدة تختلف في طرازها وتخطيطها على سابقاتها تماما.

ورأينا فى كثير من البلاد العربية مدنا تختفي وتقوم على أثرها عمارات حديثة لا تمتُّ الى المدن السابقة بصلة. وإذا ما بقي شيء من تلك المدن القديمة فهو حي أو حيّان على سبيل الذكرى فقط.

ان التطور الحاصل فى حياتنا المعاصرة يتعارض فى الظاهر من حيث المبدأ مع بقاء التقاليد المحلية والخصوصية الثقافية. **فأسلوب الانتاج المعاصر الذى يتسم بطابع الانتاج الاجمالي يتناقض مع صيغ الاشكال التراثية. والاشكال التراثية تستمد أصولها من صناعة يدوية حرفية تختلف مقوماتها وظروفها الانتاجية اختلافا تاما عن التكنولوجيا المعاصرة(٣).** وإن التحديث عن طريق التخطيط العلمي أو العملي لمشروعات التنمية والتطوير يقتضي شق الطرقات الواسعة وبناء العمارات العالية واقامة المجتمعات السكنية والاسواق الكبيرة، واستعمال مواد البناء التى تصنع على نطاق واسع، والاسراع في تنفيذ المشروعات السكنية والاقتصادية والخدمية، وكل ذلك يقتضي اجمالا إلغاء القديم الذى لا يوافق طبيعة العصر المتفتحة، واستحداث الجديد الذى يخدم عمليات النمو والتطور الضرورية، وما على المرء الا ان

المدينة الحديثة غابة من الأسمنت تعلوها البهرجة والضوضاء

يلقى نظرة سريعة على ما يمكن رؤيته من مدن العالم المتقدم أو النامي، **فلا ريب انه سيجد مدنا متشابهة أصابها التنميط العالمي فكأنها غابات من الاسمنت المسلح، وسيجد ايضا مدنا هجينة الشخصية ليس لها طابع محلي أو هوية ثقافية واضحة، تكاد تشبه بعضها بعضا، ولا يحتاج المرء فى هذا الصدد الى ضرب أمثلة وذكر اسماء فهي كثيرة، وكثيرة جدا.**

ان التطور الاقتصادى والزحف العمراني جعلا استخدام تقنية البناء الحديثة أمراً لا مفر منه، كما أن انتقال السكان من المدينة القديمة الى الحديثة وبالتالى تفكك النماذج الاجتماعية للأسرة يؤثر بطبيعة الحال تأثيرا كبيرا على ما كان معهودا لديهم من تقاليد سكنية، كتلاحم المجاورات السكنية وتكافل ساكنيها. وهو كما يبدو أمر لا مفر منه فى مسيرة عالمنا المعاصر.

ألا ترى ياعزيزى القارئ ان صاحبي استاذ علم الاجتماع كان محقاً فى وجهة نظره؟ أجل «الواقع» يؤيد قوله. ولكن القصة لم تنته بعد: إذ أنني ما لبثت أن استويت على مقعدي، ثم التفت اليه قائلا: مهلا يا صاحبي! تلك وجهة نظر! وللأمر وجهات نظر أخرى. واسمح لي أن أبدي لك إحداها، فلربما كان فيها، أو في بعضها الاجابة على اسئلتك. ولربما كان فيها ايضا، رأي مفيد، وهو قد لا يفلح في اقناعك ، ولكنه ربما ينجح فى استمالتك لتكون واحداً من اصدقاء صنعاء القديمة. وقد يحدوك في أن لا تمانع أيضا بأن تحاول «باحثتنا» توظيف بحثها الاجتماعى بما يخدم أهداف الحملة الوطنية والدولية للحفاظ على مدينة صنعاء وإحيائها.

سأبدأ وجهة نظري هذه مرة أخرى بقول للمهندس رفعة الجادرجي حيث يقول(٤): «إن التناقص بين الانتاج المعاصر والتراث هو تناقص مرحلي بحد ذاته، فقد أخذ الانتاج الكمي يتطور نحو ذلك المتنوع، وبموجب برمجة الكترونية» ولذلك فان الظروف التى ولدت التناقص هى وقتية زائلة.. واليوم تبذل جهود جبارة وتمر ليال مضنية من السهاد والسهر فى سبيل تهيئة المتطلبات المادية والمعنوية للمواطن، بما فى ذلك المسكن والمأكل والتعليم ووسائل الراحة، فهل نقبل بعد هذا الجهد الكبير ان تكون حصيلة هذا كله وضعا اجتماعيا جديدا يفتقر الى السمات الخصوصية، أي يفتقر الى حضارة، لا تمتلك طابعا خاصا أولونا معينا؟ هل يمكن أن نسمي ذلك بالحضارة ما دامت تفتقر الى



وادي حضرموت

السمات الخصوصية المتميزة؟ نحن لا نقبل هذا المسار!! **إن صورة المدينة جزء من شخصية أهلها وملامح الصورة تتجلى من خلال ملامح أصالتها.** فهل يمكن ان تقبل أي أمة ان تتخذ من مدينتها او عاصمتها وعاء فارغاً تستورد اليه كل شئ ويرمى فيه أي شئ على حد تعبير مهندس غربي(٥)؟ فإذا كان الرد بالايجاب ، فلا شك أن مثل هذه التجارة لا ريب بائرة. أية تجارة هذه التى تقايض التراث الاصيل «بالموضة» العابرة. إنها كمثل ذلك الذى يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير.

نحن لا نقبل بهدم تراث الماضي كيفما اتفق، لنقيم الحديث على انقاضه حسب «الموضة» ولا نقبل بأن نعمل على محو سمات شخصيتنا أولا، ثم نلهث بعد ذلك وراء اكتساب شيء مجهول، إن نحن وجدناه فى آخر المطاف، فقد يكون أي شيء آخر إلا نحن .. **نحن لا نقبل مسار الحضارة الذى يكون على حساب تقاليدنا وقيمنا ومعتقداتنا وآثارنا ومعمارنا. ولا نقبل أن تكون عملية التنمية والتطور فى بلادنا على حساب معالمنا الأثرية وشواهدنا التاريخية، فالحداثة بالنسبة لنا ليست بديلا عن الأصالة، وتنمية الحاضر لا تعني ابدا إفقار الماضي.**

غير أن هذا الموقف لا يعني الدعوة الى الانغلاق والتقوقع وايقاف حركة التقدم ومسيرة العلم، كلا! وإنما ينبغى في حقيقة الامر استلهام المشرق والمفيد من تراثنا وصهره بصدق وابداع على الدوام بحيث نتمكن من الاحتفاظ بهويتنا الثقافية متجددة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تسقط أوراقها فى الخريف، ولكنها لا تشيخ، وانما تجدد شبابها فى كل موسم، وتورق من جديد كما تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

الحفاظ على التراث واحياؤه ضرورة ولكن من المستحيل ان نحافظ على كل تراث الماضي، بل

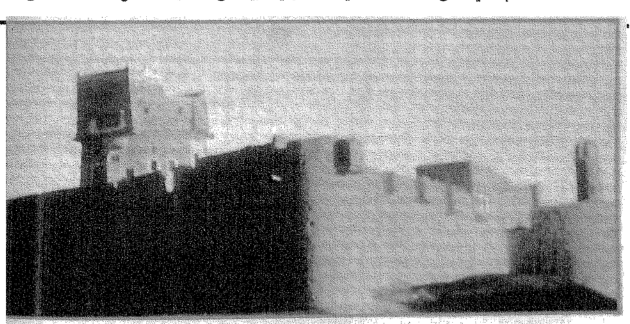
ينبغي دوما تقليم «الشجرة» وتحديد صفات التراث الفعال، ووضع أولويات للمعالم التراثية التى ينبغي ان يحافظ عليها، **والعمل على إبداع الصورة الجديدة الممكنة من قلب التراث نفسه، بحيث تواكب روح العصر الوثابة، ولا تتنافر مع الذوق السائر، ذلك لأن الخصوصية لا تعني انكار الغير، إذ أن خصوصية الثقافة وعالميتها ينبغي أن تكونا وجهين لحقيقة واحدة والقيم الثقافية هى أصوات مختلفة فى عالم واحد،** على حد تعبير أدبيات اليونسكو(٦).

إن الذاتية الثقافية ليست تراثا جامدا، ولا مجرد سجل جامع للتقاليد، بل هى دينامية داخلية وعملية مستمرة يواصل فيها المجتمع دوما ابداع ذاته، وشرط لازم لتقدم الأمم. والدفاع عن الهوية الثقافية ومكوناتها ينبغى ان لا يفسر على انه مجرد التمسك بالماضي وبعث للقيم البالية والقديمة، بل ينبغى ان يفهم على انه توكيد واع للأصالة وتعزيز ضروري للتضامن الداخلي، والوحدة الوطنية. بل هو أيضا خطوة نحو استعادة الملكات الابداعية لدى الامة وحث قدراتها على الابتكار. إنه دفاع عن منجزات الماضي الحضارية وفي الوقت نفسه بحث عن مشروعات حضارية جديدة قادرة على الاسترسال فى رد الاعتبار للماضي عن طريق الشعور بمسئولية متزايدة تجاه المستقبل.

والحفاظ على التراث ليس من معوقات التنمية كما يقال أحيانا. بل إن الاعتقاد يترسخ أكثر فأكثر، فى عالم اليوم بأنه لا يمكن للتنمية ان تقصر نفسها على المجال الاقتصادي وحده، وانما ينبغي لها أن تحدد أهداف النمو من الناحية الثقافية، وتعمل على صيانة تراث البيئة أيضا. وهما أمران حيويان للانسان لابد منهما، فالانسان فى واقع الامر هو موضوع التنمية وهدفها بل هو صانعها.

وقد أجمع علماء الآثار والمهندسون المهتمون بتطوير التراث المعمارى العربي الاسلامي وخبراء الثقافة فى المحافل الدولية على أن مدينة صنعاء القديمة واحدة من مدن العالم الاسلامى التى ينبغي أن تُعلن مَعْلماً تاريخيا هاما على المستوى المحلي والدولي(٧). فصنعاء مدينة ذات نوعية فريدة فى الجمال المعمارى، وهي نموذج للمدينة التاريخية الاسلامية داخل الاسوار القديمة، ومازالت المدينة الى اليوم باقية على صورتها القديمة وتحتفظ بوحدتها وتكاملها معماريا وبشريا، كما أن سلبيات الحياة الحديثة لم تطغ عليها كثيرا ولم يغمرها طوفان الحياة الغربية وانماطها الغريبة. غير أن ذلك الايقاع المريح الذى حفظ هذه المدنية خلال عملية التزاوج بين أصالة الماضي وحداثة الحاضر، قد بدأ يصاب ببعض الخلل. وشرع وحش «الحضارة الجديدة» يمد اظافره ليخدش جمال تلك المدينة، ويبدأ يتهيأ للانقضاض عليها. والخوف كل الخوف أن تخفق هذه المدينة الوديعة فى اتقاء شر هذا «الوحش» الذى طال تربصه.

ولهذا فإن جمعاً كبيرا من أهل اليمن الكرام انبروا مدافعين للذود عن حاضرتهم والاستبسال أمام اسوارها. واستثارت صنعاء خيال المنظمات الثقافية الدولية بجمالها وحسن هيئتها، فأعلنت هذه المدينة معلما تراثيا انسانيا. ودعت تلك المنظمات الى حملة دولية للمحافظة عليها، ووضع دراسات وبرامج تكفل



قلعة صعده باليمن

حمايتها وصون معالمها التاريخية وترميمها وإحيائها.

ويعزز هذا التوجه ما وجهه المدير العام لمنظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة:

«صنعاء عاصمة اليمن السعيد، المدينة الفاتنة» وواحدة من أقدم مدن العالم، كانت حاضرة سبئية وحميرية قبل الاسلام، ثم صارت من المع المراكز الاسلامية. وصنعاء اليوم من عواصم القرن العشرين حيث نرى فيها اليوم أحدث انجازات العصر جنبا الى جنب المساجد العتيقة والمدارس والأسواق والمساكن التقليدية، مما يضفي على المدينة طابعها الفريد، غير أن أنشطة المدينة تتجه الى الانتقال تدريجيا الى خارج الاسوار التاريخية، الامر الذى يهدد المدينة القديمة بخطر الاندثار.. وقد اعتمد المؤتمر العام لليونسكو فى دورته الحادية والعشرين قرارا يأذن لي بإعداد خطة عمل بالتعاون مع المسئولين من اجل صون صنعاء والحفاظ عليها.

«وتستهدف خطة العمل هذه صون الطابع الفريد لصنعاء، ليس مركزها التاريخى فقط، بل بادخال العناصر الكفيلة بتهيئتها لشروط الحياة الجديدة، وستتضمن هذه التدابير ترميم المباني، مثل المساجد والمدارس والمساكن والحمامات وغيرها من الآثار التاريخية.

« كما تتضمن تحديث البُنَى الاساسية كشبكات المياه والكهرباء والهاتف ووسائل النقل، ومن المقرر أن تستكمل هذه المشروعات بتحسين المعدات الاجتماعية والطبية وتشجيع الحرف التقليدية، بالإضافة الى انشاء مراكز ثقافية ومتحف جديد. غير أن الصعوبات المالية والتقنية التى تعترض تلك الاهداف هى من الأهمية بحيث تتطلب جهدا متضافراً على الصعيد العالمي.

«وانني أدعو جميع الدول الاعضاء فى اليونسكو حكومات وشعوبا، والمؤسسات العامة والخاصة والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، وكذلك المؤسسات والهيئات المالية الى المشاركة عن طريق تقديم المساهمات الطوعية سواء أكانت نقوداً أم معدات أم خدمات».

صورة المدينة جزء من شخصية أهلها وتتجلى ملامح الصورة من خلال ملامح أصالتها

«وادعو المتاحف وأروقة الفن والاكاديميات والمكتبات وكل المؤسسات المعنية بحماية التراث وبقضايا التقدم ونشر الثقافة الى تنظيم معارض عن صنعاء وتقديم هبات لصونها وترميمها.

ولكن هل ياترى بالامكان الحفاظ على هذه المدينة وإحياؤها ؟ هل نستطيع ان نقف ضد التيار وان نمنع المدينة من الاندثار؟.

أجل ! إن ذلك يمكن بشرط ان نعي تماما المنطلقات الأساسية التى بني عليها هذا الرأي المتفائل. وأبرز هذه المنطلقات فى رأينا هو ما يلي:

أولا: إن التناقض بين التراث والزحف العمراني الجديد مرحلي، وإذا كنا قد مررنا بفترة حرجة شهدت فيه العاصمة زحفا عمرانيا هائلا، كان الطلب فيها على البناء يزداد كل يوم بكثافة غير عادية مما أخضع المعمار اليمني لمضاربات السوق، فإننا اليوم بحمد الله نمر الآن بفترة ايقاع مريح يتيح لنا فرصة التفكير فيما يتجاوز مجرد اشباع الرغبات الثلاث الأكل والملبس والمسكن. اى اننا فى وضع لا بأس به يتيح لنا أن نحسن الاختيار ونصطفي المفيد والاجمل من تراثنا قدر الامكان، وأن نتجنب أمر استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير».

ثانيا: إن مدينة صنعاء القديمة لم تعد تراثا وطنيا فحسب، وانما قد أعلنت معلماً تراثيا عالميا، وأدرجت ضمن قائمة المدن التاريخية التى يجب الحفاظ عليها فى أسرع وقت ممكن وبالتالي أشئنا أم أبينا (ونحن نشاء والحمد لله) فإن الجهود الدولية ستتكاتف لعمل شيء ما، يضمن الحد الأدنى من الحفاظ والإحياء وهو وضع لن نحسد عليه إن نحن تهاونا فى الأمر وتخلفنا عن الركب، ولم نمسك بزمام المبادرة.

ثالثا: مدينة صنعاء القديمة بشكلها الحالي ليست موقعا أثريا. إن معظم ما فيها هى منشآت حديثة نسبيا، ولكن تاريخية المدينة تأتي من كونها تناقلت طرازها وخطتها عبر القرون دون انقطاع. وكل ما يحدث فيها من تعديل وتحديث كان ينبع من الداخل، وانطلاقا من الاحتياجات المحلية. وكانت العناصر الفنية الداخلية لا تطغى على ما هو قائم فيها أصلا، وانما تنصهر فيه فيتشكل الجديد وهو موائم للقديم، بل انه استمرارية له. ولا اعتقد ان خيار الحفاظ والاحياء ، إن هو وضع بوضوح أمام اهل المدينة، سيجابه بالرفض، فالمرء لا

يتنكر لذاته، وكل ما ينشده سكان المدينة القديمة هو أن لا يحرموا من لوازم الحياة الجديدة، وأن تتاح لهم فرصة الكسب الحلال الطيب داخل أسوار مدينتهم، وهذا هو بالفعل ما يهدف اليه مشروع الحفاظ والاحياء. إن المشروع يهدف في جوهره الى استمرار نبض الحياة وتنشيطه داخل المدينة، عن طريق إدخال سُبُل الحياة الجديدة اليها، وانعاش اسواقها وتحسين مستوى معيشة أهلها. أي تحديث المدينة بدراية وبصيرة، بحيث نكفل استمرارية حيوية المدينة وبقائها عامرة ضمن اطارها الحضرى، بعماراتها العالية الجميلة ومناراتها السامقة وجوامعها البهية، بدلا من ان يهجرها أهلها وتقوم على انقاضها غابات من الاسمنت وصناديق علب الكبريت المتراصة.

رابعا: إن الحفاظ والإحياء ينبغى أن يقوم على مصالحة بين عملية التنمية والتطوير التى تقتضى تنمية الحاضر وفق ايقاع التغير السريع، وعملية التأصيل والإحياء التى تشد الى قوالب الماضى وشواهده ورموزه التى تحتاج الى زمن كاف يتمثل فيه الجديد ببطء وهدوء بحيث ينبت غرسه ويشتد فى تربة القديم. ويعتقد كثير من الناس أن المصالحة ممكنة اذا ما جرى فرز واع وذكي للاهداف الاجتماعية والقيم الفنية والامكانات المادية. على أن ذلك كله يحتاج الى اتباع منهج سوي يتيح تقويم الامور وفرزها وفق الأولويات والمميزات بحيث ينتج عن ذلك فى نهاية الامر ما يخدم المصالحة المرجوة. إن ذلك لا يتم دون معرفة كافية وموهبة مبدعة وقناعة صادقة تكون موقفا متكاملا وايجابيا من مسألة التراث يكفل الحرية ويهيء الفرصة ويقدم المال(٨) ولهذا كان من الضرورى أن تشارك فى هذه المهمة خبرات عالمية وتساهم معنا جهات دولية. وما دام قد حصل فعلا شيء من ذلك بالنسبة لمدينة صنعاء القديمة وواكبه مثله او يزيد على الصعيد المحلي، فإن الأمل كبير في انجاز تلك المهمة وتحقيق اهدافها، لاسيما وأن الامر الى الآن يقتصر على مدينة صنعاء القديمة ولا يشمل العاصمة كلها أو مشروعات مدن أخرى في اليمن، ويتركز فقط فى هدف المحافظة على استمرار طراز البناء وصيانة المباني القائمة وتشجيع الحرف

الحداثة ليست بديلاً عن الأصالة.. وتنمية الحاضر لا تعني افقار الماضي

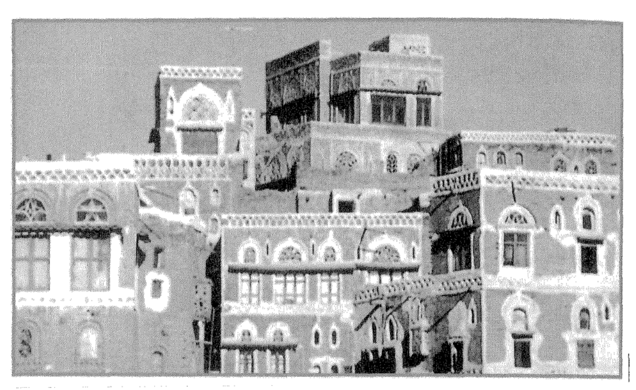
اليدوية ورصف الشوارع بالحجارة وترميم السور وانعاش الاسواق القائمة والمحافظة على مرافق المدينة ومنتزهاتها وادخال وسائل الحياة اللازمة من كهرباء ومجار ومياه وفق أنظمة ملائمة بحيث لا تصر هياكل المدينة القديمة. وفى الواقع ليست صنعاء هى أول مدينة يتم فيها مثل ذلك أو ينوى ان يتم فيها كل ذلك، بل انها ضمن قائمة طويلة من المدن التاريخية العالمية أو المدن العربية والاسلامية التى تحتاج الى حفاظ وإحياء مثل مكة المكرمة والقدس الشريف ومراكش والبندقية وحلب ودمشق واسطنبول واصفهان ولاهور وسمرقند ... غير انها تتفاوت فى القيمة والحاجة وظروف كل مدينة تختلف عن الاخرى، ومشروعات الحفاظ والإحياء فيها تختلف وفق ذلك(٩).

خامسا: إن صنعاء القديمة تراث يمني عربي اسلامي انساني، ولهذا فينبغي المحافظة عليه حاضرا ومستقبلا. فطرازها المعمارى عموما يحمل شهادة صادقة على ابداع الانسان ونضاله المستديم ورؤياه الفنية.

بل إن صنعاء القديمة كغيرها من روائع التراث البشرى تؤكد قدرة الانسان على تجاوز نفسه والبحث دوما نحو الافضل والاجمل والاكمل، وبقاء معالمها هو بقاء لشواهد هامة تلهم القدوة الحسنة والعبرة الصادقة، ومنها ينطلق الخلف الخير نحو إبداع جديد يضاف الى منجزات السلف الصالح ويهديه ثمرة طيبة الى الاجيال القادمة. هي أمانة تاريخية يحملها الخلف عن السلف وتتجدد فى كل حين الى ما شاء الله.

إن مثل صنعاء القديمة ومشروعات الحفاظ عليها كمثل مخطوطة ثمينة وفقنا الى اكتشافها وهى مخطوطة تروي بين طياتها قبساً من علم الماضى وفنه، فان نحن أهملناها أكلتها الأرضة وخسر الناس كنزا ثمينا، وإن نحن تعهدناها بالحفظ والصيانة وحققنا مكنونها بعلم الناقد البصير، ونشرنا معارفها بين الناس نكون بذلك قد خدمنا التراث وانتفع الناس بعلمها وبتجربتنا معها. ولنا فوق ذلك ثواب العمل الصالح عند الله والذكر الحسن عند الناس. وقد تبلى المخطوطة بعد حين ولكن جهدنا في الحفاظ عليها وإحياء علمها باقيان. هى تجربة تبقى متوافرة بين الناس جيلا بعد جيل تؤتى اكلها كل حين وكأنها فى كل مرة نسخة جديدة محققة ومنقحة تحكي قصتها على ممر الدهور.

سادسا: انه من المتعذر الحفاظ على مدينة صنعاء القديمة حفاظاً مجديا



نموذج يمثل الخارطة المعمارية لليمن

دون تعاون حقيقي من أهلها ودون تفهمهم المخلص لمشروعات الحفاظ والاحياء ومشاركتهم الفعالة فيها. فأهل مكة أدرى بشعابها وقد قيل في المثل ما حك جلدك مثل ظفرك. والأمل كبير في أن أهل المدينة القديمة يتابعون باهتمام الخطوات المدروسة التى يسير بها مجلس أمناء الحفاظ على المدينة واحيائها.

سابعا: ان العمارة الاسلامية (وصنعاء القديمة من نماذجها الهامة) قضية أساسية على حد تعبير أدبيات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الاليكسو) وهى صورة من ثقافة الأمة وتجسيد لها. وإن صون المدينة ما هو الا دفاع عن التراث، والتراث هو خير لبنة لبناء صرح وحدة الامة.

وبعد يا صاحبي ! ألا ترى أن هناك اكثر من مسوّغ للقيام بمشروعات الحفاظ والإحياء داخل اسوار مدينة صنعاء القديمة؟ الا ترى أن صورة ما نحن عليه الآن ليست سوى صنيع الماضى، وأن ما نفعله حاضرا هو محاولة لرسم صورة تاريخ المستقبل. إن التاريخ لا يرحم، ولابد أن يقول كلمته يوما ما فيما نحن اليوم بتراثنا فاعلون. والله على ما نقول شهيد.

الهوامش

(١) السمسرة فى لهجة اهل اليمن: نُزُل فى السوق أو على الطريق يستريح فيه المسافر.

(٢) التراث ضرورة عند تطوير المعمار العربي، مجلة المستقبل العربي ١٩٨١/٣ ص٢٨.

(٣) م . ن ، ص٢٠.

(٤) م . ن . ص ٢٢.

(٥) Preservation and inner city Reharilitation Arnold Koerte

محاضرة فى كلية الهندسة ، جامعة صنعاء مارس ١٩٨٧م.

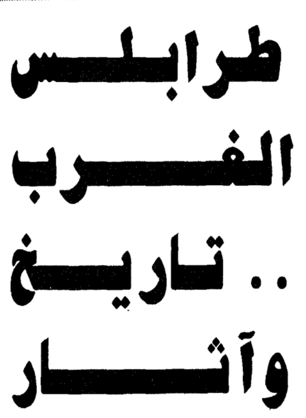
(٦) وثائق المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية (موندياكلت) المكسيك ٢٦/ ٧ حتى ٦/ ٨/ ١٩٨٢، واعلان مكسيكو بشأن الثقافة.

(٧) راجع وثائق ودراسات عديدة بهذا الشأن منها: تقرير جير الدايرباخ، التخطيط الثقافى لمدينة صنعاء، توصيات المؤتمر التاسع للآثار العربية صنعاء ١٩٧٧/٢/٢٦، وثائق المؤتمر العام لليونسكو ٢١م/ م ق ٣٨٦ بلغراد ١٩٨٠، حملة الحفاظ على مدينة صنعاء القديمة، تقرير لرونالد ليكوك، اليونسكو، باريس ١٩٨٢، توصيات المؤتمر الخامس عشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية فى صنعاء ١٨ ـ ٢٢ ديسمبر ١٩٨٤. وقد اقيم معرض لمدينة صنعاء ضمن مهرجان العالم الاسلامي فى لندن عام ١٩٧٦.

(٨) التراث ضرورة، مصدر سابق ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٩) راجع مثلا كتاب اليونسكو: Aleaacy For All, The-worlds, Major natural Cultural And Historical Sites, صدر عام ١٩٨٢م.

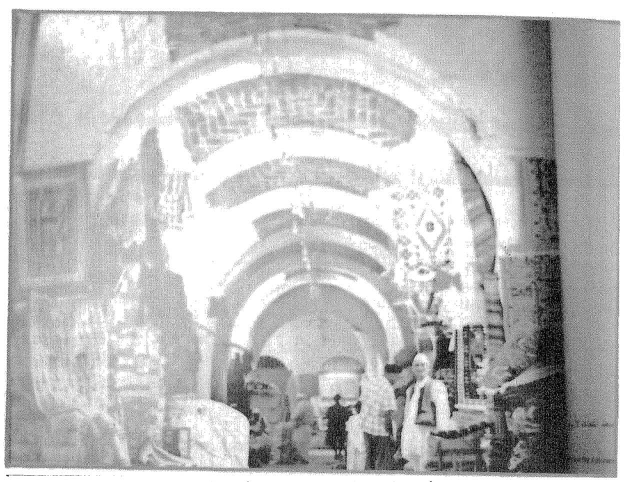
صورة جوية لجانب من مدينة طرابلس.. وتظهر في الصورة مئذنة جامع قورجي



طرابلس الغرب .. تاريخ وآثار



نموذج للمنازل القديمة في طرابلس ويلاحظ امتداد العقود بين الجانبين كأنما ترمز الى الربط الاجتماعي والنفسي بين أهل هذه المنازل



أسواق طرابلس القديمة وهي على نظام الأسواق المسقوفة

مدينة طرابلس تضم تراثا هائلا من العمائر الدينية والمدنية والحربية

بقلم الدكتور:

صلاح أحمد البهنسي

كلية الآثار - جامعة القاهرة

« ... إن هذه المدينة هى أكبر جداً مما كنت أتصور، ورغم أن الذين يشيدون بها يتحدثون عنها حديثاً طيباً ، ولكنى أرى أنهم لم يقولوا إلا نصف الحقيقة، وبين المدن الكثيرة التى رأيتها فى العالم لم أجد مدينة تضاهيها فى تحصيناتها أو نظافتها حتى لتبدو مدينة امبراطور أكثر منها مدينة لا تنتمى إلى ملك خاص ...».

ورد ذلك ضمن الرسالة التى أرسلها بيترودى نافارا Pietro Di Navarra قائد الإسطول الأسبانى إلى نائب الملك فى صقلية، بعد أربعة أيام من نجاحه فى الإستيلاء على طرابلس سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م(١).

وطرابلس مدينة عريقة يرجع تاريخها الى عصور ضاربة فى القدم، فعلى الرغم من الإرتباط بين تاريخ المدينة وبين مجيىء الفنيقيين اليها فى القرن السادس قبل الميلاد وتأسيسهم مدينة «أوئيا» أو «أويات» فى المكان الذى تشغله مدينة طرابلس الحالية(٢)، إلا أن الأبحاث تؤكد أن هذا المكان كانت توجد به مدينة أو مركز هام قبل آن يتخذ منه الفنيقيون مركزاً تجارياً لهم(٣) وظلت «أوئيا» تؤدى دورا هاماً ومؤثرا فى الأحداث السياسية والحياة الإقتصادية للمنطقة بأثرها. وعندما مدت روما أنظارها خارج أوربا، وتمكن الرومان من إحتلال طرابلس وجدوا بها مركزا مزدهرا للحضارة. ولم تختلف نظرة المسلمين وإدراكهم لأهمية موقعها عن سابقيهم فبعد أن تم لعمرو بن العاص فتح مصر حرص على فتح طرابلس، وكانت طرابلس محصنة بسور منيع من الشرق والجنوب والغرب، ولكن المسلمين تمكنوا من فتحها بعد عدة محاولات فى سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م، ثم أعاد

الآثار الإسلامية في طرابلس خلقت صراعا مستمرا ضد الاتجاهات العمرانية مما ترتب عليه اضرار بالعمائر الدينية

عبد الله بن سعد فتحها سنة ٢٧هـ/ ٦٤٧م(٤).

وأصبحت طرابلس منذ أن فتحها المسلمون رباطاً من أربطة المسلمين لمواجهة أطماع القوى المسيحية التي كانت تسعى دوماً للإستيلاء عليها لما تتمتع به من موقع جغرافى متميز على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط فى مقابل السواحل الأوربية، ولتحكمها فى طريق التجارة مع بلاد السودان وغيرها من البلدان الأفريقية، وكذلك دول وجزر البحر المتوسط، كما صارت طرابلس - فى العصر الإسلامي - بمثابة جسر يربط بين بلاد الشرق الإسلامي، وبلاد الغرب الإسلامي.

أما عن معنى كلمة «طرابلس» فإنها تحريف للكلمة اليونانية Tre polis - وتعني المدن الثلاث، حيث كانت توجد فى فترة الوجود اليونانى فى ليبيا ثلاث مدن هامة فى الجزء الغربى من الساحل الليبى، وهى لبدة العظمى leptis Magna وصبراته أو صبراتن Sabratan وأويئيا Oea(٥) وقد أورد «ابن خرد ذابة» فى كتابه المسالك والممالك هذا التعريف لكلمة طرابلس حيث ذكر «.. إطرابلس أى ثلاث مدائن وكانت للروم فجلت الروم إلى صقلية»، كما ورد ذلك أيضا فى معجم البلدان لياقوت الحموى إذ ذكر «.. كلمة طرابلس تعنى باليونانية المدن الثلاث من طرا بمعنى ثلاث، وبليطة بمعنى مدينة»(٦).

وعندما فتح العرب طرابلس أطلقوا عليها إسم «طرابلس» فلقد أرسل عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب قائلا «ان قد بلغنا إطرابلس وبينها وبين أفريقيا تسعة أيام»(٧). وظلت كلمة طرابلس تكتب إطرابلس حتى النصف الأول من القرن ٥هـ/ ١١م، فيذكر المقدسي فى أحسن التقاسيم «إطرابلس مدينة كبيرة على البحر». ومنذ أواخر القرن ٥هـ/ ١١م صارت تكتب طرابلس. إذ ذكر البكرى «.. وعلى مدينة طرابلس سور ضخم جليل البنيان وأسواق حافلة جامعة»(٨). وعندما تمكن العثمانيون من تخليص طرابلس من أيدى فرسان مالطة سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م، أضيف إلى إسم طرابلس صفة الغرب، فأصبحت تعرف بطرابلس الغرب تمييزا لها عن طرابلس الشام، ووردت بهذه الصيغة على مختلف الآثار الثابتة والمنقولة التى ترجع إلى العصر العثمانى.

قلعة طرابلس من أهم معالم المدينة ويرجع بناؤها إلى العصر الروماني

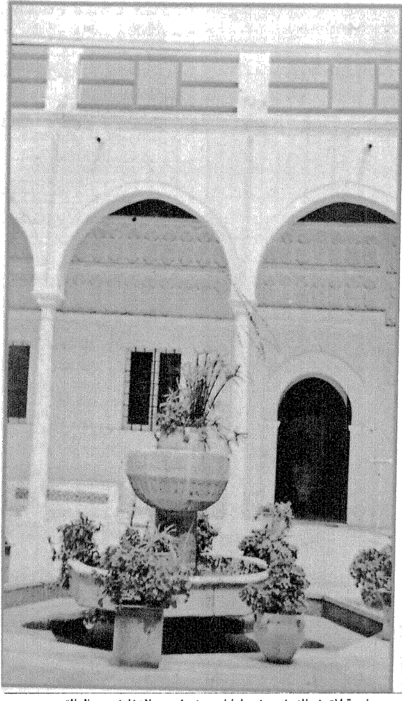
ومن الصفات التى اقترنت بوصف طرابلس فى كتابات الرحالة بياض لون مبانيها حيث وصفت بالمدينة البيضاء، فلقد ذكر التجانى الذى زار طرابلس فى الفترة من سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م إلى سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م «ولما توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يعشى الأبصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء»(٩) وعند وصف الوزير المغربي الأسحاقى الذى زار طرابلس سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م ذكر «تراءت لنا قصورها لها وميض، وقد صدق أهلها فى تسميتهم لها بالمدينة البيضاء»(١٠)، ومازالت طرابلس تحتفظ حتى اليوم بهذه الصفة حتى يمكننا أن نطلق عليها «طرابلس المدينة البيضاء».

وتضم مدينة طرابلس الغرب تراثاً هائلا من العمائر الدينية والمدنية والحربية ترجع إلى فترات مختلفة من تاريخها الإسلامى وحيث أن الطراز المعمارى لأى قطر يكون استجابة لمتطلبات سكان هذا القطر، وانعكاسا للظروف المختلفة التى يعيشها، فإن الزائر لمدينة طرابلس القديمة، حين يقع بصره

كلمـــة طرابلس تعني باليونانية المـــدن الثـــلاث

على أسوارها، أو يعبر أحد أبوابها ، أو يتـجـول بين دروبها وطرقـهـا، ويتأمل ما تحتويه بين جوانبها من عمائر، ليجد فى كل منها قراءة حية لجـانب من جـوانب تاريخـهـا السياسى أو نشاطها الاقتصادى وكذلك الإتجاهات العقائدية والقيم والمفاهيم الإجتماعية.

فمن الناحية السياسية نجد أن الموقع المتميـز لمدينة طرابلس قد جعلها مطمعاً دائماً للقوى المسيحية التى سعت إلى الإستيلاء عليها ، مما جـعل تاريخ مـدينة طرابلس سلسلة من الكفاح المستمر ضد هذه القوى، حيث إستمرت الهجمات المسيحية على طرابلس منذ بداية الفتح الإسلامى لها وحتى نهاية العصر الحفصى، وقد نجحت بعضها فى احتلال طرابلس ، ومن ذلك إستيلاء النورمان عليها سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م (١١)، ثـم الجنويون سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م (١٢)، كما كرس الأسبان جهودهم لإحتلال طرابلس لمقاومة الدولة العثمانية التى أصبح لها نفوذ قوى فى البحر المتوسط، وقد تمكنوا من احتلال طرابلس سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م (١٣)، وظلوا بها حتى تنازلوا عنها إلى فرسان مالطة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م ، الأمر الذى دفع أهل طرابلس ، وقد ذاقوا الأمرين من الوجود المسيحى فى بلادهم، أن يستنجدوا بالخلافة الإسلامية فى استانبول التى وجدت فى ذلك

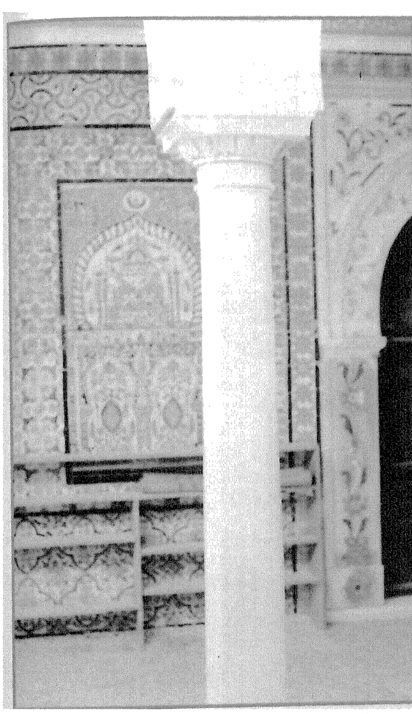


واجهة المتحف الإسلامي في طرابلس.. نموذج من الزخارف وجمال التصميم

فرصة لمد سيطرتهم على أكبر قدر من الساحل الجنوبى للبحر المتوسط، بعدما نجحوا فى الإستيلاء على مصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، والمغرب الأوسط (الجزائر) سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م، وأفريقيا (تونس) سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م. وقد تمكن العثمانيون من طرد فرسان مالطة وفتح طرابلس سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م ، لتبدأ طرابلس مرحلة جديدة من تاريخها حيث عادت الى ممارسة نشاطها كقاعدة بحرية هامة، كما أصبحت مركزا من مراكز انطلاق البحرية العثمانية نحو الشمال.

وإذا كان لمثل هذه الظروف من الصراع المستمر أثرها البالغ على الآثار الاسلامية فى طرابلس حيث خلقت ظروف الصراع المستمر تحديات مضادة للبواعث الحضارية

والاتجاهات العمرانية، كما ترتب على ذلك إلحاق الضرر بالعديد من العمائر الدينية والمدنية، سواء بتهدم بعض أجزائها أو تهدمها كلية، فلقد ذكر «مارمول» أنه عند هجوم الأسبان على طرابلس اقتحموا المساجد وقتلوا أكثر من ألفين من المسلمين وأصاب المدينة الخراب والدمار، ولم يبق منها قائماً سوى القصر الذى حصنه المسيحيون(١٤)، إلا أن هذا الموقع وما ترتب عليه أوجب على أهالى وحكام طرابلس الإهتمام بتحصين المدينة، وتقوية أسوارها، وتزويدها بالأبراج والحصون، فكان يحيط بمدينة طرابلس من الشرق والجنوب والغرب سور بناه الامبراطور الرومانى سبتموس سيفيروس، وفى سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م أعاد عبد الرحمن بن حبيب والى أفريقيا بناء هذا السور من جهاته الثلاث، وفى سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م أكمل سفيان بن المضاء والى هرثمة بن أعين على طرابلس بناء السور وأضاف إليه الضلع الرابع المواجه للبحر(١٥)، وفى عصر الأغالبة (١٨٤ - ٢٩٦هـ/ ٨٠٠ - ٩٠٩م) كانت المحارس والمراقب والرباطات والقلاع تنتشر على شواطىء البحر المتوسط ومنها طرابلس. وكان يلى السور خندق ، كما يليه سور آخر (فصيل) يعرف لدى أهل طرابلس باسم الستارة. وقد أكسب ذلك السور مناعة نالت إعجاب الرحالة الذين زاروا طرابلس فى مختلف العصور، فيذكر البكرى «وعلى طرابلس سور ضخم جليل البنيان(١٦)». كما قال الرحالة التجانى «ورأيت بسورها من الإعتناء واحتفال البناء ما لم أره لمدينة سواها(١٧). ويتخلل سور مدينة طرابلس عدة فتحات أبواب بعضها فتح فى تاريخ لاحق لبناء السور، والأبواب هى باب زناته (نسبه إلى قبيلة زناتة التى كان لها



النقوش والزخرفة المحفورة على الرخام، والبلاطات الخزفية التي تغطي الجدران الداخلية والخارجية في هذا المسجد

دور هام فى تاريخ المغرب الإسلامي»، ويسمى هذا الباب بالباب الأخضر أيضاً ، وباب الستارة (ويعرف باسم باب عبد الله نسبة الى عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب الذى افتتحه) ، وهناك باب هوارة (نسبة الى قبيلة هوارة) وباب البحر (يواجه البحر)، والباب الجديد الذى افتتحه والى طرابلس فى العصر العثمانى الثانى أحمد عزت باشا وذلك سنة ١٨٦٥م، وباب الحرية، وقد فتح سنة ١٩٠٩م(١٨).

ويشغل الطرف الشمالى الشرقى من سور المدينة قلعة طرابلس (السراى الحمراء) التى تعتبر من أهم معالم مدينة طرابلس،

كما تعتبر سجلا لتاريخ المدينة، حيث يرجع بناؤها الأصلي إلى العصر الروماني أو البيزنطي، وقد توالت عليها أعمال الإصلاح والتجديد أما أقدم الآثار الباقية بها فترجع إلى فترة حكم الأسبان لمدينة طرابلس (١٥١٠ ـ ١٥٣٠م) إذ اهتم الأسبان بتحصين هذه القلعة لمواجهة الأسطول العثماني الذي كان يقوم بغارات على معاقل الأسبان، وعندما تمكن العثمانيون من احتلال طرابلس صارت القلعة مقراً لحكام طرابلس خلال العصر العثماني الأول (١٥٥١ ـ ١٧١١م) ثم في العصر القرمانلي (١٧١١ ـ ١٨٣٥م)، وفي العصر العثماني الثاني (١٨٣٥ ـ ١٩١١م) والقلعة عبارة عن مدينة محصنة وقائمة بذاتها إذ كانت تشتمل على قاعات العرش ومكاتب كبار موظفي الولاية ومساكن الولاة وأسرهم وأتباعهم، ومخازن ومطاحن للغلال وأفران، كما كان يلحق بالقلعة حمام وصيدلية ومسجد وسجن للأسرى وغيرهم ممن كانوا يعملون كخدم للباشا وأسرته وأعمال النظافة في القلعة ، كما الحق بالقلعة في العصر القرمانلي دار ضرب (سك العملة).

ويشغل القلعة الآن مصلحة الآثار الليبية بمختلف إداراتها، كما كانت بعض قاعاتها تستغل كمتاحف والتي يضمها الآن متحف واحد هو المتحف الجماهيري الذي افتتح في شهر سبتمبر سنة ١٩٨٨م ويشكل جزءاً أساسياً من القلعة. ويعتبر هذا المتحف بما يحتويه من آثار جولة عبر تاريخ ليبيا في مختلف العصور إذ تضم قاعاته مقتنيات تبدأ من عصور ما قبل التاريخ وحتى نهاية القرن ١٩م.

وتشتمل قاعة التاريخ الطبيعي على عرض لبعض الحيوانات

تخطيط المنزل الطرابلسي يعزل من بداخله عمن بخارجه

والطيور والنباتات التي توجد في مختلف بلدان الجماهيرية الليبية، كما خصصت قاعة للعادات والتقاليد الشعبية حيث تعرض نماذج للأزياء والصناعات التقليدية ومظاهر الحياة في شتى بقاع الجماهيرية. ومن قاعات المتحف قاعة النضال من أجل الحرية وتعرض فيها نماذج للأسلحة التي استخدمها المجاهدون الليبيون أمثال عمر المختار وسليمان الباروني ضد قوات الاحتلا ل الإيطالي وكذلك بعض مراسلاتهم، ولعل من أهم محتويات هذه القاعة مشنقة جلبت من منزل الملحق الثقافي البريطاني كانت تستعمل في اعدام المجاهدين الليبيين(١٩).

ومن الناحية الاقتصادية ، فلقد كان لموقع طرابلس أثره الكبير في هذا المجال إذ جعل منها سوقاً لبضائع شتى من مختلف الجهات، فلقد ذكر «ابن حوقل» أن المراكب

من الناحية الاقتصادية موقع طرابلس جعل منها سوقاً لبضائع شتى من مختلف الجهات

تحط بطرابلس ليلاً ونهاراً ، وترد بالتجارة على مر الأوقات من بلاد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم(٢٠) . ويذكر الرحالة الهولندي «مارمول» الذي زار طرابلس في القرن ١٦م أن طرابلس كانت أهم ميناء يتوجه إليها التجار القادمون من مالطة والبندقية وصقلية(٢١). وليس غريباً والحال كذلك أن تحفل مدينة طرابلس بالعديد من الأسواق، وترجع معظم الأسواق الباقية بمدينة طرابلس إلى العصر العثماني، ومن أهمها سوق الربع أو الرباع ويعرف أيضا بسوق العرب، وقد أنشأه عثمان باشا الساقزلي (تولى طرابلس ١٠٥٩ ـ ١٠٨٣هـ/ ١٦٤٩ ـ ١٦٧٢م) وسوق الترك الذي أنشأه الوالي العثماني محمد باشا شائب العين سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م، وكذلك سوق الحرير المتفرع منه ـ كما تضم مدينة طرابلس عدداً من الأسواق التي تعرف بأسماء الحرف التي تمارس فيها مثل سوق الخردجية (البقالة)، سوق الحلقة (صناع الأردية)، سوق القزدارة (الأواني النحاسية) سوق الحدادة، سوق النجارة، سوق الخبز، سوق الخضر، سوق البنادق، سوق البلاغجية (النعال)، سوق الصاغة، سوق الفنيدقة (النسج وبيع الأردية النسائية)(٢٢).

ويرتبط بالتجارة أيضاً إنشاء الفنادق فهي مساكن لإيواء التجار ومخازن لبضائعهم ، كما كان الفناء

الأوسط للفندق الذى تتجمع حوله وحدات الفندق فى أكثر من طابق يستخدم مكاناً للبيع. وتضم مدينة طرابلس عدداً من الفنادق يرجع معظمها إلى العصر العثماني ، ومن أهمها الفندق الكبير، أنشأه عثمان باشا الساقزلى بسنة ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م وكان قد أنشأ فندقاً آخر سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م بالقرب من جامع درغوت. وفندق الزهر يعد من اكبر فنادق طرابلس القديمة ويقع بسوق المشير، وفندق بن زكرى ويوجد فى سوق الصاغة، وفندق زميت أمام قوس ماركوس أوريليوس. وكان يوجد بمدينة طرابلس القديمة عدد كبير من الفنادق أصاب بعضها الدمار أو تغيرت معالمها(٢٣).

ومن أهم المميزات التى تتميز بها مدينة طرابلس كثرة عدد مساجدها حتى أجمع معظم الرحالة الذين زاروها أن مساجد البلد لا تحصى كثرة وتكاد تناهز الدور عدة(٢٤). ويظهر أثر الموقع وكذلك الظروف السياسية التى عاشتها مدينة طرابلس على العمارة الدينية بوضوح تام، حيث إن وقوع مدينة طرابلس فى أيدى القوى المسيحية الأوربية عدة مرات قد ترتب عليه هدم العديد من العمائر الدينية التى كانت قائمة بها، لذلك فأنه على الرغم من إجماع الرحالة على كثرة عدد مساجد طرابلس إلا أن المساجد التى ترجع إلى ما قبل العصر العثمانى قليلة جداً. وعندما أصبحت طرابلس قوة مهيبة الجانب وكانت الدول الأوربية تسعى لعقد الاتفاقيات مع طرابلس لتوفير الحماية لسفنها فى البحر المتوسط فإن أثر ذلك قد انعكس بوضوح على العمائر الدينية بالمدينة حيث تضم مدينة طرابلس العديد من الجوامع والمساجد والمدارس التى ترجع الى العصر العثمانى تمثل من

تضم مدينة طرابلس عدداً من الفنادق يرجع معظمها إلى العصر العثماني ومن أهمها الفندق الكبير الذي أنشأه عثمان باشا الساقزلي

حيث طرازها المعمارى وعناصرها الزخرفية بداية مرحلة جديدة وهامة فى تاريخ العمارة والفن الإسلامى فى ليبيا.

ويمكن أن نجمل في إيجاز أهم الخصائص التى يتميز بها الطراز المعمارى الدينى لمدينة طرابلس منذ العصر العثمانى الأول فى عدة خصائص وهى:

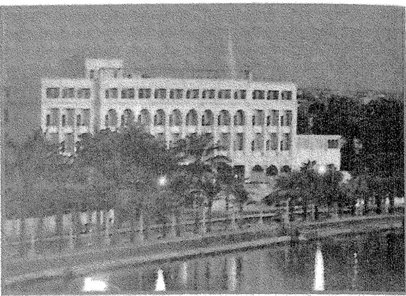
البساطة فى التكوين المعمارى وعدم الإهتمام بالجانب الزخرفى، وأن بيوت الصلاة مغطاة بقباب صغيرة متساوية تتميز ببساطتها حيث تخلو مناطق إنتقالها من عنصر المقرنصات، كما تخلو بواطن القباب وظواهرها من الزخارف إلا بعض النماذج القليلة مثل قباب مدرسة عثمان باشا وقباب جامع أحمد باشا القره مانلى ، وقباب

من أهم مساجد طرابلس جامع درغوت وجامع الناقة وجامع محمد باشا

جامع قورجى. كما تفتقد المساجد إلى عنصر الصحن الأوسط. أما عن مآذن طرابلس فأنها تتميز بالبساطة وقصر أبدانها التى تنوعت ما بين الشكل الاسطوانى أو المثمن كما أن معظمها يشتمل على شرفة واحدة فقط.

ومن أهم مساجد طرابلس جامع درغوت باشا (٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م)، وجامع الناقة (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)، وجامع سيدى سالم المشاط (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م)، ومسجد محمود (١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) ، وجامع محمد باشا شائب العين (١١١٠هـ/ ١٦٩٩م)، وجامع خليل باشا (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م). وجامع احمد باشا القرمانلى (١١٥٠هـ/ ١٧٣٧ - ١٧٣٨م)، وجامع قورجى (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) ، وجامع ميزران ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م(٢٥).

ويعبر كل من جامع أحمد باشا وجامع قورجى عن عمارة المسجد فى العصر القرمانلى أصدق تعبير، فهى وإن إحتفظت فى تخطيطها وبعض عناصرها المعمارية بما كانت عليه عمارة المسجد فى العصر العثمانى الأول إلا أنها صاغت هذه العناصر صياغة



اتسمت بالدقة والإتقان، كما ازداد الإهتمام بالجانب الزخرفي إلى درجة كبيرة إذ أصبحت الجدران الخارجية والداخلية تغطى ببلاطات الزليج (القاشاني) يعلوها إطار من الكتابات الكوفية المذهبة على مهاد من زخارف نباتية دقيقة، بينما تملأ الأجزاء العليا من الجدران ومناطق إنتقال القباب وبواطنها زخارف هندسية ونباتية دقيقة منفذة على الجص بالطريقة التي كانت شائعة في بلاد الشمال الأفريقي والتي تعرف بمصطلح «نقش حديدة»، كما أصبحت المنابر والمحاريب اكثر ثراء إذ نفذت من المرمر المشتمل على زخارف دقيقة.

ولعل من أهم ما يميز العمارة الدينية في هذا العصر إن بعضها اتبع في تخطيطه نظام الكليات العثمانية، فنجد أن جامع أحمد باشا ألحق به. الى جانب الوحدات المعمارية التي كانت تلحق بالعمائر الدينية من قبل مثل ضريح المنشئ ومدفن افراد عائلته وخاصته - سبيل ومدرسة في طابقين تشتمل على كل العناصر المعمارية التي تتكون منها المدرسة، ويمكن القول أن كلاً من جامع احمد باشا وجامع قورجي يعتبران من مفاخر مدينة طرابلس ومن أهم الانجازات المعمارية بها.

وقد عرفت طرابلس نظام المدارس التي كانت تعني بتدريس العلوم الدينية، وأقدم المدارس التي ذكرها الرحالة في طرابلس هي المدرسة المنتصرية أو المستنصرية التي بناها الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا (٦٥٥ - ٦٥٨هـ/ ١٢٥٧ - ١٢٦٠م) ويظهر واضحاً من أقوال الرحالة أن هذه المدرسة كانت على درجة من الإتقان وروعة البناء تفوق مدارس الغرب الإسلامي، حتى إن الرحالة العبدري الذي زار طرابلس سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م وتحامل على طرابلس وأهلها نراه يثني على هذه المدرسة فيقول «لم أر بها - يقصد طرابلس - ما يروق العيون سوى جامعها ومدرستها فإن لهما من حسن الصورة نصيباً ومن إتقان الصنعة سهماً مصيباً ، وما رأيت في الغرب مثل مدرستها المذكورة(٢٦).

وتضم مدينة طرابلس عدداً من المدارس ، من أهمها مدرسة عثمان باشا الساقزلي (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م)، والمدرسة الملحقة بجامع أحمد باشا القرمانلي، ومدرسة الكاتب (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م)، والمدرسة الملحقة بجامع قورجي، والمدرسة الملحقة بجامع ميزران.

وينطوي تخطيط المنزل الطرابلسي - مثله في ذلك مثل تخطيط المنزل في العديد من بلدان العالم الإسلامي - على العديد من القيم الدينية والإجتماعية، إذ جاء تحقيقاً لهدف أسمى وهو عزل من بداخل المنزل عمن بخارجه، فالمدخل الرئيسي للمنزل لا يؤدي الى داخل المنزل مباشرة وإنما إلى ممر منكسر (سقيفة) على أحد جوانبه حجرة تسمى «مربوعة» وهي حجرة خاصة برب البيت يستقبل فيها زائريه، وهي الحجرة الوحيدة التي تفتح نوافذها على الشارع. وينتهي هذا الممر (السقيفة) بباب يؤدي الى الفناء الاوسط للمنزل - ويعتبر هذا الفناء هو المحور الأساسي في تخطيط المنزل إذ تفتح عليه أبواب ونوافذ حجرات المنزل فهو مصدر الضوء والهواء دونما حاجة لفتح

الخصائص التي يتميز بها الطراز المعماري الديني لطرابلس

البساطة في التكوين المعماري وعدم الاهتمام بالجانب الزخرفي

نوافذ تطل على الشارع، كما يوجد فى أحد جوانب الفناء درج يؤدى الى الطابق العلوى. كما يشتمل على خزان للمياه (ماجل) تصله مياه المطر عبر أنابيب ممتدة من أعلى المنزل.

ونظرا لأن هذا الفناء الأوسط هو مكان النشاط اليومى لأهل المنزل وخاصة السيدات، ومكان قضاء أوقات الراحة والسمر، لذلك كان يهتم بإضفاء صفات جمالية عليه، فكانت أرضيته تغطى بالبلاط أو قطع الرخام، كما كانت الجدران المحيطة به تغطى ببلاطات خزفية (زليج) متعددة الألوان ، أو بحشوات من زخارف جصية تشتمل على زخارف نباتية وهندسية.

وفى معظم الأحيان كانت تتوسط الفناء فسقية (فوارة) للمياه، لتلطيف حرارة الجو صيفاً، وإشاعة البهجة والسرور على الجلوس، إذ كانت توضع فى أحواضها أسماك الزينة، كما كانت تحيط بها أوانى الزهور والنباتات، ويحيط بالفناء رواق من أعمدة يعلوه شرفة (مستراح أو مساتريح)، وخلف هذا الرواق فى الطابق الأرضى أو العلوى مجموعة من الحجرات تخصص جميعها للنوم إلا حجرة واحدة تخصص لربة البيت لاستقبال صديقاتها.

وهذا النموذج من التخطيط الذى يعتمد على الفناء الأوسط بالإضافة الى ما يحققه من قيم دينية واجتماعية، فإنه أيضاً يوفر حيزاً من الظل فى أى وقت من أوقات النهار لأن الجدران المرتفعة تحيط به من جهاته الأربع. أما عن نظام التغطية فى منازل طرابلس فأحيانا ما كانت تجتمع فى المنزل الواحد ثلاث وسائل للتغطية وهى: الأقبية الطولية ، والأقبية المتقاطعة ، والأسقف المسطحة من البراطيم الخشبية.

وقد تبقت بمدينة طرابلس مجموعة من المنازل القديمة، من أهمها عدة منازل فى حى المنشية وترجع الى العصر العثمانى الأول ، كما توجد بداخل مدينة طرابلس عدة منازل قديمة من أهمها: منزل القره مانلى فى شارع الأربع عرصات، ومنزل بن موسى فى شارع الدروج ، ومنزل قورجى فى شارع سوق الحرارة.

هذه لمحة سريعة عن مدينة طرابلس الغرب قلبنا خلالها بعض صفحات من تاريخها، وتعرفنا على بعض المعالم الأثرية لمدينة شامخة بأسوارها وأبوابها، ومساجدها وقبابها، ودروبها ودورها، وما ينطوى عليه كل منها من معان وما تعبر عنه من مفاهيم.

عرفت طرابلس نظام المدارس التي تعني بالعلوم الدينية ومن أقدم مدارسها المدرسة المنتصرية التي بناها الفقيه أبو محمد عبدالحميد بن أبي البركات

المراجع

(١) روسى (إيتورى)، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسى، الطبعة الثانية، طرابلس ١٩٨٥. ص١٩.

(٢) Haynes, (D.E.L.), Am Archaeogical and Historical Guide to the Pre-Islamic Antiquities of Tripolitania Tripoli - 1981 - P.25.

(٣) خليفة محمد التليسى. حكاية مدينة (طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب) الطبعة الثانية - ليبيا - تونس - ١٩٨٥ ص٧٠

(٤) الطاهر أحمد الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا - مصر ١٩٥٤ - ص٤٩.

(٥) Murabet, (M), Some-facts about Libya. Malta-1961- P. 122.

(٦) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله). معجم البلدان المجلد السادس ، الطبعة الأولى ، مصر ١٩٠٦ - ص٣٤.

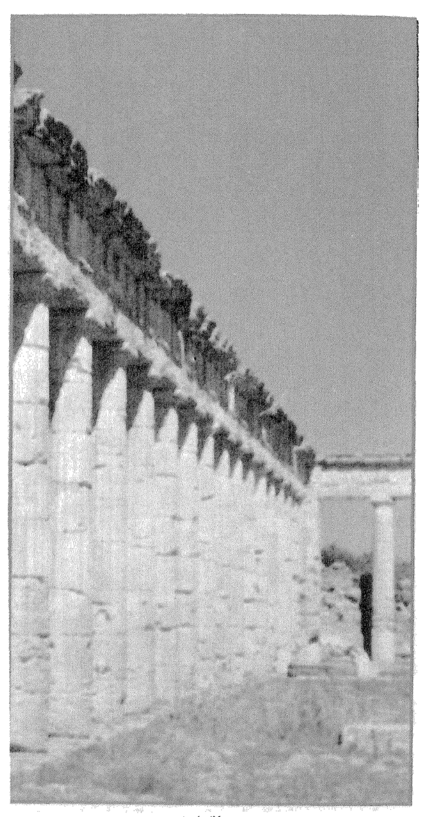
(٧) البلاذرى (احمد بن يحيى)، فتوح البلدان - الطبعة الأولى - القاهرة المعزية ١٩٠١ ص٢٣٣.

(٨) البكرى (أبو عبيد الله)، المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب - الجزائر ١٨٥٧ ص٧

(٩) التجانى (أبو محمد عبد الله)، رحلة التجانى فى البلاد التونسية والقطر الطرابلسى (٧٠٦ - ٧٠٨هـ). تقديم حسن حسنى عبد الوهاب - تونس ١٩٥٨ - ص٢٣٧.

(١٠) عبد الهادى التازى (دكتور) أمير مغربى فى طرابلس (١١٤٣هـ/ ١٧٣١م) (ليبيا من خلال رحلة الوزير الأسحاقى - المغرب - بدون تاريخ ص١٢٢.

(١١) حسين مؤنس (دكتور)، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة ١٩٨٦ -



من آثار ليبيا

ص٢٩١.

(١٢) ابراهيم شحاته حسن (دكتور) اطوار العلاقات المغربية العثمانية - قراءة فى تاريخ المغرب عبر خمسة قرون - الاسكندرية ١٩٨١ ص٦١.

(١٣) مارمول (كرينجال)، أفريقيا - الجزء الثالث - ترجمة محمد صبحى وآخرون - الرباط ١٩٨٩ ص ١٢١ - ١٢٣.

(١٤) مارمول (كرينجال)، نفس المرجع ص١٢٣.

(١٥) الطاهر أحمد الزاوى المرجع السابق - ص٣٥.

(١٦) البكرى (أبو عبيد الله)، المرجع السابق ص٧.

(١٧) التجانى (أبو محمد عبد الله)، المرجع السابق ص٢٣٨.

(١٨) أنظر: سعيد على حامد: المعالم الإسلامية بمتحف طرابلس - طرابلس ١٩٧٨- ص ص ٢٦ - ٣٠.

(١٩) للمزيد أنظر: دليل المتحف الجماهيرى، منشورات مصلحة الآثار الليبية - طرابلس ١٩٨٨.

(٢٠) ابن حوقل (أبو القاسم محمد)، المسالك والممالك (صورة الأرض) ليدن ١٩٣٨ - ص٧٢.

(٢١) مارمول (كرينجال)، المرجع السابق ، ص١٢١.

(٢٢) عن أسواق طرابلس أنظر، سعيد على حامد: التجارة والأسواق فى طرابلس عبر التاريخ - مجلة تراث الشعب، السنة الحادية عشرة - العدد الرابع - طرابلس ١٩٩١ - ١٩٩٢ ص ص ١١٣ - ١٣٣.

(٢٣) عن فنادق طرابلس ، أنظر : كورو (فرنشيسكو)، فنادق طرابلس القديمة المميزة، ترجمة د. محمود التائب - مجلة آثار العرب - العدد ١ طرابلس - سبتمبر ١٩٩٠ ص ص ٨٣ - ٨٩.

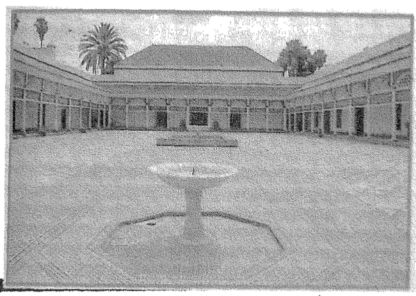
(٢٤) التجانى (أبو محمد عبد الله) ، المرجع السابق ص ٢٥٤.

(٢٥) عن *العمارة الدينية* فى طرابلس ، أنظر : د. صلاح أحمد البهنسى: *العمارة الدينية* فى طرابلس فى العصر العثمانى الأول (٩٥٨ - ١١٢٣هـ/ ١٥٥١ - ١٧١١م) مخطوط رسالة دكتوراة - كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٣.

(٢٦) العبدرى (أبو عبد الله محمد)، رحلة العبدرى المسماة الرحلة المغربية - تحقيق وتقديم محمد الفاسى - الرباط ١٩٦٨ ص٧٧.

«فاس.. ومراكش»

مدن لها تاريخ



صحن أحد المساجد وفيه تظهر روعة التصميم والابداع الزخرفي

إعداد:
البخلاخي أمحند
طنجة - المغرب

فاس:

اسسها ادريس الثاني عام اثنين وتسعين ومائة، ودعا لها بالخير والبركة وقال: **«اللهم إنك تعلم أني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة وانما اردت ان تعبد بها ويتلي بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك ما بقيت الدنيا».**

«اللهم وفق سكانها وقطانها للخير، وأعنهم عليه واكفهم مؤونة اعدائهم وادرر عليهم الارزاق، واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شئ قدير».

وقد استجاب الله دعاءه واصبحت فاس مع مرور الزمن عاصمة المغرب العلمية وجنة الدنيا كما قال شاعرها ابو عبد الله المغيلي:

يا جنة الدنيا التى اربت على...
حمص بمنظرها البهى الاجمل

وفاس كما قال مؤرخها الجزنائى فى (زهرة الاس فى بناء مدينة فاس): **(سكنها جملة من اصناف الناس، واهل الكور والامصار، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية، فليس من اهل بلد ولا اقليم الا ولهم بها منزل ومتجر، وصناعةوتصرف، واجتمع فيها ما ليس في مدينة من بلدان الدنيا، واتتها التجارات واهل الصناعات من كل صقع حتى تكامل بها كل متجر، وسعت اليها خيرات الارض، وجمعت فيها ذخائر الدنيا، وتكاملت فيها بركات العالم).**

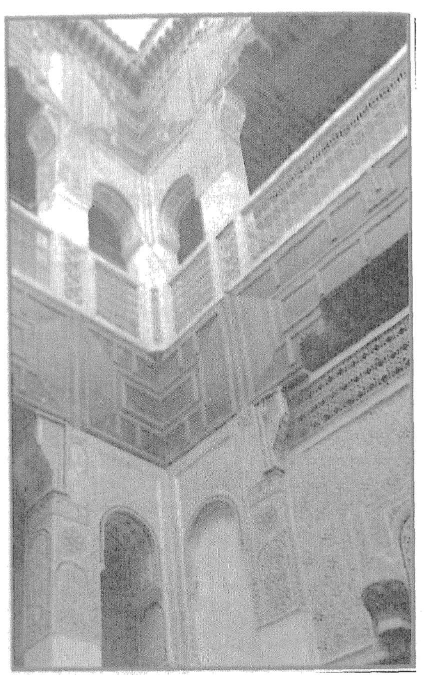
فاس، وريثة الحضارة الاندلسية البائدة، ومعرض الفنون الاسلامية الجميلة، ظلت عاصمة المغرب العربى والاندلس مدة ثلاثة قرون، وبلغ عدد سكانها في عصرها المرينى الذهبى حوالى مليوناً ونصف المليون نسمة، بينما كان عدد سكان قرطبة فى عهد الناصر نصف مليون وعدد سكان بغداد فى عهد هارون الرشيد مليوني نسمة.

وقد سكن مدينة فاس عدة اصناف من الناس ينتمون الى العرب الذين اتوا لمناصرة الدولة الادريسية، والبربر سكان البلاد الاصليين، والاجانب من يهود ومسيحيين، والعناصر الاندلسية والتونسية، فالعناصر الاندلسية جاءت من قرطبة عام ٢٠٣هـ/ ٨١٨م وعددها (٨٠٠٠) اسرة، والعناصر التونسية اتت بدورها من القيروان عام ٢١٠هـ/ ٨٢٥م وعددها (٣٠٠٠) اسرة.

وهذه الاسر هجرت موطنها اثر حدوث اضطراب سياسى فى

نافورات الماء داخل منازلهم، ويقول صاحب كتاب (فاس) بأن: (هذا الطابع المعمارى لمدينة فاس فريد من نوعه، لا يوجد مثل له فى مدن العالم الحديث، حيث المدينة القديمة بكاملها ليست بها ازمة حركة سير السيارات ولا تشكو من تلوث الجو بسبب دخان المصانع، والتى تعتبر فى شكلها عبارة عن معرض حي وضخم للتراث المعمارى الاصيل الذى صارع الزمن عبر قرون طويلة، ومعرضا للفنون الاصيلة والتحف الفنية الموجودة بالحوانيت والتى يقوم الصانع اليدوى بمباشرتها امام اعين الزائرين) وفى فاس قال العربى بن الصديق: (تتجلى روعة الفن المغربي الاندلسى فى هندسة الدور والقصور والمنتزهات والحدائق والاسواق والمساجد، والمدارس كما تتجلى فى الفنون والصنائع اليدوية التى اشتهرت بجودة صنعها وحسن منظرها فى القديم والحديث).

ومن مشاهير الاعلام الذين قبروا بفاس نذكر أبا بكر العربى (ت٥٤٣) والفيلسوف الاندلسى ابن باجة (ت٥٣٣هـ) وشاعر الاندلس الخالد لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) وغيرهم من قطاحل العلماء والمفكرين.



نموذج للمنارل القديمة في فاس

بلدانها، واستقرت بفاس واندمجت فى المجتمع الفاسى وساهمت مساهمة فعالة فى الرفع من المستوى الحضارى والفكرى والمعمارى للمدينة مما جعلها مدينة تنافس بعلومها وحضارتها بغداد وقرطبة والقاهرة ودمشق.

التنظيم المعمارى لفاس :

بنيت فاس فى منحدر من الارض وتبدو للمشاهد كأنها مدينة بنيت تحت الارض وتصميمها الهندسي العجيب يرجع الى مهارة المهندسين البنائين، منذ عهد المرابطين والموحدين، الذين تمكنوا من الاستفادة من مياه وادى فاس وايصال الماء عبر القنوات الى كل منزل بموازاته مع مجارى ماء الواد الحار، كما ان وفرة المياه بفاس دفع السكان الى بناء

ومن مآثرها المعمارية التاريخية الباقية :

جامع القرويين:

شيدته ام البنين فاطمة بنت محمد الفهرى عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م وهى سيدة مثرية صالحة اصلها من القيروان بتونس، استمر مدة بنائه ١٥ سنة، وجدد بناءه الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب.

جامع الاندلس:

بنته مريم الفهرية، وكان قائما فى الضفة اليمنى لوادى فاس (عدوة الاندلس).

«فاس» وريثة الحضارة الأندلسية ظلت عاصمة المغرب العربي والأندلس مدة ثلاثة قرون

مدرسة الصفارين (النحاسين):

اسسها ابو يوسف يعقوب المريني عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م على مقربة من جامع القرويين وسميت بالصفارين لقربها من سوق صناعة القدور النحاسية وهي المدرسة الوحيدة التي بنيت بمنارة بفاس.

مدرسة دار المخزن (مدرسة القصر) : اسسها ابو سعيد عثمان المريني بجوار المسجد الكبير بفاس الجديدة عام ٧٢٠هـ

مدرسة الصهريج :

شيدها ابو الحسن بن الامير ابي سعيد وهو انذاك وليا للعهد، بلغت تكاليف بنائها مائة الف قطعة ذهبية عام ٧٢٢هـ/ ١٣٢١ وهذه المدرسة تحتوى على دار للوضوء وفندق لسكنى الطلبة وسقاية ماء.

مدرسة القراءات السبع :

بناها ابو الحسن بن ابى سعيد المرينى على مقربة من مدرسة الصهريج المذكورة.

مدرسة العطارين :

بناها الامير ابو سعيد عثمان عام ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م بجوار القرويين عند مدخل سوق العطارين الذى حملت اسمه وهى مزخرفة، تعتبر من روائع العمارات المرينية.

المدرسة المصباحية:

شيدها ابو الحسن المرينى على مقربة من جامع القرويين ومدرسة العطارين عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م وسميت على اسم اول استاذ درس فيها وهو مصباح الياصلوتي.

المدرسة العنانية او البوعنانية:

شيدها السلطان ابو عنان المرينى بحى الطالعة بجوار قصبة المرابطين والموحدين عام ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م ولمعرفة توقيت الصلاة بنى فيها دارا للساعة وهى ساعة عجيبة تتكون من عشرة طوابق من البرونز مثبتة على مرافع من خشب الارز المنقوش وفى كل ساعة يسقط مثقل فى احد الاكواب فتفتح النافذة.

والمدرسة العنانية فسيحة لها قاعدة لالقاء الدروس ومنارة ومنبر لاقامة صلاة الجمعة.

مكتبة القرويين :

اسسها ابو عنان المرينى بلغ عدد كتبها ثلاثين الف مجلد، وتضم مؤلفات اندلسية وعربية نادرة سلمها الملك الاسبانى (دون سانش) الى السلطان ابى يوسف يعقوب المريني جد أبى عنان بمناسبة الهدنة التى وقعت بينهما سنة ١٢٨٥م اشترط فيها اعادة الكتب العربية التي انتزعت من المسلمين بالاندلس وتنفيذ الاتفاقية المبرمة بين الطرفين حمل منها الى جامعة القرويين ثلاثة عشر جملا.

ومن نفائس هذه المكتبة رسالة ابن رشيد (البيان والتحصيل) تقع فى ٦٣٨ صفحة مكتوبة على رق الغزال.

مدرسة الشراطين:

بناها المولى الرشيد العلوى.

مدرسة باب عجيسة :

بناها السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوي.

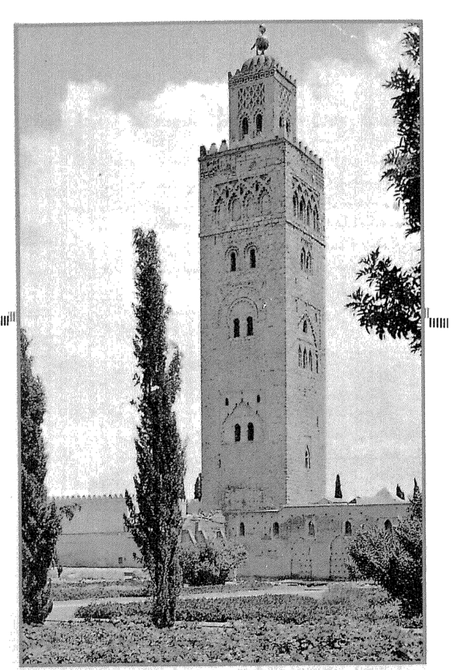
وقد أمر محمد الخامس رحمه الله بعد استقلال المغرب بترميم واصلاح المآثر المذكورة فاصبحت من معالم فاس التاريخية والاثرية والعمرانية التى يقصدها السياح لزيارتها.

بنيت «فاس» لتبدو للمشاهد كأنها مدينة تحت الأرض وتصميمها الهندسي جعلها لا تشكو من تلوث الجو

مراكش :

المدينة الحمراء، الفسيحة الارجاء، الجامعة بين حر وظل ظليل وثلج ونخيل، عاصمة دولة المرابطين والموحدين والسعديين، أسسها يوسف بن تاشفين عام ٤٥٤هـ قال فيها صاحب (وفيات الاعيان): **(مراكش مدينة عظيمة بناها الامام يوسف بن تاشفين) وذكرها صاحب معجم البلدان وقال: (مراكش مدينة بفتح الميم ثم تشديد الراء مفتوحة وبعدها الف وضم الكاف وشين معجمة اعظم مدينة بالمغرب واجلها). ووصفها مؤرخها ابن المؤقت المراكشى، وقال بأنها:**

من مشاهير الاعلام الذين قبروا بفاس أبوبكر العربي والفيلسوف ابن باجه والشاعر الخالد لسان الدين بن الخطيب



صومعة الكتبية في مراكش

(مدينة لم تزل من حيث أسست دار فقه وعلم وصلاح، وهى قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها فسيحة الارجاء، صحيحة الهواء، بسيطة الساحة ومستطيلة المساحة، كثيرة المساجد، عظيمة المشاهد، جمعت بين عذوبة الماء، واعتدال الهواء، وطيب التربة، وحسن الثمرة وسعة المحرث، وعظيم بركته).

مآثرها العمرانية:

عدد مساجدها: مائة وثلاثة وعشرون مسجدا اهمها: **مسجد الكتبيين**: بناه السلطان عبد المؤمن بن على الموحدى عام ٥٩١هـ وشيد منارته حفيده يعقوب المنصور الموحدى وكان طولها مائة ذراع.

مسجد المنصور الموحدى: بناه يعقوب المنصورى الموحدى عام ٥٩١هـ بعد رجوعه من غزو الاندلس.

مسجد الشيخ سيدى محمد صالح: بناه السلطان ابو الحسن المرينى عام ٧١٨هـ **مسجد حارة الصورة**: بناه السلطان حسون المرينى الوطاسى وزخرفه السلطان عبد الله السعدى، **مسجد ابن يوسف**: بناه يوسف اللمتونى عام ٥٢٥هـ وجدد بناءه السلطان سليمان العلوى عام ١٣٥هـ.

مسجد الشيخ محمد الجزولى (صاحب دلائل الخيرات) بنى فى زمن ابى الحسن المريني، وجدد بناءه ووسعه السلطان المولى اسماعيل العلوى عام ١١٣٢هـ.

مدارسها: عددها ست مدارس اشهرها المدرسة اليوسفية، المدرسة العباسية، مدرسة حومة باب دكالة، ومدرسة الشعبة، ومدرسة المواسين ومدرسة حومة سيدى محمد بن صالح.

حماماتها: بلغ عددها اربعة وعشرون حماما.

افرانها: بلغ عددها ستة وستون فرنا.

انهارها: النهر المعروف بواد أسيل بباب الدبغ وبنى عليه قنطرة لمرور الراجلين.

عيونها: ثمانية عشر عينا: منها عين البركة، وعين المزوجية والعين العباسية،.

سقاياتها: عدتها تسع وثمانون سقاية وكلها كانت داخل سور المدينة الذى بناه الخليفة على بن

جامع القرويين، جامع الأندلس، مدرسة القراءات السبع من المآثر المعمارية التاريخية الباقية في فاس

يوسف المتونى باقتراح من امام الائمة ابن رشد الاندلسى الفقيه، اثر اندلاع الفتنة بينه وبين محمد بن تومرت، انفق على بنائه سبعين الف دينار ذهبى واستغرق بناؤه مدة ثمانية اشهر.

الرباط :

عاصمة الدولة العلوية وملتقى الحضارات الاجنبية المعاصرة، ووريثة الدول الاسلامية التى تعاقبت على حكم المغرب كدولة الادارسة التى حكمت مدة مائة وثمان وثلاثين سنة، ودولة مغراوة حكمت نحو ستين سنة، ثم دولة اللمتونيين حكمت مدة مائة واربعين سنة، ثم الموحدون حكموا مدة مائة وخمسين سنة، ثم بنو مرين حكموا نحو المائتين واربعين سنة، ثم دولة السعديين حكموا مدة مئة وثماني عشرة سنة ثم الدولة العلوية التى اسسها المولى رشيد العلوى سنة ١٠٧٥هـ.

بنى الرباط السلطان المجاهد يعقوب المنصور الموحدى عام ٥٩١هـ وهو متوجه لغزوة الاراك الشهيرة بالاندلس وبنى ايضا جامع حسان ومنارته العجيبة ومسجد الخير الدا باشبيلية.

قال ابن خلكان عن الرباط: **(انها مدينة عظيمة سماها رباط الفتح (يعني المنصور الموحدى) على هيئة الاسكندرية فى الاتساع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحصينه وتحسينه، وبناها على البحر المحيط الذى هناك وعلى نهر سلا، مقابلة لها من البر القبلي).**

ومما زاد هذه المدينة عمرانا وازدهارا هجرة الموريسكوس اليها فى العهد الوطاسى والسعدى اثر سقوط حصون الاندلس في يد العدو، وبمرور الزمن اتسع بنيانها وعرفت الرواج الاقتصادى والتمثيل الدبلوماسى الاجنبى فى العهد العلوى وقصدها الاجانب من كل صوب من العالم، وتحولت الرباط الى مدينة المؤتمرات الدولية العالمية.

المدينة القديمة :

يقول الصديق بن العربى عن المدينة القديمة بأنها كانت: **(عبارة عن مستطيل غير متساوى الاضلاع يمتد طولا من باب الاحد الى باب البحر ومن الباب الجديد الى باب**



أحد الشوارع القديمة في الرباط

قصبة النوار احدى بوابات مدينة فاس

العلو، ويخترقها شارع السويقة فى اتجــاه الطول وثلاثة شــوارع في اتجاه العرض)٠

مآثرها التاريخية :

قصبة الاوداية: كانت تسمى المهدية نسبة الى المهدى بن تومرت٠

باب الاوداية: يرجع عــهــدها إلى العصر العلوى٠

مــدينة شــالة: تقع فى الناحــيــة الشرقية من الرباط وفيها آثار قديمة ترجع الى عصور مختلفة٠

ـ **جامع حسان** ـ بناه الخليفة يعقوب المنصور الموحدى٠ مـساحـته ١٢٦ الف م٠م طوله ١٨٦م وعرضه ١٤٢ يحتوى على ١٢ بابا و٣٦٠ عمودا٠

ـ **منارة حــسـان** ـ لم تتم وعرضـهـا ١٩م وارتفاعها ٤٤م٠ بناها يعقوب المنصور الموحدى ايضا .

مراكش مدينة عظيمة بناها الامام يوسف بن تاشفين صحيحة الهواء، مستطيلة المساحة، كثيرة المساجد



سور مدينة الرباط القديمة

بغداد المدينة المدورة

اعداد:
فؤاد قزانجي

يقول الخطيب البغدادي (ت ١٠٧٢/ ٤٦٣هـ) وهو يستذكر ايام بغداد الزاهية: «لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها، واعلامها، وتميز خواصها وعوامها، وعظم اقطارها وسعة اطرارها وكثرة دورها ، ومنازلها ودروبها وشعوبها ومحالها واسواقها وسككها وأزقتها ومساجدها وحماماتها وطرزها وخاناتها، وطيب هوائها وعذوبة مائها وبرد ظلالها وأفيائها ٠٠ وزيادة ما حضر من عدة سكانها واكثر ما كانت عمارة وأهلا (في أيام الرشيد)»٠

أمر ببناء بغداد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عام ٧٦٢ (١٤٥هـ) ، فشيدت على شكل دائرة نصف قطرها يقارب الثلاث كيلومترات٠ وقد اختيرت ارضها في الجهة اليسرى شمال بغداد الحالية لاعتدال هوائها من كثرة الترع والبساتين حولها ولوقوعها في وسط العراق وباعتبار انها مركز سوق للتجارة والمواصلات القادمة من الهند وخراسان والشام والجزيرة العربية، بالاضافة الى وجود قرى منتشرة وأديرة عامرة قربها٠

«وشيد المنصور وسط المدينة قصره المعروف بقصر باب الذهب والى جانبه المسجد الجامع ٠ وحول الرحبة اقيمت بيوت أولاد المنصور كما اقيم بيت المال وديوان الرسائل وديوان الخراج وغيرها من الدواوين وقد اقيمت للمدينة المدورة ثلاثة أسوار قطر السور الداخلي (١٢٠٠) ذراع وارتفاعه (٣٥) ذراعا، أما السور الثاني فعرضه (٥٠) ذراعا، وعرض ما بين السورين (١٦٠) ذراعا»٠ وجعل بين السور الثاني والثالث اربعة طرق أو شوارع مستقيمة باتجاه الابواب الاربعة التي اقيمت على الاسوار ، وهي باب الشام وباب الكوفة وباب البصرة وباب خراسان وسميت بهذه الاسماء بحسب اتجاهاتها الجغرافية٠

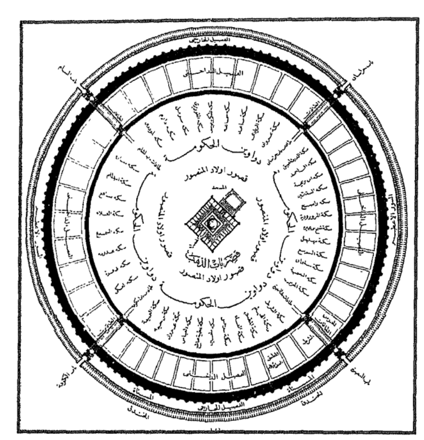
سماها المنصور مدينة السلام ، وعرفها العرب باسم بغداد أو المدينة المدورة، وأطلق البعض عليها الزوراء لأزورار في محراب مسجدها الجامع شكل(٣٠٤)٠

وتخطيط بغداد على شكل دائرى ليس شيئا «جديدا» على ابناء العراق، فقبلها بستين سنة بنيت الكوفة وهي شبه مدورة، وفي المائة الاولى قبل الميلاد أنشأ العرب مدينة الحضر المدورة التى ربما ظلت أسوارها شاخصة حتى منتصف القرن السابع للميلاد٠ لذلك جاءت بغداد تجسيداً لتلك المعرفة الحضارية والعمرانية منذ أن شاد العراقيون القدماء في أرض بغداد مدينة شادوبم ومدينة دور كوربكالزو وقبلها بابل العظيمة وعشرات المدن الاخرى، التى صنعت تلك المعرفة فيما بعد مدنا «كبرى انتشرت في العالم شرقا» وغربا حتي وصلت اطراف الهند وصقلية وأسبانيا (الاندلس)٠

بعد اكتمال مدينة بغداد المدورة، وفي عام ٧٦٨، بدأ البناء في الجانب الشرقي من دجلة المسمى بالرصافة وعندما وصل المهدى، ابن الخليفة المنصور، جانب الرصافة على رأس جيشه، أمر المنصور أن يبنى له معسكرا حربيا «هناك ولذلك أقام المهدى قريبا» من دجلة في مقابل بغداد المدورة ثم بنى مسجدا «واسعا» وبيوتا لجنوده وكان المنصور قد أقام جسرا ٠٠ يربط الجهة القريبة من بغداد مع الرصافة٠

وسرعان ما وصلت بغداد الى قمة مجدها وجلالها وهيبتها في زمن الرشيد والمأمون اذ بلغت حضارة العرب المسلمين ذروتها، وغدت بغداد العباسيين «الوريثة الحقيقية لكل الحواضر والمدن التى اقيمت على أرضها وحواليها، بل الأم الرائعة لكل المدن العظيمة٠ لقد انتظرت بابل زهاء اثنى عشر قرنا» الى أن وجدت نفسها اخيرا «تبعث بكل بريقها وبهائها على بعد ثمانين كيلومترا» منها ، على ضفاف دجلة٠

وبرزت بغداد شامخة بين عشية وضحاها في ذلك السهل الخصيب نفسه الذى أنبت بابل، باعثة الحياة من جديد في الجذور البابلية٠ وفي غضون سنوات قلائل كانت بغداد اعجوبة الدنيا، وأضحت الثروات البشرية تصب فيها فتوسع وتعاد صياغتها كيما توزع في أرجاء العالم وتوسع عمران بغداد شرق دجلة تدريجيا٠٠ منذ أيام المأمون ، وقامت المحلات المشهورة مثل باب


بغداد.. مدينة المنصور المدورة

الأزج والريان والخرم وغيرها. كما عرفت بأسواقها العامرة التي لا تزال نكهتها وطراز عمارتها متوارثة شاخصة حتى اليوم مثل سوق العطارين وسوق البزازين وغيرهما. واتخذت بغداد في القرن الثالث عشر شكلا مستطيلا تقريبا، بين الكاظمين وباب البصلية او الباب الشرقي.

وفي عام ١٢٥٨ غزا هولاكو، عاصمة الحضارة والمدنية العربية - الاسلامية، فدمر جزءا .. كبيرا منها بضمنها المدارس والمكتبات ودور العلم فيها. ومع كل ذلك فقد استعادت بغداد جزءا من مجدها فى عهد بعض الولاة الصالحين من بينهم أمين الدين مرجان الذى شيد المدرسة المرجانية والحق بها سوقا «تجاريا» يعرف اليوم بخان مرجان، كما بنى بعض الولاة العثمانيين المساجد والمدارس وبعض الابنية البارزة من بينها القشلة أي دار الجند، الذى جدده ووسعه مدحت باشا عام ١٨٦٩.

ولا يزال يشاهد في بغداد معالم تراثية زاهية من ألف ليلة وليلة في أزقة بغداد العتيقة وأسواقها الطويلة مثل سوق العطارين وسوق البزازين وسوق الصاغة وسوق الكتب وغيرها التى تمثل طرازا «عربيا» لأسواق مغطاة بعقود مقوسة ودكاكين صغيرة مترادفة تمتاز بالأقواس والقباب والدكات العالية.

ترتفع في بغداد آلاف القباب والمنائر فتختلط زرقتها بزرقة السماء الصافية وتلمع من بعيد اذ يعكس قاشانها الزاهي، زخارفها البنائية والهندسية الاسلامية. ويرقى زمن بناء بعضها الى (القرن السابع الهجرى) القرن الثالث عشر الميلادى، وتمتاز بقبابها المستديرة العريضة أو البصلية الشكل التي تعطى لبغداد ملامح عباسية وزخما «روحيا» عميق الصلة بجذور الاسلام في بغداد.

ومن بين جوامع بغداد القديمة، جامع الامام الكاظم وجامع الامام الاعظم (أبي حنيفة) وجامع الشيخ عبد القادر الجيلاني وجامع الخلفاء ومسجد الحظائر وعشرات غيرها

وتحتضن بغداد مواقع وعمائر سومرية وبابلية واسلامية وبغدادية اصيلة يتجسد فيها النتاج المعمارى العريق سواء أكان اسلاميا أو قديما، فقد ظلت أبنية اسلامية تصارع الزمن منذ عهد الخليفة المستظهر والخليفة المستنصر وغيرها والمتمثلة في القصر العباسى أو دار الخلافة والمدرسة المستنصرية والباب الوسطانى لسور بغداد من القرن السابع الهجرى، كما وقفت عمائر رافدانية تشخص بشموخ منذ الاف السنين مثل زقورة مدينة كوريكالزو (عقرقوف) وبقايا مدينة شاد ويم (تل حرمل) وغيرها.

ولعل خان مرجان بزخرفته المحفورة في الآجر وأقواسه العالية وبنائه المتين منذ القرن العاشر الهجرى يبهجك بتفاصيله الزخرفية وحجراته البغدادية ويمتعك بجو مطعمه الشرقي الساحر.

واذا أردت أن تستذكر معركة القادسية بين المسلمين والفرس فستجد في بانوراما القادسية بناحية المدائن، مشهدا «مجسدا» لهذه المعركة الخالدة ويستحوذ على مشاعرك وأنت تشاهد قتال فرسال العرب يتقدمهم سعد بن أبي وقاص وغبار المعركة اللجب الذى يكاد يغطى سقوط الفيلة وفزع الفرس أما البناء، فيبدو كحصن كبير يشبه الزقورة البابلية بارتفاعها وشموخها وصلابتها وطراز آجرها.

(×) بتصرف من مجلة (العواصم والمدن الاسلامية)

العمارة الإسلامية في منطقة البلقان

في أوائل العصر العثماني الأول ٦٣٠ - ٨٠٥هـ/١٢٣٠ - ١٤٠٢م

بقلم:
محمود السيد الدغيم
- لندن -

هذه الدراسة، وثائقية تاريخية تعطينا حصراً اجمالياً لمجموع ونوع المعمار الإسلامي الذي أقامه العثمانيون في منطقة البلقان.. عندما كانت المنطقة بكاملها تحت سيطرتهم..

وما تبقى الآن من ذلك المعمار يظل شاهداً على عظمة ما قام به العثمانيون.

المنهل

إن العمارة الاسلامية في منطقة البلقان الواقعة في أوروبا الشرقية هي امتداد للعمارة الاسلامية العثمانية، والعمارة العثمانية هي حلقة هامة من حلقات العمارة الاسلامية بشكل عام.

مطلع العمارة الاسلامية يبدأ زمنياً مع الهجرة النبوية(١) وبناء المسجد النبوي، ويمتد حتى العصر الراهن، وسيستمر في المستقبل مع استمرار وجود الأمة الاسلامية، كما ان للعمارة الاسلامية امتداد جغرافي واسع يمتد من بلاد البنغال(٢) شرقاً الى الاندلس(٣) غرباً، وهذا الامتداد قديم، أما في الوقت الراهن فتنتشر المنشات الاسلامية في شتى انحاء المعمورة، ولكن وجود بعض المنشات لا يعطي المدينة هوية المدينة الاسلامية، لأن المدينة الاسلامية تعبر عن الشخصية الاسلامية المميزة في عاداتها وذوقها وثقافتها، وقد بدأ نشوء المدن الاسلامية ببناء المسجد وما يحيط به من مساكن ومنشآت مثل القلعة وسبيل الماء، والحمام، والقناطر والجسور، والمدارس والبيمارستانات، والخانات والأسواق.. الخ.

مثلما امتازت المدينة الاسلامية بأنواع المباني، فقد امتاز كل بناء بميزات خاصة، فمن ميزات الجامع وجود الأبواب الخارجية والداخلية، والسور الخارجي والداخلي، والصحن والأروقة، والمزولة (٤) والميضأة(٥)، والحرم والمآذن، والمنبر والمحراب وكراسي الوعظ، ومحفل المؤذنين، ومصلي النساء، والزخارف التي تزين الأبواب والجدران والسقوف.

نستطيع القول إن المدينة الاسلامية أصبحت معيزة المعالم واضحة الهوية منذ العصر الأموي(٦)، ثم تطورت في العصر العباسي(٧) حيث انتشرت المدارس النظامية(٨)، ثم شيدت المدرسة المستنصرية(٩) سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م فبلغت بغداد آنذاك درجة رفيعة معبرة عن محتويات العاصمة الاسلامية، التي استفادت من المؤثرات المعمارية البيزنطية(١٠) والساسانية(١١) والسلجوقية(١٢).

وتآمر الوزيد ابن العلقمي(١٣) الشيعي مع التتار(١٤) فدخل هولاكو(١٥) بغداد وبصحبته نصير الدين الطوسي(١٦) الشيعي، وتم قتل الخليفة المستعصم(١٧) وبطانته من أهل السنة والجماعة وذلك سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وبعد ذلك انتقلت العاصمة الى القاهرة(١٨) التي اصبحت رمز العاصمة الاسلامية وحاضنة الخلافة العباسية واستمرت على تلك الحالة حتى فتح السلطان سليم الأول(١٩) **مدينة القاهرة، ونقل عاصمة الخلافة الاسلامية الي مدينة اسطنبول سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م فتطور فن العمارة الاسلامي العثماني حيث جمع بين فنون العمارة الافريقية**

والآسيوية والأوروبية.

لقد تطورت العمارة الاسلامية العثمانية بشكل متلازم مع تطور الدولة العثمانية، واتسع نطاقها مع اتساع رقعة الدولة العثمانية، ومرّ تطور العمارة الاسلامية بعدة أدوار، فالدور الاول ما بين سنة (٦٣٠ - ٨٠٥هـ/ ١٢٣٠ - ١٤٠٢م) وقد شهد هذا الدور السلاطين:

١ - أرطغرل بن سليمان(٢٠)، ولد سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م وتوفي سنة ٦٨٠/ ١٢٨١م وفي زمنه امتدت رقعة الامارة العثمانية من مدينة اسكي شهر الى كوتاهية، وصارت مساحتها حوالي ٢٠٠٠كم٢ سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٠م.

٢ - عثمان بن ارطغرل(٢١)، ولد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وتوفي سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م.

٣ - أورخان بن عثمان(٢٢)، ولد سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م وتوفي سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م بعدما تسلطن ٣٨ سنة، وله من العمر ٨١ سنة.

لقد تطورت العمارة العثمانية في أيام أورخان حيث تم فتح مدينة بورصة(٢٣) (بروسة) في سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، واتخذها عاصمة للدولة العثمانية، ثم فتح مدينة أزنيك(٢٤) «نيقية» سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣١م) وبعدما انتصر على البيزنطيين طبقت شهرته الافاق، واستطاع السيطرة على سواحل البحر الأسود وبحر مرمرة(٢٥) سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م. ومع امتداد السلطنة العثمانية الى المدن المفتوحة امتدت العمارة الاسلامية واصبحت مدينة بورصة نموذجاً رائعاً للمدينة الاسلامية، وقد حذت حذو مدينة قومية(٢٦) عاصمة السلاجقة في الأناضول.

وكانت بداية العبور العثماني الى الطرف الأوروبي سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م حيث اجتاز سليمان باشا بن أورخان الى رومالي(٢٧)، ومعه (٢٠ ٠٠٠) عسكري، وتم العبور بواسطة السفن المعادية التي حازها العثمانيون ليلا واحضروها الى الطرف الآسيوي، وبواسطتها عبرت القوات العثمانية، ووصلت القوات العثمانية بقيادة سليمان باشا الى مدينة سلانيك(٢٨) التي تقع حالياً في شمالي اليونان، وتصدى للصرب الذين كانوا يحاصرونها، وحررها منهم (٢٩)، وفي سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م تصدى سليمان باشا للتحالف الصربي البلغاري(٣٠)، وفي سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م أصبحت قلعة جمبة(٣١) قلعة عثمانية على الشاطئ الأوروبي مقابل «جنق قلعة»(٣٢) وهكذا اصبح للعثمانيين موقع ثابت في الأراضي الأوروبية(٣٣)، وفي سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م فتح قلعة غاليبولي(٣٤) واتخذها قاعدة بحرية عثمانية على الساحل الأوروبي، ووصل غرباً حتى نهر مريج(٣٥)، وفتح «لوله برغاز»(٣٦) و«جورله»(٣٧) سنة ٧٥٩/ ١٣٥٧م وآنذاك توفي المجاهد سليمان باشا بعد سقوطه عن حصانه، وخلفه في رفع راية الجهاد أخوه مراد بك(٣٨). وقد امتدت الأراضي العثمانية حتى شملت قضية كشان وايبسالا من ولاية أدرنة(٣٩) وورودستو ، **وبلغت مساحة الاراضي العثمانية في زمن السلطان أورخان(٤٠) حين وفاته سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م مساحة ٩٥٠٠٠كم٢، وبذلك يكون قد ضاعف مساحة السلطنة ست مرات عما كانت عليه حينما تسلطن(٤١).** بعد وفاة المرحوم أورخان خلفه ابنه السلطان مراد الأول(٤٢) ولي عهده المولود سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، فثبت أركان الدولة، وقضى على الفتن الداخلية، وفتح أوروبا الشرقية أي البلقان الكبير «بيوك بلقان» حيث فتحت أدرنة(٤٣) سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٦١م وأصبحت عاصمة لمنطقة روملي(٤٤)، ثم صارت عاصمة للسلطنة

العمارة الإسلامية في تركيا جمعت بين فنون العمارة الآسيوية والأوروبية والإفريقية

العثمانية بدلا من بورصة(٤٥)، **وتحولت من مدينة بيزنطية متواضعة الى عاصمة إسلامية عثمانية لها مقومات المدينة الاسلامية، وتطورت كما تطورت مدينة بورصة(٤٦) من قبل.** وقد منح السلطان ألقاباً عديدة، وصادق عليها الخليفة العباسي في القاهرة، والألقاب هي: سلطان الغزاة والمجاهدين ، ليث الاسلام، غياث الدنيا والدين، أبو الفتح، ملك المشايخ، شهاب الدين غازي هنكار خداوندكار. غياث المسلمين، السلطان العادل(٤٧).

وفى سنة ٨٦٦هـ/ ١٣٦٣م اجتازت القوات العثمانية نهر «مريج» ماريتزا(٤٨) (Maritza) (Marica) غرباً ، وتم فتح مدينة فيليبه(٤٩) ومدينة اسكي زغره(٥٠)، ووصلت القوات العثمانية حتى جبال البلقان، وإزاء ذلك دعا البابا اوربانوس الخامس(٥١) النصارى الى حملة صليبية ضد المسلمين العثمانيين فلبى دعوته ملوك المجر(٥٢) وصربيا(٥٣) والبوسنة(٥٤) ورومانيا(٥٥)، ولكن جيوشهم هزمت(٥٦) سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م أمام

القوات العثمانية حيث اندفعت القوات العثمانية غرباً وجنوباً وشمالاً ففتحت «كده ده آغاج سنة ٧٦٣/ ١٣٦٢م، وكمولجينة سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م، وساماكوف سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م، وقولة سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧١م، ودراما سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧١م(٥٧)، واعترف ملك بلغاريا(٥٨) بتبعيته للدولة العثمانية، واتخذ من ترنوفا(٥٩) مركزاً لملكه سنة ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م. وفي سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧١م وصلت طلائع المجاهدين العثمانيين حتى سواحل البحر الأدرياتيكي، ففي سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م اعترفت جمهورية دوبروفنيك(٦٠) «راغوسة» بالسيادة العثمانية «وسيطر العثمانيون على كارافيرا سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧٢م، وكوستنديل(٦١) سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م ونيش(٦٢) سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م، وصوفيا(٦٣) سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨٢م، ومناستر(٦٤)، وكوريجة، واوهري، ودبره ٧٨٦هـ/ ١٣٨٥م، وترنوفا(٦٥)، ولوفجه(٦٦) ، وبلونه(٦٧) ، وزشتومي(٦٨) ، ورسجك(٦٩) ، وسليستره(٧٠) سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٨م ، واعترف الصرب بالسيادة العثمانية على بلادهم ، وسيطر العثمانيون على تساليا(٧١)، ووصلوا شمالا حت نهر الطونة «الدانوب»(٧٢) وجنوباً حتى آتيكا ، وغرباً حتى آلبانيا، وفي الشمال الغربي حتى البوسنة(٧٣) وفي سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٨م دخلت القوات العثمانية الى البوسنة بقيادة لالاشاهين بكلويك، وزحف الصدر الأعظم جاندارلي زاده على باشا على ضفاف نهر الطونة فاستولي على ما تبقى من المملكة البلغارية(٧٤).

وازاء الانتصارات العثمانية قامت حملة صليبية شارك فيها أمراء المجر وبولونيا ورومانيا «الآفلاق» ومولدوفيا «البغدان» وبلغاريا ، وقاد الحملة ملك صربيا لازار ومساعده ملك البوسنة نفرتكو والتقى الصليبيون مع الجيش العثماني بقيادة السلطان مراد الأول في سهل قوصوه «كوسوفو» في ١٣٨٩/٦/٢٠م ، واسفرت المعركة عن انتصار عثماني ساحق، وبعد تحقيق النصر اغتال الصليبيون السلطان مراد فاستشهد في قوصوه(٧٥)، ودفنت أحشاؤه في قوصوه في القبر المعروف باسم مشهد خداوندكار، ونقل جثمانه الى بورصة في تركيا وبلغت مساحة الدولة العثمانية عند استشهاد السلطان مراد الأول ٥٠٠٠٠٠كم٢ تقريباً ، تقع منها في البلقان مساحة ٢٩١٠٠٠كم٢، وتشمل شبه جزيرة غاليبولي وولايات: أدرنة(٧٦) وقرق لاراللي(٧٧) ، وتكيرداغ(٧٨)، وقضاء جطالجة(٧٩)، وكامل اراضي بلغاريا الحالية، وتراقيا الغربية ما عدا جزيرة سمندرة، وضمت مدينة سلانيك في شبه جزيرة هالكيدكيا اليونانية، ومقدونيا الجنوبية ما عدا جزيرة طاشوز، وضمت تساليا، ومقدونيا الشمالية «الحالية» وقوصوة «كوسوفو» وصربيا الجنوبية بما فيها مدينة نيش، وشرقي البانيا، وشرقي قره داغ «الجبل الأسود» ومناطق إمارات صربيا ودوبروجه ودوبروفنيك، أصبحت تحت الحماية(٨٠)

بعدما استشهد السلطان مراد الأول - رحمه الله تعالى - خلفه ولي عهده ابنه الاكبر بايزيد الأول الملقب «يلدريم» أي: الصاعقة، فوحد بلاد الأناضول، وفتح قلعة الاشهر آخر القلاع البيزنطية في الآناضول(٨١)، وفي صيف سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م اجتاز السلطان بايزيد وجيشه العثماني نهر الطونة «الدانوب» شمالا، واجتاح رومانيا، وأخضعها للحماية العثمانية، واجتاح مدينة سلانيك سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م، وأخذ شبه جزيرة هالكيدكيا من البيزنطيين وقطع اتصالهم مع مقدونيا، وفي سنة ٩٧٥هـ/ ١٣٩٣م أخضع ما تبقى من الجيوب البلغارية، واستعاد من الصرب مدينة اسكوب «سكوبيا» عاصمة مقدونيا، وفي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م دخل السلطان مدينة أثينا عاصمة اليونان، وأخضع بلاد المورة بعد انتصاره في نيكوبولي على القوات الصليبية التي بلغ تعدادها ١٣٠٠٠٠ مقاتل بقيادة ملك المجر سيغموند، وتتألف من عساكر المجر وفرنسا وانكلترا والمانيا وبولونيا والبندقية واسبانيا وآراغون والبابوية، ورودس والنرويج واسكتلندا وجنوة، وغير ذلك من الامارات الأوروبية، واسفرت المعركة ٧٩٨هـ/ شباط ١٣٩٦م، عن غرق ١٠٠٠٠٠عسكري صليبي في نهر الطونة «الدانوب» واسر ١٠٠٠٠ عسكري ، وفرار ٢٠٠٠٠، وممن هرب من الميدان ملك المجر سيغموند، وأمير انكلترا هنري الرابع وغيرهما من قادة التحالف الصليبي. وبعد الانتصار على ضفاف نهر الطونة «الدانوب» في نيكوبولي، حاصرت القوات العثمانية مدينة اسطنبول للمرة الثالثة سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م، وللمرة الرابعة سنة ٨٠١ - ٨٠٣هـ/ ١٣٩٩ - ١٤٠١م(٨٢)، ولكن هجوم تيمورلنك على انقرة أجبر بايزيد على رفع الحصار عن القسطنطينية، والتوجه شرقاً لمقاومة جيوش تيمورلنك، ووقع التصادم في ١٩ ذي الحجة ٨٠٤هـ/ ١٤٠٢/٧/٢٠م في أنقرة، وأسفرت المعركة عن وقوع السلطان بايزيد في الأسر، وهزمت القوات العثمانية، وبعد سبعة أشهر واثني عشر يوماً توفي السلطان بايزيد أسيراً في مدينة آق شهر التركية الواقعة قرب مدينة قونية، وذلك في ١٥ شعبان سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٣/٣/١٠م، وأرسل جثمانه الى مدينة بورصة، فووري هناك(٨٣) . بعدما بلغت مساحة الأراضي المفتوحة من البلقان في عهده ٤٤١٫٠٠٠ كم٢(٨٤).

يتضح لنا مما تقدم: ان الفتح الاسلامي لأوروبا بدأ في زمن أورخان بن عثمان سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، وفي أيام حكمه تطورت العمارة العثمانية، وبلغ عدد المنشآت العثمانية المعروفة التي أنشئت آنذاك [١٥٧] منشأة، هي: [٨١] جامعاً، و[١٥] مسجداً، و[١٠] مدارس، و[٤] مكاتب «كُتّاب» و[١٠] حمامات، وداري إمارة، و[٨] زوايا، و[٤] تكايا، وعنبر واحد، وخانان، وقلعتان، وسراي واحدة، وجسران اثنان، وقبة كبيرة واحدة، و[١٤] تربة «خضرة».

توجد معظم الانشاءات العمرانية في زمن أورخان في مدينة بورصة [١١٧] منشأة ، بينما توجد خمسون منشأة في باقي أرجاء مملكته بشقيها الآسيوي والأوروبي.

لئن كانت المنشآت العمرانية الاسلامية العثمانية في أوروبا متواضعة في زمن أورخان فقد أزدادت في زمن السلطان مراد الأول والسلطان يلدرم بايزيد الأول(٨٥) وشملت المدن والقرى التالية وعددها: ٢١ مدينة وقرية.

١ - إبسالة: (Ipsala)

بنى فيها السلطان مراد الأول جامعاً سماه جامع السلطان مراد نداوندكار، ورفعه على أربعة اعمدة، وسقفه بالأخشاب، وكان واسعاً بلغت مساحته (٣٠ × ٣٠)م ، ومكانه الآن يوجد سوق المدينة، وقد تم اصلاح هذا الجامع من قبل قاضي ابسالة عبد السلام في ٢٣ شوال سنة ٨٩٥هـ/ ٩ آيلول (سبتمبر) سنة ١٤٩٠م(٨٦). وتقع ابسالة في جنوب غرب القسم الأوروبي التركي.

٢ - أدرنة(٨٧) (Edirne)

وكان اسمها البيزنطي (Adrianpole) وتقع في اقصى الأراضي التركية على حدود بلغاريا. وقد حظيت بنصيب وافر من العمارات الاسلامية العثمانية في الدور الأول، ولا سيما بعد اتخاذها عاصمة ثانية بعد بورصة، وتحويلها الى قاعدة لانطلاق طلائع الفتوحات. ففي زمن السلطان الشهيد مراد الأول استخدم المسلمون المنشآت التالية:

أ - جامع خداوندكار، وكان كنيسة بيزنطية، وتم تحويلها الى جامع من قبل السلطان مراد الأول بعد فتح المدينة ورحيل البيزنطيين وفي هذا الجامع أقيمت أول صلاة جماعة، وقد ذكره أولياجلبي(٨٨)، وخصص له السلطان مراد أوقافاً خاصة، ثم أضاف اليها السلطان يلدرم بايزيد الأول أوقافاً اخرى(٨٩)، ثم تغير اسم هذا الجامع فاصبح يعرف باسم: جامع الحلبي وسبب ذلك المدرسة التي ألحقت به في زمن السلطان مراد الثاني، وعُيِّنَ فيها الشيخ سراج الدين محمد بن عمر الحلبي. وقد تعرض الجامع للتصدع إثر زلزال سنة ١١٦٤هـ/ ١٧٥١م(٩٠) فقام الميرلاي حقي باشا بترميمه وتدعيم مواقع الضعف فيه(٩١)، واستمر الجامع حتى سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م فهدم ولم يبق له أثر. **وللعلم في تلك السنة استبدل مصطفى كمال أتاتورك الحروف العربية بالحروف اللاتينية. وتعرضت الأوقاف الاسلامية للاهمال منذ قيام النظام الجمهوري(٩٢) التركي سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م.**

ب - **جامع مالكوج (Malkoc) بك**، بني هذا الجامع في زمن السلطان بايزيد الأول، وبانيه مالكوج بك والي سيواس الذي تحرر من الأسر سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م، ولم يبق لهذا الجامع من اثر منذ سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م. وكان موقعه في حي الحاج مراد(٩٣).

ج - **مسجد ياهشي الفقيه:** بني في زمن السلطان مراد

العثمانيون كان لهم الفضل في نشر الإسلام في أوروبا وآسيا

الرابع وكان في داخل قلعة أدرنة، وتكرر اسمه في دفاتر أوقاف المدينة وله أكثر من وقفية حيث أوقفت له عدة دكاكين ومزارع في منطقة أدرنة. وكان موقعه في سوق السمك حالياً ، وقد تهدم ، وانشئت مكانه مقهي في بداية القرن العشرين(٩٤).

د - **دار الإمارة:** أنشأها السلطان مراد الأول، وقد ذكرها كاتب جلبي(٩٥) «حاجي خليفة» ولا يوجد لها أثر في زماننا هذا .

هـ - **حمام ياهشي الفقيه:** ورد ذكره في دفاتر أوقاف(٩٦) أدرنة مع مسجد ياهشي الفقيه، ولكن لا أثر له الآن.

و- **السراي:** بناها السلطان مراد الأول، وأطلق عليها اسم «دار السلطنة العامرة» وقد ذكرها أوليا جلبي فقال: «بناها السلطان مراد على شكل مربع، وموقعها قرب جامع السليمية، وكان طول ضلع مربع البناء عشرين ذراعاً ، وفي كل من الواجهتين الشمالية والجنوبية يوجد باب حديدي(٩٧)»، ثم طورها مراد الثاني، وأكملها محمد الفاتح، وجاء القانوني فأضاف اليها أبنية جديدة، ثم ألحق بها جامعاً، ولما قرر

السلطان سليم الثاني انشاء جامع السليمية استملك السراي وأزالها.

وفي زمن السلطان يلدريم بايزيد الأول(٩٨) استمر الازدهار العمراني الاسلامي في مناطق السلطنة العثمانية، وشملت أدرنة أيضاً فتم انشاء المنشآت التالية:

(أ) جامع الخادم فيروز آغا: وكان فيروز أميراً في دولة السلطان بايزيد الأول، وقد توفي فيروز سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، وقد ذكر الجامع بادي أفندي(٩٩) في كتابه، ولا وجود له الآن.

(ب) مسجد الحاج دوغان: ووقفية هذا المسجد مؤرخة في أول رمضان المبارك سنة ٨٢١هـ/ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٤١٨م، وتتضمن الوقفية ٨ دكاكين، و٣ حجرات، و٣ بيوت، ودار ضيافة، ومع الأيام هُدِم هذا المسجد ولم يبق منه سوى جدرانه(١٠٠).

(ج) مدرسة الحاج دوغان: ذكرها بادي أفندي(١٠١).

(د) مسجد سفر شاه، وهو منسوب الى السفير الذي أرسله السلطان بايزيد الأول الى مصر(١٠٢)، وقد توفي سفر شاه سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، وبقيت منارة هذا الجامع حتى سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م فهدمت، وتوجد محلة في أدرنة باسم: حي سفر شاه. نسبة للجامع وبانيه.

(و) جامع يلدريم: وهو لقب السلطان بايزيد الأول(١٠٣)، وقد ذكر كاتب جلبي(١٠٤): ان السلطان يلدريم بايزيد الأول قد «بني في مدينة أدرنة جامعاً، وإمارة، ومدرسة، وذكر أوليا جلبي(١٠٥) «أن لهذا الجامع قبة، ومئذنة دائرية» وجدران الجامع مبنية من الحجر، والقرميد المشوي، ونمط البناء يشبه البناء البيزنطي تتوسطه قبه دائرية، وقبة نصف دائرة في ناحية القبلة فوق المنبر والمحراب، وتوجد علي يمين القبة الوسطى قبة نصف دائرية، ومثلها على اليسار، أما في الخلف فتوجد قبتان دائريتان يتوسطهما المدخل الرئيسي للجامع وعرضه ٢٥٧ سم، والمئذنة في الزاوية اليسارية الخلفية، وللجامع نافذتان في كل جهة على مستوى المدخل الرئيسي، وأمام المدخل الرئيسي يوجد رواق مرفوع على أربع أعمدة. وفي صحن الجامع توجد ميضأة «شادروان». وقد صمد هذا الجامع حتى اجتاح الروس القياصرة مدينة أدرنة سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٨م، فوجهوا حقدهم الصليبي الرومي الأرثوذكسي على هذا الجامع فألحقوا به أضراراً جسيمة تحكي قصة حقدهم المستمر على الاسلام والمسلمين. وفي سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وقعت أعمدة الرواق الأمامي، وتساقطت قطع من السقف(١٠٦)، ورغم ما تعرضت له المدينة في الحرب العالمية الأولي من حقد صليبي أوروبي، وما عانته من إهمال للآثار الاسلامية بعد إلغاء الخلافة العثمانية، وقيام الجمهورية التركية العلمانية «اللادينية» رغم كل ذلك البلاء فمازالت قباب جامع يلدريم صامدة تحكي قصة الحضارة الاسلامية وما تواجهه من الإهمال، والتخريب المتعمد.

(هـ) دار الإمارة: بناها السلطان بايزيد، وبنى الى جانبها مطبخاً ضخماً، وكانت واسعة الأرجاء، ومدخلها على شكل قوس يعلوه برج مربع ضخم، وهي كالتكنة العسكرية، وقد بقيت صامدة حتى خربها الروس سنة ١٢٩٣ ـ ١٢٩٤هـ، وفي أواخر سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م أشعل الروس فيها النار وأحرقوها، وبقيت أنقاضها(١٠٧).

(و) «يلدريم كروانسراي» خان يلدريم، وكانت الخانات تبنى على الطرقات فيأوي اليها المسافرون، وهي كالفنادق، وتضم بالإضافة الى مهاجع المنامة، الاسطبلات، وكل ما يحتاجه المسافرون والتجار وحيواناتهم، وكلمة «كروانسراي» مركبة من كلمتين هما: «كروان» ومعناها: قافلة، راحلة. وكلمة سراي: ومعناها في الوقت الراهن: دار الحكومة، وهي بناء ضخم.. ولم يبق لهذا الخان من ذكر إلا في دفاتر الأوقاف، وكتب التراث. وبقي حمام السراي(١٠٨).

(ز) حمام السراي، أو حمام يلدريم: يقع هذا الحمام الى الشمال الشرقي من جامع السليمية في أدرنة، اي في شارع البازار الصغير الواقع في حي المرادية. وهو حمام تعلوه قبتان، ومساحته (٢٤٧٠ × ٢٥٧٠) سم، بدأ بناؤه أيام السلطان مراد الأول(١٠٩)، ووسعه السلطان يلدريم بايزيد الأول(١١٠)، واستمر بالعمل حتى أوقفته حرب البلقان(١١١) الصليبية، وبقي صامداً حتى دمرت الحرب العالمية الأولى(١١٢) احدى قبابه، ولكنه مازال موجوداً ولكنه غير صالح للعمل.

(ح) حمام يلدريم: وهذا حمام آخر بناه السلطان يلدريم بايزيد «قرب جامعه، وكان حماماً صغير الحجم»(١١٣) ولا وجود له الآن.

٣ ـ اسكي زغرة (ESKI Zagra) هذا هو اسمها العثماني، أما اسمها البلغاري الحالي فهو (Stara Zagora) وتقع في القسم الشرقي من وسط بلغاريا الى الشمال الشرقي من مدينة فيلبة، وهي من قطاع محافظة خاصكوفو (Khaskovi). وفيها الآثار العثمانية الاسلامية التالية من منشآت أوائل الدور العثماني الأول:

جامع حمزة بك: قال عنه أوليا جلبي: «جامع حمزة بك أكبر الجوامع السبعة عشرة الموجودة في السوق، وهو معروف بقبته العظيمة، ومئذنته المتوازنة، ولا يوجد

جامع أكبر من جامع حمزة بك في المدينة، والقبة مغطاة بالرصاص، وفوق مدخله كتابة تتضمن تاريخه»(١١٤) ولا توجد معلومات شخصية عن بانيه.

٤ - **اشتب** : وتقع في جمهورية مقدونيا حالياً وقد شهدت العمارة الاسلامية منذ أوائل الدور العثماني الأول وفيها:

أ - **جامع فتحية**، ذكر أوليا جلبي أن «جامع فتحية كان كنيسة ثم حول الى جامع وسمي: جامع الفاتح مراد خان، واسمه الأصلي: الجامع الاوسط، وهو جامع ذو قبة، ومسقوف بالأخشاب(١١٥)» ومع مرور الأيام تعرض الجامع للخراب ولم يبق له أثر.

ب - **مسجد خداوندكار**: ذكر أوليا جلبي هذا الجامع في معرض حديثه عن اشتب، وقال: «أمام جامع خداوندكار توجد مدرسة المرادية»(١١٦) ولا وجود الآن له.

ج - **مدرسة المرادية**: ذكرها أيضا أولياجلبي وحدد موقعها أمام جامع خداونكار(١١٧). ولم يبق لها أثر.

٥ - **إورانية** : هي قرية تقع الى الغرب من مدينة نيش في جنوب شرق صربيا، واسمها منسوب الى اورنوز بن عيس بك، وكان اسمها برانكي ومن آثارها الاسلامية المشهورة:

أ - **تربة عيسى بك.**

ب - **زاوية عيسى بك.**

والتربة والزاوية مذكورتان في سجلات الأوقاف العثمانية العائدة لعصر القانوني وما قبله. فقد جاء ما نصه: «وقف صاحب الخيرات، وشهيد الممات المرحوم الغازي اورنوزبك المذكور جد برانكي عيسى بك. وتربته في محلة عيسى بك الشهيد، في القرية المزبورة، والمذكور جدها، ووقف لأجل روحه (٠٠٠) قرية جرجق، القريبة من برانكي، وحديقة زاويته، والبساتين، وعرصات الاراضي المحيطة بها، وقفا شرعياً(١١٨) ولأحفاد الواقف حق الانتفاع بما وقفه، وعليهم خدمة الزاوية وصيانة التربة والزاوية، وخدمة الرواد من الفقراء والدراويش.

٦ - **بولاير** : تقع على الساحل الأوروبي لمضيق الدردنيل الذي يصل ما بين بحر مرمرة في الشمال، وبحر إيجة في الجنوب. وفي جنوبي بولاير تقع غاليبولي المشهورة بمواجهة جنق قلعة الواقعة على الشاطئ الآسيوي لمضيق الدردنيل. وتلك المنطقة تشكل شبه جزيرة تتصل بالبر التركي الأوروبي من الجهة الشمالية. وتشكل قصبة بولاير نصف شبه جزيرة غاليبولي التي فتحها المرحوم سليمان باشا.

أ - **جامع الغازي سليمان باشا**: يعتبر جامع سليمان باشا نموذجاً رائعاً للعمارة الاسلامية في أيام السلطان أورخان، وهذا الجامع من أقدم الآثار الاسلامية على التراب الأوروبي، كما أن عثمان باشا أول فاتح عثماني لشبه جزيرة غاليبولي.

تبلغ مساحة الجامع من الداخل (١٠ر٧٥ × ٩ر٠٥) ١٢٥ر١٠٢م٢، وسماكة الجدارين الجانبيين: ٩٠ سم، الجدارين الامامي والخلفي منها اسمك من الجانبيين حيث سماكتهما ١٠٠ سم، وللجامع ١٦ نافذة، يوجد منها أربع نوافذ في كل واجهة، نافذتان في الأسفل على مستوى المدخل الرئيسي والمحراب، ونافذتان في الأعلي، والمحراب نافر نحو القبلة الواقعة في الناحية الجنوبية الشرقية، وعلى الزاوية اليمينية من ناحية المدخل توجد المئذنة ، ولها شرفة واحدة، وسقف الجامع من الأخشاب والقرميد على شكل هرمي، والمحراب مزين بالمرمر المفرغ ، وعلى جانبي المحراب شمعدانان من النحاس الأصفر.

لقد تعرض هذا الجامع لحقد الصليبين الأوروبين

مع نشرهم للإسلام في دول البلقان أسس العثمانيون المدارس والمساجد والحمامات

أثناء الحرب العالمية الأولي(١١٩)، فأصابته قذائفهم، ولكنه لم يقع، وتم ترميم الأضرار بحجارة جديدة وقطع من القرميد، وقد استهدفوا المئذنة بالقذائف أيضاً فتأثرت قبتها ثم أعيد ترميمها(١٢٠).

ب - **تربة الغازي سليمان باشا**: اساسها مربع الشكل تقريبا، ثم يتحول فوق البوابات الى شكل مثمن، وتتروا‌ح سماكة الجدران ما بين ١٠٠ سم، و ١١٥ سم، أما سقف القبة فسماكته ٧٠ سم، وللتربة مدخل تقابله نافذة في صدر التربة، كما توجد نافذتان في الواجهتين الجانبيتين، وفي القسم العلوي توجد ٨ نوافذ «مناور» وقد تم ترميم التربة سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م من قبل والي ملك(١٢١)، ومازالت قائمة حتى الآن.

ج - **زاوية سليمان باشا**: ورد ذكرها في وثائق الأوقاف الاسلامية العثمانية، وقد جاء في دفتر المحاسبة سنة ٨٩١هـ/ ١٨٤٦م ما نصه «محاسبة زاوية سليمان باشا بولاية بولاير بمعرفة محيي الدين جلبي (درويش محمد جلبي) ولد مولانا علي قوشجي متولي الزاوية المذكورة، وحضر بالي كاتب عن غرة ربيع الآخر سنة ٨٩١هـ الى غاية ذى الحجة سنة المزبورة تحريراً في

٢٦ جمادى الآخرة سنة ٨٩٦هـ(١٢٢).

٧ ـ تيرنوة : تقع في القسم الشمالي الشرقي من بلغاريا الحالية، في المنطقة الواقعة بين نيكوبولي، واسكي زاغرة، وقد بنى فيها السلطان بايزيد الأول جامعاً، لا وجود له الآن، والدليل على ذلك قيود الأوقاف(١٢٣).

٨ ـ دراما : تقع في شمالي اليونان حالياً قرب الحدود البلغارية، والى الشرق من مدينة سرزن اليونانية.

لقد زار أوليا جلبي مدينة دراما فذكر «أن فيها ١٢ جامعاً لها محاريب، وتقام فيها الصلاة، وأقدم الجوامع (جامع) هو جامع قديم الطراز داخل السوق. ووَقْفُ الجامع القديم مقيد باسم المغفور له السلطان يلدرم بايزيد(١٢٤)» وقد قامت السلطات اليونانية بتدمير ذلك الأثر المعماري الاسلامي مثلما دمرت غيره من الآثار الاسلامية.

٩ ـ دمتوقا وباليونانية (Didimotihon) وبالتركية (Dimetoka) تقع على الحدود اليونانية الشرقية الى الجنوب من مدينة ادرنة التركية مسافة ٣٠كم والى الغرب من نهر مريج «ماريتز» مسافة ١٠كم، وقد زارها أوليا جلبي(١٢٥) وشاهد فيها «١٢ جامعاً ومسجداً وأربع مدارس، وخمسة مكاتب «كتاب»، وعمارتين وخمس تكايا، وثلاثة حمامات، وخانين محليين، وخانين للغرباء «كروانسراي» ثم تزايدت المنشآت الاسلامية فيما بعد، ولكن ما يعود منها الى الدور العثماني الأول هو ما يلي:

أ ـ زاوية عبد جنيد: ورد ذكرها في دفاتر الأوقاف، العائدة لسنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م، وسنة ٠٠٠هـ/ ١٢٧٥م، وتضمنت الدفاتر ذكر مسجد عبد جنيد أيضاً وتنيط الوقفيات مهمة الاشراف والاستفاده من وقف الزاوية والمسجد بأولاد جنيد وبنته، وبأحفاده(١٢٦). ويعود تاريخ ما بناه عبد جنيد الى أيام السلطان مراد الأول، وبذلك يشكل عمل عبد جنيد بداية قيام العمارة الإسلامية في مدينة دمتوقا.

ب ـ دار الملك: هي سراي «محكمة البنيان متينة، لا نظير لها في ذلك الزمان، وشبيهها نادر، بناها السلطان مراد الأول بعد الفتح مباشرة، بعد اختيار قلعتها مركزاً هاماً من مراكز الثغور، ومازالت معمورة(١٢٧)» في أيام عبد الرحمن صبري(١٢٨) أفندي وكانت مقراً للحاكم في أيام السلطان بايزيد الثاني، أما الآن فلا أثر لتلك السراي حيث أن اليونان قد دمروا الآثار المعمارية الاسلامية ولم يتركوا الى الان في مدينة دمتوقا سوى جامع السلطان جلبي، ومسجد. وهما مهملان بانتظار الخراب.

ج ـ مدرسة عروج بك : ذكر أوليا جلبي(١٢٩) «أن عروج باشا قد بنى مدرسته سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠ ـ ١٤٠١م، حينما كان عروج متقلداً منصب بيلربك في روملي وهو من أولاد تيمور طاش باشا» وبقيت المدرسة عامرة حتى زوائل القرن العشرين الحالي ثم دمرتها اليونان الصليبية الرومية الأرثوذكسية.

د ـ حمام عروج بك: بنى سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م وبقي الحمام مشهوراً ، وقد ذكره أوليا جلبي(١٣٠) في معرض حديثه عن المدينة فقال: «ماؤخ، وهواؤه وبناؤه يريح الروح» وقدَّم وصفاً للبناء، وبقي الحمام معموراً حتى بداية القرن العشرين الميلادي فدمره اليونان.

هـ ـ حمام يلدريم : بناه السلطان يلدريم بايزيد الأول «وقد خصص له مبلغ ٣٦٠ اقجة من إيرادات الدولة(١٣١)» ولكن الحمام تعرض للخراب حيث لم يذكره أوليا جلبي في مشاهداته. كما لا يوجد له اثر الآن.

و ـ زاوية آخي دنك: ولفظها موضع خلاف حيث كتبها الأتراك بصور مختلفة منها «دنك ودنيك ودينك» وقد بناها السلطان يلدريم بايزيد الأول، وأوكلت للدرويش قاسم آخي(١٣٢)، وخصص لها سنة ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م مبلغ مصروفات قدره ١٠٨٠ آقجة.

ز ـ زاوية السيد علي : وتسمي باسم: قيزل دلي سلطان ، ويقال ان قيزل قد أقام في مدينة دمتوقا أيام السلطان يلدريم بايزيد الأول، وقد ملكه السلطان بعض القرى سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠٠ ـ ١٤٠١م، وفي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م قلده موسي جلبي النيشاني السلطاني ، وقد أوقف قيزل دلي سلطان أوقافاً للزاوية وحصر حق الانتفاع بالأوقاف بأولاد علي(١٣٣) ، والأوقاف عبارة عن مزرعة ، وقرية تقع الى الغرب من مدينة دمتوقا مسافة ٢٠كم.

من الجدير بالذكر أن مجموع كتب الرحلات والتاريخ ووثائق الأوقاف قد تضمنت ذكر العمارات الاسلامية العثمانية في مدينة دمتوقا فبلغت ٢٩ جامعاً ومسجداً ، و٦ مدارس، و١٦ دار قرآن «كُتَّاب» وزاويتان، و٣ عمارات «سراي» وخان واحد، و٣ حمامات، وتربة واحدة، وخانان من نوع (كروانسراي). وجميعها تعرضت للدمار ما عدا مسجد متواضع وجامع السلطان جلبي. بينما تنعم الكنائس اليونانية بحماية اليونسكو ورعاية الأمم المتحدة في تركيا!!.

١٠ ـ سرز : وتسمى أيضا (Siroz)في الوثائق العثمانية، كما تسمى (Serre) وقد فتحها السلطان العثماني مراد الأول، واتخذها ثغراً إسلامياً للسيطرة على مقدونيا بشقيها اليوناني والمقدوني، وتم تعميرها على الطراز الإسلامي منذ الفتح وحتى رحيل الخلافة العثمانية عنها، وقد بلغ مجموع الأبنية

الإسلامية العامة في المدينة في كافة أدوار الحكم العثماني: ١٠١ جامع ومسجد ، ٨ مدارس ، ٤١ دار قراء «كتّاب» ٤١ تكية وزاوية ، ٦ عمارات حكومية «سراي» ٤ خانات ، ٨ حمامات ، وتُربتان «مقبرتان»، وجسران ، وبرج ساعة واحد، وقناتان لجرّ المياه، وسبيل ماء واحد، وأربع أبنية غير واضحة المعالم.
وهكذا يمكننا القول: **إن مدينة سرز كانت نموذجاً رائعاً للمدينة الإسلامية في مقدونيا الأوروبية. أما آثار الدور العثماني الأول فهي:**

[أ] زاوية بهاء الدين باشا: ورد ذكرها في دفاتر السجل العقاري العائدة لزيام السلطان العثماني يلدريم بايزيد الأول، حيث ورد ذكر صاحب الزاوية بهاء الدين باشا بن خضر، وقد أوقف لها قرية «غومش» وكانت قيمة موسمها (١٥٩٤٣) آقجة(١٣٤).

[ب] عمارة أورنوز بك: وقد بنيت أيام السلطان مراد الأول، ووقفيتها باسم الحاج اورنوز بك، وتضم أوقافها: غومولجينة، وسرز ، وبهلشته، وخوريشته، ويعود تاريخ الوقفية الى سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م، كما توجد وقفية أخرى باسم الحاج اورنوس بن عيسى، خاصة بوقف العمارة في سرز، وتاريخها ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، وتضم قرية بولطوس، وقرية كولكا، وقرية ليجان، وقد أمر بذلك السلطان موسى بن بايزيد. وخصص الوقف لفقراء سرز وإسكانهم، وضم للوقف أيضاً قرية بولقا الواقعة على نهر قره صو الماء الأسود. ونظم الوقف تنظيماً صحيحا، وخصصت منه نفقات متولي الزاوية في سرز، والإمام ، والمؤذن، والخدم، والضيوف، والمجاوين، وسائر المحتاجين(١٣٥).

[ج] الجامع العتيق «اسكي جامع»: زاره أوليا جلبي وذكره باسم جامع أورنوس بك، وقال انه بني بعد فتح سرز فوراً، وذكر أن قبة الجامع مغطاة بالرصاص، وللجامع مئذنة، وقد تعرض الجامع للحريق في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر الميلادي، وقد دون أوليا جلبي ما كان مكتوباً فوق باب الجامع الرئيسي ونصه[«بسم الله الرحمن الرحيم». خالصاً لله تعالى. بنى وعمر هذا المسجد، في زمان السلطان مراد خان بن أورخان خلد ملكه، المحتاج الى الباري خليل بن علي الجندري عفى عنهم سنة سبع وثمانين وسبعمائة(١٣٦) ١٣٨٥م.

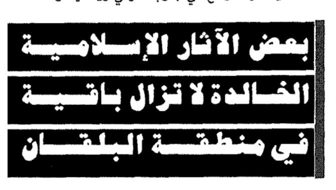
تقع سيرز في اليونان، وقد دمرت اليونان الاثار الاسلامية هناك، وقد زاد أوليا جلبي سيرز، وذكر أن فيها ٩١ جامعاً .

[د] جامع خليل خير الدين باشا الجندرلي: شاهده أوليا جلبي وحدد موقعه في المنطقة المنخفضة التي تلي السوق، وقال: للجامع محراب، وفيه صنابير مياه للوضوء ، ومكتوب فوق المدخل الرئيسي «بسم الله الرحمن الرحيم» لله تعالى خالصاً ، بنى وعمر هذا المسجد المبارك في زمان السلطان مراد خان بن أورخان خلد ملكه المحتاج الى الباري خليل بن علي الجندري، عفى عنهم سنة سبع وثمانين وسبع مئة(١٣٧)» ١٣٨٥م، وقد تعرض الجامع للحريق سنة ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م، وبعد ذلك رممه السلطان محمود الثاني سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م. ثم هُدِمَ في ظل الحكومة اليونانية.

[هـ] الحمام القديم: وهو حمام خير الدين باشا، وقد ورد ذكره في دفتر سلانيك(١٣٨).

[و] الفندق «كروانسراي»: وقد ذكر اسمه مرتبطاً بزاوية علي باشا بن خير الدين باشا على أن يكون مفتوحاً، الى جوار الزاوية، ووقفهما ٧٦ دكاناً. ولا وجود لهذا البناء الآن.

١١ - سيلستره : وتقع في جنوب شرقي رومانيا، وقد



زارها أوليا جلبي، وذكر أن فيها قلعة وجامعاً اسمه جامع السلطان يلدريم بايزيد الأول، ولم يذكر شيئا آخر(١٣٩).

١٢ - شب خانه : تقع في شمال شرقي اليونان على ضفة نهر مريج اليمينية، على طريق غوهولجين، وتبعد عن غومولجين ٢٧كم، كما تبعد عن ده ده آغاجا ٣٧ كم، وقد زارها أوليا جلبي وشاهد فيها جامعاً وخانين، ومئتي منزل(١٤٠). وجاء ذكر ذلك الجامع في دفتر أوقاف روملي(١٤١). وكانت هذه المنطقة غنية جديدة لوجود منجم لمادة الشب. ولا يوجد اثر لذلك الجامع الذي يعود تاريخه الى الدور العثماني الأول.

١٣ - غومولجينه : تقع في شمال شرقي اليونان، وهي مركز سنجق، واسمها باليونانية كوموتيني وقد ازدهرت فيها العمارة الاسلامية فبلغ مجموع عماراتها: ١٦٦ جامعاً، و٨ مدارس، و١٠ دور للقرآن (كُتّاب) و١٠ تكايا وزوايا ، وعمارتا إمارة، و١٧ خان، وحمامان، وتربة واحدة ، وبرج ساعة واحد، وهذا أقصى ما بلغه عدد منشآت هذه المدينة ، وقد ذكر أوليا جلبي: أن أول من سكن هذه المدينة هم الأقباط الذين قدموا من حصر،

بالاضافة الى اليهود، وذكر أوليا جلبي: ان في المدينة قلعة صغيرة، و١٦ محلة، و٤٠٠٠ مسكن، و٥ه جوامع، و١١ مسجداً و٥ مدارس، و٧ مكاتب (كُتّاب) وعمارتي امارة، و٧ خانات للتجار، و١٠ عزب، وحمامين(١٤٢)، وبلغ عدد سكانها في القرن الثامن عشر (١٢٥٠٠) نسمة، ٨٢ فى المئة منهم مسلمون، والبقية من اليهود والمسيحيين، ولكن الآثار المعمارية الإسلامية التى تعود الى الدور العثماني الأول ليست كثيرة، وهي الآثار التالية:

أ- مسجد الغازى أورنوس بك: ويعود تاريخ بنائه الى أيام السلطان يلدريم بايزيد الأول ، وقد ذكره أوليا جلبي(١٤٣).

ب- عمارة الإمارة: وهي من انشاءات أورنوس بك، ومازالت اطلالها موجودة، وقد بنيت الجدران من الحجر والقرميد، والسقف مغطى بالقرميد، بعضه قديم يعود الى الانشاء الأول، وبعضه أجد منه يعود الى أوقات الترميم.

ج- مدرسة الغازي أورنوس بك: ذكرها أوليا جلبي حينما ذكر عمارة الامارة والمسجد.

د- الجامع العتيق: ورد ذكره بشكل غير واضح، وذكر باسم جامع الحاج خير الدين في دفتر السجل العقاري دقم ١٦٧ ص:١٨، وكان إمامه سنة ١٠٨٥هـ الشيخ احمد أفندي، وفي تلك السنة حل محله الحافظ عبد الله، وكانت للجامع قبة من القرميد، ومئذنته جديدة، وقد بقي الجامع عامراً في القرن التاسع عشر الميلادي، ثم تعرض للإهمال، والخراب.

هـ- اسكي حمام: الحمام القديم، وقد ذكر أوليا جلبي أن بانيه هو أورنوس بك. ولم ترد عنه معلومات أخرى(١٤٤).

١٤ - فلبه واسمها الحالي (Plovdiv) تقع مدينة فلبه حالياً في بلغاريا على ضفة نهر مريج الجنوبية وقد ازدهرت فيها العمارة الاسلامية فبلغ تعداد منشآتها الاسلامية في كافة العصور [٧٨] جامعاً ، و[٨] مدارس، ودار قرآن واحدة و[١٢] مكتباً (كُتّاب) و[١٤] تكية وزاوية، و[٣] عمارات إمارة، و[٩] خانات، و[٩] حمامات، و[٣] تُرب (مقابر) وبرج ساعة واحد، وجسر واحد، وفندقان (كروانسراي) وسبيل ماء واحد.

تبعد فلبه عن مدينة أدرنة التركية مسافة [١٥٠] كم في الجهة الشمالية الغربية، ويمكننا القول: ان مدينة فلبه من أجمل وأكمل نماذج المدينة الاسلامية في بلغاريا، حتى أن أوليا جلبي(١٤٥) لما زارها وصفها بالمدينة العظمى، وقال: إن فيها [٢٣] محلة إسلامية، و[٧] أحياء لاتينية، وتضم الصرب، والبلغار، واليهود، والروم، وذكر أن فيها [٨٠٦٠] منزلاً، و[٥٣] جامعاً ومسجداً. ثم ازدادت الأبنية الاسلامية طيلة وجود الخلافة العثمانية، ومع أفول شمس الخلافة بدأت تتعرض العمارات الاسلامية فى فلبه وغيرها للتدمير على أيدي الصليبيين، ففي سنة ١٩١٢م لم يبق في مدينة فلبه سوى [١٢] جامعاً ، وبعض المنشآت الأخرى. أما المنشآت الاسلامية التي تعود للدور العثماني الأول فهي ما يلي:

(أ) جسر لالا شاهين باشا: وقد بناه لالا شاهين باشا فاتح مدينة فلبه على نهر مريج وسمي القنطرة العظمى(١٤٦)، ومازال يوجد جسر قديم على نهر مريج، ولا توجد معلومات قطعية عن تاريخ بنائه وهل هو نفس الجسر القديم أم جسر آخر بني مكانه؟

(ب) جامع خداوندكار: ذكره أوليا جلبي وقال: إن بانيه هو السلطان مراد الأول فاتح أدرنة، وبناء الجامع واسع لذلك يسمى الجامع الكبير، وله قبب مرصصة ومحراب ومنبر، ومئذنة، وله أوقاف في غاية العظمة، وإمام الجامع والخطباء وسائر الخدم ممنونون، ولا يوجد للجامع حرم لصلاة الحريم(١٤٧). وآخر وقفيات الجامع تعود الى زمن السلطان مراد الثاني. ومازال الجامع قائماً، وقد تم ترميمه عدة مرات، ويعتبر من المعالم البارزة التي صمدت على مَرِّ الزمان ومرِّه.

يتكون سقف الجامع من [٣] قباب قطر الواحدة [٥ر٨]م الاولى فوق المدخل الرئيسي ، والثانية في الوسط، والثالثة في جوار المحراب، وترتفع القبة الوسطى على أربع قناطر معقودة فوق أربع ركائز (بوائك) على شكل قوائم الفيل، وعلى يمين القباب توجد [٣] مقصورات، وثلاث على اليسار، والمئذنة على يسار المدخل الرئيسي ، وأمام المدخل يوجد رواق يستند على ستة أعمدة. وفي داخل الجامع يوجد محفل للمؤذنين، وللجامع نوافذ عليا وسفلى، ولكنها ليست على سويّة واستقامة واحدة مما يدل على أن القسم الأعلى قد تعرض للخراب والتدمير على الأرجح. ومدخل الجامع مرتفع عن الساحة مقدار [١٢] درجة، ويصعد إليه على درج حجري.

حول الشيوعيون قسماً من الجامع الى مكتب للاجتماعات الشيوعية، وقسماً للمكتبة. ومازال الجامع قائماً، ومئذنته شامخة، والكتابات الاسلامية تزين جدرانه، وتحكي لنا عن أمجاد المسلمين الذين ساهموا بالمحافظة على الحضارة الاسلامية.

١٥ - توابع فلبه: قرية جشنغير وتقع الى الشرق من فلبه على مسافة [١٦] كم، وفيها مسجد يعقوب جلبي بن السلطان مراد الأول، واسم القرية الحالي أوفا.

١٦ - فرجيك : وهي مركز قضاء في اليونان، ويسمونها (Perre) تحريفاً عن (Perecik) وتقع على

الطريق بين ديمتوقا وده آغاج، وتبعد عن الثانية مسافة ٢٧ كم، ويبلغ عدد سكانها حاليا حوالي ٧٠٠٠ نسمة، وقد دخلت تحت سيطرة العثمانيين منذ أيام السلطان أورخان حيث فتحها ابنه سليمان باشا، وأسس فيها بداية الأوقاف الإسلامية، وكانت ضمن منطقة روملي التي وصلت حدودها الشرقية أيام أورخان الى سيليفري وكركلار وقرب أدرنة، وعبرت نهر مريج الى ساحل فرجيك، وشب خانه، وآل مصير فرجيك الى اليونان، وهي في شرقي اليونان على مقربة من الحدود التركية، ومازالت الوقفية التي كتبها سليمان باشا موجودة في متحف الآثار التركية في اسطنبول، وهي مكتوبة باللغة العربية بخط النسخ، وطولها ٥٤٥ سم، وعرضها ٢٤ سم، وعليها حواش متعددة تعود لأزمنة لاحقة، وكانت قيمة أوقافها ١٦٠٢٨ أقجة، ويصرف من الوقف معاش الإمام والمؤذِّنِين والخطيب، والمُعرِّف، والسقاء وغيرهم من العاملين في فرجيك.

ازدهرت العمارة الاسلامية في فرجيك فبلغ عدد منشآتها ٩ جوامع ومساجد، و٣ مدارس، و١٠ تكايا وزوايا، وخان واحد، وحمام واحد، وتربة واحدة، وقد زار أوليا جلبي(١٤٨) فرجيك وشاهد فيها ٧ جوامع تقام فيها صلاة الجماعة، وقال: في داخل السوق يوجد جامع سليمان باشا بن أورخان، ومئذنته على الجانب الأيسر، وقبته مغلفة بالرصاص، ومكتوب فوق باب الجامع:

بنيت هذه المنارة وصنعتها مصنوعة
قال تاريخاً جديداً قدها مرفوعة

وهذا يساوى سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٥م وهو تاريخ متأخر عن زمن البناء الأول. ومن الجدير بالذكر أن هذا الجامع كان كنيسة من قبل وحولها سليمان باشا الى جامع، وأجرى التعديلات اللازمة، واستمرت الاضافات فيما بعد فأضيفت المئذنة. وبقي جامع سليمان باشا حتى وقت متأخر.

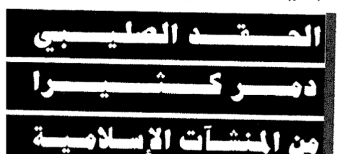
مدرسة سليمان باشا، ورد ذكرها في دفاتر وقف سليمان باشا(١٤٩).

١٧ ـ ميلقره : تقع في القسم التركي الواقع في قارة أوروبا، وقد فتحت منذ الدور العثماني الأول، وقد ورد ذكرها وذكر عشرين قرية تابعة لها في وقفية سليمان باشا الخاصة بزاوية بولاير(١٥٠).

جامع سليمان باشا، وهو أقدم الآثار الاسلامية في ميلقره، ويسمى الجامع العتيق (اسكي جامع) أيضاً وقد ورد ذكر هذا الجامع في دفتر الأوقاف الموجود في اسطنبول(١٥١)، ويقال: أن هذا الجامع قد بني من قبل السلطان مراد خان الأول، وقد تم تجديد هذا الجامع من قبل السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٠٣٦هـ/ ١٨م، والجامع موجود في القسم الأعلى من المدينة، وسقفه على شكل هرمي مغطى بالقرميد، والمئذنة الموجودة قديمة تقع على يمين المدخل الرئيسي، وقد تعرض الجامع للتخريب، ثم أعيد ترميمه سنة ١٩٥٧م، ومازال الجامع قائماً والحمد لله.

١٨ ـ نيكبولي : (Nigbolu) ويسميها البلغار (Nikopol) وتقع في أقصى شمالي بلغاريا على الضفة الجنوبية لنهر الطونة (الدانوب) وقد فتحها السلطان يلدريم بايزيد الأول، وقد أنشئت فيها عمارات اسلامية كثيرة بلغ مجموعها ٣٨ جامعاً ومسجداً ومدرستان، و٣ مكاتب (كُتَّاب)، و١٠ تكايا وزوايا، وعمارة إمارة واحدة، و١٠ خانات، و١٠ حمامات وفندق واحد من نوع (كروانسراي) و١٦ مورد ماء وسبيل.

زار هذه المدينة أوليا جلبي(١٥٢) وسماها «انبولي» ولم يذكر سبباً لتلك التسمية، وقد شاهد قلعتها وذكر انها مربعة الشكل تطل على نهر الطونة (الدانوب) وهي



محصنة بستة وعشرين برجاً، ولها بابان شرقي وغربي، وفي داخل القلعة ٧ جوامع يعود بناء أحد الجوامع الى السلطان يلدريم بايزيد الأول، وللجامع مئذنة مبنية من القرميد، وسقف الجامع هرمي مغطى بالقرميد أيضاً، وذكر أوليا جلبي العديد من مباني المدينة.

١٩ ـ نيش : تقع في جنوب شرقي صربيا، قرب الحدود البلغارية على ضفة نهر اسكرا، وكانت نيش من أهم الثغور الاسلامية أيام الحكم العثماني، وكانت أشبه ما تكون بالقاعدة العسكرية، واحتفظت بأهميتها الاستراتيجية حتى القرن التاسع عشر، وقد أنشأ المسلمون فيها الأبنية الاسلامية التى بلغ مجموعها ٢٥ جامعاً ومسجداً ومدرستين، و٤ مكاتب (كُتَّاب)، و٧ تكايا، وعمارتى إمارة، وخاناً واحداً، وحمامين، وبرج ساعة واحد، وجسراً واحداً، وقلعة محصنة واحدة، وفندقا واحدا من نوع (كروانسراي) وسبيل ماء واحد، ومنهلين.

وقد زار أوليا جلبي(١٥٣) مدينة نيش وذكر ما ينعم به سكانها من الخيرات، وذكر أن القلعة داخل

المدينة، وبيوت المدينة مسقوفة ومغطاة بالقرميد، وذكر جلبي أن في المدينة جامعاً يسمي جامع خداوندكار ويقع داخل السوق، وهو جامع قديم الطراز، ويدل كلامه على أن هذا الجامع يعود الى الدور العثماني الأول وبالتحديد زمن السلطان مراد الأول، ولم يبق لذلك الجامع من أثر. في هذه الأيام، ولم يبق الصليبيون من جوامع نيش سوى جامع القلعة، ومسجد المدينة الصغير، ولا تقام الصلاة في الإثنين جراء الضغط الشيوعي سابقاً، والصربي الرومي الأرثوذكسي في الوقت الحاضر. وقد تم تهجير المسلمين بشكل مستمر بعد رحيل قوات الخلافة الاسلامية العثمانية من مدينة نيش.

٢٠ ـ ويزة : تقع في الطرف التركي الأوروبي، في شمال المنطقة الوسطى الواقعة بين أدرنة واسطنبول، وقد فتحت ويزة منذ الدور الأول ، وإليه تعود الآثار التالية:

أ ـ جامع سليمان باشا: ونمط بنائه بيزنطي وهو مازال موجوداً، وقد ورد ذكره في وقفية سليمان باشا بن أورخان(١٥٤).

ب ـ زاوية الغازي المجاهد تيمور طاش: وهي موجودة في قرية (بعدملو) الملحقة بمدينة ويزة، ويعود تاريخ بنائها الى الدور الأول، وكانت ملجأ للفقراء والمحتاجين، وقد تعاقب على شؤون توليها عدد من المتولين حتى آلت سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م بحكم تعيين من السلطان الى السيد محمد بن السيد أشرف ، وتلاه أناس آخرون(١٥٥)، وفيما بعد هدمت الزاوية، والآن لا أثر لها.

٢١ ـ اسطنبول : مدينة ساحلية يقسمها مضيق البوسفور الى قسمين الشرقي في آسيا، وأقدم أحيائه أسكدار، والغربي في أوربا، ويشطره خليج القرن الى شطرين الشمالي وفيه برج غلطة وجامع العرب وجامع تحت الأرض اسمه «بير آلطي جامعي» أو جامع الرصاص ، والشطر الأوروبي الجنوبي هو ما كان يسمى سابقاً بيزنطة، ثم سمي قسطنطينية، وبعدما فتحها السلطان محمد الفاتح سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م سميت اسلامبول، أما الأبنية الاسلامية التي تعود الى ما قبل فتح القسطنطينية فهي ما يلي:

أ ـ جامع بير آلطي، أو مخزن الرصاص: وكان يستخدم كمستودع ضخم تحت الأرض، وعندما عبر الأمويون بقيادة يزيد بن معاوية ومعه أبو أيوب الأنصاري والعديد من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ اتخذوا من ذلك المستودع جامعاً، ومازال جامعاً حتى الآن، وهو على مقربة من منطقة التقاء خليج القرن الذي مع مضيق البوسفور، والجامع مبني على عقود وقناطر ترتكز على ركائز (بوائك) ويتم النزول إليه بواسطة درج، وتوجد بجواره قبور العديد من الصحابة(١٥٦).

ب ـ جامع أبي أيوب الأنصاري(١٥٧). وقد تم بناؤه بعد فتح القسطنطينية، أما قبره فيعود الى سنة ٥٠ ـ ٥٢هـ حسب أقوى الروايات، ويقع جنوبي خليج القرن الذهبي الى شمال غرب أسوار القسطنطينية.

ج ـ جامع العرب : ويقع في القسم الأوروبي الشمالي في منطقة غلطة الى الغرب من جامع بيرآلطي.

وقد بناه المسلمون حينما حاصروا اسطنبول بقيادة مسلمة بن عبد الملك سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م، وقد بنوا جوامع أخرى ولكنها هدمت واندثرت معالمها وبقي جامع العرب، وتصميمه إسلامي، وسقفه خشبي، وفيه محراب ومنبر من المرمر، والى الشمال الشرقي من زاويته الشمالية الشرقية توجد المئذنة، وهي مربعة الشكل. وفي سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٤م حوّله الصليبيون كنيسة، وبعد طرد الصليبيين وعودة البيزنطيين عاد جامعاً بأمر من الملك ميخائيل الثامن (٦٥٩ ـ ٦٨٠هـ/ ١٢٦١ ـ ١٢٨٢م) ومازال جامعاً حتى الآن(١٥٨).

د ـ جامع داود باشا : وهو الجامع الوحيد الذي سمح الروم ببنائه داخل أسوار القسطنطينية قبل فتحها ولكن مكانه مجهول في زماننا هذا.

وكان للمسلمين داخل أسوار القسطنطينية قاض مسلم تم تعيينه بناء على اتفاقية عقدت بين ملك الروم عمانوئيل باليولوغوس والسلطان العثماني بايزيد الأول، وذلك سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م، وقد ضمنت تلك الاتفاقية حرية العبادة للمسلمين والنصارى في أراضي المسلمين والروم.

ـ بهذا نكون قد أوردنا معلومات عامة عن العمارة الاسلامية في أوروبا الشرقية في أوائل الدور العثماني الأول، وما سبقه من عمارة في الشطر الأوروبي من مدينة اسطنبول، ولا شك أن هذه المعلومات تغني الموضوع ولكنها ليست عامة إذ إننا لم نتمكن من حصر كافة المباني الاسلامية في تلك البلاد لأنها تعرضت للتدمير بعدما ضعفت السيطرة الاسلامية، وفي الوقت الراهن يتم تدمير المزيد من الآثار الاسلامية تحت سمع وبصر العالم المتوحش الذي يدعي الحداثة والتقدم والتطور، ومن الواضح أن المنظمات العالمية تهمل الآثار الإسلامية في كافة انحاء العالم بينما تساهم بالتنقيب عن الآثار غير الاسلامية بشكل مدروس ومنظم، لذا يجب على الدول الاسلامية التنبّه الى خطورة هذا الأمر، والقيام برد معاكس يتجلي بالمحافظة على آثار الحضارة الاسلامية في البلاد الاسلامية، والبلاد المعادية للمسلمين والإسلام.

الهوامش

(١) السنة الهجرية الأولى تصادف سنة ٦٢٢م.

(٢) البنغال هي بنغلادش، وكانت تسمي باكستان الشرقية.

(٣) الأندلس: تسمى حاليا اسبانيا، وتقع في جنوب غربي أوروبا.

(٤) المزولة: مجموعة أعمدة يستخدم ظلها لمعرفة أوقات الصلاة، وكانت تبنى في العهد الأموي على شكل ستة أعمدة تعلوها قبة، يوجد منها نماذج مازالت موجودة في الجامع الأموى بدمشق، والجامع الأموي في حلب، وفي الجامع الكبير في معرة النعمان، ومزولة: اسم آلة من الزوال.

(٥) الميضأة، وهي مكان الوضوء، ويسمى باللغتين الفارسية والتركية: شادروان. ونماذجها المعمارية متنوعة.

(٦) امتد العصر الأموي من سنة ٤٠هـ/ ٦٦١م حتى سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م.

(٧) امتد العصر العباسي الأول من سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م حتى سقطت بغداد على أيدي التتار بقيادة هولاكو وتآمر الوزير الشيعي ابن العلقمي سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

(٨) بني الوزير نظام الملك المقتول سنة (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) المدارس النظامية، العشر التي افتتحت أولاها في بغداد سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م، والثانية في نيسابور سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٨٧م، والثالثة في مرو، والرابعة في هراة، والخامسة في أصفهان، والسادسة في بلخ، والسابعة في البصرة، والثامنة في الموصل، والتاسعة في آمل طبرستان، والعاشرة في جزيرة ابن عمر، وجزيرة ابن عمر تقع الآن في تركيا على الضفة الشرقية لنهر دجلة ويسميها الأتراك : جزرة. وسكانها كرادشافعيه، وتسمى منطقتها: بوط، والنسبة الى بوط: بوطي، والى جزيرة ابن عمر: جزري.

(٩) شيد المستنصرية الخليفة العباسي المستنصر(ت ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) وقد خصصت لتدريس المذاهب السنية الأربعة، وعيّن محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي مدرساً للفقه الحنبلي، وعين ابنه عبد الرحمن بن يوسف نائباً له.

(١٠) بيزنطة: سميت فيما بعد القسطنطينية، وقد اشتهر البناء البيزنطي بالقباب الرومية، ثم سميت اسلامبول، والآستانة.

(١١) الساسانية: الفارسية، وقد اشتهرت عمارتهم برشاقتها، واشهر نماذجها طاق كسرى في العراق.

(١٢) تنتشر أروع نماذج البناء السلجوقي في مدينة قونية التركية، في هضبة الأناضول.

(١٣) كان ابن العلقمي وزيراً للخليفة العباسي المستعصم، وقد تآمر على الخلافة الاسلامية لأنه كان يحقد على المسلمين السنة.

(١٤) التتار شعب آسيوي اجتاح البلاد الاسلامية ودمر حضارتها، ثم هزم التتار أمام المماليك في معركة عين جالوت بقيادة قطز. ثم اسلموا فيما بعد ومازال خلفهم في آسيا الوسطى.

(١٥) هولاكو: حفيد جنكيزخان (٦١٤ ـ ٦٦٣هـ/ ١٢١٧ ـ ١٢٦٥م).

(١٦) نصير الدين الطوسي: (٥٩٨ ـ ٦٧٢هـ/ ١٢٠١ ـ ١٢٧٤م) فارسي، شيعي، رافضي خبيث، فيلسوف، منجم، أنشأ مرصد مراغة، نهب ما يهمه من مخطوطات بغداد والشام والجزيرة، وحرق مالا يوافق نحلته.

(١٧) المستعصم بالله (٦٠٩ ـ ٦٥٦هـ/ ١٢١٢ ـ ١٢٥٨م) آخر الخلفاء العباسيين في بغداد، قتله التتار بقيادة هولاكو، وقد بدأت خلافته سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م.

الهيئات العالمية تنقب عن الآثار البيزنطية في أوروبا وتهمل ترميم الآثار الإسلامية القائمة فعلا

(١٨) عطِّلت الخلافة بعد قتل الخليفة المستعصم في بغداد، وبقيت الأمة الاسلامية بدون خليفة ثلاث سنوات تقريبا حتى سافر الى القاهرة المستنصر بالله، أحمد أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد، وكان سفره بمساعدة القبائل العربية القاطنة في بادية الشام، التي كان لها دور حاسم في النصر الاسلامي في معركة عين جالوت، وكان أميرهم يضع على رأسه ريشة أثناء الحرب فلقب «أبو ريشة» ومازالت سلالته حتى الآن مقيمة في قرية قطرة التابعة لمنطقة معرة النعمان، وأميرهم الحالي فواز بن الشايش بن عبد الكريم، ويطلق على مجموع أنصارهم: الموالي، وعلى جوارهم من الشرق: الحديديين.

وقد تمت مبايعة الخليفة العباسي في القاهرة من قبل السلطان الظاهر بيبرس والعلماء والأمراء في ثالث عشرة رجب سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، وقصد الخليفة العراق لمقاومة التتار فاستشهد في محرم سنة ٦٦٠هـ/ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٢٦١م. وخلفه الحاكم

بأمر الله أبو العباس.

(١٩) السلطان سليم الأول (٨٧٢ - ٩٢٦هـ/ ١٤٦٧ - ١٥٢٠م)، تسلطن سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، وفتح بلاد الشام ومصر سنة ٩٢٢ - ٩٢٣هـ/ ١٥١٦ - ١٥١٧م، وهو أول خليفة عثماني. أخذ البيعة من آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة.

(٢٠) أرطغرل بن سليمان: زعيم عشيرة تركمانية، وهو والد عثمان الأول الذي ينتسب اليه آل عثمان. وله وقائع مشهودة ضد التتار، وقد ناصر السلاجقة فأقطعوه المنطقة الواقعة بين قره حصار وبيلاجيك في تركيا. ثم اتسعت منطقة سيطرته، وفي زمنه بدأت العمارة العثمانية.

(٢١) عثمان بن أرطغرل: مؤسس الدولة العثمانية ناصر السلاجقة على الروم البيزنطيين، وحرر الأراضي الاسلامية والمسلمين من ظلم الروم، وأعلن استقلال الامارة العثمانية وتطورت في زمنه العمارة العثمانية.

(٢٢) أورخان بن عثمان: تطورت في أيامه العمارة الاسلامية العثمانية وشملت منطقة واسعة، وقد بني في زمنه: ٨١ جامعاً و١٥ مسجداً و١٠ مدارس، و٤ مكاتب (كُتَّاب)، و١٤ تربة، و١٠ حمامات، وعمارتا إمارة، و٨ زوايا، وعنبر واحد، وخانان، و٤ تكايا، وقلعتان (حصاران) وسراي واحدة، وجسران، وقبة واحدة، وبذلك يكون عدد المنشآت الاسلامية في زمانه ١٥٧ منشأة في آسيا، والقسم الشرقي من أوربا (البلقان).

(٢٣) بورصة: مدينة تركية تقع في القسم الآسيوي على ساحل بحر مرمرة، وفيها آثار عثمانية كثيرة ومتقدمة، ويرد اسمها في بعض الكتب العربية: بروسة. وكانت عاصمة للعثمانيين قبل أدرنة واسطنبول.

(٢٤) ازنيك: مدينة تركية، كانت تسمى نيقية، وقد اتخذها الروم البيزنطيون عاصمة لهم عندما احتل الصليبيون مدينة اسطنبول، واستباحوا كنائس الروم الأرثوذكس، لأنها تعارض النحلة الصليبية الكاثوليكية. وتقع إزنيك في تركيا الآسيوية الى الشرق من مدينة بورصة، والى الجنوب من مرفأ إزميت على الساحل الشمالي الشرقي لبحيرة إزنيك.

(٢٥) بحر مرمرة: بحر تركي يفصل بين أوروبا وآسيا، يتصل بالبحر الأسود شمالا بمضيق البوسفور الذي يقسم مدينة اسطنبول الى قسمين أحدهما آسيوي والثاني أوروبي. ويتصل ببحر ايجة جنوباً بواسطة مضيق الدردنيل، الذي كان يعرف باسم «بوغاز جنق قلعة» وفي بحر مرمرة عدد من الجزر الجميلة التي كانت تسمي جزر الوزراء.

(٢٦) مدينة قونية، وهي مركز ولاية تركية في هضبة الأناضول تمدها من الشمال ولاية انقرة، ومن الشرق ولاية نيغدة، ومن الجنوب ولايتا مرسين وأنطالية (وهي غير أنطاكية) ومن الغرب ولايتا اسبارطة وأفيون قره حصار. وتضم قونيا وتوابعها أروع الآثار المعمارية الاسلامية السلجوقية وسكانها مسلمون محافظون والحمد لله.

(٢٧) روملي: اسم أطلقه العثمانيون على شرقي أوروبا.

(٢٨) سلانيك: مدينة يونانية فتحها العثمانيون واتخذوها قاعدة انطلاق نحو أوروبا، وكانت مركز ولاية كولاية أدرنه وولاية مناستر، وقد اتخذها حزب الاتحاد والترقي مركزا لحياكة المؤامرات ضد الخلافة العثمانية. وكانت مركز تجمع يهودي مما ساعد المتآمرين على الخلافة العثمانية الاسلامية، ومن مواليد سلانيك مصطفي كمال الذي قاد الانقلاب التركي ضد الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٣م. وكانت أمه زبيدة عاملة في سلانيك.

(٢٩) بعد ما فتح سليمان باشا سلانيك استعادها الأوربيون ثم أعاد فتحها السلطان مراد الثاني سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م، وأصبحت قاعدة اسلامية مهمة وفيها الكثير من الآثار الاسلامية المدمرة، والسليمة، بسبب الاهمال اليوناني المتعمد للآثار الاسلامية.

(٣٠) تحالف الصرب والبلغار سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م تحت قيادة الصربي دوسان (١٣٣١ - ١٣٥٥م) الذي اتخذ لنفسه لقب: قيصر الصرب والاغريق، وألحق بحكمه كلا من مقدونيا، وتراقيا، وابيروس، وتسالي، وجعل من بلغاريا كياناً تابعاً له.

(٣١) تقع جمبة في شبه جزيرة غاليبولي، والبعض يترجمها باسم (تزيمبى) أو (تشيمبى) والترجمة الخاطئة حملت البعض على القول إنها غير موجودة وهذا خطأ، انظر تاريخ الدولة العثمانية، اشراف: روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي. ج١/ ص٣٠، منشورات دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٣م (HISTOIRE DE L'EMPIRE OTTOMAN) SOUS LA DIRECTION DE ROBERT MANTRAN

(٣٢) جنق قلعة: مركز ولاية تركية يحدها من الغرب بحر ايجة، وولاية أدرنه، ومن الشمال، وولاية تكير داغ، وبحر مرمرة، ومن الشرق والجنوب ولاية باليكسير وتتبعها بعض الجزر في بحر ايجة، ويخترق الولاية مضيق الدردنيك، وتتكون أراضيها من قسمين آسيوي وأوروبي، شأنها في ذلك شأن ولاية اسطنبول.

(٣٣) انظر تاريخ الدولة العثمانية أوزتونا، ج١/ ص٩٦.

(٣٤) تقع غاليبولي في شبه جزيرة غاليبولي التي يحدها من الشرق مضيق الدردنيل، ومن الغرب بحر ايجة، ومن الشمال البر الأوروبي التركي المعروف باسم تراقيا.

(٣٥) يشكل نهر مريج حالياً الحدود الدولية بين تركيا واليونان، فمصبه في بحر ايجة عند (انز) التركية، ويمتد شمالا الى أدرنة، ويتجه إليها قادما من فيلبة، وتاتار بازار جفي، وبلووه، وتنبع روافده العديدة من أراضي بلغاريا. ويطلق عليه الاتراك اسم نهر مريج بينما يسميه الأوربيون نهر ماريتز أو ماريتس ، وفي أدرنة يلتقي مع نهر طونجه القادم من الشمال.

(٣٦) تقع لولة برغاز في ولاية كركلرالي التركية الأوروبية جنوب شرق أدرنة، وتكتب بالتركية (LU-LEBURGAZ).

(٣٧) تقع جورله في ولاية تكيرداغ التركية الأوروبية الى الشمال الشرقي من مدينة تكيرداغ.

(٣٨) هو السلطان مراد الأول خداوندكار، ولد سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، وتسلم الملك سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م.

(٣٩) أدرنة مركز ولاية تركية، تقع على نهر مريج «ماريتس».

(٤٠) السلطان أورخان، انظر الهامش رقم:٢٢. وقد ولد أورخان سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨١م، وتسلطن سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، وتوفي سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م.

(٤١) تسلطن سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م.

(٤٢) انظر الهامش رقم: ٣٨.

(٤٣) انظر الهامش رقم: ٣٩.

(٤٤) رومللي، انظر الهامش رقم ٢٧.

(٤٥) انظر رقم: ٢٣، ورقم: ٣٩.

(٤٦) انظر الهامش رقم: ٢٣.

(٤٧) انظر تاريخ الدولة العثمانية، تأليف يلماز أوزتونا ج١/ ص٩٨.

(٤٨) انظر الهامش رقم: ٣٥.

(٤٩) مدينة فيلبه: عاصمة الرومللي الشرقية، واسمها بالرومية فيليبو بوليس، نسبة الى مؤسسها فيليب والد الاسكندر الأكبر، وتقع بين صوفيا عاصمة بلغاريا وأدرنة التركية على ضفاف نهر مريج الذي يصل بين أدرنة وفيلبه قادماً من الأراضي البلغارية. وتقع فيلبه حالياً في وسط بلغاريا وتشتهر بآثارها المعمارية الاسلامية.

(٥٠) اسكي زغرة: وكان يطلق عليها زغرة عتيق، وتقع في وسط بلغاريا شمال شرق فيلبه، وجنوب غرب زغره جديد.

(٥١) أوربانوس الخامس، بابا كاثوليكي نصراني يلفظ اسمه باللغة الفرنسية (URBIAN)واسمه الحقيقي قبل ترسيمه بابا هو: كيوه ده كريموار، وميلاده في فرنسا سنة ١٣٧٠م، وترسيمه بابا سنة ١٣٦٢م، وموته سنة ١٣٦٢م.

(٥٢) كان اسم الملك المجري أنذاك «لويس الأكبر» لايوش الأول. وقد نجا من القتل في تلك المعركة، وفور عودته الى بلاده شيد كنيسة اظهاراً لشكره. انظر تاريخ الدولة العثمانية أوزتونا ج١/ ص٩٨.

(٥٣) كان ملك الصرب آنذاك أوروك، وهو خلف دوشان، منذ سنة ١٣٥٥م، ومات مقتولا.

(٥٤) لم نقف على اسمه.

(٥٥) كانت رومانيا تسمي: افلاق.

(٥٦) سميت تلك المعركة: صرب صنديفي، وفيها حقق العثمانيون انتصاراً مهماً ضد التحالف الصليبي.

فن المعمار الإسلامي الذي شيده العثمانيون يعتبر المرجع لكل فنون المعمار في المنطقة الإسلامية

الذي رفع صليبه الدوق آميديبه السافويوي الى آفينون. ووقعت المعركة على ضفاف نهر ماريتس أو مريج.

(٥٧) انظر تاريخ الدولة العثمانية، أوزتونا، ج١/ ص:٩٨ - ٩٩.

(٥٨) ملك البلغار هو سيسمان الأول الذي اتحد مع ملك الصرب لازارجر بلينانوفتش سنة ١٣٧٩م ضد العثمانيين المسلمين. وفي سنة ١٣٨٨م فر سيسمان الى نيكوبولي هرباً من قوات الوزير العثماني علي باشا. انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك المحامي، ص:١٣٤ - ١٣٥، تحقيق اسماعيل حقي، ومنشورات دار النفائس بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٥٩) ترنوفا، وتلفظ: طرنوه أيضاً ، وهي تورنوفو البلغارية حالياً، وتقع في أواسط شرقي بلغاريا.

(٦٠) دوبروفنيك: مدينة كرواتية تقع على ساحل البحر الأدرياتيكي، وهي مشهورة بآثارها وقلعتها القديمة.

(٦١) كوستنديك: مدينة تقع على الحدود البلغارية المقدونية.

(٦٢) نيش. تقع مدينة نيش في جنوب شرق صربيا.
(٦٣) صوفيا عاصمة بلغاريا، وفيها جامع مغلق، والآخر متحف أركيولوجي.
(٦٤) مناستر: مدينة مقدونية كانت مركز ولاية عثمانية مهمة، وتقع قرب الحدود اليونانية الألبانية، وتسمى الآن: بيتولا.
(٦٥) انظر الهامش رقم ٥٩.
(٦٦) لوفجة: مدينة بلغارية تقع الى الغرب من طرنوه في وسط بلغار.
(٦٧) بلونة: وتسمي بلوين، وبيلونه ايضاً، مدينة بلغارية الى الشمال من مدينة لوفجة، والى الجنوب من نيكوبولي.
(٦٨) زشتوي: مدينة بلغارية تقع على الضفة الجنوبية لنهر الطونة «الدانوب» الى الشرق من مدينة نيكوبولي.
(٦٩) رسجك، وتسمى: روسجق أيضاً، وهي مدينة بلغارية تقع على نهر «الدانوب» الطونة، وتسمى حالياً (RUSE).
(٧٠) سليستره، وتسمى سلستريا وتقع في بلغاريا جنوب شرقي العاصمة بوخارست، على ضفاف نهر الدانوب (الطونة).
(٧١) تساليا. اقليم يوناني يقع جنوبي غربي سلانيك.
(٧٢) نهر الدانوب، ويعرف باسم نهر الطونة أيضاً، ويسمى بالانكليزية (DANUBE) وبالألمانية (DO-NAU) وبالتشيكية (DUNAG) وبالصربية الكرواتية (DUNAV) وبالرومانية (DUNAR-EA) وبالهنغارية (DUNA)من اضخم الانهار الأوروبية، يصب في البحر الأسود، وينبع من جنوب شرق ألمانيا وشرقها، ثم يتجه شرقاً ويبلغ طوله ٢٨٥٠كم = ١٧٧٠ ميل، ويمر بمدينة فيينا عاصمة النمسا، وبودابست عاصمة المجر، وبلغراد عاصمة صربيا، وتصب فيه أنهار: رهينة، وماين، واودر، وتيسزا، انظر من ٣٩٦.
UNIVERSAL DICTIONARY. PRINTED IN BRITANIA. 1987.
(٧٣) انظر تاريخ الدولة العثمانية اوزتوتا ج١/ ص٩٩.
(٧٤) انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي ص: ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٧٥) قوص اوه: اسم مركب من كلمتين معناهما: السهل الواسع، وقد أصبح الآن اسماً لاقليم كوسوفو وسكانه من المسلمين الألبان «الأرناؤوط» وعاصمته مدينة بريشتينا وتعتبر معركة قوصوه من المعارك الحاسمة التي فتحت الطريق أمام القوات الاسلامية العثمانية لتتقدم فيما بعد حتى أسوار مدينة فيينا عاصمة النمسا. وكوسوفو الآن مستعمرة صربية.
(٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩) اسماء ولايات ومناطق تركية تقع في القسم التركي الموجود في قارة أوروبا الى الغرب من ولاية اسطنبول.
(٨٠) لمزيد من التفاصيل انظر تاريخ الدولة العثمانية لأوزتونا ج١/ ص:١٠٠ ـ ١٠١. وتاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي ص ١٣٥. وتاريخ الدولة العثمانية العلية، المعروف بكتاب التحفة الحليمية ص ٤٢ ـ ٤٣، تأليف ابراهيم بك حليم، منشورات مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت الطبعة الأولي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. وتاريخ الدولة العثمانية اشراف روبير مانتران ج١/ ص: ٥٦ ـ ٥٨.
(٨١) انظر تاريخ الدولة العثمانية أوزتونا ج١/ ص١٠٣.
(٨٢) المرجع السابق اوزتونا ج١/ ص١٠٧ ـ ١٠٨.
(٨٣) انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية فريدبك ص: ١٤٦ ـ ١٤٧.
(٨٤) انظر أوزتونا ج١/ ص١١١.
(٨٥) تُصنف العمارة العثمانية في سبعة أدوار **الدور الأول** ـ دور بورصة، وأبرز ما فيه الجامع الأخضر «يشيل جامعي» في بورصة، وجامع بايزيد في اسطنبول ويمتد هذا الدور من سنة ١٣٢٥ ـ ١٤٨٠م، أما ما سبقه فيعتبر **الدور التمهيدي**، وأبرز ما فيه جامع أرطغرل في سغود التركية، وجامع الجاويش صمصام في قرية غنبمون، ويعود الى أيام عثمان الأول، وأهم من الأثرين السابقين جامع أورخان في بيلجيك، وجامع سليمان باشا في بولاير. وجاء زمن السلطان مراد الأول (٧٦١ ـ ٧٩١هـ/ ١٣٦٠ ـ ١٣٨٨م) فتطورت العمارة في أوربا وآسيا، ثم تطورت أيام بلدريم بايزيد الأول (٧٩١ ـ ٨٠٥هـ/ ١٣٨٨ ـ ١٤٠٣م) وضعف التطور أيام الملك محمد جلبي (ت ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) بسبب سوء الاحوال الأمنية، لكنها تطورت بشكل فعال أيام مراد الثاني (٨٢٤ ـ ٨٥٥هـ/١٤٢١ ـ ١٤٥١م).
وبلغت العمارة الاسلامية قمة ازدهار الدور الأول أيام السلطان محمد الثاني الفاتح المولود سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م. والمتسلطن سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، والمتوفي سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م ويعتبر عصره خاتمة الدور الأول. الذي قدمنا جزءا منه في هذا البحث شمل أوائله من سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٠م حتى سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م.
الدور الثاني ـ ويسمي الدور الكلاسيكي ويمتد من سنة ١٤٨٠م حتى ١٦٠٣م، ويمثل قمة ما وصلت إليه العمارة الاسلامية من تطور في ذلك الدور جامع

السلطان احمد في اسطنبول. ويبدأ هذا الدور بأيام حكم السلطان بايزيد (أبو يزيد) الثاني الولي (٨٨٦ - ٩١٨هـ ١٤٨١ - ١٥١٢م) مروراً بأيام السلاطين والخلفاء المدرجة اسماؤهم: سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠م) وسليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) وسليم الثاني (١٥٦٦ - ١٥٧٤م) ومراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥م) وآخرهم محمد الثالث (١٥٩٥ - ١٦٠٣م).

الدور الثالث: ويسمى دور التجدد (١٦٠٣ - ١٧٠٢م) ومثاله الأول جامع السلطان احمد الأول (١٦٠٣ - ١٦١٧م) مروراً بما أنشئ أيام الخلفاء السلاطين مصطفى الأول (٦١٧ - ١٦١٨م) وعثمان الثاني (١٦١٨ - ١٦٢٢م) ومصطفي الاول (خلافة ثانية) (١٦٢٢ - ١٦٢٣م) ومراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠م) وابرهيم الأول (١٦٤٠ - ١٦٤٨م) ومحمد الرابع (١٦٤٨م - ١٦٨٧م) وسليمان الثاني (١٦٨٧ - ١٦٩١م) وأحمد الثالث (١٦٩١ - ١٦٩٥م) ومصطفى الثانى (١٦٩٥ - ١٧٠٣م).

الدور الرابع: ويسمى دور (لا له لى) نسبة الى الدور الذى ازدهرت فيه زهور شقائق النعمان (تيوليب) فسمى باسمها، ويمتد من سنة ١٧٠٢م حتى ١٧٣٠م، وهى فترة حكم السلطان أحمد الثالث.

الدور الخامس: ويسمى دور الباروق، نسبة الى انتشار فن الباروك ويمتد منذ بداية حكم السلطان محمود الأول (١٧٣٠ - ١٧٥٤م) حتى نهاية حكم السلطان مصطفى الرابع (١٨٠٧ - ١٨٠٨م) مروراً بأيام حكم السلاطين عثمان الثالث (١٧٥٤ - ١٧٥٧م) ومصطفي الثالث (١٧٥٧ - ١٧٧٤م) وعبد الحميد الأول (١٧٧٤ - ١٤٨٩م) وسليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧م).

الدور السادس: ويسمي دور الآمبير (١٨٠٨ - ١٨٥٠م) ويبدأ بأيام السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩م) ويمتد الى أيام خليفته السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩ - ١٨٦١م).

الدور السابع: ويسمى دور الإنتباه، أو اليقظة ويبدأ سنة ١٨٥٠م وينتهى مع قيام الانقلاب العلماني الأتاتوركي الذى أطاح بالسلطنة سنة ١٩٢٣م، وألغى الخلافة سنة ١٩٢٤م، واستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية سنة ١٩٢٨م.

للمزيد من التفصيلات انظر كتاب «تورك صنعتي» تأليف جلال أسعد، منشورات مكتبة المساء «أكشام مطبعتي» سنة ١٩٢٨م، وبعد طباعة متن الكتاب صدر الأمر بتغيير الحروف، فجاء متن الكتاب بالحروف العربية، وغلافه والملحقات بالحروف اللاتينية. شاهدُ حقٍّ على تزوير الحضارة، ومثله ترجمة صحيح البخاري حيث صدر المجلدان الأول والثاني بالحروف العربية، وصدر المجلد الثالث بالحروف اللاتينية!.

(٨٦) انظر أولياجلبي سياحتنامة ج٥/ ص ٣٢٩، والكتاب باللغة التركية. طبع في اسطنبول سنة ١٣١٤هـ في عشرة مجلدات (EVLIA CELEBI - SEYAHATNAME, ISTANBUL. 1314H.) ومخطوطة المعلم جودت في مكتبة بلدية اسطنبول، رقم ٩١، ص: ٥٨٠ - ٥٨٢.
(MUQLLIM CEVDET NO 91. 58O - 582. S

(٨٧) انظر الهامش رقم ٣٩.

(٨٨) سياحتنامة ج٣/ ص ٤٣٠، انظر الهامش رقم ٨٨.

(٨٩) مخطوط أنيس المسامرين، الورقة ٨/ب، تأليف عبد الرحمن هبري أفندي (باللغة التركية العثمانية).

(٩٠) مخطوط رياض البلد، تأليف بادي أفندي، ص

منذ العصر الأموي أصبحت المدينة الإسلامية واضحة المعالم محددة الهوية

٦٨، مكتبة بايزيد العمومية فى مدينة أدرنة التركية، رقم ١٠٨٩١ - ١٠٨٩٣.

(٩١) مخطوط رياض البلد رقم ١٠٨٩١/ ص ٢٨.

(٩٢) ألغيت السلطنة العثمانية، وأعلنت الجمهورية التركية في ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٢هـ/ ٢٩/١٠/١٩٢٣م.

(٩٣) تاريخ أدرنه، ص ٣٢٦، تأليف عثمان برمجي، طبع اسطنبول سنة ١٩٤٠م.
(EDIRNE TARIHI, OSMAN PER-EMECI, ISTANBUL 194O

(٩٤) مخطوط رياض البلد، ص ٣٠، ٥٧. انظر الهامش رقم ٩٢.

(٩٥) جيهان نامه ص: ٦٨٤، تأليف كاتب جلبي، المعروف باسم حاجي خليفة عند العرب، وهو مؤلف كشف الظنون، وقد طبع جيهان نامه في اسطنبول سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٣م.

(٩٦) انظر الهامش رقم ٩٦.

(٩٧) سياحتنامه ج٣/ ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٩٨) ولد السلطان يلدريم بايزيد الأول سنة ٧٦١هـ/

١٣٦٠م، وبويع بعد استشهاد والده مراد الأول في معركة قوصوه «كوسوفو» وكان ذلك سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م.

(٩٩) رياض البلد ج٣/ ص١٨، انظر الهامش رقم ٩٢.

(١٠٠) (TAYYIB GOKBILGIN, XV - XV1 ASIRLORDA EDIRNE VE PASA ILI LIVA, VAKIFLAR MILKELER, MAKAATA,ALAR, I STANBUL. 1952. 21, 44, 189 - 190 SAHIFE.

(يضم كتاب طيب كوك بلغين، اقطاعات، وأملاك، وأوقاف مدينة أدرنه ولواءها وولايتها في القرنين الخامس عشر، والسادس عشر الميلاي، وهو مطبوع في اسطنبول سنة ١٩٥٢م).

(١٠١) مخطوط رياض البلد ص:٦١، انظر الهامش رقم ٩٢.

(١٠٢) بحث لأحمد توحيد بعنوان «وفاة سفرشاه سفير السلطان بلدريم بايزيد الأول الى مصر.

(١٠٣) AHMED TEVHID, YLDIRIM SULTAN BAGEZID HON. EUVEL DEVRI,NDE MISIR SEFARETINE GONDERILEN SEFER SAH,N VEFATI, TARIHI OSMANI ENCUMENI MECMUASI)

(١٠٤) جيهان نامه، ص ٦٨٤. انظر الهامش رقم ٩٧.

(١٠٥) سياحتنامه ج٣/ ص:٤٣١ ـ ٤٣٢، انظر رقم ٨٨.

(١٠٦) PROF.OKTAY ASLANAPA, EDIRNE DE OSMANLILAR DEVRI ABIDELERI. ISTANBUL 1949,4-5.S

البروفسور أو كتاي أصلان آبا. أوابد العصر العثماني في أدرنة طبع اسطنبول سنة ١٩٤٩م ص: ٤ـ٥.

(١٠٧) طيب كوك بلغين ص١٧٩، انظر الهامش رقم ١٠٢.

(١٠٨) طيب كوك بلفين ص١٧٩.

(١٠٩) انظر الهامش رقم ٣٨.

(١١٠) انظر الهامش رقم ٩٨.

(١١١) البلقان: شبه جزيرة كبيرة، تقع في جنوب شرقي اوروبا. يحدها من الشرق البحر الأسود، ومضيق البوسفور الذي يخترق اسطنبول، وبحر مرمرة، ومضيق الدردنيل (بوغاز جنق قلعة).. ويحدها من الجنوب بحر إيجة، وبحر أيونيا ويحدها من الجنوب، والجنوب الغربي، والغرب البحر الأدرياتيكي. ويحدها من الشمال نهر الطونة «الدانوب» ونهر ساف.

ويشمل البلقان الكبير «قوجه بلقان» تركيا الأوروبية، واليونان ، وألبانيا (أرناؤوطستان) وبلغاريا، ورومانيا، ومقدونيا، وصربيا، والجبل الأسود، والبوسنة والهرسك، وكرواتيا.

وأرض البلقان جبلية تضم جبال الألب الدينارية، وجبال البلقان، وهضبة رودوب، وفيها قمة يومروكشال التي ترتفع ٢٣٧٤م عن سطح البحر.

(١١٢) استمرت الحرب العالمية الأولي من سنة ١٩١٤م حتى سنة ١٩١٨م.

(١١٣) تاريخ أدرنة ص٩٤، انظر الهامش رقم ٩٣.

(١١٤) سياحتنامه ج٣/ ص ٣٧٩، انظر الهامش رقم ٨٦.

(١١٥) سياحتنامه ج٦/ ص ١٢٠، انظر الهامش رقم ٨٦.

(١١٦، ١١٧) سياحتنامه ج٦/ ص ١٢٠، انظر الهامش رقم ٨٦.

(١١٨) مجلر الأوقاف التركية. عمر لطفي بارقان ص٣٥٤.

KOLONIZATOR TURK DERVISLERI, 11. VAKIFLAR DERGISI. 345.S.

(١١٩) انظر الهامش رقم ١١٢.

(١٢٠) طيب كوك بلفين ص: ١٦٣ ـ ١٦٥، انظر الهامش رقم ٩٩.

(١٢١) خلَّد والي ملك ترميمه للتربة بلوحة حجرية كتب عليها باللغة العثمانية:

والي ملك ولايت سرور عثمانيان

مرقد أجدادن إحيا اتدي تجديد ايلدي

جمع أولوب يحي دلندن جمله روح أوليا

ديديلر تاريخ سلطان ولايت مشهدي

(١٢٢) متحف الآثار التركية الاسلامية، اسطنبول ٩٥٦هـ، رقم ٢١٩٧، ورقمها في قيود الأوقاف القديمة: ٩٩٠ والوقفية بخط الرقعة، واللغة العثمانية.

(١٢٣) قيود الأوقاف القديمة، في متحف الآثار التركية الاسلامية في اسطنبول، دفتر الخزينة ص: ٥٥٧.

(١٢٤) سياحتنامة، ج٨/ ص: ١٢٣. انظر الهامش رقم ٨٦.

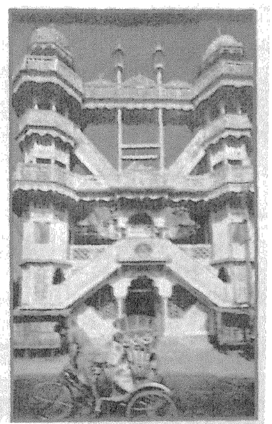
(١٢٥) سياحتنامة، ج٨/ ص: ٧٣ ـ ٧٧ انظر الهامش



رقم ٨٦.
(١٢٦) طيب كوك بلفين ص: ١٧٤، انظر الهامش رقم ٩٩.
(١٢٧) مخطوط أنيس المسامرين، الورقة ٦٠/ب، وانظر الهامش رقم ٨٩.
(١٢٨) كتب عبد الرحمن صبري أنيس المسامرين سنة ١٠٤٦ - ١٠٥٠هـ.
(١٢٩) سياحتنامة ج٨/ ص٧٦، انظر الهامش رقم ٨٦.
(١٣٠) سياحتنامة ج٨/ ص٧٦، انظر الهامش رقم ٨٦.
(١٣١) طيب كوك بلفين ص١٧٩، انظر الهامش رقم ١٠٠.
(١٣٢) عمر لطفي باركان، بحث في مجلة الأوقاف، ج٢/ ص٣٣٨.
KOLONIZATOR TURK DERVISLERI, 11. VAKIFLAR DERGISI, 338. S.
(١٣٣) طيب كوك بلفين ص: ١٨٣ - ١٨٧، انظر الهامش رقم ١٠٠.
(١٣٤) نقلاً عن دفتر السجل العقاري «الطابو» رقم ٦٧، طيب كوك بلفين، ص:١٨٢ - ١٨٣، وانظر الهامش رقم ١٠٠.
(١٣٥) قيود الأوقاف القديمة ١/٢١١٣
EVKAAF KUYUDI KADIMESI, 2113/1 L0LU defterde Kayidlidir.
(١٣٦) سياحتنامة، ج٨/ ص١٣٠. وانظر الهامش رقم ٨٦.
(١٣٧) رياض البلد ص: ٣٠، وانظر الهامش رقم ٩٠.
(١٣٨) قيود الأوقاف القديمة ٢/١ ص٥١٣.
Evkoaf Kuyudi Kadimesi selanik Esas 2/1, 513. S.
(١٣٩) سياحتنامة، ج٣/ ص٣٣٦، انظر الهامش رقم ٨٦.
(١٤٠) سياحتنامة، ج٣/ ص٨٠، انظر الهامش رقم ٨٦.
(١٤١) قيود الأوقاف القديمة.
Evkoaf Kuyudi Kadimesi, 729 No: Haremeyn-i Rumeli defteri, 118.S.
(١٤٢) سياحتنامة، ج٨/ ص: ٨٥ - ٩٦، وانظر الهامش رقم: ٨٦.
(١٤٣) سياحتنامة، ج٨/ ص. ٨٨ - ٨٩، وانظر الهامش رقم: ٨٦.
(١٤٤) سياحتنامة، ج٨/ ص: ٨٨ - ٨٩، وانظر الهامش رقم: ٨٦.
(١٤٥) سياحتنامة، ج٨/ ص: ٣٨٣ - ٣٨٧، وانظر الهامش رقم ٨٦.
(١٤٦) سياحتنامة، ج٣. ص: ١٣٩، وانظر الهامش رقم: ٨٦
(١٤٧) سياحتنامة، ج٣/ ص ٣٨٤، وانظر الهامش رقم ٨٦.
(١٤٨) انظر سياحتنامة، ج٨/ ص: ٧٨، وانظر الهامش رقم ٩٧.
(١٤٩) انظر الهامش رقم ١٢٢.
(١٥٠) أنظر الهامش رقم ١٢٢ و ١٢٣.
(١٥١) Basvekalet Arsivi, istanbul vakiflari defteri 251

في العصر العباسي تأثرت المدينة الإسلامية بمؤثرات المعمار البيزنطي والساساني والسلجوقي

no:, 10. vakif.
(١٥٢) سياحتنامة، ج٣/ ص٣١٧، وانظر الهامش رقم ٨٦.
(١٥٣) ساحتنامة، ج٥/ ص٣٩٣، انظر الهامش رقم ٨٦.
(١٥٤) انظر الهامش رقم ١٢٢ و ١٢٣.
(١٥٥) سجلات قاضي بورصة ج٤/ ص٣٣١.
Bursa Kadi sicilleri, 4c, 331. S, 4.c., 174.S
(١٥٦) للمزيد من التفاصيل انظر جريدة الحياة العدد (١٠٦٤٣) الصادر في ١٩٩٢/٣/٢٩م، صفحة التراث، جامع بير آلطي، محمود السيد الدغيم.
(١٥٧) انظر جريدة الحياة العدد (١٠٦٨٢) الصادر في ١٩٩٢/٥/٨م، جامع أبي أيوب الأنصارى، محمود السيد الدغيم، صفحة التراث.
(١٥٨) انظر جريدة الحياة العدد (١٠٦٥٧) الصادر في ١٩٩٢/٤/١٣م، جامع العرب في اسطنبول، محمود السيد الدغيم، صفحة التراث.



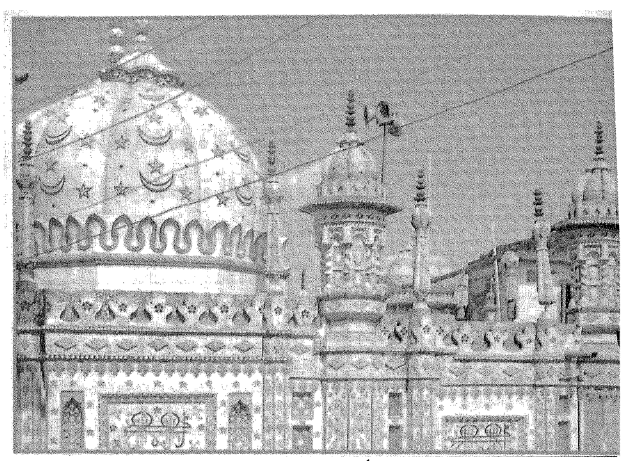
مسجد السوق المركزي بمدينة جناجونج

النهضة الفنية والمعمارية في البنغال إبان الحكم الإسلامي

كان لدخول الإسلام إلى البنغال أثره الكبير في الحياة الثقافية والفنية والعمرانية وكذلك الصناعية والاجتماعية في تلك البلاد، وأكبر شاهد على ذلك تلك المساجد والمدارس والجسور والقلاع والقصور والأضرحة التى شيدها سلاطين البنغال وحكامها التي بلغت درجة كبيرة في الإتقان والجودة. وقد ازدهرت العمارة والفنون في تلك الفترة وصبغت بصبغة إسلامية، ومن الروائع الاثرية الإسلامية البنغالية التي ما تزال البلاد تحتفظ بها حتى يومنا هذا تلك النقوش العربية التي تحمل اكبر مظهر للحضارة الإسلامية في البنغال وخاصة لندرة التحف الأثرية الأخرى . ولما كانت معظم هذه النقوش موجودة فى العمائر الإسلامية في البنغال كان لابد أن نتعرف أولا على العمائر الإسلامية في تلك البلاد.

إنه ما من شك أن العمائر الإسلامية في البنغال كانت قد تأثرت بأساليب العمائر الإسلامية في وسط آسيا وإيران، فقد كانت البنغال ترتبط مع تلك البلاد بعلاقات تجارية، ولا يخفى أثر ذلك على التبادل الحضارى بين البلدان، كما يؤثر عن سلاطين البنغال تشجيعهم للفنون والفنانين حيث قاموا باستقدام الكثير من الفنانين المسلمين من بلاد فارس وتركستان، لكن العمائر الإسلامية البنغالية حافظت فى الوقت نفسه على بعض عناصر الفن المعماري المحلي مما جعلها متميزة عن مثيلاتها قي البلاد الأخري، فاستخدام القباب في المساجد على سبيل المثال كان من عناصر الفن المعماري المحلي، وبالرغم من أن العديد من المساجد في مدينتي غور وبندوة تضمنت عناصر معمارية إسلامية كانت معروفة في بلاد إيران وتركستان وأفغانستان وغيرها إلا أنها تميزت بكثرة استخدام القباب للتسقيف بأشكال متنوعة، فمسجد شات غنبد والذى شيده خانجهان في عهد السلطان أبي المظفر محمود شاه كان يحوي ستين قبة، وكانت القباب تبنى بتصاميم مختلفة كالأشكال البصلية أو المروحية أو المدببة أو الناقوسية، كما استخدمت القباب الضحلة والصغيرة للتسقيف وقد يكون السقف أحيانا عبارة عن قبة واحدة كبيرة، وامتازت العمائر الإسلامية في البنغال بشكل عام بكونها أقل فخامة وروعة من مثيلاتها من العمائر الإسلامية في البلاد الاخرى حيث تميزت بخلوها من الأحجار الكريمة وكذلك ببساطتها ولكن مع بديع تخطيطها وزخارفها.

واتجه المسلمون في البنغال إلى استخدام الدعائم أكثر من الأعمدة في حالة توفر الأحجار، وكان الملوك والسلاطين يحبذون استخدام الأحجارلكونها تضمن تخليد ذكراهم لمدة طويلة، ولم يتردد هؤلاء عند عدم



هذا المسجد يمثل أنموذجاً للعمارة الإسلامية ذات النقوش والزخارف في البنغال

بقلم الدكتور:

محمد يوسف صديق

العضو الدائم بجمعية أبحاث النقوش والكتابات الأثرية في الهند عضو الجمعية الآسيوية في بنغلاديش

توفر الأحجار في مكان ما أن يستخدموا الكتل الحجرية المجلوبة من العمائر الهندوكية القديمة، فمتحف أبحاث ورندره بمدينة راجشاهي مثلا يحتفظ بمحراب من عصر السلاطين يوجد في الجهة الخلفية منه اشكال لكائنات حية وهى عبارة عن تماثيل هندوكية، فما من شك في أنه كان قد جلب من أحد المعابد الهندوكية القديمة.

ونلاحظ أن العمائر الاسلامية قد روعى فى بنائها المؤثرات الجوية والمناخية المختلفة، فنجد أن الواجهة الخارجية لبعض هذه العمائر قد بني بالأحجار لمقاومة الرطوبة في موسم الأمطار، بينما استخدم الآجر في الواجهة الداخلية، ولما كانت الأمطار تهطل بغزارة في تلك البلاد كان هناك اتجاه إلى بناء السقوف على شكل مائل للتخفيف من الاثر الذي يحدثه سقوط الامطار المتواصل عليها، حيث تنساب المياه على السقوف المائلة كما هو معلوم بيسر وسهولة، واستخدم أيضا السقف الجمالوني في بعض العمائر وهو يحمل سمات الكوخ حيث يتكون من سقف مائل له منحدران متعاقبان في جميع جوانبه بحيث يكون المنحدر السفلي في بعض الاحيان أكثر ميلا من المنحدر العلوي.

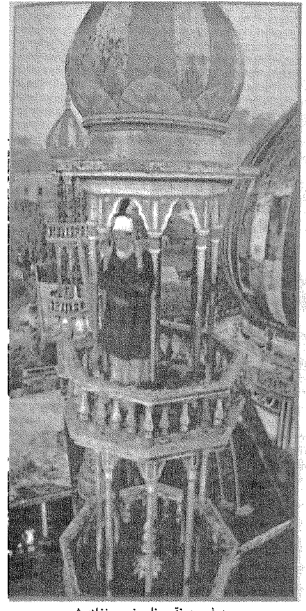
وقد تجنب الفنانون المسلمون بناء التماثيل واستخدام صور الكائنات الحية في زخارفهم واعمالهم الفنية المختلفة، وذلك لتحريم الإسلام لمثل تلك العناصر، لذلك نجد أن الزخرفة النباتية والهندسية تغلب على الزخرفة الحيوانية، ومع ذلك فقد وجدت بعض المنمنمات التي تمثل بعض مظاهر الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك البلاد، ومناظر للبلاط الملكي ومناظر المبارزة في ميدان الحرب وكذلك بعض المناظر الخيالية المختلفة. وتحتفظ المكتبة البريطانية بلندن بمخطوطة ثمينة ترجع إلى عهد السلطان نصرت شاه وتعرف باسم اسكندرنامة، وقد كتبت هذه المخطوطة الثمينة باللغة الفارسية، وتحتوي على قصة عاطفية للاسكندر الاكبر، وهي غنية بالمنمنمات الملونة التي تظهربجلاء تأثير المدرسة الفنية الإيرانية وأغلب الظن أن الفنانين في ذلك العصر كانوا يفضلون استخدام الألوان المائية إذ يندر وجود رسوم زيتية من ذلك العصر.

تـاج محل الأنمـوذج الخالـد لمعمـار شبه القارة الهنديـة

وتقـدمت في العـصـر السلطاني أيضـا صناعـة المنسـوجات، وقد أشار إلى ذلك الرحالة الشـهير ابن بطوطة حين تحدث عن المنسوجات البنغالية النفيسة، كمـا أطلق على منسـوجاتهـا القطنية الرقـيقـة اسم موصلين أو موسلين نسبة إلى مدينة الموصل في العراق التي اشتهرت في القرون الوسطى بمنتجاتها القطنية المعروفة باسم موصلين(٢) ، وبرع الفنانون المسلمـون البنغال في الأعمال الخشبية والمعدنية والزجاجية، أما صناعة السجاد فلم تصل إلى درجة كبيرة من الإتقان ولذلك فإن البنغال كانت تستورد السجاد من كشمير وإيران ووسط آسيا.

ومن اليسير أن نتعرف على تاريخ النهضة المعمارية الإسـلامـيـة في الهند والبنغـال منذ تأسـست الدولة الإسلامية فيها حيث لا يزال الكثير من تراثها المعماري محفوظا بالرغم من الإهمال الذى لحق هذا التراث في بعض الأزمنة، وقد بدأت هذه النهضة منذ بداية الفتح الإسلامي للبلاد، فالفاتح العظيم قطب الدين أيبك الذي فتح وسط الهند وشرقها لأول مرة واتخذ دلهي عاصمة له قام بالكثير من الإنشاءات المعمارية على الرغم من قصر فترة حكمه ، ولا تزال بعض منشآته العظيمة مثل مسجد قوة الإسلام وقطب منار بنقوشهـا الكتابية الرائعة تستهوي قلوب الناس من كل مكان.

ثم تبعه في نهجه الحكام الذين جاءوا من بعده، فاهتموا ببناء العمائر الدينية والمدنية والعسكرية في مختلف انحاء البلاد وكان بابر مؤسس الحكم المغولي في الهند ذا شغف كبير وتذوق رفيع في ميدان العمارة والفنون، فقد عاش في سمرقند وهراة وكابل وغيرها من المدن التي كانت تعتبر من أهم المراكز الثقافية والفنية في عصره، فتعرف على الحركات المعمارية والفنية التي كانت سائدة في تلك المدن آنذاك، وتعرف أيضا على العديد من الفنانين الذين شاركوا في إنشاء هذه المراكز الفنية، غير أن حياته الشاقة لم تتح له فرصة تعمير البلاد أو القيام بأعمال ضخمة في الميدان



مسجد في مدينة «جناجونج» ببنغلاديش

المعماري والفني، ومع ذلك فقد قام بإنشاء بعض العمائر في المدن التي فتحها وعاش فيها، وكذلك أقام عددا من البساتين والحدائق في الهند، حيث عرف بحبه للطبيعة ومناظرها الجميلة، ومن الحدائق التي أنشأها حديقة جهار باغ في ضواحي اكرا يحاكي بها مغاني كابل التى طالما ترنم بذكرها(٣)، ولما كانت فترة حكمه للهند قصـيرة لم يصل إلى أيدينا من تلك الفترة إلا القليل من النقوش الكتابية وهذه النقوش القليلة عثر عليها في منطقة البنجاب وهريانة ودلهي وهي تسجل في نصوصها إنشاء مساجد ومدارس وقلاع وجسور - كلها تدل على مدى النشاط المعمارى في تلك الفترة.

وخلف بابر ابنه همـايون الذي لم يحكم الهند إلا لفترة قصيرة، ولذلك لم يترك لنا هو الآخر الكثير من الأعمال الفنية أو المعمارية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن

الحياة الفنية والثقافية في تلك البلاد قد صبغت بالصبغة الإيرانية بعد عودة همايون من منفاه في إيران، حيث دعا همايون كثيرا من الفنانين الإيرانيين للعمل في البلاط المغولي ، أما أثناء إقامة همايون في المنفى فقد كان يحكم البلاد شيرشاه سوري زعيم الأفغان، وقد أنشأ شيرشاه في تلك الفترة الكثير من المدارس والمساجد والقلاع والعمائر المدنية ويعتبر ضريحه الذي أنشئ في سهرام من الروائع الفنية المعمارية في تلك الفترة.

وخلف همايون ابنه أكبر الذي اشتهر بعنايته الفائقة بالعمارة والفنون، وكان بناؤه لمدينة فتحبور سكرى من أعظم الإنجازات التى حققها، وقد جعلها عاصمة له بدلا من مدينة اكرا، وبنى فيها جامعا كبيرا وقصورا عديدة وأنشأ مقبرة سليم جشتي(٤) ، واستخدم الحجر الأحمر والرخام في بناء العمائر المختلفة غير أن هذه المدينة فقدت مجدها بعد انقضاء فترة حكم أكبر إذ كانت عاصمة لمدة أربعة عشر عاما فقط وذلك اثناء حكمه ثم سرعان ما تحولت إلى مكان مهجور، وهي الآن من أهم المراكز السياحية الاثرية في الهند(٥).

وتعتبر مباني وعمائر هذه المدينة خير شاهد على استخدام كثير من العناصر المعمارية الهندية الإسلامية مثل الدعائم والاقواس والقباب وغيرها.

وكان يحيط بالمدينة من ثلاث جهات سور كبير طوله خمسة كيلومترات، أما من الجهة الرابعة فتطل على بحيرة صناعية تعتمد على حجز المياه عن طريق سد قائم عند أحد جوانبها، ومن العمائر الفخمة في هذه المدينة الديوان العام وقوامه خمسة طوابق مدرجة تضيق كلما صعدت إلى أعلى المبنى.

وكان هذا الديوان يحتوى على مائة وعشرين ديوانا منها الديوان الخاص بالاستقبالات الملكية وهو بناء مربع من طابقين له أربعة أبواب وأعمدة مزينة بالمقرنصات. ويشتمل القصر على أربع قباب صغيرة، وقد استخدم الحجر الأحمر وأحيانا الرخام في بناء مدينة فتحبور سكرى.

وخلف أكبر ابنه جهانكير وكان كأبيه محبا للفن والفنانين ، وأقيمت في عهده العمائر المختلفة وخاصة الأضرحة والمقابر لافراد أسرته، ومن أشهر هذه المقابر مقبرة اعتماد الدولة بمدينة أكرا، وتعتبر مقبرة جهانكير في مدينة لاهور من الانجازات الفنية والمعمارية الرائعة، واهتم جهانكير أيضا بإنشاء الحدائق وتنسيقها، وكان يزودها بنباتات وأشجار لم تكن معروفة في الهند، ويعتبر عصره فترة انتقال من استخدام الأحجار إلى استخدام الرخام في العمائر.

ثم خلف جهانكير ابنه شاهجهان وكان من أشهر أباطرة المغول في تذوقه الرفيع للفن وخاصة في مجال العمارة، وقد أنفق الاموال الطائلة التي ورثها عن أبائه في تجميل البلاد فقام ببناء الكثير من المنشآت المعمارية الضخمة في مدينتي اكرا ودلهي.

ومن أهم تلك المنشآت المسجد الجامع ومسجد اللؤلؤ والقلعة الحمراء في مدينة دلهي، ولكن أروعها جميعا هو ذلك المثوى الفخم الذى يعرف باسم تاج محل الذي أقامه تخليدا لذكرى زوجته ممتاز محل، ويعتبر تاج محل من عجائب الدنيا لروعته وبهائه(٦).

وجاء من بعده ابنه أوزنكزيب الذى وصلت رقعة البلاد في عهده إلى أقصى حدودها، وقد شغلته الحروب عن الاعتناء بالنشاطات المعمارية والفنية. وكان أوزنكزيب متدينا وعالما يحب الادب والعلوم الدينية وكان زاهدا متقشفا في حياته الخاصة وفي دولته، لذلك اتسم فن العمارة في عهده بالبساطة وعدم استخدام الزخارف الكثيرة.

الهوامش

(١) إحسان حقي. تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ، ص١٢٨.

(٢) الساداتى. تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية، جزء ٢ ، ص٤٧.

(٤) سليم جشتي كان من رجال الصوفية في تلك الفترة.

(٥) R.A. gairazbhay, An Outline of Islamic Architecture. Bombay: Asia Publishing House, L971, PP. 315-321.

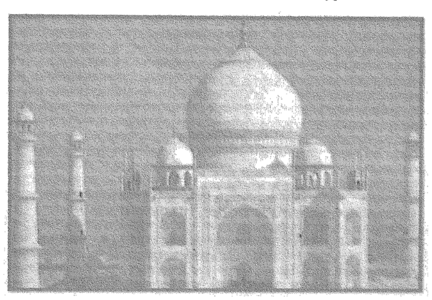
(٦) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية جزء ٢ ، ص ٦٧ - ١٦٦.

عمارة البنغال اشتهرت بكثرة القباب

الأثر المغولي والهندي يبدو أكثر وضوحاً

راجستان -- أجرا

العمارة الإسلامية في الهند



تاج محل أحد عجائب الدنيا المبنى على الطراز الإسلامي في أجرا

راجستان والسيادة

ولاية راجستان ٠٠ تقع شمال غرب الهند، وتتميز بقصورها الفخمه التى تضاهى قصور ألف ليلة وليلة، وراجستان هى أرض الراجا، وهى تعنى السادة المحاربين أصحاب الكبرياء ٠٠ فإذا تجولت داخل ولاية راجستان، لتأكدت أنها بلاد أسطورية بأسوارها وقلاعها المعلقة بسفوح الجبال، وتبلغ مساحة راجستان ضعف مساحة بريطانيا٠

قصور راجستان تعد أسطورة بقبابها وجدرانها المزخرفة، وكأن الحضارة الإسلامية قد لمستها، فبدت ظاهرة فيها طرز العمارة الإسلامية٠٠ فهناك قصر «أنوب محل» وخاصة القاعة التى تمر فيها تتويجه، وقد أقيم هذا القصر عام ١٥٨٧م، داخل حصن جوناجاره بمنطقة بيكانر٠٠ أما قصر «الرياح» فيعد رمزاً للعاصمةجايبور، وهى تعنى المدينة الوردية، وهذا القصر بالغ الروعة٠٠ وهناك حصن العمبر بشمال العاصمة جايبور، وهو يطل على بحيرة مواتا، وإذا نظرنا أعلى التل لشاهدنا حصن جايجارة، حيث كان يعمل على حماية حصن العمبر، وهناك تحفه أخرى تظهر فيها اللمسة الفنية بصورة واضحة، وهو قصر المرايا «شيش محل»، الذى لا يقل فى قيمته الفنية والمعمارية عن حصن مهر انجاره، وقد شيده راى جوذا على ارتفاع ١٣٠ متراً، فوق تل يسيطر على مدينة جوذ بور عام ١٤٥٩، بالاضافة أيضا الى قصر يوميد بهوان الذى استغرق بناؤه ما يقرب من اربعة عشر عاماً، ولا يزال مقراً للمهرجا حتى الآن٠

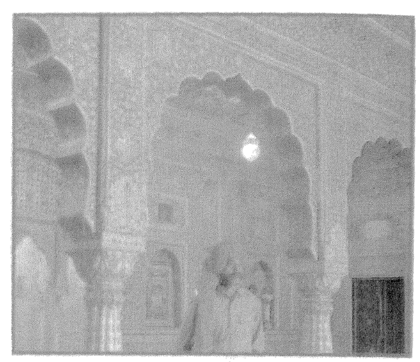
على طول الطريق فى جايبور وحتى نصل الى دلهى تبدو ملامح العمارة الإسلامية بسماتها المميزه من طبقات وأسوار وقلاع، بل حتى في أسواق البخور والبهارات ٠٠ وفى عام ١٨٧٦م عندما زار الملك ادوارد السابع ـ ولى العهد للملكة فيكتوريا ـ مدينة جايبور عاصمة راجستان، أعيد طلاء المدينة باللون الوردى، حيث كان يمثل لون الترحيب عند أهل البلاد، وقد أطلق على العاصمة «بنك سيتى» أى المدينة الوردية، ولا تزال قصور راجستان تتميز باللون الوردى حتى الآن٠

من معالم اجرا

«تاج محل»:

شيده الأمبراطور شاه جهان تاج محل من عام ١٦٣١ حتى عام ١٦٥٣، كضريح لزوجته ارجماند، التى اشتهرت باسم ممتاز محل، التى تزوجت من شاه جهان عام ١٦١٢، وتوفيت بعد إنجاب طفلها الرابع عشر عام ١٦٣١، وبعد وفاة الأمبراطور أوصى بأن يدفن بجوارها٠٠ يرتفع تاج محل على منصه من الرخام، تبلغ مساحتها حوالى ٣١٣ متراً مربعاً، تطل على نهر اليامونا، أما القبة الضخمة الكمثرية الشكل فيبلغ قطرها ٦٠ قدماً، وترتفع بمقدار ٨٠ قدماً، ويمكنك أن ترى فى القوس الداخلى قطعة رخاميه مقببه، حفرت بأشكال ماسية٠

زينت بوابة الدخول بنقوش من الآيات القرآنية، التى كتبت بخطوط عربية رائعة الجمال، ويثرى الصرح



زخارف ونقوش إسلامية على جدران أحد القصور
التي مازال يسكنها المهراجات في راجستان

اعـــداد:
فاتن ابراهيم عبدالهادي
– مصــر –

بكامله بلوحات من الرسوم المنحوته البارزة والزخارف العديدة من الأحجار الكريمة، يواجهك فى المدخل بعض الدرجات التى تقودك إلى البهو، حيث التوابيت الحقيقية، التى ترتفع فوقها النصب التذكارية الخاصة بها، وعبر الممر المحيط بالغرفة العلوية تزهر نباتات من فصيلة السوسنات وقد أحيطت النصب التذكارية بلوح مثمن الأضلاع من الرخام الأبيض المزخرف برسومات معقدة التصميم ونقوش زهرية رائعة، فى المنتصف تماماً يقع ضريح ممتاز محل الصغير، بينما يأخذ ضريح شاه جهان معظم مساحة اللوح الرخامي.

تحف معمارية:

عندما تمعن النظر فى التحفه المعمارية - تاج محل - تجد أن تخطيطها وتصميمها يشبه معظم اضرحة المغول، الذين جاءوا الى الهند عام ١٥٢٦ ووحدوها لأول مرة تحت لوائهم ، بعد أن عانت من الخلافات العرقية. وخلفوا وراءهم تراثاً غنياً، تجسد بشكل كبير فى الأبنية المعمارية التى تزخر بها أجرا، حيث كان مسرحهم الرئيسى ومقرهم لأكثر من مائة عام فقد أقدم أول مغولي، ليؤسس دولته في الهند، وكانت أجرا واحدة من أكبر المدن فى قلب الهند الشمالية، وقد ظلت قرية رعوية حتى قدوم السلطان سكندر لودى، الذى أسس المدينة الحالية عام ٩١١م، وقد شيد عدة أبنية لم يتبق منها سوى برادارى، التى تبعد بمسافة قصيرة، عن ضريح أكبر فى سكندرا، وكانت عاصمة لودى حتى تمكن بابور من هزيمة ابراهيم لودى فى معركة باينبات عام ١٥٢٦م وقد أوفد بابور ابنه ووريثه همايون، حيث أجهز على ما تبقى من دولة لودى، واستولى على كنوز وقصور عائلة لودى.

وقد أسس القائد الشاعر بابور عاصمته فى أجرا، وشيد حديقة رائعة الجمال أمام الأحياء السكنية على طول النهر، أطلق عليها اسم «أرام باغ» أو حديقة الراحة، ويقع على مقربة منها ضريح إعتماد الله، الذى كان رئيساً لوزراء الأمبراطور جهاغير، وقد أطلق على همايون اسم - الماغولى الأكبر - وتوج امبراطوراً على اجرا، وعندما أصبح ابنه أكبر امبراطوراً عام ١٥٥٨ أعاد تسمية أجرا باسم أكبر أباد، وظلت عاصمة للمغول إلى أن أدرك شاه جهان أنه بحاجه الى مدينة رئاسية أضخم، ومن ثم شيد مدينة شاه جهان أباد فى دلهى، وظلت كافة الكنوز الملكية حتى ذلك التاريخ فى مدينه أجرا، كما شيد السلاطنه والأشراف بيوتاً لهم وأضرحة فخمه فى المدينه، يمكن من خلالها استنشاق عبق العصور الوسطى، حيث نمت المدينه خلال فترة حكم الامبراطور بسرعة كبيرة وامتدت إلى خارج حدود الأسوار، وانتشرت المحلات التجارية التى كانت تمتلئ بالسجاد العجمى والأقمشة الحريرية والماس والمجوهرات والملابس الموشاة بخطوط الذهب وكبرت حتى وصلت الى أقصى شمال المدينة.

تاج محل أعجوبة معمارية ترفض أن يقلدها أحد!

سمرقند الإسلامية عمارة وزخرفة

آسيا الوسطى تمثل شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهيمالايا، ومن الجنوب الغربي هضبة البامير، ومن الغرب تيان شان، ومن الشمال جبال الألتاي، وبابلونوي، وستانوفوي ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور.

- وسمرقند واحدة من مدن آسيا الوسطى ، أشار الى تسميتها بهذا الاسم الجغرافي العظيم ياقوت الحموي في معجمه، فذكر أن هذا الاسم ينطق بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية «شمران» ، وقد عرفت اولا بـ(شمر أبو كرب) نسبة الى اول من عمرها، ثم حرف الاسم الى «شمركنت» ثم عربت فقيل سمرقند اى وجه الأرض، وقد زارها في القرن الثامن الهجري الرحالة الشهير ابن بطوطة ووصف عمائرها وحالتها العمرانية، فقال عنها: «**إنها من اكبر المدن وأحسنها واتمها جمالا مبنية على شاطئ واد يعرف بوادي القصارين، وكانت تضم قصوراً عظيمة وعمارة تنبيء عن علو همم أهلها**».

- مرت سمرقند بالكثير من الأحداث، والعصور، التي كان لها دورها في عمرانها فمنذ دخلها الاسلام على يد قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٨٧هـ، وانتهاءاً بالعصر التيموري، والمدينة تزخر بالكثير من روائع العمائر الاسلامية، فلقد وجه الدين الإسلامي الجديد الذى اعتنقه أهالي تلك المدينة وتباروا في الدخول فيه وجهة جديدة، فشيدت المساجد، والدور، والقصور والمدارس، والخانقاوات (أماكن لتعبد الصوفية)، والأسبلة، وغيرها.

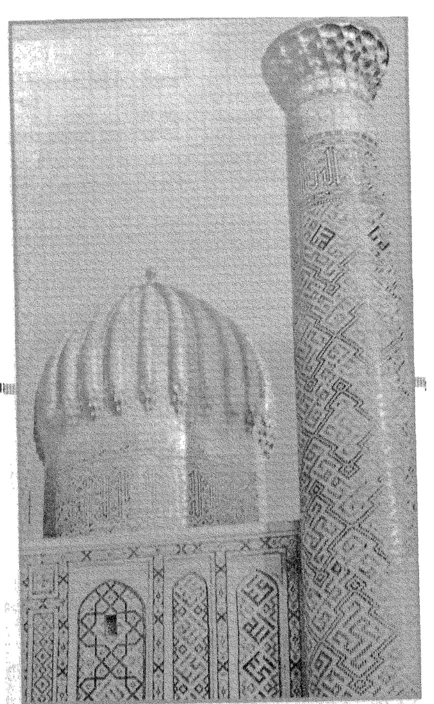
وهذه العمائر تميزت في كل عصر عن الذى يليه، واستمرت في أداء رسالتها رغم ما كان يعتريها

العمارة في سمرقند تشكلت بملامح غزاتها

من أحداث أثرت فيها تأثيراً بالغاً ، مثلما حدث أثناء الغزو المغولي للمدينة، حيث قاموا بتدمير أسوارها وقصورها ودورها، ومساجدها، ثم ما لبثوا بعد أن اعتنقوا الدين الاسلامي أن قاموا بدور عمراني عظيم في هذه المدينة فأعادوا إنشاء الكثير من المساجد، والمدارس، والقصور بمميزات عصرهم. وظلت المدينة تحتفظ بالكثير من هذه العمائر حتى جاء الأمير تيمورلنك واعتلى سدة الحكم على معظم مدن آسيا الوسطى، واتجه الى اتخاذ سمرقند حاضرة لملكه فأعاد انشاء أسوارها، وشيد قلعتها (مقرا لحكمه)، وشيد القصور والدور، والمساجد ، والمدارس، واضاف اليها البساتين المزهرة وأصبحت المدينة في عصره تعج بالحياة، وتزدان بالكثير من روائع العمارة الاسلامية مثل: مسجد «تومان أكا» و«شيرين بيكا اكا»، «وتركان اكا» ، «وتوجلوتيكين». ووجدت المساجد والمدارس مثل مسجد ومدرسة بيبي خانيم، ومدرسة وخانقاة، ومسجد تيمورلنك، وغير ذلك من عمائر دينية، كما شيدت بالمدينة الكثير من القصور التى امتازت بالضخامة والفخامة في العمارة والزخرفة، وقد اندثرت معظم هذه القصور، وتبقى وصفها ضمن مصادر هذا العصر.

- وسوف نطالع معاً معالم هذه المدينة الاسلامية في عصر الأمير تيمورلنك معتمدين في ذلك على ما ذكر في المصادر التاريخية، وعلى ما تبقى من هذه العمائر داخل هذه المدينة، وسوف أخص من هذه العمائر الكثيرة والمتنوعة داخل هذه المدينة التى شيدها هذا الأمير وزوجاته وامرأوه. قصور سمرقند، ومسجد ومدرسة بيبي خانم، وضريح وخانقاة ومدرسة تيمورلنك.

الخارطة المعمارية لسمرقند كانت أكثر وضوحاً في العهد التيموري



مسجد ومدرسة بيبي خانيم بسمرقند

بقلم الدكتور:
محمد محمود الجهيني
كلية الآثار
جامعة أسيوط

القصور :

تعددت القصور التى شيدها تيمورلنك بحاضرته سمرقند، وجميعها تميزت بضخامة بنائها، واتساع ساحاتها، وتنوع تخطيطاتها، واشتمالها على اكثر من طابق فوجدت القصور ذات التخطيط المسدس، والمربع، والمتقاطع: ويمكن ان نتبين مدى ضخامة هذه القصور من خلال ما تبقى من قصر «آق سراى» «القصر الابيض) الذى شيده تيمورلنك بمدينة كشى. فلقد اشتمل على مدخل يرتفع بمقدار خمسين متراً يؤدى الى داخل القصر، وقد اشتمل تخطيط القصر من الداخل على جناحين احدهما خصص للحريم ويعرف «بالحرملك» واخر للرجال ويعرف بالسلاملك ، وغالباً ما كان الجناح الأول فى الطابق الثانى، والجناح الآخر فى الطابق الأول.

وجميع قصور هذا الأمير تتميز باستعمال الآجر المصقول المزدان بالكتابات العربية باللونين الأزرق والذهبى، فى تزيين جدرانها وحجراتها، التى كانت تتميز بتعددها، وفرط زخرفتها فى الحرملك.

- بالاضافة الى ذلك فإن هذه القصور قد تميزت باشتمالها على قاعات استقبال كبيرة تطل على بساتين ظليلة كانت تعقد فيها جلسات الطرب والأنس.

وقد ذكرت لنا المصادر من هذه القصور ما يلى:-

(١) قصر دلكشا (القصر الصيفى).

وقد تميز بمدخله المرتفع المزدان بالآجر الأزرق والمذهب، وكان يشتمل على ثلاث ساحات بكل

ساحة فسقية.

(٢) قصر باغ بهشت (روضة الجنة):

شيد باكمله من الرخام الأبيض المجلوب من تبريز، فوق ربوة عالية كان يحيط به خندق عميق مليئ بالماء، وعليه قناطر تصل بينه وبين المنتزه، كما كانت تقوم عند جوانبه داراً للوحوش والسباع، وقد أهدى تيمور هذا القصر بعد اكتماله الى حفيدته ابنة ميرانشاه، وكان لها عنده مكانة مرموقة.

(٣) قصر باغ جناران (روضة الحور):

عرف هذا القصر بهذا الأسم لأنه كانت تحوطه طرق جميلة يقوم شجر الحور على جوانبها، وقد شيد أيضاً فوق ربوة عالية تتوسط البستان، وكان ذا تخطيط متقاطع متعامد، وقد قام فنانوا الشام بنقشه، كما زينت جدرانه الداخلية بالتصاوير وملئت غرفه بأثاث ضخم من الفضة.

(٤) قصر باغ نو (الروضة الجديدة).

(٥) قصر باغ شمال (روضة الشمال).

وكلاهما تخطيطه مربع الشكل اشتمل على الكثير من الحجرات والقاعات التى زخرفت أرضياتها بالترصيع بالابنوس والعاج.

وكل هذه القصور التى اندثرت معالمها، ولم يتبق منها سوى أسماؤها واوصافها تشير الى مدى البزخ الفني والمعماري الذى كانت عليه عمائر أمراء ذلك العصر، واخصها بعمائر تيمورلنك التى تنوعت تخطيطاتها وتعددت أقسامها، وزخارفها، ونقوشها، وارضياتها، ومواد بنائها، وكلها تشير الى عظمة ذلك الاخير فى الناحية العمرانية.

العمارة الدينية

وفى مجال العمارة الدينية نطالع عظمة أخرى لهذا الرجل تميزت بها تلك العمائر التى تحتفظ بها سمرقند، والتى نلحظها من خلال أثرين هامين هما: « مسجد ومدرسة بيبى خانيم - ومدرسة وضريح وخانقاة تيمورلنك ».

مسجد ومدرسة بيبى خانيم:

تميز هذا الأثر الذى شيد عام ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م وانتهى بناؤه عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م بالعديد من المميزات التى اجملها فى النقاط التالية:

أ - التخطيط:

.. يعتمد تخطيط هذا الأثر على صحن أوسط مكشوف، وأربعة ايوانات تفتح ثلاثة منها عليه بأبواب، وايوان واحد يفتح عليه بكامل اتساعه، وما بين الايوانات شيدت حجرات الطلبة الدارسين. غطيت ايوانات ثلاثة منها بقباب محمولة

مدخل من ضريحة تيمور لنك وجانب من واجهته

على حنايا ركنية (Squniches)، لها هيئة مميزة من الخارج، اذ تمتاز بهيئة بصلية ذات ضلوع، مقامة على رقاب مرتفعة، مكسوة بالبلاطات الخزفية التي تزينها عناصر الفن الاسلامي النباتية والهندسية والكتابية.

اما الإيوان الرابع فيغطيه قبو.

وتتميز حجرات الطلبة التي تكتنف الإيوانات بأنها متساوية العدد على جانبي كل ايوان، وتتقدمها مساحة صغيرة مسقوفة استغل سقفها كممر يتقدم حجرات الطابق الثاني المخصصة للمدرسين ، والمعيدين، ولهذه الحجرات مداخل معقودة بعقود مدببة، متماثلة مع المساحات التي تتقدمها والمعقوده بنفس العقود.

ـ وقد انفرد هذا الأثر بين آثار سمرقند بهذا التخطيط، وهو متأثر الى حد كبير بالأساليب السلجوقية، فنرى مثيلا له في المدرسة المستنصرية ببغداد المشيدة عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م.

أما تغطية إيوان القبلة بقبة فنرى لذلك شبيهاً في مصر في مدرسة الأمير صرغتمش ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م، كذلك فان حجرات الطلبة المشيدة على جوانب الايوانات تماثلها حجرات الطلبة بنفس المدرسة.

ب ـ القباب :

.. تميزت قباب هذا الأثر بهيئتها البصلية ذات الرقاب المرتفعة والضلوع التي تزخرف ظاهرها، فضلا عن تكسيتها بالبلاطات الخزفية المنفذة خصيصاً لتغطي مساحات هذه القباب من الخارج، وقد وصلت القبة الى هذه الهيئة في العصر التيموري في عمائر تلك المدينة، بعد أن كانت في العصر المغولي ذات شكل بصلي خفيف، واستمرت بهذه الهيئة في العصر الصفوي ، وقد أثرت هذه القبة التي

لو بقيت لسمرقند كل عمارتها لأصبحت متحفاً للمعمار في الهواء الطلق

يمكن تسميتها «بالقبة السمرقندية» في بعض القباب التي ظهرت على آثار مصر في العصر المملوكي البحري، حيث ظهرت بنفس هذه الهيئة على ضريح التربة السلطانية بجبانة السيوطي الذى شيدته خوند سمرا والدة السلطان حسن في القرن الثامن الهجري، وكذلك نراها أعلى ضريح يونس « الدوادار بالحطابة المشيد قبل عام ٧٨٣هـ، ونراها قبل ذلك بدون تضليع أعلى ايوان القبلة بمدرسة الأمير صرغتمش، وقبلها في قمة منذنة الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة ٧٣٥هـ.

ـ وهذه القبة السمرقندية تتميز عن القبة الفارسية التي تشبهها في الهيئة ولكن لا تظهر عليها الضلوع التي ميزت القبة السمرقندية، ومن ثم فان رؤية هذه القبة بهذه الهيئة تمكننا من معرفتها من بين قباب كثيرة مختلفة العصور والبلاد.

ـ كما تتميز باشتمالها عل غطائين يبدأ الأول، والذى يكور القبة من الداخل من عند عقد شباك الرقبة، اما من الخارج فيبدأ على مسافة كبيرة من عقب الشباك المذكور، وقد نقل بعض صناع سمرقند بناء هذه القبة الى مصر، عندما اجتاح بلادهم الغزو المغولي. وتختلف القبة السمرقندية عن القبة العراقية التي تتشابه مع القبة الفارسية.

جـ ـ المداخل :

.. تميز مدخل هذا الأثر بارتفاعه، وبتتويجه بعقد مدبب، يليه مدخل آخر معقود بنفس نوع العقود المدببة، الموروث عن العمارة الايرانية، اذ أن هذا المدخل وكذلك مداخل العمائر في أسيا الوسطى يمتاز بالازدواجية وتغشيه من الخارج والداخل زخارف منفذة على بلاطات خزفية، وهو بذلك متأثر الى حد كبير بالمداخل الايرانية التي تاثرت بها عمائر العراق ايضاً ولكن عمائر مصر يميزها أنواع عديدة من المداخل ليس هذا النوع واحداً منها.

د ـ الواجهات :

.. تميزت واجهات هذا الأثر وغيره من عمائر أسيا الوسطى ، وايران، والعراق بتقسيمها الى بانوهات رأسية في مستويين معقودة بعقود مدببه تخفف من حدة الملل والسأم الذى قد يعتري المشاهد لها، نظراً لامتدادها الكبير، وهذه الجزئية في زخرفة الواجهات تخالف ما نشاهده على عمائر مصر في الفترة المعاصرة، اذ أن تلك العمائر قد تميزت باشتمالها على حنايا رأسية تنتهي بصدور مقرنصة من عدة حطات وضعت بها النوافذ السفلية والقندليات التي تعلوها وكذلك المداور.

هـ ـ المآذن :

.. تعددت المآذن في هذا الأثر اذ بلغت ثماني مآذن تحيط بأركانه وحول المدخل وايوان القبلة، وهي تمتاز بانها ذات بدن أسطواني

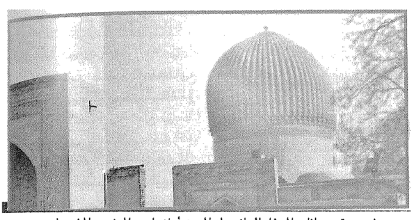
ممشوق ذو تناقص تصاعدى يزدان بزخارف كتابية منفذة باستعمال الطابوق وهى كتابات كوفية مربعة، وتنتهي بدورة واحدة فى الغالب محمولة على عدد من المقرنصات، وهذه المآذن عرفت أولا فى ايران قبل الاسلام بهذه الهيئة فى المعابد القديمة، وعرفتها العمارة العراقية فى صدر الاسلام وتوجد أقدم أمثلتها فى مئذنة جحضة شرق قصر الأخيضر ١٦٠هـ/ ٧٧٧م، وعرفتها مصر فى القرن الثالث الهجرى فى مئذنة المشهد البحرى بأسوان، والمزدانه بنص كتابى منفذ باستعمال الطابوق.

- ولم تستخدم مآذن سمرقند وايران للأذان نظراً لارتفاعها الشديد، ولكن كان المؤذن يؤدى الأذان من أعلى سطح المسجد، وبذلك استعملت المئذنة كرمز فقط.

و- الزخارف :

٠٠ استعملت الزخارف بأنواعها داخل العمائر الدينية باسيا الوسطى عامة وسمرقند خاصة، ويعنينا منها الزخارف الكتابية المنفذة بالطابوق على المآذن والواجهات وبعض أجزاء من داخل البناء، اذ نفذت الكتابات الكوفية المربعة باستعمال الطابوق على هذه الأجزاء ، واستعمال الطابوق فى تنفيذ الزخرفة اسلوب عربى عرف فى العراق منذ القرن ٢هـ/ ٨م فى قصر الأخيضر، وظهرعلى مئذنة المشهد البحرى بأسوان فى القرن ٣هـ/ ٩م.

- واستعمال الخط الكوفى المربع على عمائر سمرقند ومنها هذا الأثر أسلوب موروث عن السلاجقة، وهو أسلوب انتقل الى مصر عنهم ايضاً، ولكن اسلوب تنفيذه فى مصر يختلف عن اسلوب تنفيذه فى عمائر اسيا الوسطى عامة وسمرقند خاصة، اذ استعملت شرائح الرخام الأبيض والأسود فى


ضريح تيمور لنك والمدخل الجانبي له المدون أعلاه اسم المهندس المشيد له

تنفيذ كتابات الخط الكوفى المربع على عمائر مصر، وكذلك اسلوب «التنزيل» الذى تحفر فيه الكتابات بالهيئة المربعة وينزل فيها مسحوق الرخام ذو اللونين الأبيض والأسود.

- أما استعمال البلاطات الخزفية كأسلوب زخرفى على عمائر سمرقند وايران والعراق، فالى جانب الزخرفة ، كانت لها وظيفة أخرى، وهي منع تسرب المياه الى داخل العمائر، والناجمة عن المطر الشديد الذى يتسم به شتاء هذه البلاد، وهو ما يفسر ايضاً استعمال القباب بكثرة فى التغطية هناك.

مدرسة وخانقاة وضريح الأمير تيمورلنك.

شيد هذا المجمع الدينى قبل عام ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م المهندس

الارتفاع الواضح في مآذن سمرقند يقف رمزاً بارعاً لالتقاء الأرض بالسماء

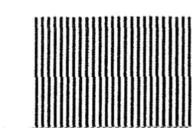
الأصفهانى محمد بن محمود البنا، الذى سجل توقيعه أعلى عقد المدخل الجانبى للضريح وهذا الضريح يأخذ الهيئة المثمنة من الخارج والمربعة من الداخل (ش ٢) وقد تأثر تيمورلنك فى تشييده له بتخطيط قبة الصخرة وقبة الصليبية فى العراق (٢٤٧هـ)، فهو يتشابه تماماً مع تخطيط قبة الصليبية التى تأثرت فى هيئتها الخارجية بهيئة قبة الصخرة، وقد نقل هذا التأثير بعد أن اغار على العراق عام ٧٩٥هـ مما يشير الى إعجابه بقباب الدفن التى رآها هناك .

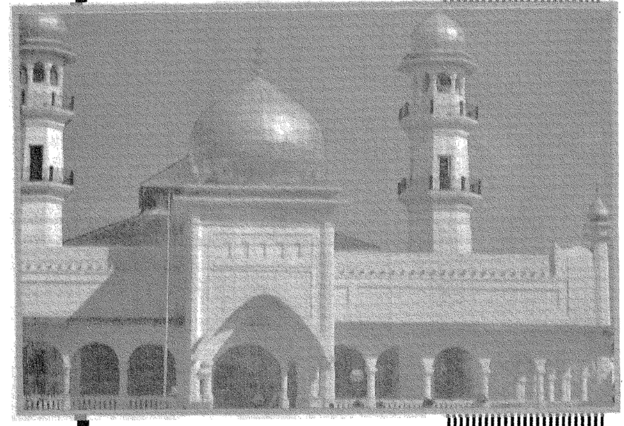
- والضريح يتشابه فى عناصره المعمارية والزخرفية مع الأثر الذى اسلفنا ذكر مميزاته.

بقى ان اشير الى تخطيط هذا المجمع الدينى، المكون من مدرسة وخانقاة ملحق بهما قبة ضريحية، وهو المثل الوحيد الذى كان باقياً لفترة من الزمن.

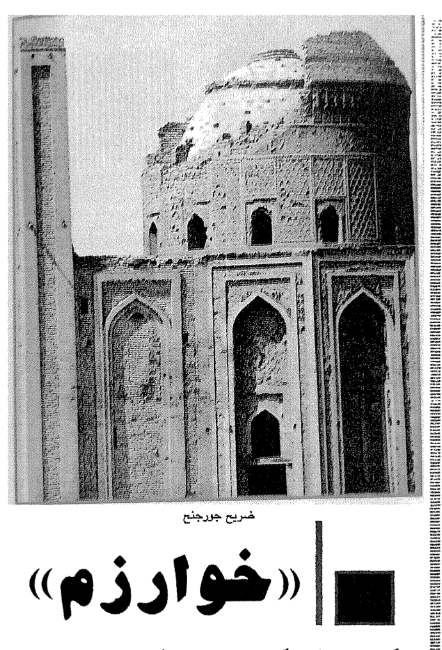
- غير ان اطلالهما تمكن من رسم صورة لما كان عليه تخطيطهما، فتخطيط المدرسة عبارة عن صحن مكشوف وايوانيين متقابلين، وحجرات على الجانبين، وما بين الايوانيين توجد حجرات كان عليها قباب، وهذا التخطيط يماثل مدرسة سيواس فى تركيا المؤرخة بعام ٦٧٠هـ/ ١٢٧١ - ١٢٧٢م التى تتميز باشتمالها على أربعة ايوانات.

شواهد معمارية





في أندونيسيا.. يقف هذا المسجد في مدينة «مالانج» واحداً من المعالم المعمارية الكبرى.. وأحد شواهد العطاء الإسلامي.


ضريح جورجنج

«خوارزم»
الحضارة المنسية

في جورنج يوجد ستة مبان أثرية ماتزال محتفظة بحالة جيدة

اعداد:
قسم التحرير

تقدم لنا خوارزم مثلا عظيما لوظيفة الاسلام البارزة كأداة للوحدة السياسية الحضارية والروحية التى عملت أيضا على ازدهار الانتاج والتكنولوجيا والتجارة. فالتأثير الروحى والفنى للاسلام يظهر بوضوح وبطريقة موثقة فى الآثار المعمارية الباقية بهذه المنطقة.

وعندما فتحت هذه المناطق فى القرن (٧م) كانت متدهورة اقتصاديا، ومع التحول الى الاسلام من قبل الاهالى ونمو المدن بها وفقا لقواعد التخطيط المعمارى الاسلامي تطورت هذه المدن بفضل ازدهار التجارة عبر طريق الحرير الدولى ،

«خيوه» مدينة رائعة تبرز خصائص العمارة الإسلامية في وسط آسيا

والاعمال الحرفية، والزراعية المنتجة. لقد سجل أول رحالة عربي لهذه المنطقة وجود ثلاثة مدن نمت حتى وصلت الى ستة عشر مدينة خلال قرن واحد، وتضاعفت مرة أخرى فى فترة زمنية مماثلة.

آثار جورجنج :

لقد تبقى فى جورجنج ستة مبان أثرية . هذه المبانى لا تزال محتفظة بحالة جيدة جدا تدعو للإندهاش خصوصا إذا ما أجرينا مقارنة بينها وبين البيئة الخالية المحيطة بها حيث لم يمكن العثور على أى بقايا أثرية لأى مبان فيها. وقد لوحظ تباين فى أشكالها.

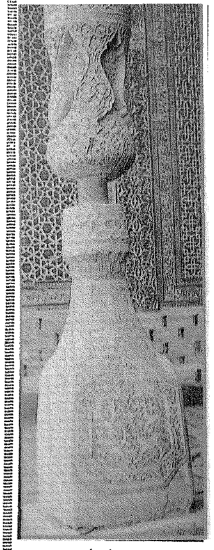
مئذنة كوتلغ بك :

حكم كوتلغ تيمور خوارزم من قبل السلطان المغولى «أوزبك خان» ومئذنة كوتلغ تيمور هى أعلى مئذنة فى منطقة وسط آسيا وتمثل أقدم الآثار التى تعود الى أيام المغول، وهى تقع فى وسط المدينة قائمة دون مسجدها الذى اختفى تماما، وعلى هذا العمل الفنى والهندسى الرائع يوجد تاريخ إنشاء المئذنة المحدد بين عامى ١٣٢٠ و١٣٣٥م.

ويقع مدخل المئذنة على بعد سبعة أمتار من الأرض مما يفهم منه أنه كان يتم الدخول إليها من سطح المسجد. والمئذنة قطرها أحد عشر مترا عند مستوى الأرض بينما قطرها فى القمة حوالى ٣٫٦متر ويوجد جزء ناقص منها يقدر بطول يتراوح بين ستة وعشرة أمتار مثلها، لذلك فإن شكل طرف المئذنة العلوى غير معروف. والإنشاء مبنى بالكامل من الطوب المدعوم بحجم ٣٠ × ٣٠ × ٥سم والمئذنة مزينة بنفس المادة ولكن بشكل مختلف من قوالب الطوب أو بقوالب طوب مع قطع تبديل صغيرة من الطوب أيضا خصوصا عند كتابة آيات بالخط الكوفى.

آثار خيوة :

إن خيوة مدينة رائعة اذا ما قورنت بالمدن الأخرى فى تركستان فهى فى الحقيقة تظهر وكأنها وحدة جمالية متكاملة وبصفة خاصة القلعة الداخلية بالمدينة التى تضم معظم الآثار المتبقية بها، وهى تبرز خصائص العمارة الاسلامية فى وسط آسيا، وأبرز ملامحها ، وخاصة أن البنائين الخوارزميين طوروا طريقة البناء بحيث جعلوا نقاط التقاء الاعمدة مستديرة بدلا من كونها مستقيمة وذلك حتى يقاوم الزلازل ، أى حتى لا تنزلق القطع عن بعضها. وقد كان للطقس تأثير على العمارة فعدم وجود صحن



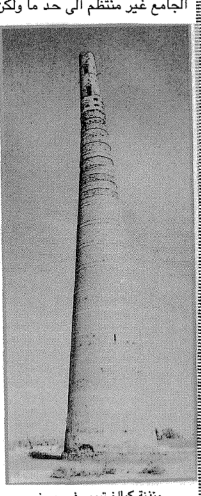
نماذج زخرفية لأحد أعمدة قصر تاش خاولي الجديد بخيوه

يرجع تاريخ تأسيس جامع «خيوة» إلى القرن الثامن عشر الميلادي

مكشوف في المسجد الجامع «بخيوة» كان بسبب طبيعة الطقس هناك المعروف عنه التقلبات الحادة كالطقس القارى فى اسيا الوسطى من أمطار وبرد. فالتعرض للصقيع والجليد والأمطار كان يتطلب ضرورة عمل عازل يحمى من هذه التقلبات الجوية، ويوجد عدد من المساجد فى اسيا الوسطى ينقسم الى قسمين كبيرين قسم للصيف وآخر للشتاء أمدوه بإمكانات خاصة للتدفئة.

جامع خيوة الرئيسى :

يرجع تاريخ تأسيس جامع «خيوة» الى آخر القرن الثامن عشر الميلادى، كما ان النقش الموجود على بابه يدل على أنه أنشئ عام ١٧٨٩م، وقد تم تنفيذه على مراحل، ومثلما نجد فى المساجد الأولى فى المنطقة العربية، فإن محيط هذا الجامع غير منتظم الى حد ما ولكن

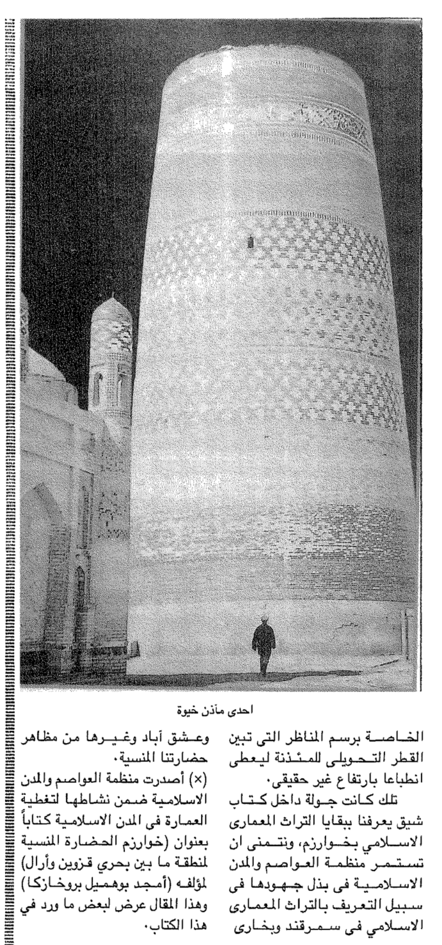


مئذنة كوللغ تيمور في جورنج

شبكة الأعمدة والإيوانات نجدها منتظمة ومتجهة نحو القبلة، وجدران المسجد بدون نقوش ومبنية من الطوب المحروق والجدار الخارجي للمسجد أبعاده ٥٥ × ٤٥م، وبداخل المسجد يوجد ٢١٢ عمودا لرفع السقف، وقد استبدلت كثير من الأعمدة فى الأيام الأخيرة بأعمدة أخرى مقلدة بطريقة مبسطة، وتم نقل الأعمدة الأصلية الى عدة متاحف وظلت المساجد مغلقة لفترة طويلة بسبب موقف الاتحاد السوفيتى المنحل المناهض للدين، ويوجد أمام المسجد الجامع قصران موجودان، والقصر القديم منهما يعرف «بكونيا أرك» أى «القلعة القديمة»، أما القصر الجديد المعروف باسم «تاشى خاولى» أى (الفناء الحجرى) ويعتبر القصر القديم قلعة حصينة فى خوارزم وداخل هذا القصر أو القلعة يوجد سكن الخان والأرشيف ، والمحكمة ودار سك العملة والسجن والمسجد الصيفى والشتوى وسكن الحراس. وقد امكن الحفاظ على جزء من إنشاءات القصر القديم ولازالت بحالة جيدة جدا وبعض الأجزاء الأخرى موجودة فقط في السجلات والتوصيفات.

وأكثر الأشياء بروزا حاليا فى خيوة هى مئذنة مدرسة «إسلام خوجة» معلم الاسلام، التى يعود تاريخها الى ما بين عام ١٩٠٨ و١٩١٠م وهو نفس تاريخ أحدث آثار المدينة، على أن المدرسة المجاورة تعتبر صغيرة من ناحية الحجم ومع ذلك فهى تحتوى على «٤٢» خلوة فى طابقها الأرضى، وهذه المدرسة مثل جيد لتحول العمارة من عمارة العصور الاسلامية الى العمارة الحديثة، ومئذنة «اسلام خوجة» العالية ذات الزخرفة الدقيقة تحدد بدهاء مدى الخداع الناتج عن تحويل المفاهيم

مدرسة «إسلام خوجه» مثل جيد لتحول العمارة الإسلامية للعمارة الحديثة



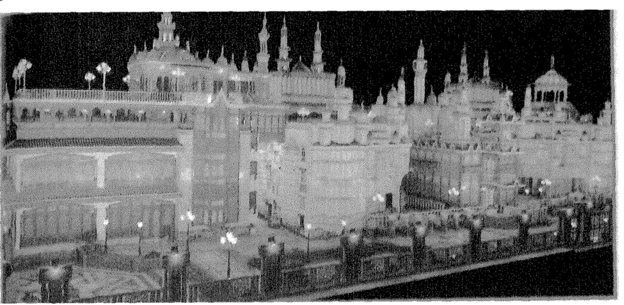
احدى مآذن خيوة

الخاصة برسم المناظر التى تبين القطر التحويلى للمئذنة ليعطى انطباعا بارتفاع غير حقيقى.

تلك كانت جولة داخل كتاب شيق يعرفنا ببقايا التراث المعمارى الاسلامي بخوارزم، ونتمنى ان تستمر منظمة العواصم والمدن الاسلامية فى بذل جهودها فى سبيل التعريف بالتراث المعمارى الاسلامي فى سمرقند وبخارى وعشق آباد وغيرها من مظاهر حضارتنا المنسية.

(×) أصدرت منظمة العواصم والمدن الاسلامية ضمن نشاطها لتغطية العمارة فى المدن الاسلامية كتاباً بعنوان (خوارزم الحضارة المنسية لمنطقة ما بين بحري قزوين وأرال) لمؤلفه (أمجد بوهميل بروخازكا) وهذا المقال عرض لبعض ما ورد في هذا الكتاب.

متحف «عبدالرؤوف حسن خليل»



مبرة الطيبات الخيرية.. مركز

إذا كانت العصور الماضيه قد حرصت على الآثار الفنية تقديراً لمضمونها وأهميتها فى نقل تراثها للأجيال اللاحقة.. فإن عصرنا الحديث يعتبر هذه الآثار بمثابة وثائق هامة ذات قيمة حضارية تاريخية وفنية واجتماعية واقتصادية.. ففيها تتجسد خلاصات أفكار، ومستويات إبداع.. مما يجعل حفظها واجباً قومياً وحضارياً .. لأن ذلك يدل على وعى ثقافى وتقدير فنى وتقييم لجهد إنسانى، كما أنه يسهم فى نقل التراث الحضارى لمن هم قادمون.

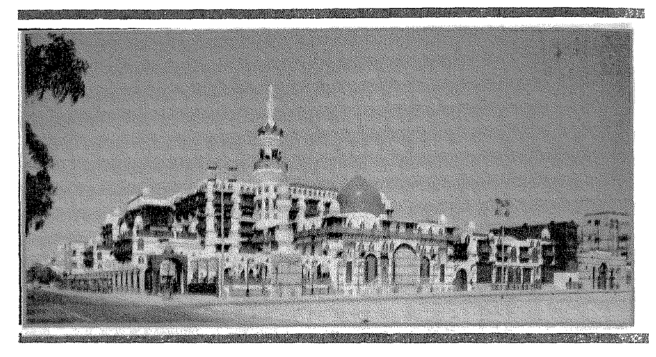
لذا كان سعى الوجيه/ عبد الرؤوف حسن خليل حثيثاً فى إنشاء متحف حضارى فى مدينة جُدَّة حمل اسمه وتجمعت فيه مقتنيات قيمه.. حرص على أن يبرز من خلالها القيم الحضارية لمعظم الحضارات المعروفه، كما حرص أيضاً على أن يبرز ويسجل القيم التراثية العربية والإسلامية بعامة والعربية السعودية بخاصة.. تاركاً لزائر المتحف عمل دراسة مقارنة بين الحضارات.. كل حسب ثقافته وذوقه.

ولم يكن إنفاق الوجيه/ عبد الرؤوف حسن خليل غير المحدود لاقتناء التحف أمراً عشوائياً لمجرد الرغبة فى جمع ما هو قيم ونادر، ولكنه كان بالنسبة له سعياً وراء تحقيق هدف حضارى وثقافى لخدمة وطنه العظيم وتسجيلاً لكثير من التقاليد والعادات العربية والإسلامية التى كادت أن تختفى بسبب طغيان مظاهر الحياه العصرية وإمكانياتها التكنولوجية.

* المدنية الوافدة *

وعن الأسباب التى دعت الوجيه/عبد الرؤوف حسن خليل يفكر فى إنشاء هذا المتحف بمدينة جدة.. يقول ـ مسترجعاً ذكريات صباه ـ «إنه عندما رأيت بعض العمال يفتحون شارعاً جديداً فى

يبرز القيم الحضارية للتراث العربي والإسلامي



إشعاع للثقافة الدينية والاجتماعية والعلمية

وسط إحدى حارات مدينة جده ..
فهمت في ذلك الوقت أن الغرض من الهدم توسعة الشارع.. ثم اعادة المبانى على جانبى الطريق الموسع.. وكان تصورى فى ذلك الوقت أن اعادة المبانى ستكون بالصورة التى أعرفها.. ولكن لم تعد المبانى على الصورة التى تعودت عليها وتوقعتها».

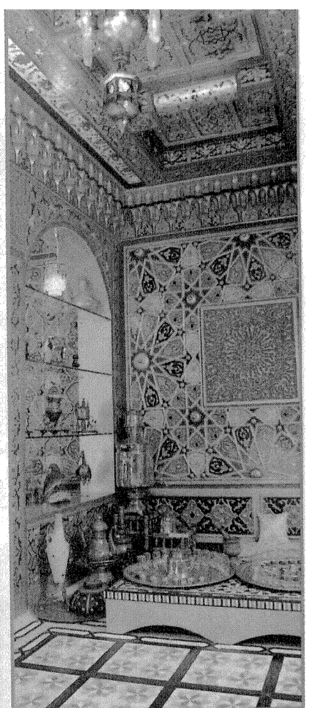
ويضيف الوجيه/ عبد الرؤوف حسن خليل «إننى بدأت مع مرور السنين فى مشاهدة نمط آخر من المبانى أهدته لنا المدنية الوافدة علينا.. وتقبلنا ذلك النمط الجديد الذى بذل فيه المعماريون الكثير من الجهد ليعطى التوافق ما بين القديم والجديد.. وبتغيير شكل المبانى تغيرت الحارة والأزقه وتغير معها الكثير من العلاقات الاجتماعية ما بين أهل الحارة».

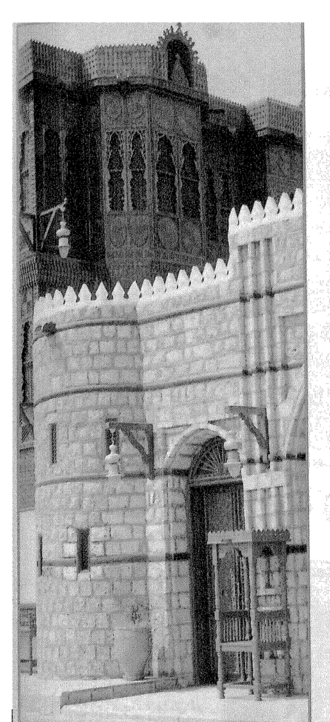
وقد آليت علي نفسى عندما أكبر ويفتح الله عليّ وتكون لدى القدره على البناء أن أقوم ببناء روشان صغير فى منزل المستقبل.. لكى أستمد منه ذكريات الماضى الحلوه.. وحياة الحاره واجتماعياتها. وكانت امنيتى هذه عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م).

*** تحقيق الأمنية ***

ويشرح الوجيه/ عبد الرؤوف حسن خليل خطوات تحقيق أمنيته الغالية فيقول: «اتفقت مع نجار

المعرض «بيت التراث العربي السعودي»





متخصص فى عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٧م) على صنع شباك صغير من الخشب.. رغبت أن يكون هو أول خطوات تحقيق الأمنية.. التى انتظرت كثيراً لتحقيقها..»

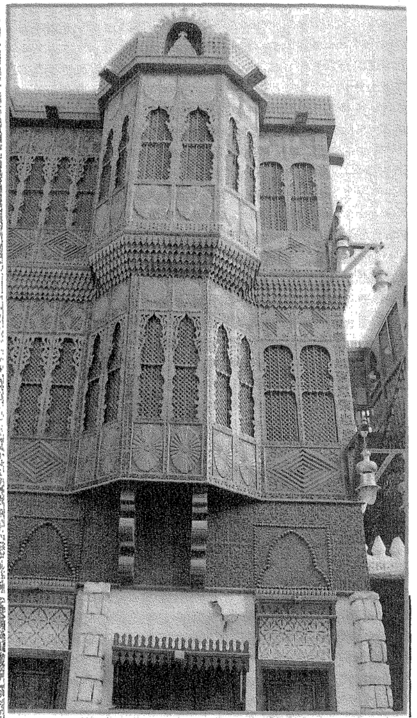
ويضيف «أخبرت الصانع بالشكل والحجم واللون الذى أرغب أن يصنع على مثاله الشباك..

وعندما تم الانتهاء من صناعة

الآثار الفنية وثائق هامة ذات قيمة تاريخية

هذا الشباك ذى الحجم الصغير متر فى مترين بتكلفة اجمالية مقدارها ثلاثة آلاف ريال سعودى.. قام الصانع بتركيبه على احدى نوافذ منزلى من الخارج كى أقارن بينه وبين باقى الشبابيك المصنوعة من الألومنيوم ثم استعيد من مشاهدتي له بعض ذكريات الحارة.

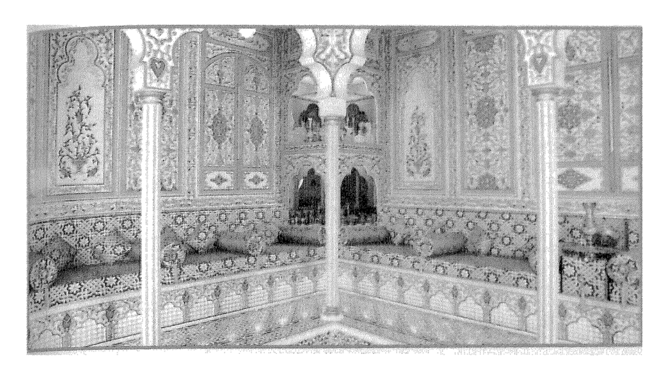
وعندما تم الانتهاء من صناعة

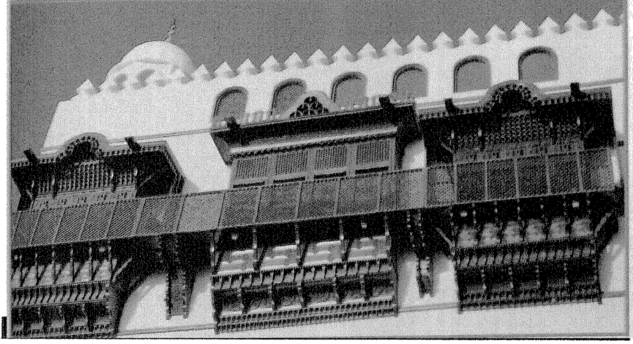


اهتمام كبير للمتحف بابراز ملامح الحياة الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية

هذا الشباك ذى الحجم الصغير فى احدى واجهات منزلى وكان فى الدور الأرضى ‥ وأحسست فيه الناحية الجمالية والفنية التى لاقت هوى فى نفسى وطغى جماله على جمال الشبابيك الأخرى. قررت أن أغير أيضاً شباك الدور الأول المصنوع من الألومنيوم بشباك خشبى مشابه لما تم عمله فى الدور الأرضى ‥ وعندما انتهى الصانع من ذلك ، وزاد الشباك الثانى من جمال المنزل‥ اصبحت بقية الشبابيك المصنوعة من الألومنيوم لا تتناسب مع الأعمال الخشبية المزخرفة بزخارف من التراث الاسلامي».

ويشير الوجيه/ عبد الرؤوف الى أن هذه كانت مرحلة الانطلاق فى





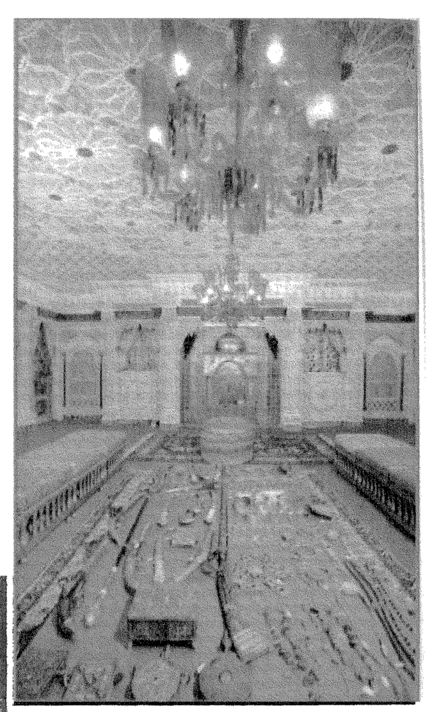
التحف المعروضة تعبر عن قيم الحضارات الكبرى

إنشاء المتحف.. فبدأ بعد ذلك فى التخطيط خطوه خطوه .. يفكر ثم يبنى ويضيف بعد أن يفكر كيف يربط ما بين هذا الشكل وذاك.. وبين قراءاته الكثيرة عن الفن الاسلامي.

* البداية *

وقد بدأ الوجيه/ عبد الرؤوف صاحب المتحف فى تجميع قطع التراث التى يضمها المتحف كهاو فى عام ١٣٧٢هـ ثم صار يجمع هذه القطع كمحترف فى عام ١٣٧٨هـ.. وبدأ فى التخطيط لإقامه المتحف عام ١٣٩٤هـ وشرع فى تنفيذ الفكرة عام ١٣٩٨هـ وانتهى من تشييد المتحف عام ١٤٠٤هـ.

واستعان فى ذلك بمختلف الصناع المهره من جميع البلدان الاسلامية جريا وراء ما كان متبعاً



المتحف يهدف إلى تجيل العادات والتقاليد العربية والإسلامية

في الماضي للإفادة من مختلف أنواع الخبرات في الفنون الاسلامية.

وقد زادت همم الصناع الذين تفانوا وتفننوا في أداء الاعمال المختلفه لصاحب المتحف تصميماً على أن يكون الفن الاسلامي هو جوهر المتحف داخليا وخارجياً.

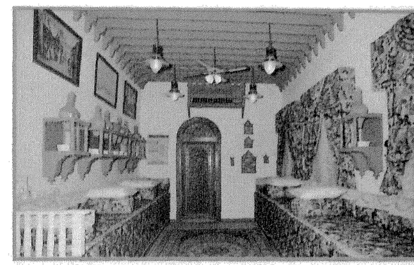
*** تنسيق عال ***

وتتميز التحف المعروضه بالمتحف بدرجة عالية من التنسيق وتعبر جميعها بوضوح عن الفكره التي استهدفها صاحب المتحف من ابراز ادوات تراثنا العريق في المملكة العربية السعودية والتراث الاسلامي العظيم في أماكنه وأزمنته المتعدده.. والتي كانت دوماً نوراً اشرق على العالم في جميع فروع المعرفه الإنسانية.

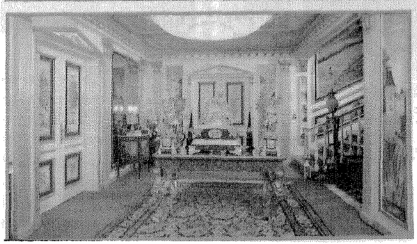
كما تتميز التحف المعروضه

أيضاً بتعبيرها عن القيم الحضارية في الحضارات الكبرى لتقدم إطارا شاملاً لحضارتنا العربية والاسلامية الى جانب الحضارات الأخرى.

* بيت التراث السعودى *







البهو «بيت التراث العالمي»

ويضم متحف عبد الرؤوف حسن خليل عدة أجنحة وقاعات ومعارض.. ففى بيت التراث العربي السعودى نجد الجناح السعودى الذى يضم نماذج من البيت السعودى القديم كالمعقد والرواشين والمجلس والمصلى والجلسات البدوية والجلسات الحضرية.

ويضم معرض الملابس والحرف التقليدية نماذج للأدوات الخشبية والفخارية والنحاسية والحجرية والملابس والأزياء والحلى وأسلحة قديمة ولوحات زيتية معبره عن التراث السعودي.

* بيت التراث الإسلامي *

ويضم الجناح الاسلامى ومعروضاته، والمسجد، حيث تعرض فيه نماذج للجلسات الإسلامية فى الشرق والمغرب الاسلامى وزخارف وأعمال الخشب المحفور والنوافذ والسجاجيد والمفروشات والأوانى النحاسية والتحف والأسلحة وأدوات الزينة.

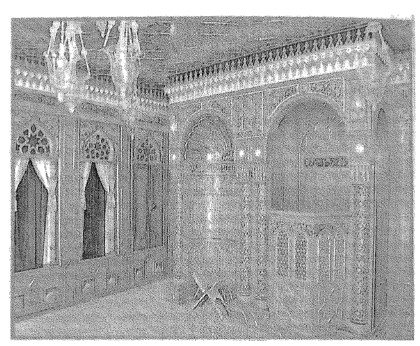
أما المسجد فيضم المحراب والمنبر وزخارف السقف والحائط والثريات ونماذج لفن خط وكتابة الآيات القرآنية وقاعة الدرس.

* معرض التراث العام *

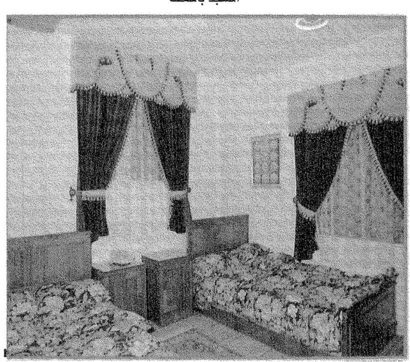
ويضم مقتنيات من العصر الحجرى الى العصر الحديث مثل التحف المصنوعة من الحجر والرخام والزجاج والنحاس والأسلحة والنقود والأحجار الكريمة.

* بيت التراث العالمى *

ويضم نماذج من الطراز الإوروبى والأسيوى وقطع أثاث من الطرازين إضافة الى التحف والمفروشات.



المسجد بالمتحف



صناع مهرة من جميع البلدان الإسلامية شاركوا في إنشاء المتحف

* العناصر المكملة للمتحف *

وتشمل واجهة القلعة وأبراجها وبابها ونوافذ المراقبة والدفاع والشرفات الخاصة بها.. إضافة الى الواجهات الخارجية لمباني اجنحة المتحف التي تشمل مآذن المسجد والحارة والأبراج والقباب والمشربيات.

ويضم المتحف كذلك نماذج من الخط الاسلامي تشمل آيات للقرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفه محفورة على الجرانيت والرخام.. وأنماطاً من الخط العربي المستخدمة في الكتابة وهي الكوفي والثلث والنسخ والفارسي والديواني.. والرقعة والإجازة والحر.

ملامح الحياة الاجتماعية في المملكة العربية السعودية:

خصص متحف عبد الرؤوف

حسن خليل جزءاً كبيراً لإبراز ملامح الحياة الاجتماعية فى شبه الجزيرة العربية قبل وبعد مجيء الأسرة السعودية.. ذلك أن الفترة التى بدأت فيها هذه الأسرة بالظهور على مسرح الأحداث.. كانت شبه الجزيرة العربية عبارة عن سلسلة من المعارك المتابعة التى شملت معظم اجزاء جزيرة العرب.. وأجزاء من العراق وأطراف الشام.. نتيجة سعى آل سعود الكرام توحيد تلك الولايات لتحقيق الهدف الأكبر وهو توليفها تحت راية واحدة فى ظل كتاب الله وسنة رسوله.

وفى هذا الإطار ضم المتحف لوحات زيتية تصور ابناء أسرة آل سعود الكرام والحياة فى شبه الجزيرة العربية خلال المائة عام الماضية.

كما يضم المتحف نماذج من العملات الورقية والمعدنية الصادرة بالمملكة العربية السعودية ونماذج أخرى من طوابع البريد.

مبرة الطيبات إحدى الأعمال الخيرية لمتحف عبدالرؤوف حسن خليل

*** مبرة الطيبات الخيرية ***

واستمراراً لاهتمامه بالعمارة الاسلامية والعربية، جاء مبنى مبرة الطيبات الخيرية - وهى إحدى الأعمال الخيرية لمتحفه - عملا فنياً رائع الجمال عكس كنوز الفن الاسلامى غير المتناهية.

ومبرة الطيبات هى مركز حضارى للثقافة الدينية والاجتماعية والتراثية والعلمية والتوعية الخيرية.. ويُعَدّ مبناها نموذجاً مصغراً لإحياء المبانى التراثية بالمنطقة الغربية فى المملكة العربية السعودية التى تمتاز بكثير من العناصر التراثية فى البيئة والتخطيط.

*** أقسام المبره ***

وتنقسم المبره الى ثلاثة أقسام هى البيئة والعمارة والتخطيط.

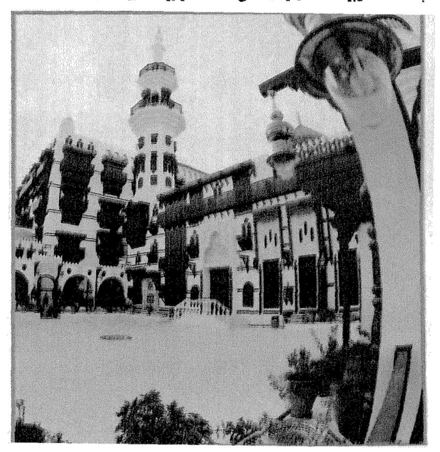
ففى القسم الأول - البيئة - تم تطبيق مفهوم البيئة فى أنشطة هذه المبرة حيث تم بناء المسجد والكتاتيب والمدرسة والصحة والديوان والمقعد وبيت المسنين والحاره والزقاق.. وجميع هذه الأنشطة تعمل على إحياء وظيفة البيئة القديمة فى حياتنا المعاصرة.

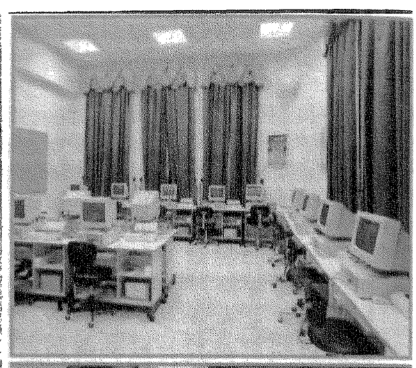
بالاضافة الى ذلك فإن مبرة الطيبات الخيرية بها الأنشطة والانظمة التالية:

«علوم القرآن - علوم مهنية - علوم تاريخية - علوم حديثة - علوم اجتماعية - أنشطة رياضية - القيافة للرجل والمرأة».

وفى القسم الثانى - العمارة - تم تجسيد بعض معالم الحياة فى المنطقة الغربية حيث احتوت المبرة على الكثير من عناصر ومفردات وظيفة البيئة مثل الأعمال الخشبية والجبسية والحجرية بمختلف أشكالها وأنماطها..

والقسم الثالث - التخطيط - يعكس حركة الإنسان فى داخل المدينة قديماً مستمتعاً بمناخها المعتدل رغم حرارة الجو فى الخارج وذلك نتيجة لتخلخل الهواء عبر أزقتها وحواريها ومبانيها المتباينة الارتفاعات. وإذا كان صاحب المبرة قد هدف من إنشاء متحفه الى إحياء طبيعة الحياة التى عاشها فى الحارة ومنازلها ورواشينها فى جدة القديمة.. والتى كانت تقوم على المحبة والتكافل الاجتماعى بين أهلها، فإنه قد نجح تماماً فى تحقيق هذا الهدف الذى كان سباقاً إليه غير باخل بمال أو جهد فى







مبنى المبرة نموذج مصغر لإحياء المباني التراثية بالمنطقة الغربية من المملكة

سبيل الوصول الى غايته التى نشدها بإنجاز بناء هذا المتحف..

ولا شك أن الجهد الذى بذله صاحب المتحف على مدار ثلاثين عاماً لم يذهب سدى بل أثمر واحداً من أرقى واشمل المتاحف فى العالم.. حافظاً بذلك للأجيال القادمة من ابناء المملكة تراثهم وتقاليدهم حتى يعيشوا محافظين عليها متى بقيت الحياة.

كذلك كانت «مبرة الطيبات» برهاناً صادقاً من جانبه على حرصه الدائم على إحياء العمارة الاسلامية والعربية.. والمحافظة على الحضارة والثقافة العربية والاسلامية حيث توفر بما فيها من أقسام الفرصة للملتحقين بها للإفادة من كافة العلوم والمهن الحديثة والقديمة وذلك بهدف المزج بين الاثنين فى منظومة مدروسة للمحافظة على التراث فى وجه زحف الحياة العصرية.

مُسَابقة أرامكو السُّعودية السّنويّة السّادسة عَشرة لرُسُوم الأطفال

دَعوَة إلى جميع الأطفَال بالمملكة

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية السادسة عشرة لرسوم الأطفال اسهامًا منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى البنين والبنات في المملكة العربية السعودية.

ملاحظة هامة:

يُرجى من المشاركين قراءة نظام وشروط المسابقة بعناية واتباعها بدقة حتى لا يؤدي الإخلال بها إلى استبعاد الرسوم من المسابقة كما حدث - مع الأسف - في بعض الأعوام الماضية.

شروط المسابقة

١- يحق لكل طفل لا يزيد عمره على ١٤ عامًا ويقيم حاليًا في المملكة أن يشترك في المسابقة.

٢- للطفل كامل الحرية في اختيار موضوع الرسم أو حجمه أو المواد والخامات المستخدمة في تنفيذه.

٣- يتقدم المتسابق برسم واحد فقط، على أن يكون الرسم من عمله هو دون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين أو غيرهم. كما يجب أن يكون الرسم عملاً أصليًا غير منسوخ أو مشارك به في مسابقة أخرى.

٤- يجب تثبيت نسخة من إحدى القسيمتين أو صورة منهما، الأولى على ظهر الرسم المشارك والأخرى منفصلة ترفق مع الرسم لاستخدامها في ملفاتنا. كما يجب ملء جميع البيانات المطلوبة فيهما طباعة أو بخط واضح حتى يُعَدّ الرسم صالحًا للدخول المسابقة.

٥- يجب أن يكون الرسم مرتبًا ونظيفًا قدر الإمكان مع عدم كتابة أية معلومات عن الطفل أو الرسم على الرسم نفسه.

٦- يجب تغليف الرسم، أو مجموعة الرسوم المرسلة من المدارس، في ظرف أو مغلف من الورق المقوى للحفاظ عليها من التلف أثناء نقلها بالبريد.

٧- جميع الرسوم التالفة أو المخالفة للشروط المذكورة سابقًا لن تدخل المسابقة.

٨- تعتبر جميع الرسوم المرسلة للمشاركة في المسابقة ملكًا لأرامكو السعودية. وتبقى هذه الرسوم في حيازة إدارة العلاقات العامة بالشركة التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسب ما تراه مناسبًا.

٩- آخر موعد لتسلم الرسوم هو يوم الأربعاء ٢٩ شوال ١٤١٥هـ (١٥ مارس ١٩٩٥م) ولن يدخل المسابقة أي رسم يصل بعد هذا التاريخ ما لم يتم التأكد من أن سبب تأخر وصوله هو البريد وذلك عن طريق ختم البريد على الظرف.

١٠- تشكل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تحكيم من ذوي الخبرة والمعرفة في الفنون لاختيار الفائزين في المسابقة، ويعتبر قرار هذه اللجنة نهائيًا.

١١- بعد فرز النتائج يتم إعلان أسماء الفائزين في الصحف والمجلات السعودية، كما يتم الإبراق لكل فائز بالنتيجة على عنوانه.

١٢- ترسل جميع الرسوم على العنوان التالي:
إدارة العلاقات العامة - الغرفة ٢٢١٢ - مبنى الإدارة الشرقي
أرامكو السعودية - الظهران ٣١٣١١

خصصت الشركة للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسين جائزة قسمت إلى الفئات التالية:

الجوائز

- خمسون جائزة للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات.
- خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات.
- خمسون جائزة لمن تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة.

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى قسم النشر بإدارة العلاقات العامة على الهاتف رقم ٨٧٤٤٤٢١ أو الهاتف رقم ٨٧٤٦٢١٢ مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق.

يجب ملء هاتين القسيمتين أو صورة منهما وتثبيت واحدة على ظهر الرسم المشارك وإرفاق الأخرى منفصلة مع الرسم.

مسابقة أرامكو السعودية السنوية السادسة عشرة لرسوم الأطفال

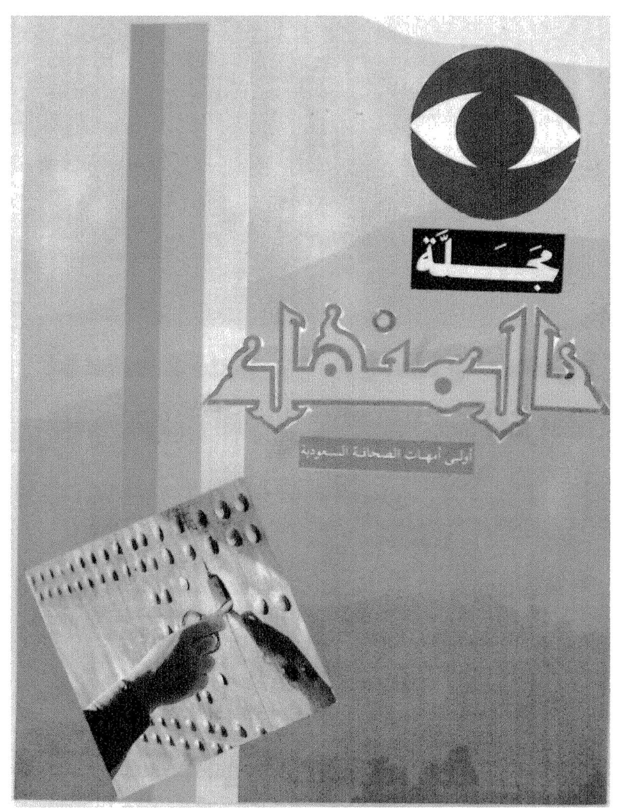
اسم الطفل كاملاً:
تاريخ ميلاد الطفل: عمره:
الصف الدراسي:
اسم المدرسة:
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً:
ص.ب
المدينة: الرمز البريدي:
الموقع:
الشارع:
رقم الهاتف:
رقم الناسخة الهاتفية (الفاكس):
نوعية الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ:
موضوع أو عنوان الرسم المشارك:
التاريخ:

مسابقة أرامكو السعودية السنوية السادسة عشرة لرسوم الأطفال

اسم الطفل كاملاً:
تاريخ ميلاد الطفل: عمره:
الصف الدراسي:
اسم المدرسة:
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً:
ص.ب
المدينة: الرمز البريدي:
الموقع:
الشارع:
رقم الهاتف:
رقم الناسخة الهاتفية (الفاكس):
نوعية الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ:
موضوع أو عنوان الرسم المشارك:
التاريخ:


لا إله إلا الله محمد رسول الله
بمناسبة ذكرى اليوم الوطني
للمملكة العربية السعودية
تقدم
أسمى آيات التهاني وأجمل الأماني إلى
خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
وإلى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وإلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وإلى حكومة المملكة العربية السعودية
وإلى الشعب السعودي الكريم

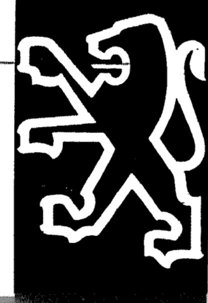
{٦٠} عامـــاً
مـن الاشعاع الفكري المتميز



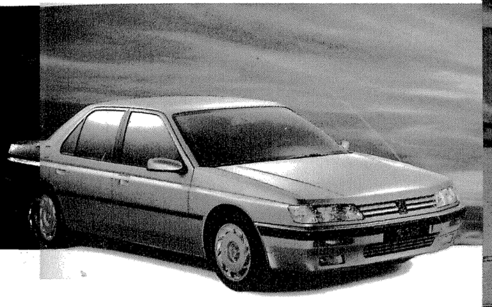
تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي/ جدة ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٩٢٥ ت/ ٦٤٣٢١٢٤ - فاكس/ ٦٤٢٨٨٥٣

PEUGEOT 605



وقفة هادئة ونظرة خاطفة تحدد لنا ملامح الفخا
الاستثنائية في السيارة التي حازت عن جدا
مواصفات الأناقة والعراقة.. عند دخولك سيا
بيجو ٦٠٥ 3.0SV يلفت نظرك المقود المغلف بالجلد النا
وتلمس يداك خشب شجر الجوز الذي يدا
بحنان لوحة القيادة والكونسول والأبوا
انه لشعور بالرضى والاحساس العاطفي في
ميزة من الميزات الاستثنائية التي توفرها بيجو ٦٠٥





من الجمجوم
خصومات خاصة
على موديلات ١٩٩٤
امكانية التقسيط

605



المتوكل للسيارات الإليات
محمد نور صلاح جمجوم واولاده

قمة الأناقة والجمال
روعة في خطوط تصاميمها
قوة في السيطرة على الطرقات
بيجو



PEUGEOT

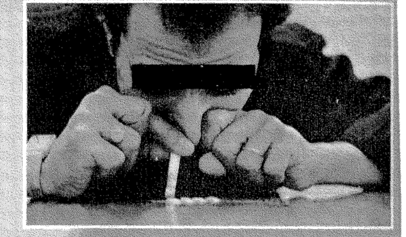
جدة طريق مكة – كه – ت: ٦٨٧٢٦٢٢/٦٨٧٥٦٨٧/ ٦٨٧٥٤٩٧ ٦٨٧٢٤٦٦/ ٦٨٧٢١٦٨ فاكس: ٦٨٧٦٥٢٥
تلكس: ٦٠١٣٦٥ فيراس جي - ص. ب. : ٢٥٣٨ جدة ٢١
مكة المكرمة: ٥٤٣٣٠٢٤ — المدينة المنورة: ٨٢٦١٢٥٥ - خميس مشيط: ٢٢٢٣٠٤١ - عنيزة

المنهل
AL MANHAL
العدد (٥٢٠) المجلد (٥٦) رجب ـ شعبان ١٤١٥ هـ / ديسمبر ٩٤ ـ يناير ١٩٩٥ م

في ذكراه الثانية عشرة

عبد القدوس الأنصاري رائد الصدق والالتزام

وار مع الأديبة السورية أنيسة عبود



لا للتدخين .. لا للمخدرات



بجسمك أمانة

مسئول عنها

اخل العدد

جلة السائح

جلة هن



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

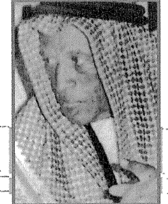
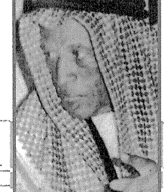
سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٨ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

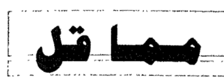
الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

مما قل



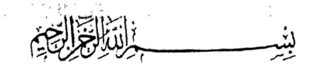
معجزة الإسراء

هي آية من آيات الله الكبرى، الناطقة بوحدانيته تعالي، وكمال قدرته ومبلغ اصطفائه لخليله ورسوله محمد ﷺ الذى بعثه الله الى الناس بشيراً ونذيراً، ورحمة ونوراً.

والحديث عن الاسراء ممتع وشائق، لما تجلى فيه من أسرار القدرة الربانية الباهرة وجزئياته وكلياته قد استوعبتهما اسفار التفسير والحديث، واشادت بهما قماطر السيرة والتاريخ. ولكن الإسراء بما حواه من سامي المعاني وجلائل الآثار ولطائف الإشارات، سيظل دوماً مستوحى جميلا للكاتبين والمفكرين ومرتاداً خصباً زاهراً للباحثين والمتأملين.. ففى إحدى ليالى هذا الشهر الاغر (رجب) أسرى بجسد النبى ﷺ وروحه الطاهرين من المسجد الحرام (بتهامة) الى المسجد الاقصى فى (الشام) ومن ثم عرج به رأساً الى (العالم العلوي) فحياه أهلوه، واستقبلوه أبهج استقبال ، واستبشروا ببعثته واغتبطوا بعروجه وقدومه ورحبوا به ترحيب المقة والاخلاص، وشافه ابويه ابراهيم وآدام عليهما السلام واخوانه من الانبياء المصطفين الاخيار، وتلقى الوحي من رب العالمين، ورأى من آيات ربه الكبري، فما زاغ البصر وما طغى، وفي الليلة بعينها قفل النبي ﷺ الى مقره بمكة المكرمة. ففى هذه السرعة الخارقة، وفي صعود هذا الجسم البشري الشريف، وتغلغله في طبقات السماوات، بمجرد قدرة الله تعالى وارادته وفي أوبته فى ليلته، بعد انجاز ريادته السامية ابدع انجاز، فى كل ذلك يتمثل جانب مهم من جوانب الاعجاز فى «معجزة الاسراء» وهكذا كرم الله عبده ورسوله فرقاه الدرجات العلى وجعل له لسان صدق في الآخرين ﷺ.

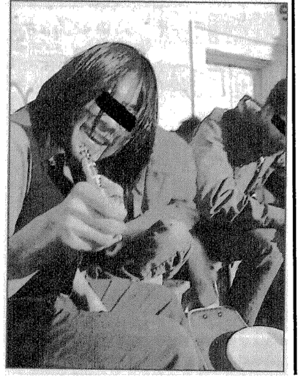
«عبدالقدوس الأنصاري»

رجب ١٣٥٧هـ/ سبتمبر ١٩٣٨م



لقطة الشهر

لماذا يسعى الانسان الى حتفه بيده؟!!
ألأنه لا يعلم أن في المخدرات حتفه؟!!
أم يعلم، ولكنه أمام ثورة الشهوة الجامحة..
لا يستطيع السيطرة على نفسه؟!!
المخدرات = دمار وانتحار!!!



○ اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة - تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس : ٦٦٠٤٦٧٦



عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.





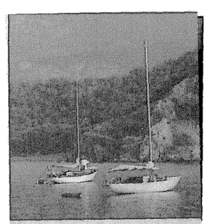
غلاف العدد

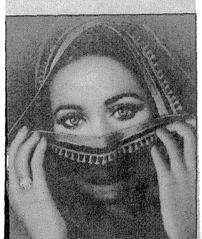
في هذا العدد

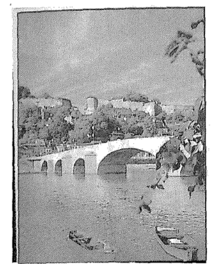
رجب - شعبان ١٤١٥هـ/ ديسمبر ٩٤ - يناير ١٩٩٥م

المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٢٠)
المجلد: (٥٦)
العام: (٦٠)







أيام في بلجيكا

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

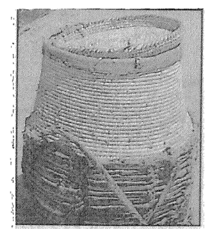
منهليات

المنهل.. رؤى مستقبلية

العدد السابق «العمارة والمدينة الإسلامية».. كان بداية انطلاقة جديدة، وعهد جديد، وطفرة جديدة لمجلتكم المنهل.. وهذه طبيعة العطاء الصحفي المتجدد.. عطاء ينظر الى الغد برؤى مستقبلية تستجمع الأيام من أطرافها، ليصنع من خيوطها نسيجاً رائعاً.. نسيج الكلمة الراقية، في اطار يقرب اليها محبها..

في العدد السابق وفي هذا العدد والأعداد التالية - باذن الله تعالى - يجد محبو المنهل من الكتاب والقراء المتابعين لحركتها تجديداً في أسلوب التبويب والترتيب، وفي أسلوب الاخراج والمونتاج والجمع والطباعة.. ذلك لأن المنهل قد أدخل نظاماً متكاملاً للكمبيوتر في الجمع والاخراج، هذا فضلا عن المنهجية الجديدة في الهيكلية العامة للأعداد الشهرية العامة، والأعداد السنوية الخاصة..

... لكم، ومن أجلكم محبي المنهل نسلك طريق كل جديد له افادته ونفعه ونسعد بكم دائماً..



متحف التراث السوداني

إضاءة

- حضارة الماديات عرجاء... ما تلبث أن تنكفىء على مناخيرها..
- الاعتزاز بالعقل فقط.. ضياع ودمار..
- قفل باب الاجتهاد أضر كثيرا بدفع حركة الحياة..
- أدب العبث صور الانسان وحشاً كاسراً..
- المرزباني لم يكن شاغله رصد أخطاء الشعراء..
- الحضارات السابقة تحطمت على جدار الانحلال..
- الحضارة المؤمنة تؤمن بعالمي الشهادة والغيب..
- الأقليات الدينية أكثر أماناً وحرية في الدولة المسلمة.
- الشخصية النموذجية تشكل الحيز الأكبر في الرواية.
- التعبير السردي عيب فاضح في القصة الحديثة..
- لم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الا قال شعراً أو تمثل به..
- العين.. حالة سجالية في تاريخ التأليف اللغوي والمعجمي..

كـــل خليـــة فـــي جسمـك

أمانـــة .. أنـــت مسئول عنها


أحد المدخنين في مرحلة المعالجة..

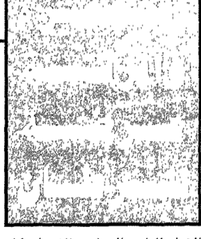
لا للتدخين


التدخين.. يلوث البيئة وينهي الرئتين

* المنهل فى حوار مفتوح مع الدكتور كمال الجوجرى إستشارى العلاج بالابر الصينية بمستشفى عرفان.

تقديم :

الدكتور كمال الجوجرى ..رئيس جمعية مكافحة التدخين ونائب رئيس الاتحاد العالمى لعلاج الإدمان بالإبر الصينية .. واستشارى العلاج بالإبر الصينية بمستشفى عرفان التخصصى بجدة. تلمس وأنت تتحدث معه.. هذا النوع من الحماس القوى .. فى فكره وإصراره.. ولا نغالي اذا قلنا تبنيه لمشروع «محاربة وباء التدخين» كما يسميه.. وهو بهذا العمل يهدف اول ما يهدف الى حماية شبابنا - عماد امتنا - ومستقبل ايامنا .. والى حماية كل فرد وقع فى شرك هذا



الخطر الداهم الساحق الذى لا يكاد بيت يخلو منه.

وكان للمنهل هذا الحوار المفتوح حول التدخين وآثاره السلبية صحيا واجتماعيا.. ووسائل التخلص من سيطرة هذا العدو

حوار:
نادر صلاح الدين - مصر

المدمر.. لنخرج بهذا التحقيق الحي عن آفة تؤرقنا كثيرا.. ونقول لا للتدخين.. بوابة المخدرات.

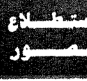
التدخين عادة.. مجرد عادة

التدخين عادة سيئة - أُسَمِّيه وباء وهو ليس إدمانا .. ويمكن التغلب على العادة بسهولة اما التغلب على الإدمان فأمامه عوائق كثيرة - وقد نحتاج الى وقت اطول للتخلص من الادمان.

كم النيكوتين الداخل الى الدم - ألا يؤدى الى الإدمان؟.

خطر اسمه القطران.؟

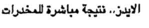
النيكوتين مادة منبهة واستعمالها فى الجرعات الطبية المعروفة قد لا



الدورة الدموية، القلب، الجهاز التنفسي، الجهاز العصبي
إن كانت لا تهمك.. استمر في التدخين!



النبتة القاتلة



الايدز.. نتيجة مباشرة للمخدرات

ـين لا للمخدرات



الإبر الصينية يضعها الدكتور كمال الجوجري في أذن أحد المدخنين

يضر - انما الضرر يأتي غالبا من زيادة كمية النيكوتين والاكثر ضررا - الاشياء المكونة «للسيجارة» الورقة - والشوائب المختلطة بالنيكوتين.. ومنها القطران - فنسبة القطران والشوائب التى تستعمل فى البلاد النامية اكبر من التى تستعمل فى اوربا او امريكا.

وراء التدخين اسباب اجتماعية ونفسية.؟

التدخين يبدأ دائما عند الصغار .. عندما يتشبهون بالكبار وهذا خطر كبير.. فى البداية يعتبرون ان المسألة فيها رجولة وشجاعة - وباندماجهم مع إخوان السوء - يزداد عندهم التدخين وتصير العادة قوية لديهم - ويقعون تحت سيطرة هذا الوباء الذى يؤدى الى كثير من المضاعفات والآثار الجانبية.

كذلك لاحظنا ان نسبة التدخين فى الأسر التى يدخن الوالد فيها او الوالدة اعلى بين الأبناء - والعكس بالنسبة للأسر التى لا يدخن فيها الوالد او الوالدة.. وهذا سلوك يجب ان نضعه فى الاعتبار - فالاسرة هى القدوة.

ومن اسباب التدخين ايضا ودوافعه - الظن الخاطىء بأن التدخين يساعد على التفكير السليم

وانه يقضى على بعض المشاعر النفسية المتعبة.. وأؤكد ان التدخين يزيد من هذه المتاعب.

التدخين.. بوابة الدخول الى ادمان المخدرات؟

فعلا التدخين هو الباب المفتوح لإدمان المخدرات.. المخدرات تأتى بجلسات بسيطة تزيد شيئا فشيئا - والبداية هى التدخين.. وهذا هو الخطر الداهم الذى نحاربه.

الخسارة المادية لا تهم.. المهم الصحة:

هذه الأجهزة قد تتوقف عن العمل فجأة فاحذر التدخين والمخدرات

يتأثر بالتدخين كثيرا - ويترك فى المدخن حالات من عدم التركيز - وتزيد دقات القلب - ويؤدى الى السهاد.. والسهر.. كما أنه احيانا يفقد القدرة على التذكر جيدا.. وهذا يتضاعف (فى حالة شرب القهوة السوداء مع التدخين) والكف عن التدخين - تلك العادة السيئة يؤدى الى تحسن مطرد فى تلك الأجهزة.

وندخل مرحلة العلاج.. علاج التدخين بالإبر الصينية.؟



مصير لا نتمناه لأحد..



نبتة الحشيش أو القنب الهندي

الخسارة المادية لا تهمنا بقدر ما تهمنا الخسارة الصحية - فالتدخين يؤثر تأثيرا سيئا على جميع اجهزة الجسم وخاصة - الجهاز الدورى - الدموى - الجهاز التنفسي - والجهاز العصبي.

وبشيء من التفصيل.؟

بالنسبة للجهاز الدورى الدموى.. فحالات الذبحة الصدرية تزيد كثيرا عند المدخنن - فالتدخين يؤثر على جدران الأوعية الدموية المغذية للقلب - ويجعلها تتقلص وبالتالى تقل نسبة الدم الواردة الى عضلات القلب فيشعر الإنسان بآلام الذبحة الصدرية - كما ان تقلص الشرايين التاجية التي تغذى القلب



لا.. للتدخين

يؤدى الى جلطات في القلب ايضا - والعاقبة سيئة. وقد وجدنا أنه بزيادة التوعية ضد التدخين قلت النسبة.

وبالنسبة للجهاز التنفسي.. فالتدخين يؤثر كثيرا على الحنجرة والقصبة الهوائية والرئتين - وقد يؤدى الى نزلات شعبية مزمنة - وقد يؤدى الى سرطان القصبة الهوائية والرئة.

وبالنسبة للجهاز العصبي.. فهو

كانت هناك دائما محاولات للإقلاع عن التدخين باستعمال وسائل بدائية - كالمضمضة - مضمضة محلول الفضة ١٪ وببعض انواع اللبان - وبعض اقراص النيكورين وهى من النيكوتين. واخيرا بدأ فجر العلاج ببزوغ الإبر الصينية.. والعلاج بالوخز اول ما نشأ نشأ عند قدماء المصريين منذ سبعة آلاف سنة - ثم انتقل الى الصين التى زاولته منذ ثلاثة آلاف سنة ولا تزال تزاوله حتى الآن وانتشر بعد ذلك فى جميع انحاء العالم وصار له مراكز كبيرة واعترفت به الصحة العالمية عام ١٩٧٩م وذكرت فوائد الأبر الصينية

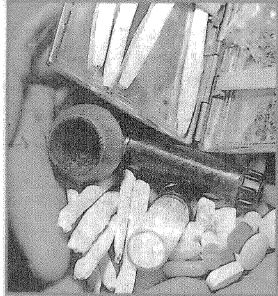
استطلاع مصور

هذه الابر تظل في أذنك

بادا اوصيت السيجارة في يدك

واكدت انه لا توجد اية آثار جانبية للعلاج بالإبر الصينية.. وباندماج الطب الغربى مع الطب الشرقى استحدثت وسائل واجهزة جديدة للعلاج.. منها علاج التدخين وعلاج الإدمان بالإبر الصينية.

وعلاج التدخين بالابر الصينية يكون عن طريق الأذن بما نسميه بالطب الأذني - وايضا حول الأنف - وهو الطب الأنفي الوجهي ويكون باستعمال الإبر الصينية - حيث تتمثل اول درجة في اننا نفصل



تعددت الأسباب والموت واحد..

هذا الجنين ضحية أم مدمنة للتدخين..

كهربائيا الأماكن الخاصة بالإقلاع عن التدخين في الأذن ثم نستعمل بعد ذلك الإبر اللاصقة - والإبر اللاصقة صغيرة جدا - لا يتعدى طولها ١ مللم أو ٢ مللم - توضع فى اماكن معينة فى الأذن (كما هو مبين فى الصورة) لمدة اسبوع.. واستحدث الصينيون بدلها مؤخرا حبات نباتية تستعمل فى الأذن بدلا من الوخز بالإبر.. ولكن الأحدث هو استعمال شعاع الليزر بدلا من الإبر - فى الأذن - والأنف .. ونحن نستعمل ذلك بكل نجاح ولله الحمد.

والإبر الصينية لعلاج إدمان المخدرات؟

لقد تدرجنا فى العلاج ..

لا .. للمخدرات

ووجدنا انه يستعمل فى حالات إدمان المخدرات وفى الولايات المتحدة فى نيويورك مركز لعلاج إدمان المخدرات بالإبر الصينية وقد زرت هذا المركز الذى تديره جمعية اجتماعية.. ووجدت ان هناك حوالي ٢٠٠ حالة تعالج بالإبر الصينية ونسبة حالات النجاح كبيرة - وقد حصلت على معلومات (وفيديو تيب) عن طرق العلاج هناك - ولازلت ازاول تلك الطريقة بنجاح فى علاج حالات الإدمان.

وهنا ايضا .. نطبق العلاج بنجاح منقطع النظير.

ونعالج الادمان ايضا عن طريق (اسبوع الشفاء) الذى يقيمه الأستاذ مصطفى امين فى اخبار اليوم .. ويسعدنى ان اذكر اننى طبقت العلاج بالإبر الصينية لعلاج الادمان على ١٣٢٣ حالة وكانت نسبة النجاح الكامل ٦٦٪ او اكثر خلال ستة شهور وهى نسبة مرتفعة جدا .. وأود ان اذكر ان العلاج بالإبر الصينية غير مكلف من ناحية .. وغير ضار كيمياتيا مما قد يؤثر على الجسم وقد زادت تلك النسبة لكثرة التمرين والخبرة واستخدام احدث الوسائل.. وسيأتى الوقت الذى نتخلص فيه تماما وننقذ المدمنين - خاصة الشباب - سلاح المستقبل من هذا الوباء المستفحل.. التدخين - بوابة الدخول للمخدرات.



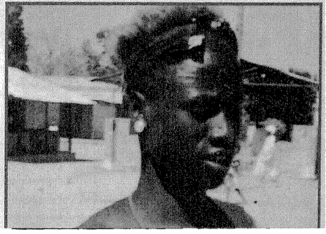
متحف

يعرض ثقافات القبائل

واحد من أبناء شرق السودان



فتاة من غرب السودان بزينتها التقليدية



وجه من جنوب السودان

الزي التقليدي للمرأة في شرق السودان

دور المتحف الأساسي

تقديم الكنوز الثقافية للسودانيين والأجانب

متاحف

التراث السوداني

وأنماط حياتها اليومية وسبل كسب العيش والأزياء



مجموعة من الصناعات اليدوية الشعبية

عثمان عابدين
الخرطوم

يمتلك السودان ثروة هائلة من التعبيرات الثقافية والاجتماعية التي تشكل نتاجاً موضوعياً للتعددية الاثنية المميزة للبلاد، وتعتبر الرسالة الاساسية لمتحف التراث الشعبي منذ انشائه في عام ١٩٥٦ تقديم هذه الثروة وجعلها في متناول الزوار.

انشاء المتحف :

ترجع بدايات المتحف الأولى إلى أوائل هذا القرن قبل أن يفتتح في أول ديسمبر ١٩٥٦ حيث ساهم في جمع مقتنياته المهتمون والمسئولون بالمديريات والدراسات الاجتماعية وجمعت هذه المقتنيات في كلية غردون (جامعة الخرطوم حالياً) ثم المتحف القومي بالكلية ولكن قبل ذلك كانت مقتنيات المتحف تحفظ في

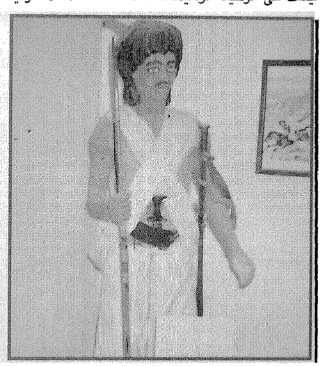
نادى ضباط الجيش الانجليزى ثم آلت ملكيته بعد هذه الرحلة الى مصلحة الآثار.

الوظائف :

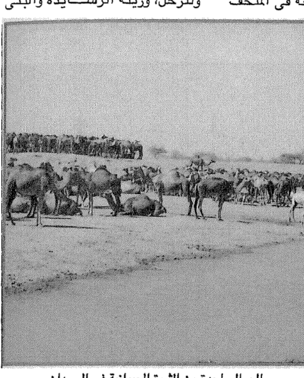
دور المتحف الاساسى تقديم هذه الكنوز الثقافية للمواطنين وللزوار الاجانب بصورة لائقة.. لكن هذه ليست هى الوظيفة الوحيدة للمتحف ان المجموعات العرقية تُطوّر وتُنمّى نمطاً ثقافياً متشابها.. سواء أكان فى الادوات المادية ام السلوكية ام اللغوية.. وتتأثر بخواص اقليمية التأثر المتبادل فى الاقليم.

مثلا: الجنوب هو منطقة جغرافية متشابهة ولكن سكانياً هناك اختلافات عرقية، ولكنه فى المتحف كالهوسا.

هذه الثقافات كلها موجودة وممثلة فى المتحف - ولكن هناك صالة واحدة للمنطقة الشرقية، وهناك استحالة لعرض كل وحدة قبلية لوحدها، ولذلك تم تقسيم المنطقة الى وحدات ثقافية للمدن الساحلية وللرّحل، وزينة الرشايدة والبنى



أحد فتيان قبيلة الزبيدية في شرق السودان بزيه التقليدي



الجمال واحدة من الثروة الحيوانية في السودان

فـإلى جـانب ذلك يجب أن يقوم المتحف بوظيفة حفظ التراث، ولتحقيق هذا الهدف هناك ستة مخازن لحفظ كميات التراث القبلى - (العرقى) بغرض حفظها وصيانتها كما يساهم المتحف فى مساعدة الباحثين والدارسين فى مجال التراث الشعبى، ويساهم ايضا فى المعارض العامة الى جانب دوره التعليمى والتثقيفى والترفيهى.

ويحوارنا مع مدير المتحف كان هذا الاستطلاع:

فلسفة العرض:

قسمت المحتويات الى مناطق ثقافية رئيسية.. والمنطقة الثقافية هى تلك المناطق التى طورت منها القبائل ادوات مادية وانماط لتنظيم حياتها اليومية متشابهة نسبياً. اى عومل باعتباره وحدة واحدة.. وهو بذلك يعطى صورة تمثيلية وتقريبية مناسبة. عموماً التقسيم الى مناطق ثقافية بشكله الحالى يعطى صورة تقريبية، وقد تكون هناك مجموعات قبلية تخطاها التمثيل نسبة لضيق المساحة ولكن بعامة المتحف يعطى صورة مناسبة للمتاحف الثقافية فى السودان.

مثلا: (البجة) فى المنطقة الثقافية الشرقية - فى هذه المنطقة توجد قبائل الهدندوة والبنى عامر والبشاريين والحلنقة والأمرأر، هذا غير القبائل العربية كالشكرية والرشايده، هناك ايضا مهاجرة مثل الحلفاويين إضافة الى اللاجئين للمنطقة من الدول المجاورة مثل الاثيوبيين والارتيريين والوافدين عامر.

لذا قد يأتى أحد من قبيلة الامرأر ويحتج بأنه غير ممثل فى هذا المتحف ولكن نجد أن قبائل الامرأر والحلنقة هم فى الواقع فروع من قبيلة الهدندوة الكبيرة وبالتالى ممثلون تلقائيا فى المعرض، والبجة هم السكان الاصليون للمنطقة بقبائلهم المختلفة من عبابدة وبشاريين وأمرأر وهدندوة وبنى عامر والذين ولازالوا يتحدثون لغتهم الاصلية «تابداوى».

أشكال قديمة:

فى عام ١٩٧٦ تم تجديد العرض على طريقة النظم الاجتماعية.. حيث تفرد صالات للمجتمعات القروية وصالة للمجتمعات المروية، وصالة لادوات الصيد، وصالة

للادوات الموسيقية وقد استمر هذا الى ١٩٨٨ - حيث تم تغيير العرض الى المعرض الحالي، وهو يعتمد على قاعدة «الوحدة من خلال التعدد، وفيه قسم السودان الى مناطق ثقافية تمثل اربع مجموعات عرقية. مما يجعله وكانه يؤكد ويعكس التعددية والتنوع، الا انه يعكس من ناحية اخرى ظواهر الوحدة على امتداد التراب الوطنى. فمن خلال عرض ظروف الحياة والتقنية والفن الابداعى يحاول المتحف ان يدعم مفهوم الامة الموحدة . ويؤكد وجود الاستمرارية فى الحياة السودانية، والثقافة السودانية.

كيفية الجمع :

عملية جمع المجموعات المتحفية ترجع الى بدايات هذا القرن.. ولكنها ظلت تتواصل منذ ذلك الوقت وهى مستمرة الى اليوم.. مثلا هذا الصباح كان المفروض ان اذهب لأشترى ابريق بلاستيك من سوق التحف وادوات تستعمل فى «الجرتق» لأنها ربما تنقرض فى المستقبل، نحن نجمع كل شيء خاص بحياة الناس اليومية.. كل شئ، ونتابع هذه المسألة فى كل احوالها وتطورها وجمع المعلومات اللازمة بالتفصيل - ونحضر القطعة الى المتحف ونعطيها رقماً متسلسلاً عبارة عن بطاقة عليها كل المعلومات والتاريخ.. وفى هذا لا نفصل القطعة عن بيئتها ووظيفتها.

ثقافات فى طريقها للانقراض:

«هناك ثقافات معرضة للانقراض.. بسبب الجفاف والتصحر الذى ضرب مناطق عديدة من كردفان ، بدأت بعض المجموعات القبلية تهاجر من مواطنها الى المدن والعاصمة، وفى رحلة العذاب تبيع النسوة حليهن وكل مقتنياتهن التراثية من ختم وحلى مختلفة.. وهذه تشكل ثقافات مهددة بالانقراض.. ومن مهام المتحف ان يحاول حفظ هذا التراث الثقافى، نحن نحتاج الى التوثيق اليومي.. فمسألة التراث قضية يومية ومستمرة من حيث جمعها اليومى وتوثيقها فى سجلات المتحف».

الفن الرمزى فى السودان :

«النحت بصفة خاصة ظاهرة نادرة في السودان - وهذا النوع من



الفنون كان ممارساً بحد معلوم في العصرين المروى والمسيحى، وبما ان الاسلام له موقف من النحت ، وكذلك التقاليد غير الاسلامية على امتداد شرق افريقيا، لذا فإن الانجازات فى هذا المجال محدودة. وفى السودان نماذج فن النحت والابداعات الاخرى للفن الرمزى تم انتاجها بواسطة الزاندى فى غرب الاستوائية وبواسطة البلاندا والبونجو فى المناطق المتاخمة لبحر الغزال».

متاحف

«لقد شكلت المسلات الخشبية لتلك المجموعات قبور الشخصيات الهامة من صيادى الحيوانات المفترسة البارعين، وهنالك ايضاً الابواق الخشبية التى يشكل جزؤها الأعلى على هيئة جسم بشرى، وانتجت ايضا الاقنعة ذات الطبيعة الطقوسية وكذلك التماثيل الحيوانية من الخشب أو الطين - وقد وجد هذا النوع الاخير من التماثيل لدى الشلك والمجموعات الاخرى فى جنوب السودان».

المناطق الثقافية :

* وبعد فما هى المناطق الثقافية التي قسم عليها السودان ؟

* وما هى الخصائص التراثية لكل منطقة؟

١ - المنطقة الثقافية الشرقية:

هذه المنطقة تمتد من البحر الاحمر الى الصحراء فى حوض النيل، ومن الحدود المصرية وحتى الحدود الأثيوبية - وتحتل تلال البحر الأحمر جزءا من المنطقة وتمتد إلى السهول الواقعة بين نهرى عطبرة والرهد عبر سهول البطانة الرملية والقضارف.

و(البجة) هم السكان الاصليون للمنطقة - كما ذكرنا من قبل - بقبائلهم المختلفة من عبابده وبشاريين وامرأر وهدندوه وبنى عامر، وهم يتحدثون اللغة التابداوية.

وفى المنطقة الواقعة جنوبى نهر عطبرة تعيش القبائل العربية التى تشكل قبيلة الشكرية مجموعتهم الاساسية. وفى النصف الثانى للقرن التاسع عشر وصلت موجات هجرات الرشايدة الى المنطقة قادمة

من شبه الجزيرة العربية.

وقد ركز المعرض على ابراز الادوات من المدن الساحلية بخاصة من سواكن، ومنتجات المجتمعات البدوية والمعدات الزراعية للمزارعين المستقرين باعتبار تلك خواص اساسية للمنطقة.

٢ ـ المنطقة الثقافية الشمالية:

ان المنطقة المعروفة بشمال السودان، تمتد من الحدود المصرية الزراعية من نسيج وصناعة سفن .

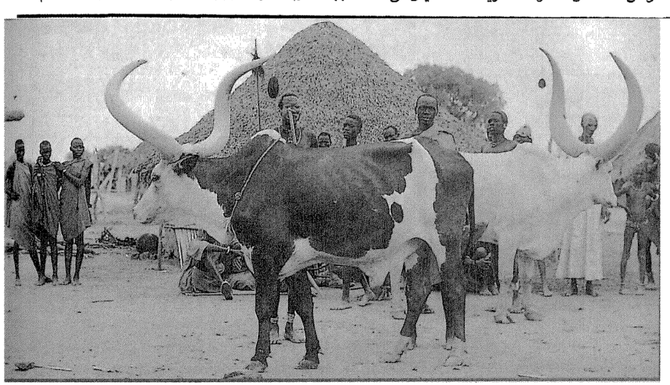
٣ – المنطقة الثقافية الجنوبية الوسطى:

وتشمل منطقة جبال النوبة من كردفان، واقليماً آخر يمتد على طول الحدود الاثيوبية من الدندر شمالا وحتى السوباط جنوباً. هذه المنطقة ذات مميزات جغرافية واثنية «عرقية» متشابهة.

تعيش فى منطقة جبال النوبة اكثر بثراء الممارسات الطقوسية، التى تتدرج من الرقص بانواعه الى الصراع التنافسى والقتال بالعصى، وهم يهتمون بصورة خاصة بالزينة ووشم الجسم.

٤ ـ المنطقة الثقافية الغربية:

وتمتد هذه المنطقة من الحدود التشادية حتى النيل الابيض، ومن اطراف الصحراء حتى بحر الغزال وجبال النوبة. وهو يعتبر من أهم



جنوب السودان.. حيث غزارة الأمطار والخضرة لذا فهم يهتمون بتربية الأبقار

الى الحزام السهلى فى دارفور وكردفان، كما تشمل منطقة الجزيرة والناس اساساً يعيشون على ضفتى النيل ـ وقبل اربعة الف عام قام الناس بفلاحة الارض مستخدمين مياه النيل.

ويقطن المنطقة النوبيون، وقبائل الشايقية والجعليين والمناصير والرباطاب والحسانية فى غرب النيل، ومن المعروف ان حوض النيل شمالى الخرطوم كان مركزاً لنشوء الحضارات السودانية القديمة ـ ويركز العرض فى المتحف على المنتجات الحرفية المتقدمة للثقافة من ثلاثين مجموعة اثنية تتحدث لغات مختلفة، ولكنها ثقافياً اكثر تجانساً.

ويمكن ملاحظة تشابه واضح فى طرق الحياة وأساليب العيش بين النوبة من جهة والفونج من جهة أخرى. ومن أمثلة ذلك التماثل فى طريقة اعداد المحطات الزراعية وطرق التسميد وتخزين وحفظ المياه، ويمكن تفسير ذلك جزئيا بحكم التشابه الايكولوجى فى بيئتهم وبانهم لابد لهم من تطوير استراتيجية للبقاء فى بيئة جبلية متشابهة ـ كما تتميز هذه المناطق مناطق الرعى وتربية الحيوانات فى السودان. فنجد الاباله «رعاة الابل» الذين ينحدرون من اصول عربية كالهواوير والكبابيش ودار حامد والكواهلة والحمر والرزيقات الشماليين بالاضافة الى الزغاوة من العناصر غير العربية ويمارس هؤلاء رعى الابل فى الحزام الساحلى الفقير.

اما شبه الرُحل من البقارة «رعاة البقر» كالمسيرية والرزيقات والهبانية والفلاته وبنى هلبة والتعايشة يرعون الابقار فى مناطق السافنا الى الجنوب ـ ومعظم المجموعتين

يمارسون الزراعة، وخاصة «الدخن» كمحصول غذائي، وكذلك هم مشهورون بصناعة القطع والاثاثات الجلدية.

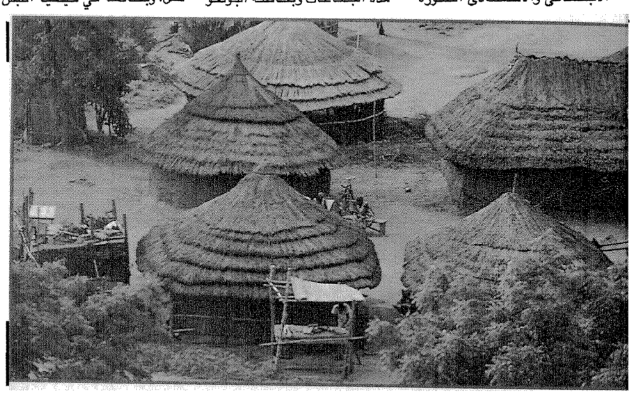
والفور، من الامثلة الهامة للجماعات الاثنية «العرقية» التي استطاعت تكوين دولة اسلامية قوية يمكن تتبع جذورها الى ما قبل القرن السادس عشر، ومن مظاهر تقدمهم الاجتماعي والاقتصادي الصورة المتقدمة لصناعة بعض القطع في ثقافتهم المادية.

والبلاندا والزاندى.

حب الأبقار:

حين يمارس الدينكا والنوير باعالي النيل الى جانب المورلي والتبوسا والديدنقا بالاستوائية رعى الابقار. ويجمع بينهم حبهم وتقديرهم لها، نجد في الجزء الغربي في مديرية بحر الغزال اعداداً كبيرة من القبائل تمارس الزراعة، وبعض هذه الجماعات وبخاصة البونقو والبلاندا قد اشتهروا بنحت شواهد القبور ـ وقد اشتهر الزاندى في غرب الاستوائية بخبراتهم العالية في اعمال الحديد والنحاس والنحت على الفخار، ويمثلون مركزاً هاماً لفن الرمز التقليدي في السودان. وقد اشتهروا بحسهم الفني العالي.

لسكان المدن ميولهم واختراعاتهم التي تؤثر في ثقافة وقيم المجتمع ككل، وبخاصة في كيفية اللبس والزينة ونوع الاثاث والمسكن وعادات الاكل ـ كل هذه الانماط تنشأ في المدينة اولا ثم يتأثر بها كل المجتمع، ولهذا فان القطاع الحضري اصبح مكملاً للمجتمع السوداني.



القبائل المتناثرة في أحضان الغابة تفضل أن تكون منازلها بهذه الطريقة..

٥ ـ المنطقة الثقافية الجنوبية:

يتكون الاقليم الجنوبي من السهول التي يغطيها الطمي في حوض اعالي النيل، وكذلك المساحة التي تغطيها التربة الحجرية حول خط تقسيم المياه بين السودان وزائير.

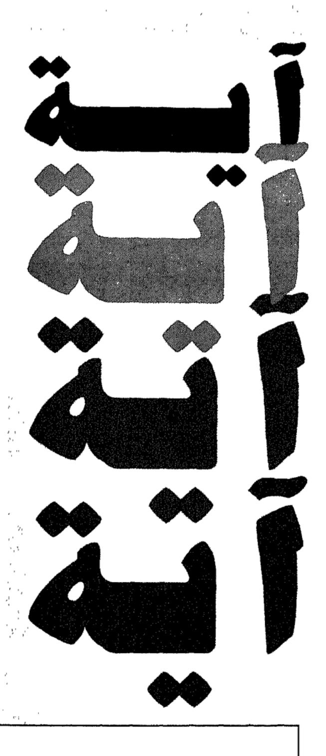
وجنوب السودان يعج بكم هائل من القبائل المختلفة عرقيا (اثنياً) والمختلفة اللغات، فهناك الدينكا، والنوير، والشلك كالمورلي، والتبوسا، والديدنقا، والانواك، والبونقو

٦ ـ المدن في السودان:

على الرغم من ان غالبية السودانيين يعيشون في الارياف، الا ان عدد سكان المدن في ازدياد مستمر وقد اصبحت المدن تمثل المراكز الادارية والتجارية والصناعية في القطر.

كما هو معلوم بان العاصمة المثلثة (الخرطوم، ام درمان، والخرطوم بحري) تمثل اكبر تجمع حضري ب بالبلاد ، وقد كان سكان العاصمة المثلثة حوالي السبعة ملايين في أخر تعداد، وما تزال الهجرة من الريف الى العاصمة في ازدياد مستمر، وان قلّت مؤخراً بسبب السياسات الزراعية الاخيرة.

شعر



كيف لا تعلم القلوب وتشهد
أن خير الوداد حب محمد
عشقته العقول طفلا زكيا
وغلاما غض الجوارح أمجد
وفتى راشدا ، وكهلا بصيرا
ورسـولا للعالمـين موحـد
وتغنت به الجوانح نشوى
وسما الأفق للنجوم مغرد
وصل الأرض بالسماء فأضحت
روضة بالوئام والحب تسعد
وسرى من بطاح مكة للقد
س ، على صهوة البراق مؤيد
عانق المسجدين بدءاً وعوداً
من ربى النور والبجاد المجَّد
سابحا في الفضاء جسما وروحا
حولـه الرسل والملائك سجَّد
هالة من زمرد وجمان
في سوار من لازورد وعسجد
أصلها في السماء بدر منير
وسنـاهـا فـي كـل قلب توقد
آية الخلق أن يكون رسول
من خيار العباد يهدي ويرشد
والحبيب الأمين طاب مقاما
في البرايا ، وطاب فرعا ومحتد
عنده يبلغ الفخار الثريا
وتتيـه العـلا على كل فرقـد



د. أبو فـراس النطافي - عـمـان

أي شعر في الخافقين ونثر
يبلغ الشأو في الحبيب محمد

أين مني مقام خير البرايا
كيف أوفيه حقه حين أنشد

أو من بعد مدحة الله فيه
يجد المادحون للشعر مورد

فاعذرني يا سيدي وحبيبي
قلَّ صبري على المصاب وأجهد

فدنت من حديقة النور روحي
تستمد المضاء من عزم أحمد

واذا قصَّر المديح فإني
واجد في الرجاء للشعر مولد

فديار الإسلام أضحت مشاعا
للأفاعي ، وللثعالب مرقد

وبيوت الرحمن تعبث فيها
زمر الشر والعداء المسمد

والقوارير يغتصبن جهاراً
والمروءات في المحافل توؤد

حسرة تحرق القلوب وتذكي
ثورة الحق في الدم المتجمد

وتحيل الرماد نارا تلظى
والدياجير أنجماً تتوقد

أمتي لا أقول كيف استكانت
أمة المجد للعدو المعربد

نحن أدرى بخيلنا وسرانا
في البطولات بالحسام المجرد

ما عرفنا الهوان يوما ولكن
أولياء الشيطان خانوا المهند

> الدراسات القرآنية، تظل اسهاماً جاداً في سبيل خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى، وتبيان أياته للناس من قبل العلماء المختصين..
> وعالمنا الاسلامي زاخر بالعديد من كبار العلماء الذين اشتغلوا بتفسير القرآن وتبيان اعجازه في كل مجالات الاعجاز، في اللغة، في التشريع، في البيان والوضوح، وفي آيات اعجازه في الكون والخلق.
> وهذه الدراسة تبين فضل أحد هؤلاء العلماء المشتغلين بدراسات القرآن الكريم وهو (الشيخ ابو الحسن الندوى) ومحاولاته في تسجيل الاعجاز العلمي للقرآن الكريم.
> وهذه الدراسة قدمت للندوة العالمية للأدب العربي التى عقدت في جامعة روضة العلوم (فاروق - كيرالا) فى الهند فى شهر شوال ١٤١٤هـ.
> فى عدد ربيع الاول ١٤١٥هـ، نشرت الحلقة الأولى من هذه الدراسة، ونكمل هنا ما انقطع من حديث.
>
> *المنهل*

من إسهامات

الشيخ أبي الحسن الندوي في دراسات اعجاز القرآن

الحلقة الأخيرة



بقلم:
أ. د: حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

روح السورة ومفتاح القصة:

جاء تحت هذا العنوان الجانبي القول «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» هي روح هذه السورة ومفتاح القصة.

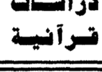
وقد أوصى الله تعالي نبيه - وكل قارئ للقرآن - قبل آيات بتفويض الأمر والقوة الى الله تعالى في المستقبل، وفيما ينويه ويريده في المستقبل، وأن يشترط كل إرادة وعزم بمشيئة الله تعالى فقال **«ولا تقولن لشئ إني فاعل ذلك غدا ، إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا»** (الآية/ ٢٣، ٢٤).

وهاتان - **ما شاء الله، وإن شاء الله** - كلمتان خفيفتان على اللسان يكثر النطق بهما من غير شعور. ولكنهما كلمتان ثقيلتان عميقتان، زاخرتان بالمعاني حاسمتان للمادية الرعناء، والاعتماد على النفس والإرادة.

وكما ربط الشيخ أبو الحسن الندوي بين قصة أصحاب الكهف المؤمنين وبين الحضارة المعاصرة المادية بقصد أن تهتدي بنور السماء، يربط بين قصة صاحب الجنتين المادي وبين هذه الحضارة المعاصرة المادية التى تعتمد على وسائل المادة وقواها اعتمادا شديدا بقصد أن يكون الإيمان بالإرادة الإلهية والاعتماد عليها من سمات الأمة مع السعي والجد والجهاد والأخذ بالتدابير اللازمة التي حث عليها القرآن الكريم وجرى عليها النبي ﷺ وأصحابه في حياتهم.

«وليس الفرد هو المخاطب الوحيد بقوله: **«ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا ، إلا أن يشاء الله»** (آية ٢٣ - ٢٤)، بل المجتمعات والحكومات والمنظمات والمؤسسات كلها معنية مكلفة بها. وهي روح المجتمع الإسلامي الذى يتغلغل فيه الايمان، وروح الحضارة التي تقوم على أساس الايمان بالغيب، وهي الفارقة بين الحضارة المادية والحضارة الإيمانية».

وإن صاحب الجنة الرجل المادي ينبهه صديقه المؤمن إلى أن زمام الأمور بيد الله تعالي فالغني ربما يفتقر، والفقير ربما يغنى، فلا غرابة إذا انقلبت الأوضاع، وذلك


دراسات قرآنية

الذي كان ، قال تعالى: «**ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله. إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا * فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا * أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا * ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا * هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا**» (آيات ٣٩ - ٤٤).

إن صاحب الجنتين لم يكن مشركا بالله كعامة المشركين، فليس في القرآن ما ينص على ذلك، أو يشير إليه. بل بالعكس يشعر أسلوب القرآن بأنه كان يعرف الله ويؤمن به فقد قال: «**ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا**» (آية ٣٦) ، فما كان شركه الذي تأسف عليه وقرع عليه سن الندم «**يا ليتني لم أشرك بربي أحدا**» (آية ٤٢) ، الظاهر الذي لا خفاء فيه أنه كان أشرك بالله الأسباب، فاعتقدها المصرفة المؤثرة التي يرجع إليها الفضل في رخائه وثرائه وازدهار ماله، واعتمد عليها ونسي الله وكفر بتأثيره وتصرفه.

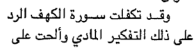
إن هذا هو الشرك الذي اتجهت إليه الحضارة العصرية المادية، فقد اتخذت الأسباب الطبيعية والمادية الفنية وأصحاب الاختصاص فيها أربابا وأولياء من دون الله.

وهكذا أضيف إلى الوثنية المعروفة قديما وثنية جديدة تتحداها سورة الكهف وتحاربها وتنعى عليها، وهذه السورة تمثل هذه الحياة الدنيا بالزرع الذي لا يلبث أن يكون هشيما «**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا**» (آية ٤٥) ، فليست الحياة الدنيا التي يؤمن بخلودها الماديون سوى طريق مؤدية الى الآخرة. وقد جاء في السورة الكريمة قول الحق جل وعلا: «**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**» (آية ٤٦).

وهنا يعرج الشيخ أبو الحسن الندوي إلى تبيين نظرة القرآن الى الحياة الدنيا فهي قصيرة وقنطرة الى الآخرة والآخرة خير وأبقى.

والقرآن الكريم يمدح من يجمع بين الدنيا والآخرة مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا قال تعالى: «**ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» (آية ٢٠١).

وهكذا تتعارض مدرسة النبوة مع الفلسفات المادية فعلى هذه الحضارة المادية أن تصحح من مسارها في ضوء تعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ وإن سيرة تلاميذ مدرسة النبوة دليل على إمكان تطبيق الولاة والرعية هذه التعاليم في دنيا الحقيقة والواقع كي تسعد الإنسانية وتهنأ ومن هذه التطبيقات والنتائج الباهرة يتبين أن الزهد في هذه الحياة الأولى لم يحمل أصحابه على الاعتزال عن قيادة العالم وتوجيه الإنسانية كما أنه لم يحمل أصحابه على الرهبانية التي لا علاقة لها بهذه العقيدة بل كان الزهد في الدنيا والتطلع إلى الآخرة: «عاملا من عوامل القوة والاقدام والتمرد على قوى الشر، ومن أعظم أسباب الشجاعة والقوة والانتصار. وقد كان أشجع الناس وأنشطهم في الكفاح للحق وأعظمهم نصيباً في الجهاد والفتح الإسلامي أزهدهم في هذه الحياة الدنيا، وأحرصهم على الآخرة، وأقواهم إيماناً بها، وأعظمهم شوقاً الى لقاء الرب والشهادة في سبيل الله».


الشيخ أبو الحسن الندوي

ولا شك أن المسلمين لم يضعفوا إلا بضعف هذه العقيدة، وأنهم لا يستقيم ميزانهم، ولا يكمل إيمانهم حتى ينظروا الى هذه الحياة بمنظار القرآن.

وقد تكفلت سورة الكهف الرد على ذلك التفكير المادي وألحت على تصوير الحياة الدنيا التصوير الصحيح المطابق، وإن لم يرض كثيراً من الناس.

ومن البين أن استنتاجات الشيخ أبي الحسن الندوي العميقة الواسعة مستمدة من القصة ومن الآيات التعقيبية بعد ذلك على القصة.

قصة موس والخضر :

«إنها قصة هذه الحياة وقصة هذا الكون الذي نعيش فيه. إنها قصة تثبت في صورة عملية واضحة رائعة أن وراء المعلومات والمكشوفات في هذا العالم وفي هذه الحياة مجهولات كثيرة، وأن ما يجهله الإنسان - وأعظم إنسان في عصره - أكثر مما يعلمه» وأن الإنسان لو أسندت اليه إدارة هذا العالم الفسيح، ومنح الحرية التامة والتصرف المطلق، لأفسد العالم

وأهلك الحرث والنسل، لأن نظره قاصر، وعلمه محدود(١)، وقد خلق من عجل، وفطر على السرعة وقلة البصر.

وقد اختار الله سبحانه وتعالى لتقرير هذه الحقيقة التى هى أساس الأديان أو الايمان بالغيب أعظم شخصية فى عصره، والذى أوتي علما كثيرا وخيرا كثيرا، وهو موسى عليه الصلاة والسلام أحد أولي العزم من الرسل.

«قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحي الله إليه: إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يارب فكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم».

وهذه هى آيات سورة الكهف في هذه القصة. قال تعالى: «**وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا * فلما بلغا مجمع بينهما**

الحضارة المؤسسة ضعيفة وضيقة تؤمن بعالمي الشهادة والغيب

نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا * فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا * قال أرأيت إذ أوينا الى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا * قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا * فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا * قال إنك لن تستطيع معى صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا * قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا * فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا * قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا * فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا * قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا * فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا * قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا * أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا * وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا» (آيات ٦٠ ـ ٨٢).

يكشف الخضر القناع عن هذه القضايا الثلاث التي كانت موضع دهشة واستغراب من موسى ـ ومن كل من يقرأ هذه القصة في القرآن ـ مرة واحدة، فيتجلى أن الخضر كان مصيبا محسنا حكيما في تصرفاته الثلاثة، وأنه لم يكن مسيئا في موضع إحسان ولا محسنا في موضع إساءة.

لقد أحسن الخضر إلى صاحب السفينة بخرقها إذ حفظها من الاغتصاب ، فقد كان وراءها ملك يأخذ كل سفينة صالحة سليمة غصبا.

وأحسن الى أبوي الغلام بقتله إذ كان هذا الغلام فتنة لهما. كان يخشى أن يرهقهما طغيانا وكفرا. فرأى أن بكاء ساعة أفضل من بكاء طول الحياة وبعد الحياة.

«وقد أصلح الجدار وأقامه لأنه كان ليتيمين من أبوين صالحين، وكان تحته كنز لهما لو تهدم وانقض هذا الجدار لانكشف هذا الكنز الدفين، واختطفه السراق والناهبون، وبقي الغلامان من غير مال ولا رصيد. وهكذا ظهر أن صلاح العمل ينفع في الحياة وبعد الممات».

وعلى عادة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي في أخذ الدروس والعبر من القصة أو الحادثة يقرر أن القصة في حقيقتها تحد للتفكير المادي الذى يرى أن الحقيقة ليست إلا ما تتراءى للعيون.

لقد قامت الحضارة العصرية على هذا التفكير والعقيدة، وإن قصة موسى والخضر بصفة خاصة تنقض هذا الأساس وتهدم هذا البناء، وتنتهى القصة بقول الخضر لموسى: «ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا» والتأويل في اصطلاح القرآن هو

الحقيقة.

وهكذا يتعجل الإنسان وينكر ويخطئ حتى تتجلى له الحقيقة ويأتي التأويل.

إن على أرباب هذه الحضارة المادية أن يعلموا بأنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلا وأن وراء عالم الشهادة عالم الغيب.

قصة ذي القرنين :

بما أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد المعتمد لنا نحن المسلمين عن ذي القرنين فإن الشيخ أبا الحسن الندوي يقف في صف العلماء الذين اكتفوا بما جاء في القرآن الكريم عن هذا الحاكم المؤمن القوي لأن الآراء الأخرى تنقصها الأدلة هذا الى اعتمادها على الإسرائيليات في بعض الأحايين وكما يبدو من القرآن الكريم قد امتدت فتوحاته الى أقصى الشرق وأقصى الغرب.

وكان في كل فتوحاته ومغامراته صالحا ومصلحا منتصرا للحق ناصرا للضعفاء، قاهرا للطغاة الأقوياء ، جاء على لسانه قول الحق جل وعلا ، «قال **أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا * وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا**».

ويواصل ذو القرنين فتوحاته وانتصاراته حتى يصل الى أمة تعيش في فجوة من جبلين تعيش في خطر داهم وفي قلق دائم من أمة همجية وحشية وراء الجبال يذكرها القرآن وتذكرها الصحف السماوية بيأجوج ومأجوج، وترى تلك الأمة ان الفرصة سانحة، وان الله قيض لهم وساق اليهم ملكا صالحا قويا فطلبوا منه أن يحفظهم من هؤلاء الوحوش المفسدين، وأن يستعمل وسائله الكثيرة وجيشه الكثيف في بناء السد الذى يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج وعرضوا عليه أموالهم.

وعلى عادة الملوك الصالحين المؤمنين المتقين يستغني هذا الملك المؤمن بما آتاه الله تعالى من الخير الكثير عن أموالهم، ويطلب منهم أن يساعدوه بالسواعد، ويمدوه بما يوجد في بلادهم من الحديد والفولاذ. وتعاون الجميع في بناء هذا السد المبارك، الملك الصالح بحكمته وصناعه، وأهل البلاد بأيديهم وحديدهم. وعلى عادة الصالحين المؤمنين المتقين يقول هذا الملك، في فقه المؤمن العليم، المؤمن بالآخرة، والعليم بضعف الإنسان، وتقلبات الزمان كما جاء في القرآن الكريم «**قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا**» (آية ٩٨).

دراسات قرآنية

«هذه سيرة الإنسان القوى العليم الذي يسخر القوى الكونية والمادية، ويملك أعظم مقدار من الأسباب والوسائل، ويوسع فتوحه ومغامراته، وهو في كل ذلك وفي أوج قوته وسلطته وسيادته وتسخيره للقوى والأسباب ، مؤمن بربه خاضع له، مؤمن بالآخرة ساع لها، مقر بضعفه، رحيم بالإنسانية وبالأمم الضعيفة، حام للحق، يستخدم كل قوته وجهده ومواهبه وجميع وسائله وذخائره، لخدمة الإنسانية وتكوين المجتمع الصالح، وإعلاء كلمة الله، وإخراج الناس من الظلمات الى النور، ومن عبادة الناس والمادة الى عبادة الله، سيرة مثلها سليمان بن داود عليهما السلام في عصره، ومثلها ذو القرنين في عصره، ومثلها الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون في عصورهم».

حضارة الماديات عرجاء ما تلبث أن تنكفىء على مناخيرها

وإن هذه المعاني الإنسانية السامية تعمقها السورة الكريمة في آياتها التعقيبية على القصة حتى نهاية السورة.

وعلى عادة الشيخ أبي الحسن الندوي في النظر الى أبعاد القصة ومراميها القصية يقارن بين هؤلاء الحكام المؤمنين الصالحين الأقوياء وبين الحضارة المادية المعاصرة المفتونة بالقوة، الكافرة، التي لا يفكر معها الأقوياء في غير مصالحهم وسحق الضعفاء وكل من لا يخضع لهم ويركع.

إن هذه الحضارة المادية الرعناء تتسم بأهم صفتين للدجال الذي جاء ذكره على لسان النبوة. أما هاتان الصفتان فهما الكفر والإفساد.

ما أحرى الأمة الإسلامية وما أجدرها بقيادة العالم كي تعيد للإنسانية سيرة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين في عصورهم.

وإذا كان العلامة أبو الحسن قد أحجم عن اصدار احكام بشأن تعيين اسم ذي القرنين مثلا لأن الأمر على درجة كبيرة من الصعوبة والحاجة للبحث والتقصي وهو لما يقم بذلك فإنه يشحذ همم الباحثين على مواصلة البحث وبذل منتهى الوسع والجهد في الاطلاع والدراسة مع سلامة العقيدة وحسن القصد.

ومما جاء في هذا المعنى من تعليق على يأجوج ومأجوج القول(٢)، «ولا تزال أبواب الفتن والملاحم والأحاديث التي جاءت فيها أشراط الساعة وما كان ويكون بين يدي الساعة، تنتظر باحثا عالي الهمة، راسخ القدم في العلوم الدينية عالي الكعب في التاريخ، صبورا دءوبا في الدراسة والبحث، سليم العقيدة، حسن القصد، فإنها من أدق العلوم وأوسعها بحثا. ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا».

ومن البين أن هذه النعوت يخلعها الشيخ أبو الحسن على الباحث الذى يعالج مثل قضية يأجوج ومأجوج التي توقف الشيخ أبو الحسن بشأنها، وهذا احد مظاهر تواضع شيخنا أبي الحسن، وإخلاصه للعلم، وغيرته الاسلامية. وإن الباحث المأمول أو الباحثين المأمولين أن يوجدوا بإذن الله تعالى ينبغي أن يتحلوا بهذه النعوت التي

الاعتزاز بالعقل ومعطياته فقط ضياع ودمار

من العلاج والترياق لأمراض الدجل والخداع والتمويه والكذب.

وانطلاقا من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن ما بين خلق آدم الى قيام الساعة أمرا أكبر من الدجال فإن الشيخ أبا الحسن الندوي تبين اندراج الحضارة المادية المعاصرة تحت هذا الحديث النبوي الشريف.

إن السورة الكريمة تعصم بإذن الله تعالى من المسيح الدجال الكذاب في آخر الزمان. وكان تشخيص الداء ووصف الدواء عن طريق القصص الأربع في السورة وآيات أول السورة والآيات التعقيبية في أثناء السورة وفي نهايتها.

وهذه القصص الأربع هي قصة أصحاب الكهف والرقيم، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى والخضر، وقصة ذى القرنين.

وإنه بالنظر الى القصص الأربع تتبين العلل والأمراض في حق

سطرها يراع الشيخ أبي الحسن إضافة الى التواضع الأصيل العميق الذي يتحلى سماحته به.

وإن هذه الشريحة من العلماء الباحثين الجادين المؤمنين المتقين إحدى شرائح الأمة المسلمة المرشحة لأن تقود العالم مستقبلا بإذن الله تعالى كي تحقق مع القوة العدل والإنصاف، وكي تترجم الإيمان الى عمل.

الخاتمة :

قررت أحاديث المصطفى ﷺ العصمة من الدجال لمن قرأ آيات من أول سورة الكهف، أو من آخرها، أو من أولها وآخرها، أو لمن قرأها كلها، كما قررت أن ما بين خلق آدم الى قيام الساعة أمرا اكبر من الدجال.

ومن متعلقات الدجل الكذب والخداع والتمويه والايغال في كل ذلك.

وقد عني الشيخ أبو الحسن الندوي بتبيين الحكمة من اختيار المصطفى صلى الله عليه وسلم، هذه السورة الكريمة بالذات في أحاديث العصمة من المسيح الدجال الكذاب، وهو رجل من يهود يظهر في آخر الزمان يدّعى الإلهية(٣).

وقد تبين أن السورة الكريمة تحتوي على أكبر قدر

الأفراد وفي حق الأمم، كما يتبين العلاج والدواء. إن قصة أصحاب الكهف والرقيم تصور الصراع بين الكفر والإيمان، المادة والروح الإيمان بالأسباب وحدها والإيمان بالله تعالى مسبب الأسباب.

لقد انتصر بإرادة الله تعالى الإيمان على الكفر في هذه القصة، وهي رمز لما يعانيه المؤمنون في دولة الكفر والبطش والبغي.

وإن قصة صاحب الجنتين تصور الصراع بين من يشرك مع الله تعالي الأسباب وبين من يؤمن بالله تعالى وحده لا شريك له مسبب الأسباب ومقلب الأحوال، فالفقير قد يغني والغني قد يفتقر، وذلك هو الذي حصل في حق صاحب الجنتين الطاغي الباغي!.

إن الإيمان بالقدرة المطلقة للذات العلية ضروري. وإن قصة موسى والخضر تبين أن ما آتانا الله تعالى من العلم قليل.

وقد تأكد هذا القليل من العلم في حق موسى عليه السلام، أعلم أهل زمانه وأحد أولى العزم من الرسل.

إن من يقرأ هذه القصة ويقف على الحكم وراء ما قام به الخضر عليه السلام تجاه السفينة والغلام

والجدار يدرك أن الخضر عليه السلام محسن في كل ما قام به.

إن في هذه القصة تنبيها للإنسانية الى أن فوق كل ذي علم عليم، فلا ينبغي الاغترار بالأسباب المادية والاستغناء بها عن الايمان وعن الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه جل وعلا وحده لا شريك له، ولا ينبغي الاعتماد على ذوي الاختصاص وحدهم كما يفعل الماديون، بل ينبغي الاعتماد على الله تعالى وتعليق كل عمل أنجز أو لم ينجز بمشيئته جل وعلا مع الجد في الأخذ بالأسباب.

وإن قصة ذي القرنين تصور الحاكم المؤمن القوي حينما يسخر ما أفاء الله تعالى به عليه من قوة وعلم ومال ورجال في عمل الصالحات وطاعة الله تعالى والأخذ بيد البشرية الى ما يسعدهم في أخراهم وأولاهم. لقد ضرب ذو القرنين أبلغ المثل على ذلك ببنائه السد، مستعينا بالله تعالى، متوكلا عليه جل وعلا أولا وآخرا، مسخرا ما من الله تعالى به عليه من رجال ومال، مستفيدا من سواعد الذين بني من أجلهم السد ومن الحديد والفولاذ لديهم.

لقد عف هذا الحاكم المؤمن عن أموال القوم وذلك عكس ما يفعله الحكام الطغاة في كل زمان ومكان.

إن من الأمور المرغوب عنها، والأمراض التي ينبغي استئصالها: الكفر بالله تعالى، والإيمان بالأسباب المادية وحدها وبذوي الاختصاص، وعدم الايمان بالغيب، والتسخير للقوة في ظلم الآخرين وإيصال الأذى إليهم، وليس في إرساء قواعد العدل ورفع دعائمه وإسعاد البشرية وتحقيق مصالحها.

إن هذه بعض أمراض المدنية المادية المعاصرة التي تعالجها سورة الكهف، هذا الى الدروس القرآنية المبثوثة في هذه السورة المكية الكريمة.

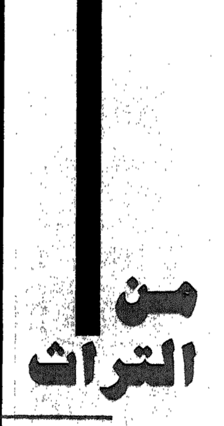
الهوامش:

(*) انظر تأملات في سورة الكهف.

(١) في الأصل: «وعمله محدود» تأملات في سورة الكهف ص٩٠.

(٢) هامش رقم ١ في تأملات في سورة الكهف ص١٠٣.

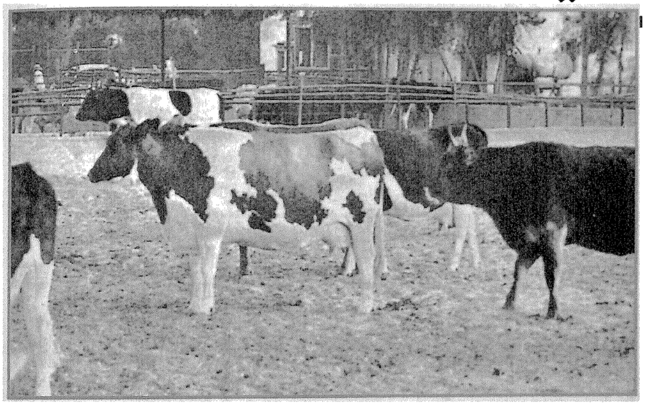
(٣) انظر هنا ـ مثلا ـ لسان العرب لابن منظور «دجل».



قال حاتم الأصم: تعاهد نفسك في خمسة أشياء، العمل الصالح بغير رياء، والأخذ بلا مطامع، والعطاء بغير من، والامساك بغير بخل، وأكل بغير شره، فالرياء مع العمل خسران، والطمع مع الأخذ نقصان، والمن مع العطاء بهتان، والامساك مع البخل كفر وطغيان، والشره مع الأكل ظلم وعدوان والرياء آفة العمل، والطمع آفة الأخذ والمن آفة العطاء، والبخل آفة المال، والشره آفة الأكل، وقال أيضاً: تعاهد نفسك في ثلاثة مواضع لعلك تنال الشرف والخلاص، اذا عملت فاذكر نظر الجبار اليك، واذا تكلمت فاذكر سمع الغفار، واذا سكت فاذكر فيك علم القهار، فمن عمل بمشاهدة نظر الجبار صفي عمله من القذى والأقذار، ومن نطق بمشاهدة سمع الغفار أخرج كلامه بالوزن والعيار، وان سكت بمشاهدة علم القهار، اجتهد في خلوص سره من الاشتغال بكل مخلوق وديار.

الألــــوان في القرآن الكريم

د. عبدالرازق حجاج محمد
الريـــاض
كليـــة أصـــول الـــديـــن



في عددى المحرم وصفر ١٤١٥هـ، قدم الدكتور شربل داغر دراسة شيقة عن الألوان في العربية من خلال كتاب (معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم) للدكتور زين الخويسكي..

وجدير بهذا الموضوع ان يدرس بصورة موسعة لاستقصاء تفاصيله وجزئياته..

وهذه الدراسة تضيف مضامين جديده في عالم اللون.

المنهل

عن

اللون

قالوا

النظر إلى



الخضرة يزيد في البصر

لقد خلق الله كل ما في الكون وسخره لخدمة الانسان ولتحقيق راحته وهنائه، وحرصت القدرة الإلهية على أن تكون المخلوقات جميلة مع كونها نافعة، فيفيد الإنسان وينتفع، وفي الوقت نفسه يسر بجمال الأشكال وتعدد الألوان .. ذلك الجمال الرائع المنبث في لوحة الكون .

وإذا غفلت عيوننا البشرية عن الإلتفات الى مشاهد الجمال ذكّرنا القرآن الكريم بها، ومن بين آيات الجمال التي يوقفنا القرآن عندها وأمامها كثيراً جمال الألوان.

الألوان ماثلة في الجبال:

إنك تجد الجبال ألواناً عدة، وكان في مقدرة الخالق سبحانه أن يجعلها لوناً واحداً ، لكن السرور البشري يتحقق في تعدد الألوان، لذا وجدنا في الجبال طرائق بيض وحمر وذات ألوان أخرى(١).

يقول الحق سبحانه وتعالى: **«ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحمر مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سود»** (آية ٢٧/فاطر).

وكلمة الجدد: تعني الطرائف ومفردها جدة، أما الغرابيب السود فهي الجبال السود الطوال وعندما ندير أبصارنا من الجبال المتعددة الألوان الى الجبل الأسود الغربيب أو منه الى الجبال ذات الألوان المتعددة نستشعر تقابلا فينبعث السرور، كما في استخدام المقابلة والطباق في الشعر والأدب.

وهذه الآية تذكر اللون الأبيض واللون الأحمر أما بقية الألوان وما اكثرها وما أشد اختلافها وتعددها فيذكرها إيجازاً وتركيزاً قوله تعالى **(مختلف ألوانها)**.

إن في تعدد ألوان الأحجار وامتزاج أحدها بالآخر لجمالا يبهر العين تماماً كما تبهرها ألوان الشعب المرجانية في قاع البحر الأحمر .. عشاق ألوان الجبال يصعدون ويلتقطون حجراً من هنا وحجراً من هناك، وعشاق جمال قاع البحر يهبطون بحلل الغوص .. فيعودون لينبئوك وما ينبئك مثل خبير!.

والقرآن الكريم يذكر عبارة **(مختلف ألوانها)** بعد قوله تعالى **(بيض وحمر)** وكأن في هذا إشارة الى أن اللونين الأساسيين هما الأبيض والأحمر أما ما عداهما من ألوان مختلفة فهى ألوان مركبة من

مذين اللونين.

وفي الأنعام:

فمن تعدد ألوان جلود الأنعام يتحقق ذلك الجمال الذى أشارت إليه تلك الآية القرآنية:

«ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون» (آية/٦ سورة النحل)، ونجد تعدد ألوان الأنعام في قوله تعالى **«ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك»** (آية ٢٨/ سورة فاطر)، أي: فيهم الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك وكل هذا - فيما يعبر الإمام القرطبي - دليل على صانع مختار(٢) وكلمة (كذلك) فى الآية السابقة لها دلالتها على تذكير الإنسان بأن تعدد الألوان وارد ليس في الجبال فحسب، وإنما في الكائنات الحية المتميزة بالروح والإحساس **(الناس والدواب والأنعام)** وناهيك عن اجتماع جمال الألوان مع وجود الإحساس، خذ صوت الديك مثلا إنه يذكرك بأن الكائن الصادر عنه هذا الصوت

اللون الأحمر والأخضر والأصفر يوجب راحة النفس ولذة القلب وسرور العقل ونشاط الذهن

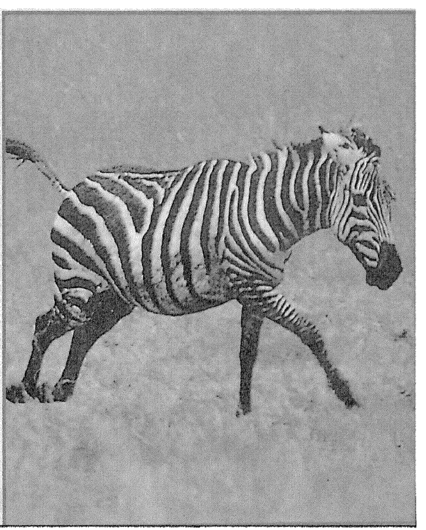
كائن حي، يريد بصوته أن ينقل لك معنى، وسرعان ما تلتفت الى تعدد وبهاء ألوان ريشه، وكلمة دواب تعني: كل ما دب على القائم، وذكر «الأنعام» بعد «الدواب» من باب عطف الخاص على العام(٣) وإفراد الأنعام - بقدر ما فتح الله علينا - لأهمية جمال ألوان الأنعام لنا لكونها اكثر من غيرها حضوراً بيننا فالأغنام مثلا في الحقول، أما الثعالب والذئاب والأفيال ففي الغابات وربما تتعذر رؤيتها على كثيرين.

وقد ورد في القرآن الكريم السرور - سرور الإنسان - عقب ذكر اللون الأصفر الفاقع على جلد بقرة. قال تعالي: **«قال ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين)** (آية/٦٩ سورة البقرة).

قيل **(فاقع لونها)** شديد الصفرة تكاد من صفرتها تبيض، وقيل: صافية اللون، وهي تسر الناظرين لأنك إذا نظرت الى جلدها تخيلت أن شعاع الشمس يخرج من جلدها(٤) وعن اللون الأصفر بصفة عامة وكونه باعثا للسرور، قال ابن جرير: «عن ابن عباس: **(من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها)**.

ويرفض المفسرون أن يفهم قول القرآن (فاقع لونها) بمعنى تسود من صفرتها، ويجعلونه قولا غريباً، ويرى القرطبي أنه لا يستعمل مجازاً إلا في الإبل، قال تعالي **«كأنه جمالة صفر»** (آية/٣٣ سورة المرسلات)، وذلك أن السود من الإبل سوادها صفرة، ولو أراد ربنا سبحانه وتعالى السواد - في حديثه عن البقرة - لما أكده بالفقوع، فالفقوع نعت أو صفة مختص بالصفرة، ولا يوصف به السواد.

تقول العرب: أسود حالك وحلكوك ود جُوجِي وغربيب ، وأحمر قانئ ، وأخضر ناضر، وأبيض



ألوان وظلال

التعال السود، لأنها تُهِمّ (أي تبعث الهم في النفس)(٥).

لا غرابة في نهي ابن الزبير وابن أبي كثير عن لبس النعال السوداء ولا في حث ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما على لبس النعل الاصفر فقد غدت دراسة الألوان والتأثير الخاص بكل لون على النفس، ودراسة وتشخيص النفوس من واقع اهتمامها الفعلي وإحساسها بالألوان وحب ألوان معينة، غدا هذا أمراً معروفاً في عصرنا، والمحك عند القدماء والمحدثين كليهما هو التجربة والنظر الى أحوال النفس ونفوس الآخرين في حالات متعددة ثم تقرير نتائج وأحكام ، فلا يجب أن نرفض حكماً قديماً لمجرد كونه قديماً، أو نصفق لجديد لمجرد كونه جديداً، وإنما نعود - مثلا - الى تجاربنا الخاصة، ونحكم عقولنا ونحتكم الى أذواقنا.

قال لبيد في الأصفر الفاقع:

سدم قديم عهده بأنيسه
من بين أصفر فاقع ودفان(٦)

لقد كان أسلافنا أهل ذوق رفيع، فها هو الشيخ شرف الدين أبو نصر محمد بن أبي الفتوح البغدادي وشهرته (ابن المرة) في كتابه (مفرح النفس) وفي باب جعل له عنواناً: في اللذة المكتسبة للنفس عن طريق حاسة البصر، يقول: (النفس تبتهج بما كان من الأجسام له اللون الأحمر والأخضر والأصفر، إما بسيطاً أو مركباً بعضها من بعض، فنظر هذه يوجب راحة النفس ولذة القلب وسرور العقل ونشاط الذهن وتوفر القوى وانبساط

ناصع وساطع ولهق ولهاق ويفق، وأصفر فاقع، والكسائي يقول: يقال: فقع لونها إذا خلصت صفرته.

وقد ذكر القرطبي: **(قال ابن عباس الصفرة تسر النفس، وحض على لباس النعال الصفر حكاه عنه النقاش، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من لبس نعلي جلد أصفر قل همه لأن الله تعالي يقول: «صفراء فاقع لونها تسر الناظرين»،** حكاه عنه الثعلبي ، ونهى ابن الزبير ومحمد بن أبي كثير عن لباس

الروح.. وانظر الى حكمته - سبحانه - كيف جعل هذه الألوان الأربعة المذكورة - أعني الأصفر والأبيض والأحمر والأخضر - في أعظم الأجساد وأشرفها وأبهجها وأحسنها منظراً، وهي الذهب الأصفر واللؤلؤ الأبيض والزمرد الأخضر والياقوت الأحمر، ولم يجعل شيئاً من الأحجار أعز منها ولا أشرف، وجعل غاية كل واحد منها أن يكون بهذا اللون المذكور «فتبارك الله أحسن الخالقين»(٧).

ألوان النباتات والزروع :

ما أعظم خلق الخالق، الماء واحد، ولعله يجري في قناة واحدة فيسقى زروعاً وأشجاراً متعددة، وتجدنا أمام ثمرات مختلفة الألوان منها الأخضر والأصفر والأحمر ومنهما ما يجمع بين أكثر من لون، قال تعالى: **«ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها»** (آية/٢٧ سورة فاطر)، ولعل ألوان الثمرات في أول ظهورها تكون على حال من الجمال الشاب الملفت المعجب، يقول الحق سبحانه وتعالى داعياً الى التأمل والتفكير **«انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون»** (آية/٩٩ سورة الانعام).

ونقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى **«فأخرجنا منه خَضرا نخرج منه حباً متراكما»** قيل الخَضِر هنا: الزرع الأخضر وشجرة خضراء أي غضة وأرض خضرة ويخضور كثيرة الخضرة وخضر الزرع خضراً: نعم وأخضره الري(٨).

وأفضل الألوان كلها وأشرفها لون الخضرة لأمرين الأمر الأول أن الله سبحانه وتعالى - وصف في كتابه العزيز أهل جنته المخصوصين بتقريبه ومزيته بلباس الثياب الخضر، فقال تعالى في وصفهم **«عاليهم ثياب سندس خضر وأستبرق»** وقال سبحانه في موضع آخر **«ويلبسون ثياباً خضرا من سندس وإستبرق»** فلو كان في الألوان أفضل من الخضرة لوصفهم الله - سبحانه - بذلك ، الأمر الثاني: ما في لون الخضرة من تقوية النظر والزيادة في حاسة البصر وسبب ذلك فيما يقوله أهل الطب أن اللون الأخضر يجمع الروح الباصر جمعاً رفيقاً مستلذاً غير عنيف وإن كان اللون الأسود يجمع الباصر أيضاً، لكنه يجمعه بعنف واستكراه على ضد ما يجمعه اللون الأخضر.

وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ ما يؤيد ما ذكرنا ويصحح ما قررنا من اختصاص الخضرة بتقوية النظر حيث قال ﷺ **(النظر الى الخضرة يزيد في البصر)**(٩).

ألوان الانسان :

تظهر القدرة الإلهية وإعجاز الخلق واضحاً في تعدد ألوان البشر بالرغم من وحدة المظهر والأصل وهو آدم عليه السلام، وذلك يذكرنا بتعدد أشكال واحجام وألوان الأشجار والنخيل ومذاق الثمار بالرغم من أنها تسقى بماء واحد فسبحان الله أحسن الخالقين، ويشير الحق سبحانه الى تعدد ألوان البشر بقوله: **«ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك»** فالناس منهم بربر وحبوش وطماطم في غاية السواد، وصقالبة(١٠) وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك(١١).

وفي اختلاف اللغات واللهجات كما في اختلاف ألوان البشرة والجلود لآيات ودلائل على إعجاز الخلق لأنه لا يخلق المتعدد المختلف إلا القادر المبدع قدرة لا يحدها حد.

وإن لفي اختلاف قطع الأرض أشكالاً وألواناً لإشارة الى ان المخلوق منها وهو الانسان قدَّر عليه خالقها أن يكون مختلف الألوان واللغات.

وقد أكد الحديث الشريف هذا المعنى «قال الإمام احمد حدثنا يحى بن سعيد حديثاً» عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال **«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب ، وبين ذلك»** رواه أبو داود والترمذي»(١٢).

ومهما كان لون الانسان فهو جميل ولا عبرة لاختلاف أعراف الناس في تفضيلهم لوناً على لون أو

بشرة على بشرة فلون البشرة الذي لا يروقك يروق غيرك، والنظر نسبي، ولذا أباح الحديث الشريف للخاطب أن ينظر الى من يريد زواجها، ولم يوجهه الى الأخذ بحكم غيره.

فهذا يدخل في مجال التقييم الشخصي، أما الجمال من حيث إنه قيمة عليا فيؤذن بأن اللون في الإنسان جميل، لأنه المخلوق الذى قضى ربه أن يجعله في سورة حسنة قال تعالي **«لقد خلقنا الإنسان في**

وإن زنا وإن سرق...»)(١٤).

ألوان الناس يوم القيامة:

يوم القيامة تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف(١٥) وقال ابن عباس. تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة(١٦)، قال تعالى: **«ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة»** (سورة الزمر آية/٦٠) ، الذين كذبوا على الله أي في دعواهم له شريكاً

ألوان وظلال

اللون الأخضر يجمع الروح الباصر جمعاً رفيقاً مستلذاً غير عنيف

أحسن تقويم» (سورة التين آية/٤).

خلقه ربه في أحسن صورة، وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها وللإنسان ملابس وفرش والله - كما أخبر الحديث الشريف - جميل يحب الجمال(١٣).

ولذا يجب عليه أن يحافظ على نظافة ملبسه وخاصة عند الذهاب الى المسجد: **«يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد»** (سورة الاعراف آية/٣١)، وارتداء الثوب الأبيض سنة، وذلك أن أبا ذر رضي الله عنه قال: (أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنا وإن سرق، قال

وولداً، «وجوههم مسودة» مما أحاط بهم من غضب الله ونقمه، وقال تعالى: **«يوم تبيض وجوه وتسود وجوه»** (سورة آل عمران آية/١٠٦)، يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم تكون وجوه المؤمنين مبيضة ووجوه الكافرين مسودة. ويقال: عند قراءة المؤمن كتابه يبيض وجهه وعند قراءة الكافر وجهه يسود وجهه، جعلنا الله بمنه وكرمه ممن تبيض وجوههم يوم هذا الهول العصيب.

الهوامش:

(١) تفسير ابن كثير جـ٣/٥٢٣ طبعة دار التراث.

(٢) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) جـ١٤ ص٣٤٢، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر مصر.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط. دار التراث جـ٣/ ٥٥٣.

(٤) ابن كثير جـ١/ ١١٠ ، ١١١.

(٥) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) الجزء الأول ص٤٥١.

(٦) لسان العرب مادة فاقع جـ٨/ ٢٥٥ ط دار بيروت، المؤلف: ابن المنظور.

(٧) نقلا عن بشر فارس (سر الزخرفة الإسلامية) ص٣٠.

(٨) لسان العرب جـ٤ / ٢٤٢ ط دار بيروت.

(٩) عبد الله بن محمد بن جزى الكلبي الغرناطى (كتاب الخيل) ص٥٠ حققه محمد العربي الخطابي. بيروت.

(١٠) جاء في لسان العرب ص ٢٤٧٤ قال ابن المنظور في الصقالبة جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون الخزر وبعض الروم وقيل للرجل الأحمر صقلاب تشبيهاً بهم.

(١١) تفسير ابن كثير جـ٣/ ٥٥٢.

(١٢) سنن أبي داود جـ٤ حديث رقم ٤٦٩٣ دار الكتب العلمية بيروت.

(١٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ٢ دار الكتب العلمية في: الحديث الذي رواه ابن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل.. ان الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن الله جميل يحب الجمال.

(١٤) متن البخاري بحاشية السندي جـ٤/ ٣٠ ط إحياء الكتب العربية.

(١٥) ابن كثير جـ١٤/ ٦٠.

(١٦) القرطبي جـ٢/ ١٤٠٨.



بقلـــم أ . د :
محمد عمـــارة
– مـصــر –

الأقليات الدينية في

التعددية في الشرائع سنة من سنن الله في الاجتماع الديني

في القرآن الكريم، وفي الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة «الممتحنة» يحدد القرآن الكريم معايير الاسلام للموالاة والمعاداة بين المسلمين وبين غير المسلمين **«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم، إن الله يحب المقسطين(*). إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون».**

وانطلاقا من هذه الآيات المحكمة فالمواطنون من أبناء الأقليات الدينية - الكتابيون - الذين يعيشون مع الأغلبية المسلمة، ويشاركونهم الانتماء للوطن، والولاء له، هم شركاء في المواطنة، لهم البر والعدل، فريضة من الله على الأغلبية المسلمة.

وإذا كان الاسلام قد جعل من التعددية في الشرائع الدينية سنة من سنن الله في الاجتماع الديني **«لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون»** (المائدة/٤٨) .. فإن دستور دولة الاسلام الأولى، في المدينة، على عهد رسول الله، ﷺ ، قد قرر التمييز بين «أمة» جماعة - الدين .. وبين «أمة» - جماعة - الرعية السياسية.. **فحرية التدين تحدد خطوط تمايز الجماعات المختلفة في الدين، على حين تجمعها جميعا رابطة المواطنة الواحدة والرعية السياسية في الدولة الواحدة.**

فهناك نوعان من الموالاة:

أ - موالاة في الدين بين أهل كل دين، تظهر في المناصب والتنظيمات ذات الطبيعة والشروط والوظائف الدينية، والتى ترعى الشئون الدينية لأهل كل دين.. وفيها لا ولاية لغيرهم عليهم.. بصرف النظر عن القلة والكثرة العددية لهذه الجماعات والملل الدينية.

ب - وموالاة فى الشئون العامة للدولة المشتركة تظهر في المرجعية التي تعبر عن هوية الدولة ورسالتها .. وهذه المرجعية والهوية والرسالة تتحدد تبعا لأغلبية المواطنين.. ولشمولية الاسلام الدولة مع الدين - وهى خصيصة تميز بها عن النصرانية خاصة، تلك التى وقفت عند خلاص الروح ومملكة السماء، تاركة ما لقيصر لقيصر وما لله لله.. **مع التأكيد على أن إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها لا تعنى انتقاصا من المساواة في الحقوق أو تمييزا في الواجبات الحياتية بين كل المواطنين من أبناء كل الديانات.**

وعن هذه الحقيقة الدستورية جاء في «الدستور» - الصحيفة - الكتاب - الذى حكم علاقات الرعية بعضها ببعض، وعلاقاتها بولاة الأمر، فى دولة الاسلام الأولى: «وأن يهود.. أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم .. وان على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم».

فتقررت في هذه «المواد» المساواة في الحقوق والواجبات.. ثم تقررت إسلامية المرجعية فى هوية الدولة ورسالتها، بالنص على «وأنه ما كان من اهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده الى الله والى محمد رسول الله»(١).

والأمر الذى يجعل من إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها أمرا لا ينتقص من حقوق المواطنة لغير المسلمين، في الدولة ذات الأغلبية الاسلامية، أن «إسلامية الدولة» من حيث «إسلامية قانونها» هو مطلب دينى للإسلام لا يقابله مطلب نصراني للنصرانية.. **فالنصرانية التى لم تأت بشريعة للدولة والسياسة والاقتصاد وشئون العمران الدنيوى، والتى تركت ما لقيصر لقيصر وما لله لله، لا**

يضيرها، ولا ينتقص من حقوق أبنائها «إسلامية قيصر ـ الدولة»..

لأنها في كل الحالات قابلة بـ «قانون» ينظم العلاقات في الدولة، فإذا كان هذا القانون إسلاميا، يعبر عن الهوية الاسلامية للدولة، فإنه لا يمثل انتقاصا منها، ولابديلا عنها، فضلا عن أنه ـ مع عدله مع كل الرعية ـ هو جزء من الاعتقاد الديني للأغلبية التي تعايشها وتواطنها.

ولقد أكد هذه الحقيقة.. حقيقة قيام المساواة في حقوق وواجبات المواطنة، بين الأغلبية المسلمة وبين الأقليات الكتابية ـ **«لهم ما لنا وعليهم ما علينا»** مع «إسلامية الدولة» ـ في هويتها ورسالتها وحضارتها

إسلامية المرجعية في الهوية الدولة لا تعني انتقاصا في المساواة في حقوق المواطنة لغير المسلمين

الدولة الإسلامية

وثقافتها ـ أن هذه الاسلامية لم تقم كبديل عن **«نصرانية الدولة»** في المرحلة التي سبقت فتوحات الاسلام وقيام دولته الاسلامية فالنصرانية الشرقية ـ والتي هي دين لا دولة ـ قد ظلت ديانة مضطهدة في الشرق، حتى جاء الاسلام فأمن أهلها لأول مرة في تاريخهم النصراني؟!.. **فدولة الاسلام كانت بديلا لدولة الروم البيزنطيين المستعمرين، ولم تكن بديلا لدولة نصرانية وطنية شرقية، ولذلك كانت تحريرا للنصارى وتأمينا للنصرانية، ولم تكن انتقاصا لحق من حقوقهما؟!.**

ولقد بلغ الاسلام في التأسيس لوحدة الأمة في المواطنة، على اختلاف دياناتها، أن شرع لتعدد الديانات في الأسرة الواحدة ـ وهي لبنة الأمة والشعب.. فبزاوج المسلم من الكتابية، يكون للأولاد المسلمين أم كتابية وأخوال كتابيون!

الأمر الذي يؤسس وحدة الأمة بدياناتها المتعددة، على التعددية التي قررها الاسلام في لبنات الأساس.

وإذا كانت سنة **«لهم ما لنا وعليهم ما علينا»** قد مثلت عنوانا على تراث من المبادىء والتشريعات والممارسات ضمنت العدل والمساواة بين أهل الديانات المتعددة في دولة الاسلام، حتى لقد انفردت حضارة الاسلام بتجسيدها لهذه التعددية بين الحضارات الأخرى.. **فإن الفكر الاسلامي، والممارسة الاسلامية قد أكدت على أن إسلامية هوية الدولة ومرجعيتها ورسالتها الحضارية ـ فضلا عن انها حق من حقوق الأغلبية المسلمة في أن تحكم بأيديولوجيتها ـ بالمنطق الديمقراطي.. وحق الانسان في أن يحكم بالقانون الذي تريده الأغلبية ـ والذي لا يخل بالعدل والمساواة بالنسبة للأقليات ـ إن هذا الفكر وهذه الممارسة قد ميزا بين الولايات التي فيها «رسالة دينية إسلامية».. فمن الطبيعي أن يليها مسلم.. وبين الولايات التي لا تحمل «رسالة دينية إسلامية» وفيها يتساوى كل المواطنين، على اختلاف الديانات التي يتدينون بها.**

فعندما نكون بصدد تكوين هيئة للاجتهاد الاسلامي في الشريعة الاسلامية والقانون الاسلامي.. فلابد من اشتراط الاسلام في أهل هذا الاجتهاد.. وعندما نكون بصدد خبرات أهل الذكر في الشئون الحياتية، فلا مجال للتمييز بين عقائد أهل الذكر هؤلاء، وكذلك عندما نكون بصدد تكوين هيئات ومؤسسات المراقبة والمحاسبة للحكومات ـ البرلمانات ـ فلا مجال للتمييز بين المواطنين بسبب الاعتقاد الديني.

وعندما يكون القاضي ـ كما كان قديما ـ مجتهدا في الدين الاسلامي.. فلابد وأن يكون مسلما.. أما إذا كان القاضي منفذا للقانون ـ كما هو الغالب الآن ـ فلا مجال للتمييز بين عقائد القضاة.

وعندما تكون لرئيس الدولة الاسلامية ولايات دينية ـ رغم كونه حاكما مدنيا ـ مثل إمامته للأمة في الصلاة وقيادته الدعوة الى الاسلام.. والجهاد في سبيل نصرة الاسلام وقضاء المظالم وفق شريعة الاسلام.. الى آخر ولايات حراسة الدين الاسلامي.. فضلا عن سياسته للدنيا بهذا الدين.. **فاننا نكون امام شروط في رأس الدولة لا تتحقق إلا إذا كان مسلما..** فحجب غير المسلم عن هذا المنصب ليس انتقاصا من المساواة في المواطنة، وإنما هو لغيبة شروط لابد منها فيمن يلي هذه الولاية ذات الرسالة الاسلامية، غيبتها عن غير

المسلمين!.

ومثل ذلك مثل المواطن الذى لم تجتمع فيه شروط منصب من المناصب .. فإن ذلك لا ينتقص من حقوقه فى المواطنة الكاملة.. **وإنما هو أمر يتعلق بغيبة الشروط اللازمة فيمن يلى هذا المنصب.**

وإذا كانت إسلامية الدولة، هى مطلب دينى إسلامى، وفي غيبتها لا يكتمل إسلام الدولة والأمة.. وإذا كانت هذه الاسلامية للدولة - التى يرمز لها إسلام رئيس الدولة - ليست بديلا ولا نقيضا لعقيدة نصرانية توجب نصرانية الدولة وقانونها ونظامها - ومن ثم رئاستها - **فإن الذين يطرحون مطلب تولى نصراني، مثلا الرئاسة لدولة أغلبيتها مسلمة، إنما يفتعلون «مشكلة» ثم يبحثون لها عن «حل»؟!.. فالدولة ليست شريعة نصرانية حتى يطلبها النصراني بحكم نصرانيته.. وإنما هى شريعة إسلامية يطلبها المسلم استكمالا لاسلامه..**

ففى ولايتها بُعْدٌ ديني إسلامي.. وإذا كان المسلم مطالبا بأن يدع الولايات ذات الرسالة النصرانية للنصارى، فإن الولايات ذات الرسالة الاسلامية والبعد الدينى الاسلامي، والشروط

لهم ما لنا وعليهم ما علينا شريعة عدل ومساواة بين أهل الأديان

الاسلامية، لابدّ وأن يشترط فيها إسلام متوليها.

وإذا كان غريبا - ومستحيلا - أن يطلب مسلم بريطانى أن يكون ملكا على بريطانيا - وملكتها - بنص الدستور - حارسة الكنيسة - فإن من الغريب - دينيا .. وديمقراطيا - أن نجعل الولايات ذات الرسالة الدينية فى الدولة الاسلامية «مشكلة.. ومطلبا» فى علاقات الكتابيين كأقليات بالأغلبية المسلمة فى الدولة الاسلامية؟!.

لقد قرر الفقه الاسلامي - منذ عصر الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠هـ/ ٩٧٤ - ١٠٥٨م) أن «ولايات ووزارات التفويض» .. ذات الرسالة الدينية الاسلامية - هى اختصاص إسلامي..

بينما «ولايات ووزارات التنفيذ» التى لا تحمل رسالة دينية اسلامية - هى مشاع مفتوح لأهلها من الكتابيين(٢) ومارس المسلمون، من خلال دولهم الاسلامية، تطبيق هذا الاجتهاد الاسلامي.

ولقد آن الأوان للإقلاع عن افتعال «مشكلات» ثم البحث عن «حلول - مفتعلة» لها.. فتخصيص «الولايات ذات الرسالة الدينية الاسلامية» للمسلمين.. هو كتخصيص «الولايات ذات الرسالة الدينية النصرانية» للنصارى.. لا يعنى ذلك انتقاصا من حقوق المواطنة بالنسبة لمن يحجب عن ولاية هذه الولايات .. لأن هذا الحجب هو الى الافتقار الى شروط هذه الولايات أقرب منه الى التمييز الذى يخل بحقوق المواطنة!.

إن المساواة بين المواطنين حتى فى الدولة التى تكون رعيتها كلها مسلمة، لا يعنى توفر كل شروط جميع المناصب فى كل مواطن مسلم!..

وولاية منصب ما هى حق لمن تجتمع فيه شروطه.. وليس فى ذلك إخلال بمبدأ المساواة فى المواطنة، حقوقا وواجبات.. تلك التى سنها رسول الله ﷺ عندما حدد علاقة المسلمين بالكتابيين فقال: ان **«لهم ما لنا وعليهم ما علينا».**

حرية التدين تحدد خطوط تمايز الجماعات المختلفة في الدين في حين تجمعها رابطة المواطنة

الهوامش

(١) انظر نص الصحيفة فى (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص ١٥ - ٢١، طبعة القاهرة ١٩٥٦م.

(٢) انظر للماوردى (الأحكام السلطانية).

لكل جناح أفق

ملء الوقت الشاغر بنشاط مجز مشكلة يقابلها كل فرد فينا، ويعاني من عدم علاجها بطريقة مرضية للفرد وللمجتمع ككل. كل المجتمعات المتقدمة تعترف بوجود هذه المشكلة وتبذل كل ما في وسعها للقضاء على النتائج السيئة الناتجة من ملء فراغ الافراد بأعمال سلبية ونشاطات ضارة بالأفراد والمجتمع، وهذه الصيغة السلبية في ملء الفراغ تؤدى حتماً إلى سبيل المخدرات والمسكرات، وبالتالي إثارة الشغب والتخريب والإجرام.. وكل هذا بطبيعة الحال يؤدي إلى الاضرار بالفرد والمجتمع.

طبعا المسألة تأخذ أبعادا أوسع إذا ادركنا اختلاف رغبات الافراد وتنوع اهتماماتهم واستعداداتهم الطبيعية ومستوياتهم المادية والعلمية وحتى الفرد الواحد يحتاج الي توفر ما يرضي جوانب مختلفة من رغباته واهتماماته، لكل فرد في المجتمع اجنحة بمواصفات معينة ولكل جناح أفق يناسب قدراته.

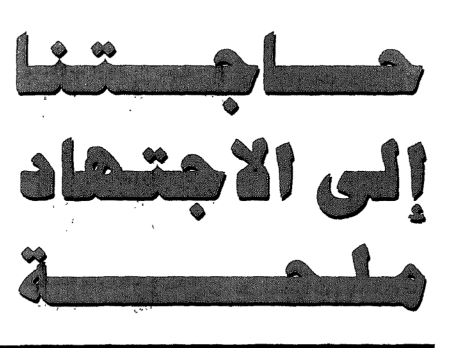
المجتمع أي مجتمع يحتاج الى توفر المرافق الرياضية بأنواعها للجنسين كالملاعب الرياضية المختلفة وقاعات التدريب وبرك السباحة وغيرها من وسائل التنمية البدنية. والمجتمع في حاجة الى توفر المكتبات المكتملة والمرافق الثقافية بمتناول الجميع، صغارا وكبارا، وعلى مقربة من مساكنهم. والمجتمع يحتاج الى المرافق الفنية في مراكز رسمية تحظى بالدعم والتشجيع، ليشبع الموهوبون والموهوبات رغبتهم في التعبير الفني كالرسم والنحت والنقش والخط.

هذه الحقائق أدركتها الجهات المسؤولة عن قيادة المجتمع منذ القدم، وأخذت الحكومات الواعية والمؤسسات الاجتماعية علي عاتقها مسؤولية إيجاد وإتاحة الفرص لأفراد المجتمع للتفاعل الإجتماعي الإيجابي السليم، وممارسة النشاطات الترفيهية النافعة وتوفير المرافق والفرص والمراكز اللازمة لملء الوقت الشاغر لدى البعض، وإرضاء عدة جوانب من احتياجات الفرد البدنية والاجتماعية والنفسية.

كلنا في حاجة الى النشاط .. وقد ننسج من الفراغ نسيجا مهترئا يتحلل فيه المجتمع الي أردأ مكوناتنا .. وقد نتضافر فننسج من أوقاتنا ونشاطاتنا خير مجتمع متماسك الأواصر.



د. ثريا العريض



إن دراسة الاجتهاد في الشريعة الاسلامية عموما، والفقه الاسلامي خصوصا تقتضي منا أن نجعل كل عمل في مكانه الصحيح حتى تستطيع ان نقيّمه من ذلك الموقع، إذ لا يصح أن نقحم أموراً شرعية في شئ غير شرعي أو أن نقحم امراً لا علاقة له بالدين في أمور دينية ونسميه شرعاً، ولذلك نجد ان خلط الامور ببعضها يجرنا الى البُعد عن الحق وادخال الفساد في الشريعة.

ومن هنا يجب أن نفرق بين الشريعة على أنها وحي من الله تعالى منزل وبين أفكار العلماء السابقين (سلف الأمة) وهو الذي نسميه الآن بالفكر الاسلامي.

فالفكر الاسلامي - وهو مصطلح حديث - معناه: كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله ﷺ الى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والانسان، والذي يعبّر عن اجتهادات العقل الانساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادىء الاسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً.

ولذلك ، فكل فكر بشري نتج عن فكر مستقل ولم ينطلق من مفاهيم الاسلام الثابتة القاطعة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة لا يمكن وصفه بأنه فكر إسلامي.

ولذلك أيضا يجب ان نفهم ان هذا الفكر الاسلامي - باعتباره فكر بشر - ليس هو الشريعة التي هي وحي ثابت في مصدريه المعصومين الكتاب والسنة، ومن هنا فليس لهذا الفكر عصمة الشريعة نفسها ويجب ألا يخلط بها، لان خلطه بها سيؤدي الي إقحام الفكر البشري في الوحي الإلهي، وسيكون هذا الفكر جزء من الشريعة المعصومة، وهذا خطأ كبير ذلك **لأن من اخطر الامور ان تتحول افكار بشرية في نواحي الحياة الى دين مقدس يحاسب الناس عليه.**



د. ياسين ابن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - كلية الشريعة

فالنتيجة الطبيعية لذلك هي ادخال فساد كبير على مبادىء الدين الحق وتشويهه وتحريفه عن الغاية التي جاء من اجل تحقيقها في المجتمع الإنساني. والنتيجة الأخرى هي تقييد الفكر عن الحركة والاجتهاد امام تلك القضايا بدعوى انها مبادىء معصومة لا يجوز الاجتهاد فيها.

ومن المؤسف ان كثيراً من الباحثين في الفكر الاسلامي - القديم والحديث - وقعوا في هذا الخطأ، إذ انهم عندما يتحدثون عن الفكر الاسلامي يخلطونه بمبادىء الاسلام - القرآن الكريم والسنة المطهرة - دون أن يضعوا خطاً فاصلا بين الأصول الاسلامية وبين الفكر المنتج منها، أو التفاسير التي تدور حولها.

نعم إن الفكر الاسلامي لابد ان ينطلق من ضوابط الاسلام، ولكنه - بالرغم من ذلك - فهو عبارة عن مواقف اجتهادية لعلماء الاسلام ومفكريه.. ومن هنا فلابد من الاشارة الى شيء مهم ، وهو أن الاجتهاد المبني على الفكر العقلي الاسلامي ، جعل له الاسلام مجالات محددة أباح له العمل فيها، ومنعه من مجالات ، لأنه ليس مهيأ للولوج فيها، **وليس له القدرة على التحرك في إطارها.**

وأهم تلك القضايا الحقائق الألهية وما يتبعها من قضايا عالم الغيب (ما وراء الطبيعة) أو (ما وراء المادة) ومن هنا فإن الاسلام كفى العقل هذه المؤونة وبيّن له تفاصيلها كاملة حتى لا يرهق العقل نفسه فيها - وهي ليس مجالا للدخول فيها - ولذلك نجد ان العقل البشري متى ولج في مثل هذه الامور تاه وضل.

والدليل القاطع على ذلك آراء الفلاسفة والمفكرين في تلك التفصيلات الغيبية منذ أقدم العصور الى اليوم، فهي عبارة عن مجموعة من الأفكار المضطربة المتصارعة والمتناقضة في كثير من الأحيان والتي تحمل قصور ذلك العقل المحدود في المجال المذكور. **ولذلك**

الفكر الاسلامي مواقف اجتهادية ليس لها قداسة

فإن العقل متى عرف قدره ومجاله واشتغل في إطار كشف أسرار عالم المادة أنتج بل أبدع في هذا الانتاج، ودليل ذلك ما نراه من ثمرات الحضارة في جانبيها المادي والتنظيمي.

تطور الاجتهاد في الفكر الاسلامي:

من الأمور المسلمة - في الدراسات الاسلامية - أن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما من حيث الاجمال مجموعة متكاملة من الأصول والقواعد والمقاصد العامة الكلية.

وفيما يتصل بتطور الحياة العملية، تركت مجالاً واسعا للعقل الانساني كي يتحرك في دائرة القوانين الكونية والاجتماعية، لأن التغيير الدائم في الحياة في ظل تلك القوانين اعترف به الاسلام لذا عد الاسلام الاجتهاد موقفا صحيحا وعملا مثابا عليه في حالتي الصواب والخطأ، ولذلك فإننا نلاحظ بوضوح أن الفكر الاجتهادي الاسلامي في مواجهته لتطور الحياة قد قدم تراثا ضخما متنوعا في تلك الاتجاهات نستطيع ان نبين بعض ملامحها على الوجه الآتي:

اتجاه العقيدة والفلسفة:

كان القرآن الكريم واضحا كل الوضوح في تقديم الصورة النهائية للعقيدة الاسلامية، تلك الصورة التي لا يحتاج الانسان معها الى تفصيلات اكثر في مسألة تحقيق خلافته على الأرض، لأن التفصيلات الجزئية لا يبنى عليها عمل، ولا تقع في مجال قدرة الانسان العقلية التي خلقت لمواجهة أحداث الحياة على الأرض وفهم الوجود الذي حولها - كما تقدم -.

ولقد احدث الاكتفاء بصورة العقيدة القرآنية في رجال الصدر الاول انسجاما رائعاً في حياتهم ولذلك فانهم صرفوا جهودهم الى المسائل العملية فانتجوا فيها فكراً تشريعيا عمليا رائعا، وحققوا انتصارات إسلامية عظيمة في الميادين الداخلية والخارجية، حيث نقلوا الاسلام الى العالم فهدوا به أمماً وشعوباً.

كان هذا لأنه لم تكن قد ظهرت بعد أمور تدفعهم الى الخوض في تلك الجزئيات.

لكن بعد فتح المسلمين العظيم للبلاد واجه نحلا ومذاهب كثيرة، كان قد فلسف مبادئها عشرات اللاهوتيين والفلاسفة في اتجاهات الوجود كلها عبر مئات السنين، لذا لم تكن مجابهتها ومناقشتها أمرا سهلا، خاصة وهي تثير المئات من القضايا الفكرية.

لذا كانت الحاجة ماسة الى عقلية واعية ومنطق جديد يفهم كتاب الله وسنة رسوله ويغوص في معانيهما ويستخلص منهما النظر العقلي لمواجهة الخطر الداهم، وانقاذ المسلمين من البلبلة الفكرية والشكوك المطروحة والشبهات الكثيرة.. وعلى الرغم من أن المواجهة قد ادت دورها وحطمت آراء وافكار متفلسفة تلك الأديان والفلسفات واستطاعت ان تنقذ العقيدة الاسلامية من الهدم والانحراف إلا أنها وقعت في اخطاء منهجية وموضوعية واسلوبية نذكر منها خطئين.

الأول: أنها جعلت العقل المعتمد الأساسي في المعرفة، وأولت كل جزئية بموجبه، وكما عرفنا فإن العقل ليس له مجال في الغيبيات، فاختلفت لذلك المدارس الفلسفية اختلافاً كبيراً.

الثاني: أن كل واحد من اصحاب تلك المدارس اعتقد انه على حق، وغيره على خطأ، فضللوا(١) خصومهم المسلمين.

اتجاه الاجتهاد في الفقه والأصول:

هذا الاتجاه هو صلب ما أراده الاسلام من الانسان، وقدم إليه الضوابط الكلية، لتنظيم حركته الاجتماعية والفردية.

إن هذا الجانب العملي يمكن للعقل الانساني ان يبدع فيه، وقد تنافست فيه العقول المفكرة الذكية في الاسلام تنافسا علميا فريداً بحيث أنتجت لنا أعظم ثروة فقهية أصولية، لا نجد لها مثيلا في تأريخ الأمم والشعوب.

اذ قدم المسلمون لأنفسهم وللإنسانية أرقى النظم الفقهية وأوسعها وأدقها بحيث شهدت لها المؤتمرات القانونية والندوات العالمية شهادة دراسة وخبرة على عظمة ذلك التراث وشموليته وتحقيقه لمصالح الأفراد والجماعات.

لقد كان الاجتهاد الفقهي الاسلامي مصدر خير وبركة وصلاح ونمو وسعادة للمجتمعات الاسلامية، ومنطلق انسجام وتكامل في الحياة، ومدعاة استقرار وأمن لكل فرد، وكان الاجتهاد الفقهي عنوان حركة الأمة الاسلامية وحيويتها.

وقد اجتهد النبي ﷺ كما اجتهد الصحابة رضى الله عنهم في

قفل باب الاجتهاد أضر كثيراً بدفع حركة الحياة

زمانه عليه الصلاة والسلام وأقرهم على ذلك، وكان سبب ذلك لتعلم الأمة أن الاجتهاد إذا كان قد جرى في ظل نزول الوحي وفي حياة الرسول ﷺ فلأن يجري بعد انقطاع الوحي أولى وأكثر ضرورة في المسائل التي ليس لها حكم في الكتاب والسنة.

ولذلك فإنه بعد انقطاع الوحي، وبعد كثرة الفتوحات ودخول الأمم في الاسلام ظهرت الحاجة الى الاجتهاد لكثرة الاعراف والمعاملات، وكلها تقتضي نظراً جديا لحل تلك المشكلات والحكم على تلك الأعراف والأوضاع والمعاملات، فاجتهد الخلفاء الراشدون بالرأي.

وكان الرأي عندهم نوعين.

رأى محمود. وهو المستنبط من الكتاب والسنة ـ أو المحمول على القياس والمصالح المرسلة وسد الذريعة ...الخ.

رأي مذموم. وهو ثلاثة أنواع: «ما كان في مقابلة نص ـ ما كان مبنيا على هوى ـ ما كان ممن ليس أهلا للاجتهاد».

ولقد سار التابعون وتابعوهم على النهج الذي سار عليه الصحابة الكرام من الاجتهاد في المسائل المستحدثة حتى ظهرت المذاهب الفقهية الكبرى المعروفة فقدمت دليلا قاطعاً على حركة الفكر الاسلامي المبدع الذي استطاع أن يواكب الأحداث بفهم دقيق وعميق لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإدراك ذكي لحقائق التغيرات الاجتماعية هذا الفهم الذي شمل نواحي الحياة كلها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتربوياً.

الفصل البيِّن بين أصول الاسلام وبين المنتج عنها ضرورة لازمة

على أن الفكر الفقهي الاسلامي بدأ يتوقف عن الابداع سنة ٣٥٠هـ بسبب أن حركة التغيير الكبيرة التي أنتجها الاختلاط الحضاري بين الشعوب الاسلامية قد استنفدت أغراضها فاتجه الى غرض جديد لا يقل أهمية عن سابقه، إذ تميز بمحاولة تعليل الأحكام وإستخلاص القواعد الأصولية في فروع المذهب. والترجيح بين الاقوال ومقارنة المذهب بالمذاهب الأخرى... الخ.

وبعد سقوط بغداد على يد التتار سنة ٦٥٦هـ بدأت حركة الفكر الفقهي بالجمود حتى صُرِّح بسد باب الاجتهاد.

وقد جرت محاولات جدية لإحياء حركة التفكير الفقهي قادها شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى. لكن لم يكتب لها النجاح التام إلا في العصور المتأخرة.

وهنا نستطيع أن نقول: بأن باب الاجتهاد يجب أن يبقى مفتوحا وأن على العلماء أن يقوموا بهذا الاجتهاد، لأن لكل عصر مشاكله ورؤيته التي تنبثق من طبيعته، وهي بذلك تعبر عن العصر الذي ظهرت فيه، ولا يمكن أن تكون كلها صالحة لكل عصر، وإنما الواجب أن يقوم الفكر الجديد بعملية تواصل عميق مع الفكر الذى تقدمه، ويقوم بموازنة دقيقة تعبر عن المتغيرات الجديدة **ليكون الفكر الفقهي الجديد في العصر الجديد أكثر تعبيراً عن أصول الاسلام في ضبط الحركة الاجتماعية، على اعتبار أن الاسلام من حيث هو دين حق، خاتم، كمال مطلق الى يوم القيامة، كل عصر يستطيع أن يستنبط منه بغيته ، وبذلك يكون حياً، متواصلا، مرناً، متطوراً، إسلامياً، دائماً.**

إن الفقيه المفكر المعاصر ـ في مواجهته قضايا عصره الجزئية والكلية ـ لا يستطيع أن يستغني عن المادة المعرفية الفقهية بمذاهبها المتنوعة لأنها أساساً عالجت قضايا

الانسان ومشاكله.

وهذه المذاهب تضع أمام الفقيه اليوم عدة حلول للقضية الواحدة احيانا بأدلتها الأصولية، بل إنني لم اجد مسألة فقهية واحدة معاصرة تبقى معلقة بدون حل - إلا نادراً - وهذا يدل على ان هذه الثروة لا يمكن الاستغناء حتى عن رأي واحد منها، أو نظرية من نظرياتها.

وهنا يبدو سؤال: وهو أن بعض الفقهاء المعاصرين وهم يبحثون في الثروة الفقهية هذه يقدمون آراء وحلولا لا تحقق مصلحة ولا تحل مشكلة.

فنقول: إن السبب في هذا الاخفاق راجع الى واحد مما يلي:

(١) قد يعالج الفقيه المشكلة دون أن يستكمل جميع الآراء وأدلتها فيخطئ في اختيار الحل المناسب.

(٢) قد يتعصب لمذهب معين فلا يرى الحق إلا فيه فيصدر حكما لا يحقق المصلحة.

(٣) قد يتعصب الفقيه لرأي الجمهور فيحرمنا من الآراء الأخرى.

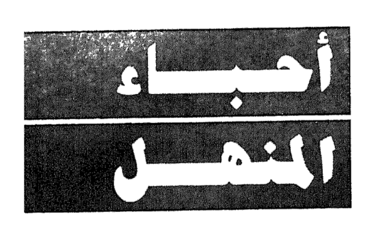
(٤) قد يعالج الفقيه القضية بعقلية المحدثين من غير الفقهاء لا بعقلية الفقهاء المجتهدين، فيسيء فهم النصوص ويعجز عن الموازنة بينها إذ يحكم من خلال ظاهرها دون دراسة عميقة لظروفها وروحها ومقاصدها ومآلاتها.

(٥) قد لا يعيش الفقيه في عصره، فيقف عند حدود العصور السابقة فينتهي الى انه ليس بالامكان أبدع مما كان(٢).

الهوامش

(١) أي قالوا عنهم إنهم ضالين.

(٢) هذه المقالة مستلة باختصار من كتاب (تجديد الفكر الاسلامي) للدكتور محسن عبد الحميد من ص١٨ - ٦٥.



مهنة الحرف هي مهنة المعاناة.. ومادمنا - أنتم ونحن - قد اخترنا الحرف وأحببناه فمن حقه علينا أن نوفيه حقه..

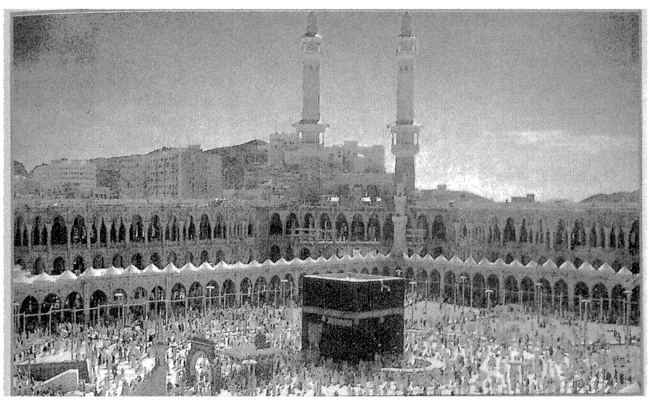
وحق الحرف علينا: الأمانة والمصداقية والجمال.. وهذه منهجية منهلكم.. وأنتم أهلها وأحق بها..

مجلتكم المنهل الآن في الستين من عمرها المديد - باذن الله تعالى - وبتواصل محبّيها.. تؤصل منهجها وتؤدي واجبها المقدس..

ولكم جميعا - كتّاباً وقراءً - نسوق الشكر والتقدير والوفاء.



الإسراء والمعراج



المسجد الحرام

السمو الروحي قيمة

علم الديـن أبو الحمد

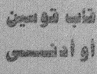
جـــدة

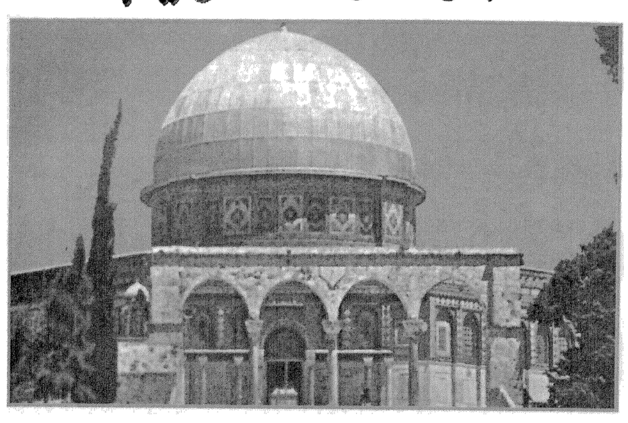
قصة الإسراء والمعراج قصها القرآن الكريم . وقد ابتدأت هذه القصة بقوله عز وجل: **«سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا . إنه هو السميع البصير».**

أما آيات المعراج فقد وردت في سورة النجم، قال الله عز وجل: **«والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى)**.

لقد فضل الله نبيه ﷺ علي أهل السماء والأرض كما فضله على جميع الأنبياء، وذلك ثابت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن الله فضل محمدا عليه السلام على أهل السماء، وعلى الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم. وجاء في هذه الرواية، قالوا: فما فضله علي الأنبياء، قال: إن الله تعالى قال **«وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم، وقال لمحمد «وما أرسلناك إلا كافة للناس».** هذا وإذا كانت قلوب المؤمنين مفعمة بمكانة محمد ﷺ عند ربه فإنه من السهل عليها أن تؤمن بما قصه الله علينا من ذلك في حادث الاسراء، حيث لم يكن حادث الاسراء والمعراج إلا نوعا من التكريم ووسيلة من وسائل التثبيت اختص الله به نبينا محمدا

المعجزة والتكريم





ايمانية تنظف النفس من أدرانها

ﷺ الذي أرسله بالهدي ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور وليقرع قلوبهم بكلمة التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية وليحول العالم من مجري المادة الطاغية علي سعادة الانسان الى مجري الروح التي تنهض به وتسمو الى الأفق من مستوي الانسانية.

لقد تجلى الله بالاسراء، على نبيه فثبت فؤاده وشرح صدره ورفع ذكره وأسبغ عليه من بحار الفيض ما تمكن به في لحظات يسيرة، أن يكشف كثيرا من آيات ربه الكبري وعجائبه العظيمة في أرضه وسمائه « **لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**» أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى.

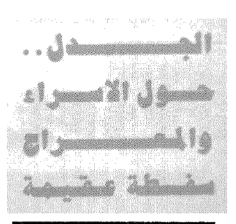
أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه
والرسل في المسجد الأقصى على قدم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم

ثم عرج به الى السماوات السبع يرقى سماء فوقها سماء، الى سدرة المنتهى حيث شاء رب العزة والملكوت.

وقد ترجم تلك المعاني السامية أمير الشعراء شوقي فقال:

مشيئة الخالق الباري وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم
حتى بلغت سماءلا يطار لها
على جناح ولا يسعى على قدم

إن الاسراء منحة من الله لنبيه محمد ﷺ، ونعمة فريدة له لم تعرف لغيره ممن سبقه من الانبياء المرسلين، دلت على عناية الله برسوله خاتم الأنبياء والرسل، وتكريمه إياه وتقريبه لجانبه، حتى كان في ملئه



الأعلى «قاب قوسين أو أدنى» وتوجيها لقوله تعالي: **«واصبر لحكم ربك حين تقوم، ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم»**.

فالإسراء نعمة إلاهية لا يعزب عن القلوب جلالها، ولا يجف عن الأذهان مدادها، فهي على الدوام شاخصة لقلوب المؤمنين، بها يعرفون أن الله قد أكمل تربية نبيهم ﷺ حيث قال الرسول عن ذلك **«أدبني ربي فاحسن تأديبي»** وكما أعد الله قوى رسوله الحبيب النفسية والعقلية والجسمانية لتحمل أعباء الرسالة المكلف بها.

الاسراء فضل وتكريم ونعمة وهو شأن من شئون الله مع نبيه محمد ﷺ الذي صنعه بيده، وحاكه بحكمته، فلنؤمن به إيمانا كاملا كما أخبر الله عز وجل، ولا نسأل، أكان بالجسم أم بالروح؟ أكان في اليقظة أم في المنام، ولا كيف انتقل، ولا كيف ارتفع، فالفيض غزير والاستعداد تام.

«وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»

• **«ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا»**.

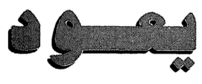
عندما ابتدأت آية الاسراء بقوله تعالي «سبحان الذي أسري بعبده» فبدأ بالتسبيح لله عز وجل ليتناسب مع جو الاسراء اللطيف الدقيق، وصلة العبد بربه وهذه العبودية المذكورة في مقام الاسراء حتي لا تنس هذه الصفة وألا تلتبس بمقام الألوهية كما في العقيدة المسيحية بعد عيسي عليه الصلاة والسلام بسبب مولده وموته وما أعطي من آيات ومعجزات.

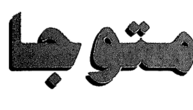
لقد كان الاسراء بين طرفي أقدس حرمين وهما المسجد الحرام قبلة المسلمين، والمسجد الأقصي قلب الأرض المقدسة، التي يدنسها ـ الآن ـ من لا حق لهم في سكناها ولا العيش فيها.

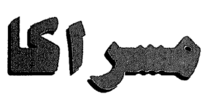
وقصة الاسراء والمعراج أظهرت عداوة مشركي قريش المتأصلة فيهم ويعدهم عن عقيدة التوحيد كبراً وجهلا فاحشا بحقيقة الألوهية الواحدة. وأظهرت هذه القصة ضعف نفوس صدقت بالرسالة ولكن كان إيمانهم هشا. وضعيفا فارتدوا على أعقابهم خاسرين الدنيا والآخرة، كما أظهرت ثبات من دخل الايمان قلبه وثبت فيه وتمكن في سويداء قلوبهم وفي مقدمتهم سيد المؤمنين وصديق الأمة أبو بكر رضي الله عنه.

وإذا كان للمؤمنين بالرسالة المحمدية أن ينتفعوا بذكري الاسراء والمعراج فليتذكروا بها فضل الله علي نبيه الذي جاهد وكافح في سبيل نشر هذا الدين وتثبيته والعمل علي إسعاد الانسانية وينتهجوا خطته وليبلغوا بدعوته آفاق الأرض ويبلغوها بأسلوب وعمل سمح وميسر، وليوقفوا جيش المنصرين النشطين في العالم الذين يخرجون الناس من النور الى الظلمات.











شعر:
محسن عبد المعطي
مصر

أسرى بك اللهُ العظيمُ وذاكـا
شرفٌ كبيرٌ لم ينله سـواكا
سبحانَ من أسرى بكم في ليلة
كنتَ السراج بهـــا فما أبهاكـا!
من بعد أنْ أوذيت يا بدر الدجى
وعـفـوت عـمن منهم آذاكـا
سطّرتَ أخلد قصةٍ نرنـــو لهـــا
مـتـنـوّقين سطورها ونداكـا
بالنبل والإيثـــار والحـــب الـــذي
شهـد الأحبة شهـده وعداكـا

* * *

جاهرت بالدين الحنيـــف متمّـمـا
لمكارمَ الأخـلاقِ تحتَ لواكـا
وهتفت من أعلى الجبال مكـبـراً
مُتَجلّداً والنصـر من مـولاكا
فتولد الحقد الكريـــه مصارعـــا
حقـاً كنور الشمس يملأ فـاكا
لقيت جموع السابقـــين إلى الهدى
بعد التمسك بالحنيف عراكا
ذاقوا الشتائـم والمكـاره كلّـهـا
ممن تجـاهل دينكم وقـلاكـا
والمشركون تشددوا في مكرهـــم
كم بيتـوا أن يشبعـوك هلاكـا
كم حاولوا أن يكسبوك لصفهـم
لكنهم فـشلوا فـمـا أقـواكـا!
دافعتَ عن دين الإلـــه بكل مـــا
أوتيت من عـزم كـمـا أنشـاكـا
والأوفياء من الصحاب تسابقـــوا
بوفـائهم كي يظفـروا برضـاكـا
لم يَضْعُفُوا بل قاوموا وتيقـــنوا
أن الإله أعـــزهـم بهــداكــا
والعـــم أودى والقريـــنة ودعـــت
في عـام حـزن قـاتم تركـاكـا
قد كانت الأم الحنـــون وقلبُهـا
يسع الحـوادث عندمـا تلقاكا
تبكي الفراق على خديجـــة إنـه
يوم كـئيب فى غُيـوم سَمَـاكـا
وخرجت كي تلقى ثقيف مؤمـلا
أن تشـرئب الى رنين نداكـا
لكنهـا تأبـــى بكـــل تعـــنت
إن تدن منهـا تنأ عن دعواكـا

* * *

أسرى بك الله المعز مؤيـــداً
للمسجد الأقصى فيا بشراكا
هذا براق العز فاركب شامـخا
فوق الجميع ولا تطل شكواكا
قال: «الشفاعة يوم حشر للورى
أنت المجيـر ومـا أرى إلا كـا
شفّع تُشَفع عند ربك وادعـــه»
حتى اطمأن وطـار، ما أهناكا!
ووصلت للقدس الشريف مؤمّراً
والأنبـيـاء تهـيـئوا للقـاكـا
أنت المقدّمُ يا حبيب تؤمهـــم
نظموا صفوفا للصلاة وراكا

* * *

وعرجت يلقاك «الخليل» مرحباً
ومهنئاً ومبشـراً بضيـاكـا
شاهدت من آى الإله وصنـعه
فارتاح قلبك وانتشت عيناكا
حياك ربك يا محمد رافعـــاً
من شأنك العالي وقد ناجاكا
وأتيت أمتك الحبيبة بالهـــدى
خمس من الصلوات قد أهداكا
مازال ذكرك يا حبيب على فمي
أهفو لدرس من سنا إسراكا

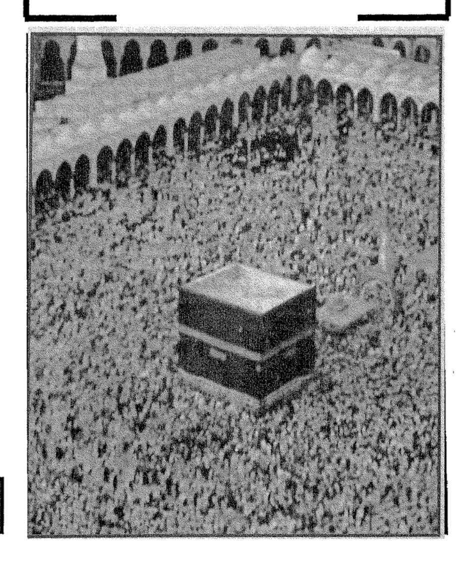
* * *

أشكو إليك حبيب قلبي ما بنا
وقد ارتأينا البعض قد جافاكا
هذي شعوب المسلمين تبعثرت
ما عاد يجمعهم رباط سناكا
تركوا كتاب الله خلف ظهـورهم
والبعض منهم - سيدي - يتباكي
فتملكتـــهم عصبـــة مجنونـــة
بالحقد تعبث في ضياع رباكا
في قبلة الأقصى تمزق شملنـــا
حتى اكتوينا واستبان رؤاكا
بتنا غثاء السيل في نكناتـــنا
والمجرمون توحشوا بحماكا
كم قتلوا كم دمروا كم ضيعـوا
طفـلا ووالدة تعيش مـلاكـا
والقدس يشكو الاحتلال وظلمه
بأنينه في الأسر ما أدراكا!
فادع الإله عسى يفـك قـيوده
حتى يعود مـتوجا مسـراكا

الإسراء والمعراج.. وميراث القيادة

الشيخ ابراهيم الدسوقي

أين المسرى؟ وماذا حل به؟ وماذا يجري على أرضه؟
بدلا من اجترار الخلافات القديمة حول الرحلة نظموا صفوفكم من أجل استعادة القدس السليبة



«الاسراء والمعراج» الرباط الروحي المتين لرسالات السماء.. من مكة المكرمة الى بيت المقدس كان الاسراء، إنه وحدة التقاء المكان منذ الازل، ومن بيت المقدس - المسجد الاقصى - الى السماوات العلى - كان المعراج. هناك التقى رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم برسل الله السابقين المكرمين عليهم السلام أجمعين، اعطوة من القدر والمكانة ما هو أهل لها.. تقدمهم وصلى بهم إماما إذن، الإمامة الحقيقية لهذا الدين الخاتم وأهله.. أو هكذا ينبغى ان يكون الأمر. كل الأديان السماوية توحدت في الاسلام.. وان الله سبحانه ارتضى لنا الايمان وسمانا المسلمين، وهذا مالا تبغى له بدلا. إذن، قدر هذا الدين، الاسلام ، ان تكون له القيادة، وقدر - المسلمين - ان يكونوا أوفياء لدينهم.. وما أن يهل هلال رجب الخير إلا ويجيش الخاطر بهذه الرحلة الخالدة (الإسراء والمعراج) إن فيها من الآيات العظام مالا يحصى عددا.. ولا أحسبنا بحال نمر عليها مرور الكرام.. ولعلنا نتخذها

الرحلة كانت تسريه عن الرسول
وحولت القيادة الروحية إلى المسلمين

حــوار:
نهاد عبدالوهاب الحنفي
مصـــــر

مناسبة جليلة للالتقاء والتوحد، وتوحيد كلمة المسلمين أمام جيوش الهوى والاحتلال التي سرت في جو المسلمين سريان الجرائيم القاتلة في هذا الفضاء الرحب، وفى رحاب هذه المناسبة الخالدة نسجل هذا اللقاء مع فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقي وزير الأوقاف المصري الأسبق.. وهو حديث يعيد لنا روح وعمق هذه الرحلة الخالدة (الاسراء والمعراج).

المنهل

** **المنهل،** فى هذا الشهر الفضيل يحلو للبعض أن يجتر الخلافات القديمة حول الرحلة هل كانت بالجسد أم بالروح.. فما ردكم؟.

** بعض الناس يجادل فى هذه النقطة حيث يعتقدون أن الأقرب الى العقل والمنطق أن تكون معجزة الإسراء والمعراج قد تمت بالروح وحدها وأن يكون الرسول ﷺ رأى ما رأى وهو نائم، كما يرى أى إنسان أشياء فى الحلم.

والواقع أن مسألة الاسراء بالجسد مسألة مهمة وأساسية لأسباب منها. اننا لا يمكن أن نطبق العقل والمنطق على قدرة الله سبحانه وتعالى: فإذا كان الله هو الفاعل فلا تقل: أن ذلك أقرب الى العقل أو أبعد عن العقل، بل هناك يتوقف حكمنا بالمنطق والعقل لان قدرة الله سبحانه وتعالى فوق كل العقول. ومن هنا فإننا إذا حاولنا أن نضع قيوداً لمعجزة الاسراء والمعراج - تلك المعجزة الخالدة التى اختص الله سبحانه وتعالى بها رسوله الكريم - ونقول إنها أقرب الى العقل أن تتم بالروح بدلا من أن تتم بالجسد الى آخر ما نقول فى هذا الشأن، فإننا بذلك نضع قيوداً على قدرة الله سبحانه وتعالى فى أن يفعل ما يشاء. وهنا الخطأ والشطط.

بجانب ذلك.. اذا كان الاسراء تم بالروح فقط، أو كرؤيا منام لما قال الكفار للرسول الكريم.. أتدعى انك أتيتهما فى ليلة ونحن نضرب أكباد الإبل شهراً، لان المنام أو الرؤيا فى النوم لا تناقش مع من رأى، ولذلك لو كان الاسراء مناماً - كما يدعى البعض - ما ناقش أحد رسول الله ﷺ، ولكنهم عرفوا أن رسول الله يتحدث عن رحلة تمت فى اليقظة وليست فى المنام وتمت بالجسد والروح معاً. (ثم أرى انه لا

ينبغي أن لا يسأل سائل.. كيف وقعت المعجزة وأسرى بالرسول من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، ذلك لأنه من رحمة الله تعالى انه لم يكشف لنا جواب هذا السؤال لسبب بسيط هو: ان الله عز وجل قد رحم هذه العقول وهداها فى حيرتها حين قال عن معجزة الاسراء والمعراج: «**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى**» (الاسراء/١).

أى أن ما حدث كان أمراً لا يقال فيه الا: «**سبحان الذى شاء أن يقع ما وقع**»، و«سبحان الذى أراد أن يحدث ما حدث»، ان بدء قوله تعالى بكلمة (سبحان) يمنع الخوض فى الكيفية لأنه إذا أراد شيئا فإنه يأمره أن يكون «اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون» (سورة يس)

سبب الرحلة المقدسة:

**** المنهل،** لماذا أسرى بالرسول من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى بالذات وليس الى أى مكان آخر؟

** إن النبوات ظلت دهوراً طويلة وقفاً على بنى اسرائيل وظل بيت المقدس هو مهبط الوحى ومشرق أنواره، فلما أهدر اليهود كرامة الوحى وأسقطوا أحكام السماء تقرر تحويل النبوة عنهم الى الأبد، ومن هنا تنزلت الرسالة على عربى من مكة وبعد أن كان بيت المقدس هو القبلة الأولى صار المسجد الحرام هو القبلة الجديدة، وكان هذا كله يعنى تحويل القيادة الروحية من أمة الى أمة، ومن بلد الى بلد، ومن ذرية (اسرائيل) الى ذرية (إسماعيل).

لهذا أرى أن فى ذلك دلالة على ما ينبغى أن يوجد لدى المسلمين فى كل عصر ووقت من الحفاظ على هذه الأرض المقدسة وتطهيرها وحمايتها من مطامع الدخلاء وأعداء الدين، وكأن الحكمة الالهية تهيب بمسلمى هذا العصر ألا يهنوا ولا يتخاذلوا أمام عدوان اليهود على هذه الأرض المقدسة.. وأن يحرروها من رجسهم ويعيدوها الى أصحابها المؤمنين، ومن يدرى؟ فلعل واقع هذا الاسراء العظيم هو الذى جعل «صلاح الدين الأيوبى» يستبسل ذلك الاستبسال العظيم ويوظف كل جهده في سبيل صد الهجمات الصليبية عن هذه البقعة المقدسة حتى ردهم على أعقابهم خائبين.

الأصول الدينية للقدس:

**** المنهل،** ما هى الأصول الدينية لبيت المقدس فى الاسلام؟.

** ان الآية الأولى من سورة الاسراء «**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**».

هذه الآية الكريمة مع إيجازها البليغ، وثيقة إلهية خالدة حول الأصول الدينية لبيت المقدس في الاسلام، وسندا فى الوقت نفسه - جامعاً مانعاً - يرفعه المسلمون على مر العصور لحماية تلك الأصول وسلامة أعرافها فى الاسلام وصد كيد المتآمرين والطامعين أيضاً عن تلك المدينة المقدسة فى الاسلام، كما هى مقدسة أيضاً فى الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية.

(لقد أوضحت سورة الإسراء عمق بيت المقدس فى رسالة السماء وامتداد تلك الأصول الى الدين الاسلامي الجديد، حيث جمعت الآية الكريمة بين المسجد الحرام فى مكة وبين المسجد الأقصى فى بيت المقدس، تأكيداً على وحدة الرسالات السماوية التى يمثل الاسلام الدين الخاتم لها.

وعززت أحاديث الرسول الكريم تلك الأصول الدينية لبيت المقدس فى الاسلام، وكذلك ما روى عنه ﷺ حول الاسراء الى بيت المقدس فقال ﷺ «لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد.. المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا»، وذكر الرسول الكريم أيضا ارتباط أصول بيت المقدس دينياً بالاسلام فى قوله ﷺ «صليت ليلة أسرى بى الى بيت المقدس عن يمين الصخرة: صخرة بيت المقدس من صخور الجنة» ومنها عرج النبى الكريم الى السماء وغدا الاسراء برسول الله الى بيت المقدس ثم المعراج من صخرة المقدس الى السماء تأصيلا للروابط بين بيت المقدس والدين الاسلامي وأن هذا الرباط وثق الله سبحانه وتعالى أواصره فى سورة الاسراء.

وظلت تلك الأصول الدينية لبيت المقدس فى الاسلام على نحو ما قررته (سورة الاسراء) تؤدى دورها فى شحذ همم المسلمين فى رعاية تلك المدينة، والمحافظة على المعالم التى دارت حول المسجد الأقصى بها، والصخرة التى صلى الرسول الكريم الى جوارها، وكذلك عرج منها الى السماء.

**** المنهل،** ترى ما هو الهدف الأسمى من رحلة الاسراء والمعراج؟.

** كانت هذه الرحلة لان النبى الكريم كان الحزن يعصر قلبه لوفاة عمه (أبى طالب) الذى كان ردءاً له، وزوجته (خديجة) رضى الله عنها - التى كانت سنداً وعضداً - وطافت أحاسيس الهوان بمشاعره بعد رحلة الطائف، حتى لجأ الى ربه فى ضراعة مؤثرة، قال فيها «أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، الى من تكلنى» لهذا كانت الرحلة المباركة والتى عاد بعدها النبى شيئاً آخر بعد ما أراه الله من آياته الكبرى، فسلى القلب الحزين وهدأت المشاعر المتوثبة وسكنت فانطلق بالدعوة بين القبائل الوافدة لموسم الحج بثقة عالية، وعزيمة لا تفتر وفؤاد لا يقنط حتى تعرف على الطليعة الكريمة من أهل يثرب ودخلوا دين الله أفواجاً.

في ذكراه الثمانية عشرة

عبدالقدوس الأنصاري

رائد الصدق والالتزام

أول ملتقى أدبي كان ملتقى الأنصاري


الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري يراجع طباعة المنهل

المنهل أول عمل صحفي جاد في المملكة وهي أم المجلات السعودية

الأنصاري من أجيال الريادة التي لم تتكرر

الاستقامة في السلوك | البعد عن الخصومة | صفات مميزة للأنصاري

بقلم: عبدالكريم عبدالله نيازي
مكة المكرمة

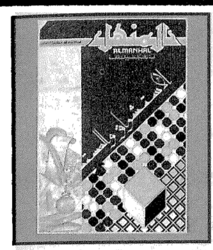
«المنهل» مؤسسة فكرية

العدد الأول من مجلة المنهل

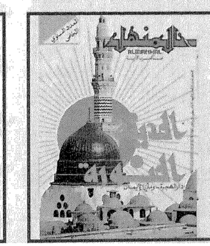
منذ اثنى عشر عاماً فقدت الأمة العربية والإسلامية علماً من أعلام الفكر ورائداً من رواد الحركة الأدبية والفكرية والعلمية والثقافية.. فقدت شيخ الصحفيين.. ورائد الأدباء.. الباحث المحقق.. الاستاذ عبد القدوس الأنصاري.. المؤرخ والمفكر والصحفي والعالم والأديب الكبير الذى أثرت إسهاماته الواقع الأدبي والفكرى والثقافي فى المجتمع السعودى والأمة العربية والسعودية.. وذلك منذ ستين عاماً .. عندما خرجت فكرته الرائدة الى حيز الوجود فى صورة «المنهل» التى كانت أول مجلة أدبية فكرية ثقافية تصدر في المملكة العربية



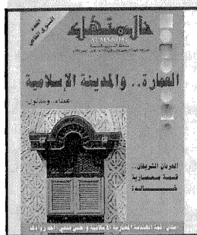

عدد الفن



عدد الاستشراق



عدد المدينة المنورة



عدد العمارة الاسلامية

السعودية.. وهو أيضاً أول كاتب ومفكر اهتم بالأدب كلمة ومقالاً وقصة وشعرا.. وأول من ناقش أدباء العرب فى الجرائد والمجلات العربية خارج الحدود.. في الوقت الذى كانت لا توجد فيه أي صحافة على الإطلاق بالمملكة العربية السعودية.

فكان رائداً في فن القصة.. فهو أول من كتب القصة ونشرها بين دفتى كتاب تحت عنوان: «التوأمان» بالإضافة الى الحركة الأدبية التى

‏„ شغف بالتاريخ والآثار فأبدع فيها ابداع الرائد والمتمكن

تخرج فيها كبار رواد الحركة الأدبية

أسسها في المدينة المنورة.. فكانت المدينة المنورة بفضل جهوده هى المدينة الوحيدة التى كانت تعقد فيها الندوات الأدبية.. والأمسيات الثقافية.. والمحاضرات الفكرية.. ويتوج كل تلك الأعمال حبه وشغفه بالآثار.. فقد جمع منها الكثير.. وكتب عنها كثيراً أيضا.. وكان رائداً فى هذا المجال الهام.

قضى الاستاذ عبد القدوس الأنصارى حياته كلها فى البحث والدرس والإنتاج.. ومضى الى جوار ربه مرضياً عنه.. ومبكياً عليه من كل أصدقائه وجميع تلاميذه ومحبيه وما اكثرهم، مضى الى جوار ربه بعد أن حمل الرسالة.. وأدى واجبه كاملا.. ونال الثناء الكثير من كل من عمل معه أو تعرف عليه.

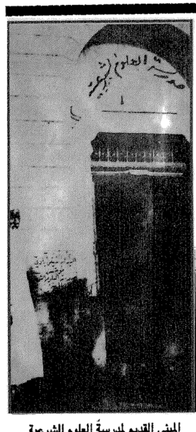
ولد رحمه الله بالمدينة المنورة.. ونشأ وترعرع فى رحاب مدينة الرسول ﷺ.. والذى يستحق التقدير والإعجاب حقا فى حياة الأنصارى أنه كان واحداً من جيل الرافعي والعقاد وغيرهما من المفكرين والأدباء الذين لم يحصلوا على شهادات علمية مدرسية.. وإنما كان كل محصولهم العلمى مأخوذاً من الثقافة الذاتية التى تفوقوا بها على أقرانهم من حملة الشهادات الجامعية والعالية والأكاديمية.

درس الاستاذ عبد القدوس الأنصارى فى المسجد النبوى الشريف فقط ومع ذلك صار أستاذاً ورائداً للأدب العربى فى مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة..

وتولى أيضا رئاسة تحرير جريدة «أم القرى» لمدة أربع سنوات.. ثم عمل فى ديوان سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز، نائب جلالة الملك عبد العزيز فى الحجاز وأبى عليه الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز رحمه الله رغبته العارمة فى التقاعد بعد أن تقدمت به السن للتفرغ للبحث والكتابة ومتابعة رحلة القلم التى بدأها فى شبابه المبكر فى مدينة الرسول ﷺ حيث كانت مهبط رأسه.. ومرتع صغره وربيع شبابه.. ومعاهد تعليمه.. وميادين عمله الحكومى والصحفى.

عرفت عنه رحمه الله الاستقامة فى السلوك، والدماثة فى الأخلاق.. والنشاط الأدبى والصحفى.. والإنتاج العلمى والتاريخى.. والبعد عن الخصومة والمهاترات الكلامية.. وهو أول من أنتج وألف وكتب بالمدينة المنورة.. وصدرت روايته الأولى «التوأمان» فى فجر حياته الأدبية، مما شجع على الاستزادة والإنتاج.. فأصدر بعد ذلك كتاب «آثار المدينة المنورة» بعد بحث دقيق فى الآثار والتاريخ الذى تحدث عن الآثار الصحيحة..

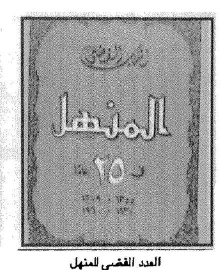
«الأعداد السنوية الخاصة نهج جديد تفردت به المنهل»



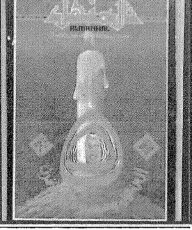
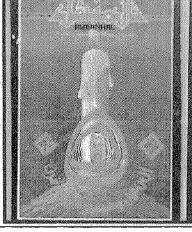
المبنى القديم لمدرسة العلوم الشرعية

والتأكد من بقائها وتصورها على مدى الأزمان والأجيال والقرون والعصور، وكان يطبق ويقارن ما كان يراه رأى العين من الآثار على ما كان يقرؤه فى كتب الآثار والتاريخ.. ولذلك فقد خرج الكتاب كاملا فى موضوعه جديداً فى منهجه.

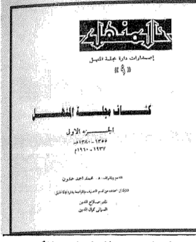
وكان رحمه الله رحب الصدر.. واسع الأفق.. نقى القلب.. مشرق النفس.. قليل الكلام.. كثير البحث والاطلاع والانتاج.. غزير الثقافة.. واسع المعرفة.. سريع الحفظ والتعليق.. يحتضن المواهب الشابة.. ويلتقى بالأدباء الشبان ويشجعهم. وكنت دائما من رواد



العدد الفضي للمنهل

العدد الذهبي للمنهل



كشاف مجلة المنهل الجزء الأول

منذ تأسيسها.. والمنهل أمينة على

ندوته الثقافية التي كان يعقدها فى منزله.. ويستقبل فيها الكتاب والأدباء والمفكرين وخاصة الأدباء الشبان وأذكر أنه قال لى فى نهاية حياته.. بعد ترددى على ندوته الأدبية سنوات وسنوات.. قال لى: «الآن يا عبد الكريم أنا مطمئن عليك.. فقد تخطيت العتبة».

كانت الصحافة هوايته الأولى والمفضلة.. فأصدر منذ حوالى ستين عاماً مجلة «المنهل» بالمدينة المنورة عام ١٣٥٥هـ، رغم قلة وجود الكتاب والقراء.. وقد طبع العدد الأول منها فى مطبعة المدينة المنورة.. وكان طبعها هو باكورة إنشاء مطبعة المدينة.. وطباعة «المنهل» هى التى فتحت العيون.. ونبهت الأذهان.. على ضرورة إيجاد من يتقن ويجيد علم الطباعة.. وخلال ما يقرب من نصف قرن من الزمن نمت «المنهل» وكبرت واشتد عودها!! وقوى ساعدها وتطورت تطوراً كبيراً.. بحيث إنها تعتبر سجلا تاريخياً للمدينة المنورة بصفة خاصة.. والمملكة العربية السعودية بصفة عامة.. **فقد واكبت الأحداث الأدبية**

أول رواية صدرت بالحجاز:

التوأمان

رواية أدبية علمية اجتماعية

بقلم

عبد القدوس الأنصاري

الموظف بديوان امارة المدينة المنورة

« ملحوظة هامة:

« قد فسرنا بعض الالفاظ اللغوية المغلقة »

« وحللنا بعض التراكيب المجازية بأسفل »

« صفحات الرواية: ايضاحاً وتنويراً لافكار »

« الناشئين والمبتدئين من القراء الكرام »

« المؤلف »

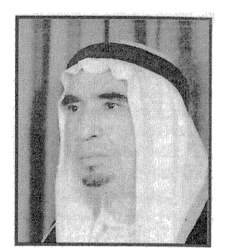
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٣٤٩ هـ مطبعة الترقي بالقيمرية في دمشق ١٩٣٠ م

التوأمان.. أول قصة سعودية

والتاريخية والفكرية والثقافية والاجتماعية.. وتتلمذ عليها الكثير من الكتاب والأدباء والمفكرين والشعراء.

وكان رحمه الله يملك أسلوباً مؤثراً فى علاقته بالآخرين فلم يغضب منه زميل أو صديق.. ولم يخاصمه كاتب أو مفكر.. وحاز تقدير واحترام وإعجاب كل من كان يعمل معهم.. منذ أن كان شاباً يافعاً.. وكان بعيداً عن روح التعصب والخصومة.. مترفعا



علي حافظ



عثمان حافظ

الكلمة الصادقة الرفيعة

بنفسه عما يسببه النقد الأدبي من المهاترات والخصومات الشخصية التي ذاق منها الكثير في بداية حياته الأدبية.. وكتب اكثر من مرة يحذر من خطورة التشجيع على بروز أنواع النقد غير الهادف في سماء الحياة الأدبية.. لأنها تورث العداء بين الإخوة والأصدقاء.. وتشيع روح التعصب والتحزب.. وتجدب دنيا الأدب من الانتاج والعطاء.. وكتب رحمه الله في هذا الصدد يقول: «إن لون النقد الذي نسميه معارك أدبية هو لون أسود، وقد انتقل إلينا من الخارج.. إبان تأسيسنا لأدبنا الحديث».

إن جيل الأنصاري يمثل القمة في الخلق والوفاء والمروءة.. ونظافة اللسان.. والتواضع ولين الجانب.. والالتزام برسالة الكلمة وما تفرضه على المرء من الترفع عن الصغائر والتحلي بمكارم الأخلاق بحيث إنهم يفرضون على الانسان ان يتخذهم قدوة ومثالا في علمهم وأدبهم وفكرهم وفضلهم. ودأبهم في تحصيل العلم.. وسعيهم في اكتساب المعرفة.. ودقتهم في أدائهم لعملهم. وقد كان الاستاذ الرائد الذروة من أولئك الرواد الأوائل.. فهو في العلم الموسوعة الكبيرة.. والحديقة المزهرة.. والأرض الخصبة المعطاء.. وهو الأديب الذي انقاد له القلم حتى بلغ به الأسلوب الأدبي مرتبة قادة الفكر والأدب في القديم والحديث.

وهو في العلم والآثار والبحث اللغوي.. أحد أئمة اللغة والبحث في العالم العربي والاسلامي.. وهو في الصحافة شيخ من شيوخها.. وعلم من أعلامها ورائد من أبرز روادها.. وإن من يقرأ بدايته مع الصحافة حينما بدأ يفكر في إصدار «مجلة المنهل» في المدينة المنورة.. يدرك من أول وهلة الى أي مدى كان هذا الشاب مثل شباب جيله يلتزم برسالة الصحافة ويؤمن بمسئولية الكلمة.

و«المنهل» بعد حقبة من الزمن أخذت تنتقل الى مرحلة جديدة في الطباعة.. بعد أن أصبحت تطبع بمطابع أم القرى بمكة المكرمة في ثوب أنيق جديد من الطباعة على الورق الأبيض الصقيل.. واستمرت طباعتها في مكة المكرمة بمطابع «أم القرى» فترة من الزمن. ثم انتقلت الى مطبعة «المصحف الشريف» و«مطبعة البلاد السعودية» وصالت المنهل وجالت.. وصسرت وصدت.. حتى وصل صونها.. وبلغت رسالتها كل ديار العروبة والإسلام منذ عام ١٣٥٥هـ وحتى الآن.. وعرف عن طريقها رجال الفكر والأدب والثقافة والعلماء.. وأساتذة الجامعات.. والمعاهد العليا، والمنتديات الأدبية، إن في المملكة العربية السعودية أدباً حديثا، وأدباء وشعراء وكتاب ومفكرين.. وصحافة وحركة فكرية.

وبفضل الإخلاص للرسالة والثبات على مبادىء الدين والحق والعقيدة والأخلاق والسلوك القويم.. صدر توجيه جلالة المغفور له الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.. بتعيين الاستاذ عبد القدوس الأنصاري رئيسا لتحرير الجريدة الرسمية «أم القرى» منبر الملك عبد العزيز رحمه الله.. وبلغ الاستاذ الجليل مكانة بارزة مرموقة عند ولي الأمر ونائبه المغفور له جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز وصفوة رجالهما.

ودخل الشيخ عبد القدوس الأنصاري دائرة المسئوليات الكبيرة.. فرئاسة تحرير جريدة «أم القرى» ليست من الامور السهلة البسيطة.. بل هي قمة المسئولية الرسمية والصحفية.. ومما ساعد على نجاحه أن جلالة المغفور له فيصل بن عبد العزيز نائب الملك في الحجاز - آنذاك - كان قريبا منه في مكة المكرمة. يمده بالنصيحة.. ويزوده بالتجربة ويشد من أزره.. ويقوي من عزمه.. ويصلح من شأنه.. ويمنحه سديد رأيه وتوجيهاته.

وخلال فترة حياته وإقامته بالمدينة المنورة تمسك به الأمير الجليل الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم.. وكيل أمير منطقة المدينة المنورة آنذاك.. للعمل معه للقرب

منه.. لشدة حبه له.. ورغبة فى التيسير عليه.. أهداه فرسا لتنقلاته .. لدماثة خلقه.. وكريم طباعه.. وغزير علمه.. وسعة معرفته.

إن بداية معاناة الاستاذ عبد القدوس الانصارى مع الكلمة كانت منذ مرحلة اليفاع المبكرة. فقد أحب القراءة كثيرا.. وأراد أن يستفيد من كل ما يقرأ فيما يكتب وفيما يفهم.. وكانت رحلته مع الكلمة عندما كان عمره سبع سنوات.. وبدأت همته ونشاطه بالمسجد النبوى الشريف.. حيث كان الأطفال يتعلمون حروف الهجاء بالكتاتيب، وعندما انتهى من تعلم حروف الهجاء.. تطلع فى تعلم بعض الأشياء التى كان يجهلها.. فكان يحضر دروس بعض كبار العلماء خفية فى المسجد النبوى الشريف.. وكان يستفيد مما يسمع منهم.. ومعنى فى هذا المضمار الى أن بلغ أحد عشر عاما من العمر.. حيث بدأ بدراسة تفسير السيرة النبوية.. على يد العلامة الشيخ محمد الطيب الأنصارى فى المسجد النبوى مع تلاميذ آخرين فى مثل سنه.. وتلاميذ أخرين أكبر منه.. وقد درس فى البداية كتابا فى سيرة النبى ﷺ ألفه أحد الشيوخ المغاربة الجزائريين فى القرن العاشر الهجرى.. وسماه: «قرة الأنصار فى سيرة المشفع المختار».. حيث قرأه وحفظه.. وفهم جميع معانيه ومضامينه.

وانتهت هذه المرحلة من العمر باستيعابه للسيرة النبوية وشروحها.. على قدر ما فهم.. وعلى قدر ما تعلم.. ثم انتقل الى علم النحو.. فدرس كتاب: «الأجرومية» متنا بلا شروح.. حيث كان الشيخ يدرسها إياه.. ويعلمها له حفظا.. ويلقنه معانيها ويفهمه المقصود منها.

وانتهى من الأجرومية.. بعد ستة أشهر تقريبا.. وقد استوعبها وفهم كل معانيها.. وصار يتدرج فى علم النحو ويستفيد ويسأل.. حت تهيأ له المزيد من الدراسة.. ثم انتقل الى كتاب آخر: اسمه: «قواعد الإعراب» لابن هشام.. ثم درس كتاب: «الدرة الثمينة فى علم النحو» الذى ألفه الشيخ على غرار: «شذور الذهب» لابن هشام.. وكان سلسا سهلا.. حفظه الانصارى حتى استوعبه تماما.. ثم درس كتاب: «شذور الذهب» نفسه لابن هشام.. ثم انتقل بعد ذلك الى كتاب «ألفية بن مالك» حيث درسها وحفظها أيضا.. وقرأ بعض شروحها.. مثل: «التصريح على شرح الألفية».. ومثل كتاب. «الأشمونى على حاشية الألفية».

واستمر الانصارى فى الدراسة حتى بلغ السادسة عشرة من العمر، حيث قال له الشيخ: «إن الانسان إذا درس علم النحو بعناية وتفهم تام.. سهلت عليه جميع العلوم وفتحت له أبوابها» ثم درس بعد ذلك كتاب: «المغنى» لابن هشام وهو اكبر وأعظم وأهم كتاب فى علم النحو إذ أنه يتضمن فلسفة عجيبة.. وقد درسه فى ثلاث سنوات.

وبعد دراسته لعلم النحو انتقل الى علم «المعانى والبيان» فى البلاغة حيث درسه فى كتاب «الجوهر المكنون» ودرس كتابا آخر فى علم البيان والمعانى والبديع فى البلاغة لبعض علماء اللغة والبيان للكبار.. ثم انتقل الى دراسة علم الفقه الذى درس أصوله فى «كتاب الفقه» لابن أبى زيد.. وشرح الشيخ خليل من اكبر علماء المذهب المالكى.

وهكذا انتقل الشيخ عبد القدوس الانصاري من علم الى علم وأدى الامتحان فيما درسه من علوم حتى انتقل الى المعلقات العشر وديوان النابغة الذبيانى وديوان زهير بن ابى سلمى.. وغير ذلك من كتب ودواوين الشعر التى حفظها ودرسها.

ثم درس علوم الحساب والجغرافيا والتاريخ.. وفي عام ١٣٤٤هـ فتحت مدرسة العلوم الشرعية فالتحق بها ودرس بها على يد أكبر الأساتذة.. وجاء الامتحان فى عام ١٣٤٩هـ وكان الأمير عبد العزيز بن ابراهيم وكيل امير منطقة المدينة المنورة هو الذى يتولى رئاسة لجنة الامتحان المؤلفة من الاساتذة الكبار.. وأدى الامتحان شفويا وتحريريا.. الذى استغرق شهرا

فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينتقل الأنصارى من حلقة علم الى أخرى

كاملا.. ونجح بتفوق كبير.. الأمر الذى شد اليه انتباه وكيل أمير منطقة المدينة المنورة فطلبه الى الامارة.. ليكون موظفا عنده.. لذكائه ونجابته.

جاءت فكرة الأدب الحديث وكان الاستاذ عبد القدوس الانصارى يشترى بعض الجرائد والمجلات الأدبية والثقافية التى كانت تصل من مصر.. أيام وصول البريد من مصر كل مرتين فى الشهر على ظهور الجمال فكان يأخذ الجرائد والمجلات ويقرأها .

واستمر على هذه الوتيرة حتى أصبح قويا متمكنا فى هذا المجال واثقا من نفسه.. وكان يدرس

الكلمات التى كانت ترد فى كتابات ومقالات «المنفلوطى» لأنه لم يكن يعرف معانيها وحقيقتها.. فكان يدرسها ويراجعها بعمق وجدية حتى يعرف المقصود منها.. وقد فهم روح ومنهج الأدب الحديث الى حد ما.. ومن ثم صار يكتب كتابات ومقالات خاصة يتناقلها مع زملائه وأقرانه حتى جاءت مرحلة أخرى.. وهى مرحلة الانشاء الأدبي الحديث.. الذى لم يصل الى مرتبة الانشاء الأدبى المعروف.. فكان يعرف عنهم شيئا قبل ذلك.

وبعد أن اتصل به أدباء وكتاب مكة المكرمة.. بدأت الحركة الأدبية والفكرية والثقافية تنشط وتتسع.. وأراد بعض الكتاب إنشاء صحف فى المدنية المنورة.. ولكنها كانت رغبة عابرة بلا نتيجة تذكر.. فلم يكن لديهم مطبعة.. ولا يوجد كتاب أو صحفيون ولا حتى قراء بالمعنى المفهوم.. ولم يكن يوجد من يعرف كيف يدير صحيفة أدبية.. أو يحررها.. ولكن المغامرة كانت

يجلس مع هواة الأدب ويتساءل: ما هى الطريقة المثلى التى ترون أنها توصلنا الى معرفة الأدب الحديث.. والاستمرار فيه.. والتأدب به؟.. وكانت تأتيه الاجابات متعددة الاتجاهات مختلفة الآراء.. وقد جمع هذه الاجابات كلها وأضاف اليها التراجم التى كان يعرفها.. فكانت محصلة لجهود كبيرة من ناشئة الأدب.. الأمر الذى دفع به الى جمعها فى كتاب خاص.. أضاف اليه تراجمه.. وسماه «أول أثر ظهر» وقد بقى هذا الكتاب مخطوطا حتى الآن.. وبعد ذلك بدأ الاتصال بينه وبين الأدباء والكتاب فى مكة المكرمة.. الذين لم يكن

ضرورة ملحة فى ذاك الوقت.

فى عام ١٣٤٩هـ غامر السيدان على حافظ وعثمان حافظ.. وأحضرا مطبعة من مصر.. وقد تعبا كثيرا فى توصيلها الى المدينة المنورة فقرر الأنصارى أن يستفيد من هذه المطبعة قدر الامكان.. واقترح إنشاء مجلتين أدبيتين فى المدينة المنورة.. اختار هو لمجلته اسم «المنهل» واختار صديقه المخلص الأديب الكبير شاعر المدينة المنورة الاستاذ عبيد المدنى رحمه الله لمجلته اسم: «الفاتحة».

ثم بدأت عملية الاستعداد لاصدار: «مجلة المنهل» غير أنه لم يكن هناك مال يساعد على إصدارها.. وفى عام ١٣٤٩هـ كتب الأنصارى عريضة الى وكيل أمير منطقة المدينة المنورة الذى كان يشجع الأدب.. ويحب الأدباء والشباب والمثقفين.. وهو الأمير عبد العزيز بن ابراهيم.. يقول فى العريضة: «إننى أريد أن أعد وأصدر مجلة أدبية شهرية فى المدينة المنورة اسمها: «مجلة المنهل» وأرجو من معاليكم أن ترفعوا هذه العريضة الى سمو الامير فيصل بن عبد العزيز نائب جلالة الملك فى مكة المكرمة.. لعله يوافق على إصدار هذه المجلة».

وقد فرح الأمير عبد العزيز بن ابراهيم للفكرة.. ولقيت منه تشجيعا ودعما وتأييدا.. فأمر رئيس ديوانه أن يكتب عنها كتابة جيدة ويرفعها عاجلا الى ديوان النائب العام.. وقد فعل ذلك.. وكان للأمير عبد العزيز ابراهيم مكانة كبيرة لدى المغفور له جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.. لأنه كان يعتبر من رجال المملكة المخلصين.. وعادة المعاملة بعد إحالتها الى مجلس الشورى الذى وافق على الفكرة مبدئيا.

فى ذاك الوقت اتصل الانصارى بالصحافة الخارجية مثل «المقطم» و«المقتطف» و«الهلال» و«المرشد العربي» فى مصر و«المرشد العربي» فى سوريا بحلب.. وكان يرسل اليهم المقالات والموضوعات فينشرونها.

وكان الأمير النبيل عبد العزيز بن ابراهيم قد اشترى الطريق المؤدى من المدينة المنورة الى «قباء» من ماله الخاص.. وافتتحه ومهده وأزال منه العقبات والاشواك والأحجار.. ومهده وصرف عليه أموالا كثيرة.. فأراح الناس وسهل عليهم.. بحيث كان يقف الانسان بباب «قباء» بالمدينة المنورة فيرى مسجد قباء أمامه.. وقد فرح الناس

بهذا الانجاز الكبير فرحا كثيرا.

واهتز الانصارى لهذا الانجاز الخير.. وانطلق الى طريق قباء.. وكتب عنه.. وأرسل ما كتب الى جريدة «الاهرام» التي قامت بنشر كل ما كتب الانصاري في هذا المضمار.

ومكثت «مجلة المنهل» مدة عامين بلا صدور فى الدوائر الرسمية بسبب الاجراءات.. وفى عام ١٣٥٥هـ قدم الى المدينة المنورة المرحوم فؤاد حمزة وكيل وزارة الخارجية.. ونزل بجوار المسجد النبوى الشريف.. فى بيت أمام باب السلام.. وكان قريبا من بيت الانصارى.. فذهب اليه وعرض عليه أن «مجلة المنهل» التى طالب بإصدارها منذ خمس سنوات.. لم تصدر حتى الآن.. ورجا منه المساعدة فى إصدارها.. فوعده الرجل خيرا.. وبعد مرور خمسة عشر يوما.. تلقى البريد من مكة المكرمة وفتحه.. فإذا به الموافقة على إصدار «مجلة المنهل» من سمو الأمير فيصل نائب جلالة الملك عبد العزيز بالحجاز.. على أن لا تتعدى أمور الأدب.

وبدأت الرحلة.. وحول الأمير المعاملة الى رئيس المحكمة المستعجلة الشرعية.. لاتخاذ الاجراءات اللازمة.. فى إيداع كفالة قدرها خمسون جنيها ذهبا لدى المالية.. وإحضار كفيل غارم واتخاذ الاجراءات اللازمة لإصدار المجلة.. بإحضار كفيل غارم يقوم معها بإصدار المجلة.. ومحررون أيضا.. وكانت العقبات شديدة.. وأشد العقبات دفع خمسين جنيها ذهبا لدى خزينة المالية.. وهو لا يستطيع ذلك.. ولكن صديقه الكريم السيد احمد الخيارى سلم خزينة مالية المدينة المنورة مبلغ خمسين جنيها ذهبا.. ورهن بيته لديهم.

وانتهت هذه العقبة.. كما انتهت عقبات الاجراءات الأخرى وأصدر رئيس المحكمة الشرعية المستعجلة بالمدينة المنورة صكا شرعيا بصدور امر جلالة الملك عبد العزيز عن طريق سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب جلالة الملك فى الحجاز.. فى السماح له بإصدار «مجلة المنهل» الشهرية الأدبية وبالفعل صدرت «مجلة المنهل» الأدبية الثقافية.

واستمرت طباعة «المنهل» فى مكة المكرمة بمطابع «أم القرى» ثم فى المطابع الأخرى «مطبعة المصحف الشريف» و«مطبعة البلاد السعودية» وقد نقلت الى مكة المكرمة بأمر من جلالة المغفور له الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.. حيث كتب الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك الى الأمير عبد الله السديري يقول: أرسلوا الكاتب عبد القدوس الانصارى الينا.. ليتولى رئاسة تحرير جريدة «أم القرى».

ولم يكن قد سبق له أن دخل أو مارس هذه المهنة.. وهى رئاسة تحرير جريدة رسمية.. «فالمنهل» مجلة أدبية ثقافية.. تجمع المقالات وتنشرها.. وموضوعها بسيط.. ومنهجها سهل بالنسبة الى جريدة «أم القرى» الرسمية ومسئوليتها الكبيرة.

طلب وألح الانصارى من الأمير عبد الله السديرى أن يعفيه من هذه المهمة الشاقة. ولكن الأمير السديرى قال له: «اذهب وتوكل على الله.. فسيفتح عليك ما دمت مؤمنا. واحمد الله على أن الملك عبد العزيز وضع ثقته الغالية فيك.. واختارك لرئاسة تحرير جريدة «أم القرى» الرسمية فى مكة المكرمة.. فلو طلب منى الملك عبد العزيز أن أخلع هذه الثياب.. وأرتدى بدلة رسمية واذهب الى تبوك.. لأصبح بوابا عند العسكر.. لقبلت ذلك.. فاحمد الله».

ونزل هذا الكلام بردا وسلاما على قلب الأنصارى وذهب الى مكة المكرمة.. وكانت هذه هى المرة الثانية لملاقاته مع الكلمة.. غير أن الكلمة الثانية.. لم تكن من الكلمات التى عهدها أولا.. وهى الكلمة الرسمية المسئولة.. أو شبه الرسمية في وقت وزمن حرج.. زمن حرب عالمية ضارية.. لها آثارها المدمرة.. ليس على المملكة العربية السعودية فقط.. بل على العالم كله.

وكان منهجه جديدا.. واتخذ طريقة غير الطريقة التى كان يكتب

بها فؤاد شاكر.. فكان يكتب الافتتاحية في التاريخ.. أو الآثار.. أو السياسة التي كان يفهم ويعرف منها طرفا قليلا في ذاك الوقت.. وكانت المقالات الأخرى تأتي اليه من الكتاب والأدباء فيرتبها وينشرها.

اتصل الأنصاري بالأدباء والمفكرين والكتاب.. واتصلوا به.. وصارت «المنهل» تصدر الى يومنا هذا.. وأخذ يكتب في الآثار العربية والاسلامية.. وكان يعجب كثيرا لأن

جريدة أم القرى تولى الأنصاري رئاسة تحريرها لمدة أربع سنوات

الأجانب يأخذون آثارنا ومآثرنا.. ويكتبون عنها باللغة الانجليزية.. ثم نستعير منهم هذه الكتب.. ولا نستطيع قراءتها. ونعطيها لأناس آخرين يترجمونها لنا.. ونأخذ ترجمة آثار المدينة المنورة من هؤلاء الأجانب.. وعزم وصمم على أن يعمل في هذا المجال.

وتحول عبد القدوس الأنصاري من الأدب القديم الذي كان يمارسه مع الناشئة في المدينة المنورة.. مثل كتاب «الكامل» للمبرد و«المعلقات» ودواوين الأشعار القديمة الجاهلية والإسلامية.. تحول الى الأدب الحديث بفضل المرحوم السيد عبيد مدني.. الذي كان يميل الى الأدب الحديث ويتعشقه.. لأن والده كان من أعيان المدينة المنورة الكبار.. وكان متفتح الذهن.. ولديه مكتبة كبيرة.. ويأتي اليها ببعض الصحف والمجلات والكتب الحديثة مثل: «دائرة المعارف» وكتب المنفلوطي وطه حسين.. ودواوين محمود سامي البارودي.. وقد استطاع السيد عبيد مدني بسبب صداقته المتينة بالأنصاري.. والزمالة المستمرة في الدراسة لمدة عشرين عاما.. أن يدخله في الجو الجديد.. ويخرجه من الجو القديم.. وكان يقرأ معه بعض الكتب والصحف والمجلات والقصائد والقصص.. مثل قصص المنفلوطي: «ماجدولين» و«الفضيلة» و«العبرات».

وكان عبد القدوس الانصاري يرى النقد الأدبي على قسميه.. القسم الأول: النقد الأدبي الموضوعي المنهجي.. الذي ينقد الأثر الأدبي والكتابة.. وليس المؤثر أو الكاتب.. ولذلك فلابد أن يستوفي الكاتب الناقد جميع أبعاد ومقاييس النقد الأدبي.. بقدر ما يريد وما يشتهي وما يفكر.. وهذا النوع من النقد الأدبي كان يستحسنه ويحبذه.. ويدعو اليه.. وينادي به قبل خمسين عاما.. و«مجلة المنهل» حافلة بهذه الفكرة.

أما النوع الثاني من النقد.. فهو الذي يهدم الأدب.. ويدمر الأخلاق.. ويعصف بالترابط الانساني.. ويقوض دعائم العلاقة الشخصية بين الأدباء وبين العالم الآخر فيما بينهم.. ذلك هو النقد الشخصي.. الذي يستهدف الكاتب.. ولا يستهدف ما كتب.. فينقد شخصه وأصله.. وفكره وحياته كلها.. ينقدها نقداً جارحا لشخصيته.. فماذا يستفيد الأدب من هذا النقد الجارح الهادم؟. لا شئ بالطبع.

وكان عبد القدوس الانصاري يرى أن النقد الأدبي الذي دخل عندنا في أوائل الخمسينيات والستينيات نقد مستورد.. هادم وجارح.. وهذا هجاء وليس نقدا.. وهدم للأدب وليس عطاء.. ولا يفيد الأدب شيئا يذكر.. والنقد الذي يتناول الأشخاص.. ولا يتناول الموضوع. هو مهاترات واستخفاف واستهتار بالقيم والمقاييس والمفاهيم.. وضرره أكبر من نفعه.

هكذا كان وسيظل عبد القدوس الانصاري من طلائع النهضة الأدبية والفكرية والثقافية والحضارية في بلادنا.. وهو على هذا المستوى من الرعيل الأول.. الذي قدم أكبر خدمة.. وبذل أكبر الجهود في مجال الصحافة والأدب حين أسس «المنهل» عام ١٣٥٥هـ.. وكان الانصاري عصاميا.. والعصامية التي كان يحملها في صدره هي التي جعلت منه صحفيا وكاتبا وشاعرا وأديبا ومفكرا ومؤرخا.. لأن كل ذخيرته الفكرية كانت قائمة على دراسته الذاتية الخاصة.. حيث كان مولعا أشد الولع بالقراءة والاطلاع.. ويشهد على حبه للقراءة.. وولعه بالاطلاع.. المكتبة الكبيرة التي كان يقتنيها في بيته.. وهي حافلة بألوان المؤلفات.. في شتى العلوم والآداب والمعارف والفنون.. الى جانب المخطوطات التي أنفق على شرائها.. مبالغ طائلة لا تقدر من المال.

ومن هذا المنطلق كان الأنصاري يتمتع بالنزاهة والأمانة والتجرد والموضوعية.. والتضحية والثقة بالنفس.. وبهذا المنهج عاش في صراع عنيف بين المادة والروح.. ولكنه فضل أن يتخذ المادة وسيلة الى بلوغ النجاح الأدبي.. وسمو الروح الانسانية.. وكان يتخذ من أخلاقه درعا يقيه ويجنبه المكاره والأخطار.. التي لا يخلو من مواجهتها الانسان الطموح.. والرجل المكافح المناضل.. وعلى

هذا الأساس.. أدى الأنصاري دوره.. وحمل رسالته في الحياة.. بكل المعاني الفاضلة والقيم السامية.. والمثل الرفيعة.. والمبادىء الكريمة.. حتى حقق قدرا كبيرا من النجاح في مسيرته العلمية والأدبية والصحفية والفكرية والحضارية.

وكان عبد القدوس الأنصاري موسوعة في الأدب والتاريخ وله في هذا المجال عشرات المؤلفات.. في اللغة والأدب والاجتماع والتاريخ.. وقد ترك ما يقرب من الثلاثين كتابا في الشعر والرواية والتاريخ وأدب الرحلات.. والدراسات والأبحاث التي تهتم بالمكان.. ولعل من أبرزها موسوعة: «تاريخ مدينة جدة» الذي يقع في حوالي سبعمائة صفحة موثقة ومزودة بالخرائط.. وكتاب: «آثار المدينة المنورة».

وكان مولعا بكتابة التاريخ.. وهو لا يكتب التاريخ من فراغ.. وإنما كان يكتب التاريخ من أرضية صلبة عميقة.. لتخليد المدن والأمم والرجال والأعلام.. ويعتمد في إصدار مؤلفاته التاريخية على النشاط الدائب والسعي المتواصل، والجلد المستمر.. على قراءة المصادر الهامة..

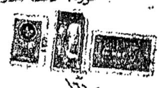
والمراجع التاريخية وأمهات الكتب لاستخلاص الوثائق والمعلومات مدعمة بالحقائق الثابتة.

وكتبه في التاريخ موثوق بها.. لاحتوائها على الحقائق الكبيرة.. والكنوز الثمينة النادرة.. لا سيما كنوز التراث.. وقد اكتسب سمعه وشهرة علمية وأدبية لدى بعض المستشرقين.. الذين ترجموا له بعض كتبه التاريخية.. التي تتحدث عن التراث العربي الاسلامي والتاريخ العربي والاسلامي.. حتى أصبحت هذه الكتب المترجمة التي قام بها المستشرقون معروفة في بعض الجامعات العلمية الكبرى في أوربا وأمريكا.. بالاضافة الى اقتنائها في أكبر وأشهر المكتبات العالمية. هذه هي رحلة عبد القدوس الانصاري الخصبة الحافلة المعطاءة التي تجلى فيها الصدق والعمق.. والالتزام والموضوعية.. ومضى فيها على خطين متوازيين.. الخط الفكري.. فاتخذ له منهجا محدد السمات.. واضح الهدف والخصائص والمعالم.. والخط الأخلاقي.. الذي يتميز بالأخلاق الفاضلة.. والقيم الرفيعة.. والمثل السامية والمبادىء الكريمة.. وسلوك العلماء والأدباء والمفكرين الحقيقيين الذين لا يأخذهم الغرور.. ولا يسيطر عليهم الكبرياء ولا تبطرهم نعمة العلم والأدب.. فكان على خلق طيب متين.. شهد له به من عرفوه شخصيا عن قرب.. ومن اتصلوا به فكريا.

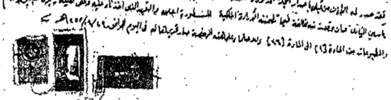
المنهل

المجلة السعودية الوحيدة التي صدرت بموجب حجة شرعية

وفيما يلي صورة فوتوغرافية من الحجة التي صدرت من المحكمة المستعجلة الشرعية بالمدينة المنورة، متضمنة صدور الإذن الرسمي لصاحب المجلة بإصدارها.



١٦٦٩



الصك الذي صدرت المنهل بموجبه

رحلات وانطباعات

في الحلقة السابقة من هذه الرحلة - الدراسة - تنقل بنا الأستاذ البلادي بين مجموعة من بطون القبائل، ورحل بنا الى مجموعة من القرى والمدن والهجر، منها كياد وقرى بنى كنانه، وقرية الفواهمة.. وغيرها.

وهذه الصفحات هى الحلقة الأخيرة من هذه الرحلة التى تسجل تاريخاً حياً للمكان والاشخاص.. وهذه الرحلة تمثل من جانب آخر دراسة تأريخية حيه يفيد منها الدارسون والباحثون في مجال الدراسات الإجتماعية وغيرها من الدراسات المتخصصة.

ونسوق الشكر خالصاً للأستاذ المؤرخ عاتق البلادى على تواصله الدائم مع قراء منهله.

المنهل

على درب اليمن القديم

الحلقة الأخيرة



بقلم:
عاتق بن غيث البلادي
مكة المكرمة

بين البيضين وبرك الغماد :

خرجنا من منزل الشيخ خليل فى البيضين، بعد إلحاح منه بالعزومة ، واعتذار منا. فصعدنا الى الطريق العام متجهين صوب الجنوب الى بنى هلال أهل البرك. وعلى ٢٧ كيلا من كياد وصلنا الى عمق، قرية قامت على هذا الطريق، وأصل الاسم لواد ينحط من الحرة (حرة بني كنانة)(١).

وكنت رأيت هذا المكان سنة ١٤٠٣هـ قبل أن تصل اليه السكة المزفتة، وظهر اليوم البون شاسعاً، **فقد تطورت كل قرى هذا الطريق خلال عشر سنوات تطوراً لم تشهده خلال قرون**، فالمواصلات اليوم والخدمات هى آية تقدم هذا العصر، فكل قرية أو مدينة أو فلاة وصلت اليها هذه الخدمات، كالطرق والكهرباء والماء والمدارس وغيرها تتطور سريعاً وتنمو نمواً يفوق التوقع، وان قرية لم تصل إليها هذه الخدمات لتظل كما هي عشرات السنين المقبلة.

الغيوم والسيول :

منذ أن بدأنا رحلتنا هذه، والغيوم تسايرنا وتظللنا، ولكن لم نر مطراً، إلا أننا وجدنا وادى حلي سائلاً، وهنا فى أودية بنى هلال التى كنا نستبق نحن والمغرب عليها، كانت تسيل سيولا آتية من الحرة.

وفى السادسة والنصف، وصلنا الى وادى دبسا(٢) والأذان يُرْفَع والسيل يجرى، فصلينا فى مسجد حديث فى قرية قد تطورت عما رأيته عام ١٤٠٣هـ تطوراً يفوق التوقع، تحمل القرية اسم الوادى (دَبَسا) وتبعد عن مدينة البرك عشرة أكيال فقط. وتقع دبسا فى تجويف من حرة بنى هلال (حرة بني كنانة قديماً) وتحيط بها نعوف الحرة من معظم جوانبها، وقد ملأت الوادى فى مبان حديثة، وسكانها قبائل بني هلال الكنانية.

البرك:

وعلى «٣٠» كيلاً من عمق و«١٢٠» من القنفذة، وصلنا الى برك الغماد(٣)، وقد طرأ عليها تقدم كبير وتعالت فيها البيوت المسلحة والدارات، وكثرت تجارتها واتسعت أسواقها، وكثفت حركتها. سألنا عن شيخ بني هلال، فقيل إنها على عدد من المشايخ، انما هنا الشيخ على بن حسن بن عبده، من آل عبده الأسرة المعروفة التي يعين منها أمير البرك(٤)، فدللنا عليه، وعنده وافانا جميع خير من شباب نابه، ما أن أذن العشاء حتى سارع كل من في المنزل الى المسجد.

تحدث هذا الحشد عن البرك قديماً وحديثاً، وكان منهم:

الشيخ على بن حسن بن عبده الذى نحن في بيته، شيخ قبيلة بني علي من بني هلال، عبد العزيز بن علي آل عبده، حسن بن علي آل عبده، عبد الرحمن بن عبد الرحيم، على بن حسن بن علي، عبد الرحيم بن الحسين أمير ذهبان، المكلف بامارة البرك بالنيابة، الأمير (الشيخ) ابراهيم بن عبد الرحيم آل عبده، أمير البرك السابق، عبد الله بن الحسن بن عبد الرحيم آل عبده (مدرس).

قال ابراهيم بن عبد الرحيم: كانت البرك مشيخة في عهد الدولة العثمانية - ربما العهد المتأخر - وكان لها ميناء تؤخذ فيه الرسوم، وانها انضمت الى الدولة السعودية طواعية. أ - هـ.

قلت: ويبدو أن بقاء هذه الإمارة بشكل متوارث في آل عبده، هو من باب الاعتراف بالفضل.

أحياء مدينة البرك:

مما ذكرناه في (بين مكة واليمن) تعرف ان البرك مدينة على شاطئ البحر، ولها ميناء كما تقدم وهي بين حرار تفوق اتساعها، وتنقسم اليوم الى:

١ - الحشا العليا: في رأس الوادي.
٢ - الحشا السفلى: القرية الشمالية، مطلة على البحر، وهي مقر آل عبده السكني.
٣ - القرية: شمال غرب البلدة.
٤ - الخالدية: جنوب غر ب البلد على البحر.
٥ - العزيزية: جنوب شرق البلد.
٦ - الشواعرة: حشة الوادي.
٧ - حارة القصر.
٨ - حارة المقطعة: وسط البلد.
٩ - مخطط البرك الجديد.
١٠ - حارة المحصنة: فيها قلاع وسور، وهي فيما يبدو قديمة العهد.
١١ - البيض: شمال شرق البرك.
١٢ - الصحين: شمال البرك.
١٣ - جاب بن صيدان القضاض.

وهذه الأحياء تريك أن البرك أصبحت مدينة فعلاً.

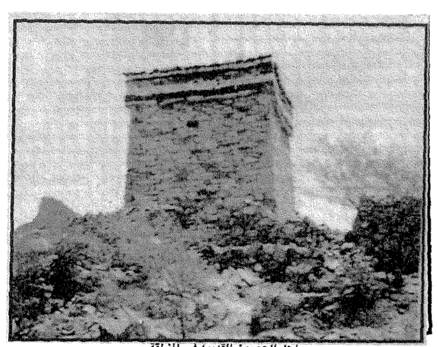
وامارة البرك تراجع امارة مكة رأساً، وأميرها - كما تقدم - يعين من أسرة آل عبده من قبيلة بني علي من بني هلال. وفي البرك جميع مرافق الدولة، كالمحكمة، والمرور، والشرطة، والمدارس: بنين وبنات، وفيها مشروع تحلية المياه، ومدينة سكنية للموظفين.. الخ.

بنو هلال:

كنت قد ذكرت في (بين مكة واليمن) أن هذه القبيلة ترجع - نسباً - الى بني كنانة، لا أشك في ذلك. وذلك اعتماداً على:

١ - كانت كنانة في أواخر العهد الجاهلي وصدر الاسلام تملأ ما بين عتود - جنوب بني هلال(٥) الى ينبع غرب المدينة المنورة، ظل هذا ديدنها الى أن شكلت لها دولة قاعدة مدينة حلي ظلت قائمة قروناً، ولازال الناس يعرفون بقايا تلك الأسرة.

٢ - تردد على هذا الطريق بين صنعاء ومكة، العلامة بحّاثة الجزيرة: الحسن بن علي الهمداني فذكر في موضعين(٦) ان الحرة التي بين أودية الشقيق وما حوله وبين حلي تعرف بحرة بني كنانة وهي نفس الحرة التي يطلق على وسطها اليوم حبيل بني هلال(٧). ويخصص فيقول(٨): ثم بلد حرام من كنانة: وهو وادي أتمة، وضنكان، والحرة حرة كنانة. وبنو حرام هؤلاء هم الذين كونوا دولة في حلي، ولم يذكر الهمداني الخبير بهذه الديار قبيلة بني هلال، لأنها فيما يبدو كانت فرعاً من بني حرام.



احد الحصون القديمة في المنطقة

٣ ـ القبيلة غالباً ـ وخاصة قبائل اليمن ـ قلما تغادر أرضها إلا في حالات نادرة.

٤ ـ القبائل عادة لا تهاجر الى الغور، إنما تهاجر من الغور الى نجد ومن نجد الى العراق والشام.

هذه إستنتاجات أراك توافقني عليها، غير أن البكري جاء بقول لا أدري من أين أتى به، هذا نصه(٩): «حرة هلال بن عامر: بالبِرْك والبُرَيْك، بطريق اليمن التهامي، من دون ضنكان، وضنكان: قرية. نقل ياقوت هذا النص. والبكري ليس من أهل هذه الديار ولا رآها، فمن أين جاء بهذا النص فمعاصرة الهمداني القريب من عصره والأعرف منه في بلاد العرب وخاصة الواقعة على طرق الحج لم يذكر ذلك، ولم يذكره الحربي الذي نقل عنه البكري كثيراً.

والحقيقة التي ربما اختلطت على البكري، وربما زاد فيها، جاءت على لسان (أبو علي الهجري) حين قال: حرار العرب: أولها: حرة بني هلال ـ أي هلال بن عامر ـ وهي منبتلة من الحرار، برنية من حجاز النجد المتيامن(١٠) وأبو علي من أهل هذه الديار وقوله حجة، ولا يحتج بقول البكري ما لم يسند. فهذه الحرة كانت تعرف بحرة بني هلال، وتعرف اليوم بحرة البقوم(١١) والخلط الذي وقع فيه البكري ناتج عن نص غير هذا لم اعثر عليه، ذلك أن:

١ ـ الحرة حرة بني هلال بن عامر، وهي غير حرة كنانة.

٢ ـ ذكر طريق حاج اليمن التهامي، وحرة هلال بن عامر على طريق حاج اليمن النجدي.

٣ ـ كما يوجد برك في تهامة، هناك البرك والبريك(١٢) في نجد، اولها برك نعام، والآخر البريك، على انهما بعيدان عن حرة بني هلال (حرة البقوم اليوم)، ولكنها دونهما لمن كان غرب نجد. والخلاصة أن نص البكري هذا غير نافع.

فروع بني هلال :

هذه القبيلة اليوم من كبار قبائل تهامة، تشغل حيزاً من المنطقة الواقعة بين كياد في حلي الى قرب القحمة، وتنقسم الى:

١ ـ آل علي: ولهم شيخ شمل هو مضيفنا. علي بن حسن آل عبده. ومن فروعها: المشبلة ، لهم نائب مستقل ، والزوانحة ، ولهم نائب، والسوارية ، والمعمسة ، والمحردة ولكل فرع نائب يراجع شيخ الشمل، وشيخ الشمل مربوط بامارة البرك.

٢ ـ آل مقاري: ولهم شيخ شمل مستقل، وهو اليوم: عامر بن محمد بن ناهض. ومن فروعهم: آل سالم ، والمصيدة، والحسوس، وآل الدجنة ، وال وحيدة، ولكل فرع نائب.

٣ ـ آل يحي: ولهم شيخ شمل ، وهو اليوم: حسن بن محمد بن عيس. وفروعهم: آل مرعي، وآل سعيد ، وآل الجهيني ، والسعادة ، والمعرجة. ولكل فرع نائب.

٤ ـ بنو صبيح (آل بجاد) ولهم شيخ شمل مستقل. وفروعهم: آل حَيْلة، والمشحنة، والمضعنة، والمجلفة، وآل المقطع، والعمارية ولكل فرع نائب.

٥ ـ بنو صبيح (المقتلة) ولهم شيخ شمل مستقل. ومن فروعهم الشعاملة والمصبحة.

٦ ـ آل جابر: ولهم شيخ شمل مستقل. وفروعهم: آل فطرة، والكعاسلة، وآل بن نوة، والمطردة، والمعرضة، والمصعلة. ولكل فرع نائب.

فروع أخر من بني هلال :

١ ـ آل حتارش: لهم شيخ شمل مستقل ويتبعون بحر (أبو سكينة)(١٣).

٢ ـ آل مسهر: تجاور آل حتارش.

وهاتان القبيلتان فصلتا عن بني هلال بحكم الموقع، لأن ديارهما داخلة في منطقة قنا والبحر(١٤).

العودة :

ودعنا آل عبده الكرام بعد الحاحهم علينا في العزومة، زاعمين لهم أن (فلاناً) ينتظرنا بالعشاء. وفي الساعة العاشرة، قبيل كياد اتخذنا مكاناً من رمل نظيف الى جانب الطريق، فبتنا فيه الى الصباح.

الثلاثاء ٧ شعبان ١٤١٤هـ:

كنت على يقين بأن أصوات المؤذنين في قرى بني كنانة والبيضين ستوقظنا لصلاة الفجر، غير أنه يبدو أن الارهاق قد أدركنا، فلم نستيقظ إلا وقد ملأ ضوء الصباح ما حولنا، فأدينا صلاة الفجر ونحن نسابق طلوع الشمس، ثم يممنا الشمال، أو كما يقول أهل هذه الديار (الشام).

إلغاء خطة البحث:

كان في خطتنا يوم أمس البحث عن شخصين لهما علاقة وثيقة بتأريخ هذه المنطقة، هما: مديني بن

رحلات وانساب

محمد الصغير: بقية من سلالة بني حرام حكام حلي القدماء والبيطلي: شيخ قبيلة بني يعلى في بلدة عنيكر قرب قوز أبا العير(١٥)، غير أن تبكيرنا في هذه المنطقة جعل وجودنا يتزامن مع انطلاق الناس في أعمالهم، وأنه ليس أمامنا إلا أحد أمرين: إما أن نقيم في كياد الى بعد الظهر ، وفي هذا عنت لا نتحمله، أو الغاء هذه الخطة اليوم، ومحاولة الاتصال بهم فيما بعد. وتقرر الأمر الأخير، فواصلنا سيرنا الى القنفدة وما حولها.

الوفاء بالوعد :

في هذه الرحلة ـ كغيرها من رحلاتي ـ كان الكثيرون يحلفون علينا بالمبيت والعشاء أو الغداء كرماً ومؤانسة من أحبَّة ندين لهم بكل الحب والوفاء، ولكن زمن الرحلة ـ أية رحلة ـ يكون محدوداً دائماً ويخضع لتنفيذ خطة مسبقة، فما كان بالامكان الوفاء لكل هؤلاء الكرام

البررة بما يريدون.

غير أن شخصاً ما كان لنا أن نعتذر منه عذراً مطلقاً، ذلكم هو الشريف: جابر بن قليل بن أحمد بن حسين العبدلي الأحسبي (من أشراف الأحسبة) ، والد رفيقي في هذه الرحلة المباركة. وقد كفلنا له ان نكون ضيوفه في العودة، وما كنا نعني الضيافة بمسماها عند عرب الحجاز ، ولكن قصدنا أن نَمُرَّه ونحن عائدون.

وفي هذا الصباح تحركنا من مبيتنا ، فوصلنا الى القنفذة في السابعة والنصف صباحاً، فتناولنا طعام الافطار، ولم نشأ أن نزعج أخانا الأستاذ حسن الفقيه، الذي

(تمر السنون باثقالها
وأنت مقيم لها غافل)

فانتقلنا الى بستان أبي قليل الوارف الظلال ذي المياه الخرارة، بنخله وزرعه وخضرته النضرة، ونزلنا بين خرير المياه وحفيف الأشجار وزقزقة الاطيار، ترحيب الكرام، وتكاثف الغيوم ونسيم الشمال.

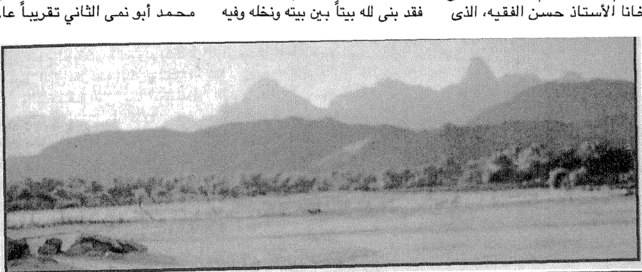
(الماء والنخل والاطيار صادحة
في جنة عابها إذ قيل: بستان
ففي تهامة مرباع ومصيفة
وأهلها لهم عز واحسان)

وأذن أبو شرف في مسجده لصلاة الظهر وانتقلنا إليه، أجره الله فقد بنى لله بيتاً بين بيته ونخله وفيه

العبادلة، من آل جار الله، وكانت فيهم - كما تقدم - امرة وادي الأحسبة بقراه العديدة، ما بين العرضية الى البحر.

الاشراف العبادلة سكان وادي الأحسبة ينتمون الى الشريف مبارك بن عبد الله بن الحسن بن محمد أبو نمي الثاني(*).

تم نزوح هؤلاء الأشراف العبادله من مكة المكرمة الى منطقة الأحسبة وتقع شمال منطقة القنفذة بينها وبين منطقة القنفذة ٤٠ كيلا تقريباً بتهامة عسير وتم هذا النزوح أيام الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مسعود بن الحسن بن محمد أبو نمي الثاني تقريباً عام



منظر عام من منطقة أضم

كانت النفس تتوق لرؤيته، فواصلنا سيرنا شمالاً، في محطة في منتصف الطريق تقريبا بين القنفذة والأحسبة، لأحد العمدان الأشراف (الشريف ابراهيم ملبسة) شربنا الشاي، وفي التاسعة وصلنا الى منزل جابر العبدلي في الأحسبة على ٤٠ كيلاً من القنفذة.

أردنا الاعتذار من أبي قليل وطلب الفسح، ولكنه تغفلنا وذبح ، فلزمنا المقام، وكانت كما نقول في أمثالنا (صابت حيث نفعت).

ذلك أن التعب كان أخذ منا ومن عزمنا الكثير، **(وما عاد هي علومك يا أبا غيث)!.**

صلينا الظهر، ثم طلب منا التقدم الى المجلس العامر.

كهول وشباب :

نعم هؤلاء الحضور كهول وشباب، والقاسم المشترك هو العلم، وكان الحضور في المجلس باستثناء صاحبي في الرحلة ، هم مع حفظ الألقاب: جابر بن قليل بن أحمد العبدلي ، حسين بن قليل بن أحمد العبدلي ، حمزة بن أحمد بن قليل ، قليل بن حسين بن قليل، جار الله بن موسى بن قليل، قليل بن جابر ، أخو رفيقي في الرحلة ، قليل بن موسى بن قليل.

وكلهم من أشراف الأحسبة

١١٠١هـ حسب ما ذكر السيد احمد دحلان في كتابة (خلاصة الكلام) وكتابه الثاني (أمراء البلد الحرام) وكانت لهم أمارة بالمنطقة وأول ما أسسها الشريف ثابت بن حسن بن راجح بن مبارك ثم يحى وابناؤه ويقال لهم آل عبد المعين ثم الشريف بركات بن احمد بن ابراهيم بن يحى الملقب بـ (أبو هفه) وذلك سنة ١٢٣٨هـ والشريف بركات لازالت هناك ثلاثة من الحصون معروفة بحصون الشريف بركات وهي تقع شرق الوادي في منطقة الأفلاج على حرف الوادي من الجهة الجنوبية ، وانتهت الأمارة وابتدأت المشيخة في

العهد السعودى وكان أول شيخ عين من آل جار الله وهو قليل بن محمد من آل قليل ثم ابنه حسين بن قليل ثم احمد بن حسين بن قليل ثم حسين بن احمد بن قليل ثم انتقلت الى ذوى مساعد وهى مستمرة فيهم حتى وقتنا الحاضر ومنهم الشيخ محمد بن حسن بن يحى العبدلي وهم ينقسمون اليوم الى تسعة فخوذ.

١ ـ آل جار الله: جار الله بن على بن الحسين بن ابراهيم بن مبارك بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن أبو نمى الثاني.

٢ ـ آل عبد الله: عبد الله بن محمد بن على بن الحسين بن ابراهيم بن مبارك بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن أبو نمى الثاني.

٣ ـ آل حماد: حماد بن حسن بن محمد بن يحى بن هزاع بن غيث بن هزاع بن مبارك بن عبد الله بن الحسن بن محمد أبو نمى الثاني.

٤ ـ آل بنى يحي: يحى بن حسن بن على بن يحى بن هزاع بن غيث بن هزاع بن مبارك بن عبد الله بن الحسن بن محمد أبو نمى الثاني.

٥ ـ ذوى يحى: يحى بن بركات بن هزاع بن مبارك بن عبد الله بن الحسن بن محمد أبو نمى الثانى.

٦ ـ آل سعيد: سعيد بن بركات بن هزاع بن مبارك بن عبد الله بن الحسن بن محمد أبو نمى الثانى.

٧ ـ ذوى مساعد: مساعد بن هزاع بن مبارك بن عبد الله بن الحسن بن محمد أبو نمى الثاني.

٨ ـ آل هاشم: هاشم بن احمد بن ابراهيم بن مبارك بن عبد الله بن الحسن بن محمد أبو نمى الثانى.

٩ ـ آل ثابت: ثابت بن حسن بن راجح بن مبارك بن عبد الله بن الحسن بن محمد أبو نمى الثانى.

(*) قدم هذا البحث مع الشريف احمد بن جابر العبدلي.

قرى الأشراف العبادلة بوادى الأحسبة:

١ ـ الجُرشي : ويسكنها آل جار الله، وهي شرق المزفتة.

٢ ـ الشعيرة : لآل جار الله أيضاً وهى شرق المزفتة على الضفة الشمالية من وادى الأحسبة.

٣ ـ النيلة : لآل جار الله أيضاً ، شرق الطريق.

٤ ـ أم الخشب : لهم أيضاً ، شرق قرية النيلة.

٥ ـ العمار : لآل هاشم ، شرق أم الخشب.

٦ ـ وزنبح : لهم أيضا ، قرب أم الخشب.

٧ ـ عقرى : لذوى يحيى، غرب المزفتة قرب البحر، وهى مقر شيخ عبادلة الأحسبة.

٨ ـ عذيبة : لذوى ساعد ، غرب المزفتة قرب البحر.

٩ ـ القضب : لذوى يحيى وآل بن يحيى ، شرق الطريق.

١٠ ـ الشقز : لآل حماد ، شمال الشعيرة فى ناوان.

١١ ـ الشعيرة : لهم ايضا ، وهى فى شرقى المزفتة، على الضفة الجنوبية من وادى ناوان.

١٢ ـ البنان : فى أعلى الواد عند سفوح العرضية.

١٣ ـ الجمهرة : تجاور البنان .

مواصلة العودة :

وقبيل الثالثة ودعنا أبا قليل عائدين الى عاصمة الاسلام الكبرى، وسيدة المدائن. وتوقفنا فى الوسقة، والعصر يؤذن له، حيث شربنا الشاى وارتحنا قليلاً، وهنا تعرف رفيقى على فيض من أهل المنطقة، وجمع كتابات وجدت أن كتاب (بين مكة واليمن) قد غطاها، وما رأيت فائدة فى إعادتها، وانما جاءت هذه الرحلة مخصصة بالدرجة الأولى لمن لم تشملهم تلك الرحلات، وصلينا المغرب فى مسجد بمحطة بحذاء طفيل، وقدم للصلاة حدث تغنى بالقرآن ما شاء، قال رفيقى: إن تقديم الأحداث من علامات القيامة.

والقت عصاها.

ولما تعالى أذان العشاء كنا فى مكة، وقد قطعنا (١٥٣٠) كيلا، ذهاباً وإياباً. وقلنا. (الحمد لله رب العالمين).

مكة المكرمة في الثامن من شعبان سنة ١٤١٤هـ

الهوامش

(٢.١) انظر كتابي (بين مكة واليمن).

(٣) بحثت البرك فى كتابى (بين مكة واليمن وليس هنا محل الاعادة إنما محل الزيادة.

(٤) انظر المصدر المتقدم.

(٥) عن هذه الديار بالتفصيل انظر كتابي (بين مكة واليمن).

(٦) صفة جزيرة العرب: ١١٨، ٢٥٩.

(٧) الحيل عندهم: الحرة.

رحلات وانساب

(٨) صفة جزيرة العرب: ١١٨ ، ٢٥٩.

(٩) معجم ما استعجم : حرة.

(١٠) أبو على الهجرى وابحاثه فى تحديد المواضع.

(١٢.١١) انظر كتابي (فى قلب جزيرة العرب).

(١٤.١٣) انظر (بين مكة واليمن).

(١٥) أنظر عن آل البيطلى المرجع السابق ١٧٢.

تنويه

في الحلقة السابقة من هذه الرحلة وفي الصفحة (٩٠) حدث خطأ في اسم صاحب الرسالة الموجهة للأستاذ عاتق البلادي.. والمكتوب في العدد نصه (وصلتنى رسالة من السيد محمد بن الحسن العندلي السليماني) خلاصتها... الخ) والصواب هو: من محمد بن على بن حمزة بن محمد بن السيد مبارك الفدح.

من المناقشة ينبثق النور

"حوار العلماء، هو حوار المترفعين عن غرض النفس، وزيغ الهوى، ولجاجة الباطل.. إنه ، حديث العلم الرفيع، لا يتصيد خطأ ، ولا يبحث عن زلة، مراجعة العلماء ونقدهم لنتاج بعض يفتح سبل المعرفة ، ويغلق سبل الجهل والتجاهل..

وحول «ديوان أبي بكر الصديق» تأليف الاستاذ محمد شفيق البيطار كانت مقالة الاستاذ عبد الناصر عساف في عدد المحرم ١٤١٥هـ، وقد سجل فيها بعض ملاحظاته حسب رؤيته.. وفي هذه الصفحات يسجل الأستاذ البيطار رؤيته في بعض ما أورده الأستاذ العساف.. وكل هذا يتم في تواضع العلماء.. وهذه صيغة افتقدناها كثيرا في تناولنا، واستدراكاتنا على الآخرين في أيامنا هذه.

المنهل"

حول ديوان أبي بكر الصديق

مراجعة نقدية

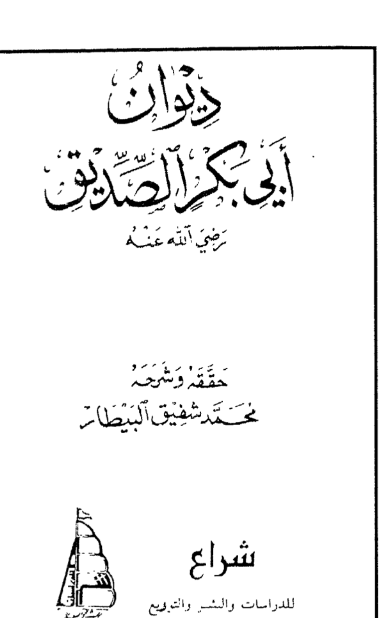
بقلم:
محمد شفيق البيطار
سوريا

نشرت مجلة المنهل الغراء مقالة للصديق الاستاذ عبد الناصر عساف حول (ديوان أبي بكر الصديق، رضي الله عنه) في عددها ذي الرقم ٥١٦، المحرم ١٤١٥هـ، ص ص ١٤٠ - ١٤٧، فتناول فيه تحقيق الديوان الذي قام به كاتب هذه الكلمات عرضاً ونقداً، وإنني إذ أشكره على ما كتب أحب أن أتناول بعض النقاط التي ذكرها، فأقف عند أهم نقطة في عرضه، وأعتذر عن بعض الأمور التي تناولها بالنقد، وأردّ على بعضها، ثم أذيل المقال بما وقفت عليه من أبيات جديدة لم أكن وقفت عليها من قبل، وهي مما يستدرك على الديوان.

فأما أهم نقطة في عرض الاستاذ عساف فهي قضية كون أبي بكر شاعراً، وهي قضية مهمة جداً، وقد أطلت القول فيها شيئاً ما في تقديمي للديوان، وذلك بسبب ما وجدته منسوباً الى أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وهو أنها قالت في تعليقها على أبيات فيها ضَرْبٌ من الكفر نسبت الى أبيها وليست له: **«والله ما قال أبو بكر بيت شعرٍ في جاهلية ولا إسلام قط»**، فبينت في مقدمة الديوان أن هذا القول ليس من كلامها، ولكنه من كلام بعض المتأخرين من رواة حديثها ممن فهم قولها على غير وجهه، **وأنها إنما قصدت بكلامها تلك القصيدة وحدها لا غير، وأنها لم تنف الشعر عامة عن أبيها.**

ولا ريب في أن الاستاذ عساف لم يقصر في عرضه لما ذكرت، ولكنني أحببت في هذه الوقفة، أن أنقل للقراء جميع ما أوردته حول هذه القضية، لأنها في غاية الأهمية، **إذ لو صح أن تلك العبارة هي عبارة عائشة لكانت دليلا قاطعاً على أن الشعر المنسوب الى أبي بكر مما هو في الديوان ومما قد يجده المرء في المصادر الأخرى إنما هو شعر موضوع أو منحول عليه**، وقد كنت بادىء الأمر استسلمت لذلك القول المنسوب الى عائشة فكتبت مقدمة «قصيرة» للديوان ذهبت فيها الى أن جميع ما ورد فيه ليس لأبي بكر البتة، وذلك بناء على هذا القول، ثم تريثت في الأمر وراجعت روايات حديث عائشة، وتصفحت وجوهها - وقد قال عليّ كرم الله وجهه: **«من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»**(١) - فانتهيت الى رأي آخر، فضربت صفحاً عن تلك المقدمة، وكتبت مقدمة أخرى هي التي أثبتها حين طبع الديوان، وها هو ذا ما ذكرته فيها أنقله للقراء توخياً لإتمام الفائدة بعدما عرضها الأستاذ عساف عرضاً، وتعميماً لتلك الفائدة، فقد بدأت القول بالحديث عن الاستغراب الذي يتبادر الى أذهان الناس حول كون أبي بكر شاعراً، بله أن يكون له ديوان شعر، فقلت:(٢)

«ولإزالة هذا الاستغراب أقول:



غلاف الكتاب

قد كان معروفاً معرفة لا يشوبها شك في القرون الأولى للهجرة أنَّ لأبي بكر شعراً قاله في هذه المناسبة أو تلك، وأقوالهم تدل على ذلك فمن هذا ما نقله أبو زيد القرشي عن المفضل الضبي، وهو قوله(٣): **(لم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وقد قال الشعر أو تمثل به،** فمن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه يرثي النبي ﷺ

أجِدَّكَ ! ما لعينك لا تنام
كأنَّ جفونها فيها كلام

والمفضل الضبيّ هو من هو في رواية الشعر ومعرفته!

نقل الكلام بالمعنى يجعله عرضة للتغيير حسب فهم المتلقي

ومن ذلك أيضا ما نقله ابن عبد ربه(٤) عن سعيد بن المسيِّب، والأبيوردي(٥) عن الشعبي، أنهما قالا: **(كان أبو بكر شاعراً، وكان عمر شاعراً، وكان علي أشعر الثلاثة رضي الله عنهم).**

ولابن سيد الناس كتاب في الشعراء من الصحابة اسمه (منَح المدَح، أو: شعراء الصحابة ممن مَدح الرسول ﷺ أو رثاه) ذكر فيه أبا بكر فيمن اسمه عبد الله من شعراء الصحابة(٦).

ويضاف الى أقوالهم الصريحة هذه أن عدداً من المؤلفين القدماء، ولا سيما مؤلفي كتب السيرة، قد أنشدوا أشعاراً له في كتبهم، وسيلاحظ القارىء ذلك في تعليقاتي على كثير من قصائد هذا الديوان، حيث أشير الى أماكن وجود القصيدة أو بعض أبياتها في المصادر.

ولكننا نقف في بعض المصادر على كلام منسوب لأم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق يثير مشكلة حول نسبة الشعر الى أبي بكر، فقد روى عبد الغني المقدسي في (أحاديث الشعر)(٧) بسند له عن يونس ، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أنها: **(كانت تدعو على من كان يقول هذه القصيدة:**

يحدثنا الرسول بأن سنحيا
وكيف حياة أصداء وهام

فتقول: والله ما قال أبو بكر بيت شعر في جاهلية ولا إسلام قط، وما ارتاب في الله منذ أسلم..

ولكن قال هذه القصيدة رجل من بني كلب بن عوف، وكان أبو بكر تزوج امرأة من بني كلب يقال لها: أم بكر، فلما هاجر أبو بكر طلقها، فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر الذي قال هذه القصيدة، رثى بها أهل بدر حين قتلوا:

تحيي بالسلامة أم بكرٍ
وهل لى بعدَ قومي من سلام

قالت عائشة (فنحلها الناس أبا بكر من أجل المرأة التى طلق أبو بكر).

ورواه ابن حيويه بلفظ مختلف في كتاب (من وافقت كنيته كنية زوجته

من الصحابة رضوان الله عليهم)(٨) بسند له (عن يونس، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أنها كانت تدعو على من يزعم أن أبا بكر قال هذه الأبيات، **قالت عائشة: والله ما قال أبو بكر بيت شعر في جاهلية ولا إسلام** ... ولكن أبا بكر تزوج امرأة يقال لها: أم بكر، فطلقها..)

ورواه السهيلي(٩) بلفظ مختلف: (عن [ابن شهاب] الزهري، عن عروة، **عن عائشة، قالت: كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر في الاسلام**).

ولو أخذنا هذا الكلام على ظاهره لكان حتماً علينا أن نقول: إن ما ورد في هذا الديوان من أشعار هو منحول على أبي بكر بعامته، ولكن تدبره ومعارضته بغيره تجعلنا نقف عند هذا الكلام المنسوب الى أم المؤمنين بحذر شديد، فنحن إذا نظرنا الى روايته في المصادر الثلاثة السابقة وجدنا ألفاظه مختلفة، بل إن ما ورد في لفظ السهيلي يخالف ما ورد في المصدرين الآخرين، إذ ينفي أن يكون أبو بكر قال الشعر في الاسلام فقط لا في الجاهلية، **واختلاف اللفظ هذا يعني أن ما قالته أم المؤمنين نقل عنها بالمعنى الذى فهمه الرواة، لا بلفظها هي**، إذ لو كان بلفظها لما اختلف من مصدر الى مصدر، ونقل الكلام بالمعنى يجعله عرضة للتغيير حسب فهم المتلقي، **ولذلك أرى أن كلام أم المؤمنين الذى نقل عنها بالمعنى فهم على غير ما أرادت**، لأن كلامها كان تعليقاً على من نسب الى أبي بكر تلك القصيدة، التي رثى صاحبها قتلى بدر من المشركين، بداعي ذكر أم بكر في القصيدة، فنبهت الناس على أن أباها لم يقل شيئاً من هذه القصيدة في جاهلية يوم كانت أم بكر زوجاً له، ولا في الاسلام بعدما طلقها، فلما تداول كلامها الرواة ونقلوه بالمعنى فهموه على أنها نفت الشعر عامة عن أبيها في الجاهلية والاسلام.

ويرجح هذا التفسير عندي ثلاثة أمور:

أولها: أن البخاري روى كلام السيدة عائشة عن هذه القصيدة، ولم ترد فيه العبارة التي تنفي فيها قول الشعر عن أبيها لا في الجاهلية ولا في الاسلام، مع أن رجال السند الثلاثة الأوائل هم أنفسهم عند البخاري والمقدسي وابن حيويه، قال البخاري(١٠): (حدثنا أصبغ: حدثنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أن أبا بكر رضي الله عنه تزوج امرأة من كلب يقال لها: أم بكر، فلما هاجر أبو بكر طلقها، فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر الذى قال هذه القصيدة رثى بها كفار قريش:

تحيي بالسلامة أم بكر
وهل لي بعد قومي من سلام

يحدثنا الرسول بأن سنحيا
وكيف حياة أصداء وهام

فلما كان صحيح البخاري - وهو من أصح الكتب بعد كتاب الله - أقدم المصادر التي أوردت كلام أم المؤمنين وأوثقها وأدقها عبارة، كان هذا مرجحاً قوياً لما ذهبت اليه من أن اللفظ في المصادر الأخرى ليس بلفظ عائشة، ومن ثم كانت العبارة التي تنفي قول الشعر عن أبي بكرِ هي عبارة أحد الرواة ممن فهِم قولها على غير وجهه.

> "لم يبق أحد من أصحاب رسول الله الا قال شعراً أو تمثل به"
> «المفضل الضبي»

وثاني مرجحات هذا التفسير عندي أن هذه العبارة يعارضها ماروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:(١١) (كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا رأى النبي ﷺ يقول:

أمينٌ مصطفى للخير يدعو
كضوء البدر زايله الظلام).

وهذا البيت من قصيدة تقع في ثمانية عشر بيتاً في هذا الديوان(١٢).

وقد نبّه صاحب السيرة الحلبية على هذا التعارض، ثم قال(١٣): **(إلا أن يُحْمَل قَولُها على أنها لم تسمع ذلك منه).**

وثالث المرجحات أنه روي عن أبي بكر في صحيح البخاري(١٤) ومسند أحمد(١٥) من كتب الصحاح، وفي غيرهما من الكتب: أنه حمل الحسن بن على رضي الله عنهما وهو يقول:

بأبي شبيهٌ بالنبي
ليس شبيها بعلي

وعلي يضحك.

فهذا البيت له لا شك في ذلك، والذى يأتي ببيت يأتي ببيت ثان وثالث، ويأتي بالقصيدة أيضا، ولا سيما أن الرجل ليس نبياً معصوماً

من قـول الشـعـر، بل كـان حـافظاً للشعر راوية له متمثلا به(١٦)».

هـذا مـا أوردتـه في تقـديمي لديوان أبي بكر رضي الله عنه حول هذه القضية، وأرجو أن يكون ذلك قد أزال مـا يتـبـادر الى الأذهان حـول كون أبي بكر شاعراً، وما قد يثيره الكلام المنسـوب الى أم المؤمنين من شك حول نسبة الشعر اليه.

وأما مـا أريد أن أعتذر عنه مما تناوله الأستاذ عساف بالنقد فأمران اثنان:

أولهـمـا: الخطأ الواقع في فـهرس القـوافي، وهـو مما أخـذه الاسـتـاذ عـسـاف على الديوان، وهـو حق، إذ ليس ثمة رقم واحد فيه يوافق نظيره في الديوان، وعـذري في ذلك أنني قدمت الديوان للناشر منسوخاً بخط يدي على أن يطبع تصـويراً عن خطي، ورقـمت الصـفـحـات بخطي أيضاً ووضـعت فـهرس القـوافي بناء على ترقيـمي، **ولكن الناشـر اضطر الي تغيير أرقام الصفحات لأسباب فنية تتعلق بإخراج الكتاب، دون أن يتنبه على ضرورة تغيير الأرقام في فـهرس القـوافي**، ومن ثم فـإن تبـعـة هذا الخطأ تقع على النـاشـر، وعلى أى حـال فـإن إضـافـة الرقم [٤] واحـيـانا الرقم [٥] الى الأرقـام المذكورة في فـهرس القوافي يجعل الرقم صـحـيـحـاً مـوافـقـاً لأرقـام الصفحات. وثمة أخطاء فنية بسيطة وقع فيها الناشر في اخراج الديوان، ولم يذكرها الأستاذ عساف.

وثانيـهـمـا: مـا ذكـره من انني لم استـقص في تخريج الديوان، حـتى بقي قسم كبير منه دون تخريج، فأما أنني لم أستقص فلي فيه عذر، ذلك أننـي رجـعـت الى المظان التي بين يدي مما يُحتمل أن يكون فيها شعر لأبي بكر، من كتب السيرة، وتراجم الصـحـابة، وتراجم الشـعـراء، وكتب الاختـيـارات الشـعـرية، وكتب اللغة وغير ذلك، فما وجدت فيه شعراً له وضـعـتـه فى فـهرس المصـادر، ومالم أجد فيه شيئاً أغفلته، ولا ريب في أن مـا رجـعت اليـه أكـثـر مما ورد في فهرس المصادر بكثير.

ومع ذلك فلم تسـعـفـني تلك المصادر إلا بتخريج ما خرّجت من

> «
> **من اسـتـقـبل وجـوه الآراء عـرف مـواقـع الخـطـأ**
> «الإمام علي رضي الله عنه»
> »

قصائد الديوان، وهي الى ذلك ليست بالقـدر اليـسـيـر، إذ خـرّجتُ تسع قصائد من أصل سبع وعشرين، أي ثلث قصائده ، بالاضافة الى تخريج القطع السبع التي استدركتها عليه، على أنني وقفت بعد طباعة الديوان ومراجعة مصادر أخرى على تخريج القصيدة التي مطلعها:

يا عوفُ، وَيْحَكَ ، هَلا قُلتَ عارفة
من الكلام ولم تتبع به طبعا

كمـا أنّ الأستاذ عـسـاف نبّه على أن القصيدة التى مطلعها:

عينُ جودي فإنَّ ذاك شفائى
لا تملي من زفرة وبكاء

ـ وردت في طبـقـات ابن سـعـد منسـوبة لأم أيمن مـولاة النبي ﷺ، وهو مما غـفلت عنه مع أن طبـقـات ابن سـعـد من مـصـادري، وجلّ الذى لا يسهو.

وأما مـا تناوله الاستـاذ عساف بالنقد ولا أراه مـصـيـبـاً فيـه فـأمور عدة، منها ما يتعلق بنسبة الشعر الوارد في الديوان سـواء أكـان في الأصل المخطوط أم في المسـتـدرك، ومنها ما يتعلق بحواشي الديوان.

وأهم الامـور التى تناولهـا في نسبة الشعر أنه وجد كما بَيَّنْتُ في التقديم للديوان أن مخطوطته فريدة في العالم، واسما صانعها وناسخها مجهولان، فدعاه ذلك الى القول بأن كل ما لم يثبت من أبيات الديوان في غيـره من المصـادر هو مـوضع شك، «إذ ليس للديوان مـا يمكن الاعـتـداد به والاستناد اليه القطع بتلك النسبة، إن لم تظاهره مـصـادر أخـرى، كـأن يكون مـؤلفـه حـجـة ثقـة، أو أن يكون الديوان قد رُوي بسند مقـبـول، وهـو مـا تضن به المخطوطة وكـتـب الفـهـارس، **بل كـيف للمـرء أن يعـثـر عليه والديوان بنسخته الفريدة يفتقر الى ما يحدد هويته، فهو غُفْلٌ لا يُعْلم من ألّفه: ولا من نسخه، ولا متى كان ذلك؟**».

والذي أراه أن جـامـع الديوان ـ وإن كان مجهولا ـ رجل يمكن الوثوق به فـيـمـا أورده في الديوان، وذلك لسببين:

أولهما: أننا وجدنا تسعاً من قصائد الديوان في عدد من المصادر، فوافق بذلك تلك المصـادر، مما يجـعلنا نثق بروايتـه لتلك القـصـائد التـسع، وقد سبق أنني وقفت بعد طباعة الديوان على تخريج القصيدة التي مطلعها:

ياعوف ويحك هلا قلت عارفة
من الكلام ولم تتبع به طبعا

ـ فـهي في (تمام المتـون في شـرح

مـن المناقشة ينبثق النـور

رسالة ابن زيدون) لخليل بن أيبك الصفدي: ص١٧٢، وأن الاستاذ عساف وقف على قصيدة اخرى من قصائد الديوان منسوبة لأم أيمن مولاة النبي.

فهاتان القصيدتان أيضاً مما لم يتفرد به جامع الديوان، ومن ثم فإن الرّجُل لم يأت بشيء من تلك القصائد من ذات نفسه، وإنما نقلها عن مصادر أخرى نسبتها الى أبي بكر، وبالتالي فإننا نقيس عليها سائر قصائد الديوان التي لم نقف على شيء منها في المصادر، فهو لم يأت بها من ذات نفسه بل نقلها عن مصادره.

والسبب الثاني: الذي يجعل الرجل جامع الديوان مظنّة الثقة **أن الاقدام على جمع شعر أبي بكر أو غيره من الصحابة لا يُقدِم عليه في الغالب إلا رجل ذو دين وورع، ومن لازم الدين والورع أن يكون صادقاً فيما ينقل ويروي موثوقاً به.**

ومن هنا فإن عدم وقوفنا على سائر القصائد في المصادر الأخرى التي اعتُمدت في تخريج الديوان يدعونا الى الحذر - وليس الى الشك - في القطع بنسبتها الى أبي بكر، إذ قد تكون منسوبة الى غيره، كما وجدنا في بعض قصائد الديوان، وإلا فهي له ما لم يثبت خلاف ذلك.

ثم إن الأستاذ عساف وقف عند عدد من قصائد الديوان والمستدرك عليه في أثناء حديثه، **فأبدى آراء في نسبتها لست أوافقه عليها**، فقد رأى ان مما لا يمكن أن ينسب الى أبي بكر البتة قصيدته التي قالها في غزوة عبيدة بن الحارث رضي الله عنه، والتي أولها:

أمِن طيف سلمى بالبطاح الدمائث
أرقت وأمر في العشيرة حادث

- وبنى حُكْمه ذلك على ما نقلته من قول ابن هشام في السيرة(١٧): **«وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر رضي الله عنه»**، والذي يجعلني لا أوافق الأستاذ عساف في حكمه ذلك أن عبارة ابن هشام تحمل في طياتها أن بعض أهل العلم بالشعر كانوا يثبتونها له، وأكثرهم لا يثبتونها، ومن ثم فإن القطع دون دليل بأنها ليست له إنما هو ضرب من التعسف والجور بالحكم والقصور في فهم عبارة ابن هشام.

كما أن الاستاذ عساف وقف عند قصيدته في غزوة عبد الله بن جحش رضي الله عنه، والتي مطلعها:

تعدّون قتلاً في الحرام عظيمة
وأعظم منه لو يرى الرشد راشدُ
صدُودُكم عما يقول محمد
وكُفْرٌ به والله ربي شاهدُ

- فرأى انها مما لا يمكن القطع بنسبتها الى أبي بكر، لأن ابن سيد الناس نسبها وحده لعبد الله بن جحش دون الآخرين، والذي أراه أن مجرد تفرد ابن سيد الناس بنسبتها الى عبد الله دون غيره من المصادر التي نسبتها الى أبي بكر لا يكفي أن يكون مانعاً من القطع بنسبتها، لأن ابن سيد الناس متأخر عن عدد من العلماء الذين نسبوها الى أبي بكر، ولو أن الأستاذ عساف تنبه على ما نقلته عن ابن هشام في حديثه عن غزوة عبد الله بن جحش وعن نسبة الشعر لوجد دليلاً أقوى من تفرد ابن سيد الناس بنسبتها لعبد الله، وذلك قول ابن هشام: «قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عبد الله بن جحش، ويقال: بل عبد الله بن جحش قالها، حين قالت قريش: قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، واخذوا فيه المال، وأسروا فيه الرجال - قال ابن هشام: هي لعبد الله بن جحش - » ثم أنشد الأبيات(١٨)، فكانت عبارة ابن هشام في قوله: (هي لعبد الله بن جحش) جازمة بأن الصواب كونها لعبد الله لا لأبي بكر، فنبهت بما نقلته من كلام ابن هشام على الصواب في نسبتها، وأن نسبتها الى أبي بكر وهم قديم.

ومما وقف الاستاذ عساف عنده هذان البيتان اللذان وردا في الأصل المخطوط منسوبين لأبي بكر:

عجبتُ بإزراء العييّ بنفسه
وصمتِ الذى قد كان بالقول أعلما
وفي الصمتَ ستر للعيِّيّ وإنما
صحيفـة لُبِّ المرء أن يتكلما

- فبينت في التخريج أنهما نُسبا للخطفى جد جرير الشاعر المشهور، كما نُسبا للحسن بن جعفر، ولمالك بن سلمه العبسي، فعلق الاستاذ عساف بقوله: «وأغلب الظن أنه رضي الله عنه تمثل بهما»، فما أدرى على أى شيء بنى تغليب الظن هذا مع أنه لم يرجح نسبتها الى أحد هؤلاء الرجال دون غيره، وإنما هما بيتان يتنازع نسبتهما هؤلاء الشعراء ومنهم أبو بكر، ومن ثمة لا يصح ما ذهب اليه الاستاذ عساف.

ومثل ذلك يقال في نسبه القصيدة التي قدم لها جامع الديوان بقوله: «وقال رضي الله عنه، وتروى هذه القصيدة لصفية بنت عبد المطلب:

عين جودي فإن ذاك شفائي
لا تملي من زفرة وبكاء»

- ثم نبهنى الاستاذ عساف على أنها وردت في طبقات ابن سعد منسوبة

لأم أيمن مولاة النبي ﷺ، فهذه القصيدة متنازعة بين أبي بكر وصفية وأم أيمن، ولا نجد ما يدل على أنها لأحدهم دون غيره.

ووقف الاستاذ عساف عند بعض ما استدركته على الديوان، فرأى أنه يمكن أن يقال فيها ما قيل في تلك الأبيات السابقة، وذلك قول أبي بكر رضي الله عنه حين أصاب يده في الغار حجرٌ:

إن أنتِ إلا أصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت

- وقوله في الحسن رضي الله عنه:

بأبي شبيه بالنبي
ليس شبيها بعلي

- ذلك أنه نازعه فيهما غيره كما هو ظاهر في حواشي الديوان، ولو دقق الاستاذ النظر في حواشي الديوان أكثر لعلم أن بيتي الرجز الأولين يرجح كونهما لأبي بكر، وأن الآخرين الذين نسب اليهم البيتان تمثلوا بهما تمثلا كما هو ظاهر في كلام الزرقاني الذي نقلته في حواشي الديوان، كما أن البيت الآخر الذي قاله في الحسن بن علي رضي الله عنهما هو لأبي بكر لا ريب في ذلك، وأن نسبته الى السيدة فاطمة إنما هو ضرب من الوهم، ولا سيما أن نسبته لأبي بكر وردت في صحيح البخاري ومسند الإمام احمد من كتب الصحاح وغيرهما من المصادر الموثوقة، وأن البلاذري تفرد بنسبته الى السيدة فاطمة ونبه مع ذلك على أنه يروى لأبي بكر، وقد بينت ذلك كله في حواشي الديوان، فأنى يكون للاستاذ عساف أن يقول: يمكن أن يقال في هاتين القطعتين ما قيل في تلك الأبيات قبل، مع ما بينته من ضعف ما ذهب اليه في حديثه عن تلك الأبيات.

وأخذ الاستاذ عساف عليَّ أنني أثبت في المستدرك قطعتين لا يصح إثباتهما، فأولهما ما جاء في (النهاية في غريب الحديث) ١:٢٣٦ « ومن حديث الصديق أنه كان يوتر من أول الليل، ويقول: واحرزا وأبتغي النوافلا ويروى:

أحرزت نهبي وأبتغي النوافلا»

- فرأى أن هذا البيت من الرجز إنما

"كان أبوبكر شاعراً وكان عمر شاعراً وكان علي أشعر الثلاثة"

«ابن عبده ربه»

هو مثلٌ قالته العرب، ونقل شيئاً عن لسان العرب، ثم قال: «وهو ما سها عنه المحقق على الرغم من إشارته الى ذلك فيما نقله ثمة فى الحاشية من النهاية في غريب الحديث، إذ قال: (وهذا مثلٌ يضرب لمن ظفر بمطلوبه وأحرزه ثم طلب الزيادة) فالصواب أنه مثلٌ على الرجز تمثل به لحاله تلك..» والحق أنني لم أسه ولم أغفل عما ذكر صاحب (النهاية)، بل كنت واقفاً في بؤبؤ عين اليقظة حينما أثبتُ البيت في المستدرك، فإنما أثبته لأن كلام ابن الأثير وغيره ممن ذكر أن هذا البيت مثل للعرب ليس فيه ما ينفي كون قائله أبا بكر، فكم من مَثل كان أوّل مَن قاله رسول الله ﷺ أو بعض أصحابه أو من جاءٍ بعدهم، وليس شرطاً أن يكون كلّ مثلٍ للعرب مما قاله أهل الجاهلية، وهذا أمر ظاهر لمن يتصفح كتب الأمثال، ومن ثم فإنني لو لم استدرك هذا البيت مع التنبيه على انه مثل للعرب لكنت مقصراً، إذ لعل أبا بكر كان أول من قاله ثم صار مثلا لهم.

والقطعة الثانية التي أخذ عليّ الأستاذ عساف أنني أثبتُّها في المستدرك هي قصيدة أبي بكر بن شعوب التي نسبها بعض الناس الى أبي بكر، فأنكرت عائشة ذلك، ولا أدري كيف ينكر ذلك عليّ وهو يعلم أن ديوان كل شاعر قديم يحتوى كل ما نُسب اليه، سواء أكان ذلك الشعر له يقينا، أو منسوباً إليه ولغيره وهو له، أو منسوباً اليه وليس له يقيناً أو كان منسوباً اليه وإلى غيره دون مُرجح يرجح نسبتها الى أحد ممن نسبت اليهم دون سواه، وقصيدة أبي بكر بن شعوب تدخل فى باب ما نُسب الى أبي بكر الصديق وليس له يقيناً، وقد نقلت فى المستدرك حديث عائشة كاملا، وهو دليل قاطع على الصواب فى نسبته، ولو لم أثبت القصيدة في ديوان أبي بكر مع التنبيه على أنها ليست له يقينا لكنت مقصراً.

وأما ما أخذه عليّ في الحواشي من أنني لم أكن أوثق الآيات الكريمة وأنني كنت أكرر شرح الغرائب من الألفاظ، فإن للمأخذ الأول وجهاً من الحق، على أن ما دعاني الى ذلك أنني كنت أنقل كل آية من المصحف

الشريف لا من حفظي. فرأيت أن هذا كاف ما دام أن الخطأ قد أمن الوقوع به، وليس للمأخذ الثاني وجه عندي، لأن شرح الكلمة الغريبة في هذه الصفحة أو تلك لا يغني عن شرحها في صفحة أخرى وإن كانت قريبة، لأن في ترك الشرح إرباكاً للقارىء في حال تذكره أن الكلمة قد سبق شرحها، فكيف إذا لم يتذكر، دَعْكَ من أنه قد يقرأ هذه الصفحة ولا يقرأ تلك.

وبعد، فإنني إذ أكرر شكري للأستاذ عبد الناصر عساف لما بذله من قراءة الديوان قراءة متأنية، ولما أبداه في مقاله من ملاحظات دعتني الى إعادة النظر في الديوان ومراجعة الاستاذ عساف في بعض تلك الملاحظات، لا أنكر أنه كان على صواب في عدد منها، كما أن له الفضل في إثارتي للحديث في هذا المقال عن قضية الاضطراب في نسبة عدد من قصائد الديوان، وهو ما لم أقف عنده في تقديمي للديوان مع مساس الحاجة إليه، مما أعده تقصيراً مني في تلك المقدمة، الى جانب أمور أخرى أراني قصرت فيها، ولسوف أقف عندها في مقدمة الطبعة الثانية للديوان إن شاء الله تعالى.

وأما الأبيات التي وعدت أن أذيل بها هذا المقال، والتي لم ترد في أصل الديوان، ولا في المستدرك عليه، ثم وقفت عليها في مصادر أخرى وهي مما يستدرك عليه، فهذه هي مع مصادرها:

في دلائل النبوة ـ لأبي نعيم الأصفهاني (١ : ٤٣٤):

١ ـ ألم ترني صاحبتُ أيمنَ صاحبٍ
على واضحٍ من سُنَّة الحق مُنهجِ

٢ ـ فلما ولجتُ الغارَ قال محمد
أمنتَ فثقْ من كلِّ حسٍّ ومدلجِ

٣ ـ بربك، إن الله ثالثنا الذي
نبوء به في كل مثوى ومخرجِ

٤ ـ ولا تحزنن فالحزن وِزر وفتنة
وإثم على ذى النُّهية المتحرجِ

٥ ـ فمازال فيما قال من كل خُطَّة
على الصدق يأتينا به لم يلجلجِ

٦ ـ إذا اختلفت فيه المقالة بينت
رسائل صدق وحْيُها غير مرتجِ

٧ ـ ملائكة من عند مَن جل ذكره
متى تأتنا بالوحي يأقوم تعرجِ

٨ ـ فقد زاد نفسي واطمأنت وآمنت
به اليوم مالاقى جواد ابن مدلجِ

«النسخة المحفوظة للديوان تفتقر الى ما يحدد هويتها»

٩ ـ سراقة إذ يبغي علينا بكيده
على أعوجيٍّ كالهراوة مُدمجِ(١٩)

١٠ ـ فقال رسول الله: يارب أعنه
فمهما تشأ من فاطع الأمر فرِّجِ(٢٠)

١١ ـ فساخت بهن الأرض حتى تغيبت
حوافره في بطن واد مُعجِجِ

١٢ ـ فأعناه رب العرش عنا وردّه
ولولا دفاع الله لم يتعرجِ(٢١)

وقد كنت أثبت في مستدرك الديوان الأبيات الخمسة الأخيرة نقلاً عن تاريخ ابن الوردي ١: ١٧٤.

وفي الدر الفريد ـ لمحمد بن أيدمر (٣: ١٧٣):

١ ـ تنح عن القبيح ولا تُرِدْهُ
ومن أوْلَيْتَهُ حَسَناً فَزِدْهُ

٢ ـ ستُكفَى من عدوِّك كلَّ كيدٍ
إذا كاد العدوُّ ولم تَكِدْهُ

وفي الدر الفريد (٢: ١٨٧):

١ ـ أقسم بالله وآلائه
شهادة باطنة ظاهره

٢ ـ ما شرفُ الدنيا بشيء إذا
لم يك فيه شرف الآخرة

وفي محاضرة الأبرار ـ لمحيى الدين بن عربي (٢: ٣٠٧)

١ ـ أخزُن لسانك أن تقول فتُبْتلي
إن البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق

وفي شرح مقامات الحريري ـ للشريشي (١: ٧٧):

١ ـ وإذا نظرت الى أسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل

وفي الدر الفريد ـ لمحمد بن أيدمر (١: ٢٧٠)

١ ـ يا من تشرَّف بالبنيان يرفعه
ليس التشرف رفع الطين بالطين

٢ ـ إذا أردت شريف القوم كلهم
فانظر الى مَلِك في زيِّ مسكين

٣ ـ ذاك الذى حسنت في الناس رأفته
وذاك يصلح للدنيا وللدين.

ـ وأنشد البيتين الأخيرين محيي الدين بن عربي في محاضرة الأبرار ٢: ١٠٣، والوطواط في غرر الخصائص الواضحة:٣٩.

وفي محاضرة الأبرار ـ لمحي الدين بن عربي (١: ٤٠٦):

١ ـ مرض الحبيبُ فعُدتُه
فمرضت من حذري عليه

٢ ـ شُفي الحبيب فعادني
فشفيت من نظري اليه

قالهما لما مرض النبي ﷺ فعاده أبو بكر، وشُفي النبي ومرض أبو بكر، فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشُفي.

وينسبان للإمام الشافعي وللفقيه ابن عبد الحكم، انظر: تزيين الأسواق: ١٧، وشرح المقامات ١٦٥:٣.

وفي الزّهرة ـ لمحمد بن داود

الأصفهاني (٢: ٥٦٣).

١ ـ علِلِ النفس بالكفاف وإلا
طلبت منك فوق ما يكفيها

٢ ـ ما لما قد مضى ولا للذي لم
يأت من لذة لمستحليها

٣ ـ إنما أنت طولَ عمرك ما
عُمِّرتَ للساعة التي أنت فيها

ـ وهذه الأبيات في قطعة مؤلفة من ستة أبيات في ديوان أبي العتاهية: ٤١٦ . وهذا آخر ما وقفت عليه من أبيات نسبت إلى أبي بكر ولم آكن أوردتها في المستدرك على ديوانه.

الهوامش

(١) نهج البلاغة ٢: ١٩٣، بشرح محمد عبده، وتحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

(٢) ديوان أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ٦ ـ ١٠ حققه وشرحه محمد شفيق البيطار، دار شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، المطبعة الاولى ١٩٩٣م.

(٣) جمهرة اشعار العرب ١: ٤٠.

(٤) العقد الفريد ٥: ٢٨٣.

(٥) مقدمة ديوان الأبيوردي ١: ٨٧. وقد جمع الأبيوردي شعره وقدم له بنفسه.

(٦) منح المدح : ١٤٣.
وقد أنشد ابن سيد الناس قصيدة لأبي بكر نقلا عن محمد بن اسحاق صاحب السيرة، ثم قال: «ولأبى بكر» رضي الله عنه شعر كثير في رسول الله ﷺ وفي مغازيه، روينا منها جملة في السير» منح المدح: ١٤٣، ولم أذكر قول ابن سيد الناس هذا في مقدمة ديوان أبي بكر.

(٧) الحديث ذو الرقم: ٢٢ وحقق هذا الكتاب السيد خير الله شريف وسيصدر قريباً إن شاء الله.. هذا ما قلته في مقدمة الديوان، وقد صدر كتاب (احاديث الشعر) اليوم.

(٨) في المجموع ذى الرقم (٣٨٥٢) من مجاميع الظاهرية ـ الورقات ١٢٣ ـ ١٣٠.

(٩) الروض الأنف ٣ ٢٦.

(١٠) صحيح البخاري ٣: ١٤٢٧.

(١١) نقل هذا الكلام محمد بن أيدمر في كتاب (الدر الفريد وبيت القصيد) ٢. ٢٧٣ عن أبي الطيب الوشاء بسنده الى أنس رضى الله عنه، كما نقله صاحب السيرة الحلبية ٢: ٩٠.

(١٢) القصيدة في رثاء النبي عليه السلام، وهذا لا يعارض قول أنس آن الصديق كان ينشد هذا البيت إذا رأى النبي، لاحتمال كونه كان ينشد ذلك في حياته، فلما توفي رثاه وضم البيت الى مرثيته.

(١٣) السيرة الحلبية ٢: ٩٠.

(١٤) صحيح البخارى ٣: ١٣٧٠.

(١٥) مسند احمد ١: ٨.

(١٦) انظر مثلا من أجل بعض ما تمثل به من الشعر: دلائل الاعجاز : ٦٧ ، ١١٢، وهذا الديوان: ٦٥.
عَنَيْتُ ديوان أبي بكر رضي الله عنه.

(١٧) السيرة النبوية ٢: ٢٤٢.

(١٨) نفسه ٢: ٢٥٦.

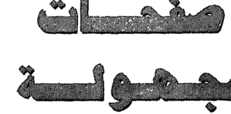
(١٩) في دلائل النبوة: (يبغي علينا وليده ... مدلج) تحريف وأثبت الصواب عن تاريخ ابن الوردي ١: ١٧٤.

(٢٠) في دلائل النبوة: (يارب أنْجِه) تحريف، وأثبتُ الصواب عن تاريخ ابن الوردي ١: ١٧٤.

(٢١) في دلائل النبوة: (لم يتفرج) تصحيف، وأثبت الصواب عن تاريخ ابن الوردي ١: ١٧٤

من خطب أبي بكر الصديق

«إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال الا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها، وحظ ظفرتم به، وضرائب أديتموها، وسلف قدمتموه، من أيام فانية لأخرى باقية، لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم. أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا رميما، قد تركت عليهم القالات الخبيثات، وانما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات. أين الوضاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابا، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية، وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد، أو تسمع لهم ركزا؟ أين من تعرفون من أبنائكم واخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا، فحلوا عليه، وأقاموا للشقوة وللسعادة فيما بعد الموت،



صفحات مجهولة سيد قطب

عرف الناس سيد قطب المفكر الاسلامي من خلال دراساته الإسلامية المتعددة: «في ظلال القرآن، العدالة الاجتماعية في الاسلام، السلام العالمي والإسلام، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، معالم في الطريق». ولم يعرف الكثير أنه بدأ حياته شاعراً أديبا، روائيا، قاصا وناقداً، وكان مدخله الى الدين هذا المدخل الأدبي الفني.. وكان أول كتاب صدر له بعنوان: «مهمة الشاعر في الحياة» وكان في أصله محاضرة ألقاها في مدرج كلية دار العلوم سنة ١٩٣٢م قبل أن يتخرج فيها بعام واحد. ومنذ ذلك الحين توالت مقالات سيد قطب الأدبية والنقدية على صفحات مجلة الأسبوع، والبلاغ الأسبوعي والرسالة والثقافة والمقتطف والكتاب والكاتب المصري والعالم العربي والفكر الجديد وغيرها من الصحف والمجلات التي كانت تصدر في ذلك الوقت.. ولكن معظم تراث سيد قطب الأدبي مازال مبثوثا في بطون صحف ومجلات في طريقها للفناء وستصبح أثرا بعد عين إن لم يكن معظمها قد ضاع بالفعل.

ونحن في هذه المحاولة نحاول أن نقف على ما كان يكتبه أستاذنا في بداية حياته الأدبية، وهي بداياته التي تحول بعدها إلى مفكر إسلامي ونموذج يحاول أن يحتذيه البعض، قدم نفسه فداء لأفكاره التي قال عنها: «**إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة**».

وكان سيد قطب جزءاً من الحركة الثقافية والأدبية منذ الثلاثينيات وحتى أواخر الأربعينيات من هذا القرن الميلادي، وقد فرض نفسه على الحركة الأدبية والثقافية في مصر والعالم العربي. وظهر في أدبه الشعور الوطني فشارك في الحركة الوطنية في مصر بالشعر والخطبة والمقال وذلك بدافع فردي خالص دون أن يتلقى تعليمات من جماعة أو رئيس مباشر.. وكان يلهب شعوره القادة الوطنيون والشهداء الأبرار في معارك استقلال مصر ووحدة وادي النيل واستقلال فلسطين.

كما استطاع وهو الريفي القروي أن يدرك مأساة ريف مصر منذ الصغر وأحس بفقر الفلاحين وبؤسهم كما رأى ترف الأغنياء وسرقة اللصوص، وظل هذا الانطباع يلازمه طيلة حياته، يعطيه الإحساس بالذنب تجاه هؤلاء المنبوذين والفقراء. ومن ثم اتخذ سيد قطب كل الوسائل الأدبية ـ من مقالة، قصة قصيرة، رواية، قصيدة ـ للتعبير عن رؤيته لواقع أمته وكيفية الخلاص من ذلك الواقع البائس المرير.

ففي مجال القصة القصيرة، لعل أول ما تجدر الإشارة إليه ما نشره على صفحات مجلة البلاغ الأسبوعي عام ١٩٣٠م بعنوان «الصداقة» في زاوية من صور الحياة.

وبداية لا نقول إن سيد قطب كانت قصصه القصيرة ناضجة تماما من الناحية الفنية ولكنها كانت بدايات لسيد قطب وأيضا بدايات لهذا اللون الأدبي في عالمنا العربي.. وقد نشر في مجلة الرسالة عام ١٩٤٥م بعض القصص تحت عنوان: «صور من الجيل الجديد» كما نشر في مجلة الشؤون الاجتماعية قصتين قصيرتين في عام ١٩٤١م ، ١٩٤٤م هما على التوالي: «الخريف» و«أحياء وأموات».

وقد عثرنا له على قصة بعنوان: «وجه في الظلام» نشرها على صفحات مجلة الفكر الجديد عام ١٩٤٨م ولم يشر إليها الباحثون في أدب سيد قطب.

وها نحن نحاول أن نقدم بعض ما عثرنا عليه من كتابات لسيد قطب، وفي هذه المقالة نقدم قصته القصيرة «الخريف» التي نشرها في مجلة الشؤون الاجتماعية في (ديسمبر عام ١٩٤١م/ ذي القعدة ١٣٦٠هـ/ السنة الثانية/ العدد ١٢).

الخريف :

جاء في مقدمة المجلة لهذه القصة: [القصة أوسع مجالا لمعالجة المسائل الاجتماعية وبخاصة من وجهتها النفسية، وهذه القصة تعالج مشكلة نفسية اجتماعية خاصة، ولعل هذه المشكلة مرت بنفوس الكثيرين من الشبان بعد أن دلفوا الى الكهولة، محرومين من هدوء العيش وأنس الأليف.

...ب.. القاص

محمد سيد بركة
عضو رابطة الأدب الاسلامي العالمية

ولعل الكثيرين من الشبان الذين لا تزال مطامح الشباب وأمجاد الخيال تغريهم بالوحدة وتفر بهم من القيود أو ما يسمونه بالقيود، لعلهم يرون في هذه القصة صورة من المصير الذى ينتظر الهاربين الأبقين.

وهذه القصة لم تكتب من أجل *هذا الغرض*، ولم يرم *صاحبها الى* مغزى خاص أكثر من تصوير حالة نفسية، ثم صادف أنها تمس مشكلة اجتماعية»].

(حينما عاد الى مسكنه المنعزل حوالى منتصف الليل، كان صوت سمير، الطفل الصغير، لا يزال يرن فى أذنه: «بابا عبده مروح ليه؟»..

وتثاقلت خطاه وهو يقطع ممر الحديقة الصغيرة، ويصعد الدرج الى باب المسكن فى شبه ذهول، ومع أنه يعيش فى هذه الدار منذ عشرة أعوام، ويسكن الى عزلتها ويستأنس بها، إلا أنه أحس فى هذه الليلة بوحشة لا عهد له بها، وكأنما يأوى الى كهف مهجور أو جب مسحور.

وكانت الأوراق الجافة تتساقط من حوله، فتجرجرها الرياح، وكأنما هى تصفق منذرة بالرحيل.. إنه الخريف..

وحينما أدار المفتاح تمنى أن يفتح الباب فيجد «زنوبه» الأرمل العجوز التى تقوم له بشؤون النهار، ثم تأوى الى دارها وأبنائها بالليل.. تمنى أن يجدها فى هذه الليلة، وهو يعلم أن تلك الأمنية أمر مستحيل.. بل تمنى أن تكون قد تركت إحدى النوافذ مفتوحة فقفزت منها قطة الجيران التى كانت تفد إليه فى بعض الليالى فيؤذيه مواؤها وعبثها بأدوات المطبخ ويقطع عليه سلسلة تفكيره فى هدوئه المحبوب.

وأحس بخيبة أمل وهو ينير مصباح الردهة فلا يجد إلا نفسه، كأنما صحا من سكرة عميقة، فإذا السامر منفض من حوله، وإذا هو مفرد فى هذا الوجود. وكانت خطواته كلما أوى الى منزله أو معبده ـ كما كان يحلو له أن يدعوه ـ تقوده الى حجرة المكتبة، سواء أكان بالليل أم بالنهار، فيلقى على كتبه


سيد قطب

الحبيبة ـ ومنها مؤلفاته ـ نظرة تحية عاطفة، ثم يذهب أو يبقى فى صومعته، يناجى الأرواح التى تعمرها.

أرواح المؤلفين التى كان يحسها مرفرفة فى جو الحجرة تستقبله وتحييه، وأرواح مؤلفاته التى يدللها ويحنو عليها بروح الأب المشفق الودود. ولكنه فى هذه الليلة أخلف عادته للمرة الأولى. لقد خيل إليه أن هذه الأرواح المرفرفة اللطيفة قد استحالت أشباحا كئيبة مخيفة، وسرى هذا الشعور فى كيانه فأحس برعدة تتمشى فى أوصاله، وأسرع الى حجرة نومه فألقى بملابسه فى أرض الحجرة وألقى بنفسه فى السرير دون أن يجرؤ على إشعال النور.

وكما يصنع الأطفال حين يخشون الأشباح راح يدفن نفسه فى الفراش ويجذب الغطاء على رأسه ويسد أذنيه محاولا أن يغطى على *الصوت الهامس الرهيب*، لا صوت الأشباح ولكن صوت سمير الصغير: بابا عبده. مروح ليه؟» وبعد فترة كأنها جيل .. أدركته رحمة الله، فنام.

نشأ عبد المنعم فى أسرة ريفية عريقة.. وحينما كانت نفسه تنضح بالشباب وتتفتح للنور كان القدر يطمس على مجد الأسرة ويعبث بمخلفاتها حتى الحطام.. وهو مازال تلميذا في أولى خطوات التعليم.. ولم يشأ *الفتى الصغير* أن يخضع للمصير المنظور، فكافح مستعزا بالمجد القديم، مستعينا بعزمة صادقة وآمال عريضة. جاهد حتى أتم دراسته العالية، وحتى وصل بأخيه الصغير الى مرحلة التعليم النهائية، وحتى أنقذ بقايا الأسرة من المصير المخيف. والأقدار التى حرمته ما متعت به أسلافه من نعيم، عوضته من هذا المتاع موهبة أدبية قام على أساسها جهاده، ودرجت فيها خطواته.

وكان يلمح وراء كل خطوة بريقا لامعا من كوكب بعيد.. يتراءى هنالك وراء الأفق. إنه يدعوه ويبارك خطواته، وينير له الطريق.. وحينما أتم رسالته لماضيه وأدى واجبه لأسرته، شعر بالراحة وأحس

أدب

الشعر والرواية والنقد صفحات قطبية مطوية في ذاكرة الزمن..

الاغتباط وتملكته نشوة النصر.. النصر الحاسم على الزمن والحوادث والآلام والخصوم. وكان بريق المجد يتراءى له ويدعوه ... هنالك خلف الأفق البعيد، فلم يستطع مقاومة النداء المغرى واجتذبته الأضواء فسار على الدرب يهتف للنور، ويصفق للأمل، وتغمره النشوة فيحس أنه قوى. قوى ملء أوصاله ولا حاجة به الى رفيق أو معين.

وفى الحين بعد الحين كاف يزور أخاه الذى يسكن فى نفس الضاحية، والذى لم يعد راهب فى معبد بل رفيقا فى عش!.

وكان عبد المنعم يعد شقيقه الصغير امتداداً له، ونبتة من غرس يده، فكان يستروح للقياه فى عشه الجميل، ويأوى اليه والى زوجه الصغيرة الرشيقة كلما أحس بشيء من التعب بعد مجهود شاق ومرحلة طويلة فى طريق المجد المحبوب، ثم يعاود التصعيد والتصويب.

ولكن منذ أن جاء سمير الى هذا العالم تلاحقت زياراته حتى كادت تصبح يومية وهو يرقب نموه بشعور غامض غريب. وفي كل مرة كان يحمل الى الطفل ما يدخل السرور الى نفسه الصغيرة البريئة، وكان سمير يدعوه كما لقنته أمه: «بابا عبده..» ويهتف باسمه كلما رآه مقبلا من بعيد، وفى يده الحلوى تارة واللعب تارة.

أخذت خطوات عبد المنعم فى طريق المجد والشهرة تتراخى رويدا رويدا، وهو فى أول الأمر لا يحس تراخيها، وأخذت تنتابه فترات قصيرة، ثم متطاولة من الهمود والسهود. وبدأ سؤال هامس يهجس فى أعماق نفسه ولا يكاد يتبينه أو يترجمه الى لغة الألفاظ الصريحة، سؤال يتردد بين الحين والحين: ثم ماذا؟ وما جدوى هذا الجهد وما غَنَاؤه فى النهاية؟.

ولكن سرعان ما كان هذا الهمس يختفى فى زحمة الشهرة وضجيج الصيت. وفى ليلة الأمس كان فى منزل شقيقه يحضر العيد الخامس لميلاد سمير، وقد ألبسته أمه حلة جديدة، ونسقت الدار لاستقبال صديقاتها وأزواجهن وأطفالهن، وتلألأت الأنوار والأزهار، واستخفها النشاط والمرح فكانت كالفراشة الجميلة تسير وكأنها تقفز وتتحدث والضحكات المرحة تطل من ثنايا الحديث.. أما سمير ورفاقه الصغار فكانوا فى نشوة نشيطة يجرون ويقفزون، ويجمعون ويتفرقون.. كما تجمع الأزهار فى الطاقة ثم تفرقها لتجمعها فى نظام جديد.

وبينما كانت هذه المناظر تتراءى لعينيه كان ذهنه شارداً .. كان يستجمع خواطر غامضة رهيبة، وحينما انتهت الحفلة وهَمّ بالخروج حمل سميراً بين يديه فى تأثر عنيف، وقبله بحرارة. وهنا فاجأته دمعة لم يتهيأ لاستقبالها، فأسرع ينزله من بين يديه ويستأذن فى الخروج، بينما سمير يناديه: «بابا عبده. مروح ليه؟». أجل مروح لإيه؟ ماذا هنالك يأوى إليه؟ ترى يقصد الطفل هذا الذى يدور فى خاطره الآن، ويعنى ما يقول؟!. وفى الطريق هجمت عليه فكرة واضحة جدا فى هذه المرة.. إنه الآن فى القمة، ولكن أمجاد الأرض كلها لا تساوى هذه الزهرة الحلوة، وهتافات الجماهير جميعا لا تساوى هذه اللثغة المحبوبة!

تنفس الصبح ونفذت أشعة الشمس الى حجرة عبد المنعم ففتح عينيه وجال ببصره فى الحجرة كالذى يصحو من حلم غريب.. ووقع نظره على ملابسه المبعثرة، فتذكر، وقهقه ضاحكا، ونهض نشيطا، وهو يستعيد خيالات الأمس العجيبة.. واستخفه مرح مفاجيء فأخذ يغني وهو ذاهب الى الحمام وكأنه يرقص أو يقفز فى خطواته. ترى كانت صحوة الصباح أم رقصة المذهول؟.

وحينما وقف أمام المرآة يمشط شعره، وجم بغتة كالذى يجفل من مشهد غريب.. لقد راعته الشعرات البيض، فقد وخط رأسه المشيب.. إنه فى الخامسة والأربعين!

وحينما أتم هندامه وخرج من الدار، لم يفته أن يرمق شيش النافذة المقابلة فى الطريق، لقد لبثت تلك الفتاة الفقيرة الشوهاء تنتظره وراء الشيش وتحركه حركات مقصودة كلما خرج فى الصباح طوال هذه الأعوام، فلم يقابل هذه الحركة بغير الابتسامة المشفقة فى بعض الأحيان، والإهمال التام فى معظم الأحيان.

أما اليوم: فليتها تكون هناك وراء الشيش .. إنه يتطلع إليه - أول مرة - باهتمام شديد؟!.



بقلم:
الدكتور محمد الباردي
كلية الآداب – صفاقس/ تونس

الكاتب في سطور

حصل على الدكتوراة في الادب عام ١٩٩٣ عن رسالة بعنوان «الرواية الحديثة في مصر من خلال اعمال جمال الغيطاني ، وصنع الله ابراهيم، ويوسف القعيد وعلاقتها بالرواية الجديدة بفرنسا.

- استاذ محاضر بكلية الآداب والعلوم الانسانية بصفاقس - تونس.
- من مؤلفاته:

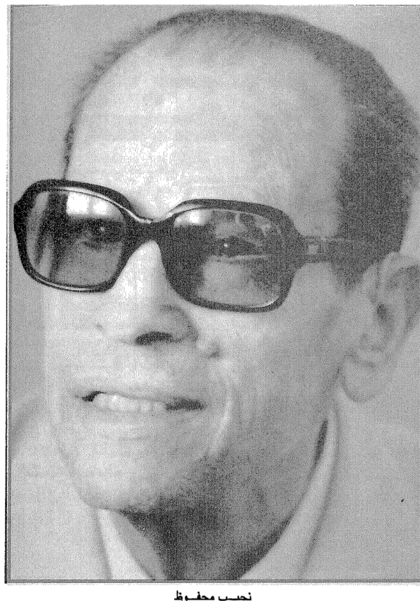
مدينة الشموس الدافئة ، رواية.
الملامح والسفينة ، رواية.
قمح افريقيا ، رواية.
شخص المثقف في الرواية العربية المعاصرة - ١٩٩٣ الدار التونسية للنشر.
حنامينه، كاتب الكفاح والفرح ١٩٩٣ - دار الآداب - بيروت.
الرواية والحداثة، دار الحوار، سوريا ١٩٩٣م.

[١] أن تكون الرواية تشخيصا(١)، فذاك ما يميز جنسها الأدبي ويؤسسه، فمنذ القرن التاسع عشر أقر بعض الفلاسفة بأن «الرواية بمعناها الحقيقي تقتضي - أيضا شأنها شأن الملحمة - رسم عالم بأكمله ولوحة الحياة التي تبدو موادها العديدة وعمقها المتنوع في دائرة الفعل الخاص الذى يتوسطها». وعدّها بذلك الملحمة البرجوازية الحديثة(٢) وقد أخذت الرواية بهذا المعنى عن الملحمة تشخيصها للعالم وطرائقه وان اختلفت الظروف الاجتماعية وتبدلت الشروط التاريخية. بيد أن طبيعة التشخيص في الرواية الحديثة تنوعت وتعقدت، فاذا كان السائد الى عهد غير بعيد، أن تشخّص الرواية واقعا - ذاك الكيان الخارج عن اللغة فيكون النص بذلك انعكاسا لمعطى سابق، وتظل تلك العبارة الشهيرة التي كتبها ستاندال ذات يوم «الرواية مرآة يُتَجَوّل بها طول الطريق» شعارا يحقق مفهوم، الرواية - المرآة - فإن الرواية الحديثة منحت مفهوم التشخيص دلالات جديدة وبذلك وهبت لنفسها أساليب في السرد غير عادية(٣) ومع ذلك فإن مسألة التشخيص لم تكن مطروحة على الرواية العربية الى حدود بداية الستينيات، فقد ظل النص الروائي الواقعي، يفضل أحيانا كثيرة «النص الدنيوى»(٤).

أى التاريخ بمعناه الواسع (التصوير الاجتماعي/ قصة السيرة/ السيرة الذاتية) وقد ظل الروائيون العرب مطمئنين الى أن المثل الأعلى في الكتابة الروائية هو التشخيص الأمين للواقع (كما يراه الكاتب طبعا) وأن الخطاب المثالي هو المثال الحقائقي الذى يجسد الكمال الذى ينزع اليه كل خطاب، فالواقعيات العربية (التسجيلية/ النقدية/ الاشتراكية/ الجديدة) كما

فهمها روائيو مرحلة ما قبل الستينيات، تشترك جميعا في أنها تكتب التاريخ وتشخص الوقائع رغم اختلافها في مستوى الرؤية الاجتماعية وفي مستوى المسافة التي تفصل السارد عن موضوع سرده.

إن مقومات النص الواقعي الفنية واحدة ولكن الرؤية هي التي تميز هذه الواقعية عن تلك. ولذلك انطلق كتاب الرواية الحديثة في تجربتهم الابداعية من نقدهم لمفهوم التشخيص في الرواية السائدة، فصنع الله ابراهيم مثلا، ينقد الواقعية الاشتراكية نقدا عنيفا ويعتبر تجربته نابعة من رفضه هذا المذهب في تعامله مع الواقع، إذ يرى أن الكتابات السائدة في المرحلة التي كتب فيها روايته الأولى كانت «تعزف على النغمة المعهودة فيما عرف بالأدب الواقعي الاشتراكي: عدم اغفال الصورة الكلية والانجازات التي تحققت ويعتبرها دعوى يتمسح بها الآن أكثر الكتاب تخلفا ورجعية ثم يذهب في موقع آخر الى اعتبار «ما عرف فى الخمسينيات والستينيات باسم الواقعية الاشتراكية ضربا من الرومانسية الثورية»(٥)، ونحن نلمس ما يشبه هذا الموقف النظرى، لدى العديد من كتاب الرواية الحديثة في مصر وفي غيرها(٦)، فسارد فرج الحوار، يعلن في متن روايته «الموت والبحر والجرذ» أن الواقعية المحض انتحرت بين فكي التقارير والتحاليل والفحوص، أهملت معقل المرض(٧)، وكذا يصنع سارد والياس خورى عندما يقول: «الحكاية هي أننا نبحث عن حكايتنا وندعي أننا نبحث عن الحقيقة، نجد الحقيقة، فنضيع الحكاية ونبدأ من جديد(٨)، وذاك أيضا ما يرد في رواية «عين الفرس» للميلودى شغموم عندما يقول السارد في متن الرواية «إن الحكاية لا يمكن أن تنوب عن التاريخ ولا التاريخ يمكن أن ينوب عنها كما يمكن أن ينوب العقل عن القلب أو العكس»(٩).



نجيب محفوظ

إن إحساسا بالارتباك إزاء التشخيص الواقعي يتجلي من خلال هذه المواقف **وهو يعكس سعيا الى الانفلات من أسر العلاقة التقليدية بين الأدب والواقع ومن قواعد إحالتها اليه وقبل هذا كله «من الفهم التقليدى للعمل الفني طبيعته وآلياته المعقدة وغاياته»(١٠)، وعندئذ يصبح التشخيص وما يطرحه من اشكاليات في الرواية العربية متصلا اتصالا وثيقا بتحديث الشكل الروائي.** ولكنه في ذات الوقت، يظل اطارا عاما لا يمكن للرواية أن تتحرر منه لأنه سبب وجودها ومرتكزها الجوهري.

[٢] يلاحظ المتأمل في الإبداع الروائي العربي الحديث أن ثلاثة أنواع من التشخيص تحكم علاقته بالواقع ولكي نرصد تجلياتها في الرواية الحديثة نستعمل المصطلحات التالية: تشخيص وصفي/ تشخيص رمزى/ تشخيص نصي.

أ ـ التشخيص الوصفي:

إنه التشخيص الذى يستجيب لقائمة شروط المشروع الواقعي «الماثلة في ذهن الروائى نفسه وهي أن يعتبر الكاتب العالم غنيا ومنوعا

وأن يعتقد أنه قادر على ان يرسل خبرا مقروءا ومتماسكا بشأن هذا العالم وأن يدرك كذلك أن اللغة تستطيع أن تنسخ الواقع إذ هي تُعبِّر عنه ولا تخلقه وهي بذلك تظل في مرتبة ثانوية بالمقارنة مع الواقع الذى تشخصه، وفى النهاية أن يطلب الروائي من القارىء أن يؤمن بصحة الخبر عن العالم الذى يقدمه له(١١)، **والباحث يدرك بسهولة وهو يتأمل المدونة الروائية العربية منذ نهاية الستينيات أن أغلب نصوصها تستند الى «النص الدنيوى» بمعنى أن الواقع يظل كيانا مستقلا تسعى الى تشخيصه بأشكال مختلفة.**

«١» تشخيص النموذجي:

في هذه الحالة تشخص الرواية النموذجي من الأحداث والشخوص والمكان والزمان، ذلك أن السارد ينتقي من واقع الحياة أكثر الأحداث في علاقتها بالشخوص والمكان والزمان، اختزالا لحياة الناس بأفراحها وأحزانها وبطولاتها وتناقضاتها، وهى أفعال لا تؤديها الا شخصيات غير عادية تدنو - ما أمكن - من البطولة وقادرة على اقناع المتلقى بقدرتها على تجسيد هذا الفعل النموذجي(١٢)، ولهذا النوع من التشخيص كتابه المشهورون: نجيب محفوظ ، حنا مينة ، عبد الرحمن منيف وغيرهم كثير، **وهو لا يعدو أن يكون شكلا متطورا لما وصلت اليه الرواية الكلاسيكية في الأدب العربي الحديث التي تظل تجسد شعرية الخطاب الواقعي تجسيدا بليغا وسمتها الأساسية تماسك الحكي الذى يتجلى من خلال ظواهر فنية عديدة (أهمها: الومضة الورائية، الحوار الباطني، وصف التقاليد والميل الى التبرير النفسي والايديولوجي) حتى يستقيم التتابع المنطقي للوظائف السردية والمحافظة على سلامة الرسالة في مستوى التلقي،** كما يقتضى تماسك الحكي المحافظة على المقومات الرئيسية للرواية الكلاسيكية (المحافظة على الحبكة واحتفاظ الشخصية بعمقها النفسي والاجتماعي ووضوح حدود الزمان والمكان واتصالهما بالوضعية التي عليها الشخصية سواء أكانت اشكالية أو لا اشكالية).

إن هذا النوع من التشخيص لا يثير إشكالا، فهو يتواصل في إطار التقاليد التي نشأت فيها الرواية العربية وإضافة الكاتب في مدى قدرته على امتلاك الأدوات الفنية أو مدى نفاذ رؤيته لامتلاك الواقع ولكن العالم يظل بالنسبة الى هذا الاتجاه قابلا للوصف وسهل التسمية وتظل المسافة قائمة بين الواقعي والمتخيل حدودها الايهام وهو العقد الذى يصل بين الكاتب وقارئه وهو الميثاق الارجاعي على حد عبارة فيليب لوجون.

«٢» تشخيص العادى واليومي:

لكنّ نقلة نوعية مست علاقة الرواية بالواقع، فعلى نقيض التشخيص النموذجي استحوذ الفعل العادى واليومي على النسيج السردى، إذ تميزت بعض تيارات الرواية العربية الحديثة بتشخيصها للواقع في مستوى «الدرجة الصفر» ولم يعد للأفعال ما يميزها حين غمرها التشابه وطغت عليها الممارسات اليومية ولعل أبرز نموذج يمثل هذا الاتجاه الكاتب المصرى صنع الله ابراهيم من خلال جل أعماله الروائية ومع ذلك تظل روايته القصيرة «تلك الرائحة» أكثرها دلالة. لقد سبق أن صنّفنا وظائف هذه الرواية وفق مجموعة من المحاور(١٣) وسنكتفي بالاستشهاد بأحدها لنؤكد على أهمية الفعل اليومي والعادى في النسيج الحدثى لهذه الرواية:

محور الخروج:

ذهبنا الى بيت أخى/ ذهبنا الى

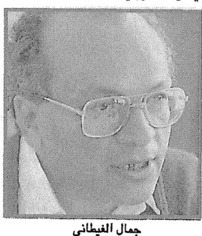
التشخيص له اتصاله الوثيق بتحديث الشكل الروائي

صديقي/ ذهبنا الى القسم/ أخذتني الي الحجرة في مصر الجديدة/ عدنا الى الحجرة/ دخلنا المنزل/ ذهبت الى سامي في بيته/ ودخلت المنزل/ عدت الى حجرتي/ عدت الى الحجرة وتركت بابها مفتوحا/ صعدت الى الطابق الأول/ صعدت الى حجرتي/ عدت الى الحجرة/ عدت فغليت اللبن/ دخلت/ أسرعت إلى المنزل/ دخلت/ ذهبت إلى منزل أخي/ نزلت أمام البيت/ دخلت المنزل/ صعدت الى غرفتي/ عدت الى الحجرة/ ذهبت الى منزلهم/ وانصرفت الى حجرتي/ ذهبت الى الشقة الجديدة التي ستنتقل اليها أختي في المساء/ عدت الى حجرتي/ فتحت الباب/ عدت الى الحجرة.

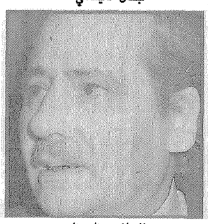
لقد اتسم تشخيص اليومي والعادى بتوسيع المسافة بين السارد والعالم المشخص، فالسارد يكف نهائيا عن التعليق المباشر أو عبر التبرير النفسي والايديولوجي وتنعدم تلك الوظائف التنبيهية التي توجه القارىء، ولئن أشار الكاتب الى الطرق البديلة التي يعبر بها في الرواية عن مواقفه، فإننا لا نعثر في حقيقة الأمر على مقاطع سردية تعكس نفسية الراوي أو خواطره وانفعالاته، فهو يتعامل مع محيطه تعاملا حياديا، يبدو أحيانا من خلال مجموعة من الأفعال القصيرة المتلاحقة.

لقد أفقد تشخيص العادى واليومي الرواية الحديثة تماسك السرد فيها، إذ امحت الحبكة أو كادت فلا نكاد نعثر على خيط سردى دقيق يربط بين الأفعال، وفقدت الشخصية ملامحها المميزة في كثير من الأحيان وكذلك عمقها الاجتماعي والسياسي وهيمن التكرار وأصبح تقنية أساسية في شعرية الخطاب الواقعي وبذلك يؤدى هذا الضرب من التشخيص وظيفة مغايرة لوظيفته في الرواية الكلاسيكية اذ **كان تشخيص الحياة اليومية يرمي الى بناء الشخصية النموذجية وتحديد سماتها الاجتماعية والنفسية.**

على أن المسافة بين العالم والسارد التي تتسع في بعض تيارات الرواية العربية الحديثة



جمال الغيطاني



الروائي حنا مينا

تضيق في بعضها الآخر المستند الى التاريخ، ففي مثل هذه الروايات يلتزم السارد بميثاقه الارجاعي عندما يخرج التاريخ من الوهم الى الحقيقة. وكثيرة هي الروايات التاريخية في الأدب العربي الحديث التي تتخذ من شخصية تاريخية أو واقعة مادة سردية لها(١٤) وهي في حقيقة الأمر ذات صلة بالمؤثرات الرومانسية شأنها شأن الرواية التاريخية الأوروبية عامة، لكن عودة الروائي العربي الى التاريخ في هذه السنوات الأخيرة ذات دلالة خاصة سنحاول إبرازها من خلال تحليلنا لرواية «مدارات الشرق» لنبيل سليمان(١٥).

للواقع المشخص في هذه الرواية بِنْيَتَان تَسْنُد إحداهما الأخرى وتشرّع لها وجودها:

- بنية متخيلة نامية على امتداد الرّباعيّة تقوم على مجموعة من الشخصيات والأحداث النموذجية الديناميكيّة وهى على ثلاثة أنواع:

مجموعة أولى:

لا مرجعية تاريخية لها وهي شخصيات تنبع من القاع الاجتماعي تربط بينها احداث خاصة وعلاقات طبيعية (صداقة/ حب/ زواج/ زمالة في العمل) أو احداث وطنية عامة وعلاقات سياسية (المشاركة في الحركة الوطنية/ العمل النقابي/ العمل السياسي).

مجموعة ثانية:

وهي شخصيات خيالية تستند الي مرجعية تاريخية ولكنها لا تشخص شخصية تاريخية بعينها بقدر ما تشخص تكتلا سياسيا أو انتماءا اجتماعيا محددا في إطار الحركة السياسية التي شهدتها سورية في تاريخها الحديث وهي كذلك شخصيات نامية في الزمن الطويل الممتد منذ الحرب العالمية الأولي الى سنة ١٩٦٧.

مجموعة ثالثة:

وهي شخصيات أقنعة لرموز تاريخية معروفة لعبت دورا بارزا في تاريخ سورية الحديث.

بنية حدثية خارجية:

وهي كذلك نامية في الزمن لكنها تستمد شرعيتها من الحقيقة التاريخية ذاتها إذ تطابق الأحداث الروائية فيها أحداث الواقع(١٦) وهي أحداث كثيرة (أهمها: الحرب العالمية الأولى وهزيمة الأتراك - الحكومة العربية في عهد الملك فيصل - الاحتلال الفرنسي لسورية، احتلال

الساحل السوري وتقسيم البلاد - الانسحاب الانجليزى من سورية - احتلال الفرنسيين لسورية - المقاومة الوطنية ضد الفرنسيين والانجليز - نشأة الكتلة الوطنية وبقية الأحزاب السياسية - الحرب العالمية الثانية - البرلمان - المؤتمر السورى - الاستقلال - تعيين رئيس الجمهورية - القضية الفلسطينية - الانقلاب العسكرى الأول - والانقلاب العسكرى الثاني).

وقد تعامل الكاتب مع هذه الأحداث تعامل المبدع الذى يوظف الحدث التاريخي ويخضعه لمقتضيات البنية الفنية العامة على النحو الآتي:

* إنه يميز من الأحداث التاريخية بين الرئيسى والثانوى والمخفي ويوظفها بقطع النظر عن زمنها التاريخى ولكن حسب مقتضيات البنية الروائية.

* لقد حذف الكاتب التواريخ وأسماء الشخصيات التاريخية الرسمية ويشد الحدث التاريخي من الحلقة التي تستجيب للحدث الروائي دون أن تفقد مصداقيتها.

* لقد وظّف الكاتب أساليب عديدة لالتقاط الأحداث التاريخية من خلال السرد أو الوصف أو الحوار أو الحوار الباطني أو من خلال بناء الشخصية الفنية.

* لقد مال الكاتب في كثير من الأحيان الى ضرب من اختزال الحدث التاريخي للإخبار(١٧).

* يكثّف السارد تدخله للتعليق على الحدث التاريخي وتفسيره وتحليل المعطيات الاجتماعية التي صاحبته أو نتجت عنه وبذلك يقدم قراءته الشخصية للتاريخ.

* اعتمد المؤلف في صياغة روايته على مجموعة من المراجع التاريخية المعروفة(١٨) لكن السارد لا يذكرها ليوهم بمعايشة الحدث وبمصداقيته.

تلعب هذه البنية الحدثية الخارجية الشخصة دورا رئيسيا في هذه الرواية، فهي التى تبرر وجود البنية المتخيلة، فالفعل الروائي يبرره «الفعل الواقعى» ومنه يستمد وجوده وشرعيته، بيد أن الروائي في هذه الرباعية ليس مؤرخا ولكنه يلعب لعبة التشخيص ويحرف الميثاق الارجاعي، الذى يبدو فيه الشخص حقيقة ولكن الشخص في هذه الرواية حقيقة واصطناع في نفس الوقت، ثم إن الحقيقة في حد ذاتها تشخيص للمكتوب، ويتعقد الأمر بالنسبة الى المتلقي المباشر والمعاصر للنص عندما يصبح غير قادر على التمييز بين المصطنع والحقيقى وبين تشخيص الواقع وتشخيص المكتوب اذ يخضع الحدث التاريخي في كثير من الأحيان الى تحريفات عديدة توتر لعبة الوهم والحقيقة.

ب - التشخيص الرمزى: العجيب في الرواية الحديثة نموذجا:

إن العجيب هو إدخال عنيف لغموض في إطار الحياة الواقعية، والحكاية العجائبية تشخص لنا أناسا يعيشون في العالم الواقعي حيث نوجد ويوضعون فجأة أمام مالا يمكن شرحه، والعجيب في النهاية قطيعة مع النظام المعترف به وبروز مفاجيء لما لا يمكن قبوله في قلب الشرعية اليومية التي لا تتغير.

لقد ضبط تودوروف الشروط الأساسية التي تحدد شعرية النص العجائبي، وأولها ارباك التشخيص التقليدى (الواقعي) في إطار علاقة السارد بقارىء النص عندما يجبر النص قارئه على اعتبار عالم الشخوص عالم اشخاص أحياء وعلى التردد بين التفسير الطبيعى للأحداث والتفسير الخارق للطبيعة أى أن القارىء يشك في صحة الخبر عن العالم ولكنه في نفس الوقت يظل غير قادر على تفسيره.

إن ما يلفت انتباه الباحث بروز ظاهرة العجيب في الرواية الحديثة

الرواية العربية في الستينيات يمثل الواقع فيها كيانا مستقلا بكل شخوصه

وقد كانت غائبة في رواية ما قبل نهاية الستينيات وسنكتفي بتحليل نموذجين لكي تبرز تجليات هذه الاضافة النوعية في مستوى علاقة الرواية العربية بالتشخيص.

(١) عين الفرس لميلودي شغموم:

تضع رواية «عين الفرس» منذ البداية، قارئها أمام حيرة كبرى، تتعلق بطبيعة هذا العمل الروائي، فهل تشخص الرواية أحداثا خرافية أم أحداثا من باب الخيال العلمي أم أحداثا واقعية؟ إن الرواية عبر فصولها تؤكد أي مشروع من هذه المشاريع وتبطله في نفس الوقت.

فالعنوان أولا عنوان مثير. فعين الفرس في البداية، استعارة لفظية لأحد مكتشفات عصرنا وهو «مضخم الصوت» الذي استعمله هذا السارد محمد بن شهرزاد الأعور، وهو يمسك برأس الحية وهي استعارة ثانية للحكاية التي يرويها، وعين الفرس هي هذه المدينة الخيالية التي جرت فيها أحداث حكاية السارد، لكن مدينة الحكاية تصبح مدينة قائمة في الواقع حيث ينفي فيها السارد ويكتشف في النهاية أن أحداث الخيال هي أحداث الواقع(١٩).

تقوم الرواية على حكايتين فيهما من العجيب الشيء الكثير، فالحكاية الأولى وهي حكاية السارد مع الأميرال تلتبس على المتلقي لغرابة أحداثها وغرابة الاطار العام الذي جرت فيه هذه الأحداث، فالوقائع الغريبة (هكذا وصفها السارد) تبدو من زاوية وقائع خرافية، فنحن إزاء سارد متزهد في الحياة، متأمل في أحوال العمران وتبدل بنيانه وفي أصل الطبيعة وألوانها، وإزاء أميرال يعيش بين «غلمانه ومؤنسيه من شعراء ومهرجين وعلماء» حياة الأمراء في العصور الخوالي، لكن الاطار العام يوحي بأن التشخيص من باب تشخيص الواقع، فالعصر هو عصر مضخمات الصوت وعصر الاستعانة بالمهندسين الروس، لكن زمن الوقائع يذهب أبعد من ذلك فالأحداث تجرى سنة ٢٠٨١ ولكنها لا تأخذ من الخيال العلمي، شيئا، والحكاية الثانية وهي التي رواها السارد وسمعها الأميرال وبقية الناس، فيها كما يقول السارد «شيء من الصدق أو الغرابة أو الكذب» فقد روج حميد ولد العوجة بعد تجربة غريبة في البحر(٢٠) أنه توجد في البحر أطنان من البسطيله اللذيذة التي تكفي لأكل عين الفرس عاما على الأقل(٢١)، وأن الصيادين



علي أحمد باكثير

الامريكيين يصطادون السمك والحوت باللحم المشوى، وعندئذ غرق الصيادون في البحر طمعا في البسطومة التي تلقى بها السفينة الأمريكية في البحر.

ان الحكاية لا تحسم الأمر، ذلك أنها تجعل القارئ يتردد في تفسير طبيعة الحدث، وهو تردد يصبح في النهاية من المعاني الأساسية(٢٢) وهو ما يجعل هذه الرواية «رواية عجائبية» يستمد التشخيص فيها شرعيته من اللغة ومن خارج اللغة في الوقت ذاته.

(٢) أبواب المدينة لإلياس خوري:

تقوم رواية «أبواب المدينة» لإلياس خورى على مجموعة من الأحداث هي الى الخوارق أقرب، تختلط فيها الحقيقة بالحلم، لكن الحلم لا يفسر العجيب ولا يضع حدا فاصلا بينه وبين حكاية الخوارق بل يعمق اللبس لدى القارئ في مستوى التشخيص ويؤكد فعلا أننا إزاء حكاية عجائبية وهذه تجلياتها:

مكانا: تشخص الرواية مدينة عجيبة ذات أسوار عارية وعالية وذات أبواب حديدية، الشوارع فيها تقود الى شوارع والأزقة تنتهى الى أزقة، ساحتها بيضاء وترابها أبيض وسماؤها بيضاء وفي الساحة تابوت داخله جثة من الحجر.

زمانا: تشخص الرواية زمنا مطلقا، اذ تختفي أية اشارة لها صلة بالتاريخ.

شخوصا: تشخص الرواية شخوصا غريبي الأطوار وهم:

- سارد عجيب يصعب حصر علاقته بالشخصية المركزية «يروي الذى رآه ويشهد على الذى شهده.. وهو لا يعرف أكثر من أسوار وأبواب وعيون تحترق فيها الأيدى ويمشي الى جانب الرجل الذى مشى ولا يتركه وحيدا»(٢٣).
- رجل غريب، على حد عبارة السارد، هو محور الوقائع والأحداث، ينتقل من وضعية غريبة الى أخرى، تختلط لديه الحقيقة بالحلم والكابوس.
- رجل شيخ يشبه الأجداد وهو الذى يدل الغرباء على ساحة المدينة ولكنه لا يقل غرابة إذ لم يكن له عينان.
- سبع نساء يظهرن الواحدة، تلو الأخرى، إحداهن عذراء ولها ثلاث بنات والأخرى لا يخرج الكلام من فمها بل من بطنها.
- جثة ملك في تابوت، تتحول الى كائن حي، فالملك النائم منذ سنوات لا تحصى ينهض في الليل ويمشي في الطرقات الترابية(٢٤).

أفعالا: وتشخص الرواية في النهاية أفعالا عجيبة تخرق الطبيعة، فالملك أوصى أن تختار المدينة سبع عذارى

ينتحبن على قبره وحين تموت إحداهن تدفن الى جانبه وتستبدل بعذراء جديدة(٢٥)، والقمر يختار امرأة كل ثلاث سنوات ويسمح لها بأن تأتي مع الرجل الى بيتها ليوم وليلة وإذا هرب الثعبان ستموت المدينة وإذا ماتت المدينة يتهدم قبر الملك وإذا تهدم قبر الملك انتهى كل شيء(٢٦)، ثم في النهاية الطوفان الذى ينهض ويدمر كل شيء(٢٧).

إن أبسط تعريف للعجائبي يتمثل في أنه تشخيص لفعل يكون «في شكل قطيعة يمزق العالم الواقعي تمزيقا غير محتمل» وعندما نتأمل هاتين الروايتين نلاحظ أنها تستجيب الى حد بعيد لهذا التعريف ونحن لا نريد في هذا السياق إثارة اشكالية الجنس في حد ذاته - وهي اشكالية مشروعة، بل سنطرح المسألة.. من زاوية مبحث التشخيص.

فعلا، يطرح العجيب مسألة التجاوز في مستوى التشخيص، فمن سمات الرواية التقليدية أنها تشخيص لكائن خارج النص، في حين أن العجيب لا يشخص واقعا خارج اللغة، والمتتبع لتطور الرواية العربية الحديثة **يدرك أن من سمات حداثتها خلخلة التشخيص التقليدى،** وعندئذ يوفر العجيب هذه الامكانية ويندرج بذلك ضمن رؤية شاملة تسعى الى تحرير الرواية العربية من أسر العلاقة التقليدية بين الأدب والواقع.

ومع ذلك فان العجيب يوظف في بعض الروايات (أبواب المدينة مثلا) لصياغة حبكة جديدة تقوم أساسا على المفاجآت ولكنها تلغي كل التبريرات المنطقية والعقلية في مرحلة ترهلت فيها الحبكة أو زالت تماما، فبقدر ما يسعى تشخيص العادى واليومي في الرواية الحديثة الى كسر الحبكة التقليدية بقدر ما يسعى العجيب من الأفعال الى النهوض بحبكة تساهم في تماسك العناصر السردية، ويلعب معنى الخوف، في هذا السياق دورا رئيسيا لما له من تأثير على التلقي، فللعجيب أثر خاص في القارىء قد لا تستطيع الأجناس الأدبية الأخرى أن تحققه. **ثم يعتبر تشخيص العجيب في النهاية خروجا على المواضعات الاجتماعية التي تخضع للمنطق وكسرا لسلطة العقل في عصر لم يعد فيه العقل قادرا على تفسيد التناقض الذى يواجه حياة البشر.**

ج - التشخيص النصي :

إن التشخيص النصي هو تشخيص المكتوب، فالنص يتكاثر انطلاقا من ذاته، إن ظاهرة التشخيص النصي ظاهرة فنية تميز الرواية الحديثة وتجسد كذلك نقلة نوعية أخرى، في التعامل مع المواد السردية المشخصة، **وتعد الآن، كتابات صنع الله ابراهيم وجمال الغيطاني أكثر الروايات العربية ولعاً بالتشخيص النصي** رغم اختلاف صيغ التعامل وأهدافها ذلك أن صنع الله ابراهيم ذو ولع بتشخيص النص الحديث والمعاصر، في حين تتخذ جل كتابات جمال الغيطاني من النص التراثي القديم مجالا واسعا للتشخيص بأساليب متنوعة.

لكاتب «تلك الرائحة» ولع بالصور الفوتغرافية التي يعد تشخيصها ظاهرة سردية أساسية في رواية «بيروت بيروت»، فالسارد ينقل بواسطة اللغة ما رصدته عين الكاميرا تحت عنوان واحد هو «لبنان أيام زمان» في أربع صفحات(٢٨)، أو ما رسم على بعض المجلات(٢٩) في صفحتين متتاليتين، ويحول الملصقة الحائطية الى نص مكتوب(٣٠) وكذا يفعل ببعض اللوحات الزيتية وصور الاجتماعات السياسية، لكن المكتوب يشخص المكتوب في هذه الرواية أيضا وفي جل أعمال الكاتب، فهو

الرواية الكلاسيكية العربية تجسد شعرية الخطاب الواقعي من خلال الحكي

يمنح تشخيص المكتوب صبغة وثائقية تسجيلية عندما يشير الى هوية الجريدة التي يصدر فيها الاعلان وتاريخ صدورها.

والأمثلة عديدة كذلك يعتبر الاعلان الصحفي مادة سردية رئيسية في بناء رواية «اللجنة» فالسارد يصوغ مذكرته عن مؤسسة كوكاكولا اعتمادا على نتف من مقالات صحفية ولكنه لا يتردد في ذكر عنوان الصحيفة وتاريخها(٣١)، بيد أن الكاتب يوسع استعماله لهذا الأسلوب في التشخيص في رواية «ذات» ان نصف فصول هذه الرواية تشخيص لنتف من تعليقات الصحافة المصرية على بعض الأحداث العامة التي عاشها المجتمع المصرى مركبة تركيبا يؤدى دلالة خاصة وهي في الواقع مجموعة من العناوين والمقاطع المجتثة، من الصحف المصرية الرسمية والمعارضة.

يتقاطع هذا الخطاب النصي المشخص - في الرواية - مع خطاب مغاير يشخص الواقع من خلال قصة امرأة تدعى «ذات» ولذلك يجد القارىء نفسه إزاء خطابين: خطاب يشخص المكتوب وفيه يختفي السارد وخطاب تقليدى يشخص الواقع وفيه يبرز السارد بروزا مكثفا ويلعب مع القارىء لعبة الايهام المتأخر.

والكاتب يشخص نوعين من النصوص مختلفين وهما: النص الوثائقي والنص التاريخى، ففي «نجمة أغسطس» يشخص الكاتب مجموعة من النصوص الظاهرة هي: كتاب مصور عنوانه «مايكل أنجلو نحاتا» وهو كتاب يجمع رسائل مايكل أنجلو وأشعاره، ومجموعة من الكتب الأخرى هى مراجع في التاريخ الفرعوني(٣٢) على نقيض صنع الله ابراهيم للغيطاني ولع شديد بتشخيص النص التراثي بأساليب مختلفة، فقد ألف مجموعة من الروايات الهامة التي تعد بمثابة المعارضة لنصوص أدبية وتاريخية. ولعل أكثر الأمثلة وضوحا الرواية الشهيرة «الزيني بركات» ففيها يبدو النص المشخص، موضوع المعارضة واضحا جليا يصرح به الكاتب في موضعين على لسان أحد رواته(٣٣)، وقد ضمن الكاتب نصه مقطعا طويلا من كتاب ابن اياس ذاته ورد في الصيغة التالية «وسمح لي بنقل ما كتب، يقول صاحبي ابن اياس»(٣٤). يبدو لنا تشخيص النص في هذه الرواية تاما في مستوى المضمون والشكل، اذ نلاحظ التطابق التام بين النص الابداعى والنص التاريخي في الوقائع التاريخية التي يقدمانها وقد أكدنا هذا التطابق من خلال المقارنة بين النصين ويتجاوز تشخيص النص التاريخى الشخوص والوقائع الى الأسلوب الذى استعمله جمال الغيطاني في بناء روايته، فهو ينسج بنيات لغوية تدني الزيني بركات من بدائع الزهور، تصل أحيانا الى حد تضمين فقرات كاملة من البدائع ولكنه أحيانا أخرى، يشخص بنيات أسلوبية جاهزة كتلك التراكيب الجاهزة وتلك التضمينات الدينية المختلفة وأسلوب تأريخ الحدث الروائي(٣٥).

[٣] **من خلال ما تقدم يتبين لنا اذن أن للتشخيص في الرواية العربية الحديثة اتجاهات عديدة لم تكن متبلورة تبلورا واضحا في النصف الأول من هذا القرن ولا في السنوات القليلة التي لحقته.** ونحن إذ سعينا الى رصدها من خلال نماذج محدودة فلكي نؤكد شراء التجربة الروائية الحديثة وتنوع مسالكها. ومع ذلك فان مثل هذا المبحث في الرواية الحديثة يثير مجموعة من المسائل:

أ - إن المسألة الأولى تتعلق بمشروعية المبحث في حد ذاته، فنحن نعتقد أن التشخيص هو عنصر أساسي من عناصر شعرية النص الروائي، **فالرواية لا تكون رواية اذا لم تكن تشخيصا لكائن خارج عنها**، ولذلك فهى تشخص أكثر مما تعبر ومنذ القدم امتدح افلاطون هوميروس في الالياذة لأنه يشخص الوقائع والأحداث أكثر مما يحاكيها(٣٦). وقد لاحظنا أن بعض نقاد الرواية المحدثين يهتمون بجل العناصر الشكلية التي تقوم عليها الرواية ولكنهم يهملون هذا المبحث.

ب - بيد أننا عندما نتأمل النصوص الابداعية وما يصحبها أحيانا من تصريحات كتابها ومواقفهم من أبرز القضايا الفنية المطروحة عليهم، قلما نجد موقفا واضحا من مسألة التشخيص اذا ما قارنا ذلك ببعض الحركات الأدبية في أوروبا الحديثة اذ تكثر التعليقات النقدية المتصلة بموضوع التشخيص تبريرا لتلك الأشكال الروائية الجديدة، وكثيرا ما يكتفي المبدعون والنقاد باستعمال مصطلح «واقعية جديدة» تنبيها الى نقلة نوعية مرت بها الرواية العربية منذ تجربة نجيب محفوظ في بداية الستينيات بدون تحديد طبيعة هذه الواقعية الجديدة في مستوى علاقتها بالتشخيص وهذا يعني أن اشكالية التشخيص قائمة ولكنها ليست واضحة فهي لا تعدو أن تكون وعيا بضرورة التجاوز دون أن يتحول الى صراع فني معلن بين القديم والحديث.

ج - وما يؤكد هذه الملاحظة تعايش أشكال التشخيص في الرواية العربية الحديثة لدى الكاتب الواحد والرواية الواحدة أحيانا، فقد لاحظنا أن رواية «ذات» لصنع الله ابراهيم تقوم فنيا على تقاطع شكلين من التشخيص: التشخيص الوصفي من خلال حكاية امرأة تدعى «ذات» وعبر متابعة مراحل حياتها ورصد مجموعة من الأفعال اليومية التي

تمارسها والتشخيص النصي من خلال تلك المقاطع الصحفية التي تشخص بدورها الحياة العامة في مصر وقد لاحظنا الأمر ذاته في رواية «نجمة أغسطس» التي تقوم في نفس الوقت على تشخيص الواقع والمكتوب.

وهذا يعنى في نهاية الأمر أن التشخيص لعبة فنية بالنسبة الى الكاتب العربى أكثر من كونه رؤية فنية واعية تتصل بفلسفة الكتابة، فهي تندرج في إطار عملية التجريب وترمي الى كسر الكتابة النمطية.

د ـ وللتشخيص اتصال وثيق بحداثة النص الروائي، فعلاقة النص بالمادة المشخصة تنعكس على البناء العام للرواية، فقد اقترن تجاوز التشخيص التقليدى بنزعة تجديدية واضحة، أقل ما فيها تجاوز الحبكة التقليدية وأدواتها الفنية وكسر النمطية سعيا الى التجربة الخاصة.

هـ ـ ومع ذلك فإن «النص الدنيوى» يظل في الرواية العربية سيد النصوص المشخصة، ذلك أن الواقع العربي المتقلب بتناقضاته الاجتماعية، يظل دائما مادة ثرية يسعى الروائي العربي الى تشخيصها والى ابراز مقدرته الفنية داخل التشخيص التقليدى.

الهوامش

(١) تعريبا للمصطلح الفرنسي Representation..

(٢) هيغل ـ علم الجمال، نصوص مختارة Hegel, Esthetipue Fantr choisis P U F 1953, P 52

(٣) لقد تحدث جان ريكاردو عن ثلاثة مستويات في التشخيص في الرواية الفرنسية الحديثة هى: (١) تشخيص الرواية للواقع، (٢) تشخيص الرواية لذاتها، ففي هذه الحالة تحيل الرواية على عالمها الداخلي أى على فعل الكتابة، فتصبح بمثابة «أثر لمرايا تفعل في ذاتها من كل ناحية» والنص يتكاثر انطلاقا من ذاته، وهو يكتب «عندما يقلد ما يقرأ» وعندئذ تكون الغاية من الكتابة هي تحقق معجزة الكتابة ذاتها، (٣) التشخيص المضاد. في هذه الحالة يتكاثر النص انطلاقا من ذاته ولكنه يكتب نفسه وهو يناقض ما يقرأ. وقد استعمل فيليب هامون مفاهيم مغايرة تتصل بعلاقة الرواية بالواقع فتحدث عن الواقعية النصية حيث لا تحاكي اللغة من الواقع سوى اللغة (المنطوقة أو المكتوبة) وعندئذ لا يستطيع حديث لساني أن يعيد انتاج غير حديث لساني مماثل قال نفسه بنفسه (وحينئذ يكون التكرار أو الاجترار والمعاودة هى الصور النموذجية لاعادة الانتاج هذه) أو قاله سلفا حديث لساني أخر (وعندئذ تكون وجوهه البلاغية هي اللغة الواصفة: الاستشهاد، اعادة الكتابة، المحاكاة الساخرة، المعارضة) والواقعية الرمزية: حيث لا تستطيع اللغة أن تحاكي الا بعض عناصر الواقع القابلة للأيقنة بالكتابة أو بالكلام الخطى والمزدوج التشكل (الأدب العجائبي مثلا) والواقعية الوصفية: وهي تلك التي يكون فيها الميثاق الارجاعي واضحا وهي التي تشخص الواقع باعتباره كيانا خارجا عن الكتابة. وقد حدد فيليب هامون في هذا السياق ما أسماه «قائمة شروط المشروع الواقعي» في كل هذا راجع كتاب «الأدب والواقع» مجموعة المؤلفين، تعريب ع. الجليل الأزدى ومحمد معتصم، مراكش ١٩٩٢، ص٦٩ وما يليها.

(٤) مصطلح استعمله ف ـ هامون، راجع المرجع المذكور سابقا.

(٥) انظر كتابنا «الرواية العربية والحداثة» منشورات دار الحوار، سورية ١٩٩٣، ص٧٦.

(٦) أنظر المرجع نفسه، ص ٧٦ وما

بناء الشخصية النموذجية وتحديد سماتها الاجتماعية والنفسية شغل الحيز الأكبر في الرواية

يليها.

(٧) الموت والبحر والجرز - دار الجنوب للنشر ١٩٨٥، ص٤٥.

(٨) الياس خورى، مملكة الغرباء، دار الآداب ١٩٩٣، ص١١٢.

(٩) عين الفرس، دار الأمان، المغرب، ١٩٨٨، ص٨.

(١٠) صبرى حافظ، قراءة في رواية جديدة، مالك الحزين، فصول، مجلد ٤ عدد ٣، ١٩٨٤، ص١٨٩.

(١١) راجع ف - هامون - الأدب والواقع - مجموعة من المؤلفين، مراكش ١٩٩٢، ص٨١.

(١٢) في هذا السياق، يقول حنا مينة متحدثا عن رواياته: «إن الطبيعة مؤنسة والصراع معها هو الصراع مع الانسان، في ظروف خارقة، تتخذ فيها الارادة الانسانية قوتها التي لا تقهر، لتقهر الطبيعة نفسها وتروضها. ومن الطبيعي أن يبلغ هذا التوتر أقصاه في هذه الحالة، لأن البطولة الفردية في المواجهة، بطولة جماعية في الهدف، وفي الظروف الاجتماعية والتاريخية التي تمر بها تفرض الضرورة مثل هذه البطولة، فهي تبرز دور الفرد في التاريخ حتى يكون على تساوق مع التاريخ وعلى تلازم مع أهداف الجماهير ومع منطقية قوانين التغيير باتجاه المستقبل» هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، ١٩٨٢، ص١٧١.

(١٣) أنظر كتابنا، الرواية والحداثة، ص١٧٢.

(١٤) أنظر ما كتبه على الجارم وفريد أبو حديد وعلي أحمد باكثير وعبد الحميد جوده السحار.

(١٥) الأشرعة ١٩٩٠ - بنات نعش ١٩٩٠ - التيجان ١٩٩٣ - الشقائق ١٩٩٣، دار الحوار اللاذقية.

(١٦) أنظر محمد عادل حرب، المعالجة الفنية للتاريخ، دراسة في مدارات الشرق، دار الحوار ١٩٩٤ هدف الكاتب في هذه الدراسة تأكيد التطابق القائم بين الحدث الروائي والحدث التاريخي.

(١٧) يقول مثلا: وهكذا انقضى من الأيام ما كان كافيا ليحتل الفرنسيون الشام ويطبقوا على سورية كلها - الأشرعة، ص٤٣٧.

(١٨) صرح لنا نبيل سليما أنه سلم بنفسه هذه المراجع لمؤلف كتاب «المعالجة الفنية للتاريخ» الذى ذيل بها الكتاب.

(١٩) راجع عين الفرس - دار الأمان، ط١، ١٩٨٨، ص٣٩.

(٢٠) أنظر عين الفرس، ص١٧.

(٢١) نفس المصدر، ص٢٠.

عند الكاتب العربي التشخيص لعبة فنية أكثر منه رؤية فنية واعية

ظاهرة العجيب في الرواية الحديثة خلخلة في نسيج اعتيادية الحياة اليومية

(٢٢) يقول السارد: وللتاريخ اني كثيرا ما طرحت على نفسي هذا السؤال الذى طرحه من قبل أولئك الأبطال الضحايا: ما الواقع، وما اللاواقع؟ ما المعقول وما اللامعقول؟ من يعرف الحدود الدقيقة الفاصلة بين هذا الزوج من الحدود «انظر الرواية» ص٥٩.

(٢٣) أبواب المدينة، دار الآداب ١٩٩٢، ص٨.

(٢٤) أبواب المدينة، دار الآداب ١٩٩٢، ص١٠١.

(٢٥) نفس المصدر، ص٢٨.

(٢٦) نفس المصدر ، ص٨١.

(٢٧) نفس المصدر ، ص١٠٩.

(٢٨) أنظر «بيروت بيروت» دار المستقبل العربي ١٩٨٤ ص٣٧ - ٤٠.

(٢٩) نفس المصدر ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣٠) نفس المصدر ، ص٢١.

(٣١) يقول مثلا: ولمزيد الدلالة على ما لهذه الزجاجة من خطر، فاني أحيلكم أيها السادة الى المقال الذى نشرته جريدة «لموند ديبلوماتيك» الفرنسية المعروفة في عدد نوفمبر تشرين الثاني ١٩٧٦ - أنظر اللجنة - دار القلعة للنشر. ط٢، ١٩٨٣ ص٤٥.

(٣٢) لقد ذيل الكاتب روايته بقائمة في هذه المراجع.

(٣٣) أنظر الزيني بركات، ص٢١٧ وص ٢٨٠.

(٣٤) أنظر المصدر ذاته، ص٢١٧ - ٢١٩.

(٣٥) أنظر الجزء الثاني من مخطوط أطروحتنا «الرواية العربية الحديثة في مصر وعلاقتها بالرواية الجديدة في فرنسا - مكتبة كلية الآداب، منوبة.

(٣٦) أنظر الجمهورية، الكتاب الثالث، تعريب عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٨٥ ص٢٦٠ - ٢٦٢.

ما تمنَّيتُ غير حسن.. ولكن!

مقبل عبدالعزيز العيسى - جدة

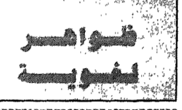
أيُّها السائـلي .. عن الشعـر يحكي
روعة الحسن .. في مدينة حبي!!
أجمـل الشِّعر أن يكـون ابتسامـاً
لحيـاة .. أو أن يبـوح لقلب!!
كل معنى فى الشعر .. يدعو لحسن
فى مجال الحياة .. يدعو لعذب!!
ما تمنيـت غيـر فـجر حـياة
يشـرق العلـم منه دوماً لشعبي!!
غـير أنـى شقـيت بالجهـل حتـى
خلـت أنـى فقدت بالجهل سربي!!
فالجهالات من ضـلال .. أعـارت
نظرات الشموس .. نغمة شجب!!
وعطاء الشموس .. يوحـي بنـبل
وجـمال.. لا زيف شرق وغرب!!



نهج حق .. يسمو بوحي ضمـير
مـا دعـى فى الحياة يوماً لذنب!!
ما تمنيت غير حسـن .. ولكـن
أيـن مني الصدى ؟؟ وأين الملبيٌّ ؟!



فالجهالات .. هل تكون لبعـض
رغـم هذا الضياع .. منهج درب؟؟



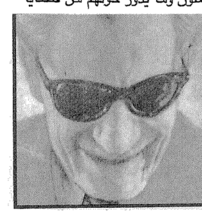
بعض الظواهر

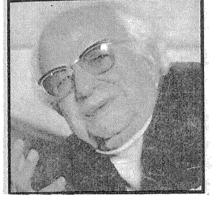
الحديث عن لغة الفن القصصي ـ في حقيقته ـ حديث عن جوهر ذلك النوع الأدبي القديم الجديد في آن واحد. فالقصة فن أدبي قديم وظفر الإنسان منذ وقت مبكر عن طريق الملحمة والأسطورة والسيرة الدينية والأدبية والتاريخية، والحكاية الخرافية والشعبية وقصة المثل أو الأمثولة، لكي يروى ظمأه الروحي وشوقه المعرفي. وقد تطورت فنون القصّ في العصر الحديث في كل الآداب العالمية ـ ومنها الأدب العربي ـ تطورات هائلة وسريعة، وبدأت تزاحم بعض الأنواع الأدبية الأخرى، التي كانت لها السيطرة على الإطار الثقافي: إنتاجا وإبداعا، مثل الشعر والمسرح. **بل إن فنون القص صارت أكثر رواجا وازدهارا من غيرها، لذلك سمعنا كثيرا من النقاد المتخصصين أنفسهم، يذهبون الى أن عصرنا هو عصر القصة، حيث أنها صارت أكثر قدرة على التعبير عن أزمات الإنسان المعاصر، كما أنها مطلوبة بشدة للصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما. بالإضافة الى أنها أصبحت فنا جماهيريا لدى قطاعات عريضة من قارئي الأدب ومريدي الثقافة.**

والقصة ـ مثل غيرها من الأنواع الأدبية ـ تعد فنا من فنون القول، وهنا تبرز اللغة باعتبارها الوسيط المعبر.. أو الأداة، التي تنقل التجربة من الأديب الى القارىء. واللغة في القصة أداة مشكلة، لأنها تتكون من عنصرين متمايزين هما: السرد والحوار.

السرد القصصي:

مصطلح نقدي يقصد به الطريقة التي يُصوِّر بها الكاتب جزءاً من الحدث أو ملمحا من ملامح الشخصية، أو جانبا من جوانب الزمان أو المكان. وربما يتعدى الأمر ذلك كله، لكي يلج الكاتب الى أعماق شخصياته فيصف عالمها الداخلي، وما يدور فيه من خواطر نفسية أو حديث مع الذات. وهذا العنصر خطير جدا، لأن الكاتب ينوب فيه عن شخصياته، ويصف ما يفعلون وما يدور حولهم من قضايا وإشكالية السرد بالنسبة للسارد/ المؤلف، أنه ينبغي أن يكتب بلغة لا تعلو كثيراً عن مستوى تفكير شخصيات عالمه القصصي، وإنما ينبغي أن تعبر اللغة بدقة وأمانة في إطار المنطق الخاص للعالم القصصي المتخيل، لأن الكاتب أحيانا يسبق الأحداث .. أو يكشف الستار عما لم يقع.. كما نجد في هذا الجزء من رواية «دعاء الكروان»


طه حسين


يحيى حقي

التعبير السردي المباشر

ومشكلات. الكاتب إذن عن طريق الراوي.. هو الذى يعبر ـ سرديا ـ عن غيره، ويصور ما يحدث لشخصيات عالمه المتخيل.

وهذا العنصر من عناصر القصة أو الرواية.. لا خلاف فيه بين النقاد والأدباء.. فالكل يجمعون على ضرورة كتابته باللغة الفصحى، يستوى في ذلك أكثر الكتاب حرصاً على فصاحة اللغة (مثل المنفلوطي والمويلحي وطه حسين وعلى الجارم ومحمد عبد الحليم عبد الله ونجيب محفوظ).. وأبسطهم في التعامل معها (مثل محمود البدوي ويحيى حقى ويوسف إدريس وفتحي غانم ويوسف القعيد وغيرهم).

لطه حسين (١٩٣٤):

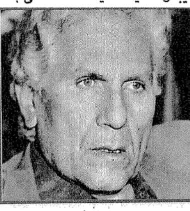
«لك الله أيتها الفتاة الناشئة! الى أين تذهبين؟ الم تفكرى في هذه الكوارث والخطوب التى تضمرها الحياة للضعفاء والبائسين، وللضعيفات والبائسات خاصة، وتتكشف عنها شيئا فشيئا، فإذا هي مصدر خصب للشر والضر، وينبوع غزير للسيئات والآثام؟ ألم تفكري في هذه الأقاصيص التى كان يمتلىء بها صباك والتى كانت تسلى نهارك وتروع ليلك، والتى كانت تمتلىء بأحاديث الأغوال، وقد تفرقوا على الطريق يعترضون المار حين يمر بهم، وقد انقطعت به السبيل فإذا هم يضمرون له الهول كل الهول،

اللغوية في الفن القصصي المعاصر

بقلم: أ. د/ طـه وادي
أستـاذ الأدب الحديث
كليـة آداب القاهـرة

ويسرون له البغض كل البغض، وإذا هم لا يكادون يتنسمون ريحه، وقد أقبل من بعيد، حتى يتحلب ريقهم قرصا الى لحمه وعظمه، وحتى تضطرم فى أجوافهم غلة لا يرويها إلا دمه.. ماذا أعددت يا آمنة لهؤلاء الأغوال فإنهم منبثون فى الطريق؟(١).

فالكاتب - هنا من خلال السرد - يبدو شفيقا غاية الشفقة على بطلة


يوسف ادريس


يوسف القعيد

عيب فاضح في القصة الحديثة

روايته (آمنة).. وهذه الشفقة تسبق الأحداث قبل أن تقع، وتوحى بما سوف يحدث فيما بعد بطريق لغوى مباشر. **وهذا التعبير السردى المباشر - في تقديرنا - عيب فنى، لأنه يكشف - بجلاء ومباشرة - عن أحداث مستقبلية بلغة سردية صريحة**، إن من حق الكاتب أحيانا أن يمهد لما قد يقع فى المستقبل من أحداث عمله القصصي شريطة ان يتم ذلك بأسلوب فنى ولغة رمزية، كأن يستخدم الحلم أو الرؤيا.. أو يقدم مشهداً يدعو الى التفاؤل أو التشاؤم. ان لغة السرد ينبغى أن تكون مثل عين الكاميرا المصورة، بحيث لا تقدم من التراكيب والأساليب إلا ما يحتاجه الموقف القصصي، وتتطلبه الحادثة فنيا. **لغة السرد، إذن ينبغى أن تنفصل تماما عن مبدعها/ المؤلف، وتلتحم برؤية الراوى/ السارد، الذى ينبغى عليه أن يكون دقيقا غاية الدقة فى التعبير عن الموقف القصصي.** كما نجد فى هذا الجزء من رواية «زقاق المدق» لنجيب محفوظ:

«نشر الظلام رواقة على الزقاق، وأطبق على جنباته سكون عميق، حتى قهوة كرشة أغلقت أبوابها وتفرق سمارها. وفى هذا الهزيع من الليل مرق من باب الفرن شبح زيطة صانع العاهات ينطلق الى تجواله الليلى. قطع الرجل ارض الزقاق الى الصنادقية، وعرج الى اليسار متجها صوب الحسين، فكاد يصطدم بشبح قادم فى منتصف الطريق، وما لبث أن تنور وجهه على ضوء النجوم الشاحب..»(٢).

فالسارد - هنا - حريص على ألا يبالغ فى وصف الموقف أو أن يسبق الأحداث.. لكنه يقدم - باللغة - وصفاً محايدا للموقف القصصى الذى يصوره.. فهو يسير خلف شخصياته كأنه يقص آثارهم، ويتتبع خطواتهم.. دون تضخيم أو انكماش أى دون زيادة أو نقصان.

وهذا ما ينبغى أن تكون عليه - بحق - لغة السرد، وهى أن تقدم المعنى والدلالة من وجهة نظر الراوى الذى يعلم كل شئ لكنه لا يقول إلا ما يتطلبه الموقف بشكل فنى محكم.

الحوار القصصي:

يمثل الحوار الشقّ الثاني من نوعية الأسلوب المطلوب لتشكيل بنية العالم القصصى. إن الرواية فن الشخصية. والشخصيات - فى الروايات - فاعلة ومريدة، ومتحركة ومتكلمة. والكلام لغة.. ونطق. والنطق ينبغى أن يقوم على منطق، لذلك ينبغى أن يتوافق منطق كل شخصية مع ما تنطق به من عبارات، لأن العبارة (تعبير) عما نفكر فيه. وعلى هذا فان الكاتب حين يصور مجموعة من الشخصيات فى رواية ينبغى عليه أن يجعل حوار كل منهم مختلفا اختلافا بيّنا، بحيث يظهر - بدقة - الفروق الفردية بينهم فى التفكير والتعبير(٣).

إن من أشد الظواهر اللغوية سلبية فى الحوار أن يتحدث الكاتب (نيابة) عن شخصياته، وهنا سوف يقع خطأ فنى فادح، لأنه لن تكون هناك فروق فى اللغة: تركيبا ودلالة

عند التحاور بين الشخصيات. وهذا ما نجده - أحيانا - عند كاتب مثل محمد عبد الحليم عبد الله، ففى رواية «لقيطة» يدور هذا الحوار بين ليلى الممرضة البسيطة، وبين جمال الطبيب، الذى يعجب بها وتعجب هى الأخرى به:

- ترى فى ماذا تفكرين؟ أجيبى إجابة صحيحة.

- أفكر فى البحر.

فأغرق فى الضحك. تفكرين في البحر؟ لقد أقرعونا ونحن صغار: أن فيلسوفا اتجه الى السماء بفكره ووجهه، وأعرض عن الأرض فسقط فى بئر وهو ساتر، فكان هذا سبب إنزال الفلسفة من السماء الى الأرض.. أتراك يا ليلى تريدين أن تشغلى مكان هذا الفيلسوف فتنقلى الفلسفة من اليابس الى الماء، ونحن ما فرغنا من مشاكل اليابس؟، وأعجبها الحديث فابتسمت. ليس كذلك تماما يا سيدى الدكتور، إنما لذّ لى أن أطرح فكرى الى باحة لا فكر فيها، لكيلا يسبح مع أفكار الناس، ففكرت في البحر.

- إنك يا ليلى فتاة غريبة، وما أخطأت إذ عددتك فيلسوفة. كيف إذن كنت تفكرين؟.

- كنت أقول مثلا: أتحت هذا الماء سعادة وشقاء، كما فوق هذه الأرض سعادة وشقاء، أم أنهما وقف على من يعيش فوق ظهر شيء، كما نشقى على وجه الأرض، فإذا ما دفنا فى بطنها استرحنا؟ أقول أيشقى السمك وغيره ويسعد، كما يشقى الانسان ويسعد، وإذا لم يكن لنا فى الماء سعادة ولا شقاء، فما أجدر بمن على اليابس أن يتمنى لنفسه تلك المسابح، وان يهوى هذه الحياة ما دمنا قد حرمنا السعادة المطلقة، ويسلط علينا في بعض الأحيان شقاء مطلق، وما دمنا لا نرى على الأرض شخصا واحداً يقول: «أنا فى الأعراف لست شقيا ولست سعيدا» وإنما ألفناه يقول: «أنا اليوم سعيد أو أنا اليوم شقى».

هذا ما كنت أقوله فى نفسى يا دكتور، فهل ياترى خيراً من هذه النزهة؟(٤). **فلغة الحوار - هنا - تحمل تفلسفا، لا تقدر عليه شخصية فتاة لقيطة.. تعلمت فى ملجأ للأيتام..** وتعمل ممرضة بالإضافة الى أن هذا التفلسف المصطنع يحمل أفكارا يصعب أن يقتنع بها قارئ النص. وهذه المبالغة اللغوية وتلك الصياغة الإنشائية قد أدتا الى (تزييف) الموقف القصصى، وبالتالى الى خلل واضح فى التكنيك، **لأن الشخصيات القصصية ينبغى أن تكون قريبة من (الأصل) المستوحى من واقع الحياة.** كما أن الرواية لا يناسبها ألبتة الصنعة الإنشائية التى تقوم على تعمد التقعر فى الصياغة وحشد المحسنات البديعية والبلاغية. وهذا ما وقع فيه الكاتب هنا - دون أن يفطن الى ذلك.

ظاهرة مُقلقة:

كثير من كتّاب القصة والرواية فى المرحلة المعاصرة، يميلون الى استخدام اللهجة (العامية) في الحوار، لأنهم يرون أنها أكثر إيهاماً بالواقعية من الفصحى. ولكن ذلك يمكن أن يُردّ عليه، لأن الفلاح أو العامل أو الخادم - فى عمل قصصى - شخصية أدبية تخيلها الكاتب وشكلت ملامحها موهبته الفنية، لذلك نرى **أن الواقعية تتحقق فى مجال الحوار عن طريق أن يكون المعنى المتكلم به على قدر المستوى الفكرى للشخصية..** وليس شرطاً أن يتحقق ذلك عن طريق استخدام العامية. ونحن ننادى بهذا ليس من منطلق التعصب للفصحى فحسب، وإنما من منطلق التعصب للأدب نفسه. فالقصة فن أدبى يعتمد على الأداء السليم والتعبير الجميل فى آن واحد.

كذلك فإننا نعرف اتساع الهوة بين العاميات العربية.. وهذا ما يجعل قدرة النص على التواصل مع الآخر عاجزة - أحيانا - وقد عانيتُ أنا شخصيا من غرابة بعض المفردات حين تصديت لقراءة بعض النصوص الروائية من الجزائر واليمن.. وإذا كان هذا هو شأن إنسان مثقف فما بالك بأمر القارئ العادى؟!.

*** أيّها الكُتاب عليكم باستخدام الفصحى سردا وحواراً من أجل فنّ أدبى خالد يعيش فوق الزمان والمكان وينسجم مع تقاليد الأدب ومواريث الأمة.!!**



المنفلوطي

اذا كان الشعر ديوان العرب قديماً فالقصة ديوان العرب حديثاً

الهوامش

(١) طه حسين : دعاء الكروان ، ط دار المعارف، ص ٧٧ ، ٧٨.

(٢) نجيب محفوظ: زقاق المدق - ط مكتبة مصر، ص٢٢٢.

(٣) راجع الفصل الأول فى كتابنا: دراسات في نقد الرواية، ط الهيئة المصرية، ص٢٣ - ٥٠.

(٤) محمد عبد الحليم عبد الله: لقيطة، ط مكتبة مصر، ص ١٧٨، ١٧٩.

من قراءاتي في الأدب العالمي

الشاعر الانجليزي المبدع

(برسي بايس شيللي)

بقلم:
محمد بن أحمد العقيلي

\## ولد برسي بايس شيللي في عام ١٧٩٢م بالقرب من «هورشام» في مقاطعة سسكس، من أسرة لها مكانتها في الأعيان الأثرياء، ووالده عضو في البرلمان الإنجليزي.

كان الشاعر في مستهل حياته من السعداء يعيش في جو رومانسي وسط الحقول والغابات مع أربع شقيقات على جانب من الجمال مثله، وكان مولعاً بقصص الساحرات والغيلان والعفاريت وتهاويل وتخاريف الاوهام، فيتأثر هو ويؤثر على أخواته بما في تلك القصص مما يثير الرعب ويورث المخاوف.

دخل المدرسة وعمره ١٢ سنة، وكان في طبيعته شيء من الغرابة والتمرد لم ترق لمدرسيه ورصفائه، وكان بعيدا عن التقيد بالنظام المدرسي، غير محترم للتقاليد، فأوجب كل ذلك رد فعل عند أقرانه من التلاميذ، الرغبة في إيذائه والإيقاع به، فتجنبه الرصفاء وتجنبهم هو بدوره.

كان يقضي معظم أوقاته منفردا بنفسه متفرغا للقراءة والكتابة والتفكير والتأمل، وقبل أن يغادر المدرسة كان قد كتب العديد من القصائد الشعرية وبعض الروايات.

وفي أثناء وجوده في المدرسة قرأ كتاب وليام جودوين، ويشتمل الكتاب على تحقيق فى شأن العدالة الاجتماعية بدراسة فلسفية راقية كان لها أعمق الأثر على أفكاره ونشاطه من بعد.

وكل ما كان يعجب به ذلك الشاب في ذلك الوقت هو التجارب الكيميائية أو الفلسفية.

وفي عام ١٨١٠م أرسله والده لجامعة أكسفورد، ولم تمض عليه سنة بتلك الجامعة حتى ألف كتيبا مشحونا بالإلحاد والهرطقة، مما جعل الجامعة تقرر طرده، فكان ذلك له تأثيره النفسي على شخصيته فلازمه الإحباط، وغمرته الكآبة وهو لا يزال في التاسعة عشرة من عمره، وذلك كله بسبب تهوره وطيشه الجنوني.

مكانته الشعرية :

شيللي عند الكثير من شعبه هو شاعر الرياح والسحب والطبيعة الخلابة على وجه العموم، وينظر اليه كشاعر مثالي تنبع من أشعاره طروحات ورؤى جميلة بالنسبة إلى عصره وبعد عصره.

كانت أراؤه شاذة وأفكاره خاطئة يخالف معتقدات الجمهور وما تعارف عليه الناس في عهده مما يثير السخط ويورث البغض والإستنكار.

إن شعره الذى كان ينظر إليه في بداية أمره نظرة الإستنكار والإستغراب وأصبح بعد ذلك موضع الإعجاب والإستحسان، بل الشغف والاستجادة.

قصائده الأولى :

في أواخر العقد الثاني وأوائل العقد الثالث من عمره كتب عدداً من القصائد الرائعة وأشهر قصائده قصيدة (الملكة ماب) وذلك سنة ١٨١٣م يستنكر النظام ويشجب التقاليد السائدة في ذلك التاريخ.

بيد أن اسلوبا مبتكرا ونهجا متألقا جديدا بدأ يظهر في قصيدته (الأستور) وذلك سنة ١٨١٣م، ومع أن شيللي قد تراجع كثيرا عن بعض أفكاره الشاذة وهرطقته الغريبة ونهجه المعوج مع ما سبق من الإبداعات الشعرية، جعلت له من الشهرة وأكسبته من المكانة، الكثير من المعجبين.

إن الشاعر نفسه قد أدرك خطأه فيما أقدم عليه من الحدة الجافة والآراء الشاذة وعرف أو أدرك أنه دون ما كان يتوق إليه من الإصلاح. وأخذت عباراته واللغة التي يعبر بها عن مشاعره ومثالياته تجنح للاتزان والاعتدال المعقول والشعر المجنح في الخيال وغدا يترسم منهج ابداعات الأعمال الكلاسيكية الرصينة في


شيللي

شيللي.. شاعر الرياح والسحب والطبيعة الخلابة

الأشعار اليونانية والرومانية، ويبذل عناية أكثر بآليات كتابة الشعر، مترسما نهجا جديدا من الأبيات والأوزان المستخدمة.

وقد ساعده النهج الجديد على تطور شاعريته والتحليق في أجواء وأجواء من الأشعار الخالدة، والمعاني السامية، والبعد عن المغالاة، ما خفف من سخط المجتمع عليه، نتيجة تصرفاته المبكرة وبعده عن روح الأخلاق الفاضلة والعادات الكريمة.

وبدأ يضيق بالحياة في وطنه، والتبرم من الحياة الرتيبة مما ترتب على ذلك سوء صحته ومغادرته انجلترا هو وزوجته الثانية «ماري»، وذلك سنة ١٨١٨م.

نهاية حياة الشاعر:

ذلك ملخص من حياة ذلك الشاعر المشهود له أنه من أبرز الشعراء الإنجليز، وهو بعد ذلك يدين بشهرته ومكانته البيانية إلى تلك الأشعار التي أنشأها بين عامي ١٨١٨م و١٨٢٢م، وهو العام الذي لقي فيه مصرعه غرقاً في حادث بحري على سواحل إيطاليا.

وفي إيطاليا نفسها برزت عبقرية ذلك الشاعر وأنشأ اشعاره الرائعة وبيانه الساحر، وأنتج الكثير من قصائده الجميله ومؤلفاته النثرية الساطعة التي تتسم بالتفكير العميق، والبيان المتوهج.

وتعد قصيدته (بروميثيوس طليقا (Sprometheus Unbound من أبرز أعماله الساطعة ويعتبرها كثر من الناس أهم أعماله.

ويقول البعض إنه من الجائز أن تكون القصائد التي يشتهر بها الآن أكثر من غيرها هي الأغنيات القصيرة: «أغنية الرياح ـ القنبرة ـ السماء والسحابة».

والأخيرة هي التي عبر عنها شعرا بلغة لم يسبق لها مثيل في جمالها وإيقاعها الموسيقي.

ومما ترجم للعربية من قصائده قصيدة القنبرة، وإن كانت الترجمة قد تكون جميلة وقريبة من الأصل إلا في الشعر، لأن ترجمة الشعر من لغة إلى أخرى يفقده الكثير من الروعة وسحر البيان.

إن الشاعر شيلي لم يعش على هذا الكوكب الأرضي إلا ٣٠ سنة، وإنما لا يزال يسطع ذكره ويتضوع اسمه بأريج الخلود.

ومما ترجم من أشعاره المقطع الأخير من قصيدته «السحابة»، ننشر منها بعض الأبيات المترجمة:

أيتها الرياح القريبة، إنك تبعثين بأنفاس الخريف

أنت التى لا يدرك أحد بوجودك إلا بالأوراق الميتة

تدافع مثل الأشباح الهاربة أمام الأعمال الساحرة

صفراء وسوداء وباهتة وحمراء كحمرة الوجنات المورده

وكأنها جموع أفزعتها الأوبة

من أغنية للرياح الأرضية

تحية إليك أيها الروح المرحة!

إنك لم تكوني أبدا طائرا

قادم من السماء أو من قريب منه

تصبين عصارة قلبك

في إسهاب شعري من الفن التلقائي

من أغنيته الى قنبرة السماء

أنا ابنة الأرض والماء

وأنا أمر من خلال مسام المحيط والشطوط

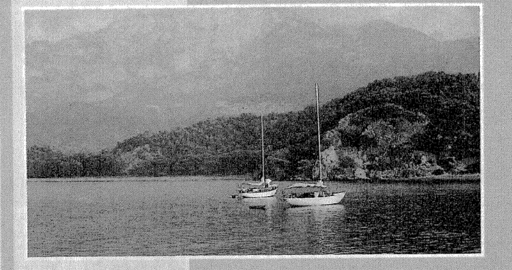
وأتغير وأتبدل ولكن لا أموت.



اقرأ في هذا العدد من مجلة..

السائح

اللاذقية.. روعة البحر وسحر الطبيعة



أيام في بلجيكا

عجائب وغرائب العالم في «٤» سياحة

،، في البلدان والعمران.. في التقاليد والأعراف، في تقاطع وجوه الناس، السائح يستقرئ الملامح ويرسم اللوحة،،

٤ سياحة

٤ سياحة

٤ سياحة

٤ سياحة

٤ سياحة

٤ سياحة

الغابة

«الغابة» عالم قائم بذاته، دنيا لوحدها، تَعُجُّ بالأناسي وصنوف المخلوقات.. كلٌ يبتغي رزقه بما قسم الله له..

عادات وتقاليد، وأعراف الناس هناك غير ما تعاهد عليه الآخرون.. طعم خاص، ومذاق خاص، بل لون خاص.. وهذه الخصوصية المكتسبة بحكم التعايش ومجموعة معطيات البيئة من حولهم، جعلت لأهل الغابة سماتهم وملامحهم.. في كل شيء .. بدءاً من اجتماعياتهم وانتهاء بخصوصية حياتهم الدقيقة.

أفراحهم فى عيونهم بهجة.. وفي عيون الآخرين اكثر بهجة، لأن الآخرين لم يروا مثيلها.. ولا أظن **أن هذه الصورة** تحتاج الى تعليق.. المكياج والزينة على طريقتهم هم.. ومن اخراجهم هم أيضاً .. بعيداً عن بيوت الخبرة في التجميل.

هذا خلق الله

المتأمل للطبيعة يجد عجباً .. وما أظن هروب شعراء الرومانسية إلى الطبيعة، والعيش فى أحضانها كان مصادفة.. هذا النفر من الشعراء صنعت الطبيعة من شعرهم لوحات رائعة جميلة.. رقت أحاسيسهم، ونمت مشاعرهم.

والآن في حياتنا المعاصرة المكتظة بكل ضروب الضجيج والصخب، نجد كثيراً من أهل المدينة هربوا لاحضان الطبيعة.. هذه اللوحة من الطبيعة البكر، خلق من خلق الله سبحانه الذى أحسن كل شئ خلقه.

هذه الوردة تساقطت عليها قطرات الندى، وتجمدت على اطرافها لتعطينا هذه اللوحة الجميلة الرائعة.

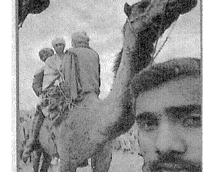


أرقــــــام

«٤» مليار دولار تكلفة اقامة المشروع، «١٠» مليون دولار تكلفة حفل الافتتاح، (٤٠) دولار قيمة تذكرة الدخول، «١٢» مليون شخص زائر خلال العام الاول بقي ان نعرف ان هذا المشروع الضخم هو (ديزني لاند الاوروبية) التى أقيمت على بعد ٣٢ كلم شرق العاصمة الفرنسية باريس. لا غرابة ، فالأمر محسوب بدقة متناهية من ناحية الربح والخسارة، إذن لا مكان لان نرى هذا المبلغ ضخماً أو فلكياً. إنما موضع الغرابة والاستفهام ان أوروبا بعامة، وفرنسا بخاصة كانت متخوفة من ان تغزوها أمريكا بكل معتقداتها الفكرية والثقافية، وبأعرافها وتقاليدها..

ونظل نسأل ما الذى تخافه أوروبا من الفكر الوافد اليها عبر المحيطات!؟

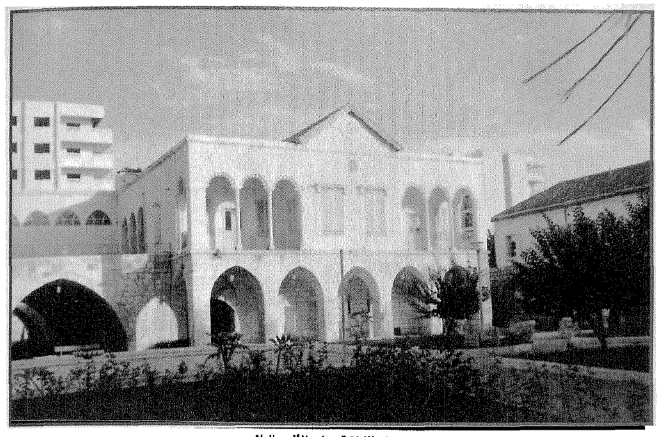




ابداع الفطرة

إذن، لا بأس .. مهرجانات الفرح هنا في الباكستان .. بعيداً عن المدينة بكل ما فيها من صخب ومكياج وزيف.. هناك في القرية الناس على فطرتهم وافراحهم ومهرجاناتهم بمستوى هذه الفطرة.. وهنا تكمن الروعة، ويبدهك الجمال بادياً.. جمال الأداء، بعد جمال التصميم.

سباقات الخيل، وسباقات الجمال ـ أشياء نفتقدها كثيراً وسط ضجيج المدينة.. مهرجان السباق له طقوسه.. هي فى ذاتها محطات توقف لا تخطئها العين. ان الفرحة هنا طاغية.

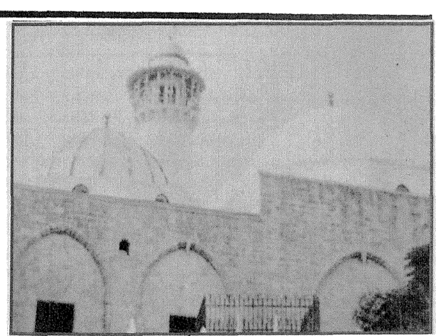


متحف اللاذقية وبناؤه الأثري الرائع

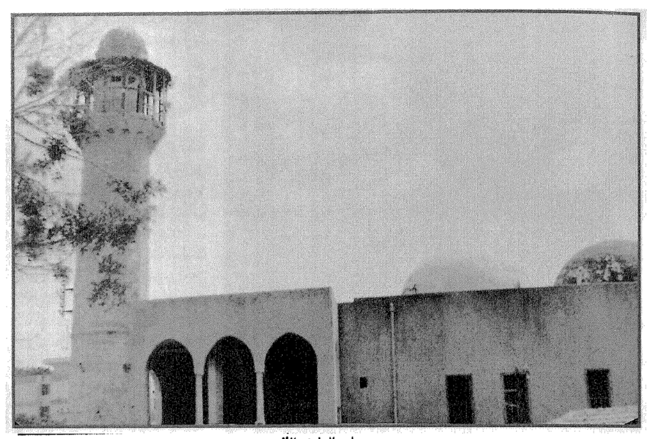
اللاذقيــــة..

كان الوقت صباحاً، ونحن فى أول فصل الصيف. عندما دخلت سيارتنا فى طريق جميل عريض، تنتشر على جانبيه وفى وسطه، أشجار النخيل والسرو والكينا وشجيرات الهيبسكس ذات الأزهار الحمراء الجميلة، والدفلة ذات المنظر الأخاذ.. هواء مشبع برطوبة بحرية يدخل من نافذة سيارتنا فينعش النفوس ويذكي الأرواح، وصوت مرافقي يجلجل فى السيارة: ها قد وصلنا اللاذقية .. نعم إنها اللاذقية مدينة البحر والجبل الأخضر .. درة سورية على ساحل البحر الأبيض وميناؤها الرئيسى فى اتصالها بالعالم الخارجى عبر البحر.

تبعد اللاذقية عن دمشق - العاصمة - ٣٤٠كم الى الشمال الغربى منها، وعن حلب ١٨٦كم غرباً وتعتبر إحدى المدن الرئيسية فى سورية. فبالاضافة الى دورها السياحي المميز والرائع فهى تلعب دوراً كبيراً فى الاقتصاد السوري من خلال مينائها الكبير. ونشاطها التجاري والصناعي الهام، كذلك فإنها تخبىء في حناياها أجمل المواقع الاثرية وأشهرها من رأس البسيط شمالا مروراً بأوغاريت



جامع المغربي الأثري



جامع البطرني الأثري

روعة البحر وسحر الطبيعة

هشام عدرة
سوريا

المدينة التي عرفت أول أبجدية في العالم الى قلعة صلاح الدين المتربعة بعنفوان في جبالها الشماء الى جبلة مدينة الأسماك اللذيذة والجوامع الأثرية والمسرح الكبير.. وغيرها الكثير من المخزون الحضاري والتراثي الذي تراكم عبر آلاف السنين من عمر المدينة الخالدة.. اللاذقية!..

إسمها ومن أين جاء ؟!..

دعوها عروسة شاطىء المتوسط.. وهي تعتبر بحق من أجمل مدن الشاطىء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط .. ودعوها لاذقية العرب وهي فعلا معشوقة كل عربي يزورها سائحاً أو عاملا فيرتبط معها بعلاقة حب .. تبادله الشوق بالشوق والعشق بالعشق. ولكن من أين جاء اسم اللاذقية؟!.. إنها إحدى خمس مدن أنشأها (سلوقس نيكاتور) في القرن الثاني قبل الميلاد وأطلق عليها اسم والدته (لاوذيكيه) وجعلها مدينة المدن.. وهي (لوكيه اكته) ومعناه باللغة اليونانية الشاطئ الابيض، أطلق عليها هذا الاسم البحاره الأجانب الذين كانوا يأتونها عبر البحار للتجارة والاتصال بأهلها في البيع والشراء وتشهد اللقى التاريخية الفخارية التي وجدتها بعثات التنقيب الأثري على أن هذا الاتصال كان قائماً بينها وبين قبرص والعالم الإيجي في عصر البرونز الحديث.

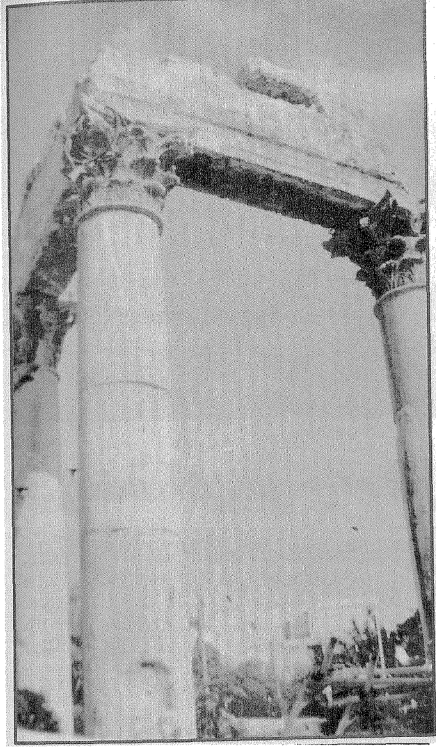
وفي العصر الحديدي. وهي مزبد من زبد البحر الذي يتشكل من ارتطام موج البحر فوق شواطىء الرأس الصخري الذي تربض فوقه المدينة.. وهي أيضاً (راميتا).. قبل أن تمتد أذرع وعمائر لاوذكية إليها فتحتضنها وتصبح جزءاً منها.

ففي مكتشفات تل العمارنة بوادي النيل اكتشفت كلمة وردت في نصوص التل من القرن الرابع عشر قبل الميلاد.. هي باريموتا التي أصبحت فيما بعد راميتا الاسم القديم لمدينة اللاذقية.. وراميتا مبنية على تل صخري تبلغ مساحته حوالي هكتاراً ونصف الهكتار وقد عثر في هذا التل على كسر فخارية تعود الى عصر البرونز الحديث أي الى المرحلة التي تتراوح بين ١٦٠٠ -

١٢٠٠ ق.م. وكانت رامبتا هذه تتبع للمملكة الأوغاريتية وكان يسكنها صيادون وبحارة ينتسبون الى الشعب الكنعاني الذي انتشر انذاك على طول الساحل السوري.

بناؤها وتاريخها :

بنيت المدينة على غرار المخطط السائد يومئذ في بلاد الاغريق فالشوارع متوازية ومتقاطعة بزوايا قائمة وكانت مساحتها الأولى حوالي أربعمائة هكتار شمل كامل الرأس الصخري.. وتقول المكتشفات واللقى أنها كانت إحدى المدن السلوقية الهامة والمزدهرة أصدرت نقوداً باسمها ووضعت أوزاناً معدنية وصنعتها. وفي كثير من النصوص نقرأ عنها بأنها كانت تلقب بـ (لاوذكية التي على البحر) وذلك لتمييزها عن المدن الاخرى التي كانت تحمل اسم لاوذكية معظمها غير ساحلي، وهكذا تفردت لاوذكية في كل شئ في البناء والموقع والقوة.. وفي قمة ازدهارها شكلت لاوذكية مع انطاكيه وسلوقية وأفاميا اتحاداً سياسياً وعسكرياً اطلق عليه لقب «اتحاد الشقيقات الأربع» وأصدر هذا الاتحاد عملة موحدة وحُكم بمجلس للحكم له صلاحيات واسعة. في عام (٦٤ ق.م) أصبحت سورية ولاية رومانية، وبشكل عام كانت لاوذكية مزدهرة في مطلع القرن الاول الميلادي وأبنيتها جميلة وميناؤها نشيطاً. وظلت تعرف بهذا الازدهار خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين.



أعمدة أثرية تتوسط مدينة اللاذقية

اللاذقية بعد الفتح الاسلامي:

في معركة اليرموك الخالدة، وفي العشرين من آب عام ٦٣٦م، انتصر المسلمون وفتحت أبواب سورية امام الفتح الاسلامي، فكان خالد بن الوليد بطل المعركة الكبرى الفاصلة.. وعبادة بن الصامت الأنصاري بطلا لفتح لاوذكية، مرسلا من أبي عبيدة الجراح، وذلك بعد عام واحد من المعركة الكبرى، فغدت لاوذكية (لاذقية العرب) وأخذت طابعها العربي الاسلامي. إلا أن بيزنطة لم تنس هزيمتها فقامت الجيوش البيزنطية في عام ٧١٨م بالإغارة على اللاذقية من البحر وألحقوا بها الدمار.

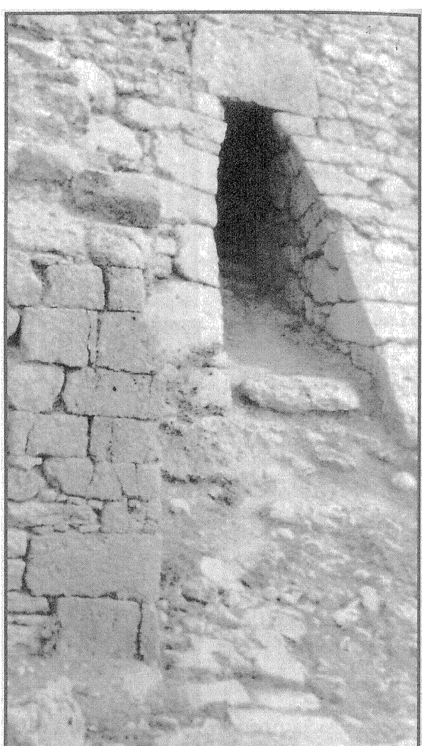
دمرت اللاذقية ولكنها لم تسقط وانسحب المغيرون، فهبّ الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وأعاد بناءها، وتكررت الغارات البيزنطية في عهد يزيد بن عبد الملك ولكنها لم تسقط. وفي عام ٨٥٩م تعرضت اللاذقية لهزة أرضية عنيفة هدمت معظم أحيائها، فهب المتوكل الخليفة العباسي وبناها من جديد وعوض

شيزر من بني منقذ مدينة اللاذقية الى السلطان السلجوقي (مالك شاه) فبقيت تحت حكم السلاجقة حتى قدوم الفرنج غازين ومغيرين. وظلت اللاذقية تارة تحت حكم الفرنج وتارة تحت حكم البيزنطيين حتى ١١٨٨م.

صلاح الدين الايوبي وتحريره اللاذقية:

في سنة ١١٨٨م دخل صلاح الدين الايوبي سورية، وفي العشرين من تموز من ذلك العام وصلت جيوشه أمام اللاذقية، وفي مساء يوم ٢٢ تموز - يوليو - استسلمت حاميتها، وفي اليوم التالي دخل صلاح الدين المدينة واستكمل فتحها، وتركها بعد أن ولي عليها ابن أخيه (مظفر تقي الدين). بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي أصبحت اللاذقية تابعة الى ابنه الملك الظاهر أمير حلب، وقد ترك هذا الأمير أثراً يدل عليه، فهو الذي أمر ببناء مئذنة الجامع الكبير فيها كما هو مكتوب في تاريخ موجود على جدار واجهة الجامع عند المدخل.

بعد ذلك ومن عام ١٢٦٠م الى عام ١٥١٦م بقيت اللاذقية تحت حكم المماليك وفي العصر العثماني لم تشهد اللاذقية أحداثاً تذكر، فقد ألحقت بولاية طرابلس فأصبحت حسب التقسيم التركي سنجقاً، ويستدل من مؤلفات الرحالة الأجانب الذين زاروا اللاذقية أنها عرفت أواخر القرن السابع عشر تطوراً اقتصادياً ملموساً بسبب تصديرها التبغ الى الخارج وبنوع خاص الى دمياط في مصر.



الباب والسور الشمالي لمدينة أوغاريت الأثرية

على أهلها.

في عهد الأسرة التنوخية التي حكمت اللاذقية منذ عام ٨٦٣م زار المتنبي الشاعر العربي الكبير اللاذقية وقال فيها شعراً جميلا في حضرة أميرها علي بن ابراهيم. كما زارها المعري وأقام فيها فترة من الزمن ما بين ٩٨٨ - ١٠٠٨م.

حكمها الحمدانيون مع حلب عام ٩٤٤م، وفي عام ٩٦٨م هاجم الامبراطور البيزنطي نقفور الدولة الحمدانية واحتل الساحل السوري واستولي على مدينة اللاذقية وكانت هذه المحنة التي ألمت بالمدينة، تعني عودتها الى السيطرة البيزنطية. وفي عام ١٠٨٦م سلم حكام قلعة

رحالة عرب زاروا اللاذقية:

لقد زار العديد من الرحالة العرب مدينة اللاذقية. وذكروها في كتبهم، ومنهم أبو الحسن المختار بن بطلان في القرن الحادي عشر ميلادي، وفي عام ١١٨٨م زارها المؤرخان عماد الدين الأصفهاني والقاضي ابن شداد برفقة القائد

صلاح الدين الأيوبي، وقد ذكرها الأصفهاني بأسلوبه الرشيق قائلا **ورأيتها بلدة واسعة الأفنية، جامعة الأبنية متناسبة المعاني، متناسقة المغاني قريبة المجاني وحبيبة المواني.. في كل دار بستان وفي كل قطر بنيان أمكنتها محزمة وأروقتها مرخمة وعقودها محكمة ومعالمها معلمة ودعائمها منظمة ومساكنها مهندسة ومهندمة وسقوفها عالية وقطوفها دانية، ومطالعها مشرقة ومرابعها مونقة وأرجاؤها فسيحة وأمواؤها صحيحة.**

كما زارها في عام ١٢٢٣م ياقوت الحموي صاحب كتاب (معجم البلدان) وفي عام ١٣٢٥م زارها الرحالة العربي المشهور ابن بطوطه، وتحدث عنها في كتابه «تحفة النظار في عجائب الأقطار والأمصار» وكذلك تحدث عنها شمس الدين الدمشقي وزارها في عام ١٤٧٧م سلطان المماليك (الملك الأشرف قايتباي) في رحلة مشهودة. وقد دون أخبار هذه الرحلة وزيره ومرافقه (ابن الجيعان) بتفصيل دقيق في كتابه (القول المستظرف). وزارها أيضا الرحالة المشهور عبد الغني النابلسي عام ١٦٩٣م، وذكرها في كتابه (الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز).

آثار اللاذقية والمواقع الأثرية فيها:

تتميز اللاذقية بغناها التاريخي والاثري. وبتنوع التراكمات الحضارية فيها والتي تعود الى آلاف السنين الماضية، ففي أحياء المدينة ومركزها تنتشر الأقواس والاعمدة الاثرية التي تعود للعهد الروماني. وبالقرب منها شمالا على بعد عشرة كيلومترات يقع رأس ابن هانيء في شاطيء ساحلي جميل، وتدل التنقيبات الأثرية فيه أن المكتشفات ذات قيمة تاريخية عالية وعثر فيه على نقود بطلمية وأهم ما يميزه القلعلة الشهيرة ومن المرجح أن الرومان قاموا بتهديمها.

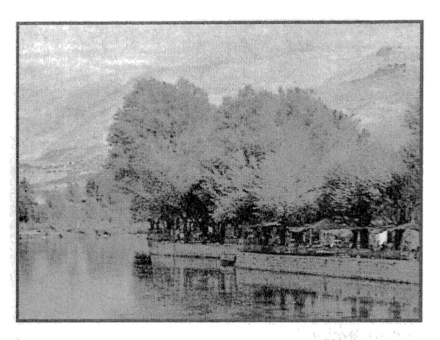
أوغاريت وأول أبجدية في العالم:

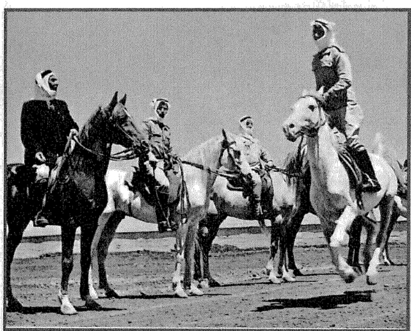
وعلى بعد خمسة عشر كيلا شمال مدينة اللاذقية تقع مدينة أوغاريت الشهيرة في موقع رأس شمرا، حيث كانت هذه المدينة في الألف الثاني قبل الميلاد عاصمة مملكة تتطابق مساحتها مع مساحة محافظة اللاذقية الحالية، وقد عرفت هذه المملكة في أوج عزها توسعاً مدنياً كبيراً شكل فيه الشعب الكنعاني العنصر الأهم. وكان لها عصرها الذهبي في الادارة والثقافة والدبلوماسية والقانون والدين والاقتصاد، وهي التي قدمت للبشرية ابتكارها المعجز «الأبجدية الأولى في العالم» فقد أتاحت للإنسان أن يثبت أفكاره وينقلها الى الآخرين بأبسط الرموز - أي أنها أتاحت له أن يكتب - وهذه الأبجدية الأوغاريتية التي تدين لها بالوجود اللغات الغربية منقوشة على إصبع صغير من الطين المجفف محفوظ أصله في المتحف الوطني بدمشق.

رأس البسيط: ذلك المرفأ الاثري الرائع:

من مقتنيات متحف اللاذقية

في أقصى الشمال السوري بمحاذاة البحر وعلى بعد أربعين كيلا تقريباً عن اللاذقية ينتصب رأس البسيط، وبين حين وآخر كان يعثر مصادفة على قطع أثرية، الأمـــر الذى لفت انتبـــاه علمـــاء الآثار الذين زاروا المنطقة وتبينوا الأهمية الكبيرة لهذا الموقع، مما دفع الى تشكيل بعـثـة أثرية فرنسية بموافقة المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية لإجراء الحـفـريات الأثرية في هذا الموقع، وبعد مرور نحو عشرين عاماً من العمل فيه أثمر عن نتائج طيبة، والبسيط هو مرفأ كنعاني هام أكدت البـحـوث أنه كـان يعج بكل مظاهر الحياة منذ أربعة آلاف عام على مر العصور حتى وقتنا الحاضر، والزائر له حـاليـاً يلاحظ أنه يشكل نصف جرن مملوء بالماء تحيط به الغابة من كل جهاته مع شاطئه الرملي الأخاذ الذي تقوم فوقه الفنادق والشاليهات الحديثة.





جـوامـع اللاذقــيـة الاثرية: وآثارها الاسلامية.

يعود تاريخ الآثار الاسلامية في اللاذقـيـة الى القـرن الثـاني عـشـر الميلادي وما بعده، وتتنوع بين جامع ومـسـجـد وزاوية وبناء وحـمـامـات جميلة. وأهم جوامعها الاثرية:

- جـامـع البطرني: ويقع في زاوية الحديقة العامة وسط المدينة وينسب الى أبي على البطرني الذي حـارب الفرنج وكان قائدا بحرياً عند الظاهر بيبرس وتعزى اليه المشاركة فى فتح اللاذقية وتخليصها من الفرنج وفيها توفي.
- الجامع الكبـيـر: ويعـرف بالجامع الظاهري، وقـــد بناه الملك الظاهر غـازى الابن الثـالث لصـلاح الدين الأيوبي.
- الجامع الأماطي: ويعود الى العصر الأيوبي.
- جـامع الخشـخـاش: ويعـرف باسم الجامع العلاني ويعود الى العصر المملوكي.
- الجامع الجديد: ويعتبر من أجمل جوامع اللاذقـيـة وقـد بني بأمـر من سليمان باشا العظم والي طرابلس بين عامي ١٧٢٥ و١٧٢٦م.
- جـامـع المغـربي: يطل على مـدينة اللاذقـيـة من مـوقـع عـال على عنق مـرتفـع القلعـة ويعـود بناؤه الى عـام ١٨٢٨م.
- جامع الريس حمادة التونسي: يقع ضـمن حـرم المرفـأ بني عـام ١٧٤٨م، وترتفـع مـئـذنتـه عن الأرض بحـيث يمكن المرور تحت بنائـهـــا.

ومن الجـوامـع الاثرية أيضـا: جـامع أرسـلان باشـا: وبني عـام ١٦٨٩م وجـامـع العـونيـة: بني بأمـر الوالي سليـمـان باشـا العظم، وجـامـع الصليـبـة: ويعـود بناؤه الى القـرن الثامن عشر ميلادي، وجامع الشيخ ظاهر (العجـان) بني سنة ١٧٨٦ - ١٧٨٧م، وجـامـع البـازار ويعـرف باسم الجامع الصغير، بني في مطلع القـرن التـاسع عـشـر الميـلادي، ومسجد القبة وزاوية الفتاحي التي بقي منها مئذنتها الجميلة ذات الشكل المثمن التي أنشأها محمود

آغا بن لطفي الطحام، ويرقي تاريخ هذه الزاوية الى سنة ٦٩٠هـ وتحولت الي مسجد في سنة ١٣٦٠هـ، وزاوية الشيخ سالم وتقع في حي القلعة ويقال لها زاوية الأميرموسى أنشأها الحاج سليم أندرون سنة ١٢١٣هـ ١٧٩٨م ورممها بعده الشيخ سالم المغربي الخلوتي الذي آلت اليه.

الحمامات الاثرية:

في اللاذقية عدة حمامات أثرية منها مازال موجوداً ومنها ما اندثر

الحمامات المندثرة بناه قاسم الزعيم في حي الأشرفية.

- الحمام الجديد: وكان يعرف بحمام الباشا وحمام العظم بناه الوزير سليمان باشا العظم ولا يزال يؤدي عمله.
- حمام العناية: اندثر الآن وكان مشهوراً ببركة عليها نافورة بديعة تشغل بجهاز يدار وفق علم الحيل العربي.
- حمام العشر: ويقال له حمام

المنشية.

وبناء المتحف هو بالاصل بناء أثري يعود الي أواخر القرن السابع عشر الميلادي وأوائل القرن الثامن عشر وكان مخصصاً لحفظ وتصنيع الدخان لذا أطلق عليه اسم خان الدخان، ويتألف البناء من طابقين: أرضي وأول، يتوسط الطابق الأرضي فناء مكشوف تحيط به أروقة يشكلها صفان من الدعائم الضخمة المستطيلة التي تحمل

شاطىء اللاذقية الرائع «عروس المتوسط»

ومن هذه الحمامات:

- حمام القبة: ويقال له أيضا الحمام الصغير وهو أقدم حمامات المدينة يرقي الي العهد المملوكي.
- حمام العوافي: وهو من الحمامات القديمة في اللاذقية ذات الشهرة اندثر قبل عام ١٨٦٦م.
- الحمام القامشاني: ويقال له القيشيني، وكان موقعه الى جنوبي مسجد القبة.
- حمام الحاج قاسم الزعيم: وهو من

البازار ويسمى اليوم حمام الهناء.

متحف اللاذقية:

في موقع من أجمل المواقع والأمكنة في لاذقية العرب، يوجد متحف المدينة الذي يضم الكثير من المقتنيات الاثرية التي تعود الى مختلف الاحقاب والأزمنة التي مرت على اللاذقية. ففي وسط المدينة الغربي وأمام مدخل الميناء التجاري القديم يقع بناء المتحف حيث يفصله عن البحر حديقة قديمة وجميلة تدعى

عقوداً جميلة، وعلى امتداد الرواق الغربي الشرقي تتوزع في الجنوب قاعات كبيرة معقودة السقوف (هي قاعات العرض المتحفي). أما واجهة البناء الغربية فتتوسطها نوافذ دائرية تعلوها جبهة مثلثية ذات سطح قرميدي أحمر وتتوزع على اليمين واليسار شرفات ذات أعمدة رخامية وأقواس دائرية مسننة.

في جولتنا بالمتحف الرائع نشاهد توزع قاعاته على الشكل

التالي:
قاعة أوغاريت: ويعرض فيها آثار مدينة أوغاريت التي تعود للقرن الرابع عشر قبل الميلاد ومنها: جرار حفظ الحبوب والزيت والماء ـ أواني الطهي والسكب المختلفة ـ أبجدية أوغاريت مع بعض الرسائل الملكية.

ـ قاعة ابن هاني: ويعود هذا الموقع الى القرن الرابع عشر ميلادي والي الفترات اللاحقة، وأهم المعروضات: قالب حجري لسكب المعادن كالنحاس والبرونز على شكل جلد ثور ـ مجموعة أوزان مختلفة ـ مجموعة أختام اسطوانية، وغيرها.

ـ قاعة الكلاسيك: وتضم المعروضات المتعلقة بالفن الروماني واليوناني المكتشف في اللاذقية ومنها: تماثيل فخارية ـ بكايات زجاجية ـ قماقم لحفظ العطور.

ـ قاعة الفن الاسلامي: وتحتوي مجموعة فخارية وسيراميك (وسيف مع زرد وزهرية وعملة أيوبية) ومجموعة دنانير أموية وعباسية ذهبية ـ ومجموعة حلي فضية وبرونزية.

ـ قاعة الفن الحديث: وتحوي مجموعة من اللوحات الفنية الزيتية والمائية لمجموعة من فناني سورية.

أما حديقة المتحف الكبيرة فتشكل بدورها متحفاً آخر في الهواء الطلق، تضم بعض الأعمدة الرخامية وتيجانها والتماثيل المكتشفة في المواقع الأثرية.



من آثار أوغاريت بجوار اللاذقية

الشعر واللاذقية:

إنها اللاذقية .. سحر الطبيعة الأخاذة، وروعة البحر المتوسط، موطن الشعر وملهمة الشعراء.. أنجبت على مدى تاريخها الطويل قرابة أربعمائة أديب وشاعر. ومنهم الشاعر المشهور «بدوي الجبل» ـ ابن اللاذقية ـ الذي تغني باللاذقية فقال في احدي قصائده:

سقى الله عند اللاذقية شاطئاً
مراحاً لأحلامي ومغني وملعبا
وأرضي ذرا الطود الأشم فطالما
تحدى وسامي كل نجم وأتعبا

وفي قصيدة ثانية يقول:

تعدو عند اللاذقية شاطئاً
عزلا كضاحكة ممراحا
بالله إن كحلت جفونك موجة
ضم الشراع وقبل الملاحيا

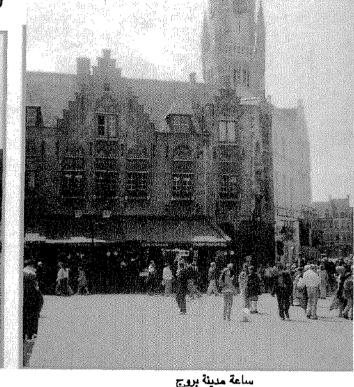
هذه هي اللاذقية: لاذقية العرب، وعروسة البحر الأبيض المتوسط.

المراجع والمصادر

(١) لاذقية العرب: البحر ـ التاريخ الانسان. دار حطين ـ دمشق ١٩٩٢م.
(٢) مجلة الكرنك السورية ـ العدد (٢) ١٩٩١م ـ دمشق.
(٣) تاريخ اللاذقية ـ جبرائيل سعادة ـ الجزء الأول ـ دمشق ١٩٦٤م.
(٤) مجلة الحوليات الاثرية ـ وزارة الثقافة ـ دمشق.

أيـــام





ساعة مدينة بروج

القنوات المائية في بروج

كانت صحبة طيبة تلك التي رافقت فيها عدداً من المفكرين والكتاب المسلمين خلال مؤتمر الاسلام والاقتصاد الدولي الذى عقد في بلجيكا وناقش العديد من القضايا التى تتعلق بهذه القضية ومنها قضية توفير الطعام الحلال للمسلمين في بلاد المهجر واقامة علاقات اقتصادية متوازنة بين العالم الاسلامي والغرب، وأسعدنى كثيرا اختيار جامعة الأزهر لى ضمن بعثتها التى شاركت في هذا المؤتمر ، وصحبت فى رحلتى من القاهرة الى بروكسل الدكتور على جمعة استاذ الفقه بجامعة الأزهر ، حيث توقفنا بروما وكانت هذه أول مرة أرى هذه المدينة فدعوت الله العلى القدير حين حطت الطائرة فى مطارها ان يفتحها المسلمون عما قريب، كما فتحوا القسطنطينية وهو ما بشر به الرسول ﷺ.

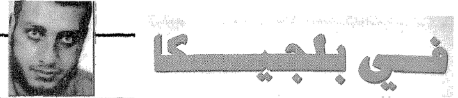
وبعد ان غادرنا هذه المدينة الى بروكسل، كان فى استقبالنا فى

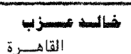
شبكة من القنوات المائية تحيط بالمدينة

مطار بروكسل محمد بن يعيش رئيس غرفة التجارة والصناعة الأوربية الاسلامية وهى احدى الجهات التى نظمت هذا المؤتمر، وسعدت كثيرا برؤية بروكسل فهي مدينة هادئة تمتاز بكثافة الأشجار ودقة أهلها فى العمل، وما ان وصلنا الى بروكسل حتي تجولت بنا السيارة في شوارعها، قاصدة مدينة انتقريب حيث أقيم المؤتمر الذى شاركت فيه حكومة هذه المدينة بإهداء قاعة مؤتمراتها - التى تضاهي اكبر قاعات المؤتمرات فى القاهرة - الى المنظمين للمؤتمر، وقد كان هناك ترحيب من حكومة بلجيكا بأعضاء هذا المؤتمر، لأن الدولة هناك تعترف رسميا بالدين الاسلامي، فبلجيكا يعيش فيها ٦٠٠ ألف مسلم معظمهم مغاربة وهم الجيل الثاني الذى استوطن هذه البلاد، منذ الحرب العالمية الثانية حيث شاركوا في تحريرها من الألمان، ومازالت قبور هؤلاء المشاركين بالقرب من بروكسل ويقام احتفال سنوى تشارك فيه الجالية المغربية، ولعلى هنا أذكر القارىء ان المسلمين هناك في حاجة الى انقاذ الجيل الثالث من أبناء المسلمين حيث لا توجد مدرسة اسلامية واحدة هناك بالرغم من ان تعداد الأطفال المسلمين بلغ ٢٠٠ الف طفل وهم موزعون بين المدارس البلجيكية.

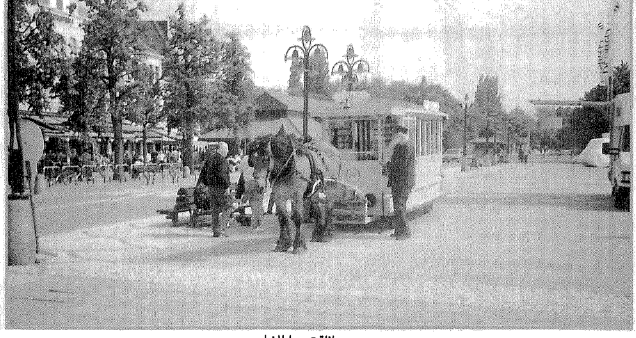
واليهود في بلجيكا لهم دور مؤثر، فهم يسيطرون على صناعة الحلى الذهبية والفضية ومن المعروف ان بلجيكا تشتهر بصناعة الماس وتجارته.

وأجمل الأيام التي قضيتها في بلجيكا كان يوما سياحيا في مدينة بروج التاريخية، وهى مدينة تماثل





خالد عزب
القاهــرة



حافلة تجرها الخيل

مـدينة البندقـيـة الايطاليـة حـيث الانتقـال في المدينة يتم عبـر قنوات مائية فى شوارعها بالقوارب، وكثير من الاوربيين والسيـاح تستـهـويهم الرحلة بالقـوارب بين منازل بروج التى تطل على القنوات في منظر بديع يجمع بين السمـاء الصافيـة والمياه الزرقاء والخضرة التي تنتشر فى كل مكان والمنازل ذات الطوب الاحمر التى بنى بعضها على ضفتى القناة ليربط بين اجزاء المنزل قبو يعلو القناه وتعلوه مبان هى الرابطة بين قسمى المنزل.

والذى أثارني فى هذه المدينة هو حفاظ أهلها على تراثها الحضارى فــاذا هدم منزل بنى على طرازه القديم فـلا مكان هناك للعـمـارة المعاصرة.. الحفاظ على التراث هو شعـار هذه المدينة، ولعل مـرجع ذلك ان السياحة هى مصدر رزق أهلها، فضـلا عن ان هذه المدينة جزء نادر ومـتكامل من تراث البلجيك، ومن الطريف في هذه المدينة هو استغلال اهلهـا كل مـا هو قـديم في ترويج

الطراز المعماري القديم الطابع المميز لمدينة بروج

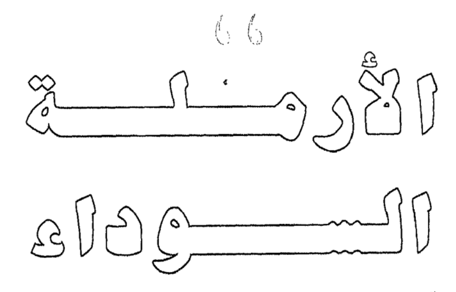
مدينتهم سياحيا فترى سيارة قديمة تعود الى عام ١٩٢٠ وقد حولت الى مـحل تجـاري، وترى باصـا تجـره الخيل ينزهك في شوارع المدينة.

أما مركز المدينة التاريخي فقد بنى في الفــتــرة من ١٣٧٦م و ١٤٢٠م وهو يحتوى على الكاتدرائية ويجاورها متحف المدينة والمحكمة، ويضم الميدان الكبير بالمدينة قصر الحــاكم وهو يتكون من طابقين ويدخل اليـه من باب رئيسى يطل على الميدان تعلوه شرفة كان الحاكم يلقى من خـلالهـا خطبـه وأوامره وبقـصـر الحـاكم سـاعـة شـاهقـة الارتفاع يصعد اليها بواسطة ٣٦٦ درجـة سلم وهى سـاعـة المدينة الرئيسية وتعود للقرن ١٧م، ومازالت نواقيسها تعمل الى اليوم فتدق كل ربع ونصف السـاعـة وكل سـاعـة، وحينمـا وصلت الى آخر شرفة فى هذه السـاعة كبرت وأذنت لعل الله ييسر فتح هذه البلاد للمسلمين.

وقد استهوت هذه المدينة عددا كبيراً من الفنانين والادباء الأوربيين وأشهرهم (فان جوخ) الذى قيل لنا انه كـان يعـشق هذه المدينة، التى تستقبلك بواباتها التاريخية التى ترجع الى القـرن الرابع عـشـر الميـلادى وبطواحين الهـواء التى تذكـرك برواية أحـدب نوتردام، وغادرت بلجيكا وأنا أحمل ذكريات طيبة ومشـاعـر ود تجاه المسلمين المغـاربة هناك الذين كـانوا كـرمـاء معنا، فقد صحبونا طوال أيام هذا المؤتمر ونجـحـوا فى ان ينظمـوه ويوظفـوه فى خـدمـة دينهم حـيث سيتقدمون بتوصيات حول الطعام الحلال لحكومة بلجيكا حتى يصدر تشريع من برلمانهـا ينظم توفـيـر الطعام الحلال لمسلمي بلجيكا.

الأرملة السـوداء : Black Widow اسم يطلق على صنف من العناكب السامة، لونها بشكل عام أسود، وقد تظهر على البطن علامة حمراء تشبه زر الحذاء القديم وفى معظم الأنواع تلتهم الأنثى الذكر بعد الاقتران مباشرة لذلك سميت بالأرملة السوداء.

تنتمي الأرملة السوداء الى رتبة العناكب الحقيقية Arancida وهذه الرتبة تضم ما يزيد على (٢٠,٠٠٠) نوع من العناكب، وتتصف العناكب بعدة صفات تميزها عن الحشرات، فالعناكب لها ثمانية أرجل والحشرات ستة أرجل، وجسم العناكب يقسم الى قسمين، رأس صدري، وبطن، وليس لها أجنحة مطلقاً ولا قرون استشعار، بينما الحشرات قرون استشعار وأحياناً أجنحة وجسمها مقسم الى ثلاثة أقسام: رأس وصدر وبطن.



الأرملة السوداء

محمد فيض الله الحامدي

سوريا

ووفق هذه المواصفات فإن العقارب والقراد والحلم من أقارب العناكب، لذلك صنفها العلماء في صف الحيوانات العنكبوتية، رتبة العقارب Scorpionida ورتبة الحلم والقراد Acarina الى جانب رتبة العناكب الحقيقية.

ويعتقد العلماء أن أقدم حيوان خرج من البحر الى البر هو العقرب وأطلق عليه اسم باليوفونس Paleo-phonus ويعني «السفاح القديم» أي أن العناكب غزت البر في وقت مبكر من تاريخ الحياة على الأرض.

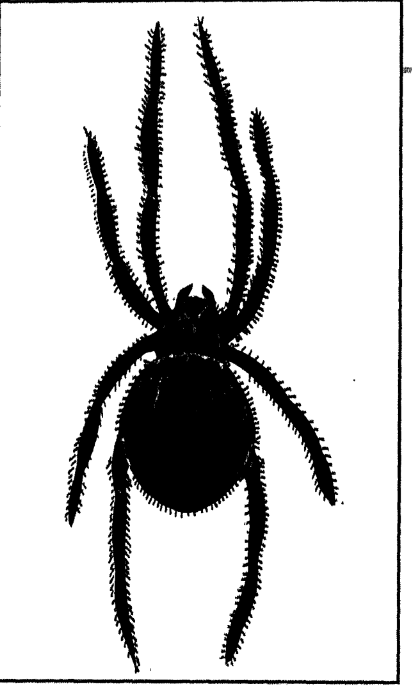
أين تعيش الأرملة السوداء؟:

تنتشر الأرملة السوداء فى كل بقاع العالم، وفي كل القارات، تنسج شبكة متداخلة في شق أو اخدود مظلم، وتختبيء طوال النهار في مكان بعيد عن النسيج، فإذا علقت حشرة في الشبكة، سارعت الى التهامها.

ويمكن التميز بسهولة بين الذكر والأنثى، فالأنثى اكبر حجماً من الذكر، يتراوح طولها من (١,٥) الى (٢) سنتيمتر، بينما الذكر لا يتجاوز طوله (٠,٥) سم. بعد الاقتران تلتهم الأنثى الذكر مباشرة، كما تفعل أنواع من العقارب وبعض الحشرات، ولم يجد العلماء تعليلا علمياً لهذه الظاهرة، والتعليل المبدئى لهذه الظاهرة أن شهية الأنثى تزداد للطعام بعد الاقتران فتلجأ لالتهام الزوج. تتكاثر الأرملة السوداء بالبيوض، فتضع بضع مئات من البيوض فى عدة شرانق من الحرير، وفى الظروف الملائمة تخرج الصغار، وهي في نموها تمر بأطوار من الانسلاخ عدة مرات حتى تصل الى الحجم الأصلي.

ونظرا لكثرة البيوض وسرعة تكاثر الأرملة السوداء، فإن وجودها فى منطقة معينة كان يهدد الانسان وقطعان المواشي، وكانت تتسبب في موت كثير من الدواب والبشر.

تقول مؤلفة كتاب: «مبادىء علم البيولوجيا» (إرينا كاروزينا) عن الأرملة السوداء: «العنكبوت السام» Latrodectus لونه أسود قطيفي، وحجمه من ١,٥ الى ٢ سم، الأنثى هى الخطيرة، اكثر الأجناس سماً هو: L. Singoriensis ويحدث فى بعض الأحيان فقد للقطعان من عض هذا العنكبوت، فمثلا فى سنة ١٨٩٦ نفق في كازاخستان (٢٧٦) جملا من (٧٣٨)



الأرملة السوداء على الأرض

عضهم هذا العنكبوت، ويشكل عض هذا العنكبوت خطراً على الانسان أيضاً خاصة في الفترة من أول مايو حتى آخر يونية وهو يسبب ألماً شديداً وانقباضات وازرقاق الجلد والقيء والتشنج ، ويتم الشفاء في فترة تتراوح من اسبوعين الى ثلاثة أسابيع يحدث الموت في الحالات الخطيرة في اليوم الأول أو الثاني.

مات في سهول (كيرجيزى وكالمتسكي) في سنة ١٨٩٥ اكثر من مائة شخص من الف عضهم هذا العنكبوت»".

ولعل في تسمية هذا العنكبوت Latro dectus ما يشير الى خطورته فالتسمية مكونة من مقطعين هما: Latro وتعنى «قاطع طريق» و dectus وتعني لسع أو لدغ، فالاسم يعنى «لسعة قاطع الطريق» والمراد بالاسم هو «العنكبوت صاحب لسعة قاطع الطريق».

وفيما بعد عندما عرف العلماء طباع هذا العنكبوت اطلقوا عليه اسم الأرملة السوداء لأن الذكر ليس له خطورة مثل الأنثى.

بدأ الاهتمام بالعناكب عموماً وبالأرملة السوداء بشكل خاص، من قبل العلماء حيث تزايد الاهتمام بسموم الأحياء لمعرفة تأثيراتها على الانسان والحيوان من جهة ولاستخلاص أدوية فعالة لمعالجة بعض الأمراض البشرية، فكثير من السموم، أدوية إذا تناولها الانسان بكميات مناسبة في الوقت المناسب.

سموم الأحياء:

اهتم الانسان منذ القدم بالسموم المستخرجة من الحيوانات والنباتات، لاستعمالها في معالجة بعض الأمراض، أو لأغراض شريرة، كقتل الخصوم، ويذكر (أوفيد) فى مؤلفه «المسخ» أن سهام هيركوليس «هرقل» كانت تغمس فى سم Hy-dra للتأثير فى الضحية.

وكانت فى بعض المجتمعات، أحكام قضائية، تجبر المحكوم عليه بالاعدام على شرب السم أو تعريضه للدغات أفاعى الكوبرا، ويقال إن سم الأفعى ذات الأجراس كان شائعاً فى العصور الماضية، كدواء لمعالجة مرض الجذام، والحمى والدفتريا.

ويعتمد الطب الحديث أيضاً على السموم فى معالجة بعض الأمراض، فسموم الأفاعى تستخدم بمقادير معينة لمعالجة الروماتيزم، وألم عرق النسا (العصب الوركي) والتهاب العضلات، والمفاصل المزمن، وقليل من الناس يعرفون أن معالجة الروماتيزم حالياً تتم بسموم

العناكب، من هنا كان الاهتمام بسم الأرملة السوداء.

الأرملة السوداء في مخابر العلماء:

دخلت الأرملة السوداء في مخابر العلماء لاستخلاص سمها، واجراء الدراسات الطبية على تأثيراته المختلفة في الحيوان والانسان.. وقد يتبادر الى الذهن أن عملية استخلاص السم سهلة، لكنها عملياً محفوفة بالمخاطر، والصعوبات ومن الطرق المتبعة للحصول على سم نقي من الأرملة السوداء نذكر:

أولا: إحداث ثقب في الغدة السامة للعنكبوت، بأنبوب زجاجي شعري، والحصول على السم من الثقب مباشرة.

ثانيا: اعداد سدادة قطنية معقمة بقطر (٢-٣) ملم، وتقديمها للأرملة السوداء فتفرغ سمها في السدادة، ثم يؤخذ السم من القطن ويجفف.

ثالثا: إثارة الأرملة السوداء بوجود محاليل مائية فتفرغ سمها في المحاليل، ويقوم العلماء بطرق دقيقة بتصفية السم، والاحتفاظ به في درجات منخفضة من الحرارة.

نلاحظ مدى صعوبة الحصول على سموم الأرملة السوداء، ورغم ذلك تمكن العلماء من دراسة سمومها، والتعرف على خواص السموم الحيوية، وقد وجدوا أن تركيب السموم يختلف من صنف لآخر، وحسب طريقة استخدام السم، ووفقاً لتأثير العوامل الخارجية، فما هو تركيب سم الأرملة السوداء بشكل عام؟.

سم الأرملة السوداء:

يتكون سم الأرملة السوداء من عدة بروتينات سامة معقدة، تؤثر في الجهاز العصبي وتعطل آلية نقل الاشارات من الخلايا العصبية الأخرى والمكون الرئيسي في سم الأرملة السوداء الذي يؤثر في الانسان والدواب هو لاتروتوكسين Latrotoxin.

وقد وجد العلماء عدة خمائر في سم الأرملة السوداء ومن تلك الخمائر نذكر:

١ - استيل كولين استيراز:
Acetyl Choline Sterase

٢ - فوسفو دستيراز:
Phospho Disterase.

٣ - هيالورو نيداز :
Hyaluro nidase.

٤ - كيناز : Kinase.

والمعروف طبياً أن استيل كولين استيراز، تعطل دور مادة الاستيل كولين التي تفرزها النهايات العصبية، لنقل الاشارات من خلية عصبية إلى أخرى ، أو من خلية عصبية الى الانسجة المختلفة، فإذا انتشرت هذه الخميرة في الجسم، يتعطل الاتصال الحيوي وتضطرب وظائف الجهاز العصبي المركزي، والودي ونظير الودي.

وفوسفودستيراز: لها دور في تحلل المواد البروتينية، وهي توجد بنسبة قليلة جدا في سم الأرملة السوداء ويعتقد العلماء أنها تدخل في السم بشكل عرضي من القناة الهضمية أثناء استخراج السم.

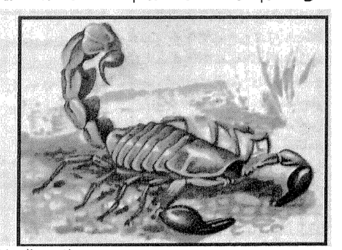
وهيالورونيداز: لها دور في تسريع انتشار السم في جسم الضحية.

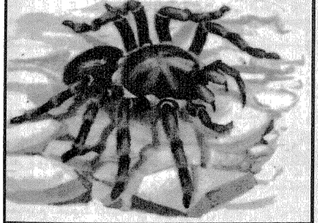
أما خميرة كيناز: فهي تستعمل حالياً لمعالجة امراض الأوعية القلبية وضغط الدم والالتهابات.

ويعتقد العلماء أن وجود الخمائر في السم الى جانب البروتينات السامة، عامل مساعد على انتشار اللاتروتوكسين، وإضعاف مقاومة انسجة جسم الضحية للسموم.

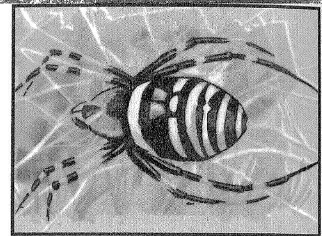
لسعة الأرملة السوداء:

لا تهاجم الأرملة السوداء كبار





نماذج من الحيوانات العنكبوتية



نماذج من الحيوانات العنكبوتية

الحيوان إلا للدفاع عن النفس، وعندما لا تجد مفراً للهرب تعض الضحية بفكيها، فتفرغ السم من مخلبيها السامين في الانسجة.

ونظرا لسرعة تكاثر الأرملة السوداء وبأعداد كبيرة، قبل التوسع فى استصلاح الأراضي وزراعتها، واستعمال المبيدات الكيميائية، فقد كانت تشكل فى بعض المناطق ظاهرة وبائية تعرف بوبائية لسعات قاطع الطريق Latro Dectism حدثت الظاهرة فى القرن الماضى فى كل من البرتقال وأسبانيا وجنوب فرنسا وايطاليا والبلقان، فكانت التجمعات البشرية تهجر المكان الموبوء الى مكان آخر اكثر أماناً حفاظاً على أفرادها وقطعانها.

وإذا تعرض الانسان للسعة الأرملة السوداء، لا يظهر الألم فى موضع اللسعة، بل يظهر في منطقة البطن مباشرة، ويدوم عدة ساعات وقد يستمر عدة أيام ويحدث توتر في عضلات الصفاق، وقد تنتهي حالة الملسوع بالموت بسبب توقف القلب والرئتين عن العمل، بعد حدوث شلل عام فى الجسم ويتوقف التأثير على مكان اللسع، وكمية السم المنتشرة فى الجسم، وحالة الملسوع الصحية.

كيف نعالج الملسوع؟:

كانت طريقة معالجة الملدوغ بالثعابين والعقارب والعناكب قديماً محفوفة بالمخاطر، فالملسوع بعنكبوت مثلا، تجرى له العمليات التالية: يجرح مكان اللسع، ويدهن بقليل من المحلول المحضر بتنقيع العنكبوت اللاسع في الزيت أو الكيروسين، ثم تكوى المنطقة بحديد ساخن (محمى)، وهذه الطريقة كانت تعرض مكان اللسع لالتهابات حادة، وكان يربط العضو الملدوغ من جهة القلب بشدة، ولمدة طويلة، فيتوقف دوران الدم فى العضو الملدوغ ويتعرض الجرح للغرغرينا.

أما طريقة المعالجة المتبعة حالياً فهي:

أولا: تهدئة الملسوع، وربط العضو الملسوع من جهة القلب بشكل مؤقت لمنع انتشار السم ريثما تتخذ الخطوات التالية.

ثانيا: إحداث جرح بآلة معقمة في مكان اللدغ، والضغط على جوانبه لإخراج السم مع الدم، أو مص الجرح بفم سليم خال من القروح وبصق الدم.

ثالثا: تطهير الجرح بمطهر مناسب مثل محلول الإيتانول بنسبة ٥٠٪ في الماء مع المورفين والباربيتوريت bar-biturate.

رابعا: تقديم سوائل ساخنة للملدوغ مثل الشاى والزهورات ومدرات البول كما ينصح بشرب كميات كبيرة من الماء للحفاظ على صحة الأوعية القلبية.

خامسا: حقن الملدوغ بترياق مضاد للسموم، يمنع انتشار السم وتأثيره في الانسجة.

المراجع:

(١) علم الحيوان العام - د. جمعة خليل ابراهيم - جامعة حلب ١٩٧٨.

(٢) الموسوعة العلمية الميسرة - المجلد الثاني - الجزء الثاني - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨٣.

(٣) موسوعة *الشباب* - *الجزء الثاني* - دار دلفين للنشر - سويسرا.

(٤) موسوعة *الطبيعة الميسرة* - مجلد واحد - مكتبة لبنان ١٩٨٥.

(٥) مبادىء علم البيولوجيا - ارينا كاروزينا - دارمير - موسكو ١٩٦٧.

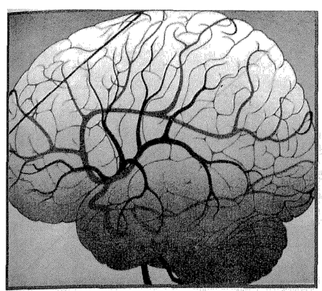
(٦) عجائب العنكبوت - د. كارم السيد غنيم - دار الصحوة - القاهرة ١٩٨٩.

(٧) Science in the ussr -4- 1987-July, August.

الكهربائية وأجهزة قياسها

الدكتورة
أمل علي المخزومي
أستاذة مساعدة في علم النفس الاجتماعي
تركيا

يتحكم الجهاز العصبي بجميع نشاطات الانسان الصغيرة والكبيرة، ويتسلم هذا الجهاز الاشارات الكهربائية من الخلايا العصبية، وتتصل الخلايا العصبية بعضها بالبعض بواسطة تلك الاشارات الكهربائية، تعتمد الاشارات في شدتها واستمرارها اعتمادا كليا على ما يعاني منه الشخص، وتتأثر بالمثيرات التي يتعرض لها الانسان من البيئة الخارجية التي تتضمن البيئة الاجتماعية والاقتصادية والفيزيائية والكيماوية.. وتختلف استجابة المثيرات باختلاف الافراد والازمان.



الدماغ حيث يكمن سر الحياة

اذ تختلف استجابة الفرد لبعض المواقف في الصيف عنها في الشتاء، كما تختلف استجابات الافراد لموقف واحد معين. فلو سمع مجموعة من الناس كلمة نابية تجد الاستجابات تختلف، فمنهم من يتأثر لتلك الكلمة ويسكت، ومنهم من لا يهتم، ومنهم من يتأثر ويجيب باشد منها، ومنهم من يوعز اللوم على نفسه بانه هو السبب في ذلك. كذلك نجد الافراد في المجتمعات التي تعاني من مشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية ان استجاباتهم تتأثر من المعاناة التي هم فيها، وانهم يثورون لاتفه الاسباب ويكثر بينهم السلوك العدواني، لا يمر يوم الا وتشاهد او تسمع عن شجار وقع بين العوائل او الافراد او الجماعات المختلفة. يتوقف مرض الفرد وصحته على الاشارات الكهربائية الصادرة من الخلية العصبية وتزداد هذه الاشارات تبعا لزيادة الكهربائية وشدتها، وتؤدى استمراريتها الى الاصابة بمختلف الامراض الجسمية والعصبية والنفسية، ولقد انتشرت في الآونة الأخيرة امراضا عصبية ونفسية وجسمية لم تكن معروفة سابقا، والاسباب عديدة منها: الصعوبات الحياتية التي يواجهها الفرد ولا يستطيع السيطرة عليها. وانتشار المواد الكيماوية في البيئة نتيجة للتجارب المختلفة التي تجرى في مختلف الدول مما تسبب في تلوث الهواء والماء والتربة في البيئة الطبيعية، ويسبب هذا التلوث الاصابة بالامراض المختلفة، وساذكر على سبيل المثال بعض هذه الامراض التي يسببها اختلال التوازن الكهربائي الحاصل. كما ساذكر الاجهزة التي تقيس كهربائية الجسم والاشارات الكهربائية الصادرة من الاجسام.

١ - مرض الصرع:

ينتج عن تهيجات في مجموعات كبيرة من الخلايا العصبية الموجودة في المخ، ويعتمد نوع الصرع على

مكان وكمية هذه المجموعات من الخلايا العصبية، مما تؤدى الى توليد شحنات كهربائية تزيد عن الحد الطبيعي، تسبب تشنجات على شكل نوبات صرعية.

٢ ـ مرض ضعف العضلات (ميشينا جوافيزا):

يتولد نتيجة لاضطراب نظام المواد الكيماوية وافراز الانزيمات في الخلايا. حيث تتقبض العضلات وتنبسط وتتحرك نتيجة للاشارات التي تطلقها الخلية العصبية، وتتلقى الخلية العضلية تلك الاشارة عند موضع التقاء الخليتين، ويسبب ذلك افراز مادة كيماوية معينة يطلق عليها (استيل لولين). تبدأ سلسلة من التفاعلات الكيماوية قبل ان تتحلل وتختفي بواسطة مواد كيماوية وانزيمات مضادة لها. تؤدى تلك التفاعلات الى انقباض العضلة بالشكل المطلوب وينتهى تأثير الانزيم المضاد، يعود «الاستيل لولين» الى تجميع عناصره مرة اخرى لتلقي الاشارة العصبية القادمة، يحدث احيانا خلل في افراز تلك الانزيمات التي تحلل مادة «الاستيل كولين» الى عناصرها الاولية، مما تؤدى الى استمرار انقباض العضلة وزيادة في حجمها، كما ان «الاستيل كولين» يستهلك اثناء النهار لكثرة المثيرات التي يتعرض لها الانسان وتعوض هذه المادة بالراحة والنوم.

تتمثل اعراض المرض في ازدواج النظر مع ارتخاء في الاجفان، كما يظهر الضعف العام في الجسم وخاصة في الرقبة والوجه واللسان. يصاب المريض بالاعياء والتعب السريع خاصة في الذراعين والقدمين. اضافة الى اصابته بالاختناق وصعوبة في البلع. والعلاج هو النوم لمدة ٢٤ ساعة واخذ راحة واسترخاء كامل. كما ان الانسان الاعتيادى الذى يعمل طول النهار يحتاج الى راحة واسترخاء في الليل للتخلص من تلك الظاهرة العضلية الموجودة. هناك افراد لا ينامون في اليوم الا ساعتين او ثلاث. قد يكون نظام «الاستيل كولين» لديهم لا يستهلك اثناء اليقظة الا بكميات قليلة، ولهذا نجدهم لا يحتاجون الى النوم فترة طويلة.

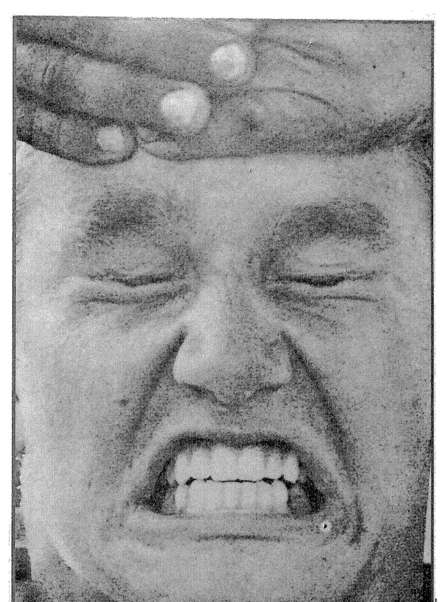
٣ ـ الخلايا المصابة بالسرطان:

اجريت اختبارات من قبل اساتذة في بريطانيا على الخلايا المصابة بالسرطان، ووجد ان زيادة تركيز الصوديوم في الخلية هي التي تسبب الاصابة بمرض السرطان في تلك الخلية. ذكرنا سابقا بان التعرض للمثيرات يؤدى الى اختلال التوازن الكيماوى والكهربائي في الخلية وعن طريق التنافذ تكون الزيادة والنقصان في تركيز الصوديوم. وبذلك فان الزيادة في سريان تلك الموجات الكهربائية قد تؤدى الى الاصابة بالسرطان. وهناك امثلة كثيرة على المصابين بالسرطان، كأن يصاب الشخص بعد نكسة سياسية او اقتصادية او اجتماعية، ونعلم بأن النكسات التي يتعرض لها الانسان تزيد من شد وتوتر الخلايا واستمرارية الكهربائية في تلك الخلايا، وفقدان توازن التركيز فيها. قد تؤيد تلك المواقف ما توصل اليها الباحثون من تأثير تركيز الصوديوم على الاصابة بالسرطان.

كما يذكر (نوردنشترم) بأن هناك هالة من الضوء تحيط بحافات المناطق المصابة بسرطان الرئة. وهذه الهالة هي موجات كهربائية مكثفة في تلك المنطقة المصابة. كما ان الباحث درس كهربائية الدم وسجل ملاحظاته حول ذلك، وذكر بان الجهد الكهربائي للدم يكون موجبا عند تحلل خلاياه. ثم يتحول الى سالب، ويتذبذب بين السالب والموجب خلال يومين من استخراج العينة ويحدث بعدها تحلل لجميع الخلايا.

كما ان اصابة الشخص بالجهد والتعب تحدث لديه حالة من التذبذب بين الموجب والسالب قد تؤدى الى حالة مرضية ان لم يأخذ الجسم قسطا كافيا من الراحة، وعند الاسترخاء والنوم والراحة يرجع الشخص الى حالة من الاتزان.

كذلك اضاف نوردنشترم باننا عندما نتعرض الى الاصابة او العدوى بمرض او ورم في مكان ما من الجسم تتكون ايونات موجبة في



ذلك المكان المصاب وبما ان كريات الدم البيضاء تحمل شحنات سالبة فانها تنجذب الى ذلك المكان المصاب وتهاجمه للقضاء على ذلك المرض او الورم.

الاجهزة المستخدمة لقياس الكهربائية في الجسم:

هناك اجهزة تقيس شدة وضعف الكهربائية في الجسم اضافة الى معرفة نوع الشحنة ان كانت سالبة او موجبة. وتقيس الاجهزة ايضا وحدة القوة الكهربائية الحركية في جسم الانسان الاعتيادى، التي تتضمن + ٦٠ وحدة كهربائية في خارج الخلية و - ٦٠ وحدة كهربائية في داخلها.

كما تستعمل اجهزة متنوعة لقياس وتخطيط الموجات الكهربائية الحاصلة لدى جسم الانسان. واستعملت بعض الاجهزة لعلاج بعض الامراض النفسية كالصرع والشيزوفرينيا، واستعملت اجهزة اخرى لارجاع ذاكرة الانسان واعادة الحوادث التي مرت به منذ فترة طويلة من حياته وقد طواها النسيان اما طواعية او لغرض نفسي لا شعوري. يمكن للمعالج ارجاع تلك الحوادث باستعمال الموجات الكهربائية وذلك بايصال تلك الاجهزة بالدماغ. كما استعملت اجهزة لمعرفة موجات القلب والمخ الكهربائية. والاجهزة هي ما يلي:

١ - Electroencephalography وتختصر بالحروف الثلاثة التالية (EEG) استعمل الجهاز لقياس الموجات الكهربائية الحاصلة في الدماغ لدى الافراد المصابين بنوبات الصرع الشديدة.

٢ - Electronygraphy يستعمل للتشخيص الدقيق لتلك الامراض التي تصيب الاعصاب والعضلات الحساسة جدا. للجهاز حساسية دقيقة لكشف الموجات الكهربائية الحاصلة من تلامس خلايا العضلات، يقوم بملامسة الجلد الذى يكون قريبا من العضلات أو الاعصاب المصابة للتعرف عن المرض الحاصل في تلك البقعة من الجسم.

٣ - Electroconvulsive يستعمل هذا الجهاز لعلاج الكآبة. يحتوى الجهاز على جسم دقيق وحساس جدا يمكن ادخاله في المخ لايصال الموجات الكهربائية اليه، ويطلق على تلك العملية «الرجة الكهربائية»، وتختصر بالحروف الثلاثة (ECT) ، حيث يُعْطَى المريض «رجات كهربائية» لمرتين او ثلاث مرات في الاسبوع، ويحدث ان يصاب المريض بالنعاس او الخمول او فقدان قسم من ذاكرته، ثم يعود الى الحالة الطبيعية بعد فترة. استعمل هذا الجهاز لعلاج الصرع والشيزوفرنيا منذ سنة ١٩٣٨م. يحذر من الاكثار من استعمال ذلك الجهاز لأسباب طبية، وعلى المعالج الا يتجاوز استعماله لهذا الجهاز اكثر من ٢٠ مرة. ولا يستعمل لجميع المصابين بتلك الامراض، هناك ٧٠٪ من المرضى يتعاطون العلاج بالعقاقير و٣٠٪ منهم يستعمل الجهاز لعلاجهم. كذلك يفضل المعالجون استعمال الجهاز

لعلاج مرض الكآبة.

٤ ـ Electrocavdiography
يستعمل هذا الجهاز لتنشيط عمل عضلات القلب، لاجل تنظيم ضرباته. كذلك يستعمل لتخطيط الموجات الكهربائية الناتجة عن تلك الضربات والتغيير الحاصل فيها. ويختصر بالحروف الثلاثة الآتية (ECG).

٥ ـ (GSR) Galvanic Skin Response
يسجل هذا الجهاز الكهربائية الحاصلة في الجلد القريب عن طريق الجلد التي تتصل به اليد الاصطناعية مباشرة. وعندما ينوى الشخص استعمال تلك اليد لعمل شئ ما يعطي الدماغ اشارة كهربائية تنتقل عبر الخلايا الى جلد الذراع التي ركبت فيه تلك اليد الاصطناعية، ويتحسس الجهاز للموجة الكهربائية فتتحرك اليد للعمل. استعملت تلك الايادى في بريطانية وادهشت العاملين في ذلك المجال. كما ذكرت مجلة العلوم الامريكية بان هناك تجربة اجريت التي تنتج عن زيادة الكهربائية واختلال التوازن الكيماوى في الخلية وهي كما يأتي:

- الابتعاد عن المثيرات التي تزيد من الانفعالات والتوترات.
- تقليل استعمال المواد البلاستيكية قدر الامكان.
- خروج الفرد المتوتر الاعصاب الى الهواء الطلق او اخذ نفس عميق ١٥ مرة.
- ارتياد الاندية الرياضية وممارسة النشاطات الرياضية المختلفة.
- وضع نظام حياتي معتمد على الشريعة الاسلامية، حيث الطمأنينة والبعد عن التوتر.
- ايجاد هواية من الهوايات التي تساعد على الاستفادة من اوقات الفراغ ودفع السأم.

تقنية طبية

من الاصابع لتسجيل ضغط الدم، وكثيرا ما يستعمل هذا الجهاز لكشف الكذب والسرقات.

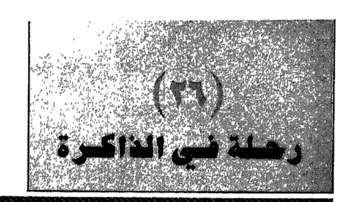
الاعضاء الاصطناعية:

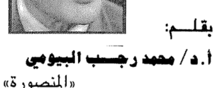
كثرت في السنوات الاخيرة المحاولات على صنع اعضاء اصطناعية تحل محل الاعضاء البشرية المعوقة. يعتمد نظام تشغيل تلك الاعضاء الاصطناعية على نظام الكهربائية الموجودة في الجسم. صممت على سبيل المثال يد اصطناعية تحتوى على جهاز كهربائي يعمل ببطارية ضعيفة جدا وشديدة الحساسية لالتقاط الموجات الكهربائية الصادرة من ذراع المعوق على اعادة النظر في اشخاص اصيبوا بالعمي، تتضمن تلك التجربة على زرع قطب كهربائي في الدماغ يعمل على تلقي الاشارات الكهربائية الصادرة من نبض كهربائي من جهاز يحمله المصاب. كما يزرع قطب اخر في العين المريضة وتعمل تلك الاقطاب على تلقي المثير والاستجابة له، مما يؤدى الى الرؤية. وقد حدث فعلا ان استطاع المصاب ان يرى بعض الخطوط الكبيرة.

التوصيات:

هناك طرق عديدة للوقاية من الامراض النفسية وامراض القلب

- التعود على اخذ حمام حار وذلك لتنشيط الدورة الدموية وتخليص الجسم من الكهربائية المتراكمة في الجسم.
- تقوية العلاقات الاجتماعية بين الافراد والمجتمعات معا، إذ لها المفعول في ازالة التوترات.
- التعود على النوم الكافى في غرفة هادئة ومريحة.
- قراءة ما يبعث على التسلية لراحة الاعصاب المتعبة من جراء التفكير بالمشاكل اليومية.
- الاسترخاء الكامل لمدة كافية.
- الابتعاد عن تناول الكحول والمخدرات التي حرمها الله.
- الابتعاد عن تناول المواد الدهنية التي تسبب ضعف القلب مما يؤدى الى اعاقة تزويده الجهاز العصبى بالدم الكافي.
- قضاء فترة كافية في المناطق الريفية، وذلك لاحتوائها على الهدوء والاوكسجين وبعيدة عن التلوث البيئى الموجود في المدن.





بقلم:
أ. د/ محمد رجب البيومي
«المنصورة»

الأستاذ محمود الخفيف

سعدت مدينة الفيوم ذات أسبوع بزيارة الأديبين الشاعرين الأستاذين (محمود غنيم ومحمود الخفيف) إذ كانا مفتشين عامّين بوزارة التربية والتعليم أولهما للغة العربية وثانيهما للمواد الاجتماعية، وقد اصطحبا معا في جولتهما التفتيشية وهما بعد صديقان حميمان تُروى لهما النوادر الفكاهية شعرا ضاحكا. وأدبا مرحاً ،ومن المتعارف لدى زائرى الفيوم من رجال التربية والتعليم أن يقضوا أمسياتهم الليلية بنادى المعلمين أو بكازينو السواقي، وهو مقهى فخم تضيئه الأنوار ويحيطه الشجر الناضر، وأمامه يتدفق الماء جاريا من النهر حيث تقوم السواقى الشهيرة بحركتها الدائرة، فتنسال خيوطه الفضية المتناثرة أمام العين فى مشهد رائع يتسلط عليه ضوء الشمس نهارا، وأشعة الكهرباء مساء، فلا أروع ولا أبهى من منظره إذ ذاك، وهذا ما جعل المقهى قبلة الأنظار. ومهوى المتسامرين والطاعمين معا، وقد علمتُ ذات ليلة أن الشاعرين الكبيرين يأخذان مكانهما البهيج بين كوكبة من المدرسين، فهرعت لأكون بين المرحبين لأن علاقتى بالأستاذ محمود غنيم وثيقة، فهو الأستاذ والصديق، وكان ما توقعت، إذ رأيت الشاعر الكبير الأستاذ محمود غنيم يتوسط الزملاء فى سمر فكاهيّ عذب، على حين جلس الأستاذ محمود الخفيف منفرداً وحده، في مكان يطل على السواقى، فقلت في نفسى لِمَ لَمْ يحضر من أساتذة المواد الاجتماعية من يناقله الحديث؟ وإذا لم يكن ذلك فلماذا لم يندمج في ندوة زميله وصديقه الشاعر محمود غنيم، وأخذت أتطلع الى مجلسه فى حيرة، وفى الأستاذ غنيم ذكاء وبديهة، إذ عرف موقع نظراتى، فصاح من فوره، يا أستاذ محمود، الأستاذ رجب يريد أن يسمر معك، وقال له ضاحكا: هيا


محمود الخفيف

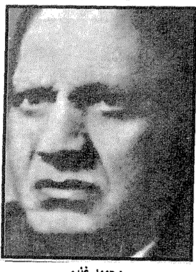
(أول لقاء)

ذهبت الى الأستاذ الخفيف سعيدا مغتبطا لأنى أعرف مكانه من الأدب الرفيع، وقبل أن أصل اليه، رأيته واقفا يمد يده للسلام، فتصافحنا فى شوق، وقال لى لا تنكر عليّ انفرادى، لأن منظر السواقي قد جذبنى الى ذكريات ماضيّة أرتاح لاسترجاعها، وقد قلت للأستاذ غنيم انى لا أرحب بضجيج المدرسين، وكفى أن أكون معهم فى الصباح! فعجلت أقول. أخشى أن أكون قد فرضت نفسى فرضا على مجلسك الهادىء، فأجاب سريعا، كلا كلا، الأستاذ غنيم ذكر لى أنك بالفيوم، فاشتقت للقائك، لأن الرسالة جمعتنا، ولابد أن نتعارف،

فاستدركت اقول، مع فارق واضح، هو أنك بمجلة الرسالة أستاذ وأنا بها تلميذ! فربت بكفه على كتفى. وقال لا فرق.

وكنت أعرف من أصدقاء الخفيف. أنه يستمع أكثر مما يتكلم، وهو فى ذلك نقيض الأستاذ محمود غنيم إذ يتكلم بإفاضة فى كل مجلس على معرفة وفكاهة وذوق، فأردت أن أفتح مجال الحديث الأدبي فيما يتعلق بمؤلفات الأستاذ الخفيف، لأن له كتبا تجمع بين التاريخ والأدب كانت محور الانتباه بين صفوة المفكرين إذ كتب عن أحمد عرابي وبراهام لنكولن، وتولستوني وجون ملتون مجلدات رائعة هى في الصف الأول بين كتب التراجم المعاصرة، هذا الى قصائده الشعرية التجديدية التى حفلت بها مجلدات الرسالة فقدمت نمطا جديدا من الشعر العربي الأنيق، أقول، لقد أردت أن أفتح مجال الحديث الأدبى عن مؤلفات الخفيف، فقلت له، لقد قرأت ما كتبه الدكتور زكى نجيب محمود والأستاذ العقاد، والاستاذ الزيات والأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف عن آثارك الرائعة بعد أن كونت لى فكرة خاصة عنها، إذ طالعتها متفرقة على صفحات الرسالة، ومجموعة من مجلدات خاصة، فنظر دهشا، وقال: ما أظنك تهتم بكتبى الى هذا الحد، فقلت ياسبحان الله أيهتم بها العقاد والزيات ولا أهتم بها.

فقال، وهل قرأت ردّى على الدكتور زكى نجيب محمود؟ قلت: لا تعتدنى مجاملاً حين أذكر أن الدكتور زكي نجيب محمود قد اشتط كثيرا، إن الناقد الكبير أثنى على أسلوبك، وحمد جهادك المتواصل فى مضمار الأدب، عارفا معدنك الفكرى الأصيل، وقد كتب فى ذلك فقرات صادقة صادفت هوى المنصفين، ولكنه رآك تدافع عن أحمد عرابى وبرهام لنكولن فى حماسة، فقال إنك تجاوزت دور المؤرخ الى أسلوب الخطيب، بل قال إنك تحدثت عما ينبغى أن يكون لا على ما قد كان! *وهذا غير الواقع، لأن الذى لا يتحدث* عما كان لا يكون مؤرخا لأحداث،


محمود غنيم


علي الجارم

ومسجلا لمواقف، بل يكون قصاصا يمزج الواقع بالخيال.

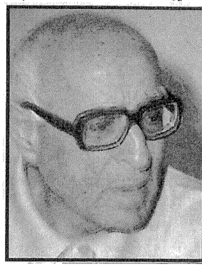
قال الاستاذ الخفيف هذا بعض ما قلته في ردّى عليه، ولم أشأ أن أطيل ردّى، لأنى أعرف من طبيعة الدكتور زكى، وقد كنا زملاء بمدرسة المعلمين العليا أنه يضيق بالأسلوب الأدبى فى مجال التحليل التاريخى مع أن كبار المؤرخين فى الشرق والغرب يقدمون الشخصيات التاريخية فى قوالب لامعة من البيان دون أن يخالفوا الحقائق الأدبية فى شىء. وما احتفل القراء بآثارهم إلا لأنها تجمع بين الصدق الواقعى، وجمال الأسلوب البياني، وأذكر أنى قلت فى ردّى المتواضع، إن على الدكتور زكى أن يتفضل بذكر حادثة واحدة بين أكثر من ألف وخمسمائة صفحة لم تحدث فى دنيا الواقع، وكتبتها أنا متحدثا عما ينبغى أن يكون، ولم يجد الدكتور هذه الحادثة المتخيلة فآثر السكوت!.

قلت: أتذكر أنى قرأت هذا فى ردك ولكن أزيد عليه شيئا أذكره الآن، وهو أن الدكتور زكى قد كتب نقده بعد رجوعه من لندن داعيا الى المنطق الوضعى، وقد كتب عدة مقالات تدور حول تحديد معانى الالفاظ دون ترادف، وفى ظل هذا المفهوم المنطقي لديه قرأ كتابك، وحكم بما حكم ناسيا أن التاريخ من الدراسات الإنسانية وليس من العلوم التجريبية، وأن المؤرخين الذين كتبوا التاريخ بلسان الأدب قد قربوه الى القارىء وكسبوا أرضا جديدة لم تتح من قبل، وموضع الحكم أن نسأل: هل تعدّى المؤرخ الأديب ما كان أووقف عنده دون شرود. وإذا لم يتعد فلا نقاش!.

اغتبط الأستاذ الخفيف بما ذكرت، وقال إنه كان يحس أن جمهورا كبيرا من القراء سيتأثر بما قال الدكتور زكى، ولكنه الآن يعلم أن المسألة قد أصبحت فى غاية الوضوح، بحيث لم يتأثر به غير المغرضين ثم سألنى هل تذكر رأى الأستاذ عباس العقاد؟ فقلت لقد قرأت ما كتب العقاد فى حينه، وأظنك رددت عليه، ولكنى الآن لا أذكر ما قال، وفى مكنتى أن أرجع اليه بعد.

قال الخفيف: الحق أن الأستاذ العقاد أنصفنى إنصافاً كبت الذين فرحوا بما قال الدكتور زكى نجيب محمود وللأسف نرى فى مصر

جماعة لا يقرءون أى كتاب، ولكنهم يتتبعون ما يقال عنه فإن كان حمدا ستروه، وكأنهم لم يقرءوا، وإن كان توضيحا لما قد يغمضه الكاتب، أو تفصيلا لما أجمله، عدُّوا ذلك التوضيح تخطئة ومضوا يقولون لقد عصف العقاد أو غير العقاد بكتاب فلان، لقد اعترف العقاد فى مطلع نقده النزيه أن كتابى جمع من الحقائق الثابته بالأسانيد والوثائق مالا غنى عنه لفهم الشخصية التاريخية التى أتحدث عنها وأننى فى كتاب احمد عرابى قد محصت التاريخ المصرى وأوضحت أساليب السياسة الاستعمارية فى القرن الماضى توضيحا يكشف مخابىء هذه السياسة الماكرة فى هذا القرن، كما أبان أن كتابى عن برهام لنكولن هو الكتاب الوحيد فى اللغة العربية الذى تكفل برسم هذه الشخصية العظيمة وتوضيح أدوارها على مسرح الحياة، وقد أخذ علىَّ أنى لم أكتب الكثير عن أسرة الزعيم الأمريكى ولم أوضح أثر المصادفات فى نجاحه السياسى وكنت بين عاملين متناقضين إزاء ما كتب العقاد، إما أن أسكت فلا أعقب ومعنى ذلك أنى موافق على ما وجه الىَّ من نقد، وإما أن أرد فأقع فى خطأ ما يأخذه العقاد فيفتح له مجالا لتعقيب قد لا أقدر على نقضه، وبعد استشارة بعض أصدقائى تقدمت برد مهذب على الاستاذ وتفضّل بتعقيب ضيَّقَ وجه الخلاف، ولو أذن الله فطبع الكتابان طبعة ثانية فإنى مثبت ما قال الناقد الكبير فى صدر الطبعة الحديثة، ومعقب بما قلت فى الرد عليه.. كنت أثناء حديث الأستاذ استمع يقظاً دون اعتراض ما، فقال: أرانى أرهقتك بحديث جدلىٍّ لا فائدة فيه، قلت معاذ الله إنى حاولت استيعاب كل ما نطقت به متفضّلا، فقال لنترك الكتابة الى الشعر، فأسألك عن آخر ما نظمت؟ ، قلت ياسيدى أنا إذا قلت شعرا إنما أعرضه فخورا أمام زميل لى بالمدرسة أو صديق مستواه الفكرى لا يرتفع عن مستواى، أما أن أقول الشعر لأسمعه للأستاذ محمود الخفيف، فإنى أجازف بذلك مجازفة خطيرة، فضحك الأستاذ وقال: وإذا


د. زكي نجيب محمود


حافظ ابراهيم

كنت قد قرأت كل ما نشرت بمجلتى الرسالة والثقافة واستمتعت كثيرا فأين المجازفة إذن؟.

(نقلة فى مفاجاة)

وكأن القدر شاء أن نترك حديثالأدب شعرا ونثرا إلى حديث مفاجىء اقتحم جلستنا، كما يهجم زائر بغيض على غير انتظار، فقد مرّ أمامنا فى الشارع المواجه للمقهى موكب يحتشد فيه عشرات من المارة، خلف شيخ يلبس عمامة حمراء، ويقلّب سبحة طويلة تكاد حباتها تصل الى الأرض، وخلفه من يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير فقال الأستاذ متعجبا: وفى الفيوم أيضا هذه المظاهر السوقية؟ وقام الجالسون من حولنا لينظروا فى عجب، على حين صاح أحدهم، هو الشيخ فلان من بنى سويف، لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولكنه ورث المشيخة عن أبيه وجده، وإذا زار الفيوم انعقد له هذا الموكب، وأخذ ينزل فى دور أتباعه قرابة شهر ليكون موضع التقدير والاحتفاء، وهذا الموكب مهذب معقول فإنهم فى القرى الصغيرة يضربون الأعيرة النارية ويطلق النساء الزغاريد احتفالا بمقدمه، ويتقاتل الفلاحون على استضافته شهرين وثلاثة وأربعة، وهو ساكت لا ينطق، لأنه يسبح فى ملكوت الله عند الملأ الأعلى فى اعتقاد هؤلاء.. وهم يرجون نجاح التلاميذ وشفاء المرضى وجودة المحاصيل الزراعية ببركة زيارته.

قال الأستاذ الخفيف، بعد أن سمع هذا القول، سأروى لك قصة من هذا الوادى، إن مصر هى مصر، وفى قريتنا بالمنوفية أتباع مخلصون لشيخ مثل هذا الشيخ الأمى، ولكنه دجال مشعوذ لا يكتفى بالنظرات التى تسبح به الى الملأ الأعلى، ولكنه يدبر الحيل الغريبة ليوهم الناس بمعجزاته الخارقة، وأضرب لك مثلا لبعض ألاعيبه، فقد دخل منزل شيخ القرية ذات مساء، وجلس أتباعه من حوله كأن على رءوسهم الطير، ثم ارتفع صوته بالتكبير ونهض واقفا وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، أطفىء النار يارب، أطفىء النار يارب، الفلاحون مساكين، يا حسين، ياسيد، وجعل يقفز ذات اليمين وذات الشمال.

وبعد لحظات سمع الحاضرون صراخا عاليا جاء من الخارج، وقال القائل إن النار قد اندلعت في جرن فلان، وخرج الريفيون كعادتهم وأطفئوا الحريق، ورجعوا وهم يتعجبون كيف عرف الشيخ اندلاع النار قبل أن ينبعث لها شرار! فقال لهم: لقد قدرت الموقف واستعنت بالحسين وبالسيد، وهما اللذان أطفآ الحريق، الحمد لله، الحمد لله، فزاد الرجل مهابة في نفوسهم، ولكن شقاقاً حصل بينه وبين أحد أتباعه وخدمه بعد عام، فقال للناس، لقد أرسلني حين دخل المنزل يوم الحريق الى الجرن وأمرني بإيقاد النار بعد ربع ساعة بالتحديد، ففعلت ليقوم بلعبته، ويدعى أنه يعلم الغيب، وينادى الحسين والسيد فيأتمران بأمره، وهمّ أهل القرية أن يبطشوا بهذا الذى اعترف بالواقع جزاء جرمه لولا أن فريقا من الدهماء كذبه وقال إنه يفترى على الوليّ الكبير!

(آخر لقاء)

قرأت فى الصحف بعد أسابيع أن الأستاذ محمود الخفيف صار ناظرا للمدرسة السعيدية الثانوية وهى من كبريات المدارس بمصر، فرأيت من اللائق أن أذهب الى تهنئته، وما كاد يراني حتى ترك مكتبه، ونهض يعانقني هاشا باشا، فقال لماذا تكلف نفسك يا أخي! أنا لا أعد نظارة المدرسة الثانوية وان كانت السعيدية شيئا ذا بال، وإذا جاز لفريق من الموظفين أن يطمحوا الى أمثالها، فهم وموازينهم التى لا أعتد بها!

وبعد أن دار الحديث فى رتابته المعهودة، قال لى سأفاجئك بخطاب تعجب له، يكشف عن معدن ناظر أصيل من نظار المدارس الحقيقيين، وهو إنجليزى للأسف، ليته كان مصريا فأفخر به وأزهو، ولكنه إنسان رفيع المستوى لا تجد مثله بيننا، وأراهنك!

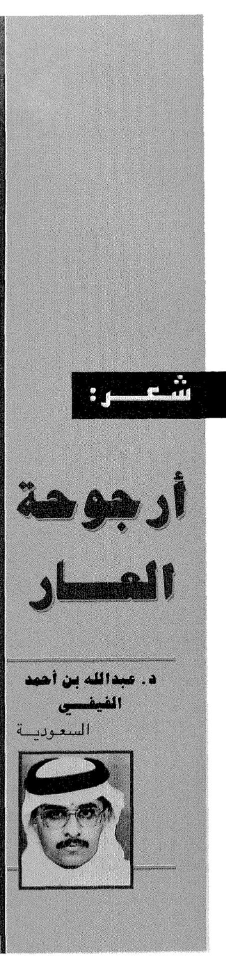
قلت لقد حيرتنى فأتمم، قال كان (المستر إليوت) ناظراً لمدرسة التوفيقية الثانوية بالقاهرة، وأحيل الى المعاش منذ خمسة وعشرين عاما وسافر الى لندن ولكن أحد الفراشين بالمدرسة كان يراسله كل عام، فيرد عليه الناظر ردا مسهبا، ليسأل الفراش عن أبنائه وأحوال تعليمهم، كما يخبره عن أبنائه الذين رآهم فراش المدرسة صغارا بمصر، كيف تعلموا؟ وأين صاروا، ثمّ كانت الدهشة التى تلقاها الأستاذ الخفيف حين حضر اليه الفراش بكتاب باللغة الانجليزية ليترجمه له كما اعتاد الخفيف أن يترجم بطاقات المعايدة، إذ وجد المستر إليوت يكتب الى الفراش قائلا إن نجله نائب مارشال الطيران بجبل طارق أخبره أنه سيزور القاهرة فى عمل سياسى برفقة رئيس وزراء انجلترا، فحتم عليه أن يزور السيد (أحمد حسين) فراش المدرسة التوفيقية، وأن يعلم أحواله الصحية، ويستفسر عن شئون أولاده بمصر، وقد جاء النجل الكريم للمدرسة فوجد السيد احمد حسين غائبا، واضطر الى عدم تكرار الزيارة لأن الرحلة كانت لمدة يوم واحد فقط! وقد أسف المستر إليوت لعدم لقاء ولده بصديقه احمد حسين، ويرجو أن يكون حظه فى المرة القادمة أحسن وأتم! هذا ما جاء فى خطاب الناظر الإنجليزى المحال الى المعاش منذ ربع قرن، وهو خطاب حرص الخفيف على نشره فى صحيفة أدبية ليعطى النموذج النادر فى الوفاء، سمعت ما قال الخفيف، فقلت، أنت لم ترحب بخطاب المستر إليوت إلا لمشابهة ما بين خلقك وخلقه، فقال: ليتنى أبلغه، وحان انصرافى فودعته غير عارف أنه وداع لغير لقاء إذ لبى نداء ربه بعد عدة شهور.

من.. التراث

« عن مصقلة بن هُبيرة الشيباني قال: سمعت صعصعة بن صُوحان وقد سأله ابن عباس: ما السؤدد فيكم؟ فقال: إطعامُ الطعام، ولين الكلام، وبذلُ النَّوال، وكفُّ المرء نفسه عن السؤال، والتوددُ للصغير والكبير، وأن يكون الناس عندك شرَعًا (أي سواء) قال: فما المروءة؟ قال: «أخوان اجتمعا، فإن لقيا قهَرا، حارسُهما قليل، وصاحبهما جليل، محتاجان الى صيانة، مع نزاهة وديانة» قال: فهل تحفظ فى ذلك شعراً؟ قال: نعم، أما سمعت قول مُرّة بن ذُهل بن شيبان حيث يقول:

إن السيادة والمروءة علّقا حيث السماء من السماك الأعزل
وإذا تقابل مجريان لغاية عثر الهجين وأسلمته الأرجل
ويجى الصريح مع العتاق معوّدا قرب الجياد فلم يجنّه الأفكل

«من كتاب جمهرة خطب العرب/ ج٢»



شعر:

أرجوحة العار

د. عبدالله بن أحمد الفيفي
السعودية

لم يحدّث عنهما الساري
كيف عاشا في الهوا العاري؟!
في رمال الوقت كم سارا
كيف صاغا لحن أسحاري؟!
وتنامت في مدار الأمس وطارت بين اوتاري
قصة لم تنتبه عيني في رواها الضاحك الجاري
أيقظت بدوي ٠٠ وما زالت توقظ المستقبل الناري

أسْرَجَتْ في سهلها خيلي ٠٠ وسمت في نجدها داري
وتناجت انجم الدنيا بهواها الثائر الضاري
نغمة فارهة النجوى تتهادى بين اشعاري
ضوّأت دربي بغاياتي وتوضت عطر انواري
ودنت تستمطر القبلات وتعطو دفئها الفاري
لغتي كانت ٠٠ وقد كانت تزرع الغيم باشجاري
قصة لم تنتبه عيني في رواها الضاحك الجاري
ايقظت بدوي ٠٠ وما زالت توقظ المستقبل الناري

فتناهينا وشاخت في مقلتيها كل أنهاري
وانثنت تبكي صباها ما قرّحتها لفح أخباري
خبروها ليلي المجبول سراباً لف اوزاري
وحكوا عن شيمة العشاق حكايا أحرقت غاري
اشعلوا قلب فتاة الأمس فهامت تسأل الشاري
قصة لم تنتبه عيني في رواها الضاحك الجاري
ايقظت بدوي ٠٠ وما زالت توقظ المستقيل الناري

لم يروا بين دياجيري لمح صبحي النائم الساري
ليتها تدري بذاك الطفل غنّى ارجوحة العار
ورنا يحتلب التويات بكفي طهرها الواري
ويغنّي - رقّة التيار عليها - كل تيار
من حميّا عشقها لحنا لم يدر في سمع سمّاري
قصة لم تنتبه عيني في رواها الضاحك الجاري
ايقظت بدوي ٠٠ ومازالت توقظ النيران في الناري
ايقظت بدوي ٠٠ وما زالت توقظ المستقبل الناري!

ظاهرة الغربة



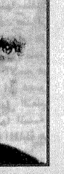
بقلم:
محمود قاسم
مصر



سان جون بيرس



سارتر



صمويل بيكيت



جان جاك روسو



لامارتين



ألبير كامو

الانسان كائن وحيد في الأدب الحديث

لعل أهم سمة أبرزتها الفنون والآداب، وأيضا الفلسفات المعاصرة، ان الانسان كائن وحيد، وانه رغم وجوده في جماعة، فانه دائما حالة خاصة من الوحدة، يمرض وحده، ويموت ايضا وحده، ويتمتع أو يتألم وحده، وحتى ان كانت المشاركة الانسانية من حوله فى اشدها فلا احد يمكنه ان يفرح نيابة عن قرينه ولا أن يعانى بدلا منه.

وليس صحيحا ان الفنون والاداب الحديثة هى التى جسدت الشعور بالعزلة والوحدة لدى الناس. ولكن الصحيح انها كشفت هذه الظاهرة. واكدت وجودها منذ بداية الخليقة، وقد تنبه لها الكثير من المبدعين والمفكرين القدامى امثال الشاعر اللاتينى اوفيه صاحب كتابى: «فن الهوى» و«ومسخ الكائنات» كما بدت لدى المبدعين فى القرون الماضية القريبة، ومنهم الشاعر الالمانى فون كلايست والفيلسوف الفرنسى شاتوبريان، وشعراء آخرين من طراز لامارتين، والفريد دوى فينى.

هؤلاء جميعا قد سلموا الراية لابناء القرن العشرين، الذين رأوا ان الظاهرة قد تفاقمت مع عصر الاليات، لكنها لم تولد من عدم. وقد بدت عزلة الانسان واضحة للغاية لدى ادباء العبث، والتجارب الادبية الجديدة من امثال يوجين اونسكو، وصموئيل بيكيت، وبيتر هاندكه، وآداموف. والغريب ان جميعهم من كتاب المسرح.

وسوف نحاول هنا، أن نرى كيف فكر كبار الكتاب والمفكرين فى مسألة العزلة أو الوحدة، وذلك حسب الدراسة الهامة التى اعدتها مجلة «ماجزان ليتترير» فى عدد شهر اغسطس ١٩٩١. التى ترى ان الشاعر اوفيه كان ابرز الاقدمين

الذين كتبوا عن هذه الظاهرة ببساطة لانه عاشها فالشعور بالوحدة ليس سوى ان هناك شخصا ما قد قام بهجرانك. وان على المرء ان يستسلم للذكريات، والتوسل والالم، باعتبار ان الوحدة لدى اوفيه حالة من الحزن او هى حالة من المنفى الذى يقوم به المجتمع لفرد من افراده كى يطرده من مملكته باعتبار ان الانسان حيوان اجتماعى.

ولذا فقد تحول الشعر لدى اوفيه الى خيط صغير يسمح للصوت الانساني ان يمسك بمتاهة المنفى. وذلك حتى يمكنه امساك غيابه، وان يقبض على هويته حتى لا تضيع. وفى كتابه عن «الاحزان» يرى ان الشعر هو لغة تخاطب، ولذا عليها ان تصل الى الناس، واذا لم تصل، تضخم الشعور بالوحدة.

وقد تولد الشعور بالوحدة لدى اوفيه عقب نفيه من روما فى العام الثامن الميلادى الى احدى الجزر المطلة على البحر الاسود، ولانه لم يقدر للشاعر ان يعود ثانية الى وطنه، فقد أخذ يكتب رسائل من طرف واحد الى زوجته واصدقائه وخصومه. واعتبر هذه الرسائل بمثابة يوميات تحولت عملية كتابتها مع مرور السنين الى عادة لم يقدر ان يتخلص منها حتى نهاية حياته.

وفى هذه الاشعار واليوميات اصبح الشعور بالوحدة مرادفا للحزن والحرمان: «لم أعد احتمل المناخ، ولم اعتد على المياه، ولا اعرف لماذا لا تعجبني هذه الارض». كما يقول فى مكان آخر من يومياته: «اذهب ياكتابي، وقم بتحية كل الاماكن الحبيبة، نيابة عنى، فليس لى سوى ابيات قصائدى. وشاهد روما نيابة عنى. آه ياالهى. فلم أعد اليوم سوى كتابى».

واذا كان التاريخ قد ترك لنا

> **الشعر خيط رفيع يسمح للصوت الانساني الامساك بمتاهة المنفى**
>
> **أوفيه**

> **الوحدة زنزانة كبرى أسوارها حدود الصحراء**
>
> **بيزانس**

وثائقه فإن اوفيه وبيزانس - الذى عاش فى مصر - هما من اشهر من كتبوا عن الوحدة فى القرون الاولى للميلاد، فان هناك تراثا ضخما تم اكتشافه فى العصور الوسطى، ينتمى الى الثقافتين الشرقية والغربية معا. لدرجة ان هذه الظاهرة شكلت حركة جماعية انتقلت بين الاماكن والاشخاص. وقد انتشرت في الاماكن الاكثر خواء من البشر. هذه الاماكن التى سمحت للبشر بقدر أكبر من الحرية، والخروج عن تقاليد المجموع. وكم أحس من شعروا بقيمة الوحدة انهم يعيشون فى زنازين كبرى، اسوارها هى حدود الصحراء، والافق البعيد. والوديان واشباه الجزر.

وقد اعتبر الشاعران بالوحدة، أن زنزانتهم الواسعة التى يعيشون فى ارجائها تحوطها المخلوقات المتوحشة والاحجار التى لها القدرة على السمع أى ان الوحدة هنا كانت تعنى الابتعاد عن الخوف والشعور بالامان.

وعند باسكال انتقلت مكانة «الوحدة» من ركن الاحزان والمعاناة الى زاوية الرضا والامل. فالوحدة اصبحت بالنسبة له بمثابة قفزة قلبية تتطلب استعداد الروح وتحرك لواعج المشاعر، ولذا فانها بمثابة حالة اختيارية لدى الشخص الذى يتعامل معها وهى بالتالى ليست نوعا من العقاب، ورغم ذلك فان الكثيرين من البشر لا يقبلون عليها ولا يحبذونها، فالناس عادة ما تميل الى التجمعات البشرية التى يستمدون منها هويتهم.

ومن بين المفكرين المعروفين الذين كان لهم باع فى هذا المضمار انطوان لوميتر الذى قرر ان ينسحب الى عزلته الاختيارية عام ١٦٣٧ دون ان يفكر فى الشكوى، ومن اقواله فى العزلة: «ايتها العزلة، لقد عشقتك فى الصحراء، وأنا خادمك المطيع».

وقد اختفى لوميتر، مثلما اختفى العشرات من المؤمنين بنفس الفكرة، ولكن هل كانت هذه العزلة الجماعية بمثابة حالة من الوحدة؟ أغلب الظن ان الاجابة بالنفي.

وفي القرون الماضية، ارتبطت العزلة بالمفكرين اليسوعيين، ثم عادت فى القرن الماضى الى الفكر الفلسفى من خلال المفكر الوجودى كيركيجارد. وترى كاترين كليمان - الاديبة الفرنسية المعروفة - ان كيجارد لم يعش حياته منعزلا، ولكنه من أهم من قاموا بتنظير العزلة، فقد عاش حياة مرفهة، سعيدة، ولم يكن ينقصه شئ من متاع الحياة، مما جعله شخصا بوهيميا يعيش من أجل يومه فقط.

لكن وفاة ابيه كانت سببا في ان يتغير، ففكر ان يصبح قسا، أو مدرساً وفى بداية الامر كان يرى ان الوحدة هى «الامر الاشد قسوة، لكن القسوة فى المجتمع لا تضاهيها قسوة». وقد بدأت هذه الفكرة أولا من خلال كتاباته الى صديق له، وكانت صدمته العاطفية سببا فى ان يتراجع عن مشاريعه فى ان يصبح قسا أو مدرسا، ورأى ان الادب هو وسيلة جيدة للدخول الى المجتمع فالشعر بمثابة شباب دائم.

وقد بدت فلسفة كيركيجارد واضحة فى كتابته عن اوبرا «دون جيوفانى» لموتسارت، فالحب والمرأة امران لازمان لتجدد الحياة، ولانه مصدوم في حبه، فهو يعيش فى عزلة كتبتها عليه الظروف.

وفى تلك الحقبة الزمنية، ظهر مفكرون آخرون كانت لهم آراؤهم حول هذا الموضوع، منهم على سبيل المثال المفكر (سان بيرو) الذى كتب قائلا حول وصوله الى باريس: «لقد دخلت الى رعب غامض، فى هذه الغابة الواسعة من البشر، وهذا الضجيج الذى يمثل بالنسبة لى وحدة موحشة يحكمها صمت رخو،

أدب العبث صور الانسان وحشاً كاسراً يجب الابتعاد عنه

> أيتها العزلة لقد عشقتك في الصحراء وأنا خادمك المطيع
>
> انطوان لوميتر

وسرعان ما تبحث نفسي عن مخرج لكنها تجد نفسها محاصرة من كل جانب».

فقد رأى (سان بيرو) عكس الكثيرين، ان باريس ليست سوى صحراء تعج بالبشر الذين يقلقون احساسه بالوحدة، ولذا فقد قال في موقع آخر «لم أحس ابدا اننى وحيد عندما اكون وحدى، بل اشعر اننى معزول عندما أكون وسط حشد من الناس، حيث اصبح عاجزا ان اكون نفسى أو أكون شخصا آخر، يود قلبى ان يتكلم ولكنه يحس ان أحداً لا يسمعه، يود الاجابة لكنه غير قادر.

ومن المفكرين الذين ذاع صيتهم فى تلك الفترة جان جاك روسو الذى كتب «اذا كان لى ان اسمى هذا الحشد بالصحراء، وان اخيف نفسى بالوحدة، فعلى ان اكشف عن مشاعرى» وفى كتابه «كليمانتين الجديدة» يقول: «أنا لا أحب سوى الوحدة، رغم انها تخيفنى» ويقول فى موقع آخر: «أنا وحيد، حزين فى صدر الطبيعة، وعندما يغنى الكل للحب، فان مشاعرى تتحرك، ولكن كل شئ يظل ساكنا».

أما شاتوبريان فقد كان مهموما بفكرة الثورة، وقد قادته هذه الفكرة الى ما اسماه بالعزلة، وفى كتابه «مقال حول الثورات» يقول: لم انقذ نفسى بالارتماء فى احضان الوحدة، ولكننى ارى ان الحل فى الموت، وليس على ان ارحل فوق بحر الحياة، بل رحت اتأمل العواصف أحيانا، كرجل ألقى نظرة واحدة الى جزيرة صحراوية تعبق بكآبة غامضة تتحطم على شواطئها الامواج حيث يفكر المرء فى الرحيل».

وقد رأى شاتوبريان ان الوحدة هى منبع كافة المشاعر الحساسة، وان هناك وحدة مطلقة فيها «اغرق فى الطبيعة بشكل من الصعب وصفه، من غير اهل، ولا اقارب أو

اصدقاء، واحس انني الوحيد فوق الارض، وأن آحدا لا يحبني، واحس انني غير قابل للاستمرار على قيد الحياة.

وكم أحس شاتوبريان بالتمزق بين الكآبة، والهواية: «أنا وحيد، لكن قوى قلبي لم تتواصل ابدا ولم تتجمع معا، لذا أحس كم أنا تائه، وحيد وسط الجموع التي لا تمثل لي شيئا، كانسان صدمه حادث، فراح يحدق بعينيه في فراغ صامت يمر من أمامه، يرى كل شيء، ويرفضه، يخمن الاصوات التي يحبها، ويبحث عنها ولا يسمعها، فيعاني من صمت كل الأشياء وسط صخب العالم».

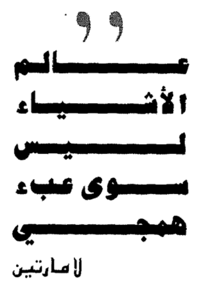
أما الشعراء الالمان الذين ينتمون الى الرومانسية، فقد تشابهت افكارهم فيما يتعلق بمسألة الانفرادية، أو الوحدة، ومنهم فوناليس، وفون كلايست، وتيك، والاخوان شيلجل، وقد أصبح هذا الامر بمثابة ظاهرة تلفت النظر، دفعت الكثير من المؤمنين بها الى الانتحار، مثلما فعل فون كلايست مع حبيبته هنرييت فوجل على نهر الراين عام ١٨١١.

وفي كتابه «جذور المد» يتحدث نوفاليس ان «العالم الخارجي هو عالم الظلال، وهو يلقي بظلاله على مملكة النور «وهو يرى ان النور الحقيقي يوجد في داخل الانسان» نحن نحلم بالرحيل الى الكون، لكن الكون الذى بداخلنا، نحن لا نعرف اعماقه الا من خلال ارواحنا.

ولعل الشاعر الالماني هولدرلين هو ابرز من تحدث عن صفاء البشر الداخلي، فعندما توصل الى أهمية هذا الصفاء، سارع بترك قريته، واصدقائه، وكذا اسرته، وقرر ان يكتشف حقيقة الطبيعة، والصمت، والسحب، والرحيل، والليل، واللحظة، فعاش وحيدا، وتوصل الى عدة مفاهيم، فالطبيعة تملأها الايماءات، واللحظة هي انتكاس للفكر.

وحدة موحشة ورعب غامض وصمت رخو في هذه الغابة الواسعة من البشر

سان بيرو



وكان هولدرلين من أهم الثوار الذين اعتمدت عليهم الثورة الفرنسية في افكارها، رغم أنه الماني، كما اثر كثيرا في العديد من الاجيال التي جاءت بعده، ومن أهم المفكرين الذين استفادوا من آرائه نيتشه. فقد فسر احساس الناس بأهمية الجماعة بأنه حالة من الضعف، وعدم الكمال، ولذا فالمرء يحتاج دائما الى آخرين يسندون وجوده، وهو يحدثهم عن مشاعره نحوهم، وعندما يخلو الكون من بشر، لا تكون هناك معاناة، وبالتالي لا حاجة لأن تحكي لأحد.

وفي المدرسة الرومانسية الفرنسية، يلمع كل من الشاعر الفرنسي دولامارتين، وايضا المفكر شاتوبريان، وهذه المدرسة مليئة بالاحلام، والتصورات الخيالية: «كنت انسانا، ولم أكن بشرا، فأصبحت سحابة، وريحا، وضجيجا. فعالم الاشياء ليس سوى عبء همجي، والالم يكشف لك عن حاجتك الى الاخرين». وقد كان لشاتوبريان رأيه في مسألة الوحدة، حيث يقول ان الشرير دائما وحيد، كما كان يقصد ان الجنون ايضا مرتبط بشعور المرء بالوحدة، ثم ما لبث ان غير افكاره، حيث قال في كتابه «تحولات شعرية» المنشور عام ١٨٢٠: «لقد رأيت الكثير، وأحسست بأشياء عديدة، واحببت الكثير في حياتي، وجاء الآن الوقت لأن أعيش في سكينة» وفي كتابه «العزلة» يرى ان العالم ليس سوى صحراء شاسعة. ولذا فان الوحدة أشبه بواحة، الخضرة فيها هي الكتابة والقراءة، ويقال ان الاديب الفرنسي المعروف ستاندال قد تأثر كثيرا بأفكارشاتوبريان، وايضا بابناء الرومانسية الالمانية، وهو يتخيل الحال التي صار عليها بطله «جوليان سوريل» في رواية «الاحمر والاسود» الشهيرة.

وفي القرن العشرين، ارتبطت العزلة، والشعور بقيمة الوحدة من

خلال مسرحيات العبث التى كتبها كل من يوجين اونسكو، وصموئيل بيكيت، وآدامون. فهذا المسرح الذى أطل على الناس فى عام ١٩٥٠ اى مع بداية النصف الثانى لهذا القرن، قد كشف كم ان انسان العصر يعيش فى عزلة، لا معنى لها. وذلك رغم ان ابرز الشخصيات التى عاشت وحيدة فى الادب الحديث هى شخصية ميرسو فى رواية «الغريب» لالبيركامى والمنشورة عام ١٩٤٢.

وفى مسرحية الابواب المغلقة «لجان بول سارتر» نرى الى اى حد يمثل الشخص الثالث او الاخر، قيدا على حرية الفرد لكن هذا لم يكن مرتبطا بالوحدة الممزوجة بحالة الضياع والعزلة التى رأيناها فى مسرحية «فى انتظار جودو» لبيكيت.

وابطال مسرحيات العبث يفضلون ان يعيشوا فى وحدة لانهم لا يميزون شيئا ذا قيمة فى الاخرين «، يرون ان العالم متشابه، ولذا فليس هناك شخص ذو حظوة، أو ان انسانا يكتسب مكانته من خلال وظيفته.

وابطال مسرحيات بيكيت يجدون انفسهم أمام مأساة، ويرون فى انفسهم مرايا لعذاباتهم. ويحاولون العثور على عزاء لالامهم. أما ابطال يوجين اونسكو فان البشرية لم تعد بذات اقدام، وابطال مسرحياته «ضحايا الواجب» و«اميديه أو كيف تتخلص من نفسك» وسرى احلامهم، وما يتمتعون به من اريحية، وما يمتلكون من قيم ويرى ابطال مسرحيات ادامون انه من المحال الاتصال بالآخر وان كلامه هو بمثابة حوار الطرشان وكل شخص يرى فى الاخر ليس فقط الكيان الذى يهرب منه ولكنه ايضا الكيان الذى يعوق وجوده.

لكن هل توقف الشعور بالوحدة عند هؤلاء الكتاب فقط، وهل اصبحت هذه الظاهرة محل الكتاب

نحن نحلم بالرحيل الى الكون الذي بداخلنا

نوفاليس

المعاصرين الذين لا يزالون فى حالة ابداع، خاصة بعد رحيل يوجين اونسكو، وصموئيل بيكيت، وتوقف ادانون واقرانه عن الابداع.

لعل ابرز الادباء الذين اهتموا بهذه الظاهرة هو الكاتب المسرحى النمساوى بيتر هاندكه، والذى ترجمت بعض اعماله الى اللغة العربية، وهو لا ينظر الى الوحدة باعتبارها حالة رومانسية ولكنها موقف عام من الكون، والعالم. ففى الوحدة دائما ننتظر موقفا ممزوجا بالحنين. وقد انعكست هذه الافكار بشكل عملى فى ابداع هاندكه حيث غاب الحوار تماما. فطالما ان هناك عدم احساس بالاخر، اذن فلماذا نحاوره، او ندخل معه فى محادثة.

وفى مسرحيات الكاتب، من طراز «البشر الغير أسوياء فى طريقهم للاندثار» ومن داخل القرى «لعبة الاسفلة» تبدو العلاقة حميمة بين البطل والمكان، وواهية للغاية مع البشر، لذا ليس هناك داع الحديث عن المعانى المتداولة بين الناس ولذا لا داع للحوار.

وليست الوحدة لدى بيترهاندكه حالة من العزلة بل هى «عمل» أو فلنقل «مجهود» يبذله البشر، وذلك مثل حالة الاديب فى روايته «حركة خاطئة» وايضا رجل الصناعة الذى ينتحر فقد اختار الاول ان يعيش فى بيت صغير عن البشر، أما الثانى فقد اختار العالم الاخر ليكون ايضا بعيدا عن الناس.

تلك كانت رحلة عابرة، هى فى الواقع طويلة، طول التاريخ حول علاقة الانا بالاخر، ومدى احساسه بالقرب منه أو الابعاد عنه. واذا كان البشر دائما يحسون بوجودهم كلما زادت قدراتهم على الاتصال بالاخرين، فان البعض الآخر قد رأى عكس ذلك. ولكن لوجهتى النظر تبريراتها. وقد افرزت كلتاهما ادبا مميزا على مر العصور.



في القصص النبوي (٢٥)

الحوض: في اللغة واحد الأحواض والحياض، وهو مجمع المياه، وهذا المعنى يلتقى مع كلمة النهر، لأن النهر: هو حفرة فى الأرض (النهر - بسكون الهاء وفتحها - واحد الأنهار، ونَهَرَ النهر حَفَرة ونَهَرَ الماء: جرى فى الأرض وجعل لنفسه نهرا، وبابهما قطع، وكل كثير جرى فقد نهر)(١).

وقدمنا الكلام عن الحوض، لأنه يتصل بالنبي - ﷺ - كالشفاعة - التى سبق الكلام عنها - ولأن من يشرب من الحوض يصرف عنه كرب يوم القيامة، ويسهل عليه ما بعد ذلك، ولا يظمأ بعدها أبدا، ويأمن الحساب، ويجتاز الصراط، ويدخل الجنة.

ويفهم من القصص النبوى أن لكل نبى حوضا فى عرصات يوم القيامة يجتمعون عليه، ولا يرده إلا من آمن بالرسل وصدقهم، ولذلك يتفاوت أتباعهم كثرة وقلة، يقول النبي ﷺ: «إن الأنبياء يتباهون أيهم اكثر أصحابا من أمته، فارجو ان أكون يومئذ أكثرهم، كلهم ورّاده وإن لكل رجل منهم يومئذ قائم على حوض ملآن، معه عصا يدعو من عرف من أمته، ولكل أمة سيماء، يعرفهم بها نبيهم) ويقول أيضا: (إن لكل نبى حوضا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، واني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة).

وجاءت نصوص كثيرة تثبت أن حوض النبى - ﷺ - فى عرصات يوم القيامة وأنه معلوم لا يخطئه أحد، وأن الحوض يستمد رافده من نهر الكوثر، فمن حديث الشفاعة يقول النبى - ﷺ: (فأقوم عن يمين الله مقاما لا يقوم فيه غيرى، يغبطنى الأولون والآخرون، ويُشَقّ لى نهر من الكوثر إلى حوضى..) وفى الحديث المروى عن أنس - رضى الله عنه - حينما طلب من النبى - ﷺ - أن يشفع له يوم القيامة فقال: (أنا فاعل - إن شاء الله - قال: فأين أطلبك؟ قال: أول ما تطلبنى على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: فاطلبنى عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبنى عند الحوض، فإنى لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن) فمن معالم يوم القيامة الصراط، والميزان، والحوض، وهى حق يجب الايمان بها، والجد فى العمل الصالح حتى يفوز - بإذن الله - بورود الحوض وشفاعة النبى - ﷺ - ودخول الجنة، لأن الأعمال الصالحة تنقذ أصحابها من الأهوال وتخلصهم من المآزق والعقبات الأخروية من الموت إلى دخول الجنة.

كما جاء فى القصص النبوى الذى يصور فى صور حية مشاهد عبد مؤمن كان يؤدى بعض الأعمال الصالحة فجاءته وخلصته واستنقذته من الوقوع فى الهلاك، ففى رواية عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن ابن سمرة قال(٢): خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم، ونحن فى مسجد المدينة فقال: (إنى رأيت البارحة عجبا، رأيت رجلا من أمتى جاء ملك الموت ليقبض روحه، فجاء بره بوالديه فردّ عنه، ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك

الكوثر حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت وشاطئاه درّ مجوف

ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه، ورأيت رجلا من أمتي والنبيون قعود حلقا حلقا، كلما دنا لحلقه طردوه، فجاء اغتساله من الجنابة فأقعده الى جنبي، ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة، وهو متحير فيها، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وادخلاه النور. ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءه صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلموه فكلموه، ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه،فجاءته صدقته فصارت له سترا على وجهه وظلا على رأسه، ورأيت رجلا من أمتى قد أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل، ورأيت رجلا من أمتى قد هوت صحيفته من قبل شماله، فجاءه

النبي «صلى الله عليه وسلم»



بقلم:
أ.د/ عبدالباسط حمودة
جامعة الملك فيصل - الاحساء

خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه(٣)، فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار، ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط كما ترعد السعفه، فجاء حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا فجاءته صلاته عليَّ فأخذت بيده

رجل من أمة محمد - ﷺ - يلهث عطشا، ويرى الأحواض أمامه تترقرق بماء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، ولكنه كلما ورد حوضا منع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه. وهكذا كل عمل يعمله المرء في دنياه يذلل له كربة من كرب

والأسلوب المشوق الذي يأخذ بالنفس كل مأخذ في وصف الحوض ونهر الكوثر يوم القيامة وتعدد هذه المشاهد في مجموعة كبيرة من القصص الحق، مما يجعل المذاهب الأدبية قديمها وحديثها تتقاعس وتتضاءل في تقليده(٤).

قال ابن كثير ورد في صفه الحوض يوم القيامة إنه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر، وأن آنيته عدد نجوم السماء(٥). وبعض الروايات تفيد أن الحوض في عرصات يوم القيامة يرد عليه أتباع النبي - ﷺ - وأنه متصل بنهر الكوثر، ففي رواية عن أنس - رضي الله عنه - قال: بينما رسول الله - ﷺ - بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى اغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما، قلنا ما أضحكك يارسول الله؟ قال: أنزلَتْ عليَّ آنفا سورة، فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي - عز وجل - عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك) وفي رواية اخرى (أعطيت الكوثر، فإذا هو نهر يجري ولم يشق شقا، وإذا حافتاه

أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها وتقتتلوا فتهلكوا

فأقامته ومضى على الصراط.. ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى باب الجنة، فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة).

هذه قصة تصور الكلمات في مشاهد ومواقف تقع للخلق يوم القيامة، ويزيد من تأثيرها في نفس المؤمنين أنها من كلام الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، وهي لا محالة واقعة في يوم يشيب له الولدان، ولا نجاة منها إلا بالأعمال الصالحة التي أمر الله بها، والانتهاء عما نهى الله عنه، فشهادة أن لا إله إلا الله والصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة وصلة الأرحام وغير ذلك، تأتي تجادل وتدافع عن صاحبها كما في صورة

يوم القيامة. ومن هنا أيضا يتجلى الفرق بين من يؤمن بلقاء يوم القيامة وبين من لا يؤمن، فالأول يعمل ويدأب راغبا وراهبا يرجو رحمة ربه ويحذر الآخرة ، والثاني يلهو ويخوض ويلعب ويسهم في نشر الفساد وسوء الأخلاق. غافلا عن يوم البعث والجزاء، الذي اشتملت عليه كثير من سور القرآن الكريم، وأفاضت فيه السنة وبسطت القول لترسيخ العقيدة، وتربية الأمة بمثل هذا القصص الذي رأيناه في خصائص الدعوة، التي تعتمد الإعجاز البياني، والبلاغة النبوية التي تدني وتقرب الغيبيات وتجعلها كأنها تُرَى وَتُحَس.

فلنقف مع ذلك البيان المفصل والحديث الفياض والتعبير الدقيق،

قباب اللؤلؤ، فضربت بيدى فى تربته، فإذا مسك أذفر، وإذا حصباؤه اللؤلؤ) وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ الكوثر نهر فى الجنة شاطئاه در مجوف، وسئلت مرة فقالت: الكوثر نهر فى بطنان الجنة، قلت وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها، حافتاه قصورا اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت(٦).

وجاءت قصص نبوية تتحدث عن الحوض وتصف عرضه وطوله وعدد آنيته، وصفة زواياه وغير ذلك من الصفات التى تتفق مع وصف نهر الكوثر. من ذلك قوله ـ ﷺ(٧) ـ : (إن أمامكم حوضا كما بين جرباء وأذرح، فيه أباريق كنجوم السماء، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدا) وقوله: (إنى فرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة الى الجحفة، إنى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى، ولكن أخشى عليكم الدنيا!! أن تنافسوها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم) وقوله أيضا: (ألا إنى فرطكم على الحوض، وإن بعد ما بين طرفيه مثل ما بين صنعاء وأيلة، كأن الأباريق فيه عدد النجوم) وفى رواية تقول: (إن حوضى لأبعد من أيلة الى عدن ـ والذى نفسى بيده ـ لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، ولَهُوَ أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل ـ والذى نفسى بيده ـ إنى لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه، قالوا: يارسول الله، أو تعرفنا؟ قال: نعم، تردون على الحوض غرا محجلين من آثار الوضوء، ليست لأحد غيركم) وفى رواية عن ابن عمر: (حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدا) وفى روايات أخرى كثيرة تضيف الى الصفات والوصف السابق أمورا أخرى مثل أول من يرد على الحوض من أمة محمد ـ ﷺ ـ وتحدد وتنعت صفتهم وتضيف بعض الروايات أنه يرد على الحوض طيور كأعناق البخت، وأن أكل هذه الطيور ناعم.

يقول النبى ـ ﷺ ـ (حوضى من عدن الى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا، وأول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين، الشعث رءوسا الدنس ثيابا، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا يفتح لهم السُدد، الذين يُعْطُون الحق الذى عليهم، ولا يُعْطَوْن الذى لهم).

والى جانب وصف الكوثر بالأوصاف السابقة، فإنه يزدان بصفة أخرى تبعث البهجة فى النفس، وتحدث نغما فى الأذن، سمعت خرير الكوثر) وتفصل رواية أخرى عن ابن عمر فى حافتى الكوثر ومجراه وتربته، فتقول: (الكوثر نهر من الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، وتربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأشد بياضا من الثلج) وترد على الكوثر طيور عظيمة كأن أعناقها أعناق الإبل، وهذا من تمام وكمال البهجة، وإثارة الفرح والسرور فى النفس البشرية، مما نرى له صورة مصغرة فى دنيا الناس.

يقول النبى ـ ﷺ ـ (الكوثر نهر أعطانيه الله فى الجنة، ترابه المسك، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، يرده طائر أعناقها مثل أعناق الجزر، أكلها أنعم منها).

ومما يزيد من جمال الكوثر سعته وعرضه وطوله، مع خصائص مائه ففيه يقول النبي ـ ﷺ ـ (أعطيت

تردون عليّ الحوض غداً محجلين من آثار الوضوء

ومتعة تذهب الحزن وتنسى الآلام، عن طريق أصوات خرير الماء، بصورة أجمل مما تعارف عليه الناس فى الدنيا، حيث يلجأون الى الطبيعة لما فيها من الخضرة والزروع، وتساقط المياه من فوق الجداول والشلالات.

ففى الآخرة يُتمّ الله نعمته على عباده المؤمنين بما هو أعظم مما فى الدنيا، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فللكوثر خرير، يتميز بالهدوء والسكينة ويلامس الآذان كبرد مائه للقلوب، وبعض الروايات ـ التى جاءت عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ـ ﷺ ـ توضح أن المؤمن يمكن أن يسمع صوت الكوثر فى الدنيا: (إذا جعلت اصبعك فى اذنيك الكوثر، نهر فى الجنة، عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ أحد فيتشعث(٨) أبدا، ولا يشربه إنسان أخفر ذمتى، ولا قتل أهل بيتى).

وتربة الكوثر مسك أذفر، وحصاه اللؤلؤ، وجوانبه قباب الدر، يصب فيه ميزابان من الجنة، أحدهما من ورق، والآخر من ذهب، وأكوابه وأباريقه كعدد نجوم السماء، وسعته كما بين بصرى وصنعاء، أو أيلة ومصر، وأن من شرب منه لا يسوّد وجهه(٩)، ويمد الله الكوثر بأشياء عجيبة تخالف ما تعارف عليه الناس فى الدنيا، لقول النبى ـ ﷺ ـ (حوضى كما بين البيضاء وبصرى يمدنى الله فيه بكراع، لا يدرى إنسان ممن خلق، أين طرفاه).

وحوض النبي - ﷺ - خاص به وبأمته، فلا يرده أحد من الأمم الأخرى لأن لكل نبي حوضا ترد عليه أمته، وإن لكل امة سمة تعرف بها، وأمة محمد - ﷺ - يعرفون بأنهم غر محجلون من آثار الوضوء، وأنهم يتكاثرون على الحوض، لقول النبي - ﷺ(١٠) (ما أنتم بجزء من مائه ألف جزء ممن يرد على الحوض) وفي قصة أخرى يقول - ﷺ - (ترد عليّ أمتي الحوض، وأنا أذود عنه، كما يزود الرجل إبل الرجل عن إبله، قالوا: يا نبي الله تعرفنا؟ قال: نعم، لكم سيماء ليست لأحد غيركم، تردون غرا محجلين من آثار الوضوء، وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون، فأقول: يارب هؤلاء من أصحابي، فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟).

النار: (لتزدحمن هذه الأمة على الحوض، ازدحام الإبل وردت لخمس).

وتروى قصة نبوية تفاصيل الموقف يوم القيامة، وتوضح أن ورود الحوض يكون قبل المرور على الصراط، فيضرب الصراط فوق جهنم، ويجتازه الناس على درجات في البطء والسرعة، وسالم ناج، ومخدوش ناج، وترمل في النار. يقول النبي - ﷺ - (أول من يدعى يوم القيامة أنا، فأقوم فآتي، ثم يؤذن لي في السجود، فأسجد له سجدة يرضى بها عني، ثم يأذن لي فأرفع، فأدعوه بدعاء يرضى به عني، يقومون غدا غرا محجلين من آثار الوضوء، فيوردون على الحوض، ما بين بصرى الى الصنعاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، فيه من

لفقرهم وسوء منظرهم، وهم من الطبقات الدنيا، لا ينكحون إلا الفقيرات، ولا يدخلون على ذوى الجاه والسلطان، يحملون الأعباء والتبعات، ولا ينالون بعض الحقوق والواجبات، يؤدون ما عليهم، ولا يأخذون مالهم. فيقص النبي - ﷺ - قصتهم(١١). (حوضي كما بين عدن وعمان، فيه الأكاويب عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعده أبدا وإن ممن يرد عليّ من أمتي: الشعثة رءوسهم الدنسة ثيابهم، لا ينكحون المتنعمات، ولا يحضرون السدد - يعني أبواب السلطان - الذين يعطون كل الذي عليهم، ولا يعطون كل الذي لهم).

وفي قصة من القصص النبوي تؤكد المفاهيم السابقة أن الحوض مجال انطلاق الى البعث والحشر، فنرى تصويرا حقيقيا لمشاهد من يوم القيامة، تأتي بعد ورود حوض الكوثر، فتبعث ناقة صالح - عليه السلام - وتكون منهل سقيا له ولأتباعه، ثم يركبها من قبره حتى يوافي بها المحشر ولها رغاء، ويحشر رسول الله - ﷺ - على البراق، يختص به دون الأنبياء، وتكون ناقته العضباء لابنته فاطمة، ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة - ويستقبل بحلة من حلل الجنة، ويردد الأنبياء وأممهم خلفه شهادة أن لا إله إلا الله.. يقول النبي - ﷺ - (حوضي أشرب منه يوم القيامة، ومن اتبعني، ومن استسقاني من الأنبياء، ويبعث الله ناقة ثمود لصالح، فيحلبها، فيشرب من لبنها هو والذين آمنوا معه من قومه، ثم يركبها من قبره حتى يوافي بها المحشر ولها رغاء، فقيل يارسول الله، وأنت - يومئذ - على العضباء؟ قال: لا، ابنتي فاطمة على العضباء، وأحشر أنا على البراق، واختصصت به دون الأنبياء، ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة، يقدمنا بالأذان محضا، فإذا قال: أشهد أن لا إله

حوضي.. من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً

ويفهم من القصص النبوي أن الورود على الحوض يكون قبل الفصل بين العباد، حيث يجمع الله الأولين والآخرين ليوم الحساب، وأن أهل الشقاوة لا يردون على أحواض الأنبياء، لأنهم خالفوا وغيروا وبدلوا فيما جاء به الرسل، فهم يحشرون ويذهبون الى النار.

ويفهم من النصوص أن من شرب من هذه الأحواض يصرف عنه كرب يوم القيامة ولا يظمأ أبدا، وهو من الداخلين في الجنة - بفضل الله - كما جاء في قصة عن النبي - ﷺ - (إن لكل قوم فرطا، وإني فرطكم على الحوض، فمن ورد على الحوض وشرب لم يظمأ، ومن لم يظمأ أدخل الجنة) ولذلك تزدحم الأمة على الحوض، للفوز بالجنة والنجاة من

الآنية عدد نجوم السماء، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعده أبدا، ثم يعرض الناس على الصراط فيرى أوائلهم كالبرق، ثم يمرون كالريح، ثم يمرون كالطرف، ثم يمرون كأجاويد الخيل، والركاب على كل حال وهي الأعمال، والملائكة على جانبي الصراط، يقولون (رب سلم سلم) فسالم ناج، ومخدوش ناج، وترمل في النار، وجهنم تقول: (هل من مزيد) حتى يضع فيها رب العالمين ما شاء أن يضع، فتزوى وتنقبض وتغرغر كما تغرغر المزادة الجديدة إذا ملئت وتقول: قطْ قطْ قطْ).

وهناك فئة معينة يخصها النبي - ﷺ - في ورود الحوض، ويحدد سماتها، لأنهم احتقروا وامتهنوا في الدنيا، فكان الناس يعتزلونهم

إلا الله، قالت الأنبياء وأممها: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله. فإذا قال: أشهد أن محمدا رسول الله، قالوا: ونحن نشهد على ذلك، فمن مقبول منه، ومن مردود عليه، فإذا وافى بلال استقبل بحلة من حلل الجنة فلبسها - وأول من يكسى يوم القيامة من حلل الجنة بعد الأنبياء والشهداء - بلال وصالح المؤمنين).

ومن القصص النبوى ما يبين أن النبى - ﷺ - يسائل أمته عند الورود على الحوض، وكيف كانت خلافاتهم من بعده، ومدى اعتصامهم بكتاب الله والتمسك بحدوده، باتباع المأمور، واجتناب المنهى، وعدم الزيغ عن هديه، والتغيير والتبديل والتحوير فى مقاصده، والزيغ عنه باتباع المتشابه، فإن كتاب الله هو الثقل الأكبر لا يزيغ عنه إلا هالك. وكذلك يسائل رسول الله - ﷺ - أمته عن عترته أهل بيته، حيث بشر الله نبيه - ﷺ - أنهم لن يفترقا حتى يرد الحوض. يقول الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه: (يا أيها الناس، إنى فرطكم، وإنكم واردون على الحوض، حوضى عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه عدد النجوم قدْحَانٌ من ذهب وفضة، وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثّقلين(١٢)، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله، سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به، ولا تضلوا ولا تبدلوا. وعترتى أهل بيتى، فإنه نبأنى اللطيف الخبير، أنهما لن يفترقا حتى يرد الحوض).

وهذه من النصوص الصريحة التى تؤكد أنه لا يرد على أحواض الأنبياء من يغير ويبدل فى شرائع الله التى أنزلت عليهم، ويسيرون وراء الأهواء والبدع، ويحكمون الشهوات والأغراض والمصالح الدنيوية، ويتبعون حظوات الشيطان. ولذلك يقول النبى - ﷺ - (وإنى سائلكم حين تردون على) وربما يفعل ذلك سائر الأنبياء مع أممهم، لأن ورود الأحواض مقدمة لدخول الجنة، وكيف يدخل الجنة من لم يستمسك بكتاب الله، وضل وبدل، وآذى أهل بيته وعترته.

وفى هذا النص بشارة أن عترة النبى وأهل بيته لن يفترقوا ولن يضلوا حتى يردوا الحوض، لأن اللطيف الخبير أخبر النبى - ﷺ - بذلك.

وتأتى نصوص كثيرة فى القصص النبوى فى اتجاه المعانى السابقة، بل فى النصوص ما هو أشد صراحة، وأكثر صرامة فى توضيح الطريق، حتى لا يتمادى أحد فى الضلال باتكاله على مكانة عند رسول الله - ﷺ - كصحبته، أو بالقرب من الله - عن طريق طاعة أو عبادة لم يشرعها الله، مما قد يؤدى الى الكفر والارتداد عن دين الله، أو لهم: (قد عرفتكم، ولكنكم أحدثتم بعدى ورجعتم القهقرى).

وينادى النبى - ﷺ - على طائفة من أمته، لترد الحوض، فيقال له إنهم قد بدلوا بعدك. فيقول: (سحقا سحقا).

ويرى النبى - ﷺ - وهو على الحوض - ناسا من أمته، كلما دنوامنه خرج عليهم رجل فمال بهم عنه، وتأتى زمرة أخرى فيُفْعل بها كذلك، فلم يفلت منهم إلا كمثل النعم، لأنهم ضيعوا ومشوا القهقرى.

وهذه هى بعض النصوص التى تصور المواقف فى قصص عظيم لا يقدر عليه إلا من لاينطق عن الهوى. يقول - ﷺ(١٣) (يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى، فيحلون على الحوض، فأقول: أى رب أصحابي!! فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا بعدك على

لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض

أخفروا ذمة رسول الله.

فيمنع من ورود الحوض رهط من أصحاب النبى، لأنهم غيروا وأحدثوا وارتدوا ويُذَبُ آخرون عن الحوض - من أمته - لأنهم رجعوا بعده على أعقابهم. ويطرد أناس - من أمته - كما تذب الإبل، بسبب ما أحدثوه فى الاسلام، ويأتى رجال ونساء بقرب وآنية الى الحوض، فلا يطعمون منه شيئا ويمنع من ورود الحوض من أخفر ذمة رسول الله - ﷺ - وقتل أهل بيته أو وترهم وعاداهم.

ويتدافع الناس على الحوض، منهم من يشرب، ومنهم من يصرف وجهه عنه فلا يقدر.. ويأتى رجال الى رسول الله - ﷺ - وهو على الحوض، ويقولون: يارسول الله أنا فلان، ويقول هذا أنا فلان، فيقول أدبارهم القهقرى) ويقول: (أنا فرطكم على الحوض، أنظركم ليرفع لى رجال منكم، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دونى، فأقول رب أصحابى أصحابى!! فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك) ويقول أيضا: (وإنى على الحوض حتى أنظر من يرد منكم، وسيؤخذ أناس دونى، فأقول: يارب منى ومن أمتى، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم)، وقوله - ﷺ - (إنى لفرطكم على الحوض، فإياى لا يأتين أحدكم فَيُذَبُ عنى كما يذب البعير النضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقا) وقوله: (لأذودن عن حوضى رجالا كما تذاد الغريبة من الإبل)، وقوله: (والذى

نفسي بيده لأذودن رجالا عن حوضي، كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض) وفي قصة أخرى يقول: (أنا فرطكم بين أيديكم، فإذا لم تروني فأنا على الحوض قدر ما بين أيلة الى مكة، وسيأتي رجال ونساء، بقرب وآنية، فلا يطعمون منه شيئا) ويقول: (قد أعطيت الكوثر، نهر في الجنة، عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث، لا يشربه إنسان أخفر ذمتي ولا قتل أهل بيتي) ويقول أيضا: (كأني أنظر الى تدافع أمتي بين الحوض والمقام، فيلقى الرجلُ الرجلَ، فيقول: يا فلان أشربت؟ فيقول: نعم، ويلقى الأخر فيقول له: لا، صُرِفَ وجهي فما قدرت) ويقول أيضاً: (ما بال أقوام يقولون: إن رحمي لا تنفع، بلى والله إن رحمي موصولة، وإني فرطكم أصحابي!! أصحابي!! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) و(يا أيها الناس، إني فرطكم على الحوض، وإن سعته ما بين الكوفة الى الحجر الأسود، وآنيته كعدد النجوم، وإني رأيت أناسا من أمتي، لما دنوا مني خرج عليهم رجل، فمال بهم عني، ثم أقبلت زمرة أخرى، ففعل بهم كذلك، فلم يفلت منهم إلا كمثل النعم. قال أبو بكر: لعلي منهم يا نبي الله، قال: لا، ولكنهم قوم يخرجون بعدكم، يضيعون ويمشون القهقرى).

قصص الحوض وعناصرها الأدبية

نشير في لمحات سريعة الى أهم العناصر التي جاءت في القصص النبوي عن حوض الكوثر ونربط هذه العناصر بالقصص الأدبي الحديث، أو بعبارة أدق ربط القصص الحديث بالقصص الأدبي القديم.

ولا نعني بهذا إخضاع القديم لقواعد ومصطلحات الحديث، إذ لا يقاس الأصل بالفرع.

ومما نلفت إليه النظر في هذا الصدد:

١ ـ أن قصص النبي ـ ﷺ ـ عن الحوض هو قصص حقيقي، وهو من الإخبار عن الغيب الذي ليس في مقدور البشر التوصل إليه.

٢ ـ يبرز في هذا القصص، حسن العرض والأداء، وهو من الأسلوب المتميز في الدعوة إلى الله فيصور اليوم الآخر بصورة تدنيه من الواقع الذي سيكون عليه، ويعرض الحالات المختلفة للأفراد والجماعات والأمم، وتطلع الخلق إلى رحمة الله، والنجاة من عذابه ولا سبيل الى ذلك إلا بالإعداد لهذا اليوم، بعقيدة صحيحة، وأعمال صالحة، والتزام بالقيم والمثل العليا، والتحلي بالأخلاق القويمة، وسلوك سوى مضمونه شرع الله لخلقه، تلك هي مؤهلات الخلق لكي يردوا أحواض الأنبياء، وينضموا تحت لوائهم، وبغير هذا السلوك يذادون ويطردون ويذبون.

٣ ـ وعنصر التشويق يبدو واضحا في قصص النبي ـ ﷺ ـ عن الحوض ففيه إثارة القارىء للاهتمام والمتابعة، وبعث النشاط وحفزه لمعرفة ما تئول إليه أحداث القصة، وبما تنتهي إليه من سعادة أو شقاوة، وتلك عناصر تطرد عنه الضجر والملل، ومن أمثلة ذلك قوله ـ ﷺ ـ (إني رأيت البارحة عجبا.. رأيت .. ورأيت ..) و(بينما رسول الله ـ ﷺ ـ بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما..) و(أتدرون ما الكوثر؟..) و(أول من يُدعى يوم القيامة أنا، فأقوم فآتي..) و(حوضي أشرب منه يوم القيامة ومن اتبعني..) وغير ذلك.

٤ ـ وتتجلى في القصص النبوي ما يعرف عند النقاد المحدثين (بالحبكة الفنية) وذلك عن طريق تتابع أحداث القصة وسير أحداثها في ترتيب وتوقيت وإحكام، يبتعد بها عن تشتيت أفكار القارىء والتشويش عليه في ربط الأحداث بعضها ببعض، فالزمن ـ هنا ـ محدد هو يوم القيامة، والأحداث فيه تتوالى في سير طبيعي يتلاءم مع هذا اليوم، وكل ذلك يؤدي الى مصير أبدي للإنسان، إما إلى الجنة أو النار.

وورود الحوض مؤشر الى هذا المصير، فمن يرد عليه ينضم الى ركب الأمة (وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء..) و(إني لأذود عنه كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه، قالوا يارسول الله أو تعرفنا؟..) و(من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا..) و(لا يشربه إنسان أخفر ذمتي ولا قتل أهل بيتي) و(ما

الأعمال الصالحة تنقذ أصحابها من الأهوال وتخلصهم من العقبات الأخروية

على الحوض فإذا جئت قام رجال، فقال هذا: يارسول الله أنا فلان، وقال هذا أنا فلان، فأقول: قد عرفتكم، ولكنكم أحدثتم بعدي ورجعتم القهقرى) ويقول: (يا أنس، إن الله ـ تعالى ـ أعطاني الكوثر الليلة، طوله ستمائة عام، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد قبلي، ولا يطعمه من خفر ذمتي، ووتر عترتي، وقتل أهل بيتي) ويقول: (يا أيها الناس، إني بينما أنا على الحوض، أتي بكم رفقة رفقة، فذهبت طائفة منكم ههنا وههنا، فقلت: مالهم، هلموا إليّ، فصرخ صارخ فقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا) و(يرد على قوم ممن كان معي، فإذا رفعوا اليّ رأيتهم اختلجوا دوني، فأقول: يارب

أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض) و(ثم يعرض الناس على الصراط فيرى أوائلهم كالبرق، ثم يمرون كالريح، ثم يمرون كالظرف.. والملائكة على جانبي الصراط يقولون (رب سلم سلم) فسالم ناج.. وجهنم تقول: (هل من مزيد) حتى يضع فيها رب العالمين ما شاء أن يضع) إلى غير ذلك من النصوص.

٥ ـ وأما موضوع القصص أو المشكلة التي تعالجها القصة النبوية فهي قضية الشقاوة والسعادة الأبدية، في يوم يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه.. والطريق الى الشقاوة تتضح معالمه عندما يذادون ويبعدون عن أحواض الأنبياء والانضمام الى مواكبهم، كما أن طريق السعادة الأبدية يكون بالورود الى الأحواض والشراب منها. يقول النبي ـ ﷺ ـ (كأني أنظر الى تدافع أمتي بين الحوض والمقام، فيلقى الرجل الرجل، فيقول: يافلان أشربت؟ فيقول: نعم، ويلقى الآخر فيقول له: لا، صرف وجهي فما قدرت) و(وإني رأيت أناسا من أمتي، لما دنوا مني خرج عليهم رجل، فمال بهم عني) و(وإني لأرجوا أن أكون أكثرهم واردة).

٦ ـ ومن العناصر المهمة في القصص النبوي، الأسلوب والتصوير الذي يجمع عناصر الجمال الأدبي ، وهي التي تسمى عند النقاد (بالعناصر الفنية) كما في وصف الحوض، وهو وصف حقيقي ـ كما قلنا ـ يعطي صورة رائعة، مجللة بكل روائع الجمال المثير للنفس بتلك المناظر الطبيعية، ولكنها طبيعة غير ما عهده الناس في دنياهم، كما في قوله ﷺ : (يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر) و(نهر يجرى ولم يشق شقا، فإذا حافتاه قباب اللؤلؤ..) و(حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك، وحصباؤه اللؤلؤ) و(نهر في بطنان الجنة)

قصص النبي عن الحوض قصص حقيقية وهو من الغيب الذي ليس في مقدور البشر

و(وكأن الأباريق فيه عدد النجوم).

٧ ـ وفي القصص النبوي من العناصر القصصية كالحوار والسرد، والسؤال والجواب وتنوع الشخصيات التي لا تتأتى في قصص آخر مثل: كلام الله ـ عز وجل ـ والملائكة والأنبياء، وخاصة الخلق وعامتهم، وجهنم، ومخلوقات أخرى كالبراق وناقة صالح وناقة النبي ـ ﷺ ـ العضباء.. وغير ذلك من شخصيات أخرى كما في قوله ـ ﷺ ـ (ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا، كلما ورد حوضا منع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه) و(قالوا يارسول الله أو تعرفنا؟ قال: نعم، تردون على الحوض غرا محجلين من آثار الوضوء) و(والملائكة على جانبي الصراط يقولون (رب سلم سلم).. وجهنم تقول: (هل من مزيد).. وتنقبض وتغرغر كما تغرغر المزادة الجديدة إذا ملئت وتقول: قط قط قط..) و(قال قائل: ومن هم يارسول الله؟ قال: الشعثة رءوسهم..) و(فأقول: أي رب أصحابي!! فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك) والى غير ذلك من النصوص التي جاءت في الروايات السابقة.

٨ ـ وأخيرا وليس آخرا تتجلى في القصة النبوية الأفكار النبيلة والمعاني الشريفة والتوجيهات السديدة التي ترفع من قدر الفرد، وتعلي من شأن الإنسان، وترشده الى مسالك الخير وطرق السعادة الدنيوية والأخروية، مما هو معروف في المفهوم الإسلامي لترسيخ أصول العقيدة وتنمية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والثواب والعقاب والجنة والنار والصراط والميزان، والقضاء والقدر، وغير ذلك مما يكسب النفس الهدوء والاطمئنان والرضا في المنشط والمكره.

ومع ما تقدم نجد في قصص حوض الكوثر إعلاء قيمة الأعمال الصالحة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وبر الوالدين، وحب آل بيت رسول الله وعترته وأصحابه، كما أن التقصير في تكاليف الإسلام والزيغ عن طريق الشرع ودعوة محمد ـ ﷺ ـ تحرم من الالتحاق به والإنضمام الى زمرته أو الانتساب الى أمته (وإني سائلكم حين تردون على عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله، سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به، ولا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي..).

هل توجد صلة بين قصص الحوض والقصص الغربي؟

أثبتت دراسات الأدب المقارن وتاريخ الأدب والدراسات النقدية تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي بعد عصر النهضة، ووضح ذلك في بعض الأجناس الأدبية، ولا مجال لذكرها الآن، وقد أشرنا ـ فيما سبق ـ الى تأثر (دانتي) في الكوميديا الإلهية، بقصة الاسراء والمعراج، وبرسالة الغفران للمعري. وهناك دراسات متأنية ودقيقة لبعض الباحثين الغربيين تكشف عن أثر

الكوثر نهر في الجنة.. عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب

من العناصر المهمة في القصص النبوي الأسلوب والتصوير الذي يجمع عناصر الجمال الأدبي

التراث الإسلامى فى الأدب الغربى قبل ظهور (دانتى) وبعده، مما يضع سمات بارزة لا تخفى على منصف فى بحثه، فالتشابه بين القصص الإسلامية والقصص المسيحية مثل قصص المغامرات والرحلات (أمر يعبر فى حد ذاته عن الأثر الإسلامى، غير أنه توجد دلائل أخرى على التشابه فى الخطوط العامة. فقد بين فيكتور شوفان، فى كتابه القيم الضخم، الذى وضعه فى الأدب القصصى الإسلامي أن عددا من الأحداث والملامح الوصفية، قد انتقل من القصص الإسلامية الى القصص المسيحية، وهكذا استبان أن قصص هرزوج أرنست، وما ينرخ درلوفى، وراينغريد البرنزويكى، وهيو البوردوى وجيران، قد استمدت جميعا من قصة أمير خوارزم العربية..(١٤).

وتبدو الصلة بين القصص الاسلامى والقصص الغربى فيما يتعلق بالحياة الآخرة، حيث أخذوا فى قصصهم ما يشيع فى عقيدة المسلمين وطبعوا به أدبهم، الأمر الذى كانت الكنيسة تنكر عليه، لقيامه على النماذج الإسلامية، ومما يتشابه فى هذا المجال مع قصص الحوض ما جاء فى وصف الحفل السماوى(١٥) (يركب جميع المدعوين، الرجال فوق أصائل الخيل يقودهم محمد، والنساء فوق النياق تقودهم فاطمة الزهراء يركب محمد البراق وهو يرفع لواء أخضر..) يتشابه هذا الموكب مع موكب الفرسان المسيحى فى التفاصيل الوصفية. حيث جاء فى القصة المسيحية، أن مريم قدمت فرسانها على جياد سريعة ، لم ير أحد مثلها على الأرض ، حمراء اللون، أسرع من ذكور الأيائل أو الريح العاصفة فوق البحر، سروجها من الذهب المرصع بالزمرد.

وربما لم تتضح الصورة بتقديم قصة الحوض على أنها حفل سماوى، ولكن نعرض النص الذى سقناه فى هذا البحث(١٦) والذى جاء فيه: (حوضى أشرب منه يوم القيامة ومن اتبعنى)، ثم يقول - ﷺ: (ابنتى فاطمة على العضباء، وأحشر أنا على البراق.. ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة، يقدمنا بالأذان..).

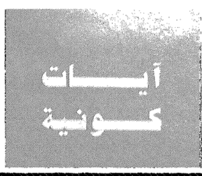
وقد شاع فى أوربا فى القرون الوسطى اعتقاد بأن الصلاة والصيام والاحسان أمور تساعد على تخفيف العذاب، وهذا الاعتقاد استطاع أن يقاوم معارضة الكنيسة، التى تمسكت تمسكا شديدا بعقيدة العذاب الأبدى الشامل ، وقد يكون السبب فى انتشار هذا الاعتقاد اتصال المسيحيين بالعقائد الإسلامية المتعلقة بالاخرويات وهى عقائد اكثر رحمة من العقائد المسيحية الرسمية(١٧) ومثل ذلك قدمناه فى قصص الحوض فى قول النبى - ﷺ - (إنى رأيت البارحة عجبا.. ورأيت رجلا من أمتى، يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه..)

هذه صورة موجزة تكشف عن تأثير القصص الاسلامي عامة والقصص النبوى خاصة فى الأدب الغربى، ومع ذلك يتشدق بعض المتشدقين بأن الأدب العربى لا يعرف القصة إلا بعد اتصاله بأوربا فى العصر الحديث. ولا شك أن مثل هذا القول من الحلقات المتصلة والخطط الموضوعة للتقليل من شأن التراث الاسلامي، ومحوه وإزالته، وإحلال الثقافات والمفاهيم الغربية محله، وهى تهدف أخيرا الى تنحية الاسلام من العقول ثم من فوق الأرض.. فهل يتنبه قومنا!!!؟

الهوامش :

(١) المختار الصحاح.
(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٥٣٥.
(٣) الفرط - بفتحتين - الذى يتقدم الواردة ومنه قيل للطفل الميت: اللهم اجعله لنا فرطاً.
(٤) انظر ما كتبه الدكتور محمد غنيمى عن أدب (مدرسة القبور) عند الرومانتيكيين ص٣٩.
(٥) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص٥٥٦.
(٦) المرجع السابق ص٥٥٧.
(٧) كنز العمال جـ١٤ ص٤١٦، ومنتخب كنز العمال جـ٦ ص٨٩.
(٨) لا يغبر.
(٩) كنز العمال جـ١٤ ص٤٢٦ وما بعدها.
(١٠) المرجع السابق ص٤٢٠.
(١١) منتخب كنز العمال على مسند الامام أحمد جـ٦ ص٩٢.
(١٢) الثَّقل: الشيء النفيس الخطير.
(١٣) كنز العمال جـ١٤ ص٤١٧.
(١٤، ١٥، ١٦) ميجيل آسين: أثر الاسلام فى الكوميديا الالهية ص١٩٩، ص١٩٦، ص٣٨٦.
(١٧) أثر الاسلام فى الكوميديا الإلهية ص٢١٧.

الكوثر نهر تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل



لقد ملّك المولى سبحانه وتعالى كل شئ في هذه الأرض للإنسان، إلا الهواء فإنه لم يُملّكه سبحانه لأحد. لأنه لا يمكن للحياة أن تدب في أجسامنا وتستمر ما لم يتوفر لها هذا الهواء دون انقطاع، فهو متطلب أساسي ضروري للحياة.

وقد ندرك جزءاً من الحكمة في عدم تملك الهواء من خلال التعرف على أن الذى يمتلك الشيء من حقه أن يمنعه عن الآخرين، وقد يمنع إنسان الطعام والشراب من إنسان آخر لمدة يوم أو يومين، إلا أن ذلك الذى مُنع عنه الطعام والشراب قد يستطيع مواصلة الحياة خلال هذه المدة، ويواصل الحياة بعدها أيضاً إذا قُدِّم له الطعام والشراب.

وعلى الرغم من أن الطعام والشراب يعتبران من المتطلبات الأساسية والضرورية للحياة إلا أن الإنسان يستطيع تحمل الجوع والعطش نحو هذه المدة، لكنه لا يتحمل قط البعد عن الهواء اكثر من دقائق معدودات، فنحمد الله على انه لم يملّك الهواء لكائن من كان.

هذا الهواء (المحيط الهوائى) هو المقوم الأساسي والضروري للحياة، وهو الذى لا يملكه أحد سوى المولى سبحانه وتعالى يحتاجه الإنسان نقياً بقدر كبير، إلا أنه وكما نعرف أن التزايد المضطرد في نشاطات الانسان المختلفة من حركات التصنيع، واستعمال المبيدات الكيماوية، والنقل، والمواصلات، والتسليح، وكثير من مستجدات هذا العصر. كل ذلك من شأنه أن يعمل وبشكل دائم ومستمر على تلويث الهواء وإفساده، فيتسبب الإنسان بذلك في ضرر نفسه وممتلكاته الحية وغير الحية، وفي الإضرار بالصحة العامة، مما قد يؤدي ـ بلا شك ـ إذا

ـــــاء.. واعجـــاز

بقلـــم: د. عبدالبديـــع حمـزة زللي
جامعة الملك عبدالعزيز - المدينة المنورة

استمر الحال على هذا النحو دون التخلص من ملوثات الهواء وتنقيته من هذه الملوثات والأدران - الى هلاك جماعي ودمار كلي.

ورغم أننا ندرك جميعاً أن الهواء لا يزال يتلوث بشكل متزايد بالغازات السامة والجسيمات الدقيقة المؤثرة في صحة الإنسان والحيوان والنبات على حدٍ سواء إلا أننا نجد أن الدمار في البيئة لا يكاد يتناسب مع حجم الملوثات، والمفترض أنها تراكمت فيه بكميات هائلة، كما أننا نجد أنفسنا وما نملكه من كائنات حية نعيش - بحمد الله - بصورة طبيعية ومُرْضيَة على الرغم من استمرار تلوث الهواء. فما سر ذلك؟.

ذلك السرُّ ندركه من خلال معرفة ان المولى جلت قدرته قد تكفل بحمايتنا من التلوث المستمر والدائم للهواء عن طريق آليات أو عمليات أوجدها سبحانه في هذا الكون لإزاحة الملوثات عن الهواء وتنقيته من أدرانه وأوساخه إن جاز لنا هذا التعبير.

الحماية الربانية:

تشير المراجع الرئيسية للتلوث البيئي(٢) ، (٣) ، (٥) ، (٦) الى أن الهواء يتخلص من ملوثاته الغازية والجسيمية عن طريق آليات أو عمليات معينة أودعها الله سبحانه وتعالى في البيئة. ومن هذه الآليات أو العمليات ما يسمى بعمليات الهوي وعمليات الترسيب وعمليات الاصطدام الالتصاقي وعمليات الغسل. وما يهمنا من هذه العمليات في هذا المقال هي عمليات غسل الهواء، حيث لا مجال هنا لشرح بقية العمليات، وسوف نعرض بشرح مُبسَّط لعمليات غسل الهواء، ثم نوضح كيف نستشف من خلال دعاء نبوي شريف الإشارة الى هذه العمليات على نحو يدل على الإعجاز.

> **"من رحمة الله بعباده أنه لم يُمَلِّك الهواء لأحد من خلقه"**

بالإضافة الى العمليات السابق ذكرها والتي تعمل على تخليص الهواء من ملوثاته فإن هناك أيضاً ميزة أو خاصية قد أودعها الحكيم الخبير في المحيط الهوائى الذى يحيط تماماً بالأرض كي يحمينا سبحانه من الملوثات التي تصيب الهواء، فمن المعروف جيداً أن درجات حرارة الهواء تقل كلما ابتعدنا عن سطح الأرض حتى نصل الى حدود معينة، ونجد هنا أن المولى الرحيم قد حمى البشرية والكائنات الحية بأسرها عن طريق هذه الميزة أو الخاصية بتقليل التعرض للملوثات الهواء، فالغازات السامة والجسيمات الدقيقة خفيفة الوزن، ومن لحظة انطلاقها من مصادرها فهي تصعد لمسافات عالية عن سطح الأرض، **إذ وضع الله في المواد خاصية الانتقال من الأوساط الهوائية الحارة الى الأوساط الهوائية الباردة، وبذلك تبتعد ملوثات الهواء عن الهواء الحار الملامس لسطح الأرض الذى يعيش فيه الانسان والكائنات الحية الى الهواء البارد البعيد عن سطح الأرض.**

أما عن تخليص الهواء من ملوثاته الغازية والجسيمية بواسطة عمليات الغسل، فقد دلت الدراسات والأبحاث (٤) ، (٦)، أن ماء المطر هو الوسيلة المثلى لإزاحة الملوثات الغازية والجسيمية وكذلك البرد والثلج والضباب.

إعجاز علمي يتكشف من دعاء نبوي شريف:

ورد في صحيح البخاري(١) أن المصطفى ﷺ كان يدعو بين التكبيرة والقراءة بقوله: **«اللهم باعد بينى وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما يُنَقَّى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد».**

ونجد في هذا الحديث الشريف أن المصطفى ﷺ مثَّل الذنوب والخطايا بالدنس والأدران التي

تصيب الثوب الأبيض النقي، وهو تشبيه غاية في البلاغة والجمال، فلو أن أحدنا كان يرتدي ثوبا أبيض نظيفا ووقعت عليه نقطة من الحبر مثلا لوجد حرجاً بالغاً في ارتداء الثوب ما لم يزل بقعة الحبر التي أصابت الثوب على الرغم من نظافته إلا من هذه البقعة، التي قد تلفت الأنظار اليها لوضوحها تماما بسبب بياض الثوب، أما لو كان الثوب أسود مثلا لما ظهرت البقعة بنفس الوضوح، بل ربما لا يلحظها أحد.

ويبدو لنا الاعجاز من جانبين اثنين. الجانب الأول: وهو إعجاز في الاخبار، والجانب الثاني: وهو إعجاز في ترتيب الألفاظ.

إعجاز في الاخبار :

كلنا يعرف أن الوسيلة المثلى لإزالة الأوساخ والأدران والدنس هي الغسل بالماء، ولكننا نرى أن الحديث قد اشتمل على أن الغسل يتم **بالماء والثلج والبَرَد**. فما علاقة الثلج والبرد بالغسل؟.

سبق ومرَّ بنا أن الأبحاث والدراسات قد أثبتت أن الهواء يُغسل من أدرانه وأوساخه - إن جاز التعبير - بواسطة ماء المطر، والثلوج التي تهبط من السماء، وبواسطة البَرَد، ومن هنا نلمس أن الحبيب المصطفى ﷺ كأنه يوضح لنا من خلال هذا الدعاء أن الثلج والبرد وسيلتان من وسائل إزالة الأوساخ والأدران.

إعجاز في ترتيب الألفاظ:

نجد أن الحديث الشريف قد **قدَّم الغسل بالماء أولاً، ثم أتى بالثلج ثانياً وأخيراً البَرَد**. ونجد أن هذا الترتيب يتفق بصورة رائعة ومدهشة مع الواقع، إذ يأتي ترتيب عمليات غسل الهواء بالماء أولا ثم يليه الثلج ثم البرد. ولكن كيف؟.

نجيب عن هذا السؤال من خلال الوقوف على كلٍ من: الحالة الطبيعية، ودرجات الحرارة للماء



والثلج والبرد.

١ - الحالة الطبيعية:

من المعروف أن الماء سائل في حالته الطبيعية، وأن الثلج صلب إلا أنه هش وخفيف، أما البرد في حالته الطبيعية فيكون صلبا قاسيا. فالحالة الطبيعية للماء تجعل كل قطرة من قطرات المطر مسخرة - بإذن الله - لتنظيف وتنقية الهواء من الغازات السامة التي تذوب في الماء، وتنظيفه أيضاً من الغبار والجسيمات

الانسان يستطيع تحمل الجوع والعطش

الدقيقة التي يذوب بعضها مع ماء كل قطرة، بينما تبقى بعض الجسيمات غير القابلة للذوبان في الماء معلقة في القطرات فتزاح كل هذه الأشياء عن الهواء بسقوط المطر. ولهذا فإن الماء يحتل المرتبة الأولى في عمليات الغسل.

أما الثلج والمقصود به هنا الثلج الذي ينزل من السماء وليس الثلج الصناعي، فهو يتركب من كُتَلٍ من بلورات مائية كثيرة، بينها مسافات بينية كبيرة، ويتشكل على هيئة القطن مما يجعله خفيف الوزن على الرغم من كبر حجمه، إلا أن السطح المعرض للهواء منه يكون كبيرا، ولأنه صلبٌ هشٌ فذوبان الغازات والجسيمات به ليست كما هي الحال مع ماء المطر إلا أن كبر المساحة المعرضة للهواء، ووجود الفراغات البينية الكثيرة تسمح له أن يجرف معه عند نزوله الى الأرض هذه الملوثات التي تلتصق على سطحه ويستقر بعضها في الفراغات البينية، ولهذا فإن الثلج يحتل المرتبة الثانية بعد الماء في عمليات الغسل.

أما عن احتلال البَرَد للمرتبة الثالثة فذلك يعود الى أن البرد عبارة عن كتل كروية، أو هي تشبه ذلك، صلبة قاسية، مكونة من بللورات مائية متماسكة لا تترك بينها المسافات والفراغات البينية كما هو الحال في الثلج، ولذلك فإن السطح المعرض للهواء من البرد يكون صغيرا جدا مهما كبرت كتل البرد ولهذا فإن كمية ما تجرفه كتل البرد من الملوثات التي تلتصق على سطحه تكون أقل منها في حالة الثلج، ومن هنا احتل البرد المرتبة الثالثة في عمليات غسل الهواء.

٢ - درجة الحرارة:

من المعروف أن التفاعلات الكيميائية تزداد عادة بزيادة درجات الحرارة، وتقل بنقصان درجات الحرارة. ومعروف أيضاً أن درجة حرارة الماء أعلى بكثير من درجة حرارة الثلج، وأعلى أكثر من درجة حرارة البرد، ومن هنا أيضاً احتل الماء المرتبة الأولى في غسل الملوثات، إذ ان ارتفاع درجة حرارته التي تبلغ أضعاف درجة حرارة الثلج تسمح بتفاعل الملوثات معه بسهولة ويسر، بينما يؤدي انخفاض درجة حرارة الثلج الى احتلاله للمرتبة الثانية، ويليه بعد ذلك البرد الذي تكون درجة حرارته أقل من درجة حرارة الثلج.

ومن خلال ما تقدم شرحه ندرك أن وجود الملوثات فى الهواء يمثل خطرا عظيما على صحة الانسان والكائنات الحية الأخرى، وانتقال الملوثات من الهواء إلى الأماكن الأخرى عبر العمليات والوسائل التى

سبق شرحها قد يعني استمرار الخطر. فما سرّ انتقالها إذاً من موضع إلى آخر؟ وعلى أي صورة تنزل هذه الملوثات؟.

هذا ما سنعرفه بإذن الله فى المقال التالي.

الهوامش

(١) ابن حجر العسقلانى، الإمام الحافظ بن على، فتح البارى بشرح صحيح البخارى، المجلد ٢ - باب ما يقال بعد التكبير - الطبعة الاولى - القاهرة: دار البيان للتراث ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٢) C.O.E (1969) Cleaning Our Envisonment. The Chemical Basis For Action. A Report by The subcommittee on Envisonmental Improvement, Committee on Chemistry and Public Affair . Americen Chemical Society . Washington. D.C.

(٣) Holdgate, M.W. (1980) A Perspective of Environmentr Pollution Cambridge University Preas, Cambridge U.K.

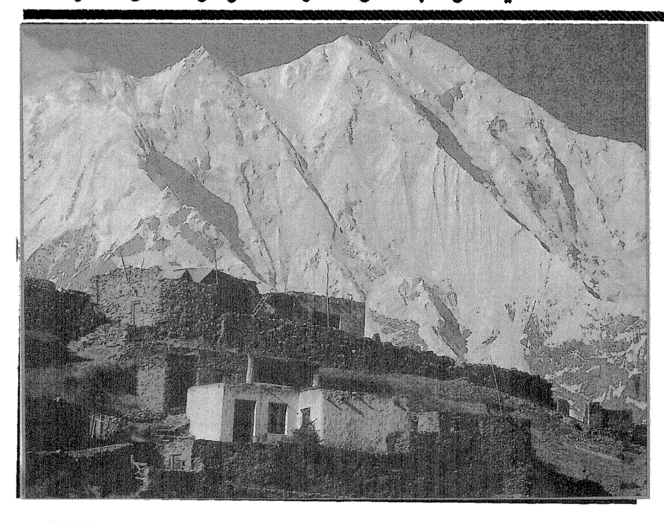
(٤) Mohnen, V.A. (1988) Challenges of Acid Rain Scientibic American: 259 (2): 30-38

(٥) Smith, W.H (1976) Lesd Contamimtion of the Roadside 5cosyston Jousnal of Air Pollution Control Assouation 26: 753 - 766

(٦) Stern, C.A. el al (1973) Fundamental of Air Pollution. A. Subsidiory of Harcourt Brace Jovanvich Publishers, Academic Press, New York.

(٧) Sullivan D.A.O. (1985) European Caneern About Acial Rais is Crswing News Focus January 28:D -18

لدة لكنه لا يتحمل البعد عن الهواء أكثر من دقائق معدودات



شـعـر:

في ذكـرى موكب النبوة

فخري بن حسين عزي
جـدة

هذه القصيدة [في ذكرى موكب النبوة] آخر قصيدة للأستاذ الشاعر «فخري بن حسين».. والقصيدة التالية «بقية حوار» أنشأها الدكتور بهاء بن حسين عزي يرثي فيها أخاه..

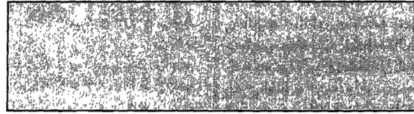
مَنْ شاد مجد الناس مجدَ الأنامْ
مَنْ أعزَّ الجانب ورفع المقامْ
مَـنْ فتـح تلـك الفتـوحَ
ومشـى بنوره يبني السلامْ
مَـنْ شـاد دور العـلم
بنـي المساجـد قهر الظلامْ
مَـنْ تُراه يكـون هـذا الهُمامْ
أهو بشر مثلنا؟ أم ابن آمنة؟
علـيه الصـلاة ، علـيه السلامْ
جـاء نوراً مـن الله مُصَفّىً
فارتفق المجد وتوشح الإسـلام
آيـةٌ فـي آيةٍ تهزها الأعلام
معـجزة فـي أحـرف تتهـادى
يَرِقُّ القلب ويخفق الدمع لها كالرُّهامْ
ما جـرت عَبْـرَة فـي مآقـي بشر
إلا وفـيـها من الإيمان أحلامْ
يا فجـرَ هذا الوجود يارجعَ صداه
أنت مني أحبُّ من النفس والمقام
يا نبـي الـله أتباعُـك صرعي
بسيوف حملتـها للسـلام
أمـة تلاقـت علـى نفسـها
فمن ذا يُعَاتَـب ومـن ذا يُلام
صقبُوا نظيـم المجد في أصدافه
وشقُّوا عصـا الطاعة لكل إمام
ويفخرون بضرب الكفر فيهـم
ويلبسون له لباس المجد والأوهام
فتلـك عُظمـى وذاك أعـظـم
ومـن تـرى فينـا يَشـدُّ اللثام
حيارى على الأرض لا نهتـدي
وأتبـاع موسـى بـأرض الحرام
يلوكون إفكا ويجنـون مـجداً
ونـحن على الأرض تحت الحزام
أفـض بنـورك فقـد كفانـا
مـا نـحن فيـه أمـّة الإسـلام
عليك الصلاة ، عليك السـلامْ
عليك الصلاة ، عليك السـلام

كما هي حال القبر .. يأوي ولا يدري
جهول ثوى باللحد أم جهبذ الفكر
ونُشْغلُ بالتفكير في كلٍّ رحلة
عن الأجر يعطاه النزيل الي القبر

وقد يُبتغي كَيْلٌ على قدر الهوى
ولكن كيل اللحد من ثقل القدر
ثُويت جنان الخلد يا صاحبَ الحجا
فقدرُك بالإيمان يُجزل في الأجر

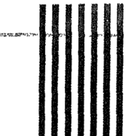
بقية حوار
مع الأديب الراحل
السيد فخري
ابن حسين عزي
يرحمه الله

الدكتور / بهاء بن حسين عزي - جدة -



تباهي إذا حدثت عنها شريعةً
تصول على أعدائها أسداً يفري
وما جاء من يبغى بكيد وشُبهةٍ
على الدين إلا قد رددت الى النحر
تُجادل عن علم لإصلاح فكره
وكنت الى الإصلاح أسرع من يجري
فهابك أبطال الكلام بفسقهم
وقد علموا أن الجدال له (فخري)
وها أنت بعد البَين تأتي ليثرب
وتُلقي عصى التسْيارِ فيها ولا تدري
هي الأم قد برّت فبرٌ وليدها
وها هي في شوق الي الولد البر
أطالع أنوارا بدى لي شعاعها
بوجهك ضوء البدر في دربه يسري
تطوف بي الذكرى سنين حياتنا
وفيك تُبكي الذكرياتُ لدى الذكر
وكنتَ أخي أهفو إليك قرابة
وقد زاد في القربي دخولك في صهري
وأنت رفيق العمر منذ بداية
فجاء رحيل منك أحسبِهُ عمري
بغينا من الأيام نَوْمَ صفائها
وما بغت الأيام نوما على أمر
وإن كنتُ لا أدري عزاء لوحشتي
ولكنْ بإسم الله نبدأ في الصبر





كتب وتراث

أقدم الدكتوران، الراحل مهدي المخزومي ، وابراهيم السامرائي، على تحقيق «كتاب العين» الشهير للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠هـ - ١٧٥هـ)، واصدراه في ثمانية أجزاء، بعد مصاعب جمة، عرفها كل من تنكب لتحقيق هذا الأثر الفريد في تاريخ اللغة العربية فالمعجم هذا هو أول المعاجم العربية قاطبة، وربما في العالم، عدا انه يعود لأحد كبار علماء العربية، والي عهد ما بلغتنا منه نصوص مكتوبة إلا فيما ندر، بل مروية خصوصاً . فهل انتهى الجدال، مع صدور التحقيق، حول هذا الكتاب، وحول نسبة تأليفه؟

الدكتور شربل داغر (لبنان) يعالج في خمس حلقات هذا الموضوع الشائك والشيق في تاريخ العربية.

التحقق من تحقيق «كتاب العين» للفراهيدي

(الحلقة الأولى)

د. شربل داغر - لبنان -

لا نبالغ إذا قلنا أن «كتاب العين» يمثل حالة سجالية في تاريخ التأليف اللغوي والمعجمي العربي، منذ الخبر الأول عن تأليفه حتى أيامنا هذه. وهو سجال يعود الى ظروف تأليفه، من جهة ، وإلى أسبقيته الحاسمة والمتميزة في التأليف المعجمي العربي من جهة ثانية. لن نستعيد تفاصيل هذا السجال أو حججه، فالشواهد القديمة والتآليف الحديثة في هذا الشأن عديدة، سنكتفي بتبين أسباب الخلاف وبواعثه، وهي على ما تبينا تعود الى ظروف تأليفه في المقام الأول.

كتاب العين - المشكلة:

قد يكون مفيداً ذكر الرواية التي ساقها ابن النديم في «الفهرست» عن «كتاب العين». وهي التالية: «قرأت بخط أبي الفتح بن النحوي صاحب بني الفرات، وكان صدوقاً منقراً بحاثاً - قال أبو بكر بن دريد **وقع بالبصرة كتاب العين سنة ثمان وأربعين ومئتين قدم به وراق من خراسان، وكان في ثمانية واربعين جزءاً فباعه بخمسين ديناراً، وكنا نسمع بهذا الكتاب أنه بخراسان في خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق(١)**.

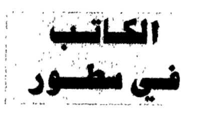
يتضح من هذه الرواية أن الكتاب لم يظهر في البصرة إلا فى العام ٢٤٨هـ، أى بعد مرور سبعين سنة على وفاة الخليل (في ١٧٥هـ)، من دون ان يعني هذا أن أهل البصرة لم «يسمعوا به» سابقا.

أثار هذا «الظهور» المتأخر الجدال حوله، وحول نسبته للخليل. ذلك أن للمعجم هذا راوية واحداً، هو الليث، تلميذ الخليل.

فكيف حدث أن تلاميذ الخليل الآخرين، مثل النضر بن شميل ومؤرج ونصر بن علي وأبي الحسن والأخفش وأمثالهم، لم ينقلوه عن الخليل أو لم يتحدثوا به؟ إلا أن هذا

الخلاف، على قيمته التاريخية، **يتصل بمعرفة ما إذا كان الخليل هو واضع الكتاب برمته، أم أنه «رسم» خطته وحسب ووضعه الليث من بعده، أم أن الخليل وضع رسم الكتاب و«حشا» قسماً من متنه ثم أكمله الليث؟.**

هنالك، اذن، مشكلة نسبة الكتاب، ومشكلة اخرى لا تقل قيمة عنها،



*** أستاذ جامعي في اللغة العربية والجماليات.**
*** كاتب وصحفي.**
*** له جمهرة من المؤلفات منها:**
- فتات البياض، مجموعة شعر.
- التقاليد الشفوية العربية باللغة الفرنسية.
- الشعرية العربية الحديثة.
- دم أسود / مختارات شعرية.
- الحروفية العربية .. فن وهواية.
- سنغور الافريقي ذو النزعة الانسانية/ باللغة الفرنسية.

وهي مشكلة النسخ والمخطوطات التي وصلتنا من «كتاب العين»، التي أثارت مصاعب جمة عند المحققين الكثر الذين أقدموا تباعاً على تحقيق هذا الأثر الفريد.

فلقد تناوب غير محقق على تحقيقه، من دون أن يفلح منهم أحد غير المحققين العراقيين، مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، في اخراج الكتاب كاملا، ووصوله إلينا، وحكاية تحقيق هذا المؤلف لا تقل تشويقاً، لا، بل صعوبة عن نسبة الكتاب نفسها.

ففي سنة ١٩١٤ أقدم الأب أنستاس ماري الكرملي على طبع فصل من «كتاب العين» في مطبعة «دار الأيتام» ببغداد، ثم توقف الطبع بسبب قيام الحرب العالمية الأولى. ثم تصدى في سنة ١٩٦٧ **الدكتور عبد الله درويش** للمهمة نفسها، فأصدر الجزء الأول منه في «مطبعة العاني» ببغداد، ثم توقف عن إكمال الطبع بعد أن تنبه لبعض المآخذ الواردة في تحقيقه. بعد ذلك سعى **الشيخ محمد حسن آل ياسين** لتحقيق الكتاب فنشر مقدمته في سنة ١٩٧٧ في العددين التاسع والعاشر من مجلة «البلاغ» ثم توقف عن إكمال العملية بعد تكليف وزارة الإعلام العراقية للدكتورين مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي تحقيق الكتاب. فما مشكلة الطبعة المحققة؟.

كابد غير محقق مشاكل تحقيق هذا المعجم **بسبب تأخر المخطوطات الزمني من جهة، واشتمالها على أغلاط وزيادات عدد من النساخ، من جهة ثانية، فمخطوطات الكتاب، التي عمل عليها المحققان، تعود في أقدمها الى سنة ١٠٥٤هـ أي أنها مخطوطات متأخرة.**

كما لاحظ الدكتور الفرطوسي في دراسته «محاولة جديدة في دراسة كتاب العين»، في سنة ١٩٨٧، وجود مخطوطات أخرى عن «كتاب العين» أشار إليها الباحثون فيما مضى، مثل بروكلمان والدكتور صلاح الدين المنجد، من دون ان تصلنا على ما يبدو، ومن دون ان يشير اليها المحققان.

وكانت كلما صدرت محاولة لتحقيق هذا الكتاب يتناوب عليها الدارسون بالنقد مبينين أخطاءها وعثراتها، حتى ان الدكتور درويش توقف عن تحقيقه للمعجم، كما أسلفنا القول، بسبب من هذه المصاعب. ماذا بامكاننا ان

«كتاب العين» يمثل حالة سجالية في تاريخ التأليف اللغوي والمعجمي

«كتاب العين» يعد أول المعاجم العربية قاطبة وربما في العالم

نضيف على هذا النقاش حول المشكلتين؟ هل نقوى على زيادة حجج (اى على دحض بعضها او تصحيح بعضها الآخر) في هذا السجال، الذي أفاض فيه القدماء، ولا يخلو منه اى كتاب عربي حديث عن النحو او المعاجم؟.

يمكننا ان نثير السؤال، بداية، ذلك ان هذه الحجج ـ فيما عدا القليل منها ـ تقوم على الظن والتخمين، ليس إلا: فهذا «يربأ» بالخليل ان يقول هذا القول، وذاك يجد ان «التخليط» (على ما يعتقد وجوده في المعجم) لا يمكن ان «يُنسب» للخليل، الى غير ذلك من «التجاذبات» التي أصابت ولا تزال تصيب «كتاب العين» ، فما حقيقة الاختلافات هذه؟.

وجدنا ، بعد مراجعة الأجزاء الثمانية، من «كتاب العين» المحقق، والسجال النقدي الدائر حوله قديماً وحديثاً، أن الإختلافات هذه تعود إلى ثلاثة أصول:

١ ـ تبين الروايات المختلفة التي تقع في أساس ما وصلنا من «كتاب العين ».

٢ ـ تبين حال المادة اللغوية في «كتاب العين».

٣ ـ تبين نسبة الكتاب الى الخليل، او الليث، او لهما، او مع غيرهما.

فقد بدا لنا ضرورياً قبل الشروع بمراجعة الكتاب محققاً، أن نعود الى النسخ والروايات التي عوّل عليها المحققان العراقيان، ومقارنتها بما هو معلوم او متوفر من نسخ وروايات أخرى.

مراجعة الروايات :

عاد المحققان العراقيان الى مخطوطات متأخرة، هي التالية:

- **نسخة السيد حسن الصدر**: ويعود تاريخ كتابتها الى سنة ١٠٥٤هـ، وجعلها المحققان «الأصل» لأنها أقدم النسخ الثلاث وأقلهن خطأ او تصحيفاً.

- **نسخة طهران**: وهي موجودة في مكتبة مجلس النواب، ويعود تاريخ نسخها الى سنة ١٠٨٧هـ.

- **نسخة مكتبة المتحف في بغداد**: ويعود نسخها الى سنة ١٣٥٠هـ.

النسخ «متأخرة» كما أسلفنا القول، كما ان نساخها لا يوردون مصادر النسخ التي نقلوا عنها، فيما عدا إشارة أوردها ناسخ النسخة الثالثة، **محمد بن الشيخ الطاهر المعروف بالسماوي في النجف**، ويقول فيها انه نقل عن «نسخة كثيرة التحريف والتصحيف قاسيت فيها عرق القربة» من دون ان يعين تاريخها، الا اننا نجد في النص المحقق ما يفيد عن رواية المخطوط: قال أبو معاذ عبد الله بن عائذ: حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما في هذا الكتاب» الا ان الباحث **محمد حسين آل ياسين** توقف وتبين خمس طرق اخرى وصلت بها رواية «العين» عن الليث، وهي الطرق التالية:

(١) ـ طريق شمر بن حمدويه: (٢٥٥هـ، الذى رواه عن محارب، عن الليث).

(٢) ـ طريق ابن دستويه (٢٨٥هـ، الذي اخذه عن حفيد الليث، عن الليث).

(٣) ـ طريق احمد بن فارس (٣٩٥هـ، الذي أخذه عن علي بن ابراهيم القطان، عن أبي العباس احمد بن ابراهيم المعداني، عن ابيه ابراهيم بن اسحاق، عن بندار بن لزة الاصفهاني ومعروف بن حسان، عن الليث).

(٤) ـ طريق ابي علي الغساني (الذي اخذه عن الحافظ ابي عمرو بن عبد البر، عن عبد الوارث بن سفيان، عن القاضي منذر بن سعيد، عن ابي العباس احمد بن محمد بن ولاد النحوي، عن ابيه، عن ابي الحسن علي بن مهدي، عن ابي معاذ عبد الجبار بن يزيد، عن الليث).

(٥) ـ طريق ابن خير الاشبيلي (٥٧٥هـ، الذي أخذه عن ابي الحسن يونس بن محمد بن مغيث، عن القاضي ابي عمر احمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء، عن ابي القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون، عن القاضي منذر بن سعيد البلوطي، عن أبي العباس احمد بن محمد بن الوليد المعروف بولاد التميمي النحوي، عن ابيه محمد بن الوليد، عن ابي الحسن علي بن مهدي، عن ابي معاذ عبد الجبار بن يزيد، عن الليث).

وصلتنا، اذن، من هذه الروايات الطريق الأولي، طريق ابي معاذ عبد الله بن عائذ التي عمل عليها المحققان العراقيان. ولكن، ألا نجد، والحالة هذه في المظان مواداً عائدة الي الروايات الأخرى؟ وردت في عدد من المعاجم العربية القديمة نقول عدة عن «كتاب العين» كما في «التهذيب» للأزهرى أو في «لسان العرب» لابن منظور وفي غيرها، وقام المحققان بمقارنة هذه النقول مع النسخ التي عملوا عليها، ما عزز الثقة بطبعتهما المحققة.

هذا ما قمنا به بدورنا، مع معجم لم يتناوله المحققان بالمراجعة، وهو «مقاييس اللغة» لإبن فارس (٣٩٥هـ) ووجدنا ان هذه العودة نافعة، لان ابن فارس يصرح في بداية معجمه بتعويله على نسخة من «كتاب العين» وصلته عن طريقين آخرين، من الطرق الستة المعروفة لـ«العين» وهما طريقا بندار بن لزة ومعروف بن حسان: فأعلاها (أى المعاجم العربية) وأشرفها كتاب أبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد، المسمى «كتاب العين» أخبرنا به علي بن ابراهيم القطان، فيما قرأت عليه،

أخبرنا أبو العباس احمد بن ابراهيم المعداني، عن أبيه ابراهيم بن إسحاق عن بندار بن لزة الأصفهاني، ومعروف بن حسان عن الليث، عن الخليل، أي ان مقارنة مادة «مقاييس اللغة» المأخوذة من «كتاب العين» بالمادة الواردة في طبعة «العين» المحققة تمكننا من زيادة الوثوق بهذه الطبعة، وتخفف بالتالي من الهوة الزمنية الواقعة بين النسخ «المتأخرة» التي عمل عليها المحققان العراقيان ونسخة ابن فارس التي تعود الى القرن الهجري الرابع على الأقل. فما كانت الخطة المعتمدة؟.

عدنا الى المداخل اللفظية في معجم ابن فارس، مكتفين بمراجعة نقول «العين» الواردة في جزء وحسب من أجزائه الستة، هو الجزء الأول وقارناها بما يقابلها في المعجم الخليلي المحقق، فما كانت حصيلة المقارنة؟.

يمكننا القول، في صورة إجمالية، أن حصيلة المقارنة أتت إيجابية فغالب ما ينقله ابن فارس عن الخليل موجود في «كتاب العين» في طبعته المحققة، ولتبيان ذلك سنقدم بعض الأمثلة:

* ينقل ابن فارس عن الخليل التعريف التالي: «اللألل والألالان: وجها السكين ووجها كل عريض» (ص١٩)، ونقرأ في «العين» التعريف نفسه: «الألل واللألان: وجها السكين، ووجها كل شيء عريض» (٣٦٢/٨) كما نقرأ في المدخل اللفظي «أم» الدلالات التالية المأخوذة من «كتاب العين» حسبما يوردها معجم ابن فارس: «قال الخليل: كل شئ يضم اليه ما سواه مما يليه فإن العرب تسمي ذلك الشيء أما. ومن ذلك أم الرأس وهو الدماغ» (ص٢٢)، وهو ما نقع عليه في كتاب الخليل: «إعلم أن كل شيء يضم اليه سائر ما يليه تسمي ذلك الشيء أماً. فمن ذلك: أم الرأس وهو الدماغ» (٤٢٦/٨).

يمكننا ان نعدد الأمثلة، وهي ترد في ما يزيد على ٢٠٥ مدخلا لفظياً في الجزء الأول من «مقاييس اللغة» إلا ان ابن فارس لا يورد في بعض الأحيان المادة المنقولة حسبما نجدها في طبعة «العين» المحققة، إلا بعد أن يجرى عليها في بعض الأحيان شيئاً من التعديل الصياغي، كما نتبين ذلك في هذه الأمثلة:

* يفيد ابن فارس في المدخل اللفظى «أز» قال الخليل: الأز حمل الإنسان الانسان على الأمر برفق واحتمال (ص١٣)، وهو ما نقع عليه في «العين» على هذه الصورة: «الأز» أن تحمله على أمر برفق واحتيال حتي يفعله كأنه يزين له (٣٩٨/٧). كما يفيد أيضاً «قال الخليل: الأز غليان القدر» (ص١٣ ـ ١٤)، وهو ما نجده فى «العين» في القول التالي: وأزت القدر أزيزاً ، وائتزت ائتزازاً (٣٩٨/٨).

يمكننا أن نعدد الأمثلة، إذن، إلا أنها لا تفيدنا الشيء الكثير، سوى أن الإختلافات طفيفة للغاية مما لا يحسب له أي حساب في طرق التأليف القديمة، حيث كان النساخ لا يتأخرون أحياناً عن استعادة النقول في صورة صياغية مخالفة بعض الشئ. الى هذا، فان «مقاييس اللغة» لا يستعيد وحسب المتن التعريفي لعدد من الألفاظ بل ايضا الشواهد الشعرية المتصلة بها في «كتاب العين».

كما وجدنا في الجزء الأول من «مقاييس اللغة» معطيات أخرى تؤكد التشابه (حتى لا نقول التطابق التام) بين روايته عن «كتاب العين» والرواية الأخرى المدرجة في طبعة «كتاب العين» يؤكد إبن فارس في غير مدخل لفظى من المجلد الأول أن هذا اللفظ أو ذاك «مهمل» فى «كتاب العين» وهو ما نجده مهملا فعلا في

«كتاب العين» ظهر بعد سبعين عاماً من وفاة الخليل

المخطوطات التي عمل عليها المحققان ترجع أقدمها الى عام ١٠٥٤هـ

الطبعة المحققة: يفيد «مقاييس اللغة» على سبيل المثال، في المدخل اللفظي «أبث» وهذا الباب مهمل عند الخليل (ص٣٣)، وهو ما لا نجد له أثراً في طبعة «كتاب العين» كما يؤكد ابن فارس: «أما الخليل فذكر في بنائه (تور) ما ليس من أصله، وهو أستوأرت الوحش» (ص٣٥٧)، وهو ما نجده فعلا في طبعة «العين» استوأر (٠٠٠) الوحش (١٣٤/٨).

مثال آخر: «وذكر الخليل كلمة غيرها أصح منها، قال: التوع: كسرُك لباً أو سمناً بكسرة خبز ترفعه بها» (ص٣٥٩) وهو ما نجده في «طبعة العين» التوع: كسرُكَ لبّاً أو سمناً بكسرة خبز ترفعه بها (٢٢٦/٢).

إلى هذا يقع ابن فارس على تعريفات يوردها على أنها للخليل، كما ترد في مخطوطته عن «كتاب العين» ولكن يشكك في صحة نسبتها للخليل، كما في قوله هذا «وفي الكتاب المنسوب الى الخليل: يقال تركتُ الحبلَ شديداً أي جعلته شديداً وما أحسب هذا من كلام الخليل» (ص٣٤٦) بلى، هو من كلام الخليل حسبما يرد في الطبعة المحققة «تقول: تركت الحبل شديداً، أي: جعلته» (ص٣٣٦/٥).

إذا كان العدد الأغلب من نقول ابن فارس عن نسخة «العين» التي كانت بحوزته نجده في الطبعة المحققة من معجم الخليل، فإننا نقع على عدد يسير منها لا نجد له أثرا في الطبعة المحققة، وهو عدد يسير فعلا إذ لا يتجاوز ستة مداخل لفظية من أصل ٢٠٥ مدخلاً (ما يوازي ٢ر٨ بالمئة من مجموع النقول) فابن فارس ينسب الي الخليل أقوالاً لا نجدها، أي هى ساقطة من الرواية التي تستند اليها الطبعة المحققة، وهي المداخل اللفظية التالية: «أك» ص١٨، و«أرط» ص٨١و«أرث» ص٩٣، و«أنت» ص١٤٣، و«بدح» ص٢١٤ـ٢١٥، و«جح» ص٤٠٥، الى هذه المداخل اللفظية نتبين أيضاً سقوط بعض الاشتقاقات أو الدلالات في ثمانية مداخل لفظية، هي التالية: «أبر»، و«أتن»، و«أم» و«أبو» ، و«أمت»، و«أيي» ، و«أنف» ، و«بعو»:

- سقط من مادة «أم» القول التالي: «قال الخليل: الأم الواحد والجمع أمهات، وربما قالوا أمٌ وأمّات» (٢١) والقول التالي: «قال الخليل: أم التنائف أشدها وأبعدها» (ص٢٣).

- سقط من مادة «أبر» في «كتاب العين» القول التالي الوارد في «مقاييس اللغة» في ما أخذه من الخليل حسب قوله: قال الخليل: المآبر النمائم، واحدها مئبر. (قال النابغة، ديوانه، ص٤٠):

وذلك من قول أتاك أقوله
ومن دس أعداء إليك المآبرا

ويقال إنه لذو مئبر، اذا كان نماماً قال:

ومن يك ذا مئبر باللسا
ن يسنح به القول أو يبرح

(ص ٣٥).

- سقط من مادة «أبو» القول التالي: «قال الخليل: الأب معروف، والجمع آباء وأبُوَّة. قال:

أحاشي نزار الشام إن نزارها
أبُوَّة آبائي ومني عميدها

قال: وتقول: تأبيت أباً ٠٠٠» (ص٤٤)، ثم يستعيد معجم «مقاييس اللغة» ما نجده في «كتاب العين» (٤١٩/٨).

- سقط في مادة «أمت» القول التالي: «قال الله تعالى «لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً». قال الخليل: العَوَج والأمت بمعنى واحد» (ص١٣٧)، وهو ما نجده ناقصاً في «كتاب العين» (ص١٤١/٨)، حيث ترد الآية القرآنية من دون الجملة التالية «العوج والأمت بمعنى واحد» غير أن معناها وارد فى «كتاب العين» و«الأمت: أن تصب في السقاء ماء فلا تملؤه فينثني، وذلك الثني هو الأمت، وإذا ملِئ وتمدد فلا أمت فيه» (١٤١/٨).

- سقط من المدخل اللفظي «أنف» القول التالي: «قال الخليل: أنف اللحية طرفها، وأنف كل شئ أوله» (ص١٤٧)، ولا يرد في مادة «كتاب العين» (٣٧٧/٨ ـ ٣٧٨)، إذ سقط منه الجزء الأول من التعريف وحسب، أي: «أنف اللحية طرفها».

- سقط من مادة «أيى» القول التالي: «قال الخليل: خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم» (ص١٦٨) الذي لا نجده في «كتاب العين».

- سقط من المدخل اللفظي «بعو» القول التالي : «قال الخليل: هو (أي البعو) العارية، يقال استبعيتُ منه، أي استعرتُ. وقال أيضاً البَعْوُ القَمَرُ، يقال بعوته بعواً أي أصبت منه وقمرته قال:

صحا القلب بعد الإلف وارتدَّ شأوه
وردت عليه ما بعته تماضرُ

(ص٢٢٦)، ما لا نجده في «كتاب العين» (٢٦٥/٢).

كيف جرى الأمر؟ أهي هفوات الناسخين المعروفة؟ ربما، سيما، وأن العدد محدود بالمقارنة مع عدد عمليات الأخذ الواردة في مواد ٢٠٥ مدخلاً لفظياً. ولعلنا نجد هفوات الناسخين في هذا الأمر ايضاً: وهو أننا نقع على مواد «أول» في «مقاييس اللغة» في مدخلين لفظيين في «كتاب العين»: «إيل» (٣٥٨/٨) و«أول» (٣٦٨/٨).

الفروقات محدودة في نهاية المطاف، بين الرواية عن «كتاب العين» التي أخذها ابن فارس في معجمه «مقاييس اللغة» عن طريق بندر بن لزة ومعروف بن حسان، وبين رواية ابي معاذ عبد الله التي تعود اليها الطبعة المحققة من «كتاب العين» كما يمكننا ان نزيد على هذه المقارنة سنداً قوياً هو في أساس ما قام به المحققان العراقيان، وأدى الى عودتهما المستديمة عند تحقيق الكتاب الى نقول المعاجم الأخرى عن

«العين» فلا يخلو مدخل لفظى في الطبعة المحققة من إحالات ومقابلات مع مواد «تهذيب اللغة» او «لسان العرب» او غيرهما، وهي معاجم أخذت رواية «العين» عن طرق أخرى.

نخلص من هذه المقارنة الى الاستنتاج التالي: **في الحد الأدنى تكون الرواية (او النسخة) واحدة بين ما وصل الى ابن فارس ونسخ المحققين المتأخرة، ما يسد ثغرة في هذه الفترة الزمنية الطويلة، وفي الحد الأعلى قد تكونان روايتان (او نسختان) مختلفتان ما يسد الفترة الزمنية من جهة وما يعزز وثوقنا في النص نفسه. ان مجموع هذه التحققات أدت بنا الى القناعة التالية، وهي ان الطبعة المحققة توافق، على الرغم من بعض السقطات المحدودة والتعديلات الصياغية الطفيفة، عدداً واسعاً من الروايات القديمة، والتى تعود في الأكيد منها، الى ما قبل سنة ٢٤٨هـ (كما بينا ذلك في الحد التعريفي أعلاه).**

يبقى ان نضيف ملاحظة على الطبعة المحققة، وهي التالية: إن عودة المحققين العراقيين إلى بعض المعاجم ساعدتهما في تحقيق طبعتهما وفي عزو الأبيات الشعرية الى أصحابها، ولكن من دون ان يعودا في صورة تامة الى «مقاييس اللغة»، ولو فعلا ذلك لوجدا من المعطيات ما عزز طبعتهما المحققة، وما مكنهما أيضا من نسبة بعض الأبيات الشعرية الى مؤلفيها. فالمحققان يوردان بعض الشواهد الشعرية من دون هوية قائليها، التي لم يقعوا عليها في النسخ التي عملوا عليها، ولا في المعاجم الأخرى التي عادا اليها، فيما وقعنا على عدد من الأبيات المنسوبة فى «مقاييس اللغة» والواردة في طبعة « العين» من دون عزو. وهي الأبيات التالية:

- ففي المدخل اللفظي «ألك» (ص١٣٢)، في معرض الأخذ من كتاب الخليل، يرد الشاهد الشعري التالي للنابغة، وهو من دون عزو في طبعة «العين»:

أَلِكْني يا عُيَيْن إليك قولاً
ستحمله الرُّواة إليك عَنّي

(من قصيدة له في ديوانه، ص٧٨ من خمسة دواوين العرب).

- وفي المدخل اللفظي «أنى» (ص١٤١) ترد العملية نفسها، لا بل يرد البيت في صورة غير تامة، وهو للكميت، حسبما يؤكد محقق كتاب «مقاييس اللغة»، وهو البيت التالي:

قِفْ بالديار وقوفَ زائر
وتأنَّ إنك غير صاغر.

ويروى وتأيَّ (ويمكن العودة الى بعض أبيات هذه القصيدة في «الأغاني» ص١٥: ١١١، ١١٣، ١١٤).

- وفي المدخل اللفظي «أنث» (ص ٨/٢٤٤)، يورد المحققان العراقيان بيتاً بل يكملانه تبعاً لوروده في «التهذيب» وفي «لسان العرب» ، ويعزوانه لذي الرمة، إلا أن محقق «مقاييس اللغة» يذهب مذهباً آخر (ص١٤٤)، وهو أن البيت للفرزدق، وانه يشبه في جزء منه وحسب بيت ذى الرمة، ويورد البيت الصحيح:

وكنا إذا الجبار صعر خده
ضربناه تحت الأنْثَيَيْن على الكَرْد

(البيت في ديوان الفرزدق، ص٢١٠).

- هذا ما نقع عليه أيضاً في مادة «أم» في «كتاب العين» (٨/٤٢٥)، إذ يوردان بيتاً لأبى ذؤيب، من دون عزوه، فيما توصل الى ذلك محقق «مقاييس اللغة» (ص١٦٦)، وهو في ديوان أبي ذؤيب، والبيت هو التالي:

فلما اجتلاها بالأيام تحيزت
ثُبات عليها ذلها واكتئابُها

وغير ذلك أيضاً من الشواهد الشعرية.

«للدراسة صلة»

مقاييس اللغة لابن فارس لم يتناوله المحققان في تحقيق الكتاب

لو رجع المحققان لمقاييس اللغة لوجدا ما يعزز الطبعة المحققة

كتاب من التراث:

الموشح.. في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر

للمرزباني (الحلقة الأولى)

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الخراساني الأصل البغدادى المولد (٢٩٧ ـ ٣٨٤). كان أبوه عمران نائب صاحب خراسان ببغداد ، وهو منسوب الى أحد أجداده، وكان اسمه «المرزبان» وهى تطلق على الرئيس من الفرس، أو على الرجل العظيم ذى القدر بين الناس، وهى تعني بالعربية «حافظ الحد».

لقد عمر المرزبانى طويلا، لذلك استطاع أن يستوعب علوم عصره ويجيد فيها، وروى عن كثيرين من كبار علماء العصر وأدبائه ولغوييه منهم: أبو القاسم البغدادى، وأبو بكر بن دريد، وأبو بكر بن الأنبارى.

أما تلاميذه الذين حدثوا عنه فمن أشهرهم: أبو عبد الله الصيمرى وأبو القاسم التنوخى، وأبو محمد الجوهرى.

وكان المرزبانى شيعى المذهب، معتزلى الرأى والتفكير. وكان ـ كما روى من أخباره ـ ذكيا ألمعيا راوية مكثرا في تأليفه، جميل التصانيف مقدما عند أهل العلم. ومن العلماء من قدمه على الجاحظ في تصنيفه. وهو رأى لا يصمد ـ من وجهة نظرنا ـ للمناقشة إذا أريد به التفضيل المطلق، وإن كنا نرى أنه قريب من الصواب إذا كانت الموازنة في نطاق كتاب «الموشح» فحسب.

هذا وينقل التاريخ أن المرزبانى جعل من منزله مجمعا لأهل العلم والأدب من تلاميذه وأصدقائه الذين كانوا يقصدونه للمدارسة بالعشرات والمئات.

وللمرزبانى عشرات من الكتب في مناح وموضوعات متعددة فُقدَ أغلبها ومن أهمها:

« أخبار أبى تمام ـ أخبار الشعراء المشهورين ـ أخبار البرامكة ـ أخبار أبي مسلم الخراساني ـ أشعار النساء ـ أشعار الجن ـ كتاب الأزمنة ـ كتاب الشباب والشيب ـ كتاب الزهد وأخبار الزهاد ـ المستطرف في الحمقي والنوادر ـ المفصل في البيان والفصاحة ـ المقتبس في أخبار النحويين ـ المفيد في أخبار الشعراء وأحوالهم في الجاهلية والاسلام(١).

موضوع الموشح وأبوابه:

أبان المرزبانى عن موضوع كتابه فى المقدمة الموجزة التي صدره بها، وفيها يقول: «أودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده، وأمكن جمعه، وقرب متناوله من ذكر عيوب الشعراء التى نبه إليها أهل العلم، وأوضحوا الغلط فيها: من اللحن والسناد والإيطاء والإقواء والإكفاء والتضمين والكسر والإحالة والتناقض واختلاف اللفظ وهلهلة النسج، وغير ذلك من سائر ما عيب على الشعراء قديمهم ومحدثهم فى أشعارهم خاصة»(٢).

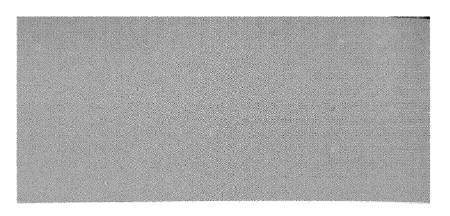
ولم يكن هدف المرزبانى من رصد هذه المآخذ والعيوب تجريح هؤلاء الشعراء والتشهير بهم أو الحط من مكانتهم، ولكنه كان يرمى من ذلك ـ كما يفهم من مقدمته الى هدف علمى نبيل، وهو أن يجتنب الشعراء من أهل عصره، ومن بعدهم هذه العيوب وتلك المآخذ.

واتساقا مع هذا الهدف حرص المرزبانى أن يغفل عن قصر نوعين من العيوب فى كتابه هذا:

النوع الأول: العيوب الشخصية: ويعنى بها عيوب الشعراء فى أنفسهم وأجسامهم وأخلاقهم وطبائعهم وأنسابهم ودياناتهم».

وعلل هذا الاغفال بأنه استقصى هذه «العيوب الشخصية» فى كتاب سماه «المفيد» وكتب أخرى ضمنها أخبار الشعراء وشرح فيها أحوالهم.

المرزباني لم يكن شاغله رصد أخطاء الشعراء



...علماء على الشعراء ...ن صناعة الشعر

بقلم الدكتور:

جابر قميحة

جامعة الملك فهد - الظهران

النوع الثاني: سرقات معانى الشعر، وخاصة إذا قصر قول السارق عن مدى المسروق، فقد رصد المرزباني هذا النوع فى كتاب آخر سماه «كتاب الشعر»(٣).

والموشح بعد ذلك مقسم الى تمهيد وأربعة أبواب رئيسية:

ففي التمهيد: عرف المرزباني العيوب التى أشار إليها فى المقدمة والتى يجب أن يتجنبها الشاعر المطبوع مثل اللحن والسناد والإيطاء والإقواء ... الخ ممثلا بالشعر لكل عيب من العيوب السابقة.

ثم يأتى الباب الأول: في الشعراء الجاهليين.

والباب الثاني: في الشعراء الاسلاميين.

والباب الثالث: فى الشعراء المحدثين.

أما الباب الرابع: والاخير - ففيما «روى من ذم رديء الشعر وسفسافه والمضْطَرب منه»،

عيوب الشعر:

يعرض المرزباني هذه العيوب مستوفيا أقوال العلماء فيها، وكثير من هذه الأقوال تتقارب وتتداخل، ويتلبس بعضها ببعضها الآخرحتى يوشك أن يكون الخلاف بينها لفظيا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يسوق المرزباني الأمثلة الشارحة لكل عيب من هذه العيوب:

الإقواء: هو اختلاف حركة الروى الذى تبنى عليه القصيدة (القافية) كقول النابغة الذبياني:

زعم البوارح أن رحلتنا غداً
وبذاك خبَّرنا الغرابُ الأسودُ
لا مرحبا بغدٍ ولا أهلاً به
إن كان تفريق الأحبة فى غد(٤)

والإكفاء: هو اختلاف حرف الروى من بيت الى بيت كقول ابنة أبى مسافع ترثى أباها الذى قُتِلَ يوم بدر:

فما ليثُ غريف ذو
أظافير وإقدام
كحبيٍ إذ تلاقوا و
وجوه القوم أقرانْ(٥)

والإيطاء: تكرار القافية مرتين في قصيدة واحدة، كقول الشاعر:

وتُخزيك يا ابْنَ القَيْنِ أيامُ دارم
ثم قوله بعد ذلك:
وعمرو بن عمرو إذْ دَعَا يا لدارم(٦).

أما السناد: فهو تغير ما قبل حرف الروى مثل (نقيب - عيب) و(قريب - شيب) و(خموش - قريش)(٧).

وإذا كان المرزباني قد استهل كتابه بهذا التمهيد عن عيوب القافية على اختلاف العلماء فى تحديد مفاهيمها، فإنه يذيل الباب الأول من كتابه(٨) بذكر كثير جدا من عيوب الشعر الشكلية والموضوعية منها:

١ - عيوب الوزن: كما يظهر في قول عبيد بن الأبرص:

والحى ما عاش فى تكذيب
طول الحياة له تعذيبُ

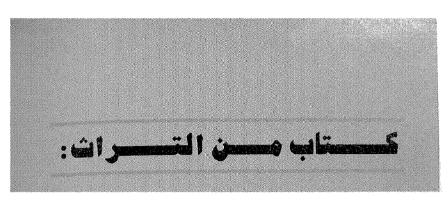
فهذا معنى جيد، ولفظ حسن، إلا أن وزنه قد شانه، وقَبَّح حسنه، وأفسد جيده».

٢ - عيوب المعاني: ومن أهمها:

أ - التكرار: مثل قول هذيل الأشجعي:

فما برحت تومى إلىّ بطرفها
وتومض أحيانا إذا خصمها غفل

آراء النقاد علامات واضحة على طريق الشاعرية الصادقة



«ردها على شيطـ

لأن «تومض» و «تومى» بطرفها متساويان فى المعنى.

ب ـ دخول أحد القسمين فى الآخر: مثل قول أحدهم:

أبادر إهلاك مستهلك

لما لى أو عبث العابث

فعبث العابث داخل فى إهلاك مستهلك.

جـ ـ ترك بعض الأقسام: مثل قول جرير فى بنى حنيفة:

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم

من العبيد وثلث من مواليها(٩)

٣ ـ عيوب ائتلاف اللفظ والوزن: ومنها ما يسمى «بالتفصيل» وهو «ألا ينتظم للشاعر ـ الكلام على ما ينبغي، لمكان العروض فيقدم ويؤخر، كما قال دريد بن الصمة:

وبلِّغ نُميراً ـ إن عرضْتَ ـ ابن عامرٍ

فأى أخٍ فى النائبات وطالبِ

فـفرق ـ لضرورة الوزن ـ بين «نمير بن عامر» بقوله «إن عرضت» (١٠).

٤ ـ عيوب إئتلاف المعنى واللفظ معا: كالشعر المقلوب والشعر المبتور.

أ ـ فالمقلوب: هو إحالة المعنى بإيراد عكس المطلوب لضرورة الوزن كقول المجنون:

يَضُمُّ إلى الليل أطفال حبكم

كما ضم أزرار القميص البنائقُ

يريد كما ضم البنائق أزرار القميص (بفتح البنائق وضم الأزرار)

ب ـ المبتور: ويعنى عدم تمام المعنى إلا ببيت تال، ويسميه آخرون «بالتضمين» كقول عروة بن الورد:

فلو كاليوم كان عليَّ أمرى

ومن لك بالتدبر فى الأمور

إذن لملكت عصمة أم وهب

على ما كان من حسك الصدور(١١)

وينقل المرزبانى عن ابن طباطبا نماذج متعددة لأبيات فيها قصور فى اللفظ أو المعني، أو فيها تزيد وحشو لا قيمة له، منها على سبيل التمثيل:

١ ـ قول أبى ذؤيب:

عصانى إليها القلب إنى لأمره

سميعٌ فما أدرى أرُشْدٌ طَلابُها

كان يحتاج أن يقول «أغيٌّ أم رشد». فنقص العبارة(١٢)

٢ ـ قول لبيد:

لو يقومُ الفيلُ أو فَيَّالُهُ

زَلَّ عن مثل مقامي وزَحَل

وليس للفيال مثل أيد (قوة) الفيل فيذكره(١٣)

٣ ـ قول أبى العيال الهذلي:

ذكرت أخى فعاودنى

صداع الرأس والوَصَبُ

فذكر الرأس مع الصداع فضل(١٤) (أى حشو لأن الصداع لا يكون إلا فيه)

٤ ـ ومن الحكايات الغلقة، والإشارات البعيدة قول المثقب العبدى فى صفة ناقته:

تقول وقد درأت لها وضينى

أهذا دينه أبدا ودينى

أكَلَّ الدهر حلٌّ وارتحال

أما يُبقى عليَّ ولا يقينى

فهذه الحكاية عن ناقته من المجاز المباعد للحقيقة، وإنما أراد الشاعر أن الناقة لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول.

والذى يقارب الحقيقة قول عنترة فى وصف فرسه:

فازورَّ عن وقع القنا بلبانه

وشكا إليَّ بعبرة وتحمحم

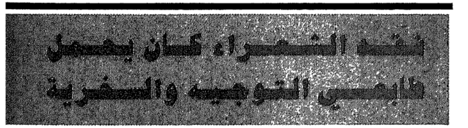
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى

ولكان لو عرف الجواب مُكلمى(١٥)

ويعرض المرزبانى بعد ذلك لضروراته الشعر: المقبول منها وغير المقبول مستشهدا لكل لون بنماذج شعرية متعددة مما لا يتسع له هذا العرض الموجز(١٦).

ما جاء فى ذم الشعر الردىء:

ولعل أمتع ما فى الكتاب وأكثره طرافة بابه الأخير الذى جاء بحشد من أقوال النقاد والرواة والعلماء، وهى فى مجموعها أحكام عامة قد يعوزها التحديد الدقيق، ولكن أغلبها يضع علامات واضحة على طريق الشاعرية الصادقة، ويدين الزيف الفنى والادعاء الكاذب في مجال الشعر. ومن هذه الأقوال قول يحيى بن على المنجم «ليس كل من عقد وزنا بقافية فقد قال شعرا، الشعر أبعد من ذلك مراما، وأعز انتظاما»(١٧) فالشعر الذى يعتمد أولا وأخيرا ـ على الوزن والقافية فحسب ـ ان صح أن يسمى شعرا ـ يعد ـ كما يقول يحيى بن على المنجم ـ «من الأشعار الساذجة الباردة:



ـــــانك لا يمتن عليــك بهـــا»..

تسـقط وتبطل إلا أن ترزق حـمـقى، فيحملون ثقلها، فتكون أعمارها بمدة أعـمـارهم، ثم ينتهي بها الأمر الى الذهاب بعد ذلك، لأن الرواة ينبذونها وينفونها فتبطل. قال الشاعر:

يموت رديء الشعر من قبل أهله
وجيّده يبقى وإن مات قائلُهُ(١٨)

وحول هذا «الشعر» الميت يعرض المرزباني أخبارا متعددة تتدفق تهكما وسخرية به وبأصحابه من الشعارير والمتشاعرين ومن هذه الأخبار الطريفة:

١ - جاء رجل إلى الرشيد فقال: «يا أمير المؤمنين لقد هجوت الرافضة». قال الرشيد «أسمعني» فأنشد الرجل:

رغْما وشمساً وزيتونا ومظلمة
من أن تنالا من الشيخين طغيانا

قال الرشيد «فسره لي» قال الرجل «لا، ولكن أنت وجيشك أقدر أن تدروا ما أقول، فإني والله ما أدرى ما هو»(١٩).

٢ - أنشد رجل ابن مناذر قصيدة، فجعل ابن مناذر يقول - بعد كل مجموعة من الأبيات - غفر الله لك .. غفر الله لك» فلما فرغ قال «ردها على شيطانك لا يمْتَنّ عليك بها» (٢٠).

٣ - أنشد أحدهم أبا زيد الأنصارى شعرا، فقال له أبو زيد «يا أبا عدنان هذا شعر لا عليك ألا تستكثر منه»(٢١).

٤ - كان لمحمد بن الحسن الحصنى ابنٌ، فقال له «إنى قد قلت شعرا، فقال «أنشدنيه يا بُنَيّ لئلا يلعب بك شيطان الشعر» قال «فإن أجدت أتهب لى جارية أو غلاما؟ «فقال الأب» أجمعهما لك، فأنشده:

إن الديـــار بميًّا
هَيَّجن حُزنا قد عَفَا
أبكينني لشقاوتى
وجعلن رأسى كالقفا

فقال «يا بُنَيَّ، والله ما تستأهل بهذا جاريةً ولا غلاما، ولكن أمك منى طالق ثلاثا إذ ولدتُ مثلك»(٢٢).

٥ - قال رجل لأخ له «إنى قد قلت شعرا» فقال «هذا شيء يجزع منه العقلاء»(٢٣).

٦ - جاء رجل إلى خلف الأحمر، فقال «إنى قد قلت شعرا أحببت أن أعرضه عليك لتصدقنى رأيك فيه» قال «هات» فأنشده الرجل:

رقد النّوى حتى إذا انتبه الهوى
بعث النّوى بالبين والتَّرحال
ما للنوى؟ جَذَّ النوى، قُطع النوى
بالوصل بين ميامن وشمال

قال خلف الأحمر «دع قولى ورأيي، واحذر الشاة»(٢٤).

وبين ما ذكره المرزباني في أول كتابه، وما ذكره في آخره، أو بتعبير آخر: بين ما سجله تمهيدا وتذييلا للباب الأول(٢٥)، وبين ما كتبه في الباب الأخير «مما روى من ذم الشعر»(٢٦) فروق واضحة أهمها:

١ - يغلب على الأول الطابع العلمي الاصطلاحي: فهو في مجموعه لا يعدو «تعريفات» لعيوب الشعر، وخاصة فيما يتعلق بالوزن والقافية، مع الإكثار - الذي يصل أحيانا الى حد الاغراق - من الشواهد التي تشرح وتعين على فهم هذه الاصطلاحات.

بينما يغلب على الثاني «الطابع الروائي أو الحكائي» - إن صح هذا التعبير - فأغلب ما سجل في هذا الجزء أخبار وروايات تضم في مجموعها الشعر الرديء وأدعياء الشاعرية.

٢ - يغلب على الأول الطابع الجاد: فهو تنظير أو تقعيد لعيوب الشعر حتى يتجنبها الشعراء.

أما الثاني: فهو لون من الأدب الساخر: فهو يعرض بالكلمات «صورا كاريكاتورية» واقعية لألوان من النظم، وأنماط من أدعياء الشعر المخدوعين في أنفسهم وهم لا يملكون من الشاعرية وطاقة الإبداع شيئا.

هذا عن عيوب الشعر وآفاته كما حددها المرزباني، وهذا بعض مما عرضه من ملح وطرائف عن أدعياء الشعر من الشعارير والمتشاعرين. فماذا قال عن الشعراء الجاهليين والشعراء الإسلاميين والشعراء المحدثين؟ وما منهجه الفكرى وملامحه الفنية والأسلوبية في «الموشح»؟

«للحديث صلة»

أودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده وأمكن جمعه وقرب متناوله

كــتـاب مــن التـــراث:

اللحن والسناد والإيطاء والإقواء عيوب لا يقربها الشاعر المتمكن

المراجع والتعليقات:

(١) انظر فى تفصيل ترجمته: «وفيات الاعيان» لابن خلكان ٣٥٤/٤ (تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٧٨) وكتاب «المرزبانى والموشح» للدكتور منير سلطان ٤٧ - ٩٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٨. ومقدمة محمد على اليحاوى لكتاب الموشح. دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٦٥.

(٢) الموشح ١.

(٣) انظر الموشح: نفس الصفحة.

(٤) السابق ١١. وقد ذهب بعضهم أن هذا الاقواء من غلط الرواة. وأن الرواية الصحيحة للشطر الثانى من البيت الأول هى: «وبذاك تنعاب الغراب الأسود (بجر حرف الروى كبقية قافية القصيدة) هذا وقد ذكر أحد «كبار» كتابنا أن هذين البيتين من معلقة النابغة وهذا خطأ فاضح لأنهما من بحر الكامل. أما المعلقة فمن البحر البسيط ومطلعها:

يا دار مية بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأبد

وربما نتج هذا الخطأ من أن القصيدتين على روي الدال المجرورة (انظر ص٤٤٦ من «شرح المعلقات العشر للخطيب التبريزى» - بيروت ١٩٧٩. ولعل أشهر إقواء فى الشعر الجاهلى إقواء الحارث بن حلزة فى قوله من معلقته:

فملكنا بذلك الناس حتى

ملك المنذر بن ماء السماء

(بكسر الهمزة خروجا على المطرد من روى المعلقة وهو الهمزة المرفوعة) انظر شرح المعلقات العشر السابق ٣٩٠.

(٥، ٦، ٧) الموشح ١٣، ١٧، ١٨.

(٨) انظر السابق من ص ١٢١ - ١٥٦.

(٩) السابق ١٢٢.

(١٠) انظر السابق ١٢٤ - ١٢٦.

(١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥) السابق ص ١٢٩، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٣.

(١٦) انظر السابق ١٤٤ - ١٥٥.

(١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤) الموضح ٥٤٧ - ٥٥٦ - ٥٦٠ - ٥٥٢ - ٥٦٨ - ٥٧٠ - ٥٧٠ - ٥٥٧.

(٢٥) من ٤ - ٢٥، ١٢١ - ١٥٥.

(٢٦) ص ٥٤٧ - ٥٧٨.

الكلمة جسر المعرفة، والخاطرة تحمل بين ثناياها الفكرة، فنلمس بين طياتها، الرأي، وعلى وميض الكلمات نستقرىء ما بين السطور .. «ومضات» باب استحدثه محبو المنهل، حول الفكرة يلتقون، وعلى الرأي يجتمعون، وحول الطرفة

كلم...

إن ساءك اليوم قولي
بأنني لن أعود
سفير حب فتاتي
ووجهتي اللاحدود
وسرمدى لحياتي
يجتاز كل الحدود
وقلبي ليس احتكاراً
لأي ظبي شريد
لا تزعجي من مصيري
لا تمعني في السجود
لا تصرخي، ضاع حبي
يارب هذا الوجود

• ومضات •

أيها...

أفي دار بُعْدٍ راق ذا العسل
ويهدى لنا من فيئها الأجل
ففي هذه الدنيا أرى عجبا
عجابا لها الانسان يعتجل
ولو جاءت الدنيا بعسجدها
عطاء لما شابوا وما اعتدلوا
سقتهم كؤوسا لا انقضاء لها
وما زال كأس الموت يُنتهل
فما للونى عنها لمن أرقت
عيون له او غرّة الأمل
وما للمنى فيها بمحترز
بغير اجتهاد حفه العملُ
حقيق عليك اليوم تلتزم
باصلاح نفس عابها الكسلُ

ومضـــــات

يتسـامرون ، هذه «الومضـات » في منهم واليهم ، فاهـلا بشداة الادب ، واهـلا بالواعـدين من شـبـابنا ، بفكرهم واقلامـهم ، ونزولا عند رأيهم فإن المنهل يسعده تخصيص مكافأة رمـزية لافـضل عـمل ينشر في هذا الباب «ومضات»٠

كلمـــــات قبـــــل الرحيل

لا تـصـــــرخى، ابق جنبى
أخــشى عــذاب اللحـود
لا تزعــــجى من كـــلامي
أنا فـــــراش شـــــرود
أحب شـــــوك الـروابي
والســــوسـن والـورود
فـــحكمـــتى يا فـــتـــاتى
الحب ســـــر الـوجـــود

بلقاسم بن سعيد
تونس

** «كلمات قـبل الرحـيل» ٠٠ ينقصـها الكثير من التـخيل٠٠ فقد جاءت لغتـها اعتيادية٠٠ قـولى بأننى لن أعـود ٠٠ لا تصـرخى ضـاع حـبى٠٠ لا تصرخى ابقى (جنبى)٠٠ وغير ذلك كـثيـر٠٠ ننصح بالاطلاع على عيون الشعر العربي ٠٠ لصقل موهبتك.

«المحرر»

جائزة ومضات

فـاز بجـائزة احسن عـمل ادبى فى ومـضـات العـدد (٥١٨) لشـهـر ربيع الاول ١٤١٥هـ «مـحـمـد بوراس» من المغـرب عن قطعـتــه الادبيـة «الاخـوة من المنظور الاسـلامي»٠٠ وقـد ارسلت له الجائزة٠

ومضـــات ● ومضـــات ● ومضـــات ● ومضـــات ●

أيهـــــا الرجـــــل..



وكن في رخـاك اليـوم مـقـتـصـداً
لكي لا ترى فـقـراً فـتُعـتـزلُ
أتبــغي نجــاة في دُنـاك فــلا
تبـعـهـا ببـخس أيهـا الرجلُ
وكن في مـســار سـالكاً مـثـلا
وحـاذر لوادٍ قـعـره الســفلُ
طـريق لـلاه حــــائـر ولـه
كـــخـــبط بِبَر خَالَهَا الذَهَلُ

عقيل ناجي المسكين
«سبهات»

** قـصـيـدة «أيـهـا الرجل» تنمّ عن شـاعـريه صادقه ذات بيان والتـزم فـيـهـا الشـاعـر بالوزن والقافية٠

«المحرر»

لماذا ينجح المتسلقون؟

أعترف بأني غبي اجتماعيا، لا أجيد تقديم نفسي، أما هو فذكي اجتماعيا يجيد التمرغ والمشي فوق الأسلاك وتسلق الأسوار والتلون بكل لون، يجيد فن الانحناء وأصول النفاق، أيقنت أنني في حاجة لتقديم أعمالي الى الغير، أن يراني واثبت أني عنصر مفيد، ولكن هناك فاصل دقيق بين ضرورة أن أعرض أعمالي وبين استعراض أعمالي، والعمل وحده لا يكفي. فكيف أجد الطريقة المناسبة التي تختلف من شخص لآخر.. العامل الصادق بعيد كل البعد عن المبالغة والطنطنة، يتعامل بشعار «الأبيض والأسود»، ويعرف أن تحسين أدائه في العمل واخلاصه سيفرضان دعاية ممكنة عنه، أما (المتسلق) فهو يتمسح ويراوغ وينافق ويجيد فن تسويق (الكرامة)، واللون الرمادي هو أسلوبه في تعاملاته مع الآخرين ، بل بكل الألوان، لقد أفنيت عمري في عملي وأعطيته أقصى ما يستطيع الانسان المخلص أن يعطى.. واذا (بمتسلق) يتمسح وينغص عليّ حياتي بثعبانيته وابتسامته اللزجة ولسانه المدهون بسماجة المنافقين وبقلبه المليء بالحقد والغل. بكل هذه الرداءة يكون حظه وافر في كل شئ .. وأي شيء.

وكلي ثقة بأنه في النهاية لن ينال سوى سخرية الآخرين التي قد يحبسونها عنه مؤقتا لعله يفيق إلا أنهم في النهاية سيطلقون عليه سخريتهم المخزونة هذه.

** «لماذا ينجح المتسلقون» تناول فيها كاتبها مشكله اجتماعية سائدة ومنتشرة تحتاج الى معالجة، والتزم فيها بالأسلوب اللغوي السليم، إلا أني أعيب عليه تشاؤمه الدائم، وتناسى أن لكل مجتهد نصيب.

أحمد عبده محمود
الاسكندرية

مرايا

مطر لفتنة وجهك العربي
إذ يرخي حبال الضوء..
بين مضاربي
وجبال نجد
ترتوي إيماء طرفك
والتماع الأفق يشرع
جبة الوهج السنّي..
الى مراياك البعيدة..

ليس بيني والتقاء النيل
إلا لفتة خضراء
ننسى لفحها حر الشتاء
الى نهارك
أي صحراء ستؤتي أكلها
ماء وظلا وارتقاء..
قالها... مطر..
وغير مهادك الغراء

النظافة

قرأت في «يوميات» - مجلة الوطن العربي - الصادرة في باريس ما يلي: (حمّام، تحقيق طريف عرضه التليفزيون الفرنسي قبل ايام، أثبت ان سكان العاصمة يفتقرون الى النظافة! فقد سأل صاحب البرنامج مجموعة من البارسيين والباريسيات عن عدد المرات التي يستحمون فيها (كل شهر ... لا كل اسبوع) فجاءت النتيجة ان بينهم وبين الماء والصابون علاقة غير حميمة بالمرة، هي اقرب الى الجفاء المستمر.

واذا تركنا ما شاهدناه على الشاشة .. وتصفحنا المجلات الفرنسية، لوجدنا العديد من الاعلانات عن مستحضرات لمكافحة القمل، الذي يسكن رؤوس الكثيرين واجسامهم. وفي المدارس الفرنسية، تقوم لجان صحية بحملات تفتيش دورية لفحص رؤوس التلاميذ، تنتهي عادة بإعلان يضعه المدير على باب المدرسة، يقول: ايها الآباء.. ايتها الامهات، لقد تبين بعد الفحص ان القمل ينتشر في رؤوس ٨٠٪ من التلاميذ، نرجو علاج ابنائكم ان اعلانا مثل هذا يفاجئنا في عاصمة مثل باريس، خصوصا واننا جئنا من بلاد لها تقاليد مستفيضة في الاستحمام . وما زال أخذ (الدوش) يعتبر «سندويتشا» سريعا لا يعوض عن الوجبة الاساسية الدسمة، في حين يعتبر الفرنسيون هذا «الدوش السريع» وجبة ثقيلة، كثيرا ما يستعيضون عنها بمسح اجسامهم بالكولونيا. ولعل جبران خليل جبران كان يخاطب صديقا باريسيا (او باريسية) حين قال بيته الشهير: «هل تحممت بعطر .. او تنشفت بنور..» فكثير من البيوت تخلو من الحمام في عاصمة النور. انعام كجه جي) وبعدما انهيت ما قرأت، أكبرت صراحة القوم وقلت لنفسي:

ان ديننا الاسلام والحمد لله جعل النظافة من الايمان، وعدّها شعبة من شعبه السبعين، ووقت للمسلم مدة يتعاهد فيها جسمه بالماء لازالة ما يعلق به من درن فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

ومضات

يرســــو ذلك الظمـــأ المراوغ
أرتوى من طرفك اللمــــاح
روحـــــــــــــــاً
يفـــتح المهج البـــريئـــة
وانســيـــاب الصـــيف ورداً
فى حنايا وجـــهك العـــربي
بين مـــــضــــــاربى
وجـــبــــال نجـــد ترتوى

محمد زيدان
الرياض

محاولة جيدة تحمل صوراً من الصياغة - «الظمأ المراوغ» - «انسياب الصيف ورداً» - «يرخي حبال الضوء بين مضاربي» - «جبة الوهج السني»... ومضات تأمل أن تكون أكثر اجادة. «المحرر»

بين الأسلام

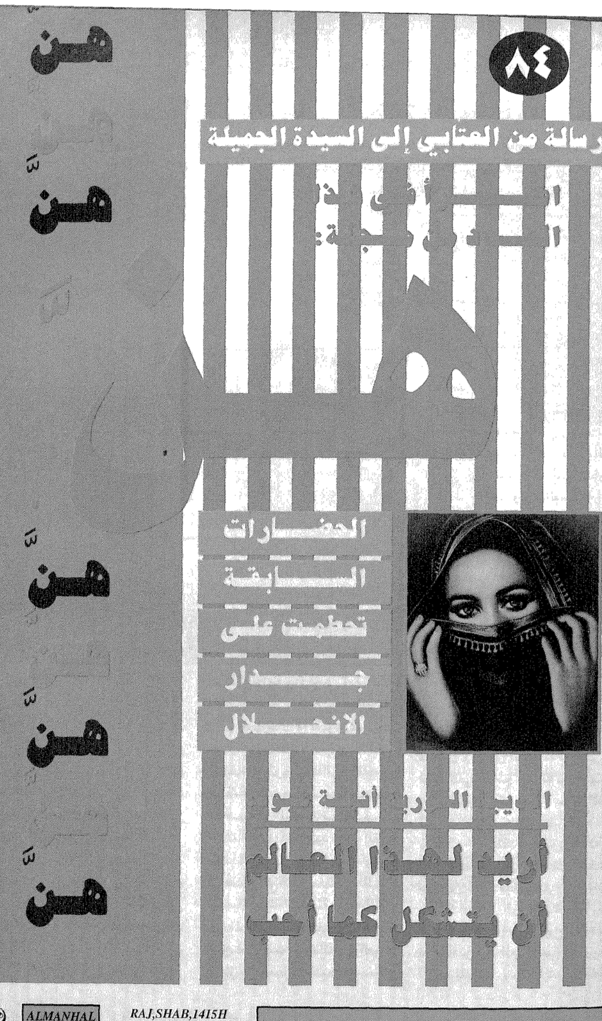
صالح العود - العودية

صلى الله عليه وسلم: حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة ايام يوما، يغسل فيه رأسه وجسده. رواه البخارى ومسلم، وحق: معناه ثابت ولازم عليه، وحدد للاستحداد، والنتف، وقصر الشارب، وتقليم الاظافر حينا لا يتجاوزه المرء:

أ - عن أنس قال: «وقَّت لنا النبي صلى الله عليه وسلم في قص الشارب، وتقليم الاظافر، ونتف الابط، وحلق العانة ألا يترك اكثر من اربعين ليلة. رواه احمد وابو داود.

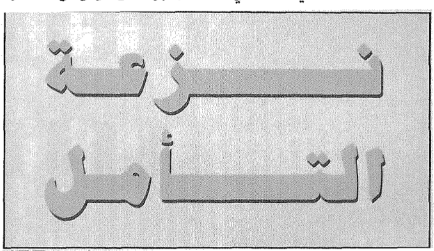
ب - «احفوا الشوارب واعفوا عن اللحى». رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر، وذلك اذا طالت سبالتاه وتهدل شعره على الشفتين.. وعدّ غسل البراجم من سنن الفطرة لانها مواضع لعلق الاوساخ: فعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عشر من الفطرة: قص الشارب، واعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الاظافر، وغسل البراجم، ونتف الابط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، قال الرواي: ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة» رواه مسلم.. وتستبين الحكمة من غسل أعضاء معينة في الوضوء دون باقيها، لأنها عرضة للغبار، وتستبق صاحبها الى كل عمل يأتية آناء الليل واطراف النهار، وشرع الاغتسال عقب الوطء ليرجع الى البدن نشاطه وقوته بعد وهن الاستفراغ وألمه، والانسان منقاد بالطبع الى شهوة فرجه.. وأوجب الشرع على المسلم اذا قضى حاجته أن يتطهر بطهور الماء، فان لم يجد فيستطيب بشيء منظف، ويثني القرآن الكريم على مَنْ هذه خصائصهم فيقول: (لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه. فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) آية ١٠٨ من سورة التوبة. ولم يأل فقهاء الملة جهدا في تبْيان هذه الطهارة من حيث كَيفياتها وصفاتها وأحكامها، وما يتعلق بها واحتلت عشرات الصفحات بين كتب الحديث ومراجع الفقه، وتصدرت جميع المباحث الفقهية، وافردت بالتصنيف، وان دل هذا على شيئ فإنما يدل على تصلب المسلمين في غاية الاعتناء بهذه الطهارة، ما لا تجد معشاره في جميع الملل والنحل قديمها وحديثها.

ومن طريف ما يذكر أن رجلا قال لبعض الصحابة من العرب - وقد خاصمه : لا أحسبك تحسن الخراء، قال بلى وابيك، اني أحسنها واني بها لحاذق أبْعدُ الأثر، وأعدّ المدر، واستقبل الشيح، واستدبر الريح، واقعي اقعاء الظبي، وأجفل اجفال النعام. وأوعد سبحانه الذى لا يستنزه من بوله العذاب الأليم: عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال: إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، اما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، واما الآخر فكان لا يستنزه من بوله. رواه البخاري ومسلم.. ومن أحكام الاسلام السامية ان لا يأتي الرجل أهله وهي حائض او نفساء لنجاسة الدم. فالاسلام - وهو دين الطهر والعفة - قد فصل الأحكام للداني به تفصيلا، وبيّن له الحلال من الحرام تبيينا، وبصره بالطيب من الخبيث، وعرفّه المألوف من الشاذ، والحسن من السيئ، والجميل من القبيح، والا فما قيمة الانسان يا ترى اذا انتكس طبعه؟!


٨٤
رسالة من العتابي إلى السيدة الجميلة
الحضارات
السابقة
تحطمت على
جدار
الانحلال
أريد لهذا العالم
أن يتشكل كما أحب
هنّ
هنّ
هنّ
هنّ
هنّ

القيم الايمانية المستودعة في فطرة الكون يستشفها التأمل

يتطور تفاعل الانسان مع البيئة التي يعيشها، فنسمع كل يوم عن وجوه من التقدم العلمي الكبير الذى حققه الانسان جراء دراسته لمظاهر الحياة في هذا الكون وتسخيره اياها من أجل تلبية حاجات ومتطلبات الجنس البشرى. فما النظريات والابحاث التي وضعت في



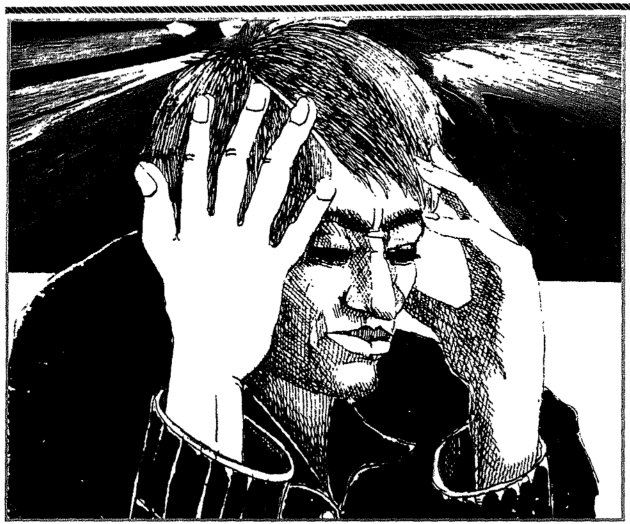
غادة عبدالله العمودي - جدة -

شتى ميادين العلم والمعرفة سوى نتاج تأملات فكرية عميقة خرج منها الانسان بتساؤلات ضخمة عن نشأة الكون وكيفية انتظامه والسنن التي تحكمه.. وكانت كلها مفاتيح الدراسة للمكتشفات وللمخترعات التي نراها ونلمس فوائدها في حياتنا المستمرة على هذه الأرض. فكما تفتق ذهن نيوتن عن وجود الجاذبية الارضية (ومن قبله علماء الاسلام)، من سقوط تفاحة على الارض وما تبع ذلك من دراسات أفادت في حسابات علم الارض، تفتق كذلك ذهن العالم الفلكي جاليليو ليقدم لنا وجها من نظرية كروية الارض واختراع التليسكوب الفلكي. ولا يخفى علينا أن أفكاره تلك لم تكن في بداياتها سوى مجرد تأملات ذهن أراد سبرغور المجهول البعيد وتقريبه من أيدى البشر.

ان نزعة التأمل تتطلب صفاء الفكر لبرهة من الزمن من مشاكل الحياة الدنيا ومراغمها، وتتطلب كذلك السمو الروحي والعقلي في عالم المخلوقات والاكوان فيحس الانسان بوحدة وجوده مع الكون وأن خالقه وموجد هذه المخلوقات هو واحد، فيحس بتآلف بينه وبينها. اننا معشر المسلمين نستشف من تأملاتنا في هذا الوجود سمو القدرة الالهية وجمال الصنعة الربانية المتقنة التي لا يتخللها الخطأ والنسيان أوقلة الاحاطة بأمور الكون كله، فنزداد ايمانا بخالقنا، ليس ايمان قدرة فحسب فالقدرة والعظمة والخلق كلها صفات قديمة في خالق الاحياء وباعث الاموات ولكننا نزداد ايمانا بفقرنا اليه وفقرنا الى القرب منه ونستنتج قواعد ايمانية نسير عليها في تثبيت العقائد في نفوسنا كمسلمين، وزرع تلك العقائد أيضا في غيرنا من أمم الارض ونحن كذلك نقوم بحق الله علينا وبواجبنا الذى أناطه الله بنا من القيام بعمارة الارض بتفجير السنن الكونية والاستفادة منها في عالم الواقع المحسوس.

وهكذا تمكن المسلمون الاوائل بالعقيدة الصحيحة التي رسخت في نفوسهم من تجنب الخرافات والزلل الذى كان يكتنف كل الحضارات السابقة وتلك الاوهام البشرية التي يسطرها شطوح العقل البشري في هذا الكون والتي تحتاج الى وقت طويل لتصحيحها ان لم نقل محيها من كتب التاريخ.. فكانت حضارة الاسلام على محجة بيضاء من هدى النور الرباني فقدمت للبشرية أسساً صحيحة وطويلة المدى ما تزال الحضارة الحديثة ترضع من لبانها الزكى، ولعل هذا هو الفرق الحقيقى بين العقل الاسلامى والعقل البشرى البحت المفتقر الى الهدى الربانى، فالاول لا يضل أبدا لأنه مرتكز في تأمله على دعائم أصيلة ترجمها له خالق الوجود كله فهو لا يحرم الخير أبدا وان اكتنفته في بعض اللحظات صفات الضعف البشرى فانه مع هذا الخطأ لا يكون مبتور الخير فالمؤمن أمره كله خير، ومن يدرى ربما كان هذا الزلل لحكمة من الله عز وجل لتظل تلك الروح الوادعة تحت أمر ذلك العقل في فقر دائم الى خالقها فلا ينسى الانسان خالقه

الحضارات السابقة تحطمت على جدار الانحلال والتفسخ والجبروت



مهما سما وارتفع في مضمار العلوم ومهما تكشفت أمامه النواميس حتى لا يأخذه العجب الذى سرعان ما يتطور الى الهوس والجنون العلمي كما هو حادث اليوم في الحضارة الحديثة.

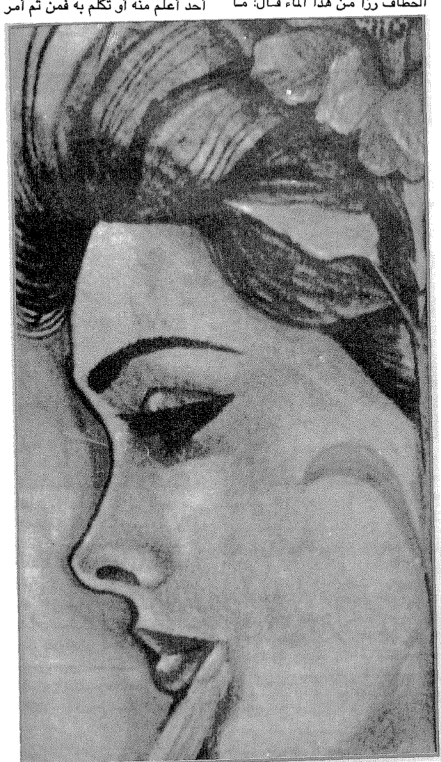
الا أننا نجد بأن التأمل في الفكر الاسلامي وان لم يتفتق عن معجزات علمية بحتة في الكون تجده يلهم صاحبه دروساً كونية يستفيد منها في ايمانه في هذه الحياة الدنيا والآخرة وفي الخط الذى ينبغي أن يسير عليه في الدعوة الى الدين الحق.

اننا بتأملنا نستوحي الاخلاق الايمانية الحقة التي استودعها الله عز وجل فطرة هذا الكون فربّ وقفة تأمل في شجرة أو نسمة هواء هابة تعطينا من الدروس والعبر ما لم نستخلصه من أمهات الكتب في الدين والاخلاق والدعوة. ان السماء التي نراها من خلال الغلاف الجوى للارض مع علوها وارتفاعها قريبة من ناظر كل من يتطلع فوقه فيراها ويسعد بها أيا كانت عقائده وملله كما أنها في متانة صنعها وخلوها من الشقوق والفطور مصدر استقرار نفسي وسكينة روحية لسكان الارض، وهكذا المؤمن فهو مع قوته وصلابة عقيدته في نفسه ومع سموه الروحي والمعنوي وترفعه عن سخافات الجاهلية والشرك وتنزهه البشرى عن أخطاء وزلات العصاة والطاغين الا أنه قريب دائم الصلة بأفراد جلدته ان كان داعيا أو معلما لهم بأمور دينهم لا تكاد تراه في كل مكان الا ولسان حاله الدعوة والنصح برفق وبشاشة وحنو على من يدعوهم فهو يعلم في عقيدته القلبية أن أولئك ناس مثله ولكن الاقدار بفضل الله شاءت أن يكون هو هاد وهم عصاة فبذلك يوقن أن

الانسان المسلم رسالة رُقِيّ وازدهار للحياة

عمله في الدعوة ليس تطوعا من لدن نفسه فحسب بل واجب يمليه عليه حرصه على عدم نزع الدين من نفسه لأنه يعلم بأنه ان سكت عن المنكر والدعوة إلى الخير فان ذلك سيعم الارض وسيصيبه جحيم ذلك الاثم. فيتحقق في عقيدته الفقر الدائم الى الله بما يطالبه بعبادة أكثر وعمل أكبر فيزداد قربا من الله تعالى.. وكذلك نسمة الهواء التي تهب هبوبا رقيقا باذن ربها فيسعد بها أهل الارض لأنها تسرهم بترنحها الحانى بين السماء والارض حيث يطمئن لهبوبها الصغير كما يفرح بها الكبير، فكذلك المؤمن لا يركن الى الارض الحسية ولا يترهبن بالتعلق في السماء الروحية بل يتزود من المادة والروح معا فهو مع عبادته لربه وحرصه على التفرغ له من متاع الحياة الدنيا الا انه لا يتصوف بحجة الوصول الى الرقى الروحي والتنزه عن الماديات في هذا الكون بل يتصل بالارض ويكون اتصاله بها كاتصال نسمة الهواء حيث يسعد به أبناء البشر لأنه يأتيهم بكل خير فيه صلاح دينهم ودنياهم وهو الى ذلك رفيق شفيق بهم لأنه على اتصال دائم بالارض والسماء حيث يتحقق لديه الاستقرار والتوازن بين الجسد والروح فيرتقي في سلم الدنيا والآخرة.

وهكذا نجد ان الكون بأسراره والخلق باعجازه ليس مصدر تفجر لحركة مادية بحتة فحسب فاننا مهما اكتشفنا فيضاً من أسرار الوجود فاننا لن نكون أحرزنا سوى الشيء الذى لا يذكر حتى على مستوى التقدم العلمي المادى فما علم العباد الى علم الله الا كما يقول الخضر لموسى عليهما السلام عندما بعث الله أمامهما طائر الخطاف فجعل يستقى من مجمع البحرين بمنقاره وليس في الارض مكان أكثر منه ماء - فقال الخضر لموسى كم ترى هذا الخطاف رزأ من هذا الماء قال: ما أقل ما رزأ - قال: (ياموسى فان علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقي هذا الخطاف من هذا الماء) وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه أو تكلم به فمن ثم أمر



الكون رسالة مفتوحة من الخالق للخلق

أن يأتي الخضر.

ان تنمية نزعة التأمل الموجودة لدى أطفالنا ورعايتها وتوجيهها الوجهة السليمة لا شك بأنها ستؤتي ثمارها العظيمة والتي اذا تعرضنا لبعض منها لأدركنا عظم هذه النعمة علينا.

١ - فهي أولا توسع مدارك العقل البشرى وتزيد الحصيلة الفكرية لدى كل منا فلو تعود الطفل منذ نعومة أظفاره التأمل فان سرعة النمو العقلي لديه ستكون سريعة وسابقة أحيانا لعمره.

٢ - تعوّد على تتبع جل الامور ودقيقها وتورث صفاء الذهن وقوة الملاحظة.

٣ - تعطي انتعاشا للعقل والنفس معا وترويحا من مشاكل الحياة الدنيا اليومية اذ فيها يتوحد العقل مع النفس البريئة في كل منا فيحس كل منهما بفقره الى الآخر فيزداد التعاضد بينهما بما يبعدنا عن المشاكل النفسية والاجتماعية، الناشئة في الغرب الحديث من جراء التناقض بين العقل والروح كما أننا نعود من لحظات التأمل تلك بروح عميقة متجددة ونظرة أعمق للأمور فالرياضة البدنية انعاش للجسم كما أن التأمل عبادة ورياضة للعقل والروح معا.

٤ - تعود الانسان التريث في الحكم ازاء ما يعرض له من مستجدات في حياته اليومية فلو تعود كل منا التأمل والتفكير فيما يواجه فان ذلك سيورثه التأني والصبر وفهم الموضوع بشكل أعمق وتقبل كل ما هو سيء أيا كانت درجة السوء لأنه بتأمله في الحياة ومسيرتها وتأمله في حال الموت والفناء وتقسيم الناس درجات يجعله لا يتجزع ولا يسخط من قدَر الله.

٥ - ان التأمل في مسار الحياة الدائرة وما آل اليه حال الاقوام السابقة وتاريخهم الطويل على الارض وما انتهى اليه مصيرهم وختمت به آجالهم ليزيدنا زهدا في التحسر على متاع هذه الدنيا ويقتضي منا الايمان بوجود يوم آخر فيتحقق في نفس كل منا الايمان باليوم الآخر مما يدفعنا الى اغتنام كل فرصة من وقت وجهد للعمل من أجل الحياة الابدية بما يحقق لنا السعادة فيها.

٦ - ان جمود العقل البشرى والفكر هما أبرز العوامل التي أثرت في تأخر المسلمين اليوم فأصبحنا من مكتشفين ومخترعين الى متلقين ومقلدين ودونما أى مجهود نبذله في تصحيح ما نتلقى أو تمحيصه لننتقي منه ما ينفعنا في اسلامنا وترك ما يضرنا ويؤخرنا بل ويورث الفساد في صفوفنا ولا شك بأن هذا الجمود سرعان ما يؤول الى وباء مستطير يصعب الشفاء منه.

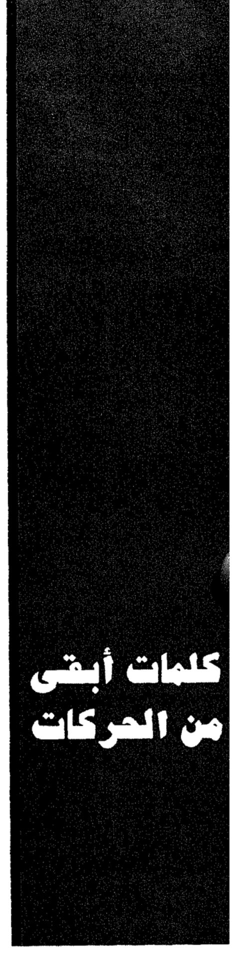
٧ - يكسب رجاحة العقل والترفع عن السخافات والدنيا من التصورات والافكار ولا شك بأن الافكار الدخيلة علينا من أعدائنا ما كان لها أن تتسلل الينا وتتغلغل بداخلنا لو وجد الفكر الواعي المستنير.

وبالاضافة الى ما ذكرنا فان التأمل يجعلنا نقوم باكتشاف الوجود ونواميسه العلمية وتحويلها الى معايير واقعية محققين بذلك مبدأ عمارة الأرض.

ويكفينا استشهادا على عظم هذه النزعة ما كان يخاطب به القرآن الكريم أصحابها بأولي الالباب، قال تعالى: **(إن في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)**، كما تصادفنا العديد من الآيات لدى قراءتنا للقرآن التي تدعونا الى إعمال الفكر بالتدبر في مخلوقات عديدة في هذا الكون منها ماله الصبغة الايجابية في حياتنا كقوله تعالى (وان لكم في الانعام لعبرة) كما يدعونا الى التأمل حتى في تكوين غذائنا الذى نأكله (فلينظر الانسان الى طعامه).

وهكذا فان تنمية نزعة التأمل لا شك تعود بالخير على البشرية كلها وتوافق الاحتياجات العلمية والنفسية والخلقية المتمثلة في منافعه المتعددة ولا شك بأن ادخال التأمل في منهاج التربية الاسلامية الحقة لدى أطفالنا سيساعدنا في اعادة مجد الامة الغابر وذلك بتكوين جيل متفرد في نظرته الى الوجود كله.

ان التأمل لا يقتصر كما أسلفنا على العالمين المتعلمين بل من لطف الله بنا أن جعل تلك النزعة في كل منا لأن التأمل فيها يزيد أى انسان ايمانا، قد يفوق ما لدى العالم الحيوى ولعل من ابرزها دروس الايمان والاخلاق والتسبيح التي نراها في هذا الوجود، دروس يتلقاها كل منا أيا كانت درجته العلمية أو عمره الزمنى لأنها وباختصار تمس الجانب النفسي والتطلعات الخلقية الفاضلة في كل منا فيعلم الحق وراء هذا الخلق العظيم: **«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد»**.



كلمات أبقى من الحركات

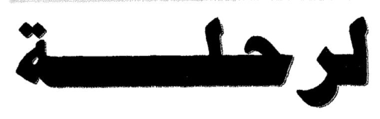
وداد سكاكيني - سوريا

سمعت عبارتين حكيمتين في رواية سينمائية، وقلما تخلو الروايات من كلمات تهز النفوس وتثير الخواطر لكن أكثر النظارة لا يأبهون لها فلا تعلق بمسامعهم وأذهانهم لأن موضوع الرواية وما يكون في صورها وحوادثها من مجانة وبغتات تشغلهم عن التأمل فيما يسمعون.

قال مفكر من أبطال الرواية: انني تعلمت أن لا أخرج عن طاقتي واختصاصي. وقال محقق قضائي في الرواية: إن الشر يهدم بعضه بعضاً. فكرتان دارتا بخاطري وتدوران في كثير من التجارب والمقالات، فمن مزايا عصرنا شيوع الاختصاص في كل ناحية من نواحي الفكر والمعرفة والحياة، وقد كان القدامى في الشرق والغرب لا يحددون معنى الاختصاص في ثقافتهم وحضارتهم ولا يجدون في تجاوز الفكر الى غيرهما خطأ ولا حرجاً، على أن هذا التحديد لم ينطبق على النوابغ ممن أوتوا النبوغ في عديد من نواحي المعرفة والفنون، ولما جاء عصرنا بأعاجيب حضارته وإبداعه كان الاختصاص أبرز ما فيه فيتفوق أهله بما تفردوا به وتزودوا بأسباب الإتقان. أما قول المحقق القضائي في الرواية: إن الشر يهدم بعضه بعضاً، فإنه يكاد يكون من الأمور المسلم بها، لأن الشر كالنار ومن طبيعته أن يأكل بعضه بعضاً، وقد سبق العرب إلى هذا المعنى حين وصفوا الحسد وهو أفدح معاني الشر بأنه كالنار يأكل بعضه بعضا غير أن المكايد والمآثم التى طبعت بعض النفوس على حبها واصطناعها قد مدت أيديهم الخفية الى تلك الحكمة فأفسدتها وحرفتها عن مواضعها وسخرتها لهدم الخير لا لهدم الشر.

على أني لست بسبيل الحوار لهذه الفكرة التي بحث فيها حكماء العرب والإسلام ودارت فى مؤلفات الشهرستاني وابن حزم وغيرهما حتى ملأ المعري بها لزومياته لكنى أعود الى أبعد من ذلك، الى فكرة الخير والشر واصطراعهما في الوجود، وقد أظهرت الحوادث والتجاريب في تاريخ الانسانية منذ كان النصر والغلاب والبقاء للمثل العليا وعلى هذا الأمل والإيمان يبقى الانسان متعلقاً بالمزايا التي تبني حياته وحضارته وتعصمه من الشر على اختلاف ضروبه. وهكذا خرجت من الرواية بكلمات كانت أبقى في النفس والخاطر من الصور والحركات.

قصة قصيرة



د. حورية البدري
الاسكندرية

يلتقي الناس على السلم الواصل بين السحاب والأرض. رفاق لنفس الطريق - صعوداً أو هبوطاً - أو عابرى سبيل في لقاء خاطف على طريق مضاد معاكس.

كان يتشبث، يحاول ويسقط، أشفقت عليه، فى خيالها رأته مكافحاً، يحاول ، مدت له يدها ، تشبث بها بضراوة، كادت أن تسقط لكنها استعادت توازنها.. التمست له العذر.. فهو كالغريق.. وهى باعتبارها منقذة للغريق معرضة لخطر تشبثه المستميت بها.. لكنه عندما وصل الى الدرجة التي تقف عليها - بعد جهد شاق منها - تصور أنها استنفدت طاقتها.. حاول أن يتجاوزها.. نظرت اليه بدهشة .. دفعها بيده لتسقط من على السلم .. كان يريد أن يصعد بسرعة .. ورأى أنها - بعد استنفاد طاقتها في الارتفاع به من الدرجات السفلى - لن تكون ذات نفع كبير له .. ولهذا كانت الأرملة الحاصدة لمحصول عمر الراحل أكثر نفعاً .. مدَّ يده نحو الأرملة .. وقبل تشابك أيديهما بلحظة ، خرجت الروح من جسد الآخر وارتفع صوت امرأته .. اثارت الأرملة الجديدة لعابه .. فمحصولها اكبر .. أبعد يده عن يد الأرملة الأولى فاختل توازنها وسقطت .. تشبث ليصعد بجوار الأرملة الأخرى.

كان يعلم أن لحظة الفقد تترك المكان خاوياً تشبث .. حاول الصعود بسرعة قبل أن يسبقه من يملأ هذا الخواء .. مد ابتسامته اللزجة ليملأ فراغ روح الأرملة. إبتسمت كفت عن العويل، وعندما تشبث بها كالغريق، إختل توازنها، صرخت وعندما سمعت صوت ضحكاته، تناثرت دموعها في الفراغ السحيق الذى أخذ جسدها يتهاوى فيه بلا قرار.

أصوات عبثية تتكلم بعد النهايات .. بعد السقوط .. بعد الموات.. يحاولون الإنتظام على درجات السلم .. يصعدون ويهبطون .. وهو ليس كأغلب الرجال.. لكن البعض هناك يشابهه بصورة أو بأخرى.

طمست دموع الأرملة المتهاوية صورته في عينيها .. استطالت أنيابه والتوت حول فمه.. إمتد ذيله الأسود يلوح لها مهدداً .. نظرت الى عينيه تبحث عن هذه النار الأسطورية العيون الأشرار، لكن عينيه كانتا مظلمتين، مقفرتين إلا من بعض أشياء سيئة وتفاهات متفرقة ليس كمثل الرجال، حتى الأشرار منهم.

وليس كمثل إبليس كما يتخيلونه .. إبتسمت بسخرية مُرَّة، كانت فى أثناء سقوطها تقترب من السلم فتشبثت به. لكنه كان ليناً ضعيفاً. لم يتحمل ثقلها، كان يذوب كالصابون. نظرت لأعلى، كانت السحابة التي في منتهى السلم تصغر والمطر ينهمر منها. رأت الجميع يتساقطون بدرجات وسرعات متفاوتة. وسقط هو بينهم بسرعة كحجر ثقيل يتقدمهم، يسبقهم الى القاع.

الأديبة السورية أنيسة عبود

أنيسة عبود أديبة سورية متميزة حطمت حواجز الطريق الى ساحة الادب بوقت قصير واخذت موقعها على تلك الساحة كاتبة لها حضورها القوى وصوتها المسموع. خلال سنوات قليلة صدر لها مجموعتان في القصة وتواظب على كتابة زاوية اسبوعية فى صحيفة الثورة اليومية.. وفي لقاء معها كان هذا الحوار:

حاورتها:
منال يوسف
دمشق

«المنهل»: الكتابة خطاب لمن توجهينه؟ ومن هم الذين تقصدينهم في زاويتك الاسبوعية في صحيفة الثورة؟.

** وهل بالامكان مخاطبة إلا الانسان حالياً .. ياليتنى استطيع مخاطبة المجرات لعل بشراً يقطنون فيها.. لعل أرضاً أخرى أكثر اخضرار أو أقل تدميرا.. ليتنى أخاطب الهواء ليغسل نفسه من اوساخنا أو مخاطبة الماء ليكون أكثر تلطفاً بالاسماك الصغيرة التي تأكلها الحيتان الكبيرة.. انى حالياً اوجه صراخى الى الانسان ليكون انساناً أكثر.. الى نفسى لأكون أشد صرامة في الدفاع عن كرامة الفكر، وكرامة الحياة والحرية.. أخاطب الانسان العربى - المجتمع العربي - غير المتجانس والذي يتحرك كالروبرت توجهه آلة الغرب المدمّرة.. أخاطب الانسان الذي يرفض أن يأكل لحم أخيه الحي .. يرفض ان تتوسع الغابة في ساحات الحضارة المكتظة بالأقمار الصناعية والتكنولوجيا والصواريخ عابرة القارات.. وكي يصل خطابي جيداً فإني أبدأ بالفلاح الذي يعمّر الخضرة والعامل الذي يوسع البحر، والمثقف الذي يكشط الغبار عن الذاكرة المضللة.. والمرأة اليد الكبرى .. اليد العليا .. في عملية العطاء الانساني والتي يرتكز عليها نجاح الاسرة وبالتالي نجاح المجتمع

«المنهل»: لماذا تكتبين؟ وكيف كان هذا الاختيار؟

** لماذا أكتب؟ لم أسأل نفسي مرة هذا السؤال. ربما لأن لدي أشياء كثيرة اريد ان أقولها .. لدي نظرة معينة للعالم وأريد من هذا العالم أن يتشكل كما احب وربما أحاول بالكتابة اقناع نفسي بأن للغة دوراً لا يقل عن دور السلاح.. لا.. لا.. اعتقد أن هناك أموراً أكثر ايجابية.

مثلا أحاول اكتشاف العالم .. أنقب في انهدامات الذات .. اريد التحدث الي أصدقاء لا أعرفهم لكنهم يحملون همومي نفسها. وربما كانت الكتابة كالشجرة تجمل وتظلل الروح وأرواحنا في اواخر الألفين مشققة بهجير الحضارة.

أما الشق الثاني من السؤال «كيف كان هذا الاختيار» فإنى فعلا لا أدري.. الكتابة هي التي اختارتني.. كان هناك شئ ما يدفعنى لأن أسهر الليل بطوله وانا طفلة صغيرة لأرسم القمر ثم لاكتبه شعراً أو نثراً وفعلا كنت أهوى المواد العلمية لذلك اخترت الفرع العلمي وأنا حالياً مهندسة زراعية أعمل في مركز لأبحاث الحمضيات.. في فترة الجامعة انقطعت عن الكتابة ولكنى اذكر بعد تخرجي ان مجلة العربي أجرت مسابقة للقصة القصيرة.. يومها رحت ابكي وقلت لزوجي - وهو طبيب وكاتب - كلما أمسك بمجلة أحزن على موت رغباتي .. يومها جهز لى طاولة وأوراقاً وقال: وقفت الى جانبك دائماً.. في دراسة الجامعة وها أنا الآن أقف معك في الكتابة.. هيا اكتبى. وفعلا بدأت كان ذلك عام ١٩٨٦م وخلال سنوات قصيرة جداً «سنتان أو اكثر» بدأت اكتب فى الجرائد المركزية زاوية اسبوعية في الصفحة الأخيرة.

«المنهل»: الكتابة وعي وقلق وابداع . ماذا تمثل لك هذه الأمور؟.

** ها أنت تعرّف الكتابة بالابداع يعني الخلق.. الابتكار.. التفرد.. أي الكتابة أخيراً.. الكتابة ابداع .. قلق .. وعي .. كي أكتب يجب ان أعي العالم وأن أعي نفسي وأن اعى سيرورة الحياة.. يجب أن أعي خطابي وماذا أريد أن أقول.. وكيف.. والكتابة لا تأتي من فراغ.. انها نتيجة لقلق معرفي. ولوعي عميق بالماضي اللغوى التراثي والحاضر المتبدل والكاتب الحقيقي لا يكون إلا قلقاً وكان المتنبى قد عبر عن ذلك في شعره

«قلق كأن الريح تحتي» قد يكون مبعث القلق الاستماتة في اخضاع الجمال أو امساك طرف الخيط الذي يحيط بالكون - القلق الوجودي - وكل ذلك مبرر للأديب الذي يصوغ وعيه عبر التزامه بالانسان وقضاياه الأبدية.

«المنهل»: هناك من يقول فى الوسط الادبى ان ما تكتبينه في الثورة غير مكتمل الوضوح ومجرد تلميحات دون الاقتراب والتماس مع العديد من الموضوعات التي تضمها خواطرك وأحياناً لا يعرف القارىء ماذا تريدين؟..

** هذا الكلام يثير في نفسي الضحك والأسى.. علي كل حال ليتك اوردت أمثلة مع اتهاماتك التى اعتبرها ميزة بالنسبة لي.. أولا أنا لا اكتب خواطر فقط.. أنا اكتب قضية.. اكتب التزاماً بالانسان المسحوق بآلة العصر - وآلة العصر هذه فسرها كما تشاء - أحياناً أجد ان العلوم المتطورة ساهمت في سحق الانسان المزروع في الطبقة المتوسطة والمشكلة هي أن هذا الانسان الذي يكتب عنه لا يفهمنا وهو مشغول بالبحث عن رغيف الخبز.. في الحقيقة أشعر بالأسى لذلك لأن طبقة القراء هذه لا ترتفع بوعيها لتحاور الكاتب.. ربما يحتاج البعض الى خطابات مباشرة عبر المنابر مشروحة مبوبة، ان الشروط المحيطة بحياتنا الآن مختلفة وهذا بالتالي يتطلب أدبا مختلفاً عما ساد في عصور الانحطاط. ثم أنا لست مرشدة اجتماعية.. أنا أسأل، أثير زوبعة.. أنا أقول شيئاً وعلى القارىء ان يحاورني أي أن يفكر معي لفك رموز اللغة التي تفتح باب التأويل باعتبار القراءة هنا تفكيراً. أنا ابتعد قصداً عن مجابهة القضايا.. هذه مهمة سلطوية وليست أدبية.. أنا أشير والاشارة طريق من طرق الدلالة التي يرى بها

أريد لهذا العالم أن يتشكل كما أحب

الجاحظ.. ان الدلالة على المعاني لا تكون بالألفاظ وحدها.. بل تكون كذلك بالاشارة.. وهي دلالة سريعة خفية وغير مباشرة ويقول ابو اسحاق الصابي: أفخر الشعر ما غمض. فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه فكيف أكتب الآن بعد قرون طويلة من هذه المقولات العظيمة؟! .. مقالاتي ليست غامضة كما يدعون.. بل البعض قاصر الفهم والادراك. هذه الآراء لا تخرج من اناس مثقفين.. أنا مستعدة لمحاورتهم لأني أعرف ما أريد وأخطط ما أقوله في الزاوية، لأنها سريعة الوصول وسريعة التفاعل والتأثير أنا لا أكتب مواعظ أكتب ادباً له مستويات رؤية متعددة وهى تتجاوز قشرة الواقع وربما تتناقض معه ومثل هذه المستويات ضرورية لخلق التفاعل بين المبدع والمتلقي ولأعترف اني كتبت مقالات كثيرة جريئة الوضوح وكنت أكرهها.

«المنهل»: ماذا تمثل لك البيئة الريفية وحياة القرية التي لا تخلو مفرداتها وصورها من كتاباتك وكيف توفقين بين الذاتي والموضوعي؟.

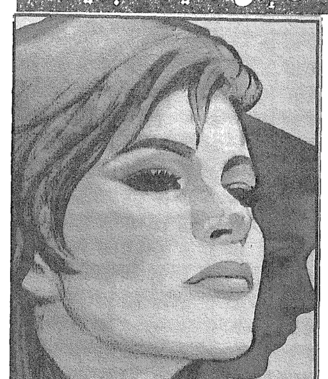
حضارة الغرب امتدت فيها مساحة الغابة المتوحشة

** البيئة الريفية.. تعني طفولتي.. تعني طاولة صغيرة وطفلة تفك رموز الجبر وأباً عجوزاً يصلي في الزاوية فوق سجادة يدوية.. وأماً ترفو أزرار أثوابنا.. البيئة الريفية تعني نهراً يمر بخجل بمحاذاة قريتي وصخرة اتلو عليها آيات القرآن فى رمضان وأشجاراً وفلاحين .. انها البيئة النقية.. انها مكان الحلم الأول وحين أكتب عنها.. أكون في بحث عن عالم البراءة وعالم المثل العليا الذي نفتقده الآن.. عالم الطهارة والقيم الانسانية.. تعاون.. محبة.. اخلاق.. جيران.. مواساة.. وطفولة.. من الذاتي انطلق لأسس العالم الموضوعي.. من الذاتي أبدأ، تتسع الدائرة وأحيط بصوتي عالماً أكثر اتساعاً وجمالاً .. ان الذاتي لا ينضج إلا بالموضوعي، لا يكون إلا باكتشاف ذلك الذاتي الخبئ:

أولا: دمج العنصرين يعطينا مادة شاملة وعميقة.. كيف أكتب عن الحزن وأنا لم أحزن كيف أكتشف صدق العطش وأنا لم اعطش مرة.. ها أنا أحوّل الذاتي الى موضوعي قدر الامكان.

«المنهل»: هل حققت القصة السورية مكانتها المتميزة؟.

** القصة السورية جزء من الكل العربي.. انها قوس في دائرة موسعة.. وهي متشابهة في التكنيك والهموم مع القصة العربية ذلك اننا من أمة واحدة وتراب واحد.. هناك تمايزات أو فروقات فردية تابعة للشخص المبدع وذلك من خلال تلقيه وتمثله للثقافات الأخرى ومن خلال تجربته الذاتية ايضاً وعلى العموم القصة السورية متطورة وهناك أسماء متميزة على مستوى الوطن العربي.. هذا لا ينفى أن كتاب القصة يظلون في حالة بحث دائم لشكل جديد ومضمون جديد يحيط بتطورات العصر وتطور الانهيارات والحواجز والمسافات الشائكة.



رسالة من العتّابي إلى السيدة الجميلة



بقلم:
محمد عبدالواحد حجازي
مصر

* هو كلثوم بن عمر بن أيوب.
* شاعر مترسل بليغ مطبوع متصرف في فنون الشعر
* من شعراء الدولة العباسية.

حبيبتي زوجتي أم طريف:

أنا الآن في البصرة.. في قصر الأمير عبد الله بن طاهر بن الحسين حيث نزلت في ضيافته وهو السمح الجواد، الجزيل النوال، الكريم الخصال، نزلت في ضيافته وأنا متوقد الذهن يقظ القلب متوفز المشاعر علّ قريحتي تجود بدرة من درر شعرى أتقرب بها الى أميرنا وسيدنا عساه يحنو علينا ببره ونعمته ويغدق علينا من دنانيره الثقال ما يعيننا على شراء ما يحتاجه أولادنا ثم ندخر منها ما ينفعنا في يوم لا نجد فيه من يسخو لنا بنوال.. نعم، نحن في رضوان الأمير عبد الله بن طاهر بن الحسين، ولقد استطعت أن أدخل إليه ثلاث مرات. وكان في كل مرة يضاعف لى الجائزة ويزيد لى من حسن الثناء، فمما أنشدته أول مرة:

حسن ظنى وحسن ما عود اللـ
ـه سواى منك الغداة أتى بى
أى شيء يكون أحسنَ من حسـ
ـن يقين حدا إليك ركابي

فَسُرَّ من قصيدتى أيما سرور، وأبدى من الانشراح والابتهاج والأنس بى ما أدهش الجميع وجعلهم يغبطوننى على المنزلة التي لم ينلها أى منهم.. وكيف لهم ذلك، وهم لا يشقون غبارى، ولا ينسجون نسجى، ولا يبدعون إبداعي؟ ولما كان الغد دخلت عليه مع الداخلين، فهش إلي وبش، ثم أنشدته قصيدتى التى قلت فيها:

ودك يكفنيك في حاجتي
ورؤيتي كافيتى عن سؤالْ
وكيف أخشى الفقر ما عشت
وإنما كفك لى بيت مال

أتدرين يا أم طريف كيف فعل الأمير؟ لقد اهتز أريحية ونخوة، فأبي إلا أن يزيد جائزته، فكانت أجزل من سابقتها وأوفر.. ولم أكتف بهذا فجئت في اليوم الثالث وأنشدته رائعة جديدة وكان مما قلته فيها:

بهجات الثياب يخلقها الدهـ
ـر وثوب الثناء غصن جديد
فاكسنى ما يبيد أصلحك اللـ
ـه فإنى أكسوك مالا يبيد

فما كان من الأمير إلا أن غمرنى وأفاض عليّ من رقيق الملابس وجميل ما يكسونا طوال عمرنا ويزيد.. فانظرى كيف شقيت من أجل المال وكيف جاهدت فى سبيل توفيره.

حبيبتى زوجتى أم طريف :

نعم، لا تحسبي يا حبيبتي أن المال الذي فزت به والجوائز التي نلتها كانت ميسرة السبيل ممهدة المجتبى، ولكنها كانت صعبة عصية. إلا أن صعوبتها لم تكن من جهة الأمير عبد الله، أعزه الله وزاده بسطة في المال، إنما جاءت الصعوبة من قبل بطانة السوء - أولئك الذين ينفسون عليّ حب الكبراء لي وإكرامهم إياي، وإن كنت ممن لا يعبأون بالناس ولا بكلام الناس. أما أنت فمسكينة حقا، تحسبين لهم كل حساب ولا أدري لِمَ لِمَ تتعلمي مني وقد عاشرتني طوال تلك السنين. ولأسوق إليك موقفي من الناس.. حدث أن رآني عثمان الوراق وأنا آكل خبزا على الطريق بباب الشام. فقال لي: ويحك أما تستحي؟ فقلت: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟ فقال: لا ، قلت: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر. ثم قمت فوعظت ، وقصصت ودعوت حتى كثر الزحام علي. ثم قلت: روى لنا من غير وجه أن من دخل لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار.. فما بقي منهم أحد إلا أخرج لسانه يومىء به نحو أنفه ويقدره ليعلم هل يبلغ أرنبة أنفه أم لا. فلما تفرقوا قلت لعثمان الوراق: ألم أخبرك أنهم بقر؟.. وهكذا الناس على حقيقتهم يا أم طريف.

حبيبتي زوجتي أم طريف :

إنني كما قلت لك لم أكن أخشى كلام الناس ولكنني أخشى الشامتين والحاقدين من الشعراء الذين لا هم لهم إلا أن يحسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله. وإن أخوف ما كنت أخافه - وهذا من الأسرار التي أكشف عنها إليك - إنما هو الشاعر الأفّاق الخبيث منصور النمري - فهو لا يترك أميراً أو وزيراً، أو وجيها إلا وأوقد الفتنة بيني وبينه فدسّ عنده بما يُنْقِمُهُ عليّ. أهناك أكثر من أن يسعى بي الى الرشيد حتىَ اغتاظ علي وطلبني ليطيح برأسي لولا أن سترني الكريم ابن الكريم، والماجد بن الماجد جعفر بن يحيى؟ فقد صرت عنده بعيداً عن أعين رجال الرشيد. وفي فترة اختفائي حباني جعفر بعطفه وبره وهدّأ من روعي وطمأنني بأنه لن يألو جهدا في استلال ما بنفس أمير المؤمنين من أسباب الضغينة والنقمة عليّ. وفعلا ظل جعفر في وساطته وشفاعته حتى نجح وأعادني أمير المؤمنين الى حضرته فاستحق جعفر مني الاعتراف بالجميل، فقلت له:

مازلت في غمرات الموت مطرحا
قد ضاق عني فسيح الأرض من حيل
فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لي
حتى اختلست حياتي من يدى أجلي

وغير هذا لقد أوقع الملعون بيني وبين عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي فغضب عليّ وحرمني من رفده. فماذا أفعل.. والرجل صديق وللصداقة حرمتها وحقها، فعملت على أن أصالحه طالباً رضاءه وصفحه فقلت له:

لقد سمتني الهجران حتى أذقتني
عقوبات زلاتي وسوء مناقبي
فهل أنا ساع في هواك وصابر
على حد مصقول الغرارين(١) قاضب(٢)
ومنصرف عما كرهت وراجع
رضاك مثالا بين عيني وحاجبي

ومع ذلك، أليس الاقتصاد في السعي خيراً من الجموح في الأمنيات؟ فلا تنظري الى ما بأيدي الناس يا أم طريف.. فخير للمرء وأسلم أن يقنع بالميسور حتى لا يورده الطمع موارد الهلاك وأمامك من مصائر الكبار ما هو خير موعظة، فأقلي من لومك وطمعك:

تلوم على ترك الغنى باهلية
زوى الفقر عنها كل طِرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرى
مقلدة أعناقها بالقلائد
أسرك أني نلت ما نال جعفر
من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أعضني
معضهما بالمرهفات البوادر
دعيني تجئني ميتتي مطمئنة
ولم أتجشهم هول تلك الموارد
فإن رفيعات الأمور مشوبة
بمستودعات في بطون الأساود

حبيبتي زوجتي أم طريف :

فإلى أن أرجع إليك فسوف تظل:

رسل الضمير إليك تترى
بالشوق ظالعة(٣) وحسرى(٤)
متزجيات(٥) ما ينين(٦)
على الوجى من بعد مسرى
ما جَفَّ للعين بعدك يا قرير العين مجرى
إن الصبابة لم تدع
مني سوى عظم معرى
ومدامع عَبْرى على
كبد عليك الدهر حرى

الهوامش

(١) الغراران: الحدان.
(٢) قاضب: قاطع.
(٣) الظالع: الذي يغمز في مشيته.
(٤) الحاسر: المتعب.
(٥) متزجيات: منساقات.
(٦) ينين: يبطئن.

أوراق زوجية

أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية

بقلم أبو عواد.. أم عمر

٧٠٢ ـ أبو عواد:

كثر التندر على الحماوات في اوساط العرب والعجم قديماً وحديثاً، ويتوقع المراقب من جيل الشباب المتندرين من الجنسين أن يتذكروا نوادرهم عند تبادل الادوار لكن ذلك لم يحصل (ولن يحصل بالطبع) بدليل توريث هذه النوادر من جيل الى جيل، وتلونها بلون كل عصر، لكنني أكاد أجزم أن من تحسن معاملة حماتها في شبابها سيكون لها احترامها عندما تستقبل دورها كحماة اذا طال بها العمر لأن الجزاء من جنس العمل ولكن كم واحدة من شابات اليوم تعمل بهذا؟.

٧٠٢ ـ ام عمرو:

اوافق على أن اكثر ما يتعلمه اولادنا منا لا يأتي عن طريق الكلام ولكن عن طريق المشاهدة والتقليد فالولد الذي يرى أمه تحترم وتحب حماتها سيكبر ويتوقع ذلك من زوجته ويصر عليه.

٧٠٣ ـ أبو عواد:

عين الصواب أن يعمل المرء لآخرته كأنه يموت غدا وأن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا .. بعض النساء فقط تعمل لدنياها كأنها تعيش أبدا وفئة أخرى فقط تعمل لآخرتها كأنها تموت غدا وما أحوجنا الى نساء يحرصن على جانبي المعادلة وتكون نظرتهن للأمور مزدوجة لا أحادية الطرح والتوجه.

٧٠٣ ـ أم عمرو:

ان الحرص على التوازن فى الحياة والعمل للدنيا والآخرة معا مهم لكل من الزوج والزوجة ومهم كدروس للأبناء ايضا.

٧٠٤ ـ أبو عواد:

سأظل دائما أتذكر أنك سبب مشاكلى وأن هذا الشعور يلازمنى حتى وأنا فى أسعد اللحظات معك.. عندما تكون ثمة سعادة بيننا.

٧٠٤ ـ ام عمرو:

لقد رزقنا الله بنعمة النسيان لنجدد عقولنا وننظف خزائنها بين الحين والحين، اما الذين يصرون على الاحتفاظ بالمخلفات فعليهم ان يتحملوا رائحة التعفن التى ستنبعث حتما منها وتؤثر على كل شىء حتى ولو كان زكى الرائحة.

٧٠٥ ـ ابو عواد:

ليس صحيحاً أن الشغوفين بنقد المرأه من أمثالي ممن يصح أن يوصفوا جميعاً على أنهم متحاملون على المرأه وأنهم اصحاب رسائل معينه يخفون من ورائها كلمات ومعاني تصف المرأة بصفة تنال من مكانتها وكرامتها من خلال ما يطرحون من أفكار نمطية عن النساء. إلا اذا ادعت حواء لنفسها أنها فوق النقد وهو أمر مردود عليها.

٧٠٥ ـ ام عمرو:

«الكلمة نور وبعض الكلمات قبور» هكذا يقول الكاتب. النقد مقبول اذا حملته رموز مقبوله. وهج النار يضيء ويرشد ودخانها الكثيف يعمي.

٧٠٦ ـ ابو عواد:

إننا حين نكتب عن المرأه ونضع تصرفاتها على المنضده ونحضر مشارطنا فنحن والحالة هذه أشبه بالجرّاح الذي يشق ويجرح ليعالج ويضمد ولكننا لا نستطيع أن نتم مهمتنا تحت التخدير لأننا نحتاج الى عقل وصحوه وحضور ذهني.

٧٠٦ ـ ام عمرو:

هناك ايلام يوقظ ويصحح وايلام يوجع ويحبط وكما قال الشاعر:

وقد يرجى لجرح السيف برء
وجرح القلب لا يرجي التئامه

٧٠٧ ـ ابو عواد:

يقولون أن المرأه لو عرفت مكانة أم الزوج لوجهت لها اهتمامها حتى تمتلك حب زوجها الى نهاية مشوار الحياه.. لكن الذى يحصل أن الغالبية لا تعمل بذلك ان كان جهلا فيه أو تجاوزا له والأنكي من ذلك أنها وتحت تداعيات حب المراهقين قد لا تتورع أن تسأل الزوج عما اذا كان يحب أحداً اكثر منها حتى لو كانت المعنيه أمه.

٧٠٧ ـ ام عمرو:

رغبة الزوجة فى الاستحواذ على اهتمام وعواطف زوجها رغبة غريزيه وضعها الله فى المرأة للمحافظة على سلامة وتماسك العش الجديد، تتحول الى عاطفه صحيه اذا اطمأنت الزوجة على حب زوجها ورعايته، وإلى عاطفة مريضة اذا خافت الزوجه وتشككت فى ذلك ، والزوج الناضج الحكيم يعرف كيف يوظف هذه العاطفة لصالح اسرته.

٧٠٨ ـ ابو عواد:

أعتقد أن مزاج الرجل متقلب في نظرته وتعامله واسلوب حياته مع زوجته فهو لا يثبت على موقف معيّن.. انه لا يطيق أن يسمع منها حرفاً فى موضوع ما هذه اللحظة.. لكنه بعد حين يستعذب حديثها فيه وفي غيره من الموضوعات.. وليتها تركب الموجه وتتجاوب معه دون فتح محضر عتاب وسين وجيم على موقفه الأول.. لكنها للأسف تفعل ذلك لتنقلب حالة الانفراج الى نكد وغم من جديد.. وهنا تبرز حكمة المرأه!!

٧٠٨ ـ ام عمرو:

الأسرة الناجحة تنظم اوقاتها وتحدد لكل عمل وقته فيعرف كل من الزوجين متى يتكلم ومتى يسكت والاعتقاد بأن مزاج الرجل متقلب بطبيعته غير صحيح والصحيح ان مزاج الرجل «مدلل».

٧٠٩ ـ ابو عواد:

الاداريون يقولون إن الموظف للوظيفة وليس العكس.. وهذا الكلام مرفوض من قبل حواء في حياتها الزوجية، انها تريد الزوج لها وحدها وفقط لها وحدها سواء أكانت تصلح أن تكون زوجة أم لا تصلح .. وكان الله فى عون الكثير من الأزواج الذين لم يمنعهم عن الزواج الثاني سوى كرههم للفضائح التي سيشعل فتيلها من داخل بيوتهم.

٧٠٩ ـ ام عمرو:

الوظيفة لا تستمر اربعة وعشرين ساعة إلا عند الأزواج الذين يعينون أنفسهم فى وظيفة اضافية بدون اجر عند رفاق ايام العزوبية.

٧١٠ ـ ابو عواد:

عزيزتي .. أنصحك أن تجعلي من «ترك العتاب» ـ عتاباً ـ لزوجك وحين يفتح لك قلبه لا تفرطى في الغطرسة والدلال!

٧١٠ ـ ام عمرو:

وكيف تتغطرس من لا تملك حق العتاب؟ وكيف تكون «الغطرسة» و«الدلال» معاً والأولى تشير الى القوة والثانية الى الضعف؟.

٧١١ ـ ابو عواد:

أنت مطلقه: إذن اما أن زوجك ظالم .. أو أنك تستحقين ما جرى لك .. أو أن طرفاً ثالثاً قتلك بفرط حبه لك.

٧١١ ـ ام عمرو:

اننا لا نفهم سلوك الإنسان إلا اذا عرفنا غايته فالغاية تكشف عن السبب الحقيقى الذى يمكن ان يكون شيئاً بعيداً عن تصورنا وكثيراً ما يكون سبباً غير مشروع برره صاحبه لنفسه لحاجة فى نفس يعقوب.

٧١٢ ـ ابو عواد:

اذا كنت فعلا تحبينه .. فاحتمليه .. اذ لا معنى للحب بلا تضحيات.

٧١٢ ـ ام عمرو:

الحب فعلا عطاء وتضحية ولكن يجب ألا ننسى ان اى سلوك للإنسان «ينطفئ» كما يقول علماء النفس اذا لم يقابله تعزيز مناسب.

صعلوك ولـ

نوافذ على ثقافات العالم

عرف تاريخ الأدب العربي تلك المجموعه من الرجال الأبطال الذين اختاروا حياة التشرد القهري بلا وطن ولا أهل ، والتنقل من موطن الى آخر بلا استقرار والغزو من أجل الحياة والبقاء ، والرحيل عبر الفيافي والقفار دونما هدف، عرفهم بالصعاليك وهم في الغالب شعراء مجيدون، ورجال يتحدرون من أصول جيدة، لكن قبائلهم نبذتهم وطردتهم خارج كيانها لسبب أو لآخر، فاختاروا هذا النوع الموحش من الحياة الغريبة القاسية التي طبعت ابداعهم الشعري بطابعها الخاص، لأنهم لم يجدوا سواها أمامهم.

ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفرى، واحد من هؤلاء الشعراء الصعاليك، أو هو من أبرزهم، وهو صاحب القصيدة الشهيرة التي عرفت بـ «لامية العرب» لم يذكر له المؤرخون تاريخ ميلاد محدد، ولا مكاناً معروفاً، وهذا ما يفسر تعدد الروايات عن حياته الأولي ومنشئه، ومن ثم رحيله عن قومه وأسباب هذا الرحيل، وإن كان الجميع اتفقوا على أن وفاته كانت في عام ٥١٠م على يد عدّاء من العدائين المشهورين هو أسيِّد بن جابر ، استطاع أن يلحق به ويقتله، وهو الذي اشتهر بأنه من أبرز عدائي العرب حيث عاش حياته بلا وطن، يتنقل عدواً ، ويغزو راجلا لوحده أو مع مجموعة من العدائين الذين كانوا يرافقونه، ولسرعة عدوه كان يصعب على مطارديه وهم على ظهور خيولهم أن يلحقوا به قبل أن يلوذ بالجبال أو يعتصم بالأودية، وهذا ما كان يترك الكثير من الرعب والترويع في نفوس سكان الأحياء التي يغزوها ليأخذ منها ما يحتاجه لاستمرار حياته التي لم تكن في مستوى واحد، فأحياناً كان يظهر فقيراً معدماً، يصبر علي الجوع أياماً ويتحمل شظف العيش بعزة نفس وإباء، وفي أحيان أخرى كان يظهر غنياً بما ناله بهمته وقوته، لكن لا الفقر كان يدوم، ولا الغنى كان يطول وقته، لأنه لم يكن ثابت الإقامة في مكان واحد أو أرض معينة، ولعل هذه الحياة بكل قسوتها هي التي ساعدت على نمو شاعريته بصورة برزت معها كل الميزات الخاصة به كانسان مثل عزة النفس ورقتها، وصبره وتجلده، وعنفوانه وإبائه، فجاء أكثر شعره في الفخر والحماسة والتعبير عن المعاناة وشدة التحمل في مختلف الظروف.

شعره :

من المؤكد أن حياة التشرد والوحدة التي عاشها الشنفرى تركت أثرها الواضح على شعره، فجاء قوياً تغلب عليه روح الطبيعة القاسية، لكن في

قصة من اليابان

بعد أن وضعت السطل بجانب وردة الحظمي، قطفت اكيكو عدة اوراق من الخيزرانة القزمة النامية تحت شجرة الخوخ، واسقطتها في الماء.«زوارق ، هل تحبها؟»

حدق الصبي متفحصاً داخل السطل، ثم رفع عينيه الى أكيكو وابتسم.

«أكيكو صنعت لك زوارق رائعة» قالت أمه: «لأنك ولد جيد تماماً، أكيكو ستلعب معك إن كنت جيداً دائماً!»..

كان الصبي أخاً صغيراً لخطيب اكيكو، وقد خرجت إلى الحديقة لأنها أحست أن الأم تريد أن تبقى بمفردها مع أبيها، ونظراً لأن الصبي كان مزعجاً فقد جلبته معها، فهو بعد كل شيء أصغر أخوة خطيبها.. حرك السطل بعنف خاضاً الأوراق «هي تشتبك في معركة» قال بسرور بالغ، وعصرت الكيمونو الذي كانت قد غسلته وعلقته كي يجف.. كانت الحرب قد انتهت، إلا أن خطيبها لم يعد بعد، «إلى القتال» قال الصبي وهو يحرك الماء بعنف أشد «ليكن قتالا أشد».

«الماء يتناثر عليك .. لقد تبللت!» «لكنها لا تتحرك» وكان ذلك صحيحاً، فقد كانت تركد ساكنة حين يسحب يده.. «سنخرجها الى النهر، بذلك ستظل تتحرك».

وجمع الصبي الأوراق ، فسكبت اكيكو الماء على وردة الحظمي وعادت بالسطل إلى المطبخ، ثم وقفت بعدئذ على حجر بجانب النهر وبدأت تسقط الأوراق فيه واحدة بعد الأخرى، بينما راح الصبي يصفق مبتهجاً، زورقي هو الرابع، انظري ، انظري!».

وجرى مع التيار دون أن يضيع أثر الزورق المنطلق في المقدمة، ثم ألقت الأوراق الأخيرة في النهر وانطلقت خلفه، كان عليها أن تحذر من الدعس بكامل قدمها اليسري على الأرض، إذ كانت قد أصيبت بشلل أطفال ولم يكن كعبها الأيسر يلمس الأرض، فقد كان ضيقاً ودقيقاً، وكان القوس عالياً، لم يكن باستطاعتها أن تقفز على الحبل أو تمشي أية مسافة طويلة، وكانت قد عزمت على ألا تتزوج، ثم وجدت نفسها مخطوبة.

من المؤكد أن التصميم يمكن أن يقهر العيوب الجسدية، لقد حاولت بجد أكثر من ذى قبل أن تمشي وكعبها الأيسر على الأرض، وسرعان ما طلعت فيه البثور لكنها استمرت، بعدئذ جاءت الهزيمة فاستسلمت، كانت الندوب التي تركتها البثور ما تزال موجودة على شكل تقرحات بليغة جداً، كانت تستعمل كعبها الأيسر للمرة الأولى منذ زمن طويل، لأن الصبي الصغير كان أخاً لخطيبها، وكان المجرى المائي جدولا ضيقاً نمت فيه الأعشاب ثم تدلت فوق مائه، فَعَلِقَ زورقان أو ثلاثة



بقلم: نهاوند عبدالله - جدة

المقابل منحته قدرة خاصة على رسم صور تعبيرية رائعة من حياته التي كانت علاقته خلالها بحيوانات البراري ووحوشها أفضل من علاقته بالناس، لذلك هو يصفها بقوله:

ولي دونكم أهلون سيد عملس
وارقط زهلول وعرفاء جيأل

وفي هذا البيت انموذج لبعض هذه الوحوش والحيوانات مثل الذئب والثعبان وغيرهما، وقد كان يأنس لها لشعوره بأنه أقوى منها، وأن أصحابه الحقيقيين سيفه الصقيل وقوسه الطويل، وبين جنبيه قلب لا يجزع ولا يهاب الموت، فقد علمته ظروف حياته أن يتآلف مع كل الأشياء من حوله، وأن يتحمل أقسى الحالات التي تمر به، لأن نفسه المتمردة لا تقبل المهانة، ولا تستسلم للمصاعب، فمنذ وعى رفض حتى موقف أهله منه عندما أرادوا إغاظته، فهجرهم وانطلق في البرارى يبحث عن حياة جديدة يسابق فيها مشاعره الانسانية، وهو العداء الذي لم يكن يلحق به أحد، ليتحول الى حياة مشتتة ارتضاها برغبته، دون أن يتخلى عن قيمه وعزة نفسه.

من قصيدته الشهيرة «لامية العرب» التي تقع في ثمانية وستين بيتاً من البحر الطويل، والتي تعد من أشهر القصائد في العصر الجاهلي، وقد تمت ترجمتها الى العديد من اللغات العالمية مثل الألمانية والانكليزية والفرنسية، من هذه القصيدة أبيات متفرقة هي التالية:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعزَّلُ

ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع
وابيض اصليت وصفراء عيطل

أديم مطال الجوع حتى أميته
وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل

وأستف ترب الأرض كي لا يرى له
عليَّ من الطول امرؤ متطول

وهذه القصيدة ومعظم شعر الشنفرى يقدم صورة دقيقة عن حياة البداوة التي كان يعيشها الناس في العصر الجاهلي، وأسلوب التعبير الفني في أشعارهم، وطريقة الرسم الفنية المتقنة التي تجعل من اللغة وسيلة جيدة لنقل الصورة بمنتهى الوضوح والدقة، وهذا سبب من أسباب قوة الشعر الجاهلي ونجاحه، ويمثل الشنفري الجانب الواقعي غير المزخرف منه بكل ما فيه من حرارة العاطفة، واندفاع في الثورة التي ولدتها الظروف التي عاشها هذا الشاعر المتفرد بين شعراء الجاهلية.

أوراق الخيزران

للكاتب الياباني كواباتا ياسوناري

فيها، وأمامها بحوالي عشر خطوات كان الصبي يراقب الزوارق غير واع لاقترابها منه، فهو لم يعر أي انتباه لطريقتها في السير.

التجويف في مؤخرة عنقه جعلها تفكر بخطيبها، فودت لو تأخذ الصبي بين ذراعيها.. خرجت الأم، ودعتها ثم قادت الصبي من يده، فقال بهدوء «وداعاً».

أما أن خطيبها مات أو ان الخطبة قد فسخت، لعل عاطفية زمن الحرب هي التي جعلته يرغب بالزواج من عرجاء بالدرجة الأولى.. ولم تدخل المنزل، بل ذهبت عوضاً عن ذلك الى البيت الذى كان قيد البناء في الجانب المجاور، لقد كان أكبر بيت في الجوار، وكان كل الناس يرقبونه، كان البناء قد توقف خلال الحرب، ونمت الأعشاب حول الأخشاب الى ارتفاعات عالية، بعدئذ وعلى نحو مفاجيء بدا وكأنه يتحرك الى الأمام مرة أخرى، فقد كان عند البوابه شجرتا صنوبر غير مستقرتين.. بدا المنزل لأكيكو أشبه بمنزل عسير صعب المراس، لكنه كان يحوي عدداً كبيراً جداً من النوافذ، وبدا البهو مؤطراً بصورة كاملة تقريباً بالزجاج.. كانت هنالك تخمينات كثيرة حول نوعية الناس الذين سيسكنون هذا المنزل، لكن ما من أحد كان يعرف بالتأكيد.

الكاتب الياباني كواباتي ياسوناري:

أول من حاز على جائزة نوبل في الآداب في عام ١٩٦٨ لتمكنه من فن القص الذي يعبر خلاله وبحساسية بالغة عن جوهر العقل الياباني.

بعد استلامه الجائزة وعودته من ستوكهولم قام بعدة رحلات الى الخارج ألقى خلالها محاضرات، وحضر مؤتمرات كُتّاب.

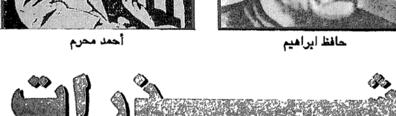
ولد كواباتا ياسوناري في اوزاكا عام ١٨٩٩، وفقد والديه وهو ما يزال طفلاً صغيراً، ثم توفيت جدته وأخته الوحيدة بعدهما بقليل، وفي الرابعة عشرة من عمره توفي جده، فعاش بعد ذلك في مدرسة داخلية مدرسية حتى غادر اوساكا للالتحاق بمدرسة النخبة العليا الأولى في طوكيو.

بدأ حياته الأدبية وهو طالب في جامعة طوكيو الامبراطورية ينشر قصصه القصيرة التي سماها «قصص راحه اليد» ولم يكمل أياً من رواياته حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية، مثل روايته «بلاد الثلج» التي اكتملت عام ١٩٤٧.

توفي منتحراً في مكتبه عام ١٩٧٢.

حافظ ابراهيم

أحمد محرم



((١٦))

١٠٠ ـ المطارحات الشعرية :

قلّتْ رواية الشعر المعاصر منذ ابتُلي بالشعر الحر، لأن هذا الضرب من النظم يفقد الموسيقى التامه التى تساعد على الحفظ، وقد كان أبناء الجيل الماضى يحفظون قصائد شوقي وحافظ ومن سار على دربهما ويردّدونها فى مجالس السمر، وقاعات الدرس، وكانت القصيدة لأحدهم لا تُقابل بالذيوع وحده، بل بالمساجلة تارة، والمناقضة تارة، هذا غير التحليل النقدى، والتشرع الأدبى فى الصحف السيارة، وسأضرب الأمثلة لما أقول.

لقد نظم اسماعيل صبرى شيخ شعراء مصر، قصيدة سياسية بدأها بالحنين الرقيق فقال:

لو أن أطلال المنازل تنطق
ما ارتدّ حرّان الجوانح شيّق
هل عند ذاك السرّب أنا بعده
فى الحيِ من آماقنا نتدفق
أمنازل الأقمار أهلك أسرفواَ
فى النأى إسراف الغنى وأغرقوا
لو أنهم قد أنصفوك منازلا
ما حازهم من بعد أفقك مشرق

* وما كادت القصيدة تُنشر حتى ساجلها شوقى بقصيدة مطلعها :

أما العتاب فبِالأحبة أخلق
والحبّ يَصلُح بالعتابِ ويصدق
يا مَن أحبّ ومن أجلّ وحسبُه
فى الغيد منزلة يُجلّ ويعشق
البعد أدنانى إليك فهل تُرى
تقسو وتنفر، أم تلين وترفق
فى جاه حُسنك ذلّتى وضراعتى
فاعطف فذاك بجاه حسنك أليق

* وثلّث حافظ ابراهيم بقصيدة أخرى مطلعها :

سكن الظلام وبات قلبك يخفق
وسطا على جنبيك همّ مُقلَق
حار الفراش وحرت فيه فأنتما
تحت الظلام معذب ومؤرق
عجباً يلذّ لك السكوت مع الهوى
وسواك يبعثه الغرام فينطق
أخفيت أسرار الفؤاد وإنما
سرُّ الفؤاد من النواظر يُسْرق

* وهكذا دوّى القصيدُ فى مناسبة واحدة مساجلا ومطارحا وأذكر أن الاستاذ عبد الله عفيفى رحمه الله قام بموازنة أدبية بين القصائد الثلاث، وعارضه غيره، فدارت معركة نقدية جوار المساجلة الشعرية! فأين نحن اليوم من هذا؟ وأكثر ما نقرأ من شعر هؤلاء غير مفهوم ، وليس الشعر فلسفة منطقية حتى نبذل الجهد فى فهم معمياته وكأنه بعض الأحاجي والألغاز..

١٠١ ـ نقد الأستاذ محرم:

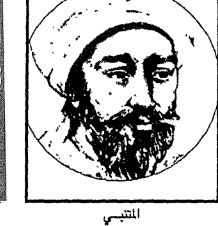
تعرضت مقدمة صبرى لنقد موضوعى من الشاعر الكبير احمد محرم، لأن شيخ الشعراء ابتدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال كما كان يفعل السابقون من قبل ، ولم ينكر الأستاذ محرم صوغ الشعر فى الطلل، لأن بكاء المنازل حاجة من حاجات النفس، والمنزل بعد رحيل ساكنيه يصير طللا من الأطلال، وإن كان قصراً من القصور، ولكن محرم ينكر الترداد الذى جاء به صبرى فى أبياته، إذ لا يكفى أن يقول لو أن أطلال المنازل تنطق، كما قال الجاهلى القديم، بل عليه أن يأتى بأفكار جديدة، وأن توحى إليه خواطره الشاكيه ما يهز القارىء، ثم ضرب أحمد محرم أمثلة لمن وقفوا من الشعراء على الأطلال وجاءوا بالجديد من أمثال أبى نواس وأبى تمام والبحترى والمتنبى، ومن قبلهم الأخطل وجرير ومن أروع ما اختاره قول المتنبى:

أثلِثْ فإنا أيها الطلل
نبكى وترزمُ تحتنا الإبلُ
لو كنت تنطق قلت معتذرا
بى غير ما بك أيهاَ الرجلُ
أبكاك أنك بعض من شغفوا
لم أبك أنى بعض من قتلوا
إن الذين أقمت وارتحلوا
أيامهم لديارهم دُوَلُ
الحسن يرحل كلما رحلوا
معهم وينزل حيثما نزلوا

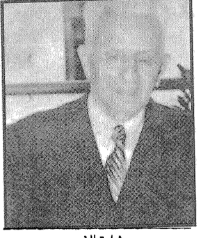
وقول المتنبى هذا منقطع النظير.

١٠٢ ـ (مساجلة ثانية):

زار الأستاذ على الجارم لبنان مندوباً عن مجمع اللغة فى مناسبة

المتنبـي



بشارة الخوري

الذهب

للدكتور: أبي هشام.. المنصورة

علمية، فألقى قصيدة رائعة بدأها بالحنين اللاذع والأسف البـــاكى لفوات الشباب، وقد تحسرّ على الماضى الأنيس تحسُّر الشيخ على أيام صباه، وقال إنه لو استطاع لباع عمره كله لأحلام الصبا، حين كانت أوتاره تغرد وحدها، وكانت أشعاره فتنة للحسان، تستل كل تدلل وجماح، أما اليوم فقد ألقى السلاح، وغسل جراحة بالدموع، يقول الجارم:

ألقيتُ للغيد الملاح سلاحي
ورجعت أغسل بالدموع جراحي
ولمحت ريحان الصبا فوجدته
ذبلت نضارته على الأقداح
كان الشبابُ طماحَ لاعجة الهوى
فاليومَ يرفع ساعديه طماحي
من لي وقد عبث المشيب بلمّتي
بضياء ذاك الفاحم اللماح
لو أستطيع لبعت عمرى كله
لمنى الصبا، وأريجه النفاح
أيام أوتارى تغرد وحدها
وتكاد تسكر فى الزجاجة راحي
أيام شعرى للفواتن رقيةٌ
تســـتل كل تدلل وجماح
الفلسفات وما حوت فى نظرة
من لحظ ساجية العيون رداح
تُغرى الهوى وتصدُه لمحاتها
فتحار بين تمنع وسماح

* وقد نشرت صحف لبنان القصيدة، وأسهبت فى الثناء عليها، وقرأها الشاعر الكبير بشارة الخورى شاعر لبنان الوجدانى فأوحت له خواطر لا تسير فى فلكها، بل تقف منها موقف المناقض، فالجارم قد ودَّع الحسان وألقى سلاحه، وبكى الشباب وعاتب الشيب، وطوى عهد الصبابة الى الأبد، ولكن بشارة الخورى أعلن أنه سيصحب الحب الى قبره ولن يتركه مدى الحياة، وهو لا يشيع صبابته بالدموع، بل سيبقيها معه ما عاش ، ومن كان قد فرغ من دنياه - يعنى الجارم - فهو يقبض براحته على الحياة متشبثا، وعنده أن شمس الأصيل أفضل وأغلى من شمس كل صباح! يقول الخورى:

فتَنُ الجمال وثورة الأقداح
صبغت أساطير الهوى بجراحي
ولد الهوى والخير ليلة مولدى
وسيُحمَلان معى على ألواحي
قد عِشْت بينهما على نغم الصبا
كفراشة علقت نُدىً أقاحي
روح كما انحطم الغدير على الصفا
شعباً مشعبة الى أرواح
للحب أكثرها وبعض كثيرها
لرقى الجمال وبعضها للراح
أنا لا أشيّع بالدموع صبابتى
لكن ألفّ جناحها بجناحي
ذرنى وما فعل الزمان بمفرقى
ما كنت أدفن فى الثلوج صداحى
من كان من دنياه ينفض راحه
فأنا على دنياى أقبض راحى
إنى أفدّى كل شمس أصيله
حذر المغيب بألف شمس صباح!

* والسؤال الذى يوجه للخورى، أيملك شمس الصباح حتى يجعلها فداء شمس الأصيل؟ لقد كان يملكها قطعاً فى صباه فهل ذكر حينئذ شمس الأصيل مرة واحدة؟ إنه كان يستعيذ منها، وهو يتشبث بها الآن فراراً مما ينتظر؟ وما عنه محيد، وهبه تشبث بالصبابة فَمَنْ من الحسان تجاريه؟

١٠٣ - (أرق المساجلات):

من أرق المساجلات الأدبية النبيلة التى قرأتها ما دار حول الشاعرة المصرية منيرة توفيق رحمها الله وقد كانت شاعرة متواضعة، تكتب الشعر لنفسها، ولا تنشر منه شيئا إلا إذا دعت ضرورة ملزمـــة، وهذا يدل على أن روح الشاعرية لديها ذات اكتفاء تام برضاها النفسى حيث تحتقر مظاهر الطبل الأجوف، والدعاية الكاذبة، ومن حديثها أن زوجها المرموق وقد كان يحتل منصبا لامعاً فى وزارة الداخلية، عزم على طلاقها لأسباب لا تعرفها، ولا يهمنا أن نتلمس أسبابها، فأسباب الخلاف ميسورة لمن يدقق ولا يتساهل، وقد هالها ما اعتزمه من فراق، فكتبت قصيدة ممتازة نشرتها بمجلة الرسالة الغراء فى السنة الأولى، تستعطف بها قلب الزوج الجامح وتقول فى رقة وعتاب

من أبيات كثيرة.

مالى أراك معاندى
ومعذّبى فى غير طائل
لم ترع لى صلة الهوى
وهجرتنى والهَجْرُ قاتل
هل رُمت أن تغدو طليقا
لا ينـال هواك حائل
أورُمت غيرى زوجة
- يا للأسى - فيما تحاول
إن تبغ مالا فالذى
أدريه أن المال زائل
أو تبغ حسناً فالمحا
سن جمة عندى مواثل
أو تبغ آداباً فأشعا
رى علـى أدبى دلائل
أنا ما حفظت سوى الـ
ـوفاء ولا ادخرت سوى الفضائل
فجزيتنى شر الجزاء
وكنت فيه غير عادل

* وما كادت القصيدة تذاع حتى جاوبتها أصداء شتى على صفحات الرسالة والصباح وغيرهما، ويطول القول لو عرضنا كل ما قيل، ولكنا نكتفى ببعض ما يُشر الى هذا التجاوب الوجدانى فقد كتبت الشاعرة خيرية أحمد تقول من قصيدة جيدة:

عجبى لزوجك كيف غير عهده بعد التواصل
هل للخلال الباهرات وللفضائل من مُماثل
ولربَّ رأي قد رآه الزوج حقاً وهو خائل
وتعدد الزوجات فى الأسرات مهزلة المهازل
وإخـال أنك تحلمين وأن هذا الحلم زائل
سيعود زوجك للوئام وليس عند الخلف طائل

* أما الشاعرة «ناهد فهمى» فقد اتجهت الى أختها مواسية فى حنان حين قالت فى رقه.

إنى أرى بين السطور دمو
ع قلبك كالجداول
تجرى بألحان الأسى
وخريرها يُشجى العقائل
لا تيأسى فلربّما
عاد العقوق إلى التواصل
كم من ضحايا للرجال
وكم نعانى من نوازل

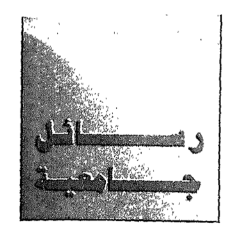
* وشارك الرجل فى المواساة فقال الأستاذ «محمد جاد الرب» مخاطباً الزوجة المهجورة:

لك من كمالك غنية
عن قاطع وداً وواصل
لا تعجبى من ميْله
فالدهر يا أختاه مائل
إنَّ الألىَ شغلوه عنك
لبيْنَ سافلة وسافل
كلُّ السعادة فى الحياة
عقيلة فى بيت عاقل

* وكان لهذه المساجلات - ولغيرها مما لم أشر اليه - دوىّ فى نفس الزوج، فقد راجع نفسه، وعاد الى الحسنى وجاءت البشرى فى قصيدة نشرتها السيدة منيرة توفيق على صفحات الرسالة تقول فيها:

قد عاد لى زوجى الكريم
وجاء يقرع سنَّ نادم
من بعد ما قدرتُ أنّ
رجوعه أضغاث حالم
هى غضبة شعرية
أدّت الى حسن الخواتم
فعلت به ما ليس تفعله
العـزائم والتمـائم

ويا ليت مجال المنهل كان يسمح بنشر كل ما قيل.. ولم لا يسمح وأنت العَالِم الثقة.. «المنهل».



المركـ
في عقـ

أهمية البحث وسبب اختيار الباحث له:

يقول الباحث: يعد موضوع المركز القانونى للمرسل إليه في عقد النقل البحرى» من الموضوعات الهامة والدقيقه التي مازالت مثار خلاف في الفقه والقضاء سواء فى فرنسا أم فى مصر، وهذا الموضوع يمثل مشكلة معروفة للباحثين فى مجال دراسات القانون الخاص بصفة عامة ودراسات القانون التجارى والبحرى بصفة خاصة، ومضمونه فى عبارة موجزة يقتضى تحديد ما إذا كان المرسل إليه «طرفا» أم «غيرا» فى عقد النقل؟ والأساس القانونى لاعتناق وجهة النظر هذه أو تلك؟ والمسألة ليست مجرد خلاف نظرى وإنما تحديدها هو أمر جدٌ هام وخطير وقد يؤدى التضارب بشأنها الى التأثير على حقوق ومصالح تجارية واقتصادية على جانب كبير من الأهمية.

لذا فالآراء والاتجاهات الفقهية

نوقشت مؤخرا رسالة جامعية بكلية الحقوق جامعة الزقازيق بعنوان «المركز القانوني للمرسل إليه في عقد النقل البحري» تقدم بها الباحث/ عباس مصطفى محمد المصرى - قائد الحرس الجامعي بجامعة الأزهر بالزقازيق - وذلك لنيل درجة الدكتوراه في القانون تحت إشراف الأستاذ الدكتور/ كمال أبو سريع أستاذ القانون التجارى والبحرى وعميد كلية الحقوق - جامعة الزقازيق - ونال الباحث درجة الدكتوراه في القانون التجارى والبحرى بتقدير «جيد جدا» مع مرتبة الشرف الأولى.

ـز القانوني للمرسل اليه
ـد النقل البحري

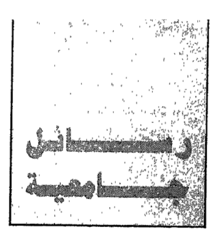
● اعداد: عبدالهادي بلاسي - جدة

والقضائية بشأن هذا الموضوع كثيرة ومتشعبة وجميعها محل نقد من ناحية أو أخرى مما اضطر جانبا من الفقه الى ردّ هذا المركز القانونى والعلاقات الناشئة عنه الى عرف بحرى مستقر قوامه قيام علاقات رجوع مباشرة بين الناقل والمرسل إليه استثناءاً من مبدأ نسبية أثر العقود.

ولقد تناولتُ دراسة مبدأ نسبية أثر العقود في القواعد العامة من خلال المراجع والبحوث الفرنسية الحديثة التي تتعلق بهذا الموضوع ووجدتُ أن جانبا من هذه الدراسات يقيم تفرقة دقيقة بين مبدأ نسبية أثر العقود وبين مبدأ آخر قد يحدث تماسا وخلطا معه هو مبدأ نفاذ العقود، فإذا كان المبدأ الأول يقتضى انصراف ما يرتبه العقد من حقوق والتزامات الى أطرافه التى أبرمته فحسب دون أن تمتد آثاره الى ذمة الغير سواء بنفع أو ضرر باعتباره تصرفا قانونيا، فإن المبدأ الثانى يعالج مفهوم العقد كواقعة اجتماعية قانونية لا يتصور أن تكون ذا أثر نسبى وإنما يفرض العقد من خلالها وجوده واحترامه على الكافة استنادا الى ما تولد عن هذه الواقعة من مركز قانونى جديد طارىء على العلاقات القانونية السابقة عليه، وآثار العقد من هذه الوجهة هى آثار غير مباشرة قد تمس الغير بنفع أو ضرر ولكن لا شأن لذلك بمبدأ نسبية أثر العقود.

ولنأخذ مثلا الصورة المبسطة للنفاذ وهى كون العقد واقعة مادية اجتماعية يمكن الركون اليها كمصدر للمعلومات أو كوسيلة للإثبات فقد يستند الشخص لعقد هو في الأساس أجنبى عنه لتقدير قيمة التعويض في حالات إتلاف أو تعييب المال أو لتقدير قيمة الشيء موضوع النزاع أو ما الى ذلك، فمثل هذه الفروض قد تنبيء بإفادة أو ضرر للغير من عقود الآخرين ولكن كما هو واضح فإن معنى الافادة أو الضرر هنا ينصرف الى المعنى اللغوى فحسب دون حدوث اى تعديل مباشر فى ذمة الغير وبمعنى آخر فإن ما يدور فى هذا الإطار ليس أثرا للعقد وإنما هو نتيجة له.

أما الصورة الهامة والدقيقة للنفاذ فتنصرف إلى كون العقد واقعة قانونية مولدة لالتزام يقع على عاتق الغير باحترام عقود الآخرين وهذا الواجب هو أثر خارجى وغير مباشر للعقد باعتباره واقعة «قانونية» وهو يشكل كمبدأ عام التزاما سلبيا قوامه الامتناع عن عمل - واذا كان النفاذ بهذه المثابة فكرة قد تضر الغير من خلال إلزامه باحترام عقود الآخرين فإن الفكرة من الوجهة المقابلة قد تفيد الغير من خلال التزام المتعاقدين باحترام ما قررته إرادتُها مما قد تتعلق به مصلحة الغير الذى تربطه بأحدهما رابطة



عقدية.

والشرط الجوهرى للنفاذ فى مواجهة الغير هو العلم فيلزم توافر علم الغير بالتصرف السابق حتى يمكن إلزامه باحترامه، والعلم قد يكون حقيقيا وقد يكون حكميا وفقا لقواعد شهر الحقوق والتصرفات أو للقواعد العامة فى الإثبات.

أهم ما توصل إليه الباحث في بحثه:

توصل الباحث فى بحثه الى أن «الصورة الهامة والدقيقة للنفاذ تنصرف الى كون العقد واقعة قانونية مولدة لالتزام يقع على عاتق الغير باحترام عقود الآخرين».

فيقول الباحث (هذا الواجب بالاحترام هو حجر الزاوية فى موضوع بحثى فقد توصلت من خلاله الى السند القانونى المقبول والمنطقى - من وجهة نظرى - لمركز المرسل إليه فى عقد النقل البحرى ذلك أن دراسة المجموعات العقدية التى تنتظمها وحدة المحل أو وحدة السبب قد أظهرت حقا خاصا ومستقلا للغير داخلها، ونتيجة لقوة النفاذ ونهج العلاقات المرسوم داخل هذه المجموعات يمكن تقرير رجوع مباشر بين أعضائها إذا توافرت مصلحة لأيهما فى هذا الرجوع ضد عضو آخر، حيث يتغير وجه الالتزام بالاحترام هنا بطريق اللزوم العقلى ليصبح التزاما إيجابيا قوامه القيام بعمل، ولنأخذ مثلا عقود المجموعة التى تشكل العمليات التى تتم على البضائع المنقولة بحراً وهى مجموعة تنتظمها وحدة السبب بمعنى أنها تتمحور حول هدف واحد هو نقل البضاعة وتسليمها فى ميناء الوصول بين أيادى المرسل إليه بالحالة التى وردت بها فى سند الشحن، فورقة الضمان التى يحررها الشاحن للناقل مقابل

العقد واقعة قانونية مولدة لالتزام يقع على عاتق الغير باحترام عقود الآخرين

إصدار سند شحن نظيف لا تكون نافذة فى مواجهة المرسل اليه حسن النية والذى لم يتوافر علمه بها وبما تتضمنه من اشتراطات فى حين أن محكمة النقض المصرية قد ألزمت المرسل إليه بشرط التحكيم الوارد فى مشارطة الايجار لعلمه به من نسخة سند الشحن المسلمة إليه.

وكل هذه علاقات لا شأن لها بمبدأ نسبية أثر العقود وإنما هى تدخل فى إطار مفهوم آخر مستقل هو مفهوم نفاذ العقود وما يتولد عنه من واجب عقود الآخرين، وأوضِّحُ هنا أن هذا الواجب هو معنى مغاير للواجب العام الملقى على عاتق الكافة بعدم الاضرار بالآخرين والذى يجد أساسه فى العمل غير المشروع كمصدر من مصادر الالتزام حيث يلزم لقيام المسئولية في هذه الحالة الأخيرة إثبات الخطأ والضرر وعلاقة السببية فى حين أن المسئولية تنعقد وفقا للمفهوم الأول لمجرد العلم والامثلة على ذلك كثيرة فى القضاء الفرنسى على وجه الخصوص.

سير البحث ومنهجه :

لقد قسم الباحث بحثه الى أربعة أبواب واشتمل كل باب على عدة فصول: «باب تمهيدى» تناول الباحث من خلاله نسبية أثر العقد ونفاذه فى القواعد العامة وقسمه الى فصلين:

الفصل الأول: تناول الباحث فيه التحديد الفنى لمفاهيم النسبية والنفاذ وعرض فى مبحث أول لمبدأ النسبية فى النظرية التقليدية والخلط بينه وبين النفاذ، ثم فى مبحث ثان عرض لمفهوم نفاذ العقد باعتباره واقعة اجتماعية ثم فى المبحث الثالث عرض الباحث مفهوم نفاذ العقد باعتباره واقعة قانونية مولدة لالتزام بالاحترام يقع على عاتق الغير تجاه عقود الآخرين.

أما الفصل الثاني: فقد تناول الباحث فيه مفهوم الغير وعلاقته بمركز المرسل اليه وأوضح من خلاله فى ثلاثة مباحث المركز القانوني للدائن العادى ومركز الخلف الخاص وما أثير من خلاف فقهى وقضائى بشأن هذه المسائل فى فرنسا، ثم تحدث أخيرا عن الغير صاحب المصلحة وهو ما يمثل نقطة هامة فى الموضوع محل البحث.

- **الباب الأول:** وخصصه الباحث

لمعالجة السند القانوني لمركز المرسل إليه وقسمه الى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تناول من خلاله النظريات التقليدية بشأن مركز المرسل إليه كالاشتراط لمصلحة الغير والنيابة الخاصة وما الى ذلك.

أما الفصل الثاني: فقد تحدث فيه عن مركز المرسل إليه ومفهوم الدعوى المباشرة وأوضح الباحث من خلاله تمايز دعوى الحق المباشر عن الدعوى المباشرة بالمعنى الضيق.

وفى الفصل الثالث: أوضح الباحث أن المركز القانونى للمرسل إليه مكانه نظرية النفاذ وتناول فى مبحث أول منه عرضا لفكرة المجموعات العقديه وطبيعة العلاقات داخل هذه المجموعات وفى مبحث ثان أوضح أن النفاذ يشكل سندا قانونيا منطقيا لمركز المرسل إليه وأن مبدأ نسبية أثر العقود لا محل له فيما نحن بصدده، وفى المبحث الثالث أوضح الباحث موضع الفكرة داخل الدراسات الفقهية والقضائية فى مصر.

- وتجيء الأبواب التالية من الرسالة حيث وجد الباحث أنه من اللازم بعد التعرض للجانب النظرى من هذه الدراسة بتحديد المركز القانونى للمرسل إليه أن يتعرض لجانب ديناميكي عملي يوضح من خلاله العلاقات التى يمكن أن تنشأ بين المرسل إليه والأطراف ذوى الشأن داخل المجموعة العقدية التى تضمهم معه كالناقل ومقاول التفريغ.

لذا خصص الباحث **الباب الثاني: لعلاقات المرسل إليه مع الناقل داخل المجموعة العقدية** وعرض لمشاكل مختلفة تعكس شروطا قد ترد فى سندات الشحن مقررة حقوقا والتزامات بالنسبة للمرسل إليه كالشروط المتعلقة بالإخطار بوصول البضاعة وبدفع أجرة النقل والديون الأخرى التى يمكن أن تتحمل بها البضاعة وشرط التسليم تحت الروافع وما إلى ذلك، وعرض الباحث أيضا لدور فكرة النفاذ فى تفسير العلاقات التى يمكن أن تنشأ نتيجة هذه الشروط بالقدر الذى استدعى ذلك.

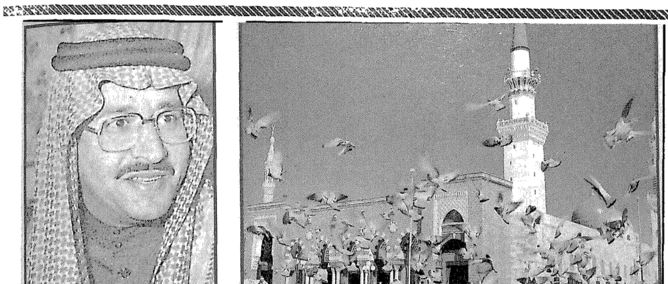
العلم هو الشرط الجوهري للنفاذ في مواجهة الغير حتى يمكن إلزامه باحترامه

أما الباب الثالث والأخير: فقد خصصه *الباحث لعلاقات المرسل اليه مع مقاول التفريغ داخل* المجموعة العقدية من منطلق استكمال الاطار القانونى لمركز المرسل إليه فى عقد النقل البحرى وليس دراسة عقد الشحن والتفريغ فى حد ذاته، وقد عرض خلال دراسة موضوعات هذا الباب للخلافات حول تكييف العلاقة بين المرسل إليه ومقاول التفريغ، ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن مرحلة ما بعد صدور القانون البحرى الفرنسى سنة ١٩٦٦ حيث أورد هذا القانون تنظيما مفصلا للمسألة محل البحث وقد أخذه عنه المشرع المصرى في القانون البحرى الجديد الصادر سنة ١٩٩٠، وقد أوضح الباحث وتوصل الى أن هذا التنظيم بالشكل الوارد في القانونين هو تطبيق نموذجي لمبدأ نفاذ العقود بالصورة التى تعرض لها الباحث فى الأبواب الأولى من هذا البحث، لذا يلزم وفقا للأحكام المنظمة لهذه المسألة ضرورة توافر علم المرسل اليه ومقاول التفريغ بما قد ينشأ بينهما من علاقات حتى يمكن تقرير رجوع مباشر بينهما، وفى نهاية هذا الباب عرض الباحث لنظام المقاول الاجبارى ولموقع هذا النظام فى مجال النقل البحرى للبضائع فى مصر.

وفى ختام الرسالة عرض الباحث لأهم ما جاء بها من نقاط وللأهمية النظرية والعملية لما انتهى إليه من نتائج.

وبعد :

فإن الدكتور/ عباس مصطفى محمد المصرى بإعداده لهذه الدراسة القانونية يكون قد وُفِّق فى معالجته لتلك القضية الهامة فى القانون التجارى والبحرى إذ أن «المركز القانونى للمرسل اليه فى *عقد النقل البحرى» ليس مجرد* خلاف نظرى وإنما تحديده أمر هام وقد يؤدى التضارب بشأنه إلى التأثير على حقوق ومصالح تجارية واقتصادية على جانب كبير من الأهمية، وباحثنا بتحديده لهذا المركز القانونى فى رسالته هذه يكون قد أضاف إضافة هامة جديدة الى القانون التجارى والبحرى.



المدينة المنورة.. منطلق الجائزة

الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز

جائزة المدينة المنورة

الجوائز في حدّ ذاتها تمثل مشروعاً حضارياً، لأنها تكريس لقيم الجدية في الأداء، وكلمة شكر معلنة تقدير النبوغ والتفوق في الانجاز والأداء، وقبل كل هذا تؤكد وتؤصل مضمون الابتكار والتجديد.

لكل هذا، فإنّ الأفراد والمؤسسات والهيئات التى ترعى الجوائز لا شك تؤدى عملا جليلا سامياً للانسان المبدع في أى مجال من مجالات التفوق والابداع الإنساني.

وجائزة المدينة المنورة برعاية وتوجيه صاحب السمو الملكى الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز جاءت لتؤكد نمطاً جديداً في الأداء، غايتها اكرام العلماء والمفكرين والمشتغلين فى حقل العطاء الإنسانى..

وفى مجال التفوق العلمي عند الطلاب والطالبات تمثل الجائزة لمسة وفاء رائعة للمتفوقين.. وهي في ذات الوقت تمثل دفعاً فكريا ومعنوياً للمستحقين.

والجائزة ثلاثة فروع هي:

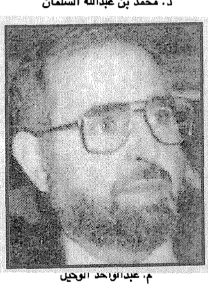
١ ـ جائزة البحث العلمي.

٢ ـ جائزة النبوغ والتفوق الدراسي.





د. محمد بن عبدالله السلمان



م. عبدالواحد الوحيل

٣ ـ جائزة الخدمات العامة.

*** شروط البحث العلمي:**

١ ـ ان يكون البحث متميزاً في موضوعه.

٢ ـ ان يكون متصفا بالعمق والجدية ودقة التوثيق وسلامة المنهج.

٣ ـ ان يكون مكتوباً بلغة عربية صحيحة، اما البحوث التى تتناول العلوم التطبيقية فيمكن ان تكون مكتوبة باللغات الاخرى.

٤ ـ ان يقدم البحث الى اللجنة المشرفة على الجائزة في الموعد الذي تحدده.

٥ ـ ان تقدم عشر نسخ من البحث الى اللجنة.

٦ ـ ان يقدم تعريف بحياة الباحث العلمية واعماله الاخرى مع ثلاث نسخ لكل منها.

٧ ـ لا تلتزم اللجنة باعادة الابحاث والاوراق التى تقدم بها الباحث سواء فاز بالجائزة أم لم يفز بها.

*** شروط جائزة النبوغ والتفوق الدراسي:**

١ ـ تمنح الجائزة للحاصل على اعلى تقدير مع التوصية بطبع الرسالة لدرجة الدكتوراه اما الماجستير

فتمنح للحاصل على اعلى درجة ولا يقل التقدير عن ممتاز.

٢ ـ تمنح في المرحلة الجامعية لمن حصل على اعلى درجة في شهادة البكالوريوس من الكلية على الا يقل التقدير عن ممتاز ويجرى هذا على الكليات المتوسطة والتقنية.

٣ ـ تمنح لمرشح واحد من المعاهد العلمية والفنية والمهنية والتجارية والصحية والتعليم الخاص ومعهد المعلمات ومدارس تحفيظ القرآن ومثل ذلك ما يخص البنات حسب شروط الترشيح، الى جانب مرشحين من الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بنين وبنات.

٤ ـ تمنح في التعليم العام للخمسة الاوائل من المرحلة الثانوية وللسبعة الاوائل من المرحلة المتوسطة وللعشرة الاوائل من المرحلة الابتدائية من البنين ومثل ذلك للبنات ايضا على ان يكون المرشح ممن حصل على اعلى نسبة مع تقدير ممتاز.

٥ ـ ان يكون الذي تمنح له الجائزة متمتعا بحسن السيرة والسلوك.

*** شروط جائزة الخدمات العامة:**

تمنح لكل من قام بأداء متميز وجهد بارز يتعدى واجبه الطبيعي وتنتج عنه فائدة ملحوظة او منفعة في مجال الخدمات العامة من الادارات والمؤسسات الحكومية والاهلية والافراد مع مراعاة ما يأتي:

١ ـ تقدم خمس نسخ من وثائق الترشيحات مكتوبة باللغة العربية.

٢ ـ تقدم الترشيحات في الموعد المحدد ولا يلتفت الى ما يصل منها بعد ذلك.

**** ومن الفائزين بالجائزة فى مجال البحث العلمي:**

«الدكتور محمد بن عبد الله السلمان رئيس قسم التاريخ بكلية

متابعات ثقافية

العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم على بحث مستكتب كان حول (توحيد المملكة العربية السعودية واثره في الاستقرار الفكرى والسياسى والاجتماعي).

وفاز بها في مجال الخدمات الاجتماعية رجل الاعمال ناصر العامر الرميح وذلك لما له من جهود متميزة ومساهمات فعالة في اوجه الخير كما عبر بيان الجائزة.

واستحقها ايضا في هذا المجال المهندس المعماري عبد الواحد الوكيل (مصرى) عن تصميمه المعماري لمسجد الميقات.

والمهندس الوكيل من مدرسة حسن فتحى المعمارية التى تستجيب في فلسفتها للمعمار لمتطلبات البيئة، وقد حصد جوائز كثيرة منها جائزة اغا خان عن مشروعه للكورنيش في جدة وجائزة مجلة التصميم المعمارى البريطانية عن مشروع مسجد جدة وله مشاريع عديدة في السعودية.

وتناصفها في المجال نفسه ايضا لجنة التنسيق والمتابعة لاعمال الحج ومشروع مياه آبار الماشي لسهرهما على مدار الأربع والعشرين ساعة على راحة الحجاج والزوار وضمان حصولهم على ما يحتاجونه من خدمات سكنية وصحية وبلدية واجتماعية وامنية ووسائل نقل.

اما المجال الاخير فهو جائزة تشجيع النبوغ والتفوق الدراسى ما بين البنين والبنات على كافة المراحل الدراسية. وقد رعت حرم الامير عبد المجيد حفل توزيع جائزة المدينة المنورة للفائزات بالجائزة في اليوم التالي.

ندوة

الأنماط السلالية والمعيشية في الدول النامية

حركة الهجرة الدائمة من القرى الى المدن، والإقامة بها، لكسب العيش، أو الدراسة في الجامعات أو غير ذلك من مبررات الإقامة الدائمة فى المدينة، هذه الحركة المتتالية أدت الى إحداث تغيرات في الأنماط السلالية والمعيشية والبيئية السائدة في المجتمعات بالدول النامية.. لا سيما التغيرات الواضحة في تطورات الأنماط السلالية والوراثية وتفاعلاتها مع العادات والتقاليد والأخلاقيات الأدبية والدينية، والعوامل الأخرى التى تكون في مجملها النمط السائد في مختلف المجموعات الانسانية.. هذه المتغيرات شكلت نقاط البحث الأساسية في ندوة (تغيرات الأنماط السلالية والمعيشية وتأثيراتها الصحية في الدول النامية).. عقدت هذه الندوة فى مدينة الرياض تحت رعاية الامير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، رئيس مجلس أمناء مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة ورئيس مجلس ادارة الجمعية السعودية الخيرية لرعاية وتأهيل الاطفال المعاقين.. ولما كان التغيير في أنماط الحياة يؤدي في الواقع الى تغييرات في (ايديمولوجية الامراض) وظهور أنماط ديمغرافية متغيرة لكل هذا فقد ركزت اوراق العمل المقدمة من المختصين على الجوانب المتعلقة بانماط التغيرات في صحة المجتمعات البشرية فى الدول النامية.



مهرجانات

مهرجان القرين وعلاقة وسائل الاعلام بالثقافة

ضمن فعاليات معرض الكويت التاسع عشر للكتاب، استضاف المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الملتقى الفكري الثاني لدول الخليج العربي، تحت شعار (الثقافة والاعلام في دول مجلس التعاون الخليجي).. وفي إطار هذه الانشطة الفكرية والثقافية، جاءت فعاليات مهرجان القرين الثقافي الاول.

المهرجان مثّل تظاهرة فكرية وثقافية كبرى، أمّه جمهرة من المشتغلين بقضايا الثقافة والفكر والادب، والفن والاعلام، من دول الخليج العربي، وبعض الدول العربية.. وكانت المشاركات العلمية مركزة على العلاقة الطردية بين الثقافة والاعلام.. حيث قدم المشاركون مجموعة من الدراسات والبحوث في هذا الإطار.

ومن هذه المشاركات:

* المفاهيم الثقافية السائدة في وسائل الاعلام الخليجية للدكتور عبد الله الغزامي.
* تصورات المثقفين للاعلام .. قدمه الاستاذ مشعل السديري.
* المعلوماتية والاعلام والثقافة للدكتور المنصف الشنوفي
* الاعلام والقيم الثقافية للدكتور تركي الحمد.
* الهوية الثقافية لدول مجلس التعاون للدكتور محمد الرميحي.
* خطر الصورة التلفزيونية على المهارات العضوية ومستويات التجريد لدى الانسان المعاصر - للدكتور محمد جابر الأنصاري.

متابعات ثقافية

ايقاع

افتحي الشباك ..
ما أجمل ايقاع المطر
صوت طفل يتكون
صوت مخلوق خريفي ..
خرافي..
رقيق .. ووديع
هارب من نزق الصيف..
ومن طيش الربيع
آه ما أروع هذا الحزن..
هذا الشجن الطفل الذي
بعثر قلبي في المطر
وسقى منه ملايين البشر

(من قصيدة «قراءة في وجه لندن - للدكتور غازي القصيبي»)

٥٠٠ عالم يشخصون نفسيات البشر:

«الاكتئاب المزمن وطرق علاجه - استراتيجية علاج الفصام - التورط الانفعالي الأسرى - الصحة النفسية من منظورات عالمية - الاكتئاب والانتحار - اسباب انتشار الاضطرابات النفسية - استخدام موجات المخ - المستثارة والتصوير الطبوغرافي للمخ في الامراض النفسية - المخدرات والإدمان - الطب النفسي عبر الحضارات - كيفية مكافحة المخدرات، المنهجية الإسلامية للوقاية والعلاج».. هذه الموضوعات ضمن ٣٠٠ دراسة قدمت في المؤتمر العربي الدولي السادس للطب النفسي الذي عقد في مدينة القاهرة.. وحضره حوالي (٥٠٠) عالم ودارس فى مجال الطب النفسي، من الدول العربية والأوروبية.. لا شك أن العالم اليوم تجتاحه موجات من الأمراض الغريبة منها النفسي والعضوي.. وفي كثير من هذه الحالات الانسان هو السبب المباشر في جلب هذه المخاطر على نفسه.. ونحن في العالم الإسلامي لدينا من تعاليم ديننا الحنيف ما يجنبنا مزالق الشيطان وضلالات الهوى.

كلمات

كثيرة هى الأشياء التى أضعناها، ونسيناها في التبدد.. لكن أثمن ما في تلك الأشياء - مهما امتد زمن التغرب أو الضياع - لابد أن تعود.. إنها شيء ترتبط به كل أشياء الحياة الأخرى التى تدل على رغائبنا، وتصور افراحنا، وأحزاننا وتحافظ على «التذكّر» فينا.. كلما سال الشجن ونزفت الآهة واستطاع الانسان أن يبقى على لحظات الصدق في عمره.

وقليل هم الناس الذين لن ننساهم، وكثير هم الناس الذين يرتاحون كلما قدروا على النسيان.. لكن التذكر يبقى هو تلك اللحظة الحميمة التى تعيد النفس الى صاحبها بكل ما فيها.. كلما خلا الى أصداء عمره يبقى التذكر مهما تبعثر الزمن بالمواقف وبالكلمة، وبالوجد وبالصدق.

إن القادرين هم اولئك الذين يأخذون فى نفوسهم اللحظات الناطقة بأصدق المشاعر.. يأخذون وقفة وعد، وهمسة صدق ونظرة وفاء بالعهد.

إنهم الذين يمنعون اغتيال الحياة في صدورهم.

(عبد الله الجفري)

كلمات

«مفهومى للكتابة التاريخية هو علاقتى بالزمن فلا ارى ان دورى كأديب هو ان انقل الاحداث التاريخية نقلا حرفيا بل ان اكتب من زاويتى الخاصة لذا فقد خرجت عن الاطار الزمنى للاحداث وقدمت الافكار التي اريدها بروح العصر وابتكرت اشياء لم تكن موجودة في العصر المملوكى كشخصية البصاصين المشهورة على الرغم من انه لم يكن هناك اى بصاصين في ذلك العصر.. واعتقد ان مجرد الرصد التاريخى لهذه الاحداث والافكار يعرضها للنسيان والعدم اما الفن فدوره الحقيقى يكمن فى الاستمرارية والوجود من خلال الابداع ومن هنا فانا اتبرأ من علاقتى بالرواية التاريخية».

(جمال الغيطاني)

متابعات ثقافية

أخلاقيات المهنة أين هي ؟؟ ؟؟

ترى ما الذي أصاب علماء العالم..؟!

كلما خرجوا للناس باكتشاف جديد يسعد البشر، سرعان ما نجدهم استغلوا بعض معطيات هذا الجديد في استخدامات تسيء للانسان وانسانيته.

اكتشفوا طفل الأنابيب، وسعد الناس به، ولكن سرعان ما تحول الأمر الى نقيضه، استئجار الأرحام، تجميد الأجنة، بيع وشراء الأجنة، وغيرها.. ظهر تقدم مذهل ومدهش فى علم الوراثة، وسعد الناس بذلك.. ولكن سرعان ما حزنوا.. تهجين وتوالد وتغيير في خلق الله.

وفي سلسلة هذا العبث تأتي عمليات التجارب.. فقد أجريت التجارب على الانسان ذاته.. (١٣١) سجيناً في اوريجون وواشنطن اجريت عليهم تجارب علمية بتعريضهم لجرعات كبيرة من الأشعة السينية بقصد تعقيمهم .. وكان أن أصيبوا بالسرطان وغيره من الامراض الخطيرة.

وهناك فى اليابان ٩ آلاف يابانى حقنوا بفيروس قاتل استوردوه من امريكا.. وهو «دم» مصنع فى امريكا لمداواة الحروق والنزف.. ولكنه يحمل في خلاياه الموت..

عالم اليوم .. عالم غريب حقاً ..

رسالة وفاء

الاستاذ الفاضل نبيه الأنصاري رئيس التحرير الأكرم

تحية طيبة ... وبعد ..

فإنني أترقب باهتمام بالغ.. كل شهر، مجلة العرب الأدبية الرائعة «المنهل» بصفتها منهلاً عميقاً وفسيحاً يفضي بنا جميعاً نحو حدائق وفضاءات مشرقة بالفكر والثقافة.. ولأنها عدة مجلات بغلاف واحد، لا أستطيع سوى الانجذاب اليها لكونها تجسد بعض ملامح روحي التي تتنازعها النيرانُ من جميع الجهات.. في المنهل بوصلة ما، ولافتات واضحة للإرشاد، وتعبيد طريق التي لا دليل فيها.. أنتم ترممون بمنهلكم - حقاً - أطلالا يسعى غيركم لإفنائها ، وتبنون عمارات شاهقة بهندسة رائعة.. أنتم تقرعون نواقيس لابد يوماً أن يسمعها الطرشان.. نتمنى لكم كل التوفيق والنجاح.

(عماد أبو سالم - الاردن)

** «أبو العـلا» شـاعـر الأصـالة والصدق، تأليف الأستاذ زهير محمد جميل كتبي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م الكتاب من الحجم الكبير يشمل ٦٧١ صفحة.. ويعتبر دراسة تخصصية أدبية عن ابن مكة المكرمة الأديب الشـاعـر: علي حـسن أبو العـلا، من ناحـيـة فكره وثقـافـتـه وشخصيته الأدبية واشتمل على ثمانية فصول وهي «حياة أبي العلا» الشاعر كما يراه الأدباء والشعراء، شاعرنا والمدارس الشعرية، الأصالة المفـهـوم والمصطلح، الأصـالة في المكان والزمـان، القـيم الشـعـورية وصدق الأداء، خـصـائص شاعـرية الشـاعـر، موضوعات الشعر عند الشاعر».

** «قصص ومآسي وعبر المصيدة» اعداد بهية عبد الرحمن ابو سبيت - الطبعة الاولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الكتاب من الحجم الوسط يشمل ٨٨ صـفـحـة، تناولت فـيـه الكاتبـة قـصص ومـآسي هـؤلاء الذين وقـعـوا في براثن المخدرات ذلك الداء الفاتك وأوضـحت ندمـهـم الشـديد بعـد علاجهم في المصحات على كل لحظة مـرت من عـمـرهم وهم في غـمـرات سكرهم مـوجـهين خلاصـة تجربتـهم المريرة لكل مستمع وقارىء.

** «لعيني لؤلؤة الخليج» ديوان شعر للشـاعـر علي احـمـد علي النعـمي الديوان من الحجم الوسط في ٢٠٠ صـفـحـة، الطبـعـة الاولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م يشـتـمل الديوان على مجموعة كبيرة من القصائد الشعرية وطنية وحماسية وهو من منشورات نادي جازان الأدبي، علما بأنه صدر للشاعر مجموعة من الدواوين منها « عن الحب ومنى الحلم ١٤٠٥هـ، الرحـيل الى الأعـمـاق ١٤٠٦هـ، الأرض والعـشق ١٤٠٧هـ، جـراح قلب ١٤٠٩هـ».

رحـم الله جبرا

يعـدّ الروائي العـربي «جـبـرا ابراهيم جبرا» احد أعلام الترجمة والكتابة للروايتين الغربية والعربية، إذ تعد ترجـمـاته للروائي العـالمي (وليام شكسبير) من أفضل ما قدم لقارئي العربيـة هذا بالاضـافـة الى كتابته للعديد من الروايات العربية ومن أشـهـرهـا (البـحث عن وليـد مـسـعـود وسـيرته الذاتية) بعنوان (البئر الأولي).. ولد جبرا في العام ١٩٢٠م، ونشأ في بيت لحم والقدس في فلسطين العربية، ثم استقر في بغـداد وعـمل بهـا مـدرسـا بدار المعلمين العـراقـيـة ثم تفـرغ لكتابة الأدب والترجمة، وكان رئيس رابطة نقـاد الفن في العراق وألف الكثير من الكتب عن الفن العـراقي. وفي عـام ٨٦ منحـتـه مؤسـسـة الكويت للتقدم العلمي جائزة الكويت، كمـا حصل على جائزة روما للثقافة عام ٨٢ من منتدى الآداب العالمية. وظلّ جبرا ابراهيم جبرا ينهل من معين المعرفة ويقدمـهـا لقراء العربيـة عن طريق رواياته فـهـو يقـول (أنه كـتب الرواية ليستوعب طاقته الشعرية التي وجـدت بالشكل الروائي منفذا لها بما يتسع فيه من امكانيات عن طريق الشخصية والحدث والحوار والتحليل والترتيب).. وافته المنية يوم الاثنين ١٢/١٣/١٩٩٤م عن عـمـر ناهز الـ ٧٤ عاما.

** «زوجـة واحـدة لا تكفي» تأليف جـميلة الشـعـلان الطبـعـة الاولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م - الكتـاب من الحجم الوسط يشـمل ١٣٢ صـفـحـة ويتناول قضية اجتماعية هامه وهي تعدد الزوجات.

** «العقل الأدبي» تأليف أبو عبـد الرحمن عقيل الظاهري الجزء الأول ، الكتاب من الحجم الكبير يقع في ٢٧٧ صفحة الطبعة الاولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م مطبوعات نادي القصيم الأدبي ببريده.

اشتمل على ستة فصول «تصنيف الأدب ، المنهج المنهج، حداثة المخلاة، ظواهر حداثية، هموم نقـدية، بين الحداثة والتراث».

** «المجالس الأدبيـة في الأندلس» تأليف الدكتور عبد الله بن علي بن ثقـفـان - الطبـعـة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

الكتاب من الحجم الكبير يشمل أكثر من ٢٠٠ صفحة، احتوى على فـصـول ثلاثة بدأها المؤلف بمدخل أشـار فـيـه الى بعض الآراء حـول أدبيـة أهل الأندلس خـاصـة أولئك الذين فـتـحـوا مجالسهم وبلاطاتهم لتكون مصدراً لنور مشع في سماء الفكر في تلـك البـلاد، امـا فصول الكتاب فقد كانت على النحو الآتي:

الفصل الأول: وهو بعنوان المجالس الأدبيـة في الأندلس: نظرة تاريخيـة أدبيـة من خـلال اسـتـقـراء بعض المصادر والمراجع.

الفصل الثاني: وهو بعنوان (النشاط الأدبي في المجالس الأدبية).

الفـصـل الثـالث: وهـو بعـنوان (العـلاقـات داخل المجـالس)..

• اصـدارات جـديدة • اصـدارات جـديدة • اصـدارات جـديدة •



الألف

الأخلاق: هي عماد التقوى، وأساس الخير، وأس التراحم والتعاون، ونجاح الآمال. **«الشيخ عبدالله الخليفي»**

الباء

البخيل: هو ما لا يمكن أن يكون ثرياً، ولو امتلك المال. **«محمد صادق دياب»**

التاء

التربية: هي العنصر الأساسي في حياة الفرد.. يحتاجها في مراحل العمر المختلفة. **«د. محمود الربداوي»**

الثاء

الثقافة: الوعي بالأشياء.. وامتلاك ملكة الاستنتاج والتأمل **«د. عبدالله باقازي»**

الجيم

جمال المرأة: هو ما يكمن في خصلتين وصفة.. في نضج وعيها أو عقلها، وفي حصافة تصرفها، وفي ملاحة وجهها. **«عبدالله الجفري»**

الحاء

الحب: شيء لا يشبه شيئاً آخر. **«ريشلييه»**

الخاء

خير الكلام: ماقلّ، وجلّ، ودلّ.. ولم يمل. **«البحتري»**

الدال

الداعية الناجح: من يكرس جهده للتأثير في الشباب الذين هم مستقبل الأمة الاسلامية.. ويمثل بناؤهم الاستمرارية لروح الاسلام. **«د. رؤوف شلبي»**

الذال

الذات: هي جوهر الحياة المجرد. **« جبران خليل جبران»**

الراء

الرجولة: هي الجوهر الذي أخذ يخبو – مع الأسف – وخاصة عند الطرف المقابل.. مع شدة الحاجة لهذا الجوهر **«د. عصام خوقير»**

الزاي

الزواج السعيد: حديث طويل يبدو دائما غاية في الاقتضاب. **« أندريه موروا»**

السين

السخاء في الدين: أن تعبد الله في نفسك سخياً غير مكره. **«حيان بن هلال»**

الشين

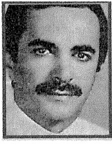
الشريط الاسلامي: من خير وسائل التثقيف والتفقه ونقل الكلمة وتوجيه الناس في بقاع الدنيا..وزنه خفيف، وأثره عظيم. **«الشيخ محمد الشعلان»**

الصاد

الصبر: هو المؤسس للفضائل، والمربي لملكات الخبرة والمزيل لهواجس الشر. **«الشيخ محمد الرفاعي»**







اعــداد:
تمـيـم
الحكيـم

الضاد

الضياع: انفصال عن الذات، وقطع للجذور.. وركض وراء السراب.
«تميم الحكيم»

الطاء

الطفولة: هي الصور الصحيحة لما سيشوه فيما بعد. **«قمر كيلاني»**

الظاء

ظاهرة التطرف: هي النتيجة الطبيعية والمولود المشوه لتفشي الأمية الثقافية، خاصة بين الشباب الذين يتحدثون بدون علم.. ويعتمدون في مصادرهم على كتب تزيف الحقيقة. **«اقبال بركة»**

العين

العزوبية: حالة مريحة لصاحبها.. تنتهي عندما يتم احكام الشباك حوله.
«د. عبدالله مناع»

الغين

الغيرة: أول الطريق لافساد حياة الانسان. **«سعد عبدالواحد»**

الفاء

الفن: هو ايجاد صيغ الجمال عن طريق الشكل، أو اللون، أو الصوت، أو الكلمة، أو الحركة.. وثمرته هي (الأثر الفني) أو العمل الفني ممثلا في لوحة أو قصيدة أو قطعة موسيقية
«د. مصطفى عبيد»

القاف

القلق: دليل على الهزيمة.. انه صراع بين حب الذات، والتطلع الى التفوق.. وبين الفشل والشعور بالنقص. **«أدلر»**

الكاف

الكبرياء: شعار الرجل الأجوف.
«محمود عارف»

اللام

اللوحة: هي رحلة سفر يقطعها الانسان بين مفردات الدنيا، محاولا اكتشاف ما فيها من أسرار.
«ارنست همنجواي»

الميم

المرأة السوء: غل من حديد
«مثل عربي»

النون

النغم: هو ما يوحي بكثير من المعاني، والتصورات التي يتخيلها كل شخص، وفقا لمزاجه النفسي وقدرته على التخيل. **«صلاح طاهر»**

الهاء

الهلاك: هو خسارة الانسان لنفسه.
«يسري الجندي»

الواو

الوفاء: هو (الاكسجين) الذي اذا نفد احترقنا جميعا. **«رشاد أبو شاور»**

الياء

اليتم: عقوق الأبناء.. وتخلي الأصدقاء.. وانعدام الوفاء.
«تميم الحكيم»

قاموس الرأي
قاموس الرأي



الكتاب: السلطة العليا على العقلية النيرّة.. القيمة المعرفية المتزايدة المتنامية.. الصرح الحضاري الشامخ،..

الكتاب: البناء الشامخ لعقلية الانسان الراقي.. الطفرة الموضوعية في اعادة صياغة المجتمعات وتجديد خلاياها التى أصابها الفتور والضمور.

الكتاب: الحياة المتجددة النابضة عروقها برؤى المستقبل..

تُرَى، إنْ تحدثنا عن الكتاب الدهر كله ، هل نستطيع حصر المهمات الجليلة العظيمة التى يؤديها..؟

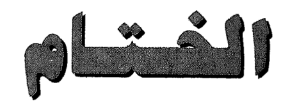
هذه مهمة الكتاب .. مهمته العظمى عند منْ يقدرون الكتاب، وينزلونه منازله اللائقة به.

ذكرني بأمر الكتاب اليوم ما رأيته بعيني رأسي قبل مدة.. وكان مصدر ذهولي ودهشتي.. نعم .. دهشتى .. الكتاب الذى هو معلم الأجيال يُداس بالاقدام فى سوق الخردة..!!!

وتذكرت علماءنا الاكابر ، أن لو رأوا ما رأيت لجمعوا ما كتبوا وألقوا به في البحر..

ولو كان الجاحظ حيا ورأى ما رأيت وسمع ما سمعت، لأسودت الدنيا بما ومن فيها فى عينيه والله تعالى وحده أعلم بما كان سيفعل.

«الجاحظ» صاحب أروع مقولة وابدع تعبير عن الكتاب، الوعاء الذي حمل علما والروضة التي تحمل في ردن.. يترجم عن الاحياء والاموات ..الكتاب الذي هو خير جليس في الزمان ..





زهير الأنصاري

• مسك الختام • مسك الختام • مسك الختام • مسك الختام •

ـــردة الثــقــافــــة

القصة باختصار شديد.. اني ذهبت الى سوق الحراج بجدة او ما يعرف بحراج الصواريخ او الخردة .. خذ ما شئت فقد تعددت الاسماء والشيء واحد ..هذه الزيارة جعلتني اقف على اشياء عجيبة من فن الخداع «وبيع الهواء» ..ان صح التعبير .. ومنحتني معرفة انماط من السلوك قد لا تتاح معرفتها في اي مكان آخر.. ولعل في ذلك ما يضفي الى الخبرة خبرات بنماذج معينة من البشر.

هناك وبالتحديد في مواجهة بيع الخردة.. اصطدمت قدمي بكم هائل من الكتب المتربة المعفرة بعفار الخردة.. ومددت بصري لاستقرىء عناوينها - فإذا بِكَمٍّ هائل من كتاب مترجم للشاعر والناقد الكبير أحمد عبد المعطي حجازي (مدن الآخرين) وبمجموعة كبيرة للاستاذ الكبير الاديب احمد حسن الزيات في الادب.. وعدد من كتب التفاسير لأئمة التفسير والحديث. ومجموعة وافرة من كتب الاقدمين والكتاب يباع بريال وريالين.. «يابلاش» كما يقول الاعلان .. تمنيت لو كانت حافظة نقودي تحمل الفاً أو الفين - لنقلت تلك المجموعات لأفيد منها اولا ويفيد منها غيري، وفوق كل هذا صوناً للكتاب من أن يداس تحت الاقدام.. ولأضعها في مكانها اللائق.

ولكن هذا حال من يمتهن الأدب ..

وأتذكر قصة طريفة في هذا الشأن تحكي أن أحد الأدباء حين سأل عن «سعر التفاح» ووجد انه ليس بمقدوره شراءه - قال قولته المشهورة وهو يقبض تفاحة بيده.. «جمعني الله واياك في الجنة».

دفعني حب الاستطلاع لسؤال البائع عن مصدر تلك الكتب، ولقد صدمت أذني اجابته بلكنة باكستانية «ايش لك انت».. وأثرت الصمت.. واكتفيت بنفض الغبار عن بعضها .. وحملت ما استطاعت حافظة نقودي اسعافي بثمنه.

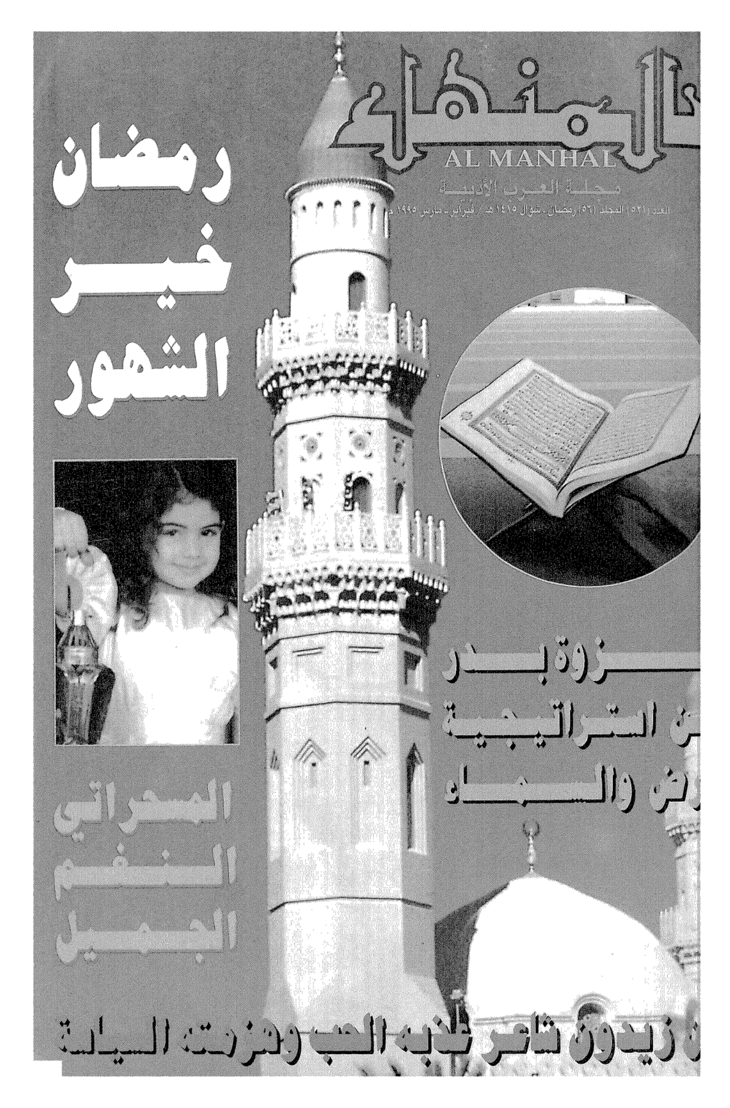
عدت وأنا أحس بالألم يخزني في جسمي كله.. لا في عقلي فحسب - فمنذ أيام فقط قبل الوقوف على تلك الخردة - كنت في احدى المكتبات .. ودفعني طموحي - الذي لا يكف ابداً - عن السؤال عن سعر بعض الكتب التي - اخذت وضعها على الرف وعرضت أجمل عرض .. عناوينها عجب «في فن الطبخ.. ولرشاقتك .. ولأناقتك»، وكدت أضرب اخماساً في اسداس - كما يقولون - وأذني تصطدم بمئة ريال.. سعر النسخة، ومئة وخمسين ريالاً .. واحجز قبل نفادها.

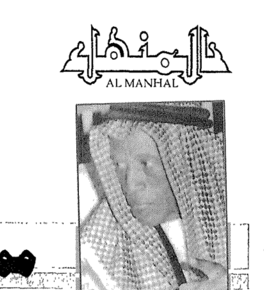
الى هذا الحد .. صار الحال؟!!

الثقافة الجادة ضاعت في الخردة .. وخردة الثقافة حسناء تتبختر فوق الأرفف.؟!

ورغم هذه الأسعار التي تعدّ فلكية عند كثير من محبي الكتاب والقراءة ، يصر الكثير على المقولة المشهورة «الشعب العربي شعب لا يقرأ».

ترى هل أتيحت له أسباب القراءة ليُعْلَمَ ان كان شعباً قارئاً ام لا..؟!!


المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٢١) المجلد (٥٦) رمضان - شوال ١٤١٥ هـ / فبراير - مارس ١٩٩٥ م
رمضان
خير
الشهور
زوة بدر
استراتيجية
رض والسماء
المسحراتي
النغم
الجميل
زيدون شاعر عذبه الحب وهزمته السياسة



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض. ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

ثمن النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٨ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

مما قل

استقبال رمضان

ما هذه المباهج التي ترفرف باجنحتها الفضية اللامعة فتغمر النفوس بالمسرات والانشراح؟.

انها مباهج حفاوة المؤمنين بمقدم شهر الصيام السعيد وطلوع هلاله الميمون.

قدمت أيها الشهر المبارك فسرت قلوب واستأنست أرواح واغتبطت اشباح وسرى الروح والانتعاش بين جوانح المؤمنين.

فأهلا بقدوم شهر الصيام الذى تصفو فيه النفوس من اكدارها، وتصفو فيه الابدان من أوضارها.

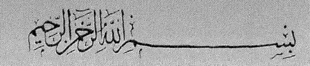
وأهلا بقدوم شهر الصيام الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ورحمة، وأهلا بقدوم شهر رمضان شهر الخيرات والبركات والمسرات.

لا غرو أن تستقبلك الارواح بالغبطة والانشراح، ولا غرو أن تستقبلك الاجسام بالغبطة والانشراح ففي الإمساك عن الطعام طيلة أيامك البيض الزاهرة مغزى سام عظيم ورياضة روحية عالية يزكى الله بها نفوس عباده، ويشفى بها أجسامهم من متراكم الادواء وكمين العلل وينقيهم بها من وبال الفضلات المنبثة في اكناف الاجسام طيلة العام.

ويأتى بعدك العيد: عيد الفطر السعيد، عيد المساكين والمياسير، حيث يتم المؤمنون الموسرون شكر نعمة الله عليهم في تطهير الله لنفوسهم وأبدانهم بما يؤدونه للفقراء فى ذلك اليوم السعيد من الزكوات، فيدخلون الى قلوب اخوانهم حبوراً جديداً، وسروراً اكيداً، وبذلك تؤسى الجراح وتعم الافراح.. فأهلا بشهر الصيام، شهر العبادة والسمو والطهر، زينة الشهور وحلية الاعوام.

«عبدالقدوس الأنصاري»

رمضان ١٣٥٩ ـ اكتوبر ١٩٤٠م



لقطة الشهر

هؤلاء الأبرياء، فى البوسنة والهرسك والشيشان، تُبَعْثَرُ أجسامهم الصغيرة أسلحةُ الدمار، أسلحةٌ لا تعرِف للإنسان قيمة ولا حرمة، أسلحة الحقد المجنون.. ونحن الآن فى شهر الخير، لا شك ان هذه الطفولة البريئة، المعذبة، ستكون في عيوننا.



• اشارة

• تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة - تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦

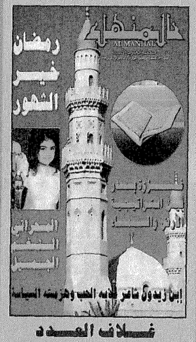
صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

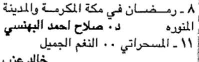
عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

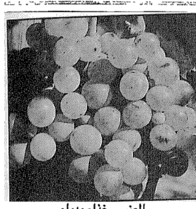


غلاف العدد

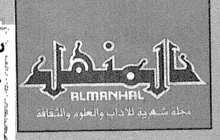
في هذا العدد



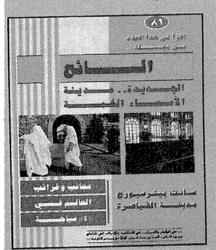
رمضان/ شوال ١٤١٥هـ - فبراير/ مارس ١٩٩٥م

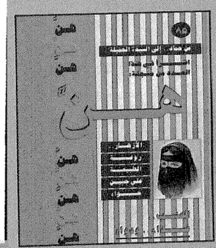


العنب.. غذاء ودواء



العدد: (٥٢١)
المجلد: (٥٦)
العام: (٦٠)

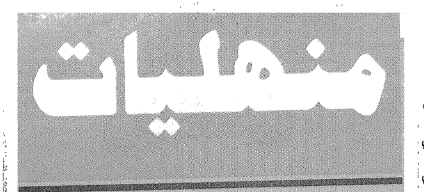




وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت:



الإحسان.. والمراقبة

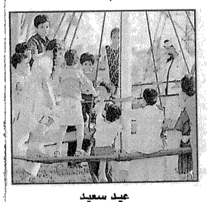
«الإحسان» أعلى درجات العبادة، وغاية مدارج القرب.. أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. إنه درجة المراقبة الدائمة، ودرجة القرب الواصل إلى تصفية النفس من أكدار الغير.. والصوم، نفحة الإيمان الصادق، والتزكية الأمينة، العبادة التى لا رياء فيها، ولا مراءاة.. عبادة لا يرى العابد فيها نفسه.. كلها لله سبحانه، خالصة، وهنا يحقق المؤمن العبودية «المحضة» (وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون).

إذن، الصوم، النموذج الأمثل لصيغة العبادة الخالصة.. وهذا الأنموذج الأمثل ينبغي أن ينسحب مضمونه فى كل أداء نؤديه في حياتنا.

كل عمل نؤديه في حياتنا ليس فيه معصية لله سبحانه فهو عبادة.. وان تفاوتت الدرجة، لكنه في النهاية عبادة حتى الوجبة يأكلها الانسان ليقوى بها جسمه على طاعة الله، عبادة، إذ كل ما يؤدي الى العبادة فهو عبادة.

وغاية ما نرجو الوصول اليه أن يرفع المؤمن من درجة المراقبة الداخلية في نفسه.

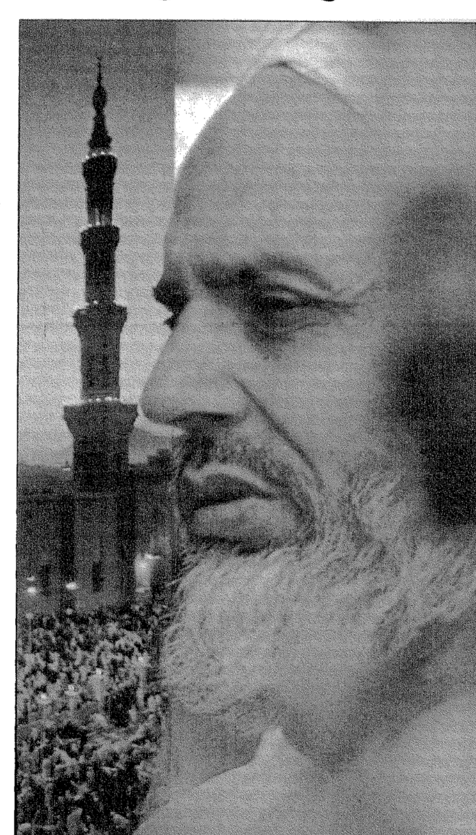
«نبيه الأنصاري»


عيد سعيد

إضاءة

- المسحراتي: ظاهرة اجتماعية جميلة، ما كان لها أن تختفي.
- أبو طبيلة: يشيع الفرحة بين أفراد حارته.
- قوة الارادة: السلطة التنفيذية المسيطرة على مملكة النفس
- الانسان أسير ما اعتاد والصيام يحرره من هذا الأسر.
- الصوم وسيلة الترقي في مدارج السمو الروحي
- الأمة الاسلامية جاءت لتكون لها السيادة.
- الانتخاب الثقافي ضرورة لعبور المستقبل.
- الموالي والزنادقة والباطنية خناجر مسمومة في ظهر المسلمين.
- ذاكرة أوشينا .. البداية لفن الأوبجكت.
- الانفتاح على ثقافات الشعوب تجديد وإثراء للفكر.

رمضان .. خير الش



فيه نزل القرآن الكريم، وحياً يتلى ، ونهجا متبعا ،وسبيلا واصلا ، «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» هدى ورحمة وبركة وبراً .. فيه راجع جبريل عليه السلام القرآن مع النبي ﷺ .. وفيه ليلة القدر ، التي هي خير من الف شهر ..
وفيه تحققت مجموعة من انتصارات المسلمين بدءا من غزوة بدر الكبرى وانتهاء بانتصار العاشر من رمضان على اليهود ..

هذا الشهر الكريم .. فيه يضاعف الاجر ، وتعلّى الدرجات ، وتزدان الجنات ، فيه تُصفّد الشياطين ، وتنزّل الرحمات ..فيه يتلاقى الناس على الخير ويفترقون على المحبة .. المؤمن فيه يتحول الى طاقة روحية لو توافرت له في أيام عامه لصار خيرا كله ..

الصوم أجره عند الله غير محدود ..ذلك لخصوصيته **«الا الصوم فانه لي وانا اجزي به »** بند مفتوح من الجزاء ..والله يضاعف لمن يشاء ..

منذ صدر الاسلام وحتى يومنا هذا ،ظلّ الناس اكثر ابتهاجا واحتفاء بهذا الشهر الكريم يستقبلونه بالتكبير والتهليل يصومونه على بصيرة بيّنة ..يبتغون به وجه الله سبحانه .. ويقضون لياليه تلاوة وتهجدا ..

وان كان القوم في القرون التالية لقرن النبوة قد استحدثوا ما لم يكن عند سابقيهم ..فلعل الامر كله يرجع الى عظمة هذا الشهر في نفوسهم ..وان كنا نجزم ان هذا الشهر روحي ..وينبغي ان تكون كل متعلقاته روحية بهذه الدرجة لاتنقص

ـهور وسيدها

السماني كمال الدين
السودان

منها شيئا ..

ومعلوم ان تداخل الشعوب ، يتبعه تداخل ايضا في العادات والتقاليد والاعراف بأي نسبة كانت ، فهي فى النهاية تداخل اجتماعي لا مناص منه .. الا ان هذه التداخلات عندما تتعلق بامر من امور الدين والتعبد ينبغي ان تقنّن حتى لاتخرج الاصل عما وضع له ..وحتى لا تتحول العبادة – بمرور الزمن – الى مجرد

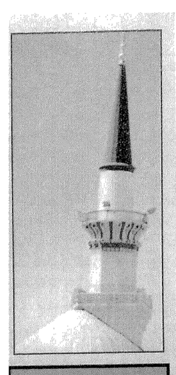


عادة اجتماعية يؤديها المسلم بصورة تلقائية مفرغة تماما من روحها التي ينبغي ان تكون عليها .وهذا ما حدث تماما في الصوم عند كثير من الصائمين .. اذ يصومه بعض الناس على انه عرف اجتماعي تواطأ عليه المجتمع المسلم ، وهو في هذه الحال لا يستطيع مخالفة المجموع حتى لا يُقْذَفَ بما لا يحمد من رذيل الصفات ‥ وقطعا مثل هذا الصائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش .. ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يكون صيامنا خالصا لوجهه الكريم ، لا تشوبه شائبة تنقص من أجرنا فيه ..

هذا أمر الصوم في جانبه الروحي وهو أمر متعلق بالفرد الصائم ذاته ،ولما كان موضوعنا في هذا الاستطلاع محاولة الوقوف علي عادات واعراف الشعوب الاسلامية في شهر الصيام ، في مأكولاتهم ومشروباتهم ، في احتفائهم وبهجتهم بهذا الشهر الكريم فلا حاجة بنا في الاطالة في فقه الصوم ومضمونه .. وإن كان فقه الصوم ومضمونه ضرورة ينبغي على المسلم الوقوف عندها .

ترائي الهلال :

قديماً، في ليلة التاسع والعشرين من شعبان، يخرج الناس فى موكب كبير يتقدمهم القاضي والفقهاء والأعيان خارج البلدة يقفون في مكان مرتفع يترقبون مقدم هذا الكريم، حتى إذا ما رأوا الهلال انفرجت أساريرهم، وابتهجت نفوسهم، وعمرت قلوبهم‥ ونثروا التباريك بينهم نثر الدراري‥ أضاؤا المشاعل على قمم الصوامع والمآذن والتلال، وما أن تراءى الناس المشاعل وسعتهم البهجة، وعمهم السرور‥ بمقدم الخير واليمن‥ ويأتي الموكب الكبير ذاك، فى بهرج وزينة، وخيل مسرجة ومطهمة، وجند على صهوات الخيل بالنعيم مفعمة‥ يجوبون المدينة فرحين بقدوم الوافد الكريم، يدقون الطبول ويرفعون الصوت بالتهليل والتكبير. ويتجمع الناس حول الموكب سعداء مسرورين فرحين‥ يتبادلون التهنئة بينهم، يتزاورون تلك الليلة، فلا يبقى في المدينة أحد إلاً وقد سمع بشهر



شهر البر والرحمة

في شهر الصوم يضاعف الأجر وتعلى الدرجات وتزدان الجنة وتصفد الشياطين وتنزل الرحمات

رمضان وبداية صومه.

الزفة السلطانية :

العثمانيون، كانوا مولعين باقامة الاحتفالات الكبرى.. واحتفالاتهم مهرجان متناسق من البهرج والوفود، والخيالة والهجن.. وجمع وافر من المشاة، كل هذا بين يدي السلطان.

ولا شك أن المناسبات الدينية هي احق بالاحتفال والاحتفاء بها عندهم.. فاذا أهلت بشائر رمضان المبارك، كانوا اكثر ابتهاجاً به، وأوسع سخاءً ، وأوفر يداً..

موكب ضخم بمناسبة مقدم هذا الشهر الكريم يسير بين يدي السلطان، يحمل الهدايا والهبات والنفقات السلطانية.. يوزعونها على الفقراء والمساكين اكراماً لمقدم شهر الخير، وتوسعة على المعسرين والمعوزين.. ويتواصل دفق الاعطيات طوال أيام الشهر المبارك، حتى إذا ما غربت شمس آخر يوم فيه، جاءت هدايا وأعطيات العيد.. والموسرون من الناس ليسوا بأقل حالاً في الانفاق في هذا الشهر المبارك.. ومن فوق منارة مدرسة قلاوون في القاهرة يصعد من وُكل اليهم رؤية الهلال، وعند الرؤيةَ، نسمع الموكب يردد (صيام صيام على ما حكم به قاضي الاسلام) خلال الازقة والحواري والشوارع الرئيسية يسير موكب اعلان بدء الصوم.. وفي العصر المملوكي نجد المساجد تعج بمجالس العلم والعلماء والمتعلمين خلال الشهر الكريم.

وكان من العادة أن تبدأ قراءات في صحيح البخاري في الجامع الازهر، بحيث تختم في نهاية رمضان، ويحضر خاتمة الدروس الحديثية فقهاء المذاهب الأربعة.

ولا شك ان هذا التقليد يمثل جانباً من جوانب الاهتمام بالعلم.. وتمتد مظاهر الاحتفاء برمضان عبر العصور.. وفي ١٨١١م أدخل



محمد على باشا (مدفع رمضان) وظل هذا معمولاً به حتى الآن في الكثير من دول العالم الاسلامي باعتباره أحد الرموز الرمضانية.

وضمن هذه الرموز الرمضانية الهامة (المسحراتي) ويسمى (أبو طبيله) في بلدان الخليج العربي.. وهو تقليد رمضاني جميل له ملامحه وسماته الخاصة، وان كنا نود ألا ينقرض ، لكن يبدو ان الزمن له حكمه.. والمسحراتي لا يزال موجوداً في القرية، لان القرية لا

تزال تحتفظ بالكثير من مقوماتها التقليدية.

الناس في القرية حتى يومنا هذا يتراءون الهلال جماعة، ويشيعون الفرحة بمقدمه، يصومون جماعة ويفطرون جماعة.. هذه الجماعة هي سمة التعامل الاجتماعي في القرية.. حتى المشكلة العائلية الخاصة تحل عند شيخ القبيلة.. إذن القرية هي الجماعية المتناغمة..

صوم رمضان اضافة الى أنه فرض تشريعي واجب فهو في القرية متعة ايضاً ، لاسيما أن الناس يتناولون إفطارهم في مجموعات في أماكن بارزة، حتى أن عابر السبيل ينزل ضيفاً مكرماً عند أقرب مجموعة وصل إليها.

في ليالي رمضان، اعتاد الناس على السهر.. لكن يفترق السهر من حيث النوع.. قديماً، قبل انتشار التلفاز، كما يروى الكبار من الآباء والاجداد، كان الناس يلجأون في ليالى رمضان الى السمر الجميل الهاديء الذي ينمي اواصر الحب والمودة بين الناس، اذ تكثر الزيارات فيما بينهم، ويقفون على احوال بعضهم، ويجرى الود بينهم دفاقاً .. هذا ما بين الكبار.

أما الصغار والشباب، فيطيب لهم اللعب والمسابقات، وممارسة الانشطة الجسمية المتعددة والمتنوعة بتعدد البلدان والاماكن.. والأمر في نهايته بالنسبة لهم اكتساب للمهارات..

وهكذا كان الحال في سالف الأيام، تواد ومراحمة، لقاءات وتعارف.. وهذه سمات اجتماعية يسعى الدين الى غرسها في نفوس المسلمين، حتى إذا انقرضت هذه السمات الرفيعة فقد عمت الفوضى والبلوى.. وهذا ما نخشاه تماما في مقبل أيامنا التي نجد ارهاصات التفكك الاجتماعي بادية في ملامحها منذ الآن.

وجبة الافطار :

وجبات الافطار ومسمياتها تختلف باختلاف عادات الشعوب، في طريقة الاعداد، واسلوب الطهي، ومكونات الوجبة، وصنوف طعومها، وبالتالي تختلف مسميات تلك الوجبات.. وقد نجد للوجبة الواحدة عدة مسميات في بعض أقطار العالم الإسلامي.

وعلى سبيل المثال نسجل مسميات بعض الوجبات الرمضانية في بعض الدول الاسلامية:

في المملكة العربية السعودية ودول الخليج نجد الكبسة والشوربة والسمبوسة، وفي العراق، البهرية وكبة الحامض، والدولة، والكبة والمعلاق، والكاهي والقيمر، والداتورة والشلغم.

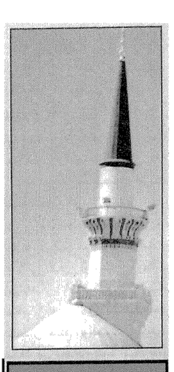
في منطقة الشام (سوريا .. لبنان .. فلسطين .. الاردن) من اكلاتهم الرمضانية: التسقية، البابا غنوج، فتة الحمص، الفتوش ، الفليفلة، المقلوبة، المسخن ، المنسف، التبولة، ومن انواع الحلويات المعمول، الدريان، الهريسة، العثميلية.

في دول المغرب العربي (تونس - الجزائر - ليبيا - المغرب - موريتانيا) نجد: السفوف .. الكسكسي .. الطاجين.

في دول شرق آسيا: البادق - الكتوفن - الدودول - التافاي - وكلها من الارز..

هذا شهر الصوم:

قد حلَّ ضيفاً كريماً، علينا ان نحسن وفادته، باعطائه ما يستحقه من صوم خالص لا رياء فيه، واكثار في الذكر والعبادة والدعاء، وتواصل لذوي القربي، ورأفة ورحمة للفقراء والمساكين والمعوزين، هذا الشهر ، فرصة سانحة لتنظيف النفوس من عوالق الهوى.. من الكبرياء والازدراء، من الأنفة والعنجهية.. والأخذ باسباب التواضع، والرحمة.



شهر البر والرحمة

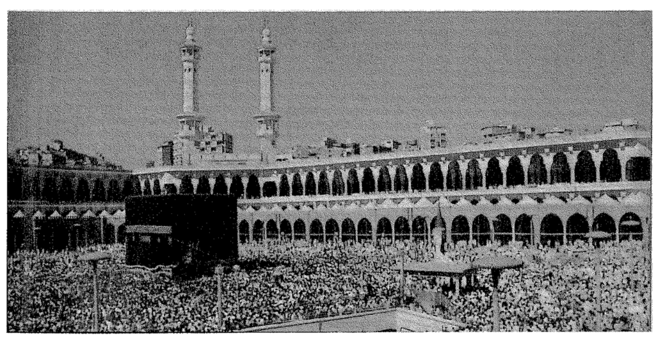
في ليلة التاسع والعشرين من شهر شعبان يخرج الناس في موكب يقفون في مكان مرتفع يترقبون مقدم هذا الكريم

شهـر رمضـان فـي مكـة المكـ

د. صلاح أحمد البهنسي
كليـة الآثـارجامعة القاهرة

كانت مكة المكرمة ولازالت تتسم بطابع خاص فى شهر رمضان يجعل قلوب المسلمين فى كل بلدان العالم تهفو إليها ويحرصون على قضاء بعض أيام الشهر الكريم فيها. وليس هذا بجديد على مكة المكرمة بل إننا نجد أن العلاّمة القضاعى الذى زار مكة المكرمة فى القرن ٥هـ/ ١١م يذكر أن: «عجائب الإسلام أربع، عرض الخيل بمصر، ورمضان بمكة، والعيد بطرطوس والجمعة فى بغداد» كما أشاد كثير من رحالة العصور الوسطى بمظاهر الاحتفال والاحتفاء بشهر رمضان فى مكة المكرمة، فهذا الرحّالة المقدسى الذى زار مكة فى القرن ٤هـ/ ١١م يبدى إعجابه باستقبال الناس لشهر رمضان فى مكة المكرمة ويذكر «أن الناس فى مكة يتأهبون لاستقبال شهر رمضان، فيزينون الأسواق بين الصفا والمروة، ويضربون الطبول الى الصباح، أما الرحّالة ابن جبير الذى زار مكة المكرمة والمدينة المنورة سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م فلقد ذكر «أن الناس استقبلوا شهر رمضان بتجديد حصير الحرم النبوى، وتكثير الشموع والمشاعل وغير ذلك من الآلات حتى تلألأ الحرم نوراً وسطع ضياءاً، وقد تنافس أصحاب المذاهب فى مظاهر الاحتفال، فأحضر تجار المالكية شمعتين كبيرتين يصل وزنهما الى قنطار وضعتا أمام المحراب، وقد حفت بهما شموع أخرى صغيرة وكبيرة حتى أصبحت جهة المالكية تروق حسناً وتتألق نوراً».

فإذا ما حان وقت السحور فإن لمكة المكرمة والمدينة المنورة طرقها الخاصة فى إيقاظ أهاليها للسحور، ويطالعنا كتاب المقدسى «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» بطريقة التسحير فى مكة فى القرن ٤هـ/١٠م إذ يذكر أن السحور فى مكة المكرمة يتم عن طريق منادين يصعدون أعلى جبل أبى قبيس وينادون بالسحور ويستمرون فى قراءة القرآن الكريم بقراءة ابن كثير حتى ينقضى وقت السحور» أما فى القرن ٨هـ/ ١٤م فلقد حدثت طريقة أخرى للتسحير فلقد أمدنا الرحّالة ابن بطوطة بمعلومات قيمة فى هذا الشأن إذ ذكر أن التسحير فى مكة يتم بطريقتين وذلك عن طريق المؤذنين، حيث كان مؤذن الحرم المكى يتولى التسحير من المئذنة التى فى الركن الشرقى من الحرم لقربها من دار أمير مكة، ومعه أخوان صغيران يجاوبانه ويقاولانه ويرد عليهم المؤذنون على سائر المآذن داعين ومذكرين ومحرضين على السحور»، وبهذه الطريقة يصل صوت المؤذنين الى كل مكان فى المدينة، وهناك طريقة أخرى كانت تستخدم فى التسحير فى مكة المكرمة وتتمثل فى نصب عمود خشبى فى رأسه عود كالذراع أعلى

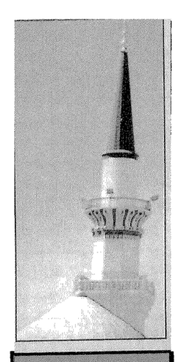


ـــرمة والمدينة المنورة

المآذن وفى طرفى الذراع توجــــد بكرتان يرفع عليــهـمـا قنديلين من الزجـــاج، ويظل هـذان القنديلان متقدان طوال فترة السحور، فإذا ما قـرب مـوعـد الإمـسـاك عن الطعـام والشـراب وتبين الخـيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، حط المؤذن القنديلين، وبدأ فـى الأذان، فــمن لم يتمكن من سماع صوت الأذان ممن يبعد مسكنه عن المسجد، نظر الى القنديلين، فاذا وجدهما قد انطفئا، يعلم بأن وقت السحور قد انقضى.

ومن أجمل المظاهر الرمضانية فى مكة المكرمـة والمدينة المنورة صـلاة العشاء والتراويح حيث يمتلىء الحرم المكى والحـــرم النبــوى بالمصلين، وتتـعـالى أصـوات الأئمـة بالقـراءة فـيرتج المسجد فى مرأى ومسـمع تنخلع له القلوب خشـية ورقة. أمـا صلاة التراويح فكانت لها تقاليدها حيث كانت تُصلّى عشرين ركعة فى عشـر تسليمـات، وبعد كل تسليمـة يطوف الإمام والمصلون حول الكعبة المشرفة ثم يضرب القيم بالفرقعة الخطيبية، وهى عبارة عن عود من الخشب فى طرفه جلد رقيق مفتول، ويقـوم القـيم بنفـضـه فى الهـواء فيصـدر عنه صوت عـال يسمع فى أرجاء الحرم، وهذا الصـوت تنبيـه للمصلين إن الإمام قد قام للصلاة، وهذه الفرقعة الخطيبية ـ كما وردت فى كتابات الرحّالة ـ لم تكن تستعمل فى الصلاة فى غير شهر رمضان إلا عند صـعـود الخطيب المنبـر يوم الجمعة.

وكـانت صـلاة التراويح تسـتغرق وقـتـاً طويلا حـتى كـان يتناوب فى إقامتها خمسة من الأئمة. وتعتبر الليالي الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان من أكثر ليالي الشهر الكريم بهجة وأعظمها إشراقا، ففيها ليلة القـدر التى هـى خـيـر من ألف شـهر، وكـان الأئمة يـختمون فـيـها قراءة القرآن الكريم، كما كان أبناء كبراء أهل مكة يتنافسون فى قراءة القرآن الكريم، فإذا ما انتهى أحدهم من ختم القرآن حفظاً وتجويداً أقام حـفـلاً كبيـراً، وكـان هذا الاحـتـفـال



شهر البر والرحمة

عجائب الإسلام أربع
عرض الخيل بمصر
ورمـــضـــان بمكة
والعـيـد بطرطوس
والجمعة في بغداد

رائعاً بهيجاً ويتمثل في عمل منبر فخم مزين بالحرير، وعلى جانبي المنبر توقد الشموع والقناديل، حيث يعتلي الصبي المنبر وسط هذه الأنوار المتلألئة، ويخطب خطبة بليغة يستعرض فيها مقدرته على حسن الإلقاء وإستفادته بما حفظ من القرآن الكريم. وفي تلك الأثناء تكون الموائد قد مدت في بيت والد الصبي بأشهى أنواع الطعام والحلوى والشراب، فإذا ما انتهى الصبي من إلقاء خطبته انتقل جميع الحاضرين الى منزل والد الصبي حيث يتم احتفال بهيج.

وقد حضر الرحّالة ابن جبير إحدى هذه الاحتفالات بختم القرآن الكريم في مكة ونقل لنا وصفاً دقيقاً لمراسم هذا الاحتفال، فذكر أنه في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٧٩هـ ختم أحد أبناء المكيين ذوي الثراء القرآن الكريم وكان لم يبلغ بعد الخامسة عشرة من عمره فاحتفل والده بذلك احتفالاً بديعاً حيث أعد ثريا من الشمع زينت أفرعها بأنواع مختلفة من الفاكهة، كما وضع في وسط المسجد محراباً مربعاً غاية في الحسن مصنوعاً من أعواد خشبية، تتدلى من أعلاه قناديل تعلوها مصابيح ومشاعل. أما جانبي المحراب فلقد ثبت عليها مسامير حديدية غرست فيها الشموع، فأصبح المحراب مضاءاً من جوانبه بالشموع ومن أعلاه بالمصابيح والقناديل والمشاعل، كما أوقدت الثريا المحلاة بأنواع الفواكه. والى جانب المحراب وضع منبر من الخشب مكسو بكسوة من الحرير البديع الألوان.

وفي وسط هذا الجو النوراني الذي يفيض بهجة ويشع بهاءاً قام الصبي ووقف في المحراب وصلى التراويح إماماً وخلفه عدد كبير من المصلين، وبعد أن انتهى من صلاته صعد الصبي المنبر المزين وقد إصطف على جانبي درجات المنبر أناس يمسكون شموعاً متقدة، وألقى الصبي خطبته، وكلما انتهى من فصل من فصول الخطبة رفع المصلين أصواتهم مهللين وداعين: يارب، يارب، ثم يقرأ القراء بعض آيات القرآن الكريم، فإذا ما فرغوا من قراءتهم عاد الصبي لمواصلة خطبته حتى انتهى منها، وأعقب ذلك حفل مهيب في منزل والد الصبي.

وتحل الليلة الغراء التي هي خير من ألف شهر والنور يعم كل أرجاء الحرم المكي والحرم النبوي، وتأخذ الاحتفالات ابتداء من هذه الليلة شكلا مختلفاً فبالاضافة الى الأنوار التي تملأ داخل الحرم، فإن مجموعة من الشباب يعتلون شرفات المسجد وبيد كل واحد منهم قطعة من القماش المشبعة بالزيت وفي اليد الأخرى المشاعل، ويأخذ الواحد منهم تلو الأخر في إشعال المشاعل وقطع القماش في منظر آخاذ فيصبح الحاضرون داخل الحرم وخارجه وقد أخذ المنظر بألبابهم سوى أن يرفعوا أصواتهم داعين «يارب» فيرتج الحرم الشريف. وتستمر الإحتفالات على هذا الشكل حتى الليلة الأخيرة من شهر رمضان، فإذا ما ثبتت رؤية هلال شهر شوال تنار المآذن في جميع أجزائها، ويأخذ المؤذنون في أعلى قبة زمزم في التهليل والتكبير والتسبيح والناس تردد معهم وهم يطوفون حول الكعبة المشرفة.

وهكذا تنقضي أيام شهر رمضان المبارك، وقد تزينت المساجد وتلألأت المآذن بالأنوار وكأنها مشاعل تبدد ظلام الجهل، وتنشر أنوار الهداية، كما صفت القلوب وسمت الأرواح طاعة لله عز وجل.









خـالد عـزب
مـصر

«المسحراتي» في مصر أو «الطبال» في بيروت أو «أبو طبيلة» في الكويت.. معلم من معالم رمضان.. فهو صاحب مهنة لا تمارس الا خلال ليالي شهر الصوم فقط.

فعلى الرغم من انتشار الساعات المنبهة واستعمال المساجد للتقنيات الصوتية التي تستطيع الاعلام عن مواعيد الصلاة والسحور. مازال المسحراتي يزاول مهنته فى العديد من مدن العالم الاسلامي.. ونستطيع ان نتجول معه داخل هذه المدن لنسجل ملامح مهنة تكاد أن تنقرض وتصبح جزءا من التراث الرمضاني.

فى القاهرة :

يطوف المسحراتي الشوارع والحارات والدروب مناديا أصحاب الدور بطريقته الخاصة وهو يحيي الرجال معدداً أسماءهم من دون النساء حفاظا على حرمة البيوت.

وبعد ان يحيى اصحاب البيت يدعو للرجال بأن يقبل الله صلاتهم وصيامهم ويدعو الله ان يحفظهم وأهلهم ويعيد أيام رمضان عليهم وهم فى صحة وعافية وسلام.

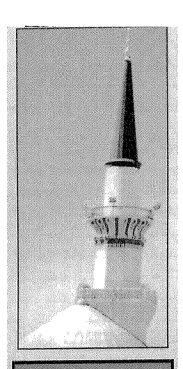
وبين كل دعاء ونداء يدق «المسحراتى» على طبلته الصغيرة دقاته الشهيرة التى أرخ لها المستشرق الإنجليزى ادوارد وليم لين وكثيرا ما ينادى المسحراتى على «عباد الله» عن طريق الشعر ومن أقواله الشهيرة :

يا غفلان وحد ربك
وبالتقى عمر قلبك
ما يوم تقلق على رزقك
دا ربنا عالم بالحال
يارب قدرنا على الصوم
واحفظ ايمانا بين القوم
وارزقنا يارب باللحم المفروم
أحسن يارب ماليش اسنان

وقوله :

انا المسحر جيت أطبل لكم
حافظ اساميكم صغير مع كبير
وفى كل ليلة لى على كل بيت
اللى من الذمة خرج للفقير
ولى عيدية عندكم كل عيد
الكعك وكفوف الشريك والفطير
آجى أصحيكم وأنتم نيام
وقت السحر عن كل خير غافلين

ومما سجله «ادوارد لين بول» عن نساء الطبقة المتوسطة فى القاهرة العثمانية انهن كن يعمدن الى وضع قطعة فضية من النقود فى ورقة تلقى بها احداهن من النافذة الى المسحراتي.. ولما كان الوقت ليلا والمسحراتى لم يُهَبْ عين زرقاء اليمامة وليس صقرا حاد البصر فإن السيدة تشعل الورقة ليرى المسحراتى مكان سقوطها فيستدل عليها ويدسها فى جيبه ويرفع صوته بالدعاء لصاحبتها.



شهر البر والرحمة

المسحراتي ظاهرة تراثية ما كان لها أن تختفي

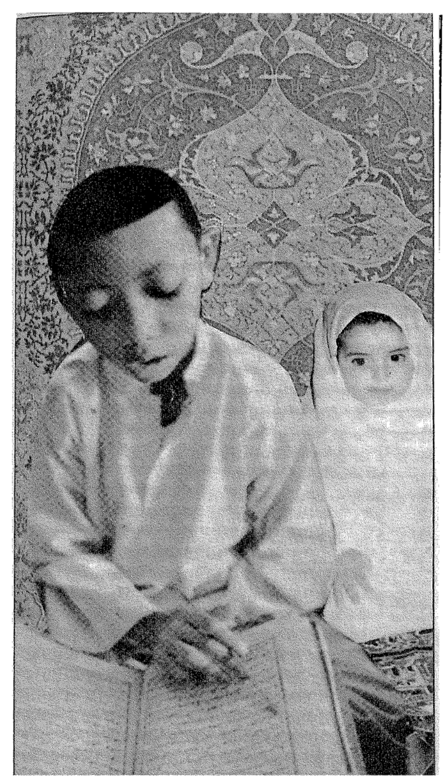
فى دمشق :

يرتبط رمضان بالمسحر على رغم عدم حاجة المجتمع الدمشقى حاليا الى خدماته، فهو ظهر لاعتبارين اساسيين: الأول: ان وجبة السحور استثنائية ولا تتكرر الا فى رمضان، اما الاعتبار الثانى: فهو النوم الذى يطلق عليه الدمشقيون اسم «سلطان» فأوامره لا تخالف لأنه يغالب الانسان، وخلال رمضان يزداد الارهاق نتيجة حال الصوم، لذا لابد من ايقاظ الناس كل باسمه وهذا ما يفعله المسحر. واذا عرفنا ان تعداد سكان دمشق يبلغ خمسة ملايين تقريبا، عرفنا ان مهمة المسحر غدت مستحيلة، وحلت عوضا عنها وسائل حديثة.

لكن .. بالرغم من هذا مازال المسحر يدق طبلته اليوم وسط الشوارع العريضة، مصرا على الاستمرار، ومدافعا عن مهنته التى كان لها من الأهمية الاجتماعية والدينية درجة عالية.

فالمسحر يستيقظ قبل الجميع، ثم يوقظ كافة أبناء الحي، لكنه آخر من يتناول وجبة السحور، لأنه يجوب الحى بأكمله قبل أن يستكين لسحوره، وهو لا يتخلى عن هذا الواجب مهما كانت الظروف، خصوصا فى شتاء دمشق الماطر ولياليه الباردة. فكان أهل الحى يجدون فيه شكلا من أشكال الواجب الدينى. وحتى أوائل القرن العشرين كان خادم المسجد الموجود فى الحى يتولى هذه المهمة، لكن اتساع الرقعة الجغرافية لدمشق جعل هذه المهنة مستقلة عن أى عمل آخر، فأصبح المسحرون تابعون لوزارة الأوقاف ومكلفون من قبلها بالقيام بهذه المهمة.

ونتيجة لهذا الارتباط الدينى فالمسحر ليس شخصا عاديا، بل تربطه بأبناء الحي روابط قوية، ومن هنا نشأت العلاقة الاجتماعية بين



المسحر والحى الذى يعمل فيه، وأصبح هو الحكواتي الذى يجلس أطفال الحارة حوله قبل آذان المغرب ليسرد عليهم القصص، ويغنى لهم بعض الأغانى، ويعرف كل بيت فى الحي وينادى على أصحابه بالاسماء.. وغالبا ما يدعى كل يوم الى مائدة فى أحد المنازل.

ومهنة المسحر الآن تقاوم الانقراض، والمسحر ايضا يقاوم تغيرات العصر، لباسه يعود الى القرون الماضية (السروال والدكة) وأغانيه فولكلورية قديمة. فمهنة المسحر ليست حكرا على دمشق ولكنها فى دمشق تلبس حلة دمشقية.

وتمكننا الأهازيج التى يرددها المسحر من تتبع بعض أشكال الفولكلور الدمشقى فهو يقول فى أول رمضان:

يا نايم وحد الله يا نايم اذكر الله
أوموا على سحوركم اجا النبى يزوركم

ويتبدل هذا المقطع مع انتصاف رمضان، فيردد ـ على سبيل المثال ـ فى بعض أهازيجه:

هيال اللى تعبد وصام
طار رمضان مثل الطير
ياللى فاتك الصوم والصلاة
قوم جدد عهدك مع الله والنبى
يا نايم وحد الله

أما فى نهاية الشهر فيردد:

نزلت دموعى على خدودى كبيضة الحمام
يا شهرنا ودعتنا هذا عليك السلام

ويستغل المسحر اللغة المحكية لنسج كلماته. ويكفى ان ندلل على القصص التى يرويها للأطفال لنلحظ كيف يصبح المسحر ذا صبغة دمشقية مستعملا أشكال تراثها. يقول فى احدى اهازيجه للأطفال:

شرم برم حالى غلبان
عالضراير والرية
وريوا على قلبى دبلة
ومن جورهن بعت الطبلة
وصرت داير غلبان

هذا المقطع يصعب على غير الدمشقى فك مفرداته، ولكن هذه لا تمنع من ان يكون المسحر الدمشقى مظهرا رمضانيا يحبه الجميع فى كافة المدن السورية.

في بيروت :

لأن ثواب المهمة جليل، دنيا وآخرة، كثر الطبالون فى بيروت، فهم يؤدون خدمة للمسلمين طلبا لمرضاة الله، ورغبة فى العطايا، وكثرتهم أملاها اتساع بيروت وتوزع سكانها على أحياء المدينة، حتى صار لكل طبال حي يطبل فيه لا يتعداه الى غيره، حتى لا يضطر الناس الى دفع اعطياتهم الى أكثر من شخص.

يطوف الطبال بأزقة الحى، يقرع طبلته ذات الوجه الواحد بعصا رفيعة، هاتفا أو مادحا. ومن هتافاته:

«يا نايم وحد الدايم»

ومن مدائحه التى يغلب عليها التطريب:

أحمد يا حبيبى .. سلام عليك
يا عون الغريب .. سلام عليك

أو التالى:

رمضان كريم .. كريم رمضان
شهر المحبة والايمان
من قال: رب العالمين
شارك صيام المؤمنين.

أو التالى:

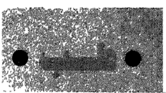
قم يا نايم .. يللا تسحر
وسبح المولى الجبار
رمضان كريم على منور
يا ميت هلا بشهر الأنوار

ويحرص كل طبّال على مدائح خاصة به، وعلى أنغام يحاول أن يبز بها أقرانه من الطبالين. وهو ابدا يخوض فى أزقة بيروت، فى الليالى الماطرة الباردة، أو فى ليالى الصحو الدافئة، وكان يهتف بأسماء الناس، قبل ان تتسع بيروت ويزداد سكانها، وترتفع عمائرها فلا يبلغ صوت الطبال أسماع القاطنين فى الطبقات العليا، ويتعذر على الطبال مداعبة أناس يجهل أسماءهم اليوم لكثرتهم.

وقديما فى قرى الجزائر، على عهد الاستعمار الفرنسي، وفى غياب وسائل الإيقاظ كالساعات والمنبهات والمذياع ، كان فقيه كل قرية يعمد الى ضرب الطبل من على شرفة عالية، أو علي قمة جبل شامخ، بحسب موقع القرية ونظام تضاريسها الجغرافية، فكنت ترى الأنوار تضاء فى دور القرية، وربما القرى المجاورة لها، الدار تلو الأخرى، وانقرضت مهنة المسحراتى فى عدد كبير من مدن العالم الاسلامى ومنها الكويت التى كان يعرف فيها بـ (ابو طبيلة).

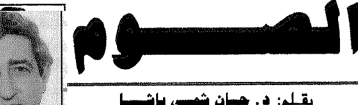
شهر البر والرحمة

أبو طبيلة يشيع الفرحة بين أفراد حارته



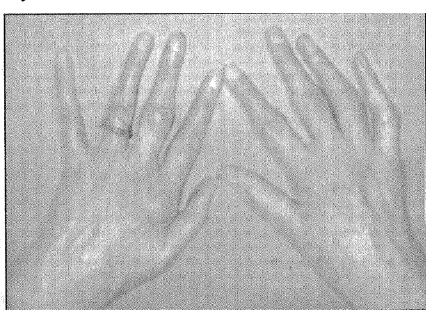






بقلم: د. حسان شمسي باشا
مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة/ جدة

كلمة «الروماتيزم» كلمة شائعة على ألسنة الناس، ويقصد بها أى اضطراب يسبب ألما وتيبسا في المفاصل والعضلات. وتشمل الآلام العضلية البسيطة، كما تشمل التهاب المفاصل التنكسي، والتهاب المفاصل نظير الرثوي، ونظير مرض آخر يصيب المسنين ويدعى POlynyalgia Rheunatica وتميز هذه الأمراض السابقة عن الحمى الرثوية (الحمى الروماتيزمية) التى تصيب الأطفال واليافعين عادة، وتسبب آلاما وانتفاخا فى عدد من المفاصل وارتفاعا في حرارة الجسم.


داء المفاصل نظير الرثوي

التهاب المفاصل التنكسي
Osteoarthritis

ويسميه البعض «نشفان في المفاصل» وهو شائع جداً عند كل من جاوز الستين من العمر، فهو يصيب تقريباً كل المسنين، ومع ذلك فلا يشكو جميعهم من الأعراض. ويصيب بشكل خاص منهم البدينين.

ويعتبر الصيام فرصة ذهبية للبدينين المصابين بهذا المرض، حيث يمكن استغلال هذه الفرصة لإنقاص الوزن وتخفيف الحمل الذي تنوء به مفاصل المريض. ويشكو المريض عادة من ألم وانتفاخ وتيبس في مفصل أو أكثر. إلا أن أكثر ما يصيب هذا المرض مفاصل الركبتين والوركين والعمود الفقرى.

ويمكن تخفيف أعراض المرض بتناول «الأدوية المضادة للإلتهاب غير الكورتيزونية».

التهاب المفاصل نظير الرثوي (أو الرثواني) -Rheunatoid Arthritis:

«هو مرض يصيب مفاصل اليدين والمعصمين وأصابع القدمين ومفاصل أخرى في الجسم. وتكون هذه المفاصل مؤلمة ومنتفخة ومتيبسة». ويأتى المرض على شكل هجمات متكررة. وقد يحدث تشوهاً في المفاصل في المراحل المتقدمة.

ويتم تشخيص المرض بالصور الشعاعية، وبفحص دموي يسمى فحص «العامل نظير الرثوي» (Rheunatoid Factor).

ويحتاج المريض عادة الى الأدوية المضادة للالتهاب غير الكورتيزونية

لتخفيف الألم والتيبس المفصلي.. وقد يحتاج الأمر الى استعمال أدوية أخرى كالبنسلامين، والكورتيزون ومثبطات المناعة.

أدوية الأمراض الروماتيزمية .. والصيام: أكثر الأدوية استعمالاً في علاج أمراض الروماتيزم نوعان:

النوع الأول:

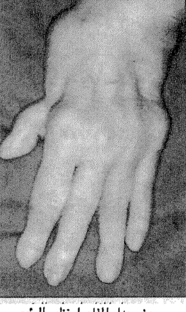
ويسمى مضادات الالتهاب غير الكورتيزونيه: مثل الاسبرين والبروفين والاندوسيد والفولتارين وأمثالها .. وتختلف هذه الأدوية من حيث قوتها ومدة عملها في جسم الإنسان فمنها ما يعطى مرة واحدة في اليوم، ومنها ما يعطى مرتين أو ثلاث. واهم مضاعفاتها تأثيرها على الجهاز الهضمي، حيث يمكن ان تخدش المعدة، وتسبب بعض التقرحات هناك، وهو ما يؤدى الى حدوث مغص شديد أو آلام تشبه آلام القرحة المعروفة. وتكثر هذه المضاعفات عند الرجال المسنين والنساء، وعند من أصيب بقرحة سابقة، أو عندما تؤخذ الحبوب على معدة فارغة.ولهذا يجب تناول تلك الأدوية بعد وجبة طعام.

وقد يحتاج الأمر لإعطاء الأدوية التي تخفف من حموضة المعدة كمضادات الحموضة مثل المالوكس وغيره، أو الأدوية المثبطة لإفراز الحمض المعدي مثل التاغاميت والزانتاك وأمثالها.

وفي شهر رمضان تعطى أدوية الروماتيزم بعد وجبة السحور إن كان المريض يتناول حبة واحدة فقط، أو تعطى بعد السحور والافطار إن كان يتناول حبتين وينبغي الحذر حين استخدام أدوية الروماتيزم عند المصابين بمرض في الكلى أو عند المسنين.

النوع الثاني: الكورتيزون:

وقد استخدم الكورتيزون لأكثر من أربعين عاماً . وهو سلاح ذو حدين، ولا يجوز بحال من الأحوال استعماله دون استشارة الطبيب والكورتيزون هرمون موجود أصلا في الجسم البشرى وتفرزه الغدة الكظرية التي تقبع فوق الكلية.. ومن فوائده أنه يساعد الجسم في التعامل مع الضغوط الجسمية والمرضية والنفسية كالخوف والقلق وحين التعرض لأية كارثة كانت ، حيث يرتفع بنسبة كبيرة بشكل يساعد الجسم على التعامل مع تلك المشاكل. ويفيد استخدام الكورتيزون



مريض بداء المفاصل نظير الرئوي (مرحلة متأخرة جدا)

في علاج الالتهابات غير الجرثومية كالتهابات المفاصل الروماتيزمية، وفي الأمراض المناعية والربو القصبي وغيرها.. ويستطيع المريض الذي يتناول الكورتيزون الصيام، حيث يمكن تناول حبوب الكورتيزون بعد السحور وبعد الافطار..واذا كان المريض يشكو من حموضة في المعدة فقد يحتاج لمضادات الحموضة كما ذكرنا سابقا.

مرض النقرس .. والصيام:

مرض النقرس مرض يصيب المفاصل ، وخاصة مفصل الأصبع الكبرى من القدم. ويسمى «داء الملوك» وينجم عن ارتفاع حمض البول (uric acid) في الدم.

وقد أظهرت الدراسات العلمية أن حمض البول لا يزداد ازديادا ملحوظا في شهر رمضان ففي دراسة نشرت في المجلة البريطانية للتغذية British Journal of Nutrition تبين ان حمض البول قد انخفض خلال الاسبوعين الأوليين من الصيام عند الأصحاء. إلا أنه ازداد زيادة طفيفة جدا في الاسبوعين الأخيرين. وعلى الرغم من ذلك فلم تحدث لدى الصائمين أية أعراض. واستنتج الباحثون أنه من غير المحتمل أن تؤدى هذه الزيادة الى أية تأثيرات مرضية، ولم تحدث أية حالة من حالات النقرس عند الصائمين. ويُنْصَح المصابون بارتفاع خفيف في حمض البول بتعويض ما فاتهم أثناء الصيام من الشراب بعد الإفطار مباشرة، والإكثار من السوائل في فترة الإفطار، وخصوصاً عند السحور.

وينبغي التذكير إلى أن الإكثار من اللحوم في شهر رمضان يرفع نسبة حمض البول.

وفي دراسة نشرتها مجلة Journal of Anerican dietetic Association:

عام ١٩٩٠ لاحظ الباحثون أن تناول غذاء غني بالدهون غير المشبعة (مثل زيت الزيتون) خلال شهر رمضان قد منع حدوث ارتفاع حمض البول، الذي يرافق نقص الوزن خلال شهر رمضان.. ومع ذلك ينبغي الاحتياط عند صوم المصابين بالنقرس، حيث ان الدراسات لم تشمل هؤلاء المرضى. وربما احتاج الأمر لاعطائهم الأدوية الواقية من النقرس خلال رمضان.



شـــهـــر تضيء بنوره الأيام
وتســـود فيه محبة وسلام
صُقلت على مَرِّ الزمـان حـزوفـه
بالطـهر ٠٠ لا نزق ولا آثام
وبه انطوى للكفر٠٠ من إشراقه
علم ٠٠ وسادت للهدى أعلام
قـمـم تلوذ بهـديه وجـمـال مـا
يوحي به.. للمسلمين صيام
وجمال ما يوحى به٠٠ أن الغنى
فيه حقوق ٠٠ للضعيف تقام
فـالحق فـيـه لمن يعـاني فـاقـة
فرض على اهل الغني.. وذمام
مجد الصيام ٠٠ شقاء كل معذب
لا يرتضيه ٠٠ فمجده إنعام
فـالعـفـو فـيـه لصائم ٠٠ زلت به
فـي ساعـة من جهله أقدام
لكن ظلم الناس سـهم جـارح
يدمي.. فظلم العالمين حرام٠!

* * *

كم في معاني الصوم من إيماءة
لفضيلة٠٠ يدعو لها الإسلام
قـيم من الأخـلاق توحى للورى
أن الحيـاة٠٠ محـبة ووئام
والحسن كل الحسن حين تصونها
قيم ٠٠ وتعلو للهدى٠ أحكام
أحلى الحياة بأن يسود ضميرنا
شرف.. وأن لا تقطع الأرحام
فصلاح هذا الكون رهن صلاحه
وفساده ٠٠ حين الضمير يلام
خيل الألى سادت بوعي ضمائر
وبفقدها٠٠ طويت لهم أعلام
يهوى الضمير الحر في تفنيده
قمم.. وتخشى شجبه أقزام!

* * *

رمضان يا شهر العبادة والتقي
أيجوز لي٠٠ فيما أراه ملام؟
ما لي أرى الدنيا مثار شكاية
غواية ٠٠ شاهت بها الأيام
تتساقط الأعمار في ساحاتها
هدرا ٠٠ واهداف الردى ايهام
ويظل إنسان الجهاد مجرّحا
بيديه ٠٠ والداء الدفين خصام
والخلف فى نهج الكفاح ٠٠ غواية
حتف ٠٠ وفي قلب الشعوب سهام
ما أقبح الدنيا إذا قل الهدى
فيـها ٠٠ ولم تهنأ بها أقوام

* * *

أيكون عـشـقى للحـيـاة كـريمة
حلما.. وشوقي للهدى أوهام؟
والطير إن أغفت بظل خميلة
يومـا.. يداعب جفنها الأحلام
يغفو على ايقاع نبضك يا دمي
فنـــي.. ولكنّ الفؤاد حطام
فالطيب ما اشتملت عليه مدينتي
لكنَّ قلب الحر ٠٠ كيف ينام؟!

* * *

مقبل العيسى
– جـدة –

الصوم وتربية الإرادة



بقلم:
هاشم دفتر دار
– جدة –

طرح المجلة جانباً، والتفت إليّ يقول:

- إني أجد معارفي في مطلع الشمس إشراقاً، وأعمالي في مغربها ظلاماً، وكنت أحسبني وحدي في هذا السلوك البغيض دون الرفاق، فلما تتبعت سلوكهم عن كثب ما ألفيتهم أصلح حالا مني، وكل امتيازي أني ضقت بوهن إرادتي وأنهم لم يضيقوا.

عرفت فلاناً من الناس لا يسمح لنفسه بالراحة حتى يحل ما يعترضها من عقد، مستعيناً بأصدقائه ممن يعرف فيهم أصالة الرأي، فهو لا ينفك يتعمق في نفسه درساً ونظراً.

وعرفته عبقرياً يهوى الرشد ويَجِدُّ في طلبه بحزم، لذلك قلت له: خلاصك في يديك..

- يا عجباً خلاصي في يدي ولا أدري؟!! لابد أن يكون لديّ كثير من العلم والفكر؟!.

- لا ... لا، العلم والفكر كالنيرين يضيئان الطريق الجيدة والرديئة، ولكنهما لا يملكان السلطان الذي يقسرك على سلوك هذه الطريق دون تلك: وكثيرهما وقليلهما سواء.

- إذن فالذي يملك ذلك الوجدان والضمير يقدر على السلوك.

- لا يا صاحبي، الوجدان كالمربي الضعيف الذي يملك أن يأمر بالخير وينهى عن الشر، ولكنه لا يملك السلطة التنفيذية التي تجعل توجيهه عملياً. والضمير كالحارس النزق الذي يهمد لدى مباشرة الجناية، فإذا انتهى الجاني من جنايته ثارت ثائرته عليه زجراً وتأنيباً.

- ويحي أية قوى للشر هذه التي تكمن في نفسي؟!!

- لعلك لا تدري مدى قوة الغرائز وعواصفها المدمرة وعاداتها المستحكمة، هذه الغرائز هي التي

تهيمن على أعمالنا، وتطرحها وراء ما نعلم أنه خير لنا، وأسلم عاقبة.

أخذ فلاناً دهشة، وقال كالمحتج:

- الغرائز فطرية فى الانسان والحيوان معاً، فما بالها فى الحيوان لا تعصف بأمياله، وتوجهها إلى هلاكه؟.

- لا تنس أن الغرائز فى الحيوان مقيدة بالوعى المبهم المرتبط بإدراك الجزئيات إدراكاً حسياً مقدراً بموازين المصلحة التى تقتضيها خصائص حياته المحددة بالزمان والمكان.

وأما الغرائز في الانسان فإنها مطلقة، ولا يستطيع أن يقسرها على الأخذ بهذه الأفعال وإن كانت ناقعة، وهجر تلك وإن كانت ضارة، وعيه الفكرى الصالح لشمول معرفته بكل الجزئيات والكليات النافعة والضارة وبعلاقتهما بالزمان والمكان والوجود والعدم، وبنتائجهما، فى الأفراد والجماعات أى أن وعيه الفكرى مطلق ولا يقسر على الالتزام.

ومن هذا الإطلاق يجيء انحلال الأخلاق فى الإنسان، وانحرافه عن الرشد حتى يصبح عبرة المعتبرين، هذا لو صح أن الغرائز العارمة الهوجاء تجعل فى الدنيا معتبرين.. وما أكثر العبر، وما أقل المعتبرين.

- يا ليت شعرى !! كيف ينخدع الإنسان بغروره فيدفعه الى امتطاء غرائزه الهوجاء العمياء النهمة على مزلق من جحيم؟.

كيف يركب الأرزاء غير مكترث بالعواقب المرعبة ولا معتبر بمن دمروا أمام عينيه؟

- لا تعجب لأن الكبت - أى الكف والاكتفاء المقدرين وفق مصلحة حياة الإنسان باعتباره فرداً فى جماعة مصالحها متشابكة - غير داخل ضمن مطالب غرائزه.

ويرجع انحلاله الخلقى فى العالم الى فقد هذا الكبت الغريزى المصلحى، ومن هنا ندرك أن

الغريزة قوة شر كاسح إن لم توجه إلى الخير

الانسان لن يستقيم على هدى الاصلاح العام ما دام هذا الانحلال الخلقى مسيطراً على أعمال غرائزه. إلا أن يحاط به..!!

- لماذا لا تقوم غريزة التدين مقام السلطة التنفيذية فى كبت الغرائز ما دام الانسان يمتاز بها وبذلك تنحل عقدة السلوك الضار نفسياً.؟!

- نعم يمتاز الانسان بغريزة التدين كما يمتاز بغريزة حب التملك.

وعنفوان غريزة التدين لا يظهر إلا

قوة الارادة السلطة التنفيذية المسيطرة على مملكة النفس الانسانية

لدى المخاوف والنوازل والأمراض المخيفة، ولها زاويتها الخاصة فى أعماق المجموعة النفسية، وهى لا تملك السلطة التنفيذية التى تكبت بها طغيان سواها من الغرائز. ولو كانت تملك ذلك لما رأينا إنساناً واحداً بلغ الرشد يقاوم الرشد مع علمه بخطر المسؤوليات وربما يكون من وعاظها.

- لعل السلطة التنفيذية تكون فى اتباع المثل العليا التى أوحاها الله لإسعاد الإنسانية جمعاء؟.

- ويحك وهل يكون اتباع بدون سلطة تنفيذية!!.

- يا لله، فأين نجد السلطة التنفيذية التى تسيطر على مملكة النفس الإنسانية؟.

- تجدها فى المملكة الإنسانية نفسها، تجدها فى الإرادة القوية ومثل الوحى العليا، ستظل أطيافاً فتانة تربط الألسنة بالكلمات الخيرية الندية، وتشرق أقداسها فى مظاهر العبادات، أما اتجاهات الأعمال فإنها تبقى مشدودة بيد الغرائز الطاغية الهوجاء من وراء وراء. حتى تسيطر عليها سلطة الإرادة، ومتى سيطرت فحينئذ تشاهد الإنسان الإنسان.

- ما دام للإرادة كل هذا السلطان الخيِّر النافع فلماذا لا تعنى الجماعات والأفراد بتربية الإرادة؟.

- إنما يعنى بتربية الإرادة المريدون، والمريدون فى الدنيا قلائل، وهم الرسل والأنبياء وصادقوا أتباعهم، والمصلحون والحكماء ويجوز أن تكون فى أنفس الناس جميعاً، إذا هم عنوا بتربيتها.

- ما أعظم البشرى!! هل هذا ممكن؟

- أجل ممكن، لأن الإرادة ككل كائنات مملكة النفس تشتد وتقوى بالتعهد والرعاية وتضمحل وتذوى بالاستهانة.

- يخيل إليّ أن تربية الإرادة تقوم على عسر وإجهاد حتى تصبح قوية

قادرة على كبت طغيان الغرائز والتضييق عليها والتحكم في اتجاهاتها وقسرها على كل نافع وصرفها عن كل ضار.. ولولا أنها تقوم على عسر وإجهاد لما أهملها أكثر الناس.

- لا عسر ولا إجهاد إذا أتينا الأمور من أبوابها، وكم من حكمة في المثل القائل «لا يفل الحديد إلا الحديد» فتربية الإرادة إذا قصدت من طريق الغرائز أعطتنا السلطة القادرة على الكبت والتوجيه، فهذا وحي الله جاء لتربية الإرادة وتنميتها ورعايتها من طريق - الكبت الغريزي - الصوم.

ولا ريب أن الشخص الذي يدخل في قدرته بالممارسة العملية أن يكبت بعض غرائزه في بعض الوقت، فإنه يصبح قادراً على أن يكبت كل غرائزه في كل الوقت إذا اقتضت مصلحته ذلك.

ومن هنا يمكنك أن تدرك: أن الصوم الذي فرضه الله في الأديان كافة هو المثل الأعلى في تربية الإرادة، كما يمكنك أن تدرك: أن انحلال الأخلاق لا يعود الى قلة في العلم أو جهل بالدين أو وهن في التفكير أو عدم تبصر بعواقب الأعمال الضارة، وإنما يعود الى ضعف الإرادة إذا لم يكن الى موتها.. والنتيجة إذا أردنا أن ننتخب لمملكة الغرائز رئيساً أعلى تتوفر فيه جميع اسباب القوة والحكمة والوعي ليسير بأهل هذه المملكة الى الانسجام والسعادة والتعادل والحياة السامية الشريفة القادرة، فلن نجد سوى الإرادة المنشأة في حجر الصوم.

بالصوم تحيا الإرادة وتقوى، وعلى حياتها وقوتها يقوم سلطانها ويمتد نفوذها، وبغير ذلك السلطان والنفوذ محال أن يملك الإنسان توجيه غرائزه إلى الاصلاح المنتظر، وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في نصحه للشباب، إلى أثر الصوم البليغ في تربية الإرادة وإمدادها بالقوى التي تستطيع بها أن تكبت الغرائز وتهيمن عليها لدى احتياجها فقال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

فالصوم كابت لغريزة الميل الجنسي، وفي الكبت تربية للإرادة ومفهوم أن الصوم لا يكون كابتاً إلا بسلطة الإرادة التي ينميها لتقوى على الكبت.

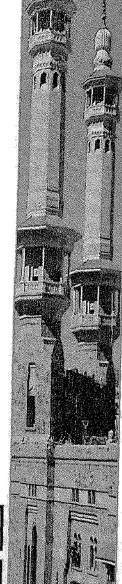
- كنت أظن أن الصوم يورث ضعفاً في الجسد لا صحة، وضعف الجسد يتبعه ضعف غريزة الميل الجنسي.

- لا .. لا، إن المقصود من الصوم صحة جسد الإنسان ونفسه بما يقدمه لهما من الانسجام، ولو كان المقصود إضعاف الجسد لما طلب الى المريض ان يصوم عن أكثر الطعام حتى يشفى، فإذا ما كان الصوم ضاراً لم يأمر به لا الطب ولا الدين «ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر».

وكم من علل قاتلة منشؤها الإكثار من تناول الطعام والشراب، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه».

وإن حسم هاتيك العلل متوقف على الصوم، وكذلك الوقاية من الوقوع فيه، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صوموا تصحوا» وعلى كل حال فالمقصود من الصوم: هو تنمية الإرادة، وإعطاؤها السلطان القادر على كبت الغرائز، ومتى ملك الإنسان الإرادة بهذا المعنى ملك صحة جسده ونفسه.

فالصوم : إمساك إرادي عن تناول الطعام والشراب، وسوى ذلك من المفطرات لتخفيف أخطار المخزونات من رواسب الطعام والشراب في مجاري الدم ولتخفيف





وزن الجسد ولضبط الميل الجنسي، ويعتبر الإلمام به مفسداً للصوم. وموجباً للمؤاخذة العنيفة «الكفارة الكبرى» الفارضة صوم شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً بدل اليوم الواحد من فريضة شهر الصوم الذي انحلت فيه الإرادة.

ومظهر انحلال الإرادة اعتبره الإمام الشافعي واحمد في الجماع، وأعتبره مالك وأبو حنيفة في الجماع وفي الطعام والشراب، وهذا خلاف كريم. كل المقصود منه تحقيق تربية الإرادة لأنها هي من غايات فريضة الصوم الأساسية.

أضواء على

يقول الله تعالي: «يأيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكمُ الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون * شهر رمضان الذى أُنْزِلَ فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون * وإذا سألك عبادى عنى فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون».

١ ـ هذه الآيات الكريمة تقرر أن الصيام كتب علينا ـ نحن المسلمين ـ كما كتب على الذين من قبلنا من الأمم السابقة، وتوضح أن هذا الصيام أيام معدودة وهي شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، **وقد فرض الله صيام شهر رمضان في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية** حيث نزل الوحي على رسول الله ﷺ بقوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

وقد بشر الرسول عليه السلام أصحابه وجميع المسلمين بهذه الفريضة منوها بفضل هذا الشهر المعظم بقوله: **«أتاكم شهر رمضان، شهر خير وبركة، يغشاكم الله فينزل فيه الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء فأروا الله فيه من أنفسكم خيرا فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل»** وقد عظم الله هذا

بقلم:
د. ناول عبدالهادي
المغرب

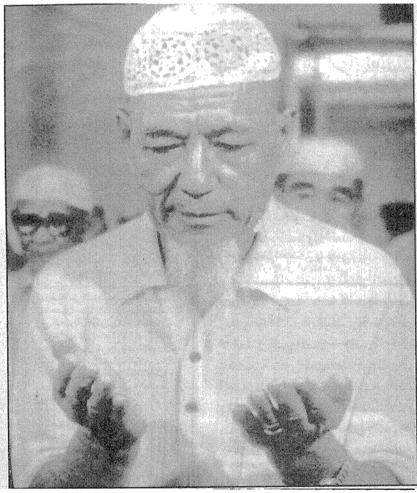
الشهر فأنزل فيه القرآن وصحف إبراهيم وموسى والإنجيل والزبور، وفي حق هذا الشهر يقول الرسول الكريم ﷺ : **«إذا كانت أول ليلة من رمضان صُفِّدت الشياطين ومردة الجن وغُلِّقت أبواب النار وينادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر».**

وكان الرسول ﷺ في آخر يوم من شعبان يخطب في الناس بقوله: **«أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمنين، من فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيئا»** فقال الناس: يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فأجاب ﷺ : **«يعطي الله هذا الثواب لمن فطَّر صائماً على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن»..** ثم قال ﷺ **«وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، أما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما: فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار»** وقال ﷺ **«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة».**

الانسان أسير ما اعتاد.. والصيام يحرره من أسر العادة

وصيام شهر رمضان فريضة على المسلمين البالغين القادرين كافة وأمانة في أعناقهم الى يوم الدين قال رسول الله ﷺ : **«عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهم أسس الاسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم، شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان»** والصيام في اللغة: الامتناع عن الكلام قال الله تعالى على لسان مريم ابنة عمران: **«إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيًا»** وفي الشرع : هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس بنية ..

ـــى شهر الصيام



لقوله تعالى: «**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مُخلصين له الدين**» وقوله عليه السلام: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى..**» فليكون الصيام صحيحاً لابد من توفر النية والإمساك عن كل مفطر من أكل أو شرب أو جماع، والمؤمن في هذه السبيل، مقيم صحيح قادر على الصوم من غير ضرر ولا مشقة ولا إرهاق فالصوم واجب عليه، أو مريض، أو مسافر، فيباح له الفطر مع وجوب القضاء لأن من شأن المرض والسفر التعرض للمشقة

فإذا تحقق الضرر وجب الإفطار، ومن يشق عليه الصوم بسبب لا يُرْجَى زواله كالهرم والمرض المزمن الذي لا يرجى برؤه فله أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً.

والصيام أنواع: فرض وقضاء ونذر وكفارات وتطوع، فالفرض صيام رمضان الذي ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع، ويبدأ بالتأكيد من رؤية الهلال أو بإكمال شعبان ثلاثين يوماً إن غُمَّ الهلال ويجب الصيام بأهلية التكليف

مع شرط الخلو من الأعذار المبيحة للفطر كالمرض والسفر والحيض والنفاس والهرم، ومن أفطر بعذر يبيح له الإفطار فعليه عدة من أيام أخر، والمفطر متعمداً بغير عذر عليه القضاء والكفارة.

وصيام القضاء هو الذي يجب أداؤه بسبب الإفطار بعذر في رمضان كالمسافر والمريض والحامل والمرضع إن خافتا على الولد أو على أنفسهما أو عليهما معاً على اختلاف بين الفقهاء، ولا يجب في صوم القضاء تتابعاً، وصيام النذر هو الصيام الذي يفرضه المسلم على نفسه تقرباً إلى الله وشكراً على ما أنعم به فإذا نذر مسلم صيام يوم معين أو أيام معينة وجب عليه صيام هذا اليوم أو الأيام، وصيام الكفارة يكون في ارتكاب بعض المحظورات في فترة الإحرام وعدم قدرة المتمتع على تقديم هدي لإعساره، ويكون في القتل الخطأ وما في حكمه، ويكون في الظهار، ويكون في الحنث في اليمين، ويكون في الإفطار العمد في رمضان بدون عذر، وكفارته عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا.. وصيام التطوع هو النافلة التي يصومها المسلم تقرباً إلى الله وطمعاً في عفوه ورضاه، وهو مباح في جميع شهور السنة غير أنه يحرم في بعض الأيام ويكره في بعضها، ويكون مستحباً ومندوباً في بعض الأيام فالأيام التى يحرم فيها الصوم هي يوما العيدين حيث يتنافى صيامهما مع سرور العيد وبهجته، وأيام التشريق الثلاثة وهي التي تلي عيد الأضحي، ويحرم على المرأة أن تصوم تطوعاً وزوجها مقيم معها إلا بإذنه، كما يحرم صيام يوم

الشك في بعض الآراء وهو آخر يوم من شعبان حتى لا يختلط النفل بالفرض، والأيام التي يكره الصوم فيها هي يوما الجمعة والسبت إن أفردا، والأيام التي يستحب الصيام فيها هي يوم عرفة لغير الحاج ويوم عاشوراء وستة أيام من شوال والأيام البيض من كل شهر وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ويوم الاثنين والخميس من كل أسبوع فقد قال رسول الله ﷺ: **«تُعرض الأعمال كل اثنين وخميس فأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم».**
والأعذار المبيحة للفطر كثيرة ومتعددة منها، المرض الذي يُرجى بُرْؤه فيرخص للمريض أن يفطر ويعيد ما أفطره، ومنها السفر فيرخص للمسافر بشروط أن يفطر ويعيد ما أفطره «عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه قال: يارسول الله إني أجد فيَّ قوة على الصيام في السفر فهل عليَّ جناح؟ فقال رسول الله ﷺ **هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه»** ومنها الجهاد في سبيل الله والتدريب الشاق من أجله، فيباح للمجاهد ولو كان مقيماً إذا خاف الضعف عن الجهاد لو استمر صائماً الفطر ويعيد ما أفطره، ومثله من كان في تدريب شاق من أجل الجهاد ولإعلاء كلمة الله ونشر دينه الحنيف، ومنها الحمل والرضاعة فيباح للحامل إذا خافت على نفسها وعلى الجنين أو على كل منهما الفطر ، وكذلك المرضع وعليهما أن تعيدا صيام ما أفطرتاه، ومنها الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمرضى الذين لا يرجى بُرْؤُهم وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعاً من الرزق غير ما يزاولونه، هؤلاء جميعاً يرخص لهم الفطر إذا كان الصيام يجهدهم ويشق عليهم مشقة عظيمة في جميع فصول السنة وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكيناً.

والأشياء التي لا تفطر الصائم متعددة أيضا منها السواك بغير رطب، والاكتحال ليلا، والقطرة التي لا تصل إلى الحلق، وشم الروائح الطيبة بدون تعمد، والحقن في العضل أو العرق، والحجامة، والفصد، والمضمضة، والاستنشاق بدون مبالغة، وما لا يمكن الاحتراز منه كغبار الطريق والدقيق والقيء غير المتعمد إن لم يرجع منه شيء والإصباح على جنابة.

ومن الأشياء التي تبطل الصوم وفيها القضاء فقط الأكل والشرب عمداً بعد أن أكل وشرب ناسياً ، والقيء غير المتعمد الذي يرجع منه شيء ، والحيض، والنفاس، ووصول مالا يتغذى به من المنفذ المعتاد الى الجوف، والردة وهي الخروج عن الإسلام ، والعياذ بالله بكلام أو عمل يفهم منه ذلك.

ومن الأشياء التي تبطل الصوم وفيها القضاء والكفارة الجماع عمداً، والأكل والشرب عمداً.. والكفارة تكون بعدد الأيام التي تعمد

فيها ما يوجب الكفارة، وإذا تعمد ما يوجب الكفارة في اليوم الواحد بأن وطيء عدة مرات فعليه كفارة واحدة، ولو عجز الإنسان عن تنفيذ أنواع الكفارات استقرت في ذمته الى الميسرة، ومن وجب عليه قضاء رمضان أو أيام أفطرها فيه سواء أكان الفطر عمداً أم لأى سبب من الأسباب فإنه يباح له الصوم في أي يوم من أيام السنة ما عدا الأيام التي نهي الشرع عن صومها.

فمن أفطر رمضان كله وكان ثلاثين يوماً وابتدأ قضاءه في المحرم وكان تسعة وعشرين يوماً وجب عليه أن يصوم يوما آخر ليكون القضاء ثلاثين يوماً مثل رمضان الذي أفطره، ويستحب لمن عليه القضاء أن يبادر به ليعجل براءته.

ب - وللصيام حكم كثيرة وأسرار عظيمة منها أن الإنسان تتحكم فيه عاداته التي يصبح أسيراً وعبداً لها، والصيام يحرره منها حيث يقلبها رأسا على عقب، وأن الصيام من مقومات الصحة الجسمانية فهو من العوامل المنقية للجسم من سموم الأغذية حيث إنه ذو تأثير بالغ في تخفيف الأعراض التي تنتاب الأعضاء الظاهرة والباطنة ويؤدى الى التخلص من الآلام والانحرافات، والروح في ذلك لا يقل استفادة عن الجسد، وقد استفاد الطب من الصوم ما لم يستفده من العلاج بالعقاقير، وفرض الله الصوم ليحس الغني بألم الجوع فيحسن إلى الفقير، ويتم العطف والمودة بينهما، ويترتب على ذلك تماسك المجتمع وسعادته.

وفي الصوم تهذيب للنفس وتصفية للروح، الصوم فرضه الله لحكمة لا شك فيها ولكننا لا نعلمها، واذا ما رجعنا إلى آيات القرآن التي تحدثت عن الصوم لنستلهم منها الحكمة فإننا نجدها تركز على التقوى، يقول الله تعالي: **«يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون»**. فهذه الآية مع ذلك لم تقطع بحدوث التقوى بالصوم لأنه يعد النفس لها، وإذا تعهد الإنسان نفسه وانتهى إلى التقوى كان جزاؤه عند الله عظيماً، ولذلك حين طلب أبو أمامة من رسول الله ﷺ يوماً أن يأمره بعمل ينفعه

الصوم عند المسلمين.. ارتقاء بالنفس وسمو روحي

الله به قال له عليه السلام: **«عليك بالصوم فإنه لا عدل له»**، فكرر أبو أمامة الطلب فقال ﷺ **«عليك بالصوم فإنه لا مثل له»**، وطلب أبو أمامة للمرة الثالثة فقال ﷺ أيضاً ما قاله في المرة الثانية. فالصوم لا نظير له في إعداد النفوس للتقوى، ومن وصل به الأمر إلى ذلك وصام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. وعلى هذا الأساس كان المعنى العميق لقول الرسول ﷺ: **«كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف»** قال الله تعالي فى الحديث القدسي: **«إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»**.. وقد فهم من ذلك أن الله يجازى على الصوم باستمرار جزاء يزيد على سبعمئة ضعف وهذا واضح بالنسبة لمن تعهد نفسه واتقى الله، وأما الإنسان الذى لم يتعهدها ويتق الله فيصدق عليه قول رسول الله ﷺ «**كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش»**.. وقوله: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»** وتتحقق ثمرة الصوم التي أرادها الله إذا صلحت النية وكانت العزيمة قوية وصام الإنسان إيماناً واحتساباً مصدقاً وراغباً عن طيب خاطر ابتغاء وجه الله تعالى وتطلعاً إلى رضوانه بغير كره ولا استثقال لأيام رمضان.

ج - ولقيمة الصيام في تهذيب النفوس وإعدادها للتقوى، والعمل الصادق فرضه الله على جميع الأمم بنص الآية السابقة كما أن الشرائع التي سبقت الإسلام منذ آدم عرفت الصوم، وكان من أركان عباداتها وهذا يوضح الدور الذي يؤديه الصيام في حياة البشر لاعتبارات عدة لا يستطيع الإنسان حصرها أو الإحاطة بأسرارها التي تتكشف من حين إلى آخر.

والصيام كان مشروعاً لدي تلك الديانات جميعاً وإن كان قائماً على تعذيب النفس للاعتقاد الذي كان سائداً بين أصحابها أن إرضاء الآلهة لا يتم إلا بذلك وصيام رمضان كان مفروضاً على بني إسرائيل وأن نبي الله موسى كان يصوم ثلاثين يوماً من كل عام إلا أن اليهود تركوا صيام رمضان الى صيام يوم واحد في العام كله وهو يوم عاشوراء الذي نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل وأهلك فيه فرعون وجنوده، قال الله تعالي: **«وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة»**.

ذلك أن الله تعالى قد وعد موسى

بعد نجاته مع بني إسرائيل من هلاك فرعون وجنوده أن يلقاه ويكلمه ويتجلي عليه بنعمة التوراة كتاباً لبني إسرائيل بعد أن يكمل صيام الشهر وينفرد فيه بالعبادة ثلاثين ليلة، وفي ليلة اكتمال الصيام ثلاثين يوماً شعر موسى عليه السلام وهو صاعد فوق جبل الطور بسيناء للقاء ربه ومناجاته وتلقي التوراة أن لفمه رائحة خشي أن تفوح منه وهو يكلم ربه فأمسك بأحد أغصان شجر العطر ودلك فمه به فأوحى الله إلى الملائكة أن تبلغه بأنه أفسد صيامه بهذا السواك وأن عليه أن يرجع فيُكفِّر عن ذلك بصيام عشرة أيام أُخَر وأن الله تعالى يقول له: أما علمت يا موسى أن رائحة فم الصائم أحب الى الله من ريح المسك.

والنصارى كانوا يزيدون في صيام رمضان حتى وصلوا به الى خمسين يوماً فشق عليهم صيامه في الحر ونقلوه إلى زمن نزول الشمس الى برج الحمل، وأشهر صيام النصارى الصوم الكبير الذي يسبق عيد الفصح وهو الذي صامه عيسى والحواريون، ثم وضع رؤساء الكنيسة بعد ذلك أنواعاً من الصيام اختلفت فيها مذاهبهم وطوائفهم وكان نظام الصيام المشروع عند الأولين منهم كنظام الصوم عند اليهود يأكلون في اليوم والليلة مرة واحدة، ثم عدلوا عن ذلك كله وصاروا يصومون من نصف الليل الى نصف النهار، والشائع عند النصارى أن أقرب ما يتقربون به الى الله هو تعذيب الجسد واحتقار النفس وحرمانها من جميع الطيبات من الرزق اعتقاداً منهم أنه لا حياة للروح إلا بذلك وأن الله لا يرضى منهم إلا إحياء الروح، والحرمان من الطيبات عندهم أنواع كثيرة منها ما هو خاص بالقديسين والرهبان والقسيسين، ومنها ما هو عام كأنواع الصوم الكثيرة مثل صوم العذراء وصوم الرسل، وبعضها يحرم اللحم أو السمك دون السمن وفي بعضها يحرمون السمن واللبن والبيض وغير ذلك مما هو من وضع الأحبار وليس له أصل من التوراة أو عن المسيح عليه السلام.

من ذلك كله نفهم القيمة الحقيقية للصيام في الإسلام وكيفية تنظيمه

الصوم عند غير المسلمين.. تكفير للذنوب عن طريق تعذيب النفس

الذي يتوافق مع طبيعة البشر بدون تكليف ولا إرهاق أو عنت أو مشقة لأنه عبادة وصلة بين العبد وربه ووسيلة لتنقية الروح والجسد من أدران المادة وعلائقها.

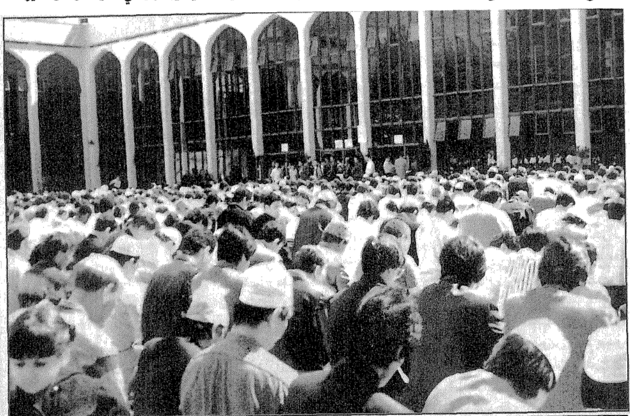
وفي رمضان تكون صلاة التراويح وهي سنة مؤكدة صلاها رسول الله ﷺ بالناس جماعة ثلاث ليال متفرقة في رمضان ثم تركها خشية أن تفرض وسميت بالتراويح لأن المصلين كانوا يستريحون ويجلسون بعد كل أربع تكبيرات، وتبدأ من أول ليلة شهر رمضان ووقتها بعد صلاة العشاء، وأداؤها جماعة أفضل، كما تفضل صلاتها في المسجد لأن كل ما شرع جماعة ففعله في المسجد أفضل، وقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج في جوف الليل وصلى في المسجد فصلى الناس بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم فخرج الرسول ﷺ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فأصبح الناس يذكرون ذلك، فكثر أهل المسجد في الليلة الثالثة فخرج الرسول ﷺ فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله والرسول لم يخرج فذهب إليه أناس منهم يقولون له الصلاة الصلاة فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الفجر، وبعد الانتهاء منها أقبل على الناس ثم تشهد وقال: «أما بعد فإنه لم يخف علي شأنكم الليلة ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها» وكان عليه السلام يصلي بالناس ثماني ركعات ويكملون باقيها في بيوتهم، فهو ﷺ سَنَّ صلاة التراويح ولكنه لم يصل بالناس عشرين ركعة كما جرت به العادة منذ عهد الصحابة، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصليها عشرين ركعة ولم يخالفه أحد من الصحابة وهو الذي جمع الناس فيها خلف إمام واحد بالمسجد، وقيل إنه حدث في عهد عمر بن عبد العزيز أن زيدت صلاة التراويح الى ست وثلاثين ركعة، وكان القصد من هذه الزيادة هو مساواة المسلمين بأهل مكة في الفضل ذلك أن أهل مكة كانوا يطوفون بالكعبة مرة بعد كل أربع ركعات من صلاة التراويح فرأى عمر بن عبد العزيز أن يصلي الناس أربع ركعات بدل كل طواف فهي بوضعها الراهن لم تكن معروفة في عهد النبوة ولا في عهد أبى بكر الصديق وإنما هي من عمل عمر بن الخطاب ولم يعترض عليها أحد من

المسلمين.

وفي رمضان ليلة خير من ألف شهر هي ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن الكريم والتي قال الرسول ﷺ فيها: «**هي في شهر رمضان في العشر الأواخر ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين**

وقال للسيدة عائشة حين سألته: إذا أدركت ليلة القدر فماذا أقول، فقال لها قولي: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» وفي رمضان كان نصر المسلمين في تبوك، وكانت موقعة بدر الكبرى، وكان الاستعداد لغزوة أحد والاستعداد لغزوة الخندق، وكان فتح مكة المكرمة، وكانت بعض السرايا،

وتكون من غالب قوت البلد، وأفضل وقت لإخراجها بعد صلاة فجر يوم العيد وقبل صلاة العيد، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين وأجاز المالكية إخراجها أول يوم من رمضان، وهي لا تسقط بالتأخير بل تصبح ديْناً في ذمة من لزمته حتى يؤديها ولو في آخر عمره، وتأخيرها



أو آخر ليلة من رمضان من قامها احتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. وقال: إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا مجرم..».

وقد ورد: من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر.. وكان رسول الله ﷺ يجتهد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان ويلازم المسجد معتكفاً تحريا لليلة القدر،

فرمضان شهر عبادة وجهاد في الاسلام ولم يعرف الإسلام الحقيقي كسلا أو تعطيلا للأعمال في هذا الشهر الذي هو عنوان الصدق والإخلاص والمودة والعمل الدائب الذي ينبع من أعماق الذات الإنسانية وإيمانها بالله الذي أنعم عليها بنعمة الوجود.

ويختم صيام هذا الشهر بزكاة الفطر التي هي طهرة للصائم، وهي واجبة على كل مسلم حر مالك لها يؤديها عن نفسه وعمن تلزمه نفقته

حرام كالصلاة.. لأن الهدف منها هو إغناء الفقراء الذين يستحقونها عن السؤال في ذلك اليوم وهو يوم العيد ومشاركتهم في الفرحة به والسرور بإتمام صيام هذا الشهر الكريم الذي تُمحي به الذنوب وتنال به الحسنات، ويستقبل فيه المسلمون الفطر في سائر أيام الشهور ليجددوا نشاطهم العادي في الحياة وهم موقنون بأن الله سبحانه وتعالي قد حقق آمالهم وطموحهم في الدنيا والآخرة.



درج المتحدثون عن الصوم أن يُصدروا حديثهم عنه بالتعريف به، ولعل أطيب تعريف طالعه كاتب هذه السطور، قول أحد العارفين عن الصوم أنه «**صبر النفس عن مألوفاتها، وإمساك الجوارح عن جميع شهواتها**»(١).. والصوم بهذا المعنى خطاب من الله تعالى للنفس والجوارح أن تترفع عما جبلت عليه من حب الشهوات والملذات لوقت معلوم حدده الشارع سبحانه في كتابه الكريم حين قال: «**كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر**»(٢).. ومن المعروف فى الاسلام، وجود أجر وجزاء لكل عمل يقوم به المؤمن، وتوضيح بيّن لحجم هذا الثواب أو العقاب، عدا الصوم فقد استخلص الله جزاء الصوم لنفسه وأخفاه عن آذان عباده، مما دعا أهل الإجتهاد والاستنباط أن يدلو بدلوهم .. أخبر المولى جلت قدرته على لسان نبيه محمد ﷺ حين قال: «**قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به**»(٣).. فإسناد جزاء الصوم لله تعالى مع اخفائه على خلقه أولى الخصوصيات التى نجتهد في الكشف عنها في هذا المقال.. فقد جاء فى الأثر، حول معنى هذا الحديث، قول قائل: ما معنى تخصيص الصوم من بين سائر العبادات المفترضات، وقد علمنا أن جميع الأعمال له، وهو يجزى به، فما معنى قوله: «الصوم لى، وأنا أجزى به».. فيقال: له معنيان: أحدهما: أن للصوم تخصيصا من بين سائر العبادات المفترضات لأن جميع المفترضات حركات وجوارح يتهيأ للخلق أن ينظروا إليه إلا الصوم، فإنه عبادة بغير حركة الجوارح. فمن أجل ذلك قال تعالى: الصوم لي. والمعنى الآخر فى قوله: «لى» بمعنى أن الصمدية لى، لأن «الصمد» هو الذي لا جوف له ولا يحتاج إلى الطعام والشراب.. وأما معنى قوله: «وأنا أجزى به» فإن الله تعالى وعد على جميع فعل الحسنات الثواب المعدود من الواحدة الى عشر أمثالها (من العشرة) الى السبعمائة إلا الصائمين و(الصائمون) هم الصابرون(٤)، وقد قال الله عز وجل: «**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**»(٥).. واستنتاجا من هذا نرى أن اسناد الجزاء الى الله تعالى في الصوم يعرضه لكرم الله وعطائه الذى لا حد له ولا انقطاع.. واذا بحثنا عن خصوصية أخرى تضمنها الصوم نجدها ممثلة في مساحة الوقت الذى يقيد النفس عن اشباعها من الشهوات والملذات فلا ريب أن الصوم يفوق أية شعيرة تحمل النفس عنت الوثاق على متطلباتها وهواها مثل القتال في سبيل الله، والحج.. الخ.. هذا وقد أبرز صاحب الإحياء الإمام أبو حامد الغزالى خصوصية ثالثة عندما صنف الصائمين الى ثلاثة أنواع حين قال: «اعلم أن الصوم ثلاث درجات: **صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص أما صوم العموم: فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.. وأما صوم الخصوص: فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام.. وأما صوم خصوص الخصوص: فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية**»(٦).. وعلى هذا فإن الصوم - بما حواه من خصوصيات تميزه عن غيره من العبادات ، يعد تنفيضاً للجوارح من دنس المعاصى التى علقت بها، وتطهيرا للقلوب من أدرانها، وتنظيفاً للنفوس من تعسها، وشفاء لها من أمراضها المعضلة..

رمضان في جوانحهم

بلقاسم برهومي - المغرب

ما كان للأدب العربي الذي هو ديوان العرب والاسلام وسجل أحوالهم، أن لا يشيد بشهر رمضان المبارك، وفي هذه المقالة نسوق بعض ما قيل من شعر ونثر قديمافي هذا الشهر الميمون ثم نتبعه بنُبَذ مما قيل فيه في الأدب الحديث.. وبداية رحلتنا بأبيات للإمام ابن قيم الجوزية من قصيدته المشهورة المعروفة بالكافية الشافية في الإنتصار للأمة الناجية، قال:

يا خاطب الحور الحسان وطالباً
لوصالهن بجنة الرضوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت
بذلت ما تحوي من الأثمان
أو كنت تعرف أين مسكنها جعلت
السعي منك لها على الأجفان
أسرع وحث السير جهدك إنما
مسراك هذا ساعة لزمان
فاعشق وحدث بالوصال النفس وابذل
مهرها ما دمت ذا إمكان
واجعل صيامك دون لقياها ويوم
الوصل يوم الفطر في رمضان

وهذا أحد شعراء العرب يعلن فرحته الغامرة بقدوم هذا الشهر المبارك، ويصف استمرار عبادة المسلم التقي البر فيه ليل نهار، فللنهار صومه، وللليل تراويحه وفيهما ترتيله للقرآن المجيد وتحميده لله وتسبيحه له، قال:

جاء الصيام فجاء الخير أجمعه
ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح
فالنفس تدأب في قول وفي عمل
صوم النهار وبالليل التراويح

وقال الشاعر أحمد شوقي عن الصوم في رمضان وحكمة مشروعية افتراضه على المسلمين: **«الصوم حِرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة يستثير الشفقة. ويحض على الصدقة، يكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال الخير، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، والجوع كيف ألمه إذا لذع».**

وهناك تهنئات شعرية بصيام شهر رمضان من بينها تهنئة العالم الأديب الموسوعي أبي العباس أحمد القلقشندي صاحب كتاب «صبح الأعشى» التي هنأ فيها صديقه كاتب سر ملك مصر والشام بحُلول شهر الصيام، وبصومه إياه في سنة ٨١٦هـ قال:

أيا كاتب السر الشريف ومن به
تميس نواحي مصريتها مع الشام
ومن جلت الجلي كتائب كتبه
ومن ناب عن وقع السيوف بأقلام
تهن بهذا الصوم والعيد بعده
ومن بعده بالعيد، والعام فالعام
وترقي رقي الشمس في أوج سعدها
وتبقى بقاء الدهر في فيض انعام

أما النثر فقد وجه أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي الشاعر المشهور والكاتب المترسل المتوفي سنة ٣٩٨هـ، رسالة تهنئة بشهر رمضان يقول فيها:

«جعل الله ما أظله من هذا الصيام، مقرونا بأفضل قبول، مؤديا بإدراك البُغْيَة، وأنجح المأمول، ووفقه فيه وفي سائر أيامه، ومستأنف شهوره وأعوامه، لاشرف الأعمال، وأفضلها، و أزكى الأفعال، وأكملها، ولا أخلاه من بر مرفوع، ودعاء مسموع، وسعي مشكور، وأمر مبرور، إلى أن يقطع في أجمل غبطة وأتم مسرة أمثاله».

ولأبي الحسين بن سعد من قدماء الأدباء تهنئة نثرية بشهر رمضان هي:

جمع الله لمولاي في هذا الشهر الشريف، شروط آماله وأحكام أمياله، في حاضر أمره وعاقبته، وعاجل دنياه وآخرته، وأبقاه لأمثاله بقاء لا يتناهي أمده، في ظل عيش يرضاه ويحمده».

وقال عباس محمود العقاد **«ميزة رمضان أنه فريضة إجتماعية، مع فرضه على أحاد المكلفين، فهو موعد معلوم من العام لترويض الجماعة على نظام واحد من المعيشة، وعلى نمط واحد من تغيير العادات، وليس أصلح لتربية الأمة من تعويدها هذه الاهبة للنظام ولتغيير العادات، شهرا في كل سنة تتلاقي فيه على سنن واحد في الطعام واليقظة والرقاد وما يستتبع ذلك من أهبة الجماعة كلها لهذا الشهر خلال العام».**

ويقول الشاعر الكويتي (فاضل خلف) في قصيدة «من وحي رمضان»:

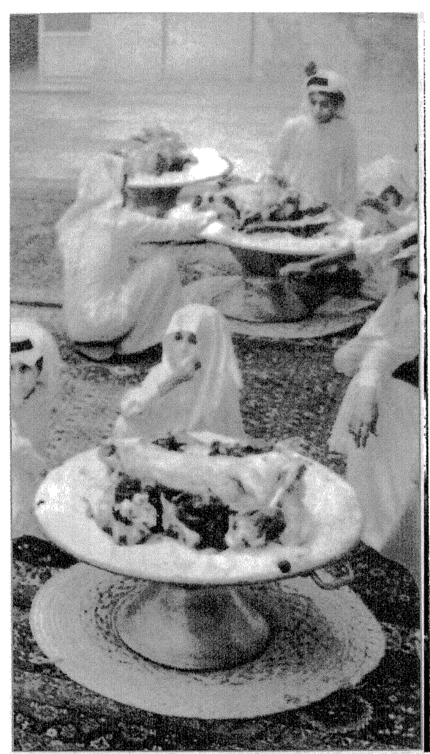
بشير الفتح والنصر المصفي
أهلَّ فزادنا حبا وزلفي
هو الشهر المبارك فيه عَزَّت
ديار العرب والإسلام حَقًّا
وعظَّمه الجدود فكان مجداً
وكان المجد قرآنا وسيفا
فمنذ النصر في ساحات بدر
ودين الله فاح شذا وعرفاً
فعَطَّر في المسيرة كل أرض
وأهدى من غنائمه وأوفي
فيا شهر الصيام أفض علينا
ينابيع الهدى مدداً وعطفا.

نغم اليقين

يس قطب الفيل
مصر

رمضان ٠٠ يا فرح السماء ٠٠ يقام
للمسلمين ٠٠ وهم بقربك هاموا
تأتي ٠٠ فينطلق الرجاء حمائما
وترف حولك - فى الربا - أنغام
هذى جوارحنا تحن لرحلة
بك أنت، فيها يستحب قيام
فأنر دروب قلوبنا بهداية
تحمى خطانا، ما استبد ظلام
وافتح مغاليق الحياة لأمة
ظلمت ، وعاث بأرضها إجرام
يا أيها الملأ الندى ٠٠ وقد مضي
عام ٠٠ وأقبل بالهداية عام
مذ لاح نجمك في السماء، تراقصت
مهج ، وزغرد فى الصدور وئام
فارفع يديك إلى العليٍّ ٠٠ تضرعاً
إن الأحبة للتهجد ٠٠ قاموا
رمضان جئت، فَخَفَّت الآلام
واستبشرت بقدومك الأيام
أرأيتنا ٠٠ والنار تخترق المدى؟
بعض الحصاد - كما ترى - أيتام
والجوع أفرخ فى الشعاب توجساً
مما يجيء ، وما يجيء ضرام
والحقد والحسد الكريه تحالفا
منذ استطال على الكرام لئام
والجهل أطبق، والفروع تشابكت
وعلى الرءوس تسيَّد الحجّام

حتَّام يا رمضان يمرح بيننا
خلل، ويستلب الحلالَ حرامُ؟
إنا وحقك لا نزال على التقي
والحب لا يحلو لديه خصام
فامنح هداك لمن أساء ضلالة
إنَّ الجراح مع الهُدَى تلتام
رمضان يا نغم اليقين، ويا سنى
ترنو إليه، وتشخص الأقوام
هذى حصون المسلمين، وها همُ
بعد الفداء ٠٠ على الضغينة ناموا
ما كان أكرمهم، وقد لعبت بهم
أطماعهم، أن لا يدوم صدام
لكنهم جمحوا ، فأطبق حولهم
ليل، وعاث بأرضهم إظلام
يا أيها الملأ النديُّ ٠٠ الى متى
يلهو بنا ، ويتاجر الأقزام؟
وفِّق ولاة المسلمين، وكن لهم
مدداً ٠٠ به يتألق الإسلام
جمِّع على التقوى قلوب أحبة
جنحوا ٠٠ ولم تنهض بهم أقدام
وغدا تعود، وفى رحابك وحدة
روحيَّة ، للمسلمين تقام
فى ظلها يمتد دين محمد
وعلى ذراها ، تخفق الأعلام



الصيام.. وتهذيب سلوكيات الطعام

محمد علي بن حسين الحريري - أبها

عندما ينظر احدنا الى شخص أرخى العنان لشهواته وترك نفسه مسترسلة في أهوائها وملذاتها المختلفة بلا رادع ولا مقاومة وسألناه فيما اذا كان يكرم نفسه بهذا السلوك أو هو يبتذلها ويفقدها في غمار تلك الشهوات وتيار الأهواء. إنه لا يجيب ولكن علامة الاحتقار ترتسم على وجهه احتقاراً لنفسه أولاً ولكل من يشبهه في سلوكه لأنه يشعر باسترساله في شهواته أنه شخص بلا ارادة كالخشبة يجرفها تيار الماء او الحجر الهابط الى الأرض أو الريشة المتطايرة في الهواء انه كالجماد المفقود في تيه النواميس الكونية بلا ادراك ولا شعور ولا ارادة.

صوموا تصحوا

فإذا أراد تقرير ذاته واثبات موجوديته اتخذ موقف - الامتناع - فيقف في وسط التيار العاصف وهناك يجد نفسه بعد أن فقدها بمطاوعتها والاسترسال في هواها.. من هنا ندرك أول حكمة ربانية في تشريع الصيام كاحدى الوسائل العديدة التي تثوب النفس من خلالها الى وجودها وتستقل به عما حولها وهذا الصيام - الامتناع - وإن ظهر فى الصورة بمظهر (انكار الذات) ولكنه فى الأعماق تقرير للذات وتقوية للارادة باستغنائها عما هو خارج عنها.

وكما يجرب الرياضي عضلاته بحمل الأثقال ومقاومة الشد والجذب ليطمئن على قوتها فإن النفس تحتاج الى هذا التمرين بتعريضها دورياً لاختبار صبرها واحتمالها وقوتها و(تقرير ذاتها) وتأديبها بأدب قاس فليست القسوة مذمومة باطراد فقد تكون علاجاً نافعاً في بعض الأحيان.

يقول الدهلوي في الحجة البالغة

(لما كانت البهيمية الشديدة مانعة من ظهور الملكية وجب الاعتناء بقهر البهيمية ولما كان سبب شدتها وتراكم طبقاتها وغزارتها هو الأكل والشرب والانهماك في اللذات الشهوية وجب تقليل هذه الأسباب بطريق القهر.. فالصوم ترياق يستعمل لدفع السموم الانسانية وهو نكاية بمطية اللطيفة الانسانية يصيب الجسد بالدهشة والحيرة ويأتي على البهيمية اتيانا

وملتزمة لا تجنح ولا تودي بنا الى المهالك في أوحال الشهوات.

ولعل من المفيد أن نتعرف على أثر الطعام والشراب في بعض نواحي النشاط والسلوك الانساني.

يؤكد الأطباء أن المعدة هى حصان الشهوه وعرين أسدها المتحفز ـ وأن الفرج ما هو إلا أداة تنفيذ ظاهر فقط فالمعدة هي بيت الداء ـ داء الشهوه الحيوانية في الإنسان القابع في المعدة ذاتها.

جدارها.

إن شهوة المعدة للطعام شهوة متجددة مستمرة منذ التقام الطفل ثدي أمه الى أن يموت شيخاً كبيراً بالنقرس أو السمنة عبر حياة تقوم المعدة بدور كبير فيها.

عمل المعدة وأثره فى الشهوه الجنسية:

عندما يكون القدر فى المطبخ على النار وقبل وضعه على المائدة تبدأ المعدة بالإستعداد لهذا الضيف



محسوساً(١).

ان اكبر حكمة للصوم هي أن تعف النفس البشرية وهي قادرة فتدرب الصائم على الحرمان ساعات طويلة من الشرب والأكل مع وجود الزاد والماء بين يديه قريب ميسر ولكنه يغالب هذه الشهوات وينتصر عليها بإرادته التي انتشأها الصوم ورباها في ظل العبادة التي لا تتجاوز شهراً في السنة. ولا يمر على المرء ٣٣ سنة حتى يتعاقب عليه شهر الصوم بمختلف فصول السنة حارة وباردة فالصيام رياضة بدنية روحية تخضع الغرائز للارادة الانسانية لتقف وراء العقل منضبطة

فالمعدة تشتهى الطعام في اليوم ثلاث مرات وبين الوجبه والأخرى تشتهى المسليات أو المرطبات ومع ذلك فإن هذه المعدة إذا أبصر صاحبها منظر طعام أو رائحة شواء وحتى لو تخيل المخ عن بعد منظر طعام تحركت المعدة وافرزت ونشطت. وفوق هذا نجد الأعضاء كلها ترتخي وتنام خلال سباتها إلا المعدة فإنها تنام وهي ممتلئة وتشتغل وهى نائمة رغم أنف صاحبها النائم وينعكس عملها هذا على احلام وكوابيس وربما وصل الشده بالمعدة أن تأكل نفسها بنفسها مسببة قرحة وثقبا فى

اللذيذ. تزغرد وتهلل وتطبل وتفرش لهذا القادم بساطاً مخاطياً ولو كان الطعام كسرة خبز صغيرة ـ ولا تنتظر المعدة حتى يطرق الطعام بابها فهى مفتوحة الباب باستمرار وبمجرد وصول الطعام يتزحلق هذا الضيف وتنهمر فوقه العصارات والخمائر وغيرها ليتحول الطعام بعملية الهضم الى سائل لزج مخاطى كالعصيدة.

ومع أن المعدة لا عقل لها لأن عقلها الشهوه والإفتراس ومجانبة التفكير إلا أن الله جلت قدرته جعل لها عقلا يمنعها من هضم نفسها بنفسها ولا يغيب هذا العقل ولا يبطل

عمله إلا بالكحول والدخان حيث ترتفع حموضة المعدة لتأكل نفسها بنفسها فتحدث القرحة فى جدار المعدة وربما تعمقت حتى تفجر المعدة ذاتها.

ان الخمائر والعصارات التى يفرزها من جدار المعدة ما يقرب من [٣٥] مليون خلية بمجرد شم الطعام لو أنها انطلقت الى جدار المعدة لثقبته ولكن الخالق جل وعلا جعل لهذه العصارات - صمام أمان - فلا ينطلق إلا على الطعام دون لحم المعدة ذاتها - ولا يعرف عن صمام الأمان هذا شيء إلا أنه يتعطل بمخالفه شريعة الله عز وجل بشرب الكحوليات فتاكل المعدة نفسها ويصبح السكير مقروح المعدة وسيبقى محروماً من الطعام سنوات وسنوات وسيكف عن الكحول قسراً ومرغما وذليلاً.

ومن دقائق صنع الله عز وجل أن افراز المعدة حامضى بينما يتعرض الطعام لوسط قلوي في الأمعاء - إنه التضاد الخلاق والنافع كتضاد الليل والنهار والصيف والشتاء والمرأة والرجل - وهو التضاد الذي لا يقدر عليه الا الخالق - لأن مثل هذا التضاد هو سر التكاثر والتعمير واستمرار الحياة ما شاء الله تعالى وحموضة المعدة وقلوية الأمعاء محددة بنسب دقيقة ثابته وأى اضطراب في هذه النسبة قد ينشأ عنه تكاثر الخلايا بلا انضباط والإصابة بالسرطان.

تفرز المعدة [٥ر١] ليتراً من السائل الحامضى وهى كمية واحدة فى الغني والفقير والأسود والأبيض والذكي والغبى ومع ذلك فإن هذه المساواة داخل الجسم لم تحقق المساواه فى واقع الحياه.

وهذا السائل يحول مائدة الأغنياء ومائدة الفقراء الى سائل - كيلوس - يشبه اللبن وهو سائل واحد عند الناس جميعاً .

الصوم وسيلة للترقي في مدارج السمو الروحي

إن المعدة الى جانب دورها فى هضم الطعام تقوم بافراز هرمونات ايضاً تساعد على منع (الأنيميا الخبيثة) وفى زحمة هذه الهرمونات الدقيقة يكمن الهرمون الجنسي الذى قد يضعف عند المسعورين والنهمين حتى يصابوا بالعُنّة والسُكّر وغيرهما.

وتكوين المعدة تكوين عجيب يشبه الجراب او القربة ولكنها مطاطية بشكل كبير فهى تشبه الرحم في تمددها وتقلصها ولكن الرحم يتمدد في العمر مرات معدودة اما المعدة فتتمدد وتنكمش فى كل الإتجاهات يومياً عدة مرات.

إن التمدد والانكماش من علامات اعضاء الشهوه الجنسية واستمتاع الانسان بالطعام يشعره بلذة تفسر لنا ما نقل عن الرومان أنهم كانوا يأكلون لذائذ الطعام ثم يقومون للاستفراغ والتقيؤ فى إناء للتمكن من العوده للطعام وقد أتقنوا العثور على مناطق خلف الأذن تثير القيء وكان عملهم هذا - إيذانا بزوال

ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه

دولتهم تماماً كما حصل لقوم لوط والفراعنه وغيرهم ممن أمعنوا فى الترف ومسالك اللذه.

ان نظرية الفعل المنعكس الشرطى التى أجراها (بافلوف) على الكلاب فوجدها تفرز لعاباً غزيراً عند اقتران الجرس والطعام فى وقت واحد ثم سال لعابها بمجرد قرع الجرس - الذى كان يأذن بحضور الطعام - دون تقديم الطعام وهذه النظرية وان نسبت الى - بافلوف - إلا أن واضعها الأصلى هو (الغزالى) الذى أوجد منهج الشك قبل ديكارت بقرون. إن هذه النظرية تؤكد ارتباط المعدة بالكذب والنفاق وامكانية تسخير الإنسان وقيادته من معدته إذ كان هذا الانسان حريصاً على التهام الملاذ والشهوات من الطعام وما تفعله الفنادق الكبرى من تفريغ جيوب زبائنها بوجبة عادية إنما ينطلق من علم دقيق يتفهم سيطرة المعدة على الجيوب ولو بوجبة عادية قدمت باسم كبير ومظهر جذاب.

إن الصوم هو فى حقيقته كبح للشهوة وتصعيد لها الى مستويات سامية عالية واذا كان (الصبر نصف الإيمان) كما يروى ابن مسعود عند ابى نعيم فى الحلية وكذلك يروى ابو هريره عند الترمذي (الصوم نصف الصبر) فهذا يعنى ان الصوم ربع الإيمان ويكفي أنه منسوب الى الله عز وجل كما فى حديث ابى هريره عند الشيخين [... إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به] ولهذا جاوز أجره قانون التقدير والحساب لأنه عمل بالباطن والصبر المجرد وقهر للشيطان الذى يسعى لإثارة الشهوات وانما تقوى الشهوات بالأكل والشراب ففى قوله ﷺ **[إن الشيطان ليجرى من ابن**

آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع(٢)، متفق عليه] هذا ما تقوله نصوص الشريعة فى علاقة الصيام بالشهوه. **وتؤكد التجربه أنه اذا شبعت المعدة جاعت الجوارح واذا جاعت المعدة شبعت الجوارح حتى تضيق مسالك الشهوة ويهدأ أوارها ويقمع شيطانها ويزول سلطانها على الأعضاء.**

إن شهوة المعدة من اعظم المهلكات لبنى آدم ، والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى النكاح ويتبع شهوة النكاح والطعام شهوة الرغبة فى المال والجاه باعتبارهما وسيلة التوسع فى ملذات الدنيا ثم يتبع ذلك ضروب المنافسات والحسد والبغضاء والرياء والمفاخرة والمكاثرة والكبرياء والحقد واقتحام البغى والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وبطر الشبع والامتلاء **ولهذا كانت فضيلة شكر النعمة أكبر من فضيلة الصبر عليها** قال احد السلف رضوان الله عليهم **«ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالنعم فلم نشكر، حسد بعضنا بعضاً وقتل بعضاً»** ومن هنا نبهنا الاسلام الى التخلق بالجوع وعدم ملء المعدة وتعبدنا سبحانه بالصيام ونصح الشباب به باعتباره مهدئا للشهوة كاسراً لحدة الباءة عند من لا يستطيع الزواج **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» و«المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق يأكل فى سبعة أمعاء»** وقد قال ﷺ لأبى جحيفة **«أقصد من جشائك فإن اطول الناس جوعاً يوم القيامة اكثرهم شبعاً فى الدنيا»(٣).**

وفي الآثار أن لقمان قال لابنه **«يا بنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة»** فمن لم يراقب معدته ويخفف من شهواتها صرعته وأردته في مهاوى الأمراض والشهوات **(ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)** رواه الترمذى من حديث المقدام.

الصوم صون للنفس وتنقية للجسم

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد كانت تمر الليالى ذوات العدد لا يوقد في بيته نار مع كرامته عند الله سبحانه ومكانته وقد عرضت عليه الجبال ان تصبح ذهباً فأبى قائلا بلسان حاله إن وجدت شكرت وإن فقدت صبرت - اللهم احينى مسكيناً واحشرنى بزمرة المساكين.

عمل المعدة فى الادمان:

الإدمان هو الارتباط بشيء ما بحيث يصعب الفكاك من هذا الارتباط فهو تعود تدريجى حتى يصبح جزءاً من سلوك الإنسان وهذا الادمان دخيل على الانسان وليس اصيلا عليه.

ان التعود في بداية امره ينطلق من المعدة حيث تبدأ عادة بعض الناس على طعام معين وبهارات معينه «حوامض وسلطات ومشويات ومقليات» - كحول - تدخين ... الخ..

صوم رمضان ترياق لأدواء النفس

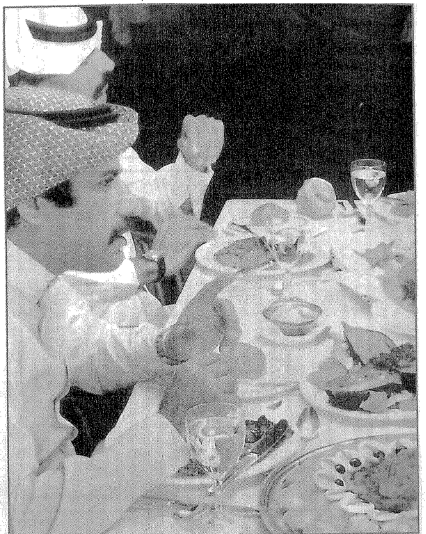
إن تكرار عملية الطعام وتكرار المشهيات والمكيفات هو الخطوة الأولى في الادمان حيث يبدأ التكرار بعملية إرادية يسيطر عليها الانسان وينتهى التكرار بضعف السيطرة والانقياد والاستسلام ويتحول الحر المريد الى عبد رقيق تدرج من فنجان قهوه الى سيجارة الى خمر الى مخدرات .. نسأل الله العافية.

إن عملية التكرار تظهر في القلب والرئتين ولكنها هنا عمل آلى لا إرادة فيه اما التكرار فى المعدة فهو في بدايته عمل ارادي فأنت تأكل حيث وحينما تريد ويمكنك الكف عندما تريد ولكن مع التكرار يضعف دور الإرادة لتحل الآلية محلها ففى عمل المعدة هناك إرادة نفقدها بالتدريج وليست عملاً آليا بأصل الخلقه كالتنفس والنبض.

ومن جليل قدرة الله سبحانه وعظيم صنعه - أن كل عضو فى الجسم له توكيل في المخ ما عدا المعدة فللقلب مركز في المخ وكذلك للتنفس ولحركات العضلات واللسان والسمع والبصر والشم فهذه الحواس كأنما هى امتدادات للمخ ونوافذ له على العالم الخارجي.

فقط المعدة والجهاز التناسلى ليس لهما تمثيل في المخ ولا توكيل وهما يخضعان لفعل العصب المسمي بـ (الحائر) أو لمركبات هرمونية تجري في الدم واذا حدث مشكله في هذين الجهازين فإن أقصى مسؤول يفصل فيها فى حكومة الجسد هو سكرتير المخ المسمي بـ (الهيبوتلامس) فكأن هذه الأعضاء الدنيا ليست أهلا لشغل المخ في مشكلاتها لاشرافه على وظائف عليا فى حياة الانسان ولا يتنازل لمثل هذا المستوى من الطعام والجماع. ومن كانت

(ادوات الإدمان تسيطر على الأعضاء الدنيا التي يصرعها الهوى والكيف ولا تعمل عملها إلا حال غياب المخ أو سهوه أو كلاله او ارهاقه لأن سيطرة المخ والتفكير لا تتسامح مع السلوك الانسانى أحياناً ولو كان الانسان عقلاً كله لأصبح ملاكاً طاهراً لكنه عقل وشهوه.



- تدبير رب العالمين - وحتى اللذة الجنسية **يقول علماء التشريح أنه في لحظة القذف يتوقف الجهاز العصبي كله فى الانسان مدة جزء من الثانية ويفرز خلالها جراثيم لا يمكن مقاومتها إلا بغسل الجنابه أرأيتم كيف يبدأ الادمان من المعدة.**

ومن هنا كان الصوم أروع تأديب لمستقر الشهوة ومفرخ صقورها ولو لم يكن للصوم إلا التنبيه على هذا الدور الشيطاني للمعدة لكفانا ذلك في عصر تبسط فيه الناس وتمتعوا بفنون الطعام والشراب.

إن تحديد الصيام للإمساك والافطار انما هو تدريب على تحرر الإرادة من إدمان التكرار المستمر فى حشو المعدة بالطعام ومن هنا كان الصوم درساً تربوياً فى محاربة الخضوع لأوامر المعدة المتكررة وتحريراً لارادة الانسان واحكاماً لسيطرة العقل على إرضاء الشهوات وتحرير إرادتنا شهراً فى العام كاف فى تقدير *العزيز العليم* لسيطرتنا على عوامل الإدمان الى الشهر الذى يليه فرمضان شهر تجنيد وتدريب وصحوة للعقل والضمير وهو صحة للعقول والأبدان دل عليها عموم الصحة فى الحديث **(صوموا تصحوا).**

أثر الطعام فى السلوك الانسانى عامة:

يحكى ان قاضياً ضجت الناس من احكامه فأشير على الناس ان يراقبوا طعامه! فقالوا إنه يرسل أحد اتباعه الى مخبز معين يجيد الخبز ثم يحضر السلطة من مكان والمخللات من مكان آخر والشواء من مطعم فاخر وهكذا ينتقى طعامه من اصناف واماكن وأيادى شتى.. ثم يتساءل كيف يمكن ان تستقيم أحكام هذا القاضي..؟

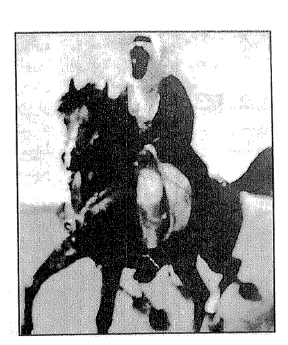
إن هذا التساؤل يثير موضوعا هاماً قد يكون من المناسب دمجه هنا في بحث آثار المعدة لمناسبته للمقام.

صوموا تصحوا

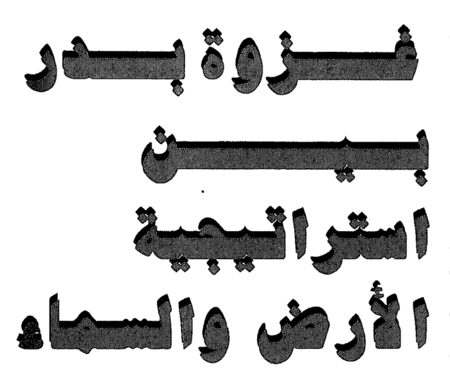
فتأثر الانسان بطعامه واتساق سلوكه مع أنواع وصفات ما يأكل حقيقة دلت عليها الشريعة في عمومها ومن أول ما ندركه هنا أن الذى مطعمه حرام ومشربه حرام - لا يستجاب له دعاء.. بل لعل الغالب فيه أنه لن يدعو الله سبحانه لأنه لا ينشط لذلك بطعامه الحرام. أما من غذي بالحلال فسينشط للطاعات والدعاء والعبادة لطيب مطعمه - فقد قال ﷺ لسعد بن أبى وقاص **(أطب مطعمك تستجب دعوتك)** وقال في حديث آخر **(كل لحم نبت من سُحت أو من حرام فالنار أولى به)** لأن تغذيته بالحرام ستدفع بنشاطه وسلوكه الى الحرام وينتهى الى النار.

الهوامش

(١) حجة الله البالغة ٤٩/٢.
(٢) احياء علوم الدين للغزالى ٢٣٢/١.
(٣) حسنّه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر.







غزوة بدر بين استراتيجية الأرض والسماء

تحمل الغزوات النبوية فيما تحمل بين جوانبها أنماطا من الدروس السياسية والتجارب الاستراتيجية، والأسرار الحربية تسمح لكل باحث ودارس أن يستخرج من ثناياها قوانين مختلفة أحكامها، وهدياً من سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وما على القارىء والكاتب إلا أن يأخذ قلمه ليمتاح ألوانا من الحضارة، وأبنية من العظمة، ومدارس من العلم والقدوة الحسنة، وليضع دساتير السياسة والتشريع، وليقف على استراتيجية في المجال الحربي، ولكنها قبل أن تكون استراتيجية الحرب، فهي استراتيجية السلام والأخلاق الكريمة، والريادة الفاضلة، والعفو الشامل، وعون الله لنبيه.

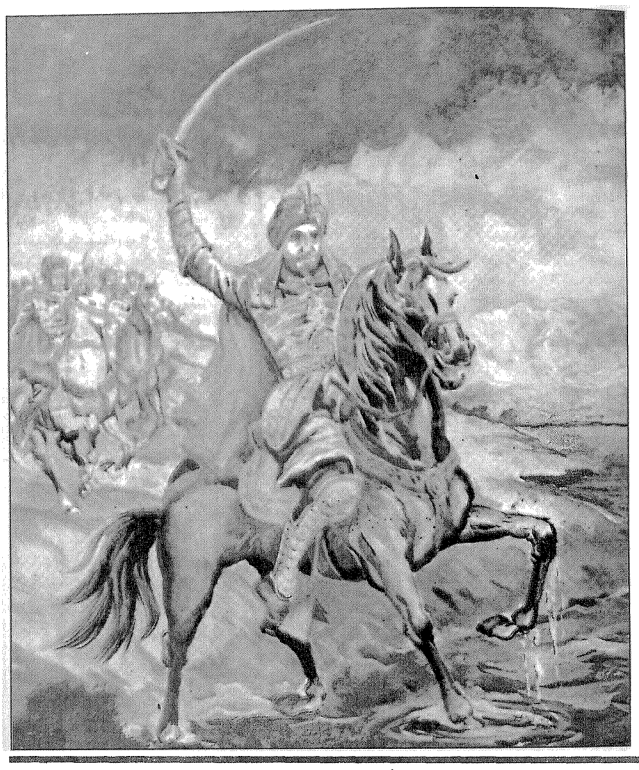
أجل، عندما أطل محمد عليه السلام على الدنيا برسالته كان يغرس فيما يغرس أصول القوانين والسلوك في الحرب والسلام وذلك مصداق قوله سبحانه: **«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم »** (الأنفال/٦٠).. فهذه القوانين أصول في الدين والاجتماع وأصول في القيادة والسياسة، وأصول في الحرب والقتال، لأنه كان يؤسس دولة، ويبني أمة.

وفي الحق فإن الاسلام قد نظم الحقوق السياسية بصفة مثالية ، نظمها بين الأفراد وبين الجماعات، وهو يؤكد مشاركة الرعية مع أجهزة الدولة، ودليل ذلك قوله سبحانه: **«وأمرهم شورى بينهم»** (الشورى/٣٨) وقوله: **«وشاورهم في الأمر»** (الأنفال/ ١٥٩) وقوله: **«كنتم خير أمة أخرجت للناس»**، فإذا تساءلنا: ما هي مبررات الخير فينا، ولماذا كنا خير أمة؟ أتانا الجواب في ذيل الآية ليقول: **(تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله»**

بقلم:
د. محمد الصادق عفيفي
أستاذ بجامعة الملك فهد – الظهران

(آل عمران/ ١١٠) ففي هذه الآية يربط ـ الله سبحانه ـ الدعوة الى الخير بالأمة المسلمة كلها، فيفرض على كل عضو في الجماعة الإسلامية أن يشارك في هذه المسئولية، ويمتد نطاق التكليف إليه.

والشورى ـ الى جانب هذا ـ مظهر من مظاهر السياسة والمساواة، وحرية الرأي، وحرية النقد، والاعتراف بشخصية الفرد في اطار مصلحة الجماعة، وبالشورى تجند الكفاءات والمواهب المتنوعة لخدمة



المجتمع في شتى ميادينه. يقول ابن تيـمـيـة: **«أمـر الله نبـيـه بالشـورى لتـأليف قلوب أصـحـابه، وليـقـتـدوا به من بعـده، وليـسـتـخـرج منهم الرأى فـيـمـا لم ينزل فـيـه وحي من أمـر الحروب، والأمور الجزئية وغير ذلك»** (السياسة الشرعية/ ١٥٨). وكما نظم الحقوق السياسية، فقد أوضح السُّبل الحـــربيـــة والتكتـــيك الاستراتيجى للمعارك. فقد ثبت أنه ﷺ استـشـار أهـل الـرأي مـن أصحابه سواء أكانوا من المهاجرين أو الأنصـار فى الأمـور المتـعلقـة بالحـروب، وها هـو ذا في غـزوة بدر يأخذ رأي النخـبة من المهـاجـرين كأبي بكر وعمر فأدليا برأيهما، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: **«يارسول الله امض لما أراك الله فنحن مـعك، والله لا نقـول لك كـمـا قـالت بنو اسـرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فـقـاتلا انا هاهنا قـاعـدون، ولكن اذهب أنت وربك فقـاتلا إنا مـعكمـا مـقـاتلون، فـو الذي بعـثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغـمـار** (مـدينة

بالحبشة) لجالدنا معك من دونها حتى تبلغها.. وهؤلاء القادة الثلاثة كانوا من المهاجرين ولكن الرسول عليه السلام أحبَّ أن يعرف رأى الأنصار، لأنهم يمثلون الأغلبية في الجيش، فقال: **(أشيروا عليَّ أيها الناس)** وفطن لذلك قائد الأنصار، وحامل لوائهم سعد بن معاذ، فقال: «والله لكأنك تريدنا يارسول الله؟» قال: أجل. قال سعد: **لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنَّا لصبُر في الحرب، صدُق في اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله»** (ابن هشام: ٢٠٣/١).. وهنا ملأت البسمة والاشراقة وجه رسول الله فقال **(سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم)** (الطبراني: ٢/ ٤٣٤).. هذا هو الموقف القيادي الأمثل الذي يحرص كل الحرص على أن يطرح قضية الحرب والدفاع على بساط البحث، فهي قضية الجميع ـ ما لم يكن هناك تنزيل من السماء ـ والإنسان إذا دافع عن قضية وهو مؤمن بها، دافع بحرارة وقوة حتى يبلغ مرتبة الفداء والتضحية.. ونلتقي في جميع حروب الإسلام بمبدأ عام، واستراتيجية تامة، وهي تلك التي أرسى بعض قواعدها القرآن الكريم، وأوضح الرسول ـ صلوات الله عليه ـ كثيرا من جوانبها، وترك فيما ترك مجالا لاجتهاد علماء المسلمين، فإذا كانت قد وقعت بعض الحروب في الدولة الإسلامية، وفي مقدمتها غزوة بدر، فإن ذلك كان لجملة أمور:

الأمر الأول:

لرد العدوان، والدفاع عن

غزوة بدر الكبرى جاءت لتدك حصون الشرك والمشركين

النفس، ولحماية الدولة الناشئة وصدق الله حيث قال: **«أذنَ للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلموا، وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، إلا أن يقولوا: ربنا الله»** (الحج/٤٠) وحيث قال: **«وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولاَ تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»** (البقرة/ ١٩).

والأمر الثاني:

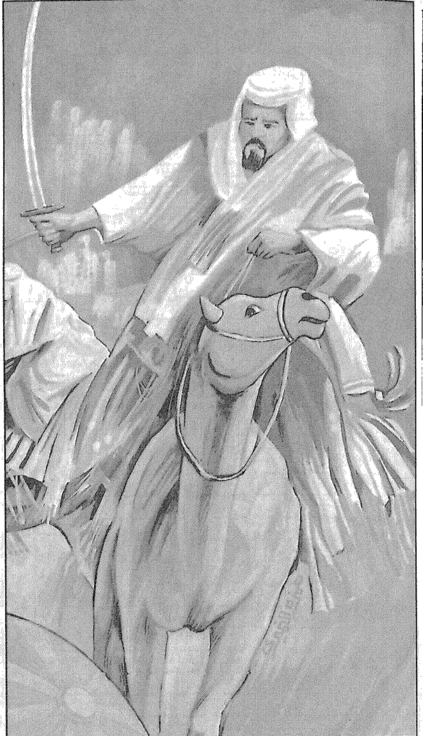
لمحاربة الشرك، وصون العقيدة التي تكفل الخير للبشر، وترتفع بالإنسانيه عن مهاوي الوثنية، وحمأة الرذيلة، الى سماء التوحيد، وتأمين حرية الدين، قال سبحانه: **«وقاتلوا المشركين كافة، كما يقاتلونكم كافة»** (التوبة/ ٣٦)، وقال: **«كتب عليكم القتال وهو كُرْه لكم»** (البقرة/ ٢١٦) وقال: **«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، فإن انتهوا، فلا عدوان إلا على الظالمين»** (البقرة/ ١٩٣).

المجاهد في سبيل الله لا يبتغي غير اظهار الحق ورضا الله

والأمر الثالث:

«إن الإسلام دين يواجه الواقع، ولا يفر منه، وما دامت في الدنيا نفوس لها نوازع وأهواء ومطامع، وما دام هناك هذا الناموس الذي يُطبّق على الأفراد والجماعات على السواء، ناموس تنازع البقاء، فلابد إذن من الاشتباك والحرب، وحين تكون الحرب لردع المعتدي، وكف الظالم، ونصرة الحق، والانتصاف للمظلوم تكون فضيلة من الفضائل، وتنتج الخير والبركة، وحين تكون تحيزا وفسادا في الأرض، واعتداء على الضعفاء تكون رذيلة اجتماعية، وتنتج السوء والشر» (السلام لحسن البنا، مقال بمجلة الشهاب، مارس ١٩٤٨). قال سبحانه: **«ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين»** (البقرة/ ٢٥١).

ونلمس في معركة بدر: عدم التكافؤ بين الجيشين المتقابلين من ناحية العدد، ومن ناحية الاقتصاد، ومن ناحية ميزان القوى الدولية، فمن ناحية العدد، كان الكفار اكثر عددا.. ومن ناحية الاقتصاد كان اقتصاد قريش راسخا قويا.. ومن ناحية ميزان القوى الدولي.. كانت قريش تحظى بتأييد كافة العرب ضد المسلمين الذين كانوا يُعَدُّون في نظر الكثيرين متمردين علي الوثنية القائمة، وهنا تنزَّلتْ رحمة الله لترجح الكفة الضعيفة، وفي سورة الأنفال آيات كريمة تصور حالة المسلمين، كما تصور قوة الله، وهي تدخل المعركة فترجح جانب المسلمين على جانب كفار قريش (التاريخ الإسلامي لأحمد شلبي: ٤٦٤/١) قال سبحانه: **«إذ تستغيثون ربكم، فاستجاب لكم أني مُمدُّكم بألف من الملائكة مُرْدفين * وما جعله الله إلا بشرى، ولتطمئن به قلوبكم، وما النصر إلا من عند الله، ان الله عزيز حكيم»** (الأنفال: ٩ـ ١٠).. والناظر



في هذه الآيات: يرى المدد المادي الذي قدمه الله لأهل بدر من المسلمين، إذ أرسل إليهم ملائكة تقاتل في صفوفهم، فقد ذكر ابن عباس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خفق خفقة في العريش، ثم انتبه وهو يقول: **«أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، فهذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على النّقع»** (ورواه البخاري بلفظ قريب منه: ١٤/٥).

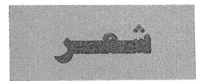
كما يدرك المدد المعنوي الذي أمدهم الله به، فقد أرى رسوله في منامه: أن عدد قريش قليل **«إذ يُريكهُمُ الله في منامك قليلاً، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم، ولتنازعتم في الأمر، ولكن الله سلم، انه عليم بذات الصدور* وإذ يُريكُمُوهُم إذِ التقيتم في أعيُنكُمْ قليلا، ويُقلِلُكُم في أعينِهم، ليقضيَ الله أمرا كان مفعولا»** (الأنفال: ٤٣ - ٤٤)، ولقد شجعت هذه الرؤيا المسلمين على خوض المعركة، وزرعت في نفوسهم الطمأنينة بقلة عدد أعدائهم.

ولقد وضعت سورة الأنفال - التي نزلت في هذه المعركة - أدق التعاليم الإسلامية للحروب، ومن هذه التعاليم: الاستعداد للقاء العدو بكل ما ينبغي من أهبة قال سبحانه **«وأعِدّوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رِباط الخيل ترهبون به عدُوَّ الله وعدوكم»** (الأنفال: ٦٠).

- طلب الوحدة، وعدم التنازع والشقاق، وإذا كانت هذه الصفات لازمة في كل حال، فهي عند الحروب ألزم، قال تعالى: **«وأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين»** (الأنفال/ ٤٦).

- «الثبات في المعركة حتى النهاية، بحيث يكون المسلم كالطود الشامخ، ينتصر أو يُقتل» وهو يصبر ويصابر [التاريخ الإسلامي لشلبي: ٤٧٢/١]، قال تبارك تعالى: **«يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يؤمئذ دُبُرَه إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة، فقد باء بغضب من الله، ومأواه جهنم، وبئس المصير»** [الأنفال: ٧].

- أشار سبحانه في هذا «الفتح الى ما كان من تأييد الله وعونه، ونصره بالغيب للمسلمين وذلك لئلا يغتروا بشجاعتهم، فتركب نفوسهم الغطرسة والكبرياء، بل عليهم أن يتوكلوا على الله ويطيعوه ويطيعوا رسوله» [الرحيق المختوم للمباركفوري : ٢٧١] قال سبحانه: **«فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى، وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا»** [الأنفال: ١٧].



إلى رمضان

إلى رمضان
إلى رمضان
إلى رمضان
إلى رمضان
إلى رمضان
إلى رمضان
إلى رمضان
إلى رمضان
إلى رمضان

أحمد محمد مبارك
مصر

أقبل فقد تُقْنا الي النفحات
وانثر علي ايامنا البركات
انشر شعاعك في جهامة أفقنا
بدد ركام الغيم والظلمات
يا منهلا للروح منه نستقي
عزما يَفلُّ ضراوة النَّزوات
اقبل وطهرنا بعطرك وانتزع
منا تكالبنا علي اللذات
اقبل وذكرنا بجوعى بيننا
لم يظفروا في سعيهم بفتات
اشعو فؤاد غنينا بفقيرنا
وادفع بنا للبر والخيرات
رمضان اقبل وانتزع احلامنا
من قبضة الدنيا وحب الذات

* * *

رمضان يا شهر الجهاد أمدّنا
بعزيمة موّارة وثبات
وأعد علينا فجر بدر تنتفض
فرساننا من غفوة وسبات
هذا هو الإسلام يُرمى حصنُه
ويحيطه بالحقد شرّ بَغاة
والمسلمون خبا ضياء نجومهم
في أفقهم يجثو دجى النكبات
رمضان.. ذكِّرْنا بماضي أمّة
بشذا الجهاد - مُعطَّر الصفحاتً
اقرأ علينا مجد أجداد لنا
أيامهم لم تعرف النكسات
حرِّك رقاد شموخنا وجهادنا
بدِّد خمولا غال عزْم أباة
لنقيم فى الأقصى شعائر ديننا
ونضيئه بالذكر والصلوات
ونعيد للإسلام سالف مجده
ونجير أمتنا من الكربات
ونقول: إنا نسل «عمرو وابن حا
رثة ومعتصم» وخير كماة
رمضان .. أقبل .. إننا في وحشة
أنقذ قلوباً من هوى وشتات
بدد بنورك غيم حاضر أمتي
واسكب سناك على الزمان الآتي



الصعود الى الانسانية



د. ثريا العريض

حياة الفرد العادي هي مسيرة الظاهر والمتوقع.. تظل في اتجاه واحد، ولو انتابتها بعض المنعطفات والالتفافات، يعود مرة اخرى الى استئناف اتجاهه المفروض بين نقطة بداية لم يخترها، ونهاية لا يعرف متى تأتي؟.. تبدو اللقمة اليومية وكأنها كل همومه، دوارا ودورانا كل يوم.. ومع هذا فالانسان لا يعيش لياكل فقط، وإن التبس الامر على البعض احيانا فتصوروا ان الجسد وارضاء احتياجاته في اللحظة الآنية الصارخة، هو محور قضية الانسان في الحياة والموت. ولكن هذا الاعتقاد المبسط لماهية الانسان لا يجيب كل التساؤلات.. لماذا يتسامى البعض فيجدون ما هو اهم من الذات للالتزام به كقضية؟.. لماذا هجر ليوتولستوي النبيل الروسي، او رابندراناث طاغور النبيل البراهمي - اثنان عرفهما العالم بأسره اديبين موهوبين - ارث القصور المترفة وتخليا عن حقوق الاقطاعية والطبقية ليعيش الاول مع فلاحي روسيا والثاني مع القرويين الهنود.. فئة الكادحين والمعذبين في الارض؟.. ولماذا اصبح غاندي ومحمد علي جناح وليوبولد سنجور وتشيه جيفارا المثقفون في الغرب مناضلين لتحرير بلادهم من الاستعمار الغربي ؟.. ولماذا تخلت نادين جود هايمر عن افضلية الهوية البيضاء في جنوب افريقيا لتدافع عن الافارقة؟.. لماذا يقف عالم احياء في الولايات المتحدة خارج مشاغل المختبرات والابحاث، معترضا على قطع الاشجار في غابات البرازيل؟.. الانسان لا يكتمل كياناً الا اذا اصبح مهموماً بقضية ما فوق قضية .. السغب والشبع .. حين يدرك ان اشباع الجسد وتحقيق الراحة البدنية لا يعني بالضرورة ملء فراغ الروح والشعور بالرضى ،عندها يبدأ في البحث عن قضية.. قد يكتفي بأقل مستوى من تحقيق رغبته في السمو فيصرف الى رفع مستواه المادي ليحظى بالراحة ورضي الآخرين عنه اعجاباً واحتراماً.. أو تأتي القضية تؤرقه في اشكالية الفروق الفردية والطبقية والرغبة في المساواة خارج وضعه الخاص ..اشكالية قد لا يشعر بها من يولد بملعقة ذهبية في فمه ، الا على كبر حين يستوعب بقلق ممض ان لا فضل له في ما يتمتع به من افضلية في عيشه مقارنة بغيره من الكادحين والبؤساء والمعذبين .ويتحول وعيه هذا الى احساس بخطيئة الفروق الاجتماعية والطبقية فيتحول مصلحاً اجتماعياً اودينياً وقد تكون قضيته ادبية ينشغل فيها بالبحث عن ماهية الحقيقة وسبل الوصول الى المعرفة وما وراء الظواهر والمظاهر.. ومهما كانت تلك القضية التي تشغله غير معقولة من الآخرين هي دائما مصيرية لاكتماله انسانيا في عين ذاته ..بلا قضية لا يتجاوز الفرد مستوى الحيوان الباحث عن الشبع ..أما صعوده الى مستوى الانسان فرهين ببدء ادراكه لقضايا الانسانية.

وثائق

أهمية الوثائق البردية الإسلامية في حياتنا الثقافية

سعيد مغاوري محمد
جدة - خليص

البرديات الاسلامية تعتبر بحق وثائق بالغة الأهمية لا غنى عنها للباحثين في مجال التاريخ والحضاره والفكر والنظم والآثار والفنون والدراسات الاسلامية. ذلك لأنها وثائق لا يمكن أن يتطرق إليها أدنى شك حيث أنها تعاصر فترة الحدث نفسه.. والبرديات نوع من التراث الوثائقى كتبت على أوراق البردى، وهو نوع خاص من الورق كان يصنع منذ عهد قدماء المصريين من نبات مائي ينتمى الى الفصيلة السعدية «وهى فصيلة من ذوات الفلقه الواحده» تنمو معظم نباتات هذه الفصيلة بالقرب من شواطئ الترع والمصارف والأنهار وفي البرك والمستنقعات وفي الأراضى الضاربة الى الملوحه.. وغيرها .. وبعد جمع سيقان نبات البردى وهي سيقان خضراء لينه غضه ينزع عنها القشره الخارجية الخضراء ثم يقوم الصانع بعد ذلك بشق اللب الداخلى الى شرائح رقيقه ثم توضع هذه الشرائح بجوار بعضها البعض - طبقة أولى أفقية ثم تعلوها طبقة أخرى رأسيه فتلتحم كلتا الطبقتين بعد الضغط عليهما برفق وذلك بسبب وجود مادة صمغية لزجة بين الألياف والخلايا البرنشجيه للنبات نفسه.

والخطوة الأخيرة فى صناعة ورق البردى تتلخص فى حك السطح الذى سيخصص للكتابه حتى تنعم أليافه ويسمى هذا القسم من الورقه (الوجه) والسطح الآخر الخشن يكون بمثابة (ظهر) الورقة.

اشتهرت مصر منذ القدم بزراعة وصناعة هذا النوع من الورق. وفي العهد الإسلامي وبعد فتح عمرو بن العاص (مصر) عام ١٨ - ٢٠هـ أبقى هذا القائد المظفر على مصانع البردى وعمل على تدعيمها بالأيدى العاملة الماهره وذلك لاستيفاء حاجة الخلافة الاسلامية من الأوراق اللازمة لعمل المكاتبات الصادرة من الديوان. حيث كانت تصدر هذه الأوراق الى حاضرة الخلافة الاسلامية إبان عهد الخلفاء الراشدين فى المدينة المنوره ثم كانت تصدر هذه الأوراق الى دمشق (حاضرة الخلافة الأموية) ثم بغداد حيث العهد العباسى.

هذا ولقد كتبت على هذه الأوراق موضوعات متنوعة شملت تقريبا معظم نواحى الحياة في الدولة الاسلامية فهناك مراسلات بين الخلفاء والولاة بداية من عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وحتى الخلافة العباسية. وهناك مكاتبات بين الولاه والعمال وأصحاب الشرطه والقضاه وهناك عقود بشتى أنواعها من «زواج - بيع - شراء - إيجار - عمل ... وغيرها» وموضوعات أخرى متنوعه من وصفات طبية وسير ومغازى وصدقه وعتق وهبه وإيصالات جزية وخراج. وهناك وثائق برديه كتبت عليها موضوعات فقهيه وأحاديث نبويه شريفه وبعض آيات قرآنية كريمة وتفسير لها. وبعض أبيات شعر ونصوص أدبيه - وهناك مكاتبات خاصة بين الأهالى كوثائق العتق والصدقة والصلح والوقف وحسن الجوار والبيع والشراء وإبراء الذمة وسداد الديون.. وغيرها كثير ومتنوع وفى الواقع ان دراسة هذه الوثائق البرديه الهامة سوف يكشف العديد من جوانب مازالت غامضة في تاريخنا وحضارتنا الإسلامية أيضاً فإن دراسة هذه الوثائق أظهرت العديد من أسماء خلفاء وولاه وعمال جزيه وخراج وأصحاب شرطه وقادة جيوش وقضاه وجنود وفقهاء وكتاب وأصحاب حرف ومهن مختلفة وأهل ذمه وأسماء ملوك وأسماء مدن وقرى ووصفات مختلفة لعادات وتقاليد شعوب فارسية وروميه وقبطيه

وغيرها . أيضا تكشف هذه الأوراق عن أســـاليب الحكم في الدولة الاسلامية وخاصة أعمال الديوان بداية من عهد الخلافة الراشدة وحتى نهاية عهد الدولة العباسية - تقريبا ومما يدعو للأسف أن الغالبية العظمى من هذه الأوراق البالغة الأهمية تسربت من بين أيدينا وتلقفتها أيادي ثله من المستشرقين فأودعت في خزائن مكتبات ومتاحف ودور كتب ومعاهد علم وجامعات أوربيه وامريكيه وروسيه بلغت تقريبا أعداد هذه الوثائق الاسلامية الهامة ما يقرب من ١٠٠٠٠٠ وثيقة برديه في غاية الأهمية - وبالمقابل فإن هناك شبه غياب في العالم العربى عن التخصص فى علم البرديات فى الوقت الذى أنشئت فيه معاهد بحوث أوربية مثل معهد البردى فى مدينة فلورنسا بإيطاليا هذا بالاضافة لوجود هيئة دولية لعلماء البردى في مدينة بروكسل ببلجيكا تعقد هذه الهيئة مؤتمرا عالميا كل ٣ سنوات لمناقشة بعض الأبحاث من (برديات فرعونية ويونانية ولاتينية وقبطية وعربية... وغيرها).

ولقد تشرفت بالمشاركة فى أعمال المؤتمر التاسع عشر لعلماء البردى (وهو مؤتمر تابع لهذه الهيئة) وكان قد عقد في القاهرة «جامعة عين شمس» فى الفترة ما بين ٢ - ١٩٨٩/٩/٩م حيث شاركت ببحثين في مجال «الأساليب الفنية الكتابية على برديات القرون الأولى للهجره».

ومما يدعو للأسف الشديد ندرة العلماء والباحثين العرب فى مجال البرديات العربية فى مقابل الوفره المتخصصه من العلماء والباحثين الأوربيين. وكما هو معلوم فإن علم البرديات العربية قد ظهر على أيدى ثلة من المستشرقين أبرزهم أدولف جروهمان، وب مورتز، وكارل هنرسن بيكر.. وغيرهم.

ومن هذا المنطلق فإنني أتشرف بدعوة جامعاتنا العربية ومؤسساتنا الثقافية بضرورة الالتفات الى تراث البرديات الاسلامية ليعطوها جانبا من اهتماماتهم وذلك لإنشاء جيل متخصص فى علوم البرديات. حتى لا تصبح النصوص البردية عرضه لتأويلات نفر من المستشرقين الذين ملأ قلوب بعضهم الحقد الدفين على تراثنا الإسلامي العريق وبسبب عدم تمكنهم من اللغة العربية فإنهم قد يعرضون النصوص العربية المكتوبة على الوثائق البردية لتأويلات خاطئة حيث أن هذه النصوص غالبا ما تكون غير معجمه ويلحقها الكثير من التداخل والتلاحق فى بعض أبجديتها الأمر الذى يجعل قراءتها

خطاب خاص بارسال قمح الى حاضرة الخلافة وإطلاق المكس لتجار القمح

وثائق

شيئا عسيراً وشاقاً على القارئ العربي فما بالك بالمستشرق الذى قد لا يحسن نطق اللغة العربية فضلا عن كتابتها.

لذلك فإنه أصبح الأمر أشد خطوره لذا وجب التنبيه على كافة الأصعده العربية وخاصه جامعاتنا ومعاهدنا ومؤسساتنا الثقافية بضرورة إعطاء تراث البرديات الاسلامية جانبا من الاهتمام وإنشاء قواعد معلومات أو اقسام متخصصه فى علوم البرديات وخاصة البرديات الاسلامية. وان تعمل هذه المراكز أو الأقسام على حصر الأعداد التى تسربت خارج الوطن العربى ثم تفهرس هذه الأعداد وإن أمكن تصويرها من أماكن حفظها فسيكون الوضع أفضل ثم تعمل خطة مدروسة لتحقيق ونشر هذه الوثائق ثم تعمل خطة اخرى لترميم الوثائق العالية ان أمكن.

وأحب أن أعطى نبذه موجزة عن الأعداد التقريبية لهذه الوثائق التي تسربت خارج وطننا العربي.

أوربا:

١ ـ النمسا :

فينا: تعتبر مكتبة فينا القومية أشهر مكتبة عالمية أوربية تمتلك أكبر وأغنى مجموعة بردية عربية كاملة محفوظة فى قاعة البرتينا يطلق عليها مجموعة الأرشيدوق راينر تبلغ النسبة التقديرية المبدئيه لهذه البرديات ما يقرب من ١٠٠٠٠ وثيقة بالغة الأهمية.

إنسبروك: فى جامعة انسبروك مجموعة بردية هامة عددها ١٠٤ بردية.

٢ ـ ألمانيا :

برلين : مجموعة بردية كاملة لم يعلم عددها حتى الآن بسبب عدم فهرستها توالت فى الزياده بفضل الزيارات المتكررة لعدد من المستشرقين في مطلع هذا القرن لمصر.

جيسن : أيضا توجد مجموعة بردية كاملة فى العهد التحضيرى للدراسات اللغوية في جامعة لود فيج ـ كما يمتلك المتحف التاريخى فى هذه المدينة ثمان برديات عربيه من برديات الفيوم والأشمونين بمصر.

هايدلبرج : توجد فى جامعة هايد لبرج عدة آلاف من برديات القرون الأولى للهجرة جلبها لهذه الجامعة على التوالى عدد من المستشرقين الألمان الذين زاروا مصر في مطلع هذا القرن.

ميونخ : تقتنى المكتبة البافاريه تسع برديات عربية وبردية اغريقيه عربيه.

لايبزج : Leipzing توجد في مكتبة جامعة ليبزج مجموعة ثمينة من بردى الفيوم.

مكتبة مونستر : Munster بهذه المكتبة مجموعة كبيرة من البرديات العربية لم يعلم عددها، بعضها يرجع للقرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى لم ينشر منها شيء حتى الآن. ويذكر أنها محفوظة جميعها بين ألواح من الزجاج ـ حفظا جيداً.

٣ ـ بريطانيا :

لندن : هناك مجموعة كبيرة من البرديات العربية محفوظة حاليا فى المتحف البريطانى بلندن أصلها من سقاره والفيوم والأشمونين وكوم اشقاو من صعيد مصر.

كامبردج : توجد مجموعة بردية محفوظة فى مكتبة جامعة كامبردج منها نص سحرى قبطى/ عربى.

مانشستر : يحتوى كنز المخطوطات الشرقية وهو كنز حقيقى محفوظ حاليا فى مكتبة جون رايلاند على مجموعة بردية عربية هامة وصلت تقريبا الى ٦٠٠ بردية.

أكسفورد : تقتنى مكتبة البودليانا مجموعة بردية عربية بالغة الأهمية من بينها ٩٤ وثيقة من بردى الفيوم وبعضها الآخر من برديات كوم اشقاو وهي ترجع لعهد والى مصر فى العهد الأموى «قره بن شريك العبسي ٩٠ ـ ٩٦هـ».

٤ ـ فرنسا :

باريس : بمتحف اللوفر فى باريس مجموعة بردية عربية هامة وصل عددها تقريبا الى ٣٠٦ وثيقة لم ينشر منها شيء حتى اليوم أغلبها من برديات الفيوم. أيضا فى المكتبة القومية Bibliotheque National عدد ٢٢ وثيقة بردية عربية

ستراسبورج : تقتنى جامعة ستراسبورج ومكتبتها مجموعة قيمة جدا من البرديات العربية قد تصل تقريبا الى ١٠٠٠ وثيقة منها أعداد قبطية و٣ برديات إغريقية فُهرس منها ٦٨٠ بردية عربية.

وفى جمعية ستراسبورج العلمية عدد ٢٣ بردية عربية نشر منها المستشرق النمساوى كارل هنرسن بيكر ١٢ بردية عربية ـ اغريقية. وجميعها من برديات الفيوم والباقى رهين الحفظ والصيانة والترميم.

٥ ـ إيطاليا :

فلورنسا : فى معهد البردى بمدينة فلورنسا أعداد من البرديات العربية لم يعلم عددها.

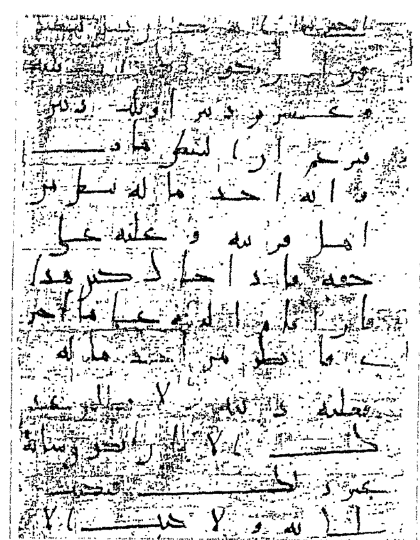
ميلانو : هناك مجموعة قيمة لم يعلم عددها حتى اليوم.

٦ ـ تشيكوسلوفاكيا :

براغ : فى المعهد الشرقى بمدينة براغ مجموعة ثمينة من البرديات العربية ربما تتعدى الألف وثيقة جلبها عدد من المستشرقين أثناء زيارتهم لمصر.

٧ ـ الاتحاد السوفيتى :

موسكو : بمتحف الفنون الجميلة



بردية عبارة عن تعليمات خاصة بدعوى رد دين

نحو من ١٠٠ بردية عربية بعضها به كتابات عربية ويونانية وقبطية.

ليننجراد: بهذه المدينة مجموعتان الأولى باسم ليتشاكوف والثانية فى المجمع العلمى (المتحف الباليوجرافي سابقا) لم يعلم عددهم حتى اليوم.

٨ ـ بولندا :

وارسو: بجامعة وارسو نحواً من ٤٩ بردية عربية بالغة الأهمية ـ وهناك مجموعة اخرى فى المعهد التحضيرى بهذه الجامعة تضم ٤ وثائق كاملة.

٩ ـ سويسرا :

أراو : يوجد بمتحف آراو الطبيعى عدد غير معلوم من البرديات العربية الهامة.

١٠ ـ النرويج :

أوسلو : توجد فى مكتبة جامعة أوسلو نحواً من ٢٠٠ الى ٣٠٠ وثيقة عربية بردية هامة.

١١ ـ تركيا :

القسطنطينية: يوجد فى المتحف العثمانى بردية عربية من كوم اشقاو بصعيد مصر.

١٢ ـ أمريكا :

جامعة ميتشجان: هناك مجموعة قيمة كانت فى الأصل ٦٥ وثيقة ثم توالت فى الزيادة حتى لم يعلم عددها حتى اليوم.

المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو: كانت فى الأصل ٧٠ بردية ثم توالت فى الزيادة أيضا حتى وصلت لمجموعة ضخمة لم يكشف عنها النقاب بعد..

مما سبق ذكره يتضح لنا مدى السبق الذى سعى اليه نفر كثير من المستشرقين فى مختلف دول العالم لاقتناء هذه الوثائق البردية الاسلامية النفيسة.

أما العالم العربي فيكاد يخلو من هذه الوثائق سوى مصر التي تضم خزانة دار الكتب القومية بها ٤ آلاف وثيقة بردية إسلامية بعضها للأسف الشديد يحتاج لصيانة وترميم عاجلين ـ وتونس أيضا بها أعداد ربما لا تتعدى أصابع اليد الواحده محفوظة حاليا فى متحف المنستير.

وخلاف ذلك لا تذكر التقارير الإحصائية أية برديات عربية أخرى فى العالم العربى سوى تلك المجموعات الشخصية التى يقتنيها أفراد وجمعيات وهواة وهم لا يفصحون عنها خشية سرقتها أو تسليمها للسلطات.

ومن هذا المنطلق فإننى مرة ثانية يشرفنى أن أوجه دعوة صريحة عبر هذه المجلة الغراء (المنهل) لمختلف جامعاتنا ومؤسساتنا الثقافية بضرورة الالتفات الى هذه الوثائق بالحصر والفهرسه والتحقيق والنشر خدمة للباحثين والمتخصصين فى مجال التاريخ والحضارة والفكر والنظم والدراسات الاسلامية.



ـ ماجستير آثار إسلامية ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة.

ـ باحث تراث إسلامي مخطوط/ سابقا/ المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية / مؤسسة آل البيت الأردن / عمان.

ـ عضو مراسل بمركز الدراسات البردية/ جامعة عين شمس بالقاهرة.

ـ مفتش آثار اسلامية وقبطية أول بهيئة الآثار المصرية بالقاهرة.

هــذه أمتكــم

وحدة التاريخ الاسلامي

لابد ان يتولد فى المسلم احساس عميق بالتاريخ : تاريخه كمسلم وعربى اساسا، يرى ان هذا التاريخ هو أضخم ثروة ورثها المسلم فهو يعتز بها ويجعله كنزا يرجع اليه فى كل موقف وفى كل ازمة .

واذا كان كل انسان يجب ان يعتز بتاريخه وتراثه فان المسلم يقف من هذا الامر موقفا اشد قوة واعتزازاً : ذلك ان هذا التاريخ مازال حيا متفاعلا متصلا لم يحدث بينه وبين المسلمين انقطاع خلال خمسة عشر قرنا وما تزال نجومه وأعلامه واضحة الاثر والعطاء بين المسلمين والعرب وما يزال كل يوم نرى مسلما جديداً من كبار المثقفين الغربيين وما نزال نرى كل يوم كتابا جديداً .

وما تزال اسماء محمد الفاتح وصلاح الدين والظاهر بيبرس ونور الدين محمود زنكى قائمة لامعة لا تخفت ابداً وهى تصل فى قوتها ونفاذها الى درجة خالد وسعد بن ابى وقاص والقعقاع وحمزة وأسد بن الفرات وموسى بن نصير.

وما يزال تاريخه يدور حول الدولة العثمانية التى هى الصورة القريبة لآخر دولة اسلامية استمرت خمسة قرون وما تزال آثارها قائمة فى البلقان وفى قلب أوربا ولم يكن امر سقوط الخلافة عام ١٩٢٤ قد انتهى حتى الآن فلا يزال الباحثون والمؤرخون يدرسون اسباب هذا الحدث الخطير.

وما يزال فتح القسطنطينية ١٤٩٢ حدثا لا ينساه المسلمون خاصة وانه جاء بعد سقوط الاندلس بخمسين عاما حيث أن أحداث هذا التاريخ لا تزال حيّة ومؤثرة ومتفاعلة مع الحاضر الذى يعيشه المسلمون وخاصة ان سقوط الخلافة قد ارتبط بدخول الصهيونية الى بيت المقدس وهى معركة لم تحسم حتى اليوم وان كانت القدس قد سقطت ١٩٦٧ وما تزال الاحداث تتجدد وتطالبنا باعادة النظر فيها فاذا كان الغربيون يحتفلون بمرور خمسمائة سنة على دخول امريكا فاننا نحن المسلمون نذكر ذلك مرتبطا بحادث سقوط الاندلس سنة ١٤٩٢، ونحاول ان نفهم لماذا انهزم المسلمون بعد حصارهم لاسوار فينا مرتين وكيف تقدم الغربيون فى مجال البحار وخروجهم بأساطيلهم من البحر الى المحيط.

المستشرقون درسوا التاريخ الاسلامي أكثر من أهله

ان تاريخنا هو تجربتنا الاثيرة التي لم يشهد لها العالم مثيلا وهى مفتاح حاضرنا ومستقبلنا ونحن عائدون اليها بالبحث والتحليل والتمحيص وانى ارى عشرات من شباب الباحثين يراجعون هذا التاريخ فى انصاف وسماحة ليقدموا لاجيالنا الجديدة المتطلعة الى النصر والى استعادة القوة للامة الاسلامية خلاصة التجربة.

فنحن اساسا لا نثق فيما يقدمه الاستشراق لانه لا يخلص لنا النصح ولا يدرس الجوانب الايجابية وانما يكتفى بالجوانب السلبية ، واذا قصرت المناهج الدراسية والجامعية فى هذا المجال فاننا سوف نقدم دراسات منصفة وصادقة فى مجالات المؤسسات الاسلامية وسوف نعاود النظر في خاصية هذه البطولات الخالصة وخاصة فى عصر الحروب الصليبية والتتار لان الاستعمار يحاول ان يقدم القرون الاولى باعتبارها صورة الدولة الاسلامية التى انطوت فى محاولة للادعاء بان الاسلام لم يطبق الا فى عصور الخلفاء الراشدين او ان يتنكر للدور الضخم الذى قام به

...ي أساس وحدة الأمة

بقلم:
أنور الجندي

اقطاب البطولة الاسلامية فى الحروب الصليبية والتتار والفرنجة فى المغرب ومصر والشام ونحن نقدم تاريخنا فى انصاف وسماحه فلسنا حاقدين او متعصبين والايام دول، غاية ما هنالك اننا نتعلم من تاريخنا وننظر اليه فى تجرد فلا نقدسه ولا نتجاهله، وسيظل هؤلاء الابطال الذين قدموا أمانتهم موضع الفخر بهم وتقديمهم للاجيال ليثق شبابنا ان هذه الامة لا تموت وانها تقدم فى كل عصر بطولات جديدة وان الله تبارك وتعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها ومن يقودها الى النصر والى تطبيق منهج الله واقامة مجتمعه والى دفع الحضارة الاسلامية الاخلاقية الوجهة السليمة اساسا الى اداء دورها في خدمة امة الاسلام وان هذه المحاولات فى السيطرة على المسلمين واحتوائهم ونهب ثرواتهم هى بمثابة مرحلة ضعف وقع فيها المسلمون نتيجة خروجهم على منهج الله تبارك وتعالى وعجزهم عن متابعة احكام الدين القيم ودخولهم فى مرحلة الترف والانحلال والفساد وقد عجزوا عن مقاومة التحديات والاخطار التى فرضها عليهم النفوذ الاجنبى حين قدم لهم الترف والفساد والخمر والاباحيات وشغلهم بأمور أعجزتهم عن حماية الثغور وعن امتلاك الارادة ولكنهم فى هذه الجولة التى امتدت اكثر من قرنين الآن لم يستسلموا فسرعان ما استيقظوا وقاوموا وتدافعوا بالاجساد حين عجزوا عن مقاومة السلاح.

وان تاريخنا الاسلامى هو عصارة تجربتنا البشرية ومدى تطبيقها للمنهج الاسلامى والشريعة الاسلامية فلن نغفل عن تاريخنا ابدا وسنواصل اعادة بعثه وتقديمه فى ثوب عصرى بعيدا عن الاهواء والاحقاد ولن تفلح كل محاولات التنصير والاستشراق فى صدنا عن تاريخنا وتراثنا اما منهج الله تبارك وتعالى فهو فوق المراجعه والنقد بثوابته.

ولقد آن الاوان ان نقف وقفة صريحة واضحة امام دعاوى المستشرقين والعلمانيين واتباعهم فى تقديم ما يسمى التاريخ الاقليمى وحجب الجوانب الاساسية فى علاقة المسلمين بالغرب وحذف بعض الوقائع والبطولات من تاريخ الاسلام بالباطل.

ومحاولة انشاء تاريخ اقليمى لكل بلد اسلامي تحت عنوان الشخصية القومية، دعوى باطلة وكاذبة فليس هناك شخصيات قومية فى الامة الاسلامية منفصلة تماما عن الذاتية الاسلامية اساسا التى تشكلت عليها هذه الامة منذ اربعة عشر قرنا وان محاولة اقامة تصور اقليمى مستقل لكل وطن سواء اكان مصر ام سوريا ام العراق ام غيرها فهو وهم باطل يراد به أمران خطيران:

(الاول) : تمزيق وحدة هذه الامة التي عاشت طوال حياتها متكاملة جامعة لم تتفرق الا فى خلال هذه الفترة القصيرة التى كان الاستعمار فيها عاملا لهدم الوحدة الاسلامية واسقاط الخلافة الاسلامية.

ولقد كانت كل العوامل تؤكد وحدة هذه الامة وتوجه احساس ابعدها فى الغرب بابعدها فى المشرق فى اى حادث او أزمة ذلك لان هذه الامة تشكلت على وحدة الفكر التى اقامها الاسلام والقرآن.

فكيف يمكن اليوم ان نجعل لكل قطر تاريخاً مستقلاً وكيف يمكن فصله عن الشكل الجامع، هذه محاولة دعاة الشعوبية والاقليمية وهى محاولة باطلة عجزت خلال

هـذه أمتكم

الأمة الإسلامية جاءت لتكون لها السيادة، لا أن تكون تبعاً ذليلاً

العقود الماضية كلها عن تحقيق اى هدف صحيح.

وقد تبين بالدراسة المنصفة ان عوامل الوحدة والتشابه والتكامل تمثل اكثر تراث هذه الامة، اما عوامل الخلاف حول الجو او الجغرافيا او تنوع الثروات فقد جاء ليمثل تكامل عناصر هذه الامة فما هو موجود فى احد اقطارها مكمل لغيره فى القطر الآخر.

(الثانى) : خدعة (الشخصية الخاصة) فهو ذلك الحقد الذى يملأ قلوب المستشرقين والغربيين نحو الدولة العثمانية التى حمت الوجود الاسلامى اربعمائة عام والتى ادخلت فى نطاقها كل اقطار الاسلام من المغرب الى الشام حيث لم تكن هذه الوحدة قسرية او جبرية وانما كانت ضرورة ملزمة قبلت بها كل الاطراف.

اما اعتماد هؤلاء الكتاب على بعض كتب التاريخ التى كتبها الاقليميون امثال ابن تغرى بردى والمقريزى وابن اياس وغيرهم فهو عمل باطل اساسا وكيف يمكن ان يقال ان كتابة تاريخ إقليمى لقطر يؤدى الى دراسة الشخصية الاقليمية، اذا كانت هذه الشخصية قد صاغها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا وان كل المؤرخين المنصفين ومن بينهم بعض الغربيين قد قرروا ان الاسلام حين جاء احدث (انقطاعا حضاريا) فاصلا بين ما كان قبل الاسلام من اديان وعقائد ، وما بعده بل لقد اعتبر بعض الباحثين هذه الاديان مقدمة للاسلام الدين الخاتم الذى جاء للبشرية كلها والى يوم القيامة.

انك ترى فى كلمات هؤلاء الدعاة الى الباطل روح الحقد والكراهية للدولة العثمانية وهى كراهية مستمدة من التبعية للغرب الذى يحمل خلافا مع الاسلام اساسا ومع الدولة العثمانية التى اقتحمت اوربا واقامت دولة استمرت اربعمائة عام (١٥١٧ - ١٩١٧) كانت خلالها موضع المؤامرة المستمرة التى لم تتوقف.

ان الشخصية الاسلامية فى أى بلد اسلامي ليست شيئا آخر غير الشخصية الاسلامية العامة التى صنعها القرآن وكل عوامل الطقس والجغرافيا هى عوامل جانبية اضافية لم تؤثر فى بناء الشخصية التى اقامتها العقيدة، والثقافة والتراث الاسلامى على مدى هذا التاريخ الطويل.

ان دعوة اقليمية التاريخ انما تعتمد فى اقلام هؤلاء الكتاب على معطيات يسخر منها الباحثون الاصلاء وهى لا تقل فساداً وتفاهة عن التفسير الماركسى للتاريخ الاسلامى الذى حاول البعض ان يقدمه خلال العقود الاخيرة وهى محاولة قومية ساقطة لا تقوم لها قيامة لانها تخدع الناس بوسائل عارضة ليس لها وزن حقيقى.

ما احوجنا الى اعادة النظر فى تاريخ مسلمى وسط آسيا الذين يواجهون خطراً شديدا متصلا بتاريخهم الاسلامى وكذلك الامر فى قضايا مسلمى البوسنة وعلاقتهم بالدولة العثمانية كل هذا يحتاج منا ان نعيد النظر فى تاريخنا وفق مفهوم اصيل فى سبيل تحقيق هدف الانتماء الاسلامى الاصيل الذى تحاول المفاهيم المغلوطة أن تخدعنا عنه.. والانتماء الاسلامى الاصيل يرتفع فوق مسألة الأرض والوطن والقوم وهذا الانتماء يرتبط بالوحدة الاسلامية الاصيلة التى تجمع المسلمين من جديد.

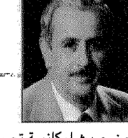
التاريخ الاسلامي يحتاج الى دراسة منهجية دقيقة

الانسان والتمدن



الانسان نبتة مفكرة كما يقول باسكال، أو حيوان ناطق (مفكر) كما يقول الفلاسفة، فالانسان، كما يقولون يختلف عن بقية الحيوانات في أنه طور لنفسه لغة وكتابة سهلا عليه الاتصال بزملائه وتبادل المعلومات معهم، كما ساعدته «يده» الفريدة على صناعة الأدوات التي سخر بوساطتها، تدريجيا ، الطبيعة لخدمته، وبالاضافة الى ذلك عرف الانسان استخدام النار، وتمكن من اشعالها كلما كان يحتاج اليها. يضاف الى ذلك كله ابتكاره لأنماط سريعة وفعالة من وسائط النقل للناس والبضائع من مكان الى آخر.

بقلم:
حسني عايش
الأردن



ولذا ينظر كثير من علماء الانسان الى تاريخه على أنه قصة ذلك التطور والتنوع والارتقاء في الأنظمة الثقافية (بما في ذلك أنظمة العلم والتقنية) التي أفرزها حوار الانسان أو تفاعله مع البيئة من حوله، بشقيها الحيوى وغير الحيوى، والمختلفة من مكان الى آخر في نفس الزمان ، ومن زمان الى آخر في نفس المكان.

لقد أدت الضغوط البيئية المستمرة على الانسان الى استجابته لها بصور شتى، وتمثلت تلك الاستجابة بالأنظمة الثقافية التي اشرنا اليها. فكانت كل استجابة يقوم بها الانسان تولد معلومات جديدة تؤدى الى مزيد من التطور الثقافي.

وفي نظرة الفلاسفة لجميع منجزات الانسان وبخاصة التقنية منها يعتبرونها امتدادا لأجهزته العضوية الجسمية كما في عصر الصناعة والعقلية كما في عصر ما بعد الصناعة، بل ان بعضهم ينظر الى الثقافة التي صنعها الانسان عبر العصور كامتداد أو تطوير خارجي للثقافة (In-formation) أو المعلومات الفطرية أو الجينية في الخلية الحية. تلك الثقافة أو المعلومات التي ظلت لملايين السنين وقفا على النظام البيولوجي، وتنتقل في النوع الواحد أو تحفظ خصائصه النوعية من جيل الى جيل بيولوجياً أو جينياً. الا أن الانسان ونتيجة تفاعله مع بيئته تمكن من تطوير هذه الثقافة باضافة ثقافة أو معلومات جديدة اليها، تعتبر في التحليل النهائي امتدادا أو انعكاسا لها. فمثلما كانت المعلومات الجينية تنتقل بالجين من جيل الى جيل لتحفظه وتصون نوعه البيولوجي صارت الثقافة الجديدة تنتقل باللغة والكتابة من جيل الى جيل وفي كل مجتمع لتحفظه وتصون نوعه الثقافي.

ومثلما كان البقاء مكتوبا للأصلح بيولوجيا أو جينيا فى عهد التاريخ البيولوجى أو الطبيعى للانسان صار البقاء يكتب للأصلح ثقافيا (علميا وتقنيا) فى عهد التاريخ الصناعي أو الثقافي للانسان.

ومعنى ذلك واضح، وهو أن الانسان كنوع يمكن أن يبقى أو يستمر بطرق جديدة ومختلفة تماما عن طرق بقاء انسان ما قبل الثقافة أو الصناعة. لقد جعلت قدرة الانسان على استنباط المعلومات وتكوينها وحفظها واسترجاعها وتوظيفها وتطويرها من جيل الى جيل، الانسان أقوى مخلوق على الأرض من حيث امكانية تحسين نوعه وتحرير نفسه وتحويل بيئته لخدمة أغراضه.

وبما أن الثقافة تتجدد باستمرار وبما أن العنصر الأساسى في هذا التجدد هو العلم أو على الأصح البحث والتطوير والابداع فان فرص نمو الانسان وبقائه تزداد وتتسع وتعلو بالبحث والتطوير والابداع (وتلك هي الأصالة). لعل مصير أى مجتمع لا يعي هذه الحقيقة هو السكون أو الاندثار.

في ضوء ذلك يحق لنا أن نردد ما يذهب اليــه بعض المفكرين من أن الثقافة او المعلومات وبخاصة عندما تكون في حالة حـركـة (تقنيـة) هي شكل من أشكال الطاقــة، بل انهــا أرقى أشكال الطاقـة، لأنهـا لا تفنى ولا تضعف بالاستخدام٠

انهـا لا تسـتـهلك أبدا٠ لعل هذه النقطة هي التي تدعو بعض المفكرين اليـوم الى طرح تقـسـيـم جـديـد للمجـتـمـعـات في عـصـر مـا بـعـد الصناعـة أو عـصـر التـقنيـة الذى نعـيش فـيـه، وهـو تقسـيـمـهـا الى مجتمعات غنية بالمعلومات، وأخرى فقيرة بها.. وعليه قد لا يكون التقدم نحو مستقبل أفضل ممكنا بمخاطبته أو بالتحدث معه بالأشكال الماضية، وانما باكـتـشـاف أو بخلق امكانات جديدة للغد٠ ان العجز ـ عجز أى مجتمع معاصر ـ عن اكتشاف أفكار جديدة وموارد جـديدة، وتوظيـفـهـا بذكاء لمواجهة ضغوط التغير تمنح قوى الانتخاب الثقافي (التقنى) الذى اخذ يحل محل الانتخاب الطبيعي، الفرصـة المؤاتيـة لتنحـيـة أو طمس الثقافات الأقل قابلية للبقاء وعبور المستقبل.. ان كثيرا من مؤسسات العـالم الثـالث تشكوا من القـيـم والممارسـات المعوقة (بكسـر الواو) للتقدم، انها تخلو من الاستراتيجيات أو الخطط القـادرة على مـواجـهـة التغير، لأنها كما يبدو تعتبر التغير أو الدعوة اليه تهديدا لها لا فرصة ذهبية يجب اغتنامـها للانتقال الى مـرحلة أرقى.. اذن يجب علينا، في العـالم الثـالث تطوير مـؤسـسـاتنا المختلفة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، لاستيعاب هذه الحـقـائق، وذلك يتطلب تفكيك الحواجز المصطنعة أو الزائفة الماثلة فيـهـا التي تفصل اليوم عن الغد، والثـقافـة الوطنيـة أو القـوميـة عن الثـقـافـات الأخـرى، وبخـاصـة في عصرنا الذي يتجه نحو التجانس

الانفتاح الثقافي أصبح ضرورة لعبور المستقبل

نتيجة للتجانس العلمي والتقني بين أجزائه.. لعل تقوقع بعض المجتمعات وضربها ستارا حديديا حول نفسها لا يحميها من أثر الصدمات الثقافية التي سـتـصـيـبـهـا لو فـتـحت الأبواب لأنهـا تفـعل ذلك في الوقت الذى لم يعـد للتـعلم بالصـدمـة مـجـال في عـصـرنا، بعد أن حل محله التـعلم بالاستباقية والمشاركة.. لعل ما مر ينفعنا كثيرا في محاولتنا الاجابة على السؤال المطروح٠٠ فـهل السؤال في محله لأن المقارنة غير واردة ٠٠ اذا نظرنا الى هذه الجـوانب من منظور التطور الانساني؟ ان كل عملية تطور أو قـفـزة تطور تعني اخـتـفـاء ظواهر وعـمليـات من حـيـاة الانسـان لبروز ظواهر وعمليات جديدة٠ ان السؤال يوحي بأن الانسـان كـان يملك او هو يملك الآن خـيـــار التـطور أو عـــدم التطور٠ انني اعـتـقـد ان الإنسـان لم يملك اختيار عدم التطور، ولكنه يملك اخـتـيـار البـدائل وأشكال وأسـاليب الاسـتـجـابة للتـحـديات والضـغـوط لتـحـقيق نفس الغـاية وهي اسـتمرار النمو وتعزيز البقاء٠

ومما يزيد في صعوبة الاجابة على السـؤال عـجـز المجيب عن بيـان أية مـسلوبات يقـصـدهـا السـؤال: هل يقصد ما سلبه العلم والتقنية منه في حياته هو أم في حياة الانسان؟ أم يقصد فترة ما من حياة الانسان؟ ان في السـؤال المطروح نوعـاً من الفوسـتاليـجيا الشـخصيـة (الحنين للمـاضي) التي نتـشـبث بهـا عند حدوث الصـدمة الثقـافية، أو عندما يكون التغير شديدا أو عاصفا٠

ومع هذا كله اسمحوا لي أن أورد بعض الأمثلة أو المقارنات٠

١ ـ تطويل فـتـرة الطفـولة ونشـوء المراهقة:

لعل أهم نتيجة للثورة الثقافية أو المعلومـاتية في تـاريخ الانسان، كـمـا أشرنا اليـهـا ـ هـي تطويل عـجـز أو مـدة عـدم فـاعليـة أو فـائدة الطفل الانسـاني، وكـذلك نشـوء المراهـقـة حـيث نمـا كل منهـا طرديا مـع نمو الأعـبـاء الثـقـافـيـة المنتظرة٠ فلكي يحـصل الطفل أو الفتى على مكانه في المجتمع أصبح لزاما عليهما تعلم ثقافة مجتمعهما واتقانها، وبما أنها أصبحت معـقدة، فـان الوقت اللازم لتعلمـها صـار يطول٠ لم يعد الطفل قـادرا على الاعـتـمـاد على المعلومـات البيولوجية (الفطرية) التي تزود بقية الحـيـوانات بهـا عند ولادتهـا لتـقـوم بالوظائف الحيوانية النوعية اللازمة مباشرة بعد الولادة، ليصبح عضوا في المجتمع٠ لقد أصبح بحاجة الى قـضـاء فـتـرة من الوقت تطول أو تقـصـر حـسب درجـة أو مـسـتـوى الثقافة السائدة لتعلم ثقافة مجتمعه ليعترف به فيه.. أما بالنسبة لنشوء المراهقة فـان بعض المفكرين يرى أن المراهقة ليست مرحلة طبيعية في حياة الانسان، وانما حـالة ثقافية من صنع الانسان «الثقافى» انها الفجوة بين اكتمال النضج الجسمي والعقلي في سن الخـامسة عشرة مثلا، وبين اكتمـال النضج الثقـافي الذى لا يتم هذه الأيام حتى الخامسة والعشرين تقـريبـا، وهي السنة التي يمكن أن ينتهي فيها التعليم العالي أو يتخرج بهـا المراهـق الشـاب في الجـامـعـة أو ينتهي فيها اعداده للعمل والحياة ٠

لقد كانت هذه الظاهرة خفيفة الأعباء في التجمعات التقليدية بسبب المباشرة والسرعة التي كان يتم فيها اعداد الفتى للقيام بدوره في المجتمع، ولكنها اليوم ظاهرة مثقلة بالأعباء بسبب المتطلبات الثقافية الكبيرة التي يجب على المراهق تلبيتها ليتم الاعتراف به في المجتمع.

٢ - المناعة التقنية مقابل المناعة الطبيعية:

عندما كان الانسان في عصوره الأولى تبهره الظواهر الطبيعية كان بقاؤه يتوقف على درجة تكيفه أو قابليته للتكيف مع الطبيعة، فكان البقاء للأصلح أو للأقوى بيولوجيا. ومن ثم كان يكتب البقاء لذوى المناعة الطبيعية. لقد كان الانسان في تلك الفترة يجهل قوانين الطبيعة، ولذلك كان يخضع لها خضوعا سلبيا أو أعمى بوجه عام. وكان كلما ألمَّ به زلزال أو ثورة بركان أو فيضان أو اعصار أو حريق يحاول معالجة ذلك بالسحر والشعوذة والخرافة والطقوس.

لقد كانت الظواهر الطبيعية مصدر القوة أو التهديد بالنسبة للانسان، وبخاصة عندما تزيد قوة تقلباتها عن رصيد التكيف أو المناعة الطبيعية المتكونة لديه.

وعند دخول الانسان في الصناعة أو الثقافة، صار بقاؤه يتوقف على درجة تكييفه للطبيعة وتسخيره لها، وبمرور الوقت، أخذ الانسان يفقد مناعته الطبيعية لصالح اكتساب المناعة التقنية. لقد استطاع الانسان تحقيق هذه النقلة التي كانت بطيئة في الماضي وأصبحت سريعة في الوقت الحاضر لأنه تمكن بمرور الوقت والتجربة والخطأ ثم البحث المنتظم من فك رموز الطبيعة أو شفرتها، أى من معرفة قوانينها ثم تطبيقها بالتقنية المناسبة لخدمة أغراضه. وكنتيجة لذلك تحول

الثقافة كائن حي تنمو في اتساع مساحة العقل البشري

الانسان من عبد للطبيعة أو خاضع أعمى لها الى سيد لها (وفي حدود معينة طبعا) ولكن الى عبد في نهاية الأمر للتقنية التى صنعها لقد أصبحت التقنية أو الانتخاب الثقافي او التقني مصدر القوة وأيضا مصدر التهديد له. يكفي اقتلاع جزء من سكة الحديد في اليابان لارباك حركة وعمل ٢٩ مليون ياباني، وانقطاع الكهرباء في نيويورك تكفي لحدوث اضطراب شامل فيها. لعل تعطل محطة لتوليد الطاقة أو تعطل الهاتف أو انفجار أنابيب توزيع الماء.. الخ يكفى لزلزلة المجتمع المعاصر، وتحويل الحياة فيه الى جحيم وانكشاف الانسان أمام الحقيقة أو الطبيعة التي كانت التقنية تستر عورته عنها.

اذن فقد حلت المناعة التقنية محل المناعة الطبيعية، ومن ثم ليكتب البقاء اليوم لمجتمع ما يجب عليه أن يملك التقنية بحثا وتطويرا وانتاجا واستخداما وصيانة (وتلك هي الأصالة). وبعبارة أخرى تزداد المناعة التقنية في مجتمع ما طرديا مع درجة انبثاق التقنية منه وتطويره وانتاجه واستخدامه وصيانته لها، والا كان مجرد مستهلك لها (وتلك هي المعاصرة) وعندئذ تكون الطاعة الكبرى وهي عندما يفقد المجتمع المناعتين الطبيعية والتقنية.

والآن قد تتساءلون: أية مناعة أفضل؟ لكن هل يصح طرح هذا السؤال الآن؟، وهل كان طرحه ممكنا أو يخطر على بال المخترع الأول من الناس؟ هل يمكن الرجوع أو التراجع؟ انني لا اعرف أجوبة مثل هذه الأمثلة؟.

٣ - التقدم وسلبياته :

أدى التقدم الطبي العلمي والتقني مثلا - وقاية وعلاجا - الى تقدم صحي كبير مما أدى الى زيادة فرص البقاء - بأمر الله تعالى - ومعدلات الحياة وارتفاع معدل النمو السكاني الي مستوى الانفجار، فزاد عدد السكان بصورة لم يشهد العالم لها مثيلا. ولكنه أدى الى زيادة الضغط على المصادر واقتراب كثير منها من النضوب، رغم التقدم الزراعي انتاجا وانتاجية، والذي افرز بدوره سلبيات زراعية كثيرة مثل تآكل التربة السطحية وزيادة الملوحة والسموم فيها، كما أدى التقدم العلمي والتقني الى ظهور أمراض جديدة مثل أمراض السكر وضغط الدم والقلب ... الخ، كما ادى الى تلوث البيئة بمختلف اشكالها والى تهديد حياة الانسان.

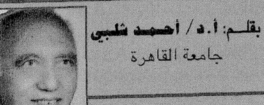
ثقافة الانتخاب التقني في مواجهة ثقافة الطبيعة الفطرة ولأيهما يكون البقاء، هما مدار هذه الدراسة، حيث ركز الكاتب بصور مباشرة على أن البقاء للسبق التقني في زماننا هذا، ولا يستطيع أحد أن يقلل من الأهمية التقنية، الا أن السبق التقني إن لم تصاحبه روح شفيفة ضابطة لذهبت بنا التقنية مذاهب الهلاك.. ونعلم أن العلم حقيقة محايدة والانسان هو الذي يسخره للخير أو للشر.. ومتى ما فقد الانسان المسخر لهذا العلم الروح الموجهة الواعية حصل الدمار والهلاك.

المنهل

التاريخ الاسلامى خلال مسيرته الطويلة مرّ بكثير من النتوءات صنعها بعض أولئك الذين كانت لهم أغراضهم في خلق الفتنة بين المسلمين، بل مَنْ كانت لهم أطماعهم السياسية في قيادة المسلمين، وابعاد أهل الحق عن حقهم.. ولقد عرف التاريخ الإسلامي عدداً من الخارجين الذين كانت لهم أهواؤهم.. ومن هؤلاء (الخرمية - الفضل بن سهيل - حركة الزنج وصاحب الزنج).. وفي هذه الدراسة نقف على الحقائق التاريخية التي سجلت لهؤلاء الخارجين.

المنهل

حركات فارسية مدمرة ضد الاسلام والمسلمين عبر العصور







بقلم: أ. د/ أحمد شلبي
جامعة القاهرة

الخرمية :

كانت الخرمية - بالخاء المعجمة - قذيفة فارسية من القذائف التى انطلقت على العالم الاسلامي فتسببت في إزهاق الأرواح وإسالة الدماء ونشر المنكر، وربما كانت الخرمية أقوى من سواها من الحركات المشابهه لأنها بالغت في عدائها للعالم الاسلامى فتحالفت مع الروم ضد المسلمين كما سنرى فيما بعد.

وكانت هذه الطائفة تنطق (الحرمية) بالحاء المهملة لأنها كانت قبل الاسلام تحرم القتل والغصب والحروب والتنكيل والتعذيب، وقد وجدت هذه الطائفة قبل الاسلام، وكانت امتدادا لأفكار مزدك، ولذلك كانت تقول بالتناسخ وتغرى باللذات والانعكاف على الشهوات والاختلاط والمشاركة في اباحة المحرمات.

وظهر بابك في مدينة بفارس اسمها (خرّمة) تقع بالقرب من اردبيل، ونُسب بابك لها فأصبح يطلق عليه (بابك الخرمى) وورث بابك أخلاق (الحرمية) ولكنه أضاف لها كل ضروب القسوة والتنكيل.

وقد انتهز بابك المشكلات التي سبقت عهد المأمون وعاصرت سنيه الأولى فظهر سنة ٢٠١هـ فى أذربيجان وقوىَ أمرُه وعز جانبه حتى أوشك أن يعزل المقاطعات الفارسية عن العرب، وقد أرسل له المأمون عددا من أكبر قواده. ولكنهم منوا بالهزائم المتعددة، وأصبحت همذان وأصبهان تابعة له.

وكان الامبراطور الرومانى ميخائيل الثانى معاصرا للخليفة المأمون، وكانت بينهما وقائع وحروب طاحنة، فانتهز بابك فرصة انشغال المأمون بهذه الحروب ووسع دائرة نفوذه فى منطقة الجبال، وامتد سلطانه نحو عشرين عاما، بل انه اتصل بالامبراطور الرومانى وتحالف معه ضد المسلمين، ففتح بذلك جبهة ثانية امام المأمون عوّقت انتصاراته، ومات المأمون بعد أن أضعف شوكة بابك ولكن دون أن يقضى عليه، ووكل ذلك لأخيه المعتصم.

وأعد المعتصم حملة كبيرة بقيادة قائده التركى الأفشين، وبعث بها لمحاربة هذا الثائر، ولما ضيق عليه الخناق، وأحس بابك أن الدنيا ضاقت به، أرسل الى الامبراطور ثيوفيل بن ميخائل، يخبره أن جيوش المسلمين اجتمعت عليه، ويغريه بالخروج لغزو بلاد المسلمين ويُمنّيه بأن الغزو سيكون سهلا ما دامت جيوش المسلمين مشغولة في حربها معه، واستجاب ثيوفيل لنداء بابك، وكان بذلك يخدم غرضين، فهو يخفف الضغط عن حليفه، ثم هو يثأر لأمته من المسلمين الذين طالما نكلوا به وبقومه، ولكن المعتصم كان حازما، فاحتمل طغيان البيزنطيين على أرضه دون أن يخفف ضغطه على بابك،

وظل كذلك الى أن انتصر عليه. وشتت شمل جيشه، سنة ٢٢١هـ، واستطاع أن يقبض على بابك وأخيه عبد الله وبعض آل بيته، ويدخل بهم سامرا وهم أسرى مكبلون، وقتل بابك وصلب بسامرا، وقتل عبد الله وصلب ببغداد، وكان يوم الانتصار على بابك من أزهى أيام النصر التي شهدها المسلمون.

ومن العقائد التي نسبت للخرمية أنهم كانوا يدينون بأن أبا مسلم الخراساني كان إمام المسلمين بعد السفاح، وكان منهم من اعتقد في رجعته، وأنه سوف يظهر وينشر العدل في الدنيا، ولم يُعد الخرمية من الثورات التي قامت للثأر لأبي مسلم لان بابك كان ينافس أبا مسلم في سلطانه، ولم يعدّ نفسه تابعا له.

مرة أخرى ما أشد الويلات التي أصابت الاسلام والمسلمين من المتمردين والطغاة الفرس، وقد وصل طغيانهم الى الخيانة العظمى. إذ تحالفوا مع أعداء

وأول لبنة وضعها الفضل بن سهل كانت عندما انتفضت خراسان على الخلافة الاسلامية بقيادة رافع بن ليث في عهد الرشيد، فقد عجزت جيوش الخلافة عن ردها إلى الطاعة، ورأى الرشيد ضرورة أن يذهب بنفسه الى خراسان ليباشر هذا الأمر، وحينئذ استخلف على البلاد ابنه الأمين ولي العهد الاول وطلب من المأمون أن يبقى في بغداد يساعد أخاه، وهنا بدأت حنكة الفضل بن سهل. فقد قال للمأمون: لا تقبل، وسَلْه أن يشخصك معه، فإنه عليل وغير مأمون إن يحدث عليه حادث أن يثب عليك أخوك فيخلعك، وأمه زبيدة وأخواله من بني هاشم، فسأل المأمون أباه أن يشخصه معه، وألحَّ، فأجابه بعد امتناع.

وقد بدأ المأمون بهذا يفلت من استبداد الأمين وسطوته، وسار المأمون مع الرشيد في طريقهما الى خراسان، غير أن العلة استفحلت على الرشيد في أثناء

الخرمية.. ظنوا الخراساني خليفة السفاح

الاسلام في وقت الحرب فكانت ضرباتهم للإسلام والمسلمين من الداخل عن طريق أسلحتهم ومن الخارج عن طريق أسلحة الرومان.

الفضل بن سهل:

تعطينا المصادر التاريخية إشارات واضحة تبرز أن الفضل بن سهل كان - من ناحية العقيدة - واحدا من زعماء الزنادقة الذين يخفون الزندقة ، ويتظاهرون بالاسلام ، وكان - من الناحية السياسية - يعمل جاهدا لحساب نفسه وحساب بلاده فعن زندقته يقول ابن النديم: (الفهرست ٤٧٣) كان الفضل بن سهل والحسن أخوه من زعماء الزنادقة، ولكنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام، وعن أطماعه السياسية يقول ابن طباطبا (الفخري ١٩٦) إن الفضل كان من أولاد ملوك الفرس قبل الاسلام ولذلك كان يطمع في أن يستعيد هذا النفوذ للفرس عن طريق الخلفاء المسلمين، يروى أن مؤدب المأمون قال للفضل مرة: إن المأمون لجميل الرأي فيك، وإني لا أستبعد أن يحصل لك من جهته مال كثير. فاغتاظ الفضل من ذلك وقال للمؤدب: ألك عليَّ حقد؟ ألي إليك إساءة؟ فقال المؤدب: لا والله، ما قلت هذا الا محبة لك، فقال: أتقول لي إني أحصل عن طريقه مالا كثيرا؟ والله ما صحبته لأكتسب منه مالاً قلَّ أو جلَّ ، ولكن صحبته ليمضي حكم خاتمي هذا في الشرق والغرب.

وبدأ الفضل بن سهل يعمل لهذا الهدف منذ كان مسئولا عن رعاية المأمون في حياة والده هارون الرشيد،

رحلته، فحطَّ رحاله في طوس، ثم أمر المأمون أن يأخذ بعض الجند ويواصل سيره الى خراسان، ففعل، وصحب معه كاتبه ومدبر أمره الفضل بن سهل، وأحس الرشيد بالمرض يزداد به فجدد العهد لأبنائه الثلاثة، وأوصى بما معه من مال وعتاد لابنه المأمون، كما أوصى أن يلحق بالمأمون من تبقَّى بطوس من القواد والجنود، ولم يطل به المقام فلفظ أنفاسه الاخيرة بطوس ودفن بها.

وتوالت بعد ذلك أيادي الفضل بن سهل على المأمون، ولم يدخر وسعا في نصحه والإخلاص اليه:

عندما حنث قواد الرشيد وجنوده بالعهد ورجعوا من طوس الى بغداد، همَّ المأمون بأن يلحقهم ببعض جيشه ليردهم، ولكن الفضل بن سهل قال له: إن فعلت ذلك لم آمن ان يقبضوا عليك ويجعلوك هدية الى محمد.

وفي بلاد فارس نصحه الفضل بالتقى وحسن الصلة بالعلماء والعظماء والرعية، وبهذا أحبه أهل خراسان وأقبلوا عليه، وكانوا يقولون: *ابن أختنا، وابن عم رسول الله ﷺ* ، ولما رأى رافع بن ليث سيرة المأمون انقاد له، ودخل في طاعته سنة ١٩٤هـ فأعطاه الامان، وسار اليه رافع، فأكرمه المأمون وخُصَّ به.

ولما اشتد الخلاف بين الامين والمأمون من أجل ولاية العهد خاف المأمون عاقبة ذلك فرقَّ وعزم على الاجابة الى خلع نفسه، ومبايعة موسى بن الامين، فخلا به الفضل وشجعه على الامتناع وضمن له الخلافة، وقال له هي في عهدتي.

ابن سهل خادع المسلمين لإرجاع الحكم للفارسيين

وبدأت الجولة العسكرية التى كان لها وحدها الفصل فى هذا الخلاف، وهنا بذل الفضل جهودا كبيرة لترجح كفة المأمون، وكان من هذه الجهود حسن اختيار قادة جيشه، وحسن اعداد الجيش بما يلزمه من مال وعتاد، ثم كان منها تلك الحيلة التى جعلت قائد جيش الامين شخصا كريها لا يمكن أن يتحقق على يده انتصار وهو على بن عيسى بن ماهان.

فقد أمر الفضل بن سهل أعيان بلاد فارس أن يرسلوا رسائل الى على بن عيسى بن ماهان الذى كان واليا على خراسان فى عهد الرشيد، والذى أساء السيرة وطغى وبغى، فعزله الرشيد لذلك، وفى هذه الرسائل المصطنعة يذكر هؤلاء الأعيان لعلى بن عيسى أنه إن قاد جيش الأمين فله عليهم السمع والطاعة.

وقدّم على بن عيسى هذه الرسائل للأمين، وانطلت الحيلة على الامين فعينه قائدا لجيشه وواليا على خراسان عندما يتم انتصاره على جيش المأمون، ولما عرف الفرس ذلك زاد حقدهم على الامين لانه عين عدوهم اللدود لحربهم والولاية عليهم.

كل هذا جميل من الفضل بن سهل، وكان المأمون أول المعترفين بأياديه وحسن تدبيره وما إن ظهرت للمأمون علامات نصره، وبدأت جيوش الامين تتراجع، وتنهزم، حتى أغدق المأمون على الفضل ومنّاه وعظم شأنه.

وجعل المأمون للفضل لقب الإمارة مع لقب الوزارة، وهو أول وزير يُجمع له اللقبان.

وكتب له توقيعا طويلا يدل على مدى إجلاله له، واعترافه بفضله، وكان مما جاء فيه: أغنيك يافضل بن سهل بمعاونتك إياى على طاعة الله، واقامة سلطانى، فرأيت أن أغنيك وأحببت أن أسبق الى الكتاب لك بخطى، بما رأيته على نفسى، وقد أقطعتك السيب بأرض العراق، عطاء لك ولعقبك، لما أنت عليه من النزاهة عن أموال رعيتى، ولما قمت به من حق الله وحقى.

وبلغ من اكرام المأمون له وتقريبه اليه أن عرض عليه أن يزوجه احدى بناته.

وسارت الامور على هذا النحو من الحب والتعاطف بين الاثنين، حتى قتل الامين وآلت الخلافة الى المأمون، وهنا يبدأ الانحراف، من جانب الوزير الذى أخذه الغرور بعد ذلك وكأنما خطر له أن يجعل هذا الملك ملكا له، وأن يستعيد لخراسان سلطانها وسيادتها فمال الى أن يجعل للمأمون الاسم، ولنفسه القول والعمل، وسلك طريقا وعرا، كان هو فاتحه، وكان ضحيته، وكان فى هذا الطريق يحقق ما قاله عنه ابن النديم (الفهرست ص٤٧٣) انه كان زنديقا يخفى الزندقة ويظهر الاسلام، وما قاله ابن طباطبا أنه كان يعمل لحساب نفسه.

وأول ما عُنىَ به الفضل ان يَمُدَّ سلطانه الى بغداد عاصمة الدولة فإن خضوعها له معناه سيطرته على شئون الخلافة كلها، ولكن كيف له أن يستبد ببغداد وفيها البطلان الفاتحان طاهر وهرثمة، ومن أجل ذلك نجده يسارع فيسعى بالإيقاع بطاهر لدى المأمون، فإنه ما إن قتل طاهر الامين حتى دخل الفضل يقول للمأمون: ما فعل بنا طاهر؟ سل علينا سيوف الناس وألسنتهم، أمرناه أن يبعث به أسيرا، فبعث به عقيرا.

وواصل الفضل جهده لإخضاع بغداد له، ولإبعاد القائدين العظيمين عن العراق، فأوعز الى المأمون أن يولى الحسن بن سهل أخا الفضل كور الجبال والعراق والحجاز واليمن، فاستجاب المأمون وكتب الى طاهر وهرثمة أن يسلما ما فى أيديهما الى الحسن.

وحسّن الفضل بن سهل للمأمون أن يجعل على بن موسى الرضا ولى عهد المسلمين والخليفة من بعده، فاستجاب المأمون لذلك، كما أمر جنده بطرح السواد ولبس الثياب الخضر، وكتب بذلك الى الآفاق.

وقد فسّر نعيم بن حازم هذا التصرف من الفضل بن سهل بقوله: إنك إنما تريد أن تزيل الملك من بنى العباس الى ولد على، ثم تحتال عليهم، فتُصير الملك كسرويا.

وكان لهذه الأعمال التى أتى بها الفضل، وبخاصة تحويل الخلافة من العباسيين الى العلويين، صدى كبير فى العالم الاسلامى، ولم يطق أهل بغداد صبرا على هذا العبث وخطر لكثير منهم أن يرحلوا الى مرو ليخبروا المأمون بالحالة السيئة التى وصلت اليها الدولة، والتى كانت نتيجة السياسة الغاشمة التى سار عليها الفضل، ولكن هؤلاء خافوا أن يقبض عليهم الفضل بن سهل كما فعل مع هرثمة وهو يسعى لمثل هذا الهدف، فاجتمع أهل بغداد وخلعوا المأمون، وبايعوا ابراهيم بن المهدى بالخلافة، ولم يتخلف أحد من بنى هاشم عن مبايعته وبعد أن أخذ ابراهيم البيعة استطاع أن يسيطر على السواد والكوفة والمدائن وما حول ذلك.

ولم ينقل الفضل الى المأمون شيئا من هذا. وانما موّه عليه وكذبه، وكان لا يدخل على المأمون الا من وثق الفضل فيه، ومن ثم بقيت الاخبار بمنأى عن المأمون،

حركة الزنج.. جبهة انتقامية لا يحكمها ضابط

وكان على الرضا ممن يدخلون على المأمون وهو شخصية فذه تخاف الله وتميل للإيثار لا للأنانية، فأخبر المأمون بحالة الناس وما هم فيه من فتنة وقتال منذ قُتل الامين، وبما كان الفضل يستر عنه من أخبار، وأخبره أن أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء، وأنهم يقولون عنه: مسحور، مجنون ، وأنهم قد بايعوا ابراهيم بن المهدى بالخلافة، فقال له المأمون: لم يبايعوه بالخلافة، وانما صيروه أميرا يقوم بأمرهم، فأعلمه أن الفضل قد كذبه فى هذا التبليغ، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وابراهيم، وقال للمأمون: إن الناس ينقمون عليك مكان الفضل والحسن منك ومكان بيعتك اليَّ بولاية العهد، فقال: ومن يعلم هذا غيرك؟ فقال: يحيى بن معاذ، وعبد العزيز بن عمران، وغيرهما من وجوه العسكر، فأمر بادخالهم فدخلوا، فسألهم عما أخبره به على الرضا، فلم يخبروه حتى يجعل لهم الامان من الفضل ألا يعرض اليهم، فضمن لهم ذلك كتابة، فأخبروه بالبيعة لابراهيم بن المهدى، وأن أهل بغداد قد سموه الخليفة السنى، وأنهم يتهمون المأمون بالرفض لمكان على بن موسى منه، وأعلموه بما فيه الناس، وبما موه عليه الفضل من أمر هرثمة، وأن هرثمة انما جاء لينصحه، فقتله الفضل، وأضافوا للخليفة أنه إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافة من يده، وأعلموه أن طاهر بن الحسين قد أبلى فى طاعته ما يعلمه، فأُخرج من الأمر كله، وجُعل فى زاوية من الأرض بالرقة، لا يستعان به فى شيء ، وأنه لو كان ببغداد لضبط الملك.

فأدرك المأمون حقيقة الأمر، وعرف الفخ الذى نصبه له الفضل، وأنكر عليه تمويهه الأمر وكذبه عليه، وتحركت شخصية المأمون القوية التى تكره أن تخضع، وتأبى ان تقنع بالاسم وتدع للغير القول والفعل، وعزم أمره على أن يحطم ذلك السجن الذى نسقه حوله الفضل وأعوانه، وقرر أن يرحل الى بغداد، ووجد من الحكمة أن يدارى أمره، وألا يجاهر بالعداء حتى يفلت من هذا الحصار، وأن يدعى أنه ذاهب الى بغداد ليعيد سلطان الحسن بن سهل على المارقين، وبدأ المأمون رحلته فى أوائل سنة ٢٠٢هـ تلك الرحلة التى لها شأن كبير فى التاريخ.

سار المأمون من مرو، ومعه حاشية كبيرة على رأسها الفضل بن سهل، ومعه كذلك بعض الجنود، وظل الركب يسير حتى وصل سرخس فحط الركب رحاله، وفيها دبر المأمون من فتك بالفضل بالحمام فى شعبان سنة ٢٠٢هـ ثم تظاهر المأمون بالحزن العظيم، وطلب قاتليه حتى وجدهم فقتلهم فيه، وأرسل رؤوسهم الى الحسن بن سهل مع تعزية رقيقة، ثم استأنف الركب سيره الى طوس فحط رحاله مره أخرى، وفيها مات على الرضا فجأة، آخر صفر سنة ٢٠٣هـ من عنب أكله، ويقال إن المأمون دس له السم فيه، والانسان يتردد في قبول هذا الاتهام، ولكن الظروف المحيطة ربما دفعت المأمون الى ارتكاب مثل ذلك العمل وبخاصة أنه بعد موت على الرضا بادر فأرسل الى بنى العباس وأهل بغداد يعتذر من عهده اليه ويخبرهم أنه قد مات، ويدعوهم الى الرجوع لطاعته.

واستأنف الركب سيره من طوس، وكتب المأمون الى طاهر بن الحسين أن يوافيه من الرقة، فسار اليه فى جيش عظيم، وفى النهروان التقى المأمون وطاهر وأعيان أهل بيته والقواد ووجوه الناس الذين انفضوا من حول ابراهيم بن المهدى عندما عرفوا أن المأمون عائد الى بغداد، وأن الفضل وعليا الرضا قد قضى عليهما، وأما ابراهيم بن المهدى فانه لما رأى ذلك توارى واختفى، وسار هذا الركب العظيم الى بغداد فدخلها فى صفر سنة ٢٠٤هـ وقد التف الناس جميعا حول المأمون، وعادت الى الخلافة سطوتها، ولم يبق من آثار الماضى سوى لبس الخضرة الذى خلعة المأمون بعد بضعة أيام من وصوله استجابة الى رجاء قواده وأهل بيته.

المأمون وحرمة الدم:

قلنا فى دراساتنا عن تاريخ العباسيين ان ظروفا كثيرة دفعت خلفاء هذا العصر الى الأخذ بالشبهة، والى تدبير المؤامرات للقضاء على من خيف منه المروق، أو ظهرت منه بادرة عقوق، وعلى هذا فتك المنصور بأبى مسلم الخراسانى وبعبد الله بن على وابن المقفع وأبى أيوب الموريانى، وفتك الرشيد بالبرامكة، ويمكن أن يشمل هذا الباب أيضا تلك المؤامرة التى دبرها المأمون للقضاء على الفضل بن سهل، وتلك التى راح ضحيتها على الرضا.

ولكن من الواضح أن المأمون كان لا يحب سفك الدماء، وكان يكره الغدر، ويميل الى العفو والتسامح، وأنه ان كان قد لجأ الى التآمر للتخلص من بعض الافراد، فان ظروفا قاهرة كانت تدفعه، ومشكلات عظيمة كانت تؤثر فيه، فقتله بعض الاشخاص كان للضرورة الملحة التى تحتمه، ومن أجل هذا عفا عن الفضل بن الربيع والحسين بن الضحاك، وكانا من أعوان الأمين

في العصر العباسي تعددت الحركات الانفصالية عن الدولة

ضده.

وظاهرة أخرى بدت فى أعمال الفتك التي أوعز بها المأمون، فان فتكه كان مقصورا على من يُخشَ أذاه، لا يتعداه الى أهله أو الى مصادرة أمواله.

وظاهرة ثالثة كانت تلازم المأمون فى هذا الشأن كذلك، وهى أنه كان يبدو وكأن لا يد له فيما حدث، ولا تدبير منه، فهو لا يجاهر به بعد فعله، ثم كان يبذل أقصى الجهد ليخفف وقع المصاب على أهل ضحيته وذويه، فقد روى أنه بعد موت الفضل دخل على أمه فوجدها تبكي، فقال لها: أنا ابنك مكانه يا أماه فدعى البكاء، فقالت : إن ابنا ترك لى ابنا مثلك لجدير أن يبكى عليه.

ولم يكتف المأمون بهذا، بل استوزر الحسن بن سهل بعد أخيه، ومال اليه، وتزوج ابنته بوران.

وأما بالنسبة لعلى الرضا فان المأمون زوج ابنته الأخرى من ابن على الرضا، وظل يغدق على العلويين ويحسن اليهم والى شيعتهم، وكان عهده لهم عهد يسر ورخاء.

هذه خيوط مؤامرة فارسية أخرى اتجهت لسلب السلطة من خلفاء بنى العباس ليصبح الفرس قادة العالم الاسلامى وسادته، ولكن هذه المؤامرة اصطدمت بشخصية المأمون وكان المأمون شخصية فذة، تصعب السيطرة عليها وسلب السلطان منها، ولذلك هوى زعماء هذه المؤامرة كما هوى غيرهم من الزعماء الفرس الذين اصطدمت بمكانة الخلفاء العباسيين الاوائل.

حركة الزنج :

تعددت الجماعات الفارسية التى صارعت الاسلام والمسلمين من عصر الى عصر، وكانت حربهم بالفكر أحيانا، وبالسيف أحيانا، وربما اتخذوا السياسة طريقا للوصول الى أهدافهم، ومن أشهر ثوار الفرس الشعوبية والموالى والباطنية، والزنادقة الذين اتخذوا جانب الفكر للهجوم على الاسلام، ومنهم مدعو التشيع وسنباذ والخرمية الذين أثاروا الحروب ليملأوا أرض الاسلام بالدم والصراع، وليشغلوا المسلمين عن مواصلة العمران وترقية الشعوب الاسلامية، ومنهم أبو سلمة الخلال وأبو مسلم الخراسانى والفضل بن سهل هؤلاء الذين اتخذوا الحيل السياسية ليقفزوا للسلطة على أكتاف الخلفاء العباسيين الاوائل، ولكنهم دفعوا رقابهم ثمنا لهذه المغامرات.

وحركة الزنج من الحركات الفارسية المارقة، الحافلة بالدم والتى تضم الى الخرمية فى ميلها لسفك الدماء، والتخريب.

تنسب هذه الحركة الى الزنج الذين كانوا يعيشون فى البصرة والذين استغلهم على بن محمد (أو على بن عبد الله الملقب صاحب الزنج) فى حركة كان يرمى بها الى تحقيق أطماع وطموح فى نفسه وقد سلك هذا الرجل عدة وسائل، وقام بعدة محاولات لتحقيق هذه الاطماع كما سنرى فيما بعد، ولكن محاولته مع الزنج كانت أنجح وأشهر وأخطر، ولذلك اشتهر بها.

وصاحب الزنج هذا رجل فارسى، ولد فى احدى قرى الرى ، ويصفه ابن طباطبا بأنه كان فصيحا ذكيا طموحا، وكان فى الوقت نفسه فقيرا قليل المال والعتاد، وعندما يجتمع الذكاء والطموح والفقر يصبح الانسان خطرا على المجتمع الذى يعيش فيه، وهكذا كان هذا الرجل الذى عبر عن طموحه بقوله يخاطب نفسه:

واذا تنازعنى أقول لها اطلبي
موتا يريحك أو صعود المنبر

تحقيق نسبه:

إن نسب هذا الرجل غير واضح، فقد ادعى أنه ينحدر من آل البيت، وان اسمه على بن محمد بن احمد من ولد على بن أبى طالب، وقد اتجه أكثر المؤرخين الى تفنيد هذا الادعاء والحكم عليه بالكذب وأنه قد اتخذ هذا الادعاء وسيلة لتحقيق أطماعه، والدليل على ان نسبه العلوى ادعاء باطل بدليل أن اتباعه كانوا يلعنون الصحابة، وفيهم على وعائشة وكان هذا يحدث أمامه فلا يغضب، وبدليل أن نساء من العلويات قبض عليهن واعتدى عليهن، واستعبدن أمام عينه وبأمره، ولو كان فعلا من آل البيت لما سمح بهذه التصرفات، ولعمل على حماية آل البيت من أتباعه الزنوج والعلوج.

مطلع حياته:

اشتغل علي بن محمد فى مطلع حياته أجيرا، ولكن هذا العمل لم يُقنعه فاتجه لتعليم الصبيان، بيد أن هذا العمل لم يكسب له ما تطلع اليه من مال وشهرة، ومن هنا أخذ يتطلع الى القصور، وكانت لديه وسيلة يمكن أن تصله بالقصور وسكانها تلك هى إجادته للشعر، فقد كان من الذين يجيدون قول الشعر المطبوع وممن يتصف بفصاحة اللهجة فمدح جماعة من حاشية الخليفة المنتصر (٢٤٧هـ) واستمالهم بشعره، وقد كسب عن هذا الطريق

عقيدة الخرمية قامت على التناسخ واباحة المحرمات

بعض المال ولكنه أيضا لم يقنع بما وصل اليه، ومن أجل هذا اتجه اتجاها آخر هو الاشتغال بالتنجيم والسحر، ولكن ذلك كله لم يحقق للرجل أطماعه، وكان لابد من جوله جديدة أو جولات جديدة لعلها تنيل الرجل مأربه.

وقد اتجه على بن عبد الله فى هذه الفترة الى (البحرين)، إذ كانت الخلافة العباسية تتجه للانحدار بعد العصر العباسي الاول، بسبب استبداد المماليك بالسلطان، وكانت هناك حركات استقلال تغمر العالم فتقطع من جسم الخلافة أجزاء ليستقل بها الطموحون هنا وهناك كما فعل الصفاريون والطولونيون، فلماذا لا يحاول هذا الرجل مثل هذه المحاولة فى البحرين ليجعل من نفسه سلطانا على هذا الجزء من العالم الاسلامى؟ وقد دفعه عامل المكان (البحرين) وعامل الزمان (ضعف الخلافة) الى أن يخطو طامعا أن يحقق مأربه.

خطوات الثائر :

لم يكن الطريق سهلا أمام على بن عبد الله وبخاصة أنه كانت للرجل سمعة غير طيبة تلاحقه وتعارض أطماعه، ولذلك كان عليه أن يصطنع الصبر، وأن يغير خططه من حين الى حين جريا وراء شعاع جديد كلما خبأ أمل سار عليه شوطا من الاشواط، وسنثبت فيما يلى دراسة عن هذه المحاولات التى قام بها هذا الرجل.

١ ـ المهدى المنتظر:

كانت فكرة (المهدية) شائعة عند بعض طوائف الشيعة وكان هؤلاء يعتقدون أن المهدى سيظهر يوما فيملأ الدنيا عدلا، كما ملئت جورا، ويزيل الباطل، وقد رأى على بن عبد الله أن يجعل نفسه هذا المهدى المنتظر، ومن هنا أعلن أنه ينحدر من آل البيت، وأنه علوى النسب ليكون ذلك وسيلة لادعاء المهدية، وقد بدأ هذا الادعاء سنة ٢٤٩هـ، وكان هناك أناس يستجيبون لكل ناعق فاتبعه هؤلاء، وجبوا له الخراج ولكن كان هناك أناس آخرون امتنعوا عليه، وكذبوه، وبدأ بذلك صراع بين اتباعه وأعدائه، ولم يكن اتباعه مخلصين له، وانما كانوا يتخذون هذه الحركة وسيلة لتحقيق أطماع خاصة بهم كما فعل الرجل نفسه، وكان ذلك سببا فى فشل هذه المحاولة، إذ لم تكن هناك عقيدة ذات بال يجتمع حولها الثائرون.

٢ ـ الانتماء للخوارج :

اتجه على بن عبد الله اتجاها جديدا تبنّى فيه فكر الخوارج الذى يقرر المساواة والديمقراطية بين المسلمين جميعا، والمساواة والديمقراطية هدفان تتطلع لهما كل الطبقات الدنيا ومن هنا رأى على بن محمد أن يصطنع هذا الاتجاه ليجذب جماهير الناس الى دعوته.

بيد أن الخوارج كانت قد دالت دولتهم، وأصبح معروفا أن الدماء الغزيرة التى أسالها الخوارج لم تأت بأية فائدة، ولهذا لم يكن لهذا الادعاء صدىً ذا بالٍ، وفشلت هذه المحاولة كما فشلت المحاولة الاولى.

٣ ـ علم الغيب والألوهية:

لم ييأس الرجل الذكى الطموح، وأخذ يبحث عن طريق جديد، وكان اضطراب الخلافة العباسية يزداد فيزداد الرجل طموحا، فاتجه فى محاولته الثالثة الى ادعاء أنه ظهرت له آيات عرف بها ضمائر أصحابه، وقد استغل وسائل متعددة ليعرف عن طريقها اخبار بعض أصحابه وميولهم، ثم أخذ يفاجئهم بهذه الأخبار على أنها من قدراته الخاصة، وأنها يوحى بها اليه، ثم تمادى فى ذلك فادعى النبوة، بل زاد فى تماديه فأعلن أنه يستطيع أن يفعل ما ليس فى قدرة البشر.

ويذكر ابن أبى الحديد من ادعاءاته أنه رغب مرة فى أن يعلم بعض أمور كان يريد معرفتها فسرعان ما رآها مكتوبة على حائط أمامه دون أن يرى الكاتب الذى كتبها.

ومن الواضح أن هذا الادعاء كان ادعاء بعيد الخرق والخطل، ومن أجل ذلك انكمش عنه العقلاء ممن كانوا معه، ولم يبق مؤيد له الا الأوغاد الذين لا يفكرون ولا يتدبرون، وفشلت هذه المحاولة الثالثة.

٤ ـ زنج البصرة:

مرة أخرى لم ييأس الرجل، وأخذ يبحث عن فرصة جديدة يندفع بها الى أطماعه، ولعله انتفع بتجاربه السابقة، فأراد هذه المرة أن يسلك طريقا أقرب الى النجاح، وكانت البحرين قد أدركت انحرافات الرجل فلم تعد مكانا صالحا لحركته، فصعد الى البصرة باحثا عن أمل جديد سنة ٢٥٤هـ، وفى البصرة وجد فتنة ناشبة بين بعض القبائل والبعض الآخر فاتجه الى أن ينضم الى أحد الفريقين أو أن يبنى له مجدا على أشلاء المتحاربين جميعا، فبدأ يقوم بدعوة جديدة، واتخذ من مسجد بالبصرة مركزا لهذه الدعوة، ولكن عامل البصرة محمد بن رجاء كان صارما فأمر بالقبض عليه هو وأتباعه، كما أمر بالقبض على بعض زعماء القبائل المتصارعة ليقضى على صراعهم، ولكن على بن محمد استطاع أن ينجو بنفسه، وسقط بعض أتباعه فى يد رجال الوالى، وألقى

الموالي والزنادقة والباطنية خناجر مسمومة في ظهر المسلمين

بهم فى السجن مع من قبض عليهم من أفراد القبائل المتصارعة.

وبعد فترة عزل محمد بن رجاء عن البصرة، فقام رؤساء القبائل التى كانت متصارعة بفتح السجون وإطلاق من كانوا بداخلها، فعاد أتباع عليٍّ إليه، وعاد هو الى البصرة ليبدأ نشاطا جديدا.

والتقى على بن عبد الله آنذاك بالخيط الذى سيقوده الى الهدف الذى يطمع فيه، التقى بجماعات الزنج التى كانت تموج البصرة بهم، وكان هؤلاء يشغلون بالبصرة أحقر الأعمال، كما كانوا يعدون طبقة دنيا تعمل لدى السادة، وتعطى كل قواها ولا تأخذ شيئا ذا بال، ومن هنا كانوا يحسون بأنهم مظلومون فى هذا المجتمع، وكانت فى قلوبهم ثورة مشتعلة ولكنها لا تصل الى أفواههم، ولا الى أيديهم، وكأنما كانوا يتطلعون الى القائد الذى يقود جماعتهم ليخلصهم من الهوان ويقضى على ظالميهم، ويأخذ لهم حقوقهم، وكان على بن عبد الله فى الوقت نفسه قيادة كبرى تتطلع الى الاتباع وتسعى للحصول عليهم بطريق أو بآخر، وهكذا كانت لهؤلاء عنده حاجة وله عندهم حاجة، وتصادف أن التقى على بن عبد الله بواحد من الزنوج مسموع الكلمة بينهم اسمه ريحان بن صالح، وأدرك على بن محمد أن ريحان طالب مال وطالب جاه، فأغدق عليه من المال واصطفاه لنفسه، ومن هنا أخلص ريحان لزعيمه كل الاخلاص وراح يجمع له وفود الزنوج، وفى الوقت نفسه راح على يشبع شغف ريحان بالمال والجاه ويزيد فى إكرامه واستغلاله. وبدأت بذلك حركة الزنج المدمرة وكان ذلك فى سنة ٢٥٥هـ.

وفى هذا العام كان قد اكتمل حوله ١٢ ألفا من الزنوج، وفى يوم عيد الفطر من هذا العام صلى عليٌّ بن عبد الله بأصحابه ثم خطب فيهم خطابا حافلا قال فيه: أيها الأحبة، آن الأوان لتتحرروا من الفاقة والظلم، وإن اجتماعكم سيضمن لكم خيرات الارض، وستصبحون سادة الأرض التى تعيشون فيها، وسادة هؤلاء الجبابرة الذين يستغلونكم ويستعبدونكم، وحلف لهم الأيمان الغلاظ ألا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئا من الإحسان إلا أتى به إليهم وادعى أنه رسول العناية الإلهية لتخليصهم من الظلم الذى يعانون منه ومن الرق الذى يكبِّل رقابهم.

ولما سمع الزنوج ذلك أقسموا له على الطاعة المطلقة، وسار بهم يبطش ويدمر وينهب ويسلب، وكان هؤلاء الغوغاء يزدادون به ايمانا كلما نالوا من الخيرات والنعم.

وقد حققت حركات الزنج انتصارات واسعة فاستولت على الابلة واستسلمت لها عبادان ودخلت الاهواز وقتلت الكثير من أهلها ودمرت ما شاءت أن تدمر، كما دخلت البصرة وخربتها وامتد نجاحهم الى واسط ثم انحدروا الى منطقة الخليج فاستولوا عليها، وامتد نشاطهم الى عمان، وأقام على بن عبد الله قاعدة حربية هائلة أسماها (المختارة) وكانت المختارة مدينة عظيمة بنيت لتكون عاصمة عسكرية، فاختار لها موقعاً تحميه القنوات والمستنقعات التى تحيط بها، وزودت بأعظم الاجهزة الحربية، وكانت المختارة من أسباب صمود الزنج وطول مقاومتهم، وكان من أسباب ما حققه الزنج من نجاح اخلاصهم لقائدهم واختيارهم المستنقعات والادغال مكانا لحربهم، وكان للزنج خبرة بالحياة فى هذه المناطق أكثر من سواهم، وانضمام بعض البدو اليهم لينالوا بعض ما يستولى عليه الجيش الزنجى من غنائم، ومن ناحية أخرى كانت الخلافة تعانى صراعا فى أمكنة مختلفة مما قلل الجهد الذى اتجه للزنج فى مطلع حركتهم.

على أن حركات المقاومة جديرة ببعض الدراسة التى سنقوم بها فيما يلى:

حركات المقاومة :

أشرنا فيما سبق الى أن الطريق أمام على بن عبد الله كان مليئا بالاشواك، وفى الحق أن مقاومة عنيفة تصدت للرجل فى جميع الخطوات التى خطاها، وصارعته فى كل المراحل التى مرَّ بها، فلم يكد يعلن محاولته الاولى فى البحرين ويذكر أنه المهدى المنتظر حتى هب أكثر الناس فى وجهه وأرغموه على الفرار الى البادية.

وعندما تبنى فكر الخوارج واراد أن يجذب له الطبقات الدنيا صارعه الناس ولم يستجيبوا له، وأرغموه على التخلى عن هذا الاتجاه.

وفى محاولته الثالثة التى ادعى فيها انه يوحى اليه وأنه يعرف الغيب لم ينل الا سخط الناس وسخريتهم، بل تخلى عنه بعض من كانوا قد خُدعُوا به وأيدوه.

واذا جئنا الى حركته التى حققت نوعا من النجاح بالبصرة نجد أن حركات المقاومة ضده بهذه المدينة كانت أيضا قوية وصارمة فقد هبَّ أهل البصرة يقاومونه منذ دخل هذا الرجل مدينتهم، وكان الوالى محمد بن رجاء

الذكاء والطموح والفقر.. من مقومات التمرد على الدولة

مبكرا فى الوقوف فى وجه هذا الرجل والقبض على بعض أتباعه وطرد الباقى.

وبعد محمد بن رجاء تجمع كثير من القبائل للوقوف بحزم أمام اطماع على بن عبد الله، وفى القمة من هؤلاء الهلالية والسعدية وكثير من الهاشميين والقرشيين، فقد تجمع هؤلاء للقضاء على حركة على بن عبد الله وأتباعه من الزنج.

ولما قوى أمر صاحب الزنج، وأحس أهل البصرة بعجزهم عن القضاء عليه طلبوا عون الخلافة العباسية، وتدخلت الخلافة العباسية للقضاء على حركة الزنج، وأعدت الجيوش أثر الجيوش لخوض معامع قاسية ضد هذا التجمع الاسود، وكان من قواد الخلافة العباسية ضد حركة الزنج جعلان التركى، وسعيد الحاجب، والمنصور بن جعفر الخياط، وقد بذل هؤلاء جهودا كبيرة، ولكنها لم توفق فى القضاء على حركة الزنج، وكان ذلك سببا فى إحداث تغير واسع فى الحياة السياسية بالعاصمة، فان الاتراك الذين كان فى يدهم السلطان أحسوا بفشلهم فى حراسة دولة الخلافة، فاتفق رأيهم على أن يعاد السلطان للعباسيين ليتولوا بأنفسهم حماية الديار، ونتيجة لذلك أصبح الموفق أخو الخليفة المعتمد قائدا عاما للجيوش العباسية، وصاحب السلطة العامة فى الناحية السياسية، وتحمل الموفق بذلك كل التبعات السياسية والعسكرية باسمه واسم أخيه، ووجه جهودا كبيرة ضد الثائرين على السلطان العباسى، وبوجه خاص ضد حركات الزنج.

وقاد الموفق الجيش ضد على بن عبد الله، ودارت بين القوتين معارك شرسة ولم يكن الموفق بالرجل الذى تقهره جماعات الزنج على الرغم من كل الاعتبارات، فصبر وصابر حتى بدأ النصر يأخذ جانبه وبدأت الهزائم تحل بخصمه، ثم انكمش سلطان صاحب الزنج، وتقهقر حتى حصر فى مدينة المختارة، وأخذ يدافع عنها هو وجيشه بجسارة هائلة، ولكن الموفق كان قد قرر ألا يخطو للخلف، فبنى مدينة مقابلة للمختارة ليعلن بذلك عن اصراره على حصار دائم حول المختارة حتى تسقط ، وبدأت المختارة تفقد ذخائرها العسكرية والغذائية، وعاد الزنج يعانون فى المختارة الجوع الذى دفعهم للالتفاف حول على بن عبد الله، وكانت بطون هؤلاء الاوغاد تتحكم فى عقولهم وفى حركاتهم، فلما جاعت هذه البطون أخذت تتخلى عن الزعيم، وفى معركة مريرة حول المختارة استطاعت قوى الموفق أن تقتحم المدينة وأن تدمر جوانبها، وأحس على بالنتيجة فولى هاربا، وألقى بنفسه فى أقرب نهر قابله، ولكن جنود الخلافة التقطوه وقضوا عليه، وحملوا رأسه الى قائدهم وقضى الموفق على بعض اتباعه، واستسلم له آخرون فعفا عنهم، وكان ذلك سنة ٢٧٠هـ، وقد سقط فى حركة الزنج عدد هائل من الفريقين يقدره ابن طباطبا بمليون ونصف مليون، ويقدره السيوطى بمليون ونصف أيضا.

وقد خلقت حركة الزنج أضرارا هائلة، وبخاصة فى الناحية الاقتصادية بسبب ما دمرت من بلاد، وما حرقت من مزروعات، وما أكلت من ثمار، وبسبب توقف النشاط التجارى الذى كان نتيجة لتدمير الطرق والفزع الذى شمل مختلف البقاع التى شملتها هذه الحركة.

ومن الناحية الاجتماعية عانى الناس كثيرا من الشقاء بسبب حركة الزنوج، وعرفوا الجوع، وأكلوا الجيف مما سبب نشر الامراض والاوبئة ومما عاناه الناس من الناحية الاجتماعية تلك التصرفات الجائرة التى قام بها الزنوج ضد الاحرار والحرائر، ويوم يتحكم العبيد فى الاحرار تكون الطامة الكبرى.

ومن الناحية السياسية كانت حركة الزنج من الاسباب التى مكنت لتفكك الدولة الاسلامية خلال العصر العباسى الثانى.

وكانت نهاية الزنج نهاية طبيعية إذ لم يكن هناك منهج ولا مبادىء لهذه الدعوة، وكان الارتباط الذى يجمع بين أفرادها هو ارتباط المنفعة الذاتية والترف المادى، ومن هنا انهارت هذه الحركة عندما تخلفت المنفعة الذاتية وقل الترف، فانفضٌ الجمع وانحل العقد، إذ ضاع الخيط الضئيل الذى كان يربط بين هذه الجموع.

وهكذا مُنىَ العالم الاسلامى بهذه النكبة التى استمرت خمسة عشر عاما (٢٥٥ ـ ٢٧٠هـ) وأكلت عشرات الالوف من الانفس، ودمرت صورا من الحضارة الاسلامية، وبعثت الرعب فى النفوس والافاق، ولم يكن لها من هدف تسعى لتحقيقه، ولا مأرب تعمل لنيله.

ومن الحق أن نقول ان ظلم كبار الملاك كان من أهم الدوافع التى أثارت عليهم الارقاء والزنوج، ولو أن هؤلاء المترفين أعطوا الزنوج حقوقهم التى فرضها عليهم الاسلام لكان من الممكن ألا تقع هذه المأساة التى دمرت الاغنياء والفقراء جميعا، وأحرقت الاموال، وقضت على الثروات.

شعر

ربيع حبنا

الدكتور
زاهد زهدي
جدة

وجيبُ القلب ليس له بديلُ
وصفو دمائه دفقا يسيلُ
ونورٌ في العيون إذا تراءى
يقوم على الحياة به الدليلُ
وفجرٌ ليس تنكره الليالي
وشمسٌ لا يُشامُ لها أفولُ
وميقاتُ الكواكب في سُراها
تحولت الدهور ولا يحولُ
كذلك حبُّنا لولا المنايا
تزول الراسيات ولا يزول
سرى ما بين رو حينا وصالا
شرايين القلوب له رسولُ
يعيش على مدى العمرين منا
وما طال المدي بهما يطول
نديّاً لا تجف له غصونٌ
إذا اختلفت بروضته الفصول
ولا تظما له أبداً جذور
رواها من عيونك سلسبيلُ
ولا تلوي بها ريح عصوف
لوى عنقاً الشجرُ الهزيلُ
ربيعٌ حبُّنا ما زال يذكو
شذاه والقلوبُ له مَقيل
تفجَّر في حنايانا عيونا
بها يبرا من الظماء الغليل
جديدٌ حبُّنا مهما تناءت
بنا الأيام وانقطع السبيل
وطالت غربة ودجت ليال
وعزَّ الى مرابعك الوصولُ
لقد أسكنته قلباً وفياً
لغيرك لا يقاربُ أو يميل
يعيش بخاطري ويمدُّ روحي
بأسباب الرضا منه قليلُ

* * *

تمادى ظلم هذا الدهر فينا
«وان الظلم مرتعه وبيل»
نأى غدراً بنا عما عشقنا
فلا أرض العراق ولا النخيلُ
ولا أهل تشاركنا هموماً
وكلٌّ همومنا عبء ثقيل

* * *

تداعى الأمس لى في ذكرياتي
وأين الذكريات وما تقول؟

فلا (الفرّاف)(١) مهد صباي فيه
ولا صفصافه الخضل الأثيل
ولا قيلـــولة الشـــاطي يقيـــنا
ضـراوة شمسها ظل ظليل
وأشرعة السفائن وهـــي تجـــري
يغذُّ مسيرها الريحُ الشمول
تسابقها خيوط الشـــمس فَجراً
ويسلمـها الى الليل الأصيل
وتغفو في صواريها الليـــالي
وليـل الساهرين بها طويل
يشحُّ الماء في مجراه صـــيفاً
فيؤنسنـــا بـه الرمل المهيل
ونحفر في قرارتـــه فيبـــدو
كماء العين رقراقاً نشيل(٢)
ونهـفو للشواطـــئ عامـــرات
بســاتيناً تحيط بها الحقول
نغالب سورها حتـــى نوافـي
كنـــوزاً لا يعـــادلها عديل
نهز بها جذوع النخـــل حتى
اذا ما اسّاقط الرطب الخضيل
جمعناه وقد أغـــفى بعـــيداً
عن الأنظار (ناطور) كسول(٣)

* * *

نأت عنى الديار فلا نقيـــل(٤)
ولا بـرد تجـــيء ولا رســـول
فلا سجع الحمام على قبـاب الـ
مســـاجد يستكن ولا الهديل
ولا (بغداد) حيـــث «ابو نؤاس»
ودجلـــة والهـــوى والزنجبيل
(ومسقوف)(٥) من السمك المنقى
يُشبُّ لـــه من الحطب الجزول
تجمع حوله رهـــط نشـــاوى
علـــى لهـــب رؤوسهم تميل
ولا (الطرفاء)(٦) تحطبها العذارى
فيو خزها من الشوك القطيل(٧)
يحاولن الفـــؤوس بـــه فتعيـــا
ويستعصـــي عليهـــن النجيـــل
تميل شعورهـــن اليــــه شوقـــاً
فيعلـــق فـــي مصائـــذه النسيل
ويجمعن الحصيل وقد تـــلوّى
وشد وثـــاقه حـــبلٌ وثيـــل(٨)

* * *

تبـــاعد عهدنا عمـــا عهدنا
ولا نـــدري أيقصر أم يطول
وشذّب من مطامحنا فجـفت
غصـــون رياضها داء وبيل(٩)
نغول عمـــرنا فاذا كـــلانا
- وان عشنا - بطعنتـــه قتـــيل
تحيرت الأساة فليـــس الا
احتمال الكرب والصبر الجميل
فيا هولي، اذا الميعاد وافـــى
بأيـــامي وإن أزف الرحـــيلُ
وأُغمضت الجفون فلا وجِيبٍ
يُحَـــس ولا الى الدنـــيا سبيل
وصوَّحَتْ الشموع فلا فتـيلُ
وأُســـدلت الغلائل والســـدول
ولم أتنشق العطر المـــندّى
لدجلـــة أو تطالعنـــي النخيل
وإن لم يروني منها نمـــيرٌ
وعـــزّ الى شواطئها الوصول

الهـــوامـــش

(١) الفراف: نهر يتفرع من دجله باتجاه الجنوب وعلى ضفافه تقع مدينة (الحي) التي ولد فيها الشاعر. والمقطع بكامله يشير الى ذكريات بعيدة عندما كانت مياه النهر تجف صيفاً ويلعب في حوضه الصبيان يحفرون الآبار الصغيرة وذلك قبل انشاء سد جعل مياهه متدفقة طيلة العام.
(٢) النشيل: هو الماء الرقراق او اول ماء البئر.
(٣) الناطور: هو حارس الزروع والبساتين وهي من السريانيه.
(٤) النقيل هو الطريق القصير او المختصر.
(٥) المسقوف: اكلة سمك عراقية شهيرة على شواطئ دجلة وعلى كورنيش الشارع المسمى «ابو نؤاس».
(٦) الطرفاء: نوع من الشوك الاخضر تحتطبه النساء قديماً للاستعمالات المنزلية.
(٧) القطيل: هو شجر الشوك المقطوع من أصله.
(٨) الوثيل: هو الحبل الذي تشد به الحاطبات اكوام الحطب.
(٩) يشير الشاعر هنا الى مرض ولده الصغير الذي مضى عليه اكثر من سبع سنوات طريح الفراش بسبب اصابته بصعقة التيار الكهربائي خلال غارة ايرانية آثمة على بغداد خريف ١٩٨١.

القصيدة العـــ

بقلم:
قطب الريسوني
المغرب

بماذا نسوغ استشراء ظاهرة (الغموض) في الشعر العربي المعاصر إلى حد بات معه هذا الشعر أو كاد أن يتحول الى كتلة من الطلاسم والالغاز يشقّ على القارىء المثقف فكها، ناهيك عن القارئ العادي الذى يقنع من الطلب والتحصيل بقراءة الاخبار وتقصي الحوادث؟!.. ولعلنا لا نعدم من ينهض بالاجابة عن هذا التساؤل سيما ممن ملأت عليهم (الحداثة) أسماعهم وجوارحهم، وهم قوم فيما نعتقد قد لا تعوزهم فحولة المواجهة وصلابة التحدي، ما دامت الردود معلبة والاجوبة جاهزة، وان كان ما يتشدقون به من حجج وذرائع في تسويغ شيوع ظاهرة (الغموض) هو أقرب الى هذيان الحمى منه الى كلام العقلاء والا فكيف يمكن التسليم بقول (الحداثيين) بأنه ليس من الضرورة القاسرة لكي نتذوق جمال الشعر أن ندرك أبعاده ونكتنه مغازيه، لان مثل هذه المقاربة قد تفوت علينا فرصة التمتع، وكأنهم بذلك - أى الحداثيين - يقصرون وظيفة الشعر على الامتاع والتسرية، ناسين أو قل متناسين أن الخطاب الشعرى المعاصر مطالب في ظروفنا هاته بأقصى حظوظ الثورية والالتزام، حتى يتسنى له الانصهار في أتون المرحلة وخوض غمرات التغيير والبناء.. ولا أخالني أركب في الحديث مركب الغلو والاسراف اذا زعمت ان الكلمة الشاعرة قد غدت في زماننا هذا (الفارس المنتظر) الذي من شأنه أن يعيد صياغة العالم وفق موازين قسط تكفل لكافة بنى البشر الحياة الفضلى والعيش الكريم.

بات من الواضح اذن أن شعراء الحداثة في غفلة إذن عما يرومه الخطاب الشعري المعاصر من مقاصد تتحقق معها وتتألق بالآن عينه رسالته التغييرية الاستشرافية.. وهي غفلة استتبعها استخفاف بمسؤولية الابداع والتزام الفن في سبيل تجديد القصيدة المعاصرة على نحو يفي بمستجدات الواقع وتطورات الحياة. لكن متى كان التجديد على حساب الالتزام الذي ينشده الشعر بل وينشده الأدب بمختلف ضروبه ومتباين

الغموض الهاجس


صلاح عبدالصبور

أحمد عبدالمعطي حجازي

ألوانه؟ وهل يعني التجديد التنكر للموروث والانبهار بذات (الآخر) الى حد التباهي والاستلاب؟ وهل يكمن التجديد في غموض اللغة وغرابة الصور وركاكة الاساليب؟

أسئلة كثيرة تختمر في الذهن، ونحن نشهد واقع القصيدة المعاصرة وقد أمست متاهات واسعة تتراكب فيها الصور وتغمض الأخيلة وتتبعثر الكلمات بحجة تفجير اللغة أو بذريعة الافصاح عن مكونات اللاشعور، وأخيرا لا شيء يميز القصيدة المعاصرة سوى خطرفات فارغة وهلوسات مريضة لا ينتظمها خيط أو يستقيم بينها رباط.. وان شئنا دليلا شاهدا على ما نذهب اليه فلنستمع الي قصيدة لشاعر (حداثي) يعرض فيها لما يجوب في تلافيف اللاشعور من خطرات وهواجس أشبه ما تكون بأضغاث الاحلام ومن صور يشق على الشاعر نفسه تبين معالمها واستجلاء دلالاتها، يقول أحد الشعراء الحداثيين:

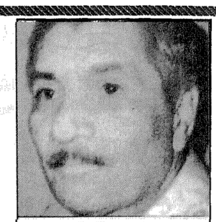
تلبس الشمس قميص الدم، في ركبتها جرح بعرض الريح.
والأفق ينابيع دم مفتوحة للطير والنخل
سلام هي حتى مشرق النوم سلام
ونساء النهر يطلعن
خلاخيل من العشب، استدارات من الفضة والطمي
انتهاء بللته رغوة الماء
تصايحن على الطير وبالشيلان يمسحن زجاج الافق
يبكين بكاء طازج الدفء
سلام هي حتى مشرق النوم سلام
ضمت الحقول ركبتها واستراحت أسنة المحاريث

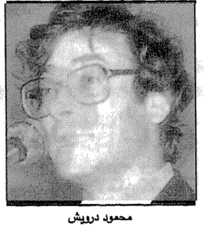
• ونامت الثعابين
سلام ظلامي يتكوم قشا ناعما وغبا
والثيران أغفت واقفة تتكسر انجم الليل في حدقاتها
الفسفورية الغائبة
ســـلام لناع من ليل رحــيم
نام النصف الهالك ولم يستيقظ النصف الحي

ترى اين تكمن روعة الخلق وقوة الابداع في هذه التراكيب المبعثرة والصور المبهمة؟ فاذا كانت هذه القصيدة قد كتبت افصاحا عن الاشارية الكائنة بين الأشياء ومسمياتها، (فلا تعود الكلمة اشارة الى الشيء وتسمية له، بل تصبح استثارة لانواع مختلفة من السياق)(١) مما يشفع لنا بالقول بان لغة (الغموض) لا تستحضر الحدث في وجوده الفعلي، بل تقصيه وتنسج حوله شبكة من التداخلات والامكانات تنسف العلاقة الاشارية بين الأشياء والأسماء، (حتى ان الشيء يتحول الى وجود رمزي صرف يختفي فيه اختفاء شبه مطلق)(٢).

والجودة في الشعر، كما ذهب الى ذلك زعيم (الحداثيين) ادونيس حين قال (افخر الشعر ما غمض)(٣).

ولما كانت الحداثة - بالمفهوم المتطرف - خرقا لكل قاعدة وخلخلة لكل نظام، فهي لم تسلم من الوقوع في مغبة العبث الفكري، بل واصبح هذا العبث صفة ملازمة لها حيثما أصبحت وأمست، فسقطت في شرك الغموض والضبابية بحجة أن (الشعر نوع من السحر لانه يهدف الى ان يدرك مالا يدركه العقل)


عبدالوهاب البياتي


محمود درويش


أدونيس

ـــربية المعاصرة واشكالية الغموض

مكنونات اللاوعي، فان (اللاوعي) لا يعني (اللامعنى) او (اللا دلالة) لأن اللاوعي الشعري مفعم بالايماءات الدالة، مشحون بالاشارات الموحية التى تقتضيها طبيعة أى عمل ادبي واللاوعي الانساني الذي يشحنه الهاجس الشعري والكلمة المجنحة ليس في واقعه الا انعكاس توهج لنبض الروح، وبوح شجي بخفقات النفس البشرية.

اما اذا كانت هذه القصيدة قد كتبت تحت شعار (تفجير اللغة الحاضرة والتجريب المنهك بحثا عن لغة جديدة) فمن شأن هذا التفجير أن يفضي الى نسف العلاقة

ومن ثم فقد توالدت في اطار مفهوم الحداثة نماذج شعرية، اشتقت لنفسها لغة اشارية غير تواصلية تقوم على أنقاض اللغة الموروثة التي تعارف عليها الناس وتمنح نفسها حق تسمية الاشياء بغير مسمياتها، مما خلع على القصيدة المعاصرة نسيجا هلاميا يختفي فيه إيحاء الألفاظ وهجس الصور، فنأت بذلك - أى القصيدة المعاصرة - عن مقتضيات الفن ودواعي الجمال التي لانظنها تتجافي مع وضوح الرؤية وصفاء الفكر.. وهذا ما يحملنا حملا على الاعتقاد بأن الغموض ليس مرادفا للعمق

ولسنا ندري أي فكر هذا يمكن للكلمة الشاعرة ان تنهض بالتعبير عنه ان قصرا العقل عن ادراكه. ويترتب على ذلك قول الحداثيين ان (الشعر نقيض الوضوح لان الوضوح يجعل من القصيدة مسطحا بلا عمق)، ولسنا ندري للمرة الثانية كيف يمكن أن نقطع لشعر ما بنضج الرؤية واستواء الفن ما لم نستطع استجلاء ابعاده واكتناه مغازيه.. ونحب ان نبادر هنا الى القول بان ظاهرة (الغموض) لم تكن أثرا من آثار جعل اللغة حقلا للتجريب وموضعا لاصطناع الحداثة فحسب، بل كانت في بعض الاحيان

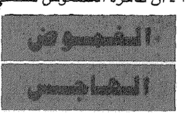
الكلمة الشاعرة الفارس المنتظر لاعادة صياغة الحياة

متسترا لضحالة البصيرة الفنية وضعف المقدرة الادائية وآية ذلك أن من الشعراء من يعجز عن استيضاح أفكاره، فيحملها الى القراء بصيغها الاولى التي جادت بها القريحة، على ما يتلبس هذه الصيغ من غموض وضبابية مما يجعل المتلقي مطالبا بأقصى حظوظ الاجتهاد والمثابرة حتى يتسنى له تجشم الصعاب وفك الطلاسم، ما دام باع الشاعر قد قصر عن استيضاح الافكار، وايفائها حقها من التمثيل والتحقيق الحسي.من هنا يغدو لزاما على النقاد المعاصرين ان يشددوا النكير على أناس لا يقبلون على انتاج الشعر عن ايمان بضرورته وتفهم لمسوغات وجوده، بل يغريهم بقرضه ما يتوهمون فيه من اليسر واختراق الضوابط وتجاوز الاعراف وما يظنون فيه من أسجاف تحجب عن أعين الناس ضحالة الفكر واسفاف الفن.

ليست بخافية علينا اذن اخطار شيوع ظاهرة (الغموض) في الشعر العربي المعاصر، ولئن أردنا تبين هذه الاخطار على نحو غاية في الجلاء والوضوح امعانا في التحذير من مغبة شيوع هذه الظاهرة، فلنا ان نستقطبها فيما يلي:

١ ـ ان ظاهرة الغموض تشكل في حد ذاتها أو في صورتها المجردة عائقا ابستمولوجيا امام دارسي الشعر المعاصر وناقديه، ولعل هذا ما يعلل غياب حركة نقدية رصينة تواكب بالتقييم والترشيد ذلك الزخم الهائل من الانتاجات الشعرية التي تنوء بها بطون الدواوين وصفحات المجلات والجرائد.. اذ ليس من المعقول في شيء أن يقطع ناقد يحكم في شعر ما ما لم يستطع تعمق معانيه واستبطان ابعاده، مما يشفع لنا بالقول ـ في منأى عن أي تحفظ أو احتراس ـ أن لاستشراء ظاهرة الغموض اليد الطولى في نسف معادلة التوازن بين الحركة الشعرية والحركة النقدية وهو نسف فوت على الشعر فرصة التقييم النقدي، الذى من شأنه أن يرقى بالانتاج الشعري وما سواه من فنون الادب والوان الابداع الى آفاق الاتقان والتجويد.

٢ ـ ان ظاهرة الغموض تقصي



المتلقي عن العملية الابداعية اقصاء يفوّت عليه فرصة تغذية الذوق وارهاف الاحساس ويحرمه في الآن عينه من الحكم النقدي الذى من شأنه أن يرفد فطرته بضرب من التمييز يسعفه في فرز سمين الشعر عن غثه ولعلنا نستطيع أن نذهب في هذا القول بعيدا فنزعم ان لشيوع ظاهرة الغموض ضلع أى ضلع في افساد الذوق الشعري سواء عند جمهور القراء او لدى الشعراء الشباب الذين كثيرا ما يفزعون الى تقليد المبرزين من شعراء الحداثة فيسقطون في شرك الغموض بوصفه مرادفا لنضج الرؤية واستواء الفن في الشعر.

٣ ـ اذا كان للشعر أن يصطبغ بنوع من الغموض (الواضح) وفاء بمقتضيات الفن ودواعي الجمال فقد لا يكون له ان يغرق في الغموض ويمعن في الترميز الى حد يمسى معه الشعر حفنة من الطلاسم والاحاجي تعنت الذوق والفهم والشعور جميعا، وتستخف في الآن عينه بمسؤولية الابداع والتزام الفن، لان الشعر اذا غمض استغلق على الذات الذائقة ومن ثم حاد عن المقاصد النبيلة التي تتألق معها رسالته التغييرية الاستشرافية.. هذا ما دامت الكلمة الشاعرة رهان الحاضر والمستقبل عليها تعول الانسانية في رحلة التجاوز والاستشراف: تجاوز الواقع المعاش بما يثقله من تناقضات واحباطات، واستشراف المستقبل المشرق والغد المأمول.

٤ ـ لم تكن ظاهرة الغموض إلا أثرا من آثار التباعد عن اللغة الموروثة، والتنكب عن مواضعاتها المعروفة واستعمالاتها العادية، ففي اطار مفهوم الحداثة طفرت في الساحة الابداعية نماذج شعرية غير يسيرة اشتقت لنفسها لغة اشارية باطنية تنأى كل النأي عن التواصل الجماعي وتدنو في الآن عينه أشد الدنو وأقواه من لغة المتصوفة امثال النفري والحلاج ومن لف لفهم من المتمردين على العقيدة والسلطة الشرعية. ومن ثم لم يعد بخاف علينا أن من اخطار شيوع ظاهرة الغموض جعل اللغة حقلا للتجريب وموضعا لاصطناع الحداثة، ما دامت عاملا أساسيا في موروث عريق طال عليه العهد والامد، وهذا مما يعرض اللغة العربية في رأينا الى ضروب من العبث وألوان من المسخ لانظنها تنتهي بلغة القرآن الى ما نرجوه لها من علو الشأن ورفعة المقام.

هذا ولا نحب ان يفهم من كلامنا عن الحداثة في الشعر أننا نرفض تجديد القصيدة المعاصرة على نحو يفي بتطورات الحياة ومستجدات

العيش، فمما ينزل فى التصور منزل البداهة ان الشعر كائن حي يمسه ما يمس الكائنات الأخرى من ألوان الرقى وأضراب التكيف.. ولعلنا لا نعدم فى صفحات تاريخ الشعر ما ينهض دليلا دامغا على ان طبيعته المرونة لا التحجر، التفتح لا التقوقع، ومن ثم لم يكن له أن يستغني فى أى عصر من العصور عمن ينهض بتجديده وفاء بتغيرات الحياة فى تمخضاتها المطردة شريطة أن لا يكون هذا التجديد خرقا لكل القواعد وخلخلة لكل الانظمة بمعنى ان لا الواضح) او (الوضوح الغامض) وفاء بدواعى الجمالية وخضوعا لمقتضيات الفن.

وكم كنا نأمل ان لاتطول أفة (الغموض) شعر الأرض المحتلة. وهو الشعر الذي يحمل بذور الثورة تميمة فى مستقر وجدانه، ومعزوفة شجية في حلقه ولعل أول ما يفترض فى شعر (الثورة) وآخره التواصل الحميم مع الشعب العربى صفاء فى الرؤية وشفافية فى الشعور وصدقا فى التعبير.. فلنستمع الى الشاعر محمود درويش وهو يعرض لما يختلج نطاقه التجريبى ويستحث الخطو نحو آفاق التجذر والأصالة، مما جعل الاغتراب عن الناس سمة جلية تطبع العلاقة الكائنة بين الشاعر والمتلقى.. ومن ثم كانت الحركة الشعرية الحديثة حركة سائبة لا تحكمها ضوابط، ولا يواكبها نقد رصين، (وقد آن الاوان لكى تنتج هذه الحركة ناقدها وضوابطها)(٤).

هذا رأينا نبديه فى ظاهرة (الغموض) دون غمغمة أو تلجلج، ولسنا ندرى هل يشاطرنا فى هذا الرأى الشعراء والنقاد والناس

الشعر التزام ومسئولية ليس امتاعاً وتسرية

الغموض أفقد حركتي الشعر والنقد توازنهما

يكون دعوة محمومة للانفصام عن التراث والتنكب عن استيحائه فيما نرومه من (تحديث) و(عصرنة).

ولا يفوتنا التنويه هنا بشعراء لم يخطئهم التوفيق فيما حاولوه من (تحديث) القصيدة المعاصرة، دون ان يحملهم هذا (التحديث) على إلغاز الشعر وتعتيم أبعاده على نحو يفضى الى انسداد الافق ومحدودية الرؤية.. ومن هؤلاء الشعراء صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى وعبد الوهاب البياتى وغيرهم ممن حمل لواء التجديد فى الشعر العربى المعاصر.

على أن التزام هؤلاء الشعراء الوضوح فى الشعر لم يكن ليسقطهم فى شرك التقريرية الجافة التى من شأنها أن تزرى بجمالية النص الشعرى وتعصف بوقعه الاثيرى، فقد وفقوا أيما توفيق فى احداث توازن مضبوط بين (الغموض) و(الوضوح) بحيث يبدو الوضوح بيانا للغموض ومفتاحا يسعف في فك رموزه وبعبارة اخرى فقد اعتمدوا نوعا من (الغموض في نفسه من خطرات متقطعة وهواجس مريضة، إن دلت على شيء انما تدل على استخفاف بالكلمة الشاعرة وهي المطوقة بأمانة جبرية ملحاح: (التحرر والانطلاق):

تفاحة البحر، نرجسة الرخام فراشة حجرية
بيروت شكل الروح فى المرآة
صفى المرأة الاولى ورائحة الغمام
بيروت من تعب ومن ذهب وأندلس وشام
فضة زيد وصايا الأرض فى ريش الحمام
وفاة سنبلة تشرد نجمة بيني وبين حبيبتى بيروت لم اسمع دمي
من قبل ينطق باسم عاشقة تنام على دمى وتنام
من مطر على البحر اكتشفنا الاسم من طعم الخريف وبرتقال القادمين
من الجنوب كأسلافنا تأتى الى بيروت، كى نأتي إلى بيروت

مع ان هذا الشاعر قد صرح فى أكثر من لقاء صحفى أن شعر الحداثة لم يخرج حتى الآن عن جميعا، أم لهم فى هذه الظاهرة رأى آخر، فإن تكن الاولى «فعند الصباح يمدح القوم السرى» كما يقول المثل العربى القديم، وان تكن الثانية، فما أمس حاجتنا الى أن نستمع الى الرأى المخالف، ومـا نشك أننا سننتفع به ونفيد منه، فليس كالتضارب فى الرأى واللجاج فى الكلام من شيء يرقى بالدرس الادبى الى آفاق النضج والاستواء، شريطة أن لا يكون التضارب من أجل التضارب، واللجاج من أجل اللجاج، انما من أجل حق ننشده، وباطل نستعلى عليه، وذلك أقصى ما نرومه ونطمح إليه.

الهوامش

(١، ٢) من مقال (الحداثة والتراث) للدكتور مصطفى هدارة، مجلة (الهدى) العدد ١٦/١٧، السنة ١٩٨٧.

(٣) انظر (زمن الشعر) لمؤلفه ادونيس، (بيروت ، دار العودة، ١٩٨٣م) ص٢٧٧.

(٤) من لقاء صحفى اجرى مع الشاعر محمود درويش.

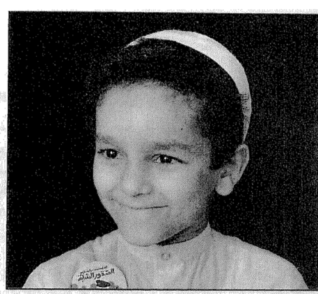




١ - التوسم عند المسلمين وشروطه:

لا شك ان العرب والمسلمين خاصة قد علموا دور الوجه في اطلاع الشخص الملاحظ على نفسية صاحب هذا الوجه أو ذاك.

كانت الفراسة والقيافة من بين وسائل الاثبات عند العرب، وكان المتفرس والقائف مع اختلاف في الهدف وطريقة الاكتشاف - يصيب هدفه فيما توقعه من ذلك الشخص الملاحظ سماته أو نظراته، فغلب على الناس الاعتقاد في القيافة والفراسة كعلمين ثابتين لهما شروطهما الموضوعية اذا توفرت في شخص فإنه سيكون




مؤهلا لاعتماد أحكامه في اثبات قضايا قد يعجز البحث العادي عن ادراكها وعندما جاء الاسلام لم ينف هذا العلم وكذلك لم يطلق له العنان لكي يتدخل في الصغيرة والكبيرة من الحياة العامة والخاصة للمجتمع وانما جعل له شروطا سواء فيما يخص القيافة أو الفراسة.

ولكي تكون الفراسة صحيحة وصائبة فلابد من أهم شرط فيها وهو قوة الايمان بالله تعالى حتى يتيسر للانسان ان تكون أحكامه في موضوع ما صائبة وقليلة الخطأ. كما في الحديث النبوي الشريف «فراسة المؤمن لا تخطيء».

ومن هنا كان المسلمون دائما هم الرواد في هذا المجال، كما رويت عنهم أخبار كثيره تدل على صدق فراساتهم وقوة أحداسهم وكان الباب الاول الذي يتسرب منه المتفرِّس للمتفرس فيه هو الوجه اذ بمجرد أن ينظر اليك ذلك المتفرس حتى يقول لك ماذا جئت به وماذا تنوي عمله... الخ.

وان هذا النوع من الفراسة وقراءة ما في الوجه كان بمثابة وسيلة فعالة للتحليل النفسي الجيد، وكانت تقتضي مستوى عالياً في السمو الروحي والطهارة النفسية، وكذلك الدربة على صحة التمييز وسلامة النظر، وصفاء السريرة مع وجود قوة حدسية فائقة لدى الانسان، وهذا لا يمكن توفره إلا عند خواص عباد الله الصالحين.

لكن نوع الفراسة أو العلم عن طريق الوجه مقصود الحديث عنه عند ابن حزم هو ذلك المعرفة من النوع العادي التي يمكن تحصيلها عن طريق التجربة والمشاهدة الحسيّة، وذلك من خلال الملاحظة الدقيقة لتصرفات الاشخاص وحركاتهم.

٢ - دلالات لغة العين وأصولها عند ابن حزم:

ان ابن حزم قد اكتسب جل ملاحظاته بخصوص علم نفس الوجه في ميدان الحب، ومن خلاله أصدر أحكاما كلية على أعضاء الوجه بصفتها الممثلة لمختلجات النفوس وأهم هذه الاعضاء تعبيرا عن نفسية الانسان هي العين التي من خلالها تدرك علامات الحب، اذ للحب علامات يقفوها الفطن ويهتدي اليها الذكي.

فأولها ادمان النظر والعين باب النفس الشارع وهي المنقبة عن سرائرها والمعربة عن بواطنها فترى الناظر لا يطرف ينتقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس(١).

وابن حزم حينما يذكر العين ويقف عندها فان ذلك لا يعني أنها كل شيء في الوجه بل ان حركات الوجه وهيئاته ما بين الانبساط(٢) كلها لها دلالات خاصة بها وتأثيرات تكاد توازي ما تحتمله الالفاظ الصريحة(٣) بل

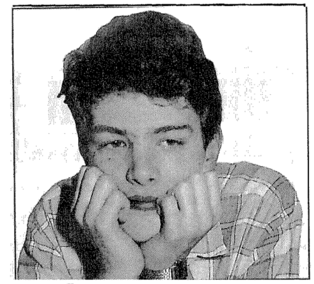
ان التعبير بالوجه أبلغ من التعبير بالالفاظ وخاصة في ميدان الحب، فتكون العين أهم عضو يوظف للتعبير عن الرغبة «لان العين تنوب عن الرسل ويدرك بها المراد والحواس الاربع أبواب الى القلب ومنافذ نحو النفس والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعاها عملا وهي رائد للنفس الصادق ودليلها الهادي ومرآتها المجلوة التي بها نقف على الحقائق وتميز الصفات وتفهم المحسوسات»(٤) وحيثما يستثقل كلام ويصير من الصعب التواصل مباشرة فحينذاك: «فلا طمع الا بالاشارة بالعين همسا وبالحاجب أحيانا والتعريض

الحدقة من وسط العين الى الموق بسرعة شاهد المنع، وترعيد الحدقتين من وسط العينين نهي عام، وسائر ذلك لا يدرك الا بالمشاهدة»(٦).

ولا يفوت ابن حزم بعدما أدلى بأهمية العين في الخطاب الانساني ودورها في التعبير عن النفس أن يعلل سبب هذا التفوق الذي امتاز به هذا العضو من الانسان بإحالته الى سمو العنصر المكونة منه العين اذ أن «جوهرها أرفع الجواهر وأعلاها مكانة لانها نورية لا تدرك الألوان بسواها ولا شئ أبعد مرمى ولا أنأى غاية منها لأنها تدرك بها اجرام الكواكب التى في الافلاك

ـه في الأدب الأندلسي





[دراسة في طوق الحمامة لابن حزم الظاهري]

محمد محمد بن يعيش - المغرب
آستاذ بكلية أصول الدين - جامعة القرويين

اللطيف بالقول (٥).

وهذه الاشارات الخاصة بالعين والوجه عموما سيعمل ابن حزم على تقنينها في قوالب ثابتة وتعريفها بلغة خاصة بها، وذلك عن دراسة دقيقة وميدانية، نظرا لأن ابن حزم قد علم من أسرار النساء ما لم يعلمه غيره، وهن اللواتي أطلعنه على دقائق علومهن وعنهن تحصل على رصيد من المعلومات الخاصة بهذا الموضوع وهو لغة العين، فأدلى بما تيسر له فيها كالتالي:

فالاشارة بمؤخر العين الواحدة نهي عن الامر، وتفتيرها اعلام بالقبول، وادامة نظرها دليل على التوجع والاسف، وكسر نظرها آية الفرح، والاشارة الى اطباقها دليل التهديد، وقلب الحدقة الى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار اليه.

والاشارة الخفية بمؤخر العينين كلتاهما سؤال، وقلب

البعيدة وترى بها السماء على شدة ارتفاعها وبعدها وليس ذلك الا لاتصالها في طبع خلقتها بهذه المرآة، فهي تدركها وتصل اليها بالنظر لاعلى قطع الاماكن والحلول في المواضع وتنقل الحركات وليس هذا الشيء من الحواس مثل الذوق واللمس لا يدركان الا بالمجاورة والسمع والشم لا يدركان الا من قريب ودليل على ما ذكرناه من النظر أنك ترى المصوت قبل سماع الصوت، وأن تعمدت ادراكهما معا، وان كان ادراكهما واحدا لما تقدمت العين السمع»(٧).

ولا يسعنا المجال الآن لكي نحلل هذا النص من حيث صوابه وخطئه في تحديد ماهية العين أو طبيعة الابصار

ورأى ابن حزم المفصل فيها اذ أن هذا الموضوع قد تعرض له بنوع اسهاب في كتابه «الفصل في الملل والاهواء والنحل» عند حديثه عن الالوان(٨) لكن الغرض من عرض هذا النص هو بيان المنهج الذي يعتمده ابن حزم في دراساته النفسية ذلك من خلال الجمع ما بين التعليلات الفلسفية النظرية والتعليلات الحسية والتجريبية لتدعيم فكرته في موضوع ما، وهذا هو ما رأيناه في تحديد دور العين النفسي وسبب سموها على جميع الاعضاء الاخرى كدليل على شخصية الانسان الحقيقية.

٣ - ابن حزم والاهتمامات الحديثة بلغة الوجه:

ان موضوع المعرفة النفسية عن طريق ملامح وجه الانسان اصبح علما قائما بذاته في العصر الحديث، وهو مازال في طور التأسيس والبداية، كما أنه مازال يفتقر الى الابحاث والقواعد العلمية الدقيقة، ومع ذلك فان علم نفس الوجه قد يعطي بعض التخمينات الهامة والمقيدة، اذ تدل احدى الدراسات الحديثة في أمريكا بأن أساس الاتصال يحدث عن طريق الوجه والدراسة تعطي النسب

سحر العيون

العين.. لا تعرف الكذب

التالية:

٧٪ من قوة الاتصال يحدث عن طريق الكلام.

٣٨٪ من قوة الاتصال يحدث عن الاسلوب في الكلام والتعبير واللفظ.

٥٥٪ من قوة الاتصال يتمركز في الوجه(٩).

والسبب في هذا التفوق للخطاب بالوجه كما يرى بعض الباحثين هو ان اللسان قد يكذب «عدة مرات» أما الوجه وخاصة العينان فانها تشير الى حقيقة المشاعر الذاتية، ان للعين قوة مغناطيسية قد تصبح سجنا للاخر وعندما يحدق بي الاخر فان هذا الفعل قد يؤدي الى الشعور بالضيق والاكتساح - أي أن الاخر بدأ يسلب حريتي على حد تعبير سارتر - التنويم المغناطيسي نفسه هو نوع من اكتساح الاخر عن طريق قوة العينين والايحاء»(١٠).

ان حركة الوجه وخاصة العينين ليست بالاسلوب البدائي للتعبير، أي أنها قد تجوزت واستعيض عنها بالكلام نظرا لانها كانت الوسيلة الوحيدة للتعبير عند الانسان ورغم أنه لم يبق لها الان ضرورة فان الجسد قد احتفظ بها عملا بمبدأ الجمع بين العادات النافعة(١١).

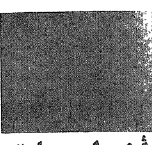
بل على العكس من ذلك فاننا نرى زيادة اهتمام بحركة الوجه ضد الانسان، وأكثر ما تلاحظ هذه الحركات وتُبنى عليها أفكار ما يكون في ميدان السياسة، حيث أننا كثيرا ما نسمع تعليقات الصحفيين على التفاؤل أو التشاؤم من لقاءات بين سياسيين دوليين من خلال وصف ملامح وجوههم أثناء محادثاتهم فيما بينهم، فهم اما أن يوصفوا بالابتسامات أو تقطيب الجبين أو اطالة النظر وتصويبه الى غير ذلك من حركات الوجه التي يستخلص منها الوفاق أو القطيعة السياسية وهذا شيء يدركه جيدا متتبعوا السياسة والاعلام.

ان تحديد مكامن النفس من خلال حركات الوجه وسماته قد أصبح دراسة جد مهمة في علم النفس الحديث ولكنه مازال في بواكيره الاولى، ولم يجد متفرغين بالكلية للخوض فيه، كما اننا لم نعثر ولو على اشارة من طرف الباحثين في الميدان النفسي الى ما تضمنه كتاب «طوق الحمامة» من حديث عن هذا الموضوع الذي رأينا.

ولا يمكن القول بأن ابن حزم كان له السبق في هذه المعرفة والتركيز على دور العين والوجه عامة في التعريف بالانسان بل قد عرفه قبله اليونانيون كما أشار الى ذلك بنفسه(١٢) وعرفته أمم كثيرة وأناس كثيرون غير أن أفكارهم حول هذا الموضوع كانت في أغلبها متشابهة وأحكاما عامة لكن التركيز على الدقائق من حركات العين والوجه التي أوردها ابن حزم فهذا ما كان يعوز تحليلات المفكرين النفسيين قبله، فان تحديد نقاط معينة في العين وحركات فيها خاصة واعطائها مدلولات مناسبة لها يثير الانتباه ويجعلنا نقول بأن هذه احدى خصائص ابن حزم في دراساته النفسية وهي احدى محاولاته لتأسيس علم هو ما سيعرف حديثا بعلم نفس الوجه.

الهوامش

(١) ابن حزم : طوق الحمامة ص:٢٧، تحقيق الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ٢٦.
(٢، ٣) نفس المصدر: ص٢٧.
(٤) نفس المصدر ص ٥٤.
(٥) نفس المصدر ص ٨١.
(٦) ابن حزم: طوق الحمامة ص٥٤.
(٧) نفس المصدر ص٥٥.
(٨) ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٥ ص١٣٧ ، دار المعرفة للطباعة، بيروت - لبنان.
(٩) الدكتور غسان يعقوب: معرفة الذات والاخر ص٢٤، دار االنهار للنشر - بيروت ١٩٧٨.
(١٠) نفس المرجع ص٢٥.
(١١) الدكتور جميل صليبا: علم النفس ص٢٤٢، دار الكتاب اللبناني ٣٦.
(١٢) ابن حزم: طوق الحمامة ص٥٤.



أندلسيات

من ابن زيدون إلى ولادة

شعر:
حسن عبدالرزاق منصور
خميس مشيط

في القلب أنت كنَجْمــة تتــألقُ
مازال نورك في ضميرى يُشْرِقُ
يهــفــو إليكِ وأنت فــيــه خــفــقــةٌ
فـيـهـا ترنم مـذ تـعلم يخـفُقُ
يهــفــو إليك وأنت فــيــه فــرحــةٌ
لا غـيـرهـا في عـمـره يتـذوق
ويراك بسمـتـه التي يفـتـر عنهـا ثغـ
ـره وبهــا الجــوانـح تنطق
يـا درة مـكـنـونـة يـزهـو بـهـــا
جيدُ الزمـان وصدره والمفرق
القلب حــرزُك وهو منك مـشـعـشعٌ
بسناً يفـيـض وجـدَّة لا تَخلقُ
العـين تُغـضي عن رؤاك تجلَّة
والروح في صفو السناء تُحدِّق

* * *

يا زهرة فـتـح الندى أكـمـامَهـا
وحنتْ عليك يدُ الجمـال تُنَسِّقُ
سكب الصبـاحُ النور فـيكِ طهـارة
كـالغيث يهمي للزهور ويُغدِق
في جنة فــوق الروابى أينـعت
وغـراسـهـا ورد يفـوح وزَنبقُ
يـا أرض أنـدلس إليك تحـيَّةٌ
مـا دام زهرك في فؤادي يعبق
لو مـرَّ نفـحك بالسـقـيم لعـاده
عـمـر جـديد، بل شـبـاب ريِّقُ
لكِ في الفـؤاد صـبـابةٌ لا تنقـضي
هي في الهوى عهد لديّ وموثق
أنسـيـمَ قــرطبــة أدرْ ذكــر التي
يهــفــو لهـا قلبٌ وبود شيِّقُ
هي في الحسـان مليكةٌ قـد زانهـا
تاجُ العـفــاف وعـزة لا تُلحَقُ

* * *

يا ظبيـة تخـتــالُ في ثوب الصِّبـا
فـيكِ الجـمـال وروحـه تتـحـقق
فكرٌ وروحٌ كـالصـبـاح إذا انجلى
فـبـه صـفـاء نوره يتـدفق
يلجُ النفـوسَ يضـيـئـهـا، فكأنهـا
مشكاته وهو السراج المشرق
وجــمـال وجــه تَمَّ عن خُلُقٍ زكَا
ومن الدلائل ما يشير ويصدق
في القلب أنتِ فـهل سمـعت حـديثه
كـالفجـر لا يخـفـيه ليلٌ مطبق
هيـمـانُ يخـفقُ في الضلوع كـأنه
طيـر يغـرد سـائراً ويصـفـق
لا الرِّيح تمنعــه ولا عـرف الونى
وأمـامـه أمل يلوح ويبـرق

* * *

عـيناك أغنيـة له لا تنتـهي
وتظلُ في أفق الوجـود تُحلِّقُ
عـيـناك سلوتُهُ وواحـة أمنه
والأرض صـحـراء ونار تُحـرق
وجـد النعـيم جـمـيـعـه في ظلِّهـا
ومن الحنان جداولاً تترقرق
سكنت إليك الروح منذ لقـائنا
وأظلَّهــا أمل جـمـيـل مـونق
جـمع القلوب وعـاش فـيـهـا نابضـاً
كالنور يسرى وهو حـر مطلق
مـهـمـا تُبـاعـد بيننا الأيام أو
تُسـرِعْ بظلم لا يزال يُضـيِّق
فلسوف تبـقى فـسحـة الأمل الذي
نحـيـا به وقلوبنا تتـشـوق
أيام كنا نلتـقى نجنى المنى
والحب يجـمـع خطونا ويوفِّق
يا أيُّهـا الأمـل الذى حلمَت به
أيامنا البيضاء، هل تتحقق؟
هل ترجع الأيام صـفـواً مـثلمـا
كانت لنا في صفوها تتزوق؟

* * *



ابن زيدون شاعر عذبه الحب وهزمته السياسة

جاء الى الدنيا ذات يوم من عام ٣٩٤هـ (١٠٠٣م) فى بلدة اسمها (الرصافة) فى ضواحى قرطبة بالأندلس ورحل عنها أيضا ذات يوم من عام ١٠٤٠م وما بين الميلاد والموت حقبة حافلة بكل شيء بما يفرح ويؤلم، يسر ويؤسى كل ذلك كان مقدورا فى حياة ابن زيدون شاعر الاندلس الكبير.. فى بيئة ساحرة خلابه، بساتينها فيحاء وجداولها صافية وأطيارها مغردة، وفواكهها نضرة، تضج بالجمال ،

بقلم:
د. ن. عبد الهادي
المغرب

ترددت الانفاس الأولى للطفل الذى دُعي باسم أسعد بن عبد الله بن أسعد بن غالب بن زيدون، المخزومي، والذى عرف بعد أن امتدت به الحياة باسم ابن زيدون.

فى هذه البيئة الرائعة درجت خطاه على طريق الحياة فكان نبتة طيبة أعطت ثمارا طيبة، فقد تتلمذ على أيدى خيرة الأساتذة من امثال ابى بكر مسلم بن أسعد بن افلح الدجوي، فنال قسطا وافرا من العلم والأدب كما نال حظا من المال والثراء ورثه عن والده الذى توفى لما كان ابن زيدون فى الحادية عشرة من عمره.. وتفتحت عيون الفتى على نعومة الحياة ولينها، وتعمقت في نفسه صور الجمال حوله فانطبعت فى أسلوبه التعبيرى، فمال الى الشعر، حيث نراه وهو ابن العشرين يبدأ رحلته الشعرية التي امتدت

حتى وفاته..

وهو فى أوج عطائه الشعرى لم ينس مسقط رأسه الرصافة فاتجه نحوها فى شعره يقول فيها:

ولازال نور فى الرصافة ضاحك
بأرجائها يبكى عليه غمام
فان بان منى عهدها فبلوعة
يشب لها بين الضلوع ضرام

ذو الوزارتين :

وما ان استوعب ابن زيدون الحياة من حوله فى الاندلس ووعى الاحداث التى كانت تدور على ساحتها فى ذلك الوقت حتى انخرط فى نشاطاتها بفاعلية وقوة، ومن اوسع ابواب الشهرة دخل محيط ذلك الواقع حتى وصل الى اعلى المناصب ايام ابى الوليد ابن جهور الذى كان والده ابو الحزم (جهور بن محمد الكلبى المتوفى عام ٤٣٥هـ ١٠٤٣م) قد استقل بقرطبة بعد انقضاء الدولة الأموية. فى زمن أبى الحزم ابن جهور جرت مؤامرة لاعادة الحكم الأموى فى قرطبة، وكان اطراف تلك المؤامرة الشاعر ابن زيدون، والمؤامرة انفضح أمرها وانكشفت أسرارها، ووقع أفرادها في قبضة ابن جهور الذى زج بهم جميعا فى السجن ومنهم ابن زيدون، بعد ان قضى على جميع عناصرها، وفر منهم من فر، وسيق ابن زيدون للسجن والعذاب بتهمة اغتصابه عقارا لأحد مواليه بعد وفاته. ولاقى ابن زيدون خلال محاكمته كثيرا من العنت الذى جابهه به القاضى، وتشاء المقادير ان يتمكن ابن زيدون من الفرار من السجن وعقب ذلك ارسل الى استاذه ابى مسلم بن اسعد رسالة يشكو فيها قائلا. «علمك انى سجنت مغالبة بالهوى وهو أخو العمى وقد نهى الله عن اتباعه وذكرانه يضل عن سبيله».

ويحدد ابن زيدون الفترة التى قضاها فى السجن بخمسمائة يوم،

حبه لولادة أورث العربية شعراً رقيقاً ناعماً

فيذكر ذلك فى بيت شعر له يقول:

مئون من الأيام خمس قطعتها
أسيرا وإن لم يبد شد ولا قمط

وكتب الى ابى الحزم ابن جهور رسائل اعتذار وقصائد يستشفع فيها عطفه عليه، ونظم عدة قصائد فى الاستعطاف ومن ذلك قصيدة يتحدث فيها عن أمّه التى تقرحت اجفانها من بكائها على فراقه ليل نهار:

أمقتولة الأجفان مالك والها
ألم تُرك الأيام نجما هوى قبلى؟
أقلّى بكاء لستَ أول حسرة
طوت بالأسى كشحا على مضض الثكل
وفى أم موسى عبرة إذ رمت به
الى اليمّ بالتابوت فاعتبرى واسلى

لعل المليك المجمل الصنع قادرا
له بعد يأس سوف يجمل صنعا لي
وإن رجائى من الهمام ابن جهور
لستحكم الأسباب مستحصد الحبل

وحين توفى ابو الحزم تولى شؤون الحكم بعده ابنه ابو الوليد الذى كان صديقا للشاعر ابن زيدون فقربه منه، وأدناه اليه واسند اليه امر النظر فى قضايا أهل الذمة ثم عينه سفيرا، وصار ابن زيدون يعرف بذى الوزارتين: وزارة الشعر ووزارة السياسة والسلطة.

اسباب وقطيعة :

هكذا انقلبت بسرعة أحوال ابن زيدون من الشقاء والعذاب الى الراحة والهناء والدعة والشهرة، ذاع صيته واتصل بكبار رجالات الاندلس وشخصياتها فى مهمات عمل رسمية وصلات شخصية. ومن الأسباب التى أوصلته الى هذه المكانة انه استخدم الشعر وسيلة يمدح بها صديقه أبا الوليد ابن جهور فقد قال فيه يمدحه:

ما للمدام تديرها عيناك
فيميل من سكر الصبا عطفاك
للجهورى ابى الوليد خلائق
كالروض أضحكه الغمام الباكى

وما ان تمكنت علاقته بأبى الوليد ابن جهور حتى أخذ يلح عليه. من خلال شعره، لينال منصبا رفيعا فهو لم يكن راغبا فى أن يكون شاعر البلاط الجهورى، بل كانت تطلعاته أبعد مدى وأوسع افقا، وأكد فى قصيدة له على ذلك نافيا ان يكون ساعيا للمال بقوله:

لعمرك ما للمال أسعى فانما
يرى المال أسنى حظه الطبع الوغد
ولكن لحال أن لبست جمالها
كسوتك ثوب النصح اعلامه الحمد

لكن كيف للحال ان تدوم فى ظل واقع متقلب لا يستقر الأمر فيه على شاكلة، فقد أصبح ذات يوم وإذا بالأمور على غير ما يحب ويشتهى، فقد، سقطت أعمدة الثقة القائمة بينه وبين أبى الوليد ابن جهور، وأفلح الوشاة الحاسدون فى الايقاع بينهما، وهدم ما بينهما من صرح المودة وقطع خيوط الألفة، فكان ان اخفقت حياته السياسية مما جعله يودع قرطبة مهد صباه، ومرتع شبابه، منتقلا الى اشبيلية، الأمر الذى ثقل عليه واحزنه فأنشد قائلا:

خليلى لا فطر يسر ولا أضحى
فما حال مَنْ أمسى مُشوقا كمن أضحى
معاهد لذات وأوطان صبوة
اجلت المُعَلى من الأمانى بها قدحا

العاشق المعذب :

وإذا كان هذا هو حظ ابن زيدون فى الرياسة والسياسة فكيف كان حظه فى الحب والعشق والغرام؟

فالشاعر ذو الكلمة الرقيقة المنغمة كان له قلب يهيم بالجمال وعين تعشق البهجة ونفس تطير مع الرؤى معلقة فى كل فضاء.. وهو على عادة أقرانه من الاثرياء المترفين علق ذات يوم بحسناء: جميلة، ثرية، أصيلة، حسيبة، تمتد أرومتها حتى تتصل بأصول بنى أمية. تلك هى الولادة بنت محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الناصرى الملقب بالمستكفى.

فهى إذن من بيت الخلافة الأموية فى الاندلس، وهى الى ذلك شاعرة كان لها مجلس يعتبر منتدى للأدباء والشعراء فى قرطبة، وبينها وبين ابن زيدون وابن عبدوس - منافس ابن زيدون فى حبها - اخبار وقصص وحكايات. هذا الحب الذى شبت جذوته فأحدثت ضراما ونارا لها أوار فى نفس ابن زيدون فانفجر الشعر الغزلي معطيا للأدب كنزا من القصائد مما لم يبدع فى مثلها شاعر آخر. وعلاقة ابن زيدون بولادة كما هى علاقة ولادة بابن زيدون، هى الهوى والحب والالهام والهجر والعذاب والأسى. فهى كانت له كل شيء فى فكره وتصوراته وهو كان لها علامة بارزة فى الحياة، ولقد ظل يقول الشعر فيها ويرسله اليها حتى بعد أن تعكرت مياه الود والهوى بينهما، وحتى بعد مغادرته قرطبة نهائيا إلى اشبيلية ووفاته فيها.

فشعره فى ولادة ، ولها، يحمل نبض تاريخ ابن زيدون، فهى كانت ملهمته ومحركة التوتر الشعرى الدائم فى صدره. ومضرمة نار الحياة فى قلبه.. وبغض النظر عن اختلاف المؤرخين في ولادة بنت المستكفى وهل هى ابنة عز ودلال أو أنها قضت ما يقارب الثلاثين عاما من عمرها فى احضان البؤس والشقاء، إلا ان ما هو مهم هنا هو أن ولادة حين التقت ابن زيدون اول مرة خفق قلبها بحبه فأرسلت اليه ابياتا تطلب فيها لقاءه وتواعده.

وابن زيدون يروى ذلك بقوله:

«كنت فى ايام الشباب وعزة التصابى هائما بغادة تدعى ولادة فلما قدر اللقاء، وساعد القضاء كتبت إليّ:

ترقب إذا جن الظلام زيارتى
فإنى رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح
وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

اروع ما قال ابن زيدون فى وصف ما فعل به الحب والعشق والهوى هذه الابيات التى تفصح عن حاله، مفسحا المجال لنفسه بالفخر والتباهي من خلال واقعه المؤلم. قال:

قالوا أضرّ بك الهوى فاجبتهم
يا حبذاه وحبذا إضراره
قلبى هو اختار السقام لجسمه
زيا فخلوه وما يختاره
عيرتمونى بالنحول وإنما
شرف المهند ان ترق شفاره

ضربها وشهر بها :

ويتضح من بعض الملابسات التى رافقت حياة العاشقين ابن زيدون وولادة ، ان المنغصات استحكمت بينهما، فى ظل منافس آخر لابن زيدون فى حب ولادة هو الوزير الشاعر ابن عبدوس، وإذا كان الاجل لم يمتد بابن زيدون حيث انتهى بوفاته عام ١٠٤٠م فى اشبيلية بعيدا عن بلده وحبيبته، فإن العمر امتد بولادة حتى عام ١٠٩١م التى قضت نحبها فى قرطبة يتنازعها الشعور بالاقتراب من ابن زيدون حينا والتباعد عنه أحيانا، والرضا عنه مرة والغضب عليه مرات، وإذا كانت الأعراف والتقاليد تحول بين المرأة والجهر بحبها وعشقها، فإن تلك العادات والتقاليد كانت تقيد الرجل

أنـدلسيـــات • أنـدلسيـــات • أنـدلسيـــات

بما هو أخف وطأة من المرأة، فكان الشاعر يتحرج من الاعلان عن اسم محبوبته، وكان يستعير لها كنية واسما من صنع خياله، لكن ابن زيدون اجتاز ذلك فأعلن صراحة وجهرة عشقه لولادة وشهر بها، حتى أنه ذات يوم شجر خلاف بينه وبينها فى مجلس غناء عندما طلب من عتبة جارية ولادة اعادة الغناء، وتطور الأمر بينهما فأدى الى اعتدائه عليها بالضرب.. عن ذلك قال ابن زيدون:

ان تكن نالتك بالضرب يدى
واصـــابتك بما لم أرد
فلقد كنت لعمرى فاديا
لك بالمال وبعض الولد

وتطور الأمر بينهما الى الأسوأ عندما قالت ولادة ابياتا تهجو فيها ابن زيدون، وتمس كرامته وتقذفه بأشنع السباب.. ومهما قيل من أسباب القطيعة والتنافر بينهما فان علاقة الحب والهيام التى ربطتهما تظل أقوى وأمتن، حتى قيل فى ذلك «ان قصة ابن زيدون لولادة من اشهر قصص الحب في الاندلس، فقد أصبحت صورة ابن زيدون وولادة طاغية على ما سواها من قصص الحب والغزل الاندلسيين، وسبب ذلك انها تمثل العلاقة الارستقراطيه بين اثنين من السادة».

عناصر أذكت شاعريته :

وإذا كان الحب فى نفس الشاعر أهم المحفزات التى تدفع خياله الى صنع الابداع والابتكار وإذا كانت الحبيبة وصورها فى ذهن الشاعر جناحي العبقرية والشاعرية عنده فإن هناك عناصر اخرى مهمة فى حياة ابن زيدون، إضافة لولادة، أذكت شاعريته، واضاءت سراج الابداع فى نفسه فانطلقت قريحته تجوب آفاق الشعر وتحلق فيها غزلا ومدحا ووصفا.. ومهما كان الرأي فى شعره من حيث خصائصه الفنية فإنه احتل بجدارة منزلة رفيعة فى كتاب الشعر الاندلسي جعلت صاحب «قلائد العقيان» يقول عنه: «زعيم الفئة القرطبية، ونشأة الدولة الجهورية الذى بهر بنظامه، وظهر كالبدر ليلة تمامه، فجاء من القول بسحر، وقلده أبهى نحر، لم يصرفه الا بين ريحان وراح».

ومن هذه العناصر التى دفعت ابن زيدون الي المقدمة بين أقرانه أن شعره عبر عن تجربة صادقة مثلت لونا واقعيا يدور حول علاقة حية غير مبهمة، مثلت لقاء فى المستويين العاطفى والاجتماعي، وتقاربا فكريا وظهرت فيه سمات قصة الحب أكثر من سمات الغزل.

ولا شك أن البيئة فى موطنه الاول قرطبة ثم فى موطنه الثانى اشبيلية كانت عونا له فى الامتزاج بالطبيعة والتوحد معها، والتعبير عنها فى صور كثيرة نأت عن السطحية فاجتازت الاعماق سحرا وشفافية، من ذلك مزجه الطبيعة بالحب فى قوله:

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والافق طلق ووجه الروض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله
كأنمـا رق لـى فاعتـل اشفـاقا

قصيدة أهدرت دمه :

وحين التحدث عن ابن زيدون لابد من وقفة تأمل فى قصيدته النونية المشهورة التى حاول فيها التقرب من حبيبته ولادة والاعتذار اليها معبرا فيها عن حنينه اليها بعد طول بعاد، مبينا أنه لم يسل عنها بالخمر ولا انطفأت جذوة الحب في ضلوعه، حتى إن هذه القصيدة :كانت سببا فى جعل والى قرطبة يميل الى الغضب الشديد عليه فيهدر دمه!!

وليس هنا مجال الاشارة المستفيضه الى نقاط الجمال والابداع فى هذه القصيدة التى استهلها بقوله:

اضحى التنائى بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ففيها كان صادق العاطفة والتعبير عنها، وسار على خطى شعراء المشرق وأكثر من الطباق والجناس والمقابلة، وكانت موسيقاها نابضة بالحركة والحياة، ومزج الطبيعة بالحب والطرب والبكاء.

ويكفى ابن زيدون أنه من خلال الحب ولوعة الفراق خلده الشعر عاشقا اكثر مما خلدته الرئاسة السياسية والسفارة، فقد جلب له عذاب الحب والعشق شهرة أكثر مما جلب له عذاب السياسة من ألم وسجن واغتراب، ففى فشله السياسى لم يكن ابن زيدون شاعرا قدر ما كان مبدعا ورائعا من خلال غزله وعشقه وفشله فى الوصول الى حبيبته ولادة، فابن زيدون معذب فى الحب مهزوم فى السياسة، لكنه فى الاول كان شاعرا محفوظا له ذكره على مر الزمان، وفى الثانية لم يجر له ذكر على أى لسان.



ابراهيم فـ

الفودة أحد رواد الحركة الشعرية في المملكة

محمد مرسي محمد - مصر

ان تحديد الشعر العربي كان من اول لبنة من لبنات تأسيس المملكة العربية السعودية حينما اسسها المغفور له الملك عبد العزيز وعند تأسيسها أقبل إليه عدة من شعراء هذه المملكة وانضموا إليه مناصرين ومؤيدين لدعوته الاسلامية وتوحيد شمل الأمة ونشر الشريعة الإسلامية.

ولقد اتاحت المملكة العربية السعودية للشعراء السعوديين التجاوب مع الحياة وتجاربها الشعرية والشعورية ، وهيأت لهم الوسائل وشجعتهم على نشر الإسلام بشعرهم

وبلا شك كان يوجد العديد من العوامل التي اثرت في تكون الشعر العربي السعودي ونمو اتجاهاته ومن هذه العوامل :

١ - انتشار التعليم في مدن وقرى المملكة .

٢ - وجود الاعلام المرئي والمسموع والمقروء.

٣ - التطورات الحديثة في المملكة

٤ - المحاربة للتيارات الفكرية الضارة .

٥ - انتشار المكتبات في شتى أنحاء المملكة .

٦ - الحروب والأحداث في الدول العربية الشقيقة مثل حرب الجزائر ونكبة فلسطين وحروب سوريا ومصر والعراق من اجل الاستقلال.

وإذا سلمنا باهمية الشعر وخطره لزم أن نتحدث عن مهمة الشاعر في الحياة ، ومهمة الشاعر امتداد لمهمته المطلقة كمسلم قبل ان يكون شاعراً . ومسئولية المسلم إزاء عقيدته ؛ وامته واضحة ومهمة الشاعر تنسجم مع المسئولية العامة ..

ولما كان للشاعر مزيد فضل تضاعفت المسئولية بقدر هذه الزيادة، واصبح لهذه المزية مهمة يحاسب عليها تركا وفعلا ..

ويمكن حصر هذه المهمة بالتزام ماحدده القرآن الكريم في آيات الشعراء(١) «والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وانهم يقولون ما لا يفعلون * إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنْقلب ينْقلبون» (الشعراء/٢٢٤-٢٢٧).

والشاعر العربي السعودي لم ينقطع في أي وقت بشعره عن كل الأغراض لخدمة الاسلام والاهتمام بالمسلمين فنجد الشاعر العربي السعودي كتب في العبادات والعقيدة والمدائح النبوية والشخصيات الاسلامية والأحداث الوطنية وصولا الى الشعر الاجتماعي الذي يتناول قضايا البشر الاجتماعية من الصداقة والتحذير من الحسد والكبرياء والترف.. الخ.

والأديب ابراهيم فودة لم يتخلف عن مواكبة هذا المنهج الذى نهجه الشعراء السعوديون.

فمن الموضوعات التى تناولها الشاعر فوده فى قصائده موضوع التوحيد.. عن قضية القضاء والقدر نجد ان الشاعر السعودى عالج هذه القضية ابتداء لترسيخ معتقده أو لعارض يدفع إليها، وتأتى معالجته محصورة فى النظر الفكرى أو التحليل العقلى الفلسفى بماديته المتدينة فتنفذ الى قلب المتلقى دونما غبش أو تعتيم.

يقول ابراهيم فودة فى هذه القضية:

لعلى تحديت القضاء بحلفتى
فكان لزاماً أن أخيب وأنكثا
وما كنت وايم الله أؤمن لحظة
بأنى لما أجريت قد كنت مبعثا
أرانى أداة فى يد الغيب سرها
ومنفذ ما شاء القضاء ومنفثا

والمسلم مطلوب منه التوبة الى الله وان تكون توبة نصوحا، على ما بدر منه من اساءة وخطيئة فى حق العبادة أو العباد

ففى ذلك يقول الشاعر ابراهيم فودة:

اليك أتوب ياربى متابا
وعندك ارتجى الحسنى مآبا
اليك أتوب من شتى الخطايا
وما كذب الفؤاد وما أصابا
اليك أتوب من خطرات نفس
اذا حكمتها كانت معابا

...ودة.. شاعراً

اليك أتوب من دنس خبيء
بنفس تدعى التقوى كذابا
فوفقنى اتباع الحق سبلا
ورشدنى المحجة والغلابا
ونور بالهدى بصرى وقلبى
وألهمنى الدعاء المستجابا

ويختتم فوده قصيدته «توبة نصوح» بقوله:

اليك أتوب من خطئى وعمدى
وبعض العمد أهونها حسابا
وكم كسب الخطيئة غير عمد
سفيه القوم فاستشرت مصابا
على النيات ترتكز القضايا
وتستملى المثوبة والعقابا
وما يجزى من النيات شيء
فتى ضل المسالك والشعابا
اليك أتوب من ماض حفيل
بحسن الظن ، حين الظن خابا

الشعر الاجتماعى عند ابراهيم فودة:

وأسلوب الشعر الاجتماعى يتسم بمباشرة الدلالة ووضوح المعانى، وبساطة الصياغة، ويظهر فيه التركيب النثرى المعتمد على الحقيقة والخطابية مما قلص الصورة الموحية والتركيب الشعرى الأخاذ. وهذه الخصائص الأسلوبية التى تبدو فى مثل هذا اللون من الشعر حملت دعاة الجمالية فى الأدب على الوقوف فى وجه المطالبين بتوظيف الشعر لخدمة الحياة حفاظا على سلامة الأداء الأدبى من الوقوع فى النظم وخروجه عن أدق خصائص الشعر .. ومن أبرز القضايا الاجتماعية التى تناولها الشعر السعودى هى قضية المرأة، ومشاكل الفقر وتفشي الأخلاق الرديئة، فى السلوك والتعامل.. الخ.

والشاعر السعودى عالج كل هذه القضايا عبر طرق وأساليب متعددة، وأسهم بوعي واحساس عميق فى تخليص المجتمع من تلك السقطات.

فمن القضايا الاجتماعية التى تناولها الشاعر ابراهيم فوده فى شعره:

١ ـ الوفاء للأصدقاء:

ان قيام الشعر بمهمة تقبيح المواقف السيئة والثناء على المحمود منها بين الأصدقاء والاخوان يعد اسهاما يؤدى ـ بلا شك ـ الى نتائج حميدة.. ومهمة الشاعر المسلم تقوم على تنوير العامة وتبصيرها والأخذ بيد الكافة الى جاد الصواب، ورفقاء السوء من الظواهر الاجتماعية الخطيرة التى حذر منها الاسلام وخوف من مغبتها.

وشاعرنا ابراهيم فودة كانت الصداقة عنده تمثل قمة الأمانة وواجب الوفاء للزملاء كان مبدؤه فى حياته العامة والخاصة(٢)، فنجد الاديب ابراهيم فوده يبعث نفثة وفاء ودمعة وداع الى روح فقيد البلاد الجليل محمد سرور الصبان فى قصيدته «وجب الوفاء»:

وجب الوفاء فما على ملامة
أن بُحت بعد الصمت بالاطراء
قد كنت ألتزم السكوت مخافة
من أن يقال مداهن ومراء
وأنا الذى صارحته فى مجده
بالنصح والشكران والاغراء
لكن وقد ذهب الرجاء ولم يعد
إلا الوفاء فشيمة لابائى
بالامس ودعت الحبيبة صامتا
الا الدعاء فكان كل رثائى(٣)
واليوم أفجع فى حبيب لا أرى
انى موفيه بغير دعائى
ان الدعاء اذا تصعد خالصا
من أكبد حرى أحر ثناء
يا من شغلت الناس ملء قلوبهم
حباً وملء جيوبهم بسخاء
وشغلت كل الناس ملء عقولهم
نقداً وفلسفة وجدّ مراء
وشغلت بعض الناس ملء نفوسهم
حسدا وتلك ضريبة الكبراء

٢ ـ وعن الفقر والغنى يقول ابراهيم فودة:

ليس من شيمتى ولا عاداتى
أن أباهى بالفقر أو بالثراء
فالغنى ليس نسبة حين تجنيه
بكد وقدرة وإباء



وإذا ما قعدت عن واجب السعي
ففــي الفقر سُبّة الأغنياء

٣ ـ وعن الطمع ومقـاومتـه يقـول الشاعر ابراهيم فودة:

والخوف في بعض المواضع حكمة
عزّت على من يُحسبن شجاعا
وإذا النساء أسرن بالحب الفتى
لبس الحيـاء أمامهن قناعا
ليس الشجاع هو الشديد مصارعا
لكنه مــن قــاوم الاطماع

٤ ـ وعن جمال الخلق يقول:

ليس الجمال بحسن الشكل في صور
ان الجمال بحسن الخلق والخلق
فإن يكن خاوياً في ذات جوهره
ما كان الا كثوب ناعم خلق(٤)
تبين من خلفه أسواء صاحبه
فليس يحجب ما فيه من الخرق(٥)
وقد يغطي جمال الخلق منقصة
في الخلق لولاه ما غابت عن الحدق
فان تجمع حسن الذات مكتسبا
حسن المعاني تجلى الحسن في غدق

٥ ـ وعن القناعة يقول ابراهيم فودة:

لعمرك ما قاد الفتى لرذالة
ولا لاحتمال الضيم الا طماعته
فمن شهد الدنيا حطاما ولذة
عليه تسامت للسموات هامته(٦)

رحم الله الشـاعـر ابراهيم فـودة الذي قال:

الشعر: ألحان وموسيقى يؤلفها
شعور مستهام
الشعر: أزهار الأحبة في بساتين
الغرام
الشعر: ألسنة المودة بين أفئدة
الأنام

الصدق الشعوري وانتقاء الكلمة من المميزات البارزة في شعر ابراهيم فودة

الهوامش :

(١) د/ حسن فهد الهويمل، النزعة الاسلامية في الشعر السعودي المعاصر، الرياض، ١٤١٢ ـ ١٩٩٢م

(٢) من قصائد الوفاء للأهل والأصدقاء التي كتبها ابراهيم فودة:

أ ـ قصيدة «المجاهد العَلم الامير عبد الكريم الخطابي» في ذكرى مرور عام على وفاته.

ب ـ قصيدة «بلد العقاد والسد العالي» نسبة الى عباس محمود العقاد وبلده أسوان بجمهورية مصر العربية.

جـ ـ قصيدة «شاعر العروبة الكبير فؤاد باشا الخطيب» الذي كان شاعر الثورة العربية الأولى وأول شاعر من شعراء النهضة العربية الحديثة نادى بالقومية العربية نداء بينا».

د ـ قصيدة «على قبر أبي» وهي نفثة من قلب الشاعر انفرجت عنها شفتاه عند زيارته لقبر أبيه.

هـ ـ قصيدة «الى روح عمي» ففي عام ١٣٨٠هـ توفي عم الشاعر وهو الشيخ أحمد ابراهيم فودة بمكة المكرمة ونقل البرق الى الشاعر خبره وهو في القاهره.. فكتب له هذه القصيدة.

(٣) اشارة الى والدة الشاعر تغمدها الله والفقيد والشاعر بالرحمة.

(٤) الخلق: البالي.

(٥) الخرق: ضعف الرأي والحمق وسوء التصرف والجهل وعدم الرفق.

(٦) حطام: الدنيا ما فيها من مال كثير أو قليل والهامة الرأس وتطلق على الجثة.

للأستاذ الكبير علي عبد الرازق وزير الأوقاف الأسبق، فكره المستقل، ورأيه الحرّ، وقد أحدث كتابه عن «الاسلام وأصول الحكم» ضجة فكرية جوّفتها السياسة الحزبية، فانتقلت من حيّز الى حيّز، ثم رأى الأستاذ بعد تجربته في هذا الكتاب أن يؤثر التؤدة ، فلم يكتب من المقالات والبحوث ما يُوحي به استعداده، ولكنه اكتفى بمقالات هادفة ينشرها في السياسة الأسبوعية أيام ظهورها، ثم في مجلات دار الهلال، هذا غير محاضراته في الندوات الرفيعة التي كان يتحدث فيها كبار رجال الفكر في مصر، مع دروس علمية في أصول الفقه ألقاها على طلبة الدراسات العليا للشريعة الاسلامية بكلية الحقوق في جامعة القاهرة، ثم طبعها تحت عنوان «الاجماع في الشريعة الاسلامية».

وقد قابلتُ الأستاذ الكبير مرتين متواليتين، فحظيت بفضله وعلمه وكرمه، وتنقل الحديث من موضوع الى موضوع، في مدار العلم والادب وقد أعجبني منه حسن استماعه، إذ كنت ـ على الفارق الكبير بيني وبينه ـ أجابهه بالمخالفة، فيصغي في تأمل، ثم يوجهني الى ما غاب عني من نقاط يعرفها حق المعرفة في هدوء العالم المتمكن، والأستاذ السمح.

لقد تقدّمتُ بكتاب (الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير) إلى المسابقة الأدبية بمجمع اللغة العربية في مصر، وكان الأستاذ أحد الفاحصين، فظفرت بتقديره، وحين اجتمعت اللجنة للمداولة، وجد من بعض الأعضاء من يعارض اتجاهه، وحجته أني لا أعرف اللغة الأسبانية، وعلى من يكتب في الأدب الأندلسي أن يعرف الأسبانية، فقال الاستاذ علي، أنا لا أعرف الأسبانية، وأنت لا تعرفها، وكان لزاماً علينا بمقتضى

الأستاذ علي عبد الرازق


علي عبدالرازق

بقلم:
أ.د. محمد رجب البيومي
المنصورة

وجهتك ألا نحكم على الكتاب حتى ندرسها! ووافقت اللجنه على تقدير الأستاذ.

علمتُ بعض ما كان، فأحببت أن أسعد بلقائه، وكأن الحظ كان معي، فقد جاءني من قال إن الاستاذ على عبد الرازق سأل عنك، ويحب أن يراك، وهي بشرى طيبة لأني أجد في محادثة الكبار من الاساتذة آفاقاً جديدة تشع أمام عقلي فجأة، ولهذه المحادثة تأثير يفوق تأثير القراءة في الكتب، لأن صاحب الحديث يدافع عن رأيه، فترى في بريق عينه، وسحنة وجهه، ونبرة صوته ما يزيد حديثه تمكنا ورسوخا، وهكذا شرعت الى منزل الأستاذ بالدقى ذاتَ أصيل.

(اللقاء الأول)

قابلني الرجل الكريم بهدوء باسم، وفهمت من حديثه أنه قرأ كتابي من ألفه إلي يائه، وقد سأل عن نقاط شتى فأجبته عنها كما أستطيع، وكان الحديث يتجه في أكثره وجهة الأدب الخالص، فرأيت أن أعدل به الى مباحث التشريع، فقلت: لقد وقع في يدى كتاب (الإجماع) وقرأته باهتمام، ثم علمت أن الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قد عقب عليه ، فناقش أموراً جوهرية، تتعلق بباحثه، واختلاف الأساتذة الكبار متوقع منتظر، فهل قرأت ما كتب الأستاذ شلتوت؟.

فقال الاستاذ: إن الشيخ محمود شلتوت من أعز أصدقائي، وترجع معرفتي به إلي أكثر من ثلاثين عاما وله رأيه الحرّ وقد ناقش آرائي دون أن يشير الى اسمي، وكأنه رأى أن تكون الموضوعية وحدها منهجاً يُلْتزم، وقد قابلته بعد ظهور كتابه عدة مرات في جلسات مجمع اللغة العربية. وتحدثنا في مسائل كثيرة، ولكنه لم يشر الى شيء مما كتب في حديثه معي، فآثرت ألاّ أفاتحه حتى يبدأ، وقد حمدت له سلوكه العلمي لأنه احترم الرأى المعارض، وناقشه في حدود الأدب واللياقة، ولو سلك المعارضون على مسلك الأستاذ شلتوت لما صادفت كثيرا من العقبات.

أدركت من حديث الأستاذ، أنه يشير الى المعركة الكبرى حول كتابه (الاسلام وأصول الحكم) إذ رأى الأستاذ رأيا لم يُوفّق في تحقيقه، فقابله الجمهور بصخب مائج، واندفع بعض الكتاب الى مهاجمة تتعلق بشخص الكاتب لا رأيه فقلت في أدب: إن ما ذهب إليه كتابك عن الاسلام وأصول الحكم حين قررتَ أنَّ الاسلام صلة روحية بين العبد وربه، وليس دستور معاملة وتشريع! كان من الخطورة بحيث لا يجوز السكوت عنه!.

قلت هذا وأنا أخشى أن أغضب الأستاذ وقد قابلني مقابلة كريمة، ولكنه سأل في هدوء أتقول إني قلت إن الاسلام صلة روحية فقط! لم أقل هذا وقد أوضحت مقصدي في مقال صريح نشرته بمجلة (رسالة الاسلام) التي كانت تصدرها جماعة التقريب، رداً على الاستاذ الدكتور احمد أمين حين قال ان هذه هي فكرتي!

كان ما قاله الاستاذ مفاجأة لي! فأنا أعرف أنه قرر أن الاسلام صلة روحية فقط، وما قامت الفرقعة الصاخبة إلا من جراء هذا القول وان الذين عارضوه في كتب مستقلة من أمثال الشيخ محمد بخيت المطيعي ومحمد الخضر حسين ومحمد الطاهر عاشور قد وجهوا الهدف الى إبطال هذا الزعم، فهل يكون الاستاذ قد رجع عن موقفه بعد سنوات راجع فيها نفسه، وقرأ ما كتب معارضوه بإمعان، فصحح الرأى وعاد الى الصواب؟!.

لقد صممت أن أراجع مقال الاستاذ، وارتحت كثيراً لهذا النبأ الجديد، وانتقل الحديث الى شجون

أخرى ألمنا فيها بمؤلفات شقيقه الاستاذ الاكبر مصطفى عبد الرازق، وصداقاته المختلفة لكبار المفكرين والشعراء فى هذا العصر، ثم ذكّرت الأستاذ بمحاضرة جيدة ألقاها عن التجديد فى البلاغة العربية، ونشرها بمجلة الهلال، فراعنى أن أجده قد نسيها كل النسيان، وقد طلب منى أن أحضر مجلة الهلال التى أشرت اليها، ليرى ما قال.

(تحقيق ودراسة)

اتجهت من فورى الى البحث عن أعداد مجلة (رسالة الاسلام) وكانت مهمة صعبة، لأن الاعداد كثيرة، والرجل لم يحدد تاريخ الصدور

رسالة الاسلام أوسع من ذلك فهى روحانية ومادية معا، بدليل ما ورد فى القرآن الكريم من نظام البيع والشراء، والاجارة والمعاملات المالية، ومسائل الاحوال الشخصية من زواج وطلاق ونحو ذلك».

ثم صدر العدد الثالث يحمل مقالا تحت عنوان (الاجتهاد فى نظر الاسلام) ص٢٤٦ بقلم الاستاذ على عبد الرازق باشا قال فيه بعد أن نقل عبارة الدكتور أحمد أمين:

«وقفتُ أمام ناظرى كلمة رسالة الاسلام روحانية فقط، ولم تشأ أن تمر من غير أن تثير ذكرى قصة قديمة لهذه الكلمة معى، فقد زعم

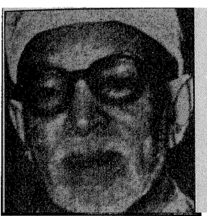
الدكتور أحمد أمين وهو مما أثار دهشتى لأنى أعرف أنه قال هذا الكلام بمضمونه ان لم يكن بلفظه، ولو كان ينكر كلمة (روحانية) فإن مادتها صريحة فى كتابه حيث يقول ص ٦٩ ط أولى «ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها إيمان القلب، وخضوعه خضوعا تاما يتبعه خضوع الجسم، وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون له بالقلوب اتصال تلك ولاية هداية الى الله، وارشاد اليه وهذه ولاية تدبير لصالح الحياة وعمار الأرض، تلك للدين، وهذه للدنيا، تلك لله، وهذه للناس، تلك



الشيخ محمود شلتوت



د. أحمد أمين



الشيخ محمد الخضر حسين

فيريح الباحث، اذ لا يذكره، ثم كان من توفيق الله أن وجدت ما أريد فى عددين متلاحقين (هما العدد الثانى والعدد الثالث) من السنة الثالثة ـ ابريل ١٩٥١، ويوليو ١٩٥١م لأن المجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر، وفى العدد الثانى ص ١٤٦ وجدت مقالا للدكتور احمد أمين تحت عنوان (الاجتهاد فى نظر الاسلام) يقول فى مطلعه:

«كنت أتجادل فى الشهر الماضى مع معالى الاستاذ على عبد الرازق باشا، وكنا نستعرض حال المسلمين وما وصلوا اليه من جمود، فقال إن دواء ذلك أن نرجع الى ما نشرته قديما من أن رسالة الاسلام روحانية فقط، ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل، فقلت إن رأيى أن

الطاعنون الذين جعلوا فى قلوبهم الحمية يومئذ، أننى فى ذلك البحث قد جعلت الشريعة الاسلامية شريعة روحانية محضة، ورتبوا على ذلك ما طوعت لهم أنفسهم أن يفعلوا، أما أنا فقد رددت ذلك عليهم وقلت لهم يومئذ صادقاً ومخلصا أننى لم أقل ذلك لا فى هذا الكتاب ولا فى غيره.. وأسوق هذا الحديث ليذكر الاستاذ الكاتب الكبير أن فكرة روحانية الاسلام لم تكن لى رأياً يوم نشرت البحث المشار اليه وأنى رفضت يومئذ رفضاً باتا أن يكون ذلك رأيى ، فما ينبغى أن أعود اليوم فأقول إننى أدعو الى أن نرجع الى ما نشرته قديما من أن رسالة الاسلام روحانية فقط».

هذا ما قاله الاستاذ ردا على

زعامة دينية، وهذه زعامة سياسية، ويا بعد ما بين السياسة والدين) ثم يقول الاستاذ على عبد الرازق ص٧٨ من الطبعة الأولى.

«والدنيا من أولها الى آخرها وجميع ما فيها من أغراض وغايات أهون على الله من أن يقيم على تدبيرها غير ما ركّب فينا من عقول، وحبانا من عواطف وشهوات، وعلّمنا من أسماء ومسميات هى أهون على الله من أن يبعث لها رسولاً وأهون عند رسول الله من أن يشتغلوا بها وينصبوا لتدبيرها».

هذا بعض ما جاء فى كتاب «الاسلام وأصول الحكم»، وهو تأكيد لما ذكره الدكتور احمد أمين عن الاستاذ فما معنى هذا التعارض؟ يخيل إلي أن الاستاذ على عبد

الرازق قد آثر التراجع بطريقة سياسية لا بطريقة علمية، وهو تراجع لا شك فيه!.

وقد عملت على نشر ما قاله الاستاذ فى أوسع نطاق أملكه، فنشرت عنه مقالين أحدهما بمجلة الثقافة والآخر فى جريدة الوفد كما دوّنته فى كتابين من مؤلفاتى هما الجزء الثانى من قضايا إسلامية طبعة دار الوفاء، وكتاب (الأزهر بين السياسة والفكر) وقد صدر فى سلسلة (كتاب الهلال) وقد جاءنى مندوب لصحيفة يومية فأخذ صورة شمسية من مقال الاستاذ عبد الرازق ونشرها فى الصفحة الدينية



رحلة في الذاكرة

زيارته بعد أسبوعين من اللقاء الأول، فارتاح لرؤية ما كتب من قبل، وذكر أنه ألّف كتاباً فى البلاغة تحت عنوان (الأمالى) فى صدر حياته الأدبية إذ كان مدرساً بالأزهر قبل أن يسافر الى أوربا، وهو وسط بين التجديد والتقليد، ولكن بذرة التجديد تكمن في أحشائه، وقد كانت محاضرة البلاغة إحدى ثمار هذا التجديد!.. قلت إن الكاتب الكبير



الشيخ محمد الطاهر عاشور



الشيخ محمد عبده

لتعلن الحقيقة مرات شتى، فينتفى الالتباس، لأن خصوم الفكرة الاسلامية يتحدثون عن التشريع الاسلامى، ولا مرجع لهم غير كتاب الاستاذ! ومن عَمى العيون عن الحق أن يصدر فى نقض الكتاب عشرات المقالات والبحوث ثم لا يقرؤها المغرضون، ولو كانت الحقيقة دافعاً لبحوثهم لاستمعوا الى الرأى الآخر، بل لقرءوا ما كتبه الأستاذ فى مجلة رسالة الاسلام، وهو مرجعهم الوحيد.

(اللقاء الثانى)

قلت إن الاستاذ قد طلب منى عدد الهلال الذى يحمل محاضرته (عن تجديد البلاغة) وقد اتضح أنها نشرت فى عددين متتالين لا فى عدد واحد، فأحضرتهما وتوجهت الى

الاستاذ عبد العزيز البشرى قد عقب بمحاضرة كبيرة عن التجديد البلاغي نحا فيها منحى الأستاذ وقد نشرت أولا بالهلال، ثم بالجزء الثانى من المختار!.. فقال: لا يُستغرب أن ينحو البشرى هذا النحو، فقد كنا من هواة الأدب الرفيع أثناء الطلب بالأزهر وكان محمد عبده والمرصفى من أساتذتنا، وكنا نسمر معا فى منزلنا بعابدين، ومعنا أخى مصطفى ومحمود أبو العيون وطه حسين والزيات! وكان البشرى مصدر سرور دائم لنا، وهو فى البيان العربى أصيل أصيل، تربّى على أدب المويلحى واحتذاه فى مطلع حياته، ثم تصدر الى المقام الأول من الكتاب.

أعجبنى ما قاله الاستاذ عن البشرى ثم استدركت أقول كان فى طوق أديب كبير كالاستاذ البشرى أن يؤلف كتاباً عن التجديد البلاغي دون أن يكتفى بمحاضرة فلماذا لم يفعل؟.. فقال: ما كنت أظن البشرى يعكف فى منزله لتأليف كتابه، إنه نديم سمير مثل حافظ ابراهيم ومحمد البابلى وهؤلاء تستهلكهم مجالس السمر، ولا يطيقون عنها منصرفا! لقد كان البشرى يمر فى الليلة الواحدة على عدة مجالس فكيف يفرغ! اعتقد أن أصحاب الصحف قد أجبروا البشرى على نشر مقالاته، إذ كان مطلوبا مرغوبا، وهم يُلحّون ويلحّون، وبذلك أجبر نفسه على الكتابة فى مقال أو محاضرة، أما العكوف على بحث دقيق فلن يتفرغ له، وله عمله الحكومي نهارا، ومجلسه السامر ليلا، وكلٌ ميسّر لما خلق له، رحمه الله، فقد أسعدتنى بذكره!

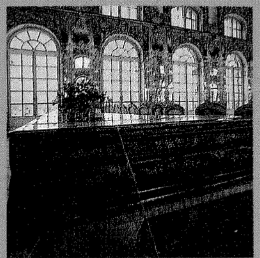
قلت: ألا تتكرم بجمع ما تناثر فى الصحف من مقالاتك كما فعل البشرى؟.. فقال: لقد جمعت مقالات أخى مصطفى عبد الرازق بعد جهد شديد، وكنت أجد بعض مقالاتى أثناء البحث فلا أحفل بها، وحين ظهرت مقالات مصطفى قوبلت بترحيب حار من ذوى الفكر، فحمدت الله على ذلك، وذلك حسبى! إن لى مرافعات قضائية تتضمن أصولا كثيرة من الأحكام الشرعية وأحب أن أفرغ بعض الوقت لها، ولكن ما أكاد أبدأ، حتى أنصرف، والدنيا لا تسير كما نريد، ولمحت بعض الإرهاق على محيّا الرجل، فاستأذنت، وكان يعانى مرضا لا أدريه.. ولم تمض أيام حتى قرأت منعاه، فترحمت عليه ذاكرا استقباله العطوف.

٨١

اقرأ في هذا العدد
من مجـــلة..

الســـــائح

الجــديدة.. مــدينة الأســمــاء الخمـسـة





سـانت بيتـرسـبورج مدينـــة القياصرة

عجائب وغرائب العالم في ((٤)) سياحــة

،،، في البلدان والعمران.. في التقاليد والأعراف، في تقاطع وجوه الناس، السائح يستقرىء الملامح ويرسم اللوحة،،،

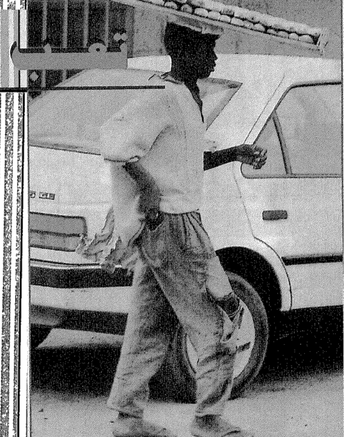
٤ سياحة
٤ سياحة
٤ سياحة
٤ سياحة
٤ سياحة
٤ سياحة

الثعـ
تحب البـ

كنّا نظن أن البشر وحدهم هم أصحاب الغرائب والعجائب٠٠ وأن البشر اصحاب هوايات لا تصدق٠٠ لكن، هذه الصورة، تقول غير ما كنا نظن٠٠ هذا الثعبان يبتلع البيضة بكاملها٠٠ حتى إنَّا لنظن أن فكيه لن يلتقيا ثانية٠٠ والاكثر غرابة حجم البيضة في داخله٠

يقال ان هذا النوع من الثعابين غير سام ٠٠ ورغم اطمئناننا لهذه المعلومة هل تستطيع أنت الاقتراب منه؟!!

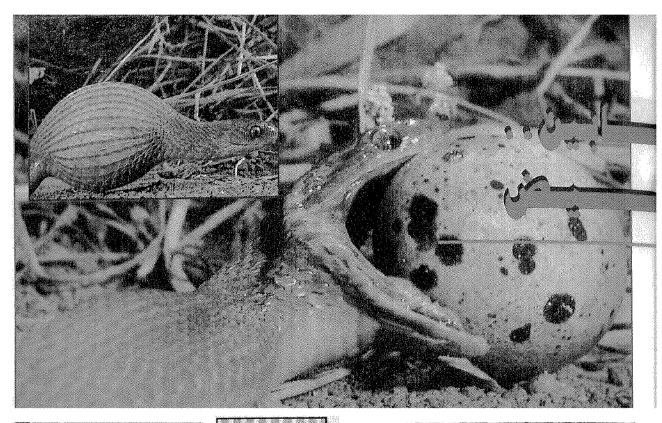
تعب كلها الحياة



قام مع بزوغ خيوط الصباح الأولى وكلّه همة ونشاط، وتوكل على الله، وأمله عظيم فى أن يحصل فى نهاية شقوته وتعبه على لقيمات يقمن صلبه، وليعود الى أهله «مجبور الخاطر»٠

فلا طعم للقمة العيش الا بأداء حقها، والجد والاجتهاد بعد التوكل على الله، وصدق الرسول إذ قال «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدُو خماصا وتعود بطانا٠

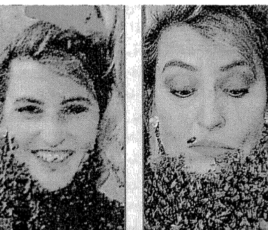
فما أجمل أن يأكل الانسان من عرق جبينه وكدّ يديه٠



لحية الحسناء

«٠٠٠» هكذا الإنسان٠٠ لا يكف عن غرابة تكتنفه ٠٠ يبحث عن الجديد، الغريب٠٠ حتى إن كان الجديد «لسعة نحل» قاتلة٠٠ لاعبو «السيرك» والمهرجون لا غرابة في أن يقتحموا قلاع المجهول، ليشدوا اليهم أعين المعجبين.. أما أن تقتحم هذا المجهول صحفية شابة فهذا ما يحتاج إلى علامة استفهام٠٠

هذه إحدى الصحفيات، اختارت النحل، نعم النحل، لتصنع منه لحية على وجهها٠٠ حقاً، حبّ الناس مذاهب ٠٠ والصورة تحكي القصة بكاملها٠٠ ولكي نوفر عليك جهدك في محاولة عدّ النحل هذا، نقول عدد نحل هذه اللحية ٥٠٫٠٠٠ نحلة.

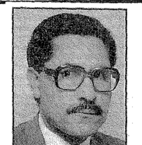




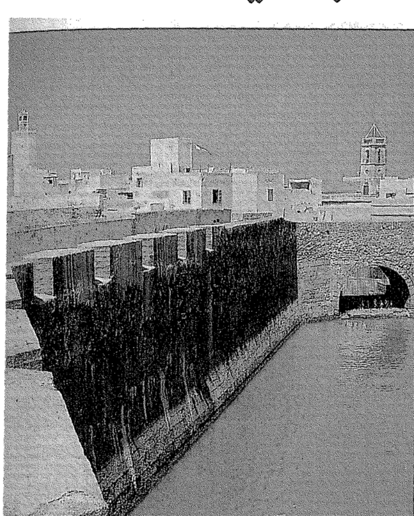
رقص الثعابين

في الهند، بلاد العجائب.. الأجناس والقبائل من الكثرة بحيث لا تحصى عدداً ٠٠ وبالتالي لهم من العادات والتقاليد والسلوكيات مالا يحصى عدداً أيضاً.. هذه اللقطة واحدة مما تعود عليه القوم٠٠ في احتفالاتهم وأفراحهم، يلاعبون الثعابين، بل هم اكثر جدارة في التعامل معها٠٠ ويبدو ان صبغ الوجه بهذه الأصباغ، وهذا الزي اللافت للنظر، كلها من لوازم المهنة واجادة حبكتها.

الجديدة.. م



مصطفى أجماهري
المغرب



الحصن البرتغالي من جهة المحيط، ويظهر باب البحر الذي رحل منه البرتغال

مع بداية اضمحلال الدولة الوطاسية توجهت الأطماع الاستعمارية إلى المغرب الأقصى الذي ظل دوما دولة تهاب جانبها الدول الأروبية وتخطب ودها. وهكذا كانت القوة البحرية الأروبية بزعامة البرتغال أنذاك تتحين الفرص للهجوم على المغرب عند أول بادرة ضعف في السلطة المغربية، وبعد محاولات كثيرة لدحر القوى الغازية تمكنت البرتغال بأساطيلها القوية، من احتلال الشواطيء المغربية بشكل متتابع فاحتلت سبتة عام ١٤١٥م، والقصر الكبير عام ١٤٥٨م، وطنجة وأصيلا عام ١٤٧١م، ثم الجديدة على المحيط الأطلسي عام ١٥٠٢م، وبعدها آسفي عام ١٥٠٧م، وأخيرا مدينة أزمور عام ١٥١٣م.

وبخصوص مدينة الجديدة، فقد استمر بها الوجود البرتغالي ٢٦٧ عاما، ثم في وقت لاحق جاء الاستعمار الفرنسي فاحتلها (كما احتل المغرب) ٤٤ عاما وبذلك تكون حصيلة الوجود الاستعماري بها أزيد من ثلاثة قرون. وهي مدة عرفت فيها المدينة تاريخا خصبا بالتطورات والتضحيات. والأكثر من ذلك أنها المدينة التي كافحت من أجل العروبة والإسلام. وهي أيضا المدينة التي أنجبت أحد كبار علماء المغرب والوطن العربي، وهو الشيخ محمد الرافعي رحمه الله.

احتلال الجديدة وتحريرها:

مدينة الجديدة اقليم غني بموارده الطبيعية والاقتصادية والثقافية

يرجع أول احتلال للجديدة إلى عهد الفينيقيين قبل ٣٦٠٠ عاما من ميلاد المسيح. ففي ذلك الوقت عرفت باسم «رتليس بورتيس» وبعد العهد الفنيقي لم يعد لها أي ذكر في كتب التاريخ بل إنه في القرن الحادي عشر للميلاد أصبحت المنطقة المذكورة خاضعة لمدينة «تيت» القريبة والموجودة جنوب الجديدة و«تيت» هي قلعة إسلامية معروفة أنشأها مولاي عبد الله أمغار، المدفون بها.

وقد اكتشف البرتغاليون المدينة في بداية القرن السادس عشر الميلادي وذلك بعدما رمت عاصفة هوجاء ببواخر الملك البرتغالي إيمانوئيل الأول على شاطيء به برج

استطلاع

مدينة الأسماء الخمسة



المسقاة.. بناها البرتغال في القرن السادس عشر الميلادي

صغير مهجور ربما كان يستعمل للحراسة الشاطئية وكان ذلك الموقع - كما لاحظ البرتغاليون - أشبه ما يكون بالخليج وصالح لإقامة ميناء ممتاز.

عاد البرتغاليون إلى ملكهم وأطلعوه على مميزات الموقع مقترحين عليه بناء حصن بها يكون محطة لهم في طريقهم نحو الهند. وفعلا وافق ملك لشبونة على بناء قلعة بها من ماله الخاص وشرع في البناء عام ١٥٠٢م تحت إشراف الأميرال البرتغالي «جورج دي ميلو».

وتعرضت عمليات البناء باستمرار لهجمات سكان مدينة آزمور والقبائل المجاورة مما أجبر البرتغاليين على مغادرة المكان لكن البرتغاليين ما لبثوا أن عادوا ثانية عام ١٥٠٩م بأمر من ملك البرتغال لبناء حصن كبير أسموه «كاستيو ريال» والذي دام بناء أسواره الضخمة ما يزيد عن ثلاثين عاما وأنجز البناء حسب تقنية عسكرية مضادة للمدفعية، طبقا لتصميم المعماري الإيطالي «بندتو دي رافونا».

وبما أن البرتغاليين كانوا أصحاب عقلية استعمارية، وكانوا في صراع دائم مع المغاربة من سكان المنطقة فقد عززوا قوتهم بالجديدة التي أسموها «مازغان» وبنوا داخلها مسقاة مائية ضخمة مازالت محط أنظار الزوار الى اليوم وكان الهدف من بناء المسقاة هو التغلب على كل حصار محتمل من طرف المغاربة.

لكن المغاربة لم يتركوا البرتغاليين يعرفون للهناء طعما فقد أجبروهم على إخلاء مدن آزمور وآسفي والصويرة وأكادير تباعا وتعرض البرتغاليون لهجومات متتالية خلال القرن السابع عشر، وأصيبوا بوباء قاتل نقله البحارة كما تعرضت

بواخرهم التموينية لغارات مجاهدي مدينة سلا.

وفي القرن الثامن عشر الميلادي قام المجاهدون من آزمور والحوزية ببناء الفحص الزموري شرق المدينة بينما شيدت قبيلة أولاد بوعزيز فحص الدويب جنوبا. وكانت الغاية من بناء هذين الفحصين «القلعتين» هي محاصرة قوات الاحتلال وتنظيم غارات ومناوشات ضدها، واستمر الحال كذلك الى أن جهز السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله جيشا كبيرا حاصر المحتلين أزيد من شهرين ذاقوا فيها ويلات المجاعة والأوبئة مما دفعهم الى طلب مهلة لإخلاء المدينة ووفقا لتعاليم الإسلام السمحة استجيب لرغبتهم وفعلا رحلوا عن المدينة عام ١٧٦٩م على ظهر سفن برتغالية حضرت من أجلهم لكن الراحلين حين الإخلاء قاموا بفعله غادرة اذ نسفوا جنبات الأسوار مما أدى إلى استشهاد مجموعة من المجاهدين المغاربة.

اسماء المدينة:

عرفت هذه المدينة في تاريخها الطويل خمسة أسماء:

١ ـ رتليس بورتيس: عرفت بهذا الاسم في عهد الفنيقيين (٣٦٠٠ عاما قبل المسيح).

٢ ـ البريجة: إذ في البداية حينما حل بها البرتغاليون وجدوا بها منارة صغيرة تدعى «منارة الشيخ البريجة»، وقيل بأن التسمية جاءت من تصغير كلمة «برج».

٣ ـ مازغان: لا يعرف الأصل الحقيقي لهذا الاسم، هل هو عربي أم هو تعريب للاسم البرتغالي الذي كان يطلقه عليها البرتغاليون وهو «مازغاو» وبالفرنسية «مازغان» أم هو اسم بربري بحيث أن المنطقة المجاورة للمدينة كانت آنذاك تقطنها قبائل تتكلم اللهجة البربرية والغالب أنه لفظ بربري.

٤ ـ المهدومة: وهو الاسم الذي أطلق عليها بعد تحريرها، لأن البرتغاليين لما أجبروا على إخلاء المدينة عن طريق البحر، عمدوا الى نسف جنبات الحصن بواسطة عبوات من البارود وبسبب هذا الهدم ظلت المدينة مغلقة حتى عام ١٨٢١م، فسمح لتجار يهود مغاربة بالاستقرار فيها.

٥ ـ الجديدة: وهو اسمها الحالي الذي أطلقه عليها السلطان مولاي عبد الرحمن عام ١٨١٥م. هذا السلطان جدد معالمها وعمّرها بسكان من قبيلة أولاد بوعزيز المجاورة للمدينة.

فعاليات المدينة :

كان للجديدة في القرن التاسع عشر وبادية القرن العشرين الميلادي دور دبلوماسي معروف إذ عيّنت الدول الأوروبية وهي فرنسا وبلجيكا



أحد الميادين وسط مدينة الجديدة

وإسبانيا والبرتغال وإنجلترا وألمانيا قناصل بالمدينة أو قائمين بالأعمال أو ملاحظين مرتبطين برئيس البعثة الدبلوماسية في طنجة بل حتى الولايات المتحدة الأمريكية - وهي بعيدة مقارنة بأوربا - كان لها بالمدينة ممثل قنصلي عام. وفي الغالب كانت هذه الدول تختار ممثليها من بين التجار الأجانب أو من اليهود المغاربة. كما نشطت في المدينة - قبيل الاستعمار الفرنسي - ظاهرة الحمايات الأجنبية. وكان هذا ما أوقع السلطة المغربية آنذاك في مشاكل لا حصر لها على اعتبار أن المغربي المحمي لا تجوز محاكمته إلا من طرف القنصل الأجنبي.

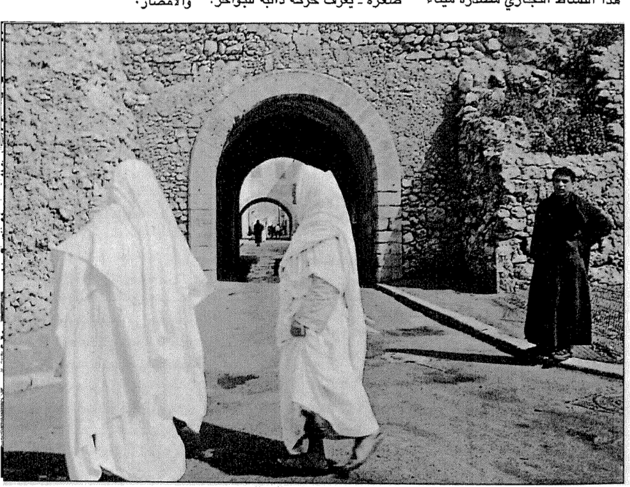
وبطبيعة الحال يعود الاهتمام الأوروبي بالمدينة الى كونها كانت مركزا تجاريا نشيطا جدا. وكان هذا النشاط التجاري مصدره ميناء المدينة. إذ في الوقت الذي لم يكن للدار البيضاء (العاصمة الاقتصادية الآن) أي دور اقتصادي بتاتا، كانت الجديدة الممر الرئيسي للصادرات نحو الخارج والواردات منه. وقد تحقق هذا بفضل مينائها القديم الذي مرت عبره السلع القادمة من دكالة ومراكش ومن منطقة آيت عتاب.. وأهم الصادرات المغربية من ميناء الجديدة هي: البيوض والصوف والجلود واللوز والحناء. أما الواردات فكانت تشتمل بخاصة على السكر والشاي والأثواب والأخشاب وبعض الأدوات المعدنية.

وللإشارة فإن عدة دور تجارية أوربية من مارسيليا ومانشستير وجنوة وغيرها، كانت قد استقرت بالمدينة أو فتحت لها فروعا للسهر على مصالحها في عين المكان.

وكان الميناء القديم - بالرغم من صغره - يعرف حركة دائبة للبواخر. وقد قامت أول باخرة بخارية تابعة لشركة تدعي «بلند لاين» بزيارة الميناء حوالي عام ١٨٥٥م ثم بعد ذلك أصبحت تتردد على الميناء، بواخر شركات أروبية عديدة، وكذا بواخر «باكي» المعروفة والتي كانت تساهم في نقل السلع والأشخاص.

المدينة اليوم :

تعتبر مدينة الجديدة اليوم المقر الرئيسى لعمالة إقليم الجديدة، وهو إقليم غني بموارده الطبيعيةوالاقتصادية والثقافية. كما أنها اليوم مركز سياحي وشاطئي هام يستقطب الزوار من كل الآفاق والأمصار.



مدخل الحصن البرتغالي بالجديدة

قاعة اللهو في قصر كاترين بزخارفه الجميلة

سانت بيترسبورج مدينة القياصرة

تعتبر مدينة سانت بيترسبورج - الواقعة على بحر البلطيق.. مدينة تاريخية، ويرجع الفضل في بناء هذه المدينة التاريخية الى القائد «بيتر» حيث قام بوضع أساس مدينته هذه فى السادس عشر من مايو ١٧٠٣ - وأول ما شيده هناك «قلعة بيتروبول» حصنه المنيع ضد السويديين.. لتحل بذلك محل العاصمة الروسية موسكو سنة ١٧١٢م - وبقبضته القويه وبعزيمته النارية التى لا تفتر



جيهان الشناوى
القاهرة

استطاع بيتر القيصر «أن يجعل من مدينته هذه آيه من الجمال، يتوافد عليها آلاف السياح إلى وقتنا الحالي ليشاهدوا طرق وأساليب العمارة القديمه المغلفة بالفن الباروكي «القوطى» الذى لم يترك بابا أو نافذه دون أن يضع بصماته عليها لتصبح بذلك قطعة فنية نادرة متناسقة الألوان والزخرف.

وبعد وفاة بيتر - أراد القيصر نيقولاس الثاني أن يُروِّس (أى يجعلها روسية) المدينة فأطلق عليها اسم «بيتروجراد» وجراد في اللغة الروسية تعنى مدينة أى مدينة بيتر. ولكن تغير الاسم وحده لم يكن كافيا لإنقاذ مملكه رامنوف من التداعى والسقوط فى عام ١٩١٧. وبعد وفاة



بعض محبي فن مايكل انجلو يقومون باصلاح لوحات السقف

لينن قام السوفيت البلشيف بتغيير اسم المدينة ليصبح لينينجراد أى «مدينة لينين» وذلك وفاءا لزعيم الثورة البلشفيه - وظلت المدينة تحمل هذا الاسم حتى عام ١٩٩١ - الى أن قام البرلمان الروسى بالموافقة على استعادة المدينة لاسمها التاريخى «سانت بيترسبورج»٠

من أهم المعالم السياحية والثقافية التي تميز المدينة مسارحها التى تصل إلى ثلاثين مسرحا وأشهرها على الإطلاق مسرح «مارينسكى الاسطورى» الذى ترتفع تذكرة الدخول إليه عن سائر المسارح الاخرى٠ وعلى خشبته كانت تعرض أحلى وأجمل عروض الباليه وتعزف فيه أجمل واعظم الحفلات الموسيقيه فما هو جدير بالذكر أن مدينة بيترسبورج كانت أول مركز للفنون على مستوى العالم - فهى مدينة الفنون والآداب خصوصا مع وجود أدباء أمثال بوشكين وجوجال ودستوفسكي - وموسيقيين مثل تشايكوفسكي ورامسكى وكورساكوف، فلقد كان عهد القيصر بيتر وكاترين هو العهد الذهبى لمدينة بيترسبورج فهو عصر بناء بطرسبورج الحقيقى على جميع المستويات، فلم يدخر كل منهما وسعا فى سبيل الارتقاء بالفنون والآداب، فبالرغم من نجاح البلشيف فى جعل موسكو عاصمة سياسية لروسيا لكن بقيت بترسبورج مركزها الحضارى والفني ولا تزال تستقبل مئات السياح من جميع انحاء العالم٠

معلم سياحى آخر يتجلى فيه إبداع الفنانين العباقره أمثال «مايكل أنجلو» هو قصر الامبراطوره كاترين الموجود فى قرية القيصر الذى تم ترميمه على أيدى بعض الفنانين من محبى فن مايكل أنجلو - حيث قاموا بإصلاح بعض لوحات السقف ومنها لوحة «إنتصار روسيا» التى تعد أكبر لوحة سقف فى أوربا كلها حيث تبلغ مساحتها ٣٠٠ قدم مربع٠

وإذا كان قصر الإمبراطوره كاترين بلوحاته الفنية النادرة قادراً على جذب اهتمام السائح على امتداد النهار فإن «قصريوسبوفا» قادر على جذب اهتمام السائح على مدى ساعات الليل - فتقام فيه الحفلات، ومن أهم قاعات القصر قاعة رامنوفا المتلألئه بالكريستال والمتوجة بالذهب - المجاوره للصالون الذى حاول فيه الأمير فيليكس زيوسيبوف قتل الكاهن راسبوتين٠

من جماليات الفن التـ

إن تطور الفن فى العالم بعد ١٩٤٥ يعتبر تطوراً طبيعياً لما إحتواه من أنماط واتجاهات ومدارس فى كل من أوربا وأمريكا ورغم أن موضوع الفن الأمريكى كان أمريكيا الا أنه قد حدث تبادل فى الفكر والموضوع فى كل منهما واستفاد منها الفنان الأوربى.

فقد كان من الطبيعى فى السنوات الأولى التى تلت الحرب العالمية الثانية أن يتحول الجزء الأكبر من النشاط الفنى كنتيجة مباشرة للحالة الإجتماعية السائدة نحو الواقعية الموضوعية الواضحة فى أشكالها ووسائل التعبير عنها.

قد يجد هذا التيار الفنى المأساة التى أوجدتها الحرب ولكنه لن يجد حركة التطور الفنى المواكبة لحركة التطور العام.

فقد عاشت أمريكا فى هذه المرحلة مسرحاً لكثير من النشاطات الفنية التى نزحت الى نيويورك بدلا من باريس ولندن وميونخ وغيرها من العواصم الأوربية، كل ذلك قد مهد للإنقطاع عن الماضى والانطلاق نحو آفاق جديدة نحو بناء تراث فنى جديد - وفى أثناء الحروب يحدث تحطيم للقيم المتعارف عليها والأخلاقيات السائدة.. فإن هذا التحطيم نوع من تكسير القيود الذى يحدث فى الثورات فى سبيل تحرير الإنسان من عادات قد جمدت فكبلته.. فبدلا من أن تكون فى خدمته يصبح هو عبداً لها وتنتهى به إلى نوع من التزمت والجمود.

ونتج عن هذه الفوضى أن انفعلت طائفة من الفنانين تبحث عن الشهرة بالأهوال والمآسى فضربوا بالقيم الجمالية التى ورثها الفنان عن أجداده عرض الحائط وأخرجوا أعمالاً شاذة تحارب الفن عرفت باسم «الدادا».

وعند تفهم مبررات هذه الحركات الفنية واختلافها وتناقضاتها لابد



روعة الفن التشكيلي تظهر في هذا المبنى..

أنتدرك طبيعة العلاقة القائمة بين الفن والجمهور وما طرأ على هذه العلاقات من ظروف المجتمع الحديث ووسائله الدعائية والاعلامية فالنتاج الفنى يرتبط بنمط الحياة وطبيعة النظام الاقتصادى الجديد.

والجديد فى العمل التصويرى هو فى طريقة التعامل المتغيرة كلية فالفنان التصويرى لم يعد يمارس ما تقتضيه المفاهيم الفنية السابقة. فالوسائل التقليدية المرتبطة به كالدراسات الأولية التحضيرية قد

إبداع

التشكيلي المعاصر

الاتجاهات الفنية الحديثة فيما بعد ١٩٤٥م

بقلـم:
د. رمضان بسطاويسي محمد
كلية البنات - جامعة عين شمس

اختفت، لتأخذ مكانها هذه الطرق، طرق أخرى جديدة فى التعامل مع المادة التى اتيح لها مجال التحرر.

فقد مهد لهذا التحول فى المفهوم الفنى تبدل المواد نفسها عندما أدخل الى التصوير الزيتى منذ التكعيبية «مواد» لم تكن مألوفة أو مقبولة فى هذا المجال الفنى، كما حتمت هذه المواد والتقنيات الحديثة الى استخدام أدوات جديدة.

لجأ (كلين)، و(استيلا) الى فرشاة الدهان بدلا من الريشة واستخدام اسفنجة المطبخ أو وضع بقعة لونية بينما تخلى (بولوك) عن استخدام أية أداة وعمد الى حيث اللون مباشرة على اللوحة.

فنتج عن هذه المحاولات الجديدة ذات الطابع الارتجالى أن فقدت التقاليد الأكاديمية ودخل الفنان فى عملية اختيارية ستقوده الى التعرف على طبيعة هذه المواد ودراسته لخصائصها والافادة منها وما تقدمه له من صدفة، أو ما يبدو له كصدفة تدفعه للتفكير والتأمل والإكتشاف من خلال مراقبته لهذه المواد الجديدة التي ستحتفظ بخواصها الأساسية وطاقاتها الأولية.

ففى السنوات الأولى للحرب وصل إلى الولايات المتحدة عدد كبير من الفنانين الأوربيين مثل (ماكس إرنست) و(اندريه ماسون) و(بروتون) كما وصل إليها قبل ذلك (بيكابيا - ومارسيل دوشامب) كذلك الفنان التشيكى (متى) الذى حمل معه شكلاً سريالياً ساهم بعنفه الخطى فى تحديد بعض الملامح المميزة فى التصوير الأمريكي - فقد مارس هؤلاء الدور المحرك فى الوسط الأمريكى حيث كان (اندريه ماسون) قد اتبع نوعاً من الكتابة الأولية التى تعكس حالة من الهذيان لا يدخل فيها أى عنصر عقلانى.

وأوجد بعد (١٩٤٠) نوعاً من ميثولوجيا اللاوعى حيث بدت لوحته وكأنها ذروة خطية وإفراغ لشحنة الكهربائية للألوان المتلألئة.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية

الحوار بين الألوان أكسب لوحات ماتيس مذاقاً خاصاً

وقبل حدوث تطور فى الفن الأمريكى وانتقال مركز الفن إلى نيويورك كانت هناك مدرسة باريس وهى المدرسة التى عاشت ما بين الحربين ويمثل هذه المدرسة (ماتيس - بيكاسو - براك - ليجيه) والتي قدر لها أن تعيش فى اجازة رغماً عنها حتى انتهاء الحرب العالمية - قامت بعدها لتحدث ثورة عارمة على كل التقاليد التى سبقتها وحرباً جديدة على النازية مطالبة بكل الحريات التى فقدت تلك الصحوة الفنية الجديدة التي نعرفها اليوم تحت مسميات جديدة مختلفة.

ويعتبر (بيكاسو) أول من حطم القيود والتقاليد التى عاش فيها الفن قبل الحرب العالمية الثانية ولم يقف التجاوب عند (بيكاسو) بل تعداه الى (ماتيس) بأعمال تصويرية تحمل صفات لونية جديدة ونماذج لم تعرف من قبل فكان له تأثير على الفن الأمريكى أكثر من الأوربى.

ومع نهاية (١٩٤٧) كان جميع السرياليين قد رجعوا الى أوربا وترك غيابهم عن أمريكا شعورا بالفراغ لم يلبث أن زال مع ظهور جماعة من الفنانين الأمريكيين الذين كانوا على صلة بالحركة السريالية واشتركوا فى معارضها - هؤلاء الفنانون بذروا فى السنوات الأخيرة من الأربعينيات أمثال (بولوك - توبى - ديكوننج) ينقلون الى أمريكا بعض اهتمامات الأوربيين الجمالية ويضعوا أسس جديدة يقوم عليها الفن الحديث.

إن ما قد يصل إليه فنان أو مجموعة فنانين فى وقت ما لا يعتبر نهاية فى حد ذاته - وإذا انتهت حياتهم .. فإنها حتماً ستبقى ذكراهم من خلال أعمالهم التى تركوها الى أعمال غيرهم ممن يأتون بعدهم .. ويتسلمون الخيط ويواصلون امتداده .. وهذه ظاهرة بشرية. ان كل جيل يبنى على ما حققه الجيل الذى قبله ويمهد فى

نفس الوقت للجيل الذى سيأتى بعده.

وسنتناول فى الصفحات التالية بالتحليل لمثال عالمى وكيفية تناوله لموضوعاته الفنية والأسلوب الطليعى الذى اتخذه للوصول الى رؤية جديدة فيما بعد (١٩٤٥)، وهو: (ماتيس) كمثال عالمى.. وذلك من خلال تعريف بسيط ورؤية نقدية لبعض أعماله الفنية.

هنرى ماتيس (١٨٦٩ ـ ١٩٥٤) :

يعتبر ماتيس من الشخصيات المميزة في الفن التشكيلى فى القرن العشرين.. ومن مؤسسى مذاهب فن التصوير فى هذا القرن حيث

«الوحشية» مذهب فني خارج عن دائرة المألوف

كان زعيماً لاول حركة فنية ظهرت فى مطلع القرن العشرين وهى «الوحشية» اذا أنه قاد الوحشية مع مجموعة من زملائه الذين اعتبروا أنفسهم فى ثورة ضد الممارسات السائدة.

ولقبت هذه الحركة بالوحشية نسبة لخروجها عما هو متبع.. وعنايتها بالفنون ذات المظهر البدائى. فالمدرسة الوحشية تمثل الثورة المبكرة التى أعلن بها فنانو القرن العشرين عن عدم رضاهم عما كان شائعاً من اتجاهات فنية.

وهى ليست مدرسة فنية ذات مذهب فنى محدد.. فهى أقرب إلى أن تكون التقاء بين عدد من الفنانين



قصر بلزوسكي.. وتظهر فيه روعة الزخارف والتصميم التقليدي

الحروب تحطيم لقيم وأخلاقيات كانت سائدة



الذين جمعت بينهم ميول ومواقف متشابهة.. وهى كتيار فنى تعود بجذورها الى نهاية القرن التاسع عشر وبدأت شهرة ماتيس تتضح بعد أن اشترك مع زملائه فى صالون خريف (١٩٠٥) حيث أنه كان أول عرض لإنتاجهم.

لقد مر ماتيس بمرحلة تجارب فى اللوحات التى رسمها فى كورسيكا والريفير الفرنسية فى الفترة من (١٩٠٠ ـ ١٩٠٤) وهذه المرحلة ساعدته على تكوين أسلوبه الخاص حيث ابتعد كلية عن التأثيريين وصارت ألوانه متنوعة زاهية متأثرة بأساليب فنانى ما بعد التأثيرية (سيزان ـ فان جوخ ـ جوجان).

ـ كما أن هنرى ماتيس أوضح بجلاء أنه لا يرسم الموديل بقصد الموديل ذاته أى أن نماذجه البشرية ما هى إلا وسائل والغاية بناء الصورة. وشتان بين الاغراق في رسم نموذج وبناء صورة.

فالنظرة الأولية جزئية مقيدة بالادراك الحسى المحدود، أما فى الحالة الثانية فالبحث عن العلاقات التشكيلية المعمارية والهامة فى بناء الصورة هما الأساس.

وقد أوضح ماتيس معنى «الرسم» عنده فى احكام العلاقات الخطية التى تحول الفراغ الأبيض لصفحة الورق إلى شيء له أبعاد كثيرة مسترسلة.. فبتنغيم الخطوط ذاتها، وبالبحث فى الفراغات التى تتركها حولها، واحكام العلاقات النامية بالحذف والاضافة والتطويع حتى يستقر الرسم، ويصبح مريحاً لا يحتاج إلى تعديل، أو حذف أو إضافة.

وإذا لاح له أن الرسم مازال فى حاجة الى هذا التعديل فإنه يبدأ عادة من جديد على صفحة جديدة.. فهو يختم الفكرة بعد ملاحظات كثيرة وحين يمتلىء بها لا يتردد فى استخدام ريشته ليفصل انطباع مباشرة دون المحاولة والخطأ.

ماتيس حرر اللون من ارتباطه الشرطي بالشكل

إن ماتيس لا يبالى بإرضاء نزوات الناس.. بل ظل مقتنعاً ذاتياً بما يعمل أو ينجز أولا والتأثير على الجمهور يأتى بتعود قراءة لغته الفنية والإستجابة لها.

«ان رسمى باستخدام الخط هو أنقى ترجمة مباشرة لإنفعالى» هنرى ماتيس.

ـ ان من أهم معالم الحداثة فى القرن العشرين هى طبيعة العلاقة بين الفنان والواقع المرئى ـ فعبَّر الرسام الفرنسى ماتيس عام ١٨٦٩ ـ ١٩٥٤ عن هذه النظرة بقوله:.

«إن التعبير ليس فى الحركات العنيفة أو فيما يضيء الوجه المرسوم، من عواطف لكنه فى التنظيم العام للوحة من حيث وضع الأشخاص والفراغات المحيطة بهم، فكل عنصر له دوره فى التعبير» هكذا لم يعد الرسم الملون عملية ميكانيكية «يعكس مظهر المرئيات» بل يعكس حالة الإنسان فى ظروف معينة ويرتبط بتاريخ الفنان ويلاحظ أنه اتجه الى أسلوب التسطيح فى اللوحات التى رسمها بعد ذلك ـ أيضا نجده قد فرق بمهارة بين الخطوط الرأسية والأفقية فى التصميم الواحد، ويظهر ذلك فى «لوحة تناسق باللون الأحمر ١٩٠٨» حيث يؤكد ماتيس على تصميمها بالألوان القوية المسطحة التى تغطى الأشكال الموجودة فى الحديقة خارج الشباك.

وبعد أن تفرقت المجموعة فى عام ١٩٠٩ عدل ماتيس عن أسلوبه الذى يعتمد على المبالغة من التحرر من التقاليد المتبعة فى الألوان والتصميم متجها إلى أسلوب جديد يعتمد عليها بالزخرفة متأثراً بالفنون الإسلامية الفارسية فهدأت ألوانه وظهرت فى أعماله نزعة زخرفية فى تبسيط الخط والكتلة وبذلك أمكنه تجنب الحركة التكعيبية التى تلت النزعة الوحشية، وساعده هذا على أن يتجه بالفن الحديث إتجاهاً ثورياً جذرياً فى استخدام الألوان والأشكال المسطحة المباشرة والقيم الزخرفية، ولم يكن التكوين بالنسبة اليه إلا مجموعة علاقات متوافقة بين التفاصيل بعضها ببعض فى وحدة وتآلف ويصف ماتيس منهجه اللونى بأن يضع اللون الأحمر الذى يمثل الروب مثلا كأفضل أحمر يمكن أن يتصوره متمشياً مع لون الروب ولون قماش التصوير.. وهكذا يستمر فى اختيار الألوان الواحد تلو الآخر باحثاً عن توافقاتها بعضها مع بعض حتى تسهم جميعها فى التوافق الكلى للصورة بلا نشاز مع بقية الألوان فمعنى ذلك انهيار

التكوين الكلى للصورة من أساسه.

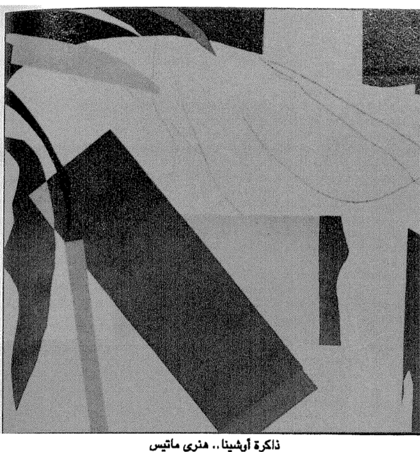
ولم يكن ماتيس مقلداً لسيزان فى يوم من الأيام ويرجع ذلك لعقيدته فى أن الفن يجب أن يكون ديناميكيا وليس إستاتيكيا، أيضا يعبر عن الإحساس الدينى الداخلى نحو الحياة وليس مجرد تسجيل لاحساس عابر - ولذا فإن ماتيس يقول: «إن التعبير هو الذى ابحث عنه فوق كل شيء، وأنا لست قادراً على التمييز بين الشعور الذى أحس به نحو الحياة والطريقة التى أعبر بها عنه والتعبير بالنسبة لى لا يكمن فى الحماس الذى ينعكس على وجه ما أو يعوض عنه بحركة شديدة، ان الترتيب الكلى تصورته معبر: المكان الذى تمثله الأشكال أو العناصر والفراغات التى تحيط بهما والنسب وكل شيء يؤدى دوره فالتكوين بين هوفن فى ترتيب عناصر مختلفة بطريقة زخرفية لتخدم التعبير عن شعورى.

** ولقد استطاع ماتيس أن يحقق ما يلى:

- انطلق باللون إلى أفاق أرحب مما وصل إليه التأثيريون.
- حرر اللون حتى من إرتباطه الشرطى بالشكل وجعله أداة للبناء.
- تكشف لغة توافقية فى اللون تنسب الى شخصه بعد هضمه للفن الشرقى والفارسى.
- اعطى مغزى جديداً ذكياً للتكوين فى التصوير مما جعله لغة أقرب للفهم بالنسبة للأجيال الناشئة من الفنانين.
- أخضع الموضوع للغة التشكيل.
- انطلق بسجيه فى تحريفاته ليخدم قوة التعبير غير عابىء بالمدخل الفوتغرافى الساذج للحقيقة البصرية.
- حطم كثيراً من القواعد المحفوظة وانطلق مطبقاً ما هو مضاد لها وحقق ابداعاً بتطبيقاته.
- حقق فى إنتاجه البساطة الرائدة، لكنها بساطة السهل الممتنع.
- مهد بجرأته فى استخدام مسطحات اللون لبعض الحركات التجريديه التى جاءت بعد ذلك مثل حركة الخداع البصرى.

ويمكن تطبيق كل هذه النقاط السابقة عملياً في لوحة «ذاكرة أوشينا - عام١٩٥٣» ، الكائنة فى متحف الفن الحديث بنيويورك وهى عبارة عن لوحة كانافاه ملصوق عليها قطع ورقية ملونة بالألوان الجواش والمائية.

وتعتبر هذه اللوحة فى رأيي الشخصى بمثابة البداية الاولى لفن «الأوبجكت».



ذاكرة أوشينا.. هنري ماتيس

«بيكاسو» أول من حطم القيود والتقاليد التي عاش عليها الفن قبل الحرب العالمية الثانية

تحليل عمل فنى لهنرى ماتيس:

مساحات لونية متمثلة فى صورة:

- نجد أن اللوحة تحتوى على بعض مساحات لونية متمثلة فى صورة الأشكال الهندسية وهى المستطيل وبعض الأشكال العضوية ذات الخطوط اللينة، وخطوط رفيقه على الأرضية البيضاء.
- مع ملاحظة استخدام ألوان زاهية صريحة دون مزج أو شفافية والألوان هى الأصفر - الأحمر - أخضر - برتقالى - أزرق - أسود - مع دخول الأرضية اللوحية «الأبيض» كشكل من أشكال العمل

«ذاكرة أوشينا» تعتبر البداية لفن الأوبجكت

إبداع

الفني.

- أما عن الألوان فى اللوحة نجد أن معظمها ألوان ساخنة حتى أن اللون الأخضر الذى وضع فى منتصف اللوحة أو العمل تقريباً حيث يعتبر مركز ثقل العمل .. أصبح هو الآخر يبدو من المجموعة اللونية الساخنة لمساحته الغالبة على أرضية العمل الفني.

- فنجد باللوحة حركة ظاهرة من خلال الحوار بين الألوان من حيث وجود اللون الأخضر دائماً ملازماً للألوان الزرقاء .. أو بمعنى حصر المساحات الكبيرة الساخنة بين مساحات صغيرة من الأزرق البارد نوعاً مع وجود حركة أيضا بين الأشكال وطريقة توزيعها.

- ونجد أن استخدام أسلوب التسطيح فى الأشكال وفى مسطحاته اللونية - وعند توزيعه للمجموعة اللونية نجد أنه قسم الجزء الأكبر أعلى اللوحة مع تزويد نفس الألوان فى أسفل اللوحة ولكن بدرجة أقل - مع اتخاذه للأرضية كعنصر هام فى تهدئة المجموعة الساخنة التى تغلب على اللوحة وأكد ذلك بالمساحات الزرقاء التى تحيط اللوحة من جميع الجهات.

- ويميز هذا العمل بحركة ديناميكية كبيرة لوجود عديد من الاتجاهات والأحجام - الرأسى والأفقى والمائل منها.

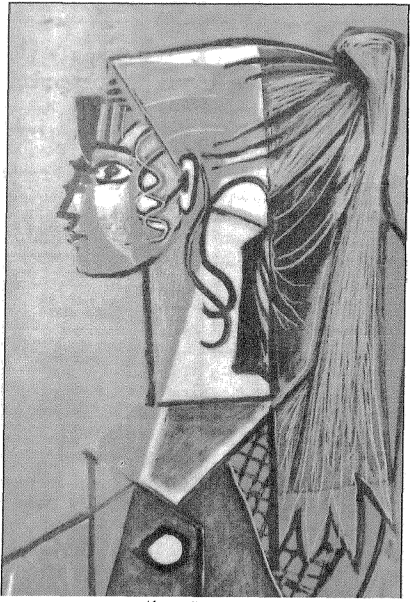
ونجد ذلك فى المستطيلات منها الرأسى والأفقى.

- فى الجزء الأيسر من اللوحة شكلان عضويان يتدليان من أعلى اللوحة وهذه التشكيلات تجعل العين تتجه بالنظر الى أسفل أو بمعنى آخر تأخذ مسار الرؤية لأسفل اللوحة حيث المساحة اللونية الزرقاء الموجودة أسفل هذين الشكلين.

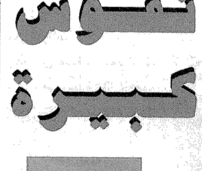
- ونجده ساعد على ارتباط الأشكال بعضها ببعض بمجموعة خطوط خفيفة رفيقة من اللون الأسود لكسر حدة كبر المساحة البيضاء للوحة.

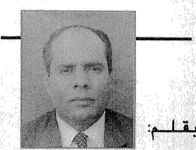
وأكد هذه الخطوط الرفيعة برغم قلتها بمساحة سوداء وصفها على الجانب الأيمن السفلى.

- كل هذا أدى فى النهاية إلى وجود حوار بين المساحات اللونية والمتمثلة فى الأشكال الكبيرة والصغيرة من الأشكال الهندسية أو العضوية أو الخطوط الرفيعة. وحوار بين المجموعة اللونية فى مجموعة الألوان الباردة والساخنة واللون الأسود على الرغم من صغر مساحته الا انه اشترك فى وحدة هذا العمل.



بورتريه سيلفيت بالزيت.. بيكاسو





بقلم:
أ.د. مصطفى رجب
كلية التربية – جامعة أسيوط

الثروة متاع زائل والمسلم محاسب عليها

روى البخارى ومسلم بسنديهما .. عن أبى هريرة رضى الله عنه القصة التالية والنص للبخارى (*).

«قال النبي ﷺ اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذى اشترى العقار من عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذى اشترى العقار: خذ ذهبك منى، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب، وقال الذى له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما الى رجل، فقال الذى تحاكما اليه: ألكما ولد؟ قال احدهما: لى غلام، وقال الآخر: لى جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه، وتصدقا».

١ ـ الراوى الأعلى :

أبو هريرة: عبد الله ـ أو عبد الرحمن ـ بن صخر الدوسي روى عن النبى ﷺ ما يقرب من ٥٣٧٤ حديثاً ، ت: ٥٩هـ.

٢ ـ المحور العام للقصة:

تدور أحداث هذه القصة حول «الورع» وما يمكن أن يفعله بالنفس الإنسانية، فبطلا القصة رجلان مؤمنان استطاع كل منهما أن يتغلب على نفسه الأمارة بالسوء فذهب الى الآخر يرد اليه ما ظن أنه لاحق له فيه من ذهب. ووصل بهما خوفهما من الحرام الى أن يتنازعا ويتجادلا، ويتحاكما الى طرف ثالث لعله يدفع عن كل منهما ما يجد فى نفسه من حرج.

ان مثل هذه النفوس التى لم تغتر بالمال أيا كان مصدره، تطهرت من رجس الشح بماء الايمان، واستبدلت بظلمة الأثرة نور الإيثار، ومثل هذه النوعية من البشر قليلة فى كل العصور، ولكن وجودها من زمن الى آخر يجدد فى الناس ما بلى من أخلاق العظماء، ويحيى فى نفوسهم ما ذوى من شمائل النبل والسمو.

إن كلا الرجلين بحاجة الى المال ـ بمقاييس الناس ـ لان لكليهما ذرية، ومعظم الناس يتكالبون على جمع المال بحجة ترك ورثتهم أغنياء. ولكن الذى اختلف فيه هذان الرجلان عن بقية الناس أنهما لا يجمعان المال من حرام وحلال. كما قال الشاعر:

جمع الحرام إلى الحلال ليكثره
دخل الحرام على الحلال فبعثره

ولكنهما يتحريان الحلال، ويبالغان فى هذا التحرى.

وموقف المشترى عظيم لانه يدل على الأمانة والورع، وموقف البائع أعظم لانه يدل على التجرد والايثار وتحرى الحق. فقد كان بامكان المشترى أن يستحل المال، ويفتى لنفسه بجواز أخذه ويؤثر السلامة، وكان بامكان البائع حين أعيد إليه المال أن يأخذه شاكراً للمشترى أمانته ويؤثر السلامة. ولكنهما كما قلنا يختلفان عن كثير من الناس.

فقد روى القرآن الكريم قصة ثعلبة بن حاطب الذى سأل الرسول ﷺ أن يدعو له بالغنى، فحذره الرسول مراراً فلما ألح دعا له، فانهالت عليه الثروة حتى ألهته عن العبادة أولاً، فلما تضاعفت عز عليه إخراج الزكاة فخرج عن دينه وبقيت قصة الطمع تتلى آناء الليل وأطراف النهار ـ لعل فيها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

«ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ ولنكُونَنَّ من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلو به فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه، وبما كانوا يكذبون» (التوبة/ ٧٥ ـ ٧٦).

والذى يفكر فى أحوال محبى المال والحراص على جمعه يرى بسهولة قصر نظرهم وغباءهم الشديد

وبخاصة أولئك الذين يجمعونه من الحرام، فهذه الثروة متاع زائل وهو محاسب عليها قبل أن تزول قدماه يوم الحساب، ثم هي موروثة ووارثه إن كان صالحاً فثواب انفاقه للثروة سيعود له وليس لأبيه، وان كان فاسداً فالعقاب يشترك بينه وبين مصدر ثروته وهو أبوه. فلم يرتكب الانسان الاثم من أجل وريث لا يعلم ماذا سيكون عليه حاله في المستقبل؟ وكم من وارث مالاً كثيرا فسد وكم من فقير لم يرث شيئاً أغناه الله من فضله مما يدل على رحمة الله أوسع من رحمة الإنسان بولده.

وموقف الحكيم بين الرجلين موقف سديد يستحق الاشادة فهو لم يقسم بينهما المال مناصفة ولو فعل ذلك لما لامه أحد، ولم يحكم به لاحدهما، وقد كانا مستعدين لقبول ذلك ولكنه لما رأى الإيمان الخالص، والتقوى الفعالة، والزهد العظيم تفتق ذهنه عن تمكين عرى الصداقة بين هذين العضوين الصالحين وتمتينها بالمصاهرة لعل الله أن ينعم على ورثتها بذرية صالحة فتكثر عناصر الخير في المجتمع تصديقاً لقوله تعالى: «**والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه**».

وقوله تعالى: «**وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك**» (الكهف/٨٢). فربط إرادة الله الخير لهما بصلاح أبيهما.

٣ ـ التحليل اللغوي :

أ ـ المفردات:

عقاراً : العقار في اللغة المنزل والضيعة. ويقال أيضا للمتاع النفيس، عقار، وقيل العقار الأصل من المال، والمشهور في العقار أن المقصود به الأرض.

ابتاع : اشترى.

ولد : (بفتح الواو واللام) تقال للمفرد وللجمع. وله ولد أى إبن واحد أو أبناء كثيرون وهي تقال ـ كجمع ـ للذكور والإناث ولا تختص بالذكور وحدهم.

الجرة: آنية من الفخار (بفتح الجيم وتشديد الراء المفتوحة).

شرى : باع.

ب ـ الاسلوب: يساعد البناء اللغوى للقصة على استنتاج عدة دلالات معنوية تتضح من التركيب الاسلوبي، فمثلا:

ـ استخدام العطف بـ (الفاء) في قوله «**فوجد** الذى اشترى العقار جرة فيها ذهب **فقال**، يدل على سرعة وقوع الحدث لان العطف بالفاء يقتضي الفورية وعدم التراخي ودلالة ذلك أن المشترى بمجرد أن وجد الذهب أسرع به الى صاحب الأرض بدون تردد أو تراخ.

ـ استخدام أسلوب التوكيد بـ (ان) في قول الرجل المشترى «**انما** اشتريت منك الأرض» وفي قول الرجل البائع «إنما بعتك الأرض وما فيها» يدل على شدة رغبة كل منهما في التخلص من الذهب، فالتوكيد له دلالة معنوية هنا في بيان قوة رغبة المتحدث في فعل ما يطلبه.

٤ ـ التحليل البلاغي :

تبدو في هذه القصة ظاهرتان بلاغيتان واضحتان هما:

الأولى : أسلوب القصر في قول المشترى «**انما** اشتريت منك الارض ولم أبتع منك الذهب» وكان يستطيع أداء هذا المعنى بقوله «**لقد** اشتريت منك الارض». وهذا يكفي للدلالة على ما يريد. ولكنه قد لا يكون كافياً لاقناع الطرف الآخر بما يريده هو، فلجوءه الى استخدام اسلوب القصر فيه مزيد تأكيد لرغبته في التخلي عن الذهب، لأن اسلوب القصر هنا له قيمة بلاغية فالشراء مقصور، والأرض مقصور عليها واستخدام «**إنما**» يعني أن الشراء (المقصور) لا يتعدى الأرض (المقصور عليه) الى غيرها، وهذه فائدة القصر البلاغية أى تخصيص الصفة بموصوفها، أو الموصوف بصفته بحيث لا تفارقه.

وقد كان من المناسب أن يجيء رد الرجل البائع على نفس الدرجة من البلاغة فاستخدم هو أيضا اسلوب القصر في قوله «**إنما** بعتك الأرض وما عليها» وكان بإمكانه أن يقول «**لقد** بعتك الأرض وما فيها» ولكن رده بهذا الشكل سيكون أضعف دلالياً من القول المردود عليه، لذلك استخدم ذات الاسلوب ليؤكد أن بيعه شمل الأرض وما فيها من دفائن فالبيع (مقصور) والأرض وما فيها (مقصور عليه. بمعنى أن البيع يختص بالأرض وما فيها).

الثانية : إجابة الرجل الذى تحاكما إليه تسمى في علم البلاغة «**أسلوب الحكيم**» والمقصود به تلقى المخاطب بغير ما يتوقعه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما يحمل كلامه على غير ما كان يقصد ومنه قوله تعالى: «**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج**» فقد كان هدف العرب من السؤال معرفة سر ظهور الهلال صغيراً ثم يكبر ويكبر حتى يصبح بدراً ثم يتناقص، فجاءت الاجابة بأسلوب الحكيم لتبين لهم شيئاً آخر يفيدهم في حياتهم ولفتتهم في رفق الى أن سؤالهم الأول لا فائدة لهم فيه.

فالذى كان متبادراً الى ذهنيهما وهما يسألان الحكيم عن كيفية التصرف في الذهب وأيهما أحق به من صاحبه، أنه سيدفعه الى طرف منهما، ولكن إجابة الرجل جاءت مخالفة لتوقعهما، فأوضح لهما طريقة أخرى للافادة من الذهب حين علم من سؤالهما صلاح أحوالهما، فجاء سؤاله: ألكما ولد؟ عقب سؤالهما كأنه مفاجأة لهما وهذا شأن ما يسمى بـ «أسلوب الحكيم».



الزهد والرغبة في إيثار الحق من قيم الجمال في النفوس المؤمنة

القصة تعنى بالمضمون أكثر من عنايتها بالتنامي الدرامي

وخلاف هاتين الظاهرتين الواضحتين فهناك ملاحظات بلاغية أخرى منها:

- التعريف بالصلة لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة ولزيادة التقدير فى العرض المسوق له الكلام وذلك كقوله (الذى اشترى العقار).
- التعريف ب **«أل»** العهدية فى قوله **«العقار»** كأن السامع أصبح عالماً به.
- مزج القصة بين الاسلوبين **الخبرى والانشائى** أضفى على الاسلوب حيوية وحركة تشد انتباه السامع بقوة.
- استخدام اسلوب القصر بالتقديم فى قوله **«لى غلام ، لى جارية»** للدلالة على شدة تمسك كل منهما بابنه الوحيد واحساسه بملكيته باستخدام اللام التى تدل على الملكية بدلا من قوله مثلا (عندى غلام) والتقديم يدل على الإهتمام.

٥ - التحليل الفنى:

أ - الشخصيات:

المشترى: شخصية تمثل الزهد فى أرقى صوره، فقد وجد الذهب الدفين بعد دفعه ثمن الأرض، وكان بامكانه اعتبار ذلك الذهب جزءاً من الارض، ولكنه سعى الى البائع يرد إليه ذهبه.

البائع: شخصية تتفق مع سابقتها فى الزهد، فقد رفض أن يتسلم الذهب الذى كان فى الارض، مع أنه فيما يبدو كان ناسياً له وقت البيع، اذ أن المنطق الطبيعى يقتضى أنه لو كان متذكرا وجوده لاستخرجه واستغنى به عن بيع عقاره، أو على الأقل لاستخرجه واحتفظ به قبل البيع.

الحكم : شخصية مثالية ترمز إلى الخير، فقد صرف الرجلين عما كانا يفكران فيه من تدافع المال، وأرشدهما الى طريقة جديدة للتصرف فى المال يستبقيان بها هذه الصلة الروحية بينهما لتتحول الى مصاهرة وصلة نسب، وهو شخصية تمثل تفتح ذهن الحكم وسعة أفقه عند الاصلاح بين المتنازعين.

ب - الحوار:

الحوار فى هذه القصة يسير على وتيرة واحدة، نظرا لمحدودية أحداث القصة فهو حوار هادف بين الأبطال الثلاثة (وجميعهم من البشر) يهدف الى الإقناع، فكل طرف يود أن يقنع الآخر بحجته، ويجب أن نلاحظ اتحاد الدافع عند الطرفين المتنازعين، فالدافع السلوكى عند كل منهما هو: الزهد والرغبة فى ايثار الحق - ومن هنا فلم يكن غريباً أن يتحد حوارهما فى الشكل (استخدام اسلوب القصر) والمضمون (الحجة بالحجة - أو تبرير السلوك).

أما حوارهما مع الحكم، واجابتهما المختصرة عن سؤاله فتعكس الرغبة الصادقة عند كل منهما فى الوصول الى الحل.

جـ - الأحداث :

والأحداث كما أشرنا محدودة: وقوع البيع - اكتشاف الذهب - تدافعهما الذهب بينهما - الاتفاق على التحاكم الى حكم - قبول الحكم، وكون الشخصيات الثلاثة ترمز الى عنصر الخير، جعل تنامي الاحداث هادئاً ومتوقعاً، فالقصة فى النهاية تعنى بالفكرة الأساسية أكثر من عنايتها بالبناء الدرامى الفنى التقليدى.

٦ - المضمون التربوى :

أولا: القيم :

أ - القيم الايجابية التى تسعى القصة إلى غرسها: «تحرى الحق والاجتهاد فى الوصول إليه - الإيثار - العقد شريعة المتعاقدين وملزم لهما - احترام الشروط المبرمة - جواز التحكيم عند الاختلاف - قبول رأى الحكم بلا غضاضة - قبول

النصيحة».

ب - القيم السلبية التى تهدف القصة الى استئصالها: «اخفاء الحقيقة - الأنانية - الكذب - التنكر للشروط المبرمة - التمادى فى الخطأ - رفض حجة الخصم دون إبداء الأسباب - رفض حكم الحكم أو التكبر عليه - رد النصيحة فقد يكون اقتراح الحكم مجرد نصح وليس حكما ولكنهما فى الحالتين مضطران الى قبوله أو على الاقل عدم رده - الرياء: فقد كان كل من الرجلين مخلصاً بدليل وصولهما الى درجة التحكيم».

ثانيا: الأهداف التربوية للقصة:

أ - فى المجال المعرفي:

١ - أن يعرف السامع ما فى القصة من أحكام فقهية تتعلق بالأشياء التى لا يدعى ملكيتها أحد(١).

٢ - أن يتذكر السامع التوجيهات القرآنية التالية:

- قوله تعالى: **«يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما»** (النساء/ ١٣٥).

- قوله تعالى: **«ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه»** (البقرة/ ٢٨٣).

- قوله تعالى: **«وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا»** (المزمل/ ٢٠).

- قوله تعالى: **«الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما ءاتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا»** (النساء/ ٣٧).

- وقوله تعالى: **«والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»** (التوبة/ ٣٤).

٣ - أن يقارن السامع بين ايثار الدنيا وايثار الآخرة فى ضوء الآيات الكريمة:

- قوله تعالى: **«من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفٍّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون»** (هود/ ١٥ - ١٦).

٤ - أن يتذكر السامع أحكام العقود وكتابتها من الآيات التالية:

- قوله تعالى: **«يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود»** (المائدة/ ١)

- قوله تعالى: **«يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه»** (البقرة/ ١٨٢).

ب - فى المجال العاطفى:

١ - أن يستشعر السامع فى نفسه معنى الإيثار

٢ - أن ينفر السامع من الأنانية وما تجلبه من صفات اخرى كريهة كالكذب والرياء والغرور.

٣ - أن يحس السامع بأثر الآيات الآتية:

- قوله تعالى: **«إعدلوا هو أقرب للتقوى»** (المائدة/ ٨)

- قوله تعالى: **«وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا»** (الانعام/ ١٥٢).

- قوله تعالى: **«وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً»** (النساء/٩).

جـ - فى المجال النفسى/ حركي:

١ - أن يلجأ المتنازعان الى التحكيم عند الإختلاف.

٢ - أن يعود السامع الى التفاسير ليعرف قصص الإيثار التي تحدثت عنها الآيات الكريمة التالية:

- **«ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»** (الحشر/ ٩).

- **«ويطعمون الطعام - على حبه - مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا»** (الانسان/ ٨ - ٩).

٣ - أن تترسخ فى نفس السامع معانى التضحية وتتحول الى سلوك يومى.

٤ - أن يرجع السامع الى مواقف الأنانية التى تحدث عنها القرآن فى أوقات الجهاد مثل قوله تعالى:

- **«وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جنهم أشد حراً لو كانوا يفقهون»** (التوبة/ ٨١).

- **«ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون»** (التوبة/ ٥٨).

- **انما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون»** (التوبة/ ٩٣).

ويوازن بينهما وبين آيات التضحية مثل قوله تعالى:

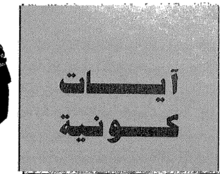
- **«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا»** (الأحزاب/ ٢٣).

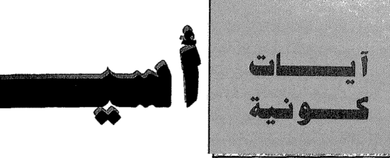
الهوامش

(*) أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٤ جـ٦ ص٥١٢، ٥١٣. ومسلم فى كتاب الأقضية باب استحباب اصلاح الحاكم بين الخصمين جـ١٢ ص١٩، ٢٠ وابن ماجه في كتاب اللقطة باب من أصاب ركازاً جـ٢، ص٨٣٩ (ط المكتبة العلمية بيروت - لبنان، د.ت)، واحمد فى المسند جـ٢ ص٣١٦.

(١) قال ابن حجر تعليقا على هذا الموقف «فحكم هذا المال حكم الركاز فى هذه الشريعة ان عرف أنه من دفين الجاهلية، والا فان عرف أنه من دفين المسلمين فهو لقطة (بضم اللام وفتح القاف والطاء) وان جهل (بضم الجيم) فحكمه حكم المال الضائع يوضع فى بيت المال).

ابن حجر العسقلانى، فتح البارى، مرجع سابق ، ج٦ ، ص٥١٩.





لقد ذكرنا في المقال السابق «دعاء .. واعجاز»، أن الله سبحانه وتعالى قد حمى البشرية جمعاء من بقاء وتراكم الملوثات المختلفة في الهواء، اذ انه لو تراكمت هذه الملوثات في الهواء دون أن تزاح عنه على نحو مستمر لكانت الكارثة وبلا شك الفناء الجماعي، ولقد ذكرنا أيضاً أن المولى سبحانه وتعالى تكفل بتنظيف الهواء الذي لا يملكه أحد سواه، وتخليصه من الملوثات التي تصيبه أولاً بأول عن طريق عمليات غسل الهواء التي ذكرناها والعمليات الأخرى. لكن قد تطرأ في الأذهان أسئلة واستفسارات عن مصير الملوثات المزاحة عن الهواء، وما هو مدى تأثيرها على الأشياء التي تصيبها بعد ذلك؟، وان كانت هناك آليات أو عمليات تتم في الهواء لتخلصه من هذه الملوثات فهل توجد عمليات مثلها في البيئات الأخرى كاليابسة والمياه لتبطل مفعول هذه الملوثات أو تخفف من تأثيرها؟. وتظل تجول في الأذهان أسئلة واستفسارات حول هذا الموضوع.

لإلقاء الضوء على هذه الأسئلة والاستفسارات، يجدر بنا الإشارة إلى أننا قد ذكرنا في المقال السابق أن عمليات غسل الهواء تعتبر من الوسائل المثلى لتخليص الهواء من ملوثاته الغازية والجسيمية، فالملوثات الغازية مثلا تنوب في ماء المطر وتتحول من صورة غازات سامة الى صورة احماض خفيفة سائلة (أسيد مخفف)، وتنزل هذه الملوثات على هيئة امطار حمضية فتهلك النبات وتؤذي الكائنات الحية وتخرب المنشآت عندما تسقط عليها(١).

والأمطار الحمضية عندما تنزل من السماء فهي تعم كل شيء

صورة مركبة توضح العلاقة المتداخلة بين التصنيع والتلوث البيئي وظاهرة ارتفاع حرارة الأرض

ـد ينزل من السماء

بقلم: د. عبدالبديع حمزة زللي
جامعة الملك عبدالعزيز - المدينة المنورة

تقريباً، إذ تسقط على المسطحات المائية وتغير في درجة حموضة الماء، وتنزل على التربة والصخور والمسطحات الصلبة فتغير في ظروف بيئة هذه الأماكن.

وعلى الرغم من أن الأمطار الحمضية تؤثر على الأشياء التي تسقط عليها وتؤذيها عاجلاً أم آجلا، لكن معالم الأضرار على بعض مستقبلات هذه الأمطار قد تكون غير ظاهرة للعين بينما في الوقت نفسه نجد أن مُسْتَقْبِلا كبيراً للأمطار الحمضية تظهر عليه معالم الأذى والضرر فور سقوط هذه الأمطار عليه، هذا المستقبل يعتبر من الأهمية البالغة للإنسان فهو يحبه ويعشقه ولا يمكن أن يعيش بدونه.

فما هو هذا المسْتَقْبِل؟ وما الحكمة في ظهور معالم الأضرار عليه بشكل واضح جلي ينتبه إليه كل إنسان؟.

قبل أن نرى ما هو هذا المستقبل والحكمة في ظهور الأذى والضرر عليه نود ان نلقى الضوء أولا على الأمطار الحمضية بصورة خاطفة.

ماء البطاريات (الأسيد) ينزل من السماء:

يعتبر العلماء الأمطار الحمضية عملية من عمليات غسل الهواء من الغازات السامة(٢) مثل غازات الكبريت التي تقذف في الهواء نتيجة لحرق الفحم الحجري وغيره، فتنزل على هيئة ماء حمض الكبريتيك وهو ماء البطاريات (الأسيد) ومثل غازات أكاسيد النيتروجين التي تنطلق من عوادم السيارات فتنزل على هيئة الحمض القوي (حمض النيتريك وهو أسيد من نوع آخر) (٣)،(٤). وعلى جانب هامشي نود أن نقول أن كلمة الأمطار الحمضية قد تكون غريبة

> ”الأمطار الحمضية النازلة من السماء تعم كل شيء تقريباً“

على أسماع بعضنا، ولا يدرك أخطارها ومشكلاتها، ولكن لو أبدلنا كلمة الأمطار الحمضية بـ «أسيد ينزل من السماء» للفت ذلك الانتباه بشدة لأننا نعرف أخطار الأسيد ومشكلاته والغريب أن الكلمة العربية أصبحت غريبة على الأسماع، بينما كلمة «أسيد» وهي أصلا كلمة إنجليزية acid تعنى الحمض في اللغة العربية أصبحت هي الشائعة.

نعود الآن للإجابة على الأسئلة التى ذكرناها، ونقول أن المستقبل الكبير الذي تتضح عليه معالم الأضرار مباشرة فور نزول الأمطار الحمضية عليه هو الأشجار والنباتات بمختلف أشكالها وأنواعها، ولعل تأثر النباتات الواضح بالأمطار الحمضية والأمطار الملوثة عموماً يثير عامة الناس والزراع على وجه الخصوص، ويلتفت إلى ذلك، وتشتد المخاوف، وترتفع الصيحات والصرخات في كل مكان تنادي بالحد من التلوث البيئي، والبحث عن حلول مناسبة.

كيف لا وقد ظهر تأثير التلوث واضحاً جلياً على أحب ما يملكه الإنسان وهو النبات الذي يقتات منه ويعيش عليه!. هذه المحبة التي غرسها المولى سبحانه وتعالى في قلوب الناس عامة، وقلوب الزراع خاصة، حتى إنهم يضحون بأوقاتهم وأموالهم من أجل هذا النبات فكم ممن عشقوا مهنة الزراعة وولعوا بحبها ولكنهم لم يحسنوا استغلال الأرض والإمكانيات استغلالا جيداً فأنفقوا من الوقت والأموال الطائلة، حتى إذا حان الحصاد وقطفوا الثمار وذهبوا بها السوق لبيعها، وجدوا أن ما يعود عليهم منها لا يغطي قيمة نقلها للسوق ناهيك عما أنفقوا في زراعتها وحصادها، ومع ذلك كله نجدهم يستمرون في مزاولة هذه المهنة لحبهم وولعهم بها على الرغم من أنها قد تعرضهم للخسارة، ويستمرون في هذه المهنة عملا بالمثل القائل «زرعوا فأكلنا، ولنزرع ليأكلوا» ولعلنا نرى أن

الحكمة تكمن في أنّ المولى لو لم يغرس في قلوبهم هذه المحبة لتركوا مهنة الزراعة وارتفعت أسعار الثمار والخضار ارتفاعاً كبيراً، ولكن هذه المحبة أدت إلى خفض قيمة الثمار فأصبحت في متناول يد الفقير والغني.. ونجد أن تضرر النبات وهلاكه بواسطة الأمطار الحمضية والأمطار الأخرى الملوثة بالعناصر والمواد القاتلة يأتي في مراحل متعاقبة هى كالآتي:

١ ـ نزول الماء الحمضي أو الماء الملوث من السماء، وسقوطه على النباتات النامية في الحقول والغابات.

٢ ـ تمتص خلايا النبات الماء الحمضي او الماء الملوث، ويدخل هذا

(٥)،(٦). لذا فإننا نجد أن تضرر انسجة النبات يظهر فور دخول الملوثات داخل النبات وفور اختلاطها بخلاياه وانسجته، فيهلك بعد ذلك النبات ويكون حطاماً تذروه الرياح.

ونجد أن مراحل تأثير الأمطار الحمضية بالمواد القاتلة والمهلكة تنسجم انسجاماً بليغاً مع آية في كتاب الله العزيز الحكيم وتظهر لنا بذلك صورة واضحة جلية من صور

آيــات كــونيـة

سورة الكهف: آية ٤٥: **«واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح، وكان الله على كل شئ مقتدرا».**

ونلاحظ أن كلمة «يختلط» التي ورد ذكرها في هذه الآية قد وردت أيضاً في آية اخرى، وتكرار هذه الكلمة يظهر لنا إعجازاً آخر فلو لم يختلط الماء وما يحتويه من مواد ضارة مهلكة بخلايا النبات وأنسجته لما ظهرت الأضرار وهلك النبات. فالمولى سبحانه وتعالى الرحيم بخلقه قد جعل في الأرض وفي النبات نفسه آليات وعمليات تعمل بصورة دائمة على إمساك وتقييد المواد المهلكة الضارة، وتحول دون دخولها

هناك آليات وعمليات إلهية تعمل على تقييد المواد

الماء بما يحتويه من مواد مؤذية وضارة في داخل النبات، فيختلط هذا الماء بخلاياه وأنسجته في الأجزاء المختلفة منه.

٣ ـ يؤدى اختلاط المواد الضارة بخلايا وانسجة النبات فوراً الى تضرر وموت هذه الأنسجة ومن ثم يهلك النبات ويموت بعد ذلك.

ونود أن نشير هنا الى حقيقة علمية وهي أن وجود المواد الضارة والقاتلة في البيئة التي يعيش عليها النبات لم يكن ليعمل على تضرر النبات وهلاكه لو لم تكن هذه المواد متاحة للنبات أن يمتصها، ولو لم تدخل هذه المواد في داخل النبات وتختلط بها خلاياه وأنسجته. فالملوثات والمواد الضارة على النبات إذا وجدت في البيئة التي يعيش عليها على هيئة أملاح أو مركبات غير قابلة للامتصاص فإن ذلك لا يؤثر على النبات ولا يضره

إعجاز القرآن الكريم التى تحاكي آياته عقول البشرية كلهم في كل مكان وفي كل زمان من وقت نزوله الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فعندما نقرأه ونتدبر في آياته ونتدبر في آيات الله الكونية نرى الانسجام والتوافق والتطابق المذهل فنشعر وكأن القرآن ينزل الآن غضاً طرياً.

إعجاز علمي يظهر لنا في آية من كتاب الله:

على الرغم من ملاحظتنا أن آيات القرآن الكريم تشير الى أن الماء النازل من السماء هو لإحياء الأرض، وإنبات النبات، لكن على النقيض من ذلك نلاحظ أنّ آية في كتاب الله تشير الى ماء ينزل من السماء وفور أن يعمّ اجزاء النبات، ويدخل فيه ويختلط بأنسجته وخلاياه، فإن ذلك يؤدي بسرعة الى هلاكه وتحطيمه.

يقول المولى سبحانه وتعالى في

داخل النبات، ولكن هذه الآليات والعمليات على الرغم من استمرارية عملها الدائم إلا أن لها قدرة معينة وتحملا محدوداً، فإذا ما أساء الإنسان الى نفسه بالإفراط في تلويث البيئة بما يفوق قدرة هذه العمليات على إمساكها بهذه المواد فستدخل في النبات وتختلط به وتهلكه.. لقد ألقى سيد قطب(٧) الضوء على هذه الآية قائلا: «هذا المشهد يُعرض قصيراً خاطفاً ليُلقي في النفس ظل الفناء والزوال. فالماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل، ولكن يختلط به نبات الأرض. والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنه يصبح هشيماً تذروه الرياح، وما بين ثلاث جُملٍ قصارٍ تنتهي الحياة..» ويضيف سيد قطب معلقاً على سرعة وفورية المشاهد المترتبة على نزول هذا النوع من الماء قائلا: «ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير

الضـــــارة المهلكة للأرض والنبـــــات

عرض المشاهد بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء. **«ماء أنزلناه من السماء»** فـ **«اختلط به نبات الأرض»** فـ **«أصبح هشيماً تذروه الرياح»** فما أقصرها حياة وما أهونها حياة».

والآن وبعد ان عرفنا ان وجود الملوثات في الهواء يمثل خطراً عظيماً على الإنسان وأن انتقال الملوثات من الهواء الى الأرض من شأنه أن يؤذى الكائنات الحية ويهلك النبات ويخرب المنشآت مما يعنى استمرار الخطر على الرغم من إزاحته من الهواء. فما الحكمة إذن من ذلك؟.

الحكمة في انتقال الملوثات من الهواء الى الأرض:

تبدو لنا الحكمة من جانب في أن تلوث البيئة عموماً يعتبر من الخطورة بمكان، إلا أن تلوث الهواء بالذات له أهمية بالغة، فهو تلوث خفي لا يرى مباشرة، والإنسان لا يستطيع أن يميز بعينيه الملوثات التي يقذف بها في الهواء، حتى وإن أحس بوجودها فهو لا يملك لنفسه أن يمتنع عن استنشاق الهواء الملوث بها، مما قد يعرض صحته للأخطار، ولكن إذا انتقل هذا التلوث إلى أي مكان آخر غير الهواء أصبحت تأثيراته واضحة جلية للعين. يستطيع ساعتها أن يقي نفسه منها، ويتجنب الأخطار والمشكلات . ومن جانب آخر فكما سبق أن ذكرنا أن الإنسان إن علم بتلوث الهواء في المكان الذي يعيش فيه فهو لا يستطيع أن يردَّ عن نفسه استنشاقه بينما لو علم بتلوث الماء، أو النبات، أو الغذاء، أو ....، فإنه يستطيع أن يمتنع عن هذه الأشياء، فيقي نفسه الضرر والأذى، كما أن المولى سبحانه وتعالى قد هيأً عمليات لتخفيف أثر التلوث وأحياناً إبطال مفعوله في الأماكن المصابة به.

وكما سبق أن مر بنا أن المستقبل الأكبر للملوثات المنقولة من الهواء الى الأرض هو أعز الأشياء على الإنسان وأغلاها (وهو النبات)، وأن محبة الإنسان لهذا المستقبل قد تصل الى حالة العشق حتى أنه قد لا يدرك ما يضحي به من أجله. لذا فقد يكون من الحكمة أيضاً في انتقال الملوثات من الهواء الى الأرض وظهور معالم الأضرار مباشرة في *النبات* حتى يدرك الإنسان تلك الأخطار بسرعة، فهل يتقاعس الناس بعدما أصاب محبوبهم الضرر والهلاك وهو الذي يمدهم بحاجتهم من القوت والغذاء؟.

لذا تتعالى الأصوات مدوية في الهواء لمحاربة الخطر الداهم والعدو اللدود وهو التلوث، وبعد أن يرى الناس الأضرار والأخطار بأم عينهم فلن يقنعوا بالصيحات والمناقشات بل يَجِدُّ بعضهم ويجتهد في تطوير الاختراعات وتحديث الإمكانيات للحيلولة دون انتشار هذا التلوث والعمل على صناعة تقنيات جديدة لا تلفظ مثل هذه *السموم على النحو الحالي*. ولو لم تكن أضرار التلوث واضحة للعيان فلربما لم يُؤدِّ ذلك الى نفس التفاعل وتهييج الأحاسيس.

الهوامش :

(1) Ilivan D.A.O (1985) European Concern About Acid Rain Is Crowing News Focus Januasy 28: 12 - 18

(2) Mohnen, V.A. (1988) Challenges of Acid Rain Scientific American: 259 (2): 30 - 38.

(3) S.M. A. E.C (1982) Acidification Today and Tomorrow. A Swedish Study prepared for the 1982. Stockholm Conference on the Acidification in the Environment. Swedish Ministry of Agriculture Environment 82 committee.

(4) Stern C. A. et al (1973) Fundamentals of Air Pollution. A Subsidiary of Harcourt Brace Jovanovich, Publishers, Academic Press, New Yrok.

(5) KHAN, D.H. & FRANKLAND, B. (1983) Chemical Forms of cadmium and lead in some contaminated soils. Environmental Pollution (Series B). 6: 15-31.

(6) SMITH, W.H. (1976). Lead Contamination of the Roadside Ecosystem. Journal of Air Pollution control Association: 26: 735-766.

(٧) قطب ، سيد: في ظلال القرآن ـ ط ١٠ (١٤٠١هـ).

(للحلقات صلة)



"توقفنا في الحلقة السابقة لمعالجة الروايات القديمة لـ «العين» بالمقارنة مع الطبعة المحققة، وتبينا التوافق بينها، اي أننا عملنا للتحقق من التطابق (ولو مع بعض التعديلات الصياغية أو السقطات القليلة) بين المخطوطات «المتأخرة» التي عمل عليها المحققان والنبذات الواردة عن «العين» (وعن روايات أخرى) في مصادر قديمة. إلا أن عملنا ـ على ضرورته ـ لا يجيب، ولا يتعرض لأساس المشكلة، وهو التالي: قام غير عالم من علماء العربية، بعد اطلاعهم على الروايات التي أشرنا اليها أعلاه، بنقد عدد من المواد المدرجة فيها، نافين نسبتها الى الخليل، فما الملاحظات هذه؟"

التحقق من تحقيق «كتاب العين» للفراهيدي (الحلقة الثانية)

د. شربل داغر - لبنان -

يمكننا ان نتحدث عن ثلاثة أنواع من الملاحظات:

١ ـ ورود نقول في «العين» عن رجال بعضهم من تلاميذ الخليل، او من الأعراب الذين ما عرفوا في البصرة، بل في خراسان.

٢ ـ ورود اجتهادات في النحو لا تناسب عقلية واحكام مدرسة البصرة، بل أهل الكوفة.

٣ ـ «تخليط» الشراح والنساخ في مواد «العين».

اذا كان ابن جني تحدث عن «تخليط» في الكتاب (وقد أوردنا رأيه في الحلقة السابقة)، فاننا لا نستطيع معرفة هذا التخليط في صورة حصرية، بل تقديرية وحسب، وهو يريد منه على الارجح الاشارة الى الزيادات التي يضيفها الشراح والنساخ على متن نسخهم، والتي لا تلبث ان تزاد على المتن الأصلي مع تقادم الوقت. وهي حالات معروفة في عدد من الكتب العربية القديمة. ويسوق الدكتور عبد الحميد الشلقاني، في معرض دراسته لمعجم الخليل، تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة، وهو ان عدداً من الوراقين كانوا يجنحون الى هذه الزيادات «رغبة في إضافة ما يرونه مفيداً الى صلب الكتاب، ومعجم كالعين كان يقبل الاضافة الى مادة من مواده دون ان يؤثر ذلك فيما قبل هذه المادة او بعدها، فاذا أعيد نسخ الكتاب ضمت هذه الشروح والتعليقات عليه». التفسير مقنع، ولكن هل أصابت «كتاب العين» هذه الزيادات؟.

الاجابة ممكنة، اذا ما توصلنا الى الرد على السؤالين الأولين، اي معرفة ما اذا كانت هناك زيادات تعود فعلا لرجال غير متوقعين في «كتاب العين» او لآراء مناقضة لما قاله الخليل، أو لاحقة على عصره.

وكان أبو بكر الزبيدي (٣٧٩هـ) هو الذي دفع الى النقاش هاتين المسألتين، مستنكراً وجود نقول في «كتاب العين» عن الأصمعي (٢١٣هـ)، وابي عبيد (٢٢٤هـ)، وابن

الأعرابي (٢٣١هـ) وغيرهم، ممن أخذوا العلم عن الخليل او كانوا شباباً عند وفاته، كما استغرب عدد من الباحثين المحدثين، بعد عمل الأب الكرملي على الجزء الأول من «كتاب العين» أو بعد نشر الدكتور درويش للجزء الأول ايضاً ورود نقول عن سيبويه، وهو تلميذ الخليل، او عن أبي سعيد والضرير وابن احمد وعرام وزائدة ومبتكر وحماس، «ممن لا يعرف لهم ذكر في البصرة» حسب عبارة الدكتور الشلقاني. اذا كان بعض المحدثين (مثل الكرملي والشلقاني وغيرهما) استغرب وجود هذه النقول، فان غيرهم (مثل الباحث محمد آل ياسين وغيره) رد على هذه الانتقادات. ويمكننا القول ان هذه الشكوك أفادت الكتاب، اذ بادر غير عالم قديم وغير باحث محدث الى اجراء مزيد من «التحقيقات» حول نسبة الكتاب، لا تتوقف على الأخبار، سواء أكانت أكيدة ام مختلقة، بل على مقابلة النصوص بالنصوص.

لن نستعيد حجج القدماء والمحدثين، فهي معروفة، الى هذا فاننا نفتقر، مع القدماء الى نصوصهم البينة والتفصيلية في هذا الخلاف. أما ملاحظات المحدثين فهي تتصل بعمل الكرملي ودرويش، اي بجزء وحسب من «كتاب العين» لا في مجموعه كما انتهى الينا في الطبعة المحققة الكاملة، بدا لنا مفيداً بل ضرورياً، ان نعود الى مجموع «كتاب العين» لتبين الأصول اللغوية التي عاد اليها، او النقول التي أخذ بها، او التعليلات اللغوية التي أوردها، لكي نتحقق في صورة وافية من حقيقة الشكوك المعرفية التي أصابت «كتاب العين».

لن نكتفي بتبين الأصول أو التعليلات اللغوية، بل ستتعدى ذلك لنتناول ايضاً المادة الخبرية الواردة في «كتاب العين» عن أمور وميادين تخص علم التنجيم او أيام العرب وغيرها مما يدل عن «الزمنية المعرفية» لانتاج المعجم. فما الزمنية المعرفية هذه؟.

يحفل «كتاب العين» بمادة غزيرة تعين:

١ـ المصادر اللغوية التي استقى منها الخليل (او غيره) مادة الكتاب.

٢ ـ المصادر الأدبية والدينية والعلمية والاخبارية التي نهل منها.

الى غير ذلك من المصادر التي تصل المعجم بزمن ما، والتي تحده في نهاية المطاف. هي تحده بقدر ما تحدده، اي تعين الأفق المعرفي لـ «كتاب العين». فنحن نقوى، عند مطالعة هذه النبذات ذات الحمولات «الإبلاغية» من عزوها (او عدم عزوها) الى عصر الخليل، في صورة قد لا تكون قاطعة في كل الأحوال، الا انها لا تخلو ـ حتى مع النبذات الصعبة ـ من احتمالات الترجيح والتحقيق.

اصول «العين» اللغوية :

يشتمل «كتاب العين» على مادة لغوية غنية، يمكن اعتبارها العملية «الأولى» و«الأوسع» في جمع اللغة العربية منذ القرن الثاني الهجري، فبعد ان اقتصر الأمر، مع ابي عمرو بن العلاء وقبله، على جمع ألفاظ «نادرة» أو غير معروفة، أو على جمع ألفاظ في موضوع بعينه، قام مشروع «كتاب العين» على جمع ألفاظ العرب، فلا «يخرج عنها شيء» الا ان عملية الجمع هذه لم تكتف بالجمع الدلالي، بل تعدته الى رصد أحوال العربية تبعاً لـ «لغاتها»، اي لألسنة القبائل في الجزيرة العربية، يحفل المعجم بمادة واسعة عن «اللغات» قلما وقعنا عليها في اي معجم، لا بل في التآليف اللغوية في هذا العهد، بدا لنا مفيداً التوقف امام هذه المادة اللغوية المتصلة بـ «لغات القبائل» لعرضها من جهة، ولتبين صلتها بما عرف من جمع الخليل للغة في البوادي العربية من جهة ثانية.

ففي غير مادة في المعجم نقع على تعريفات تبين لنا الاختلافات في

نسبة كتاب العين للخليل ظلت مكان جدال طويل

«كتاب العين» يحتوي على قدر وافر من الأصول اللغوية

نطق هذا اللفظ او ذاك، او في تعيين دلالته، بين قبيلة وأخرى. ف «الفاثور» يتخذ، على سبيل المثال، غير دلالة بمجرد ان ننتقل من منطقة لغوية الى أخرى: فهو يعني «عند العامة» (عامة البصرة على الارجح) «الطست خان»، وعند أهل الشام «خواناً من رخام»، وعند أهل الجزيرة «البساط» وعند أهل أرمينية «الجاسوس». لا أقل من أربع دلالات مختلفة، بل متباينة، للفظ واحد! هذا ما نقع عليه في ألفاظ أخرى مثل «الجُنبُخ» التي تعني «الضخم» في لغة مضر، و«الخابية الصغيرة» في لغة أهل السواد، و«القملة الضخمة» في لغة أهل اليمن. يمكننا ان نعدد الأمثلة، وهي تقدم لنا عينات واسعة مما جمعه الخليل ودرسه من لغات القبائل، لا سيما في الحجاز ونجد وتهامة. فالخليل يجمع الألفاظ ويوردها من دون أن يعللها أحياناً، ذلك أنه «سمعها» وحسب، أو «بلغته»، وفق ما يصرح في غير مادة لفظية. وتفيدنا هذه المواد في تبين عدد من خواص لغات القبائل، في مبانيها وتراكيبها النحوية والصوتية والدلالية فالخليل يميز بين لغة الأعراب في البادية ولغة العامة أو الأمصار، لا سيما في البصرة، ويعد الناطق الذي «يترك عنعنة تميم وكشكشة ربيعة» من «الفصحاء»، كما يقارن بين «اللغات» عامة: في «الشينات كلها قبل اللام» بخلاف ما هي عليه في عدد من الألفاظ الحميرية، والنون تدخل في بعض ألفاظ أهل حمص على أنها «غنة» وليست بأصيلة، وبنو تميم «يجعلون بدل الهمزة العين»، فيما تجعل ربيعة «مكان الكاف المكسورة شيناً» وغيرها من التعيينات.

يحفل «كتاب العين» بمادة واسعة عن لغات القبائل والمواضع التالية: ربيعة وتغلب، وبنى الحارث، وتميم، وتهامة، وهذيل والمدينة، والجزيرة والحجاز والغور، ومكة، ومضر، وبني سعد ، واليمن، وحمير، والكوفة، والبصرة، والعراق، والسواد، وأهل الشام، وحمص، والجوف ، وعمان، ولغة الأنباط، واللغة القبطية، ولغة مصر، والعبرانية والفارسية وغيرها من دون ان يكون هذا التعداد نسقياً.

بدا لنا مفيداً ان نتناول «اللغات» العربية على حدة، على ان ننصرف لاحقاً الى تبين غير العربية منها، لا لطبيعة «اللغات» العربية المتقاربة وحسب (واختلافها البين عن غيرها)، بل لان الخليل نفسه عمد في غير موضع الى تبين صلات التقارب مثل التخالف بين هذه اللغة او تلك في الجزيرة العربية.

نجد الخليل يكتفي في بعض الأحيان بايراد ما جمعه وحسب من دون معالجة او تحليل ، سواء أكان ما جمعه يتعلق بدلالة او بكيفية نطق، فيفيدنا، على سبيل المثال، ان لفظ «القشمة» يرد في لغة تغلب، وان «العرجلة» تأتي في لغة تميم «الحرجلة»، وان «المعصوب» يعني «الجائع» في لغة هذيل، الى غير ذلك من الأمثلة، ونقع أحياناً على لطائف دلالية في هذا الشأن مثل هذه: «ثِبْ» معناه «اقعد» في لغة حمير، أي بخلاف ما هي عليه العربية الحالية، أو هذه : «تقول هذيل: أكل حتى اقْتَرَّ، في الناس وغيرهم، والإقترار الشبع»، وهو خلاف ما تعرفه العربية الحالية، ولا يتأخر أحياناً عن سرد الحكاية التي أدت الى نشأة هذه العبارة او هذا اللفظ: و«القَدْف: غرف الماء من الحوض، أو من شيء تصبه بكفك، بلغة عمان، وقالت بنت جُلندى العُمانية حين ألبست السلحفاة حليها فغاصت وأقبلت تغترف من البحر وتصبه على الساحل وهي تنادي القوم: نَزاف نزاف، لم يبق في البحر غير قداف، أى غير حفنة».

الا انه يتوقف، في مواضع أخرى، ليتبين صيغ لغة هذه القبيلة او تلك، صارفاً لها الجهد الذي صرفه للعربية حين أعمل التقليب فيها ودرس أبنيتها واحتمالات التركيب فيها، فهو يلاحظ على سبيل المثال، ان لغة أهل سفلى مضر تكسر «الفاء في فعيل اذا كان الحرف الثاني منه من حروف الحلق الستة»، بخلاف أهل اليمن الذين لا يتأخرون عن كسر الفاء في فعيل حتى لو لم يكن الحرف الثاني من حروف الحلق، ونراه يعالج في صورة تحليلية تراكيب الكلام واحتمالاتها في غير لغة، متوقفاً في شكل خاص أمام أربع لغات - على ما بدا لنا من الثبت اللغوى الذي قمنا به - وهي اللغات التالية: لغة تميم، لغة هذيل ، لغة الحجاز ولغة اليمن، ماذا يمكننا القول عن كل واحدة منها؟

ترد في النبذات التعريفية ألفاظ وفق دلالاتها المخصوصة في لغة تميم: مثل لفظ «الأجواف» الذي يعني في لغتهم «فساطيط عمالهم» او «الدوية» التي تعني عندهم «مفازة ملساء»، و«الآد» «القوة»، و«الربذة» «صوفة الهناء»، و«الود» «الوتد» الى غير ذلك.. كما يعمل على تبين بعض خواص التركيب في لغتهم، فينتبه الى كونهم يكرهون «التفخيم» فيردون الطاء الى التاء، ويلفظون «الأصاتم» بدل «الأصاطم» ونتوقف أمام نطقهم المختلف لألفاظ مشتركة بينهم وبين قبائل أخرى، فينطقون «نِكْل» في الوقت الذى تنطق الحجاز «نَكَل» ويقولون «الكلمة» فيما تنطق الحجاز «الكَلْمَة» الى غير ذلك من الحالات كما يتبين أحياناً بعض خواص التركيب في لغتهم، فيلاحظ أنهم «يكسرون فعيلا في كل شيء كان ثانيه أحد حروف الحلق»، و«أنهم يجعلون ألف كل أنّ وأنْ منصوبة، من المثقل والمخفف». الى غير ذلك.

تكاد تنحصر ملاحظات الخليل في لغة هذيل على الجانب الدلالي، اذ يسرد عدداً واسعاً من الألفاظ والدلالات الخاصة بهم: «القُمْعُل: القدح الضخم»، «الكَرْهاء: أعلى

النُّقْرة»، «الخموش: البعوص»، «الفريج: البارد»، و«ربْد السيف فرنده»، و«كتاب منمل: مكتوب» وغيرها. الى هذا، فانه يعين لنا بعضاً من المنتجات، والمسميات بالتالى، الخاصة بهم، مثل: «القتر»، وهي «سهام صغار»، أو «الربابة» وهي «خرقة تجعل فيها القداح» وغيرها.

لا يتواني الخليل في غير موضع عن الجمع وعن إبانة التخالف بين لغة تميم ولغة الحجاز: فـ «الكَلَمَة» حجازية و«الكلْمَة» تميمية، و«الداوِيَة» تعني في لغة الحجاز «مفازة ملساء» وهي «الدوية» عند تميم وغيرها كما يتوقف أمام بعض مسمياتهم الخصوصية مثل تسميتهم الاجاص «مشمشاً» ويعالج بعضاً من تراكيبهم الخصوصية، يثبتون الياء والواو في «صيِدَ» و«عوِر» فيما يقول غيرهم: «صادَ يَصادُ وعار يعار» وغيرها.

يتضمن المعجم مسرداً واسعاً عن لغة اليمن، لا سيما في دلالاتها: «القُشْعر» تعني «القثاء» و«القُنْفُعَة» «الفُرْقُعَة» و«القحبة» «المرأة» و«الكحْبَ» «البروق» وغيرها. كما يتبين فيها بعض ظواهر «القلب» فما ينطقونه «المضد» هو عند غيرهم «ضمد»او «العنكوه» والعنكباه» عندهم هو عند غيرهم «العنكبوت» الى غير ذلك.

غير ان الخليل لا يتأخر عن رصد أحوال اللغات عند قبائل عدة، او لغة الأمصار، لا سيما في البصرة، او يتوقف عند مدن بعينها مثل حمص وعمان وغيرها. وهو رصد نافع لأنه يرصد فى غالب الأحيان حال العربية في زمن الفراهيدي كما يعالج في بعض الأحيان لغة العامة في العراق، واذا كانت ملاحظات الخليل لا تخلو في هذه «اللغات» العربية من التفاتات نبيهة ونافعة، فان جمعه لألفاظ ومسميات من اللغات غير العربية مثل الفارسية والعبرانية والافريقية وغيرها، لا يضيف جديداً في غالب الأحيان، فهو يستعيد ما هو معروف عن بعض الألفاظ غير العربية في القرآن مثل «الزقوم» الافريقية، او يورد عدداً من الألفاظ التي باتت شائعة في الكلام الساري او المعروفة على الأقل، كما هو عليه الحال مع أسماء الشهور الرومية المعروفة في بلاد الشام.

شواهد «كتاب العين» :

يعود الخليل في المعجم الى القرآن الكريم مستشهداً بآياته تامة أو غير تامة، ملمحاً أحياناً الى القراءات المختلفة لا سيما الى قراءة ابن مسعود، او يعود الى عدد من التفاسير، لا سيما التي أخذها من الفقيه الحسن البصري، او من فقيه البصرة الآخر، ابن سيرين، او من غيرهما كما يعود في بعض الأحيان الى الأحاديث النبوية، او الى عبارات شهيرة وردت على ألسنة الخلفاء الراشدين، او على لسان معاوية او الحجاج بن يوسف وغيرهما. وهو يعود الى هذه اللغة «المرجعية» طلباً لشاهد لغوى يعزز ما يسوقه من تفسير دلالى او من تعليل نحوي وخلافهما الا انه يستقي من الشعر غالباً هذه الشواهد، او من الأمثال أحياناً.

لا يكاد يخلو مدخل لفظى، او دلالة أحياناً في المعجم من شاهد شعري، وقد يرد كاملا او في جزء منه ومعزواً او من دون عزو وقد قمنا بإحصاء الشواهد الشعرية في الأجزاء الثمانية للمعجم، وأتت الاحصائيات حسب التقسيم التالي:

يزيد عدد الشواهد على ٣٠٣٥ بيتاً شعرياً، **وقد وجدناها تتوزع في أربع فئات:**

- أبيات غير معزوة: ٧٧ بيتاً (ما يعادل ٢،٥٣ بالمئة) وتعود الى ٥٥ شاعراً (أي ١٨.٨٣ بالمئة).
- أبيات جاهلية: ١١٩٨ بيتاً (ما يوازي ٣٩و٤٧ بالمئة)، لـ ١٣٦ شاعراً (أي ٤٦و٥٧ بالمئة).
- أبيات عباسية: ٥١٧ بيتاً (ما يوازى ١٧،٠٣ بالمئة) لـ١٢ شاعراً

في الكتاب شيء من تخليط الشراح والنساخ

نقول واجتهادات ضمها الكتاب لا تنسب للخليل بوجه من الوجوه

(أي ٤.١٠ بالمئة).

نخلص من بنود هذه القائمة الإحصائية للشعراء والأبيات الشعرية الى أن عدد الشعراء يقرب من الثلاثمائة شاعر (٢٩٢) تحديداً ،أو ربما أقل من ذلك، (طالما أن عدداً ممن لم تنسب إليهم أبياتهم قد ذكروا، ربما). اللافت في هذه القائمة هو ضعف تمثيل الفترة العباسية من جهة وقوة تمثيل الفترتين الجاهلية والأموية، وهو تدبير طبيعيي لإعتبارين: يعود الإعتبار الأول الى أن جامعي اللغة الأوائل قيدوا سجل «فصاحة زمنية» جعلوها في الجاهلية أساساً وحتى في عدد محدود من شعراء الفترة العباسية الأولى. أما الإعتبار الثاني فيعود الى «زمنية» كتاب العين، حيث ان الخليل عاد الى عدد محدود من مجايليه بالطبع، ولكن إذا كان عدد الشعراء العباسيين محدوداً بالمقارنة مع شعراء الفترتين الجاهلية والأموية، فإن هذه النسبة تزداد في عدد الشواهد الشعرية العباسية: فعدد الشعراء العباسيين لا يتجاوز ١٠ر٤ بالمئة، فيما يبلغ عدد الشواهد الشعرية العباسية ١٧ر٠٣ بالمئة من مجموع الشواهد.

سبعة شعراء يتصدرون هذه القائمة ممن استشهد بشعرهم اكثر من مئة مرة، وهم بالترتيب: رؤبة بن العجاج (٤٨٥ بيتا)، العجاج (٣٣٥)، ذو الرمة (٢٧١)، الأعشى (٢٠٤)، لبيد بن ربيعة العامري (١٧٣)، مطيع بن أياس (١٦٦) وامرؤ القيس (١١٥).

يبقى علينا ان نشير الى ان «كتاب العين» يشتمل في مواده على عدد كبير من الأمثال: يرد المثل مثل «شاهد» أو «دليل» لتأكيد دلالة ما، كما هو عليه البيت الشعري في هذه الحالة، ولا يتأخر الخليل أحياناً عن رواية الحكاية التي أدت الى نشأة هذا المثل او ذاك، وهي أمثلة ترد في مواضع ومناسبات مختلفة، سواء في الشعر او الشجاعة او الحمق او غيرها، وهي جاهلية المنشأ غالباً ومن المعلوم ان عدداً من العلماء سارع في عصر الفراهيدي الى جمع الأمثال، مثل يونس بن حبيب وأبو عبيدة وأبو فيد مؤرج السدوسي، من دون ان يصلنا اي واحد من كتبهم.

يشتمل «كتاب العين» الى مواده المعجمية، على معلومات أخرى تتصل بأسماء علم أو بعادات معروفة أو بوقائع إسلامية أو سابقة عليها، حتى إنه يبدو في بعض المواضع أشبه بموسوعة ثقافية، وهو، بقدر ما يفيدنا، يعين حدوداً لقوله مثل معرفته، أي يعين حدوداً معرفية بالتالي. وهذا يمكننا من التعرف على الخلفية الثقافية في المعجم من جهة، ومن الوثوق منها، من جهة ثانية، بوصفها قابلة للتعيين والمقارنة مع ما نعرفه من معطيات ومعلومات عما كان معروفاً حتى عهد الخليل. هذا ما يمكن أن نتأكد منه في المعلومات نفسها (أي التأكد منها)، وفي «الأفق المعرفي» الذي يحد أي قول بالتالي.

لا يعنينا في فرز هذه المواد ان نتبين تاريخيتها بالضرورة، ذلك ان هذا السعي يتعدى مرادنا، بل ابتغينا منه تبين «تعيين» التعريفات. فنحن نجد على سبيل المثال في هذا الكم التعريفي معلومات شديدة التعيين: مثل تعيين «الأهواز» او «مساجد البصرة» او «مظلات عُمان» او ما جرى بين ابي الدقيش والخليل، او ما قاله زياد بن ابيه حين قدم البصرة عاملا عليها، او خبر هذه الشجرة: «الألنبج: حمل شجرة بالهند تَربّبُ بالعسل على خلقة الخوخ، مُحرَّفُ الرأس يُجلب الى العراق وفي جوفه نواة كنواة الخوخ، ومنه اشتُقَّ الأنجبات التي تربّب بالعسل من الأُترج والأهليلجة ونحوها». ذلك ان هذه المواد المختلفة تجلب لنا صورة عن الظروف المادية والزمنية المحايدة لانتاج «كتاب العين» وتساعدنا بالتالي على تبين «تاريخيته» الزمنية والمعرفية في آن.

يشتمل هذا الكم على اسماء أحياء وقبائل، وعلى أخبار عن الأيام الجاهلية وعن العادات والألعاب فيها، وعن عدد من الأقوام في عباداتهم، سواء الوثنية او اليهودية والمسيحية، وعن معارفهم في النجوم والحساب، وعن الأيام الإسلامية مع الرسول والصحابة، عدا ما بلغ الخليل من «قصص» السالفين.

أصول «العين» الثقافية:

يتضمن المعجم قائمة واسعة من الأسماء الدالة على البشر او على المواضع الجغرافية، نتعرف على «هالة» وهي أم حمزة بن عبد المطلب، او على الأسماء التي بلغت الخليل عن اخبار الأولين، مثل اسماء ولد آدم او جد ابراهيم وغيرهما. واذا كانت التعيينات الجغرافية قليلة بل مقتضبة في بعض الأحيان «القيروان: اسم مدينة» فانها وافية ودقيقة في بعض الأحيان، حين يتعلق الأمر بالبصرة او بالأهواز المجاورة لها. كما تبين لنا بعض التعيينات عن الكيفيات التي توصل بها الى معلوماته: فهو يفسر بناء مدينة تدمر (مدينة بناها الشيطان باذن سليمان بن داود» وفقاً لما قرأه في شعر النابغة الذبياني (ورد البيت في ديوانه، ص١٣):

وخَيس الجنَّ إني قد أذنتُ لهم
يبنون تدمرَ بالصفاح والعمد».

ويشتمل «كتاب العين» على لوحة واسعة من أسماء القبائل العربية مبينا أفخاذها وأحياءها، الا انها لوحة تسمية في غالب الأحيان، من دون معلومات عن مواضعها او عن تواريخها الخصوصية الا فيما ندر. غير اننا نتعلم ان أهل قريش ينسبون الى فهر بن غالب بن النضر بن كنانة، وانها تتوزع الى أفخاذ وأحياء مثل: بني هبار وبني معيط وغيرهما لا بل يتيح لنا المعجم في بعض الأحيان ان نتبين تكوين عدد من القبائل، منها:

- أحياء وقبائل بني تميم: عرين، الحبطات، يربوع، بنو العنبر، البراجم، صوفة، مازن وغيرها.
- بنو ربيعة: بنو حنيفة، رقاش، بنو ذهل بن شيبان، بنو ذهل بن ثعلبة، هنب، بنو هنب، يشكر وغيرها، كما يفيدنا المعجم ايضاً عن وجود أحد أحياء هذه القبيلة، «أنمار» تحديداً، في اليمن في عهد الخليل.
- بنو عبد القيس: العمور، عدوان، خفاجة، بنو قشير بن معب، بنو قشر بن عكل، بنو غيظ ثقيف، لُكيز شن وغيرها.

كما يفيدنا أيضاً عن قبائل الأزد، والأوس، والخزرج، وبني أسد، وبني سعد، وبني فزارة، وبني قريظة، بني هوازن، ومضر وهذيل، أو يورد اسماء أحياء وقبائل من دون ان ينسبها مثل: بني شقير، وخشينة، وشعفر، وبني عيش، وعتيب، وبني ذريح، وهداد، وهزان، وهديل، وباهلة، وجل وجلان، وجديس، وجديلة، وبني راسب وغيرها.

الا ان المعجم يتوقف طويلاً لتعداد قبائل اليمن التي ينسبها كلها الى رجل، هو «سبأ»، وهو اسم حملته بالتالي احدى البلدات، التي «سكنتها ملكتهم بلقيس» من هذه الأحياء والقبائل: عرينة، ومعافر، وينعم، وعقرس، وجرهم، والعوقة، وحدان، والحرقة، والهزر، ويهراء، وقرن، والناقم، والقساملة، والسكاسكة، وقيس كبة، وشاكر، وجنادة، وجذام، وجرم، وشبام، وصداء، وسد، وبني مسيلمة، واوس، وبنانة وغيرها. كما يعين احياناً صلات نسب هذه القبائل والأحياء بعضها ببعض، مثل صلة جذام ببني أسد من خزيمة، او يبين لنا انتقالها، مثل تواجد الحي اليمني «حدس» في الشام وغيرها.

اذا كنا شكونا في المعلومات الواردة أعلاه من غياب الدقة في بعض الأحيان (ما لا يساعدنا في بعض المواضع على تكوين صورة منسقة في ميدان ما)، فاننا لا نجد أسباباً للشكوى في معلومات «العين» عن الفلك بنجومه وكواكبه وبروجه.

وهي معلومات تتأتى من مصدرين على ما تبين لنا: من المعتقدات الشعبية، التي تصل بين الظواهر الفلكية وبين وقوع او حدوث أفعال مناخية او انسانية بعينها، او من «علم التنجيم»، او من «المنجم» حسبما يفيدنا الخليل في غير موضع.

فهو لا يتأخر عن تقديم صورة عما هو عليه الفضاء الخارجي: فالسماوات «سبع» بين السماء السابعة، وهي «سدرة المنتهى»، و«السماء الدنيا» وهي «الأرقع» و«الرقيع». ويقع الفلك «دون» السماء، ويتألف من «سبعة أطواق» لكل طوق فيها «نجم» جرى «تركيبه» بحيث يأتي بعضها «أرفع من بعض» الى هذا فان النجوم «تدور» في الأطواق، ولكن.. «باذن الله». إلا ان هذا التعيين لا يفيدنا في تبين أمور أخرى مثل التمييزات الدقيقة بين النجوم والكواكب وغيرها. يفيدنا المعجم، على سبيل المثال، ان الفلك يتألف من «أبراج» وأنها اثنا عشر برجاً منها: «العقرب» وطلوعه في حد الشتاء، و«الحوت»، و«الحمل»، و«القوس»، و«الثور»، و«السمكة»، و«الجوزاء»، و«الدلو»، و«السرطان» وغيرها. كما يعين لنا المعجم عدد درجات كل برج، وهي ٣٠ درجة.

الى هذا، فهو يعدد لنا أسماء النجوم شارحاً أحوال بعضها، مثل النجوم التالية: التنين، والعواء، والشعرى العبور، وسعد بلع، والرامح، والجدي، والفكة والكلب، وكيوان، والبرجيس، والنسران وغيرها. كما يعين مواضعها في بعض الأحيان، فيشير الى ان «الشعرى العبور» نجم يقع «خلف الجوزاء» وان «الفكة» نجوم «مستديرة» وان «العواء» من نجوم «السنبلة» وغير ذلك من التعيينات. كما يعدد لنا أسماء بعض الكواكب، مثل: الذابح، والمريخ، والعيوق، وعطارد، وحضار،

أسماء قبائل العرب وبطونها ومساكنهم.. جاء معجم العين بلمحات عنها

بعض المعلومات عن المعالم الفلكية والجغرافية والطبيعية تنقصها الدقة

وسهيل، والزهرة، والسها، والخنس، والسماكان، والشرطان، والفارطان، والرديف، والترأم والنثرة وخلافها. كما يعمل أحياناً على تعيين مواضعها: فـ«العيوق» يقع «بحيال الثريا»، وهو «اذا طلع علم ان الثريا قد طلعت»، كما «لا يفارق» عطارد الشمس، وان كواكب «الخنس» الخمسة تخفي ضوء الشمس أحيانا وغيرها. كما يتوسع في تبيان «منازل القمر»، مثل النعائم، والغفر، والأكليل، والصرفة، والبلدة وغيرها.

استقى الخليل هذه المعلومات من المنجمين، خاصة واننا نعرف عنه انه كان ضالعاً في علم التنجيم، على الرغم من تنكره الديني له من دون شك، الا ان ايراد هذه المعلومات يبين لنا انه استقاها في بعض الأحوال من المعتقدات الشعبية خصوصاً فهو يربط على سبيل المثال بين نجم «التنين» ومنزل القمر «الضيق» من جهة و«النحوس» من جهة ثانية، او يجعل «عطارد» كوكب «الكتّاب» او مثل الجمع بين نجم «العواء» وسقوط البرد وغير ذلك.

غير ان تعيين هذه النجوم والكواكب يفيده في بعض الأحيان في تعيين المواقيت والتبدلات المناخية والفصول: فـ«العواء» يعد من أنواء البرد في الربيع، واذا طلع خراتي الأسد أمام الفجر «فذاك أول الخريف، واذا غاب مع طلوع الفجر فذاك أول الربيع». و«الشرطان» هما «أول نجم في الربيع» كما يبين لنا ايضاً «حساب» او تقويم النجوم، اي الشهور والفصول، سواء الرومية في «حساب أهل الشام»، او العربية.

قصص الأقوام :

نقع في مواد هذا المعجم على معلومات واسعة متصلة بحياة أقوام عديدين من العرب، سواء في وثنيتهم او في إسلامهم، او المسيحيين واليهود، وغيرهم من الأقوام ممن جمع الخليل (او وصلته) أخبارهم. بدا لنا ضرورياً البدء بعرض ما يسوقه الخليل من أخبار عن عرب الجاهلية. هي أخبار واسعة تتصل بمعتقداتهم، او بقصصهم، أو بعاداتهم، او بألعابهم سواء للصغار أو الصبيان أو الرجال، أو تتصل بأيامهم الشهيرة، او بأخبار شعرائهم وغيرها. فهو يبين لنا عدداً من التدابير السحرية التي تأمنهم المكاره والمخاوف، كأن يضعوا كعاب الأرانب في أجلهم خشية الموت، او صلاتهم بالجن وطردها، كأن يضعوا في البيوت نبات «الحزى» كما يعرض لعدد من عاداتهم في عبادة الأصنام والذبائح وغيرها. ويبين لنا شيئاً من عاداتهم، في «وئيد» البنات، و«الاستقسام» وزواج الأعراب، وعادات الضيافة، وطمر الماء في بيض النعام في الفلوات في الشتاء، وقسمة الغنائم وغيرها. أو يعرض لـ «أيام» الجاهلية، اي وقائعهم في الحروب القبلية مثل أيام: حليمة، وبزاخة، والوقيظ، وعكاظ وغيرها. أو يشرح لنا شيئاً من فنونهم في القتال مثل: «المناجزة» او مسميات الرمي في النضال، او أقوالهم في الغارات وغيرها. أو يوضح لنا جوانب من الألعاب التي مارسوها، لا سيما عند صبيان الأعراب، مثل ألعاب: «البقيرى» و«المفايلة» و«القلو» و«الطث» و«المخراق»، أو ألعاب الفرسان، مثل: «قصب السباق» و«الطبطابة» و«الاخطار» وغيرها. كما يتوقف أحياناً لسرد قصص الجاهلية، والتي أصبحت «مضرب مثل» مثل: قباع بن ضبة «أحمق أهل زمانه»، او عكراش «أرمى أهل زمانه». او عرقوب «أكذب أهل زمانه موعداً». او يروي لنا أخبار ملوك اليمن مثل: أبرهة حين ساق الفيل الى «البيت» فأهلكه الله، او ذو يزن، او شمر، او الحارث بن آكل المرار، او تبع، او ومزيقياء، او ابو يكسوم الحبشي وغيرهم. او يتوقف أمام أخبار شعراء الجاهلية، نتعرف الى «كامل» فرس امرئ القيس، والى «صيدح» ناقة ذي الرمة، والى «مسحل» جني الأعشى، وابليس امرئ القيس، والى ما جرى لذي الرمة مع مية، والى حال «الصعاليك» او الى عادات جاهلية في الخطابة او في «دار الندوة» بمكة وغيرها.

ونقع في مواد المعجم على معلومات اسلامية في غير صعيد وميدان، مثل المعطيات المتعلقة بـ«البريد» وتفيدنا أن للبريد سككاً وأن «لكل سكة منها اثنا عشر ميلاً» وأن «السفر الذي يجوز فيه قصر الصلاة أربعة برد، وهي ثمانية واربعون ميلاً بالأميال الهاشمية التي في طريق مكة». أو تفيدنا عن «الجهاد» في الرباطات الذي يقوم به «المطوعة» وهم «القوم الذين يتطوعون بالجهاد يخرجون الى الرباطات». أو عن أوضاع الذميين، وهم «أهل العهد»، او عن عاداتهم مثل «التكفير» وهو «إيماء الذمي برأسه»، أو «القلس»، وهو «خاتم من وصاص يختم به عنق من يعطي الجزية» وغيرها. أو عن السفن الحربية في البصرة، وهي «الحراقات»، أي «سفن فيها مرامي نيران يرمي بها العدو في البحر بالبصرة، وهي أيضاً بلغتهم: القلائين والفحامين».

وعن عادات أهل البصرة وتسمياتهم، مثل الساقي«الذي يطوف عليهم بالماء» في الأسواق، وهو «البياب» وعن طلب الزواج من العربي في «كابل»: «وإنما الإستفحال على ما بلغني من أهل كابل عن علوجها أنهم إذا وجدوا رجلا من العرب جسيماً جميلاً خلوا بينه وبين نسائهم رجاء أن يولد فيهم مثله»، أو عن عادة صبيان العرب الذين «إذا رأوا سماني قالوا: سماني قالوا: سمانى لبادى البدي لا تراعي، أي لا تفزعي والبدي لا تري، ولا يزالون يقولون ذلك وهي لابدة، ويدورون بها حتى يأخذوها»

وغيرها.

كما يشتمل المعجم على قائمة واسعة من التحريمات التي نهى الاسلام عنها، مثل: منع الجارية من الصلاة في بعض الأحوال، والنهي عن الادهان في كل يوم، وعن «المجثمة»، او عن أكل اللحوم الحمر، او عن «التلقي» وغيرها الكثير. كما نقع على أخبار من السيرة النبوية، مثل تولع الرسول بالسواك، او غرسه لتمر «العجوة» في المدينة، او ما كان يصطفيه من الغنيمة بعد الخمس، او قصة نزول احدى سور القرآن عليه وغيرها. كما نتعرف على عدد من الوقائع الإسلامية سواء ما جرى في عهد الرسول، او في عهد الخلفاء، مثل غزو عمرو بن العاص لأرض في بلاد الشام، او قتل الامام علي لذي الثدية بالنهروان، او تهديم زياد بن أبيه للمواخير في البصرة حين حل فيها عاملاً، او الاستقراض على الأعطيات في عهد الحجاج وغيرها.

اذا كان الخليل ينسب النصارى الى المسيح، مميزاً بينه وبين «المسيح الدجال»، فانه يقيم التفريق بين «النصارى» و«النسطورية» (وهم «أمة من النصارى يخالفون بقيتهم»)، و«الركوسية» (وهم «قوم لهم دين بين النصارى والصابئين، ويقال: هم نصارى») إلا ان معلوماته عن «النصارى» تبدو متصلة بأخبارهم سواء في النبطية او الرومية، لا بمسيحيي الجزيرة العربية، وهو يعدد لنا قسماً من عباداتهم، مثل «القربان» او «الحلوان»، او عدداً من رموزهم مثل «الصليب» وخلافه، او أعيادهم مثل «الفصح» وغيره. ويتوقف أمام رجال دينهم مثل «الراهب» وهو «المتعبد في صومعة»، او «الوافه»، وهو «القيم على بيت النصارى»، او «الأسقف» و«القس» و«القسيس» و«الأبيل» و«الشماس». ملاحظاً ان الأخير منهم «يحلق وسط رأسه» و«يلزم البيعة» اي الكنيسة.

كما يلاحظ ايضاً انه يوجد في الكنيسة «صنم على خلقة مريم» وغيرها.

يقيم الخليل التمييز بين اليهود عامة وبين يهود قريظة او المدينة في الجزيرة. الا ان معلوماته تتوقف خاصة عند تاريخ اليهود، لا سيما الديني منه فيبين لنا شيئاً عن عباداتهم، مثل «الشمعلة» او «التنهيم» اي القراءة في كتبهم الدينية، وقد تكون «بأصوات خفية». او يشرح لنا كتبهم الدينية، مثل التوراة، وهي عنده «خمسة أسفار: سفر يخرج من بني اسرائيل من مصر، وسفر لسيرة الملوك، وسفر الوصية، وسفر مكرر»، او «الزبور» وغيرها. كما يعرض للقصص اليهودي، مثل قصة بغال سليمان بن دواود، او بناء سفينة نوح، او عمالقة الشام في عهد موسى وغيرها.

كما يتبين لنا في نبذات المعلومات هذه ما كان يعرفه الخليل عن أقوام وشعوب غير عربية او غير مجاورة لهم، او عن أخبارهم، ونقع في هذه النبذات على الأقوام التالية: «الترك، والصين، وقوم الياس، والمجوس، والهند، والسودان، والقبط، والكرد، والزنج، وأهل كابل». كما يفيدنا عن وقوع حروب بين هذه الأقوام والمسلمين، خاصة في عهد الفتح، او عن عباداتهم الا انها معلومات شديدة الاقتضاب.

يشتمل المعجم على معطيات في الحساب، سواء أكان الحساب العادي في الجمع والضرب والجداء وغيرها، او «حساب الجمل». اما عمليات «الجداء» فـ«يقال: ما جداء عشرة في عشرة؟ فيقال: مائة»، و«الجذر» هو «أصله الذي يضرب بعضه في بعضه، وجملته البرجان. يقال: ما جذر مائة؟ فيقال: عشرة» كما يفيدنا أيضاً عن «حساب الجمل» وهو «ما قطع على حروف أبي جاد».

«للدراسة صلة»

المعلومات الخاصة بعلم التنجيم استقاها الخليل من المعتقدات الشعبية

المعجم يشتمل على بعض المعلومات الاسلامية بعيدا عن العمق الفقهي

كتاب من التراث:

الموشح . . في مآخذ المـ
في عدة أنواع مـ

للمرزباني (الحلقة الأخيرة)

في الباب الأول من كتابه **(الموشح)** يعرض المرزباني لأكثر من عشرين شاعرا جاهليا، مبرزا، ويرصد كثيراً من العيوب التي أخذها النقاد والعلماء عليهم. ومن هؤلاء الشعراء: امرؤ القيس - النابغة الذبياني - زهير بن أبي سلمى - الأعشى - طرفة بن العبد - بشر بن أبي حازم - حسان بن ثابت - أوس بن حجر... الخ.

ومن المثال التالي يمكن تبين منحى صاحب الموشح وطريقته في رصد هذه المآخذ وموقفه منها:

أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفه النحوي، قال: أخبرنا محمد بن يزيد النحوي قال: قد عاب الناس قول طرفة:

أسدُ غيلٍ فإذا ما شربوا
وهبوا كل أمون وطمِرْ(١)

فقيل: إنما يهبون عند الآفةَ التي تدخل على عقولهم. وفضلوا عليه قول عنترة بن شداد العبسي:

وإذا شربتُ فإنني مستهلك
مالي، وعرضي وافر لم يُكْلَمِ
وإذا صحوت فما أقصر عن ندًى
وكما علمت شمائلي وتكرّمي

وحدثني عبد الله بن احمد عن أبي العباس المبرد قال:

«عيب على طرفة بيته هذا إذ قال: إنما يهب هؤلاء إذا تغيرت عقولهم وإنما الجيد بَيْتَا عنترة هذان: فخبَّر أن جوده باق، لأنه لا يبلغ من الشراب ما يثلم عرضه، ثم قالوا هو حسن جميل، إلا أنه أتى به في بيتين، هلا قال كما قال امرؤ القيس:

سماحة ذا وبرٌ ذا ووفاء ذا
ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سكرْ

وأخبرني الصولي قال: عيب على طرفة قوله:

أسْد غيل... البيت

فجعل إعطاءهم عند الشرب، ويروى «فإذا ما سكروا» فتبعه حسان بن ثابت الأنصاري، فقال - وهو أعيب من الأول:

نُوَلِّيها الملامة إنْ ألَمْنَا
إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا
وأسداً ما ينهنهنا اللقاء(٢)

فقول طرفة خير من هذا لأنه قال:

أسْدُ غيلٍ فإذا ما شربوا...

فجعل لهم الشجاعة قبل الشرب، وحسان قال: نشرب فنتشجع، ونهب كأنا ملوك إذا شربنا، ولهذا كان قول طرفة أجود، وقول عنترة أحسن، لأنه احترس من عيب الإعطاء على السكْر، وأن السكْر زائد في سخائه، فقال:

وإذا شربتُ فإنني مستهلك..

وذكر البيتين.

وقال زهير:

أخي ثقة لا تهلك الخمر مالَهُ
ولكنه قد يهلك المال نائله

فهذا من أحسن الكلام، يريد أنه لا يشرب بماله الخمر، ولكنه يبذُلُه للحمد.

وقال البحتري:

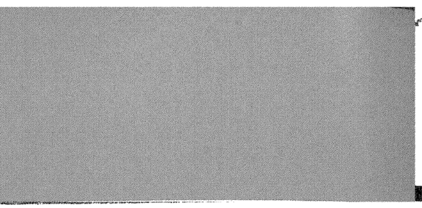
تكرمتَ - من قبل الكئوس - عليهمُ
فما اسْطعنَ أن يحدثن فيك تكرما(٣)

الشعراء الاسلاميون

في هذا الباب الثاني من الكتاب يعرض المرزباني المآخذ التي سجلت على شعراء صدر الاسلام وشعراء الدولة الأموية مثل: الفرزدق وجرير والأخطل وكثير والراعي النميري والقطامي وذي الرمة وعبيد الله بن قيس الرقيات والأحوص ونصيب والكميت وجميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة وغيرهم.

وقد سقنا آنفا - في مقام الحديث عن الشعراء الجاهليين مثالا لما أخذه العلماء على طرفه، وهو في مجموعه «نقد معنوي» أي نقد يستهدف المضمون الفكري في بيت طرفه والمضامين الفكرية في أبيات أخر

المرزباني.. أفاد كثيرا من المحاولات النقدية السابقة له

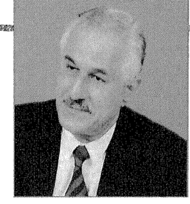


ـــلماء على الشعراء
ـــن صناعة الشعر

بقلم الدكتور:

جابر قميحة

جامعة الملك فهد - الظهران



لغيره تعالج الموضوع نفسه مع اختلاف في زاوية النظر، وهو ما يسمى بأدب الموازنات.

والمثال التالي يبين عن لون آخر من النقد في «الموشح» وهو ما يمكن تسميته «بالنقد النحوي اللغوي».

روى عبد الله بن جعفر عن سلمان عن الرياشي عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كنا عند بلال بن أبي بردة، فأنشد الفرزدق:

تُريك نجوم الليل ـ والشمس حية
زحام بنات الحارث بن عباد

فقال عنبسة بن معدان «الزحام مذكر» فقال الفرزدق «اغْرُبْ» قال عبد الله والزحام لها وجهان: أن يكون مصدرا مثل: الطعان والقتال، من قولهم: زاحمته زحاما. فهذا مذكر ـ كما قال عنبسه. أو يكون جمعا للزحمة، يراد بها الجماعة المزدحمة، فهذا مؤنث، لأن الزحام هو المزاحمة كما أن الطعان هو المطاعنة. وقول عنبسة أقوى وأعرف في الكلام»(٤).

الشعراء المحدثون

ومنهم بشار بن برد ـ مروان بن أبي حفصة ـ أبو العتاهية ـ أبو نواس ـ مسلم بن الوليد ـ العباس بن الأحنف ـ كلثوم بن عمرو العتابي ـ أشجع السلمي ـ دعبل الخزاعي ـ إسحاق بن إبراهيم الموصلي ـ أبو تمام ـ البحتري ـ علي بن الجهم ... الخ.

وذكر المرزباني أن من العيوب التي يؤاخذ عليها الشاعر «السرقة الأدبية» لفظا أو معنى، أو هما معا. كما نرى في المثال التالي:

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ابتدأ إسحاق في قصيدته التي امتدح فيها الواثق بقوله.

ضنت سعاد غداة البيْن بالزاد
وأخلفتك فما تُوفي بميعاد

وما أعجب أمر إسحاق في هذا الابتداء، واستجازته أخذه إياه نقلا مع علمه بقبح ما في السرق الذي هو سبيله. قال الأحوص.

ضنت سعاد غداة البين بالزاد
وأثرت حاجة الثاوي على الغادي

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني ـ رحمه الله تعالى: «هكذا قال أبو الحسن، والرواية المشهورة الصحيحة في بيت الأحوص:

ضنت عقيلة لما جئت بالزاد...(٥).

أهمية الموشح ومنهجه وسماته الفكرية والفنية

(١) الكتاب كما عرفنا من كتب النقد، أوهو من «كتب النقد الخاصة أو المتخصصة» ـ إن صح هذا التعبير ـ فهو لا يقيم الشعر أو الشاعر تقييما شموليا يكشف عن محاسنه ومساوئه، ولكنه يعطي اهتمامه كله لجانب المعايب والمآخذ، ومن هنا تأتي طرافة الكتاب.

(٢) أفاد المرزباني من الخطوات النقدية الرائدة التي سبقته، فظهر أثر كثير منها وبصماته في كتابه، ومن أشهر هؤلاء:

- محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ)، وهو أول من ألف في نقد الشعر بكتابه (طبقات الشعراء).
- وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) صاحب كتاب (الشعر والشعراء)
- وأبو عباس ثعلب (ت ٢٩١هـ) في

كتابه (قواعد الشعر)
- وقدامة ابن جعفر (ت ٣١٠هـ) فى كتابه (نقد الشعر).
- وابن طباطبا العلوى (ت ٣٢٢هـ) فى كتابه (عيار الشعر)..

وهذا الكتاب - بصفة خاصة - له طابعه المتفرد ومنهجه الفذ، فصاحبه شاعر يقول الشعر، ويعانيه، فيعرض تجربته الشعرية فى صدق ووضوح، ويتحدث فيه عما يتصل بالطبع وبالشعر وصياغته وألفاظه ومعانيه، وبناء القصيدة، واشتراك الشعراء فى المعانى.

- الحسن بن بشر الآمدى (ت ٣٧٠هـ) فى كتابه (الموازنة بين أبى تمام والبحترى)(٦).

من كل هذه الكتب السابقة أفاد المرزبانى الى أبعد حد، على اختلاف طبعا في قدر الإفادة، وهو فى كل صفحة من موشحه ينسب الفضل لأصحابه، ويشير صراحة الى الذين أخذ منهم وعرض آراءهم.

(٣) والكتاب فى مجموعه - كما ذكرنا - يسجل مآخذ العلماء على الشعراء، وتجاه هذه المآخذ نجد المرزبانى يستوفيها من جانبين هما:

أ - الجانب الاصطلاحى القاعدى:

فيعرض تعريفات العلماء المختلفة لعيوب الشعر من ناحية الوزن والقافية والألفاظ والمعانى والخيال.. الخ. وهو لا يكتفى بالتعريف الواحد للعيب الواحد، بل يورد كل ما قيل فيه على اختلاف هذه الأقوال أو تشابهها.

ب - الجانب التطبيقى :

فيورد من الشعر ما تعلّق به المعايب والنقائص التي سبق له التعريف بها، وعرض وجهات النظر المختلفة بشأنها. وهو لذلك يستوفى كل الأقوال الناقدة لبيت الشاعر أو أبياته على اختلاف هذه الآراء والأقوال أو تشابهها.

وهو يحرص على إيراد «السند» كاملا كما جاء فى الروايات الأصلية

كتاب من التراث:

الفكرة.. المضمون.. اللغة.. مرتكـ

التى أوردها أصحابها. ومن هؤلاء اللغويون: كالأصمعي، والنحاة كثعلب، والنقاد كابن سلام وابن المعتز وابن طباطبا وقدامة بن جعفر. ومنهم الأدباء كاحمد بن أبى طاهر ومحمد بن داود الأصفهاني، وأحمد بن عبد الله بن محمد بن عمار الكاتب، وأحمد بن محمد بن عاصم الحلواني.. وفى الموشح - كما ذكرنا آنفا - نرى طوابع هؤلاء جميعا. فرأينا في المآخذ ما هو لغوى، ومنها ما هو نحوى، ومنها ما يتعلق بالمضمون الفكرى، ومنها ما يتعلق بالجانب التصويرى الجمالى. وقد عرضنا فيما سبق أمثلة ثلاثة فى العصور الثلاثة تبين عن ألوان ثلاثة من النقد مختلفات.

(٤) ولم يقف جهد المرزبانى عند جمع الروايات المختلفة التى تسجل مآخذ العلماء على الشعراء بإسنادها - وهو فى ذاته عمل نقدى وأدبي عظيم. ولكن شخصيته الناقدة لم تختف وراء الجمع والرصد فبرزت هذه الشخصية الناقدة فى مظاهر شتى منها:

أ - التصدى للآراء والأحكام النقدية المتطرفة المشتطة ونقضها:

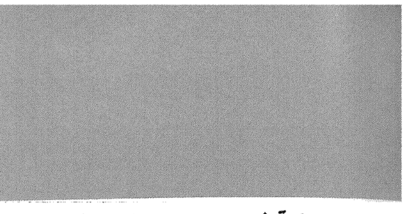
فالأصمعى يقول «تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة، وكان يكابر، وأما جرير فما علمته سرق إلا نصف بيت» ولكن المرزبانى ينقض هذا الرأى بقوله «وهذا تحامل شديد من الأصمعى، وتَقَوُّل على الفرزدق لهجائه بأهله، ولسنا نشك أن الفرزدق قد أغار على بعض الشعراء فى أبيات معروفة، فأما أن نطلق أن تسعة أعشار شعره سرقة فهذا محال، وعلى أن جريرا قد سرق كثيرا من معانى الفرزدق..»(٧)

وواضح أن رد المرزبانى فيه دقة وبصر وعدل وإنصاف. ومثل ذلك رفضه حكم «النوار» زوجة الفرزدق بتفضيل جرير عليه، لأنه رأى مبنى على الهوى، فهو أشبه «بالمشاكسات» منه بالأحكام النقدية البصيرة. يقول المرزبانى «.. ولا يقبل قول النوار على الفرزدق لمنافرتها إياه»(٨) وغالبا ما يعلل المرزبانى الأحكام التى يسوقها تعليلا فنيا وعقليا - كما رأينا فى المثالين السابقين(٩)، ولكن له من الأحكام ما غلبته فيه حماسته دون تعليل أو دليل: كما نرى فى الرواية التالية:

«قال مثقال الشاعر: قلت لأبى تمام: تقول الشعر الجيد، ثم تقول البيت الردىء !! قال: مثل هذا مثل رجل له عشرة بنين منهم واحد أعمى فلا يحب الرجل أن يموت».

ويعلق المرزبانى على قول أبى تمام بقوله «وهذه حجة ضعيفة جدا»(١٠) دون أن يذكر سبب استضعافه لها.

ب - نقده المباشر للشعراء: فنراه فى تضاعيف كتابه يعرض بالنقد مباشرة لأبيات أو قصيدة كاملة، كتلك القصيدة التى يهجو فيها



ـزات المآخذ عند المرزباني

البحترى الخليفة العباسي المستعين بالله والتى مطلعها:

أعاذلتى على أسماء ظُلما
وإجراء الدموع لها الغزار

الأبيات ....

يقول المرزبانى «وهذه الأبيات من أقبح الهجاء وأضعفه لفظا، وأسمجه معنى .. وهى أيضا خارجة عن طريقة هجاء الخلفاء والملوك المألوفة، وهى بهجاء سفلة الناس ورعاعهم أشبه، مع ما جمعت من سخافة اللفظ وهلهلة النسج، والبعد من الصواب»(١١).

والنقد هنا - على شدة إيجازه - نقد شامل، أحاط بكل جوانب القصيدة من ناحية المعنى والبناء والأداء التعبيرى والمذهب الفنى السائد فى عصره.

جـ - الشرح والتفسير: يفسر المرزبانى بعض الكلمات الغريبة التى ترد فى الأبيات الشعرية(١٢)، أو يوضح مناسبة أو موقفا معينا يرتبط بما يورده من شعر: فزياد بن أبيه يغضب على المصور العترى الراوية حين أنشده قول الأعشى:

رحلت سمية غدوة أجمالها
غضبى عليك فما تقول بدا لها

قال المرزبانى «واسم أم زياد سمية، فكره ذكر ذلك»(١٣)

(٥) ومن الناحية الشكلية نرى المرزبانى يصدّر مروياته بقوله: «حدثنى فلان قال حدثنا ..» أو «أخبرنى فلان ..» أو «روى فلان عن فلان ..» أو «كتب إليّ فلان ..».

وثمة لازمة ثابتة لا تتغير فى كتابه، وهى أن ما ينقله من كتب النقد: كنقد الشعر لقدامه، أو عيار الشعر لابن طباطبا. يكتفى فيه بذكر المؤلف دون ذكر الكتاب «قال قدامة بن جعفر» قال محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى ..».. ويرجع هذا الإغفال المقصود لاسم الكتاب - فى نظرى - لسبب من اثنين: الأول شهرة هذه الكتب فى القرن الثالث الهجرى بحيث لو نسب القول الى المؤلف انصرف ذهن القارئ مباشرة الى كتابه. أما السبب الثانى فهو أن المرزبانى كان يهمه «القول» بصرف النظر عن المصدر، ويرى أن الأمانة العلمية تقتنع بنسبة القول الى صاحبه بصرف النظر عن كتابه.

أما الآراء الخاصة للمرزبانى فيصدرها بقوله «قال الشيخ أبو عبد الله المرزبانى - رحمه الله تعالى - » وذلك حتى لا يختلط رأيه الخاص بآراء غيره من العلماء.

والخلاصة :

أن الموشح - وإن لم يكن فى مقام «طبقات الشعراء» لابن سلام أو «عيار الشعر» لابن طباطبا - يبقى يمثل حلقة لها أهميتها فى سلسلة **النقد العربى:**

١ - فهو كتاب فى «النقد المتخصص» الذى أعطى اهتمامه الأكبر لرصد معايب الشعراء ونقائصهم فيما ينظمون، وذلك حرصا من مؤلفه على أن يتفاداها معاصروه من الشعراء ومن يأتى بعدهم فلا يقعوا فيها.

٢ - أنه جمع حشدا من الروايات الشفوية أو المنقولة من كتب ثقاة لهم ثقلهم وموازينهم العلمية، ومعاييرهم النقدية المختلفة، وبذلك يعد الكتاب معرضا لمدارس متعددة فى النقد.

٣ - والكتاب ذو وحدة عضوية محكمة، فهو منظم التبويب، واضح التقسيم، متلاحم الأجزاء.

٤ - وفى ثنايا الكتاب يطل علينا مؤلفه بآرائه ونظراته الخاصة، وهى فى مجموعها لا تعدم الأناة والروية والنظر النافذ البصير، مع الاعتدال والبعد عن الحدة والحماسة فى أغلب هذه الأحكام.

المراجع والتعليقات:

(١) الأمون. المطية المأمونة لا تعثر ولا تضعف. والطمر. الثوب القديم البالى.

(٢) المغث: الشر والقتال. اللحاء: الملاحاة.

(٣) الموشح ٧٨ - ٧٩.

(٤) الموشح ١٦٥ - ١٦٦.

(٥) الموشح ٤٦١. وعودا على بدء نقرر أن المرزبانى أعلن فى الصفحة الأولى من مقدمة كتابه أنه لن يتعرض فى موشحه لسرقات معانى الشعر، لأنه خص السرقات الشعرية بكتاب مستقل سماه (كتاب الشعر). فيكون فى المثل السابق قد خرج على ما أعلن ابتداء انه سيأخذ نفسه به.

(٦) انظر: على اليحياوي فى تقديمه لكتاب الموشح.

(٧) الموشح ١٦٨.

(٨) الموشح ١٦٩.

(٩) وانظر كذلك رد المرزبانى على «أبى الصقر» الذى انتقص من شعر ابن الرومى فيه. الموشح ٥٤٦.

(١٠) الموشح ٤٩٣

(١١) الموشح ٥١٤

(١٢) انظر الموشح ١٣٢.

(١٣) انظر الموشح ٣٧٣.

شـــذرات

((١٧))

١٠٤ ـ عجائب الدنيا:

كتب إليّ قارىء فاضل من قراء المنهل العزيز يسألني عن (غوطة دمشق) وهل هي من عجائب الدنيا السبع؟ ولا أدري كيف اهتدى القارىء الكريم الى اسمي وعنواني؟ ولعل الحاسة السادسة أمر واقع لدى الملهمين، وأحب أن أقول إن عجائب الدنيا السبع كانت عجائب حقا منذ آلاف السنين، أما الآن فلا عجائب بعد أن صعد الإنسان الى القمر، وبعد أن رأى الصين واليابان وأمريكا وأقصى بقاع الأرض وهو في مصر أو جدّة، يدير قرص التليفزيون بإصبع واحدة! والعجائب السبع القديمة هي هرم خوفو الأكبر بمصر، وحدائق بابل المعلقة في العراق، وتمثال زيوس باليونان ومعبد ديانا في تركيا، وقبر الملك موسولوس في تركيا أيضا، وتمثال أبولو في جزيرة دودس ومنارة الإسكندرية بمصر، والذي تحدث عن هذه العجائب. وحصرها في هذه السبعة عالم «بيزنطي» قديم اسمه (فيلون) اشتهر برحلاته في العالم القديم، وزار أكثر بقاع الأرض فجعل هذه الأشياء السبعة عجائب الدنيا التي رأتها عيناه! وقد عاش قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة وخمسين عاما، وألف كتاباً عن هذه العجائب طار ذكره، وجعلها حديث الناس! ولو رجع فيلون الينا اليوم وركب الطائرة ليرى هذه العجائب في يوم أو يومين! لمزّق كتابه وتلا قول القائل:

ولكنها الأيام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب

أما غوطة دمشق، فليست من العجائب السبع، ولكن القدماء من جغرافيي العرب ذكروا أن متنزهات الدنيا أربعة منها غوطة دمشق ومعها صغد سمرقند وشعب بوان ونهر الأبلّة! وما قلناه عن تقدّم الزمن بعجائب الدنيا القديمة نقوله الآن عن متنزهات الدنيا، إذ وُجد من الحدائق ذات الأنهار والشجر والطير والزهر مالا يذكر جواره نهر الأبلّة وصغد سمرقند! وشعب بوان وأدع الغوطة لأني أحب حديثها وقد وصفها شوقي بما حببها اليّ ، وسأحاول أن ألم بحديث هذه المتنزهات إرضاء لرغبة السائل الكريم.

١٠٥ ـ غوطة دمشق :

يقول الأديب الكبير أبو بكر الخوارزمي لقد زرت متنزهات الدنيا الأربع، فكانت غوطة دمشق أطيبها وأحسنها، ولم أقدر على أن أميز بين رياضها المزخرفة بالأنوار والأزهار وغدرانها الممتلئة بطيور الماء! أي أن الغوطة تخلب رائيها بالشجر والماء معاً، وكانت في القديم تشمل عدة قرى متشابكة الشجر بحيث يقطعها السائر وهو في كن ظليل من فروع الدوح، يهب عليه النسيم فاترا عليلا، وقد يتساقط عليه الثمر الناضج فيأكل دون حساب.

وفي تحديدها يقول ياقوت إن استدارتها تبلغ ثمانية عشر ميلا، تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما الشمال، ومياهها خارجة من تلك الجبال، وتمتد الى الغوطة في عدة أنهار فتسقي بساتينها وربوعها وزروعها ويُصب الباقي في بحيرة واسعة، والغوطة كلها أشجار وأنهار متصلة، قلّ أن يكون بها مزارع للمستغلات، وهي بالاجماع أنزه بلاد الله وأحسنها منظرا.

وللأستاذ الكبير «محمد كرد علي» كتاب قيم عن غوطة دمشق، أما الأستاذ النابغة «علي الطنطاوي» فقد كتب عن الغوطة مالا يستطع الزمن أن يُعفّي عليه، إذ بلغ القمة فيما قال، وكتبه ذائعة مشتهرة.

١٠٦ ـ نهر الأبلة :

وأما نهر الأبلة فهو بالبصرة، وحواليه ميادين النخل والأترج والنارنج وسائر الأشجار وعلى ضفافه من أصناف الزروع وأنواع الأزهار مالا يُنْتظر أن يرى أحسن منه، وعليها من القصور المتناظرة والأبنية الرائعة، ما تحار فيه العيون وتهش له النفوس، وقد قال ابن عيينة المهلبي في بعض قصائده:

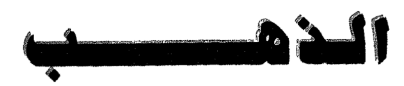
ويا حبذا نهر الأبلة منظرا
إذا مدّ في أثنائه الماء أو جزر

وينقل ياقوت عن خالد بن صفوان قوله «ما رأيت أرضاً مثل الأبلّة مسافة، ولا أغذى نطفة ولا أوطأ مطية، ولا أربح لتاجر، ولا أخفى لعائذ.

ومن الطرف التي تُروى عن الأبلّة، أن الشاعر الشهير بكر بن النطاح الحنفي مدح أبا دُلف العجلي بقصيدة فأثابه عليها عشرة آلاف درهم، ثم جاء بعد مدة فمدحه بقصيدة قال فيها:

بك ابتعتُ في نهر الأبلة ضيعة
عليها قُصيّر بالرخام مشيد
إلى جنبها أخت لها يعرضونها
وعندك مال للهبات عتيد

فقال أبو دلف: وكم ثمن هذه الضيعة الأخرى؟ فقال! عشرة آلاف درهم، فأمر أن تدفع إليه فلما قبضها قال له: اسمع مني يا بكر، إن الى جنب كل ضيعة، ضيعة أخرى، حتى الصين، والى مالا نهاية، فإياك أن تجيئني غدا وتقول: الى جنب هذه الضيعة ضيعة أخرى، فهذا مالا يَفنى.



للدكتور: أبي حسام.. المنصورة

١٠٧ ـ صغد سمرقند :

الصغد كورة عظيمة عاصمتها سمرقند، وهى قرى متصلة الأشجار والبساتين تبدأ من سمرقند وتنتهى الى بُخارى، ولا تكاد ترى قرية من قرى الصغد لما يلتف بها من الشجر العالى المشتبك الغصون، والصغد اسم للنهر الذى تروى هذه القرى وتسقى منه الحدائق والزروع، وقد وازن الأصطخرى الجغرافى بين غوطة دمشق والأبلة وصغد سمرقند، فمال الى تفضيل الصغد لأن الغوطة التى هى أنزه الجميع، تتخللها قمم خالية من الشجر والخضرة الزاهية، وأكمل المتنزهات ما اتصلت خضرته دون انقطاع، أما نهر الأبلة فليس به ولا بنواحيه مكان عال يصعد إليه الناظر ويتأمل ما حوله فى لذة وشغف، وأما صغد سمرقند فإذا ارتفعت الى احدى قممه لم تر أى فراغ، فكل المكان خضرة زاهرة تزيد العين نورا وصقلا وبهاء ! وقد يسير الماشى مدى ثمانية أيام دون أن ينقطع ما حوله من الخميل الناضر، والشجر الملتف، والغدران والترع تتدفق بالماء عن يمين وشمال، ويهب عليها النسيم محملا بأريج الزهر فما تشم إلا فاتنا، وما ترى إلا باهرا، وكل قرية تلوح فى هذه الخضرة الزاهية وكأنها ديباج أخضر، وقد طرزت بما حولها من العيون والينابيع ومما قاله أبو يعقوب الخرميّ مفتخرا بالصغد:

أبا الصغد ضيرٌ أن تُعيّرنى جُمّل
سفاها ومن أخلاق جارتى الجهل
همو فاعلمى أصلى الذى منه منبتى
وكل نضير فى الغصون له أصل

١٠٨ ـ شعب بوان :

لقد خلد المتنبى شعب بوان بقصيدته الرنانة التى يقول فيها:

مغاني الشعب طيباً فى المغاني
بمنزلة الربيع من الزمان
ولكنّ الفتى العربيّ فيها
غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنّة لو سار فيها
سُليمانٌ لسار بترجمان
طَبَتْ فُرْساننا والخيل حتى
خشيتُ وإن كرُمن من الحِرانِ
غدونا تنفض الأغصان فيها
على أعرافها مثل الجمان
فسرتُ وقد حجبن الحرّ عنى
وجئن من الضياء بما كفانى
لها ثمر تُشير إليك منه
بأشربة وقفن بلا أوان
وأمواه تصلّ بها حصاها
صليلَ الحلي فى أيدي الغواني
إذا غنى الحمام الوُرْق فيها
أجابته أغانى القيان
وقد يتقارب الوصفان جدا
وموصُوفَاهُمَا متباعدان
يقول بشعب بوّان حصاني
أعنْ هذا يُسَار الى الطعان؟

وعلى مدى ستة وعشرين فرسخاً يتنقل السائر بين جنان خضر، وكانت بعض أشجار هذا الشعب من الضخامة بحيث يجلس تحت الواحدة منها جماعة من الفتيان يطربون ويتناشدون، ويُعدون لكل مجلس شجرة خاصة تكون موضع السمر المترقب.

وقد نقل ياقوت عن بعض الأدباء أنه قرأ على شجرة من أشجار الدلب التى تكثر بشعب بوان هذه الأبيات محفورة على الجذع الممتد:

متى تبغنى فى شعب بوّان تلقنى
لدى العين مشدود الركاب الى الدلب
وأعطى وإخوانى الفتوة حقها
بما شئت من جدّ، وما شئت من لعب
يدير علينا الكأس من لو رأيته
بعينك ما لُمت المحبّ على الحب

ويظهر أن ضخامة الأشجار قد فسحت مجال التذكارات الشعرية التى يسجلها الزائرون فى هذه الجنان الوارفة، وقد يأتى شاعر الى شعب بوان، فيتذكر مسقط رأسه ويهم بتسجيل خواطره الملتاعة، فتصبح أثراً فنيا يرويه الأدباء، فقد حكى المبرد أنه قرأ على شجرة من أشجار الشعب قول القائل:

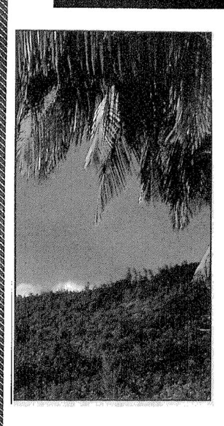
إذا أشرف المحزون من رأس تلعة
على شعب بوّان استراح من الكرب
وألهاه بطن كالحريرة مسه
ومطّرد يجرى من البارد العذب
وطيب ثمار فى رياض أريضة
على قرب أغصان جناها على قرب
فبالله ياريح الجنوب تحملى
الى أهل بغداد سلام فتى صب

وفى أسفل ذلك مكتوب آخر يقول فيه الشاعر:

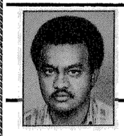
ليت شعرى عن الذين تركنا
خلفنا بالعراق هل يذكرونا؟
أم لعل المدى تطاول حتى
قدم العهد بعدنا فنسونا

وقد قرأت من عشرين عاما كتاباً لأبى الفرج الأصبهانى صاحب الأغانى ـ تحت عنوان (أدب الغرباء) حققه الباحث الكبير الدكتور صلاح الدين المنجد، وهو يجمع آثاراً شعرية ونثرية، كتبها أصحابها الغرباء على الأشجار والقبور والقصور والجدران تذكاراً لزورات سريعة ألهمتهم هذه الخواطر، ولا أذكر إن كان بينها هذان النصان الشعريان اللذين أشرت إليهما نقلا عن (معجم البلدان) ولكنّي أشير الى هذا الكتاب النفيس مؤكدا أن مؤلفه قد سبق أدباء الغرب الذين يهتمون بجمع هذه المتفرقات، ويعدونها من أحسن ما يروى ويذاع.

شعر:







عصام عبدالباسط
جدة

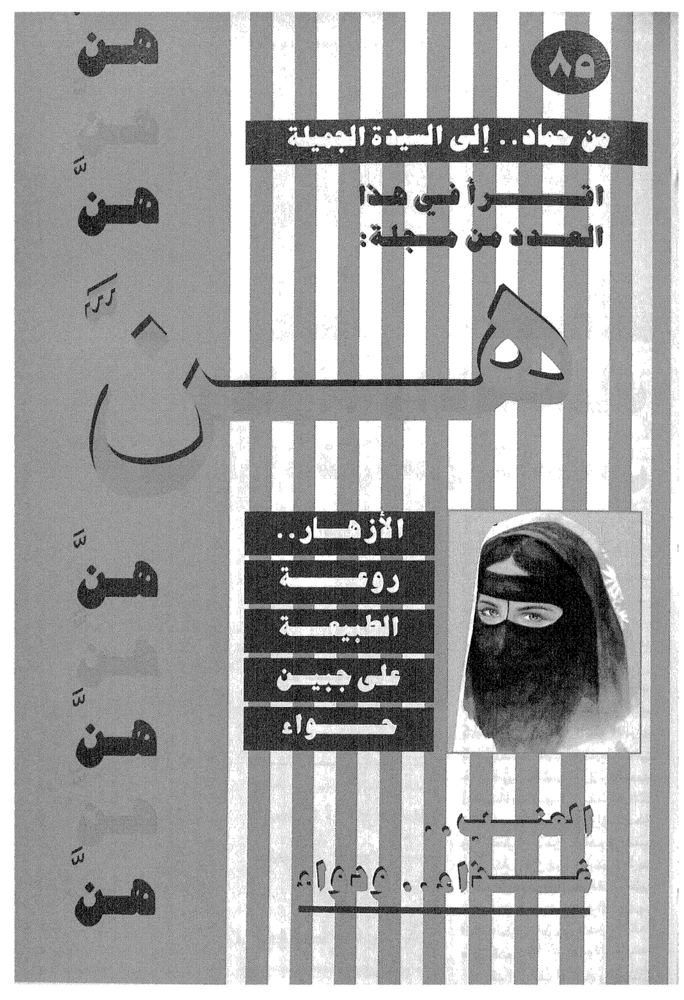
لأشعاري وتدويني ،، أعيديني ، أعيديني
أفيضي سحرك المكنون في مجرى شراييني
وشدي خيط أوتار ،، زمانا ما يغنيني
وللسمار ،، والأقمار ،، والأشعار رديني
لقيثار الهوى ، من دافيء الألحان يشجيني
لسهد في عيون الليل من عينيك يدنيني
لأنباء بأنجمه ،، طوالعها تمنيني
أعيديني لترتيلي ،، وتصويري وتلويني
وكوني نبض عافيتي،، وفجر بشارتي كوني
وكوني غيثي المأمول يغسلني ويرويني
وثوب مشاعر دفأ، يزملني ويأويني

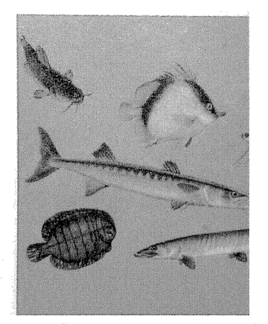
* * *

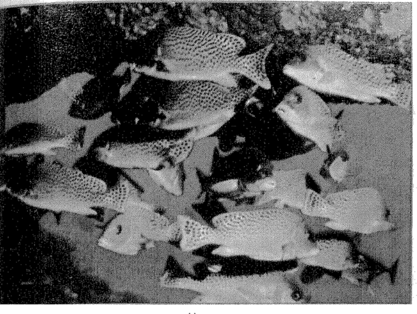
أعيديني إلى شعري ،، ونيل بالمنى ٠٠ يجري
أعيديني لذاك العهد من أيامي الخضر
الى عينيك والدنيا ،، وبوح العشق والعطر
وللأحلام أنسجها بخيط من سنا خمري
لليل بين أضلعه رحيق وصالنا يسري
لنيل سوح مرقده تضج بناضر الزهر
لنيل عند ضفته أطارد طائر الشعر
لأرض تطلع الأقمار فوق جباهها السمر
هنا ضيعت خيل العشق بين ركائب الدهر
هنا غاضت ،، ويا أسفي ينابيع من الطهر
هنا أفلت ويا لهفي سنوني وانقضى عمري

* * *

هنا يا فجري الآتي لكم غربت عن ذاتي
لكم يغتال هذا الليل في ندي ليلاتي
هنا أدلجت وانطفأت مصابيحي بمشكاتي
وليلي فاض مسمعه باصداء الضراعات
هنا شمل من الإشراق ،، أمسى بعض أشتات
أعيديني لآلائي،، وأندائي وجناتي
أعيديني فقد ملت جراحي طول أناتي
ورقي واسكبي عطراً على عطر المناجاة
مضى من عمري الماضي ، فكوني عمري الآتي


٨٥
من حماد.. إلى السيدة الجميلة
اقرأ في هذا
العدد من مجلة:
هن
الأزهار..
روعة
الطبيعة
على جبين
حواء
العنب..
غذاء.. ودواء
هن
هن
هن
هن







الأزهار.. والأسماك مباراة في منح الجمال

حنان ابراهيم عبدالهادي
القاهرة

الاحتفاظ بالنضارة والجمال من الأمور التى تؤرق المرأة، وتدفعها - دائماً - الى طرق الأبواب المتاحة، لتقتنص نظرات الإعجاب وكلمات الإطراء من الآخرين، ومن أكثر الأبواب التى تطرقها المرأة دون خوف، هى الوسائل الطبيعية مثل العلاج بالروائح العطرة والأزهار، وليس هذا فحسب بل إنها تلجأ الى الأطعمة النافعة مثل السردين للحفاظ على جمال البشرة، لما لها من دور مؤثر وفعال على صحة الإنسان.

*** الأزهار علاج:**

إن العلاج بالأزهار وخلاصة الورد المركز له تأثير قوي، يعطى الانتعاش والرطوبة للبشرة، حيث تظهر فوائد الطبيعة فى أزهارها الناعمة الغنية، فرائحة الورد تسعد النفس، وحالياً تمكن العلماء من استخلاص الزيوت المفيدة منه، ولكن هذا الأمر مكلف للغاية، حيث يعطى ألف كيلو من الورد الأحمر مقدار نصف كيلو فقط من زيت الورد، الذى يقدر ثمنه بحوالى ألفي جنيه استرليني.

ويؤكد العلماء أن زيت الورد له فوائد عديدة، حيث يؤدي دوراً كبيراً فى علاج مشكلات الهضم وآلام الرأس وتعب الأعصاب - حتى الانهيار العصبى - وعدم انتظام الدوره الشهرية عند المرأة، غير أن روائح الأزهار الأخرى العطرة، كالبابونج وزهرة الليمون وخشب الصندل والخزامى وزهرة الايلنغ، فهى تعطى زيوتاً خاصة وغير مكلفة مثل زيت الورد، حيث يتميز زيت هذه الزهور بخصائصه العلاجية.

سمك السردين يجدد خلايا الجسم ويوقف الشيخوخة

يعود العلاج بالأزهار وخلاصة الورود الى أقدم العصور، حيث كانت تستخدم فى عهد الفراعنة كزيوت للتطيب وتحنيط الموتى - خاصة زيت خشب الارز - وللتجميل أيضاً، وقد وجد علماء الآثار زجاجات بها بواق للعطور ومستحضرات من المراهم فى مقبرة توت عنخ آمون فرعون مصر، على الرغم من وضعها بعد اغلاق القبر منذ ٣٥٠٠ سنة، لكن رائحتها الطيبه مازالت موجودة.

منذ القدم :

وقد اكتشف العلماء والباحثون

الأثر القوي لهذه الاعشاب العطرة منذ ما يقرب من خمسين عاما فقط، حيث أصيب الكيميائى رينيه موريس - عندما احترق معمله الذى كان يجرى به التجارب بحروق بالغة، فقام بدهن يده المحروقة بسائل ملطف، كان داخل أحد القوارير، فالتأم الحرق بعد بضعة أيام دون أن يترك أثراً يذكر، وكانت القارورة مملوءة بزيت زهرة الخزامى، ثم عرف بعد ذلك الخصائص المفيده لهذا السائل الملطف.. ومنذ ذلك الحين أجريت العديد من الدراسات والبحوث حول فوائد هذه الزيوت العطرية، لدرجة أن المصابين خلال الحرب العالمية الثانية كانوا يتداوون بها.

وقد أثبتت الابحاث أن زيت الأفوكادو والورد وجيليه الصبار، تستخدم كقناع للوجه وتحفظ رونقه ونضارته، فالعلاج بزيوت العطور تعمل على إحداث توازن كامل فى الجسم الإنسانى، وحتى ينفذ الزيت الى داخل الجسد، فلابد من أخذ حمام دافيء، حتى تتفتح مسام الجلد ويتم تطهيرها، وعلى الشخص الذى يخضع للتدليك أن يستلقى أرضاً فى غرفة دافئة موجها وجهه نحو الأرض، ويقوم المدلك بفرك مقدار ملعقة صغيرة من الزيوت فى يده، ثم يبدأ فى تدليك الظهر.

أما بدء التدليك فيكون من الخصر حتى الرقبة والكتفين، بعد ذلك يتم التدليك بشكل عكسي حتي يتم امتصاص كل الزيوت، ثم تُؤْخَذ بعد ذلك نفس الكمية لتدليك الذراعين والساقين، لكن تدليك الوجه يتم بلمسة ناعمة، تعمل على تنشيط الدورة الدموية وتغذى البشرة.

وللمحافظة على محتويات الزجاجة لمدة عام كامل، يجب مزج الزيوت المعطرة بزيت فول الصويا، أو بذرة العنب أو إضافة القليل من زيت القمح.

التدليك بالزيوت :

ويؤكد الخبراء أنه بإمكانك أن تجرى بعض التجارب، للتأكد من أهمية وفوائد التدليك بالزيوت العطرية، وهذا الأمر يتمثل فيما يلى:

أولا: إذا شعرت بالآلام، وأردت التخلص منها أو شعرت باسترخاء عضلاتك، فعليك بإضافة ١٥ نقطة من زيت العرعر، مع ٨ نقاط من زيت الخزامى، و٨ نقاط من إكليل الجبل بالإضافة الى ٥٠ ملل من زيت يسهل خلط العناصر كلها.

ثانيا: حتى تتمكن من الاسترخاء بشكل كلى، فعليك بإضافة ١٥ نقطة من زيت ابرة الراعى و٨ نقط من الخزامى و٦ نقط من المردكوش و٥٠ مليمتر من زيت يسهل خلط العناصر ببعضها.

ثالثا: ولتنشيط الجسد فعليك بإضافة ١٠ نقاط من زيت البرغمعت و٥ نقاط من الياسمين، و٥ نقاط من الورد، و١٠ نقاط من خشب الصندل بالإضافة الى ٥٠ ملل زيت للخلط.

رابعا: للتخفيف من التشنج فعليك بإضافة نقطة أو نقطتين من أكليل الجبل والنارولى والخزامى، مع اضافة كوب صغير من زيت الصويا، ثم يدلك بالمزيج الرقبة من الخلف، ثم





تركز اليد على أسفل الرقبة من الجانب، ويتم الضغط برفق لمدة ثلاث ثوان، بعد ذلك يتم رفع اليد، وتكرر هذه العملية حتى تصل الى أعلى الرقبة.

خامسا: للتخلص من ضيق التنفس، بسبب الرشح القوى أو الحرارة، فعليك بإضافة نقطتين من النارولى وابرة الداعى، مع نقطتين من الاوكاليتوس الى نصف وعاء من الماء الساخن، وقبل الاستنشاق يتم الضغط حول عينيك برؤوس اصابعك لمدة ثلاث ثوان، ثم نقوم بتكرار الضغط حول الانف والعينين.

وحتى نتمكن من الوصول الى نتيجة سريعة، يتم إضافة الزيوت الى ماء الحمام الدافىء، وعليك الاسترخاء فى الماء لمدة عشر دقائق مع إضافة نقطتين من الشمره و٤ نقاط من العرعر، بالإضافة لنقطتين من أكليل الجبل وذلك للاسترخاء.

أما إذا أردنا المفاضلة بين أنواع الزيوت العطرية، ومعرفة فوائد زيوت الأزهار المختلفة، فإننا نجد أن الورد ذو رائحة مترفة وغنية بالعطر، يعمل على التخفيف من تشنج الأعصاب والقلق، وله تأثير قوى على الجلد الملتهب والجاف والحساس، أما أكليل الجبل، فهو قابض ويساعد على تنشيط الدورة الدموية وتخفيف آلام العضلات، وتدليك فروة الرأس به يمنع القشرة.. وفوائد الخزامى تتمثل فى أنه يساعد على التخلص

الزيوت العطرية تخلصك من ضيق التنفس

من الأرق العصبى والقلق، وهو يعد أقوى أنواع الزيوت أما خشب الصندل فهو ذو رائحة قوية ومميزة، يساعد على معالجته البثور والسعال والتهاب الحنجرة.. والايلنغ يساعد على التخفيف من ضغط الدم المرتفع، ويعمل على تقوية الذاكرة ومعالجة البشرة الدهنيه.. وزهرة البابونج يعد زيتها مضاداً للالتهاب وتقلص العضلات، ويساعد البشرة على التخلص من افرازاتها الدهنية.

فوائد السردين :

وإذا كانت الزيوت العطرية تساعد على إزالة آلام الجسد، فإن الابحاث العلمية قد اثبتت أن سمك السردين يعمل على تجديد خلايا الجسم، فالسردين يتميز بأنه الغذاء الوحيد الذى يضاعف (لدى وجوده محفوظاً فى العلب) من مادتين، هما اللتان تبنيان الخلايا - التى تعد بالملايين - وتكونان اجسامنا، حيث يبلغ عمر الخلية الواحدة حوالى سنتين.

وقد أظهرت الدراسات أنه قبل أن تموت الخلايا، فإنها تجدد نفسها بفضل المادتين المتوافرتين كثيراً فى السردين، لكن نتيجة لعوامل خارجية بعيدة عن قدرة الجسم على التحكم فيها، فإن خلايا الجسم تمر عبر نوع من التدهور مع كل عملية تجديد، مما يعمل على تغيير شكلها الأصلى، كلما بدت مؤشرات الشيخوخة واضحة.. لذلك علينا بتغذية اجسامنا بمصادر خارجية مثل السردين، حتى نتمكن من تجديد خلايانا، وبذلك نستطيع اعاقة عملية الشيخوخة ووقفها.

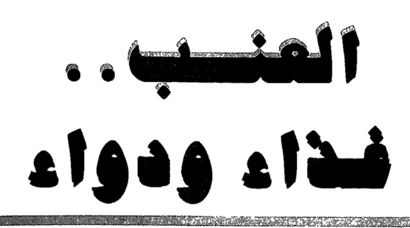
شعر:

حـــــــــواء

علــي أحـمـد الرفــاعي - جـازان



أنت كـــالشـــمس والشـــمس تغـيـب
وخـيــالك عن عـيــوني لا يغـيب
مـــوجع قلبي والقلب الحــبــيب
أســهـــر الليل وبالصــبح كـئـيب
وجـــهك الوضـــاح في طلعـــتـــه
قـــد غـشـــاه النور من فلك قـــريب
وعـــيـــونا اسكن الله بهـــا
صـــفـــة الحـــور والفن الغـــريب
خـــجل الورد من وجنتـــهـــا
حين قـــالت، هي للورد نســـيب
جل ربـي مـــبـــدع الكون لـه
قـــدرة الإبداع في هذا الحـــبـــيب
وتجلـــت قـــــدرة الـلـــه الـتـي
تبـدع الأشـيـاء في كـون رحـيب
وكـــذاك البـــحـــر من آياته
فـــيـــه مـــا فـــيـــه من أمـــر رهيب
وتأمل ســـر مـــا يحـــوي الثـــرى
من شـــريف أو وضـــيع أو نســـيب
كـــان في الدنيـــا جـــمـــيـــلا باهيـــاً
فـــتـــبـــدد في رمـــوس كـــالقليب



د. سامية محمد مصطفى
مصر

العنب لغة هو ثمر الكرم وهو طريّ، والجمع أعناب(١)٠ وهو نبات خشبي متسلق بالمحاليق، متساقط الأوراق، يزهر في الربيع، اسمه العلمي فيتيس فينيفيرا Vitis Vinifera من الفصيلة العنبية، موطنه غرب آسيا وحوض البحر الابيض المتوسط، ويعرف بالعنب الاوربي، وهناك أنواع اخرى تثمر بنصف الكرة الغربي وتعرف بالعنب الامريكي، وتربى نباتاته بطرق شتى، إما على هيئة شجيرات قصيرة «العنب الارضى» وإما أن تمدد على أسلاك أو تكاعيب(٢)٠

ذكر العنب في آي القرآن الكريم:

ورد ذكر الاعناب في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً، بصيغة الجمع في عشر مواضع (أعناب ـ أعناباً)، وبصيغة الافراد في موضعين (عنب ـ عنباً)(٣)، وقد ارتبط ذكره في القرآن الكريم بذكر الجنان ونعيم الآخرة وانهارها وحدائقها، كما ذكره الحق سبحانه وتعالى في مقدمة المباهج والنعم التي اختص بها بنى آدم في الحياة الدنيا، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: «أيودّ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب»(٤) وقوله تبارك وتعالى: «إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً»(٥)، وكذا قوله وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون»(٦)، وقد روي ان العنب كان من أحب الفواكه الرطبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام ربما أكل العنب خرطا يرى زؤانه على لحيته كخرز اللؤلؤ(٧)٠

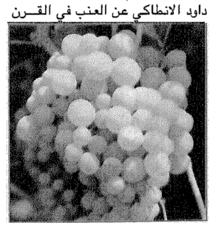
العنب لدى العرب:

لقد أحب العرب فاكهة العنب صباحاً واتخذوه شراباً وطعاماً ونظم شعراؤهم الشعر في وصفه، ومنهم ابن الرومى الذى نظم الشعر في الرازقى (وهو نوع من العنب ابيض اللون) قائلا:

كأن الرازقى وقد تباهى
وتاهت بالعناقيد الكروم
قوارير بماء الورد ملأى
تشف ولؤلؤ فيها يعوم
وتحسبه من العسل المصفى
إذا اختلفت عليك الطعوم
فكل مجمع منه ثريا
وكل مفرق منه نجوم(٨)

العنب في تذكرة داود(٩) :

يقول العالم الكبير داود بن عمر الانطاكي في كتابه تذكرة أولى الالباب والجامع للعجيب العجاب (والمعروف بتذكرة داود) عن العنب ٠٠ أشهر من أن يُعرف يختلف بحسب الكبر والاستطالة وغلظ القشر وعدم البذر وكثرة الشحم ونظائرها واللون والحلاوة الى أنواع كثيرة كالتمر وأجوده الكبار الرقيق القشر القليل البذر الحلو، ويدرك بتموز ويدوم الى كانون الثانى وهو جار رطب إلا أن الاحمر أعدل يكون في الثانية نحو أولها والاسود فى آخرها والابيض في الاولى أشهي الفواكه واجودها غذاء، يسمن سمنا عظيما ويصلح هزال الكلي ويصفي الدم ويعدل الأمزجة الغليظة وينفع من السواد والاحتراق وقشره يولد الاخلاط الغليظة وكذا بذره، وشرب الماء عليه يورث الاستسقاء وحمى العفن، ولا ينبغى أن يؤكل فوق طعام٠٠ هذا ما قاله العلامه داود الانطاكي عن العنب في القرن



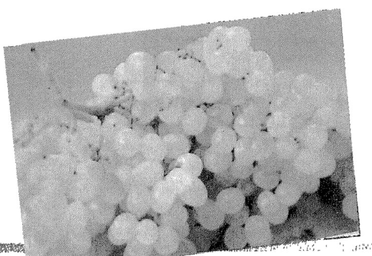
الحادى عشر، فماذا كان موقف العلم الحديث؟!٠

العناصر الغذائية في العنب :

يعتبر العنب مصدراً غذائياً غنياً بالمواد السكرية، التي تصل نسبتها فيه الى ١٥٪ كما تصل نسبة الجلوكوز فيه الى ٧٪، وقد ثبت أن كل مائة جرام من العنب تمد الجسم بحوالي ٦٨ سُعْراً حرارياً، كما تحتوى ثمار العنب على مواد بروتينية تصل نسبتها الى ٥٪ فضلا عن املاح البوتاسيوم والكالسيوم والفوسفور والحديد وبعض الفيتامينات (مثل فيتامين أ، ب، جـ) كما يحتوى العنب على كميات كبيرة من الألياف تصل نسبتها الى ٣ر٤٪، وتعمل هذه الالياف على تنظيم مستوى الجلوكوز والكوليستيرول في الدم، ويوضح الجدول التالى العناصر التى تحتويها كل مائة جرام من ثمار العنب(١٠)٠

الفوائد الطبية لثمار العنب:(١١)

- ينصح بتناول العنب فى علاج مرضى السل، بفضل ما يحتويه من عنصر الحديد، وفيتامينات أ، ب، جـ٠
- يوصى بتناول ثمار العنب للناقهين من مرضى التيفود عموماً ، حيث يجنب تناوله المريض حدوث أية انتكاسات، ويعيد للجسم حيويته ونضارته٠
- يشار باستخدام العنب فى حالات الامساك وانحباس البول، لما للعنب من تأثير ملين فى مثل هذه الحالات٠
- ينصح بتناول العنب فى علاج مرضى النقرس، أو ما يسمى بـ «داء الملوك» اذ ثبت ان تناول العنب يخفض من نسبة حمض البوليك فى الدم٠
- يستخدم الشراب الناتج عن غلى



أوراق العنب فى الاستشفاء من الكثير من الامراض، مثل انحباس البول والاسهال والدوسنتاريا.

- يساعد العنب على اختزان المواد الآزوتية والدهنية بالجسم، ولذا يوصف كأحد المقويات العامة.

- يستخدم عصير العنب لعلاج أمراض الصدر، وخاصة السعال وكما يساعد على طرد البلغم.

- يحفظ العنب سلامة الكبد ويزيد من قدرته على إدرار العصارة الصفراوية.

علاج السرطان عن طريق الاعتماد على **العنب كنظام غذائى رئيسي(١٢):**

تعد العودة الى سبل العلاج الطبيعي واجتناب استخدام المركبات الكيماوية هى السمة العامة لوسائل الاستشفاء فى العقد الاخير من القرن العشرين، ولقد اثبتت الدراسات الطبية جدوى الاعتماد على العنب كنظام غذائى اساسي «فى علاج السرطان والتخفيف من آلامه، والمحافظة على النمو الطبيعى لانسجة الجسم، ويرجع التأثير الفعال للعنب فى علاج هذه الامراض لما يحتويه من أملاح البوتاس والمواد البروتينية والحديد، فضلا عن قدرته على تذويب الانسجة المصابة بالمرض وتحويلها الى جزئيات صغيرة تخرج عن طريق وسائل الاخراج المختلفة.

ويتم العلاج بمثل هذه الوسيلة في مراحل متدرجة يتم فيها التحضير والتجهيز لاعتماد الجسم على العنب كنظام غذائى، سواء فى صورته الطبيعية كثمار، أو فى صورة شراب، يبدأ العلاج بالصوم لعدة أيام كمرحلة تجهيزية للجسم ثم يتم تناول العنب كوجبات غذائية رئيسية لمدة تترواح من ٣٠ ـ ٤٥ يوما، وينصح فى حالات سرطان الجلد والثدى بعمل لبخة من ثمار العنب توضع على الاجزاء المصابة حيث تساعد على اخراج الافرازات وتفتيح التقيحات، كما ينصح بعمل كمادات من العنب فى الحالات التي يتعذر فيها استخدام اللبخة.

العنصر	نسبة وجوده	العنصر	نسبة وجوده
مـاء	٦ر٨١ جرام	حمض نيكوتينيك	٤ر ميلليجرام
بروتين	٨ر جرام	حمض بانتوثينيك	٠٨ر ميلليجرام
دهون	٤ر جرام	حمض الطرطيو	١٢ر١ ميلليجرام
كربوهيدرات	٧ر١٦ جرام	فيتامين «جـ»	٤ ميلليجرام
ألياف	٣ر٤ جرام	كالسيوم	١٧ ميلليجرام
فيتامين «أ»	٨٠ وحدة دولية	حديد	٦ر ميلليجرام
فيتامين «ب١»	٠٥ر ميلليجرام	بوتاسيوم	٢٣٤ ميلليجراما
فيتامين «ب٢»	٠٣ر ميلليجرام	فوسفور	٢١ ميلليجرام

وأخيرا من النصائح الهامة التى يوصى بها الطبيب العالمى «جان فالينيه» فى مجال الاستشفاء بالعنب(١٣).

* يوصى بتناول شراب العنب يوميا بكميات تترواح من (٧٠٠ ـ ١٤٠٠ جرام) لإدرار البول وتخفيض حمض البوليك، وعلاج البواسير والامساك.

* تشرب ثلاثة أكواب يوميا بعد تناول الطعام بوقت كاف، وذلك لتخليص الجسم من السموم.

* لنضارة الوجه وبهائه، تبلل قطعة من القطن فى عصير العنب، ويمسح بها الوجه ثم يترك عشر دقائق حتى يجف ثم يغسل بماء فاتر مع شئ من بيكربونات الصوديوم.

الهوامش

(١) انظر، المعجم الوسيط، ج٢ ، ص ٦٥٣.

(٢) نقلا عن. الموسوعة الثقافية مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص٦٥٣.

(٣) انظر: محمد فؤاد عبد الباقى، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ص٦٢١.

(٤) البقرة الآية رقم ٢٦٦.

(٥) النبأ ، الآية رقم ٣٠.

(٦) يس ، الآية رقم ٣٤.

(٧) انظر، الامام ابى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين، ج٢، ص٣٢٨.

(٨) نقلا عن د. أيمن الحسين، الاستشفاء بالعنب وطرق التداوى به، دار الطلائع ص١٢.

(٩) انظر، داود بن عمر الانطاكي، تذكره أولى الالباب والجامع للعجب العجاب، تذكرة داود ، ص٢٤٠.

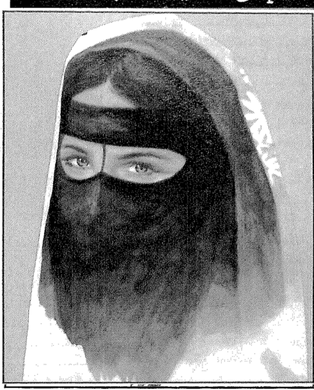
(١٠) نقلا عن د. أيمن الحسينى، المرجع السابق ص١٠.

(١١) انظر د.أيمن الحسينى، المرجع السابق، ١٣ وما بعدها.

(١٢) انظر د. أيمن الحسينى، المرجع السابق، مشار فيه تفصيلا عن الابحاث التى اجريت حول علاج السرطان بالعنب، ويعتبر من المراجع الرئيسية في هذا الصدد.

(١٣) المرجع السابق ، ص١٨.

إلى السيدة الجميلة



رسالة من حماد عجرد إلى السيدة الجميلة



بقلم:
محمد عبدالواحد حجازي
مصر

* هو حماد بن عمرو بن كليب
* نشأ بالكوفة
* من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية
* كان خليعاً ماجنا هجاء.

سيدتي الجميلة زينب:

من المقر بذنبه وخطيئته، المتطلع الى عفو ربه. وغفرانه، الى الحسيبة النسيبة، ابنة الكرام المبجلين والغر الميامين..

أبعث إليك بصحيفة اعترافاتي فلم يعد سواك ألجأ إليه ليخلصني من الكارثة التي توشك أن تحل بي فينفذ أخوك محمد وعيده بقتلي جزاء ما اقترفته في حقك من تشهير بك بأنك تحبين محمداً بن أبي العباس السفاح الذي كان والياً على البصرة. أبدأ اعترافاتي ياسيدتي الجميلة فأشهد الله على أن محمداً كان يحبك حقيقة، وانه طار بك وجداً، وسبح في خيالاته هياماً بك ونشر حولك أشعاراً أقرّ بضمير خالص أن أغلبها كان من صنعه هو وإبداعه هو. وقد كان من سورة جنونه بك ورعونته في حبه لك أنه تصور أنك تحبينه وأكثر من هذا فقد زعم لأصدقائه والمقربين منه أنك تفضلينه على سائر من تقدموا لخطبتك من الأمراء والوجهاء.. واكثر من هذا أيضا أنه زعم أنك تفاخرين به بين صديقاتك بأنه حلمك الجميل الذي سوف يجعل دنياك جنة فواحة بعبير الحب.

والحق يا سيدتي زينب أنني، وأنا الخبير بطبعه وسلوكه العليم بأخلاقه وآدابه، كنت أصدقه أحيانا وأتحمس له. ولذلك فإنه كان ينتهز فرصة حماستي هذه ليطلب مني أن أدبج له قصيدة غزل له على أنها من صنعه ويتقدم بها إليك فترقين له وتعطفين عليه عطف الحب والهوى وفي نفس الوقت يشيع بين الناس أنه يحبك.. وللأسف الشديد كنت أستجيب له بمجرد أن يسمعني رنين الدنانير ثم يشفع الدنانير بوليمة عظيمة أنعم فيها بكل ما لذ وطاب من الطعام والشراب.. وهذا عيب من عيوبي، فأنا أمقت البخل والبخلاء ولا أثور على أحد قدر ما أثور على من يحرمني من فيض نعمته ولا سيما من الطعوم. فإنه لا يسلم من لساني أطلق فيه البيت أو البيتين فيصير أضحوكة العرب أجمعين:

هجوت حريث بن أبي الصلت لبخله فقلت:

حريث أبو الصلت ذو خبره
بما يصلح المعد الفاسده
تخوّف تخمة أضيافه
فعودهم أكلة واحده

وهذا علي بن محمد بن طلحة استضافني يوما ليتقرب

منـــى اتقــاء لســانـــى فأجبت دعوته وجلسنا ننتظر الطعام ساعة، وساعتــين، وثلاث، فضجرت وثرت وقلت له:

زرت امـــــرأ فـــي بيتـــه مــرة

لـــــه حـــيـــاء ولـــــه خيـــرُ

يكـــــره أن يتخـــم أضيافـــــه

إن ذى التخمـــــة محـــــــذور

ويشتهـــــى أن يؤجـــروا عنــــه

بالصـــــوم والصالـــح مأجور

أتدرين يا سيدتى ماذا قال لى؟ لقد قال: عليك لعنة الله. أى شيء حملك على هجائى وإنما انتظرت حتى يفرغ لك من الطعام. فقلت: الجوع وحياتك حملنى عليه، وإن زدت في الإبطاء زدت في القول. فمضى مبادراً حتي جاء بالمائدة.

سيدتى الجميلة زينب:

نعم، ضعيف أنا أمام الدرهم والدينار، وضعيف أنا أمام لذيذ الطعام والشراب ومن هذا الجانب نفذ محمد بن العباس الى ضميرى. فكتبت مرة قصيدة متخيلا أن قد وقع بينكما خصام.. فهو من ثم يسعى إليك نادما تائبا.. يشوقه عودة الوصال، فقلت على لسانه مرة:

زينـــب ما ذنبـــى ومـــا الـــذي

غضبتـــم فـــيه ولـــم تغضـــبوا

واللـــه مــــا أعـــرف لـــى عندكم

ذنـــبا ففيـــم الهجـــر يا زينـــب

إن كنـــت قـــد أغضبتكـــم ضلَّـــة

فاستعتبونـــى إننـــى معتـــب

عـــودوا علـــى جهـــلى بأحلامكم

إنـــى إذا لـــم أذنـــب المذنـــب.

ثم صدم بما أدمى فؤاده وأطار صوابه فوق ما هو طائر وذلك يوم أن تقدم الى أخيك ليخطبك منه فرفض طلبه لأنه يعلمه أنه احمق يأتى من فعال الحمقى والمغفلين مالا تستقيم معه حياة أسرة. فى هذه الحادثة حلف على لأبدعن له قصيدة غزل فيك لم يسمع بمثلها من قبل وكان جزائى منحة لم يجد بها أحد من الخلفاء. وامام هذا الكرم الحاتمى الجامح لم أجد بُداً من أن أمدحه أولا وأكيل له من التكريم اضعاف ما كال لى من مَنِّ الدنانير، فقلت معظما ومفخما:

أرجوك بعد أبى العباس إذ بانا

يا أكرم الناس أعراقاً وأغصانا

فأنـت اكرم من يمشى على قدم

وانضـر الناس عند المحل عيدانا

لو مج عود على قـــوم عصـــارته

لمـــج عـــودك فينا المسك والبانا

ثم قال لى فى تخابث وحمق: ولكن، أين الغزل. ماذا أقول لزينب؟ اصنع لى قصيدة أنسبها لنفسى ثم أعطيها لأحسن المغنين فيضع فيها لحنا يتغنى فيه الناس بحبي لزينب ولأرغم أخاها محمداً على أن يزوجنيها .. وفعلاً جادت قريحتى بثلاثة أبيات طار لحنها فى الخافقين.. لكن النتيجة جاءت على غير ما توهم فزاد أخوك من رفضه لتزويجه.. وكان البيت الأول، بل كان اللحن:

زينـــب مالـــى عنــك من صبر

وليـــس لـــي منـــك سوى الهجر

ولكن الحق، والحق أقول، إن محمداً كان يهيم بجمالك متيما فى حبك .. ولازلت أدهش للروعة التى جاءت عليها قصيدته التى عبر فيها عن شوقه الى وصالك وتطلعه الى رضائك واستجابتك لهواه فقال وقد أحسن:

يـــا قمـــر المربـــد قـــد هجت لى

شوقـــا فمـــا أنفـــك بالـــمربد

أراقـــب الفرقـــد مـــن حبكـــم

كـــأننـــى وكـلـــت بالفـرقـــد

أهيـــم ليـلـــى ونهـــارى بكـــم

كأننـــــى منكـــم علـــى موعد

علقتهـــا ريـــا الشـــوى طـفلـــة

قريبـــة المولـــد مـــن مولـــد

جـــدى إذا ما نسبـــت جـدهـــا

فـــى النســـب الثاقـــب والمحتد

واللـــه لا أنســـاك فـــى خلوتـــى

يـــا نـــور عينـــى ولا مشهـــدى

سيدتى الجميلة زينب :

ثم توفى محمد بعد أن عزله أمير المؤمنين المنصور عن البصرة.. وهنا الطامة الكبرى التي علي أن أواجهها فأخوك محمد بن سليمان أهدر دمي، ويتوعدني ويتهددني ليل نهار.. وأنا واثق من أنه لن يتنازل عما قرر، ألا وإنه قتلي.. لقد باءت شفاعاتي بالفشل فلم يفلح أي ممن وسطهم لديه في أن يعفو عني ولم يفلح أي منهم في أن يحوله عن اهدار دمي فيكتفي بنفيي الى الشام أو خراسان.. خبريني بالله يا سيدتي الجميلة.. ماذا أصنع؟.

انني أخطأت وأذنبت.. وأسرفت في افترائي وعصياني.. ولكنني أطمع في الصفح الجميل الذي أمر به الله سبحانه.. ولهذا فانني لم آجد سواك ينقل توبتي الى أخيك المكرم محمد بن سليمان عساه يمن علي بالصفح.. إنني لكبير الأمل في الله ثم فيك. أقول لسيدي محمد:

مـــن مقـــر بالذنـــب لم يوجب اللـ

ـــه عليـــه بســـيء إقـــرارا

ليـــس إلا بفضـــل حـلمـــك يعتـ

ـد بـــلاء ومـــا يعد اغترارا

أوراق زوجية

أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية
أوراق زوجية

أبو عواد.. أم عمرو

٧١٣ ـ ابو عواد :

تستطيع المرأة أن تكون اكثر انتاجية وأن تتبوأ مكانة أرفع من مكانتها الحالية لو أنها وظفت امكاناتها وسخرت قدراتها الذاتية في مجالات نافعة ومفيدة إلا أن غالبية النساء للأسف يوظفن ذكاءهن في غير ذلك كما يفعل اللصوص والمجرمون حين يعمدون لتوظيف فطنتهم وقدراتهم وابداعاتهم في خدمة الانحراف والخروج على القانون.

٧١٣ ـ أم عمرو :

ربما يكون هناك اصلاً وراثياً للإنحراف ولكن الإنسان، في الغالب، ابن بيئته. اذا كانت اغلب النساء غير قادرات على توظيف امكاناتهن فيما خلقن له فإنهن لم يتعلمن غير ذلك.. ومنطقياً فلابد ان نتصور ان المعلمين كانوا من جنس آخر.

٧١٤ ـ ابو عواد :

زوجتان بحاجة ماسة للعرض على أخصائي نفسي: الأولى: تلك التي تبلد أحساسها أو استبد بها غرورها فلا تغار على زوجها.. والثانية: تلك التي صارت تتنفس الغيرة مع الهواء وأصبحت أسيرة وساوسها وشكوكها باعتبار أن كلا الحالتين يمكن تشخيصه على أنه حالة مرضية تستدعي مراجعة الطبيب النفسي.

٧١٤ ـ أم عمرو:

الغيرة غريزة طبيعية في الانسان، تنبع من رغبته في المحافظة على عشه وهي مقبولة ومرغوبة لو كانت محصورة في حدودها الطبيعية، اما اذا تعدت ذلك فإنها تصبح انفعالات مدمرة لصاحبها ولمن حوله، وخاصة تلك التي يستمرىء بعض الأزواج استثارتها في زوجاتهن بأساليب المقارنه والتلويح بأخرى.

٧١٥ ـ ابو عواد :

في بعض المواقف يتصبب العرق من وجه الرجل وتحمرّ عيناه وخداه خجلا وحياء فيما لا تكاد ترصد أية مؤشرات حرج على المرأة التي تمر بنفس الموقف.. أو الحوار.. أحمد

الله الذى فطر المرأة بطبعها على الحياء ولولا ذلك فان أحدا لا يمكن أن يتنبأ بما يمكن أن يكون عليه حال الدنيا.

٧١٥ ـ ام عمرو :

اذا كان الرجل اصبح الآن يتصبب عرقا ولا يستطيع مواجهة بعض مواقف الحياة «بالبجاحة» التى تعود عليها فربما يكون ذلك تحسينا لجنس الرجال واعتقد ان ما حدث للمرأة جاء نتيجة لنظرية الأوانى المستطرقة.

٧١٦ ـ ابو عواد :

أدخل البيت .. أفاجأ بالاحداث والمفاجآت والتغيرات ..أقيّم وأقدر الجهود الفذة التي اخرجتها .. اشاور نفسي على كلمة شكر او عبارة ثناء ..او في لفتة طيبة اقابل بها هذه المفاجأة السارة من ام العيال ..لأفاجأ بشكواها وتذمرها ..واعيائها لقاء ما بذلت من جهد ..فيسقط في يدي وتمنيت لو انها ما فعلت شيئا..او اسعدتني بسكوتها. الذي هو ابلغ مئة مرة من حديثها ..واستجدائها الشكر والثناء ..

٧١٦ ـ ام عمرو :

كثيراً ما نتصور اننا كنا سنقول ما طلب منا قوله او كنا سنعمل ما طلب منا عمله ولو تُركْنا وشأننا ما قلنا ولا عملنا .علينا أن نتذكر دائماً انه لا يطلب الا عائز ولايستجدي الا محتاج ..

٧١٧ ـ ابو عواد :

اعرف أنك امرأة تحب المظاهر.. وتتنكرين لماضيك وماضى آبائك وأجدادك.. أعرف أنك تافهة إلى درجة انعدام الوزن ولكنى مضطر للتعامل معك دون أدنى إشارة منى لهذا الجانب لا لشئ إلا لكى لا أخسرك .. وهكذا مضطر أن أتعايش مع هذا الاعوجاج ولا أجرؤ على التقويم .. ومثلى كثيرون.

٧١٧ ـ ام عمرو :

اذا كانت المرأة تحب المظاهر فلأن الرجل ينبهر بها وتلتوى عنقه فى اتجاهها واذا كانت المرأة تافهة فلأن الرجال لا يقيمون وزنا لعقل المرأة او حكمتها. لا يوجد خلل فى مكونة من نظام إلا كان نتيجة لخلل من المكونات الأخرى. فليصلح الرجل من معاييره وستنصلح احوال المرأة، لو كانت بحاجة الى اصلاح، بأسرع مما يتصور.

٧١٨ ـ ابوعواد :

لا افرط في تفاؤلي معك . أخاف ان يصدمني هول الاحباط القادم ..ولكني في الوقت ذاته لا اراني متشائماً ..فحين اطيل النظر في عينيك البريئتين لا اكاد اصدق ان مثلك يوماً سينقلب الى قطة بريّة!!

٧١٨ – ام عمرو :

نحن نولّد الخير بالخير ، ونولّد الشّر بالشّر ، وعلينا ان نختار ما نرمي اليه فاستجابات الآخرين هي محصلة ما نستثيره فيهم باقوالنا واعمالنا ، ونحن لا نجني الا ثمار ما زرعنا ..

٧١٩ – ابو عواد :

لا تصدقيهم حين قالوا ان العتاب يجلي الصدور .. واعلمي ان المشاكل الكبيرة كان اولها عتاب .. فتجملي بالصبر واجعلي «كما قال الشاعر» ترك العتاب عتابا ..

٧١٩ – ام عمرو:

صحيح ان العتاب المتكرر المستمر يولد العداء والبغض ولكن قدر من المصارحة ضروري لإستمرار الحياة فهو يخفف احمال القلوب ويصحح مسارات العقول ويجب أن يكون مقبولا من كلا الزوجين .

٧٢٠ –ابوعواد :

وازني دائما بين جمال الشكل وجمال العقل .. وملاحة الروح ودماثة الخلق ..فما ابشع أن يشف هذا الجمال عن عقلية متخلفة او عقد نفسية وجهالة او عنجهية ..

٧٢٠ –ام عمرو :

لقد حاولنا اقناع المرأة ، ولزمن طويل مضى انه يكفيها ان تهتم بشكلها ..نحن الذين وضعنا العربة امام الحصان وانا اعني « بنحن » الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات والمجتمع بصفة عامه . أنني أشفق علي النساء وأنا أرى محاولاتهن المستميته للخروج من هذه الإعاقه ، وكل ما يتعرضن له من احباطات وعقوبات .

٧٢١ – ابو عواد :

المرأة الواثقة من نفسها هي التي تكون في جلسة النساء مستمعة اكثر منها متحدثة .. وحين تتكلم تسمعها كل الحاضرات .. ولا يختلف الرجال عنها في هذا .

٧٢١ – ام عمرو :

حقيقة ان السكوت افضل وانه لم يثبت إلى الآن أن ابتلاع الكلمات يصيب بسوء الهضم .

٧٢٢ – ابو عواد :

يفترض أن يكون لكل زوجة حاسة سادسة لرصد مزاج الزوج أو حتي قرون استشعار لتستشعر وتستشف عن بعد ما يدور بخاطره ..في محاولة لفهمه اكثر .

٧٢٢ –ام عمرو :

انا لا افهم لماذا يفترض الرجل انه المقصود بسيد الكون الذي سخرت الكائنات الأخرى لخدمته والوقوف على راحته ؟

٧٢٣ – ابو عواد :

نعم كل الرجال عيونهم فارغه .. إلا من اقتنع من نفسه أوحملته زوجته علي الاقتناع رغما عن نفسه

٧٢٣ –ام عمرو :

« الاقناع » لا يؤخذ ابداً قسراً أما «فروغية العين» في الرجال فاظنها واحدة من تلك الغرائز الفطرية التي تحتاج الى تهذيب وتقويم حتى تصل الى شكلها المناسب للجنس البشري وهو «القناعة» .

٧٢٤ –ابو عواد :

أول الانفتاح حضارة وآخره قذارة.. فلتبلغي هذا عنى الى كل المتفرنجات من بنات عدنان.

٧٢٤ ـ ام عمرو :

لا فرق بين اول الإنفتاح وآخره اذا كانت معايير الاختيار والإنتقاء واضحة واذا كانت مصفاة التصفية مضبوطة الثقوب.

التصويــر الضــوئي:

مشــوار الحيــاة



ماذا بقي في العمر يستحق أن نحمل له الأمتعة والزاد؟ والى أين تأخذنا الأقدام العارية عندما يصبح الجسد مرهقاً حتى الرمق الأخير؟ أهو حب الحياة ذلك الذي يدفع مثل هذه المرأة العجوز لتحمل ما تحمله وتسير بلا اتجاه، أو ربما باتجاه حددته بما تبقى لديها من قدرة على التمييز؟ أم هو الفقر الذي لا يرحم ولا يترك لمثل هذه المرأة حرية اختيار الطريق واسلوب الحياه؟

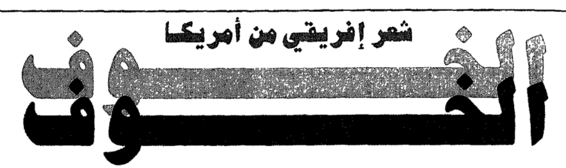
أيا كانت الأجوبة على هذه الأسئلة، فإن براعة المصور «لياس» من اليابان تصنع هذه اللوحة التعبيرية التي تتحدث بكل اللغات بغير أن تنطق، تروي حكاية العمر، ومشوار الحياة الذي تختزله خطوات هذه العجوز المصرة على ألا تستسلم مهما طال المشوار!

وهكذا يبقى التصوير الضوئى نوعاً جميلاً من الابداع الثقافي الذي يمكن أن ينقل أدق التفاصيل الحياتية على صفحات الصور بلا تزييف أو تصنع.

• نوافذ على ثقافات العالــم • نوافذ على ثقافات العالــم

● نهاوند عبدالله - جدة ●

شعر إفريقي من أمريكا



نحن نبكي ونئن وسط ناطحات السحاب
تماماً كان آباؤنا وأجدادنا يبكون ويئنون
وسط أشجار النخيل في افريقيا الحبيبة
ذلك لأننا نشعر بأننا وحدنا.

* * *

نحن بحاجة الى أرض تشع بالبهاء
تحت أشعة الشمس اللاهبة
الى أرض مياهها مضمخة بالطيب
يبدو فيها الشفق وكأنه وشاح خفيف
مصنوع من نسيج مشجر
ألوانه وردية وذهبية
ولسنا بحاجة الى أرض باردة لا حياة فيها

* * *

نحن بحاجة الى أرض تكثر فيها الغابات الكثيفة
أشجارها مثقلة بالببغاوات الثرثارة
وأوراقها تسطع بالألوان الفاقعة البهية
ولسنا بحاجة الى أرض قاحلة
طيورها رمادية اللون باهتة

* * *

نحن بحاجة الى أرض
تفيض بالحب والفرح والغناء
ولسنا بحاجة الى أرض
يعتبر الحب والفرح فيها ذنباً وكفراً
فيا صديقتي الحلوة
لنهرب من هذه الأرض اللعينة
لنهرب يا صديقتى الحبيبة
الى أرض آبائنا وأجدادنا!

شعر:

لنغستون هيوغ

شاعر أميركي خلاسي أبوه رجل أبيض وأمه زنجية، ويعتبر من أعظم شعراء الزنوج الأميركيين المعاصرين، لأنه مبتكر في أسلوبه وموضوعات قصائده التي تبدو رائعة ببساطتها وسلاستها، وصدقها الذي يؤثر في قارئيها ومستمعيها لأنها تخرج من صميم القلب لتحل في القلب.

ولد عام ١٩٠٢ ويجمع في قصائده التي تتناول موضوعات الشعب الزنجي بين الدعابة والحزن، وبين الرقة والتهديد، مما يجعلها قريبة الى النفوس، له العديد من دواوين الشعر ورواية واحدة طويلة عنوانها «الساذج» وسيرة ذاتية بعنوان «البحر العميق» أجمل قصائده عناوينها « الروحانيات الزنجية، الشعور بالخوف، أرضنا، النجوم».

يـــــوم الجـ

أعياد الأمم والشعوب تتنوع من عهد الى عهد وتتغير أسماؤها وتعدل مواعيدها من مناسبة لأخرى وتكثر وتقل ويزاد فيها وينقص منها، وذلك مسايرة للأحداث والمناسبات ومجاراة للأهواء.. ومراسم هذه الأعياد تتأثر بتطور الزمن وتغير الأفكار.. أما الأعياد فى الاسلام فهى ثابتة منذ كانت لا تغيّر فى الأسماء ولا تعديل فى المواقيت ولا تطور فى الشعائر ولا زيادة فيها ولا نقصان منها.. لأنها صالحة لكل زمان ومكان ومرتبطة بعبادات إلهية وهذا هو الفرق بين ما صنع رب العزة وبين ما صنع البشر.

تقوم دولة من الدول فى مكان ما من الأرض فتكون لها أعيادها وتسقط هذه الدولة وتقوم مقامها أخرى فتلغي من الأعياد ما تشاء وتثبت ما تشاء وتزيد ما تشاء.. ويسود نظام من النظم جماعة من الجماعات فتكون له أعياده ويسقط هذا النظام ويحل محله نظام آخر يخالفه أو يناقضه فيلغي أعياد سابقه ويقيم أعياداً جديدة.. ويتولى عظيم من العظماء فتكون ولادته عيداً وتنتهي هذه الولاية بموته أو بتنحيته ويتولى سواه فيتخذ لنفسه عيداً آخر يفرضه على المحكومين.. وتختلف مراسم الإحتفال بالأعياد من شعب لآخر ومن عصر لعصر فآناً مواكب الخيل المطهمة وحيناً عرض للدبابات ومظاهر القوة وحيناً آخر إطلاق للمدافع الفارغة والسهام النارية.. أما أعيادنا الاسلامية فلا صلة لها بعظيم من العظماء أياً كان مبلغه من العظمة لا بولادته ولا بولايته ولا بموته ولا ارتباطاً بقيام نظام من النظم البشرية المتغيرة المتضاربة ولا بتخليد موقعة من الوقائع الحاسمة ولا تسجيل فتح من الفتوحات.. وشعائر أعيادنا الاسلامية لم يطرأ عليها تغيير ولا تحوير بل هي نشيد علوي سماوي: الله اكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله والله أكبر الله اكبر ولله الحمد.. وصلاة جامعة محددة المعالم ثابتة الأقوال والأفعال بعد ارتفاع الشمس وخطبتان مناسبتان بعدها أعيادنا الإسلامية الأصيلة: عيد الفطر وعيد الأضحى.. لم يُزَدْ عليهما ولم ينقص منهما ولم تتغير معالمهما وشعائرهما منذ ألف وأربعمائة وأربعة عشر سنة(1) حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فوجد الأنصار ذات يوم فى لهو ولعب فقال: ما هذا؟ فقالوا: يارسول الله إن لنا يومين كنا نلهو فيهما ونلعب فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أبدلكم خيراً منهما.. عيد الفطر وعيد الأضحى».. حكمة بالغة فى علاج العادات الهازلة اللاهية بإحلال العبادات الجادة النافعة محلها مع الاحتفاظ بطابع السرور ورباط المودة بين الناس.. فعيد الفطر يوم يفرح المسلمون بإتمام الصيام وفيه يخرجون إلى الصلاة فى حلة جديدة تحدثاً بنعمة الله فيتصدقون على الفقراء

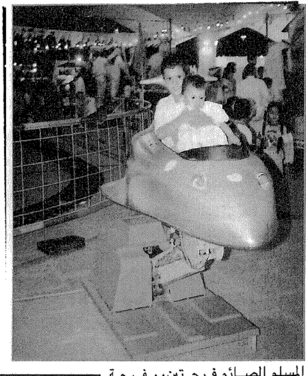


ـــائزة

ابراهيــم خليــل ابراهيــم
- القــاهــرة -

والمحتاجين٠٠ يجتمعون لصلاة العيد واستماع الوعظ بعد أن تلقوا من الصيام درساً ملأ نفوسهم بالخشية والإخلاص والرحمة ولين قلوبهم بالاحسان وأيديهم بالصدقة ثم يتبادلون التهاني مبتهلين إلى الله أن يحقق لهم الآمال والأماني ٠٠ وهو سرور عام بين جميع الذين يدينون بالاسلام فى أى أرض أقاموا وبأى لسان تكلموا٠٠ شعور شامل يوحد بينهم فى الهدف المشترك والأحاسيس المتجاوبة٠٠ وهكذا يحدد الاسلام شئون الأعياد والمواسم فينظم طريق الحفاوة بها ويبث فيها معنى روحياً واجتماعياً سامياً يربط الغني بالفقير والكبير بالصغير والحاكم بالمحكوم والإمام بالمأموم٠٠ أما المعنى الروحى فمظهره التكبير والصفوف المنتظمة فى الصلوات وما يستمعون من عظات وبينات٠٠ أما المعنى الاجتماعى فمظهره زكاة الفطر التى فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم، على كل مسلم والتزاور بين الأصدقاء والأقرباء والجيران وسائر المسلمين والبهجة والسرور والمرح الكريم واللهو البرىء مما يبعث فى النفوس نشاطاً يعينها على العمل النافع٠٠ هذا هو عيد الفطر، الذى يأتى أول يوم بعد رمضان٠٠ ويفرح فيه





المسلم الصائم فرحتين٠٠ فرحة القيام بواجب الطاعة لله عز وجل٠٠ وفرحة الفوز بجائزة الله له على هذه الطاعة٠٠ وهى جائزة تفوق كل تثمين وتقدير٠٠ يحدثنا عنها جابر الجعفى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: أغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل فقد أمرتم بقيام الليل فقمتم وأمرتم بصيام النهار فصمتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم فإذا صلوا نادى مناد: ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين الى رحالكم فهذا يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة(٢)٠

- أما العيد الثانى فهو عيد الأضحى ٠٠ يوم يجتمع فيه الحجيج بمنى لذبح الهدي ويشاركهم المسلمون فى جميع بقاع الأرض بذبح الضحايا٠٠ يوم يهتف فيه الحجيج بالتكبير عند رمى الجمرات ويشاركهم المسلمون فى سائر بقاع الأرض بالتكبير عقب الصلوات : الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. الله أكبر.. الله اكبر ولله الحمد.. الله اكبر كبيراً.. والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.. هذا يوم الوحدة والتآلف والود والتعاطف٠٠ هذا اليوم الثانى لمؤتمر الحجيج العام الذى يعقد فى الأماكن المقدسة كل عام بعد أن عقدوا المؤتمر الأول فى عرفات تحقيقاً لقول الله تعالى: «ليشهدوا منافع لهم

العيد.. تجديد وبهجة وتواصل بين الناس

ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليُوفوا نذورهم وليطّوفوا بالبيت العتيق»(٣).

هذا موسم البر بالفقراء والمعوذين والوفاء بالنذر الوثيق ومتعة الطواف بالبيت العتيق الذى جعله الله للناس جميعاً سواء العاكف فيه والباد وجعله حرماً آمنا لسائر العباد.. وسيذكر التاريخ أن نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم أعلن هناك فى حجة الوداع حقوق الإنسان حيث قال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا»· وقرر المساواة حيث قال صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا



لأبيض على أسود إلا بالتقوى»·

فقضى بذلك على التفرقة العنصرية التى لا تزال بعض الدول تمارسها حتى اليوم·· وقضى على الاستغلال حيث قال: «إن ربًا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا عمي العباس»·· وفى عيد الأضحى علينا أن نتذكر التضحية والفداء الذى ابتلى الله فيه خليله ابراهيم عليه السلام أى ابتلاء حيث آراه فى المنام أن يذبح ولده إسماعيل فأطاع الوالد والولد·· وكان عاقبة ذلك فداء الولد بذبح عظيم والثناء على الولد ثناء خالداً فى الآخرين وتبشيره بولده اسحاق نبياً من الصالحين وفى ذلك يقول القرآن الكريم: «وقال إنى ذاهب الى ربى سيهدين ربِّ هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بنيَّ إنِّى أرى فى المنام أنِّى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين»(٤)

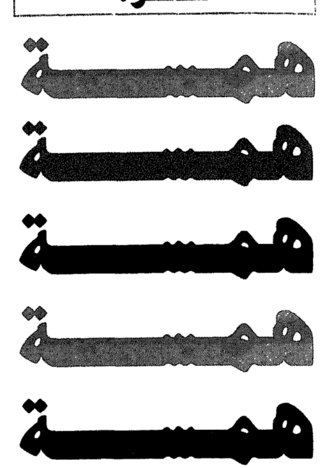
وقد ندب الاسلام الى أن نُهدي من الأضحية الأصدقاء ونصل الرحم والفقراء ولنحقق المودة والتراحم فى هذا اليوم العظيم ونحقق اشتراكية ديننا الحنيف·· عن زيد بن أرقم قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله ما هذه الأضاحى؟ قال سنة أبيكم ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه ـ قالوا: فما لنا فيها يارسول الله ؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنة»(٥)·

هذا هو عيد الأضحى الذى يكون فى العاشر من ذى الحجة من كل عام وفيه تكون فريضة الحج·· الركن الخامس من أركان الدين الاسلامي·· وهذه هى أعيادنا الاسلامية·· أعياد مبرات وخيرات للصغير والكبير·· الفرد والاسرة·· القرية والمدينة·· للأمة الاسلامية جمعاء·· أعياد اللعب واللهو البرئ المباح·· أعياد التقوى والتطهر والتزين والتطيب ولبس أجمل الثياب·· قال الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العيدين أن نلبس أجود ما نجد وأن نتطيب بأجود ما نجد»·

الهوامش :

(١) أعيادنا الاسلامية: الأستاذ صفاء محمد·
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير·
(٣) سورة الحج آية ٢٨ ـ ٢٩
(٤) سورة الصافات آية ٩٩ ـ ١١٢
(٥) رواه الحاكم وصححه·

شعر :



رفعت عبدالوهاب المرصفي / القاهرة

أهلاً بعيد الفطر بعد صيام
أهلاً بيوم مشرق بسّام

عيدٌ أهلّ على الربوع هلاله
ويدا على الاثواب والاكام

«طوبى» لمن صلى وصام طهارة
« طوبى » لمن يسعى الى الايتام

العيد يدعو المسلمين ليلتقوا
بالخير بالايمان بالترحام

العيد يدعو ان نكون كوحدة
لا أن نؤيد دعوة الاهدام

العيد يدعو أن نزور مقاطعا
وعلى الخصوص زيارة الارحام

يا إخوة الاسلام في كل الدنا
أسمى الأماني بخيرة الأيام

من كل اعماقي ونفسي همسة
غلّفتها بتحيتي وسلامي

* * *

يا اخوة الايمان في كل الدنا
مالي أرانا في لوى وخصام

البعض في غرب ينوب صبابة
والبعض في شرق وفي إعتام

عار علينا أن نكون مطية
ونسير خلف رغائب الأقوام

أجدادنا كانوا على طول المدى
في وحدة في يقظة وتسام

عاشوا ضياء للوجود جميعه
ماتوا على التكريم والاعظام

* * *

يا إخوة الاسلام في كل الدنا
العيب منا أم من الأيام

العيد يأتي والجميع بداره
والكل في شغل وفي إحجام

البعض يلهو في الحياة بنفسه
والبعض يجري ورا أوهام

أين التواصل والتآخي بيننا
أين المسير بشرعة الاسلام؟

والى متى سيطول حبل خلافنا
والى متى سنسير للإعدام؟

* * *

يا أمة الايمان معذرة أنا
ما كنت أبغي أن أطيل كلامي

لكنه الجرح الذي تصطلي
نفسي به من شدة الإضرام

فالقدس يصرخ كي نفك إساره
وهنا نعيش على شذا الأحلام

والجرح في «أفغان» ينزف داميا
ونخوض نحن معارك الأقلام

والمسلمون يُنصَرون بقوة
عن قلة عن حاجة الإدعام

* * *

يا خير أقوام الزمان جميعه
يا خير خلق الله بالإسلام

المد في الأوطان أصبح طاغيا
وتدانت الحلقات للإحكام

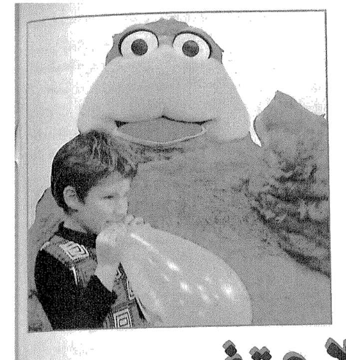
فلنرجع الإخلاص كي نبقى يدا
في النور واحدة وفي الإظلام

ولنضرب الإلحاد في أوكاره
حتى نعيش بعزّة وسلام

فالعز كل العز من اسلامنا
والنصر كل النصر في الإقدام

والدين دين الله نحن عباده
سيّان من في الهند أو في الشام



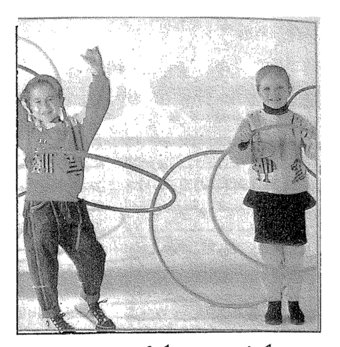


من مظاهر الاحتف

كانت أعياد العرب فى الجاهلية مرتبطة بأيام الانتصار على الاعداء وذكريات الغلبة والتفوق.. فلما جاء الاسلام ارتقى بهم الى ربطها بالانتصار على الهوى والنجاح في جهاد النفس والشيطان.. ومن هنا عرف العرب بعد الاسلام عيدين شرعهما رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم عيد الفطر وعيد الاضحى.. ويأتى عيد الفطر فى أعقاب جولة طويلة من جهاد النفس بالصوم وتأديبها بالصبر على الحرمان من الضروريات والشهوات.. فتكون المكافأة بالبشرى بالمغفرة والرضوان والقبول فى يوم عيد الفطر الذى يفرح فيه الصائم بفطره واتمام عدة صومه.. أمّا عيد الأضحى فهو يوم الحج الأكبر ذلك المؤتمر الاسلامي العالمي الأعظم، فيه يجتمع المسلمون رجالا وركبانا فى أماكن محدودة من كل فج عميق، كلهم يلبي ويكبر، ويذكرون اسم الله على نعمه وآلائه، يتعارفون على بعضهم البعض، ويتشاورون فيما بينهم، لحل مشاكلهم والتغلب على عدوهم، فتتصافى القلوب وتسمو النفوس وتتجمع الأفئدة وكأنها على قلب رجل واحد، ربهم واحد، ودينهم واحد، وقبلتهم واحدة.. والعيدان فرحة للمقيم والمسافر، فيفرح المسلمون فى شتى أنحاء المعموره بمقدم عيد الفطر بعد شهر حافل بطاعة الله، صاموا نهاره وقاموا ليله. وتكون الصلاة أول عمل يقوم به المسلم فى يوم العيد روى البخاري بسنده عن البراء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال «إنّ أول ما نبدأ به يومنا هذا أن نصلّي».

وبعد الصلاة واستماع خطبتى العيد يتصافح المسلمون بعضهم البعض ويتبادلون الأحاديث الودية، والتهانى القلبية، والدعاء بأن يعيد الله عليهم عيدهم وهم فى أحسن حال وأطيب مقام.. وتعلق الزينات فى الطرقات والميادين، وجموع المصلين ينتشرون فيها يرتدون أحسن الثياب، الرجال والنساء والأطفال، على وجوههم ابتسامات عريضة، وفى قلوبهم فرحة عميقة، الكل مسرور فرح فى هذا اليوم، فرح الكبير كالصغير، وفرح الغنى كالفقير.. الكل فى هذا اليوم العيد ملكه، الكل فى هذا اليوم ينسى البغضاء والشحناء، والخصام والحزن ويلتف الجميع حول بعضهم البعض يتسامرون ويلعبون ويلهون لهوا مباحاً لا اختلاط فيه يخالف شرع الله، يجتمع كل صاحب أسرة بأسرته أولا، ثم يأتى موعد زيارة الأقارب، يعقبها زيارة الجيران والخلان.

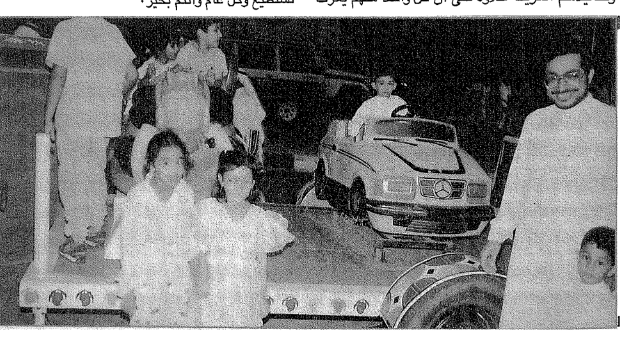
الناس يوم العيد طوّافون بعضهم على بعض يتزاورون، وإن كنا نجد التزام الناس بعادة زيارة بعضهم البعض مازالت تأخذ شكلها السامى فى القرى والنجوع إلا أننا لم نفتقدها أيضا فى المدن ولكنها تأخذ مسلكا آخر وشكلا أقل، ففي حين يقوم المسلمون فى القرى بزيارة بعضهم البعض عقب صلاة العيد مباشرة إذ يقوم كل واحد منهم بالمرور على جميع منازل القرية منزلا منزلا لا يتعدى واحداً منها والا عوتب من قبل أهل تلك الدار التى لم يزرها، وعادة ما يبدأ الزائر بمنازل أقربائه فجيرانه ثم أصدقائه وخلانه. إلا أننا نجد أن

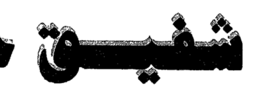


ـــال بالعيد

عبدالهادي بلاسي - جدة

الزيارات فى الأعياد فى المدن تختلف عنها فى القرى كما وكيفا فأما من ناحية الكم فتقتصر الزيارات على الأقرباء وربما تتعداها الى أقرب الجيران والأصدقاء ومن ناحية الكيف فإنها دائما ما تكون فى نهاية يوم العيد.. ولعلنا نرجع السبب فى اختلاف كيفية الزيارة بين القرى والمدن أن أهل القرية مازالوا يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم العريقة علاوة على أن كل واحد منهم يعرف غالبية أهل قريته إن لم يكن يعرفهم جميعا، أما فى المدن فلاتساعها ولانشغال اهلها الدؤوب فلا يكاد الواحد منهم يعرف إلا القليل من جيرانه.. وللأطفال طريقتهم الخاصة فى التعبير عن فرحتهم فى الأعياد، فيحرصون كل الحرص على ارتداء أزهى الثياب التي أعدوها خصيصا لذلك قبل موعد العيد بأيام، ويخرجون بعد انصرافهم من مُصلَّى العيد الى الحدائق والمتنزهات وجداول المياه والملاعب الرياضية كل منهم يمارس ما يجيد من فنون اللعب والمرح والدعابة والفكاهة.. ولا تقتصر فرحة العيد على الأغنياء بل تشمل الجميع أغنياء وفقراء، إذ يكثر السخاء والعطاء والهدايا فى هذا اليوم من الأغنياء للفقراء ويشاركونهم أفراحهم ولعبهم ويصرفون عنهم لوعة الأسى والحرمان.. والمسلمون يستمدون منهجهم هذا من سيرة خير رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم إذ قالت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله على إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج لصلاة العيد؟ فقال: لتلبسها صاحبتها من جلبابها فليشهدن الخير ودعوة المؤمنين.. وهكذا تتجلى صورة العيد فى المجتمع المسلم.. فيكون موسما للبر ويوما للفرح والسرور بنعمة الله.. وتواصيا بالحق والصبر.. وفرصة لتناسي الاحقاد والعداوات وصلة الرحم والتكافل بين الأغنياء والفقراء.. فاحرص - اخى المسلم - ان تكون فى هذا اليوم المبارك كما يحب الله ويرضى.. فى عبادتك.. وخلقك.. ورحمتك للضعيف.. وحنوك على الفقير والمسكين واليتيم، فلتمد لهم يد المساعدة قدر ما تستطيع وكل عام وأنتم بخير.





رسائل جامعية

رسائل جامعية
رسائل جامعية
رسائل جامعية

فى الرياض وفي كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية - قسم الأدب - نوقشت مؤخرا رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير تحت عنوان (شفيق جبرى .. حياته وأدبه)، تقدم بها الباحث/ عبد الله سليم الرُّشيد - المعيد بقسم الأدب بالكلية، تحت اشراف الاستاذ الدكتور/ السيد مرسى أبو ذكري.

وبعد المناقشة قررت لجنة المناقشة المكونة من الاستاذ الدكتور/ السيد مرسى أبو ذكرى، مشرفا، والأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين، عضوا، والدكتور عبد الرازق حسين، عضوا. منح الباحث درجة الماجستير بتقدير (ممتاز).

سبب اختيار الباحث لبحثه:

يقول الباحث في مقدمة رسالته (وكان من لطف الله بكاتب هذا البحث أن وفقه الى دراسة الأدب الحديث الذى يمكن صاحبه من الاطلاع على المذاهب والتيارات المختلفة، شرقية كانت أم غربية، مما يجدر بكل منتسب الى الأدب أن يلمّ ولو بالقليل منها.

ووقع الاختيار على أديب شاعر ناثر، هو شفيق جبرى المتوفى عام ١٤٠٠هـ، وهو من كبار أدباء العربية في هذا العصر، وكان أهم مسوغات اختياره أنه لم يدرس دراسة كافية تضئ جوانب أدبه.

ومن أهم ما كتب عنه: البحث الضافى الذى دبَّجه الدكتور شكرى فيصل بعنوان (شفيق جبرى الشاعر والشعر)، واتخذ من بعد مقدمة لديوانه، وهو بحث قيم، أقام الصوى لمن أراد الدخول فى عالم جبري الشعري.

ثم تأتى دراسة الدكتور عبد الفتاح عفيفي إضافة لا بأس بها، لولا ما خامدها من تسرع فى اصدار بعض الاحكام وعدم شمول، واعجاب مطلق بالشاعر، ثم ان هاتين الدراستين مخصوصتان بشعره.. ومن جيد ما كتب عنه مقالة بعنوان (شفيق جبرى باحثا لغويا) لعبد الفتاح المصرى وهى مقالة قيمة، لفتت النظر الى بعض جهوده اللغوية، ومواضع الجديد فيها، بيد أنها قصيرة لم تشمل إنتاجه اللغوي كله.. ولقد رأيت أن من حق هذا الأديب على النقد والأدب أن يفرد بدراسة مستقلة تستغرق شعره ونثره، وتنبه الدارسين الى أثره فى الشعر والنثر، ودوره فى إثراء الحركة الأدبية في هذا العصر.

خطة البحث ومنهجه :

اشتمل البحث على تمهيد وفصول أربعة:

فأما التمهيد فضمّنه الباحث حديثا موجزا عن الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر شفيق جبري.

وفي الفصل الأول تناول الباحث حياة شفيق جبرى، مفصلا وجوه القول في جوانبها المختلفة.

وكان الفصل الثانى خاصا شعره، وفي مطلعه عرض ديوانه وتحدث عن فائته، وأثبت ما تمكن من جمعه من هذا الفائت والحقه بالبحث مرتبا اياه بحسب القوافى. ثم تناول الباحث شعر شفيق جبرى الوجداني، فشعره الوطنى والسياسى، ثم الشعر الاجتماعى، معقبا ذلك بدراسة فنية لشعره،

ـسري.. حياته وأدبه

مـشـيـرا الى مـضـامـينه، والى خصائصه الشكلية، كما قام بدراسة معارضاته وموسيقاه وأبرز مواضع التميز الفني فيها.

أما الفصل الثالث: فكان مخصوصا بالجانب الآخر من إبداعه وهو النثر، اذ حصر الباحث في مطلعه آثار شفيق جبرى النثرية المطبوع منها والمخطوط، خاصاً كل أثر بمزيد بيان وتفصيل، ثم خصص كل نوع أدبي بمبحث مفرد فكان غرتها فن المقالة، ففن السيرة، ثم أدب الرحلات، ونظرا الى أن دراسة الأديب لا تقف عند آثاره فحسب، ولكن تتطلب دراسة الآراء والتيارات، ومطالعة الآثار المعاصرة، فقد عمد الباحث في **الفصل الرابع** من رسالته الى عقد موازنة بين شفيق جبرى وخليل مردم شاعرين، وبينه وبين محمد كرد على كاتبين وكلاهما معاصر له، ومجتمع معه في سمات كثيره.

ثم أعقب ذلك بذكر بعض آراء الدارسين والنقاد معلقا على بعضها عند الحاجة.

ثم ختم الباحث رسالته بذكر أهم النتائج التى وصل اليها وأشار الى بعض المقترحات بهذا الشأن، ووضع بعد ذلك فهرسا للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

أهم نتائج البحث :

توصل الباحث من خلال بحثه الى نتائج هامه منها:

الأولى: إن اصطباغ شعر جبرى بفكرة الالتزام ناشئ عن تأثير المنازع الوطنية والإنسانية، وإن كثرة الفجائع التى مر بها مع الرهط الأوائل من الشعراء، جعلته يميل الى أدب الالتزام، فصار أدب كفاح ونضال ودفاع عن القيم.

الثانية: لم يكن شعره الوطنى محصوراً في بلده سورية، ولكنه تحدى الاقليمية، متصديا للحديث عن قضايا العرب أجمعين، بتأثير من دعوة القومية العربية التى ثارت عجاجتها في القرن الغابر، وقليلا ما يشير الى القومية الإسلامية التى تتسع أكثر، وتصفو كذلك وتنبل أكثر، بل إن أثر القومية العربية أورده موارد الزلل، ولج به العثار في معان منحرفة بسطت القول فيها في تضاعيف هذا البحث.

الثالثة: إن الشاعر يسلك في مدرسة البارودي التى حافظت على تقاليد الشعر العربي، وكل ما يتصل بشخصيته ومقوماته غير أن هذه المحافظة لم تحل بينها وبين بث عناصر جديدة في أشعارها.

الرابعة: إن ديوان الشاعر (نوح العندليب) لا يمثل كل ما قال من شعر، اذ أهمل هو بعضه، وضاع بعضه الآخر، وقد جمع الباحث في فائت الديوان الملحق ببحثه جزءاً منه بلغ مائتين وستة وثمانين بيتا.

الخامسة: كان لجبري في اسلوبه الشعرى مراحل ثلاث: مرحلة الاحتذاء، ومرحلة الاقتباس، ومرحلة الابداع، وكان له في صناعته الشعرية هذان الاتجاهان: الاتجاه العفوي في مطلع أمره، والاتجاه التنسيقى التنقيحى بعدما اشتد عوده.

السادسة: إن جبرى سابق في النثر سبقه في الشعر، إذ أسدى للمكتبة العربية دراسات فريدة النمط، وذلك في كتابيه عن المتنبى والجاحظ، وفي درسه العناصر النفسية في سياسة العرب، حيث جاء في هذا القبيل بما لم يُسبق إليه. وإن كانت له هَنَات لا يسلم منها كاتب ولا كتاب.

السابعة: من خلال الموازنة الفنية والموضوعية بينه وبين خليل مردم شاعرين وبينه وبين محمد كرد على كاتبين بان علو كعبه في صناعتي الشعر والنثر، وتقدمه فيهما، وأنه لا يقل عن أقرانه حُسْنَ بيان، ولا روعة ابداع، وأنه يسبقهما في نواح، ولا يتقدمانه في نواحٍ أخر، والمرء أبداً سابق أو مسبوق.

بعض مقترحات الباحث :

يقول الباحث ـ بعد أن أوضح أهم ما توصل اليه في بحثه ـ (وحيث ان هذا البحث محدود بحدود، ومقصور على المنهج المختط له، بقيت جوانب في آثار هذا الأديب لم تدرس الدراسة الكافية، وهى ناظرة مشمراً عن ساعد الجد، يُتم ما بدأته مع من سبقوني في تحليل أدبه.

فآراؤه النقدية المبثوثة في كتبه ومقالاته، تشكل مادة ثرَّة، تستحق أن تفرد ببحث مستقل.

كما أن جهوده اللغوية ذات أثر غير منسي، ومن الوفاء له ـ كفاء ما أسدى لهذه اللغة ـ ان يدرس من جهة كونه باحثا لغوياً طلعة.

وبعد.. فإن الباحث/ عبد الله بن سليم الرشيد قد تناول في بحثه (شفيق جبرى.. حياته وأدبه) علماً من أعلام الشعر في العصر الحديث وهو بهذا الصنيع يكون قد اضفى المزيد من الضياء على هذا الشاعر ويكون أيضا قد أثرى المكتبة العربية برسالته هذه التى تناولت حياة شاعراً من شعراء العربية المحدثين.

أعلام.. ومشاعل

"أطلع صديق على مقالات نشرت لي في ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة تحت عنوان من أعلام المسلمين المعاصرين، فاقترح أن اكتب عن الشيخ المجاهد مصطفى السباعي فاعتذرت بقلة المراجع بين يدي رغم أنني تتلمذت على كتب الشيخ السباعي منذ اكثر من عشرين سنة وبخاصة كتابه «المرأة بين الفقه والقانون» و«السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي» وغيرهما. وشاء الله أن أهاتف مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض وأطلب الى الأخ الصديق الدكتور يحي ساعاتي أن يزودني بنسخة من مجلة (حضارة الإسلام) التي صدرت بعد وفاة السباعي رحمه الله وتحدث فيها أصدقاء السباعي وتلاميذه ومحبوه عن شخصية السباعي. وجاءني العدد وحدث أمران دفعاني دفعا لكتابة هذه المقالة."

الدكتور.. مصطفى السباعي العالم.. الفقيه المجاهد

بقلم: د. مازن مطبقاني
المدينة المنورة

أما الأمر الأول فهو أن جريدة الحياة اللندنية نشرت مقالة لـ «موريس أبو ناضر» حول نقد الاستشراق زعم فيها أن كتاب ادوارد سعيد الاستشراق هو أول دراسة نقدية تحليلية للاستشراق. ورغم أن كتاب ادوارد سعيد كتاب جيد في مجمله، لكن عبارة أبي ناضر انما هي من قبيل التعميمات الجارفة (أو الجزافية) فقد غمط حق شيخنا السباعي رحمه الله، حيث كتب السباعي رحمه الله كثيرا عن المستشرقين في مجلة «حضارة الإسلام» وأصدر كتابه الصغير حجما الكبير مضمونا «الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم» ثم كتابه القيم السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي وكذلك كتابه المرأة بين الفقه والقانون.

أما الأمر الآخر الذي حثني على الكتابة فهو أن جامعة اكستر البريطانية عقدت ندوة أو مؤتمراً بمناسبة مرور الذكرى الثانية لوفاة المؤرخ المصري محمد عبد الحي شعبان الذي عمل في هذه الجامعة رئيسا لقسم الدراسات العربية الاسلامية مدة طويلة. وقد اطلعت على بعض إنتاج المؤرخ المذكور فوجدته أساء الى التاريخ الاسلامي بما لم يقم بمثله كثير من المستشرقين. وها هم يحتفلون بذكراه فكم من مؤتمر عقدناه في الجامعات العربية الاسلامية احتفاء بذكرى السباعي رحمه الله، أو أمثاله ممن قدموا جهدا ونتاجا فكريا مباركا؟.

نشأته وتعليمه:

ولد الشيخ مصطفى السباعي عام ١٣٣٤ «١٩١٥» في مدينة حمص السورية لأسرة عريقة في العلم والتدين والجهاد. فقد كان والده حسني السباعي من علماء حمص المعدودين وكان خطيب الجامع الكبير فيها. بدأ رحمه الله تعليمه بحفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية ثم التحق بالمدارس النظامية حتى أنهى الدراسة الثانوية عام ١٩٣٠، ولم يكن التعليم النظامي المصدر الوحيد للتعليم لدى السباعي، فقد كان يحضر مجالس أبيه التي كانت تضم كبار علماء حمص حينذاك. كما كان يتردد الى العلماء، وكان يحب المطالعة كثيرا في كتب الأدب والثقافة عموما.

وفي عام ١٩٣٣ التحق بقسم الفقه في الجامعة الأزهرية بالقاهرة ثم انتقل الى كلية أصول الدين ونال درجة الماجستير منها، اما بحثه للدكتوراه فقد كان بعنوان «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي» التي رد فيها على شبهات المستشرقين حول السنة وبخاصة شيخهم المستشرق المجري اليهودي اجناس جولدزيهر بأسلوب علمي رصين.

حياته التعليمية :

لما كانت مهنة التعليم هي مهنة الرسل الكرام بدأ

السباعي التدريس أولا في المدارس الثانوية بحمص، ولم يجد في المدارس ما يشفي غليله من ناحية المناهج أو الأهداف التربوية فأسس المعهد العربي في دمشق، وكان أول مدير له، وفي عام ١٩٥٠ انتقل للتدريس في كلية الحقوق بجامعة دمشق، ولكنه كان يرى أن الشريعة الاسلامية يجب أن تحظى بكلية خاصة، فدعا الى ذلك وأسهم إسهاما كبيراً في انشائها حتى كان أول عميد لها حينما تأسست عام ١٩٥٥.

وتميز عمله في كلية الشريعة بالحماسة والنشاط العلمي الذي لا يعرف الكلل، فقد أراد أن تكون الصرح العلمي الذي يحرص على الحفاظ على التراث الاسلامي العظيم وكذلك إحياء هذا التراث وجعله الموجه لحياة الأمة في شؤونها الاجتماعية والثقافية والسياسية. وكان من أبرز أعماله عمل موسوعة الفقة الاسلامي. وعمل أول عميد لهذه الكلية، كما ترأس قسم الفقه ومذاهبه في الكلية نفسها. ولم يقتصر عمله على التدريس بل كان له نشاط مكثف في إلقاء المحاضرات العامة رغم ما كانت تسببه له هذه النشاطات من ارهاق شديد، وكان يقاوم متاعبه الجسدية للقيام بهذه المهام الصعبة وكان يقول: «خير لي أن أموت وأنا أقوم بواجبي نحو الله من أن أموت على فراشي فالآجال بيد الله، وإن ألمي من حرمان الطلاب من دروس التوجيه أشد وأقسى من آلامي الجسدية وحسبي الله وعليه الاتكال». وهذا الخلق من السباعي رحمه الله انما أخذه من سلف هذه الأمة الذين كانوا يعيشون حياتهم كلها للدعوة الى الله والى الاسلام، وقد أخذ الغربيون عنا هذا الدأب والنشاط فقد كنت أراجع الكتاب السنوي لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن فوجدت أن الأساتذة لا يكلون عن القاء المحاضرات العامة، واعداد البرامج الاذاعية، والندوات العلمية والمؤتمرات، ويكتبون للصحف والمجلات والدوريات العلمية التخصصية ويؤلفون الكتب. والجامعات في الغرب عموما تحتفي بأساتذتها ذوي الطاقات العلمية البارزة فتكرمهم بتسجيل هذه الأعمال في تقاريرها السنوية وتكرمهم بالجوائز والاحترام والتقدير.

حياته العملية والسياسية :

بالاضافة الى هذه الأعمال التي تحتاج الى فريق من الناس، فقد تطلع السباعي رحمه الله إلى خدمة أمته الاسلامية في مجالات أخرى حيث دخل البرلمان نائبا عن مدينة دمشق، وقد اختير نائبا لرئيس المجلس، كما اشترك في لجنة وضع مسودة الدستور فكان له جهد مبارك في تأكيد هوية البلاد الاسلامية.

ومن المجالات المهمة التي عمل فيها السباعي الصحافة حيث أنشأ عام ١٩٤٧ جريدة «المنار» واستمرت حتى عام ١٩٤٩ حيث تم ايقافها، وفي عام ١٩٥٥ أسس جريدة «الشهاب»، واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٥٨، وفي الوقت نفسه أصدر السباعي مجلة «المسلمون» التي أصبحت تحمل اسم مجلة «حضارة الاسلام» منذ عام ١٩٥٨.

علامات بارزة في حياة السباعي:

ان المتتبع لحياة الشيخ الدكتور السباعي يجدها حياة غنية بالمواقف والنشاطات والإنتاج العلمي الغزير، ومن هذه المواقف مقاومته للغزو الفكري المتمثل في المدارس الأجنبية ومدارس الارساليات التنصيرية، فقد ذكر محمد بسام الأسطواني في الترجمة التي أعدها بمناسبة العدد الخاص الذي صدر بعد وفاة السباعي رحمه الله من مجلة «حضارة الإسلام» (جمادى الآخرة الى رجب ١٣٤٨ ـ تشرين أول الى كانون أول ١٩٦٤) بعنوان «صفحات من جهاد متواصل «ان السباعي رحمه الله تعالي كان صاحب مواهب وحماسة وهمة وإمكانات أكبر بكثير من سنّه، فقد كان من أول أعماله في محاربة الغزو الفكري الّذي اتخذ من المدارس الأجنبية أداة لتنفيذ هذا الغزو» ويضيف الأسطواني: «وكان أول عمل قام به تأليف جمعية سرية لمقاومة مدارس التبشير الأجنبية التي أنشئت بمساعدة وحماية السلطات الاستعمارية الفرنسية أيام الانتداب. هذه المدارس كانت تنفث سمومها الاستعمارية الخبيثة في أبناء (الطبقة الراقية) وتحبب الى طلابها الثقافة الغربية والأخلاق والعادات الافرنجية، وتعمل على إبعادهم عن عقيدتهم وثقافتهم الدينية والعربية، فعمل على محاربتها وأخذ يكتب المنشورات ويعمل على طبعها سراً ويتولى مع رفاقه توزيعها على الناس داعيا فيها الى محاربة الاستعمار ومدارسه ومظالمه وجرائمه».

ولقد بدأ الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى خطوة عملية في مواجهة الاستشراق سبق بها زمنه بعشرات السنين ولكن هذه الخطورة لم تجد من يواصل طريقها اللاحب لذلك عندما ظهر كتاب ادوارد سعيد «الاستشراق» ظن كثيرون أنه أول من فضح الاستشراق وعرّاه وبالرغم من أهمية كتاب ادوارد سعيد الاّ ان أعمال الشيخ السباعي لم تنل ما تستحقه من الاهتمام والإشادة بها، فهي محطة بارزة جداً في المواجهة مع الاستشراق. وقد تمثلت خطوات السباعي أولا برسالة الدكتوراة حول السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي التي تناول فيها المستشرق جولدزيهر، كما فضح كثيرا من الآراء الاستشراقية حول علماء الحديث كالامام الزهري وغيره. وفي عام ١٩٥٦ اتخذت جامعة دمشق خطوة مباركة

السباعي حمل لواء الدفاع عن الإسلام

حيث أوفدت الدكتور السباعي رحمه الله لزيارة الجامعات الغربية والاطلاع على مناهج الدراسات الاسلامية، فزار تركيا وايطاليا وبريطانيا وايرلندا وبلجيكا وهولندا والدنمارك والنرويج وفلندا والنمسا وسويسرا وفرنسا، واجتمع في هذه البلاد كلها بالمستشرقين من أساتذة الدراسات الاسلامية والشرقية. ويضيف الاسطواني أن السباعي جعل من هذه الزيارة فرصة لمناقشة المستشرقين في مؤلفاتهم وتوضيح أخطائهم المنهجية، وكان صاحب حجة وبيان مما دعا بعض المستشرقين الى التراجع عن افتراءاتهم وأخطائهم.

وكان من نتائج هذه الزيارة كتابه الصغير حجما الكبير أهمية وموضوعا «الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم» الذي تحدث فيه عن هذه الجولة وأبرز المناقشات التي دارت بينه وبين المستشرقين، وكم كان مضرا بالمواجهة بين الاسلام والاستشراق أن هذه الخطوة الايجابية الرائعة لم تتبعها خطوات أخرى مماثلة، وبخاصة أن هذه المواجهات كانت تحتاج الى علماء متمكنين في العلوم الشرعية يعتزون بانتمائهم للاسلام لهم حجة قوية وبيان ناصع، وحبذا لو قام أكثر من باحث بدراسة مجلة «حضارة الاسلام» ومجلة «الرسالة» لدراسة مواجهة الاستشراق في بداية الصحوة الاسلامية.

ومما يمكن أن يضاف الى مواجهة الاستشراق الكتابة الايجابية عن الحضارة الاسلامية أو ما يطلق عليه الدكتور أكرم العمري «تمثيل أنفسنا أمام أنفسنا» فقد أصدر الشيخ الدكتور السباعي كتابه «من روائع حضارتنا» أبرز فيه أهم معالم الحضارة الاسلامية، والأسس التي قامت عليها هذه الحضارة واختلفت فيها عن الحضارات الأخرى. وقد كتب الشيخ محمد حميدة أحد علماء المدينة المنورة يؤكد ضرورة أن يقرأ شباب الأمة الاسلامية الذين قد تخدعهم الحضارة الغربية بمنجزاتها المادية وزخرفها هذا الكتاب. واقترح الشيخ حميدة ضرورة ترجمة هذا الكتاب الى اللغات العالمية ليعرف العالم حقيقة حضارتنا.

السباعي عالم مجاهد:

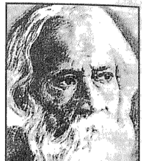
عرف السباعي رحمه الله مسؤولية العلم معرفة حقيقية فهو لم يحصر نفسه بين القرطاس والقلم، ولكنه كان صاحب مواهب قيادية، ففي مصر حيث الاستعمار الانجليزي وقف السباعي في وجه هذا الاحتلال حتى اعتقل عام ١٩٣٤ واستمر الكفاح فاعتقل مرة أخرى عام ١٩٤٠ بتهمة تأليف جمعية سرية لتأييد ثورة رشيد على الكيلاني، وسجن مدة شهرين ثم أطلق سراحه ثم سلّم الى السلطات الانجليزية في فلسطين التي سجنته مدة أربعة أشهر. ثم عاد الى سوريا وفي عام ١٩٤١ ألقي القبض عليه مرة أخرى من قبل السلطات الفرنسية التي تركته في السجن قرابة سنتين ونصف تنقل خلالها في عدة سجون ومعتقلات منها معتقل «الميّه والميّة» و«قلعة راشيا» بلبنان عانى خلالها من التعذيب الوحشي والمعاملة القاسية.

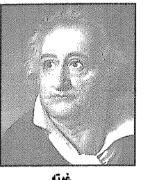
لا شك أن قضية فلسطين كانت محور جهاد الشيخ الدكتور السباعي رحمه الله تعالي، فما أن خرج من المعتقل حتى أخذ يتجول في نواحي سوريا يخطب ويكتب في الصحف ويدعو الشعب السوري للصحوة للمؤامرة الخطيرة التي تحاك للأماكن المقدسة في فلسطين بل فلسطين كلها وحمل السلاح عام ١٩٤٥ حينما شددت السلطات الاستعمارية الفرنسية حملتها ضد الشعب السوري فكان لجهاده أبعد الأثر في تكبيد العدو خسائر فادحة.. وعندما أعلن تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ ما كان أمام هذه الأمة الا الجهاد، قاد الشيخ السباعي كتائب المجاهدين الى فلسطين وهنا أبدى صنوفا من الكفاح والتضحية ولكن المؤامرة كانت تحاك ضد الجهاد في الخفاء فقبلت الدول العربية الهدنة وبدأت بعضها تحارب المجاهدين وتخرجهم بالقوة من المعركة. وما عاد السباعي الى بلده ليستريح ويعيش حياة الدعة بل واصل كفاحه في حث الجماهير المسلمة على مواصلة الجهاد لاستخلاص فلسطين من أيدي المغتصبين اليهود.

رحم الله الشيخ الدكتور مصطفى السباعي رحمة واسعة، فقد كان مثالا للعلماء العاملين الذين ينبغي ان تدرس حياتهم وتنشر أعمالهم.. والله الموفق.

جامعاتنا مقصرة في الاحتفاء بعلمائها

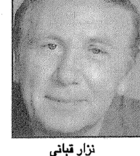
في الخصومات الأدبية والشعرية


طاغور



غوته



نزار قباني


لامارتين

الانفتاح على ثقافات الشعوب تجديد وإثراء للفكر

محمد منذر لطفي
رئيس اتحاد الكتاب العرب
حماة – سوريا

تاريخ الأدب .. وتاريخ الشعر .. مليئان بالخصومات الأدبية، ومن المسلّم به أن تلك الخصومات (محلياً وعلى الصعيد الخارجي) تنطلق من «التعصب» وعدم النظر إلى أعمال الآخرين بعين الاحترام والتقدير بالرغم من أنها قد تكون مؤهلة لذلك، وتحمل في طياتها ما يدعو إلى الاحترام والتقدير حقاً وفي هذا الصدد يقول المرحوم «سهيل عثمان» في مقالة نقدية قرأتها له منذ مدة ما يلي:

«إن جوهر شخصيتنا الحضارية هو التسامح واحترام الاجتهادات والانفتاح على التراث الإنساني للمجهودات الفكرية بشكل خاص، ولذلك تميز تراثنا بالغنى، والتنوع اللذين يحق للإنسانية أن تحافظ عليهما، وتفخر بهما.. فكيف يكون موقفنا.. ونحن الأمناء عليه..؟

إننا مكلّفون باحترامه وتطويره، لا بنبذ هذا الجانب أو ذاك بناء على إلحاح أي تعصب كان، وما ينطبق على الماضي ينطبق على الحاضر أيضاً، فليس من الحكمة أن يرفض أحدنا اجتهاد الآخر أو ينفي وجوده لمجرد أنه ليس نسخة طبق الأصل عنه، أو ليس من عشيرته الأقربين..!

وفي رأيي أن ما ذكره المرحوم «سهيل» هو الصواب عينه، فليس أقتل للفكر الرائد والشعر الأصيل من ظاهرة التعصب السلبي الذي يمارسه «البعض» ضدهما.. ومن ظاهرة التشابه والتكرار نتيجة القوقعة حول الذات، وعدم احترام آراء الآخرين «أيّاً كانت هوياتهم ومسؤولياتهم وأمكنتهم المتقدمة في الصف الأدبي» وبالتالي عدم فتح نوافذنا لأنسامهم وأضوائهم، علّنا نأتي المجتمع منها بقبس، أو نجد عليها الهدى والرشاد، مع أن معظم مفكري وشعراء العالم وأدبائه في الشرق والغرب على حد سواء أشاروا إلى ضرورة ذلك.. ودعوا إليه، وها هو ذا أديب الهند وفيلسوفها وشاعرها الأكبر [رانبدرات طاغور] يقول حول هذا الموضوع:

«يسعدني أن أفتح نوافذ غرفتي الأربع للأنسام والرياح الإنسانية كافة لأطلع عليها، وأتفاعل معها، وأقبس منها كل ما من شأنه أن يغني تجربتي المحلية وأفكاري وألواني، ولكني أنكر على واحدة منها أن تقتلعني من جذوري.. وتذهب بمعالمي.. وتطمس هويتي الأصلية الأصيلة».

ويقول شاعر ألمانيا الأكبر «غوته» في هذا المجال أيضاً:

«إننا إذا لم نباشر في التطلع حولنا خارج نطاق الحلقة الضيقة المحيطة بنا، فلا شك أننا سنصاب بعقم فني، إنني أشعر بلذه هائلة عندما أتمتع بثمار

الأمم والشعوب الأخرى، ولهذا فأنا أنصح كل شخص أن يحذو حذوي، إن الأدب المحلي لم يعدله معني كبير.. لقد بدأ عصر الأدب العالمي غير المحدود..!»،

والشعر.. بطبيعته الخاصة، وشفافيته المفرطة، أكثر أجناس الأدب تأثرا - سلبياً - بتلك الظواهر، وبخاصة ظاهرة «النسخة طبق الأصل» والاجترار الذاتي أو الجماعي، وقد حارب النقاد المعاصرون المنصفون ذلك بشدة «محلياً.. وعلى الصعيد العالمي» ويحضرني في هذا المقام قول الشاعرة الألمانية المجددة «إيفا شتريت ماتر» الذي يلتقي فيه معها الشاعر والناقد السوري المعروف الدكتور «أسعد علي» حيث تقول:

إن الشعراء كالأشجار.. فكما أن الأشجار تتشابه في الاشتراك بتلقي دورة الفصول الأربعة.. ولكنها تختلف في العطاء زهراً وثمرا.. كذلك الشعراء، فإنهم يتشابهون في الاشتراك باستجاباتهم لأحداث الحياة حزناً وفرحا.. ألماً وأملا، ولكنهم يختلفون في مستوى الصيغ الفنية، ويتفاوتون في جودة الإنتاج.. كما يختلفون أيضاً في الزوايا التي ينظرون من خلالها إلى الموضوعات الشعرية الواحدة، مع أنهم يستجيبون لتلك الأحداث الحياتية نفسها، وينفعلون جميعاً بتلك الموضوعات ذاتها.. وإلا فكيف يحق لنا أن نطلق عليهم اسم «شعراء» كيف..؟

ولكن هذا التفاوت في مستوى الفنية وفي نسبة جودة الإنتاج.. وذاك الاختلاف في زوايا النظر إلى الموضوع الواحد، يجب ألا يُسقطا - برأيي - من حسابهما - وفي الأحوال كافة - توفر الحد الفني الأدنى المطلوب والمتعارف عليه في العمل الشعري عند حساب قيمته ومكانته، ذلك الحد الذي يوصل صاحبه في نهاية المطاف إلى درجة مقبولة في السُّلَّم الأدبي، ويُخوِّله بالتالي

الشعراء كالأشجار تشترك في تلقي الفصول الأربعة وتختلف في العطاء

حمل لقب «الشاعر» عن جداره، وإلا نكون قد أضعنا الشعر والشعراء والآخرين.

من هذا المنطلق بالذات تتكون لكل أدب من آداب الأمم والشعوب نكهته الخاصة به.. التي تميزه عن غيره من الآداب العالمية الأخرى، ومن المُسلَّم به أن أكثر من عامل يشترك في بلورة تلك النكهة وإبرازها إلى حيز الوجود، وبالتالي إكساب ذلك الأدب مناخاً وأبعاداً خاصة به تُخوله في نهاية المطاف حمل هوية واضحة المعالم والسِّمات يدخل بواسطتها الأدب الإنساني من أوسع الأبواب.

وقد يشترك أدب أو أكثر يعيش على أحد مسارح الحياة.. مع أدب أو أكثر أيضاً.. ويعيش هو الآخر على مسرح آخر من مسارح الحياة ببعض الميزات والصفات، كأن يشتركا - على سبيل المثال - بطرق التفكير، وطبيعة المعالجة الفنية، والظلال والموسيقى والألوان، إلا أن اللمسات الفنية الخاصة، والبصمات المميزة التي تحمل معها طعم ومذاق النبع الأم تبقى جلية واضحة مهما تقاربت الموضوعات المتناولة والمدارس الأدبية المستخدمة في إخراج تلك الموضوعات.

وكما أن لكل كاتب أو شاعر ميزاته التي تنبع من طبيعته الخاصة وطبيعة البلد المصدِّر له، كذلك فإن هذه الطبيعة الخاصة للأدباء والشعراء، وكذلك الزوايا التي يعالجون من خلالها موضوعاتهم وأفكارهم تختلف هي الأخري من بلد لآخر.. ومن زمن لآخر أيضاً.

ولتوضيح هذه النقطة بشكل عملي فقد رأيت من المفيد أن أضرب مثلاً حيّاً على ذلك.. مستقى من واقع الحياة والإنسان ويتعلق بموضوع، يُمثِّل بحد ذاته شجرة الحياة ونبعها المستمر، كان الناس في مشارق الأرض ومغاربها وما يزالون.. وسيبقون بمثابة أزهاره وثماره.. بمثابة أزهار وثمار تلك الشجرة المباركة الخالدة شجرة الحياة.. إنه موضوع الحب.. وكيف ينظر الشعراء إليه في الشرق والغرب.. وكيف يتغزل الشاعر الأوربي بالمرأة على سبيل المثال.. بعد أن عرفنا الكثير عن

الغزل العربي قديمه وحديثه.. بدءاً من «امرىء القيس» وانتهاء «بنزار قباني»..؟

لقد وقعت في حيرة من أمرى عندما بدأت أبحث عن نموذج لشعر الغزل في أوربا، لأنني اخترت بادىء ذى بدء الشاعر الفرنسي الخالد «لامارتين» وقصيدته الخالدة «البحيرة» ولكن شهرتها التي عمت الآفاق جعلتني أعدل عن تقديمها، وبالتالي أبحث عن نموذج آخر بديل لها، وأخيراً وجدت ضالتي المنشودة في قصيدة [المجد للمرأة] المترجمة للعربية.. التي أبدعتها شاعرية الشاعر والكاتب المسرحي النرويجي الشهير [هنريك إبسن] .. فماذا تقول تلك القصيدة.؟

«كانت روحها نشوى، في الوقت الذي كان فيه قلبي يرقص طرباً، وأخذنا نعبر البحيرات المتجمدة.. يدفعنا فرح الحياة، ويولِّد فينا المسرَّة والحبور وحب الغناء، ولما بلغنا الحدائق الموشاة بالظل والأزهار.. أدهشنا أن نجد في حفيف أشجارها.. ووشوشة نسائمها.. وزقزقة عصافيرها.. وعزف سواقيها النشوة نفسها التي ملأت قلبينا.

كل شيء في الحديقة يشبهنا، وكل شيء في الكون كان يتجه مثلنا نحو الضياء الغامر والسعادة العذراء، حتى النسغ.. فإنه راح يندفع في قلب الشجرة وشرايينها بحماسة رائعة ليمنحها الأوراق والأزهار.. تماماً كعبقرية الشاعر التي راحت تندفع بحماسة وحيوية هي الأخرى أيضاً في روحه وقلبه لتمنحهما الفرح الغامر واللحن الآسر.

ما أحوج الحياة إلى البسمة والضياء.. وما أحوج الشاعر إليهما أيضاً، إنهما علامة الحياة، وفيهما يجب أن تعيش المرأة .. ويعيش معها الشاعر الذي

القصيدة التي تملك رصيداً فنياً رفيعاً يكتب لها البقاء

يكتشف فيها وحدها مفردات الشعر.. ويجد في ضوء عينيها أروع تلك المفردات التي تَخضر وتزدهر وتتحول إلى مرحٍ وابتسام وأغاني عذاب.. فلأمجد حبيبتي إذن .. لأن الشعر يصدر عنها.. وينتهي إليها، ولنُمَجِّد جميعاً المرأة في كل مكان وزمان.. فحيثما تكن يجد الشاعر الفرح والربيع.. والدفء والسعادة.. والأمل والنور، فيرتفع صوته بالضحكات والأناشيد..

فالمجد للمرأة.. صانعة الفرح الأكبر في نفس الشاعر، المجد للمرأة التي تجعل من حياته نوراً مستمر التوهج.. وربيعاً دائم الخضرة والعبير..!

وأعتقد جازماً أن أي قارىء يفرغ من قراءة هذه القصيدة النموذج، لابد له أن يستشف - بكل وضوح وبساطة - الخصائص الفنية المستقلة الخاصة بكل غزل، وأن يكتشف بالتالي صحة مقولة الشاعرة الألمانية المعاصرة [إيفاشتريت ماتر] المذكورة آنفاً حول تشبيهها الشعراء بالأشجار عندما تتعرض لدورة الفصول.. وكيف يختلف عطاء الشعراء في مشارق الأرض ومغاربها على الرغم من تعرضهم لموضوع واحد.. تماماً كما يختلف عطاء الأشجار على الرغم من تعرضها هي الأخري لحدث واحد.. وأعني به دورة الفصول.

هذا من جهة.. ومن جهة أخرى فإنه في عالم الأدب والوانه وأجناسه لا يستطيع الكاتب أو الشاعر أن يعتبر أن الحق بجانبه كلياً، وأنه المالك الوحيد له وحده، نظراً لتنوع المدارس الأدبية وتعددها، واختلاف إمكانات الشعراء.. وتعدُّد وتلون الرؤى والزوايا التي ينظرون من خلالها إلى الأشياء والموضوعات، فالحق يملكه الجميع، ولكل واحد نصيب منه، لأنَّ له توهجاته وإشعاعاته الخاصة به - بغض النظر عن تفاوت كميتها قياساً إلى كمية توهجات وإشعاعات الآخرين - كما أن لكل مدرسة شعرية أدبية إيجابياتها الخاصة بها.. المميزة لها.. التي تعطيها في نهاية المطاف هويتها المستقلة المتفردة، وهذا ما أتاح المجال لظاهرة «إمكانية تحميل الشعر أكثر من تفسير»، لأنه يُقرأ بألف أسلوب وأسلوب.. ويُفسَّر بألف أسلوب وأسلوب أيضاً، وبخاصة

«الحديث» منه كما قال الشاعر [نزار قباني] ذات يوم، ومن هنا بالذات تأتي أهميته وعظمته، فهو باب مفتوح لكل القناعات والاجتهادات.. ومادة للجدل لا تنتهي.. ولكن ضمن حدود عدم الخروج عن الأصول.

كل ما تقدم بالنسبة للنوع والجودة، أما بالنسبة للبقاء والخلود.. فلا يختلف اثنان في صحة المقولة التي تنادي بأن البقاء للأصلح.. وللأصلح وحده، وأن العملة الجيدة هي التي تطرد على الدوام العملة الرديئة من الأسواق، وهذه البدهية أو المسلّمة لا تنسحب فقط على المسارح الحياتية بأنواعها.. وإنما تتعداها لتشمل المسارح الأدبية كافة أيضاً.. بما فيها الشعر، فالبقاء للأصلح على الدوام، والقصيدة التي تملك رصيداً عالياً من مقومات الجودة والفنية والأصالة والحداثة والمعاصرة هي وحدها التي تستطيع طرد القصيدة التي تفتقر الى مثل تلك المقومات والمواصفات من الأسواق الأدبية.

وكما أن الأرض تطلع فصائل من النباتات والأزهار.. لا أحد يعرف أسماءها.. ولا ظروف تكوّنها.. ولا خصائصها العضوية، ثم لا تعترض عليها ولا تحتج.. وإنما تتركها تواجه حياتها وقدرها.. فإن استطاعت التلاؤم مع التربة والمناخ بقيت واستحقت حياتها.. وإذا فشلت في التكيف طوَتْ أوراقها وماتت

الساحة الأدبية تحتاج للناقد البصير المنصف

كما قال الشاعر [نزار قباني] ذات يوم أيضاً، كذلك فإن كوكب الشعر أشبه شئ بتلك الأرض.. والشعراء فيه على اختلاف مدارسهم ومداراتهم - أشبه شئ بتلك النباتات والأزهار، فمن استطاع منهم أن يأتي بالأصيل الجديد، وأن يمثّل ضمير الأمة ويترجم الآلام والآمال، وأن يضرب بجذوره في باطن الأرض.. وينشر الخضرة والزهر والثمر على السطح، وأن يسجّل نقاطاً إيجابية جديدة في لوحة الشعر والأدب، فسيكتب له ولتجربته وملكته البقاء والخلود، ومن لم تتوفر فيه مثل تلك المواصفات والمعطيات والعناصر.. فإن الرياح ستذروه وتجربته.. والنسيان سيطويهما بردائه الرمادي، مهما حاول أن يهلّل له «لا موضوعياً.. وإلى حين» الهتّافون والدجّالون والمنتفعون من عناصر «شلّته» الأدبية أو أبناء عشيرته الأقربين،

الرأي المستنير الصادق لا يولد خصومة

على حساب العناصر الأصيلة الحقة.. والتجارب الرائدة المميزة التي تركت بصماتها الواضحة في سجل الشعر والأدب المعاصرين، والتي لم يعد باستطاعة أحد أن يمحوها.. أو يسقطها حتى ولا «بالضربة الفنية القاضية» إن صحّ التعبير، فكيف إذا كانت قبضة صاحب تلك الضربة من عجين..؟.. وكيف إذا راح يسعى الى تحقيق ذلك بالكلام الذى ليس له أي رصيد موضوعي على صعيد الواقع الأدبي المعاش والملموس، وقد فات أمثال هؤلاء الناس ممن تقدم ذكرهم ووصفهم أن هناك بعض الشعراء والأدباء - على قلّتهم الواضحة - قد قطعوا مرحلة الحديث عنهم [سلباً أو إيجاباً]، ولم يعد يهمهم الالتفات الى الوراء، ولا إلى ما يُكتب عنهم، وليس مردّ ذلك غرورهم أو فوقيتهم - كما يحلو لبعض من في نفسه مرض أن يقول - وإنما لسبب بسيط واحد.. يتمثل بأن هذا «البعض» من الشعراء قد اكتشف أثناء تحليقه الشعري كواكب وأقماراً جديدة في سماء الشعر لم يكتشفها قبله أحد.. ولم تطأها قدم شاعر من قبل، في الوقت الذي ظل فيه الشعراء - الذين يهلل لهم أولئك الهتافون والدجالون والمنتفعون «يراوحون في أماكنهم» على أرض الشعر.. ودون أن ينبت لأحد منهم أي جناح يساعده على التحليق.. أو حتى على الطيران.!

من حجازيات باكثير المجهولة

خص الدكتور محمد ابو بكر حميد المنهل بمجموعة من قصائد أديب العربية الكبير المرحوم على احمد باكثير التى نظمها خلال الفترة التي امضاها بالحجاز سنة ١٣٥٢هـ، ومن المعروف ان الدكتور حميد يعمل منذ سنوات طويلة على جمع المخطوط نثراً وشعراً من تراث باكثير. وقد أتم أخيرا جمع شعر باكثير الذى نظمه في عدن والحجاز وسيصدر قريبا في ديوان بعنوان «صدى عدن وأنفاس الحجاز» وقد أصدر الباحث قبل سنوات ديوان شعر باكثير في حضرموت المسمى «ازهار الربى فى شعر الصبا» وستنشر المنهل تباعاً بعض حجازيات باكثير المجهوله.

وصل علي احمد باكثير (١٣٢٨ - ١٣٨٩هـ) الى جدة قادماً من عدن بحراً في ١٤/ ١٢/ ١٣٥١هـ ونشرت جريدة «صوت الحجاز» خبر وصوله فى اليوم التالي ١٥/ ١٢/ ١٣٥١هـ الموافق ١٠/ ٤/ ١٩٣٣م، وأمضى شاعر حضرموت في المملكة قرابة عام متنقلا بين جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف مرحبا به أدبياً ورسمياً حيثما حل وانتقل، ودارت بينه وبين أدباء الحجاز في هذه المدن الأربع مساجلات شعرية وربطته بهم صداقات متينة خاصة بمؤسس هذه المجلة الشيخ عبد القدوس الانصاري، واستمرت هذه الصداقات حتى بعد مغادرة باكثير الى مصر فى آخر شهر شوال ١٣٥٢هـ.

ومن المعروف ان باكثير من ابناء الحضارم الذين ولدوا فى مهجرهم الشهير «جاوا» اندونسيا اليوم وقد عاد باكثير منذ صغره الى حضرموت وطنه حيث تربى ونشأ ونبغ وبقيت والدته وبعض اخوته هناك ومنهم أخوه الشاعر حسن احمد باكثير الذي زامله في الدراسة بمصر فيما بعد.

وهذه قصيدة عتاب بعثها الى أهله هناك من الحجاز بعد انقطاع رسائلهم عنه لفترة من الزمن.

الى متى أهلي ؟!

أرسلها من مكة المكرمة الى أخيه حسن فى «سورابايا بجاوه» بعد ان طال غياب رسائل أهله عنه:



باكثير

شرح وتقديم:
د. محمد أبوبكر حميد
قسم الاعلام/كلية الآداب
جامعة الملك سعود

مالي أرى أهلي «بجاوة» قطعوا ... حبل الوصال وما ارتكبت جليلا

أوكلّما يأتي كتابي نحوهم ... تخذوا الصموت عن الجواب بديلا

والحال أني في انتظار جوابهم ... كالطير في قفص يريد سبيلا

اتطلع الأخبار من هذا وذا ... فلعلّ مكتوباً يبل غليلا

فأؤوب لا ألقي الكتاب ولا أرى ... عذراً يسوغ منهم التأجيلا

طال الترقب ، فالفؤاد ممزّع ... ويكاد صبري أن ينوب ذبولا؟

فإلى متى أهلي ؟ إلام صموتكم ... وعلام هذا الهجر صار طويلا

أيجوز هجركمو فتى بعُدت مغا ... نيه فأورثه البعاد نحولا

يمسي ويصبح والحنين يهيجه ... وتثيره الذكرى ضحى وأصيلا

جازيتموني بالوصال قطيعة ... فإلى من الشكوى تنال قبولا؟

هذا ولا تروا العتاب مذمة ... وعليكمو منى السلام جزيلا

على احمد باكثير

مكة المكرمة ١١/ ربيع اول ١٣٥٢هـ

ألا ليت الشباب يعود يوماً

عن المشيب قالوا..

عن المشيب قالوا..
عن المشيب قالوا..

الشباب والمشيب مرحلتان من مراحل عمر الإنسان يمر بهما في هذه الحياة، فالشباب ذروة القوة والفتوة والكمال والمشيب الشيخوخة والنهاية والكبر وقد ورد ذكر المشيب عند كثير من الشعراء فمنهم من يمدحه ويجعله حلية العقل وسمة الوقار ومنهم من يذمه ويجعله علة وداء. وسنعرض لبعض القصائد والأبيات الشعرية التي ذكر فيها المشيب ومن ذلك قصيدة عظيمة ورائعة للفقيه الزاهد والإمام العابد «ابن عمران» يذم فيها الشباب ويمدح المشيب فيقول:

ذهب الشباب بجهله وبعاره
وأتى المشيب بحلمه ووقاره
شتان بين مُبْعَد من ربه
بغروره ومُبَشّر بجواره
مازلت امرح بالشباب جهالة
كالطرف يمرح معجباً بعذاره
لم أحْظَ منه بطائل غير الأسى
وتندم مني على اوزاره
والنفس تركب غيّها لا ترعوي
عنه ولا تصغي إلى انذاره
لهفي علي عمر يمر مُضيّعاً
مُحْصيِ عليَّ بلَيْلِه ونهاره

ومن الشعراء الذين مدحوا المشيب «دعبل الخزاعي» فنراه في الأبيات التالية يعزي نفسه ويسليها مرحباً بالمشيب فيقول:

اهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه
سمة العفيف وحلية المتحرج
وكأن شيبي نظم در زاهر
في تاج ذي ملك اعزَّ متوج

«ولبديع الزمان الهمذاني» فصل كامل في مدح الشيب وذم الشباب حتى إنه قال «بئس الداء الصبا وليس دواؤه إلاَّ انقضاه» ومن الأبيات التى ذكرها في مدح المشيب قوله:



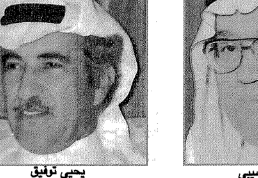
محمود سامي البارودي



البحتري



الدكتور القصيبي



يحيى توفيق

عبده علي اسماعيل الحازمي
جازان

يا من يعلل نفسه بالباطل
نزل المشيب فمرحباً بالنازل
إن كان ساءك طالعات بياضه
فلقد كساك بذاك ثوب الفاضل
لا تبكِينَّ على الشباب وفَقْدِه
لكن على الفعل القبيح الحاصل

وهناك الكثير من الشعراء يتذمرون من المشيب ويندبون الشباب ويتمنون عودته ورجوعه وقد صور لنا ذلك «ابو العتاهية» في أبيات شعرية رائعة صارت مضرب الأمثال فيقول:

عريت من الشباب وكنت غضاً
كما يَعْرَى من الورق القضيب
ونُحْتُ على الشباب بدمع عيني
فما نفع البكاء ولا النحيب
فياليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب

وللشاعر «البحترى» موقف غريب وعجيب مع المشيب

فقال هذه الأبيات يسلي نفسه عن الشيب والمشيب فيقول:

عذلتنا في عشقنا أم عمرو
هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمة ألمّ بها الشيب
فريعت من ظلمة في شروق
وسواد العيون لو لم يملح
ببياض ما كان بالمرموق
اي ليل يُبهي بغير نجوم
وسحاب يُندي بغير بروق

ويصور لنا الشاعر «محمد بن عثيمن» ايام الشباب والصبا ويسلي نفسه بتلك الايام الجميلة فيقول:

خليلي ودعت التصابي وفوضت
مآرب لي في ربعه ومواقف
وأذّن صبح الشيب في ليل لمتي
ففئت ولكني على الليل اسف
وباعد من كنّا نسير بقربه
وآخر مطوي عليه اللفائف
رجال واوقات وشرخ شبيبة
مضوا وزمان بالحبيب مساعف

ولكون المشيب منذراً بزوال الشباب وذهابه فقد صور الشعراء هذه الحقيقه ولاموا انفسهم على اللهو والتفريط ومن ذلك ما قاله الامام ابن حزم:

ولمّا رأيت الشيب حلّ بمفرقي
نذيراً بترحال الشباب المفارق
رجعت إلى نفسي فقلت لها انظري
إلى ما أتى هذا ابتداء الحقائق
دَعِي دعوات اللهو قد فات وقتها
كما قد افات الليل نور المشارق

ويصور لنا الشاعر «حبيب بن احمد الاندلسي» تلك الحقيقه حقيقة التفريط وقرب الرحيل والندم على ما فات من عمره فيقول:

ثلاثون من عمري مضين فما الذي
أؤمل من بعد الثلاثين من عمري
أطايب أيامي مضين حميدة
سراعاً ولم اشعر بهنّ ولم ادر
كأن شبابي والمشيب يروعه
دجى ليلة قد راعها وضح الفجر

وللشعراء في عصرنا الحاضر الكثير من القصائد الشعرية في وصف الشيب والمشيب ومن ذلك ما قاله الشاعر المعاصر «محمود سامي البارودي» متذكراً أيام شبابه ومعزياً نفسه وما آل إليه حاله عند كبر سنه فيقول:

كيف لا اندب الشباب وقد اصبحـ
ـتُ كهلاً في محنة واغتراب
اخلق الشيب جدتي وكساني
خلقة من رثة الجلباب
ولوى شعر حاجبيَّ على عيـ
ـني حتى اطلَّ كالهدَّاب
لم تدع صولة الحوادث مني
غير اشلاء همة في ثياب

وللشاعر السعودي المعاصر الدكتور «غازي القصيبي» قصيدة رائعة يتحدث فيها عن الشيب والمشيب مخاطباً ابنته «يارا» فيقول:

مالت على الشعرات البيض تقطفها
يارا وتضحك لا ارضى لك الكبرا
يا دميتي هبك طاردت المشيب هنا
فما احتيالك في الشيب الذي استترا
ما الشيب ان تفقد الألوان نظرتها
الشيب ان يسقط الانسان مندحرا
وما بكيت على لهوي ولا مرحي
لكن بكيت على طهري الذي انتحرا

وللشاعر السعودي المعاصر «يحي توفيق » قصيدة بعنوان « صرخة غريق » يصور فيها اثر المشيب عليه بعد ان اصبح كهلا وعافه اصحابه واحبابه فيقول :

ذهب الشباب فما تطيب حياتي
ومضى زمان الحب والصبوات
امسيت كهلا لا اروق لناظر
كابي المحيّا حائر النظرات
لم يبق حتى غير جسم ناحل
وانين قلب دائم الحسرات
واليوم غيرني المشيب فعافني
اهل الهوى ورفقتي ورواتي

وايضا للشاعر السعودي المعاصر «حسين احمد النجمي «قصيدة بعنوان «حسرة وندم عند المشيب » يقول فيها :

أقمت عند مشيب الشعر تنتحبُ
وقد قضيت شباباً كله لعب
وبعد قوة أعضاء وشدتها
قد اصبحت يعتريها الجهد والتعب
وكل اعضائك اللاتي فخرت بها
قد اصبحت من صروف الدهر تضطرب

وهكذا صور الشعراء اثر المشيب على نفوسهم في مختلف العصور وسيظل الشيب والمشيب عظة وعبرة للشعراء وغيرهم يذكرهم بالرحيل والنهاية ، وصدق الافوه العبدي حين قال :

اشاب الصغير وافنى الكبير
مر الغداة وكر العشي
نروح ونغدو لحاجاتنا
وحاجات من عاش لا تنقضي

هوامش

(١) قول على قول / حسن الكرمي / دار لبنان للطباعة والنشر -بيروت لبنان .

(٢) المجموع المنتخب من المواعظ والادب/ زامل الصالح.

(٣) المجموعة الشعرية الكاملة د/ غازي القصيبي/ مطبوعات تهامه الطبعة الثانية عام ١٤٠٨هـ

(٤) اودية الضياع ديوان شعر/ يحي توفيق/ دار العلم للطباعة والنشر ـ جده.

(٥) الامل ديوان شعر/ حسين احمد النجمي/ مازن للطباعة بأبها الطبعة الاولي عام ١٤٠٥هـ.

«آرنولد بينيت» والتي

بقلم:
د. عبيد خيري

جامعة الملك عبدالعزيز
المدينة المنورة

المعايير الفكتورية الصارمة للأدب كان لها بعض الأثر في كتابات بينيت

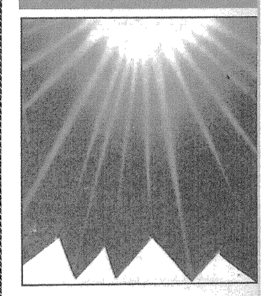
ولد آرنولد بنيت في هانلي، ستافوردشير، في عام ١٨٧٦م، وهذه المقاطعة مشهورة بصناعة الخزف الذي استخدمه آرنولد بنيت مادة لرواياته، وبعد اتمامه المرحلة الثانوية عمل أولا مع والده الذي كان محامياً عصامياً، ثم انتقل إلى لندن حيث عمل كاتب اختزال مع شركة للمحاماة، ومن ثم بدأ في الكتابة لتحسين وضعه المالي، وفي عام ١٨٩٣م أصبح محرراً مساعداً في مجلة «المرأة» الإسبوعية وكان مختصاً بعرض وتلخيص الكتب وكتابة بعض المقالات في مواضيع عامة، واستمر على ذلك المنوال بقية عمره.

وفي عام ١٩٠٣م انتقل آرنولد بنيت إلى باريس حيث التقى ببعض الشخصيات أمثال تورجنيف والمؤلف الموسيقى رافيل، وفى عام ١٩٠٧م بنى بفتاة فرنسية (افترق عنها في عام ١٩٢١م) وفي العام التالي انتقلا إلى انجلترا.

ومن الوجهة السياسية كان آرنولد بنيت اشتراكياً، وقد حاول تشجيع العدالة عن طريق الاشتراك المباشر في العمل السياسي، وفي هذا السياق فإنه قريب من تشارلز ديكنز الذي عرى للقراء الفقر المدقع الذي عاشه الملايين من الانجليز، وخلافاً لجورج جسنج فإن آرنولد بنيت رأى روعة البطولة فى الفقر والبؤس والاضطهاد الذي ساد في ذلك العصر، وكان يرمي من وراء ذلك إلى تحقيق تصوير أكثر صدقاً وإحاطة وتعاطفاً بالحياة البشرية من غي دو موباسان أو إميل زولا، لذا فإنه يدعم الحبكة ليحقق تعاطفاً وفهماً ومواساة من جانب القراء لشخصياته فيما يتعرضون له من نكبات وكوارث وبؤس صراح.

وكآرائه السياسية فإن معتقداته الدينية كانت إنسانية مصبوغة بدرجة ملحوظة من التسامح الديني، فهو يعتقد بصدق في محدودية العقل البشري، لذا فإنه ينأى عن الحدس فيما يتعلق بالواقع المحض، وهو في واقع الأمر يستغرب فيمن يعتقدون باصرار بأنهم يملكون كل الإجابات عن الأسئلة المتعلقة بالواقع المطلق، وإذا أحس بميل نحو الإذعان لمثل تلك المعتقدات الدينية فإنه يصطدم بصرامة المنطق الذي أقره على تفكيره، لأن اللامتناهي في معناه الدقيق بعيداً عن إدراك العقل المحدود، ويمكن للمرء أن يتأمله على أن يستبعد الإجابات المبنية على التعسف والتعصب لأن العقل البشرى بطبيعته - كما يورد آرنولد بنيت -

مساحة للضوء



علينا أن ننقل من الثقافة الغربية لحاضرتنا بقدر وميزان..
وعلينا أن نفيد منها لاثراء ملكاتنا..
وعلينا أن ننهل من معينها المتفق مع حضارتنا ومثلنا ومقوماتنا..

...ـارات الفكرية التي أثرت في رواياته


بلزاك


تشالز ديكنز


آرنولد بينيت

كونستانس.. في رواية الزوجات القواعد

قاصر عن استجلاء أو إلقاء ضوء على حقيقة اللامتناهي.

وفي الأساس فإن نظرة آرنولد بنيت للحياة والكون وشخصه كانت نظرة جمالية، لأن دراسته في كنيسة ويزليان الميثودية كان لها الأثر الواضح في نمو عقليته، وهناك إشارات - رغم أنها لاذعة - لا تخطئها العين في كل رواياته الدائرة حول المدن الخمسة، ولفهم دقيق لرواياته يجب أن نوجه اهتمامنا لإحدى السمات البارزة للكتاب الطبيعيين الفرنسيين الذين كتبوا تحت تأثير الاكتشافات العلمية.

كانت نظرة آرنولد بنيت مطابقة للكتاب الطبيعيين الفرنسيين فيما يتعلق بالحالة البشرية، وتعكس رواياته ذلك بجلاء، وبينما تشبعت خلفيته الروحية بآراء هؤلاء الكتاب فإنه عاش في عصر كان الأدب فيه مرآة للمعايير الفيكتورية الأخلاقية الصارمة، وقد شدته هذه المؤثرات المتعددة إلى اتجاهات متقابلة مما أدى به إلى منهج وسط ومعتدل لكنه صرخ في رفضه للأخلاقيات الفيكتورية.

وآرنولد بنيت في واقع الأمر مدين للطبيعيين الفرنسيين أمثال بلزاك وفلوبير وموباسان وزولا والأخوين جونكور الذين تركوا بصمات عميقة واضحة في تفكيره، فهو يحدثنا بانه كان ينفق جل ماله في شراء الكتب الفرنسية المنقولة إلى الانجليزية، ويعكف على قراءتها وتمحيصها والإعجاب بها، عندما كان يافعاً ويعمل في مكتب والده للمحاماة(١)، كما تأثر أيضاً بالروائيين الروس إذ أخذ عنهم غرس الشفقة في الذهن دون النزعة للتأثر بالعاطفة لا العقل، وبالتالي يمكننا استبعاد أي أثر واضح للكتاب الانجليز خلا جورج مور الذى أثر على عقليته وتفكيره، حيث أشار آرنولد بنيت نفسه بأن رواية جورج مور «زوجة الممثل» قد أوحت له بالكثير وأثرت في كل أعماله الأدبية بصورة أوضح من أي رواية روسية أخرى(٢)، ولكن تناول جورج مور لمنطقة صناعة الخزف يختلف تماماً عن تناول آرنولد بنيت لهذه المنطقة، حيث إن البيئة عند جورج مور لم تفرض نفسها على الشخصيات بينما نجدها عند آرنولد بنيت مؤثرة للحد الذي يجعلها العامل الأساسي في تكييف شخصياته.

ونتيجة لتبحره في الرواية الواقعية الفرنسية كتب آرنولد بنيت روايته «حكاية الزوجات القواعد» مضاهاة لرواية موباسان «العمر لحظة» ولقد أومأ إلى ذلك في تصديره لروايته هذه(٣)، وجدير بالذكر ان تأثير موباسان على آرنولد بنيت ملحوظ في العلاقة بين شخصية كونستانس وابنها سيرل على وجه التحديد، وقد اكتسب آرنولد بنيت أسلوبه الأدبى من تأثير موباسان من جهة والتدريب المتأني والانضباط الذاتي من جهة أخرى، والتشابه بين أسلوب الكاتبين واضح وملحوظ، وكلاهما كان مهتماً بقوة الكلمة حيث أستهجنا الركاكة وغياب الأطر الصارمة، وفي كل نلاحظ وضوح الرؤية وملابسة المعنى المراد.

و«حكاية الزوجات القواعد» واحدة

من روائع الأدب الانجليزي الواقعي الجيد في سبكه وصياغته، فالرواية في واقع الأمر تعطي انطباعاً لتجربة نفسية صادقة حيث نزحت صوفيا بينز إلى باريس وعاشت حياة قاسية ضنكة، بينما بقيت أختها كونستانس التي تختلف عنها في المزاج والسجية في المدن الخمس، وعاشت حياة هادئة مطمئنة، ثم التقتا في أرذل العمر وعاشتا معاً حتى لقيتا حتفهما.

لقد أثرت البيئة في نمو كل من كونستانس وصوفيا بينز في اتجاهين مختلفين، أولا عن طريق الأثر المباشر لمن حولهما، وثانياً عن طريق الأثر التدريجي للتركيبة الاجتماعية المتغيرة، ويتضح أسلوبه في معالجته المكثفة والصادقة للزمن وأثره على الحياة البشرية، فهو يصور بواقعية تصل الى حد الرمزية أحياناً التباين بين الزمن والتجربة التي تفصل بين الشباب والكهول، أما وصفه للتقابل بين الشباب والكهولة فمصبوغ بصور حية مستخدماً في ذلك الضوء والظل في توضيح ما يرمي إليه، وبموت جون بينز الذي كان آخر قلاع التقاليد تلاشت روح المجتمع بكل معانيها(٤)، ونلاحظ هنا أن آرنولد بنيت قد سبق معاصريه في تصوير النمو النفسي في روايته هذه، حيث إن رؤيته العميقة للنفسية الأنثوية تتضح بجلاء في رسم شخصية المرأة بلمسة واقعية، ولم تكن الشخصيات التي رسمها صورة سيدها، بل التزم بالموضوعية في روايته هذه وغيرها.

وقد أخذ آرنولد بنيت عن الأخوين جونكور فصل شخصية المؤلف عن شخوصه، وعليه فقد أصبح ممارساً للأهداف الأدبية التي وضعها الطبيعيون الفرنسيون أنفسهم، فهو يهتم بسرد الأحداث وتركها تتحدث عن نفسها، وقلما يقحم نفسه معلقاً على الدراما أو القصة إلا لماماً إن وجدت، ومن الصعوبة بمكان وجود ذلك التعميم الذي نلمسه في كتابات جورج إليوت وحتى بلزاك، ولكن ولما كان الإغراء بالتعليق لا يقاوم فإن آرنولد بنيت يذعن له أحياناً، وقد وقع في هذه المصيدة في روايته «رايسمان استبس» عند رسمه لشخصية إلسي.

ينظر آرنولد بنيت إلى الحياة كأداة للمعرفة لا للتأمل، وقد التزم بحقائق الحياة المرئية والمشاهدة، متحاشياً في ذلك التعميم لأنه لا يتسق والواقع، وكان يهدف الى تحقيق الموضوعية لا الذاتية في كتاباته، كما استهجن الأعمال الفنية التي لا تعني بتصوير الحياة بموضوعية مجردة، فهو يدون ملاحظاته عن الحياة البشرية بصدق وإخلاص ولا يصف منطقة بمعزل عن سكانها وقاطنيها، لأنه يرى الحقائق

الفقر والبؤس والاضطهاد تمثل روعة البطولة عند بينيت

الخارجية متصلة اتصالاً وثيقاً بالشخصية الإنسانية، وكالطبيعيين الفرنسيين يرى أن الإنسان ابن بيئته، وتأكيداً لآرائه هذه يقول: «إن أي مسح منطقي للوجود يجب أن يأخذ بعين الاعتبار العوامل الجغرافية والمناخية.. إن المعرفة الجغرافية هي حسن التمييز والفطنة والبصيرة لأن المميزات الطبيعية للأرض هي المؤثر الأرضي المباشر والوحيد الذي يحدد نشوء الطاقة الأساسية الأصيلة، وكل المؤثرات الأخرى ثانوية، فهي تأثير للشخصية والمزاج قبل أن تكون عللا، وربما كان أهمها الطرق وفن المعمار(٦)، وهذا مطابق لمفهوم الناقد الفرنسي «هيبوليت أدولف تين» لمصير البشرية، وهي أن البيئة تُكيف مسار حياة الفرد، وفي روايته «كليهانجر» يرى آرنولد بنيت أن الشارع ما هو إلا مرآة تعكس حياة من يعيشون فيه(٧)، وفهم الجغرافيا الطبيعية من الأهمية بمكان عند آرنولد بنيت لا لذاتها بل لأنها تلعب دوراً كبيراً في تبيان منحى تطور التاريخ البشري، وما فتئت الجغرافيا إحدى النقاط التي ركز عليها في روايته هذه(٨).

و«كليهانجر» رواية طويلة تتراوح بين الذكريات العميقة لطفولة آرنولد بنيت متضمنة معلومات عن صانعي الخزف في بواكير القرن التاسع عشر إلى افتراضات استندال عن تطور الحب ونموه، وكما فعل استندال فإن آرنولد بنيت يلاحظ بدقة تطور وتبلور الحب منذ بدايته حتى يصبح عاطفة طاغية في الحياة، لذا فإن هذه الرواية تعتبر إحدى روائع القصص الانجليزي الواقعي، فهي تصور بدقة وواقعية متناهية صراع إدوين المتواصل مع العوامل الخارجية المعادية، وإدوين في واقع الأمر في صراع مع نفسه ومحيطه ووالده المتعسف، ولقد أشار آرنولد بنيت الى هذا التعسف والطغيان الأبوي في هذه الرواية بقوله: «والآن انقطع تعليمه الذي كلف أباه ثمان وعشرين شلناً للفترة الدراسية أو أربعة جنيهات للعام بلا مشقة، وفي مقتبل عمره أنفق والده مالاً أكثر من ذلك في العناية بتربية كلب له كان يعامله كفرد، ولم يخطر بباله معاملة إدوين كإنسان»(٩).. لقد أبرز آرنولد بنيت الصراع السائد والكامن في علاقة الأب بابنه في أسلوب يمتاز بقوة الملاحظة وبعد الإشارة، كما عبر عن غياب فهم وتعاطف الأب ووقوفه في سبيل طموحات ابنه بقوة وحيوية ليبرر ردود فعل الابن تجاه والده عندما ظفر به في النهاية، ونشأة إدوين الدينية الميثودية - بلا شك - تركت إنطباعاً في مخيلته وجعلته يدمغ كل الممارسات الدينية بالسآمة والملل والمراءاة والمداهنة، وكانت إشاراته لكل ذلك متسمة بالعداء والسخط والتبرم والسخرية.

أما روايته «رايسمان استبس» فهي

دراسة لهنري إيرل فورورد، وهو رجل شحيح ومقتر وبائع كتب مستعملة، فهو يجيع نفسه وزوجه وخدمه، وكل همه في هذه الحياة جمع المال دون استثماره، فعندما كان يطلب منه التبرع ببعض المال لغرض خيري فإنه كان يقدم مجموعة قيمة لا تقدر بثمن من الكتب بدلا من النقد، فهو في واقع الأمر كان مفتوناً بالقيمة الجمالية للمال فضلا عن مظهرها المحسوس، وهذا افتتان عصابي، حيث يمثل المال عنده قوة الدولة التي يعيش في كنفها، وتظهر ملامح هذه الشخصية القابضة في وصف الكاتب لمتجره، حيث يرمي الكاتب من وراء ذلك الوصف ليعكس زوايا المتجر المظلمة تماماً لزوايا شخصية صاحبه، وتوضح الرمزية التي يستخدمها الكاتب أن هنري إيرل فورورد سجين شحه المظلم كما هو الحال في كتبه، وتذكرنا هذه الرمزية ببلزاك وربما تشارلز ديكنز ويستعمل آرنولد بنيت الأسلوب الوصفي التوثيقي، وتربط التفاصيل الشخصيات ببيئاتها ومحيطاتها، وبالتالي فإن وصف المتجر ليس بمعزل عن صاحبه، فهو انعكاس لهنري إيرل فورورد نفسه.

أما روايته «أنا المدن الخمس» فهي وصف واقعي للحياة المملة للمرأة العادية، فهو يصور البيئة الطبيعية للمرأة بصورة تجعلها ذات بعد واحد، وهي صورة كاريكاتورية لشخص يفتقد التأكيد الذاتي، وتظهر هذه النقطة بوضوح في روايته هذه، وكثير من رسمه لشخصية المرأة ينبثق من النظر إليها كنموذج لنوعها تمشياً مع طريقة فلوبير، كما عالج أباها الشحيح في نفس السياق، وفي الواقع فإنه عالج كل شخصياته بشيء من المساواة وعدم التحيز، ومثال لذلك «ماينرز» وآخر «تايتس برايس» الذي رغم غرابة أطواره فقد عالجه بتجرد تام وهو على فراش الموت(١٠).

تصف الكاتبة «فيرجينيا وولف» الروائيين «آرنولد بنيت ، وهيربرت جورج ويلز، وجون جالزورثي» بأنهم كتاب ينصرفون بكلياتهم نحو المظاهر الخارجية ولا يغوصون في أعماق الحياة الإنسانية لإدراك الشخصيات، وثلاثتهم في رأيها ماديون، حيث عالجوا الحياة الإجتماعية بسطحية وضحالة ولم يتمسكوا بما تعتبره حقائق الإدراك والوعي البشري، ولكننا نرى أن آرنولد بنيت أبان في رواياته الحقائق الأكثر عمقاً التي تكمن وراء الظواهر الخارجية ، ويمكن التعرف على أهدافه كأديب في روائع قصصه التي أظهر فيها معرفة لصيقة بعوامل الطبيعة، وهي نتاج للملاحظة المرهفة والدؤوبة في رسم هذه المعرفة

بينيت تأثر بالأهداف التي وضعها الطبيعيون الفرنسيون للحركة الأدبية

بالكلمة.

يرى آرنولد بنيت أن القبح ينطوي على مظهر من الجمال، وعلى الكاتب أن يكشف عن ذلك المظهر، ونتيجة لذلك فإنه يستخدم الأساليب الطبيعية لتصوير البيئة وما يحيط بها والتي يكمن فيها الجمال، وبالرغم من أنه ملتزم بصدق تصويره إلا أنه يشوه - أحياناً - الحقائق ليظهر الجمال، وفي هذا فإنه أقرب ما يكون إلى زولا الذي اتكأ على المظاهر الطبيعية الفجة للحياة خلافاً لموباسان الذي تمسك بروح عالية من الواقع في كتاباته.

إن صفاء وشفافية العقل والأساليب الجيدة هي أكثر مؤهلات الروائي أهمية في رأي آرنولد بنيت، ولكنه كان يعتقد بأن فلوبير وموباسان يعوزهما نبل العقل الذي يعده أهم مميزات الأديب العظيم، فهو يقول: «إن كليهما كان كاتباً عظيماً إلا أنهما انحدرا إلى كاتبين من الدرجة الثانية»(١١).

تُوفي آرنولد بنيت في عام ١٩٣١م بعد أن غرس الرواية الواقعية الفرنسية في التربة البريطانية ليس في أسلوب الكتاب الفرنسيين، رغم تأثيرهم عليه، بل بطريقة خاصة ينفرد بها، وعندما يقول النقاد قولتهم فيه يظل آرنولد بنيت أحد الكتاب العظام المشهود لهم في الرواية الواقعية الطبيعية في عصرنا الحاضر.

الهوامش

(1) Arnoold Bennett, Things That Have Interested Me, Ist Series (London, 1921), P. 280.
(2) Quoted by G.B. Simons, Arnold Bennett and His Novels (Oxford, 1936), P. 303.
(3) Arnold Bennett, The Old Wives` Tale (London: Penguin, 1983), P.33.
(4) Ibid. P. 112.
(5) Arnold Bennett, Riceyman Steps: A Novel (New York: o.u.p. 1983), P. 87.
(6) Arnold Bennett, The Author,s Craft (New York: Plainview, 1975). pp. 23-24.
(7) Arnold Bennett, Clayhanger (London: Penguin, 1985). p. 27.
(8) Ibid. p.23.
(9) Ibid., p. 25.
(10) Arnold Bennett, Anna of the Five Towns (London: Penguin, 1978), P. 188.
(11) Arnold Bennett, The Author`s Craft (New York: plainview, 1975). P. 49.

مساحة للضوء

البطل التراجيدي

بقلم:
أ. د. كمال اسماعيل
مصر

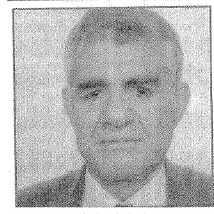
اختلف اثنان من النقاد، في أوائل الستينيات، حول طبيعة ما ننتجه من «مآس» وما نكتبه فى حاضرنا منها، وفي مدى تراجيدية البطل فيها، وذهب احدهما الى ما يعنى أن البطل التراجيدى قد يتحقق فيما نكتب، والى أنه لا فرق بين بطل تراجيدى وبطل ملحمى، وأصر الثانى على أن هناك بطلا ملحميا له خصائصه المتفردة، وأنها هى ما قد تبدو فيما يظن بعض المؤلفين والنقاد أنها خصائص بطل تراجيدى. واحتج كل من الناقدين بفهم مستقل لتعريف أرسطو للبطل «التراجيدى» ورجع الى إدراك خاص لمسببات انكسار هذا البطل ودماره، وهذان الناقدان هما الدكتور محمد مندور والدكتور لويس عوض.

وسرعان ما انقسم النقاد تبعا لخلاف هذين الناقدين الى فريقين، فريق يتحيز لفكرة هذا الناقد، وفريق يستقطب لرأى الناقد الثاني، وامتدت نتائج التحيز والاستقطاب حتى صبغت أحكامهم النقدية التى يصدرونها على ما يحاسبون من مسرحيات.

ومزعم الفرق بين البطل المأساوى والبطل الملحمى يدخل في مبحث الفرق بين المأساة والملحمة، وهذا المبحث جزء من البحث فى الفروق بين الأنواع الأدبية، وهو يعتبر من البحوث المبكرة الأصيلة فى ميدان الأدب، ويعد أرسطو أول من فجره ويليه هوراس، ثم عنيت به الكلاسيكية الجديدة بعد ذلك، وان كانت نظريتها التى وضعها «بوالو» لا تفسر مذهبا للأنواع، أو تضع أساسا للتفريق بينها، وانما تميل الى تأكيد «نقاء النوع» و«تسلسل الأنواع» و«استمرار الأنواع»، واضافة أنواع جديدة كما سنرى(١).

واذا كان هذا الخلاف فى بيئة النقد المسرحى، يدل على الدوافع الكلاسيكية الأكاديمية التي كانت تسيطر أحيانا على البعض، وكان يهدف - مع افتراض حسن الظن - إلى تنقية النوع الأدبي التراجيدى من الخصائص الملحمية التى تعد أقل منزلة منه كما اعتبرها أرسطو، وإذا كان أرسطو يعتبر هو الحجة فى استخلاص أسس الأنواع الأدبية عموما كذلك، فلا مناص قبل أن نعرض للآراء، التى احتج بها من أن نحاول استشفاف التفرق والتداخل فيما عرض له من توضيح الصلة بين التراجيديا والملحمة بمراجعتنا لما قال في هذا الصدد، ولا مفر من أن نبحث أيضا عن علامات للقضية في تطور البحث في الأفق العالمى، فيما شرح به الكلاسيكيون مفهوم البطل التراجيدى والبطل الملحمي، وفيما فسّر به بعض الدارسين الأوروبيين بطل الملحمة في بحارة السفينة أرجوس، وفي الإلياذة، وفى الأوديسا، وفى سواها من الشعر البطولى، ولا حرج في ذلك من اعتبار الاستشهاد بالبطل الملحمي الغربي استشهادا بالبطل الملحمي العربي على السواء، على أساس أن الإبداع الملحمى نشاط إنسانى عام تصوغه الشعوب وتضع خصائصه، واستنادا إلى أن شعر الملاحم ناتج من نتاجها استودعه الناس قانونهم، وقواعد السلوك والعادات الاجتماعية، بعدما ركزوها في اللغة والأساطير، ولم يعودوا يتذكرون تاريخ هذا الاستيداع(٢).

فقد دخلت كل هذه الأسس القومية فى صلب وجودهم الأخلاقى باعتبارها هى الحياة عينها التى عاشوها خلال القرون


د. كمال اسماعيل


د. محمد مندور

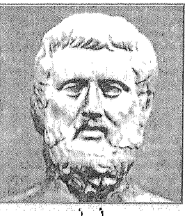
الطويلة، وباعتبارها الماضي الذي يقوم عليه نظام الأشياء في الحاضر وتطور حياتهم في المستقبل.

لقد وجد أرسطو أن المحاكاة مجال فنّس المأساة والملحمة، غير أنه رأى أن المأساة هي محاكاة فعل نبيل قام لها طول معلوم بلغة مزودة بألوان من «التزيين» يختلف وفقا لاختلاف الأجزاء، وهذه

التبرير العقلي لحوادث الخرافة عنصر جديد على المأساة



د. لويس عوض



أرسطو

والبطل الملحمي

المحاكاة تتم بواسطة أشخاص يفعلون لا بواسطة الحكاية، وتثير الرحمة والخوف وتؤدي الى التطهير منهما(٣)، وأن مدتها دورة شمسية، واستدل على أن الملحمة محاكاة فعل، تتم بواسطة الحكاية - كما كان يؤديها هوميروس - وعلى أنها ليس لها طول معلوم، وعلى أنها لا تحد بزمن، ولكنها ليست مطلقة في الزمان على أي حال، كما اكتشف وحدة موضوعية في المأساة والملحمة، أي أنه قال بالتقائهما وافتراقهما في آن واحد.

وقد ألغى عناصر ملحمية في المأساة، ولم يجد عناصر مأساوية في الملحمة، فالعناصر التي تتضمنها الملحمة موجودة في المأساة بينما عناصر المأساة لا توجد في الملحمة.

ومعنى هذا أن الملحمة تركت في المأساة بعضا من خصائصها باعتبارها هي الأسبق، ويمكن أن نتحقق من بعض العناصر التي تركتها الملحمة في المأساة، فعنصر القصة احد هذه العناصر، وعنصر الحوار كذلك، لكنه الحوار النقي، غير المختلط بالسرد الذي يميز الملحمة، ويعتبرها بعض الدارسين على أساسه مسرحية غير ممثلة، أو أنها تختلف عن المسرحية في أنها تؤدي أهدافها بضمير الشخص الثالث في الزمن الماضي، كما يرى دالاس، وان كانت شخصياتها تروي قصصها أو تلقي خطبها في بعض الحالات - في نقيض ذلك - في اطار ضمير المتكلم(٤).

ومن العناصر التي يمكن أن نستدل بها على أن الملحمة أورثتها للمأساة عنصر الغناء كذلك، في المأساة الإغريقية والمأساة الشوقية التي قلدتها، ومنها كذلك فكرة السقوط التي كان مصير طروادة بحوائطها ورجالها استعارة عميقة لها، بعدما أعلنت طروادة التحدي للرب. ولقد تركت انطباعا بأنها سترتفع مرة أخرى في مملكة السماء(٥).

ومن العناصر المزيدة على المأساة التي لم تكن موجودة في الملحمة تذويب الخرافة، وتذليلها للفهم، بتبرير حوادثها المتعذرة على العقل، برسم الشخصيات وتحليلها تحليلا كافيا يتقبله النظارة من خلال الحوار الخالص، الذي صار يستند الى ضمير المتكلم، ويتعلق بالزمن المضارع، والذي اضطلع به ممثل واحد في البداية، هو في الحق تطوير لراوي الملحمة. وقد استعيض به عن الراوي عندما انتقلت المحاكاة من طور التشخيص، وارتقت إلى مستوى التمثيل امام نظارة يراقبون وقد تعلموا من الديمقراطية كيف يناقشون الأمور قبل أن يوافقوا عليها.

ويتضح لنا التخفيف من غلواء الاسطورة عندما نقرأ «الأورستيا» لاسخيلوس و«ايفيجينيا في أوليس» ليوربيدس قراءة مقارنة لهما

بأصليهما في الإلياذة. على أن عنصر البطل يبقى هو المشكلة، وأرسطو لم يدلنا على عناصر محددة مشتركة بين المأساة والملحمة، لكي نتأكد أن البطل منها أو ننفي هذا التأكد، وترك لنا - فيما يمكن أن يعتبر من غير عناصر الاشتراك - تعريفا للبطل التراجيدي، في حدود موقفه من النوازع التي تحرك النفس البشرية وتتحكم في الكون، من خير وشر وجبر واختيار، ولم يقرنه بتعريف لبطل سواه، ولكنه بدا كما لو كان جزءا نافيا عنه صفات أخرى، لعلها لبطل أو لبطلين آخرين، في تعريفين، ربما كان أحدهما لبطل ملحمي، وكان الثاني لبطل كوميدي، وفقدا مع ما يقال إنه ضاع من الجزء الخاص بالكوميديا في كتابه «فن الشعر» لقد ذكر أن البطل التراجيدي ليس في الذروة من الفضل والعدل، لكنه يتردى في هوة الشقاء لا للؤم فيه وخساسة، بل لخطأ ارتكبه وكان ممن ذهب سمعه في الناس وترادفت عليه النعم. وظل هذا التعريف مفهوما بموقف التوسط في أخلاق البطل فيه - حتى العهد الكلاسيكي حين فهم كورني، أن البطل يمكن أن يكون بريئا تردى في الشقاء أو شريرا تعسا، ولقد استبعد كورني من بين عنصري الاثارة اللذين يحركهما هذا البطل عنصر الرعب، لأن الكاتب كان كثيرا ما يسيء إلى اللياقة، واستبقى الشفقة وحدها أو الإعجاب(٦) كعاطفة يثيرها البطل.

وفي مواجهة هذا الفهم للبطل التراجيدي أورد الكلاسيكيون فهما لبطل الملحمة، يمكن أن نعتبره إبانة وشرحا لخصائصه في الإلياذة والانيادة، فمن الأوصاف التي حددوها لأبطال الملاحم هي أن يكون الأبطال كاملين، وأن تكون نقائصهم بطولية، وأن يكونوا من أبطال التاريخ.

ولقد استمر عكوف الدارسين الغربيين على الشعر البطولي الذي أنتجته الأجيال السالفة، متمثلا في بحارة الأرجوس وفي الإلياذة والأوديسا، والانيادة وبيوولف ورولان وكوميديا دانتي وتاسو والفردوس المفقود وغيرها، يحللون

الابداع الملحمي نشاط انساني عام تصوغه الشعوب وتضع خصائصه

خصائص البطولة الملحمية فيها ويقارنون بينها، ويستخرجون مميزات البطل الملحمي، دون أن يقرنوه بالبطل التراجيدي، فقد يذكرون أحيانا أنه بطل درامي. فأبيروكرومبي يرى أن البطل الملحمي عند هومر هو الرجل فوق الطبيعة Super Natural(٧) وأنه يدعو في الالياذة الى تطوير الحياة بفكرة أحسن شكلا وإتقانا من فضيلة الشجاعة البدائية، ويرى أن البطل عند فرجيل داعية لفكرة الإمبراطورية الرومانية، لتأثر فرجيل بالتنظيم الاجتماعي الذي اختلف به عهده عن جيل الأبطال الذي انتمى إليه هومر، ففرجيل ركب عربة الإمبراطورية ليصل إلى هدفه. ويعتقد س.م.بورا أن عالم البطل الهومیري لا ينطوي على شيء أهم من الشجاعة وحب الشهرة، وأن هذا البطل - ممثلا في أخيل أوبيوولف أو رولان يتفوق على أنداده في القوة والشجاعة، وأن مقصده الرئيسي هو أن يكتسب الشرف وحسن الصيت من خلال إنجازاته وأن يحيا في الذكرى بعد مماته، ويدرس بورا المثل الأعلى لهذا البطل ويعتبره بالمنزلة الأولى مثلا أعلى في حد ذاته، بل يرى أن على الموقن بهذا المثل والمعتنق له أن يقدم في سبيله أية تضحية، ويدلل على ذلك بالحياة التي عاشها أخيل والتي اسودت واختتمت بالمنية، مع مزعمه في أن العظمة من حقه، فلقد كان أخيل يعهد البطولة في رجولته، ولم يكن سهل المطلب، وإنما كان يتوخى العظمة، وللعظمة تكاليفها التي تضاهي كنهها تماما. ويزيد بورا في القاء مزيد من الضوء على شخصية هذا البطل قائلا: إنه ذلك الرجل الذي يرغب في أن يدفع حياته كيما يكتسب توقير أقرانه، وعندما يتم تضحيته الأخيرة فإنهم يسلمون له بما أراد(٨).. ويرى بورا في مقام آخر انه ليس من المحتم ان ترصد المكافأة بالنجاح ثمناً لتضحية هذا البطل ، فالبطل الذي يموت في المعركة بعد ان يبذل قصارى جهده اكثر احتراما - بسبب او بآخر - من ذلك الذي يعيش . ويكتشف كوربت ان الابطال الملحميين مفوّهون ، ينوهون بمهارتهم الكلامية على قدر ما يفعلون تماماً بحسن استعمالهم للسلاح ، ويضرب مثالا لذلك حالة « فوينكس » عندما ذهب في تشفع له لدى أخيل ، فلقد ذكّره بأنه تلميذه وأنه

علمه كيف يكون قوّالاً وفعالاً(٩).
ويشير «كوربت» إلى مواضع في الإلياذة يزهو فيها أخيل على رفاقه بما يعرف عنه هؤلاء الرفاق من مهارة في الخطابة، ويذكر كوربت أن أوديسوس لم يكن محاربا عظيما من طراز أخيل، لكنه كان يدرك تماما أنه يبذ أخيل في الخطابة، ويشير الى أنه من المضحك الآن أن نقرأ عن مقاتلين يتوقفون أثناء أتون القتال ليُصلُوا بعضهم نارا حامية من المعارك الكلامية، ويعتبر أن هذا التقليد كان متفشيا على عهد هومر، على أنه يضيف إلى ما لاحظه من تزود البطل الملحمي بملكة الخطابة مقدرته على حسن الإقناع، وعلى البرهنة على ما يدعو إليه من أفكار، وما يريد أن ينقله من آراء، فالمزاعم لابد أن تكون مدعومة بالبرهان العقلي الذي ينجح القضية وينصرها ويقنع المخاطب، ولابد أن تكون كذلك مؤيدة بالاستثارة العاطفية، ويستشهد بخطاب ألقاه « أوديسوس» أمام أخيل، يحضه فيه على مصالحة أجا ممنون، والعودة إلى قتال الأعداء. إنه كي يقنعه ويستعطفه يطلعه على ما أصاب اليونانيين أثناء قطيعته من بأساء، ويذكره بوالده «بيلوس» ويعدد له الهدايا التي يستعد «أجا ممنون» لكي يقدمها في مصالحته، إذا عاد الى القتال، مرضاة له، ولإدراك «أوديسوس» أن البطل يوقر مجده المعنوي والشخصي، أكثر من توقيره للهدايا المادية - وقد فشل في استثارة حماس أخيل بها كي يحمله على العودة لمنازلة الطرواديين - فإنه استثار عظمته بأن دعاه آخر الأمر لكي ينهض من أجل أن يقتل هكتر (بطل أبطال طروادة وابن مليكها ابريام)، لأن العظمة الشخصية عند البطل الملحمي هي النعمة الفضلى لديه. وأخيل بدوره يقارع الحجة بالحجة، فيحاول أن يبرهن عمليا على أنه لم يعر أديسوس أذنا مصغية، وعلى أنه لم يع شيئا مما ذكره، فما يفتأ يعدد مساوىء الحرب التي تحمّلها الهيلانيون، من سفك دماء إلى ترميل زوجات، لا لشيء إلا لكي يستردوا خاطئة هي «هلن» زوجة

الشجاعة وحب الشهرة من معالم البطل الملحمي

«منلوس» ملك اسبارطة شقيق أجا ممنون، وأجا ممنون هذا هو الذي نفس عليه أن يكون له حظية، «بريسير» واستلب منه هذا الشئ النفيس، الذي هو محظيته.
وهكذا نجد مما سبق كله، أن أرسطو لم يفرد تعريفا للبطل الملحمي وأن الكلاسيكيين ممثلين في كورني تكلموا عن خصائص للبطل التراجيدي، منعزلة في حد ذاتها عن أوصاف لبطل سواه، وقد جوزوا أن يكون إما بريئا تردى في الشقاء، أو شريرا تعسا، وتحدثوا عن خصائص أخرى في معزل من القول للبطل الملحمي تؤكد اكتماله، وأن تكون نقائصه بطولية، وأن يكون من أبطال التاريخ، ولم يشيروا إلى اختلاف بين البطلين أو مشابهة، وذهب المحدثون يعدّدون مميزات البطل الملحمي، فتركزت في قولهم بتفوق - في خلقته وفي مناقبه - يصل به الى حد من الفعل واللّسن، تهون عليه فيه الحياة، ويحلو الموت الذي يعقبه الذكرى وطيب الآثر، أو بمعنى عربي يصل به إلى أن يكون رجل السنان واللسان أو رب السيف والقلم، وهو المعنى الذي نجده في بطل الملحمة العربي «أبي زيد الهلالي سلامة» حامل الربابة والسيف الذي يجعل هذه احيانا محل ذلك أو يضع ذلك من محل تلك(١٠).

الهوامش

(١) نظرية الأدب. أوستن وارين - رينيه ويليك ترجمة محي الدين صبحي ص٣٠١.
(٢) الفولكلور. قضاياه وتاريخه. يوري سوكولوف ترجمة حلمي شعراوي وعبد الحميد حواس ص٨١.
(٣) فن الشعر. أرسطو. ترجمة د. عبد الرحمن بدوي.
(٤) Heroic Poetry C.M. Bowra. P.32.
(٥) The death of tragedy George Steiner P.5.
(٦) المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا. فيليب فان تيغيم ترجمة فريد أنطونيوس ص٦٧.
(٧) The Epic, Aber Crombie. p.p72-73
(٨) From Virgil to Milton C.M BoWrA. P.10
(٩) Classical Rheto ric. Edward Rd.p.j. Corbette P.15
(١٠) تغريبة بني هلال ص.ص ٩ - ١٦.

مساحة للضوء

قصة من القفقاس

коюсь. Чувствую, не придется больше увидеть родину; ты, парень, поклонись Кабарде. Уезжаете завтра? Счастливого пути!

— Будьте здоровы, Зекрей. Вот возьмите это, мы оттуда привезли. На память.— Хатау развернул бумагу, этикетка упала на пол,— парень почувствовал неловкость.

— Что это? — глаза старика вдруг запылали, словно кузнечный очаг, раздуваемый мехами. Дрожащей рукой, тяжело дыша, он принял сосуд, привезенный оттуда, с далекой родины.

— Лучшего напитка у нас не делают. Называется «Столичная».

— Спиртное, значит...

— Да,— улыбнулся Хатау.

Руки старика неожиданно дрогнули, пальцы разжались, бутылка упала на пол. Под лучами люстры на полу заблестели капли жидкости, брызнули в стороны осколки... Хатау бросился к старику:

— Что?.. Что?..

— Спиртное... А я думал, привезли глоток воды из Малки,— прошептал еле слышно Зекрей. Глаза его, вдруг странно заблестевшие, увидели мокрые пятна на полу, осколки стекла. Тяжелая, с отполированным набалдашником палка, скользнув по колену старика, с громким стуком упала на пол...

СЧАСТЬЕ

Старик Мухамед сидел у сарая, грел свои старые кости на спокойном зимнем солнце, с безразличным видом прикрыв глаза и беззвучно шевеля губами,— вспоминал свою жизнь. Но на сердце у него было неспокойно, ведь до сих пор его внук не вернулся из

152

السعادة

جلس العجوز محمد بجانب العنبر يدفىء عظامه الكهلة بحرارة شمس شتوية خفيفة. كان منظره غير مبال، مغطيا عينيه، وشفتاه تتحركان دون أن تصدرا صوتاً، وبدا كأنه يستعيد ذكرياته.

لكنه لم يكن مرتاح البال، ذلك لأن حفيده قد تأخرت عودته من المدرسة، وهذا ما عكر مزاجه.

أخيراً وبعد الغداء ظهر الصبي.

- أين كنت كل هذه المدة؟ - انقض العجوز، الذي أتعبه الانتظار، على الصبي.

- لقد كان عندنا «مناقشة» - أجاب الطفل باعتزاز.

- ما هذه «المناقشة» سأل العجوز مشككاً، لأول مرة أسمع بهذه الكلمة العلمية المدهشة التى أشبه ما تكون بصفة ما.

- لقد دارت «المناقشة» حول معنى السعادة.

- نظر العجوز مندهشا الى الصبى.

- وماذا قلت؟ - سأل العجوز باهتمام.

- لقد قلت بأن السعادة - هي امتلاك سيارة - تحدث الصبي بسرور، ودليل على أنه لمس جوهر الحقيقة فقد رفع أنفه الى الأعلى.

- ما هذا الذي تقول يا ولد ! لقد أصبحت مثل أمك. حسناً، اذهب ، تناول طعامك وعد إليّ، وسوف أخبرك معنى السعادة - قال العجوز ذلك بشكل قاطع وتوجه الى مخزن الحشائش المجففة.

أكل الولد بعجلة وعاد مسرعاً إلى جده.

استلقى محمد على القش الناعم ناظراً إلى حفيده بعيون ذكية، وبدأ حديثه بهدوء:

يحكى أنه كان في قديم الزمان في احدى القرى ، رجل وزوجته، عاشا في فقر مدقع، ولكنهما امتلكا كنزاً عظيماً: كان عندهما من الأولاد عشرة. وكان يسود في العائلة جو من الصداقة والتفاهم. كبر الأولاد وأصبحوا شباباً في سن الزواج، واختار الأبوان لأبنائهم العرائس وزوجوهم.

من يدري كم سنة مرت. وولد عند

بقلم:

بوريس بيسلانوفيتش مزيخوف

ترجمة: د. فيصل المصطفى الحسن

سوريا

الأخوة عشرة أولاد لكل منهم. ومضت السنون وأبناء الأبناء كبروا واختار الآباء العرائس لأولادهم، وبعد عدة أشهر أقيمت الأفراح لأبناء الأبناء واستمرت أياماً وليالي، وكبرت العائلة. ولم ينقطع المزاح والضحك عن البيت. والكل يتخاطبون فيما

بينهم بأحاديث من القلب، وبشكل خاص، أحبوا واحترموا في تلك العائلة الجد والجدة.

وهكذا ، عاشوا بصداقة، وروح فى روح، والكل سعداء ومرتاحين.

حاول أن توزعهم في عائلات منفصلة، لا ينفع في ذلك لا مال ولا قوة، لقد تدفقوا كنهيرات صغيرة، والبحر بسبب ذلك كبير، حيث تصب فيه كل الأنهار لكن حدث مع مرور الزمن، ما كان يخشاه العجوز: لقد عمّ التنافر وعدم التوافق البيت. توقف الأخوة عن العمل المشترك، وحل الحسد بينهم،

وكل واحد يطعم أولاده خلسة، ولا يولي أي اهتمام لأطفال الآخرين.
وأصبح رب العائلة يجلس على مقعد خشبي، بعد أن كان يجلس على أريكة مريحة، ولم يعد أحد يهتم به ولا بطعامه، وحتى كلمات الشكر والمحبة لم تعد تقال له، وتوقف الأطفال عن القدوم الى جدهم والجلوس على ركبتيه، وأصبح العالم حزينا ومملاً لأن الفرح والسرور ذهبا عنه.
لم يستطع العجوز تحمل ذلك إلى مالا نهاية، وفي احدى الأمسيات الشتوية، ضرب رب الأسرة الأرض بعصاه ودعا الجميع - الكبير والصغير، الشباب والأطفال، الرجال والنساء - وقال لهم:
«إذا بقي عندكم تجاهي أي احترام، فاني أطلب منكم أن تقدموا لي هذه الخدمة الأخيرة - ألا يخرج أي واحد منكم من هذا البيت في هذه الليلة».
«حسناً - قال أهل البيت، معتقدين بسذاجة، بأن هذا ما هو إلا غرابة الشيخوخة - طالما أنك تريد هذا، فنحن لن نخرج ولن نسمح للآخرين بالخروج أيضا..»
في الليل، تساقط ثلج كثير، وما إن توقفت الديكة عن الصياح وبان الصباح حتى أخذ العجوز عصاه وخرج إلى الفناء ينظر ويرى: كان هناك في جهة الغابة أثر إنساني. كم كان هذا مزعجاً: لم يحترم حتى هذا الطلب الصغير.
«نقسم بالسماء بأن أحداً منا لم يخرج» هكذا تحدث أهل البيت، وهم مضطربين، واحداً تلو الآخر. «حسنا - لنرى» أخذ العجوز الفأس معه، تحسبا لأي طارئ، وتحرك مقتفيا الأثر، الذي أوصله الى عمق الغابة.
ساد في الغابة صمت رهيب، وبدا كأن لاحياة هناك لأي كائن بشري، وقد اختفى الأثر عند شجرة عملاقة..
«هل من الممكن أن أحداً ما نزل الى جوف الشجرة؟». فكر العجوز وهم بقطع الشجرة بانفعال. وما أن هوى بالفأس على الشجرة مرتين أو ثلاثة، حتى فوجيء بأحد ما يصرخ من أعلى الشجرة بصوت عال.
«إي، أيها العجوز، لماذا تريد قطع هذه الشجرة؟»
«وأنت من تكون؟» سأل العجوز مذهولا.
«أنا سعادة أهل بيتك».
«إذا لماذا تجلسين هنا في الغابة؟» حاول العجوز التشكك في ذلك.
«وأين يجب أن أكون حسب رأيك؟ ليس لي مكان في بيتك. أنا أبتعد عن الناس الذين لا يهتمون بي، وأفراد عائلتك لا يحتاجونني بشيء كل واحد مشغول بنفسه وبربحه».
«إنك تقولين الحقيقة. لكن بامكانك أن تأتي الي، وسوف أساعدك قدر المستطاع».
توجه العجوز بكلامه الى السعادة، متأسفاً على أولاده وأحفاده وأبناء أحفاده.
« كلا ، قالت السعادة دون تردد، لا أستطيع فعل ذلك، لكن سوف أعمل لك صنيعاً ما. دع أهل بيتك يخبروك بماذا يحلمون وأنا سوف أحقق لهم ما يرغبون.
«حسنا - وافق العجوز - لكن أريد أن تقسمي بأنك لن تخدعيني» .
ما العمل - طالما أنني تطوعت لذلك - وأقسمت السعادة.
وفي البيت، اجتمع الجميع حول رب الأسرة - الأبناء والأحفاد. وبدأ العجوز حديثه بشكل حزين: «لقد رفضت سعادتنا العيش معنا وذهبت عنا. دعوتها، دعوتها للعودة لكنها لم تقبل ولا بأي شكل، التقيتها صباحاً وقد وعدتني بتحقيق رغبة واحدة لكل واحد منكم».
وهنا بدأت الأصوات تعلو، وبدأ الجميع بالجدال، يقاطع البعض البعض الآخر، منهم من طلب «ثورين» ومنهم من طلب «خنجراً ذهبياً» وغيرهم طلب مائة بود(*) من الحنطة
استمع العجور باهتمام إلى الجميع وتذكر كل ما قيل، لكنه لم يسمع بعد رغبة حفيدته الصغرى، التي تحاشى الحديث معها جرياً على العادات الشركسية، حيث لم يحن الوقت لذلك بعد. وعن طريق احد الصبيان، سألها رب العائلة عن رغبتها فأجابت وسمع العجوز جوابها:
«إذا أرادت السعادة تحقيق أمانينا، فلتعيد إلينا الوفاق والمحبة والاهتمام المشترك، ولتجعل كل شيء كما كان سابقا»
دهش العجوز من حكمتها. وفي اليوم الثاني ، توجه الى الغابة ووقف تحت ذات الشجرة التي التقى عندها السعادة، وأخبرها بكل شيء.
«سوف ألبي كل الرغبات - قالت السعادة، ما عدا الطلب الأخير».
«لقد أقسمت بتلبية طلبات الجميع، والآن تريدين أن تنكثي بوعدك! لم أفكر بأن السعادة يمكنها أن تفعل غير الذي تقول.
حسنا - بالفعل، لقد أقسمت لك في حينها، ولا يجوز أن أحنث بالقسم، عد أيها العجوز ولنرى ما يحدث».
- وافقت السعادة بتأفف.
مر المساء، وفي اليوم التالي حدث شيء عجيب. لقد خرج الجميع الى العمل كشخص واحد، وباشروا في بناء بيت كبير وحظيرة للماشية، وكلمات السرور تسمع في كل مكان، «املاكنا»، «أولادنا»، ومن الصعب التصديق بأن أحدهم كان ولوقت قصير مضى يقول «لي».
وهكذا ومن جديد عاد الفرح ليعمّ بيت العجوز، وعادت السعادة إلى العائلة وأصبحت للجميع، والآن لا أحد يدعها تذهب عنه
وهذا ما تعنيه السعادة يا صغيرى
ليلاً حلم الحفيد بشجرة كبيرة مجوفة، وفي الجوف الكبير - كانت السعاده، ويبدو عليها الطيبة وعيونها ضيقة ذكية كعيني جده
- كيف أنت؟ سألها الصغير بصوت خفيض.
- مدورّة ! أجابت السعادة بفرح - من يريد الامساك بي عليه أن يتعلق بي، وأنا أتأرجح: هكذا طول الوقت، وأطوف، أطوف كل الأرض.
- يعني أنك مثل الشموسة؟ - اندهش الصبي - وهو أيضاً مثلها كثير الحركة.
وقد كانت السعادة راضية جداً عن هذه المقارنة وعلت ضحكتها.

هامش

(البود: وحدة وزن زنتها ١٦٫٣٨ كيلو غراماً).

أغنيـــــة لحبيــب جميل

في عينيك يلمع ألق الحب
وفوق وجنتيك الناضرتين
تعزف موسيقى الخجل
وتحت قدميك الدافئتين
تنتشي أزهار النرجس
وتتمايل يمنة ويسرة
في تيه وعجب !

* * *

دعنى يا حبيبي الجميل
أنظر في هذا الألق الفاتن
أستمع الى تلك الموسيقى الحالمة
أستاف رائحة هذه الأزهار اليانعة
دعني أمتع عيني بهذا الجمال الفريد

* * *

إنني أفكر دائما فيك
أراك في شجيرات الصفصاف والتنوب
وفي ترقرق الماء في الدانوب
أراك فوق النجوم
وخلف الروابي والتخوم
وإن شئت فاسأل الليل عن ذلك
واسأل حبات المطر الفضية
وأسراب البط التي تهاجر عبر الحقول

* * *

في غيابك أشيّد قصورا من الأماني
وفي حضورك تحيلني أصابعك الذهبية
الى كتلة من العواطف
شكلنى كما تشاء
لن أمانع
فأنا طوع يديك
ولا تلمني
إن طبعت قبلة رقيقة على هذا الألق
فربما
تبوح لك بما أخفيه في قلبي

* * *

لقلبك إشعاع القمر الحالم
وفتنة الذهب اللامع
وإيقاع أغاني الأعشاب الندية
فلا تحرمني من هذا النعيم..
ولا تحرم الطيور من أن تصدح
بغيابك

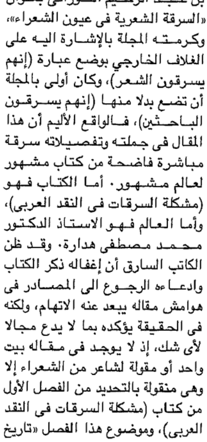
* * *

في عينيك أراني
وفوق وجنتيك تعزف موسيقاي
وتحت قدميك
تنام الأحلام ..

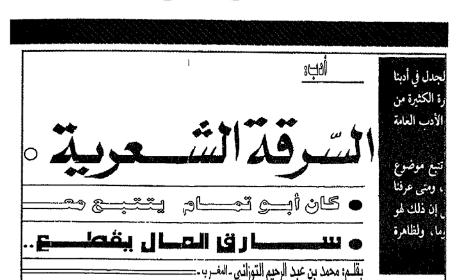
* * *

شعر: آلان هاريسون
ترجمة: محمد عبدالقادر الفقي
أرامكو - السعودية


قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم
صدق رسول الله
رابطة العالم الاسلامي
بمكة المكرمة
تدعوك إلى برنامج
قوافل أهل القرآن في شهر الخير
أخي المسلم .. اعتادت رابطة
العالم الاسلامي أن ترسل
في شهر رمضان المبارك
من كل عام طائفة من أهل
القرآن الى مختلف دول
العالم لامامة المسلمين
في صلواتهم واقامة
الدروس والمحاضرات
والوعظ طوال شهر
رمضان الكريم .. وتنهال
الطلبات على الرابطة
كثيرا من الهيئات
الاسلامية لهذا الغرض
. لذا ندعوك أن تشارك
معنا بتحمل نفقات
ابتعاث واحد أو أكثر
من هؤلاء إلى أي دولة
في العالم احتسابا
للأجر عند الله سبحانه
وتعالى .. يبلغ
متوسط تكاليف
المبعوث الواحد مع
تذكرة السفر والاعانة
بالريال كما يلي
أفريقيا ٩,٥٠٠ ريال
أوروبا ١٠,٠٠٠ ريال
آسيا ١٠,٠٠٠ ريال
أستراليا ١٧,٥٠٠ ريال
أمريكا الشمالية ١٤,٠٠٠ ريال
أمريكا الجنوبية ١٦,٥٠٠ ريال
ترسل التبرعات بشيكات باسم امين عام رابطة العالم الاسلامي (برنامج قوافل اهل القران) الى رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة
للاستعلام : يرجى الاتصال بادارة (شؤون القرآن الكريم) بالأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة
هاتف : ٥٤٣٤٩٠١ أو ٥٤٢٢٧٣٣ - فاكس ٦٥٤٣١٤٨٨



سرقات سارق ال



أدب:

السّرقة الشعرية

• كان أبو تمام يتتبع معـ

• سارق المال يقطع..

بقلم: محمد بن عبد الرحيم التوزاني - المغرب -

لجدل في أدبنا ...رة الكثيرة من ... الأدب العامة ... تتبع موضوع ... ومتى عرفنا ... إن ذلك هو ... رما، ولظاهرة

...رقات الجاهليين، فمن ذلك أن شعراء غطفان كانت ...ير على شعر قراد بن حنش فتدعيه، منهم زهير بن أبي ...لمى أغار على أبيات قراد:

الرزية لا رزية مثلها
ما تبتغي غطفان يوم أضلت
الركاب لتبتغي ذا مرة

الاسلام حث على مكارم الأ... الرذيلة، ومن السرقات ما... ومن ثم أصبح الشاعر المس... من التأثر والانفعال، ويعتبر... هنة شعرية، ومما يروى في ... عزم على الخروج إلى البادية

ذكر الدكتور هدارة كان هدفاً متاحاً لهذا السارق

نشرت مجلة (المنهل) في عددها رقم ٥١٧ المجلد ٥٦ العام ٦٠ في شهر صفر ١٤١٥هـ الموافق يوليو ١٩٩٤م مقالا لباحث مغربي هو محمد بن عبد الرحيم التوزاني بعنوان «السرقة الشعرية في عيون الشعراء»، وكرمته المجلة بالإشارة اليه على الغلاف الخارجي بوضع عبارة (إنهم يسرقون الشعر)، وكان أولى بالمجلة أن تضع بدلا منها (إنهم يسرقون الباحثين)، فالواقع الأليم أن هذا المقال في جملته وتفصيلاته سرقة مباشرة فاضحة من كتاب مشهور لعالم مشهور. أما الكتاب فهو (مشكلة السرقات في النقد العربي)، وأما العالم فهو الاستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة. وقد ظن الكاتب السارق أن إغفاله ذكر الكتاب وادعاءه الرجوع الى المصادر في هوامش مقاله يبعد عنه الاتهام، ولكنه في الحقيقة يؤكده بما لا يدع مجالا لأي شك، إذ لا يوجد في مقاله بيت واحد أو مقولة لشاعر من الشعراء إلا وهي منقولة بالتحديد من الفصل الأول من كتاب (مشكلة السرقات في النقد العربي)، وموضوع هذا الفصل «تاريخ السرقات في النقد العربي حتى فترة الجمود البلاغي ، وهذا هو بيان الأخذ بالتفصيل:

بيت طرفة بن العبد في أول المقال:

ولا أغير على الأشعار أسرقها
عنها غنيت وشر الناس من سرقا

موضعه ص١٠ في الفصل الأول من مشكلة السرقات. وبعده في المقال وفي الكتاب أيضا بيت الأعشى:

فكيف أنا وانتحالي القوافي
بعد المشيب كفى ذاك عارا

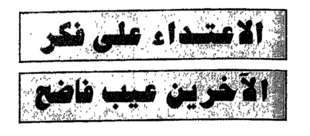
وقول الكاتب:

إن شعراء غطفان كانت تغير على شعر قراد بن حنش فتدعيه ومنهم زهير بن أبي سلمى منقول بنصه من الكتاب الذي أورد الخبر والأبيات الأربعة مع ما سبق من قول طرفة والأعشى تحت عنوان (السرقات في الجاهلية) الذي يبدأ في الكتاب ص٥. وبدءا من قول الكاتب في مقاله (ومع مجيء الاسلام أصبح ... الخ) منقول بنصوصه كلها من الكتاب تحت عنوان (السرقات في عصر صدر الاسلام)، وقد اختار الكاتب من مادة هذا الجزء ما ذكره الرواة أن النابغة الجعدي دخل على الحسن بن علي فقال له الحسن: أنشدنا من بعض شعرك، فأنشده:

الحمد لله لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظلما

إلى آخر الرواية، وهي مثبتة في كتاب (مشكلة السرقات) ص١٢.

ويمضي الكاتب السارق في نقله من كتاب الدكتور هدارة، ولا يتحرج حتى في نقل العناوين، فقوله: السرقة في العصر الأموي إنما هو (السرقات في العصر الأموي) في كتاب الدكتور هدارة، وهو يسير على نهجه في البدء بالجاهلية ثم صدر الاسلام ثم العصر الأموي ثم العباسي في عرضه لتاريخ السرقات. ونرى الكاتب السارق يأخذ



الاعتداء على فكر الآخرين عيب فاضح

سرقات

بقلم : د. أحمد زكي منصور
كليـة الآداب - جامعة طنطا

النصوص الشعرية والنثرية أخذا مباشرا في هذا الجزء أيضا مع بعض التقديم والتأخير في محاولة للتمويه. فقول الأخطل (نحن معاشر (نقلها معشر) الشعراء أسرق من الصاغة) منقول من ص٢٤ من الكتاب. وأما ما دار من كلام حول بيت الفرزدق:

كم دون مية من مستعمل قذف
ومن فلاة بها مستودع العيس

فمنقول من الكتاب ص١٨. وكذلك قول الفرزدق (.. فلضوال الشعر أحب إلى من ضوال الإبل) [وقد كتبت في المقال خطأ (خوال) في المرتين] فمنقول من الصفحة نفسها (١٨) من الكتاب. وأما ما جاء في المقال من تعريض الفرزدق بسرقة كثير من جميل، الى آخر الرواية التي جاءت في المقال فهو منقول من الكتاب ص٢١. وأما تبادل التهم بين جرير والفرزدق بالسرقة الذي أثبته صاحب المقال فهو منقول من الكتاب ص٢٠.

ويكتفي الناقل الهمام بنقل هذه المواضع من سرقات العصر الأموي، لينتقل مع أستاذنا الدكتور هدارة الى عنوان آخر (السرقة في العصر العباسي) الذي يبدأ في (مشكلة السرقات) ص٢٩ فيأخذ بشيء من التحوير الفاضح لأمره ما قاله الدكتور هدارة عن الحركات النقدية النشطة التي دارت حول الشعراء في هذا العصر، وكان أساسها موضوع السرقات وينقل كذلك ما ذكره الدكتور هدارة من نقل سلم الخاسر لأفكار أستاذه بشار (انظر ص٣٠ من الكتاب)، ثم يمضي الى ما ذكره الكتاب ص٤٣ عن سرقة الشعراء من أبي نواس، وقصيدته التي توجه بها الى محمد بن زهير صاحب الشرطة. ويمضي كاتب المقال في النقل الفاضح من الكتاب عند عرضه لمواقف أبي تمام من السرقات ثم دفاعه عن نفسه بقصيدته:

كثير من دور النشر تساعد على نشر السرقات

من بنو بحدل من ابن الحباب
من بنو تغلب غداة الكلاب

وكل ذلك مثبت في كتاب (مشكلة السرقات) ص٤٦, ٤٧. وقد أساء السارق نقل الأبيات، فكلمة (بحدل) انقلبت الى (مجدل) و(فيس) آلت إلى (جيش)، و(للجبن) صارت (للحين).

وينقل الكاتب بعد ذلك أبياتا للبحتري يهاجم فيها عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لسرقته من أشعاره، والقصة بأكملها منقولة من كتاب (مشكلة السرقات) ص٥١.

وبعد أن فرغ كاتب المقال من هذا السطو المنظم، زيّل مقاله بنقول متفرقة من كتاب (مشكلة السرقات) فشعر أحمد بن أبي طاهر في محاجة البحتري منقول من ص١٢٢ من (مشكلة السرقات)، وشعر الصاحب بن عباد منقول من ص٦٧ من الكتاب، وحتى ما نقله عن الحريري في المقامات منقول من الكتاب من الصفحة نفسها ص٦٧.. وبعد فما أعجب أن يكتب كاتب عن السرقات، فتكون كتابته سرقة فاضحة من كتاب مشهور لعالم مشهور، لا تغيب معرفته عن أي من الباحثين في شرق أو غرب. ولعله ظن أن طبعة الكتاب الأولى عام ١٩٥٨ (وهي التي عولت عليها في إثبات الصفحات) قد خلت منها أيدي الباحثين، فظن أنه يسطو على تراث متوار في طي الكتمان، وهو يجهل أن الكتاب من المراجع النقدية الأصيلة التي لا تبلى جدتها، ولهذا تعاقبت طبعاته حتى هذا العام.

ومن المؤسف أن يبعث الكاتب السارق بهذه المقالة الى (المنهل) التي يعد الدكتور هدارة واحدا من ابرز كتابها، وأن يحاول التعالم بإثبات هوامش منقولة من كتاب (مشكلة السرقات)، ولكن الكاتب السارق - إمعانا في التضليل - أشار إلى طبعات جديدة للمصادر المثبتة في الكتاب.

ويبدو أن الأمانة العلمية في هذا الزمن الرديء قد صارت أثرا من الآثار، وصار التبجح بفقدانها سمة بعض الشباب من الباحثين، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

سرقات

سرقة أدب

السطو على ثمرات الأقلام لا يقل عن سرقة الأموال

سبق أن كشفت الغطاء عن السرقة الأدبية التى أقدم عليها المدعو الشيخ كامل محمد محمد عويضه من كلية الآداب - جامعة المنصورة - مصر - الذى أصدر كتاباً ادعى انه من تأليفه وهو بعنوان: مصطفى لطفي المنفلوطي - حياته وأدبه، نشرته دار الكتب العلمية فى بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٣م، وقد بينت بالادلة الواضحة الدامغة والحجج الساطعة انه سطا على كتاب الدكتور محمد ابو الانوار من كلية دار العلوم جامعة القاهرة، وهو بنفس العنوان نشرته مكتبة الشباب بالقاهرة فى ثلاثة أجزاء (١٩٨١ - ١٩٨٢ - ١٩٨٥ بالتتابع).. وفى هذا التنبيه الذى أقدمه للقراء أعود الى المؤلف المزعوم نفسه حيث عثرت على كتاب ادعى انه من تأليفه بعنوان «حافظ ابراهيم شاعر النيل» نشرته الدار المشار إليها ببيروت فى طبعته الأولى سنة ١٩٩٣، وأحسب أنه كان متيقنا من قدرته على تضليل القراء واستغفالهم، وان عمله سينطلى عليهم، وربما رأى نماذج من أمثاله فاقتدى بهم أو جرأه على سلوك هذا المسلك الوخيم عدم حرص النقاد على تتبع ما تصدره المطابع من دراسات أو ابداعات. ولو خطر بباله مرة او لحظة ان هناك رصداً لما تصدره المطابع وحرصاً على أن يظل الميدان الفكرى بمنأى عن التدليس لما سولت له نفسه أن يقدم علي اقتراف هذا الاثم الشنيع.

إن السطو بدأ من السطر الاول من المقدمة التي نقلها من مجلة «فصول» المجلد الثالث - العدد الثاني - يناير - فبراير - مارس ١٩٨٣، تصدرها الهيئة العامة للكتاب - فى مصر - بدءا من الفقرة الثانية صفحة (٤) ثم ينتقل الى صفحة (٥) ، الفقرة الرابعة، ويواصل نقله الى نهاية الفقرة الرابعة من صفحة (٧) ثم يعود الى صفحة (٥) لينقل الفقرة الثالثة، وبها تنتهي «المقدمة» وليجعل ما نقله يتلاءم مع غرضه لجأ إلى حذف اسماء الباحثين الحقيقيين وذلك كما يأتي:

فى بداية الفقرة الرابعة من المجلة المذكورة صفحة (٥) ما نصه: «وأول هذه الابحاث (قراءة أسلوبية لشعر حافظ) ينهض بها شكري عياد، وتحاول هذه القراءة أن تعيد النظر في شعر حافظ على هدي من الدراسة الأسلوبية للأدب..».

وفى بداية الفقرة الثانية من الكتاب سالف الذكر صفحة (٤) «وبعد فإن هذا الكتاب الخاص بحافظ ابراهيم وشعره يحتوى على قراءة اسلوبية لشعر حافظ، وتحاول هذه القراءة أن تعيد النظر في شعر حافظ على هدى من الدراسة الأسلوبية للأدب..».

وفي الفقرة الثانية صفحة (٦) من المجلة، ما يأتي: «وتحاول دراسة أحمد طاهر حسنين (المعجم الشعري عند حافظ ابراهيم) الاقتراب من أسلوب حافظ الشعري ولكن من خلال منظور يغاير منظور (الانماط الأسلوبية) وتبدأ الحركة الأساسية للدراسة مقترنة ببعد للقيمة..».

وفى الفقرة الرابعة صفحة (٥) من «الكتاب». «كما يحتوى الكتاب على دراسة (المعجم الشعري عند حافظ ابراهيم) وهو الإقتراب من أسلوب حافظ الشعري، ولكن من خلال منظور يغاير منظور «الأنماط الأسلوبية» وتبدأ الحركة الأساسية للدراسة مقترنة ببعد للقيمة..».. فهذا هو «التأليف» كما يتصوره الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ونرى ان محاولة تصرفه انما لتغييب أسماء كتاب الأبحاث الحقيقيين، كما أنه يشوه السياق.. وينهج المؤلف المزعوم نهجاً آخر حيث يترك بعض الأسطر فى نهاية الفقرة الاولى صفحة (٧) من الكتاب يتخطى اسطراً كما هي في المجلة، من منتصف السطر (١٤) فى الفقرة الثانية صفحة (٦) وهي ثلاثة اسطر، ويواصل بعد ذلك النقل المباشر ليتوقف عند نهاية السطر الاول صفحة (٧) من المجلة، ونلاحظ ان ما يتركه ترد فيه أسماء كتاب البحوث التى سطا عليها. يتابع النقل الى صفحة (٨) من كتابه ليعود إلى نقل الفقرة الاخيرة فى صفحة (٩) وهى الفقرة الثالثة فى صفحة (٥) من المجلة.. ومن الغريب أن يختم «مقدمته» بقوله «وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه» يرتكب كل هذا ويغير على جهود الآخرين ويختم بالصلاة على النبي! واردف فسجل «كتبه» واسفل هذه الكلمة اسمه وعنوانه، ولست أدرى على ماذا يعود الضمير المتصل فى فعل «كتبه» على المقدمة؟! فالصواب أن يقول كتبها، على الكتاب انما هذه مقدمته؟! وهل هي مقدمة من انشائه أصلا؟!.. بعد المقدمة يواصل النقل، ولكن هذه المرة من كتاب «الأدب العربي المعاصر في مصر» للدكتور شوقي ضيف، وهو لَدَيَّ فى طبعته الثالثة بدون تاريخ الطبع - وهو كتاب مشهور - أصدرته دار المعارف بالقاهرة وتاريخ تحرير مقدمة الطبعة الأولى ١٩٥٧، والثانية سنة ١٩٦١.

عنوان المبحث الاول من كتاب المؤلف المزعوم هو: حافظ ابراهيم - حياته - نقل من كتاب شوقي ضيف من صفحة (١٠٠) الى نهاية صفحة (١٠٣) والغريب ان يشير فى الهامش إلى اسم الكتاب ومؤلفه موهماً انه استمد منه

قانون رادع لسارقي

الفكر ضرورة لازمة

ـية بالأدلة

بقلم : د. الصادقي العماري
كليـة الآداب – المغرب

فكرة معينة او من أجل التوسع، لأنه لم يضع علامة الاقتباس لتعيين ما تم اقتباسه ـ كما هو العرف المتبع في مثل هذا الموقف، ولكن الواقع انه نسخ مباشر من كتاب شوقي ضيف للصفحات المذكورة، وتقابل في كتاب المؤلف المزعوم الصفحات ١١، ١٢، ١٣، ١٤ الى منتصف صفحة (١٥) ثم يسجل عنوان المبحث الثاني في «كتابه» لينقل بالحرف ما ورد في كتاب البحاثة عباس محمود العقاد وهو: «شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي» الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٥ نشرته مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ بدءاً من صفحة (٨) الى نهاية صفحة (٢٠) وتقابل هذه الصفحات في كتاب المؤلف الدعي من منتصف صفحة (١٥) الى منتصف صفحة (٢٦).

في مبحث «شعره» وهو بعد السابق مباشرة، يعود إلى كتاب شوقي ضيف المشار اليه لينقل ما ورد في صفحات من (١٠٤) إلى (١١٠) وتقابل في «كتابه» منتصف صفحة (٢٦) الى منتصف صفحة (٣٣).. بعد هذا يضع عنوان مبحث «قراءة أسلوبية لشعر حافظ» هنا يعود الى المجلة المذكورة التى اخذ منها مقدمة «كتابه» لينقل بحث الدكتور شكري عياد ـ بنفس العنوان. صفحة رقم (١٣) إلى صفحة (٢٧)، وتقابل هذه الصفحات في كتابه من صفحة (٣٣) الى صفحة (٧٨).

ويضع عقب ذلك مبحث «المعجم الشعري عند حافظ ابراهيم» وهو في الاصل للاستاذ محمد طاهر حسنين من صفحة (٢٩) في المجلة الى صفحة (٤٥) وتقابل هذه الصفحات في كتاب المؤلف المزعوم من صفحة (٧٨) الى صفحة (١٣١).

ثم يلي هذا مبحث «التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ ـ دراسة أسلوبية» وهذه الدراسة هي في الأصل لمحمد عبد المطلب من صفحة (٤٧) الى صفحة (٦٠) وتقابل في الكتاب ما في صفحة (١٣١) الى صفحة (١٧٣).

ثم يواصل عملية النقل لبحث بعنوان: «بناء الجملة في ديوان حافظ» وهو في الاصل لعلي هنداوي مع تغيير طفيف في العنوان، اذ هو في المجلة ـ التي هي مصدر النقل ـ «ملاحظات على بناء الجملة في ديوان حافظ» من صفحة (٦١) الى صفحة (٦٧) وتقابل في كتابه المزعوم ما ورد في صفحات (١٧٣) إلى (١٩٠)، وفي هذا البحث يتخلى عن نقل الفقرات الستة الاخيرة من صفحة (٦٧).. وبهذا ينتهي عمل هذا «المؤلف» ثم يضع فهرساً للعناوين الواردة في صلب «الكتاب» وبعد هذا التتبع أثير انتباه القارىء الى بعض تصرفات «المؤلف» في الهوامش من ذلك ان محاولته لتضليل القارىء تدعوه الى حذف كل ما قد ينبه القارىء الى الكُتَّاب الحقيقيين للبحوث التى نقلها، مثل ما فعل في هامش صفحة (٣٧) ولكنه يتبنى أحيانا ما يمكن ان يظهره بمظهر المقتدر ـ وهذا هو الذي يبقى عليه من كلام الكاتب الحقيقي للبحث ـ فيترك مثلا ما ورد في الهامش المشار اليه، وهو لشكري عياد حين يقول في هامش صفحة (٢٧) من المجلة.

«... والعقاد بنى تقييمه لشعر حافظ على فهم موضوعي يجمع بين معطيات التاريخ ومعطيات الفن، وهو المنهج المعتمد عندنا، وان كنا قد جعلناه في هذه الدراسة تاليا لرصد السمات الاسلوبية».. أبقى المؤلف المزعوم على هذه الفقرة وكأنها من عنده مع ما فيها من اشارة الى المنهج «.. والمنهج المعتمد عندنا» وكأن له ـ حقيقة ـ منهجاً إلا إذا سمينا السطو على جهود الآخرين منهجاً.. إن عمل هذا المؤلف المزعوم يعد استخفافا بالقراء والحاقاً للضرر بالدراسة والبحث، مما قد يدعو الى اساءة الظن بكل مؤلف ولو كان مؤلفا مجداً وأمينا، وعن جدارة واستحقاق إن عمل هذا «المؤلف» وأمثاله يشيع الزيف في ميدان لا مجال فيه للتدليس وما ينبغي له ـ الا وهو ميدان المعرفة والبحث.

لقد أيقظ هذا التصرف المشين أشجانا في نفسي وذكرني ببعض من يذهب مذهبه من أولئك الذين يريدون ان يقتحموا مجال البحث والتأليف بكل وسيلة مع انهم راسخو الاقدام في ميدان الكسب والتجارة والمقاولات يظنون ان ما حققوه في ذلك الميدان يمكن ان يفتح عليهم فينالوا مثله في التأليف، وهنا ينكشف أمرهم فيقعون في مثل ما وقع فيه هذا المؤلف المزيف، لقد حسب هو وامثاله من أدعياء العلم أنهم غطوا وجوههم بغطاء او قناع سميك ولكنه قناع اكثر شفافية من نسيج العنكبوت وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت، فليتق الله هؤلاء في أنفسهم، وفي تراث أمتهم، وخاصة أن المجال المعرفي يجب أن يبقى نقياً من التزوير بريئا من الغش والحيل. فليتسلقوا الى المناصب بما شاءوا من وسائل غير ادعاء العلم، وليتسابقوا إلى الالقاب العلمية ولكن بمراعاة الأمانة والاخلاص في العمل.

سنابل الخير

رعى صاحب السمو الملكي الامير سعود بن عبد المحسن امير منطقة مكة المكرمة بالنيابة الحفل السنوى الثامن لهيئة الاغاثة الاسلامية العالمية بالمملكة فى مشروعها الخيرى الكبير سنابل الخير الذى أقيم فى جدة.

وأكد سموه فى كلمته التى القاها بهذه المناسبة بأن الهيئة تقوم بعمل بنّاء لجميع الفقراء والمحتاجين فى الأمة الاسلامية ولكل من ابتلى فى دينه وعرضه وماله.

وشارك فى هذا الحفل الدكتور محمد عبده يمانى والشيخ محمد ناصر العبودي نائب الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى وعدد كبير من كبار الشخصيات ورجال الاعمال وقد بلغت مجمل التبرعات التى تم جمعها فى الحفل السنوى



الأمير سعود بن عبدالمحسن

الثامن «١٥» مليون ريال.

وأشاد الشيخ محمد بن ناصر العبودي نائب الامين العام لرابطة العالم الاسلامى بالدور الذى تقوم به هيئة الإغاثة الاسلامية العالمية فى المملكة.

وقال: ان شعوب الامة الاسلامية المحتاجة الى العون تتطلع إليكم يا أبناء هذه الديار المقدسة، وعندما تطلع الاخوة المسلمون اليكم لم يخب ظنهم فقد سارعت حكومتكم الرشيدة، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - فساعد على تشييد المساجد وعمارتها بالأئمة والمرشدين وعلى إقامة المدارس الاسلامية وتزويدها بالمدرسين كما وفرت لهم المصاحف الكريمة وترجماتها الى لغاتهم ورعت حقوقهم ودافعت عن قضاياهم، ولكن حاجات المسلمين واسعة وتمتد فى طول العالم وعرضه لذلك لابد من ان نسهم جميعا فى دعمهم واغاثتهم بصفة لها طابع النمو والاستمرار ومن هنا نشأت فكرة سنابل الخير التي نتمنى لها النمو والازدهار.

معرض القاهرة الدولي الـ «٢٧» للكتاب

كعادتها كل عام تحتفى مصر بوجه خاص والمثقفون العرب بوجه عام بالعرس الثقافي السنوي «معرض القاهرة الدولى للكتاب» الذى بدأت فعالياته يوم ١٩٩٥/١/١١م. ويتوقع المسؤولون عن الهيئة المصرية العامة للكتاب التي تنظمه وصول اعداد زواره لاكثر من خمسة ملايين زائر.. وشارك هذا العام فى المعرض ٢٣٠٠ ناشر من ٧٦ دولة عرضوا نحو ١٩ مليون عنوان على مساحة ١٠٥ آلاف متر مربع تشغل ٢٥ سرايا منها ٢٣ سرايا لعرض الكتب، وسرايان للأنشطة الثقافية التى تمثل عصبا رئيسياً للمعرض.. وهذه الأنشطة تجمع رموز الفكر والفن والثقافة فى العالم العربى ومصر.. وانطلاقا من أهمية مناقشة القضايا المستقبلية فى ضوء المتغيرات المتلاحقة وقرب



د. سمير سرحان

استقبالنا القرن المقبل الذى يطل علينا بعد سنوات قليلة اتخذ المسؤولون عن تنظيم الندوات موضوع « نحن والقرن الحادي والعشرون» محوراً رئيسيا يناقش مختلف القضايا التي تهم المنطقة العربية بصفة عامة ومصر بوجه خاص.. ومن ضمن الفعاليات الرئيسية للمعرض أيضا يتم التقاء

الجمهور كل يوم بكبار الرواد والمسؤولين والشخصيات المهمة وذلك فى حوار مفتوح حول التجارب، والاجابة عن التساؤلات المطروحة حول مختلف القضايا، وفى هذا العام شرف هذه اللقاءات الفكرية لأول مرة الامير خالد الفيصل وتحدث عن جائزة الملك فيصل العالمية.

كما شهد المعرض هذا العام أمسيات شعرية توافد اليها الشعراء العرب الذين يمثلون مختلف المدارس الشعرية والتيارات والاجيال وشهد نشاط المقهى الثقافى تميزا واضحا هذا العام حيث تضمنت محاوره قضايا وابداعات ثم قراءات مفتوحة ومناقشات حول الرواد في مختلف المجالات وقراءات الرواية وقضايا عامة.

متابعات ثقافية

مسابقات وجوائز
أدب الطفل

يسر نادي أبها الأدبي ان يعلن عن مسابقته الخامسة والعشرين على النحو الآتي:

الموضوعات:

١ ـ الشعر: مجموعة شعرية لا تقل عن عشر قصائد أو أناشيد خاصة بأدب الطفل.

٢ ـ القصة: مجموعة قصصية لا تقل عن خمس قصص قصيرة خاصة بأدب الطفل.

٣ ـ المسرحية: لا تقل عن ثلاثين صفحة فلوسكاب خاصة بأدب الطفل.

الشروط :

١ ـ المسابقة مفتوحة لكل المثقفين من الجنسين محليا وعربياً.

٢ ـ تكتب النصوص باللغة العربية الفصحى وتنطلق من مُثل وقيم المجتمع الإسلامي.

٣ ـ لا تقبل المشاركة من الذين سبق لهم الفوز بجائزة النادي على مدى الثلاث سنوات الماضية.

٤ ـ تكون النصوص جديدة وتطبع على الآلة الكاتبة من أصل وصورة.

٥ ـ يكتب المتسابقون والمتسابقات عناوينهم كاملة بما في ذلك رقم الهاتف.

٦ ـ تسلم النصوص الى إدارة النادي أو ترسل إليه على صندوق البريد رقم (٤٧٨ ـ أبها).

٧ ـ جميع النصوص التي ترد الى النادي لا تعاد الى أصحابها سواء فازت أم لم تفز.

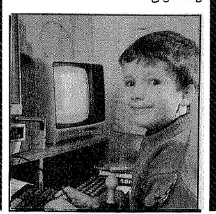
٨ ـ آخر موعد لقبول النصوص نهاية شهر ذي الحجة ١٤١٥هـ.

الجوائز :

يخصص لكل موضوع ثلاث جوائز على النحو التالي:

الأولى: (٣٠٠٠) ريال ـ الثانية : (٢٠٠٠) ريال ـ الثالثة: (١٠٠٠) ريال..

ولا يجوز الجمع بين اكثر من جائزة .. والله الموفق.



كلمات

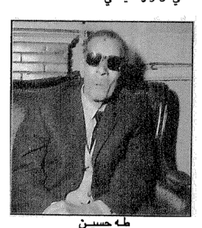
والعالم في همه أكبر من الجاهل، والذكى عبؤه أكبر من الغبي، والعاقل همه مثل الجبال إذا ما قورن بالمجنون والسبب أن هؤلاء المتميزين يدركون بعقولهم النيرة وتفكيرهم السليم، واستفادتهم من التجارب التى مرت بهم يدركون مكامن الخطر في الأمر الذي همهم ويعرفون مراميه، فيتعمق الهم في أنفسهم نتيجة هذا الادراك ويذهب بعيدا فتقوى عروقه بما تتشبث به داخليا، وتزدهر فروع دوحة الهم وتتفرع.. وبعض الناس همه يقفز على صفحة وجهه فتكون مرآة صادقة المحتوى، فاضحة للسر، معبرة تعبيرا وافيا عما يدور خلفها وبعض الناس همه في بئر عميق القاع مقفل الاعلى لا يوصل اليه ولا يعرف كنهه وقد يكون لاخفاء الشعور بالهموم اسباب تتوفر في هذا دون ذاك، وقد يكون الشباب مساعدا على التحمل والجلد، وكتم الهم، وعدم الشكوى وقد تكون الشيخوخة اقدر على ذلك لكثرة مخزون التجربة وتراكم مظاهر التأسي والعبرة.

(د. عبد العزيز الخويطر)

منزل العميد أصبح مركزاً للثقافة

«تونا الجبل» تقع في محافظة المنيا في مصر.. هذه المنطقة بُنِيَتْ فيها استراحة عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين منذ خمسين عاماً مضت.. ليشرف منها على الحفائر الاثرية التي كانت تقوم بها كلية الآداب في جامعة القاهرة عندما كان عميداً لها.

وهذا المنزل كانت له مكانته في نفس عميد الأدب العربي، وفيه كتب بعض مؤلفاته.. واخيراً رأى المجلس الأعلى للآثار المصرية تحويل هذا المنزل الى مركز ثقافي، ومزار سياحي.



طه حسين

ندوات
حاضر ومستقبل التعليم الجامعي في دول الخليج

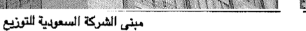
مكتب التربية لدول الخليج العربى مشاركة مع جامعة السلطان قابوس في مسقط عقدت الندوة الفكرية السادسة لرؤساء ومديري جامعات دول الخليج.

ودارت اعمال هذه الندوة تحت عنوان (البحث العلمي في جامعات الخليج وعوائده الاقتصادية والإجتماعية والحضارية).. وشارك في الدراسات المقدمة لهذه الندوة عدد من رؤساء ومديري الجامعات في دول الخليج وبعض الدول العربية، والمهتمين بالحركة التعليمية والتربوية، وعدد من ممثلي الهيئات والمنظمات العربية والاقليمية.

والبحث في الحركة التعليمية في العالم العربى الآن، يأتي في وقت دقيق وهام للغاية، إذ يتطلع الجميع الآن لمعطيات القرن القادم، وهو الآن على الابواب، مما يؤكد ان على القائمين على الحركة التعليمية ان يكونوا اكثر مواكبة ووعياً لمستجدات الأحداث، واعداد الطلاب لمستقبل يقوم على التنافس العقلى والفكري في ميادينه.. وهنا تكون النظرة المستقبلية اكثر دقة ووعيا.


في مسابقة دولية لاختيار صحيفة العام
إحدى أفضل
8 صحف في العالم
حمل رسالة من صدام حسين إلى يلتسين
كوزيريف موافقة العراق
التخفيف التدريجي للعقوبات

الصفحة الأولى لجريدة الشرق الأوسط



مبنى الشركة السعودية للتوزيع

الشركة السعودية للتوزيع وجريدة الشرق الأوسط في مسابقة الدليل الدولي للصحافة

في ديسمبر الماضي ١٩٩٤م، في مدينة لندن نظمت شركة الدليل الدولي للصحافة (IPD) مسابقة دولية لاختيار أفضل شركات التوزيع العالمية، والصحف العالمية.. وقد تقدم لهذه المسابقة عدد كبير من شركات التوزيع والصحف في العالم..

وبعد فحص دقيق للجنة التحكيم في الكم الهائل المتقدم للمسابقة، اختارت لجنة التحكيم اربع شركات عالمية باعتبارها أفضل شركات التوزيع أداء وخدمة..

وكانت (الشركة السعودية للتوزيع) قد حازت على المركز الثالث فى هذا الاختيار..وحضر هذا الحفل اكثر من (١٥٠٠) شخص من رجال الصحافة والنشر والتوزيع.. أما (جريدة الشرق الاوسط) جريدة العرب الدولية فقد كانت إحدى أفضل ثماني صحف في العالم، وهي الصحيفة العربية الوحيدة التي حظيت بالفوز بهذه الجائزة العالمية..

ولا شك أن فوز (الشركة السعودية للتوزيع) و(جريدة الشرق الأوسط) بهذه الجائزة يعد تكريماً لهما، واعترافاً بالجهد المتواصل في سبيل تحسين الأداء.

ومجلة المنهل: تتمنى لهما دوام التقدم والازدهار في مجال الصحافة والنشر والتوزيع.

الفضاء الخارجي وميض.. وانفجارات

كان علماء الطبقات الجوية يعتقدون أن الطبقة الجوية العليا للأرض «هادئة وساكنة ووديعة الى حد الملل».. الى أن وجد الدكتور ديفز سنتمان وزملاؤه فى جامعة ألاسكا فى فيرباتكس أنها طبقة حية بعروض كهرومغناطيسية مبهرة، اضافة الى انفجارات أشعة جاما وضجيج الاشارات اللاسلكية الغامضة التى اكتشفها علماء آخرون.. هذا بالإضافة الى اكتشاف ومضات فضائية تضئ مناطق تمتد من العراق شرقا الى شواطئ الصين واليابان.. وبعد طول بحث من المختصين اتضح لهم ان هناك نوعين من الوميض: أولهما - يدعى الاشباح - يوصف بأنه كالسمكة الهلامية حمراء كالدم ذات أطراف زرقاء باهتة. وتظهر على ارتفاع ١٠٠ كيلو متر وليس لها علاقة مباشرة بعواصف الغيوم.. والنوع الآخر يصل الى نصف ذلك العلو تقريبا - ويدعى النفاثات الزرقاء - وتنطلق من العواصف الرعدية على شكل تموجات تتناثر فى نهايتها.. وتعتبر انفجارات اشعة جاما اكثر غموضا. واشعة جاما هى أكثر أشكال الاشعاعات الكهرومغناطيسية قدرة - لهذا بحث العلماء عن هذه الأشعة في الاحداث الفلكية العنيفة. ولم يكن هناك أى سبب لتوقع أن هناك مصدر أشعة جاما فى الطبقة الجوية. غير أن القمر الصناعى لمراقبة الاشعة التابع لمركز مارشا للرحلات الفضائية اظهر في بياناته أن هناك انفجارات لأشعة جاما فى الجو منذ عام ١٩٩١م.. وجاءت هذه الحقيقة كمفاجأة كاملة، وقد «أضاءت» هذه الومضات منطقة تمتد من العراق شرقا الى المنبسط التيبتي، والمنطقة شرق أندونيسيا وشواطئ الصين واليابان.. وباختصار ، وجد الجيوفيزيائيون انفسهم فجأة أمام لغز غير متوقع وربما تجلب سنة ١٩٩٥ لهم بعض الاجابات على تساؤلاتهم واشارات الاستفهام الكثيرة.

جوائز

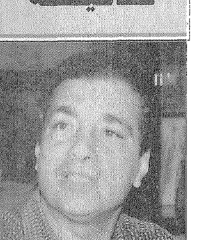
جائزة كفافيس الدولية للأدب

كفافيس/ شاعر يوناني الأصل، ولد في الاسكندرية ١٨٦٣م ودفن فيها ١٩٣٣م٠٠ ومنذ عام ١٩٩١م استحدثت له هذه الجائزة.

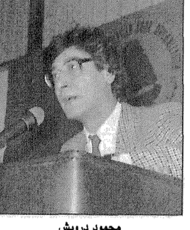
وفي عامها الثالث، قامت لجنة الجائزة بتوزيع الجوائز على الفائزين، وفاز بجائزة الشعر العربي لهذا العام الشاعرة العراقية نازك الملائكة، كما فاز بها الشاعرين المصريين محمد سليمان ونصار عبد الله٠٠ كما فاز بها الشاعر الفلسطيني محمود درويش٠٠ وفاز بجائزة الشعر اليوناني «جورج كالوكيدس»، وفاز بجائزة الدراسات الدكتور عبد اللطيف احمد على العميد السابق لكلية الآداب جامعة القاهرة.

وسبق أن فاز بجائزة كفافيس في الاعوام السابقة٠٠ احمد عبد المعطي حجازى، محمد ابراهيم أبو سنه، فاروق شوشة، ملك عبد العزيز ورفعت سلام.

متابعات ثقافية



فاروق شوشة



محمود درويش

● مؤتمرات ●

المؤتمر العالمي للمرأة المسلمة

المرأة المسلمة عبر تاريخها الطويل تعرضت لكثير من الحماقات المفتعلة ذات المقاصد السيئة تحت مسمى الدفاع عن حقوق المرأة ..حرية المرأة ..انسانية المرأة .. وغيرها من المسميات الغربية التي تمثل غطاء كثيفا لضلالات وحماقات كثيرة اراد بها رافعو هذه الرايات توجيه حركة المرأة حسب ما يودون٠٠ ولا نستطيع احصاء المؤتمرات التى عقدت فى الآونة الأخيرة تحت ستار حقوق المرأة.

ولا شك ان «المؤتمر العالمي للمرأة المسلمة المهجرة واللاجئة» الذي عقد في الشارقة في دولة الامارات العربية المتحدة جاء ليمثل نقطة تحول جادة في التوجه والهدف والغاية٠٠ وهذا المؤتمر من جانب آخر ـ رغم محدوديته من حيث الموضوع ـ فهو يمثل في جانبه الأساسي ترسيخاً للقيم الاسلامية الخالصة التي منحها الاسلام للمرأة.

والمؤتمر في موضوعيته المتخصصه يتناول وضعية المرأة المسلمة المهجرة من ديارها بسبب الحروب والكوارث التى عمت العالم فى الآونة الاخيرة، وهذا المؤتمر عمل مشترك لهيئة الاغاثة الاسلامية، بالاشتراك مع المفوضية العليا لشئون اللاجئين التابعة للامم المتحدة في جنيف، واللجنة العالمية غير الحكومية للنساء المهاجرات فى جنيف.

● لقاءات ●

المجلس القاري للمساجد

ترأس الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي الدكتور احمد محمد على والشيخ عبد الله العقيل الأمين العام المساعد لشئون المساجد فى السادس عشر من شهر يناير ١٩٩٥م الدورة الثالثة عشرة للمجلس القارى للمساجد باوروبا التابع للمجلس الأعلى العالمى للمساجد التابع لرابطة العالم الاسلامي وذلك فى العاصمة البريطانية لندن. والمجلس يهتم بشئون المسلمين ومساجدهم فى الدول غير المسلمة.

معارض

الفن.. تقابل مع الآخرين

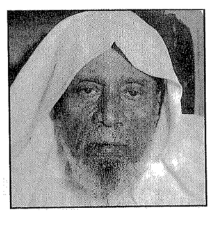
معهد أبحاث الفنون الحديثة فى جامعة كاسل الألمانية، عبر خبرته التى اكتسبها فى بحوث الفنون الحديثة، استطاع إقامة مجموعة من المعارض الفنية المهمة، وقد تم توثيقها فى (كتالوجات) وكتب مصاحبة لها.

ويُعدّ المعهد لاقامة معرض كبير فى أغسطس من هذا العام، وعنوان هذا المعرض (الفن .. تقابل مع الثقافة الاسلامية المعاصرة)٠٠ ويقام المعرض فى مدينة كاسل/ المانيا.. ستشارك فى فعاليات هذا المعرض اكثر من عشرين دولة بحوالي (٤٠٠) عمل فني، تعكس تطور الحركة الفنية في كل دولة مشتركة فيه٠٠ وستعرض الأعمال الفنية التى لها جذور فى حضارة هذه البلاد ـ ويهدف المعرض الى التعرف على مدى محافظة هذه الفنون على أصالتها، وإلى أى مدى تأثرت بالتيارات الثقافية الدخيلة.

والمعرض مخصص للفنون الجميلة الحديثة بكل أنواعها شريطة ان تكون معاصرة لأعمال فنية أنتجت فى السنوات الخمس الماضية.. ويصحب المعرض لقاءات ثقافية وندوات ومحاضرات ٠٠ وباب المشاركة مفتوح للراغبين من الفنانين.

وفيات الأعيان

الشيخ عبدالله خياط.. في رحاب الله



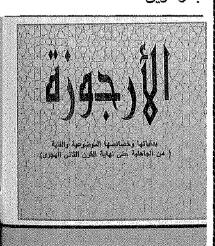
أشجى الناس بصوته الندي، وقراءته المتأنية الخاشعة، وأنعم الله عليه بالإمامة في المسجد الحرام بمكة المكرمة قرابة الثلاثين عاما.. انه الشيخ عبد الله عبد الغنى خياط أحد كبار علماء المملكة العربية السعودية في هذا العصر، فقد كان عضوا فى أعلى هيئة مرجعية دينية سعودية، وهى هيئة كبار العلماء منذ العام ١٣٩١هـ وحتى ١٤١٣هـ.. ولد الشيخ خياط في ١٣٢٦/١٠/٢٩هـ - ١٩٠٨م بمكة المكرمة وحرص والده الشيخ عبد الغنى بن محمد خياط على تنشئته تنشئة دينية حيث ألحقه فى حلقة من حلقات المسجد الحرام، رغم أنه قد انتظم أيضا فى الدراسة النظامية التى كانت تدرس فى المسعى.. وقد رزق الشيخ حافظة قوية إذ ظهر نبوغه الفكرى مبكرا عن أقرانه، فرشحه الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ - رئيس قضاة الحجاز - آنذاك - فى عام ١٣٤٥هـ لتولي إمامة الحرم المكى فى صلاة العشاء.. وقد صلى بالناس فى الحرم إماما العشر الأواخر من رمضان ولم يكمل التاسعة عشرة من عمره.. وفي عام ١٣٤٦هـ عين بأمر ملكي إماما للمسجد الحرام، تخرج فى المعهد العلمى السعودى بمكة المكرمة العام ١٣٥٠هـ، وبعد عامين عين مديراً للمدرسة (الفيصلية) بمكة المكرمة.. وفي العام ١٣٥٦هـ انتقل الى الرياض بناء على رغبة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وتولى إدارة مدرسة الأمراء أنجال الملك المؤسس.. وحينما رجع الى مكة تولى وكالة التشريع بها ثم عمادتها، وفى العام ١٣٧٣هـ عين إماما وخطيبا للحرم المكى واستمر حتى ١٤٠٥هـ.. ولم تقتصر نشاطات الشيخ على التدريس والامامة وانما كانت له مشاركات اعلامية صحافية واذاعية وله انتاج علمي منه:

- مبادىء السيرة النبوية
- الخطب فى المسجد الحرام (٦) اجزاء.
- الرواد الثلاثة.
- صحائف مطوية.
- اعتقاد السلف.
- التفسير الميسر (٣) اجزاء.
- حكم واحكام من السيرة النبوية.
- تحفة المسافر بأحكام الصلاة والصيام في الطائرة.
- تأملات في دروب الحق والباطل.
- هذا بالإضافة الى تسجيلاته للقرآن الكريم مرتلا التى مازالت قراءته الندية تتردد عبد الأثير يسمعها المسلمون في اقطار العالم.. وقد توفي فى ١٤١٥/٨/٧هـ الموافق ١٩٩٥/١/٨م بمكة المكرمة - رحم الله فضيلة الشيخ عبد الله الخياط رحمة واسعة وتغمده برحمته وأسكنه فسيح جناته وإنا لله وإنا اليه راجعون.

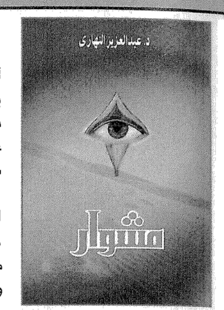
• كتب واصدارات •

● «الهروب ٠٠ من حاضر!!» ديوان شعر للشاعر مقبل عبد العزيز العيسى، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، واشتمل الديوان على كمٍّ كبير وعظيم فى القصائد الشعرية المتنوعة الأغراض، جاء ذلك فى ديوانه المجلد ذي الحجم الكبير المشتمل على قرابة الثلاثمائة صفحة.

● «الأرجوزة» بداياتها وخصائصها الموضوعية والفنية من الجاهلية حتى نهاية القرن الثانى الهجرى - تأليف الدكتور/ عبد المجيد الاسداوي ، ويتناول هذا الكتاب فن الرجز فى مفهومه اللغوى والاصطلاحى، ويؤصل لتاريخه، ويدرس خصائصه الموضوعية والفنية، ويعرف بأشهر أعلامه ، من الجاهلية حتى نهاية القرن الثانى الهجرى.. والكتاب ذو حجم كبير إذ يشتمل على ٣٣٦ صفحة، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ من طباعة دار الارقم للطباعة والنشر والتوزيع بالزقازيق.

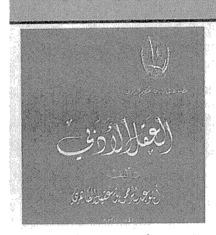


• كتب واصدارات •



● «مشوار» للدكتور عبد العزيز النهارى الطبعة الأولى، تناول فيه أغوار النفس الانسانية وما يدور بداخلها من خلال نتاج وتجارب «حسية» عايشها وشاهدها الكاتب فى سنين عده..

والكتاب من الحجم الوسط اذ اشتمل على ١٦٦ صفحة وهو من مطبوعات دار البلاد للطباعة والنشر بجدة.



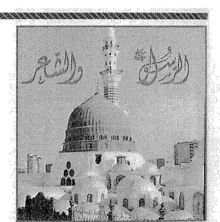
● «العقل الأدبى» تأليف «أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري» - الجزء الثاني - الطبعة الأولى - من مطبوعات نادي القصيم الأدبي ببريدة ١٤١٤هـ، والكتاب من الحجم الكبير اذ يحتوى على قرابة الستمائة وخمسين صفحة من الورق الأبيض والطباعة الفاخرة وهذا الجزء هو تكملة للجزء الأول من الكتاب واشتمل على الفصل الرابع بعنوان ظواهر حداثية، والفصل الخامس هموم نقدية، والفصل السادس: بين الحداثة والتراث.



● «الهمس الخافت» ديوان شعر للشاعر علي بن حسين الفيفى، الديوان من الحجم الكبير ويشتمل على العديد من القصائد الشعرية الموزونة المقفاة المتنوعة الأغراض، ويقع الديوان في ١٧٠ صفحة وهو من مطبوعات نادى الطائف الأدبى الطبعة الأولى في ذي القعدة لعام ١٤١٤هـ.

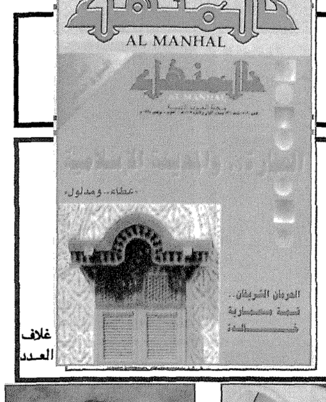
● «التذوق الفني» للدكتور يوسف خليفة غراب، الطبعة الثانية ١٩٩٤م الكتاب من الحجم الكبير ويشتمل على ٢٧٥ صفحة، ويتكون من خمسة عشرة وحدة تتناول ماهية الفن ووظيفته وعلاقاته المتنوعة بمختلف العلوم.





● «الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر» تأليف د. الشريف نايف بن هاشم الدعيس - الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.. الكتاب من الحجم الكبير إذ اشتمل على ١٩٠ صفحة تناول فيه مؤلفه مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء - إن رفضا أو قبولا - فى الوقت الذى نجد الغلو فى تمجيدهما أو الاغراق فى ذمهما والتشنيع عليهما.. ولقد أجلى المؤلف فيه عن حقيقة ما نسبه الأدباء والمؤرخون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان صحيحه وضعيفه بأسلوب أدبي جميل ودقة حديثية، وزاد إليه ما ثبتت روايته فى كتب المحدثين الفضلاء، فالكاتب قد جمع بين منهج المحدثين في التحقيق وأسلوب الكتاب والأدباء فى الاستيعاب.

من أصداء عدد العمارة.. والمدينة الإسلامية



غلاف العدد

كان عنوان العدد السنوي الخاص الذي اصدرته المنهل في شهر جمادى الآخرة ١٤١٥هـ «العمارة والمدينة الاسلامية» وهذا العدد يمثل مرجعاً موثقاً في موضوعه.. وقد وصلت المجلة مجموعة من الرسائل تشيد بهذا العدد.. وهذا جانب من هذه الرسائل.. ننشرها وفاء بوفاء.

المنهل


الأستاذ. علي الشاعر


د. محمد عبده يماني


د. يوسف عز الدين

المكرم الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصاري..

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

تسلمت خطابكم الكريم رقم ١٥/٤٧٦٠ وتاريخ ١٤١٥/١/٥هـ شاكرا لكم اهتمامكم ومقدرا مجهوداتكم المستمرة لتطوير ورفع مستوى مجلة المنهل وقد كان العدد المرفق بخطابكم غاية في الجودة والمضمون واتمنى لكم دوام التوفيق والنجاح..

ولكم أطيب تحياتي..

وزير الاعلام علي الشاعر

سعادة الأخ الاستاذ/ نبيه بن عبدالقدوس الانصاري - حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

نتابع بكل تقدير تطور مجلة المنهل العزيزة علينا جميعا، وإني أهنئكم على الخطوات التي تمت حتى الآن وقد سررت بما طرأ على الاعداد الأخيرة من تغيير في الاخراج والاعداد واستقطابكم لمجموعة من الكتاب من علماء وادباء ومفكرين، فارجو قبول اصدق التهاني وأسأل الله ان يديم على الجميع التوفيق والسداد.. ورحم الله مؤسس المنهل الرجل الفاضل استاذنا الشيخ/ عبد القدوس الانصاري وتغمده برحمته واسكنه فسيح جناته وبارك جهودكم.

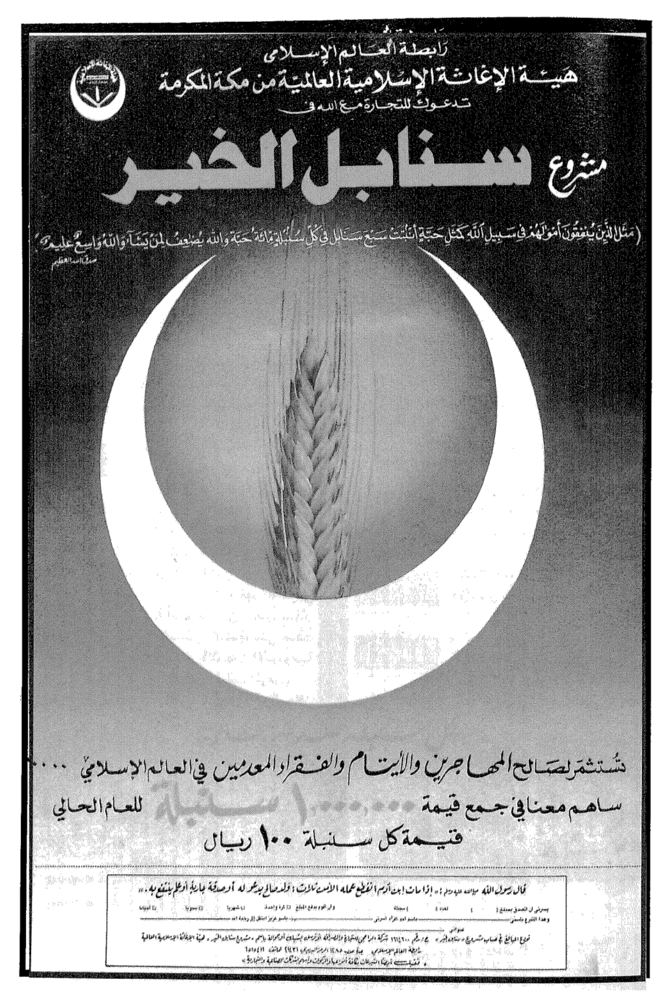
أخوكم محمد عبده يماني

سعادة الاخ العزيز/ نبيه الانصاري - حفظه الله..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فاقدم لاخي اجمل التهاني واعطر الاماني ببلوغ المنهل العذب سن الستين.. وبهذه المناسبة لابد ان اكبر الجهود الجبارة التي بذلها صديقي والدكم الفذ في ارساء قواعد هذا العمل الكبير وحافظ عليه بكل ما كان يملك من نشب وقوة.. ولا اشك بانه ذهب الى لقاء ربه قريرا مطمئن القلب فقد حافظت على التراث وبذلت جهدك في تطوير العمل ووصلت به مرحلة عالية من الاخراج والعناية حتى اصبح عملاً ادبياً يستفيد منها العالم والطالب والباحث.. بورك فيك يا ايها النبيه وسدد الله خطاك واراني دائما مزيدا من التقدم والتطور والابداع بجهدك وعلمك وذوقك.

أخوك يوسف عزالدين


رابطة العالم الإسلامي
هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية من مكة المكرمة
تدعوك للتجارة مع الله في
مشروع سنابل الخير
(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)
صدق الله العظيم
تستثمر لصالح المهاجرين والأيتام والفقراء المعدمين في العالم الإسلامي ...
ساهم معنا في جمع قيمة ١٠٠٠٠٠٠ سنبلة للعام الحالي
قيمة كل سنبلة ١٠٠ ريال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية أو علم ينتفع به».



الألف

* أهم سمات رمضان: النورانية التي تلامس القلوب والأرواح، وتشع فيه أضواء الرحمة
محمود عارف

* بركات رمضان: بشائر الخير تأتي في ركاب هذا الشهر الكريم.
د. عبد الله باقازي

التاء

* التهجد: تجافٍ أناء الليل عن الجنب، خضوعاً بين يدي الرب، للظفر بسعادة القرب.
عبد الرحمن حبنكة

* ثروة الصائم: صيانة اللسان عن الزلل، وطهارة الضمير من الخلل، والإيمان.
مصطفى زقزوق

الجيم

* جائزة الصيام: الصوم كالمطر للشجرة يغذيها ويزيل عنها الغبار والأتربة.
د. عبد الله الزهراني

* الحكمة من الصوم: هو كف الجوارح الظاهرة والباطنة عن المنهيات الموجبة لعذاب الله سبحانه وتعالى في الدار الآخرة.
د. فهد العصيمي

الخاء

* خطبة الجمعة: من أعظم وسائل توجيه الجماهير المسلمة، متى خُدِمَتْ بوعي وارتبطت بالأحداث الأسبوعية المهمة، وتوفر لها الخطيب الموهوب.
د. عبد الله العجلان

* الدعاء: مجانيق الضعفاء.
خالد بن صفوان

الذال

* الذكر: تفريغ النفس من عوالم الأكدار، وشغلها بصفاء صفات المنعم الجليل الغفار.
عبد الرحمن حبنكة

* رمضان: موسم من مواسم الخير فيه تصفد الشياطين وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النيران وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.
فراج بن علي العقلا

الزاي

* زكاة الفطر: هي طهر للصائم من اللغو والرفث.. تؤدى قبل صلاة عيد الفطر، وإلا تصبح بعد ذلك صدقة من الصدقات.
د. محمود زيني

* السهر في رمضان: معضلة اجتماعية وعادة دخيلة أفقدت ليالي هذا الشهر المبارك طعمها وحلاوتها.
سعيد القحطاني

الشين

* شهر رمضان: شهر القرآن الكريم، وهو شهر الهدى والبيان.
د. صالح بن حميد

* الصوم: دعوة الى أداء كل الواجبات في العبادات والمعاملات، ورعاية لكافة حقوق المخلوقات.
الشيخ جاد الحق جاد الحق

الضاد

* ضيف رمضان: ضيف يحظى بالترحيب لأن أجره أضعاف ما نطعمه من طعام. **تميم الحكيم**

* طريق الاستقامة: طريق أولها الكرامة.. وأوسطها السلامة.. وآخرها الجنة. **(من المأثور)**

الظاء

* الظالم: أخسر الناس صفقة يوم القيامة. **علي قاسم الفيفي**

* عقيدة التوحيد: الإيمان بالله المتفرد بالألوهية والربوبية، وأنه سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العليا. **عفيف الصبابطي**

الغين

* غاية الصوم: الوصول الى تقوى الله «لعلكم تتقون». **الشيخ الشعراوي**

* فريضة الصوم: هي أرقى المثل لتربية النفس وتقبل الحرمان بالرضا والاخلاص. **مطلق الذيابي**

القاف

* القرآن : أعظم ثمرات رمضان .. يهدي الى الرحمن .. ويرشد بالتفكر والتدبر الى الإيمان **تميم الحكيم**

* الكعبة : سرة الأرض.. ووسط الدنيا. **ياقوت الحموي**

اللام

* ليلة القدر : هي ليلة الرحمة الشاملة يفوز بها كل مؤمن يمتلئ قلبه بالتقوى. **مصطفى زقزوق**

* المقصود من الصيام: حبس النفس عن الشهوات وعدولها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها. **ابن قيم الجوزية.**

النون

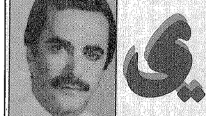
* نفقة رمضان: نفقة مخلوفة سواء في الصدقة ، أو في تكريم زميل أو صديق، أو في تفطير صائم.. قال ﷺ «من فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص ذلك من أجره شيئاً». **د. راشد الراجح**

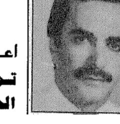
* هوية الصائم : خلوف فمه وامتناعه عن رغباته ارضاء لربه سبحانه وتعالى. **د. عبد الله باقازي**

الواو

* الوهن : حب الدنيا، وكراهية الموت **(حديث شريف)**

* يوم الصائم : هو يوم مفتوح تتسابق فيه أركان النفس وجوارحها بتنفيذ ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه، فحاجات الجسد من طعام وشراب وغرائز أخرى تقوم لتوجه طاقاتها للعبادة ، والجوارح من سمع وبصر ونطق تصم وتغمض وتصمت عن محارم الله لتنشغل بما يرضي الله. **عائدة الجراح**







اعداد:
تميم
الحكيم

اللغـــة الشـ

مســك الختــام

قد يتساءل بعضنا لماذا هذا الموضوع بالذات ؟ وما المقصود باللغة الشعرية في شعرنا المعاصر ؟ وقد ينصرف البعض الى القول أن هناك كتابات كثيرة ومتعددة الجوانب طرقت هذا الموضوع من قبل كثير من الكتاب والشعراء وأهل الاختصاص ، ونظرا لاهمية اللغة الشعرية في صقل روح القصيدة وإبراز طاقتها الابداعية وإمكانياتها الفنية ، لابد لنا من هذه الوقفة المتأنية أمام اللغة الشاعرة التي كان لها حضورها المؤثر والفاعل في تراثنا حتى غدت من شواهد التراث الاصيلة في شعرنا العربي .واليوم فإن شعرنا المعاصر من حقه أن تتناسب لغته مع لغة العصر ، وأن يأخذ من كل ماهو جديد وحي ، والذي يقرأ شعرنا العربي المعاصر عند بعض الشعراء سيجد بلا أدنى شك أن جمال القصيدة وما تبعثه من انفعالات إنسانية فينا ناتج عن الطريقة في تشكيل الصورة الشعرية .ورصانة اللغة..

فالتجربة الشعرية عند أي شاعر هي في أساسها تجربة لغة ، لأن الشعر هو الاستخدام الفني للنواحي الحسية والنفسية والعقلية والصوتية للغة ، لذا فلغة الشعر هي الوجود الشعري الذي يتحقق في اللغة انفعالا وصوتا وموسيقا وفكرا .. لغة الشعر هي الخيال والصور الموسيقية والمواقف الإنسانية البشرية ، والصورة الشعرية بكل أبعادها الإيقاعية والتشكيلية والموسيقية والتجريبية هي اللغة الشعرية ، فما حدث للقصيدة العربية منذ الخمسينيات من تغيرات جذرية في بناء القصيدة وتركيباتها ، وفي المفهوم التنوقي ، جعلنا نقف عند هذا المفهوم ، فعلى الشاعر أن يستخدم اللغة السليمة والمتينة والمعبرة عن الواقع بحيث لا يقع في الركاكة والضحالة ، ومن حقه أن يكتب الشعر ، لكن ليس الى حد الابتذال بدعوى الاقتراب من الحي الواقع ، فهذا ما لايقبل في لغة الشعر المعاصر ، فاستخدام الشعراء للكلمات العامية في كثير من القصائد تعتبر



محمد أحمد القضاة.. الأردن

ـعرية في شعرنا المعاصر

جناية ترتكب بحق اللغة الشعرية ، ينبغي أن تترتب عليها عقوبات ونقد موضوعي من أصحاب الاختصاص وأهل الفكر ، والادب ..القصيدة الحديثة في الشعر العالمي ، وقد تصل الى الشعر العربي ، تريد أن تكون شيئا مكتفيا بذاته ، كيانا يشع دلالات عديدة، نسيجا من عناصر متوترة ، بل ميدانا تتصارع فيه القوى المطلقة لتؤثر بالإيحاء على طبقات من النفس لا صلة لها بالعقل ، وتمد أثرها على مناطق الأسرار المحيطة بالافكار والكلمات ، فتشيع فيها الرعشة لذلك جاءت صرخة الشاعر المعاصر احتجاجا على العصر وروحه وخروجه على مألوفه المتمثل في تراثه الذوقي ..

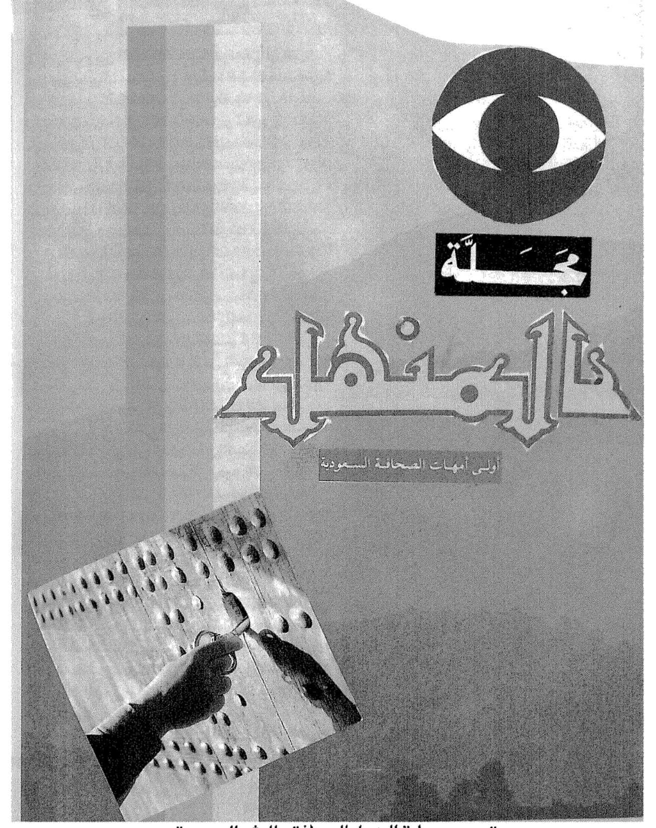
ويحاول كثير من الشعراء التجديد وذلك رغبة منهم في الابتعاد عن الطريق الذي سلكه الشعراء القدامى «الجاهليون » ، فنحن معهم لأن قصائد أولئك الشعراء تناسب عصرهم ، لكن لغتهم فيها من الجزالة والقوة ما لا نجده في كثير من أشعار المعاصرين .. وما نريده من الشعراء المعاصرين أن يكون التراث الشعري مع أشعارهم . نريد معاني قوية مستنبطة من عصرنا باسلوب فاعل ، يدل على القدرة على التجديد ..

لقد حاول الشاعر المعاصر أن يعيد النظر الى هذا التراث في ضوء العصر لمعرفة وتقدير ما فيه من قيم ذاتية باقية ، روحية وانسانية ، وتوطيد العلاقة بين الحاضر والتراث عن طريق استلهام المواقف الروحية والانسانية في الابداع المعاصر ، الا أن ومضات هذه النظرة بدأت في الخفوت بين صفوف عدد غير قليل من الشعراء المعاصرين كما جرت محاولات للتطوير والتجديد في الشعر «الحر» في أواخر الاربعينيات وقد حرصت تلك المحاولات على الصلة بالتراث الشعرى العربي فحافظت على اللغة والاوزان العربية حتى عبرت القصيدة الجديدة عن الهموم والتطلعات الذاتية والجماعية المعاصرة عبر تجربة فعلية لا تقليد فيها لنماذج جاهزة..

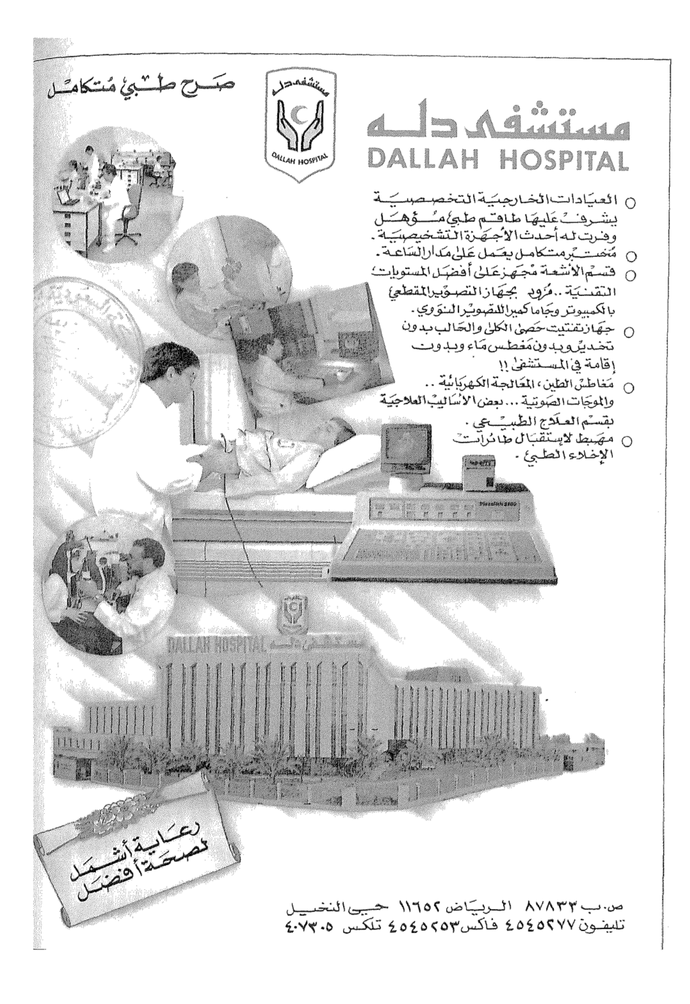
ان الشعراء في العصور السابقة (الجاهلية والعباسية والاموية والاندلسية) وجدناهم يطورون اللغة الشعرية حسب مقتضيات العصر، فالعباسيون استطاعوا أن يطوروا اللغة الشعرية من البداوة الجافة ولغة العامية المبتذلة، وبذلك استخدموا اللغة الفصيحة وأضافوا اليها النصاعة والعذوبة، أما عصرنا الحديث فهناك شعراء كانت لغتهم تمثل الواقع اللغوى الفصيح بقوتها، كأحمد شوقي ومطران وحافظ ابراهيم، فلغة الشعر عندهم تختلف عن لغة الشعر عند ابراهيم ناجي وعلي محمود طه، كما أن لغة هؤلاء الشعراء تختلف هي الاخرى عن لغة الشعر عند السياب ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي ونزار قباني، أو حتى لغة الشعر في السبعينيات والثمانينيات ليست هي لغة الشعر في الاربعينيات والخمسينيات، لقد تميزت أشعار هؤلاء الذين ذكرتهم بالموسيقى العالية والعناية العروضية واللغة الفصيحة المعبرة عن الواقع والتراث، الا أننا في أيامنا هذه بدأنا نلمس قصور اللغة عند بعض الشعراء لأنهم ابتعدوا عن ذلك النبع الجميل الذى تركه لنا الآباء والأجداد من أساطين الشعر.

ان قضية اللغة والشعر هي قضية مهمة، فقضية الشعر الحر لم تعد موضع جدال، فقد حسمها الزمن، كما أنها ليست قضية شعر تقليدى وشعر حر، ولكنها قضية شعر جيد وشعر رديء ، وما نتمناه على شعرائنا المعاصرين أن يمسكوا بزمام اللغة وأن تكون لغتهم لغة الحياة والاحياء، وأن لا يقعوا في الركاكة، فالشاعر لا يولد شاعرا من غير أن يدأب ويجهد نفسه في القراءة المستمرة والمثمرة، وأملنا في الادباء والشعراء أن يحققوا هذا الهدف الذي نصبوا اليه حتى نرى الشعر رصينا قويا قادرا على استيعاب معطيات العصر، وأن نعيد لذلك التراث الذي ورثناه حياته ووجوده مع عصرنا الذى اختلط فيه «الحابل بالنابل».

{٦٠} عامـــاً
مـن الاشعاع الفكري المتميز



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة
المركز الرئيسي/ جدة ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٩٢٥ ت/ ٦٤٣٢١٢٤ - فاكس/ ٦٤٢٨٨٥٣


صرح طبي متكامل
مستشفى دله
DALLAH HOSPITAL
DALLAH HOSPITAL
العيادات الخارجية التخصصية يشرف عليها طاقم طبي مؤهل وفرت له أحدث الأجهزة التشخيصية.
مختبر متكامل يعمل على مدار الساعة.
قسم الأشعة مجهز على أفضل المستويات التقنية.. مزود بجهاز التصوير المقطعي بالكمبيوتر وجاما كميرا للتصوير النووي.
جهاز تفتيت حصى الكلى والحالب بدون تخدير وبدون مغطس ماء وبدون إقامة في المستشفى !!
مغاطس الطين، المعالجة الكهربائية.. والموجات الصوتية... بعض الأساليب العلاجية بقسم العلاج الطبيعي.
مهبط لاستقبال طائرات الإخلاء الطبي.
DALLAH HOSPITAL مستشفى دله
رعاية أشمل لصحة أفضل
ص.ب ٨٧٨٣٣ الرياض ١١٦٥٢ حي النخيل
تليفون ٤٥٤٥٢٧٧ فاكس ٤٥٤٥٢٥٣ تلكس ٤٠٧٣٠٥

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٢٢) المجلد (٥٦) ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٥ هـ / ابريل - مايو ١٩٩٥ م

حقوق الطفل في الإسلام

سة الاتحاد النسائي

ربي بباريس:

الفرنسيات

تخذن المسلمات

قدوة لهن

اجتماع الحجيج في صعيد عرفات دعوة للتوحيد والتوحد

نتيجة مسابقة المنهل السنوية « المسرحية ذات الفصل الواحد



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

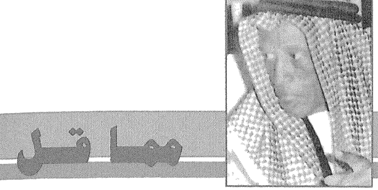
السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٨ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال





ذلك هو الحج المبرور

ما اسعد الحجاج الوافدين من كل فج عميق الى هذا البيت الحرام يبتغون عفو الله ومغفرته ورضوانه وينشدون اصلاح نفوسهم وشئونهم الخاصة والعامة، ما اسعدهم اذا ادوا هذه الفريضة المقدسة اداء صحيحا كاملا كما رسمه الرسول عليه الصلاة والسلام..

ان ذلك هو الحج المبرور.. ان الحجاج جميعا ليقولون بلسان واحد وبقلب واحد: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».. ومعنى هذا انهم قد لبوا دعوة الله الى الحج فى ابتهاج وانشراح لانهم موقنون من اعماق قلوبهم بان الله واحد احد لا شريك له، له الحمد ازاء تفضله عليهم ومنه وله النعمة، والملك..

معان سامية، اذا قرت في قلب المؤمن الحاج استهدف التضحية فى سبيل عزة الدين الحنيف وجعل كرامة بنيه الذين هم اخوته، نصب عينيه وامتلأ قلبه رجاءا وحماسة لرفع مستواهم ودفع اذاهم، فما يريم عن سبيل الهدى والانقاذ حتى يصل منهما الى الامل المنشود.. وكذلك كان وما زال الحج الى بيت الله الحرام مشعلا وضاء ينير جنبات النفوس وواجبا دينيا مقدسا، جمع الله فيه للمسلمين بين خيري الدنيا والآخرة، فهم يلتقون فى ايام معدودة في صعيد واحد لا فرق بينهم ولا حواجز ويوسعهم التآلف والتفاهم والتآزر والتعارف وتبادل المنافع، ودرس الاوضاع الخاصة والعامة.. واصلاح ذات البين ودفع غوائل المستعمرين والمحتلين عن ديارهم علاوة على ما ينالونه من مغفرة ورضوان، بما أدوا أحد اركان الاسلام، وبما انفقوا فى سبيل الله من جهود واموال وبما قطعوا من مسافات.

حقق الله الآمال ، وأصلح حال المسلمين ومستقبلهم وهداهم سواء السبيل.

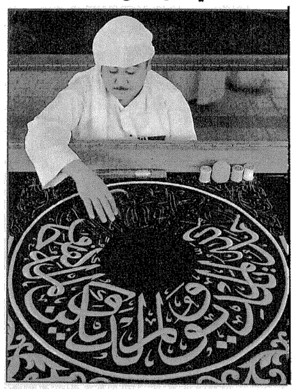
«عبدالقدوس الأنصاري»

ذو الحجة ١٣٧٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

لقطة الشهر

الكعبة المشرفة، كانت تأتيها الكسوة من خارج المملكة قديماً .. والآن، بعد إنشاء مصنع الكسوة فإنها أصبحت أداء رائعاً من العمل الفنى والتقني المتواصل لاخراج هذه الكسـوة في ابدع وأروع صـورة ممكنة.



٥ اشــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.


طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة - تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس : ٦٦٠٤٦٧٦

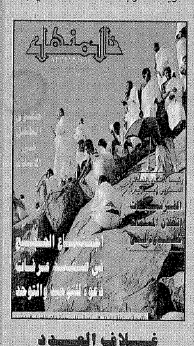
صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د / عبدالرحمن الأنصاري

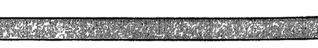
نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

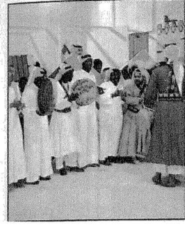


في هذا العدد

ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٥هـ/ ابريل - مايو ١٩٩٥م



العدد: (٥٢٢)
المجلد: (٥٦)
العام: (٦٠)


مهرجان الربيع

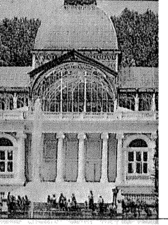


وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٢٢١٢٤

منهليات


قصر الكريستال في مدريد

«تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا»

ويأتي الحج الاكبر ٠٠ والعالم الإسلامي كأنما قد أطلق من فوهة مدفع رشاش ، فتناثر في الأرجاء لا تبين معالمه.. حالة من الضعف والخضوع أصابت العالم الاسلامي كم تمنينا أن يُعافى منها.. ولكن مجريات الأحداث تقول غير ما نتمنا ٠٠ وكأنّا غرقى في بحر لجي، هائج مائج.. هناك في البوسنة والهرسك ، والشيشان حرب طاحنة لاجتثاث المسلمين من عروقهم، وفي شبه القارة الهندية حرب غير معلنه على المسلمين في كشمير٠، ومجاهدو أفغانستان يقتتلون فيما بينهم.. و في بعض دول «العمق الاسلامي» ـ إن جازت هذه التسمية ـ اختلاف وتنافر بين كثير من أقطاره، على أشياء لا يصعب حلها إن حسُنَتْ النوايا، واستُبْعدتْ الاستراتيجيات السياسية إلى حدٍّ معقول أو عدّلت.. ووسط هذا الركام المتناثر ، تأتي اسرائيل لتلتقط العصا ، وتُسيِّر بها الحركة في اتجاه الريح التي تقف عند مهبها..

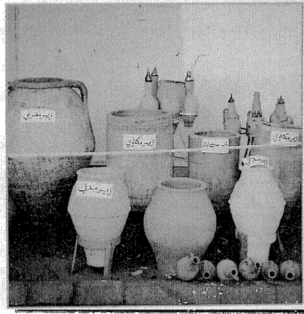
ويؤكد هذا ، الرؤية الأخيرة التي خرج بها المؤتمر الاوروبي في إعادة التقسيم لبعض مناطق العالم وبخاصة منطقة الشرق الاوسط برؤية سياسية واقتصادية٠٠ حيث قسمت هذه المنطقة الى ثلاث مجموعات لتدخل اسرائيل بصورة رئيسية ضمن التقسيم الجديد في محاولة منها لاختراق التكتلات العربية والإسلامية في المنطقة.. ويأتي الحج الاكبر، ليوقظ في المسلمين روح الوحدة والتوحد.. وما كان أذان سيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ـ إلا دعوة للتجمع والتوحد تحت راية واحدة، هي راية الحق ٠٠ وما يزيغ عنها إلا هالك.. وما أبلغ حكمة الشاعر القائل:

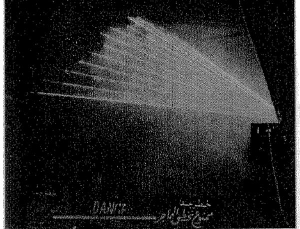
تأبى الرياح إذا اجتمعن تكسرا
وإذا افترقن تكسرت آحادا

بل ما أبلغ قول الحق سبحانه «إنَّ هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاتقون» ..انه الحق ما يحيد عنه إلاَّ صاحب إضلال وهوى.

إضاءة

- مجاهدة النفس وحملها على الجادة فضيلة كبرى.
- الحج مشروع تربوي للنفس المؤمنة.
- عاطفة الأمومة غرس زاهر في حياة الطفل.
- التشريع الاسلامي جاء ليخلق من الانسان كائناً مميزاً في عطائه.
- الأجناس الوافدة على العربية كان لها أثرها في اشاعة اللحن.
- سكان جنوب الجزيرة العربية أصفى لغة، وأبعد عن تأثير العجمة.
- مهرجانات التراث نافذة على ذاكرة الماضي.
- المطبعة كان لها دورها في اثراء حركة الرحلة والرحالة.





مهرجان الربيع .. ذاك

الزير .. والليزر :

التشابه بين كلمتى الزير والليزر يؤجج فى الانسان رغبة قوية فى أن يقطع المسافة الزمنية بين عصر الزير وعصر الليزر .. وأن يركب مركبة الزمن لتقطع به هذه المسافة بتؤدة دون تسرع حتى يتسنى له رؤية الحياة - كما كانت في عصر الزير .. وما بينه وبين عصر الليزر .. مُمَتِّعا نفسه باستنشاق عبق الماضي.. مستفيدا من تجارب الأجداد وابداعاتهم وتطويعهم للخامات المتاحة بين ايديهم وتوظيفها لراحتهم وراحة ابنائهم.

ولعلك عزيزى القارئ تتوق للقيام بهذه الرحلة..

ويسر مجلتك المنهل أن تحقق لك هذه الرغبة - أى قطع المسافة بين عصري الزير والليزر - ورحلتنا يا عزيزى بعيدة .. قريبة.. بعيدة لأنها ستأخذنا الى ماضى الأجداد.. وقريبة لأنها تقع فى مكة المكرمة.. وبالتحديد فى ساحة مهرجان الربيع بمكة المكرمة.. وقديما قالوا:

واذا لم تدر ما قوم مضوا
فاسال الآثار واستنتب الديارا

التراث العنصر الأهم للتحضر والخطوة الأولى نحو التقدم

فهيا إلى الآثار وقديم الديار لنرى - رأى العين - حياة الآباء والاجداد - وليأذن لنا من يركب معنا مركبة الزمن أن نتكلم بعمومية - حتى نتيح لكل قرائنا الأعزاء مشاركتنا هذه الرحلة.

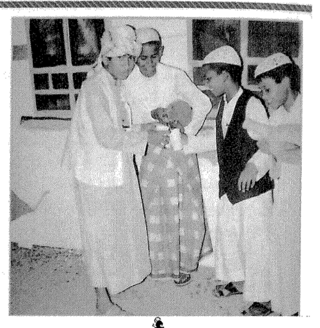
الزمازمة :

تبدأ رحلتنا بالدخول الى أرض مهرجان الربيع بمكة المكرمة.. وما أن تدلف الباب الرئيسي حتى يقابلك الزمازمة - وهم مجموعة من الصبية يرتدون زيا تقليديا أصيلا جميلا - يحملون دوارق فخارية معطرة مملوءة بماء زمزم المبارك - يتقدمون نحوك .. يحيونك بابتسامة ودودة - ويقدمون لك ماء زمزم المبارك فى أكواب فخارية - بالمجان - .

وما أن تنتهي من شرب الماء المبارك - حتى يستقبلك المشرفون على تنظيم المهرجان وكأنك ضيف الشرف أو

استطلاع مصور

اعداد وتصوير:
يعقوب السيد حسنين / جدة





...رة الأجيال وجسر التواصل

الزائر الوحيد لهذا المهرجان.

وعند كل جناح من فعاليات المهرجان تجد من يشرح لك الدقائق والتفاصيل لما يحويه الجناح.. وإذا عنّ لك أى سؤال.. يجيبك عنه بكل بشاشة وترحاب.

حارة الباب:

ما أن تقع عيناك على أول الحارة.. حتى تجد نفسك مشدودا لمشاهدة كل جزء فيها - برغم انها تقع على مساحة ١٤٠٠٠ مترا مربعا (٤٠ × ٣٥٠م٢).

حى شعبي متكامل يشتمل على مركاز العمدة - ديوان الدهالوة - السوق الصغير - البازان - المقهى الشعبى - الرباطات - زقاق السقيفة - مدرسة النجاح الأهلية - كتّاب الشيخ عاشور - كركون الحارة - دار شيخ طائفة الدلالين.

إضافة الى دكاكين - اللحام - القفاص - الدباغ - السمكرى - النجار - مزين وحجام - السمان - الوزان - العطار - مصلح دوافير واتاريك القاز - غسيل وتمسيد - اللبان - نحاس القدور - الفول والمعصوب.. ودكاكين بائعي الأطعمة والحلويات.. وغيرها.. اكثر من ٣٠ دكاناً و٢٠ منزلا.

وسنأتي على ذكر بعضها بشئ من التفصيل لنكون عَيْنَي وأُذُني من لم يسعده الحظ ويركب معنا «مركبة الزمن».

السوق الصغير:

ضمن المشروع الضخم لخادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - الخاص بتوسعة الحرم المكى الشريف تمت ازالة السوق الصغير بكامله - مع ما أزيل - حيث كان متاخما للحرم المكى الشريف قبل التوسعة وكان من أشهر اسواق مكة المكرمة.

والذين عرفوا هذا السوق - قبل ازالته - وشاهدوا تجسيدا حيا له - في المهرجان - كانوا مشدوهين - وهم يرون السوق - كأنما بعث من جديد - بدكاكينه التي تباع فيها الأكلات الشعبية التي تميزت بها مكة المكرمة.. كالحبش (الذرة) المسلوق والمشوي، والسويق، والفول، والترمس، والأقرمانيس، والسوبيا، وأبو علي، والأسكريم «أبو عود» والسحلب.. وغيرها من الحلويات.

مركاز العمدة:

العمدة كبير أهل الحى (إعتباراً) يشارك أهل الحي

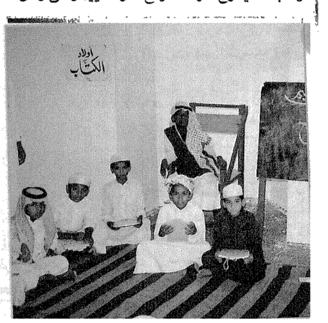
أفراحهم ويشاطرهم أحزانهم.. يعرف كل أهل الحي كما يعرفونه.. همزة الوصل بين الدوائر الرسمية وسكان الحي.. والمسئول عن تخليص معاملاتهم.

وكان للعمدة مركاز (مقر) يجلس فيه ومعه أعيان الحارة ورجالاتها وتجارها.. يتشاورون فيما بينهم.. من أجل مصلحة الحى والسكان وكانت الجلسات لا تخلو - فى بعض الأحيان - من سرد بعض الطرائف.. ويتكون مركاز العمدة من بعض الأرائك عليها وسائد يجلس عليها المجتمعون وتتوسط أريكة العمدة المركاز - الذي يكون فى مكان مختار من الحي.

ديوان الدهالوة :

«قديمك نديمك» مثل شعبى قديم يقفز الى ذاكرتك فجأة عندما تجد نفسك أمام ديوان الدهالوة.. وقد تكون من أهل مكة المكرمة وتعرف الكثير عن هذا الديوان.. أو لست من أهلها فتسأل ما هو الديوان؟ وما عمله؟

وبعض الاجابة فى اسمه فالديوان متعارف على أنه مكان اجتماع.. أما عن عمله فهو متشعب وله اكثر من جانب.. ففيه جلسات السمر والترفيه.. وفيه أيضا بحث شئون الحى ومطالبه.. تبحث بواسطة العمدة وأعيان الحي.. وفيه ايضا تفض المنازعات التى قد تنشأ بين الجيران أو بين الأسر وبعضها - وغالبا ما يخرج طرفا النزاع متراضيين وعلى وفاق.



مدرسة النجاح الأهلية:

اختار منظمو المهرجان مدرسة النجاح الأهلية - التى اسسها الشيخ عبد الله خوجة لتعليم الكبار بمكة المكرمة - لتكون رمزا، وبما أن الشيء بالشيء يذكر فعندما سيقع نظرك على مبنى مدرسة النجاح فستتذكر - حتما - بعض المدارس التى كان لها الدور الأكبر فيما وصل اليه علماء وأدباء هذا البلد الأمين.. كالمدرسة الصولتية التى كانت فكرة تأسيسها للعلامة المصلح الشيخ/ محمد رحمة الله بن خليل الله.. الذى ينتهى نسبه الى عثمان بن عفان رضى الله عنه.. ونسب اسم المدرسة الى السيدة/ صولت النساء بيغم التى تبرعت بأوفر قسط لانشاء المدرسة.

وستذكر أيضا مدرسة الفلاح بدورها المعروف.. وكذلك مدرسة البنات الهزازية.. (نسبة الى مؤسستها السيدة/ فاطمة الهزازي).. وغيرها.

كُتّاب الشيخ عاشور:

الكتاتيب.. من لم يَرَ منَّا الكتّاب فلابد أنه سمع عنه.. والكتّاب عبارة عن مكان فى مساحة غرفة واحدة كان يرسل إليه أطفال الحارة (الذكور) فى سن مبكرة (أربع أو خمس سنوات) ويقوم على تعليمهم أحد المشايخ المقرئين من حفظة القرآن الكريم.. يناديه الأطفال «سيدنا».

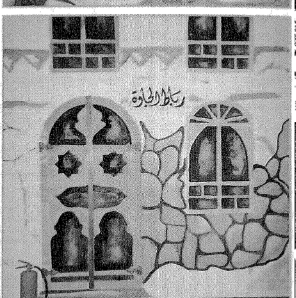
ويختار سيدنا معاونا له من كبار الأولاد يتوسم فيه فطنة وحسن خلق ويعرف هذا الولد بـ «العريف» يساعد «سيدنا» بأن يقرأ المكتوب على السبورة بصوت مرتفع ويردد بعده الأولاد حتى يحفظوا الدرس.

وعلى أحد جدر الكُتّاب تعلق سبورة سوداء كتب عليها سيدنا بعض الحروف الهجائية أ ب ت ث ج ويطلب سيدنا من الأولاد أن يرددوا بعده «الألف لا شئ عليها.. والباء واحدة من تحتها والتاء اثنين من فوقها» ثم يطلب من العريف متابعة القراءة بصوت عال.. وبعد ان يتأكد من حفظ الحروف التى كتبها.. يكتب حروفا اخرى استعدادا لحفظها. وهكذا الى آخر الحروف الهجائية وتستغرق هذه العملية عدة ايام..

وبعد أن يتعلم الاولاد الحروف الهجائية.. يبدأ سيدنا فى تحفيظ الاولاد قصار السور من جزء «عمّ» بنفس طريقة التحفيظ - أى بالقراءة بصوت عال من قبل سيدنا أو العريف وترديد الاولاد بعده.

استطلاع مصور
استطلاع مصور
استطلاع مصور





كان الكتّاب مقصوراً على الاولاد فقط.. ولكن كيف كـانت تتـعلم البنات ؟ لقـد كن يتـعلمن عن طريق الفقيـهة.. وفي بيتـها الذى تخصص جزء منه لهذا الغرض. وكانت الفقيـهة تعلم البنات القراءة والكتابة وحفظ سور القرآن الكريم.

وهناك تقليد جميل كان متبعا.. فعندما تصل إحدى البنات في الحـفظ حتى سـورة الضـحى تُخْطر أسـرة التلميذة بموعد حضـور الفقيـهة مع التلميذة المتخرجة وزميلاتها.

وفى الموعد المحدد تخرج الفقيهة وتلميذاتها تتقدمهن التلميذة المتخرجة وهى تحمل لوحة على صدرها كتبت عليها سـورة الضـحى بخط واضح جميل ويصل الموكب الى بيت أهل التلمـيـذة المتـخـرجـة.. ويقـابل الموكب بالتهليل والتكبير من أهل الفتاة والجيران.. ثم يتحلق أهل الفتاة والجيران حول التلميذة وتطلب منها الفقيـهة أن تتلو سورة الضحى ـ فتقرأ الفتاة السورة كاملة.. وهنا يعـمل احـتـفـال كـبـيـر يقـال له فى هذه المناسـبـة «الصرافة» توزع فيه الحلوى ويقدم للفقيهة وجبة غذاء شـهـيـة.. وتمنح مـبلغـا من المال من أهل الفـتـاة المتخرجة.

وتستمر التلميذة فى حفظ سور القرآن الكريم حتى إذا ما أتمت حفظ جزء «عم» عمل لها احتفال على نفس النسق ويقال لهذا الحفل «القلابة».

ولا يخرج هذا الدور عن دور الكتاب

وما أكثر الكتاب الذين تخرجوا من الكتاب.

معاشر رفد الزواج:

صـورة صـادقـة من صـور التكافل الاجـتـمـاعي ـ ومـعـشـر رفـد الزواج هذا ـ عـبـارة عن قـرص خـشـبي مستدير قطره ما بين ٦٠ ـ ٨٠ سنتيمتر تعلوه كسوة من القماش مثبته على سيقان رفيعة من السلك بارتفاع حوالى ٥٠ سنتيمتر ـ وتتراوح نوعية القماش ما بين القطن المبرقش العادى الى الحرير الهندي الثمين.

ودور هذه المعاشر يقتصر على أن تقدم فيها هدايا العرس من أطايب الطعام والحلويات كـالسـمـبـوسك ـ والرز البـخـاري والطورنبة. وغـيرهـا لكل من سبق أن قدم هدايا للعروسين.

الرباطات :

رباط الجـاوه، رباط البُهـرة، رباط البـخـارية، رباط الحضارمة.. وغيرها.

إسم الرباط ينم عن ساكنيه ـ فـرباط الجـاوة خـاص بالأندونيـسـيين ورباط البـهـرة خـاص بالهنود. ورباط البخارية خاص بأهل بخارى ورباط الحضـارمة خاص بأهل حضرموت. وهكذا.

ولكن مـا هو الرباط؟ الرباط هو مـبنى سكنى تتوفـر فيه كل الخدمات.. وهو وقف من الأغنياء الصـالحين، لمصلحة الفقراء الذين لا مأوى لهم ولا سكن، أو الذين عجزوا عن سداد ايجارات سكنهم.. ناهيك عن رعاية

القادرين لهؤلاء الفقراء.
وبعد .. أيدنو من هذا التكافل الاسلامي العظيم.. أى تكافل؟.

العسّة .. وزقاق السقيفة:

على باب زقاق السقيفة يقف العسة بزيه التقليدى - يحمل فى يده عصاة غليظة يقال لها «الشطالة» ومهمة (العسة) الحراسة - وقد جاء فى لسان العرب - عسّ يعسّ عسّسًا وعسًّا - أى طاف بالليل .. ومنه حديث عمر رضى الله عنه انه كان يعس بالمدينة أى يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة.

وعلى «بساطة» عمل العسة فى الظاهر الا أنه عمل كبير وله مردود عظيم فمع وجود هذا الحارس ينام كل

رعاية المسؤولين.. وخبرة القائمين وفكر الموهوبين وعطاء العاملين أهم عناصر نجاح المهرجان

أهل الزقاق مطمئنين على أموالهم وأنفسهم معتمدين على الله أولا ثم على «عستهم».

الحكواتي:

يتحلق الناس فى المساء حول الحكواتي الذي يحكى حكايات شعبية تخلد بطولات ابطال العرب فى اسلوب محبب جميل مقفى ومسجوع يثير فى نفس سامعيه خليطا من الزهو والانبهار والاعجاب والحماس.. مأخوذين بما يسمعون مشدوهين، شاخصين بعيونهم نحو هذا الحكواتي الذي يجلس فى وسطهم على أريكته العاليه. يرفع صوته تارة ويخفضه اخرى فى حنكة وبراعة، وهو يعرف متى يرفع صوته ومتى يخفضه وكأنه خطيب حصيف دارس لأصول الخطابة.

ولا عجب.. فمن أين استقى واضعو أصول الخطابة أسس مادتهم؟ أليس من الشعراء، ومن مثل هؤلاء.. أعنى الحكواتيه..

البرزة:

ما تقوم به الآن صالات وقصور الأفراح.. كانت تقوم به البرزة وهى مكان متسع جزء منه مسقوف بالقماش المزركش السميك ويتصدر المكان عدة ارائك عليها وسائد لينه ملونه.

ويغطى أرض المكان كله سجاجيد جميلة الألوان.

وهذا المكان (البرزة) يؤمه المدعوون من أهل العروسين والأصدقاء لمشاركة العروسين فرحتهما ومشاهدة الرقصات الشعبية وسماع الأهازيج والأغاني و(القَس) من المطرب الشعبي وفرقته.

موكب العريس:

يبدأ الموكب من المسجد أو المكان الذى عقد فيه القران - الى بيت العروس - بين أهازيج ومديح للعريس والعروس وأهليهما والمدعوين.. ويتفنن (الجسيس) المطرب الشعبي فى اختيار اجمل الأشعار - حسب المناسبة - فيقول للعريس مثلا:

هل السعد إلا ما أراه ممثلا
قران تجلى كالشموس مكللا
يا حبذا فيه العريس له دوما
كل الأمال تبنى تطللا

وعن الحفل يقول:

بُشراك لهذا الحفل غرة كل عيد
فيه الهناء يعمنا بالبشر والأنس السعيد

ويقول أيضا:

حمامة الأيك غنت فى مباهجنا
لحن الوفاء وهامت فى افراحنا

ويتجلى استحسان الحاضرين فى مشاركتهم للجسيس وترديدهم لبعض مقاطع مما ينشد - وهم يتمايلون معه طربا.. مع إصدار تصفيقات رتيبة متناغمة مع المقام أو (اللحن) المغنّى.

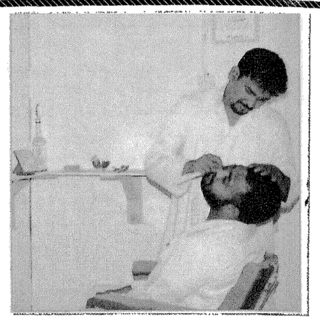
الجسيس (المطرب الشعبي):

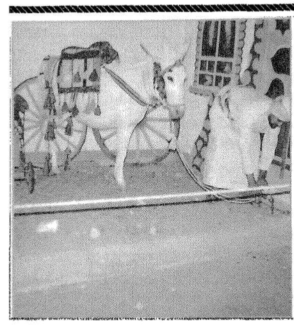
ويعنّ لنا أن نسأل المطرب الشعبي (الجسيس) عبد الله محمد السواكن عن مقامات المجس فيقول: أنه يستخدم مقام السيكا ومقام البنجكه ومقام الحسينى (الحجازى - المكاوى) ومقام المدني (نسبة الى المدينة).

ويتركنا الجسيس على عجل - حيث بدأت فرقته فى العزف على السمسمية ونقر الدفوف - واعدا ايانا بحديث أطول.

مزين وحجام:

وندخل دكانا يحمل لافتة «مزين وحجام» فنجد أن المزين والحجام شخص واحد فالمزين.. هو الحلاق





الذي يحلق الشعر.. وهذا عمل سهل نسبيا.. أما الحجام فهو صاحب مهنة تحتاج الى خبرة ودراية كبيرتين.. إذ عليه أن يكون ملما بمسارات الدم فى الجسم البشرى.. فيتوجب عليه الابتعاد عن الأوردة والشرايين الرئيسية فى المنطقة التي ستتم فيها الحجامة من جسم المريض.

وعملية الحجامة تتم بتشريط الجزء الذى سيسحب منه الدم الفاسد - بموس سبق تطهيره بالتسخين - ثم وضع محقن الحجامة - فوق المكان الذي تم تشريطه - ثم يقوم الحجام بالشفط (بفمه) من ثقب فى أعلى المحقن، يقوم بعدها مباشرة بسد الثقب الذى شفط منه.. وبذا يضمن استمرار سحب الدم الفاسد.. وبعد فترة يرفع محقن الحجامة ويتأكد من خروج كل الدم الفاسد.. ثم يطهر الجرح ويضمده ومن عند الله الشفاء.

محقن الحجامة :

حتى بعد أن تطور محقن الحجامة واصبح يصنع من الزنك وبطريقة متطورة - نوعا - الا أن البعض يصر على أن تتم له الحجامة بالمحقن القديم (محقن الأجداد) وهو عبارة عن قرن ماعز تم تنظيفه وتشذيبه وثقبه من أعلاه - أى من ناحية الجزء المدبب - حتى يمكن شفط الدم الفاسد بواسطته - فإذا ما قام الحجام بوضع هذا المحقن - بشكل هرمي - فوق المكان الذى شرطه بالموس - فان الدم يتجمع فى تجويف المحقن.

وما تمسّك البعض بالتعامل مع محقن الأجداد إلا تمسك بالأصالة التي هي من شيمنا..

ومن له جذور تعجز الرياح عن انتزاعه

مربط المطايا:

مكان يقع على مداخل الأسواق وأحيانا يكون داخل الأسواق وهو مكان مجهز «لربط» عدد من المطايا سواء أكانت خيولا أم حميرا.. فقد كان اعتزاز المكيين بهذه «المطية» أو «الركوبة» كبيراً، وهذا واضح من الاهتمام الكبير الذى كانوا يولونه إياه ويؤكد لك ذلك إذا علمت أن للحمار «المطية» ما يلى:

* **سرج أو تراسية أو بردعة وهي اسماء لشئ واحد** - وكانت تصنع من الجلد أو القماش الناعم المزدان بألوان وزركشات جميلة ومحشوة بمواد تكفل راحة الراكب.
* **الكفاليه:** خلف السرج.
* **المطارق:** شراشيب من الخيوط متعددة الألوان.. مدلاة على جانبى السرج لإضفاء جو من البهجة على الراكب والرائى على السواء.
* **رأس مفلل:** وهى حلية على رأس الحمار «المطية».
* **الرشمة:** سلسلة من معدن براق يطوق بها عنق الحمار.

استطلاع مصور استطلاع مصور

* **الكشح:** مجموعة من الاجراس (الجلاجل) النحاسية اللامعة تصدر أصواتا رتيبة مع حركة الحمار أثناء سيره.
* **المريرة:** حلية من الصوف توضع حول رقبة الحمار امعانا فى تجميل المنظر العام للحمار.

ولم تكن المطية أو الركوبة وقفا على طبقة معينة من الناس بل كانت موجودة مع معظم الناس من الخاصة والعامة.

بازان بئر بليلة:

أحد معالم الحارة.. والبازان (مصدر الماء) عبارة عن مكان متسع نسبيا - ومجهز لإمداد الحي بكامله بالمياه.

مهرجانات التراث.. نافذة نطل منها على عادات وتقاليد أسلافنا

ففيه «البسطة» وهى المكان الذي يضع عليه السقاؤون عبواتهم لملئها بالماء وأعلى هذه البسطة بحوالى ٦٠ سنتيمترا أنبوب معدني فى وضع أفقى مثبت عليه عدد من الصنابير يصب منها الماء فى عبوات السقائين فيحملونها الى محل عملائهم فى البيوت أو الدكاكين.. وغيرها.

والسقاؤون.. لكل منهم وسيلته فى توصيل الماء الى عميله فمنهم من يحمله فى قربة الماء - المصنوعة من جلد الماعز - ومنهم من يحمله فى أوان محمولة على حمار ومنهم من يحمله «بالزفة».. ولكن ما هى «الزفة»..

إنها تتكون من عصاة غليظة نسبيا طولها حوالى ١٢٠ سنتيمترا يتدلى من كل من طرفيها حبل غليظ أو سلسلة معدنية فى نهاية كل منها عبوة تكون مساوية فى الحجم والوزن والمادة للعبوة فى الطرف الثاني وعادة ما تكون دلاء أو براميل صغيرة أو صفائح (علب من الصفيح) سعة ٢٠ لترا.

حتى اذا ما ملئتا بالماء كانتا فى وزن واحد لتحققا التوازن الذى يمكن السقاء من حمل «الزفة» بأمان ودون إرباك.

السمكري.. العالمي:

لم تكن لافتة دكان السمكرى تحمل هذا الاسم.. ولكننا بعد أن عرفنا كُنْهَ عمله أطلقنا عليه هذا الاسم.

دكان السمكرى.. مصنع صغير يقف فيه صانع فنان بفطرته - حاذق فى صنعته.. فهو يخرج لنا من شرائح الصفيح والزنك مشغولات تفيد البيت الشعبى ولم يكن لأى بيت غنى عن هذه المشغولات.. التى تشمل مصابيح الاضاءة والاقماع وكئوس الهواء وقراطيس نقش الحناء والمكاييل مختلفة الاحجام.. وغيرها.

الى هنا وعمل السمكري عمل - على أهميته - عادي. إلا أن السمكرى «المكي» يقوم بعمل كبير جدا يتخطى - ليس حدود الحى الذى يقطنه فحسب - بل أيضا يتخطى حدود المملكة الى كل بقاع الأرض.!

فهو يصنع علب زمزم - وهى عبارة عن علبة من الزنك مستديرة تملأ بماء زمزم المبارك - وتغلق باحكام - وتلحم.. فيأخذها الحاج أو المعتمر الوافد.. ويحملها الى بلده التى وفد منها - وهناك يقوم بفتحها واضافة محتواها من ماء زمزم المبارك الى كمية كافية من الماء ليشرب منها اكبر عدد من أهل الحاج أو المعتمر تيمنا وتبركا.

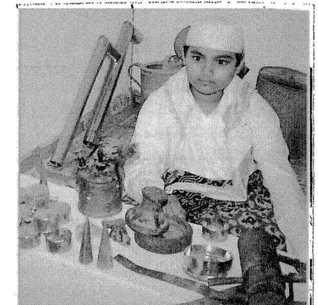
وبعد أن علمنا أن ما تصنعه يدا هذا السمكري ينتشر بعضها فى أرجاء المعمورة ألا يستحق أن يكنى بـ «السمكري العالمي»؟؟ مجرد سؤال.

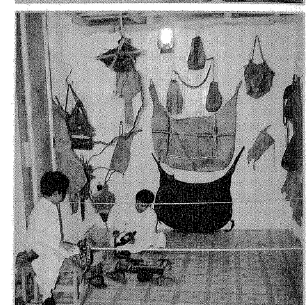
دباغة الجلود:

ويجذب نظرنا دكان دباغة الجلود.. ونتطلع الى محتوياته بنظرة لا تخلو من دهشة وتعجب!

فهذه.. قربة الماء: وهي عبارة عن جلد الماعز بكامل تفاصيلها.. البطن - الأرجل والرقبة.. حتى ليخيل اليك وكأن صانعها قد أذاب لحم وعظام الماعز وسكبها من ثقب فى جلدها.. ثم ربط أطرافها فصارت قربة ماء..

ولكن الحقيقة كما - يرويها صاحب الدكان - أن جلد الماعز هذا اخذ بعد ذبح الماعز والاستفادة بلحمها وشحمها.. ثم قام الدباغ بأخذ الجلد وتنظيفه وتطهيره ودباغته ومعاملته بمواد تضمن بقاء الجلد على





ليونته وعدم خروج أي مواد ضارة أو روائح غير مقبوله منه.. ثم يخاط الجلد بعد ذلك بخيوط - جلديه ايضا - وبطريقة دقيقة - حتى لا يتسرب منها الماء عند استعمالها.

الشكوة .. السعيه .. الصميل:

الأسماء الثلاثة لشيء واحد هو قربة خض اللبن - وهى كسابقتها (قربة الماء) ولكن هذه تملأ بالحليب - وتعلق من طرفيها بحبال بطريقة تسمح لها بالتأرجح - فتقوم ربة البيت بدفعها وجذبها مرات ومرات الى أن يتم تكوين طبقه من الزبد - تنزع .. وتتوالي العملية حتى يتم استخراج باقي مشتقات الحليب.

- **الحسكل**: وهو كيس لحفظ النقود وهو ايضا مصنوع من الجلد.

- **المزبا**: وهو عبارة عن مهد للطفل الرضيع.. وهو من الليونة بحيث يمكن وضع الرضيع فيه دون ما فراش.

- **المزودة**: ويقال لها (العيبة) أى التى تعبأ بالأغراض - وهى نوعان:

النوع الأول: وهو نوع مغطى وله حلق - يربط برباط فتنغلق (العيبة) على ما فيها.. وهى مخصصة لحفظ الطعام.

النوع الثاني: وهو نوع مكشوف - أى بدون حلق يربط .. وهذا النوع مخصص لحفظ الملابس وبعض الأغراض الأخرى.

الطرمبيل:

نوع من النعال تمت صناعته من المطاط (كاوتشوك السيارات) وواضح أن هذا الاسم مستقى من الإسم القديم الذي كان يطلق على السيارة أو «الاوتومبيل» أو الطرمبيل كما كانت تسمى السيارة عند بعض الشعوب.

- **الحدا**: وبالقطع هو تخفيف للفظ «الحذاء» وهو عبارة عن نعل خفيف مصنوع من الجلد الطبيعي.

الأزيار .. والدوارق:

زير مكاوي.. ودورق مكاوى.. زير مدني.. ودورق مدني زير مغربي.. ودورق مغربي.

كل زير أو دورق ينسب الى البلد أو المدينة التى انتجته وتستعمله.. لكن بينها جميعا قاسم مشترك.. وهو أنها جميعها مصنوعة من الفخار.. وحكمة صناعتها من الفخار توصل إليها الأجداد بالتجربة والممارسة قبل أن يحدثنا العلم الحديث وأن تخرج علينا نظرية التبخر وأن خروج قطرات الماء على سطح الجسم الفخارى من مسامه وبمرور الهواء تحتاج القطرات الى حرارة لكى تتبخر فتأخذ هذه الحرارة من الماء بداخل الزير فيبرد الماء.. لذا كان الزير من أهم لوازم كل بيت.. ولم ينس منظمو المهرجان إفراد جناح خاص لعرض أنواع متعددة من الأزيار والدوارق مختلفة الأشكال والأحجام.

الحلواني :

دكان الحلواني عامر بأنواع الحلويات ولو أن بعضها لا يدخل ضمن قائمة الحلويات ولكنها تباع فى نفس الدكان فقد اشتهرت دكاكين الحلوانية - ببيع هذه الأصناف المكاوية اللذيذة..

السمسمية: المصنوعة من السمسم والسكر.

النارجيل: المصنوعة من جوز الهند (النارجيل) والسكر.

اللبنية: من الحليب والسكر

اللدو: من دقيق الحمص والسكر.

حمام البر أو دجاج البر من دقيق الحمص أيضا.

الكبيبة: من البرغل ولحم مفروم.

وايضا يباع فى دكان الحلواني طبطاب الجنة، فوفل دنجاوة، رأس القلة والمشبك والهريسة.

وبرغم أن بعض هذه الحلويات من أصل شامي ومغربي إلا أن حلوانية مكة المكرمة أجادوا صناعتها واتقنوها الى حد أنها أصبحت من سمات أسواق مكة.

ألعاب ولعب وملاعب عيال الحارة:

نطوف في حارة الباب ونسأل صبيا من صبيان الحارة المكية عن ماهية الألعاب التي يزاولها أبناء الحارة واللعب التي يفضلونها وفى أى الملاعب يمارسونها؟ وأى اللعب أقرب الى قلبه؟

ويرد علينا بكل تلقائية وعفوية ويقول: «انا عندى كمبيوتر، وعندى أتاري.. وعندى - تقريبا - كل اللعب الحديثة.. لكن أقرب اللعب الى قلبي أنا وأصدقائي: الطائرات الورقية.. والفرافير.. والمداوين.. والبرجول وعربيات المكر.. والكرة الشراب.

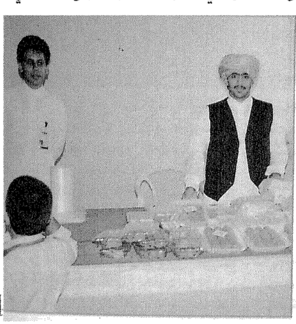
فالطائرات الورقية معروفة.. والفرافير هى تلك المراوح الورقية التي تثبت بمسمار أو سلك معدني في قطعة من الخشب وتدور بسرعة بفعل حركة الهواء.

والمداوين (المدونة) هى المعروفة في بعض الأقطار العربية بـ «النحلة» وفى بعضها بالـ «طنانة» وهي عبارة عن قطعة من الخشب فى حجم بيضة الدجاجة نحتت بشكل مخروطى مثبت فى الجزء المدبب منها جسم معدني كالمسمار.

ويقوم اللاعب بلف خيط سميك حولها بطريقة تصاعدية تبدأ من عند الجزء المعدنى المدبب.. وبعدها يقوم اللاعب بالقائها على الأرض - بطريقة معينة - مع احتفاظه بطرف الخيط بين أصابعه. فتنزل المدونة على الأرض وبشكل هرم مقلوب.. وبفعل القصور الذاتي الناجم عن دفع المدونة وجذب الخيط - وبفعل جاذبية الأرض تدور المدونة على هذا السن المدبب لفترة غير وجيزة.

أما البرجول فانهم يستعملون الحصى الصغير كروى الشكل والذي استبدل الآن بالـ «بلى الزجاجي»





أو المصنوع من النيكل.

ونلاحظ أن كل لعب الأطفال ـ القديمة ـ يمكن للطفل أن يصنعها بيده مما ينمي فيه الحس الحرفي ويوقظ ملكة الابداع عنده. كما نلاحظ أن الصبي يختار العابا تحتاج الى الحركة ولعبا تحتاج الى مهارة، هؤلاء هم شبيبتنا.. قادرون على الخلق والابداع متمسكون باصالتهم وجذورهم.

وبعد فهذه ألعاب الاجداد والآباء يحن اليها أطفال ـ جيل الأقمار الصناعية والتكنولوجيا، ويفضلونها عما استحدث من ألعاب ـ ولم تفصلهم اغراءات الحداثة عن جذورهم واصولهم.. ولا تعليق.

بيت الماء:

تعددت اسماؤه.. بيت الماء.. بيت الخلاء.. بيت الراحة.. دورة المياه، المراحيض.. الخ.. وأيا كان المسمى فإن ما نراه الآن يكشف لنا أنه كان مكانا يحظى باهتمام أهل المنزل ويظهر ذلك من محتويات المكان، مصباح للإضاءة موضوع فى مكان مرتفع يسمح باضاءة المكان بكامله وطشت للاستحمام وغسل الملابس ودوارق وكيزان وأواني معدنية متنوعة.

وإناء لوضع مطهر «اسفينك» لتطهير كرسى الحمام ـ وسدادة كرسى الحمام ـ وسدادة البالوعة وأي مكان أجدر من هذا المكان بكل هذا الاهتمام؟ فالنظافة من الايمان.

المسرح:

ملتقى الزوار من مختلف الأعمار.. ولقد كان القائمون عليه حسنى الاختيار.. فقد قدموا مسرحيات ـ ذات فصل واحد ـ تشتمل على طرائف من القديم والحديث.. فقدموا مسرحيات « الطبيب» ونماذج من مرضاه المعمرين والصغار.. ومسرحية «الأعمى» وهى مسرحية تبرز بجلاء ما يعانيه ذلك الإنسان الذى حرم نعمة البصر من شقاء بدنى ونفسي.. وكيف أنه يتغلب على هذه المعاناة وهذا الشقاء بايمانه بقضاء الله وقدره والاستعانه به جل وعلا على ما هو فيه.

وكذا قدموا مسرحية «الشحات» ذلك المستجدى اللحوح الذى يلاحقك ويستمر فى ملاحقتك حتى تنقده ما ينقذك من الحاحة.. أو أن تتصرف معه كما تصرف معه بطل المسرحية.. الذى أعطى للشحات مفتاحا وطلب منه أن يذهب الى عنوان بيته بعد أن يمر من شارع الى شارع ومن حارة الى حارة ومن زقاق الى زقاق وأن يترك المنزل الأول والثانى والثالث.. وحتى السابع وأن يصعد العمارة ويترك الطابق الأول والثاني والثالث وهكذا الى أن يصل الى السابع فيترك الشقة الأولى والثانية والثالثة والرابعة.. وهكذا حتى السابعة فيدخلها فيترك أول غرفة والثانية والثالثة وهكذا وعند السابعة يدخلها فيجد دواليب فيترك الاول والثاني والثالث.. حتى يصل الى السابع فيفتحه فيجد ادراجا فيترك الدرج الاول والثاني والثالث وهكذا حتى يصل الى السابع فيجد فيه مصحفا شريفا ويطلب منه احضار هذا المصحف ليقسم له عليه أنه لا يملك أى نقود ينقده إياها.. وطرائف أخرى نالت استحسان كل الموجودين على اختلاف مشاربهم.

المهرجان.. عزف على ذاكرة الخلف باطلاعهم على تراث السلف

وعلى ذات المسرح قدمت فرق الفنون الشعبية بعض الرقصات الشعبية ذات الأصول العربية الأصيلة.

الرقصات الشعبية:

قدمت فرق الرقص الشعبي.. الرقصات الشعبية الأصيلة الموروثة كالعرضة التي يحمل الراقصون خلالها السيوف ملوحين بها بحركات تذكر رائيها بفروسية العرب وانتصاراتهم وقت أن كان السيف الذي يقف وراءه فارس عربي هو فيصل الحرب.

ويقدم الراقصون أيضا لعبة المزمار.. وهى تشبه الى حد كبير رقصة « التحطيب» فى صعيد مصر ـ والتي يتبارز فيها اثنان بالعصى فى حركات مدروسة تنتهى بانتصار أمهرهما وأقواهما بين تصفيق الحاضرين.

وايضا قدم الراقصون بعض الرقصات التي تشتهر بها الجزيرة العربية كالخبيتي والينبعاوي والسامري.. وغيرها

وكان ضاربو الدفوف وعازفو السمسمية يتزيون بزي

موحد متعدد الألوان جميلها.. وكل منهم يختص بآلة موسيقية يتقن التعامل معها.

ومن هذه الآلات:

* **النوبة:** وهي دف صغير «تار».
* **أبو التنين:** (أى ابو الاثنين) أو يقال له «المقلاب».
* **المكفي:** وهو دف أيضا متوسط الحجم - أكبر قليلا من النوبة.
* **المرجف:** وهو دف اكبر من سابقيه.

وهذه المجموعة من الدفوف تصنع من اسطوانة خشبية مشدود عليها جلد ماعز.

** **المردّ أو النقرزان:** وهو عبارة عن زير صغير من الفخار شد على فوهته جلد جمل.

المزاوجة بين الماضي والحاضر في مكان واحد توجه حضاري بارز

** **الزير:** وهو عبارة عن اسطوانة نحاسية على شكل زير شد على فوهتها جلد جمل.

ويكثر استعمال هذه الآلة في الرديح «البدواني» والزيد والتقاطيف والعرضة والتصويت.

** **المرواس:** عبارة عن برميل حديد مشدود على كل من فوهتيه جلد جمل.. ويعطى صوتا غليظا.

** **وأخيرا السمسمية:** وقد تعجب اذا علمت أنها مكونة من «جالون» زيت فارغ - عبوة من الصفيح فارغة - مثبت فيها عصاتان من الخشب يشكلان زاوية حادة طول كل من العصاتين ٤٥ سنتيمتر تقريبا تحدهما قطعة خشبية عريضة نسبيا - ذات شكل منحن مثبت بها خمسة أصابع خشبية قابلة للف (لشد الأوتار) مسحوب من كل اصبع منها سلك معدني رفيع (وتر) وتمر هذه الأوتار فوق تجويف الجالون.. حتى اذا ما داعب العازف هذه الأوتار - بقطعة صغيرة من جلد جاف - أحدثت اهتزازات يقوم الجالون المجوف بتضخيم صوت الاهتزازات فتصبح صوتا مسموعا للمحيطين بالعازف.

وبالطبع تحتاج هذه العملية الى يد فنان فليس كل اهتزاز يحدث نغما محببا طروبا.

مقتنيات الحي الشعبي:

«عاشق التراث» المولع بجمع المقتنيات الأثرية - أسفر سعيه للحصول على المقتنيات الأثرية لمدة عشر سنوات عن حصيلة تقدر بأكثر من ٣٥ ألف قطعة أثرية ثمينة - شارك بعدة آلاف من هذه القطع فى اكثر من ٣٠ جناحا فى الحى الشعبي وحده، الأزيار والدوارق الفخارية وكل أدوات دكاكين اللحام - القفاص - الدباغ - الحداد - النجار - ودكان مصلح دوافير واتاريك الغاز والسمان - والوزان - دكان المزين والحجام - السمكرى وغيرها. وكل أدوات هذه الدكاكين كاملة غير منقوصة.. حتى أن علب زمزم كانت فعلا مملوءة بماء زمزم المبارك.

ويحمل عاشق التراث الأستاذ/ طارق سندى ساعة أثرية عمرها يزيد عن ٦٥ عاما وحقيبة عمرها اكثر من ٨٠ عاما.. وهو يعتز بهما رغم أنه يملك مقتنيات من العهد العثماني.

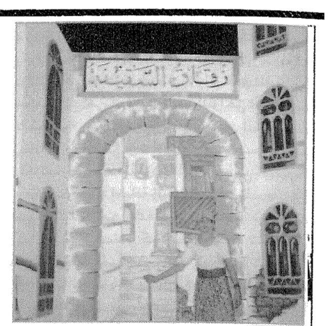
متحف أم القرى:

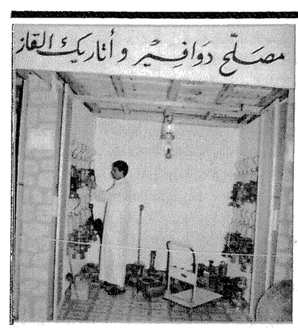
لم يفت الشيخ حسن خوجة صاحب متحف أم القرى فرصة اقامة مهرجان الربيع. بل سارع باحضار بعض من مقتنياته الأثرية وكان أبرزها سيارات قديمة (الموديل) وعربات (كرو).. وكلها صالحة للاستعمال وبحالة جيدة.

ولم ينس إحضار بعض المقتنيات التي تدخل البهجة والسرور على قلوب الأطفال.. وهي صناديق العيد، والشبرية واللوح المداد.. وهي أرجوحات يدخل في صناعتها الحديد والأخشاب والحبال.. استمتع باللعب فيها وحولها أعداد كبيرة من الأطفال الذين حضروا المهرجان برفقة ذويهم.

عرض الليزر:

ونأتى الى قطب الرحى.. محور استقطاب الزوار. ومحط اهتمام الجميع.. اشعة الليزر.. الضوء الذي سرق كل الأضواء.. أشعة الليزر هذا الاخطبوط العلمى الجبار الذي تمتد أذرعه الى كل مناحى الحياة فلا يكاد يخلو مجال من مجالات الحياة من سيطرته بدءا من مجالات الحروب وانتهاء بلعب الأطفال.





وفى مهرجان الربيع بمكة المكرمة٠٠ ومن فوق منصة البث لأشعة الليزر٠٠ وعلى ارتفاع أربعين مترا وعلى بعد اكثر من (١٠٠٠) ألف متر وبالتحديد على روابي مشروع الزايدى التجارى قبالة ساحة المهرجان٠٠ تظهر بوضوح وجلاء فى أول عرض صورة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يحفظه الله - وصورة سمو ولى عهده الأمين الامير عبد الله بن عبد العزيز وصورة صاحب السمو الملكى الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة٠٠ وصاحَب العرض٠٠ صوت الفنان محمد عبده وهو يشدو «فوق هام السحب»٠

وفى العرض الثاني: ومع صوت الأذان بصوت خاشع رخيم تظهر صورة للحرم المكى الشريف قديما٠٠ ثم صورة أخرى بعد مشروع التوسعة العملاق الذي أمر به خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله -٠

وفى العرض الثالث: الذي تصحبه ابتهالات بصوت الفنان الشعبى محمد أمان تظهر أمامك شرائح من صور المنازل الأثرية القديمة والرواشين التي امتازت بها مكة المكرمة، يلى ذلك عرض بطريقة خاصة بوضع شاشة عرض سوداء تعترض الأشعة المنبعثة من منصة البث فيظهر عليها بعض الكلمات والعبارات تبدأ باسم الجلالة «الله» ثم بعد ذلك كلمات ترحيب بالزوار ٠

ومرة اخرى تسمع صوتا جميلا يصدح «فوق هام السحب» مصاحبا لصور النهضة العمرانية الكبرى التي تشهدها - حاليا - المملكة العربية السعودية ٠

مركز إعلامي:

في مكان وسط من أرض المعرض أقيم مركز إعلامى مزود بما يتطلبه عمل الاعلاميين المتابعين لفعاليات المهرجان - ويصدر المركز نشرة يومية باسم مهرجان الربيع تغطى بالكلمة والتعليق كل نشاطات المهرجان ساعة بساعة - وكان المركز كخلية النحل - فى حركة مستمرة دؤوبة - وقد غطى الزملاء، كل النشاطات ورصدوا ردود أفعال الزوار وضمت نشرة مهرجان الربيع اليومية جهودهم المكتوبة والمصورة٠

والآن قارئنا العزيز ٠٠ حمدا لله على سلامتك فقد وصلت مركبة الزمن الى مطار الحاضر٠٠ والى لقاء مع المنهل فى رحلة أخرى إن شاء الله٠

وبعد ٠٠

آن لنا أن نرد على اسئلة ضيوف المنهل الذين رافقونا الرحلة فى مركبة الزمن وقد جمع ضيوفنا كل اسئلتهم فى سؤال شامل واحد٠ وهو: من هم فرسان هذا العمل الكبير:

فقد حملنا السؤال وطرحناه على الاستاذ/ محمد خشيفاتي - نائب رئيس لجنة تنظيم المهرجان٠٠ حيث قال:

فكرة المهرجان بدأت قبل سنة ونصف السنة من خلال أعضاء لجنة السياحة والفنادق المنبثقة عن مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة برئاسة الاستاذ/ عبد الجليل صالح كعكي. وطرحت الفكرة من قبل الاستاذ/ عبد الوهاب الجندي عضو اللجنة ومدير عام فنادق كونتيننتال بمكة المكرمة.. وبدأت الفكرة تتبلور - وبدأنا فى وضع الأفكار والتصورات كرءوس أقلام على ورقة.

وقد بدأت الفكرة التنفيذية من حوالى اربعة شهور.. فتقدمنا لمقام الامارة وحصلنا على موافقة وحصلنا على دعم من صاحب السمو الملكى الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة، وصاحب السمو الملكى الأمير سعود بن عبد المحسن نائب أمير منطقة مكة المكرمة، وقد أعطيانا دعماً قويا وتأييدا - كما منحنا تعميدا لكافة الجهات الحكومية لتساعد معنا في سبيل إنجاح المهرجان - كأول فكرة تتم فى مكة المكرمة.

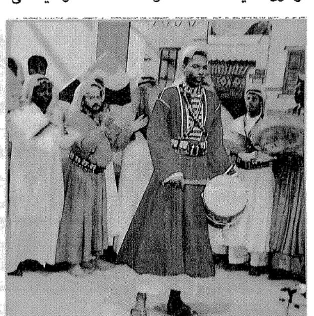
وعن الغرض من هذا المهرجان قال:

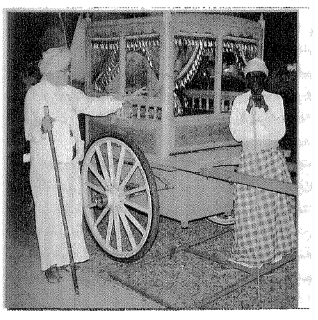
من هم فى سننا - من متوسط العمر - قد عايشوا المرحلة السابقة والنهضة السريعة جدا للمملكة - ومقابل هذه النهضة اندثرت أشياء كثيرة ومعالم كثيرة.. وشباب اليوم من ابنائنا واخواننا الصغار لا يعرفون شيئا عما اندثر.. لذا.. توخينا فى المهرجان أن يكون صورة مطابقة لما كانت عليه الحياة في تلك الأماكن بما فيها من مهن.. وحرف وأدوات وأفكار كانت موجودة في السابق القريب.. واضعين في اعتبارنا النواحى التجارية والاقتصادية - وتجهيز المواقع بالخدمات الكاملة من نظافة وكهرباء وأسواق تجارية ومحلات بيع للمأكولات وبخاصة المأكولات الشعبية التي اشتهرت بها مكة المكرمة.. إضافة الى بعض المتاحف حيث إن جميع مقتنيات الحى الشعبى بكل اجنحته من متحف الأستاذ/ طارق سندي كما ساهم معنا متحف أم القرى للأستاذ / حسن خوجة.

وأيضا يحوى المهرجان أجنحة للجمعية السعودية لهواة جمع طوابع البريد ومعرضاً عن البيئة - ومعرضاً للفنون التشكيلية بالتعاون مع وزارة التعليم ونادى الوحدة - ومعرضاً عن الثعابين.

كذلك المسرح بنشاطاته المختلفة فعلاوة على دوره فى تقديم المسرحيات كانت هناك ندوات توعية من واقع المجتمع من الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهيئة الاغاثة.

وكذلك أجنحة لألعاب الاطفال - والرقصات الشعبية القديمة كالصهبة والمجرور والخبيتي.. وغيرها.





كما تحدث عن عروض الليزر فقال:

عروض الليزر على مساحة أربعة كيلومترات في الجبل يلاحظها رواد الخط السريع بين مكة وجدة.. وحيث أن ضوء الأشعة الشديد يؤثر على الرؤية عند سائقي السيارات على الطريق وفيه بعض الخطورة.. وتلافيا لحدوث أي حادث - لا قدر الله - تم الترتيب والتنسيق بيننا وبين أمن الطرق.. فقبل بدء فعاليات الليزر نقوم بابلاغهم عن طريق غرفة عمليات مشتركة - فيتم ترتيب دوريات في منطقة العرض لتخفيف سرعة السيارات..

وأردف: انني اشيد بشرطة العاصمة المقدسة ودورها وجهدها ودعمها الكبير وبخاصة العميد عبد الله رمضاني - مدير شرطة العاصمة المقدسة - بوجوده الشخصي ووجوده المعنوي والعملي الذي كان خير مساعد..

كما أشاد بمن حضروا حفل الافتتاح الذي حضره معالي أمين العاصمة المهندس/ عمر قاضي - نيابة عن صاحب السمو الملكي - الأمير سعود بن عبد المحسن - ونوه عن بعض الضيوف البارزين من جدة وعلى رأسهم سعادة الدكتور/ عبد الله دحلان أمين الغرفة التجارية بجدة.

وأضاف الأستاذ/ محمد خشيفاتي:

واحب أن أنوه عن دور الشيخ عبد الرحمن فقيه/ رئيس الغرفة التجارية بمكة المكرمة في دعمنا - حيث أبدى استعداده لتقديم كل عون.. كما اشتركت معنا شركات ومؤسسات قدمت جوائز ودعما مادياً.. وفي مقدمتها الخطوط الجوية السعودية.

وقبل أن نسأل عن تمويل هذا العمل الكبير تطرق الأستاذ خشيفاتي الى الحديث عن تمويل المشروع.. وكأنما تعمد أن يبدأ حديثه بالايجابيات مرجئا حديثه عن العقبات التي واجهت اللجنه المنظمة في بادىء المشروع حتى لا يضيق واسعا.. وبالطبع أهم هذه العقبات هي التمويل.. وقد أزاح هذه العقبة تعهد الأستاذ/ خليل بهادر بالتمويل دون انتظار أي مردود.

وفي ختام حديثه أثنى على كل من ساهم في انجاح هذا المهرجان ووجه الشكر الى لجنة تنظيم المهرجان والتي تتكون من:

«الاستاذ/ عبد الجليل كعكي رئيسا - الاستاذ/ محمد خشيفاتي نائبا للرئيس - والأساتذة/ عاصم ابو العلا - عبد الوهاب الجندي - خليل بهادر - محسن بهادر - مهدي بهادر» - (أعضاء).

أخيرا:

كان لابد للمنهل من استطلاع رأي زوار المهرجان على اختلاف اعمارهم ومشاربهم.. وفي شبه إجماع إن جميع اجنحة وفعاليات المهرجان ممتازة وبصفة خاصة الحي الشعبي.. وتميل المنهل للأخذ بهذا الاجماع وتضم رؤيتها الى رؤى الزوار فالحي الشعبي والسوق الصغير كانا صورة حية لحقيقة ملموسة.

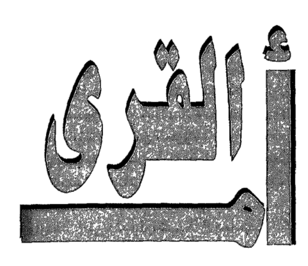
مهرجان الربيع.. لوحات حية.. مقروءة.. مسموعة مرئية.. ملموسة

ومن أبرز القائمين على الحي الشعبي:

* مصمم ومنفذ ديكورات الحي الاستاذ/ علي سليمان كنجري.
* صاحب مقتنيات الحي والسوق الأستاذ/ طارق محمد بكر سندي.
* المشرف على الحي الأستاذ/ جميل نجم الدين بيلا.
* المشرف على الأكلات الشعبية الاستاذ/ وليد زيني رمبو.
* المشرفان على ألعاب عيال الحارة الاستاذ/ احمد حجازي الثبيتي، يوسف أبو الفرج.
* الحرف والمهن المتنقلة الأستاذ/ يوسف أبو الفرج.
* مساعد المشرف التنفيذي الاستاذ/ حسن سليمان كنجري.
* مشرف موقع الاستاذ/ جميل عباس منقل.

نقول في الختام طوبى لأبناء مكة المكرمة البررة - الذين لم ينسهم التطور الهائل والسريع الذي عم المملكة العربية السعودية في ظل حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يحفظه الله - أن يكرموا الأجداد بابراز مآثرهم وتخليد آثارهم.. فكان مهرجان الربيع.

○ شعر ○

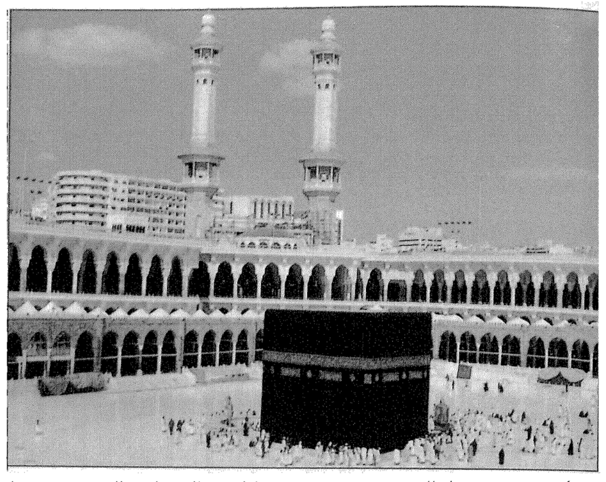


أحمد أبوبكر - سوريا

ديار في الفؤاد لها احترام
فلا الوادي ولا الوطن الشآم
وصلتُ بلادكم توا وفيها
نبي الله والبلد الحرام
فيا أم القرى قد جئت ضيفا
على الرحمن من حولي أنام
مقامات وأندية وناس
مشى في خدمة الهادي غمام
فربِّي حارس الحرمين حقا
ليوم فيه قد حق القيام
رعاها ربنا العالي رعاها
وأيدها بنصر لا يرام
وعزز بيتها الميمون ربي
وحارسه الملائكة العظام
ولما ان دخلتُ البيت قالوا :
هنا البيت المحرم والمقام (١)
وفيه الكعبة الحسنى وسام
على أركانها ظهر الوسَام (٢)
وحول الدرّة البيضاء أمنٌ
وفي جنبات مسجدها سلام
لقد يا كعبة الآمال جئنا
وقلبي مستهام مستضام
شعرت بأنني فوق الثريا
ومن فوق المجرة لي خيام
فولّت عند رؤيتها همومي
وطيف الغم والكرب الجسام
هواي فيك عذري عفيف
فهل مثلي يعنف أو يلام ؟
وقد أمّلتُ مغفرة وعذراً
إذا ما جاءني بغد حمامُ
ويا أم القرى انت منار
وأنوار إذا حل الظلام

حباك الله في القرآن آياً
لَها شأن رفيع واحترام
سلي قلبي سلي دمعي وجفناً
أنا مجنون ليلى والهيام
سعادي أنت والركن اليماني
ولي في حبك السامي زِمام(٣)
فهاجر أم إسماعيل ظمأى
فلا ماء ولا شجر يسام
سقاها ربنا ماء فراتا
إذا ما ذقته ذهب السقام
فقال الله يا جبريل إنزل
فلو شربوا على ظمأ لناموا
ففجّر «زمزما» تروي عطاشا
«وجُرهُم» من حواليها قيام(٤)
فقالت أم إسماعيل «زُمّي»
مخافة أن يروح بها الرِّغام «٥»

###

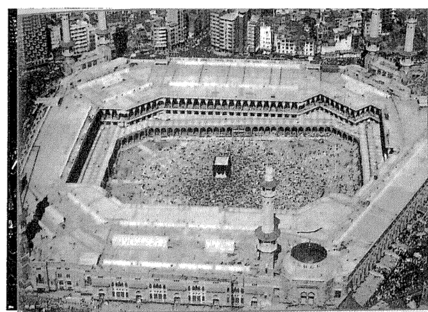


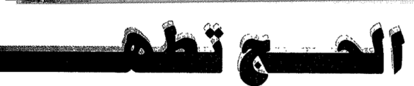
فلو تركت مـــــيــــاه العين تجـــري
لكان الناس قـــد غـــرقـــوا وعـــامـــوا
وصلتُ بلادكم والحـــرُّ فـــيـــهـــا
وإذ بـالحـــر بـرد أو ســـلام
نـزلـت بـيـــثـــرب أم المعـــالي
وفـــيـــهـــا سـيـد الرسل الامـــام
إمـــــام المرسـلين ولا أبـالـي
هـو الرمـــز المقـــدَّم والأمـــام
وعـنـد الـقـــبـــر أنـوار ونـور
وصـــدِّيق وفـــاروق هـمـــام
مـضـــوا في ذمـــة التـاريخ ذكـرى
كـــأن الحـــال رؤيا أو منام
بـدور في مـــتـــاهات الليـــالي
وأقـمـــار مـضـيــئــات وشـام(٦)
أبـو الـزهـراء في التـــايـخ صـــرح
وركـن لـيس يـأتـيـــه انـهـــدام
وأنت الشـــافع المأمـــول حـــقـــاً
إذا وقـع التـنـادي والـزحـــام
وطـرت إلـى الســمـــاء على بـراق
وجـل الـقـــوم في لـيل نـيـــام
نـزلت الســدرة العظمى كـــريمـا
ونـــور الـلـــه مُزدهـــر تمـــام
وأكـــرمك الإلـه بكل خـــيـــر
وخـــمس في مـــواعـــدها تقـــام(٧)

الهوامش

١) مقام ابراهيم عليه السلام.
(٢) الوسام الجمال وحسن الهيئة.
(٣) قالوا: إنَّ كعب بن زهير سماها سعادا في قصيدته بانت سعاد فقلبي اليوم متبول.
(٤) إشارة الى بحث هاجر عن الماء بين الصفا والمروة ونبع زمزم من تحت قدمي إسماعيل بإذن الله.
(٥) إشارة الى جعلها الحوض خوفا على الماء من الذهاب في الرمال.
(٦) شام جمع شامة وهي نقطة في الوجه كالخال..
(٧) أي الصلوات الخمس كما هو معروف.

الحج في الاسلام





بقلم:
أ.د. محمود حسن زيني
جامعة أم القرى

«وأذِّن في الناس بالحج»

الحج في الاسلام يختلف تمام الاختلاف عن الحج في الجاهلية، وصحيح أن العرب قبل الاسلام كانوا يحجون الى بيوت في بلاد العرب في مواسم معلومة، تشترك فيها القبائل من سكان البقاع العربية، ويتعاهدون على المسالمة الى حين فى جوارها. ومن أشهر هذه البيوت بيت الأقيصر، وبيت ذى الخُلصة، وبيت صنعاَء، وبيت رضاء، وبيت نَجْران وبيت مكة.

وكانت قضاعة ولخم وجذام وعاملة يحجون الى بيت الأقيصر فى مشارف الشام. ويذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أنهم كانوا يحلقون رءوسهم عنده.

وقد أطلق العرب على بيت ذى الخلصة الكعبة اليمانية، وكان بيت أصنام لدوس وخثم وبجيلة ومن كان نحوهم من العرب بتبالة بين مكة واليمن.

وبيت ذي الخلصة هذا بيت أصنام، وقد أمر نبينا محمد ﷺ بهدمه بعد فتح مكة فهدمه جرير بن عبد الله البجلي بعد أن دافعت عنه ختعم دفاعاً شديداً كما يشير الى ذلك ياقوت.

والذين كانوا يطلقون تسمية الكعبة اليمانية على ذي الخلصة كانوا يسمون الكعبة بمكة المكرمة الكعبة الشامية.

وكان عرب الجنوب يطلقون على بيت نجران كعبة نجران وهي بيعة بنوها على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة لها وسموها كعبة(١) نجران، ويؤكد ابن الكلبي أنها لم تكن بناء وإنما كانت قبة من أدم من ثلاثمائة جِلْد. وكان فيها أساقفة مُعْتَمُّون، وهم الذين جاءوا الى النبي ﷺ ودعاهم للمباهلة.

وأما الكعبة فقد جعلها الله البيت الحرام قواماً لمصالحهم ديناً ودنيا في محكم كتابه فقال جل وعزّ: **(جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شئ عليم)** (آية ٩٧/المائدة).

إنها الكعبة بيت الله الحرام منطقة الأمان لا للعرب وحدهم ولكنها منطقة أمان للمؤمنين من بنى الانسان، ومنطقة أمان للطير والحيوان والنبات فلا يُنفّر الصيد في الحرم ولا يعضد شوكه وأراد الله لها أن تكون مثابة أمن وسلام منذ بناء البيت العتيق على أيدى نبي الله ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام. ولقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم فتح مكة **«إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط إلا من عرّفها ، «ولا يختلى خلاها»** فقال العباس، **يارسول الله إلا الاذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال: الا الاذخر»**(٢).

وجعل الله الاشهر الأربعة ذا

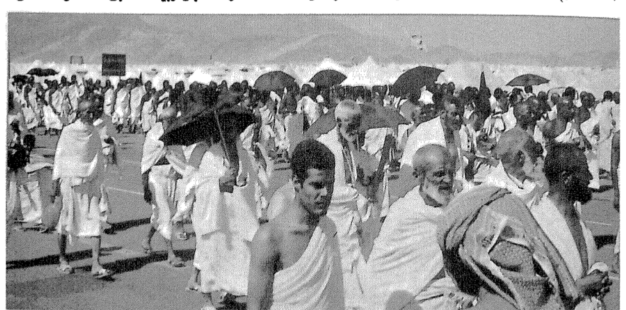
القعدة وذا الحجة والمحرم ثم رجب الخير أشهراً حرماً لا يجوز فيها القتل والإيذاء حتى فى أيام الجاهليين، وعرفوا حقيقة الأمن فى هذا البلد الحرام ولهم يقول الله فى محكم كتابه: **(أولم نمكن لهم حرماً آمنا يُجْبَى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدُنَّا ولكن أكثرهم لا يعلمون)** (آية ٥٧/القصص).

صحيحه وكما رواها أبو داود في سننه، كما أخبر بها جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال: **«إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله فخرجنا معه.**

وما فعله رسول الله ﷺ هو

الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال:

«إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان



...ير للنفس وتزكية لها

فما أحوج المسلمين اليوم إلى لمِّ الشمل ورأب الصدع، والإقلاع عن التطاحن والتصارع والإتجاه الى الله خالق الكون ومدبره، بقلب منيب إلى منطقة الأمان بيت الله الحرام ملبين: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك ، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

حج رسول الله ﷺ:

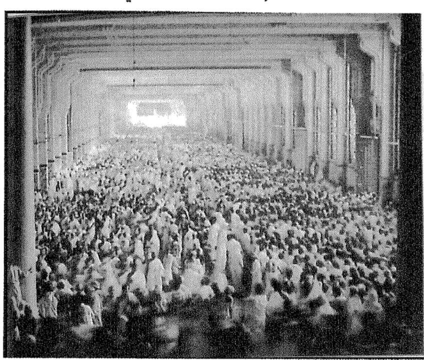
لقد أوضحت السّنة النبوية حقيقة ما فعله رسول الله ﷺ في يوم التروية ويوم عرفة في حجته كما رواها الإمام مسلم في

وأصحابه أنهم «توجهوا الى منى فأهلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ ناقته القصواء واتجه الى منى فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر. ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت

مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم

تسألون عني فما أنتم قائلون؟ **قالوا نشهد إنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات**، ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئا، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات وجعل جبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمني: أيها الناس السكينة السكينة كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفا (حتى أسفر) جداً، فدفع قبل أن تعالج الشمس وأردف الفضل بن عباس ... حتى أتى بطن محسر فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يُكبِّر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي - ثم انصرف الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده، ثم أعطى عليًّا فنحر ما غبر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال: انزعوا

الحج في الاسلام



الحج مشروع تربوي للنفس المؤمنة

بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه(٣).

وليس الغرض من عرض حجة رسول الله ﷺ هنا الا للإجابة عن الأسئلة التي تفرض نفسها على المسلمين اليوم:

١ - فكم حاجا من المسلمين عرفوا حقيقة الحج ، حج رسول الله ﷺ؟ وعملوا به؟.

٢ - وهل يكفي مجرد السفر الى الحج دون إعداد العدة له ومعرفة أركانه وشروطه وواجباته وسننه وجميع مسئولياته ومتطلباته؟.

٣ - وعلى عاتق من تقع مسئولية توعية الحجيج بمناسكهم؟

الى غير ذلك من الأسئلة التي يجد الحاج الإجابة عنها في حج رسول الله ﷺ.

تلبية رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ يلبي في الحج بالتوحيد فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن تلبية رسول الله ﷺ كان «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وقد خالف رسول الله ﷺ بهذه التلبية المشركين في تلبيتهم التي كانوا يُلبّون بها. فيروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: كان المشركون يقولون: **(لبيك لا شريك لك.. قال فيقول رسول الله ﷺ ويلكم قَدْ قَد (أي كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه) فيقولون (إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك)**

يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت(٤).

ويذكر ابن الكلبي مؤكداً ما جاء في السنة المطهرة، إن هذه كانت تلبية نزار(٥) كما ذكر تلبية عَكّ وربيعة.

وشتان مابين تلبية التوحيد وتلبية الشرك. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يزيد في التلبية فيقول : «**لبيك ذا النَّعماء والفضل الحسن لبيك مرهوبا منك ومرغوبا اليك** » وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يزيد كذلك في التلبية فيقول : «**لبيك ، لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك ، والرغباء اليك والعمل**(٦)».

هذا وقد اختلف الفقهاء وعلماء اللغة فى معنى: لبيك. فمنهم من قال: إجابة بعد إجابة(٧) ولزوماً لطاعتك. وقيل معناها: إتجاهي وقصدي إليك. وقيل معني «لبيك اللهم لبيك»: محبتى قولهم لك. وقيل معنى «لبيك» أنا مقيم على طاعتك وإجابتك. وقيل معناها: أي خاضع بين يديك وقيل: أي قربا منك وطاعة. وآخر هذه الأقوال ولعل الأقرب الى المقصود أن لبيك اللهم لبيك إجابة لقول الله سبحانه لإبراهيم الخليل عليه السلام **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)** (الحج/ آية ٢٧).

ولا خلاف بين علماء المسلمين في مشروعية التلبية، وإن اختلفوا في إيجابها. فعند الشافعي واحمد أنها سنة وليست بشرط لصحة الحج ولا بواجبة، فلو تركها الحاج صح حجه ولا دم عليه، لكن فاتته الفضيلة، ويرى بعض العلماء أنها واجبة تجبر بالدم ويصح الحج بدونها، ويرى البعض الآخر: أنها شرط لصحة الإحرام ولا يصح الإحرام ولا الحج إلا بها. أما مالك بن أنس فيرى أنها ليست بواجبة ولكن من تركها لزمه دم وصح حجه. وعند أبي حنيفة يجزىء عن التلبية ما في معناها من التسبيح والتهليل وسائر الأذكار.

وروى: أن من لبَّى حتى تغرب الشمس، فقد أمسى مغفوراً له.

وقد قال أكثر العلماء باستحباب الإقتصار على تلبية رسول الله ﷺ، وبه قال مالك والشافعي.

من أعظم منافع الحج أن يدرك الحاج القيمة السلوكية للحج

ومن أجل هذا وجب على الحجاج أن يستمسكوا بتلبية رسول الله ﷺ وهي: **لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.**

والمعنى: إنا مجيبوك يارب لدعوتك، مستسلمون لحكمتك، مطيعون لأمرك مرة بعد مرة لا نزال علي ذلك.

والعجِّ شعار الحج وقد قيل: أفضل الحج العج والثج، فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج إراقة دماء الهدي.

فرضية الحج :

يوضح القرآن الكريم فرضية الحج فى الآية الكريمة: «**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير * ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليَطوَّفوا بالبيت العتيق**» (الحج/ آية ٢٧).

فالحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو آخر شعيرة من الشعائر التي فُرضت، إذ فرض في السِّنة التاسعة من الهجرة النبوية على أرجح الأقوال.

وهو فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل مستطيع، وقد أجمع العلماء على أنه لا يجب الحج ولا العمرة في عمر الإنسان إلا مرة واحدة إلا أن ينذر فيجب الوفاء بالنذر بشرطه، والا إذا دخل مكة أو حرمها لحاجة لا تتكرر من زيارة ونحوهما.

منافعه:

وحكمة فرض الحج ليشهد الناس منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. فالمسلمون يتجهون الى مكة المكرمة من فجاج الأرض تحقيقاً وتلبية لدعوة الله التي أذن بها نبيه إبراهيم الخليل عليه السلام منذ آلاف السنين.

ولكن ما هي هذه المنافع التي وردت في الآية الكريمة؟ إنها منافع كثير عددها يشهدها الحاج فيدرك منها ما يمكن إدراكه في الحجة الأولي الفرض، ويدرك غيرها في الحجة الثانية.

فالله تعالى أمر نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس جميعا بما فرض الله عليهم من الحج إلى بيته الحرام ليشهدوا ما فيه من منافع تعود عليهم بالخير، ويذكروا اسم الله مع ذبائحهم التي

يذبحونها شكراً لله على آلائه، تلك الذبائح التي يأكلون منها بدون حرج عليهم ويطعموا منها البائس الفقير، وإذا ما فرغوا من آداء مناسكهم تحللوا من إحرامهم ووفوا نذورهم وطافوا بالبيت العتيق طواف الإفاضة تمام الحج وطواف الوداع.

وقد روى ابن أبي شيبة وابن منيع وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم - وصححه - والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال: لما فرغ إبراهيم ﷺ من بناء البيت قال: **رب قد فرغت، قال: أذن في الناس بالحج، قال: يارب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلي البلاغ. قال: رب كيف أقول. قال: قل: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق**، فسمعه من في السماء ومن في الأرض، ألا ترى أنهم يأتون من أقصى الأرض يلبون(٨).

فهذه حكمة الله وآية من آياته ومعجزة من معجزاته انطلق هذا النداء في مشارق الأرض ومغاربها مدويا في الفضاء طارقا مسامع المؤمنين ومبلغا لهم صوت نبي الله إبراهيم عليه السلام واذانه بالحج الى بيت الله العتيق بقدرة الله.

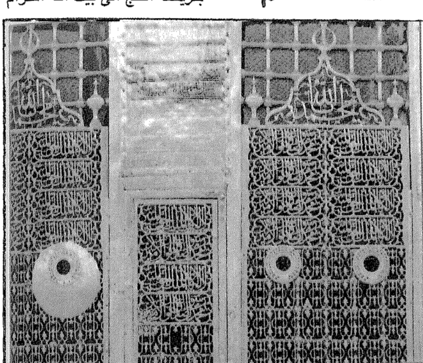
وهذه المعجزة كافية لاخماد أنفاس الذين يكابرون في معجزات الله وآياته التي منّ بها على أنبيائه ورسله. وتبقى كلمة الله وتبقى هذه المعجزة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بأنه النداء عبر قلوب المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها إلى الحج إلى بيت الله الحرام على الرغم مما يقال عن تقدم العلوم وتجاور الصناعات في عالم اليوم.

ولقد جرت حكمة الله وثبتت معجزته بأن سرى أذان ابراهيم عليه السلام إلى جميع أسماع البشر من المؤمنين، ولبى هذا النداء مئات بل آلاف الملايين فحجوا واعتمروا قبل اختراع المذياع والتلفاز منذ الأزمان

الحج في الاسلام

العقول الإنسانية بطرق بثها وسرعة إرسالها، لا تعدو أن تكون مجرد وسيلة من الوسائل الحسنة إذا ما أحسن استخدامها في خدمة الدين الاسلامي والعقيدة الاسلامية السمحة.

ولكن تبقى قبل ذلك بل وبعد ذلك المعجزة القرآنية الخالدة صوت ابراهيم عليه السلام، مؤذناً بفريضة الحج الى بيت الله الحرام



المسلمون مدعوون للتوحيد والتوحد

الغابرة.

ولا جدال في أن هذه الآلة التي اخترعها البشر لا تستطيع أن تقوم بواجبها بنفسها ولا تؤدى عملها إلا بأيدي البشر. وهي إذا ما استخدمت في مجال يعود بالفائدة والخير العميم على البشرية أدت واجبها، وهي كذلك اذا ما استخدمت فيما لا يعود بالفائدة على بني الإنسان أتت أكلها فهي سلاح ذو حدين.

ومن أجل هذا فان قيمة اختراع هذه الآلة الحديثة التي بهرت

ومدويا بهذا النداء في أرجاء المعمورة إلى يوم الدين.

وإن من الواجب تجاه هذا الدين الحنيف أن تتضاعف الجهود في تذليل هذه الآلات الحديثة خدمة للدين والأحرى أن يُبكر في إيصال هذا النداء الى الحجيج في مشارق الأرض ومغاربها من أول يوم في أشهر الحج الثلاثة المعلومات التي ذكرها الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز فقال **(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)**.

اجتماع الحجيج في صعيد عرفات دعوة للوحدة والتآلف

فضل الحج المبرور:

قال الله تعالى في فضل الحج: **«ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير»** (الحج/ آية٢٨). فالحج له فضائل كثيرة وأهمها أن يشهد الحجيج منافع لهم في هذه الايام المعلومات.

والأيام المعلومات قيل هي عشر ذى الحجة وقيل: هي العاشر واليومان بعده وقيل: والثلاثة بعده.

وإن هذه الأيام أيام فضيلة وبر والعمل الصالح فيها من أحب الأعمال الى الله سبحانه وتعالى. وقد بشر بها المصطفى ﷺ واخبر أن عمل الخير فيها لا يعدله عمل في غيرها.

روى البخاري فقال: حدثنا محمد بن عرعرة حدثنا شعبة عن سليمان بن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: **ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟ قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء»** رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه. وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح(٩).

وإن ما بشر به الرسول الكريم محمد ﷺ جاء مؤكدا ما دعا اليه القرآن الكريم الى فعل الخيرات في الحج وترك المنكرات، ورغّب في الأخلاق الفاضلة فقال جل وعز: **«الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج. وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب»** (البقرة/ آية ١٩٧).

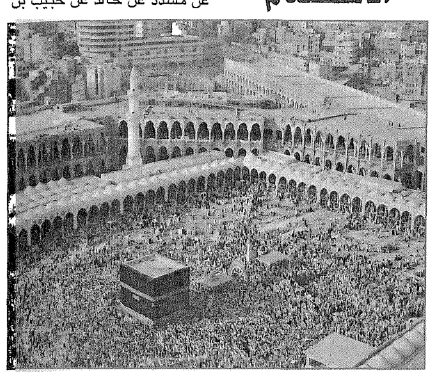
ففعل الخيرات في الحج خاصة هو خير زاد يتزود به الحاج المؤمن وهو زاد التقوى والخير ومن أجل هذا دُعي الحاج المؤمن الى تنقية حجّه من الرفث والفسوق وبذل الجهد فى فعل الخيرات كخير بديل من الرفث والفسوق.

روى البخاري واحمد والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»**(١٠)، وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»**(١١).

وقد أعدّ الله جلت قدرته خير الجزاء لمن خلص حجه من الشوائب، واحتسب أجره عند الله ولم يكن حجه رياء - حتى يقال عنه وقف عشرين وقفة - ولم يرفث ولم يفسق ولم يجادل في الحج. وهذا رسول الله ﷺ يعلِّم المسلمين ويؤدبهم بآداب الإسلام، فيقول فيما يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حج النبي ﷺ على رحل رثّ، وقطيفة خَلَقة تُساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، ثم قال: **«اللهم حجة لا رياء فيها ولا سُمعة»**(١٢)، رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه والأصبهاني.

وقد بشّر رسول الله ﷺ من أدى فريضة الحج نقيّة من جميع الشوائب، خالصة لوجه الله الكريم بالخير والسعادة في هذا الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ في مسجد الخيف فجاءه رجلان أحدهما أنصاري والآخر ثقفي فسلما عليه ودعوا له وقالا: جئناك يارسول الله نسألك فقال: «إن شئتما أخبرتكما عما جئتما عنه تسألان، وإن شئتما سكتّ فتسألان». فقالا: أخبرنا يارسول الله نزدد إيماناً.. فقال ﷺ: **«فإنك إذا خرجت من بيتك تؤمّ البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك بها حسنة ورقي عنك بها خطيئة، ورفع لك بها درجة. وأما ركعاتك بعد الطواف فعتق رقبة من بني إسماعيل. وأما طوافك بين الصفا والمروة فعتق سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله عز وجل يهبط الى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة فيقول: «هؤلاء عبادي جاءوني شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمتي ومغفرتي، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل أو كعدد القطر أو كزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورا لكم ولمن شفعتم لهم، وأما رميك الجمار فيغفر لك بكل حصاة رميتها كبيرة من الكبائر الموبقات الموجبات، وأما رميك الجمار فيغفر لك بكل حصاة رميتها كبيرة من الكبائر الموبقات الموجبات. وأما نحرك فمدّخر لك عند ربّك. وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة**

الحج في الاسلام



مجاهدة النفس وعم

حلقتها حسنة ويمحي عنك بها خطيئة.. وأما طوافك بالبيت بعد ذلك ـ يعني طواف الإفاضة ـ فإنك تطوف ولا ذنب لك، ويأتي ملك حتى يضع كفه بين كتفيك فيقول لك: اعمل لما قد بقي فقد غفر لك ما مضى».

إن الحاج إذا حرص على أن يكون حجه خالصاً لوجه الله من الشوائب والأدران، وتزود بزاد التقوى كان حجه حجاً مبروراً وسعيه سعيا مشكورا بحول الله وقدرته.

الحج موسم :

فالحج موسم كبير، وهو بلغة العصر الآن من أكبر المؤتمرات الإسلامية، وإن كانت كلمة مؤتمرات لا تفي بغرض الحج وأهدافه بل إن الحج في واقع الأمر موسم عقيدة وحياة، موسم عبادة لأداء الفريضة المكتوبة، وموسم لقاء وتعارف تتجسد فيه روح الأخوة الإسلامية الحقة. فإذا المسلم من أقصى شمال الكرة الأرضية يلتقي بأخيه في أقصى الجنوب، ويلتقي الثالث الآتي من أقصى الشرق مع أخيه المسلم الحاج من أقصى الغرب، تجمعهم كلمة واحدة هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ ﷺ ـ وتجمعهم كعبة واحدة طالما توجهوا إليها من جميع جنباتها لتحقيق كلمة التوحيد بإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، ويجمعهم اسم واحد سمُّوا به من الزمن الغابر هم المسلمون. يقول الله تبارك وتعالى فيهم: **«وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملَّة أبيكم إبراهيم، هو سمَّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير»** (الحج/ آية٧٨).

ومن أجل هذا كان لزاما على كل حاج تجاه إخوانه المسلمين من بني جلدته في بلده وخاصة بعد عودته الى داره ظافرا ، أن يُبلّغ الدعوة لاخوانه ويحثهم على تلبية الدعوة الكريمة والفوز بهذه المنافع المباركة التي أعدها الله لمن حج بيته العتيق.

الحج جهاد :

والحج واحد الجهادين المشروعين في الاسلام ، شرعه الله في دينه الحنيف بمعنى شرعي ،أراد الله من عباده المؤمنين أن يجاهدوا أنفسهم وبدنهم إعلاء للشهادة وإلحاحا في الفوز بمرضاة الله ، سبحانه وتعالى ، وتطبيقا لشعيرة من شعائر دينه الحنيف ..

والحج جهاد ، وكيف لا ، وقد نص عليه رسول الله ﷺ في الحديث الذي يرويه البخاري (١٣) عن مسدد عن خالد عن حبيب بن أبي عمرة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ، قال ، لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور ..**

وذكر المنذري(١٤) أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّي جبان، وإني ضعيف. فقال: **(هلمّ الى جهاد لا شوكة فيه:**

الحج).. رواه الطبراني في الكبير والاوسط ورواته ثقاة ، واخرجه عبد الرزاق أيضا ..

وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«جهاد الكبير الضعيف والمرأة الحج والعمرة»**(١٥)، أخرجه النسائي بإسناد حسن. وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **إذا وضعت السروج فشدوا الرحال**

تقاسيه من صعوبات سفر، وتغيير في سبل الحياة المعيشية الفردية، واختلاف في الأجواء والبيئات.

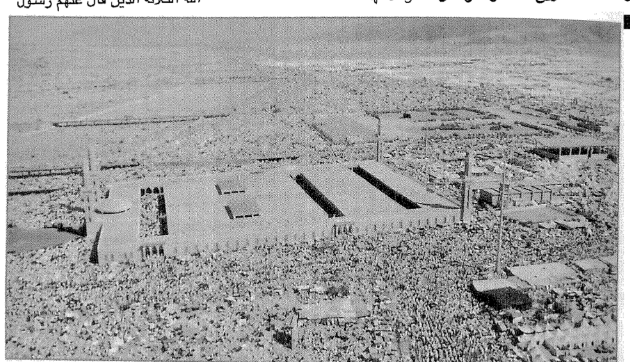
ولعل وجه الشبه في وصف الحج بالجهاد لما يشتمل عليه كل منهما من أمور تتشابه تشابها واضحا .

ففي الحج والجهاد استجابة داعي الله، وإقبال عليه بكل الجوارح وإعراض عن الدنيا وملذاتها .

في الدارين.

ومن أجل هذا قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه أبو ذر الهروي في كتاب المناسك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: **« حجة لمن يحج خير من عشر غزوات، وغزوة لمن حج خير من عشر حجج».**

والمجاهد والحاج والمعتمر وفود الله الثلاثة الذين قال عنهم رسول



...لها على الجادة فضيلة كبرى

للحج والعمرة فإنهما أحد الجهادين. وهذا القول من الخليفة الثاني رضي الله عنه في حكم المرفوع الى رسول الله ﷺ.

وفي الحج يأخذ الحاج نفسه بألوان شتى من الجهاد النفسي منذ الوهلة الأولى التي يخرج فيها من بيته ملبياً داعيا الله في حج بيته الحرام ويقارع نفسه ويكبح جماحها ويصدها عن سبل الغواية الشيطانية، ويرضى لها كل ما

وفي الحج والجهاد خروج واغتراب عن الأهل والولد والوطن لإعلاء كلمة الحق سبحانه وتعالي. وفيها بذل وتضحية ومخاطرة بالنفس والمال والولد. وفي الجهاد والحج كذلك مقارعة للنفس وكسر لشهواتها، وتحمل للأذى بشتى صوره وألوانه.

وفي الجهاد والحج بعد هذا وذاك أوبة صادقة الى الله تعالى، وسعي للفوز بالشهادة والسعادة

الله ﷺ في الحديث الذى يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم»** رواه النسائي وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما ولفظهما قال:

وفد الله ثلاثة: الحاج، والمعتمر، والغازي. وقدم ابن خزيمة الغازي(١٦).

الحج في الاسلام

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **الحجاج والعمار وفد الله عز وجل يعطيهم ما سألوا، ويستجيب لهم ما دعوا، ويخلف عليهم ما أنفقوا، الدرهم ألف ألف.** رواه البيهقي(١٧).

والجهاد يشفع دائماً بالإستعداد له بحسب ما تقتضيه ظروف العصر حتى يتحقق هدفه كاملا.

ولهذا كان من الواجب على كل حاج وحاجة أن يتواصوا فيما بينهم بتوجيه الدعوة لإخوانهم المسلمين في بلدهم وأن يبادروا باستغلال شبابهم قبل هرمهم بالحج الى بيت الله الحرام لأداء الفريضة على أكمل وجه وفي أحسن حال حتى يفوزوا بأحد الجهادين.

الحج الفرض :

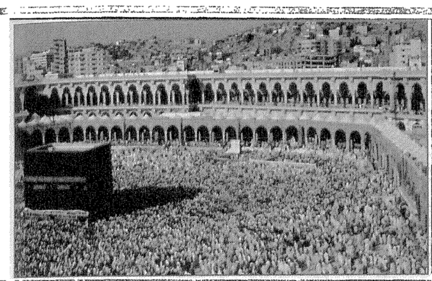
يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين).**

والحج الفرض لا يكون إلا مرة واحدة وهذا هو رأى الجمهور، اذ لا تشير هذه الآية الكريمة في سورة آل عمران (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) (آل عمران/ آية٩٧)، الى تكرار فريضة الحج أكثر من مرة.

ورسولنا محمد ﷺ يوضح لنا أن ما زاد عن الفريضة في الحج فهو تطوع. وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن الأقرع بن حابس سأل النبي ﷺ فقال: **يارسول الله الحج في كل سنة أو مرة واحدة فقال: لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع»**(١٨).

ويؤكد النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ان الحج لا يجب إلا مرة واحدة في العمر في

ويستدل من آخر آية الحج فى سورة آل عمران من قول الله تعالى **«ومن كفر فإن الله غني عن العالمين»** ان الله تبارك وتعالى يؤكد على وجوب الحج بل ويشدد على تارك الحج. وقد اوضحت السنة النبوية المطهرة ذلك فى الحديث الذي يروى عن النبي ﷺ الذى ذكره ابن كثير في تفسيره. روى البيهقي عن عبد الرحمن بن



هذا الحديث الذى يرويه الإمام مسلم في صحيحه عن زهير بن حرب عن يزيد بن هروان عن الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحُجّوا.. فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال: رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم. ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**(١٩).

سابط عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: **«من لم تحبسه حاجة ظاهرة، أو مرض حابس، أو سلطان جائر، ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً»**(٢٠).

وقد أكد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما نصت عليه الآية القرآنية في سورة آل عمران وما روي عن رسول الله ﷺ فقال: **«من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً»**(٢١).

وروى عن سعيد بن جبير أنه قال: «لو مات جارلي وله ميسرة

ولم يحج، لم أصَلّ عليه. وقيل: بل يفهم من آخر هذه الآية الكريمة أنها خطاب عام لغير المسلمين، وفيه وعيد عام لكل من كفر بالله تعالى.

ولعل معرفة سبب نزول هذه الآية يوضح لنا ما إذا كان آخر هذه الآية وعيدا عاما لكل كافر بالله، أو تحمل على تارك الحج، أو

الانسلاخ عن ما اعتاده الانسان صعب على النفس

تحمل على من يعتقد وجوب الحج. ويروي لنا الضحاك عن سبب نزول هذه الآية فيقول: «لما نزلت آية الحج جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان الستة: المسلمين واليهود والنصارى والصابئة والمشركين والمجوس وقال: إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، فآمن به المسلمين وكفر به الباقون وقالوا: لا نؤمن به ولا نصلي ولا نحج، فأنزل الله قوله تعالى: **«ومن كفر فإن الله غني عن العالمين»**.

غير أن التعميم الشامل في فرض الحج على الناس كما ورد في قول الله تبارك وتعالى **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)** (آل عمران/ آية٩٧)، دليل بأن الحج مفروض على الناس المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم.

كما يفهم كذلك من قول الله تعالى «ولله على الناس حج البيت» أن جميع الناس لابد لهم من الإيمان بهذا الدين وتطبيق أحكامه وشعائره وأداء فروضه ومنها الحج الى البيت العتيق الذى تتجه إليه بصائر المؤمنين بالله تعالى، كما أمر الله بذلك، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين. وليس لله سبحانه وتعالى حاجة في حجهم وإسلامهم إذا لم يكن ذلك خالصاً لوجهه الكريم سبحانه.

ولهذا كان لزاماً على المسلمين أن يحثوا إخوانهم ويلحوا في الدعوة لمن لم يحج أن يحج الى بيت الله الحرام لأداء الفريضة طاعة لأمر الله الكريم ووجب كذلك كي تصل هذه الدعوة الى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن تستخدم كل الوسائل الإعلامية الحديثة الممكنة أداء للواجب الذي فرضه الله على المسلمين.

الهوامش

(١) كتاب الأصنام: لابن الكلبي ص٤٤ ـ ٤٥.

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح النووي ج٩ ص١٢٣ ـ ١٢٦.

(٣) صحيح مسلم ج٨ ص١٧٠ ـ ١٩٥.

(٤) صحيح الامام مسلم بشرح النووي ج٨ ص٩٠.

(٥) كتاب الأصنام لابن الكلبي ص٧.

(٦) صحيح مسلم ج٨ ص٨٨.

(٧) فتح الباري لابن حجر ج٣ ص٤٠٩.

(٨) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ج١ ص١٨٥، ١٣٩٢هـ (تحقيق د. مصطفى عبد الواحد).

(٩) تفسير ابن كثير ج٣ ص٢١٦.

(١٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٣ ص٣٨٢.

(١١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص١١٧ ـ ١١٨.

(١٢) الترغيب والترهيب: للحافظ المنذري ج٢ ص١٨٣.

(١٣) صحيح البخارى «باب فضل الجهاد والسير» ج٤ ص١٨ (القاهرة ١٣٧٨هـ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، ج٣ ص٣٨١ (باب فضل الحج المبرور).

(١٤) الترغيب والترهيب: للحافظ المنذري (كتاب الحج) ج٢ ص١٦٤ (لبنان ١٣٨٨هـ).

(١٥) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ المنذري ج٢ ص١٦٤.

(١٦) الترغيب والترهيب: للمنذرى ج٢ ص١٦٧ (كتاب الحج).

(١٧) الترغيب والترهيب ج٢ ص١٨٠.

(١٨) رواه احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث الزهري (تفسير ابن كثير ج١ ص٣٨٥).

(١٩) صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص١٠٠ ـ ١٠١.

(٢٠) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٨٦.

(٢١) الترغيب والترهيب: للمنذرى ج٢ ص٢١١.

نظرة ابن حزم إلى الصحابة

لقد اهتم المسلمون بدراسة جيل الصحابة لأنهم النقلة عن رسول الله ﷺ للشريعة فإلى أي حد يمكننا الاطمئنان إليهم وإلى مروياتهم؟ وهذا الأمر يجرنا إلى دراسة مدى عدالتهم ومراتبهم في الفضل.
وابن حزم مثل باقي العلماء، خاض في هذا الموضوع وصنف في ذلك مدافعا عنهم. فمن هم الصحابة عنده؟ وما هو عددهم؟ وما هي عدالتهم؟ وما هي مراتبهم؟ هذا ما سنقوم ببيانه في دراستنا هذه:

بقلم:
د. المكي اقلاينة
كلية الآداب والعلوم الانسانية
تطوان/ المغرب

أ - معنى الصحابة:

الصحابي لغة مشتق من الصحبة، يقال: صحبته، أصحبه، صحبة، فأنا صاحب.. والصاحب: المعاشر، لا يتعدى تعدي الفعل. جمعه: صحاب - بالكسر - مثل: جياع، وصحابة - بالفتح - وصحابة - بالكسر.

وقد مايز أبو البقاء بين الصحابة والأصحاب بقوله إن «الصحابة في الأصل مصدر أطلق على أصحاب الرسول كالعلم لهم، ولهذا، نسب الصحابي ، بخلاف الأصحاب.

«والصاحب مشتق من الصحبة. وهي وإن كانت تعم القليل والكثير، لكن العرف خصصها لمن كثرت ملازمته وطالت صحبته»(١).

والملاحظ أن الصاحب والاصحاب أطلق مجازا على من أخذ بمذهب من المذاهب، فيقال: أصحاب مالك، وأصحاب أحمد.

أما في الاصطلاح، فقد اختلفت تعاريف العلماء للصحابة.. ويمكن إرجاعها الى ما يلي:

* اشتراط طول الصحبة، نسبه النووي لبعض الأصوليين(٢)
* اشتراط طول الصحبة والغزو مع الرسول ﷺ وهو ينسب لسعيد بن المسيب، والناقل له هو محمد بن عمر الواقدي(٣)، وهو ضعيف في الحديث(٤).
* اشتراط طول الصحبة مع الرواية عن الرسول ﷺ نقله الآمدي عن عمر بن يحيى(٥) ولو قبلنا شرط الرواية لأخرجنا من إطار الصحبة العديد من الصحابة لم ينقل عنهم شئ لتقدم وفاتهم مثلا، فلم يحتج إليهم.
* اشتراط البلوغ عند الرؤية للرسول ﷺ، وهو رأي الواقدي، ونسبه لأهل العلم(٦) وهذا قول شاذ، لو أخذنا به لأخرجنا العديد من الصحابة رأوه عليه السلام قبل البلوغ، من إطار الصحبة، في حين أن لهم شرف الرؤية.
* اشتراط التمييز عند الرؤية للرسول ﷺ، وبه يقول جماعة من العلماء أمثال ابن معين، ونسبه العراقي لابن عبد البر(٧) وهذا لا يصح، لأنه يعد من أدرك مولده صحابيا(٨).
* اشتراط معاصرة النبي وإن انتفت الرؤية، وهذا مما توسع فيه ابن عبد البر(٩).
* اشتراط الرؤية مع الإسلام، وهو ما ذهب إليه البخاري بقوله: «من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه»(١٠).

وبالرأي الأخير يقول ابن حزم الذي عرف الصحابة تعريفا دقيقا وشاملا بقوله «أما الصحابة - رضى الله عنهم - فهو كل من جالس النبي ﷺ ولو ساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عليه السلام أمرا يعيه، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك، ولا مثل من نفاه عليه السلام باستحقاقه كهيت المخنث ومن جرى مجراه، فمن كان كما وصفنا أولا فهو صاحب، وكلهم عدل امام فاضل رضي، فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم.. وسواء أكان من ذكرنا على عهده عليه السلام صغيراً أو بالغا، فقد كان النعمان بن بشير، وعبد الله بن الزبير، والحسن والحسين ابنا علي - رضى الله عنهم أجمعين - من أبناء العشر فأقل إذ مات النبي ﷺ وأما الحسين فكان حينئذ ابن ست سنين إذ مات رسول الله ﷺ وكان محمود بن الربيع ابن خمس سنين إذ مات النبي ﷺ وهو يعقل مجة مجها النبي ﷺ في وجهه من ماء بئر دارهم، وكلهم معدودون في خيار الصحابة، مقبولون فيما رووا عنه عليه السلام أتم القبول، وسواء في ذلك الرجال والنساء والعبيد والأحرار.

«وأما من أدرك رسول الله ﷺ بعقله وسنه ، الا انه لم يلقه ، فليس من الصحابة ،ولكنه من التابعين ، كابي عثمان النهدي .. «واما من ارتد بعد النبي ﷺ بعد أن لقيه، وأسلم ثم راجع الإسلام وحسنت حاله كالأشعث بن قيس وعمرو بن معدي كرب وغيرهما، فصحبته له معدودة، وهو بلا شك من جملة الصحابة.. وكلهم عدول فاضل من أهل الجنة(١١).

من هنا يتبين لنا أنه لا يسمي صحابيا إلا من توافرت فيه شروط ثلاثة:

١ ـ أن يلقى النبي ﷺ مؤمنا به. أما إذا لقيه ورآه وهو مؤمن بغيره، فلا عبرة برؤيته.

٢ ـ أن يموت من رآه على الإسلام، سواء وقع منه ارتداد أو لم يقع، إذ العبرة بموته مسلما، وإلا فإنه لا يدرج ضمن الصحابة.

٣ ـ أن لا يكون منافقا.

وهذا التعريف الذي يأخذ به ابن حزم، هو الذي قال فيه ابن حجر أنه الأصح وأنه المعروف عند المحدثين بعد أن ذكر مضمونه مركزا، بقوله: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك: أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام. فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو عنه، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى»(١٢).

ب ـ عدد الصحابة :

عدد الصحابة كثير جدا، أشار إليهم ابن حزم بقوله: «قد غزا رسول الله ﷺ هوازن بحنين في اثني عشر ألف مقاتل، كلهم يقع عليه اسم الصحبة، ثم غزا تبوك في أكثر من ذلك ووفد عليه جميع البطون من جميع قبائل العرب، وكلهم صاحب، وعددهم بلا شك يبلغ ازيد من ثلاثين ألف إنسان. ووفد عليه ﷺ وفود الجن فأسلموا، وصح لهم اسم الصحبة، واخذوا عنه ﷺ القرآن وشرائع الإسلام..»(١٣).

وهدف ابن حزم من ذكر هذا العدد الضخم من الصحابة هو توضيحه صعوبة القول بالإجماع فيما لا يوقن أن جميع الصحابة قال به وعلم به(١٤).

ج ـ عدالة الصحابة :

ان الكلام عن عدالة الصحابة يرجع بالأساس الى مدى الاطمئنان إليهم وإلى مروياتهم. فإذا كان جميع من يرد في السند يحتاج الى البحث عنه لمعرفة عدالته وضبطه، فهل الصحابي مثل باقي الرواة يحتاج إلى هذا النوع من البحث وإلى من يزكيه؟.

لقد أثير هذا الأمر منذ وقت مبكر، والدارس يلمس الآراء التالية في المسألة:

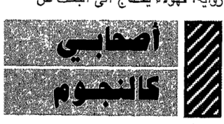
ـ **الرأي الأول**: يذهب إلى ضرورة البحث عن عدالتهم مثل باقي الرواة(١٥). وبه صرح ابن القطان بناء على أن من ارتكب معصية خرج عن إطار الصحبة(١٦). وهذا قول ضعيف، خصوصا وأنه مثل لذلك بقتل وحشي لحمزة، ووحشي إنما قتله قبل أن يسلم، والإسلام يجب ما قبله.

ـ **الرأي الثاني**: يعتبر الصحابة كلهم عدولا قبل الفتنة، أما بعدها فليس بعدل إلا من لم يشارك فيها. وبه قال عمرو بن عبيد من المعتزلة(١٧).

وهذا قول ضعيف أيضا، وفيه إهدار للسنة، فالذين لم يشاركوا فيها كانوا قلة، ومن جهة أخرى، فإن الواقعة نقلت بكثير من التشويه، والآفة في ذلك من المؤرخين الذين لم يتحروا في مروياتهم.. وقد أنكر ابن حزم وجود نية القتال بين أهل الجمل وعلي، وأكد أن اجتماعهم في البصرة إنما كان للنظر في قتلة عثمان وإقامة الحق، فتسرع الخائفون على أنفسهم أخذ حق الله تعالى منهم، وكانوا أعدادا عظيمة، فأثاروا القتال خيفة حتى اضطر كل واحد من الفريقين الى الدفاع عن أنفسهم إذ رأوا السيف قد خالطهم(١٨).

ـ **الرأي الثالث**: يذهب إلى أن كل الصحابة عدول إلا من قاتل عليا. وبه قالت جماعة من المعتزلة والشيعة(١٩). وهو رأى مردود أيضا كسابقه.

ـ **الرأي الرابع**: يمايز بين الصحابة الذين اشتهروا بالصحبة والملازمة، فهؤلاء لا يبحث عن عدالتهم، وبين من قلت ملازمتهم وإن كانت لهم رواية، فهؤلاء يحتاج الى البحث عن



عدالتهم. وهو قول الماوردي(٢٠).
وهو أيضا رأى ضعيف جدا، لأنه لا يعتمد على أسس قوية لهذه التفرقة إلا أن يعود ذلك إلى علم هؤلاء وأولئك وهذا لا يرتبط بالعدالة.

ـ **الرأى الخامس**: يعتبر الصحابة الذين دخلوا في الفتنة مقبولي الرواية والشهادة إذا انفردوا، لأن الأصل فيهم العدالة، وقد شككنا في فسقهم، ولا يقبل ذلك منهم مع مخالفهم لتحقق فسق أحدهما من غير تعيين(٢١). وهذا كلام متهافت، لأنه يعارض تعديل الله لهم في قوله سبحانه: «رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله»(٢٢)، ومن رضي الله عنه، لا يقبل فيه كلام أحد.

ـ **الرأي السادس**: يعد كل الصحابة عدولا بشهادة الله ورسوله، وهو قول جمهور السلف والخلف، وهو رأي ابن حزم أيضا، لذا، يقول ابن حزم أنه فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم،

وهم من أهل الجنة. قال تعالى: **«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم. تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا. سيماهم في وجوههم من أثر السجود. ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه. يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما»**(٢٣).. **وقال أيضا: «لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى»**(٢٤).

قال ابن حزم معقبا على ذلك: «هذه مواعيد الله تعالى، ووعد الله مضمون تمامه، وكلهم ممن مات مؤمنا قد آمن وعمل الصالحات.»(٢٥).

وأكد عدالتهم جميعا في موطن آخر بقوله: «وكل من تيقنا أن الله عز وجل رضي عنه وأسقط عنه الملامة، فرض علينا أن نرضى عنه وأن لا نعدد عليه شيئا، فهو عدل بضرورة البرهان القائم على عدالته من عند الله عز وجل وعندنا»(٢٦)، لذلك، فإنه لا جناح على من قاتل عليا رضوان الله عليه منهم يوم صفين لأنهم متأولون.

أما فيما يتعلق بالمنافقين الذين وجدوا في عصر رسول الله ﷺ، فإنهم قطعا ليسوا عدولا، كما أنهم لا يستحقون اسم «الصحابة» فقد استثناهم ابن حزم في تعريفه(٢٧)، لذلك فإنه لابد من التنصيص على اسم الصحابي في الرواية عنده، ولا يكفي القول: «عن أحد أصحاب النبي ﷺ»، إذ ذلك يحتمل أن يكون الراوي لا يعرفه، فالحكم عليه بأنه صحابي فيه ما فيه، أو يكون ممن لا خير فيه ممن ثبت نفاقهم(٢٨)، اللهم إلا إذا كان الراوي عنه له صلة وطيدة به كعلاقة القرابة مثلا، فإن عدم إفصاحه عن اسمه لا يضر، كما في حديث أبي داود عن أبي عمير بن أنس بن مالك عن عمومة له من أصحاب النبي ﷺ: «ان ركبا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يشهدون أنهم رأوا الهلال بالأمس، فأمرهم أن يفطروا، وإذا أصبحوا يغدوا إلى مصلاهم». فقد قال فيه ابن حزم: «هذا مسند صحيح، وأبو عمير مقطوع على أنه لا يخفى عليه من أعمامه من صحت صحبته، وإنما يكون هذا علة ممن يمكن أن يخفى عليه هذا. والصحابة كلهم عدول، رضى الله عنهم لثناء الله تعالى عليهم»(٢٩).

د - تفاضل الصحابة:

لا خلاف في أن من عانى الأمرين لجعل كلمة الله هي العليا ونشر الدين الاسلامي في وقت كان يواجه بالصد والعدوان، فضله أكبر بكثير من فضل من جاء في حال اليسر.. وفي ذلك قال تعالي: **«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله»**(٣٠) فجعل الصحابة طبقات.

على هذا الاساس مايز المحدثون بين طبقات الصحابة حسب افضليتهم، فجعلهم الحاكم اثنتي عشرة طبقة (٣١).

١ - قوم تقدم اسلامهم بمكة، كالخلفاء الاربعة.
٢ - الصحابة الذين اسلموا قبل تشاور اهل مكة في دار الندوة في شأن النبي ﷺ..
٣ - المهاجرون الى الحبشة.
٤ - أصحاب بيعة العقبة الاولى.
٥ - أصحا ب بيعة العقبة الثانية.
٦ - المهاجرون الذين وصلوا الى الرسول ﷺ وهو بقباء قبل دخوله الى المدينة المنورة..
٧ - اهل بدر.
٨ - المهاجرون بين بدر والحبشة.
٩ - اهل بيعة الرضوان.
١٠ - المهاجرون بين الحديبية والفتح.
١١ - مسلمة الفتح.
١٢ - الصبيان والاطفال الذين رأوا الرسول ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها.

وقد تعرض ابن حزم لهذه المسألة، فبين ان المفاضلة بين الفاضلين لا تقع الا اذا كان فضلهما واحدا من وجه واحد فتفاضلا فيه، واما ان كان الفضل من وجهين اثنين، فلا سبيل الى المفاضلة بينهما، ومعنى قول القائل: اي هذين افضل ؟ هو: اي هذين اكثر اوصافا في الباب الذي اشتركا فيه، فلا يقال ايهما افضل ؟ رمضان او ناقة صالح ؟ وانما يقال: أيهما افضل: رمضان أو ذو الحجة ؟ وناقة صالح أو ناقة غيره من نياق الأنبياء (٣٢)

ولتحقيق ذلك مايز ابن حزم بين نوعين من الفضل: (٣٣)

١ - **فضل اختصاص من الله تعالى بلا عمل**، وهذا يشترك فيه جميع المخلوقين من الإنس والجن والحيوان و النبات والجماد والملائكة، كفضل الملائكة في ابتداء خلقهم على سائر الخلق، وكفضل الانبياء في ابتداء خلقهم على سائر الجن والإنس..

٢ - **وفضل مجازاة من الله تعالى بعمل**، وهو لا يكون إلا للحي الناطق من الملائكة والإنس والجن فقط، وهو القسم الذي تنازع الناس فيه. لذلك اهتم ابن حزم بدراسة اقسامه، وحصرها للحكم على من جمع اكثرها بأنه افضل ممن جمع اقل منه. فبين أن التفاوت في العمل يكون في سبعة أوجه:

- **الاول: الماهية**، وهي عين العمل

وذاته ، بحيث تكون الفروض من اعمال احد المفاضلين موافاة كلها ، ويكون الآخر يضيع بعض فروضه وله نوافل ، أو يكون كلاهما وَفَى جميع فرضه ويعملان نوافل زائدة إلا أن نوافل أحدهما أفضل من نوافل الآخر ..

- **الثاني : الكمية** : وهي العرض في العمل ، بأن يكون احدهما يقصد بعمله وجه الله تعالى لا يمزج به شيئا البتة، ويكون الآخر يساويه في جميع عمله إلا أنه ربما مزج بعمله شيئا من حب البر في الدنيا وأن يستدفع بذلك الأذى عن نفسه وربما مزجه بشئ من الرياء، ففضله الأول بعرضه في عمله.

- **الثالث: الكيفية**، بأن يكون أحدهما يوفي عمله جميع حقوقه ورتبه، لا منتقصا ولا متزيدا، ويكون الآخر ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل وسننه وإن لم يعطل منه فرضا.

- **الرابع: الكم**، بأن يستويا في أداء الغرض، ويكون أحدهما أكثر نوافلا، ففضله هذا بكثرة النوافل.

- **الخامس**: الزمان، كمن عمل في صدر الإسلام أو في عام المجاعة أو في وقت نازلة بالمسلمين، وعمل غيره بعد قوة الإسلام وفي زمن رخاء وأمن.

- **السادس: المكان**، كصلاة في المسجد الحرام أو مسجد المدينة، فهما أفضل من ألف صلاة فيما عداهما.

- **السابع: الإضافة**، كركعة من نبي أو ركعة مع نبي، أو صدقة من نبي أو صدقة معه، فقليل ذلك أفضل من كثير الأعمال بعده، ويبين ذلك قوله تعالى: « **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل**»(٣٤).

فهذه هي وجوه الفضائل كما يراها ابن حزم، وثمرتها تتجلى في أمرين:(٣٥).

- **أحدهما**: إيجاب الله تعالى تعظيم الفاضل في الدنيا على المفضول.

وهذا الوجه يشترك فيه كل فاضل بعمل أو اختصاص مجرد بلا عمل من عرض أو جماد أو حي ناطق أو غير ناطق. وقد أمرنا الله تعالى بتعظيم الكعبة والمساجد ويوم الجمعة والشهر الحرام وشهر رمضان وناقة صالح.

- **ثانيهما**: إيجاب الله تعالى للفاضل درجة في الجنة أعلى من درجة المفضول، إذ لا يجوز عند أحد من خلق الله تعالى أن يأمر بإجلال المفضول أكثر من إجلال الفاضل، ولا أن يكون المفضول أعلى درجة في الجنة من الفاضل، ولو جاز ذلك لبطل معنى الفضل جملة ولكان لفظا لا حقيقة له ولا معني. وهذا الوجه خاص لكل فاضل بعمل فقط من الملائكة والإنس والجن.

الهوامش

(١) ابو البقاء: الكليات، ص:٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٢) النووي: التقريب، ص:٩٦.

(٣) كذبه أحمد وأبو حاتم والنسائي في الحديث، أما في الأخبار والسير، فإليه المنتهى في الحفظ. انظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٦٦٢/٣ ـ ٦٦٦ ت. ٧٩٩٣.

(٤) انظر العراقي: التقييد والإيضاح، ص: ٢٩٧.

(٥) الآمدي: الإحكام ٣٢١/٢.

(٦) راجع العراقي: التقييد والإيضاح، ص: ٢٩٥.

(٧) العراقي: نفس المصدر، ص: ٢٩٢.

(٨) راجع ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٤٦/١.

(٩) انظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٤٦/١.

(١٠) صحيح البخاري (مع فتح الباري) ٣/٧.

(١١) ابن حزم: الإحكام ٨٩/٥ ـ ٩٠.

(١٢) ابن حجر: الاصابه ٧/١.

(١٣) ابن حزم: الاحكام ٩١/٥.

(١٤) ابن حزم: نفس المصدر ٩٢/٥.

(١٥) انظر العراقي: فتح المغيث، ص:٣٥٠.

(١٦) انظر السوكاني: إرشاد الفحول، ص٦٩.

(١٧) انظر العراقي: فتح المغيث، ص: ٣٥٠.

(١٨) انظر ابن حزم: الإحكام ٨٥/٢، وقارن بـ ٦٧/٥ ـ ٦٨.

(١٩) انظر العراقي: فتح المغيث، ص: ٣٥٠.

(٢٠) انظر الشوكاني: إرشاد الفحول، ص:٧٠.

أصحابي كالنجوم

(٢١) انظر العراقي: فتح المغيث، ص:٣٥٠.

(٢٢) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

(٢٣) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٢٤) سورة الحديد، آية: ١٠.

(٢٥) انظر تفصيل ذلك عند ابن حزم: الاحكام ٨٩/٥ ـ ٩١.

(٢٦) ابن حزم: نفس المصدر ٨٤/٥.

(٢٧) ابن حزم: نفس المصدر ٨٩/٥.

(٢٨) ابن حزم: نفس المصدر ٣/٢.

(٢٩) ابن حزم: المحلي ٩٢/٥.

(٣٠) سورة التوبة، آية: ٢٠.

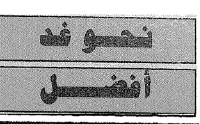
(٣١) الحاكم: معرفة علوم الحديث، ص: ٢٢ ـ ٢٤.

(٣٢) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١١٩/٤.

(٣٣) ابن حزم: نفس المصدر ١١٢/٤ ـ ١١٥.

(٣٤) سورة الحديد، آية: ١٠.

(٣٥) ابن حزم: الفصل ١١٦/٤.



محمد كامل الخجا
المدينة المنورة

الدور الحضاري والتراث الروحي

أفاقت الأمة الاسلامية بعد اغفاءة طويلة فوجدت نفسها قد أحيط بها، وضربت حولها السدود ووضعت فى أيديها القيود. واذا أرضها مقسمة الى اقطار ودول، تفصلها الفواصل والحدود، وتراثها الثمين مغشى عليه بالاطمار والغبار.

فكانت انطلاقات للدفاع عن الذات، عن الارض والنفس والمال والتراث، والعقيدة واللغة والثقافة، انطلاقات متلاحقة للتحرر من الاجنبى الواغل، من استعماره واحتلاله ونفوذه وسلطانه، وكان تطلع وجهه للاتصال، اتصال الحاضر بالماضي، اتصال في المكان والزمان لوحدة الارض، ووحدة الشخصية عبر الزمان والآن وقد قطعنا فى بناء كياننا اشواطا وفى السير نحو بعث تراثنا الإسلامي مراحل سواء من الوجهة المادية أو من الوجهة المعنوية، في اشاعة الفكر وبث الوعي وتعميقه في النفس والوجدان.

وفي اطار هذا التوجه تواجهنا اسئلة كثيرة ترتسم امامنا وتقطع علينا الطريق وتلح فى طلب الجواب: هل بناء كياننا وبعث تراثنا غاية نقف عندها، هى قصارى الجهد ومنتهى الأمل؟ .. أم أن وراء ذلك اهدافا بعيدة وغايات أخرى؟.

نحن نسعى بجهدنا لنلحق بركب الحضارة الحديثة وتدارك ما كنا فيه من تخلف.. فهل منتهى املنا ان نكون كاحدى الدول المتمدنة المعروفة؟.. وهل يمكن ذلك؟.

تذكرني هذه المسألة.. بمسألة رياضية كانت تطرح علينا حين كنا في المرحلة الثانوية.. طائرة تطير فى الجو والمسافة بيننا وبينها في لحظة ما معروفة.. يراد اصابتها بقذيفة.. فاذا حسبنا سرعة القذيفة والزمن الذى نحتاجه لقطع المسافة الى النقطة التى كانت فيها الطائرة فى لحظة ما من الزمن.. وجدنا انفسنا امام مشكلة وهى ان الطائرة ليست ثابتة بل تكون قد قطعت مسافة جديدة اثناء اختراق القذيفة.

ولذلك يجب ان نحسب الامرين معا.. سير الطائرة فى اتجاه افقى متباعد.. بسرعة معينة.. وانطلاق القذيفة بسرعة معينة باتجاه صاعد متقدم فى اتجاه الطائرة.. والتقاؤهما فى نقطة من الفضاء وفى زمن معين.

ان الدول التى نحتذيها ونتخذها هدفا للوصول ليست ثابتة راكده بل متحركة.. تغذ السير وسرعتها متزايدة ايضا.. فاذا سرنا بسرعتها لم ندركها.

فالجسمان المتحركان فى اتجاه واحد لا يلحق الثانى منهما الاول الا اذا كانت السرعة متزايدة غير ثابتة.. هذا اذا لم يتغير اتجاه السير في هذه الحضارة.

ان من الخطأ بل العبث ان نبحث عن انفسنا ونهضتنا وحركتنا نظرة منعزلة.. فنحن فى مجموعة كبيرة تتحرك كلها.. ولابد أن نعرف موقعنا منها وان نرسم حركتنا ونخطط لها ضمن الاطار العالمى والتخطيط العام.

فما هو موقعنا من العالم..؟ ما هو موقعنا من الحضارة العالمية..؟ اين نضع انفسنا؟ وما هى امكانياتنا لذلك..؟ هل تقتصر القضية على حساب المسافة والسرعة فى نظرة كمية؟.. ام ان ثمة عامل الكيفية والنوع..؟ هل اللحاق بالركب أو السبق امر عادي صرف؟.. ام ان ثمة وجها اخر للمسألة ؟.

أليس فى الحضارة الحديثة ثغرة لم تسد يمكن ان نتقدم لسدها..؟ وجانب مهدوم لم يلتفت احد الى بنائه يمكن ان نتقدم نحن لبنائه..؟ هل عندنا ما نقدمه لهذه



برتراند راسل

الحضارة مما قد ينقصها وهي بحاجة اليه..؟

هل في اتجاه هذه الحضارة وخط مسيرها انحراف يمكن ان نصححه؟ ولا عبرة حينئذ بالسبق أو السرعة. فالسباق المخطىء والمسرع المنحرف لابد له من الوقوف أو الرجوع ليصحح الخطأ ويقيم العوج ويستكمل النقص. لابد للإجابة على هذه الاسئلة من معرفة هدفنا البعيد وموقعنا من الحضارة في مصيرها المتحرك وخط اتجاهنا المصيريه التي يتعلق عليها مصيرنا ومستقبلنا ومستقبل الانسانيه الى حد كبير.. والاجابة علي هذه الاسئلة تقتضينا معرفة مسير الحضارة الحديثة وتركيبها.. مكاسبها ومغارمها.. الحاضرة والمرتقبة كما تقتضينا معرفة امكانياتنا المادية والمعنوية الظاهرة والكامنة وطريقة تفاعل الامة العربية مع الحضارة في الماضي.. والحاضر.. والمستقبل.

سبعة قرون واسلمت قسما كبيرا هاما من تراثها ونتائجها الى اوربا فكان فيها ما سمى عصر النهضة.

ان في الحضارة الحديثه قسما لا شك انه من مكاسب البشرية المختلفة ذلك هو انطلاق العقل في افاق الكون والطبيعة ينقب ويكتشف ويزيد دائرة المعلوم ويكشف الغطاء عن نواميس الكون وقوانين الطبيعة كما تجرى في واقعها.

ان هذا القسم من الحضارة الحديثه اذا جرد مما التصق به من نظريات افتراضية وآراء تخمينية وهي كثيرة ايضاً في هذا المجال: هو القسم الصلب المتين النافع من هذه الحضارة وهو خلاصة جهود البشرية خلال عصور متطاولة.. ومن مكاسب هذه الحضارة ايضاً ما نتج عن معرفة الكون من قدرة على تسخيره واستثماره لمنفعة الانسان.. وما تولد عنه من اختراع وابداع كاستثمار الطاقات المتنوعه من حرارة وكهرباء وحركة وضوء واستثمار المادة تحليلا وتركيبا لقد ادى ذلك الى توسع الصناعة وارتقائها واختراع الآلة التى تصنع ما كان يعجز عن مثله الانسان كما وكيفا.. وتنقل الانسان واخباره واخبار الكون ولكن هذا القسم من الحضارة ذو وجهين فهو نافع ومفيد حين يستخدم لتحسين المعاش والترفيه عن الانسان وزيادة لذته وتنويعها وتوسع معارفه وسرعة وصوله الى اهدافه.

وصار حين يستعمل لاذلال البشر واضعافهم واستعبادهم وقتلهم والاعتداء عليهم حين يصرف جهودهم كلها الى نوع خاص من ملاذ الحياة الجسمية والى جمع المال وكثرة الانتاج.. وحين يقترن به التنافس والصراع والتكاثر والتفاخر سواء بين الافراد

محمد أسد

الكواكبي

حضارة الوثنيات لا ننتظر منها خيراً

ونوع الحضارة التى نستهدفها.. ومكاننا من التخطيط العالمي ودورنا المقبل والممكن في تكوين الحضارة ورسالتنا فيها.. ان لكل ذلك اثره العميق في ادق التفصيلات واصغر الجزئيات من تكوننا الحاضر.. ونهضتنا التى نبنيها فان من الصعب بل من المتعذر تغيير قطعة صغيرة في اساس البناء بعد ان يقوم البناء بجدرانه وسقوفه وان انحرافا صغيراً لا يدرك في أول المسير ورأس الزاوية ينتهي الى انحراف كبير بعد قطع اشواط منه وفي مفترق الخطين.

وكثير من الناس بل من المثقفين يغفلون عن هذه النظرة الحركية

الحضارة المادية الملحدة :

ان الحضارة الحديثة التى لا يزال الغرب يحمل مشعلها ليست من صنعه وحده بل هى نتيجة تطور حضارات الانسان منذ بدء الخليقة.. تناقلتها الاجيال وتناوبت عليها شعوب وكان آخرها الحضارة اليونانية الرومانيه والحضارة العربية، الاسلامية التى وقفت منذ

والشعوب او الجماعات.

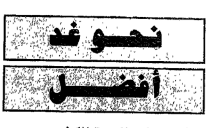
واما ما كان من انتشار الوعي الانساني وارتقاء التنظيم الاجتماعي والسياسي.. فهذا ما لم يكن مستقرا على حال ولا متجمعا عناصر الكمال ولا عاما في البشر والشعوب.

فما اكثر ما يحصل من ازمات ونكسات فتنقلب الحرية الاقتصادية الى تحكم لاصحاب رؤوس الاموال والحرية السياسية الى تحكم الحزب الواحد الحاكم باسم الجماهير والشعب.. وما اكثر ما يكون تحرير الشعوب عنوانا كاذبا لعمل هو الاستيلاء عليها وحكمها بالقسر على غير ما تريد.. ذلك كله واقع في هذه الحضارة الحديثه.

ان الخطأ كل الخطأ في اعتقاد ان هذه الحضارة هي خلاصة نتاج الانسانية الصالح وجماع مغانمها خلال عصور تاريخها الطويل.

ان هذه الحضارة نتيجة تفاعل مزيج من الحضارات السابقة مع شعوب اوروبا وكذلك شأن كل حضارة هى ليست فكرة مجردة او ثمرة منفصلة بل هي نتاج تفاعل تلك الثمرة مع شعوب بعينها تنعكس عليها خصائصها.. محاسنها وعيوبها.. اخلاقها ونفسيتها. الى جانب عنصر التراث الحضاري الانساني.. **ان لكل حضارة ظروفها التاريخية التى لا تنفصل عنها.. والحضارة الحديثة ليست خيرا محضا.. ولا شراً محضا.. وليست هي التراث الانساني المصفى كما يظن بعض المثقفين من تلاميذ هذه الحضارة الحديثة ومريديها.. وليست هي مغانم خالصة من المغارم ولا مكاسب مبرأة من الخسران.. ولا كمالا منزها عن النقصان.**

لقد بدأ اهلها يشعرون بنقائصها واخذ الوعى لهذا النقص يشيع



ويظهر على السنة الكثيرين من الخاصة والمفكرين وطفقت الحاجة الى تغيير اتجاه هذه الحضارة وتبديل عناصر تركيبها واكمال نقصها تشتد وتلح.. ويشهد بذلك بعض كبار المفكرين من مثل «الدوس هكسلى» و«برتراندرسل» و«الكسيس كاريل» و«انره جيد»

المسلمون الآن هل هم مجرد تبع لم يتبين خطاه بعد

وغيرهم.

وجملة القول فى الحضارة الحديثة التى يتولى الغرب بمختلف شعوبه قيادتها انها تقوم على اساس ارتقاء بعض جوانب الحياة الانسانية دون بعضها الاخر فقد أولت اللذائذ الحسية والمنافع المادية الرتبة الأولى.. وجعلت العقل خادما لها ووسيلة لزيادتها.. فلقد رقت الوسائل ولكنها لم ترتق بالغايات فلا يزال التنافس والصراع في مجالات السلم والحرب قانون هذه الحضارة.. لقد قوى الانسان وتسلح واصبح يملك قوة عظيمة ولكن نفسيته لم تتغير ولم ترق.. ولم تستطع الحضارة الحديثة ان ترتفع بالانسان وتنمى عواطفه الانسانيه ووعيه وشعوره الانسانى العام.. ولا التخفيف من اثرته وانانيته.. واذا كانت توصلت احيانا الى انظمة عادلة فانها لم تستطع ان تخلق الجو النفسى والخلقى الذى يعين على تطبيقها بدافع من داخل الانسان لا من خارجه فحسب.

ان الرجل العادى في اوروبا كما يقول الاستاذ (محمد اسد) سواء أكان ديمقراطياً أم فاشيا.. انما يعرف دينا واحدا وهو عبادة الرقي المادي والاعتقاد بانه لا غاية في الحياة غير ان يجعلها الانسان اسهل.. والحضارة الغربية لا تعرف الله سبحانه وتعالى في شدة أو رخاء وليس في فكرها موقع لله.

لقد صدق الكواكبي حيث قال في كتابه «طبائع الاستبداد» الغربي مادي الحياة، والنفس، شديد المعالمة، حريص على الاستثناء، حريص على الانتقام.

اقول لقد ارتفعت في الغرب اصوات كثيرة للثورة على القيم والانتصار للمادية فى شتى صورها.

بل انى اذهب الى ابعد من ذلك فاقول ان اوروبا في عصورها السالفة حين تقبلت النصرانية ودانت بها ،لم تحسن فهمها وتمثلها ،ولئن استفادت هي من النصرانية خلقا وروحا ،فلقد اضرت هي بالنصرانية اذ شوهت الكثير من معالمها وعكست عليها وثنيتها القديمة الموروثة عن اليونان والرومان.. واوروبا .. حين قاتلتنا في الحروب الصليبية لم تقاتلنا بما عندها من تعاليم المسيح ،بل قاتلتنا برواسب وثنيتها الموروثة وطباعها الوحشية غير المصقولة .وليست جميع حروب الاستعمار ومآسيه وحروب التحرر - كما يسميها

الشيوعيون - الا ثمرة من ثمرات هذه الحضارة المادية.

*** روح الانسان العربي الاصيل :**

تلك هي الصورة التي نستطيع ان نلتقطها لعالمنا اليوم في مسيرة الحضارة في صورتها الماثلة في الشعوب التي تسير اليوم في طليعة البشرية.

وفي ضوء هذه الصورة ينبغي ان نعمل ونرسم الخطط: لنهضتنا والأهداف لحضارتنا المستقبلة ونحدد نصيبنا في المساهمة.. ودورنا ورسالتنا في العالم ولابد لنا من أجل ذلك معرفة عناصر اخرى وهي.. اولا معرفة انفسنا.. حاضرنا وماضينا.. امكانياتنا وخصائصنا.. وكيفية تفاعلنا قديما مع المبادىء الانسانيه وكيف صنعنا حضارتنا وحينئذ نكون قد استكملنا العناصر الضرورية لحل المعضلة والاجابة على المسألة الكبرى وعرفنا نصيبنا من المساهمة ونوع هذه المساهمة.

ولقد اعتاد الباحثون في العالم العربي ان يخصوا بالذكر موقعه الجغرافي بين القارات والبحار والشعوب وهو امر يجب ان يذكر.. ولكن ثمة امر اهم منه يغفلونه على خطورته وهو موقعه الحضاري بين الوان الحضارات قديما وحديثا.

ان العالم العربي كما يقع موقعا متوسطا بين قارات ثلاث يصل بينها وبين بحار كبرى تمتد فيها سواحله فيشرف منها علي سائر اجزاء الارض يقع كذلك في مثل هذا الموقع من حضارات الشرق والغرب.

ان الامة العربية الاسلامية فى بلادنا كانت دوما حين تنهض بالعبء وتتقدم للسير تمثل اللون الكامل والحضارة المتوازنة التى تجمع بين المادة والروح.. وتقيم الانسجام بينهما لطبع تأصل في نفسها خلال عصور نتيجة اجتماع اسباب وظروف في تاريخها.

.. ان طبيعتها الاصلية وفطرتها لم تتغير.. وانما الذي تغير هو الافق الذي تعمل فيه والساحة التي تجرى فيها بين أفق محدود وأفق انساني عام.

واذا القينا نظرة سريعة على العرب ومن حولهم قبل الاسلام وجدنا انهم يمتازون بفطرة انسانية سليمة لم يصبها ما اصاب الفرس من انحلال خلقي وانغماس في الملذات ولا ما وقع فيه اليونان من هذيان الفكر الفلسفي المنفصل عن

الحضارة الغربية انعكاس لخصائص الشمولية الراقية للانسان الأمثل

الحياة وعن الاخلاق العملية ومن خيال اسطورى مغرق في الخرافة واخلاق بعيدة عن مثالية الفلسفة ونظرياتها الكلامية وعن الانسانية بتمييزها العنصري بين الناس ولا نظرياتها الكلامية وعن الانسانية بتمييزها العنصري بين الناس ولا افسدها ما كان عند الرومان من روح استعمارية استثمارية.

ان عرب الجاهلية هم الذين كانوا بعد الاسلام خير اداة لتنفيذ الرسالة في العالم فمعدنهم واحد لم يتغير وانما الذي يتغير طريقة استثمار هذا المعدن، فالناس كما قال الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه - معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا.

ان العربي منذ عهود قديمة ملامس للطبيعة لا يحجبه عنها حاجز ولا تحول بينه وبينها الاساطير، منها يتطلع الى الله الخالق لا الى الآلهه المزورة المخلوقة ولم تكن الوثنية الا فترة طارئة في حياته دخيلة عليه من الشعوب المجاورة.. غير متغلغلة في نفسه.. وكثيرا ما هزيء بها وسخر منها.

لقد كان العربي واقعيا في تفكيره يعيش في ضوء الشمس وحرها وعلى ارض الصحراء وفوق رمالها ومع حيوانها ونباتها ولذلك كان ادبه كحياته بعيدا عن الاساطير التي حشي بها الادب اليوناني ولم يكن في تفكيره هذا ابتدائيا فقد عرف الحكم المجرد والكليات العامه.. ولغته ملاى بالمفردات الدالة على الكليات والمجردات كما هي ملاى بالالفاظ الدالة على المحسوسات والجزئيات..

وكان العربي منذ تلك العهود البعيدة مثالي الاتجاه يفضل المعنى على المادة والشرف على المال والعز والكرامة على النعيم والرخاء..

ولئن كانت المثل الخلقية والروحية في الجاهلية لم تأخذ شكلها الواضح الكامل الواسع الافق الذي جاء به الاسلام.. فانها كانت في حياة العرب قبل الاسلام تتمثل باتجاه واضح نحو هذا النوع من المثالية الخلقية من حيث الاستعداد لتقبلها.. سليمة من التردي والتفسخ والانحلال والاسفاف المخزي الذي وقعت فيه امم اخرى مغرقة في الحضارة المادية.. ومختلفة كذلك عن تلك الروحية الخيالية السلبية الانعزالية التي كانت تتجلى في امم الشرق.

ان اقوال العرب واعمالهم تجسم

تلك الخلال الكريمة المتأصلة فيهم وتدل على ما كان يعتلج في نفوسهم من دوافع معنوية وبواعث خلقية ولو اخطأوا الهدف احيانا او ضلوا الطريق للوصول الى تحقيق ما يريدون من خير.

والعربي أقدر الناس على ان يفهم عمق الحكمتين العظيمتين «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان» و«تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، ذلك انه كان يحتقر من يكون في الحياة وغايته الطعام والشراب والملبس أو المال.. بل كان صعاليك العرب لا يقبلون لانفسهم هذه الفلسفة.

ولم تكن فلسفة العربى فى يوم من الايام فلسفة البطن والمعدة حتى في جاهليته لانه كان يحتقر هذه الفلسفة وليس معنى ذلك طبعا انه كفقراء الهند ورهبان البوذيه لا يسعى لملء بطنه الجائع ولو بالقوة اذا اقتضى الامر فالعربي لم يكن يقبل فلسفة الفقر ولم يكن يرضى بالمعيشة الدنيا، لان المال عنده وسيلة لغايات كريمة.

يريد ان يكون غنيا لا ليملأ البطون ولا لينال الرغيف ولكن ليقيم الحق ويعين الضعفاء لذلك لا يبطره الغنى لانه لا يرى فيه شرفا ولا يذله الفقر لان المال لا يكسب صاحبه شرفا ولكن العمل الطيب هو الذي يزينه.

ولم تكن كذلك شهوته الجنسية وسائر الشهوات المادية مسيرة له في حياته بل كانت العفة وحفظ الانساب والاعراض امرأ اساسيا في الحياة.

ولو اردت ان استشهد لهذه المظاهر ولمكارمهم الاخرى كحماية الجار والحليف واستعذاب الموت في سبيل الكرامة والكرم في المال والشجاعة والاقدام والوفاء بالعهود والوعود وغيرها من المكارم لطال بنا القول.



في هذه البيئة نزلت رسالة الاسلام.. وعلى صعيد بلادنا العربية تنزلت رسالات سماوية عديدة من رسالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي اسست على التوحيد وانتهت برسالة الاسلام التى رسمت الصورة الكاملة للمثل

الحضارة الغربية انعكاس لخصائص الشعوب التي جاءت منها

الاعلى الانساني فكان التجاوب العميق بين الامة العربية ذات النزعة المثالية والفعالية القوية المعطله الا في حدود ضيقة. وبين هذه الامة وتلك الرسالة الالهية المصدر، الانسانية الهدف العالمية الافق، اعطاهم الاسلام المثل الاعلى الذي ارادوه واعطوا هم للاسلام، والعقل المفكر والنفوس المستجيبة واليد العاملة.. اعطاهم المبادىء العامة فاعطوه المادة البشرية والقوة المنفذة وصاغوا من تلك المبادىء حضارة انسانية نموذجية هي الشكل الحي المجسم لتلك المبادىء .. فكان لها قوة انتشار في العالم مزدوجة باتجاهها الانساني العام في اصلها وبالصورة التي طلبت فيها وجسدت في حياة عملية في امثال علي وفاطمة وعمر وعائشة وابى عبيدة وابي بكر واسماء وخالد وسعد واضرابهم، قدموا صورة للانسان النموذجي وللأسرة المثالية وللحكومة المثالية.

ان ما كان عند العرب من استعدادات ونزعات وامكانيات، اظهرها الاسلام واستثمرها لخيرهم وخير الانسانية ووسع افقها وفصلها من الصعيد القبلي الضيق الى الصعيد الانساني حتي لم يعد العرب ملكا لانفسهم فحسب بل ملكا للانسانية ودواء لها ورداء لشعوبها وقادة لاممها.

ان المجال الذي فتحه الاسلام للانسانية امام العقل ليفكر واليد لتعمل وتستثمر، والنفس لتسمو وترتقي من واقعها الارضي الى الكمال الإلهي الازلي ان ذلك كان لابد له من معلم يفهم فيحسن الفهم ويتمثل فيحسن التمثل ويطبق فيحسن التطبيق.. وكان هذا المعلم «علماء المسلمين».

ان في تاريخ البشرية ظاهرة عامة يجب دوما ان تلفت نظرنا وهي ظاهرة التفاعل بين المبادىء والشعوب ولذلك كان من المهم جدا تتبع الفهم العربي الأول للإسلام .. وجعله مصدرا اساسيا لتفسيره ويرى الشاعر الاسلامى الهندي «محمد اقبال» ان العقل العربي كان اقوى على استساغة الاسلام استساغة صحيحة واجدر بحمل امانته.

لقد تلاحقت الموجات الروحية على صعيد بلادنا، يؤكد بعضها بعضا ويتمم بعضها بعضا فقد تنزلت في ارض العرب ديانة ابراهيم وهي الديانه التي دعت الى التوحيد ووطدت دعائمه فكانت القاعدة

الاولى القديمة والمستقر الاول لعقائد العرب واخلاقهم.

وبعد ان بعث الله المسيح عليه السلام بتعاليم النصرانية في فلسطين، وصلت اصداؤها الى العرب آمن فريق منهم بها.. حتى ظهر الاسلام مصدقا لما بين يديه من النبوات والكتب ومجددا لملة ابراهيم وهكذا توالت الديانات والمثل الروحية والمبادىء الخلقية وتلاحقت وكان صعيد بلادنا منسقها ومسئولا عنها وجميعها ظهرت فيه مجتمعه متعاونه مشتركه في جوهر العقيدة.. النظرة الاساسية الى الوجود وذلك بربط الانسان قلبه وعقله وشعوره بالله الخالق.. خالق الناس اجمعين فالخلق كلهم عباد الله.. ومن هنا كانت الفكرة الانسانية والمسئولية امام الله الخالق اساس هذه الديانات في عقائدها.

لقد ارتبطت مكارم الاخلاق عند العرب وتفضيل القيم الخلقيه عندهم باساس عقائدي عميق الجذور في نفوسهم منذ عصور بعيدة جداً ولذلك كانت الوثنية دخيلة طارئة على العرب في فترات قصيرة قليلة من حياتهم وكان الالحاد كذلك بعيدا عنهم لا يظهر في تاريخهم الا مقترنا بالشعوبية الحاقدة على العرب. فالعربي سواء اكان على دين ابراهيم او كان نصرانيا او مسلما او يهوديا كان دوما مؤمنا بالله ايمانا عميقا تصله به الطبيعة التي يعيش في احضانها ولا تفصله عنه ولا تحجبه الوسائط ولا الخرافات والاساطير ويشعر في اعماق ضميره بالمسؤولية امامه فيوقظ الايمان ضميره ويرهف حسه الخلقي.

ولا شك ان المثل الروحية انسانيه عامه ومن هنا كانت قيمتها وليست محصورة بالعرب - ومعاذ الله ان ننكر ذلك - ولكن هذه المثل الروحيه توضعت علي صعيد بلادنا، وتوطدت ورسخت واتخذت لها فيها جذورا اكثر من اي صعيد آخر، لقد وجدت فيها احسن صور تطبيقها واروعها واقواها واكثرها توازنا وواقعية.

لقد شهد الصعيد العربي مولدها وبعث صوتها كلما خفت وايقاد شعلتها كلما خبت، وعاصرها طويلا وتجاوب معها ومنه كان انطلاقها واليه كان موئلها واعتصامها، وشحب لونها وهزلت في العصور التي غاب فيها العربي عن الاشراف والقيادة، وتولى حراستها غيره فأصابها التشويه والانحراف.

الحضارة التي يتولى الغرب تسويقها الآن حضارة ماديات لا تحمل روحاً

ان ثوراتنا ومعاركنا لبناء كياننا الاسلامي وبعثه من جديد ليست الا ثورات ضد الظلم والشر والباطل وهي انتصار للحرية والعدالة والخير والحق: ان لمعاركنا وثوراتنا لبناء كياننا الاسلامي وبعثه من جديد غايات بعيدة واهدافه عليا من ورائها.. انها غايات انسانية واهداف خلقية.

ان الروح الاسلامية العميقة تنتج نظما خلاقة عالية .. ولكن النظم الراسمالية والنظم الاشتراكية المادية التي جاءت بها اوروبا بمعسكريها لم تنتج عواطف انسانية . ان الروح الاسلامية استطاعت ان تخلق نفوسا تطبق الاخاء والتعاون والفداء في سبيل المجموع وتسير في الخط الذي رسمه تشريعها من غير تعقيد، ولم تستطع الانظمة الاشتراكية المعقدة والقوانين الرأسمالية الملزمة الزاجرة ان تولد العواطف في النفوس، وتغير اخلاق الانسان وتهذب غرائزه وعواطفه، لذلك فان لمعاركنا اليوم صدى عالميا لعظيم مغزاها.

ان العالم اليوم بحاجة الى البناء بحاجة الى هذا التراث الذي نحرسه ونحن الاوصياء عليه. ان العالم كله بحاجة الى المسلمين، لنعيد اليه روح الايمان، والاخلاق، ونبعث فيه العواطف الانسانيه والمبادىء الخلقية المنبثقة عن هذا الايمان وقد نسيها كذلك: وشوهها بل مسخها وقلبها ثم طردها بعد ذلك من ارضه، ولنخرجه من حمى المادية وحمأة الطين التي غاص فيها.

«واها لهذا الشرق ما اضعف ذاكرته وأوهن قلبه، سرعان ما نسى ميراثه وسرعان ما تخلي عن سلاحه الذي لا يفل ليستبدل به سلاحا يتآكله الصدأ كم كنت اتمنى لو يسترد ميراثه وسلاحه لعله يستطيع ان يرد العالم الى رشده بدلا من ان يفقد هو الآخر رشده في عالم جن جنونه».

لئن احسن الغرب توجيه العقل البشري وتدريبه وتنظيمه حتي بلغ به ما بلغ من بعيد الشأو في دنيا الصناعات والعلوم والفنون، فقد اهمل القلب كل الاهمال والقلب هو مهب العواصف التي تعبث بنتاج العقل، ومصدر السموم التي تفسد علي الناس الاستمتاع بذلك النتاج وهو على ضآلة حجمه ذلك العالم الشايع الذي يلاصق فيه الانسان الحيوان من جهة، ويعانق منهج الله من الجانب الآخر.

ثقافات وافدة

"لم تتعرض أمة من الامم لهجمة فكرية كتلك الهجمة الموجهة الى الامة الاسلامية بوجه عام والامة العربية بوجه خاص، املا من اعداء الله في اطفاء نور الله. واثباتا لعكس ما اكده الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل من أن هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس .."

الغزو الثقافي
المشكلة والحل

الدكتور:
محمد بن محمد شتا
الرياض

قال الله تعالى « **كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » (آل عمران/ ١١٠).. هذا ظنهم ، ولكن أنى لأفواه اعداء الله ان تطفئ نور الله ..« **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** » (الصف/٨) .. تلك حقيقة إعجازية أبدية ..

ولكي يحقق هذا الغزو هدفه السابق ، فإنه لجأ إلى أساليب ملتوية ،أملا في صرف انظار الناس عن حقيقة نوايا المخططين له ، ومن هذه الاساليب ما يلي :

أولاً : اسلوب الاستعمار المباشر المغلّف بغلاف النهوض بالشعوب المستعمرة: والذى يعتقده كل غيور على الاسلام، وحادب على قيمه، إننا ندرس الظاهرة الاستعمارية دراسة خاطئة، لأنه لم يحدث ربط حقيقى بين الاستعمار وبين الأثر الذي تركه فى أعماق نفس الشعوب المستعمرة، فالاستعمار الانجليزى كان عنيفا في هدم القيم الدينية والاستعمار الفرنسي كان حاذقا في تمييع العقيدة الإيمانية، والغزو السوفيتى قبل تفكك هذا الاتحاد كان واضحا تماما في عدم ترك ثغرة لأهل العقائد لكي ينفذوا منها لمباشرة عقيدتهم، تأكيداً للمقوله الكاذبة القائلة إن الدين أفيون الشعوب. ولعل درس أفغانستان يكون قد بيّن الى أي حد كانت الشيوعية استعماراً حقيقيا، يحمل لافته وضع عليها شعار ترقية الشعوب. بينما الحقيقة هي الرغبة في هدم كل أسس العقيدة وأصول الدين، ولذا فإن اعادة دراسة أثر الاستعمار المباشر وربط ذلك بالهدف الأساسي منه وهو زعزعة العقيدة، تصبح واجبا عاما على كل مسلم قادر على ذلك، وحسبنا هذا لبيان هذه الجزئية الآن، من منظور الغزو الفكري.

ثانيا: أسلوب الاستقطاب: وذلك من خلال فتح الجامعات الأجنبية أمام الراغبين من الدول الإسلامية في نيل الدرجات العلمية منها، ومن خلال هذه الجامعات يتم اكبر عملية استقطاب للعقل الاسلامي وافراغه من مضمونه العقدي واشعاره بالدونيه، والتندر بعقيدته بطريقة إيحائية مدروسة ومنظمة، وإثبات التفوق في غير كنف الاسلام، وتيسير الجنس لكل طالب راغب فيه.. والحق أقول إن الجامعات ذاتها لا تمارس هذا الدور، وإنما الأفراد الملتزمون بمحاربة العقيدة الاسلامية، وأغلبهم اساتذة أو طلاب أو مجرد عمال أو خدم، أو صديقات أو أصدقاء.

إن الادعاء الكاذب بتفوق المسلم في دراسته اللاهوتية على أهل اللاهوت أنفسهم هو اكذوبة خادعة وشراك غير منظور، ومنح الطلاب الدكتوراه في التشريع الإسلامي من جامعات أرثوذوكية هو نكتة سخيفة لا يقبلها عقل واع، وتزوج الاستاذ المسلم من امرأة غربية أو شرقية

جميلة هو فخ آخر ينصب لهذا الدارس أو المدرس لكى ينفض يده كلية عن تقاليده الراسخة، وعقيدته الإيمانية وقدرته الذاتية، بغية الانخراط في سلك الحضارة المادية أو بالأحرى المدنية الزائفة.

ثالثا: أسلوب الاستعمار غير المباشر: ويقصد به تكريس التبعية للدول غير الاسلامية، بحيث يصبح رغيف خبز المسلم رهينا بمشيئة المنتج الأجنبي، وبحيث يصبح قانون المسلم ونظامه هو قانون غير المسلم ونظامه، وبحيث يصبح أسلوب حياة المسلم هو أسلوب ونمط حياة غير المسلم، وبالجملة فإن الاستعمار غير المباشر، يبدأ من جعل المسلم تابعا لغير المسلم، يمد يده إليه بدلا من أن يحمل بها فأسه أو قلمه أو مبضعه أو سلاحه أو أي مقوم من مقومات وجوده وحياته ومستقبله، فيركن الى المتبوع ويكتفى بدور التابع، فيقلده تقليد المقهور الذي لا حول له ولا قوة، يلبس ملبسه، ويتكلم لغته، ويتقن لهجته، ويجيد لكنته، ويفخر بعجمته، ويتنكر لعروبته، ويصبح غرسا غريبا في بيئة لا تقبل أمثاله، فيقع الانفصال التام بين النبتة والتربة، ويحدث النفور الكامل بين الكائن الحي وبيئته التي لم تعد، في تصوره، قادرة على الوفاء بحاجاته.

رابعا: أسلوب المهادنة: القائم على الاعتراف الجزئي ببعض الخصائص الذاتية للمجتمع الإسلامي، ثم الرغبة الملحة في تدمير هذه الخصائص من خلال وضع أطر أخرى لهذه الخصائص، فيقال مثلا، إن حرية المرأة أمر لا جدال فيه في الاسلام، ولكن عصور الانحطاط والتخلف التى عاشها المسلمون أعادت المرأة الى وضعها في الجاهلية، وعندئذ يلتقط نفر من المحسوبين على الاسلام هذه السموم، ويبدأ كل منهم فى نفثها فى أعماق المجتمع الاسلامي، فيتحول المجتمع من مجتمع هادئ الى مجتمع زاخر بالصراع داخل البيت المسلم.

إن تصنع الالتقاء بين الأديان، بعد العلم التام واليقين الجازم بأن الإسلام نسخ كل الأديان السابقة عليه هو محاولة لإفراغ الاسلام من مضمونه **«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم..»** (آل عمران/ ١٢٠). ولذا فإن التنازل من جانب المسلم عن حقائق دينه، قل الأمر أم كثر، هو خسارة أبدية ولن تعوض، لأن كل تنازل يدرج حتما في قائمة علمانية كثرت مفرداتها، فمن سفور المرأة، الى اختلاطها المشين، إلى إهانتها والسخرية منها في الرسوم الكاريكاتورية، ومن تنازل عن الزي الاسلامي، إلى تنازل عن المظاهر الاخرى للهوية الاسلامية، ومن هجمة على حديث نبوي إلى هجوم على كامل السنة المحمدية، ومن محاولة الى ضرب بعض الآيات القرآنية ببعض المظاهر الكونية، الى محاولة للتجاهل التام للكتاب والسنة، ومن محاولة إلى النيل من صحابي جليل الى محاولة للنيل من كل الصحابة، ومن تلميح بعدم شرعية زواج الرسول الأعظم ﷺ بأكثر من أربع زوجات الى تصريح بالشهوانية، وهكذا فإن سلسلة الافتراءات تبدأ باكذوبة تصاغ في قالب يمكن أن يُبْدِه قصار النظر، وتنتهي بهجمة شرسة على الاسلام والمسلمين.

خامسا: أسلوب التجريح الصريح: ولقد بدأت هجمة بعض المستشرقين على الاسلام من منطلق الهزء والسخرية والتصريح بالتجريح، ولنا في تشكيك جولد زيهر في العقيدة الإسلامية والرسالة المحمدية وادعاء تأثر مصدريهما وهما الكتاب والسنة بكتب اليهود والنصارى بعد تحريفها، أكبر دليل على أن هذه الهجمة، إنما هي تجسيد للأبعاد الأساسية للغزو الفكري، كغزو منظم من قبل جماعات حاقدة على الإسلام والمسلمين، وكغزو انهزامي يريد بث الدونية في أعماق المسلمين، وكغزو مخطط له ولا عفوية فيه حتى يوقع في براثنه اكبر عدد ممكن من قادة الفكر والمفكرين، وكغزو مدروس حتى يكون مؤثرا وفعالا، ليس فقط فى استقطاب الشباب بوجه خاص، بل في محاولة اختراق كيان الاسرة من خلال المرأة المسلمة، وتشتيت وجدان العلماء وزعزعة ثقة الناس فيهم، والقائمة تطول، ولكن الهدف هو محاولة بيان ان أسلوب التجريح يعتبر التتويج النهائي لأساليب الغدر التى يمارسها أصحاب الغزو الفكرى ونظرياته الجهنمية، ولننظر الآن في بعض هذه الاساليب التي لا تريد سوى هدم عقيدة التوحيد وهدم كل مجامع محامد الله التى تنطق بها سورة الاخلاص على سبيل المثال.. فمن مظاهر هجمة الغزو الفكري على الاسلام والمسلمين، من واقع حال وأقوال كثير من المستشرقين، قول احدهم فى مجلة العالم الاسلامي، اكتوبر ١٩٥٥م إن المسيحية قربت الانسان من الله أما عقيدة التوحيد فباعدت بينهما وجعلت الانسان متشائما.. ويقول أحدهم (كولي) إن الاسلام بنى على التعصب والقوة ووعد الذين يموتون في القتال بملذات الجنة، ولذا فلابد أن تتقهقر قوة الهلال أمام الصليب، ويقول هوبرت جريمي: إن محمدا ﷺ لم يكن يدعو في بادئ الأمر الى دين حقيقي وانما كان يبشر

- **الظاهرة الاستشراقية لم نحسن دراستها**
- **المستشرقون دخلوا العالم الاسلامي في عباءة الاستعمار**

بنوع من الاشتراكية، ويقول جب إن محمدا ﷺ قد تأثر بالظروف الخارجية المحيطة به، ومثل هذا كثير مما هذى به درمنجهام وجوستاف لوبون ونولدكه وبلاشير وجيفري وجولد زيهر وغيرهم، وهم لا يريدون سوى تحقيق اهداف معينة أهمها:

١ ـ ابعاد الناس عن عقيدة التوحيد، كلية او على مراحل وذلك من خلال خطوات.

٢ ـ تشكيك الناس في عقيدة التوحيد.

٣ ـ بث الدونية في نفوس أهل عقيدة التوحيد.

٤ ـ نزع الاخلاص من صدور أهل عقيدة التوحيد.

٥ ـ تحويل أهل عقيدة التوحيد الى ماديين.

٦ ـ الإساءة الى أهل العلم والعلماء وتصويرهم في افئدة الناس بصور بشعة.

٧ ـ تكريس الابتداع والحيلولة دون الاتباع.

٨ ـ وضع أقدام الناس على طريق التناحر والتنابذ والاختلاف.

٩ ـ بث الكراهية بين أهل السنة في مكان واخوانهم من

في الاسلام لانهم لا يفردون الله بالعبادة، اى لا يقرون بتوحيد الالوهية.

ثانيا: لقد بلغ الرسل صلى الله عليهم، الرسالة، التى كانت دائماً رسالة توحيد الله سبحانه وتعالي، فقطع الله بهم المعذرة، فقد دعوا الخلق للحق، وأدو الامانة خير أداء، ومن يرغب فى معرفة ادلة ذلك عليه بما جاء فى القرآن الكريم فى هذا الصدد. وعلى الدعاة أن يبذلوا جهدهم لجلاء عقيدة التوحيد، حتى يهدى الله بهم قلوبا يحاصرها الشرك وافئدة يتغلب عليها الشك، ولقد كان الدين الاسلامي وسيبقى اساس هداية البشرية لأنه دين كامل وتام لم يأت إلا لهداية الناس ولم يرسل نبيه محمداً ﷺ إلا ليكون بشيراً ونذيراً، واذا كان القرآن حافلا بذكر امثلة على تكذيب اقوام الرسل للرسل، فان نور التوحيد الذى سطع على أمة محمد ﷺ يجب ان يكون أساس السير فى الطريق القويم، لا سيما وان الله سبحانه وتعالي قد وعد رسله واتباعه بالنصر والتمكين فى ظل عقيدة التوحيد، تلك العقيدة التى ينبغى اعمال مقتضياتها.

● الاستشراق بذل جهده لافراغ العقل المسلم

● تشويه الحقائق سمة بارزة في الخط الاستشراقي

أهل السنة والجماعة في مكان آخر.

١٠ ـ زرع أذناب لهم في المحافل الماسونية وأندية القمار والعري وكثير من الوظائف المرموقة فى الدول الاسلامية.

الحل: والحل يكمن في الرجوع الى عقيدة التوحيد أولا، وجعلها تتغلغل في أعماق الانسان ثانيا، ثم بدء الرد على افتراءات جماعات الغزو الفكرى ثالثا وفضح أساليبهم فى كل المجالات رابعا ثم تغيير انماط الدراسة لتصبح العقيدة، أي عقيدة التوحيد جوهرها وإلا فقدنا ناشئة الاسلام على مذابح الغزو الفكري.. ويمكن تلخيص اسلوب مواجهة الهجمة الضاربة على الاسلام من خلال تثبيت عقيدة التوحيد ومن خلال بيان اساسياته كما وردت فى سورة الاخلاص بوجه خاص وهي:

أولا: ان التوحيد هو افراد الله بالعبادة، وهو انواع ثلاثة: «توحيد الربوبية ومعناه الاقرار بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لشئون العالم ـ توحيد الالوهيه ومعناه افراد الله سبحانه وتعالى بجميع انواع العبادة وهو الذى من أجله خلق الله الخلق من انس وجن ـ توحيد الاسماء والصفات ومعناه الايمان بما وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ دون تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل. واذا كان الكفار يقرون بتوحيد الربوبية إلا ان ذلك لم يدخلهم

ثالثا: إن من مقتضيات عقيدة التوحيد وجوب عدم تجاوز الموحدين حدود التوحيد وهذا يستلزم انكار وساوس الشيطان والاستعاذة من نزعاته والبعد عن كل ما من شأنه زلزلة عقيدة التوحيد كالولع بالمشركين والتطبع بطباعهم غير الاسلامية، أو اتيان الكهان ونحوهم، او التقصير فى عبادة الله كأصل اصيل للتوحيد لأن الله يجب ان يعبد وحده، عبادة قوامها الاخلاص والصدق دون غلو فى اى جانب من جوانبها حتى وان كان ذلك فى الانبياء والصالحين، والعمل باخلاص على تحكيم شرع الله فى كل عمل او تصرف او نزاع، وعدم القول على الله بغير علم، مع الانابة الكاملة لله الواحد الأحد والاعتصام بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ والتأدب مع الله فى كل شئ وعدم الحلف الا به مع الحذر فى ابداء الآراء العلمية، فلا يجوز تأول اسماء الله او صفاته او شيئا منها على غير الحق، ويلزم بيان خطأ المخطئين عند مخالفتهم لأهل السنة، وتفويض العلم لله سبحانه وتعالى بصدد علم الكيفية واجب، ولكنه غير جائز بصدد علم المعانى، وانه لا عذر فى الاجتهاد اذا انطوى على مخالفة الكتاب أو السنة بل يلزم انكار ذلك على المخالف، ومذهب اهل السنة فى هذا الصدد واحد لم يتعدد ولا يمكن له ان يتعدد.

شيشان على ثلج ونيران

د. محمد محمد محسن
عضو اتحاد الكتاب – مصر

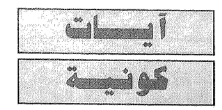
شعر:

لهفي على أوصال «شيشان»
تُشوى على ثلج ونيران
«نيرون» عاد بآلة عمياء..
يحرقها ويطهو لحم إنسان
بجحافل تجتاح مهجتها
ومخالب تعوى كبركان
«الدبُّ» هيأها كمائدة
لوحوشه ولجيشه القاني
يبغي خرابا في عقيدتها
ويقضُّ - بغيا - صرح إيمان
لكنه هيهات يهضمها
ويقيم فيها صرحه الفاني
هذا «المسيخ» وكل دجال طغى
كي يفتن الأبرار في الأديان
هيهات أن يبتاع نبض قلوبهم
أو أن يفض بكارة الإيمان
حتما سيُخْزى اللهُ كل منافق
ويبيد كل مكذب وجبان

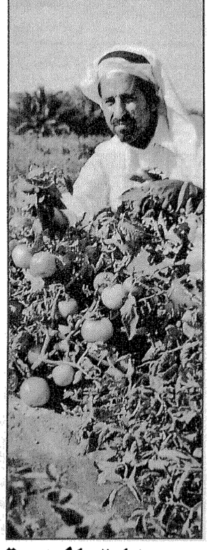
* * *

يا طفلة الإسلام معذرة
إن كنت أبكي فيك ألحاني
وأدير عنك الوجه في خجل
لتقاعسي، يا فرط أحزاني
تمضين في الصحراء تائهة
ما بين أشباح وغيلان
وتجابهين الكفر في ثقة
وتقاومين بغير طغيان
تمشين في جنبيك آيات
لا تنطقين بغير قرآن
«وتعاونوا في البر والتقوى ولا
تتعاونوا في الإثم والعدوان»
تلقين مر الموت واحدة
من دونما سند وأعوان
الثلج دمر منك أوردة
والنار تأكل كلَّ شريان
هل كان قلب المسلمين موحدا
والصف مرصوص كبنيان
أين الألى نشروا الشريعة في الدُّنا
علوية منظومة الأركان
أيام كانت للعقيدة قوة
هدّت معاقل «قيصر» الرومان
واستأصلت أمواجها نار المجوس
وحطمت «كسرى أنو شروان»
كي يبذروا الإسلام في الكون الرحيب
وما وراء الصين والبلقان
هم فتية قد آمنوا بإلاههم
وتماسكوا رغما عن الطوفان
واليوم أصبحنا ضحايا ضعفنا
وتفككوا بجهالة وهوان
ما بالهم في فتنة الدنيا نسوا
فرْض الجهاد وضاع في النسيان
من لي «بأندلس» لهم تحكى الضياع
لينتهي في وسط لبنان
تعوى «سرايفو» ولا تلقى سوى
وجها غريبا فيه وجهان
خُطبا من التلفاز تندب حظنا
ممزوجة ببلاغة وبيان
حرب الكلام تغلغلت فى روحنا
بعنا القضية دون أثمان
هذا غنائى أم غَنائى ليتنى
حَرْفٌ هَمَى شعرا لأوطانى
والنصر نبغيه أليس لنا سوى
مدد بحول الواحد الديان؟

* * *



د. عبدالبديع حمزة زللي
جامعة الملك عبدالعزيز - المدينة المنورة



معجزات الهية

معجزات الهية
معجزات الهية
معجزات الهية
معجزات الهية
معجزات الهية

في هذا المقال سوف نلقي الضوء على آيات في كتاب الله تستخدم مثلا واحداً لمقاصد مختلفة، فنرى كيف أن هذا المثل يظهر لنا معجزات إلهية في الأقوال، حيث نجد أن الواقع التطبيقي الذي لم نكتشفه إلا في زمننا الحديث ينسجم ويتطابق مع هذه الأقوال بشكل مذهل ومدهش، كما نجد بلاغة القرآن تظهر لنا بصورة بديعة من خلال معرفة المشاهد المختلفة المترتبة على مثل واحد «وهو نزول الماء من السماء».

كلنا يعرف أن الله سبحانه وتعالى قد أوجد فطرة سليمة في مخلوقاته الحية وغير الحية كي تعمل وتمدنا بمتطلبات الحياة على نحو نظيف لا تشوبه شائبة، ولا يدنس نقاءه دنس. ويجدر بنا الإشارة الى أن عمليات غسل الهواء بالأمطار والثلوج وغيرها قد أوجدها المولى سبحانه وتعالى في هذه البيئة من قبل أن يدنس الإنسان الهواء ويلوثه، لذلك فإن الماء الذي ينزل من السماء في الأحوال الطبيعية هو نعمة من عند الله، إذ يُخَلِّصُ الله - سبحانه وتعالى - به الهواء من ملوثاته الطبيعية، إضافة الى ذلك فهو يحمل في داخله كثيراً من الأملاح والمعادن الذائبة، التي يكون قد جرفها من الهواء وخلصه منها، فإذا نزل الماء على الأرض الجرداء بكميات وفيرة، وعلى نحو مستمر، فإن ذلك يعمل على إحياء الأرض فتَخْضَر وتنمو عليها النباتات بمختلف أشكالها وأنواعها. يقول المولى سبحانه وتعالى في سورة النحل: آية ٦٥: **«والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، إن في ذلك لآية لقوم يسمعون».** وكلنا يعرف هذا الشيء، ولكن ما يجهله كثير منا هو: متى يستفيد النبات؟، ومتى يتضرر من الماء النازل من السماء؟.

هناك حقيقة علمية توضح لنا هذا الأمر. هذه الحقيقة لم يعرفها الإنسان إلا بعد ما تطورت المخترعات، وتوسعت العلوم الكونية توسعاً هائلاً، ولو رجعنا الى القرآن الكريم لوجدناه قد أشار إلى مثل هذه الحقائق منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وقد سبق أن ذكرنا في المقال السابق أن آيات القرآن تحاكي عقول البشرية كلها على مختلف عقولهم وأفكارهم، وأن آياته صالحة في كل زمان ومكان، ومن وقت نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فعندما نقرأ القرآن الكريم ونتدبر في آياته وفي آيات الله الكونية نرى الانسجام والتوافق والتطابق المذهل، فنشعر وكأن القرآن ينزل غضاً طرياً.

إعجاز في الأقوال:

وقبل أن نستعرض هذا الموضوع نود أن ننوه إلى أننا قد أشرنا في المقال السابق - المنهل عدد (٥٢٠) - إلى أن وجود المواد الضارة القاتلة في البيئة التي يعيش عليها النبات قد لا يؤدي الى هلاكه وتضرره ما لم تدخل هذه المواد وتختلط بخلايا وأنسجة النبات، وقد عرفنا في ذلك المقال أيضا أن مراحل تأثر النبات وتضرره وهلاكه نتيجة إصابته بالماء الملوث النازل من السماء على هيئة أمطار حمضية

وغيره تنسجم انسجاما بليغا مع آية من كتاب الله، وهي الآية: ٤٥ من سورة الكهف: «واضرب لهم مثل الحياة الدُّنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياحُ ، وكان الله على كل شيء مقتدرا»٠ إذ أشرنا الى أن كلمة «يختلط» التى ذكرت في هذه الآية قد تكررت في آية أخرى٠ ففي سورة يونس، الآية: ٢٤ يقول الله تعالى: **«إنما مثل الحياة الدُّنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض ممَّا يأكلُ الناسُ والأنعامُ حتى إذا أخذت الأرض زُخْرُفَهَا وازَّيَّنت وظنَّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغْنَ بالأمس كذلك نُفصِّلُ الآيات لقوم يتفكرون٠٠»٠**

ويشرح الآية فضيلة الشيخ سيد قطب(١) في كتابه «في ظلال القرآن» بقوله: هذا هو الماء ينزل من السماء، وهذا هو النبات يمتصه ويختلط به فيمرع ويزدهر٠ وها هي ذي الأرض كأنها عروس مجلوة تتزين لعُرْس وتتبرج٠٠»٠

وبالتدبر والتفكر نلمح من الآية الأولى إشارة الى أن الماء النازل من السماء وفَوْرَ دخوله في النبات واختلاطة بأنسجته وأجزائه فإن ذلك يؤدي الى هلاك النبات وموته، وقد شرحنا ذلك في المقال السابق، بينما نلمح في الآية الثانية أن اختلاط الماء بأنسجة النبات وأجزائه يؤدى الى زيادة نموه وازدهاره٠

ومن خلال الدراسات والأبحاث ندرك أن اختلاط الماء بما يحتويه من مواد ضارة قاتلة، أو مواد نافعة لا يتم لو لم تكن هذه المواد الذائبة في الماء متاحة للامتصاص، بينما لو أمسكت هذه المواد في الخارج ولم تدخل النبات وتختلط به فلا ضرر على النبات من تلك الضارة القاتلة ولا نفع يعود عليه من تلك النافعة٠

ويتجلى لنا إعجاز القرآن في الأقوال في انسجام هذه الحقائق العلمية من حيث تضرر أو استفادة النبات من الماء النازل من السماء، إذ نلمح إشارة واضحة في الآيتين السابقتين تدلنا على اختلاف طبيعة الماء النازل من السماء، فنلاحظ في الآية الأولى أن اختلاط الماء الملوث بالنبات يسبب هلاكه وتحطيمه، بينما نلاحظ في الآية الأخرى أن اختلاط الماء المحتوي على المواد النافعة بالنبات يسبب زيادة نموه وازدهاره٠

على أية حال فحقيقة إتاحة المواد للامتصاص أو الإمساك بها في الخارج دون إتاحتها للنبات أن يمتصها تُعرفُ بـ «الإتاحة والإمساك» وسوف نلقي الضوء عليها هنا بصورة مبسطة٠

الإتاحة والإمساك :

كل من يدرس علم التسمم البيئي Environmental Tox-icology، أو علم التلوث البيئي، لابد له أن يمر في دراسته على حقيقة علمية تختص بالمواد الضرورية للحياة وغير الضرورية للحياة، أي الضارة، ويعرف متى تستفيد أو تتضرر أجسام الكائنات الحية من كلا النوعين من المواد (٢) ، (٣)٠

إنَّ وفرة المواد الضرورية لحياة النبات مثلا، ووجودها في البيئة التي ينمو عليها النبات قد لا يعني شيئاً لنموه وازدهاره، فهناك آليات وعمليات وتفاعلات تتم في البيئة قد تمسكُ بالعناصر والمواد النافعة، وتجعل هذه المواد في صورة مُقَيَّدة غير متاحة للامتصاص، فإذا لم تدخل هذه المواد ـ بواسطة الماء ـ في داخل أجزاء النبات وتختلط بخلاياه وأنسجته فإن النبات لا يستفيد من وجود ووفرة المواد النافعة في البيئة التي يعيش عليها، وعلى النقيض من ذلك فإن المواد الضارة أو المؤذية للحياة، إذا أمسكت وقُيِّدت في الخارج (التربة والبيئة التى تعيش عليها النباتات) ولم تدخل النبات وتختلط بخلاياه وأنسجته فإن النبات لا يتضرر أو يتأذى منها (٤)، (٥)٠

والأمر الذي نود أن نلفت إليه الانتباه هو أن استفادة النبات من المواد المفيدة أو تضرره من المواد المؤذية لا يظهر إلا بعد أن تدخل هذه المواد داخل النبات وتختلط بها خلاياه وأنسجته٠

على أي حال نود أن نشير هنا إلى أن الأبحاث والدراسات تدل على أن زيادة الاستفادة أو زيادة الضرر تزداد بزيادة القدر المتاح للامتصاص، وتسمي هذه العملية علمياً بـ «نسبة الإتاحة Pro-portion of availability٠

نعود الآن إلى مثل الماء الذي ينزل من السماء٠ فلقد ذكر ابن كثير(٦) في تفسير القرآن العظيم أن الله كثيراً ما يضرب مثل الحياة الدنيا بالماء النازل من السماء٠ وربطه بعلاقة مع نمو النبات وإحياء الأرض الميتة مستشهداً بالآيتين التي سبق أن ذكرناها تحت عنوان «إعجاز في الأقوال» وبآية في سورة الحديد وهي رقم ٢٠ حيث يقول الحق سبحانه **«اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته٠٠»** الآية٠

إلا أننا إذا تدبرنا وتأملنا في هذه الآيات نجد أنه على الرغم من أن المثل أو التشبيه واحد لكن كل مثل يشتمل على مشاهد مترتبة عليه تختلف عما جاء في المثل الآخر في الآية الأخرى، وبهذا يظهر لنا إعجاز آخر في بيان القرآن وسحره،

وسنرى ذلك فيما يلي:

بالرغم من تكرار المثل في الآيات السابقة (وهو تشبيه الحياة بنزول ماء من السماء وعلاقته بنمو النبات) إلا أنه يبدو لنا وبصورة واضحة جلية أن المشاهد والأحداث المترتبة على نزول الماء من السماء تختلف عن بعضها، فعلى الرغم من أن المشاهد المختلفة تنتهي كلها بموت النبات إلا أننا نجد في النهاية أن هذه الآيات توضح لنا أن أسباب موت النبات تختلف عن بعضها البعض. وكما يقول المثل «تعددت الأسباب والموت واحد» فقد يهلك النبات غزير النمو وشديد الازدهار نتيجة كارثة طبيعية كصاعقة تحرقه مثلا أو ريح تقتلعه، أو يموت نتيجة إساءة الإنسان إلى نفسه وإلى هذا النبات نتيجة تلويث البيئة، أو يموت طبيعياً بعد أن ينضج ويثمر. ولكن أيا ما كان السبب فإن النبات يموت في النهاية عاجلا أو آجلا ويفنى، ولذلك نرى أن الآيات التي ضُرب فيها مثَلُ الماء النازل من السماء تختلف عن بعضها في إظهار سبب موت النبات، ويذكر فضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور(٧) في كتابه الموسع «تفسير التحرير والتنوير»: «أن المقصود من التشبيه في هذه الآيات هو سرعة الانقضاء» لذلك فإن حياة النبات مهما طالت فإنه سيموت ويهلك في النهاية.

ومن هذا التشبيه المتكرر، ومن تلك المشاهد المختلفة والمترتبة على نزول الماء من السماء ندرك أن انقضاء وانتهاء حياة الإنسان الفانية مثله كمثل النبات الذى يهلك بسرعة.

وسوف نرى بشكل موجز كيف عرض هذا المثل في صور مختلفة، حيث ندرك بذلك بلاغة القرآن الجميلة، وبيانه وسحره، ويظهر لنا بعد ذلك الإعجاز الرائع والمدهش.

ولنرى الآن كيف يكون ذلك:

١ - في الآية الكريمة التي وردت في سورة يونس: «**إنما مثل الحياة الدُّنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض ممَّا يأكل الناسُ والأنعامُ حتى إذا أخذتِ الأرضُ زُخرفها وازَّينت..**» الآية.. نجد أن المشاهد والأحداث المترتبة على نزول الماء من السماء تتمثل في أنَّ النبات يستفيد من هذا الماء ويخضر ويزدهر نموه مع مرور الوقت، والمشهد الجميل الذي تشير إليه هذه الآية نجده مترتباً على اختلاط الماء - الذي تختلط فيه المعادن والأملاح الذائبة - بالنبات، والنباتات كغيرها من الأحياء تموت وتهلك بصور مختلفة. وفي هذه الآية نجد أن نهاية وهلاك النبات تكون بسرعة خاطفة كأن تأتيها صاعقة أو ريح شديد، كما في قوله تعالى: «أتاها أمرُنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأنْ لم تغْن بالأمس» . وذلك يعني كما يذكر سيد قطب(٨): «في ومضة وفي جملة وفي خطفة.. وذلك مقصود في التعبير من الإطالة في عرض المشهد الخصب والزينة والاطمئنان».

٢ - في الآية الكريمة التي وردت في سورة الكهف نجد أنَّ المشاهد المترتبة على نزول الماء تختلف عن المشاهد في الآية السابق ذكرها، فكما سبق شرحه أن النبات فور نزول الماء عليه وفور اختلاط أنسجته وأجزائه به قد تحول الى حطام وأصبح هشيماً تذروه الرياح، بينما نجد أن هلاك النبات في الآية السابقة كان بعد أن استفاد النبات من الماء واخضرت الأرض وازينت ثم بعد ذلك أتاها أمرُ الله.

٣ - في آية كريمة وردت في سورة الزُّمَر يقول فيها المولى سبحانه وتعالى: «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكهُ ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً. إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب» . في هذه الآية نجد المشهد الذي يعقب نزول الماء من السماء هو لوصف حالة أخرى غير التي مرَّت بنا، فكما هو معروف علميا أن جريان الماء على الأرض وفي التربة من شأنه أن يُغيِّر من خصائص الماء، ولقد سبق أن أوضحنا في هذا المقال تحت عنوان «الإتاحة والإمساك» أن التربة بما تحويه من طمي ومواد عضوية وغيرها من شأنه أن يُحَسِّنَ من خصائص الماء أو يضيف إليه أشياء، إذ تعتبر هذه العملية وسيلة من الوسائل التي أودعها الله في التربة للموازنة والتنقية الذاتية.

والمشاهد المترتبة على نزول الماء من السماء في قوله تعالى: «**ألمْ ترَ أنَّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض..**». تختلف عن المشاهد التي مرت بنا في الآيتين السابقتين، فبعد نزوله من السماء يجري هذا الماء على الأرض أو يغوص بعضه في أعماق التربة لزيادة مستوى المياه الجوفية، وعبر مروره وجريانه في التربة تتغير صفاته وتركيباته.

ولقد ذكر ابن كثير(٩) في تفسير قوله تعالى: «**فسلكه ينابيع في الأرض**» : عن ابن عباس رضي الله عنهما، ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروق الأرض تغيره. فذلك في قوله تعالى «فسلكه ينابيع في الأرض» فمن سره أن يعود الملح عذباً فليصعده..

«فسبحانك يا من أنزلت هذا الكتاب معجزة ومنهاجاً عظيماً نهتدي به.

وبعد ذلك نرى تتابع المشاهد وهي أن هذا الماء الذي غيّرت خصائصه قد هيأه الله ليخرج به الزرع المختلف الأشكال والأنواع، ثم ينتهي به المطاف بعد ذلك الى موت النبات طبيعياً وهي صورة ثالثة لهلاك النبات غير الصورتين السابقتين.

٤ ـ في الآية الكريمة التي وردت في سورة الحديد، وفي آية الزمر يلوح لنا إعجاز آخر في توضيح صورة من صور نهاية النبات، فبعد تقدم العلم وتطور المخترعات عرفنا أن الخَضِر (اليخضور) وهو المادة الخضراء الموجودة في النبات، والتي جعلها الله سبحانه وتعالى مسئولة عن بناء النبات ونموه وازدهاره، فلا حياة للنبات من غير هذه المادة، لذلك فبعد أن يصفرَّ النباتُ ـ وذلك يعني اختفاء مادة اليخضور منه ـ تنتهي حياته ويهلك، ويصبح حطاماً بعد ذلك.

وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم نستكشف دور هذه المادة الخضراء في حياة النبات إلا أن المجال لا يتسع لذكر ذلك.

وقد تظهر لنا روعة وجمال آيات القرآن الكريم مرة أخرى عندما نرى أن هذا المثل يتكرر في آيات أخرى، إذ أنه بالإضافة الى اختلاف الأحداث والمشاهد المترتبة على نزول الماء من السماء فالمقصود من التشبيه أيضاً يختلف. فقد يُقصد منه مثلا توضيح كيف يُنشرُ الناسُ ويبعثون يوم القيامة كما في قوله سبحانه وتعالى في سورة فاطر: الآية التاسعة: «والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها، وكذلك النشور».

الهوامش

(١) قطب ، سيد: في ظلال القرآن ط١٠ (١٤٠١هـ، ١٩٨١م) الجزء ٣ : ١٧٧٥

(٢) Duffus, J. H. (1983) Environmental Toxicology. Edward Arnold (Publishers) Ltd.

(٣) Goyer. R. A. (1988). Gasarett and Doull,s Toxicoloqy (3rd Ed) Macmillan Publishing Company. New York.

(٤) SMITH, W, H. (1976). Lead Contamination of the Roadside Ecosystem. Journal of Air Pollution Control Association, 26: 753 - 766.

(٥) THURMAN, D.A. and COLLINS, J.C. (1983). Metal Tolerance Mechanism in Higher G. Plants., A Review, in: Muller (Ed.) International Conference, Heavy Metals in the Environment, Vol. I, Heidelberg - September, 1983, PP.298 - 304.

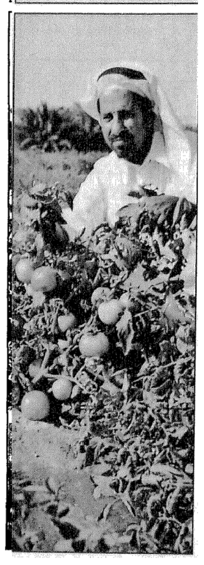
(٦) ابن كثير ، الامام الحافظ عماد الدين، ابو الفداء اسماعيل ط٢ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، الجزء الرابع: ٥٤ ـ دار المعرفة، لبنان.

(٧) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير (١٩٨٤م) الجزء ١١ : ١٤١ الدار التونسية للنشر، تونس.

(٨) انظر المرجع رقم/١

(٩) أنظر المرجع رقم /٦

آيــات كونيــة



معجزات الهية

معجزات الهية

معجزات الهية

معجزات الهية

معجزات الهية

معجزات الهية

من روائع أدبنا:

”

الاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد، أحد العلماء المعدودين في عالمنا العربي، وله جمهرة من الاسهامات العلمية ذات النهج المعرفي المتميز.

وسبق أن سعدنا بقلمه الثر على صفحات المنهل وبخاصة في الباب الثابت (مسك الختام).

وفي هذا العدد ، والاعداد التالية نجدد اللقاء ثانية بقلم الدكتور المنجد.. مرحباً به بين قرائه ومحبيه.

(المنهل)

“

ماذا تفضل.. الاقامة أم الرحيل ؟؟؟؟

بقلم:

أ.د. صلاح الدين المنجد

جدة



جعل الله سبحانه أمور الدنيا لا تجري على مسيرة واحدة، بل تتقلب أحوال الانسان فيها بين فرح وترح، وضحك وبكاء، ونعيم وشقاء، وتكريم وتعظيم، واهمال واهانة، ففي هذه الأحوال ماذا يفعل المرء إذا أصابه في وطنه البؤس والتعاسة، والشقاء والاهمال، والحزن والهمّ. أيبقي في وطنه أم يرحل؟

وقد ذهب الناس في هذا الأمر مذهبين

ففريق قال بوجوب بقاء المرء في وطنه مهما أصابه. قال ابو العباس بن السعود القرطبي:

أقم بأرضك لا ترحل الي وطن
سواه، تبغي بلوغ الهمّ والوَطَرِ
فالآسُ، وهو على أغصانه ملكُ
تـراه يُوطأ بالأقدام في العَفَرِ

العفر: التراب، ووجه الأرض.

والفريق الثاني دعا الى وجوب ترك البلد الذي لا تجد فيه التكريم

فقال ابن الفخار الرُعَيْني:

فارِقْ، ولا تُعْنَ بالأوطان تعمرها
ففي سواها تنال العِزّ والشّرفا
فالدرُّ لم يعلُ أجيادَ الحسانِ ولا
زان الترائبَ حتى فارق الصَّدَفا

وقال ابو الطيب المقدسي احمد بن عبد العزيز: إمام جامع الرافقة.

يا واقفاً بين الفرات ودجلـة
عطشانَ يطلبُ شُرْبة من ماء
إن البـلاد كثيرة أنهارُهـا
وسحابُـها، وغزيرة الأنواء
ما اختلّت الدنيا ولا عُدِم الندى
فيهـا ولا ضاقت على العلماء
أرضٌ بأرضٍ، والذي خلق الورى
قـد قسّم الأرزاق في الأحياء

وقال أحد الشعراء:

صبرُ الأديب على الهوان مَذَلَّةٌ
ما للأديـــب يُرى بدار هَوَانِ
أرضُ الإله لخلـقه مبسوطـــةٌ
والرزق مقــسوم بكلّ مكـــانِ

وأخيراً قال علي بن سالم العبّادي الشاعر:

همُّ الفتى في طِلابِ المجد مُتصـل
وصَادقَ العزم مقرون به الأملُ
فانهض الى شرفِ العليا وكنْ رجلا
تسمو بـه همـــمٌ من دونها زُحلُ
ولا تُقِـمْ بديـــارِ الهُـونَ مقتنعـــاً
ببُلغــة فالمَعالـــي أصلها النُّقلُ
لولا مفارقة الأغـــماد ما شُــكرتْ
بيضُ الصِّفاح ولا الخطِّيةُ الذُبُلُ

وقال ابن مـاكولا (ت/ ٤٧٥هـ)، أحـد أئمة الحديث، وصاحب كتاب (الإكمال).

في المشتبه من أسماء الرجال:

قوِّض خيامَك عن أرض تُهانُ بها
وجانـب الـــذُلّ إنّ الذلّ يُجْتَنَبُ
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة
فالمندلُ الرّطبُ في أوطانه حَطَبُ

ومن الأشعار الواردة في كتاب (الف ليلة وليلة)، الليلة ٥٦١:

ترحَّلْ عن مكان فيه ضَيـْمٌ
وخــلِّ الدار تنعـى مَـنْ بناها
فإنك واجد أرضاً بـــأرضٍ
ونفسُكَ لمْ تجد نفساً سواها
ولا تجزع لحادثة الليالـــي
فكــلُّ مصيــبة يأتي انتهاها
ومنْ كانت منيته بـــأرضٍ
فليس يموتُ في أرض سواها

ولم يُذكر من هو صاحب هذه الأبيات:

وختام هذه الأبيات ما قاله الشاعر الكبير أبو تمام:

وطولُ مُقام المرء بالحيّ مُخْلـقٌ
لديباجتـيْه، فاغــترب تتجـــدّدِ
فإني رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبة
الى الناسِ أن ليست عليهم بسرمدِ

وقال الشريف الرضي:

مالـــي لا أرغـبُ عــن بلدة
يُكثــرُ فيهــا الدهــر حُسّادي
ما الرزقُ في الكرخَ مقيماً ولا
طــوق العلــى فــي جيد بغْداد

ويبـدو أن القـاضـي عـبـد الوهـاب المالكي أصابه ببغداد مـا أصـاب الشـريف الرضي. فـعندمـا ضـاق به الحـال بهـا، ولم يجـد من حكامـهـا ولا أهلها مُكرماً خـرج منها طالباً مـصـر، فـشـيـعـه من أكابر أهلـها وفـضـلائهـا جماعة موفورة، فقال لهم لما ودّعهم: لو وجدتُ بين ظهرانيكم، كلَّ غداة وعشاة رغيفين، ما فارقتها.. وقال :

بغداد دارٌ لأهــــل المال طيبةٌ
وللمفاليس دارُ الضنك والضيق
أقمتُ فيها مُضاعاً بين ساكنها
كأنني مُصحفٌ في بيت زنديق

قال صاحب «الغيث الذي انسجم»: وواقعة القاضي عبد الوهاب تشبه واقعة النّضر بن شميل النحوي الكبير، فإنه لما ضاقت معيشته بالبصرة خرج يريد خُراسـان، فـشـيـعـه من أهلهـا ثلاثة آلاف، فلمـا صـار بالمرْبد قـال: يا أهل البصرة، يعزّ علي فراقكم، والله لو وجدتُ كل يوم كيلجة باقلاء ما فارقتكم.

وكـذلك حدث مع ابن حـجـة الحـمـوي، كـان من كبار ادباء وشـعـراء القرن التـاسـع، تسلط عليه بعض شـعـراء عصره في مصر وهجوه، لأنه كان مترفعاً عليهم، مزرياً بهم. فقال:

نزّهت لفظي عن فُحْشٍ وقلت هُمُ
عُــربٌ وفي حيهم غُربة الأمم
فإنّ من لامني لا خير فيه سوى
وصفي له بأخسّ الناس كلهم

وتوفي سنة ٨٣٧هـ.

قراءة نقدية:

خصائص الخطاب الـ... عبدالحميد بن هـ...

نتساءل في البداية ماذا نعني بمصطلح خصائص؟

ثم ماذا نعني بمصطلح خطاب ؟ ونحاول الإجابة عن هذين التساؤلين فنقول:

١ ـ نعني بمصطلح خصائص: جملة المميزات أو العلامات التي تجعل رواية الجازية والدراويش متفردة عن غيرها من النصوص الروائية الأخرى وستكون هذه المميزات هي مدار موضوعنا ومحوره إن شاء الله.

٢ ـ وأما مصطلح خطاب : Dis-cours فمصطلح متعدد المعاني تبعا للخلفيات النظرية التي ينطلق منها كل دارس وللمرجعيات المعرفية التي تميز دارسا عن دارس آخر للخطاب، فهو يتداخل مع مصطلحات أخرى منها: «الملفوظ(١) ، والتلفظ(٢) ، والنص(٣) وغيرها من المصطلحات.

وسأقتصر ـ هنا ـ على إيراد التعريفات التالية:

أ ـ الخطاب مرادف للكلام عند دوسوسير في اللسانيات البنيوية.

ب ـ يرى بيار شارودو «أن الخطاب هو ما تكون من تلفظ وموقف تواصلي وأن الملفوظ يستلزم استعمالا لغويا عليه اجماع، أي قد تواضع عليه المستعملون للغة وأن هذا الاستعمال يؤدي دلالة معينة وذلك كما يلي:

تلفظ + موقف تواصلي = خطاب.

والتلفظ يؤدي الى استعمال عليه اجماع ودلاله .. أما الخطاب فينقسم الى نوعية ومعنى.

حـ ـ الخطاب وحدة جملية كبرى قابلة للوصف اللساني، ومتوالية من الجمل ينتجها مرسل واحد أو عدة متخاطبين(٤).

سأحاول الاستفادة من التعريف الأول: باعتبار ما يقوله المتخاطبون في الرواية كلاما، حيث كل شخصية لها كلامها الخاص أو خطابها الذي يميزها عن غيرها من الشخصيات ولذلك فهي تعمل علي إنتاجه بنفسها.

ومن التعريف الثاني: باعتبار ما يتلفظ به المتخاطبون يتم في مواقف خطابية تسهل وتميز التواصل بينهم تبعا للاستعمالات التي أجمع عليها المتكلمون باللغة وهو ما يجعل الخطاب متميزا في نوعيته ومعناه في الرواية.

ومن التعريف الثالث: باعتبار الرواية ككل وحدة خطابية كبرى تتألف من عدة خطابات أصغر منها أنتجها مخاطب واحد هو الروائي عبد الحميد بن هدوقة وأرسلها الى مخاطبين عديدين هم القراء.

ومن وجهة أخرى أنتج هذه الخطابات شخوص الرواية كما أن هذه الوحدة الخطابية الكبرى ذات امكانات مفتوحة لتعدد المقاربات والتحليلات والآراء والقراءات. لهذا وأنت تقرأ رواية عبد الحميد بن هدوقة «الجازية والدراويش» يلفت نظرك خطاب كاتب مبدع لفضاءات عديدة سواء أكان ذلك من حيث الشكل الذي كتب به أو من حيث المضامين المتألقة التي طرحها، له قدرة كبيرة على الإيحاء وطاقة هائلة على إحالة القارئ الى قراءات مختلفة تبعا للخصوصيات النفسية والإجتماعية والتاريخية والمعرفية التي تميز قارئا عن قارئ آخر.

وفي هذا الموضوع سأحاول إلفات النظر الى جملة من الخصائص التي رأيت أنها تميز هذه الرواية ـ على الأقل ـ عن روايات عبد الحميد بن هدوقة الأخرى، وذلك بالاعتماد على نصوص من الرواية ومن هذه الخصائص ما يلي:

هذه الرواية لغتها تحتوي على قدرة عالية من الايحاء

ـــروائي فـــي روايـــة
ـــدوقة «الجازية والدراويش»

بشير ابرير - جامعة عنابة - الجزائر

١ ـ خاصية التضاد(٥):

ونلمسها في الرواية من خلال النصوص التالية:

«لكن لما جاء الأحمر، الطالب المتطوع صاحب الحلم الأحمر، لم يتحدث أمامها عن حبه. تحدث عن عيون تسيل إلى أعلى، عن شموس تخرج من الأرض، عن مناجل تحصد الأشعة، عن مستقبل يتجه كلية الى المستقبل»(٦).

فالقارئ لهذا الخطاب يمكن أن يلاحظ ما يلي:

أ ـ لم يتحدث الأحمر أمام الجازية على أنه يحبها خلافا للآخرين وفي هذا ما يثير انتباهها.

ب ـ تحدث لها عن عيون تسيل إلى أعلى والمألوف أن العيون تسيل الى أسفل وخاصة إذا علمنا بأن العيون التي يتكلم عنها الروائي توجد على مرتفع، وتحدث لها عن شموس تخرج من الأرض والمألوف أن الشمس تشرق من السماء وعن مناجل تحصد الأشعة والمألوف أن المناجل تحصد السنابل وعن مستقبل يتجه كلية إلى المستقبل والمألوف أنَّ الطريق الى المستقبل يمر بالماضي وبالحاضر ويتأسس عليهما.

جـ ـ هذا الخطاب فيه خروج عن المألوف وهو يشكل بالمصطلح الأسلوبي إنحرافا (Diviation) أو انزياحا أو عدولا كما عند العرب القدماء حازم القرطاجني مثلا، وهذا الانحراف يؤدى الى:

١ ـ انتباه القارئ للرواية وتوطيد الصلة بينهما. فهذا الانحراف الأسلوبي هو تقنية روائية استعملها عبد الحميد بن هدوقة ليحقق تواصلا إيجابيا مع المتلقي فيقرأ الرواية ويحقق متعة القراءة.

٢ ـ إنتباه الجازية خاصة لأن الذي يتكلم بهذا الخطاب ليس مثل الآخرين فهو مختلف عنهم، وهذا فيه ما يؤدي الى حب الاستطلاع من الجازية التي تصبح هي التي تسعى اليه عوض أن يكون هو الذي يسعى إليها، ويصبح بشكل بؤرة اهتمامها واهتمام أهل الدشرة جميعا.

٣ ـ يؤدي الى ردود الأفعال عند سكان الدشرة وأهم رد فعل ـ في نظري ـ قد جاء على لسان الدراويش في زردة السبعة وهو ما نقرأه في الخطاب التالي:

«ريح الشمال قتلت أولادنا بلا قتال! ياويل الويل والسروال الطويل، وغزالة هايمة في الليل، جراد وحصاد وسبع شداد، ماء الجبل ما يسيل الى أعلى وبنات الدشرة بأولادها أولى! يا ساكن قرية الصفصاف لا تخاف! سبعة يغباو وسبعة ينباو. اضرب الزرخاجي اضرب جيبها من روس الجبال العالية، واللي عنده صفصاف ، يغرس قدامه دالية»(٧).

نلاحظ بأن هذا الخطاب مضاد للخطاب السابق من حيث مستواه اللغوي، فالخطاب الأول فصيح والخطاب الثاني باللهجة الشعبية، ثم إن القراءة المتأنية تجعلنا نتأول هذا الخطاب بعض التأويلات، فخطاب الدراويش ـ في هذه الفقرة ـ موجه الى الطلبة جميعا دون استثناء وبصفة خاصة الى الأحمر، لأنه زعيمهم وجملة: «.. يا ويل الويل والسروال الطويل وغزالة هايمة في الليل..» هي خطاب موجه الى صافيه، لأنها فتاة متطوعة مع ستة شبان وتلبس السروال وتدخن وهذا ليس مقبولا في الدشرة عند الرجال وعند النساء على حد سواء. ولذلك استعمل الدراويش في خطابهم كلمة «يا ويل الويل» وكلمة «هايمة في الليل» فهاتان الكلمتان لهما دلالات ومعان تتعلق بالجانب الأخلاقي لصافية على

الخصوصيات النفسية والمعرفية والتاريخية
للمتلقـــي استوعبتها الروايـــة

الخصوص.

أما عندما قال الدراويش: «ماء الجبل ما يسيل الى أعلى» فإن ذلك يشكل تضادا مع خطاب الأحمر عن العيون التي تسيل الى أعلى.

وعندما قال الدراويش كذلك: «بنات الدشرة بأولادها أولى» فهو يشكل تضادا مع ما يريد الأحمر في نفسه، فهو يرغب في الجازية، وفي نظر الدراويش: «قمح بلادنا يأكلوه أولادنا» أو بتعبير آخر: زيتنا في دقيقنا» والأحمر لا يحق له ذلك لأنه غريب عن الدشرة.

أما عندما قالوا: «.. جيبها من روس الجبال العالية واللي عنده صفصاف يغرس قدامه دالية..» ففيه رد مضاد على ما قاله الأحمر: «هذه القرية يمثلها ثلاثة عقام: الجامع والجبل والصفصاف»(٨).

كما نجد تضادا آخر في الخطاب بين الأحمر والطيب، حيث يتميز خطاب الأحمر بالجرأة والشجاعة والمغامرة والسرعة المفرطة نحو مستقبل اسطوري، بينما يتميز خطاب الطيب بالمهادنة التي تتلاءم مع طيبة الطيب وتشده الى قرون لا ترحم وهو ما تقرأه في الصفحة ١٢٧ من الرواية حيث يقول الطيب أمام المحكمة:

«سيدي الرئيس، الطالب المتطوع قتله حلم أحمر في قرية أحلامها خضراء. الأحمر ليس لونا لإصباح الدشرة ولا لأماسيها، هو لون المغامرة، «أقسم لك سيدي الرئيس أنا لست مغامرا. المغامرة عيونها ممتلئة بالجرأة والمستقبل عيناي أنا ها هما هاتان، انظر إليهما إنهما ممتلئتان بالماضي، اسأل

قراءة نقدية:

الـــراوي أفـــاد كثيـــراً مـــن خـــ

الجازية.. إنها تعرف الكثير إذا كانت لم تنجح في مبادرتها الأولى مع الطالب، فالسبب بسيط، حدثها عن حمله أكثر مما حدثها عن الطريق إليه.. هو كان مغامرا، وتلك غلطة من أغلاط المغامرين، يفكرون في الحلم أكثر من التفكير في الطريق إليه.

علاقتي به كانت علاقة تقابل. أنا وإياه لم نكن على ساعة واحدة ولا على خطوة واحدة. خطاي أنا ثقيلة في التقدم تشدها الى الوراء قرون لا ترحم، لقد التقينا في مكان واحد بزمانين مختلفين.

اعتقد أن في هذا الخطاب الكثير من المعاني والدلالات التي تميز الأحمر في خطابه عن خطاب الطيب، فالعلاقة بينهما علاقة تقابل أو تضاد.

ولذلك فالطيب طيبه السجن والأحمر قتلته أحلامه التي لا تتناسب مع أحلام الدشرة جملة وتفصيلا.

ويمكن أن أوضح هذا كما يلي:

الأحمر له مستقبل اسطوري وزمن مستحيل = الجازية المرحلة الجزائر.

وله ماض مقطوع عن الحاضر ولذلك لم يحقق طموحه لأن سرعته تعدت كل الحدود وهي غير مؤسسة على جذور ثابتة يستند عليها. لذلك يمكن أن نقول: إن إهماله للماضي خطأ منهجي أودى بحياته. ويمثل هذا في نظري، قراءة من القراءات التي تطبع الخطاب العربي المعاصر في توجهاته السياسية خاصة.

الطيب له ماضٍ = قرون من الصبر والقناعة، وله مستقبل بطئ مقطوع عن الحاضر لم يتزوج الجازية مع أنها تفضله وتخاف عليه من دسائس الآخرين لأنه بطئ جدا ولم يستطع استثمار ماضيه كما ينبغي، بل استثمره في مبادئ صحيح أنها جيدة ولكن في غير مواقفها اللازمة ووضعياتها الصحيحة فتحولت الى مهادنة واستكانة وتواكل.

ولكن على الرغم من الاختلاف الملاحظ بين الأحمر وبين الطيب فإن النقطة الوحيدة التى يشتركان فيها هي انقطاعهما عن الحاضر، حاضر الجازية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، الأحمر انقطع بسرعته المفرطة وصار مستحيلا، والطيب انقطع ببطئه الشديد، أو بتعبير آخر الأحمر انقطع في المستقبل والطيب في الماضي، لقد التقيا في القطيعة.

كما نستشف من الفقرة السابقة كذلك النقد الموجه من

الكاتـــب استخـــدم أسلـــوب التـــ

سكان الدشرة يقبلون سلطة الدراويش والأولياء ويخضعون لها فان سلطة الشامبيط لا يقبلونها في قرارة أنفسهم يظهر ذلك في العبارة التالية: «الشامبيط نخافه ولكن لا نطيعه»(١٢).

ويمثل الشامبيط الميكيافيلية في مختلف تجلياتها وكل مساعيه أن يزوج ابنه من الجازية بنت الشهيد الذي قتل بألف بندقية ودفن في حناجر الطيور، وإن تحقق له هدف كهذا فسيغسل ماضيه بماء معطر، سيصبح صهرا للشهيد ويصبح جدا لأبناء الجازية كما الشهيد جدهم وهو ما يجعله مساويا له. وان لم يتحقق هذا الهدف في الرواية فإنه - في رأيي - قد تحقق في الواقع بشكل صارخ.

...ـاصية الأسماء الواردة في الرواية

الطيب الى الأحمر إذ نستنتج بأن الأحمر لا منهجية له في حديثه مع الجازية فقد حدثها عن مستقبل اسطوري ولكن لم يحدثها عن الكيفية الموصلة الى ذلك ولعل هذه هي الغلطة التي جعلته لا يصل اليها على الرغم من مراقصته لها في زودة الدشرة وذلك - في نظري - لا يعد وصولا لأنه تم في ظروف يكون الوعي فيها غير كاف وتباح فيها بعض المحظورات وخاصة إذا علمنا بأن الأحمر قد تحدى الدراويش بأن رقص مثلهم ولعق المناجل مثلهم.

٢ - لعبة الأسماء :

يتميز الخطاب كذلك - في هذه الرواية - بتوظيف خاص للأسماء، أسماء الشخوص فقد لعب الروائي هذه اللعبة ومارسها باتقان - في نظري - ويتجلى ذلك في ما يلي:

أ - الأحمر صاحب الأفكار الحمراء: يحيلنا الى مرجعية فكرية وإيديولوجية معينة توصف بهذا الوصف، فالاحمرار موجود في ملامحه كشخص وفي أفكاره كذلك وقد تجلي ذلك في خطابه. فللون الأحمر قدرة ايحائية وتعبيرية في الرواية، إنه يمثل فكرة وافدة غريبة عن الدشرة وسكانها تتميز بالجرأة والمغامرة.

ب - الأخضر الجبايلي: إنه على عكس الأحمر تماما فهو ضارب بجذوره في أعماق الريف. العروق هنا. الانسان كالشجرة تربطها بالأرض عروق اذا اجتثت من عروقها ماتت(٩) وتبدو إيحاءات اللون الأخضر واضحة من خلال نشاط الأخضر الجبايلي في الرواية وتمسكه بالروحيات وخضوعه لسلطة الدراويش وأولياء القرية الصالحين، ولكن على الرغم من هذا فإن الأخضر يبدو قويا غير خاضع صلبا متعجرفا إذا تعلق الأمر بالأحمر نستشف ذلك من قوله لابنه الطيب: «ثقافتك لا تغنيك عن الالتزام بقرويتك، لابد أن يقتل هذا الغريب الذي جاء يزرع أحلامه الحمراء في جبلنا الأخضر يريد أن ينقلنا الى زمن لا نعرفه(١٠).

ج - الطيب: إن الطيب يدل على الطيبة تستشف ذلك من نشاطه داخل الرواية وقد طيبه السجن ونظرا لطيبته فإن الجازية قالت لأخته حجيلة: أقبل زوجا ابن عمي الأخضر الجبايلي لكن أخشى عليه من دسائس الآخرين..»(١١).

د - الشامبيط: يمثل الشامبيط رمز السلطة في الدشرة واذا كان

هـ - عائد : يرمز عائد الى فئة المهاجرين بالخارج واسمه يحمل التفاؤل بعودتهم، وأبوه السايح «وجده» بولحاين وللكلمتين معان ودلالات قصد اليها الكاتب، في رأيي. وقد انسحب من الصراع الدائر من أجل الوصول الى الجازية بين بقية الشخصيات وتزوج حجيلة الحقيقة بدل الجازية/ الحلم والأحلام لا تتحقق لكل الناس.

و - الراعي : يمثل طبقته المسحوقة على الرغم من الدور الذي يلعبه في الدشرة، فهو الذي يرعى كباش الدشرة وبالتالي فهو يقدم خدمات مهمة للسكان وللأولياء في الوقت نفسه وهو أيضا يحلم بالجازية، وإن كان ذلك بينه وبين نفسه.

ز - هادية : زوجة الأخضر الجبايلي، هي هادئة في اسمها وهادئة في فعلها الاجتماعي، فالاسم دلالة على الفعل والنشاط

...ـضاد في توظيف السياق العام للرواية

قراءة نقدية:

الحياتي، فصوتها مبحوح بل معدوم وهو ما نستشفه من هذه العبارة التي قالها الطيب ابنها وهو في السجن: «أرى أمي التي تتكلم بلا صوت أمام أبي»(١٣) فهي لا تتكلم بل تكتفي بالإشارة والإيماء والقبول.

ح ـ حجيلة : هي تصغير «لحجلة» والتصغير هنا يمكن أن نستنتج منه الدلالتين التاليتين:

١ ـ الحنان: فعندما تناديها أمها بـ «حجيلة» فذلك النداء يختزن طاقة كبيرة من الحنان الذي يعبر عنه التصغير.

٢ ـ التحقير : عندما يناديها المجتمع، فهي دائما تعني «التحت» والرجل دائما يعني «الفوق» إنها تعني الضعف وعدم الفهم والسذاجة، لا تفهمك ولو قضيت النهار كله تفسر لها ما هي السينما، لأنها لم ترها في حياتها ولا رأت ما يشبهها»(١٤).

ط ـ صافية: إنها رمز للصفاء والنقاء «أنا اسمي صافية، اسم لا يحتاج الى تأويل..»(١٥) ولكن هنالك من يلوث هذا الصفاء ويخدشه، الإمام والأحمر وسكان الدشرة، فقد قال الأحمر لها: «لو تدركين معنى الحمرة تدركين حقيقتك»(١٦) وفي هذا من الاستهزاء الشيء الكثير. أما الامام فقد حكي عنها حكاية طريفة مليئة بالخيال والتزويق ومما قال أبو معلم ـ أمها حلاقة، هي متطوعة مع ستة شبان، أفهمتهم..»(١٧) وتتضافر مع هذه الحكاية ما قاله الدراويش أيضا:

«يا ويل الويل والسروال الطويل وغزالة هايمة في الليل..»(١٨) وكذلك ما قاله أحد القرويين: «عندنا امرأتان لكل رجل، ولدى هؤلاء ستة رجال لامرأة واحدة»(١٩)، وكل هذه الحكايات والأقاويل تحط من سمعه صافية.

ي ـ الجازية : هي الشخصية المحورية في الراوية وهي ـ كما قلنا ترمز إلى الجزائر بمختلف قيمها وتطوراتها. قال عنها الأخضر الجبايلي لابنه الطيب حاثا له على الزواج منها: «الجازية ليست فتاة هي حياة»(٢٠).

٣ ـ توظيف البيئة المحلية:

المعروف عن عبد الحميد بن هدوقة أنه يوظف البيئة الريفية بكيفية ملفتة للنظر فله قدرة عجيبة علي ذلك وهو ما يجعل النص يفيض بمعان لا تحصى ودلالات لا تحصر، وينفتح على تعدد القراءات، فالذي يقرأ هذه الرواية يجد الكاتب قد برع كثيرا في وصفه للقرويين في مختلف المستويات:

النفسية والاجتماعية والاقتصادية وفي طريقة تواصلهم وتعاملهم مع بعضهم بعضا وكمثال على ذلك وصفه للعبة «الفلجة» وهي لعبة قروية صميم، ووصفه لكباش الدشرة وقفزاتها وهي تعبر مضيق الدشرة فتسبب الرعب للغرباء عنها.

وكذلك وصفه لفتيات الدشرة وهن يصفن الأحمر قالت واحدة: «شعره كالذرة. قالت الأخرى: عيناه فريكيتان، قالت ثالثة: بوجهه نمش كالقمر، قالت رابعة: طويل كالصفصاف»(٢١) فالمتأمل لهذه الأوصاف يجدها:

أ ـ مستمدة من البيئة المحلية التي تعيشها الفتيات الدشراويات «الصفصاف، الذرة، الفريك..»

ب ـ نلاحظ أن هذه الأوصاف كل وصف فيها يمثل لقطة فلنا اذا أربع لقطات:

- **الأولى: شعره كالذرة.**
- **الثانية: عيناه فريكيتان.**
- **الثالثة: بوجهه نمش كالقمر.**
- **الرابعة: طويل كالصفصاف.**

فهذه اللقطات تبدأ من الشعر فالعينين فالوجه فالجسم بكل مكوناته، أي أنها تكبر شيئا فشيئا كما هو الشأن في التصوير السينمائي وبالتالي فإن هذه الأوصاف يمكن أن تستغل في التصوير لو كتب لهذه الرواية أن تخرج تلفزيا أو سنمائيا، حيث يمكن أن تصور كل لقطة بمفردها، ونكتفي بهذا عن وصف البيئة ونشير الى أن الكاتب قد برع كثيرا في وصفه للزردة في الصفحات ٨٧/٨٨/٨٩ من الرواية.

٤ ـ ثنائية الريف والمدينة:

إن الريف أو الجبل أو الدشرة هي في نظر سكان الدشرة أحسن من المدينة وأكثر ايجابية نلمس ذلك في قول الأخضر الجبايلي لابنته: «انظري الى الجبل. إنه عال، أليس كذلك؟ الناس يصعدون إليه إذا أرادوا بلوغ قمته لا يهبطون. كذلك نحن حياتنا في دشرتنا صعود. ليست هبوطا»(٢٢).

ولذلك عندما يتحدث الأخضر

الجبايلي عن المدينة يقول: «نهبط. يعني نتضع»(٢٣) وتبرز هذه الثنائية كذلك في المعادلة التالية التي أقامها رجال الدشرة بين الرجل القروي والرجل في المدينة: «إذا كان قوام المرأة في المدينة ستة رجال. فامرأتان قوامهما اثنا عشر رجلا. وبهذا الحساب رجل واحد من الدشرة يساوي أربعة وعشرين رجلا من المدينة. لأن رجل الدشرة يستطيع التزوج بأربعة نساء»(٢٤).

٥ ـ توظيف العدد «٧»:

يشكل العدد سبعة ظاهرة ملفتة للنظر في هذه الرواية، فالأولياء عددهم سبعة، والدروايش عددهم سبعة، والطلبة المتطوعون عددهم سبعة، والدشرة اسمها «السبعة» والمحكمة حكمت على الطيب بسبع سنوات سجنا تهمة له بقتل الأحمر. والذبائح التي تذبح في الزردة سبعة. والطيب سجين يحمل رقم سبعة وهو موجود في الحجرة رقم سبعة وكتب هذا الكلام في الصفحة سبعة من الرواية.

إن العدد سبعة له مرجعيات في مخيلات سكان الدشرة، فهو يرتبط عندهم بأفكار الدراويش والمحتوى الغيبي للأولياء والتسليم لهم بما يقولون، فهم الذين يوجهون حياة السكان ويتحكمون فيها.

ولهذا العدد جذور في الديانات ومنها الديانة الاسلامية، ومن يقرأ الكتب السماوية ومنها القرآن الكريم يجد هذا العدد يمارس حضورا متميزا، وقد انعكس هذا على كثير من النشاطات العملية والطقوس والتقاليد والعادات الاجتماعية المختلفة(٢٥).

ويمكن أن نشير في النهاية ـ الى أنه توجد خصائص أخرى غير ما ذكرنا ومنها: تعدد الشخصيات فلا توجد شخصية

التضاد.. لعبة الأسماء توظيف البيئة المحلية الثنائية.. توظيف العدد ٧ كلها من الخصائص البارزة في هذه الرواية

محورية واحدة من بداية الرواية الى النهاية ، فشخصيات: الأحمر والطيب والأخضر والشامبيط والجازية كلها شخصيات مهمة وتتقاسم الأدوار الرئيسية في الرواية. بالإضافة الى تعدد الأمكنة والأزمنة وتداخلها بينها وبين بعض.

كل هذه الخصائص تجعلنا نقول: إن رواية الجازية والدراويش قفزة نوعية في أدب عبد الحميد بن هدوقة من حيث شكلها ومضمونها وتبقى في حاجة الى دراسات أعمق تحللها بطريقة أفضل وأعمق وتقدمها للقارئ فيحقق معها نكهة التواصل ولذة التقبل.

مراجع الدراسة

(١) الملفوظ Erore وحدة لغوية قابلة للوصف اللساني.

(٢) التلفظ Enorcidtio يعني الفعل الذاتي في استعمال اللغة لإنتاج نص ما.

(٣) له تعريفات كثيرة جدا نذكر منها هذا التعريف لزبول ريكور «النص خطاب تم تثبيته بواسطة اللغة.. راجع بخصوص هذه الهوامش ـ سعيد يقطين ـ تحليل الخطاب الروائي.

(٤) راجع كتابي: سعيد يقطين ـ أنفتاح النص الروائي وتحليل الخطاب الروائي.

(٥) لقد قدمنا بخصوص ظاهرة التضاد مداخلة في الملتقى الثاني للأدب الجزائري في ميزان النقد بمعهد اللغة والأدب العربي بجامعة عنابه أيام ١١، ١٢، ١٣ ماي ١٩٩٣.

(٦) رواية الجازية والدراويش المؤسسة الوطنية للكتاب. ص١٨.

(٧ : ٢٤) المرجع نفسه ص ٨٥، ٦٣، ١٦١، ١٣٢، ٧٦، ١٦١. ١٠، ١١٧، ٦٧. ٦٧، ٨٠، ٨٥، ٧٩. ٧٣، ١٣٢، ٧٩، ١٦. ١٧، ٨١.

(٢٥) راجع ـ الأمين محمد الصغير ـ العدد (٧) في التراث الديني والانساني ـ قراءة في الدلالات ـ مجلة المساءلة ص١٢٤ وما بعدها. العدد الثاني والثالث ١٩٩٢، اتحاد الكتاب الجزائريين.

العلماء ورثة النبوة، وحملة العلم، ودعاة الحق، وهداة الخلق، والأدلاء على رب العالمين: فسبيلهم واحدة، وغايتهم متحدة، وكما أخبرنا رسول الله ﷺ : «ألا إن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكنهم ورثوا العلم»(١).

وعالمنا يزدحم بشتى الوسائل الثقافية والإعلامية «مقروءة» و«مسموعة» و«مرئية» وغالبية تلك الوسائل - كما هو معلوم - لا تحفل بـ «ورثة النبوة» الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياماً ولا حيز لهم من مجموع ما تقدمه إلا ما رحم ربك أو جاء عفوا.. وصار الاحتفاء والتعريف من نصيب «النجوم» و«الفن» و«الألعاب» وغيرهم.

وإذا سئلوا لماذا كل هذه «التعمية»؟ أجابوا: حتى «ينتقلوا الى الرفيق الأعلى».. وفرضا أنهم «انتقلوا الى الرفيق الأعلى» فلا نجد يوم «التأبين» - فى أحسن الأحوال - سوى «حفنة سطور» معدودة أو محدودة.. وهذا في الحقيقة ضيم بحقهم، وهضم لأقدارهم، وغمط لجهودهم.

وإنَّا لنسعد بمجلة «المنهل» تنشر بين صفحاتها جهود العلماء وتحتفل بهم.

أعلام ومشاعل

الشيخ أحـ... فـي محـ...

جمع الله للشيخ احمد قلاش بين «موهبة» العلم، و«أهلية» الأدب: فالعلم درسه في صغره على علماء عصره كالشيخ محمد الناشد، والشيخ سعيد الادلبي، والشيخ راغب الطباخ، والشيخ اسعد العبجي، وغيرهم..

دَرَس عليهم المواد الشرعية المتعارف عليها من «عقيده» و«تفسير» و«حديث» و«فقه» و«أصول» و«نحو» ومنطق»... الخ.

أما الأدب فكان القرآن الكريم مصدره الأوحد، ومعلّمه الأول، استقى منه - منذ نعومة اظفاره - فنون الادب، وعيون البلاغة، وأساليب البيان والبديع، فجاءت كتاباته فيما بعد - أعني بعد سن النضج - في غاية الحسن والإبداع، ودقة الألفاظ، ورقة الاسلوب، حتى ان الشاعر (بهاء الدين الأميرى) رحمه الله - كان يعرض عليه كثيرا من شعره قبل طبعه.

وهذه شهادة أحد معاصريه - كتبها منذ عشرين عاما(٢) - وهو الاستاذ الشاعر احمد عسلية، وفيها يقول: «... عالم، لغوي، أديب، قوي الحجة، متين الاسلوب، حاضر البديهة، ظريف النكته، عميق في فهم العبارة، وقوة الاستنباط، أشبّهه في ظرفه وأدبه بالشيخ (عبد العزيز البشري) وببلاغته ودقته اللغوية بالكاتب اللغوي الشاعر الاستاذ (علي الجارم).

معادن الرجال تظهرها المواقف الحاسمة

كما أن لمطالعات الشيخ الدائبة - وهي كثيرة جدا - في أمهات كتب التراث، ومراجعة قواميس اللغة باستمرار، وقراءة «دواوين الشعر قديمه وحديثه مع حفظ الكثير منه، أكسبته علما جمّا، ودقة بالغة، ومعرفة واسعة، وثقافة موسوعية لا نظير لها في جيل هذا العصر، ولست أدري كيف غفلت المجامع العلمية عن ضمه إليها ولو عضوا مراسلا فيها.

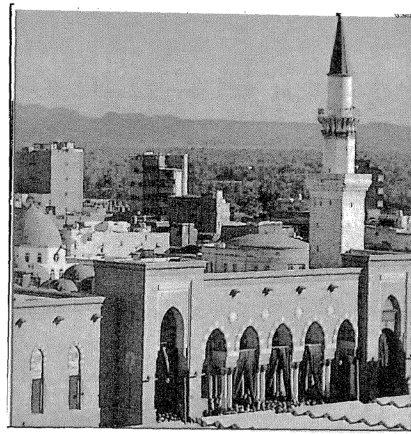
وإليك - أيها القارئ - عيّنات من كتابات الشيخ لتقف من خلالها على مكانته الأدبية:

(١) كتب في مقدمة تفسيره (جزء عمّ) وهو يشرح خطة عمله صفحة٦: «ومن أراد هذا فليضع أصبعه على الشرح، وعيناه عالقتان بالاصل لينهل من معينه الذي لا يزال على التكرار يحلو ويعذب، ويغوص على جواهره في بحره الذي يموج بالعجائب لا يغيض ولا ينضب.

واعلم أنه كما لا سبيل إلى صبّ البحر في فنجان، أو جمع الدنيا في وعاء، كذلك وضع

ـمد قلاش ستون عاماً
ـراب العلـــم والأدب

صلاح العـود
- باريـس -



العناوين للآيات ليس إلا كعرض لبعض نماذج هامة وأهداف سامية من كتاب لو كان البحر مداده لنفد البحر قبل أن تنفد معانيه».

(٢) كتب في كتابه (في ظلال الجنة)(٤) ص٥٩: «من عادة الانسان الملل، وخلق الانسان من عجل، فهو يهوى التغيير والتبديل، ولا يصبر على طعام واحد، ولا مسكن واحد، بل يحب ان يتحول عنه، الى ما يظنه أفضل منه، وهكذا لا يرضى أن يبقى على حال، فيرغب في التبديل والانتقال، وفى ذلك تعب دائم، وعناء لازم».

(٣) تحت فصل بعنوان: «غلظة أم غلطة» في كتابه من كنوز الاسلام(٥) ص٧٠ حيث أورد حديث البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذ بردائه جبذة شديدة. قال أنس : فنظرت إلى صفحة النبي ﷺ وقد أثَّرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد ! مُرْ لي من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

البحر لا تكدره الدلاء.. والجبل الأشم لا تدكه الأغبياء

ثم علق الشيخ على هذه الحادثة بقوله: «المفاجآت هي التي تكشف الأخلاق على حقيقتها، فدوحة الكرم المحمّدي يهزها الصغار، ويرشقونها بالأحجار، فتهتز لهم باسمة، وترميهم بالثمار، وكل ينضح بما فيه، والبحر لا تكدّره الدلاء، والجبل الأشمّ لا تدكه الأغبياء:

من قاس جودك يوماً
بالسحب أخطأ مدحك
السحب تعطي وتبكي
وأنت تعطي وتضحك

إنها غلظة وأي غلظة، لكن بحر الحلم والكرم عدها غلطة غير مقصودة فعفا عنها وأعطى عليها، ودفع بالتي هي أحسن، وبهذا ملك القلوب وهذّب النفوس».

* ومن شعره هذه الأبيات:

أستاذنا حق له التكريم
والبر والطاعة والتعظيم
كم بذل المجهود في تفهيمي
قام بحق الله في تعليمي
أدّبني ، هذبني ، ربّاني
أرضعني حب النبي العدناني

* * *

فيا رفاقي فابذلوا المجهودا
كي تحفظوا قرآننا المجيدا
قال النبي: أدّبوا أولادكم
على قراءة كتاب ربكم

فإنه من يحفظ القرآنا
يظلــه فــي ظلــه مولانــا

وظل الشيخ أحمد عاكفا في محراب العلم ما يزيد على ستين عاما، لا ينقطع عنه، ولا يقطعه عنه شيء إلا حاجات ضرورية: فقد درّس العلم سنين عددا، فانتفع به الطلاب من كل مكان، وانتشروا في الشرق والغرب، وأهمّ ما يميز الشيخ عن غيره غالبا استخلاصه لنفسه ساعات يقرأ فيما ويطالع كتباً شتى من العلوم والفنون في صبر عجيب، وأناة متناهية، وسبيله في ذلك: سلفنا الصالح حملة شعار: «الصبر على شدائد العلم»، ثم يخرج من تلك المطالعات والقراءات عيونا نضاحة من العلم والفوائد، وكأنها عسل مصفّى، فيه الشفاء لكل معضلة، والحل لكل مشكلة، يقدمها لقرائه في شكل رسائل أو كتب صغيرة الحجم عظيمة النفع.

وكتابه «من كنوز الاسلام» ثمرة شاهدة على تلك المطالعات لعدة سنوات في: طبقات ابن سعد وشرح المواهب وسيرة ابن هشام والاصابة وصحيح البخاري وصفة الصفوة وفتح الباري ووفيات الأعيان وجامع الأصول وتهذيب الاسماء واللغات وتفسير الألوسي وصحيح مسلم ونيل الأوطار».

يقول في مقدمته(٦): «فهذه جواهر من «كنوز الاسلام» ليس لي فيها إلا جمعها، ووضع عناوين جديدة لها، مع تفسير غريب كلماتها، وبعض تعليقات عليها، والفضل في الكل، راجع لسيد الكل، فهو البحر، يهدي إليه القطر، ويستخرج منه الدر... وكنت اثناء مطالعاتي المستمرة

أعلام ومشاعل

كلما مررت بزهرة فوّاحة من حديث أبي الزهراء أو حادثة عن أصحابه أو تابعيه أقف طويلا عندها، أنشق عبيرها، وأعجب بجمالها، وتأخذني منها هزة روحية، فأشير بسهم بجانبها في الكتاب، ثم اسجلها برقم صفحتها على جلده كي أعود إليها وقت الحاجة، فتجمع لدي

التشريع الإسلامي جاء ليخلق من الانسان كائنا مميزا في عطائه

جواهر كثيرة، احببت أن يراها المسلمون تبدو في ثوب قشيب، وعنوان جديد».

وللشيخ احمد مؤلفات غير ما ذكرنا كتبها في فترات من حياته: تيسير البلاغة، من ذخائر الاسلام، انفع الدروس في تهذيب النفوس، سلّم الأطفال لبلوغ الكمال، وغيرها.

كما حقق كتابين هما: كشف الخفاء والالباس للعجلوني، وإتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للخضري.

ويعيش الشيخ اليوم في المدينة المنورة بعد أن أعفي من التدريس في جامعتها (حيث عمل محاضرا في كلية الشريعة، ثم مراجعا لرسائل الماجستير والدكتوراه في مراكز البحث العلمي)، وهو يبلغ الآن (٨٥) عاما، حفظه الله وسلمه.

ومسك الختام بعض ابيات من قصيدة ثناء ووفاء لشاعر طيبة الاستاذ محمد ضياء الدين الصابوني عضو رابطة الادب الاسلامية العالمية:

يا (أحمد) والفضل فيك سجية
تثني عليك مجالس الأقوام
لله درّك عالماً متواضعاً
قد نال في العلياء كل مرام
بيني وبينك يا أخي مودة
شدّت أواصرها يدُ العلاّم
خلق أرقّ من النسيم لطافة
وشمائل في رقة الأنسام
إني لأكبره وأكبرُ همّة
شماء فاقت همّة الضرغام
لك (يا أخي) مآثر محمودة
أبقى بروعتها على الأيام
تهفو الوفودُ إليك في طلب العلا
يا صاحب الألطاف والإنعام
ولقد عرفتك في البيان محلقاً
ولمست فيك مكارم الاسلام
جاهدت في التعليم حق جهاده
وغرست كل محبة ووئام
هو منهل عذب تدفق نبعه
ينساب سمحاً في الفؤاد الظامي

الهوامش

(١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، رواه ابو داود وابن حبان والبيهقي، راجع المتجر الرابح ص١١.

(٢) تحديدا في ٢٥ رمضان ١٣٩٥هـ - ٢٠ أيلول ١٩٧٥م.

(٣) ط الاولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦، دار السلام.

(٤و٥) ط الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، دار السلام.

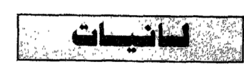
في انتظار العيد



عرفنا العيد فرحا صافيا ..
كان يأتي سعادة تشرق بها وجوه الجميع ..
يتألف في ضحكات الصغار.. فرحتهم بصرصرة الاحذية وخشخشة العيدية في جيوب الثياب الجديدة..
كان الكبار يستعدون له مع تباشير هلال العيد.. الكل يعودون فيه الى نقائهم الأول.. يتذكر فيه الجار جاره.. والغنى الفقير.. والبعيد اخاه البعيد.. والمقيم في وطنه الغريب عن اراضيه..
كان العيد يجمع القلوب قبل ان يجمع الأجساد .. فما بال العيد يأتي.. والعيد يمضي .. يتعب اجسادنا وتظل ارواحنا لا تحس به..؟ أهي الفرقة تزرع الألم .. والتقصير يملأ القلوب بالإحباط؟ هل تغيرنا؟ يعود .. وتعود معه الحقائق التي ألغت قدرتنا على الفرح أم سرق العيد تلك الروح الطفولية الفرحة.. صار الفرح من تلك الأشياء النادرة في حياتنا.. كالهواء الخالي من التلوث .. والعلاقات المليئة بالصدق.. اصبح الفرح يتناقض مع ما نرى ونسمع.. ونحس.
بأي عيد نحتفل؟
العالم العربي حزين.. بعض اطرافه تتأزم في احتراقاتها والبعض الآخر لا يستطيع اطفاء اللهيب ولا الابتعاد عنه.
العالم الاسلامي ينقسم شيعا واحزابا.. تهاجم بعضها ويهاجمها اعداؤها.. وتهزمها الفروق والشكليات التي مزقتها حين اضاعت ايمانها الفعلي بالأخوة الصادقة.. والعالم الأكبر.. الممتد عبر القارات الخمس.. تمزقه وتمزقنا معه الخلافات والصراعات على النفوذ والماديات.
بأي عيد نحتفل؟
العيد للصغار.. ولكن الصغار في المدن المحاصرة بالارهاب الرسمي وغير الرسمي يذكرهم مدفع العيد بالإنفجارات والصواريخ والسيارات المفخخة..الصغار في الغربة لا يحسون طعم العيد.. الصغار في اراضي المقاتلين يؤجلون العيد لاحتفالات السلام.. الصغار في الاراضي البعيدة لا يعرفون إن كان عيدهم مع المسلمين او المبشرين أو عبدة الاوثان.. الصغار في المخيمات لا يملكون حتى حق الحلم بالعيد.. واطفال المبعدين والمحتجزين واسرى الحرب يرفضون العيد..
العيد للصغار..؟
ربما لبعضهم .. أولئك القلة.. أولئك الذين لم تتآكل طفولتهم بين الالغام والمخدرات والإرهاب..
أولئك الذين لا يعانون انقسامات مذهبية وعرقية وعقائدية يتلاشى فيها انتماؤهم.. ولا يسخرهم الشياطين باسم الدين والوطن لتمزيق الدين والوطن.
وأولئك الآخرون .. الذين مازالوا في الانتظار.. هل ستعود لهم يوما فرحة العيد..؟
ربما ..
حين نتحرر من ذل يفرضه الضعف وجهل تأتي به القوة.. حين تعود الطفولة والطمأنينة الى وجوه الاطفال.. حين يورق الإيمان في القلوب بدل التطرف.. حين نمارس الأخوة والوحدة بدل التشرذم.. حين نعرف ان هويتنا في التكافل وليس التقاتل.. البناء وليس الهدم.. حين تتصافح ايدينا تعبيرا عن الحب وليس الخضوع.. وترى بصيرتنا ان ما يجمعنا جذري وما يفرقنا هامشي .. حين لا نحتاج الا لهوية الانتماء الاعمق للحب والنقاء لدين واحد ليس فيه بيننا وبين الله احد.. ولغة يتكلمها القلب قبل اللسان.. وانسانية يشترك فيها الجميع على حد سواء..
عندها نحتفل بالعيد .. صغارا .. وكبارا .. كل يوم.




د. ثريا العريض



”

من البديهيات الأولية التي فرضها عصر التكنولوجية الذي نعيشه اليوم، ذلك الترابط العضوي الوثيق القائم بين البحث العلمي من جهة، والتطور المجتمعي من جهة أخرى.

فكل ما نشاهده اليوم، من انجازات واختراعات فى مختلف فروع العلوم والمعرفة هو في واقع الأمر، حصيلة عمل فكري، نظري، أولي، ثم نقله في مرحلة ثانية الى طور الانجاز أو التطبيق، حيث تنصهر النظرية مع التطبيق، والفكر مع الواقع.. ينسحب على كل مجالات المعرفة، والابداع الفكري، وهو يشكل الشرط الأساسي الأول للنهوض بالعلوم، وبالمجتمعات التي تسعى الى إنتاج العلم، خدمة لمصالحها ومستقبلها.

وعلى هذا الأساس فان البحث العلمي والتنمية، عمل ديناميكي يتطلب التفاعل العميق مع المحيط المجتمعي بكل خصائصه ومميزاته.

وإن الإهتمام الشامل بأبعاد التنمية، يفرض علينا الاهتمام بكل مجالات البحث ومن هذه المجالات، مجال اللسانيات المجتمعية، والاطالس اللسانية والموضوعات الأخرى المتفرعة عنها، كالمصطلح العلمي، ونقل التكنولوجيا، ولا يمكن أن يعتبر ترفا فكريا لا صلة له باهتماماتنا التنموية، بل هى ابعاد لا تقل أهمية عن البعد التقني، والحسابي لواقع التنمية.

“

الأسس النظرية والمنهجية لأطلس لسان المجتمع العربي

د. ابراهيم الخطابي

معهد الدراسات والأبحاث للتعريب – الرباط

وإذا نظرنا الى اللسانيات العربية نظرة علمية، فإن أية نظرة موضوعية الى التعبير اللساني، لتدعو الى اعتبار العربية الفصحى، مقياسا عرفيا للصواب والخطأ دون أن يكون لها بذلك قيمة موضوعية متميزة تميزها عن اللهجات التى تعتبر بدورها نماذج لغوية لا تقل أهمية من ناحية الموضوع عن اللغة العربية في شيء.

ولكى تكون الأبحاث اللسانية العربية، مسايرة لروح الواقع، والموضوعية، فإن علينا القيام بالمسح الميدانى للسان العربي المجتمعى، بكل استعمالاته المتنوعة، من أجل رفع المخلفات وأحكام القيمة التي علقت به، منذ القرن الثانى الهجرى، من حيث ظهرت محاولات فى جمع مادة اللغة العربية فى صورة المعاجم، التى لا تصور لنا صورة حقيقية لما كان عليه الواقع اللسانى بين مختلف المجتمعات الإسلامية والعربية.. فلا شك أن من أوليات اعتنائهم هذا، كان الباعث الدينى، وذلك انه لما كثر عدد الداخلين فى الإسلام، وعدد الموالى من الروم، والزنج، والسغد، والسند، وايران، والأمازيغ، وتوران، وعناصر أخرى مختلفة، أنشأت فى الأمصار جيلا جديداً يشترك افراده فى اتخاذ اللسان العربي لسان المحادثة والمعاملات، ففشا الفساد بالطبع فى اللسان، وتعكر صفوه، وتباعد شيئا فشيئا، عن لسان ربيعة، ومضر، فنطق أهل المدن بالفاظ فى كلامهم العادي، على غير ما هو عليه فى الفصيح، وتوسعوا فى مدلولات الكلام، وتركوا منها بعض المعانى التى كانت لها في نجد، والحجاز، واعتاضوا عنها بمعان محدثة، فخاف المفكرون على القرآن، أن يتسرب اليه اللحن، وأن ينغلق على الافهام معنى بعض الألفاظ الواردة فيه، وفى الحديث النبوي.

فلا غرابة من ان نجد بين رجال الطبقة الاولى، من اللسانيين بعض القراء المشهورين، كأبى عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي. هؤلاء هم المبتكرون والمؤسسون، ويذكر عن

بعضهم تأليف كتب، غير أنه لم يصل الينا منها شئ ولا يعرف من مذاهبهم الا ما تفيدنا به تصانيف تلاميذهم الذين منهم الخليل بن احمد، وابو زيد الانصاري، والاصمعي، والكسائي. فهؤلاء رجال الطبقة الثانية، الذين تخرج عليهم أعيان من الجيل الثالث، كابى حاتم السجستاني، وابن السكيت، والمبرد وابى عبيد القاسم وغيرهم.

أما الأساليب التى اتخذها رجال الطبقتين، فى دراسة اللسان وتأليفه، فهي على ثلاثة اتجاهات:

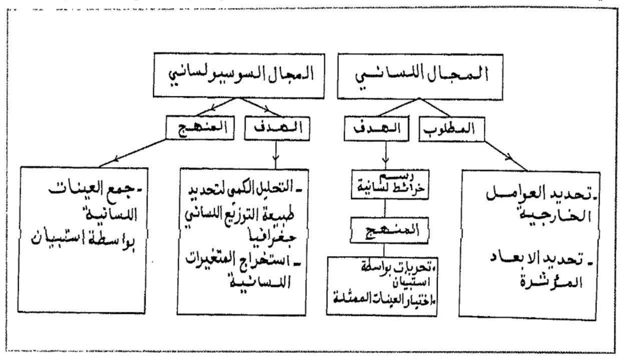
ونظمها والاستشهاد به في البحث عن المفردات.

ثانيا: يذهب الباحث فى تأليف اللسان من جانب المعنى، الى اللفظ فيجمع الاجناس بحسب المعاني ثم ان يجعل كل جنس موضوع كتاب، وجزء لكتاب، وهذا المنهج هو الذى اتبعه الأصمعي، فى كتبه ككتاب: الإبل، وكتاب النخل والكرم، وآخر فى الشتاء مستقصيا جميع ما يتعلق بها وبموضوعاتها، اسماء كانت، او افعالا محددا الالفاظ والمعاني، ومفرقا بين ما يوهم التقارب والترادف، ومعمما العمل على جميع

والسيوطى في المزهر.

ومما يبدو لنا فى هذا الاشكال هو أن الخليل بن احمد الأزدي رسم الكتاب وجزء مادته وبوّب أبوابه وشرع فى تأليفه وتوفى قبل ان يتمه فأتمه غيره.

ومما الف على منهج كتاب العين في القرن الخامس **(المحكم والمحيط الاعظم)** لابن سيدة المرسي الاندلسى، رغم انه لم يهتم على ما يبدو بالمناهج الجديدة التى نهجها الجوهري فى اواخر القرن الرابع، فى كتاب **(الصحاح)**، وتابعه فى منهجه



المستوى الأول

اولا: تدوين المفردات وتفسيرها حيث ما اتفق، وكما تيسر للباحث سماعها وتسجيلها، غير مراعاة فى ذلك لترتيب وتنظيم على نمط الكتب المعنونة بالأمالي، وخير مثال على ذلك فى القرن الثانى والثالث **(نوادر ابى زيد الأنصاري) و(الكامل للمبرد)**، فالكتابان وإن كان الغالب عليهما الصبغة اللسانية لم يتمحص المؤلف فى كليهما ، لدراسة اللسان حيث انه ينزع نزوعا شديدا الى نواح اخرى، من الثقافة فيغمر القارىء بسيل عرام من خطب واشعار وامثال واخبار سهم اللسان منها، تفسير غريب نثرها

الاجناس، وهذا نفس المنهج الذى اتخذه ابن سيدة في **المخصص.**

ثالثا: التدوين بتمام معنى العبارة، حيث انه وضع معجماً يشمل كل المفردات على نمط خاص، ليرجع اليه من رام البحث عن هيئة إحداهن وعن معناها او معانيها إن كانت من المشترك . وأول كتاب وصل الينا تأليفه على هذا المنهج فى جمع اللغة وضبطها هو كتاب **(العين)** المنسوب الى الخليل بن احمد الأزدي الفراهيدي، غير أنه انكر ذلك عدد من العلماء وممن اهتم بالموضوع الأزهري، في مقدمة التهذيب،

الصنعاني فى **(عبابه)** (وابن منظور الافريقى فى (**لسانه**) فى القرن السابع، والفيروزأبادي في **(قاموسه)** فى القرن الثامن.

والذي أريد أن اصل اليه، في هذا العرض التاريخي، هو طرح اسئلة تكميلية على بساط البحث، ومحاولة الاجابة عنها فيما بعد وهي:

١) ما هي مصادر المؤلفين الأساسية؟، ما هي المادة التى اجتهدوا في جمعها وتسجيلها في مؤلفاتهم؟.

أول هذه المصادر: القرآن الكريم:

والمصدر الثاني: الحديث النبوي،

وكان الحديث من اكبر البواعث على جمع اللغة ودراستها، لتفسير الحديث وتحديد معانيه، وتسجيل مفرداته، ولم يروا جواز الرواية بالمعنى مانعا للاستشهاد به على ما ذهب اليه بعض النحاة.

والمصدر الثالث: الشعر، فهو كما يقولون، (الشعر ديوان العرب، به حفظت الأنساب وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة وفسر ما أشكل من غريب الكتاب والسنة).

على أن ما يحتج به من الشعر، ويجدر بالتسجيل في دواوين اللغة، هو الشعر الجاهلى، والمخضرمي والاسلامي، ونقل عن الأصمعى أنه قال: [ختم الشعر بإبراهيم بن هرة وهو آخر الحجج].

وأما المولدون، وهم الذين جاؤوا بعد انتقال الخلافة من بني أمية الى بني العباس، فلا يعتمد على كلامهم، ولا يسجل فيه أي شيء في معجم اللغة، فهذا ابو تمام وهو الشاعر المفلق مادح المعتصم، والواثق، وهو العالم الجليل، جامع ديوان الحماسة، وغيره من الاختيارات، فأما رواياته فهو فيها متقن، وحجة غير مردودة، وأما شعره فلا يستشهد به حيث إنه من المولدين، فلم يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه.

والمصدر الرابع: **الأمثال القديمة:** وهى كما قيل ديوان العرب وحكمة الأمم، فاعتنى بجمع الامثال بعض أعيان القرن الثانى، والقرن الثالث، وصل الينا من معاجمهم فى الأمثال: **«كتاب الأمثال»** للمفضل الضبي، و«كتاب الامثال» لأبى عبيد، وكتاب **«الفاخر»** للمفضل ابن سلمة.

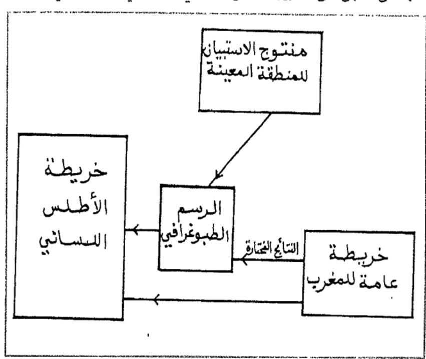
والمصدر الخامس: **السماع من الأعراب** الذين لم تصب السنتهم من الفساد ما أصاب لهجة الامصار فكان اللسانيون يخرجون الى البادية ويتجولون فى نواحيها ويشافهون أهلها، ويكتبون كلامهم من افواه رجالهم ونسائهم، لا يفرقون فى ذلك بين أدبائهم واقزامهم الأنداع، هذا منهج **الاصمعي**، فكثيراً ما يذكر استفادته من اعرابى او من النساء والصبيان، وقف عندهم للعبهم ملاحظا، ولحديثهم مصغيا.

هذه هى مصادر المعاجم الكبار، التي بين ايدينا اليوم، وهذه المادة التى اقتصر مؤلفوها على جمعها وضبطها وتفسيرها، فمما لم يسوغوا تسجيله في معاجمهم وتركوه عمدا، كل ما يطلق عليه إسم المولد: منه مصطلحات العلوم، ومنه كل ما مست الحاجة الى الاعراب عنه نطقا وكتابة، من اشياء حديثة وافكار جديدة انتجها التطور المجتمعى، فلُجىء فى التعبير عنه الى اصله الى أعتق العربية واعرقها، غير ان اللسانيين لم يهتدوا الى العثور عليها وتسجيلها بالكتابة فى معاجمهم.

(١) ظهور الأطالس اللسانية

أ - الأطالس الاوربية:

المعجم بطبيعته لا يبت بتفصيل الصفات اللسانية كل واحدة على حده، من حيث التوزيع الجغرافي والطبقي، أو الحرفي، أو التاريخي ومثل هذا العمل هو مجال الأطالس اللسانية، التي ظهرت في العقد الثاني من هذا



المستوى الثاني

توفير مشتقات والتوسع فى المدلولات.

وقد عرفنا ما بذله اللسانيون من الجهود الجادة، فى حصر مصطلحات اللغة العربية والاحاطة بكل ما تشتمل عليه من الأصول، والمشتقات.

فهل كل سعيهم بالنجاح التام؟ نقول بكل صدق لا.

لقد صرح علماء اللغة بأن ما ذهب من الشعر، والامثال، والنوادر، قبل التدوين والتسجيل، اكثر مما وصل الينا، فلا نستبعد ان يكون فى اللهجات العامية، المنتشرة من البحر الهندي الى المحيط الاطلسي، عدد وافر من المصطلحات والمفردات ينتمي

القرن، فقد ظهرت مجموعات من الأطالس اللسانية حسب الترتيب التالي:

اولا: بألمانيا سنة ١٨٧٦(١) وفي فرنسا سنة ١٨٩٦(٢)، وفي امريكا سنة ١٩٣٠(٣)، وبريطانيا سنة (١٩٥٠) و(١٩٧٨)، وقد اتخذ اطلس جيليرو وتلميذه ادمون نموذجا للأطالس الخاصة باللغات الرومانية، وخاصة الأطلس اللساني الإيطالي، وجنوب سويسرى الألمانية، وأطلس روما، والولايات المتحدة، وكندا وفلندا.

وتتميز هذه الأطالس اللسانية

باختلافات كبيرة فيما بينها سواء من حيث الهدف أو الإنجاز، فهدف الاطالس الالمانية، كان تحديد مجالات الأصوات والصيغ لتثبت بواسطة هذا التحديد، الحدود اللسانية، والمسالك التي سلكتها في الإنتشار - وهذا ما يسمح في نظر واضعيها - بالتوصل الى فكرة تأليفية عن ظروف التطور في اللسان الالماني.

أما اطلس (جيليرو) فقد ركز على دراسة الالفاظ، مع تحديد دقيق لجزئيات الكلمة، ولا يهتم بالصوتيات، إلا بالقدر الذي يساعده على فهم تاريخ الكلمة، وقد يرجع تركيز اطلس جيليرو، على تدقيق الالفاظ وتدقيق جزئياته، الى تنوع اللهجات داخل حدود فرنسا.

ولا ننسى كذلك ان الدراسات اللسانية في هذه الحقبة، مرتبطة باللسانيات التاريخية، **تهدف الى:**

اولا: الى المساعدة على دراسة التطور التاريخي للغات، لذلك كان علماء اللسان، يبحثون عن مناطق أكثر تمثيلا للهجة الأصيلة النقية الأكثر محافظة على سمات تلك اللهجة، كالمناطق النائية المنعزلة، أو ما يسمى بالمنطقة اللسانية المحافظة. وهناك يبحثون عن مخبرين، قليلي الاحتكاك بالعالم الخارجي كالكبار في السن من الرجال والنساء الأميين، والأميات، وكأن هم الباحث، الحصول على انماط لسانية محافظة منتظمة لتفسير الكثير من المعطيات في اللسانيات التاريخية.

ولم تكن دراسة التفاعل والتداخل والترابط بين اللسانيات والعوامل المجتمعة، من بين أهدافهم، قدر ما كان هدفهم، دراسة التوزيع الجغرافي للسمات اللسانية وبالتالي رسم الحدود الفاصلة في الخرائط اللسانية.

اما الحقبة الثانية: أو المرحلة الثانية، او الجيل الثاني، من الاطالس المعاصرة، فمن أهم النتائج التي توصلت اليها، وما تحقق بفضلها في مجال الخرائط اللسانية، أن مفهوم الحدود اللهجية الدقيقة، قد عوضه مفهوم المناطق الإنتقالية التي تختلف فيما بينها، اختلافا كبيرا، تبعا للظروف الجغرافية والإقتصادية والسياسية والمجتمعية.

وبفضل هذه المرحلة وصلت الدراسات اللسانية الى ما وصلت اليه اليوم إذ قلبت رأسا على عقب وجهات النظر المتبناة سابقا، في أبحاث تاريخ اللسانيات.

ب - أطالس اللسانيات العربية:

ظهرت محاولات لوضع اطالس لسان المجتمع العربي، ومن بين هذه المحاولات، (اطلس سوريا وفلسطين) ويضم ٤٢ خريطة في الظواهر الصوتية، من عينات ٦٨ منطقة(٤).

وبعده، (اطلس لهجات حوران) يشتمل على ٦٠ خريطة، من عينات ١١٩ منطقة، غنية من جانب التحليل الصوتي والمعجمي(٥). وظهرت كذلك دراسة فنولوجية، للهجات المناطق الشرقية لمصر والجزائر(٦) والمغرب(٧) ولبنان(٨).

وان هذه الدراسات، والخرائط أقل عمقا وتفصيلا من اطلس حوران، غير أن هذه المرحلة التاريخية. من الأطالس، أفرزت مرحلة أخرى، أكثر عمقا، تزعمها في الشرق (رابين) بدراسته حول: لهجات الجزيرة العربية(٩) وفي الدول المغاربية مرسي كوهن(١٠) ودفيدكوهن(١١).

إلا أن رابين في كتابه: لهجات شمال الجزيرة العربية، كان يهدف الى إرجاع كل الاختلاف والتباين اللهجي، الى الإختلاف بين اللهجتين: الحجازية والتميمية، وإنه لا يعلم الا القليل جدا عن سواها(١٢) ولذلك لم يأخذ غيرها في الاعتبار، وأن اللهجات العربية عنده، تقوم على تلك الكتلتين: الشرقية والغربية، مهملا ما عداها.

والحق اننا نرى أن دراسة اللسانيات العربية على اساس هذا التقسيم، لا يرضى البحث اللساني المعاصر، لأن كلمة الشرق والغرب، أو الحجاز وتميم، كلها اسماء مشوهة الحدود، في وحدات ضخمة شاسعة،

اللهجات نماذج لغوية لا تقل أهمية عن اللغة العربية

وان الحجاز وتميم كلاهما من القبائل الكبرى، ذات الفروع والبطون العديدة، وكثيرا ما نجد لهجات الفروع، تخالف لهجات القبائل الأم، ثم إن بعض بطون هذه القبائل، نفرت عنها وعاشت في اماكن عديدة.

فدراسة اللهجات عن طريق تلك الوحدات الكبيرة، فيه خطورة، وخروج عن المنهج العلمي السليم.

وإذا كنا سندرس ونوجه انظارنا الى الإختلاف بين الكتلتين الحجازية، والتميمية فقط، فإن معنى هذا، اننا سنضع جانبا ما عداها، من السمات اللسانية المتعددة للقبائل الأخرى، وتكون الدراسة، قاصرة ومحدودة، ولا تمثل اللهجات العربية تمثيلا صحيحا وتضيع منا نتائج حاسمة، في الدراسات اللسانية ونحرم من ثمرات بيئة لسانية، نتيجة الاهمال للهجات متعددة، بعد ماضاع كثيره، وذهبت به الأيام الى اماكن نائية.

إلا أن مدرسة (مرسي، ودفيد كوهن) حاولت أن تتدارك هذا النقص، بدراسة اللهجات المغاربية عن طريق الوحدات الصغرى، سواء في الدراسات التي انجزها، أو التي انجزها من تكون في مدرستهم.

وقد صدر في سنة ١٩٨٦ أطلسان لغويان لمصر، واليمن ، للباحث الالماني بينشتيد (P.BEHNSTED)(١٣)، بعد دراسته لعينات من اللهجات المصرية، جمعها من مختلف المناطق، خلال إقامته في مصر بتعاون مع طلاب مصريين، من جامعة الاسكندرية، جمع ٧٠٠ عينة، من بين القرى والمدن المصرية، واستخرج منها ٤٠٠ ظاهرة صوتية وصرفية موزعة على ٥٦١ خريطة من الحجم المتوسط.

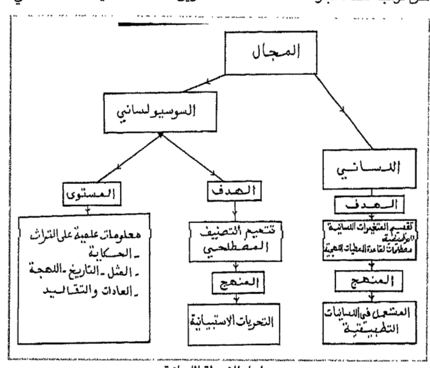
اما اطلس اليمن فهو عبارة عن ١٦٨ خريطة لسانية من عينات ١٥٠ نقطة ولازال يتابع دراستها ومقارنتها، ويبدو لنا فيما وصلنا الى حد الآن، ان بينشتيد، فى هذين الأطلسين، قد خلط في دراسته، بين اللهجات الاقليمية، واللهجات المجتمعية في استنتاجاته.

وهكذا نرى أن المناهج المتبعة في تلك الأطالس اللسانية، والفرضيات التي بنيت عليها كانت موضوع نقد عند العاملين في حقل اللسانيات المجتمعية حديثا، ولهذا كان لنا ان نتجه اتجاها آخر في المنهج، مستفيدين مما سبق ذكره ما دامت هذه المناهج قد أخفقت في حل الإشكالات المثارة حديثا، فإن الامانة العلمية تدفعنا الى القول، بأن مشاكلنا التي نواجهها في اللسانيات اليوم، لم تكن تواجه علماء البارحة.

فقد نص القانون المؤسس لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الصادر سنة ١٩٣٢ على ان (من أغراض هذا المجمع أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة في الدول العربية(١٤).

كما أوردت (المنهجيات الثلاثة لضمان التعريب المواكب في إطار سياسة لغوية رشيدة)(١٥)، التي وضعها استاذنا احمد الاخضر غزال، لإنشاء [قاعدة الاطالس اللغوية].

والمقصود من هذه القاعدة هو تخزين الالفاظ العامية، المستعملة في



مراحل الخريطة اللسانية

فإننا اليوم نؤمن بأن **العلاقة قائمة بين اللسانيات وبين بيئتها الجغرافية والحرفية، وكثيرا من خصائص الأقاليم تنطبع في لغة قاطنيها، من اجل اختلاف المنطقة واختلاف السكن والنزوح والاستقرار واللسان يظل خاضعا للحياة في تطورها الذي لا ينتهي الى حد.**

وقد كان لتطور وضع الدراسات في اللسانيات الوصفية، ووضع الاطالس اللسانية في الدول الاوروبية، كما اشرنا الى ذلك، اثره الواضح في الاهتمام باللسانيات العربية الحديثة، ودراستها من طرف العرب أنفسهم،

اللهجات المختلفة في أغلب البلدان العربية، تلبية لرغبات المجامع والهيآت اللغوية التي ترى أن في وجود هذه القاعدة منافع شتى، لا من حيث العلوم المجتمعية، والتاريخية، والجغرافية واللغوية عامة، ولكن كذلك من حيث المصطلحات، إذ ان هناك الفاظ فصيحة تدل على مفاهيم، وأشياء خاصة لم تسجل في المدونات القديمة، ولا الحديثة، **بالإضافة الى ما قد تمكنه هذه القاعدة، من الحصول على المفردات العامية الموحدة المعنى، مما يسهل التواصل، والتفاهم بين مختلف الاقطار العربية.**

(٢) الأسس المنهجية لأطلس لسان المجتمع العربي:

المنهج الذي سنحاول تطبيقه في إنجازهذا المشروع اللساني القيم ، يستفيد من كل ما قدمته تلك المحاولات السابقة من اجتهاد في الاساليب المقترحة في الدراسات اللسانية ، الحديثة والمعاصرة، التي تناولت بالدرس والبحث ،مجتمعات لسانية كثيرة ، في العالم العربي وأوروبا وأمريكا .

بتبنيه أساليب علمية تتيح دراسة اللسان بوسائل متطورة ، اعتمادا علي ملاحظات موضوعية في اطارنظرية شاملة متكاملة .

ويتلخص هذا المنهج، في جمع المعلومات اللسانية، الممثلة من عينات لهجية وتحليلها، تحليلا كميا لتحديد طبيعة التوزيع اللساني، جغرافيا ومجتمعيا، وتحديد كثافة التوزيع كما يفعل عالم الجغرافية في دراسة الكثافة السكانية. وطبيعة الانتشار واتجاهاته، ورسم خرائط أولية، وربط الانتشار والتوزيع بالعوامل التاريخية والنزوح، أي: بما يمكن ان نسميه العوامل الخارجية. ثم ربط العوامل الخارجية، بالعوامل المختلفة، منها المتغيرات المجتمعية، ودراستها ضمن الإطار المجتمعي اللساني، بالإضافة الى الإطار الجغرافي.

ومن امثلة تفاعل التوزيع الجغرافي واللساني، ما نراه من وضع فى الدول المغاربية، من حيث نجد ان اللهجات المدنية في الرباط، والجزائر، وتونس، وطرابلس. اقرب الى بعضها، من اللهجات في الأرياف والبوادي والقرى، في تلك الدول. كما نرى التقارب في اللهجات البدوية، في معظم الدول العربية. وكذلك الأمزيغية، ولهجاتها، في الدول المغاربية، **وهذا يعني ان التوزيع المجتمعي للهجات، قطع الحدود الجغرافية، والسياسية ولم يقف عندها.**

واللبنة الاساسية في منهجنا المختار لها ثلاثة اركان:

١ ـ تحديد المجتمع المنوي دراسته جغرافيا وتاريخيا.

٢ ـ تحديد الابعاد للمتغيرات الجغرافية، والمجتمعية التي تأثر في اللسانيات وتصنيف المتغيرات.

٣ ـ تحديد حجم العينات بعدد الاشخاص، وتحديد انتمائهم المجتمعي، وسنعرض بتفصيل هذه الأركان حسب الأولويات التالية:

١ ـ تحديد المنطقة جغرافيا ومجتمعيا:

وهنا تختلف الحدود من منطقة الى أخرى، ففي القرى يمكن اعتبار القرية بأبعادها الجغرافية، وحدة منفردة، واختيار عينة منها على هذا الأساس، وقد تكون هذه الوحدة، مكونة من عدد القرى التي تقع ضمن منطقة جغرافية واحدة، تربطها علاقات مجتمعية مختلفة، خاصة مع وجود نظام القبائل والعشائر، وكثيرا ما يكون افراد العشيرة أو القبيلة الواحدة، يقطنون أكثر من قرية متجاورة، وهنا يدخل عنصر العرق، والاصل، في التحديد المجتمعي، واحيانا كثيرة تشكل نفس القرية وحدتين أو أكثر، كأن نقول مثلا، أولاد بوعزى وبنوهلال، الذين ينتسبون الى وحدات قبلية مختلفة ويقطنون قرية واحدة.

وقد اختلف علماء اللغة والباحثون في مجال الأطالس اللسانية، وفي مجال دراسة اللهجات بصفة عامة في تحديد الوحدة المجتمعية المناسبة لاتخاذها أساسا لدراسة اللهجة، وخاصة في مجتمعات المدن المعقدة، التي تختلف كثيرا في طبيعة تركيبها المجتمعي، والقانوني، عن القبائل المغاربية والعربية القديمة. فالوضع مختلف أيضا، حيث عدم التجانس المجتمعي والمكاني، ولتحديد الجماعة أو المنطقة التي يمكن دراستها كوحدة لسانية، هناك أكثر من مدخل اتبعه العلماء في ابحاثهم ويمكن بدورنا ان نختار منها ما يناسب اغراضنا، وأهم هذه المداخل:

الأجناس الوافدة على العربية كان لها أثرها في اشاعة اللحن

(أ) ـ تقسيم المدينة الى مناطق جغرافية مجتمعة، حيث يتلازم احيانا كثيرة التوزيع الجغرافي للسكان وتوزيعهم المجتمعي، كأن تميز في المدينة، مناطق سكنية مدرجة في التصنيف التالي (ا ٠ب٠ج) حسب الموقع الجغرافي وطبيعة البناء، المرتبطة ارتباطا وثيقا بالعوامل المجتمعية، حيث من الغالب ان تكون منطقة مكونة من الأحياء الراقية، في المدينة، التي يقطنها فئات من الطبقات الوسطى والعليا.

(ب) ـ وحديثا يعتمد ما يسمى بالشبكة المجتمعية، يتخذ الفرد الواحد كمركز لانطلاق البحث ورسم خريطة لعلاقاته واتصالاته المباشرة وغير المباشرة، وينتج عن ذلك شبكة بشرية تربطها علاقات مميزة.

وهذا ما يجعل افراد تلك المجموعات اكثر تجانسا واقرب الى بعضهم، ويجعلهم يشتركون في استعمال وتفسير الأنماط اللسانية المتشابهة، لأن الفرد يحاول دائما خلق أسلوب لساني خاص به، يمكنه من التكيف مع المجموعات التي يتصل بها وهو يحاول دائما بناء شبكة اتصالات خاصة به، ومثل تلك الشبكة اللسانية كثيرا ما تتحدى الحدود الجغرافية للهجة.

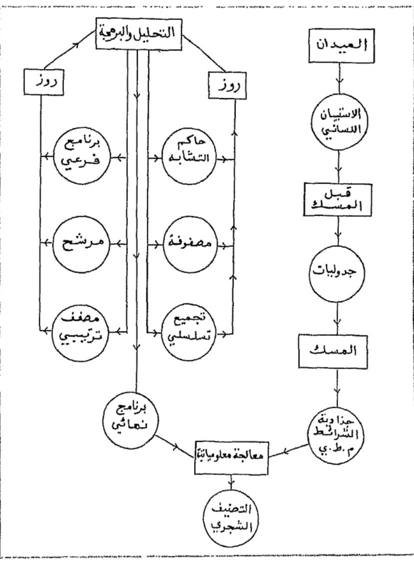
(ج) ـ الجماعة اللسانية: وقد اختلف الباحثون في تعريفها، وتحديدها واكثر التعاريف قبولا وشمولية، التعريف القائل: بأنها تلك المجموعة السكانية التي يشترك افرادها باستعمال لهجة ما، ويشتركون في استعمال قواعدها، بجانب ذلك يشتركون في الأنماط الثقافية، والحضارية والمجتمعية، ولهم نفس العادات والتقاليد، ويتشابهون في تقييمهم ومواقفهم من الانماط اللسانية السائدة(١٦).

ويختلف حجم تلك المجموعة من حيث يمكن اعتبار احد احياء، عاصمتنا الرباط مثلا جماعة لسانية.

وفي اعتقادنا أن كل هذه المداخل تلتقي في نقطة واحدة، وهي انها جميعها تحاول البحث عن جماعة سكنية تشترك في ملامح وطبائع مجتمعية معينة، وتتعايش مع بعضها البعض، بحيث يحصل الإتصال والتبادل وبالتالى الإشتراك في انماط لسانية، وتعتمد صعوبة وسهولة وجدوي تطبيق كل منها على المنطقة المنوى دراستها.

فالشبكة المجتمعية يمكن استعمالها بنجاح في دراسة الفئات المهنية، كالدرازين والمحامين والأطباء والفلاحين وعمال الزراعة، حيث لكل مهنة نقابة تشكل نقطة الإلتقاء لما بينهم من مصالح مشتركة تؤدى الى الإحتكاك والإتصال، بين افراد تلك الفئات اكثر من غيرهم.

ومن الملاحظ أن هذا النظام قد تطور مؤخرا في كثير من الدول العربية، الى مشاريع اسكان خاصة بافراد المهنة الواحدة، فهناك على سبيل المثال في كثير من المدن كالرباط، والدار البيضاء، تعاونيات الإسكان، الخاصة بالأطباء وأخرى للمهندسين، والأساتذة. والقضاة .. الى آخر القائمة، وقد شملت مشاريع الإسكان لهذه الفئات الدخل السنوي المتساوي، فهناك اسكان ذوي الدخل المحدود، واسكان ذوي الدخل المتوسط.



مخطط معلومياتي لطريقة المقارنة المعجمية

وفي تقديرنا ان مثل تلك المشاريع التعاونية رغم حداثتها عندنا في المغرب، من الأهمية بمكان، في الدراسات اللسانية المستقبلية، حيث تلتقي المتغيرات المجتمعية، الجغرافية، وسيساهم ذلك، في التصنيف المجتمعي، والاقتصادي للسكان.

ولابد هنا من الإشارة، بأن ما يحدث عادة في المراحل الأولى، من المناطق السكنية الجديدة مثل مشاريع التعاونيات. والأحياء الإدارية، خاصة تلك التى تخص افراد الطبقات الوسطى، يختلف عما يحدث، في الأحياء السكنية القديمة، التي تكون قد طورت نمطا معينا من العلاقات والطباع مجتمعيا وسلوكيا ولسانيا.

وفي الغالب فإن سكان المناطق الجديدة، ليس بينهم وبين جيرانهم اتصال او علاقات مجتمعية وطيدة، وفي المقابل فإن هؤلاء السكان قد يستمرون ولو لفترة في علاقاتهم القائمة مع اناس من خارج سكناهم الجديدة.

وقد تساعد طبيعة بناء المساكن على العزلة او التقارب المجتمعي، فالبيوت المنفصلة المسورة تساعد على العزلة، ويمكن في هذه الحالة استعمال مدخل الشبكة المجتمعية، بالإضافة الى المدخل التقليدي.

اما المدن العريقة كفاس وتطوان، وسلا، ومراكش، وتلمسان، والقيروان وطرابلس، وغيرها التي مضي علي تأسيسها زمن طويل، فالغالب هو المدخل الجغرافي في تقسم المدينة الى مناطق جغرافية منتظمة باعتماد التقسيم الجغرافي الذي تتبعه البلديات في تقسيم المقاطعات.

وبهذا يتمكن الباحث من دراسة اثر التوزيع الجغرافي والمجتمعي على اللسان حيث يتلازم التقسيم الجغرافي بتلك المدن مع التقسيم المجتمعي.

وعلى الباحث دائما ان يدرك ان الإنتماء المجتمعي، يكون ضعيفا عند الأفراد الكثيري الحركة والترحال، حيث يبتعد مثل هؤلاء الأفراد، في الغالب عن اللهجات الاصلية لهم ويكتسبون خصائص لسانية جديدة.

(٣) تحديد المتغيرات المجتمعية :

بعد تحديد الجماعة اللسانية المنوي دراستها مجتمعيا، وجغرافيا، علينا أن نحدد المتغيرات المختلفة التي تأثر في السلوك اللساني وتؤدي الى الإختلاف والتنوع.

فإن لكل فرد موقعه في المجتمع، وإن هناك تفاعلا مستمرا بين الأنماط المجتمعية المختلفة، واللسان أحد تلك الانماط، وتختلف المتغيرات باختلاف المجتمعات وفي الغالب فإن المتغيرات الآتية مهمة في البحث اللساني:

أ ـ الجنس: فقد تبين أن هناك فروقا واضحة بين الأنماط اللسانية السائدة بين النساء والرجال، فالرجال اقل حساسية من النساء، للضغوط المجتمعية واهتماما بالمظاهر، كالأزياء وطرق النطق، فهن يملن دائما الى استعمال السمات اللسانية التي تُقيّم مجتمعيا بأنها أرقى.

وقد وجد الباحثون الغربيون أن النساء في المجتمعات الغربية اكثر استعمالا للسان الفصيح الذي يعتبر ارقى مجتمعيا. اما في المجتمعات العربية، فإن النساء اكثر استعمالا للسمات المميزة للسان المديني حيث يعتبر أرقى مجتمعيا.

ب ـ العمر: ويعتبر العمر من المتغيرات المجتمعية المهمة، فى الدراسات اللسانية، وخاصة إذا كان الباحث مهتما بدراسة المتغيرات اللهجية وتحديد اسبابها وكذلك لمن يهتم بالتراث والتقويم.

فكبار السن مثلا يمكن اعتبارهم مصدرا من المصادر اللهجية الأصيلة، حيث يحتفظ الكثير منهم

الجانب الديني من أهم عوامل الحرص على نقاء اللغة

بالسمات اللسانية الأصيلة، ويمكن ايضا اعتبارهم، المعيار أو المقياس للتغير والتنوع اللساني. فلو اخذنا عينات ممثلة لمختلف الاعمار، لأمكننا اعتبار لهجة الكبار في السن منها، نقطة البداية، التى منها نقيس مقدار مدى التغير والتنوع اللساني، وقد اثبتت الدراسات الحديثة أهمية ذلك في اكثر من موقع.

جـ - الوضع المجتمعي: وهو تقسيم المجتمع الى فئات أو طبقات، حسب وضعهم كالطبقة العليا، والوسطى، والعاملة. ويختلف الدارسون في تحديد المعايير المستعملة في التقسيم المجتمعي، باختلاف المجتمعات وانماطها الحضارية، والثقافية.

وعلى الباحث المتحري تحديد طبيعة التقسيم، في المحيط الذي ينوي دراسته، إذا كان التقسيم ينعكس على السلوك اللساني، وقد وجد العاملون في هذا الحقل، ان الوضع المجتمعي مهم في التغيير والتنوع اللساني. فقد وجد أنه كلما ارتفعت الطبقة الاجتماعية، زاد استعمال الفصحى وإن الافراد من الطبقات العليا والوسطى يميلون الى استعمال سمات لسانية من اللغة الفصحى، بشكل عام فقد وجدت الدراسات الكثيرة علاقات وثيقة بين الفئة التي ينتمي اليها الفرد، والأنماط اللسانية التي يستعملها، ويعتبر هذا المتغير من الأهمية بمكان، في الاجابة على كثير من الأسئلة مثل:

- ما هي الطبقة التي تجدد في اللسان؟ وكيف يتم الإنتشار...؟

وما هي مبررات الإقتراض داخل اللغة الواحدة؟ وقد تحدث (بلوم فيلد) عن ذلك حين قال: (إن الأنماط اللسانية الجديدة غالبا ما تبدأ في الإنتشار بين افراد الطبقات العليا ومنهم يقترضها افراد الطبقات الأدنى..)(١٧).

إلا أنه يحدث العكس، في المجتمعات الأخرى، أي: ان افراد الطبقات العليا، أكثر محافظة على الأنماط اللسانية القديمة، واكثر معارضة للأنماط الجديدة التي تميز اللهجات(١٨).

د - التعليم والوظيفة: كثير ما يرتبط هذان المتغيران بالمتغير الثالث وهو الوضع المجتمعي، حيث يمكن استعمالهما معايير للتقسيم، وخاصة في المجتمعات التي يوجد فيها الإزدواجية، إذ يكون جيل المتعلمين في تلك المجتمعات، اكثر احتكاكا باللغة التي تعلم بها، كالفرنسية مثلا، ولذا فهم اكثر استعمالا لها، وهذا ما يؤثر على حصيلتهم عكس المتعلمين باللغة العربية.

وبالتالى ظهور انماط لسانية جديدة، تميزهم عن غيرهم كالمزج بين لغتين لغة الأم ولغة التعليم، ويؤدي ذلك الى اختفاء اللهجة القديمة، وظهور لهجات جديدة، أو على الأقل تضعف الحدود والفواصل اللسانية القديمة، ويحل محلها فواصل من نوع جديد. وكثيرا ما يملي المركز الوظيفي على صاحبه اسلوبا ونمطا مجتمعيا معينا، وعلى الفرد أن يعيش ضمن ذلك الإطار الجديد ويتكيف معه(١٩).

هـ - الأصل: ويعد هذا المتغير مهما في الدراسات اللسانية في المجتمعات ذات التركيب المعقد، ومن أصول مختلفة أو جنسيات مختلفة، كالمغرب العربي ومختلف الدول العربية، ويمكننا في هذه الحالة أن نعتمد تقسيمات كثيرة، حسب الأصل والخلفية الحضارية، واكثر هذه التقسيمات شهرة واهمية، هو التقسيم التقليدي: البادية، والريف، وسكان المدن.

وقديما ميز علماء اللسانيات العرب، بين لهجات البدو والحضر، والأرياف، ووصفوا لهجات البدو بالمحافظة، على عكس اللهجات الحضرية التي تتميز بأنها خليط ومزيج من لهجات ولسانيات مختلفة.

وقد افردوا دراسات لتبيان الفروق بين تلك اللهجات، وبمدى تأثر اللسان يكون الفرد بدويا، أو حضريا وقال بعضهم: إن الضم في اللغة من صفات سكان الحضر لبخلهم، والفتح في اللغة من صفات البدو لكرمهم(٢٠).

و - العامل السياسي: ويدرس الباحث هنا أثر الأنماط الإستعمارية واللسانيات الأجنبية المستعملة تبعا لذلك، واثرها في اللسانيات العربية.

ومن جهة اخرى، ادى الإستقلال السياسي، والإنقسام في الدول العربية، الى الإنفصال المجتمعي والثقافي، وهذا اكثر خطورة على اللسان، ولا يغيب عن الأذهان أن محاولات علماء اللسانيات في التفريق بين اللغة واللسان، وتعريف كل منهما، وجدوا أن اهم الفواصل بين اللهجات واللغة، هي الحدود السياسية حدود المستعمرات الانجليزية، وحدود المستعمرات الفرنسية، والإيطالية والإسبانية.

هذه بعض العوامل المجتمعية التي قد تأثر في التوزيع اللساني، ولا يعني هذا بالضرورة استثناء، عوامل اخرى، كالإنتماءات السياسية، والحزبية والدينية والاقتصادية، كدخول المرأة ميدان العمل، او الإنتقال من مجتمعات زراعية الى مجتمعات صناعية، وتجارية وهي غالبا ما تؤثر في الخرائط اللسانية.

(٤) تحديد المتغير اللساني:

يمكن للباحث المتحري عادة من التعرف على السمات اللسانية التي تستحق الدراسة والبحث، من حيث كونها تميز مجتمعا، من حيث التنوع تسمح بتوزيعها جغرافيا ومجتمعيا، وقد سميت تلك السمات بالمتغير اللساني وتعرف بانها: السمة اللسانية التي يكون لها اكثر من شكل لغوي حيث يكون للفرد الخيار في استعمال الشكل الذي يتلاءم مع

وضعه الاجتماعي، او الجغرافي أو مع الأسلوب والمواقف(٢١).

وتحديد هذا المتغير يكون بتحديد اشكاله المختلفة، وموقعه في الكلام والسمات المجاورة له في الكلام، وتحديد وظيفته اللسانية ومدلوله اللغوي، والمجتمعي، والأسلوبي، ويتم ذلك من خلال دراسة مبدئية لعينة استطلاعية يقوم الباحث المتحري بجمعها مسبقا.

* **اختيار العينة الممثلة:** بعد تحديد العوامل التي تتغير لسانيا ومجتمعيا الذي يجب اعتماده يقوم المتحري بعملية اختيار العينة الممثلة لتلك العوامل. والقرار الأول الذي يواجهنا هنا، هو تحديد حجم العينة الممثلة واللازمة لدراسة انماط السلوكات المجتمعية الأخر.

ولتحديد حجم العينة، لابد من توفر بعض الشروط الأساسية ومنها:

* أن يكون عدد المخبرين معقولا بحيث يتمكن الباحث ومساعدوه من اجراء المقابلات اللازمة معهم وجمع المعلومات منهم ضمن مدة معقولة، بحيث يضمن ايضا قدرته مع فريقه على تحليلها.
* ان تكون العينة ممثلة لكل المتغيرات المجتمعية أو الجغرافية التي ينوي الباحث استعمالها في بحثه، ولابد هنا من رسم خريطة لتوزيع افراد العينة، بحيث تضمن التغطية الكاملة والسليمة للمجتمع المغاربي والعربي.

ويبدو ان هناك اتفاقاً حول عدد المخبرين في كل خلية، بحيث لا يقل عن اثنين، ولا يزيد عن خمسة، ولا يغيب عن اذهاننا أن توزيع التمثيل، يجب ان يعتمد بشكل او بآخر، على كثافة الافراد في خلية ما.

فعلى سبيل المثال، لو اخذنا سكان مدينة الرباط لوجدنا أن عدد صغار السن المتعلمين اكبر بكثير من صغار السن غير المتعلمين، او حتى من كبار السن المتعلمين.

* أن يكون المخبرون إما قد اقاموا في المنطقة المنوي دراسة لسانها مدة زمنية طويلة، لا تقل عن خمسة عشرة سنة، أو ولدوا في تلك المنطقة، أو هاجروا اليها في سن الطفولة المبكرة، وهي سن اكتساب اللغة، أي ما بين السن الخامسة والثانية عشرة، وتوفر مثل هذا الشرط مهم، لضمان تأثر هؤلاء الأفراد بالعادات والأنماط المجتمعية السائدة في المنطقة وبالتالي يكونون قد اكتسبوا اللهجة المنطوقة هناك.
* أن يكون اختيارهم عشوائيا، بحيث تكون الفرص متساوية في اختيار أي فرد من نفس الفئة المجتمعية، في المنطقة، ويجب ما امكن الإبتعاد عن دائرة الأصدقاء، والمعارف لأن ذلك قد يسبب الابتعاد عن الموضوعية.

(٥) ربط العلاقة مع المخبرين:

وبعد رسم خرائط توزيع المخبرين، تبدأ مرحلة البحث الميداني بدخول الباحث ميدان التطبيق، واجراء الاتصالات مع السكان في المنطقة، لتحديد واختيار الأشخاص المناسبين الذين يمثلون العينة المختارة، وقد يضطر الباحث الى إجراء اتصالات مع عدد كبير من المخبرين، ليضمن حصوله على العدد المطلوب، ويبدأ في بناء الجسور والعلاقات مع المخبرين، بزيارتهم والتعرف عليهم، ليضمن تعاونهم وليخفف من وقع الجو الرسمي على المقابلات بحيث يضمن الحصول على عينات من لهجة الافراد الطبيعية التي يستعملونها في حياتهم اليومية ويكون ذلك عندما يتحدثون طبيعيا على طبيعتهم.. وعلى المتحري هنا أن يستعمل ذكاءه، في توفير الجو العام المناسب، ليجعل المقابلة تسير في طريق سليم يؤدي الى تزويده بالمعلومات اللسانية المطلوبة دون تكلف.

التوزيع الحقيقي للهجات قطع الحدود الجغرافية والسياسية ولم يقف عندها

(٦) إختيار الأسئلة خارج الإستبيان:

عند إجراء المقابلات، على الباحث أن يكون حريصا على اختيار الأسئلة التي يطرحها خارج الاستبيان، بحيث تكون الاسئلة.

أ- لا تتطلب أجابة طويلة ولا يجاب عنها بنعم او لا.

ب- تتناول مواضيع تهم المخبرين.

جـ- تؤدي الى حديث مطول.

د- تساعد المتحدث على التحرر من القيود الرسمية للمقابلة، والتحدث بطلاقة وبشكل طبيعي.

هـ- تجنب إثارة المواضيع ذات الطبيعة الحساسة، أو التي تثير شكوك ومخاوف المتحدث، ويمكن من التغلب على الجو الرسمي للمقابلة، بإجرائها بحضور اناس آخرين من معارف واصدقاء، أو عائلة المخبر، أو اختيار مكان مناسبة لإجرائها، وقد يستفيد من متابعة المخبرين وجمع المعلومات منهم في اكثر من مناسبة، في الزمان والمكان.

(٧) حجم العينة اللسانية التي يجب الحصول عليها:

إختلف العلماء حول حجم العينة المطلوب الحصول عليها من الشخص الواحد، ويرجع ذلك الى اختلاف المتغير اللساني، المنوي دراسته، واختلاف نسب وقوعه وتكراره، في النص المسجل فهناك من يحدد عشرة او عشرين حالة تكرار، من نفس المتغير، كاف للدراسة(٢٢).

ويختلف آخرون(٢٣) بقولهم: أنه كلما زاد عدد حالات التكرار، كانت النتائج اكثر دقة واقرب الى النمط المتوقع للمجموعة. والبعض الآخر يرى أنه لا يوجد مقياس ثابت لذلك، حيث يعتمد حجم العينة على كثافة وقوع المتغير اللساني، فبعض المتغيرات متكررة وبعضها الآخر نادر التكرار(٢٤). ونرى أن هذا القول الأخير اقرب للتطبيق، والمنطق.

(٨) التحليل ووضع الخرائط اللسانية:

وبعد جمع المعلومات اللازمة حسب ما حددناه، يبدأ بتحليلها باستعمال اسلوب التحليل الكمي، ويقضي ذلك إيجاد نسب المتغير الواحد من كل متغير لساني، وربطه بالمتغير المجتمعي. ويستطيع الباحث أن يرصد المتغيرات بشكل فردي، ودراسة توزيع كل منها، مجتمعيا وجغرافيا حسب الأقاليم والمناطق وتصنيف اللهجات، وهذا سيساعد على دراسة التنوع اللهجي والمتغير اللساني، واتجاهاته، وأثر اللهجات في بعضها، ومدى تفاعلها مع العربية الفصحى.. وبهذا نجني الفوائد الكثيرة من وضع أطلس لسان المجتمع المغاربي والعربي، للهجات العربية المعاصرة، مما سيساعد على اكتشاف المصطلحات العربية الموحدة التي يفهمها الجميع من المحيط الى الخليج.

وبعد هذا نرصد تلك النسب التي تبين توزيع المتغيرات اللسانية، وكثافتها وعلاقتها بمختلف العوامل المجتمعية، مما سيساعد على إعطاء صورة حقيقية ودقيقة، عن الوضعية اللهجية السائدة في عالمنا المغاربي بصفة خاصة، والعالم العربي بصفة عامة مما يساعدنا على وصف التنوع والتغير المميز. ونتيجة لذلك نتمكن من اكتشاف أنماط مميزة لمجتمعاتنا، ومقارنتها بالأنماط السائدة في المجتمعات العربية المجاورة.

وعندها نتمكن من رسم الخرائط اللسانية المنشودة، بحيث لا تغفل الكثير من الحقائق، وستبين لنا مثل هذه الخرائط كثافة التوزيع والإنتشار الطبيعي للسمات اللسانية وتداخلها وتمازجها وهي ايضا تصور المنطوق من اللهجات من الزاوية المجتمعية، وتصور الظواهر اللهجية بوضعها في مكانها الصحيح على الخرائط اللسانية.. وتطبيقا لهذا المنهج، الذي يعتمد على دراسة اللسانيات: مجتمعيا وجغرافيا، في نفس الوقت، يساعد على الوصول الى فهم القواعد التي تربط اللسانيات العربية المعاصرة ببعضها، واكتشاف الفصيح منها، مما سيفيدنا في الدراسات المقارنة، من اجل الوصول الى ما يسمى باللسان الشامل مما سيساعد على التفاهم والتقارب بين الشعوب المغاربية والعربية.

وفي سبيل انجاز هذا المشروع العلمي المتميز بواسطة المعلومات، وضعنا رسوما بيانية لرسم الخرائط اللسانية على مراحل، مع مخطط معلوماتي لطريقة المقارنة المعجمية، واللهجية على مستويات المجال اللساني، الهدف، والمطلوب. والمجال السوسيو لساني:

الهدف والمطلوب، في المستوى الأول والمستوى الثاني.

الهوامش

(١) بدأ (wenker) العمل في أطلس المانيا في سنة ١٨٧٦ إلا أن عمله هذا لم يتحقق على يده، بل تحقق على يد تلميذه wrede من حيث عمل على نشر أطلس لسان المانيا، وحسن منهاجه، وظهر تحت اسم -Deuts) cher sprachetlas)سنة ١٩٢٦.

(٢) كان رائد هذا المشروع لقس .J) Rousselo)الذي أسس ١٨٨٧ مع (Gillieron) مجلة (اللهجات الغالية الرومانية) وقد تم جيليرون مشروع الأطلس الفرنسي مع مساعده -Ed) mond Ed

(mont وبدأ نشره من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩١٠.
(٣) ظهر أطلس لسان الولايات المتحدة الامريكية وكندا ١٩٣٩ - ١٩٤٣ وأطلس فنلندا سنة ١٩٤٠.
(٤) Rebin: Ancien west Arabian. London 195H
(٥) انظر احمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث القسم الأول والثاني.
(٦) انظر المرجع رقم ٨.
(٧) CAQUOT, Andre et COHEN. David (Eds) L`etat actuel des recherches Linguistiques en Tunisie, in Actes du Premier, Congres International de Linguiistique Semitique et chamito - semitique, Paris 1969 Mounton, La Haye
(٨) COHEN, David - ١٩٨٦ Atlas linguistique dt socio - linguistique de l`arabe D.S.L) Rabat
(٩) COLIN. georges S. Notes de dialectologie arabe in Hesperis: 11. 1930
(١٠) المصدر السابق.
(١١) المصدر السابق.
(١٢) H.Rebin Ancien West Arabian, London 19
(١٣) Les atlas linguistiques de l`Egypte et de Yemen
(١٤) انظر قرارات مجمع اللغة العربية مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
(١٥) من دوريات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب الرباط مطبعة المعهد.
(١٦) انظر دراسات مخبر الأطلس اللساني بشعبة اللسانيات المجتمعية التي انجزها الكاتب، وكذلك انظر الأسس المنهجية لأطلس لسان المجتمعات العربية محاضرة القيت في موسم النشاط الثقافي والعلمي المنظم من طرف مديرية الدراسات بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب، للأستاذ ابراهيم الخطابي.
وكذلك W. Labov; The Soial Stratification of English. in New-York cty
(١٧) BOUVERESS j. significations, actes propositionnels et actes illocutionnaires, Minuit, Paris, 1971
(١٨) GREIMAS A.J. Des modeles theoriques en sociolinguistique, in International Days of sociolinguistics, 1969
(١٩) تمام حسان وابراهيم أنيس : اللغة والمجتمع ترجمة ل.م.م، لويس ، دار احياء الكتب العربية ١٩٥٩ وعبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، للطباعة والنشر ١٩٧١.
(٢٠) DUCROT O. Dictionnaire enccyclopedique des sciences du langage, Paris 1972
(٢١) SAUSSUREF, Cours de linguistique generale, Paris, 1968
OWENS, jonathan; Ashort reference Grammar of est Eastern Libyan Arabic; Wiesbaden; Otto Harrassowitz
(٢٢) R/Hudson; Sociolinguistics; Cambidge, Can; univ - Pris.

الكثير من خصائص الأقاليم تنطبع في لغة قاطنيها

من قراءاتي في الأدب العالمي «١٣» «جـ

ولد سنة ١٧٩٥م وتوفي سنة ١٨٢١م.

سبعة وعشرون عاما هي حياة ذلك الشاعر العبقري الذي ملأ عصره شدوا وغمره صداحا وأطربه غناء، وأفضى بفيوض من الشعر ظلت سطورا مضيئة في صفحات الإبداع والشعر تتناقلها الأجيال في إعجاب واستحسان.

يظن كثير من الناس أن «كيتس» كشاعر كان يمكن أن يرتقي بشعره الى أفق يضارع ما ارتقي اليه «شكسبير» لو أن الحياة طالت به.

إن وفاته المبكرة في الوقت الذي كان إنتاجه فيه قد بدأ يتطور بشكل يستقطب الأفهام ويسترعي الإعجاب، كانت تلك الوفاة مأساة في عصره ومواطنيه بالنسبة اليه كشاعر تألق كالنجم الساطع والضوء اللامع، وخار في نفس اللحظة الى رماد تذريه الرياح ولم يبق من حياته إلا ذلك الإنبهار الذي يشع من أشعاره، ويتألق من إبداعه، ويتوهج من طروحاته الفنية.

إن حياة هذا الشاعر هي مأساة في حد ذاتها، يكتنفها البؤس والإحباط، لولا أن النبوغ يتغلب علي كل ما يعترض سبيله من عوائق وسدود وهوات، حياة بائسة في محيط فقر أسرته وسوء صحته، إلا أنها تتسم بكثير من الشجاعة والكفاح الدؤوب.

كيتس هو الإبن الأكبر لحارس حظيرة في «فينشه» توفي بمجرد ذهاب ابنه جون كيتس، حين بلغ سن الخامسة عشرة فوجد ذلك الغلام نفسه المسئول عن رعاية أشقائه وشقيقته الصغرى، تحت رعاية وصي لا يسمن ولا يغني من جوع.

ولقد قام هذا الوصي بإخراج جون من المدرسة وألحقه بعيادة أحد الجراحين في «انفيلد»، لكي يتمكن الغلام من كسب ما يعيش عليه

كيتس

وأسرته، ومع ذلك لم يفارقه القلق والحيرة يوما واحداً حتى وفاته.

كما قدر له أن يشاهد أخاه يموت بذات الرئة بين ذراعيه، مع ما ناله من فشل في حبه الجارف الأول لفتاة أحلامه ونجمة غرامه، الذي انتهى ممن يتفاني في حبها بالرفض، ومع كل ما قاساه ويقاسيه أصبح حتى الرمق الأخير، يحبر أشعاره، ويسطر بيانه، بينما الداء يمتص شبابه، وعندما وصل إلى سن الرشد ترك مدرسة الطب التي انتسب إليها إلى غير رجعة، وفي العام التالي ١٨١٧ نشر أول ديوان شعر له أحدث ضجة يغلب عليها طابع الاستنكار من جانب النقاد في وقته.

كان كيتس قد تأثر بأعمال الشاعر الاليزابيثي المغمور «سبنسر» المولود سنة ١٥٥٢م والمتوفى سنة ١٥٩٩م، فقد كان أسلوب كيتس في الكثير من أشعاره في البداية قد



شكسبير

اتسم بطابع المبالغة في الزخرف والأسلوب الصارخ الذي كان يميز أشعار «سبنسر» وليس في تلك الأشعار ما يرقى الى مرتبة العظمة والسطوع فيما عدا قصيدته القصيرة التي عنوانها (نظرة الى هومر من خلال تشابمان) والتي تنتهي بهذه الأبيات الشهيرة.

أو أشبه بكورتيز القوي ذي عيون النسر.

التي ينظر بها إلى المحيط الهادي - بينما رجاله

ينظر بعضهم الى بعض نظرات متسائلة

علينا أن ننقل من الثقافة الغربية لحضارتنا بقدر وميزان.. وعلينا أن نفيد منهـا لاثـراء ملكاتنـا.. وعلينا أن ننهل من معـينهـا المتفق مع حضارتنا ومثلنا ومقـوماتنا..

...ـون كيـتس»

بقلم: محمد بن أحمد العقيلي
جازان

* وهو صامت فوق قمة «داريين».

وتلمح هذه القطعة الشعرية إلى شدة تحمس الشاعر كيتس لذلك العالم الذي فتح له أبواب الشعراء الآخرين، والذي صار يميز طريقته الخاصة في الكتابة.

وديوان الشعر الأول لكيتس يعتبر بالنسبة إليه من الأهمية بمكان لأنه



شيلي

دفع به إلى الشهرة المبكرة ولفت أنظار النخبة الأدبية في لندن إليه، وبالأخص أنظار «لاي هانت» المحرر الليبرالي لصحيفة «الاجزامينر» الذي قام بتقديم الشاعر الشاب إلى «وورد زورث» و«كلوريدج» و« شيللي»، وغيرهم من رجال الشعر والأدب والنقد في المدرسة الرومانسية.

لقد أخذت أشعار الشاعر كيتس، وإبداعه المتوهج، تتألق، وأصبحت أعماله لدى معاصريه ملحوظة بعين الاعتبار وكامل التقدير، ويعتبر عامي ١٨١٨/١٨١٩م من أكثر أعوامه إنتاجا وأحفلها إنجازا، أنشأ فيها بعض قصائده الشهيرة الذائعة الصيت، ومنها قصائده:

١ - انديميون.
٢ - ايزابيلا.
٣ - ليلة عيد القديسة اجنس.
٤ - القصيدة الغنائية الطويلة لاميا.

وفي تلك الفترة وضع الخطوط الأولى لسطور أساس معظم ملحمته الشعرية «هيبريون» قبيل أن يرغمه انهيار صحته في مغادرة انجلترا، ولا تزال قصيدته القصصية الطويلة «انديون» تتألق بزخارفها وبديع ثرائها.

وقد بدأ ذلك الشاعر يظهر اهتمامه بالجمال الحسي المطلق الذي مضى ينميه، وفيه يقول: « إن الشيء الجميل بهجة أبدية».

وفي الوقت نفسه قام بانشاء قصائده الدرامية القصصية ومنها قصيدته الخالدة «ليلة عيد القديس اجنس» التي كانت أكثر قصائده نجاحا وأروعها بيانا لتصوراتها البالغة الحساسية، وإن كانت مميزات قصيدته «ايزابيلا» تتفرد بأبياتها الأقرب الى الغناء ومنها:

وهكذا مر الأخوان ورجلهم القتيل راكبين امام فلورنسا الجميلة

وفيما بعدها نجد في قصائده الجليلة الرائعة التي تلت هذه الأعمال يبرز لنا أسلوب كيتس المميز، وتبهرنا قصيدته «إلى العندليب» بالأبيات الجميلة الحزينة:

ولا أستطيع أن أميز الزهور الجميلة عند قدمي

ولا الأريج العطر الذي يرفرف فوق الاغصان.

وهي معدودة من اكثر قصائده نجاحا وتشتمل على الفقرة الشهيرة.

نوافذ مسحورة تطل على الزبد.
الذي يكسو أمواج البحر الخطر في بلاد مهجورة.

وقصيدته «إلى الخريف» تتفرد بجو زاخر بالثراء، وبالكآبة، والموت:

* وفي صوت جماعي أخذت البعوضات الصغيرات تطن.
بين ضفاف النهر المصفرة
أو تختفي كلما هبت الرياح الخفيفة أو سكنت.

وفي قصيدته «إلى القدر اليوناني» كتب أعظم أبياته عن خلود الجمال والمقارنة مع عدم استقرار البشرية:

(ستظل عاشقا للأبد وستظل هي جميلة).

إن كيتس تحول بعد ذلك إلى نهج مختلف أكثر إشراقا وأحفل جدية، وبالرغم مما وجد نفسه فيه من مرض وتدني معنوياته، ومع كل ذلك بدأ في إنشاء قصيدته الملتونية الطويلة «هيبريون» التي كان ينظر إليها على أنها أحفل اهتماما بأحوال الإنسان، ولعل أسلوبه فيها دليل على الطريقة التي كان ذلك الشاعر يكتب بها أعماله التالية.

وكان المرض قد اشتد به وتوفي في روما عام ١٨٢١هـ في تلك السن المبكرة.

مساحة للضوء

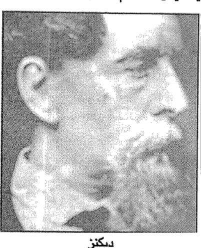
كيف صور «ديكنز» ...

الأدب واحد من أقوى الأسلحة لمقاومة الظلم، ولكبح جماح الفساد، لذا فإن تحليلنا للأعمال الأدبية الكبيرة التي تكشف تخريب الصهيونيين للمجتمعات ينطوي على فائدة عظيمة للأمة العربية وللإنسانية جمعاء في كفاحها ضدّ الصهيونية وضدّ شرورها.

(ديكنز) يحذر من إجرام الصهيونيين:

التحذير من إجرام الصهيونيين في حق المجتمع الإنجليزى هو المغزى الرئيسي من رواية «أوليفرتويست» التى كتبها (ديكنز)، والتي نشرت له في عام ١٨٣٨م. كان (ديكنز) شديد الاهتمام في كتاباته بالأمور المتعلقة بالآفات الاجتماعية، وبما ينشأ عن تلك الآفات من شرور أخلاقية واضطرابات سيكولوجية. وهكذا فإنه أولى عناية فائقة في رواية «أوليفرتويست» لتوضيح تفاصيل آفة اضطهاد المقهورين وآفة الجريمة في المجتمع، ورمز الى العامل المسبب لهما كليهما برجل صهيوني عجوز شرير، يرأس عصابة كبيرة للنشل واللصوصية، اسمه (فيجن). وقد أسهب (ديكنز) في تبيانه للعلاقات المعقدة بين آفة الجريمة وآفة الاضطهاد، عن طريق شرحه للعمل الروائي. فقد جعل الصهيوني (فيجن) صاحب تخصص في استخدام جواسيس لعصابته من الصهيونيين، ولصوص مأجورين من النصارى الإنجليز، يقومون بعمليات سطو على البيوت ويجلبون إليه المسروقات فيقوم ببيعها الى تجار صهيونيين معيّنين، وجعله صاحب اهتمام شديد بتجميع عدد كبير من الأطفال الفقراء واليتامى وبتعليمهم مهارات النشل قسراً، وهو يضطهد عملاءه وتلاميذه، ويسوقهم الى ممارسة الاضطهاد فيما بينهم، ويوجههم الى احتراف الجريمة وإلى ارتكاب الجرائم في المجتمع.

إن موضوع الاضطهاد وموضوع الجريمة اللذين جعلهما (ديكنز) مداراً لأحداث رواية «أوليفرتويست» يغطيان القسم الأكبر من المساحة



ديكنز

التي شغلها العمل الروائى فيها، وهذا المعنى العام للرواية واضح من العنوان الذي اختاره الكاتب لها. فقد صاغ (ديكنز) عنوان الرواية من كلمتين (Oliver Twist) أولاهما مشتقة من الكلمة الفرنسية التي تعني أشجار الزيتون، رمز البركة والخير فى أساطير الشعوب القديمة وفي الكتب السماوية، أو من الكلمة الألمانية التي تعني الجيش أو الحشد من الناس، والتي ترمز إلى مجموع الشعب، وأما الكلمة الثانية فهي التي تشير الى دور الصهيونيين التخريبي في الحياة البشرية، وهي فعل الأمر الذي يعني التطويق واللي والفتل وتشويه الشكل أو تشويه قسمات الوجه، كما تعني أيضاً العصر والتعذيب. فكلمتا العنوان هما فعل ومفعول به يبيّنان العمل الاضطهادى والتخريبي الذي يقوم به (فيجن)، وهذا الشخص هو رمز للإجرام والتدمير الصهيوني في الرواية. وتسبيق كلمة المفعول على كلمة الفعل في العنوان هو طريقة لفظية لزيادة إيحاءات التشويه والاعتصار والفوضى، وهي الإيحاءات التي يريد (ديكنز) أن يقرنها مع فكرة تأثير الصهيونيين على المجتمعات.

التفاعل بين الاضطهاد والجريمة:

انطباع هام عن جوهر معنى هذه الرواية التي نحن بصددها هو أن (فيجن) لم يكتف بأن يفعل كلّ من الاضطهاد والجريمة فعلَه في المجتمع على انفراد، وإنما صمم سلفاً على أن يحدث بالمكر الشديد وبالتخطيط تفاعلا رهيبا بين آفة الاضطهاد وآفة الجريمة، وأيضاً بين هاتين الآفتين وآفات اجتماعية أخرى، وذلك بقصد الحصول على تركيب سُمّي فتاك، يسمم به جسم المجتمع. وهذه الوظيفة التي يؤديها (فيجن) في الرواية هي جواز سفر الصهيونيين في مسيرة الحياة الإنسانية عبر العصور، وهي هويتهم التي بينها الله، سبحانه وتعالى، في قوله، جلّ وعلا، عنهم: **«ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب الفساد»** (المائدة/٦٤).

إن أبرز أعمال الاضطهاد التي نقرأ عنها في الرواية المذكورة هو النشاط غير الانساني الهدام الذي يمارسه (فيجن)، إذ يقوم بجمع الأطفال اليتامي والفقراء، من الذكور والإناث، في بيته، الذي يتخذ منه مدرسة يجبر هؤلاء الأطفال على أن يتعلموا منه حرفة النشل والسرقة، ثم يجبرهم على أن يمارسوا هذه

...نز» تهديم الصهيونية للمجتمعات

د. نصر محمد عطواني
سوريا

الحرفة في شوارع مدينة (لندن) وبيوتها. ويبدي بعض الأطفال مقاومة لهذا التخطيط الذي يُطبّقه (فيجن) عليهم، فيخمد (فيجن) تلك المقاومة بالقهر والضرب والحبس والتجويع وبأنواع أخرى من العقاب والإرهاب، نقرأ عنها في الرواية، ونشعر نحوهم بالألم والرثاء بسبب وقوعها عليهم. فأما الأطفال الذين يصرّون على رفض التحوّل الى اللصوصية فإن (فيجن) يحولهم الى جثث هامدة، وأما الذين يخضعون لسيطرته عليهم ويتحولون الى مجرمين فإنه يفقدهم روح الإنسانية ويبقيهم أجساداً من غير أرواح، كما يقول مضطهدٌ آخر في الرواية عن الفقراء، إذ يتساءل: «ما هو لزوم النفس أو الروح للفقراء؟ يكفيهم أننا نسمح لهم بأن تكون لهم أجساد حية»(١)..

إن اضطهاد (فيجن) لهؤلاء الأطفال القصّر المقطوعين عن أصولهم هو جريمة فظيعة في حدّ ذاتها، ولكن (فيجن) لا يقف عند ذلك الحدّ، لأن دوره في الرواية هو أن يكون نموذجاً للتخطيط الصهيوني العام. وهكذا فإنه يتخذ من جريمة اضطهاده للآخرين واسطة لإخراج جرائم أخرى كثيرة ومتنوعة، بقصد إفشاء وباء الفساد في المجتمع، بناء على ذلك، نرى أن مفسدة الاضطهاد في رواية «أوليفرتويست» تمتزج وتتفاعل مع مفسدة إفشاء الجريمة في المجتمع، على يد (فيجن) والمنظمات الصهيونية التي تقف من ورائه. ما أكثر الجرائم التي ترتكب ضدّ المجتمع في هذه الرواية! وكلها تنشأ عن الاضطهاد الواقع من (فيجن)، ممثل المنظمات الصهيونية السرّية على الأشخاص الذين ينفذون تلك الجرائم، لأنهم أجراء له، ولكنّ أوضح علاقة سببية بين مفسدة الاضطهاد ومفسدة الجريمة هي تلك التي تبرز في إشراك الطفل البريء (أوليفر) في جريمة السطو ليلا على بيت السيدة (ميلي) الريفي، لأن (فيجن) وكبير عملائه المنفذين لجرائم اللصوصية، (بل سايكس)،

قوم تجرأوا على قتل الأنبياء.. ماذا نرتجي منهم

أجبرا هذا الصبيّ البريء على الاشتراك فيها، عن طريق تهديده بالقتل بالرصاص إذا امتنع عن الاشتراك لأن (بل سايكس) كان بحاجة الى طفل صغير الجسم لكي يدخله من خوخة ضيقة في بوابة الدار المذكورة، لكي يفك رتاج الباب من الداخل، فيتسنى له وللص الآخر المرافق له أن يدخلا الدار ويسرقا الأشياء الثمينة منها، وذلك على الرغم من أن (أوليفر) لم يكن مهيأ ولا مستعدا للقيام بذلك العمل، نفسياً أو خلقيا أو بدنيا، وهكذا فإن ردّ فعل السيدة (ميلي) وابنتها بالتبني (روزميلي) عند مشاهدتهما (أوليفر) المريض الضني بسبب الجرح الذي نشأ عن العيار الناري الذي أصابه في معركة مطاردة اللصوص، هو البكاء إشفاقاً عليه، والتعبير عن عدم تصديقها لما كان يبدو لأعينهما في الظاهر: «ما معنى هذا الذي نراه؟ يستحيل أن يكون هذا الصبي المسكين تلميذا للصوص»، بالإضافة إلى اتخاذهما قرارا بإنقاذ الصبي وبعدم توجيه تهمة الاشتراك في السرقة إليه(٢).

تشويه شخصيات الناس:

غرض رئيسي من الأغراض المتوخاة من هذا النشاط الإجرامي الإرهابي الهدّام الذي يقوم به (فيجن)، ممثل الصهيونية في الرواية،، هو الغرض الصهيوني التقليدي المعروف، وهو تشويه شخصيات كثيرة من أعضاء المجتمع، عن طريق تسميم العلاقات بين الناس، سواء منهم مرتكبو الجرائم والمتضررون بها، وعن طريق إعطاء الأجراء أدوارا تخريبية مفسدة للمجتمع، **إن الصهيونيين يحملون شهادة معروفة منذ القديم في هذا الاختصاص، وإن الأذى الذي يصيب المجتمع غير اليهودي كله من جراء هذا التصرف الصهيوني يكون في الغالب واسعاً ومهلكا. ذلك لأن الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع الذي يصاب بمرض الفساد الاجتماعي والانحلال الأخلاقي بسبب هذا التصرف الصهيوني يقعون في الارتباك السيكولوجي، وتتشوه شخصياتهم، ويفقدون الاتجاه السوي في الحياة، فينتج عن ذلك كله خراب المجتمع من القواعد..** احدى علامات تشوه الشخصيات في المجتمع الذي

مساحة للضوء

يفسده الصهيونيون بنشاطهم التخريبي هي ازدياد نسبة أفراده الفاقدين لحس المسئولية الاجتماعية، إذ يتعذر على هؤلاء أن يظلوا على صلة وثيقة بالواقع الاجتماعي الفاسد، فيعزلون أنفسهم عن هذا الواقع. وترتبط بهذه الظاهرة الاجتماعية ظاهرة أخرى، وهي ظاهرة ارتفاع نسبة الأشخاص الذين يفقدون الاهتمام بفرديتهم، والذين يفتخرون بدلا من ذلك بتقليدهم لسلوك الساقطين الفاسدين من أفراد المجتمع، ويعتزون بذُلِّ هذا التقليد. إننا نجد مثالا واضحاً على هذا النوع من الناس في رواية «أوليفرتويست» في شخص (توم تشيتلنج)، وهو أحد تلامذة مدرسة السرقات والنشل التابعة للصهيوني (فيجن). إن (تشيتلنج) يفتخر بأنه لعب القمار مع (كراكيت)، وهو لص من اللصوص الذين يعملون تحت إمرة (فيجن)، ويصرح بأن خسارته لكل نقوده في كل مرة لعب فيها مع (كراكيت) هي ثمن ضئيل لحصوله على شرف التعرف على هذا الشخص «ذي المنزلة العالية» وكان رئيس العصابة (فيجن) هو الذي وضع قدمي (تشيتلنج) على طريق التقليد في حياته منذ البداية، وعلّمه تذويب شخصيته في شخصية إنسان آخر فاسق، ولذلك فإن (فيجن) شجّع (تشيتلنج) وربت على كتفه مؤيدا إياه في اللحظة التي صرح فيها (تشيتلنج) بهذه العاطفة المنحرفة الانهزامية نحو (كراكيت).

انتشار السلبية والاستسلام للضياع:

الانطباع الذي يخرج به قارىء رواية «أوليفرتويست» عن طبيعة المجتمع الذي سمح للتخريب الصهيوني بأن يفعل فعله فيه هو أن كثيرين من أفراده يكونون عصابيين وسلبيين ومؤثرين للموت على الحياة ورافضين لعروض الذين يعرضون عليهم أن ينقذوهم من وهدة الضياع والذلّ والفوضى. إن عزم (ديكنز) على أن يبين التشويه الذي أحدثه أسلوب (فيجن) في تربية الأطفال الذين استحوذ عليهم يتضح لنا كليا من المفارقة التي رسمها في الفصل الأربعين من الرواية بين مصير

الصهاينة من أحرص الناس على الإفساد في الأرض

(روزميلي) في الحياة ومصير (نانسي)، إذ يلاحظ القارىء أن (نانسي) رفضت عرض (روزميلي) لها أن تهيىء لها سبيل الخلاص من مصيرها الأسود الذي تسبب عن إلحاق (فيجن) لها بعصابته، واعترفت لها بأنها أمضت مدة حياتها كلها بين اللصوص، ثم أضافت قولها: «منذ أن تفتحت عيناي وحواسي الأخرى على ما يجري في شوارع (لندن)، لم أتعرف على حياة أفضل من حياة اللصوص، ولم أسمع كلمات في حياتي سوى كلام اللصوص الذي يخلو من كل شفقة ولطف، أما أنت فينبغي عليك أن تشكري الله وأنت ساجدة على ركبتيك، لأنه وهبك أصدقاء اعتنوا بتربيتك، وحفظوك في طفولتك، ولأنه أعاذك من الجوع والبرد، ومن الرفث والسكر، ومن شيء آخر أشد نكراً من كل ذلك، ومن كل المنكرات التي عشتُ أنا في وسطها منذ أن كنت في المهد»(٤).

والجدير بالذكر هنا هو أن (ديكنز) اعتبر أن (نانسي) تمثل عامه أبناء الشعب الإنجليزي في معاناتها لنتائج التخريب الاجتماعي الذي يلحقه بالمجتمع (فيجن)، ممثل الصهيونية، وأنه صوّر مقدّرات (نانسي) في الرواية طبقاً لهذا القصد.

وبعد، فان رواية «أوليفرتويست» تتميز في الأدب الروائي الذي كتبه (ديكنز) بأنها تعطي صورة مفصلة لنوع النشاط التهديمي الذي قام به الصهيوني (فيجن) ضدّ المجتمع الإنجليزي، متعاوناً مع منظمات سرية صهيونية تذر بقرنها من بعض فصول الرواية، وتتميز أيضاً بأنها تصور أمراض القلوب والعقول التي عانى منها المجتمع من جرّاء تعيين (فيجن) والمنظمات المذكورة أنواعاً شريرة من النشاطات للأفراد الذين وقعوا تحت نفوذهم، لكي يقوموا بها، بدلا من النشاطات الخيرة الفاضلة، ونتيجة لهذه النشاطات الشريرة، فإن اللعنة تبتلع الناس، فتضطرب الحياة الاجتماعية، وتجف عروق الخير في الجسم الاجتماعي.

الهوامش

(١) الصفحة ٩٣ من الرواية، تفاصيل نشر الرواية هي:
Charles Dickens, Oliver Twist (Penguin Books: Harmondsworth, 1966).

(٢) الصفحات ٢٦٨ ـ ٢٧٣ من الرواية.

(٣) «أوليفرتويست» ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

(٤) «أوليفرتويست» ص ٣٦٢.

الزهرة

ترجمة: الشاعر المؤرخ
محمد بن أحمد العقيلي
جازان

زهرة كالنجم في حسن رؤاها
اشرقت يستقطب العين سناها
يمنح النفس سناها عبقا
وجمالا يفعم الروح شذاها
تبتسم ان حط عصفور على
غصنها المياس تتشكي جواها
يرقص العصفور وجدا حولها
ويحوّم فرحا يرجو رضاها
حلم الازهار في هجعتها
قبل الطل، وللشمس هواها
شوقها المحموم أن يلمسها
من شعاع الشمس ما يشفي ضناها
لا تقاضيك على احسانها
ثمنا أو تسأل الناس رضاها
مثل للرقة القصوى بها
بهجة النفس وسلوان مناها
وتغض الطرف في اغفائه
من رضا ان رشف النحل لماها
نظرة الحسناء ان قبلها
عاشق، قد شفه يوما هواها
هي كالأطفال لطفا ورضا
ونسيم الفجر يستلطف صباها
يلثم الطل ثرى أقدامها
شغفا، أو يبرح الدهر معاها
يرقب الفجر شذا مبسمها
ويعب الشوق خمراً من شذاها
ان دجي الليل عليها هجعت
هجعة سكراء لا ترجو انتباها

وشعاع النجم قد أرقه
زخم الشوق وأضناه هواها
في سهود في كمائمها اختفت
ترقب الشمس وومضا من سناها
للعصافير احتدام حولها
واقتراب وابتعاد من حماها

* * *

والنسيمات حيارى حولها
لم تشح عنها غفوا وانتباها
ان سترها الليل في دجنته
نمّ عنها، عبق النشر، وشاها
ويود البدر لو يلثمها
أو يذق من خمرة الحب لماها
حار طرفي في فراشات غدت
حوّما لا تبرح الدهر ازاها
تنتشق من عطرها أو ترتشف
من رحيق هو في العمرمناها
ارتدت من ريق النور، ومن
ألق الضوء حلاها ورواها
إنّ عمر الزهر دنيا فرح
وحبور وجمال لا يضاهى
وفيوض من عطاء وهنا
وسرور يملأ الدنيا ازدهاها

* * *

مســـاحة
للضـــوء

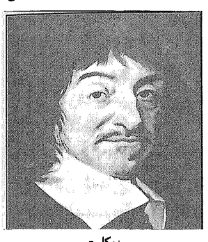
مناظرة رويامون بـ

جان بياجيه و نوم جومسكي جمعت بينهما ندوة فكرية عقدت في رويامـــون قـــرب باريس في اكتوبر ١٩٧٥. شارك في الندوة عدد كبير من اللسانيين وعلماء النفس والفلسفة إضافة الى رواد كبار في حقول علم الأعصاب وعلم الاعراق البشرية وعلم نفس الحيوان وعلم الاجناس الادراكي والذكاء الاصطناعي والرياضيات، إنقسم هؤلاء العلماء الى مؤيد ومعارض لكل من بياجيه وجومسكي وموفق بينهما.

اما لماذا بياجيه وجومسكي بالذات فيجيب هوارد غاردنر قائلا: «لو اراد مؤرخ للعلوم الادراكية في المستقبل ان يختار عدداً من الأحداث بوصفها حجر الأساس الأولي لظهور هذه العلوم، فقد يلجأ الي تساؤلات سقراط عن طبيعة المعرفة، أو قد يقترب من العصر الحديث فيختار ديكارت وهو يصرخ: «أنا أفكر إذن أنا موجود». وإن حاول هذا المؤرخ ان يبحث عن أصول الحركة الادراكية في الايام الاولى لعلم النفس التجريبي فقد يختار فلهيلم فونت وهو يفتح اول مختبر في لايبزك عام ١٨٧٩ او الفحص المجهري في فورتزبرك حوالي عام ١٩٠٠. وربما يختار هذا المؤرخ كتاب أصل الذكاء عند الأطفال لجان بياجيه ١٩٣٦، أو كتاب البنى النحوية لنوم جومسكي ١٩٥٧».

من المعروف عن بياجيه وجومسكي أنهما ليسا عالمين نفسيين بالتدريب والدراسة. بدأ بياجيه حياته بايولوجياً مهتماً بسلوك الرخويات ثم اتجه الى دراسة أصل المعرفة عند الاطفال المولودين حديثاً والمراحل التي يمر بها الطفل للوصول الى مستوى البالغين في التفكير المنطقي، وبقي بياجيه يدرس


سقراط


ديكارت

تفكير الطفل لاكثر من ستين عاما أسس خلالها حقل المعرفة الوراثية وهو حقل يبحث في اصول البنى الفكرية عند الطفل.

وبدأ جومسكي حياته طالب لغة يتعمق في التحليل الفلسفي للغة وفي الطرائق الرياضية المنطقية لدراستها، وفجر في عام ١٩٥٧ قنبلته الاولي في الحقل اللغوي البنى النحوية، التي ذكر فيها ان القواعد النحوية انما هي وصف للمعرفة الكامنة التي يستخدمها الناطق بلغة ما عندما يدرك او ينتج جملا في لغته، الأمر الذي يبين ان ثورة جومسكي في الحقل اللغوي أعنف من ثورة بياجيه في حقل علم النفس. وبينما يرى بياجيه الطفل البشري ذا عقل فعال بنّاء يتقدم ببطء في عملية مستمرة، ينظر جومسكي الى العقل البشري بوصفه مجموعة من الوحدات المبرمجة سلفاً والمهيأة لاستكمال القوانين التي لا تحتاج إلا الى الحد الأدنى من الشحذ لتعرض ما فيها من صيغ فكرية.

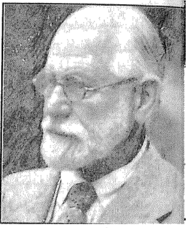
من الحقول التي تغيبت عن الندوة حقل التحليل النفسي الذي وضع فرويد أسسه وحقل علم النفس السلوكي الذي يدرس التصرفات الظاهرة والذي اشتهر فيه بافلوف وسكنر وحقل علم النفس الأكاديمي الذي يبحث في اصول التعلم والذاكرة. يبدو ان استبعاد هذه الحقول الثلاثة يرجع الى انها لا تتخذ من التعرف على طبيعة العقل البشري هدفاً رئيسيا لها.

ويمكن القول ان كلا من بياجيه وجومسكي يحاول أن يهيء أجوبة للتساؤلات التي شغلت بعض فلاسفة ما بعد النهضة مثل

ـــين جان بياجيه ونوم جومسكي

مجيد عبدالحليم الماشطة
عمان

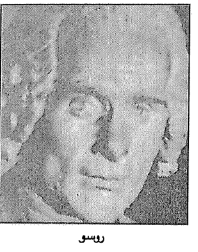
بيركلي وديكارت وهيوم ولوك وروسو وبشكل خاص كانت. **ومن الامور التي سيطرت على جو المناقشة في هذه المناظرة علاقة فهم الطفل بفهم البالغ والعلاقة بين تفكير الحيوان وتفكير الانسان وطبيعة المعرفة وعلاقة اللغة بالفكر.** السؤال الذي طغى



فرويد

على كل الاسئلة الاخرى ما اذا كانت **المعرفة موروثة** (كما يرى جومسكي) او ما إذا كانت (كما يرى التجريبيون التقليديون) **نتاج العيش** في المحيط وسلسلة من الرسائل ينقلها المحيط الاجتماعي الى دماغ خال أساساً من كل شيء، او ما إذا كانت (كما يرى بياجيه) نتاج التفاعل بين صيغ معينة مهيأة للطفل الصغير ووسط مادي. وفي اجابته عما اذا كان العقل البشري يتبلور وراثياً او حضارياً قال جاك مونو في مقابلة معه عام ١٩٧٠: **«عندما أسأل نفسي: ما الذي يجعل الانسان إنساناً؟ فمن الواضح ان للوراثة دورها وللبيئة دورها ايضا. لكن ما الحدود الوراثية للحضارة؟ وكيف نحدد المكون الوراثي للحضارة؟».**

والواقع فقد تركز الجدال حول هذا السؤال على امور تتعلق بأصل اللغة: **هل اللغة نتاج تطور تكويني عام (كما يرى بياجيه) ام انها (كما يرى جومسكي) جزء**



روسو

متخصص جداً من الوراثة البشرية ومنفصلة كلياً عن النشاطات البشرية الاخرى وهي نوع من المعرفة البشرية لا تحتاج إلا الى اطلاقها؟.

نقطة الجدل الثانية كانت تساؤلات روسو **عن العلاقة بين تفكير الطفل وتفكير الراشد:** بينما يؤمن بياجيه وجماعته بالمراحل التي يمر بها الطفل والتي يطور فيها صيغ تفكيره، يذهب زميل جومسكي جري فودر الى ان من غير الممكن اعطاء تبرير منطقي الى وجود هذه المراحل في التفكير: **«من المستحيل توليد صيغ أقوى للتفكير من صيغ أقل قوة، إذ أن جميع صيغ التمييز محددة اصلا في الولادة وتظهر عبر عملية إنضاج خلال تطورها».**

وتتعلق نقطة الجدل الثالثة بطبيعة التمثيل الفكري الذي ندرك بوساطته الاشياء والاحداث في العالم: يرى بياجيه ان قدرة المرء على تمثيل المعرفة لنفسه وللآخرين عملية تكوينية تفترض سلسلة طويلة من الاحداث التي تتعامل مع البيئة وتنتظر استكمال التطور الحسي ـ الحركي ـ عندما يبلغ الطفل عامين لكي تصبح الاحلام والصور الذهنية واللغة أمراً ممكناً في حين يرى جومسكي وجماعته ان اللغة نظام رموز يتوجب فصله وتمييزه عن صيغ التمييز الاخرى وان الطفل يولد بصيغة للتمثيل وبلغة تفكير تطعم عليها كل الصيغ الاخرى.

نقطة الجدل الاخيرة تخص عمومية التفكير والعمليات الفكرية يقول بياجيه ان التفكير مجموعة عريضة جداً من القابليات وان العمليات الذهنية المتطابقة تستند الى مواجهات المرء لحلقة عريضة من المواد والمواضيع الادراكية (الفضاء والوقت والاخلاق.) وان جذور الصيغ المتأخرة للفكر (الفعالية اللغوية مثلاً) تمتد الى صيغ أقدم (مثل قدرة الطفل على حل المشاكل الحسية ـ الحركية في عامه الاول) **اما جومسكي فيرى ان اللغة منفصلة عن صيغ**

مساحة للضوء

التفكير الاخرى وأقدم منها. انها موجودة في منطقة خاصة بها في الدماغ وتعرض الكثير من فعالياتها وعمليات انضاجها بطريقتها الخاصة. يمثل جومسكي الذهن بمجموعة أعضاء أشبه بالكبد أو القلب: لا نقول ان القلب يتعلم الخفقان بل نقول ان هذه العملية تنضج وفق جدولها الوراثي. **لهذا** فاننا ننظر الى اللغة (و«أعضاء» الذهن الاخرى مثل تلك التي تشرح بنية الرياضيات او الموسيقى) بوصفها كيانات ذهنية مبرمجة لأن تتفتح عبر الوقت.

ومع استئناس كل من بياجيه وجومسكي بما طرحه علماء الحياة والمناطقة من آراء في المناظرة فقد كانا أساساً مهتمين بانواع أخرى من الامثلة والشروح. كان بياجيه مهتماً بسلوك الاطفال وبالذات بالأخطاء التي يرتكبونها وهم يحلّون الألغاز التي يواجههم بها.

لقد وضع بياجيه وصفاً بايولوجياً دقيقاً للمراحل التي يمر الاطفال بها وللطرائق التي تترابط القابليات المختلفة بها ولكيفية تطور المعرفة. أما جومسكي فلا يجد نفسه مهتماً بالدرجة الأولى بالسلوك بل برؤية جديدة لعلم اللغة وكيفية تطبيق هذه الرؤية في العلوم الاجتماعية: **المطلوب من اللساني في رأيه ان يحدد صيغ المقدرة اللغوية من اجل الوصول الى العموميات اللغوية، على اللساني ان يضع القوانين التي تولد السلوك المقبول التي يلتزم بها الذهن البشري.** وتأسيساً على هذا المفهوم يضع جومسكي تصوره عن كيفية قيام الذهن بعملياته المختلفة. انه يؤمن ان **اللغة تتمثل في الذهن بشكل مجرد للغاية وان المرء يكتسب اللغة بسرعة هائلة مقارنة بالتعريض الضئيل لها نسبياً.**

الطفل عقلية بناءة تتقدم ببطء في عملية مستمرة

«بياجيه»

يقول جومسكي ان المعلومات الاساسية عن اللغة محددة وراثيا وان جميع لغات العالم واحدة في الأساس. **وبتوسيع هذا المفهوم، فهو يرى ان أصناف المعرفة محددة وراثياً وان دور البيئة او الحضارة ثانوي..** المشكلة في ادعاءات جومسكي انها غير قابلة للإثبات ولا للدحض.

على كل حال فقد التزم جومسكي بالمذهب الكانتي العقلاني **وخلاصته ان البيئة لا بنية لها**، أو في الأقل، لا بنية يمكن استيعابها من الكائن الحي، ان جميع قوانين النظام سواء أكانت بايولوجية أم ادراكية أم لغوية، تنبع من الداخل، وتفرض نفسها على النظام، انها لا تنبع من العالم الخارجي، الكائن الحي بالنسبة لجومسكي هنا هو الناطق النموذجي بلغة ما: لا يكفي تحديد البنية الى بنى فرعية قابلة للفحص المفصل وقابلة للتعامل المتبادل فيما بينها. **يفترض جومسكي وجود بنى موروثة ومحددة ومعقدة جداً تحت تصرف الكائن الحي**: اذا كانت للعناكب نماذج سلوكية موروثة لبناء بيوتها، فلماذا لا تكون للانسان بنى لغوية موروثة؟ ويشبه جومسكي وزميله فودر دور البيئة بمفتاح تشغيل محرك السيارة: ان مفتاح التشغيل يدير المحرك لكن بنية المفتاح لا تشبه بنية محرك الاحتراق الذاتي.

ويجهد جومسكي نفسه في الابتعاد عن الفلسفة العقلانية التقليدية ويطرح تمييزاً سبقه إليه فردناندي سوسير مع تغيير جوهري بين:

القدرة Competence

والأداء PerFormance تعني القدرة معرفة الفرد الكامنة بلغته، ويعني الأداء الاستعمال الفعلي للغة، وبما ان النحو العمومي واحد لجميع الاشخاص وجميع اللغات فهو جزء من القدرة، اما دور البيئة فهو تحديد الإتجاه (اللغة) الذي تتفتح عبره المعرفة اللغوية الكامنة.

بهذا المفهوم يبتعد جومسكي كلياً عن المذهب السلوكي الذي كان سائداً في عالم اللغة حتى الستينيات. تذهب السلوكية الى ان بالامكان وصف السلوك باستخدام مفاهيم تشير الى السلوك فقط، في حين يرى جومسكي ان الوصف الصحيح للغة يستوجب استخدام كيانات

تحتية مجردة تستمد تبريرها من النحو وليس من الفرد، والواقع فان ما جاء به جومسكي لم يكن غائباً كلياً عن الجيل الذي سبقه، اذ يمكن القول ان العالم اللغوي بلو مفيلد والعالم اللغوي النفسي أو زغد قد لمحا ببعض ما عبر عنه جومسكي بوضوح.

أما بياجيه فقد تبنى الطريقة العيادية Clinical method لكنه ابتعد في الوقت نفسه عن الاسلوب السلوكي، يقول بياجيه في مستهل المناظرة (وهو اول المتحدثين بها) **«لقد علمتنا خبرة خمسين عاماً ان المعرفة لا تتولد من مجرد الملاحظة بدون فعالية بنائية من جانب الفرد، وليست هناك أية بنى إدراكية موروثة مسبقا عند الإنسان، ان فعالية الذكاء هي الموروث الوحيد وانها تولد بنى عبّر عمليات متتالية تجرى على «الفرد»** وفي مكان آخر من المناظرة يقول بياجيه: **«أتفق مع جومسكي ان اللغة نتاج الذكاء أو الفكر وليست نتاج التعلم بالمفهوم السلوكي لهذه اللفظة، كما أتفق معه أن هذا المفهوم العقلاني لأصل اللغة يفترض وجود نواة ثابتة ضرورية لتبلور كل اللغات... غير ان فرضية الوراثة تبدو عديمة الفائدة بقدر ما يتعلق الأمر بالهدف العام وهو تأكيد استقرار البنى الادراكية واهميتها».**

ان آلية بياجيه التركيبية المركزية التي يسميها بعملية التوازن تهدف الى نقل المتعلم من حالة توازن إدراكي أقل الى حالات توازن أكبر في مجال البحث عن بنى منطقية - رياضية. وخلافاً لجومسكي الذي حدد نفسه بالجانب اللغوي فقد اهتم بياجيه بالبنى الأوسع عمومية من أجل تفسير المعرفة، كالفضاء والزمان والسببية. ويعتبر بياجيه كل الاكتساب الادراكي بما في ذلك الاكتساب اللغوي نتاجاً لتكوين متتال يبدأ بالصيغ الارتقائية لسمات الجنين البايولوجيه ويصعد الى التفكير العلمي المعاصر. يرفض بياجيه فرضية البرمجة المسبقة بالمعنى الدقيق لهذه اللفظة. **ان ما هو موروث حسب رأي بياجيه هو القدرة العامة على إعادة تجميع**

العقل البشري مجموعة من الوحدات المبرمجة سلفا للنتاجات الفكرية «جومسكي»

المستويات المتتالية لتنظيم إدراكي اكثر فاكثر تركيزاً. لهذا فهو يعتبر تمثيل ما هو خارج البيئة المباشرة قمة الذكاء الحسي الحركي.

اما العلاقة بين اللغة والفكر فلم تكن محور اهتمام بياجيه ولا جومسكي. يرى بياجيه ان اللغة حالة ضرورية ولكن غير كافية لتركيب العمليات المنطقية، فيقول: **«بدون نظام التعبير الرمزي الذي يشكل اللغة، تبقى العمليات في مرحلة أحداث متعاقبة بدون توحيدها في نظم آنيّة. وبدون اللغة تبقى العمليات فردية ولا تنتظم بالنتيجة بتبادل أو تعاون يتجاوز الفرد الواحد. بهذا المفهوم المزدوج للتكثيف الرمزي والتنظيم الاجتماعي تصبح اللغة ضرورة لبلورة الفكر، وبذلك تترابط اللغة وافكرة بدائرة تطورية حيث تستند كل منهما الى الاخرى وتغذي كل منهما الأخرى».**

ويختلف جومسكي عن بياجيه هنا في أنه يرى أن التمييز بين المكونات اللغوية وغير اللغوية للمعرفة مسألة مستحيلة وأن اللغة ليست سوى وليدة تفاعل عدة قابليات ذهنية احداها القابلية اللغوية نفسها ولا يمكن فرز حالات ملموسة يمكن القول انها نتاج القابلية اللغوية فقط، كما يختلف بياجيه عن جومسكي في انه لم يعط موضوع اكتساب اللغة الاهتمام الذي اعطاه الي حقول المعرفة الاخرى.

على كل حال، فان فريقاً كبيراً من مدرسة جنيف اي من مدرسة بياجيه قد نذر نفسه لهذه المهمة، لاحظ هذا الفريق ان الطفل لا يستوعب بنية المبني للمجهول مثلا إلا في مرحلة لاحقة. وبينما تفسر مجموعة جومسكي هذا التأخر بالتعقيد اللغوي لهذه البنية، فان مجموعة جنيف توعزه الي مصاعب ذات طبيعة إدراكية أي مصاعب في الحفاظ على المعنى بوجه عمليات تسلسل كلمات الجملة او قلب التسلسل وما الى ذلك.

وبخصوص تأثير هذين الرجلين في مجال علم اللغة النفسي فقد كان لهما دورهما الكبير في تقليم أظافر المدرسة السلوكية، وباستخدام طريقته العيادية اعتمد بياجيه مبدأ الاسلوب غير التوجيهي في التعامل بين المتحن والطفل، يحاول المتحن مستخدماً

مساحة للضوء

بعض الوسائل التي يغيرها من اختبار لآخر ان يقوم المرحلة العقلية او مستوى التطور في مرحلة معينة تميز الطفل تحت الاختبار، ويجرى هذا التقويم بطريقة تشبه تلك التي يستخدمها الطبيب عندما يقرر ما إذا كان شخص ما يشكو من مرض معين، فالطبيب عادة لا يشخص مرضاً ما بالاعتماد على عارض معين، بل يحدد قراره بعد معاينة عدة أمراض وآلية تطورها، وبالمثل، يرى بياجيه ان لا يكتفي العالم النفسي وهو يستخدم الطريقة العيادية بملاحظة جانب سلوكي واحد لتقدير المرحلة التي وصل الطفل إليها، وبهذا لن يتسبب خطأ عرضي واحد في استنتاجات فاشلة، حيث يقوم العالم النفسي بتحديد مرحلة الطفل من مجمل الاستجابات والآراء التي يعبر الطفل عنها وهو يواجه مشكلة معينة، وتمكن هذه الحصيلة من الأوليات العالم النفسي حسب رأي بياجيه من استخلاص حالة التوازن التي تميز المرحلة التي يمر الطفل بها. بهذه الطريقة **يعطي بياجيه الاولية دائماً الى ما يقوله الطفل على ما يفعله.**

وكما نجح بياجيه في إعطاء الحلول لبعض المشاكل التي كان يواجهها علم النفس قبله، فقد نجح جومسكي بشحذ علماء النفس للعمل في حقله. إن النحو التحويلي الذي يعرضه جومسكي نظرية تتناول المعرفة الكامنة للمتكلم وليس العمليات أو الآليات المتعلقة بانتاج التفوهات اللغوية أو استيعابها، المطلوب من علم النفس التثبت من مدى رجاحة هذه النظرية، وفعلا نذر علم النفس التجريبي قدراً كبيراً من جهده لفحص النظرية التحويلية.

وهكذا فبالرغم من ان كلا من بياجيه وجومسكي لم يتعاملا في

اللغة جزء متخصص من الوراثة البشرية ومنفصلة عن نشاطاتها

«جومسكي»

البداية في الأقل، مع علم النفس مباشرة، فقد أسهما في تطوير محورين يكادان يكونان أهم محورين في علم النفس حاليا: **طور بياجيه علم النفس التكويني وطور جومسكي علم اللغة النفسي.** لقد هدف علم اللغة النفسي في الأساس الى كشف ما إذا كانت القواعد التوليدية التي وضعها جومسكي تطابق الحقيقة النفسية، لقد كانت الفرضية ان المطلوب من القواعد ان تمثل العملية الادراكية التي تستخدم في فهم الجمل، اما علم النفس التطوري او التكويني فقد صب اهتمامه على فحص التسلسل الاشتقاقي للبنى الادراكية والحسية واللغوية.

لقد تأثر علم اللغة النفسي منذ السبعينيات بتيارين رئيسين: تيار اعتبار آليات الكلام مستقلة عن النحو أو القواعد وتخصيص القواعد لمسألة الاستيعاب اللغوي، وتيار علم النفس التطوري الذي يرى ان من الصعب تقديم وصف نظري دقيق للآداء اللغوي من دون تحليل الاسس التي يستند اليها انتاج الكلام، ويبدو ان التيار الاول هو الاكثر تقبلا هذه الأيام، اذ ان تركيزه على تفهم التفوهات قد سلط المزيد من الأضواء على طبيعة العمليات الادراكية، وفي تفسيره لفعالية اكتساب اللغة، فقد بلور جومسكي مفهوم جهاز اكتساب اللغة Language Acquisition Device الذي افترض وجوده في ذهن الناطق بلغة ما، والذي يشتق قواعد تلك اللغة من الحصيلة المحددة التي يتعرض الفرد لها، علماً ان الكثيرين من علماء النفس المحدثين قد شككوا بامكانية وجود مثل هذا الجهاز في ذهن الانسان مستقلا عن القدرات الادراكية الاخرى مع ذلك فان الفكرة مقبولة بصورة مبدئية حالياً لأنها قد تكون التفسير الوحيد لسرعة تعلم الطفل للغته قياساً بالفعاليات الذهنية الاخرى.. اما بالنسبة الى مدرسة جنيف، فلا يعتقد بياجيه ان اللغة شرط كاف بوحدها لاكتساب العمليات الفكرية، تقول سنكلير **ان اللغة ليست مصدراً للمنطق بل انها وليدته ويقول بياجيه ان الفعاليات الفكرية تطور القدرة اللغوية لكن العكس ليس صحيحاً،** هذا وأجهدت جماعة جومسكي نفسها خلال المناظرة

وخاصة جرى فودر لإثبات إمكانية تطور التفكير المنطقي وتطور القابلية اللغوية عبر قنوات مستقلة..

على كل حال، بينت تفاصيل المناظرة ان هناك إتفاقاً بين مدرسة جنيف والمدرسة التحويلية على ان الطفل البشري لا يولد وعقله لوحة ملساء كما كان يعتقد حتى الخمسينيات، ان الطفل الوليد قادر في الواقع على القيام ببعض الفعاليات الحسية الحركية شديدة التعقيد أحياناً. إن قدراته على تمييز الألوان وتحديد المسافات اكثر تعقيداً مما يتوقع الكثيرون، وفي مجال السمع فللوليد قدرة عالية على تحديد مصدر الصوت، كما يبدو ان الطفل يولد ومعه جهاز يتعامل مع الأصوات اللغوية بطريقة محددة الى حد ما، مع ذلك يبقى السؤال عما اذا كان هذا الجهاز خاصاً باللغة أم لا، بدون إجابة، وأيّ ما كانت التفاصيل فان هذه الاستكشافات دعمت وجهة نظر جومسكي على حساب وجهة نظر بياجيه.

الاستنتاجات:

يلتقي بياجيه وجومسكي في رفضهما للمدرسة السلوكية التي تفسر الفعاليات البشرية تفسيراً سلوكيا لا عقليا، وفي رفضهما للمذهب التجريبي الذي يجعل من المتعلم كياناً سلبياً وينظر الى البيئة بوصفها عنصراً مستقلا والى المتعلم بوصفه عنصراً معتمداً على البيئة.

يرى بياجيه ان عملية الاندماج في ظرف ما وعملية التفاعل معه عملية يستوعب الكائن النامي من خلالها اجزاء من بنية البيئة ويكيف في الوقت نفسه نظامها، بهذا يرى بياجيه ان عمليتي الاستيعاب والتكيف لا تنفصلان، يقول بياجيه: «**ان العلاقة الجوهرية التي تكون كل المعرفة ليست مجرد ربط بين الاشياء، لأن ذلك يهمل الدور الايجابي للفرد بل هي علاقة انطباق الاشياء على ما هو موجود في ذهن الفرد**» ومع كل التشدد الذي نلاحظه في موقف بياجيه ضد التجريبية والسلوكية فلا نستطيع القول انه ابتعد عنهما قدر ابتعاد جومسكي عنهما، ذلك ان

لا توجد أية بنًى ادراكية موروثة عند الانسان

«بياجيه»

جومسكي ومن خلال نقده ذائع الصيت لكتاب سكنر «السلوك اللغوي» قد هاجم التجريبية والسلوكية بعنف وبدون تحفظ ودلل على عدم صلاحيتهما لأى تفسير علمي في علم النفس والفلسفة، كما انتقد جومسكي مفهوم المنبه - الاستجابة الذي جاء به السلوكيون ومنهم واطسن وسكنر وبافلوف قائلا ان اللغة اكثر تعقيداً من أن يفسرها هذا المفهوم الساذج على حد تعبيره.. والواقع فقد انقسم غالبية علماء النفس الذين حضروا الندوة بين مؤيد لبياجيه ومؤيد لجومسكي، فيما حاولت أقلية محدودة التوفيق بينهما.

ان مقارنة عابرة لموقفي جومسكي وبياجيه في بداية المناظرة ونهايتها تبين ان بياجيه قد أصبح اكثر مرونة في نهاية المناظرة بشأن موقفه من فكرة القدرة اللغوية الموروثة، قال بياجيه في اول كلمة له «**لا توجد أية بنى ادراكية موروثة عند الإنسان.**» ثم يقول في الجزء الاخير من المناظرة «**انا أتفق مع جومسكي ان هذا التفسير العقلي للغة يفترض وجود نواة ثابتة ضرورية لبلورة كل اللغات.. لماذا إذن هذا الاختلاف بشأن مسألة وراثية النواة الثابتة؟**».

يقصد جومسكي بالنواة الثابتة الموروثة ما يسمى بالقواعد العمومية التي تتفرع منها قواعد اللغات المختلفة، وفي الوقت الذي يصر فيه جومسكي على الانطلاق من مفهوم النواة الموروثة من أجل الوصول الى مستوى علمي ارفع في الحقل اللساني، الامر الذي سيؤدي الى كشف المزيد عن هذه النواة، يرى بياجيه ان نتثبت أولا من استقرارية هذه النواة الموروثة. وحتى ان ثبتت هذه النواة فسوف يتساءل بياجيه: كيف ثبتت مباشرة؟ ألم تمر بمرحلة تأرجح.

في الختام لابد من الاقرار ان هذه المناظرة قد لخصت ما جاءت به العلوم الادراكية في القرن العشرين.

* استمدت المقالة مادتها من وقائع المناظرة المنشورة فى كتاب:

M.P.Palmarini , Language and Learning, 1980.

جائــزة ومضــات:

فاز بجائزة أحسن عمل أدبي في ومضات للعدد (٥٢٠) لشهري رجب وشعبان ١٤١٥هـ «عقيل ناجي المسكين» من سيهات المملكة العربية السعودية، عن قصيدته «أيها الرجل» وقد أرسلت له الجائزة.

الكلمة جسر المعرفة ، والخاطرة تحمل بين ثناياها الفكرة ، فنلمس بين طياتها ، الرأي ، وعلى وميض الكلمات نستقرىء ما بين السطور ٠٠ « ومضات » باب استحدثه محبو المنهل ، حول الفكرة يلتقون ، وعلى الرأي يجتمعون ، وحول الطرفة





زهير فرعون

دمشق

نحن من أشــرق فــينا نور رب العــالمين
صــدرنا شع صــفــاء قلبُنا فــاض يقــينا
من سناء الحق نروى أنفــســا ذابت حنينا
ولنا من شــرعــة الرحــمن قــرآن يقــينا(١)
لم نلج باب المخــازي والدنايا مــا حــيــينا
لا ولا ســرنا بنهج كــان للشــيطان دينا
همنا صدق وإخلا ص وتقوى الصــالحينا

* * *

قد قبسنا خير هدى من إمام المصلحينا
ونشرنا البر في الآفاق نهدى التائهينا
لمعين النور للايمان للحق دعــــيــنــا
ســائل العــالم ينبــئك بأنا المرشــدونا
سائل العــالم يخــبــرك بأنَّا المنقــذونا
من ترى قــد طبق الد نيــا علومــا وفنونا؟
من ترى قــد فتح الألــبــاب تسنا والعــيونا؟
من ترى قــد سلخ الأوهام سلخــا والظنونا؟
ومحــا بالعلم جــهــلا كــاد يطويه قــرونا؟
من ترى قــد عــمَّر الدنيــا لقــوم غــافلينا
وَسَطَ بيــداء الجــهــالات تراهم ســادرينا؟
ســائل المشــرق والمغــرب والق الأبعــدينا
تســمع العــالم في ترداد نحن المسلمــينا

* * *

صــفــوة الارحــام نحن الاقــوياء المؤمنينا
قــد عــدلنا فــقــسطنا ورحــمنا الاضــعــفــينا
شــرعنا ســمح وبالمعــروف نمضي آمــرينا

* * *

قد مشينا فى ركاب المجد دهراً شامخينا
ورفــعنا الجــبــهــة الشــمــاء عــزا والجــبــينا
أبــدا لا نــرتــضــى ذلا وهــونــا أو نــلــيــنــا
أبدا ســـود الليـــالي لن ترانا وآهــنــينا
كــيف يرضى بأسنا الجــبــار فــينا أن يلينا
وبفــضل الله والاســلام كنا الأفــضلينا

* * *

حــقب مــرت بأفق الدهر غــشــتــه سنينا
يتــشــهي الامل الهــادى وضــيــئــا ومــبــينا
يتــشــهــى لو عــذارى النور أن أهدت جنينا
فــأتينا نحــمل القــرآن والخلق المتــيــنــا
نصــرع البــاطل بالحق ونمضى مــرسلينا

* * *

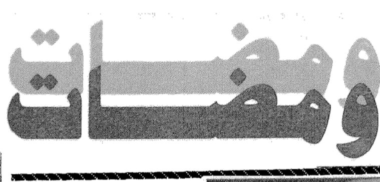
قــد نذرنا دمنا الغــالى، ومــا أذكــاه فــينا
قــد نذرناه لنعلي شــأننا دنيـــا ودينا
فــإذا نادى الجــهـــاد المرّ كنا الأولينا
كلنا الســبـــاق أن يلقى بأرض الخلد عــينا
نحن نهــوى فى ســبــيل الله أن نلقى المنونا

* * *

فــإذا رمت لحــاقــا بركــاب الخــالدينا
فــاقــتف إثر خطانا أو فــذرنا عــاملينا

* «نحن المسلمين» قصيدة تشيع فيها روح الفخر والعزة بالمسلمين وبالاسلام، وقد رصد الشاعر فيها قدراً كبيراً من مواطن تلك العزة رصداً مباشراً وإن جاءت لغتها اعتيادية٠٠ أو تقريرية فلعل طبيعة الموضوع دفعته الى ذلك.. نرحب باسهاماتك فى ومضات.

«المحــرر»



يتسامرون ، هذه «الومضات » هي منهم واليهم ، فاهلا بشداة الادب ، واهلا بالواعدين من شبابنا ، بفكرهم واقلامهم ، ونزولا عند رأيهم فإن المنهل يسعده تخصيص مكافأة رمزية لافضل عمل ينشر في هذا الباب «ومضات».

نداء من الوجدان

السيد علي أحمد الصوري
مصر

فلنجعل القرآن ملء حياتنا
لتصير آفاق الغياهب نوراً
ونرد تاريخ الهداية شامخاً
ونعود بين النيرات صقورا
قد خاب من غال الثراء حياته
واختط بين الهالكين مسيرا
سيموت حمالا لسوء فعاله
ليُدَعَّ فى ويل اللظى مدحورا

* * *

أسلافنا شقوا الطريق الى العلا
ويرون فى بذل الدماء سرورا
من هذه الصحراء ثار لهيبنا
يصلى طغاة الخافقين سعيرا
منها جنود الحق ساروا جحفلا
حمل الكتاب إلى الورى دستورا

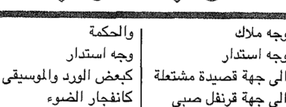
* * *

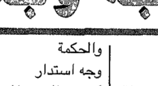
فمتى نعيد إلى الحياة ضياءنا
ونرد روض الخالدين نضيرا
ومتى نحاكى طارقاً يوم اعتلى
موج البحار إلى الجهاد عبورا؟
ومتى نحاكى خالداً إذ جاب
أصقاع العوالم فاتحا منصورا؟

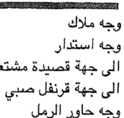
«نداء من الوجدان» محاولة تمتاز بالموضوع النابع من وجدان كاتبها.. غير أنها تفتقر الى التصوير.. بحيث جاءت لغتها.. لغة اعتيادية وليست لغة شعرية أو شاعرية.. وعلى كل فهى محاولة جيدة على الطريق ننصح بالاطلاع على عيون الشعر العربي.. ومضات تنشرها تشجيعاً..

(المحرر)









وجه ملاك
وجه استدار
الى جهة قصيدة مشتعلة
الى جهة قرنفل صبي
وجه حاور الرمل

والحكمة
وجه استدار
كبعض الورد والموسيقى
كانفجار الضوء
كسؤال الغزال

وجه ملاك
استباح كل الشروق
واللغة السرية
والأمكنة
###

قصة قصيرة جدا
من مذكرة التشرد

السنديانة:

عندما التهمت خطى الرصيف أشرعتي، وشرب الشارع صبري، سألني العسس عن مكان الإقامة، ففتشت عن وطن أخضر الروح يسألني عن قصيدة، ووقفت كالسنديانة يجثم فوق روحي عبء أسئلة لا تنتهي، وبقيت دائب البحث عن بقعة تمثلني، ولكنني تفاجأت قائلا: الأرض يا سيدي، فانهال بقدميه محاولا اخراجي مما تبقى لي من كبرياء، ولكنني بقيت محتفظا بما تبقى لى من كبرياء الأرض وأخذت أوراقي الصفراء تتساقط.

الرصيف:

بعدما وافق الرصيف أن أفتح شباكي والج عنفوانه، احتد صوته قائلا: ان الشارع لم يُبْق لي سلطتي وشموخي، فقلت بصوت التابع الذليل. يا سيدي الرصيف، الشارع لا يستطيع الاستغناء عنك فأنت كالنبع، فقال: ولكني أصبحت



مكانا يضج بالزجاجات الفارغة وأعقاب السجائر.. فخففت عنه قائلا: لا عليك يا سيدى من ذلك.. ومضيت لأبيع الزجاجات وأدخن أعقاب السجائر، وصرت صديقا وفيا للرصيف حيث أصبح يُعرّفني على أصدقائه.

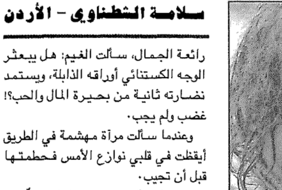
السائق:

حين استقر قلبي بسيارة فارهة لفتاة رائعة الجمال، سألت الغيم: هل يبعثر الوجه الكستنائي أوراقه الذابلة، ويستمد نضارته ثانية من بحيرة المال والحب؟! غضب ولم يجب.

وعندما سألت مرآة مهشمة في الطريق أيقظت في قلبي نوازع الأمس فحطمتها قبل أن تجيب.

وعندما سألت صديقى الكالح شدّ على يدي وقال: لا تنس صديقك.. حين التقيتها ثانية وجدت معها رجلا غريبا، فتظاهرت بالغيرة وغضبت الا انها تركتني قائلة: انه السائق يا مجنون!.

سلامة الشطناوي - الأردن

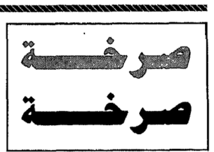


** شرائح من المشاهدات اليومية، في أسلوب الجمل الخاطفة..

الصياغة تحمل أسلوب الغرابة الجذاب .. تحتاج الى شيء من الدقة والتركيز..

(المحــرر)

صرخة صرخة



ناصر بن سرور الحوري
مكة المكرمة

هوت الجوزاء واسودّ القمر
وعلا من كان يثوى فى الحفر
منع الماء فلا يروى الشجر
قد طغى الامر فياليت عمر
كان نهر العدل بل كان البحر
اشرق الاسلام فيه وانتصر
وترانا اليوم فى امر نُكُر
ذهب الاعداء فيه بالخبر
امتي كيف نوالى من غدر
او نعاهد او نسالم من فجر
اين انتم من بهاليل نُظر
يقطعون الليل دمعاً بالسحر
وتراهم فى الوغى كرٌ وفرْ
جاهدوهم وابعثوها كالشرر
حرب حق لا نرى فيها ضرر
انصروا الله فلا يغنى الحذر
ولنا الايام فيها معتبر.

** أن يركن المسلمون للعدو مرة، فانه لا شك مستهزىء بهم، والمداراة فى كثير من الأحيان تكون سبباً مباشراً في ضياع الحقوق..

(المحرر)

محمد نجيم..
المغرب



* محاولة لاستخدام الصورة الرامزة في وضعية تحتاج لمتابعة مكثفة لمن يجيدون هذا اللون من الاداء.
(المحرر)

ويأتي الفجر في كفيك

وأعلم أنني أرتادُ حرباً خاسره
وأن سفائني ·· دون الوصول إلى مرافئك الوضيئة
مدَّت الأهوالُ نصل السيف ·· تُعولُ ألفُ ريح كاسره
واعلم أنني ·· يا واحداً يرتاح في جفن الغيوم
أصارع الموج العتيَّ.. يزلزل التيارُ ناصيتي.. يرجُّ العظم.
يعصف بي ·· ويدفع مركبي نَوْء لنوء·· يحتويني البُرْحُ··
تسحقني الطلول الجاسره
وأعلم أن وصلك دونه وقْدُ اللظى ·· والجمرُ··
والتيهُ الخرافيُّ المسافة ·· والجراحُ الغائره
أنا وحدي أصارعُ ·· أجْهِدتْ مني القُوى
فكأنما ويلُ الطريق زلازل متناحره
رسمتُ على جبين الشمس وعداً مستحيلا
صغت في كفي البشارات الهنيئة ·· والحكايا الزاهره
إذا ما جاء ذكرك ·· تُعْشب الآفاق ·· يأرُجُ خاطرُ··
تخضر آلاف المنى.. تتقافز النجمات.. تخضلُّ الحروف البيض
ترمي في المدى بشقائق النعمان ·· بالفل الوريق··
بعطرها ·· متناثره
يمد الفجر جسراً من ندى النسرين ··
تأرج بالقرنفل كل أفراح الشموس··
تشف إذ ما دار طيفك في ضياء الذاكرة
أفتش في المفاوز ·· هائمَ الرؤيا
كأني الفارس الاسطورة التهبت به الأنفاسُ.
يبحثُ عن هويته ·· ومملكة أضاعَ ·· وأمنيات حائره
يموجُ على يدي الوجدُ العنيفُ ·· وهل تطالك أذرعُ الأحلام
أنتَ تحط في مَرْقَى الدراري
أنت كل المستحيل
وأنت أغنية القلوب الشاعره
أساقي التيه

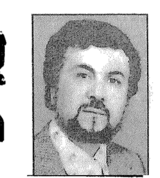
محمد سعد دياب
ينبع الصناعية

أصلّي بالمرائر في سبيل البحث عن وجه يفئ تفردا··
ويفيض ··
يترع في سكون الصخر أنغام الأصيل الساحره

* * *

وأركض ـ قُرِّحَتْ كبدي ـ على شوك القتاد المرِّ
أجْتَزِعُ الفجيعة
أحملُ الدنيا وأوصابي على كتفي ·· أروم المركب الصعبا
خيولي ·· كلُّ جارحة متيمةٌ··
وأنت هناك ياتي الفجر في كفيك
تشرق موعداً طلقا ·· رؤى ترتاح في عبق الخزامى ··
بوح لؤلؤة·· وريحُ صَبَا
وأسأل ·· كيف جئت إلى حنايا القلب مقتحماً
وكيف سكنت أوردتي ·· وحرَّكت الشجون
وكيف أصابعي انهمرت أزاهيراً··
وكيف النبض قد وثبا
تعلمت الحشاشة كيف تشهق لوعة··
وتميس أحلاما مهفهفة ··
وملء أمامها الأرجاء قد سافرن أعناباً ·· وتغريداً
وتُهْنَ صبَا
وأحلم أنْ أراك قصيدة تنثال بالسقيا كأعراس النخيل الصيِّد
أحلم ان أراك بها حقولا ضوأَّ التفاح جدولها
أشيمُ مجيئك الوضَّاح ·· علَّ ـ هنيهة ـ قد تستريح صبابة حرى
تلاقي نسمة ينداح منك أريجها رطبا

إلى شاعر



«مهداة الى الشاعر السعودي الكبير محمد حسن فقي عندما أعلن عزمه على ترك كتابة الشعر.. وقد استمع اليها في جلسة أدبية بتونس»

د. نور الدين صمود
تونس

يا شاعر الحُسن الذي هزَّني
وشاعر الحزن الذي هدني
أبعدني الشوق ولكنه
على بساط الريح قد ردني

عصيرُ أعصابٍ ، ودمعٍ ودم
وذوبُ روح ونقيع الألم
سكبتها في أحرف كالسَّنى
فانبعثت بعد البِلَي والعدم

* * *

يا ساقيَ الشَّربِ لذيذ المدام
تعصره من قلبكَ المستهام
أسْكرْتَنا، لكن بلا خمرة
ما الشعر إلا كيمياء الكلام

تُرفرف الأحرف إن مسها
يراعُك الشادي كسرب الحمام
له هديل مترع بالشجى
كصوت ناي في عميق الظلام

* * *

خيّام أهل الشعر اسكرتهم
بدون خمر تصرَعُ الشاربين
من غيبوا الإحساس في كأسها
ليهربوا من تبعات اليقين

يا ساهر الليل أما تنتهي
من سهرٍ مضنٍ لنحت الحروف؟
أتنحت الألفاظ ، أم يا ترى
تسيِّر الروح بدرب الحتوف؟!

* * *

لا تسكرُ النفسُ التي قد سمت
ببنْت كرْمٍ، بل بأحلى قصيد
ما الشعر إلا خمرة عُتِّقت
منذ امرىء القيس وعهد لبيد

تعصرها شهداً لأحبابها
ليشربوها في قصيد جديد
وقد حسبنا ذاك درب الفنا
لكنه عندك دربُ الخلود!

* * *





«مهداة الى الصديق الشاعر التونسي الرقيق نور الدين صمود رداً على قصيدته الموجهة لي..»

للشاعر / محمد حسن فقي
جدة

أيقظتَ في قلبي الرؤى الهاجعاتْ
تحت ركام من شتيت السنين
في بعضها كنت صريع الأسى
لولا بقايا نبضات الحنين
وبعضها كنت أحث الخُطَى
الى الذرى الشمِّ قرير الفؤاد
فأجد المجد وألقى الهوى
كلاهما يُسعدني بالمراد

* * *

فما تطلعتُ إلى غاية
أكرم من شَجْو الصبا والدَّبُور
في روضة أسكن أو غابةْ
ما دمتُ أستمنح منه الشعورْ
ما دمتُ استمنح منه الذي
يهدي الى الرُّشد، ويطوي الضلال
فشقوتي تسعدني تارة
إن كان فيها ما يداني الكمال

* * *

فلست أسقى رغم سعيي الكليل
ورغم ما راع، وما عوَّقَا
إلا إلى أن تستوي أمَّتي
في مقعد عزَّ به المرتقى

* * *

كان لها الماضي .. ونالت به
أوسمة الحرب .. وجدوى السلام
فما الذي يمنع من حاضر
ومن غَدٍ يدفعها للأمام؟!

* * *

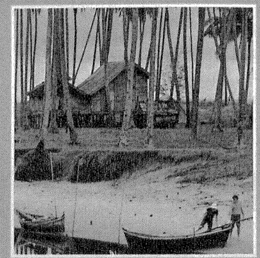
يا ليتها تنبذ هذا الوَنَى
يا ليتها تنبذ هذا الخصام!
هما اللذان انخفضا بالذُّرى
هما اللذان استهترا بالذِّمام
يا صاحبي ما أوجع الذكريات
حينا .. وحيناً ما أحيلاها..!
أيقظتها بعد عميق السُّبات
فانبعثت نشوى بنجواها

٨٢

اقرأ في هذا العدد
من مجلة..

السائح

معلولا.. مدينة الأساطير والكهوف

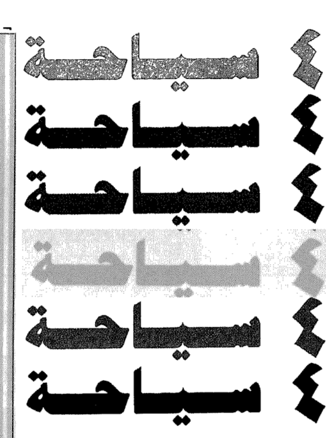




ماليزيا.. ساحرة الشرق

عجائب وغرائب العالم في «٤» سياحة

،، في البلدان والعمران.. في التقاليد والأعراف، في تقاطع وجوه الناس، السائح يستقرىء الملامح ويرسم اللوحة،،



التنين الأسـ

من يغوص في أعماق البشر يرى عجباً .. أساطير قديمة، قدم الانسان، تداولتها بعض الشعوب حتى أصبحت واحدة من أعرافها، بل واحدة من قناعاتها.. خصصت لها موسما في العام تمارس فيه ما اعتادت من طقوس، وجرى الأمر مجرى العادة.

وأقوام الشرق وشعوبه عوالم من الطقوس والأساطير.. وفي هذه الصورة، هذه الآلاف المؤلفة من البشر جاءت لتشاهد احتفالات التنين .. الاسطورة التي تمثل القوة الخارقة عندهم .. والحفل يمثل صيغة من صيغ سحر الشرق المضمخ بأعراف وتقاليد أولئك القوم.

طرب.. على الماشي



لا شيء يمنع .. حسنا .. ما دام الأمر كذلك فلا مانع ان نستمع الى شيء من الطرب من بائع الطرب المتجول هذا.. انهم يأخذون الامور ببساطة متناهية.. ما دمت تجيد نوعاً من العزف، فاطرب به المارة في الطرقات، انهم في حاجة لهذه الوجبة السريعة من الطرب (طرب على الماشي) ولا مانع ايضاً من ان يضع المارة هديتهم للمطرب في هذا الصندوق.. ويمثل ما هو عليه عالم الفن ـ من غير تعقيد ولا قيود ـ فليكن كذلك الاستماع اليه من غير تعقيد ولا قيود أيضاً.. عالم اليوم سريع الخطو، متلاحق الوقع، لا يعرف التوقف .. فلا غرابة أن تأتي هذه المعزوفة على وقع نفس الخطى.

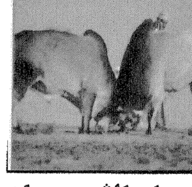


نحل وعزف

هذا العازف ، هو أحد خبراء علوم الحشرات في جامعة كاليفورنيا الامريكية ٠٠ علاقة حميمة جمعته بالنحل، حسب دراساته وبحوثه المتعلقة به.. هذا العالم قرر أن يرتدي رداء من النحل، فطلي جسمه وملابسه بمادة خاصة مستخرجة من خلية النحل ليجذب اليه آلاف النحلات..وهكذا يبدو في الهواء الطلق صورة اخري.. وبمعزوفته هذه لا ندري ان كان يسري على نفسه، أم يطرب النحل أيضا ٠٠ وهوايات البشر تنطوي على قدر من الغرائب لا ينتهي.



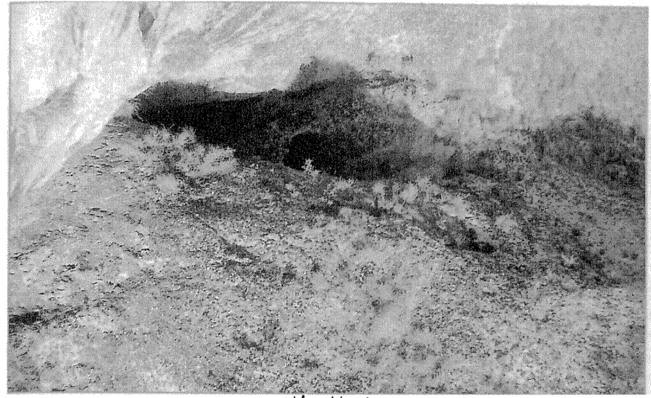




صراع الثيران

اعتاد الناس أن يروا ثوراً «هائجاً مائجاً» يعمل على النيل من مصارعه من بني البشر٠٠ هذا ما اشتهر به الاسبان٠٠ اما هنا فى احدى القرى العمانية على شاطئ الخليج فقد ارتأى الناس ان تكون المصارعة بين ثورين اثنين هائجين، يتناطحان كأن ثأراً قديماً بينهما واجب الأخذ به.

واهل القرية يجدون متعتهم في مراقبة هذا العراك.. وتأتي المهمة الصعبة فى نهاية المباراة الثأرية٠٠ «فك الاشتباك» نعم ٠٠ فك الاشتباك بين الثورين، لا احد منهما يعرف أن اللعبة قد انتهت ٠٠ وهنا يدخل المتفرجون بعصيّهم وحبالهم فى محاولة جادة لفك الاشتباك.



فج معلولا من أعلى

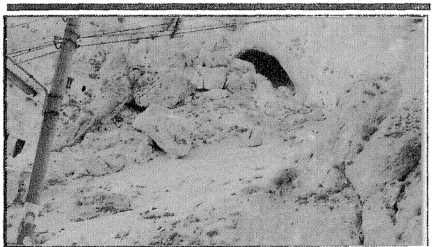


هل تدرى عزيزى القارئ أنه لازال هناك إلى الآن بعض المناطق النائية في سورية يتحدث سكانها اللغة الآرامية القديمة؟

نعم إنها معلولا والقرى الثلاث التي تجاورها (البقعة وجبعدين) وهي آخر المناطق على وجه الارض التي لازال سكانها يتحدثون اللغة الآرامية فيما بينهم ٠٠ والمعروف ان اللغة الآرامية هي اللغة التي كانت سائدة في عصر النبي عيسى عليه السلام اى قبل حوالي الفي عام من الآن كما كانت اللغة التجارية والثقافية السائدة في العالم آنذلك.

مدينة معلولا

وتعتبر معلولا من أقدم المناطق المسكونة في العالم حيث بدأت حركة العمران فيها قبل النبي عيسى عليه السلام٠٠ فقد دلت اللقى والمكتشفات الأثرية أن معلولا كانت مسكونة قبل ميلاد السيد المسيح بأكثر من ألف عام، واضافة الى ذلك هناك العديد من الآثار لازالت موجودة فيها حتى الآن.



سفح جبل معلولا

اما كلمة معلولا فهي لفظة آرامية ولفظتها الأساسية هي موعلولا ومعناها المعبر أو المدخل، وقد طغت هذه اللفظة على اسم المدينة الأساسي الذي هو سلوقيا نسبة للملك سلوقيوس الذى كان يحكم القسطنطينية في وقت من الأوقات وعندما مات وتخليدا لذكراه قام ابنه انطوخيوس الذى ورث المملكة ببناء ثلاث مدن سماها باسمه وهذه المدن هي سلوقيا الشام التي هي معلولا وسلوقيا انطاكيه التي اندثرت وسلوقيا بغداد التي لازالت آثارها موجودة حتى الآن.



فندق سفير معلولا ذو الخمسة نجوم

ـــنة الأساطير والكهوف

ممـــدوح الزوبـــي
سوريا

معلولا والغنى الفاحش

وتذكـر الوثائق التـاريخـيـة ان مـعلولا كـانت احدى أهم الحـواضـر الرومانية فقد وصل عدد سكانها في وقت من الاوقـات الى أربعـة مـلايين نسمة وكانت تحتوى على العديد من مـؤسـسـات الدولة الرومـانيـة التي لازالت آثارها مـوجـودة حـتى الآن كـالمحكمـة الرومـانيـة الموجـودة بين الجبلين وهي عبارة عن مائدة كبيرة من الصخر وحولها مقاعد صخرية يجلس عليـهـا القـضـاة والحكمـاء ويصـدرون أحكامـهم التي تنفذ فورا وخـاصــة أحكام الإعـدام، فـآثار المشنقـة الرومـانيـة لازالت مـوجـودة وهي عبارة عن كهف في رأس الجبل له فتحه سماوية يدلى منها المحكوم عليه بالإعدام بعد ربط رقبتـه بحبل ثم يرمى في البـئـر الذى حـفـر خـصـيـصـا لدفن المحكوم عليـهم بالاعدام.

ويقول الاسـتاذ جميل وهبه الذى كان دليلنا في رحلتنا الى معلولا أن المدينة تعرضت للعديد من الغزوات حيث غزاها الفرس والمغول والتتار وهدموها واقـتلعوا الدرج الرخـامي الواصل الى رأس الجبل، ويضـيف أن الحكومـة السورية رصفت مكان الدرج المذكـور وجـعلت منه طريقـا يصل الى فندق سـفـيـر معلولا الذى شيد بدوره على ذروة الجبل ليتمتع السـاكن فـيـه بمنظر الفج العـمـيق ومنظر مـعلولا الفـوقـا (القـديمه) ومنظر معلولا التحتا (الجديدة) التي بنيت على سفح الجبل فيما بعد.

واللافت للنظر كـثـرة الكهـوف المنحوته في بطن الجبل وخاصة على طرفي الفج ويقول الدكـتـور جـورج شلهـوب في هذا الصـدد أن هذه الكهـوف كانت تشكل فـيـمـا مضى نوعـا من المسـاكن المحـصنه التي يصعب على المحاربين الوصول اليها لتركزها في الزوايا المخفيه نسبيا ولضيق الفج الذي لا يتسع في بعض نقاطه لمرور فارس على فرسه ليتسع في نقـاط اخـرى لمرور قـافلة كـاملة بعتادها.

ويضـــيـف الدكــتـــور جـــورج المتـخـصص بالتـاريخ القـديم ان المعلوليين كـانوا يلجـأون الى هذه الكهـوف هربا من الجـيـوش التي كانت تغزو المدينة من زمن الى آخر حيث يبدأون بعد التحصن في هذه الكهوف بالكر والفر حتى يرغمون

العدو على التراجع.

كما تحدث الكثير من المؤرخين عن الغنى الفاحش الذى كان اهل معلولا يرفلون فيه إلا انهم لم يتمكنوا من بناء القصور أو تحصين المدينة نظرا لوقوعها على الطريق الرئيسي الواصل بين المدن السورية القديمة مما جعلها هدفا للعديد من الجيوش الغازية وبالتالي التدمير المستمر.

ويذكر الخبير الالماني الباحث أن أغنياء معلولا كانوا يأكلون بملاعق من ذهب وأوان ذهبية فيما كان فقراؤها يأكلون بملاعق وأوان فضية، وقد اكتشفت البعثات الأثرية في تلك المنطقة الكثير من الأواني الذهبية والفضية والكنوز المدفونه في ثنايا الارض.

معلولا واللغة الآرامية

ويقول المؤرخون ان سكان معلولا وجبعدين والبقعة قد تمسكوا باللغة الآرامية التي نقلت اليهم بواسطة الفتاه تقلا وهي اللغة التي كانت سائدة في ذلك العصر.

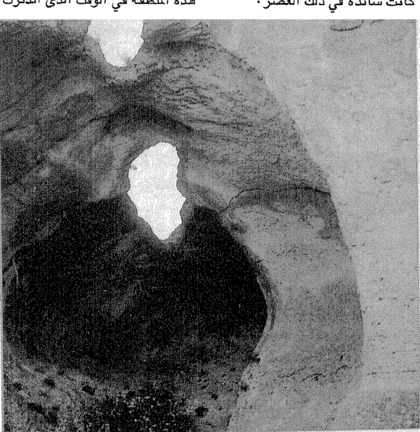
وتذكر الوثائق التاريخية انه في احدى الفترات كانت معلولا تحتوى على مكتبة عامرة بالمخطوطات الآرامية إلا أنها فقدت نتيجة حريق هائل التهم البلدة بعد نزاع بين رجال الكنيستين اليونانية والرومانية، ومنذ ذلك الحين فقدَ السكان إمكانية القراءة والكتابة باللغة الآرامية إلا أن مخطوطات اكتشفت مؤخرا مكتوبة على رق الغزال باللغة الآرامية وهي في حالة جيدة وان عالماً سويدياً يحاول من خلالها إعاده قواعد اللغة الآرامية وحروفها الى الحياة، كما يحاول من خلالها وضع قاموس للغة الآرامية.

ومع فتح المسلمين لبلاد الشام وسيطرتهم على معلولا دخلت اللغة العربية الى المدينة ليتقنها السكان دون ان ينسوا الآرامية ومنذ ذلك العهد اصبحت العربية هي لغة التعامل الرسمي والكتابات والتدوين فيما بقيت اللغة الآرامية لغة اهل هذه المنطقة في الوقت الذى اندثرت فيه تماما من جميع انحاء العالم.. لكن - وكما ذكرنا آنفا - فإن اهل المنطقة يتقنون اللغة الآرامية تحدثا فقط.

معلولا حاليا

يعتبر نمط البناء في معلولا فريدا قياسا بانماط البناء التي سادت المنطقة نظرا لوضع المدينة الخاص والتميز حيث يشبه هذا النمط عش العقاب فالبيوت مبنية بالحجر على سفح الجبل الصخرى وهي متصاعدة فوق بعضها البعض حتى يخيل للناظر انها مبنية فوق بعضها.. وقد تحدثنا مع العديد من السكان الذين يتقنون العربية بطلاقة الى جانب الآرامية حيث قالوا بأن معلولا لم تعرف الخدمات الا منذ حوالي عشرين عاما وقبل ذلك كانت تعتمد على النيران التي تشعل بشكل يومي على رؤوس الجبال اضافة الى القناديل الزيتية الموزعة على طرقاتها الضيقة والتي خصص لها السكان مجموعة منها لاشعالها عشية كل يوم.. ويقول احدهم بان اهتماماً كبيراً بمعلولا بدأ منذ ذلك الحين حيث شيد فيها فندق سياحي من الدرجة الممتازة وهو فندق (سفير معلولا) كما نشأت فيها مكاتب للسياحة والسفر والارشاد السياحي كما نشطت السياحة بشكل كبير فيها خلال الفترة الاخيرة.

بقي ان نقول ان معلولا كانت فيما مضى تعتمد على الزراعة وما تكسبه سكانها من مرور القوافل التجارية التي كانت تمر بها حيث كانت ملتقى القوافل التجارية بين مدن شمال سورية ومدن جنوبها.. وحتى الآن تعتمد معلولا على الزراعة كمصدر رئيسي لمواردها حيث تحتوى على العديد من العيون المائية التي تروى ارضها وقد دخلت السياحة مؤخرا لتصبح من الموارد العامة كذلك لسكان المدينة حيث يقصدها السياح من كل حدب وصوب.



المشنقة الرومانية



ماليزيا.. ساحرة الشرق

عبدالهادي بلاسي
جـدة

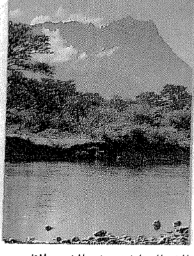
تُعد ماليزيا واحدة من أعظم بلدان العالم جمالا وسحراً .. فهي بلد تمتاز بعادات وتقاليد ومناظر طبيعية مثيرة، وتجمع بين جنباتها مجموعة من المتناقضات حيث تشاهد النمو الحضارى العمراني جنبا الى جنب مع أبسط الحياة الطبيعية.

وتضم ماليزيا خليطا عجيبا من الشعوب والسلالات. وقد ساعدت كل هذه العوامل على إعطاء ماليزيا مزيجاً منفرداً من الثقافات والعادات يندر أن يوجد مثيل لها فى أى مكان آخر من العالم.

المساحة وتعداد السكان :

تبلغ مساحة ماليزيا (٣٣٠٠٠٠ كيلو متر مربع) ويقدرون عدد سكانها الآن باثني عشر مليوناً موزعين بين المدن والقرى، ولكن عدد سكان القرى يبلغ ٧٣ بالمئة من مجموع السكان، لأن البلاد زراعية.

يتكون اتحاد ماليزيا من شبه جزيرة ماليزيا (الملايو سابقا) تنفصل عن ساروواك و(صباح) بمسافة ٦٤٠كم وهى تقع فى جنوب شرقي آسيا فوق خط الاستواء في جنوبها سنغافورة واندونيسيا وفى



الشمال تايلاند وفي الشرق الفلبين.

ويتألف اتحاد ماليزيا من ثلاث عشرة دولة هي:

«مالاكا، جوهور ، باهنغ ، بيراق ، قداق ، قلانطان ، بنانغ ، نغري سمبيلان ، برليس ، سيلانغور، ترينغانو، ساروال ، صباح».

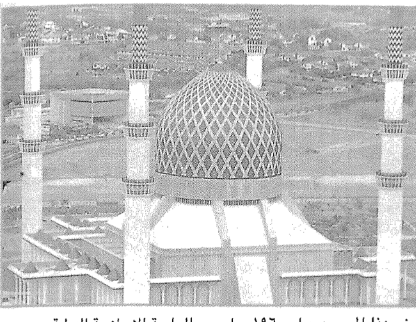
عاصمة ماليزيا القومية (كوالا لامبور):

كوالا لامبور واحة تحيط بها الخضرة والبساتين من كل مكان إضافة الى الجبال الشاهقة التي تزيدها جمالا وبهاء حيث يلتقى نهرا كيلانج وحومباك ويضفيان منظرا جميلا على المدينة.

يبلغ عمر كوالا لامبور قرناً من الزمان، يلتقى فيها الغرب والشرق في تمازج مثير، ولقد استطاعت ان تحقق توازنا دقيقا في الجمع بين

القيم التقليدية والأساليب والاتجاهات الحديثة حيث توجد المنارات والقباب والأبراج تتنافس مع فن العمارة وناطحات السحاب المهيبة.. فهذا المتحف الوطنى فى كوالا لامبور تحفة معمارية هندسية جميلة، فهو يحتوى على مجموعة من المقتنيات الأثرية النادرة تعرفنا على حضارة البلد العريق في مختلف العصور. وتتعرف من خلال الصور والمشاهد والآثار الموجودة به عن حقبة تاريخية من تاريخ الاسلام في مختلف العصور.

وهذه حديقة (البحيرة) حيث الهدوء وجمال الطبيعة الكامن في جسورها ونافوراتها وخضرتها الدائمة وينابيع مياهها.. وكل معالم الزينة.. أما المساجد الموجودة في العاصمة كوالا لامبور فهى متنوعة وكثيرة منها المسجد الوطني أو مسجد نيجارا الذى يزين قلب العاصمة - فهو منارة للثقافة الاسلامية وساحة للأنشطة الدينية - حيث يجد المسلمون جوا روحيا يتزودون منه بالاستماع الى القرآن الكريم وحضور الدروس الدينية،



وبنى هذا المسجد عام ١٩٦٠م على مساحة قدرها ثلاثة عشر فدانا ويتسع لحوالى عشرة آلاف مصل ويضم قاعات للإحتفالات والاجتماعات الدينية كما يشتمل على مكان للنساء واستراحة للزوار، أما مكتبة المسجد فتضم عشرات الكتب في فروع العلوم الاسلامية المختلفة، وتحفل كوالا لامبور بحياة ثقافية غنية حيث توجد بها المدارس والجامعات وتضم إحدى كبريات الجامعات الإسلامية في العالم «الجامعة الاسلامية الدولية».

مدينة «ملقة» أعرق مدن ماليزيا:

تعتبر مدينة (ملقة) أكبر مركز للتجارة البحرية شرقي الهند حيث كانت ترسو فيها المئات من السفن التى كانت تنقل جميع أنواع البضائع من بلدان الشرق.

وقد نشأت فيها مملكة فى القرن الخامس عشر حكمها أمير الملايو باراميسورا ثم وقعت تحت السيطرة البرتغالية فى سنة ١٥١١ واستمرت لمدة تربو على مائة عام كحصن



مسلح وميناء تجارى للبرتغاليين ثم استولى عليها الهولنديون الذين سيطروا على الميناء لمدة ١٥٠ سنة ثم تنازلوا عنها لبريطانيا مقابل مدينة بنكولن التى تقع فى سومطرة ولم يتمكن مواطنو ملقة من حكم بلادهم إلا فى سنة ١٩٥٧ عندما حصلت ماليزيا على استقلالها.

ويبدو ماضى (ملقة) واضحا فى متحفها الذى يضم مبنى هولندياً عتيقا يعود تاريخه الى ١٥٠ سنة مضت ونماذج لشوارعها الضيقة المرصوفة بالأحجار الصلبة ومعابدها القديمة ومساجدها وكنائسها بالاضافة الى بقايا القلعة البرتغالية الشهيرة - قاموزا - ومستعمرة بواسيان البرتغالية أيضا.. وتشتهر ملقة أيضا بأنها من أهم الاسواق بالنسبة للباحثين عن التحف القيمة حيث توجد فى شارع جونكر أنواع فريدة من الأسرة النحاسية والمصابيح القديمة والتحف المصنوعة من الصيني. وأهم ما يميز (ملقة) ليس تاريخها فحسب وإنما شعبها الودود ففيها عدة أجناس (صينيون ، برتغاليون) مازالوا يتحدثون باللهجة - كريساو - التى تميزهم عن غيرهم والتى يقال انها تحتفظ بنفس أصالة اللغة البرتغالية المستعملة في القرن السادس عشر.

الاسلام فى ماليزيا :

أصبح المسلمون الأكثرية في ماليزيا ، وقد تجاوز عددهم ستين بالمئة من السكان - وهم سنيون، شافعية - وكان بالامكان أن يؤلفوا الأكثرية الساحقة، لولا أن كثيرين من الصينيين والهنود والاوربيين هاجروا إلى ماليزيا - خلال عهد الاستعمار البريطاني بصورة خاصة - وبذلك أصبح الصينيون يؤلفون مجموعة يحسب لها حساب، ويقدر عددهم بثلاثين بالمئة من مجموع السكان، واما الهنود والباكستانيون فعددهم عشرة بالمئة من السكان، (وهناك أوربيون، وعددهم قليل جداً).

وتبعا لذلك ، نجد في ماليزيا من يعتنق البوذية والهندوكية والمسيحية.

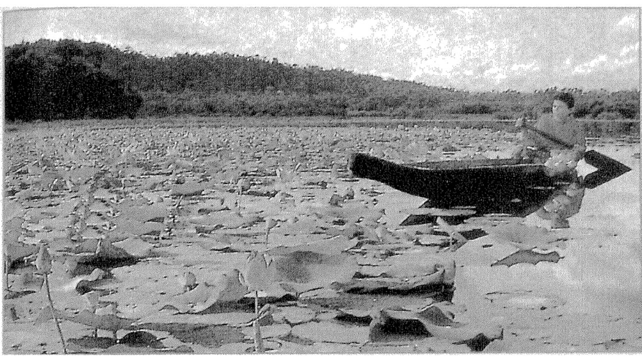
والاسلام دخل الى ماليزيا فى القرن الرابع عشر الميلادي أو قبل ذلك عن طريق التجار المسلمين الذين قدموا الى مالاكا ، وذكر فى كتاب «تاريخ الملايو» ان أول سلطان مسلم يحكم مالاكا هو «راج كجيل بسل» الذي اتخذ اسما اسلاميا بعد اعتناقه الاسلام فتسمى باسم «السلطان محمود شاه»، وبدخول السلطان محمود شاه فى الاسلام ، بدأ الاسلام يتوطد وتتقوى عروقه في ربوع ماليزيا.

أبرز صور النشاط الاسلامي في ماليزيا:

(أ) حركة الشباب الاسلامي:

تنحصر اهدافها فى العودة الى الاسلام كما انزله الله سبحانه ومواجهة المذاهب المعادية للاسلام كالعلمانية والشيوعية ومؤسسات التنصير، ومن غايات حركة الشباب الاسلامي تحقيق الحصانة الثقافية الاسلامية سواء أكان عن طريق ترجمة أمهات الكتب الاسلامية الى اللغة الماليزية أم بإلقاء المحاضرات العامة الثقافية الاسلامية للشباب والشابات علاوة على الكتب والنشرات والمجلات التى تصدرها حركة الشباب للتعريف بالاسلام. ومنها مجلة «الرسالة» لسان حركة الشباب المسلم فى ماليزيا. ومجلة «التذكرة» باللغة الملاوية لكن بحروف عربية وهى مجلة خاصة بالدعوة والأحكام الشرعية، ومجلة «البلاغ» الشهرية المختصة بالشؤون الاسلامية.

كما تقيم حركة الشباب الاسلامى



بماليزيا حلقات لتربية وتدريب الدعاة في الولايات والقرى، والاشراف على حسن القيام بالدعوة على كل المستويات، وهذا يتم طبقا لبرامج معدة مسبقا من قبل مختصين، وتستمر الدورة شهرين تقريبا على مستوى الولايات.

ولم يقتصر نشاط حركة الشباب الاسلامى على ما يقدمونه من توعية اسلامية للرجال بل تكونت فى الحركة لجنة خاصة بشؤون المرأة ترأسها محاضرة في الكلية الاسلامية في الجامعة الوطنية. وتقوم هذه اللجنة بافتتاح دورات تدريبية للداعيات على مستوى المحافظات والفروع، وندوات ثقافية تعرف بمكانة المرأة ودورها في الحياة الاسلامية، وتقدم لذلك نماذج من حياة الصحابيات وتعد دراسات في هذا المجال، كما أنها تشرف على دور الحضانة التابعة للحركة، وتقدم التربية الاسلامية للبراعم على أحدث المعطيات والوسائل التربوية.

كما تقيم ندوات التدريب على الفنون النسوية كالتطريز وتدبير المنزل، الى جانب ذلك توجد فى حركة الشباب الاسلامي الماليزي لجان متخصصة في المجالات المختلفة، (لجنة التربية والبحوث - لجنة الدعوة - العلاقات الدولية - الاعمال الخيرية - العلاقات العامة والاتصالات).

(ب) الاتحاد الوطني للطلاب المسلمين في ماليزيا:

تأسس الاتحاد في عام ١٩٦١م، وبدأ نشاطه بالأعمال الخيرية، وكان أقرب في طبيعته الى منظمة خيرية، ثم بدأ الدفاع عن القضايا الطلابية، ومواجهة التنظيمات الطلابية المعادية للاسلام، وبلغ مرحلة النضج عام ١٩٧٠م وامتد نشاطه لخارج الجامعات حتى شمل جميع المعاهد والمدارس.

(ج) الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا:

أنشئت الجامعة الاسلامية العالمية في شهر مايو ١٩٨٣م باحدى ضواحي ولاية سنجود بماليزيا للتيسير على الطلاب الماليزيين والقادمين من الأمصار الاسلامية والراغبين في دراسة العلوم والتكنولوجيا على المستوى الجامعى فى اطار من القيم الاسلامية الرفيعة في محاولة لاحياء التراث الاسلامي وتقاليد التعليم الديني وروح العلوم من القرآن الكريم.

أهداف الجامعة :

ان هذه الجامعة الاسلامية الدولية هى احدى الجامعات العالمية التي تدرس فيها العلوم الانسانية وعلوم التكنولوجيا من أساسها بالاضافة الى القيم الاسلامية المستمدة من الدستور الاسلامى وهو القرآن الكريم والحديث إن الهدف منها هو تخريج خبراء مسلمين فى جميع نواحي المعرفة لغرس المبادىء الإسلامية في حياة المجتمع.

وتهدف الجامعة الى تحقيق:

١ - استرداد كرامة المسلمين في جميع نواحى المعارف، تنفيذا لما أمر الله به من طلب العلم والسعي وراء الحقيقة، كما تحقق فيما قام به العلماء والمفكرون المسلمون في الأجيال الماضية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢ - توسيع المجالات وتيسير حرية الاختيار في التعليم العالى للراغبين من المسلمين بانشاء مؤسسة اسلامية للدراسات العليا على المستوى الذي حققته الجامعات



المشهورة في انحاء العالم.

٣ ـ النهضة بالمعارف والعلوم والمواد الاجتماعية التي ترتكز على الأفكار الاسلامية بغرض تقليل الاعتماد على الغرب في هذه الميادين.

والجامعة الاسلامية تقوم على المبادىء الاسلامية وليست قاصرة على التخصص في المواد الاسلامية فحسب وانما هي شاملة لجميع أنواع الدراسات، وانها محاولة لايجاد واحياء التقاليد الاسلامية القديمة في التعليم حيث أن طلب العلم عبادة كما أن انشاء هذه الجامعة احياء لروح العلم كما حث عليه الاسلام.

(د) الكلية الاسلامية بكلنج:

أسست الكلية الاسلامية عام ١٩٥٥م وكانت بمستوى كلية ذات دراسة عالية، وهى الكلية الاسلامية الوحيدة في ماليزيا في ذلك الوقت لتدريس المواد الاسلامية والشرعية واللغة العربية الى جانب تدريس العلوم الأخرى العصرية واللغات الأجنبية.

ثم بعد انشاء كلية الدراسات الاسلامية في الجامعة الوطنية انتقلت الكلية الاسلامية الى تلك الجامعة، وبقى المبنى لمرحلة الدراسة الثانوية والاعدادية وتأهيل الطلاب والطالبات للمرحلة الجامعية فى كلية الدراسات الاسلامية، وبقيت محتفظة بالاسم السابق، فهى الآن مدرسة ثانوية رسمية ذات سكن داخلي، والدراسة فيها تتكون من القسم العلمي والقسم الأدبي.

وتمتاز عن غيرها من المدارس الثانوية الأخرى بتدريس اللغة العربية والمواد الشرعية الى جانب العلوم العصرية، فهى بذلك تحافظ على الأصالة من جانب وتواكب التطور والمعاصرة من جانب آخر، وميزة أخرى هى أن التدريس فيها يتم بالعربية.

ولا يقتصر الخريجون من هذه المدرسة على الدراسة فى الجامعة الوطنية فى ماليزيا، وإنما يتابعون دراساتهم في الكليات الاسلامية فى العالم الاسلامي كالأزهر والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، وبعضهم الآخر يتابع دراساته فى الجامعات الأوربية والأمريكية.

وبعد:

هذه هي ماليزيا فى استعراض سريع أشبه برحلة خاطفة اكتفينا فيها بالقاء النظر على أبرز الملامح وأهم المعالم لبلد يشكل لوحة متعددة الأشكال والالوان ومواقع السحر والجمال، لوحة ألوانها تجمع فى انسجام مجموعة متنوعة من اللغات، الديانات والعادات والتقاليد والثقافات والحضارات وماليزيا كلوحة فائقة السحر والجمال تعتبر نموذجا حيا لقدرة الخالق المبدع فى إضفاء كل هذه الروعة الأخاذة على هذا البلد الذي لا يقل عن جيرانه سحرا وفتنة بل هو فى الواقع يضاهيها فى أكثر من مجال.

روى البخاري ومسلم بسنديهما .. عن أبى هريرة القصة التالية والنص من البخاري(*) «عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ «غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه، لا يتبعني رجل ملك بُضْعَ امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها. فغزا. فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: انك مأمورة وأنا مأمور، اللهم أحبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت - يعنى النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: ان فيكم غلولا، فليُبايعنى من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعنى قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها. ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا».

١ - الراوى الاعلى :

أبو هريرة: عبد الله بن صخر الدوسي بلغت مروياته ٥٣٧٤ حديثا - توفي سنة ٥٩هـ.

٢ - المحور العام للقصة:

تدور أحداث هذه القصة حول **«الاخلاص في العمل»** بالنبى الذى غزا وهو يوشع بن نون عليه السلام(١)، بدأ تجهيزه للغزو باختيار أنواع معينة من المقاتلين تجمعهم صفة واحدة هى: **الفراغ من شئون الدنيا، والاخلاص لمهمتهم الجهادية** فقد طلب من أولئك الذين يتوقع منهم الإنشغال عن الجهاد بما خلفوا وراءهم من زوجات أو أموال أو مساكن أن يتخلفوا عن الجهاد لأنهم إذا اشتركوا فلن يكونوا فارغى البال فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.. وانتصار المقاتلين على أعدائهم مرتبط باخلاصهم فى

قال الامام أبو زيد الثعالبي في تفسير هذه الآية:(٢)

«هذه المقالة قالتها أحبار اليهود مدافعة لأمر النبي ﷺ والمعنى انك لم تأتنا بقربان تأكله النار فنحن عُهد (بضم العين وكسر الهاء) الينا ألا نؤمن لك. وقوله تعالى: **«قل قد جاءكم رسل من قبلى..»** أى بالبينات وبالذى قلتم من أمر القربان والمعنى أن هذا منكم تعلل وتعنت ولو أتيتكم بقربان لتعللتم بغير ذلك.

القصة تعمق في النفس معاني الجهاد والايثار

قتالهم، وكانت علاقة ذلك - فى الأمم السابقة - أن يتقربوا الى الله بما غنموا من غنائم ولا يأخذوا منها شيئا وكانت آية قبول أى قربان يتقربون به الى الله ان تنزل نار من السماء فتأكله فيدلهم ذلك على صدق نيتهم وقبول عملهم. وقد تمسك اليهود بهذا الدليل المادى حين اشتهرت نبوة محمد ﷺ ففضحهم القرآن الكريم حيث يقول:

«الذين قالوا إن الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذى قلتم فلمَ قتلتموهم إن كنتم صادقين» (آل عمران/ ١٨٣).

فلما ظهر من عزوف النار عن حق الغنائم، تأكد نبى الله يوشع بن نون عليه السلام أن بعض رجاله قد غلوا (أى سرقوا لانفسهم شيئاً من الغنائم) وليس ذلك بغريب بالنسبة لنبى يوحى إليه، فطلب منهم أن يبايعه رجل من كل قبيلة ولعله كان يعرف أن القبيلة السارقة سينفضح أمرها عند المصافحة للمبايعة، وهذا ما حدث ، وهذا الحدث نفسه فيه دلالة على أهمية الإخلاص لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً. ولا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه الكريم، قال تعالى: **«ألا لله الدين الخالص»** (الزمر/٣) فلما تحرر القوم من ربقة الدنيا، وجاءوا بما

ـــل الغـــالص

أ.د. مصطفى رجب
كليـــة التـربيـة
جـامعـة أسيـوط
مصـر

غلوه ووضـعـوه مع الغنائم أتت النار فأكلته ليكون ذلك دليلا على تمام تطهـرهم من رجس الدنيـا، وصحة نيتهم في طلب رضا الله تعالى.

وهذا شـأن كل عـمل يعـمله الإنسان، فـانه لن ينال ثمرته إلا إذا كان منقطعاً إليه مخلصاً له، وإلا جاء عمله ناقصاً مشيناً.

٢ـ التحليل اللغوي:

أـ المفردات:

بُضْع امـرأة: البـضـع (بضم

الارادة المؤمنـــة القويـــة تدفـــع لعمـــل الخيــــر

الباء وسكون الضـاد) له مـعـان كثـيرة في اللغـة فـهو يطلق على فـرج المرأة، وعلى التزويج، وعلى الجمـاع، وأحـيـانا على الطلاق. والمقـصـود به في هذا الحـديث معنى التزوج حديثاً أى من تزوج إمرأة زواجاً قريباً أو عقد عليها ولم يدخل بها بعد فكأنها صارت ملكا له بمقتضى العقد.. ولما يَبْن بها: بنى بالمرأة أى دخل بها.

خَلِفَات : (بفـتح الخـاء وكسـر اللام) هى الحوامل من النوق.

ولادها : أى ولادتها.

أحبسها علينا: أى امنع غروبها حـتى نصل الى القـرية ـ ونبـدأ القتال.

غلول : الغلول هـو السرقـة من الغنائم.

ب ـ الاسلوب:

الظواهر اللغوية الواضحـة فى القصة:

١ ـ اسـتـخـدام الفـعل الماضى للدلالة على المستقبل: (غزا نبي) أى أراد أن يغزو.

٢ ـ اسـتـخـدام الفـعل المضـارع خالصاً للمستقبل: (ولما يبن بها) أى ولم يتم دخـوله بهـا بعـد، فـاسـتـخـدام الحـرف (لما) من عـلامـات تخـصـيص المضـارع بالمستقبل.

٣ ـ وقوله «ولا آخر اشترى غنماً أو خلفات» جاءت فيه «أو» لأحد معنيين:

ـ امـــا الشك من الراوى أى أن يكون الراوى قد شك في أن يكون الرسـول مـحـمـد ﷺ قد قـال «اشترى غنماً فهو ينتظر ولادها» أو قال «اشترى خلفات فهو ينتظر ولادها».

ـ أو أنه ﷺ قد قال الكلمتين بهذه الصيغة التى وردت في الحديث، وهنا تكون (أو) للتنويع، أى أراد النبى يوشع أن يتـخـلف كل من اشـترى غنمـاً أو اشـترى نوقـاً حوامل.

ـ «فـأو» فى اللغـة تأتى للشك وهو الأشهر كقولك جاء زيد أو عمرو أى أنك تشك فى أيهـمـا الذى حضر.

وقد تكون للتخيير بين الشيئين مـثل قـول القـائل: كل من هذا أو من هذا وقـد تكون بمعنى الواو تماماً فـتـفـيد العطف بلا خـلاف كقول الشاعر توبة الحميرى:

وقد زعمت ليلى بأنى فاجرٌ
لنفسي تقاها أو عليَّ فجورها

أى : وعلي فجورها(٣).

٤ ـ قوله **«فليبـايعنى قبيلتك»** أتى على قـاعـدة الجـواز فى تأنيث الفـعل وتذكـيـره فلو كـان قـال «فلتبـايعنى قبيلتك» لم يكن فـيه مزيد فصاحة عن قوله **«فليبايعنى قبيلتك»** لأن الفعل مـفـصـول عن فاعله بالمفعول المتقدم وهو ضمير المتكلم (اليـاء المسـبـوقـة بنون الوقاية) والقبيلة مؤنث مجازى. وحتى لو كان الفاعل مؤنثاً حقيقياً

وفصل بينه وبين الفعل بأى فاصل (كالمفعول المتقدم أو الجار والمجرور أو الظرف) فإن القاعدة هى جواز التأنيث والتذكير. وعلى ذلك جاء قوله تعالى فى خطاب نساء النبي ﷺ **«ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين»** (الاحزاب/٣١).

٥ ـ فى رواية البخارى قوله: «فجاءت ـ يعنى النار ـ لتأكلها» واضح من هذه الرواية أن الجملة الإعتراضية (يعنى النار) من كلام الراوى وليست من كلام الرسول ﷺ. وعلى ذلك فتكون النار محذوفة لدلالة المقام عليها كما فى قوله تعالى فى قصة سليمان **«ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق»** ص/٣٣) حيث يعود الضمير فى قوله ردوها على الشمس ولم يسبق لها ذكر الا فى قوله تعالى: **«حتى توارت بالحجاب»** (ص/٣٢) وضمير المؤنث المستتر فى الفعل توارت لا يعود على مذكور سابق كذلك ولكن السياق يدل على أن المقصود به الشمس. أما فى رواية مسلم فقد ورد هذا الموقف بقوله: «فأقبلت النار» وبهذه الصيغة لا لبس فيه.

٦ ـ قوله «فغزا فدنا من القرية صلاة العصر» ورد فى رواية مسلم بصيغة «فغزا فأدنى من القرية» قال النووي فى شرحه «فأدنى بهمزة قطع، قال القاضي: كذا هو في جميع النسخ فأدنى رباعى أما أن يكون تعديه لدنا أى قرب فمعناه أدنى جيوشه وجموعه للقرية. واما أن يكون أدنى بمعنى حان أى قرب فتحها من قولهم أدنت الناقه إذا حان نتاجها. ولم يقولوه فى غير الناقة(٤).

ولكن رواية البخاري أوضح وتسير على الأصل اللغوى ولا تحتاج لمثل ذلك التأويل المتكلف.

٧ ـ قوله: «ولما يبْن بها «نقل ابن حجر فى شرحه له عن الزمخشري قوله ان التعبير بلما يشعر بتوقع ذلك. أى يشعر بقرب دخوله بها.

٤ ـ التحليل البلاغي:

من الظواهر البلاغية فى هذه القصة:

١ ـ الكناية فى قوله: « بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها» وفى رواية مسلم «ولما يرفع سقفها» فجملة « ولم يرفع سقوفها» صفة للبيوت فالكناية هنا كناية عن صفة ومن المزايا التعبيرية للكناية أنها تعبر

يبنى بها» فالتعبير عن عقد القرآن بالملكية مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون فى هذا الحديث خاصة، بدليل قوله «ولما يبن بها» فاذا أطلق مثل هذا التعبير فى غير هذا الحديث جاز أن تكون علاقته الجزئية. والمقصود بالعلاقة ذلك الخيط الرفيع الذى يربط بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى. والقيمة التعبيرية للمجاز المرسل تكمن في المهارة فى تخير تلك العلاقة بحيث يأتى المجاز مصوراً للمعنى المقصود خير تصوير كما يقول البلاغيون، فاطلاق الجزء وإرادة الكل لا تخلو من مبالغة لطيفة تجعل المعنى جميلا. فالتعبير بالملكية عن العقد

إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم

عن المعنى المقصود بطرق لطيفة مقبولة فالمعنى المقصود هنا أن من يفعل ذلك مشغول بما يفعله أى مشغول بما هو فيه من بناء. ومعنى ذلك أنه لن يكون فارغ البال للجهاد، فالتعبير المباشر مثل (لا يتبعنى من كان منشغلا عن الجهاد) سيؤلم المقصود به، ولكن التعبير بالكناية يخفف وقع الحقيقة لأن الكناية في حقيقتها هى اطلاق لفظ قد يراد معناه الظاهر وقد ينصرف إلى معنى آخر.. ومن ذلك أيضاً الكناية فى قوله «ولاخر اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها».

٢ ـ المجاز المرسل فى قوله: «من ملك بضع امرأة وهو يريد أن

فيه دلالة على متانة العلاقة الزوجية، والتعبير عن المرأة بلفظ «البضع» الذى يحتمل ـ لغوياً ـ معانى كثيرة فيه بلاغة أكثر من قوله بأسلوب مباشر (من ملك امرأة) فإن فى هذا التعبير الأخير جفافاً.

٣ ـ الاستعارة فى قوله «فجاءت ـ يعنى النار لتأكلها فلم تطعمها» فقد شبه عملية الاحراق بعملية الأكل وفى هذه الاستعارة صورة تشخيصية تعطى إحساسا بأن النار ترى وتسمع وتأكل ففى المعنى تجسيد للنار وهى معنوية مما يزيد المعنى قوة فى نفوس السامعين وكأن النار ـ وهى رمز القبول السماوي ـ تدرك ما أقدموا

عليه من سرقة، فتعرض عن غنائمهم وكأنها تريد أن تشعرهم بجريمتهم المنكرة.

٤ ـ **المجاز العقلى فى قوله** للشمس «انك مأمورة وأنا مأمور» فتوجيه الخطاب إلى مالا يعقل نوع من المجاز العقلى يهدف إلى تأكيد حقيقة المعنى بأسلوب فيه انزال مالا يعقل منزلة من يعقل.

٥ ـ **الاستعارة المكنية فى قوله:** «فقال للشمس» فيها تشخيص يقرب المعنى.

٦ ـ **فى قوله:** «تأكلها فلم تطعمها» **استعارة تبعية.**

ه ـ التحليل الفني :

أ ـ الشخصيات:

تختلف هذه القصة إلى حد ما

المهمة واستبعاده لمن قد يكون أداؤه أقل من المستوى المطلوب.

الثانى: تنبهه لأهمية الوقت المناسب للقتال قرب غروب الشمس وسؤال الله تعالى أن يحبسها عليهم.

الثالث: ادراكه السريع لحدوث الخطأ عند توقف النار عن أكل الغنائم.

وخلاف هذا، فان ملامح شخصيات ثانوية تبدو من بعيد فى أولئك الذين اختلسوا بعض الغنائم وتستروا فى جماعة من قومهم شعروا منهم بالخجل وهكذا يظهر أن اعتماد القصة على «الوصف» أغنى عن الخوض فى تفاصيل الشخصيات.

من مصالح دنيوية. وهدف الحوار أيضاً: رفع معنويات الذين سيشاركون فى الجهاد واشعارهم بأنهم الصفوة المنتقاه التي اختارت الآخرة وأثرتها على الدنيا.

٢ ـ والموقف الثانى فى قوله للشمس: انك مأمورة وأنا مأمور، ثم انتقاله بالخطاب إلى الله تعالى ودعاؤه اياه أن يحبسها عليهم وهدف الحوار هنا طلب العون من الله، وشحن نفوس المقاتلين بروح معنوية عالية تستند الى يقين راسخ بوقوف الله معهم بدليل مادى ملموس لهم جميعاً وهو تأخير غروب الشمس.

٣ ـ والموقف الثالث: فى خطابه لمن لزقت يده بيده وتوجيه تهمة الغلول لقبيلته بوضوح وحسم ثم دعوة تلك القبيلة (أى الحاضرين منها) للمبايعة بالمصافحة ليتضح الذى اختلس منهم أمام الناس. وهدف هذا الحوار بيان التمسك بالحق وبراءة الانبياء من تهمة المجاملة أو السكوت على الخطأ ـ وبيان أن بعض الناس لا يجدى معهم إلا مثل هذا الأسلوب.

إجادة العمل وإحسانه ضرورة إيمانية

عن سوابقها من حيث البناء الفنى، فهى قصة سردية تعتمد على «القص» أكثر من اعتمادها على غيره. وبالتالى، فان الوصف هو العنصر الأكثر بروزا هنا. فالشخصيات لا تظهر ملامحها وانفعالاتها من خلال الحوار بقدر ما تظهر من خلال الوصف غير المباشر. وقد نستطيع إذا أنعمنا النظر فى النص أن نتصور شخصية الإنسان اليقظ للنبى يوش بن نون فهو متنبه لمهمته ويظهر اهتمامه البالغ بإنجاز مهمته، وتظهر يقظته في ثلاثة مواقف:

الأول: تدقيقه منذ البداية فى اختيار العناصر الصالحة لاداء

ب ـ الحوار :

وما دام «القص» أو الوصف هو العنصر الاكثر بروزا في القصة، فمن الطبيعى أن يتوارى الحوار اكتفاء بدلالة الوصف على الأحداث والشخصيات. والملحوظ فى القصة أن الحوار فيها من طرف واحد دائماً، فالنبى هو الذى يتحدث في الثلاثة المواقف التى ذكرتها القصة للحوار.

١ ـ فهو يحدد من الذى يشترك فى القتال، وكأنه خطاب عام موجه الى الجماهير الراغبة فى الجهاد، وهدف الحوار هنا: رفع الحرج عن تلك الفئات التى تخشى فى قرارة نفسها أن تكلف بالجهاد وهى مشغولة بما وراءها

جـ ـ الأحداث :

على الرغم من قصر هذه القصة فانها حافلة بالأحداث السريعة المتلاحقة التى تناسب سرعتها الفكرة الأساسية للقصة وهى: الغزو والجهاد. إلا أن القصة تتوقف عند حوادث بعينها تمثل محور الإرتكاز فى القصة مثل:

- **خطبة النبى قبل الغزو.**
- **حادث حبس الشمس.**
- **حادث الاختلاس.**

وتمر مروراً سريعاً على حوادث أخرى مثل: «تفاصيل المعركة ـ أسباب المعركة».

دعوة الأنبياء واحدة ومنهجهم واحد

وليس معنى اغفال القصة لهذين الحدثين أنهما غير مهمين، بل أن الهدف من اغفالهما قد يكون مفهوماً للسامعين لأن التوقف عندهما ربما يشغل النفوس عما تهدف القصة إليه من بيان تحليل الله الغنائم لأمة محمد ﷺ دون الأمم السابقة وبيان فضل الله تعالى عليهم فى ستر عيوبهم إذا ما أخطأوا.

ولا يتصور عاقل أن يكون غزو نبي من الأنبياء عدواناً وظلماً، فذلك يتنافى مع طبيعة الدعوة التى جاء بها الأنبياء جميعاً وهى دعوة التوحيد فحروبهم وغزواتهم إما أن تكون رداً لعدوان سابق وقع عليهم، أو حماية لاقليات مؤمنه مضطهده فى تلك الديار استغاثت بهم لحمايتهم أو انتقاماً من أولئك القوم لقيامهم باضطهاد الدعاة أو قتل الرسل الذين جاءوا اليهم باسم ذلك النبي.

والدليل على ذلك واضح فى القرآن من أن دعوة الأنبياء جميعاً واحدة ومنهجهم فى الدعوة والحرب والسلام منهج واحد لانه من عند الله، قال تعالى: **«شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. كبر على المشركين ما تدعوهم اليه. الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب»** (الشورى/ ١٣).

المضمون التربوي :

أولا: القيم التربوية:

أ - القيم الإيجابية التى تهدف القصة إلى غرسها:

- الجهاد بالنفس.
- بذل الجهد بأقصى طاقة عند أداء عمل.
- تفريغ القلب من المشاغل قبل بدء العمل.
- ان الله لا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه.
- توجيه الاتهام للمتهم بلا مجاملة.
- الايمان بما يجريه الله على أيدى أنبيائه من معجزات.
- لابد من التوبة لمن يخطئ.

ب - القيم السلبية التى تهدف القصة إلى استئصالها:

- الانغماس فى كسب المال على حساب أعمال الآخرة.
- الاختلاس.
- انكار التهمة بلا دليل.
- عدم رد المسروق.

ثانيا: الأهداف التربوية:

أ - فى المجال المعرفي:

١ - أن يتذكر متلقى القصة (مستمعاً كان أو قارئاً) الآيات التى تبين فضل الجهاد فى سبيل الله كقوله تعالى: **«انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»** (التوبة/ ٤١).

وقوله تعالى: **«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجر عظيم»** (التوبة/ ٢٠ - ٢٢).

٢ - أن يتذكر متلقى القصة ما جاء من الوعيد والزجر لأولئك الذين يتقاعسون عن الجهاد بغير عذر كقوله تعالى: **«يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذاباً شديداً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً. والله على كل شئ قدير»** (التوبة/ ٣٨-٣٩).

وقوله تعالى مخاطباً النبى فى شأن المنافقين الذين اعتذروا عن عدم الخروج للجهاد **«لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم. والله عليم بالمتقين * انما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر. وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين»** (التوبة/ ٤٤-٤٦).

٣ - أن يتذكر متلقى القصة ما يجب عليه من طاعة ولى الأمر حسبما وردت به النصوص الثابته كقوله تعالى: **«يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلا»** (النساء/٥٩).

وقوله تعالى: **«يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه إليه تحشرون»**

(الأنفال/٢٤).. وما رواه البخارى ومسلم من قول النبى ﷺ: **«والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين»**.

٤ ـ أن يعرف متلقى القصة أنه لن ينجح فى أداء عمل ما لم يخلص له ويفرغ قلبه من أى مشاغل تعوقه عن أدائه فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

٥ ـ أن يتذكر المتلقى أن الحق أحق أن يقال وأن يتبع دائماً فلا يُجامل فى الحق أحداً لأن هذا هو هدي الاسلام وما قبله من أديان.

ب ـ فى المجال الوجدانى:

١ ـ مشاهدة المعجزات والكرامات

٥ ـ أن يوفق ويعلم أن الله قادر على فضحه إذا كذب أو غش أو اختلس.

جـ ـ فى المجال النفسي:

١ ـ أن يتعود المتلقى قول الحق.

٢ ـ أن يبتعد المتلقى عن الإختلاس من المال العام.

٣ ـ أن يعترف المتلقى بخطئه أذا أخطأ.

٤ ـ أن يعدل إذا حكم فلا يجامل غنياً أو قوياً على حساب ضعيف أو فقير.

٥ ـ أن يسعى الى الجهاد بالنفس أو المال.

٦ ـ ألا يعتذر عن عمل إلا بعذر شرعى حقيقي.

٧ ـ أن يكون صريحاً مع قياداته

ـــد في الدعوة والحرب والسلام لأنه من عند الله

وما شابههما من أمور خارقة للعادة يختص الله بها عباده المخلصين تبعث فى نفوس الناس الإيمان الراسخ ومتلقى القصة يستشعر فيها ـ إذا تضمنت شيئاً من هذا ـ عمق إيمان السابقين فتتطلع نفسه الى أن يحذو حذوهم.

٢ ـ لابد للمؤمن من تكوين إرادة قوية تدفعه الى عمل الخير وتدفع عنه الوساوس المعوقة لعمل الخير.

٣ ـ أن يعيش متلقى القصة فى جو نفسى مشبع بروح العدالة وايثار الحق.

٤ ـ أن ينفعل المتلقى بما فى القصة من زهد فى متاع الدنيا الزائل وحب الجهاد فى سبيل الله.

مخلصاً فى طاعته ما دامت الطاعة فى أمور مشروعة.

٨ ـ أن يرجع الى التفاسير وكتب الفقه لمعرفة أحكام وتفاصيل:

ـ الجهاد: متى يكون فرض عين ومتى يكون فرض كفاية.

ـ طاعة أولى الأمر: كيفيتها وحدودها.

ـ المعجزة والكرامة والفرق بينهما.

ـ غزوات النبي محمد ﷺ وما فيها من أحداث ودروس مستفادة.

ـ أحكام توزيع الغنائم فى الشريعة الإسلامية.

الهوامش

(*) أخرجه البخارى فى كتاب فرض الخمس باب أحلت لكم الغنائم جـ٦، ص٢٢٠. وفى كتاب النكاح باب من أحب البناء قبل الغزو جـ٩ ص٢٢٣، ومسلم فى كتاب الجهاد والسير باب تحليل الغنائم لهذه الأمة جـ١٢، ص٥١ ، ٥٢ . واحمد فى المسند جـ٢ ص٣١٨.

(١) ذهب ابن حجر العسقلانى فى شرحه لهذا الحديث الى أن النبى المذكور فى القصة هو يوشع بن نون واستدل لذلك بما رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار وقد بين أيضا أن القرية المذكورة في القصة هى «أريما» وذكر طريقا اخرى مرفوعة صحيحة للحديث أخرجها الامام احمد عن طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ان الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ابن نون حين سار إلى بيت المقدس» ثم ذكر ابن حجر رواية ضعيفة تخالف ذلك ثم قال بعد تصنيفها «وحديث ابو هريرة المشار اليه عند احمد أولى، فان رجال اسناده محتج بهم فى الصحيح» راجع فتح البارى ٦/ ٢٢١.

(٢) أبو زيد الثعالبى (ت ٨٧٥هـ) تفسير الثعالبى المسمى بجواهر الحسان فى تفسير القرآن، جـ١ ، ص٣٣٧.

(٣) راجع حول معانى «أو» : ابو النصر احمد السمرقندى الحدادى (ت بعد ٤٠٠هـ) المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى. تحقيق صفوان عدنان داوودى. (بيروت ، دار العلوم ١٩٨٨) ص٥٦٥.

(٤) مسلم جـ ١٢/ ص٥٢.

أيـــن المـــــــؤرخ؟

● عـبـدالله بـن حـمـد الحقـيـل

مـن الـريـاض ومـن بـدر ومـن أحـــــد
جـئـنـا إلى النيل نبع المنهل العـذب
من الجـــزيرة مـــهــد العلم من قـــدم
من مـــولد النور والآيات والكتب
من الخليج إلى تطوان تجــمـــعـنـا
أواصــــر الدين والتـــاريخ والأدب
لله در لقـــانـا وسط عـــاصـــمـــة
سمت بها سمعة الإسلام والعرب
مـــرحى لمؤتمر قـــد زانه كـــرم
في أرضكم قد زهت بالفخر والعجب
بحـثـــا وعلمـــا وتاريخـــا ومـعـــرفـــة
بهـا سمـا سلف على ذرى الشهب
فليـعـمل الكل في عــزم وفي ثقـــة
فـالنصـر للعاملين الصيد في دأب
سـمت بكم همـة للبـحث غـايتـهـا
تلك التـواريخ صـارت مـوضع العجب
ولنسـعـد اليـوم بالتـاريخ مـدعـمـه
بالصدق والبحث في جد وعن كثب
تاريخنـا حـافل بالمجـد من قـدم
وفـيـه مـا فـيـه من عـز ومن نوب
يا إخـوة العلم يا مَنْ مِنْ حـضــارتهم
نور البـيـان بلا لغـو ولا صـخب
كم أنجـبـت أرضنـا من عـالم فطن
يطيب بالذكـر والتـاريخ والأدب
فكان مـا كـان من علم ومـعـرفـة
لأمـة العـرب ذات الفـضل والنسب
شـادوا الحـضـارة والأخـلاق سـامـقـة
ضـاعت منابرهم بالشـعـر والخطب
تبنى الحـضـارات بالأخـلاق تدعـمـهـا
وبالمكارم والتـــاريخ والغلب
إن المؤرخ في صـــدق وفي ثقـــة
هو الحـفـيظ على الأمـجـاد والكتب
كل المشـاهد تاريخ الشـعـوب يعي
فـهـو الأمين على الأخـبـار والكتب
يحـقق الله آمـال البــلاد به
والله يحـمي الحـمى للدين والحسب
الله اكـبـر في تاريخنـا عـبـر
تلكم روائعـه تسـمـو على الحـقب
وكلنا اخـوة فـيـمـا نؤصله
فـامضـوا بصدق فأنتم عـزة العرب
دام الوئام عـمـيـقـاً في تجـمـعنا
وزانه مـاهمـا بالهـاطل اللجب
يغـيـض في كل نفس من مـآثره
هذا التـعـاون بين الإخـوة النجب
يا مـعـشـر الإخـوة الأحـبـاب مـعـذرة
فـلا تلومـونني في القـول والطلب
إني لأخلص في قـولي وفي عـملي
أدعـو لقـومي بالتـوفـيق والنشب
والله يُبـقـيكم للعلم منطلقـا
وللتـواريخ في جـد وفي دأب
تحـيـة لجـمـيع الصحب مـفـعـمـة
بالشـوق والحب من نجـد الى حلب

● نظمت هذه القصيدة في حفل مؤتمر المؤرخين العرب في القاهرة بتاريخ ١٤١٥/٦/٢٥هـ

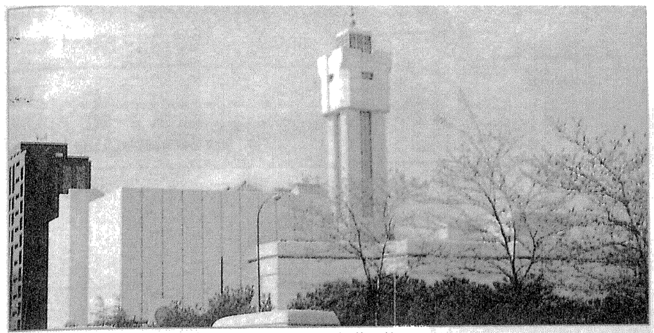
بقلم:
عبدالله بن حمد الحقيل
رئيس تحرير مجلة الدارة - الرياض

• رحلات •

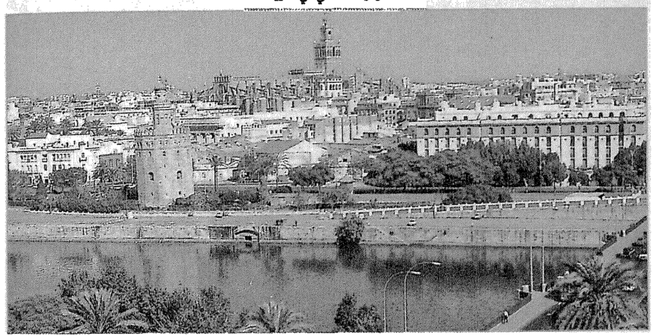


من أدب الرحلات

أدب الرحلات فنٌ متميز، ومعلم بارز من معالم الفكر والثقافة والمعرفة، يتطلب قوة وذوقا واهتماما ويطل القارىء منه على انماط مختلفة وصور من صور الحياة وأشكالها .. ولقد استأثر باهتمام كثير من طبقات المثقفين قديما وحديثا . وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ - ولقد حرصت على الاهتمام بهذا الجانب خلال دعوة تلقيتها من جامعة «سيدي محمد بن عبد الله» بمدينة فاس ذات التاريخ والمجد لحضور ندوة «ابو بكر بن العربي المعافري» التي حضرها عدد كبير من جمهرة العلماء والمفكرين - حيث تناولوا سيرة هذا العالم الذي تعددت مواهبه وتنوعت معارفه، فقد كان محدثا ومؤرخا وحافظا وشاعرا ولغويا ملأ ذكره الآفاق، وأبدع في شتى المعارف والآداب وضروب وفنون العلوم واحتل مكانة في التاريخ ومنزلة علمية بارزة ..وكانت محاور الحديث في هذه الندوة متعددة ولقد شاركت ببحث عن جانبه اللغوي والأدبي » وكان رحالة وكان لرحلاته أثر بارز في تكوين شخصيته حيث انتقل في مختلف



المركز الاسلامي في مدريد



«بلازا مايور»

الأمصار وطاف في البلدان من أجل اللقاء بالعلماء والأدباء والمحدثين .

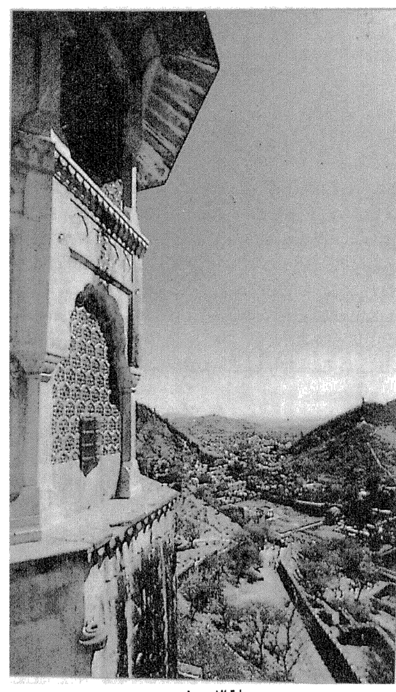
وبعد انتهاء هذه الندوة العلمية رأيتها فرصة ان أذهب الى اسبانيا وزيارة مدينة مدريد وهي مدينة سياحية متميزة لهواة الثقافة والتاريخ والآثار والفنون وذات طابع حضاري ،ويتوافد عليها اعداد كبيرة من السياح من الشرق والغرب وتمتاز بكثرة متاحفها ومعارضها المتنوعة وهي مدينة عامرة بالنشاط والحيوية ولها جذور تاريخية تعود الى آلاف السنين وكانت تسمى قديما «محريط» وهي اسم لقلعة اسلامية قام فيليب الثاني بتشييد عاصمته فيها سنة ١٥٦١م واخذت في التوسع في مختلف جوانبها وهي تقع الآن فوق هضبة شاسعة ويتركز فيها النشاط التجاري والمالي واصبحت اليوم مركزا سياحيا وتجاريا هاما في اوروبة.ولقد انتشرت فيها المصانع والمعارض والمؤتمرات الدولية والمكتبات والمباني التاريخية والقصور والشوارع والميادين الفسيحة، والساحات الكبيرة وهي لا تختلف عن مثيلاتها من العواصم والمدن الأوروبية.

ومن ابرز المعالم التاريخية القديمة «بلازا مايور» وهذه الساحة من اضخم وابرز المعالم التاريخية وتقام

فيها الاحتفالات والمهرجانات وتنتشر المقاهي على الارصفة في مختلف الأحياء - خلال التجول في هذه العاصمة ذهبت لميدان «بوابة الشمس» وتتفرع من هذا الميدان اشهر الشوارع التي تزدان بالمعارض والمتاجر ومكاتب الشركات والبنوك والسياحة - ويزور اسبانيا في كل عام اكثر من ستين مليون سائح.. وذهبنا لزيارة بعض المتاحف التي تزدان بها مدريد حيث متحف «البرادو» ويحتوى على معالم وآثار وقطع اثرية وأشياء كثيرة تعود الى القرون الوسطى وكذا اللوحات الزيتية ومنه إلى بعض الحدائق التى تضم فى جنباتها بحيرات واشجار وارفة الظلال ثم ذهبت الى المكتبة الوطنية التي تعتبر من اكبر المكتبات حيث تحتوي على اكثر من مليوني مجلد.

وبها قاعة عربية تضم آثار الحضارة الاسلامية التي كان لها دور تاريخي بارز في الأندلس وذهبت بعد ذلك لزيارة جامعة مدريد وهي من معالم المدينة وتأسست عام ١٥٠٩م وبعد ذلك رأيتها فرصة للخروج في رحلة سياحية الى بعض المنتجعات السياحية التي تستقطب السياح القادمين من مختلف انحاء العالم وبعد ذلك أخذت جولة في مدريد القديمة ومراكزها الأثرية ثم زيارة المركز الاسلامي وقد سررت بما له من دور فاعل ونشاط ثقافي وله مجلة تعنى بالموضوعات التاريخية والبحوث الاسلامية.

وبعد ذلك ذهبت الى الاسكوريال وهي تبعد عن العاصمة مدريد حوالي خمسين كيلا وهي منطقة تاريخية ومازال الأسبان يعتبرونها ويعدونها احدى عجائب العالم وبعد جولة في رحاب هذه المنطقة توجهت



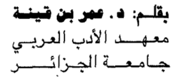
بوابة الشمس في مدريد

نحو مكتبة الاسكوريال الشهيرة التي مازالت تحتفظ بشيء من التراث الاندلسي الفكري والكتب والمخطوطات الاسلامية ويرتادها عشرات الباحثين وجمهرة من المثقفين من مختلف ارجاء العالم وبعد تجوال في المكتبة وتمضية وقت ممتع فى رحابها ومشاهدة المتحف واللوحات غادرنا هذه المنطقة الأثرية التاريخية وتذكرت وأنا اخرج من المكتبة ما قيل من أقوال عن سر اخفاء الكتب الاسلامية فى هذا الموضع لئلا تمتد اليها عيون الباحثين والقراء وطلاب العلم ورواد المعرفة حيث بقيت الكتب حبيسة فى هذا الدير واخفاء الحضارة الاسلامية عن نظر الباحثين لئلا يتسرب الاسلام من جديد في هذه الربوع كما سبق أن شع نور الفرقان والفكر الاسلامي في الجنوب فى الأندلس.

رحلات

"فن الرحلة لون أدبي، ذو طابع قصصي، فيه فائدة للمؤرخ مثل الباحث في الأدب، والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم، كما هو ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة الظروف والأوضاع، وفي اكتشاف المعالم والأقطار ووصفها، والحكم عليها وعلى المجتمع فيها حكاما ومواطنين، فهو وصف في النهاية لكل ما انطبع من ذلك وسواه في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته، وفي احتكاكه بالمحيط، يتآزر في ذلك الواقع والخيال، وأسلوب القص والحقائق العلمية التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها."

رحالو القرن التاسع عشر في النثر الجزائري الحديث


«الحلقة الأولى»



بقلم: د. عمر بن قينة
معهد الأدب العربي
جامعة الجزائر

الكاتب في سطور

أستاذ محاضر بجامعة الجزائر.
له مساهمات علمية في الاذاعة والتلفزة والصحف والمجلات.
له جمهرة من الكتب.

وقد مارس العرب الرحلة في جاهليتهم للتجارة وبحثا عن كلأ وماء، كما ورد في القرآن الكريم، وقد كبرت الحاجة الى ذلك بعد انتهاء الفتوحات الإسلامية، لمعرفة البلدان، والمسالك، والمحطات، وأحوال الناس الاقتصادية والاجتماعية وأوضاعهم الإدارية والسياسية وسواها.

وسرعان ما برزت الرحلة كفن أدبي مدون ابتداء من القرن الثالث الهجري بجهود بارزة، من بينها عمل (اليعقوبي) العباس احمد بن يعقوب المتوفى سنة ٢٨٤هـ أو ٢٩٢هـ، صاحب كتاب (البلدان) الذي عبر فيه عن شغفه بالرحلة، وتطلع لمعرفة الأوطان، وكذا معاصره (البلاذري) احمد بن يحيى المتوفى ٢٧٢هـ صاحب فتوح البلدان.

لم يلبث فن الرحلة في النثر العربي حتى شرع يعرف تطورا كبيرا، ويتكرّس كنوع أدبي في فجر النهضة العربية الاسلامية بعد انتهاء الفتوحات، فتآزرت في ذلك المادة العلمية والإطار الأدبي، فنرى (المسعودي) المتوفى سنة ٣٤٦هـ في كتابه (مروج الذهب) يقدم جهدا معتبرا، في التاريخ والجغرافية، محرضا على الأسفار،

فهو يقول في كتابه السابق ذكره **«صنفنا كتابنا في أخبار الزمان وقدمنا القول فيه في هيئة الأرض، ومدنها وعجائبها، وبحارها وأغوارها، وجبالها وأنهارها، وبدائع معادنها، وأصناف مناهلها، وأخبار غياضها، وجزائر البحار، والبحيرات الصغار، وأخبار الأبنية المعظمة، والمساكن المشرفة، وذلك شأن المبدأ وأصل النسل، وتباين الأوطان»**(١) مبرزا الأهمية الخاصة للمشاهدة المباشرة، وقد وصف الباحث (كراتشوفسكي) الرحالة (اليعقوبي وعمله بقوله **«كان أديبا قبل كل شئ، وناشرا للمعارف على منهج الجاحظ مع ميل أكثر نحو الجدية ونحو الأسلوب القصصي»**(٢).

وتتعذر ـ لطبيعة العنوان ـ ملاحقة المسيرة العامة الطويلة الشاقة المتشعبة التي قطعها هذا الفن الأدبي العربي عبر أكثر من أحد عشر قرنا حتى نصل الى محطتها في العصر الحديث حيث تحتل (الجزائر) ركنا كشأنها في سائر الفترات السابقة، وقد عرفت خطوة جديدة كانت منعرجا حقيقيا في مسار فن الرحلة العربية عند احتكاك الرحالة العرب بالحضارة الغربية الغازية، وقد تفاعل معها الرحالون العرب، وفي مقدمتهم الثنائي (رفاعة الطهطاوي) (١٢١٦ ـ ١٢٩٠هـ/ ١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) و(خير الدين التونسي): (١٢٢٥ ـ ١٣٠٨هـ/ ١٨١٠ ـ ١٨٧٣م) اللذان احتكا بالحياة الأوروبية، وافرازات الثورة الفرنسية، واقترحا الأخذ من ايجابياتها، مع الاصرار علي أن الحضارة الأوروبية غير الحضارة العربية ـ الاسلامية في النهاية، فرفضا لذلك ما تعارض والإسلام الذي يتوفر على كل معايير الحرية والمساواة.

المطبعة كان لها دورها في إثراء حركة الرحلة والرحالة

وهذا موضوع آخر تناوله باحثون كثيرون من وجهات نظر عديدة، وبمناهج مختلفة، أما موضوع الإسهام الجزائري في هذا الفن الأدبي فإن البحوث فيه لا تزال محدودة مترددة، خصوصا في القرن التاسع عشر حين نفكر في المعالجة المركزة على هذا القرن ذاته، وهو ما نحاول أن نضع فيه هذه اللبنة الصغيرة جدا، فإن أحرزت على بعض التوفيق فتلك هي الغاية، فإن خذلها ذلك فنتمني أجر الاجتهاد.

ولعل مما يلفت النظر أن فن الرحلة كأثر مكتوب في (الجزائر) شهد انحسارا في هذا القرن عن سابقه (الثامن عشر) الذي شهد نشاطاً معتبرا في المناخ الجديد الذي برزت فيه المطبعة، فنشطت حركة الطبع والنشر، وهو نشاط عكسته نماذج معتبرة، بمادتها ورجالها وقضاياها، نؤثر هنا الاكتفاء بالإشارة الى ثلاثة نماذج بارزة ودالة في الوقت نفسه، لثلاثة كُتّاب:

النموذج الأول: هو رحلة (ابن حمادوش الجزائري) المولود سنة ١١٢٠هـ/ ١٦٩٥م المسماة «لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال»(٣)، وقد باشر المؤلف كتابتها في (١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م) من دون تحديد المكان، لا في هذه البداية، ولا في تاريخ الفراغ من كتابتها (١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م) وهي رحلة محشوة أخبارا وتعاليق، ومقامات، واستطرادات مختلفة، يتضح شكل الرحلة في القسم الخاص بحديثه عن (المغرب الأقصى) فقط، الذي بدأت الرحلة اليه على ظهر سفينة فرنسية، استأجرها ثلاثة تجار جزائريين،

وكانت أول نقطة في المغرب (تطوان) «**بعد شروق الشمس خرجنا من جبل طارق .. فدخلت تطوان في أول الساعة السابعة، وصليت الظهر بها جماعة، فلقيت من علمائها الشيخ أحمد الورززي، فسلمت عليه**»(٤).

ومن هنا بدأ يسجل ملاحظاته على القطر، ابتداء من «عادة المكس بتطوان» نفسها، فتحدث عن ظروف مختلفة، وعن علماء لقيهم، وعن أوضاع وفتن شهد بعضها في (المغرب) ولكنه عاد شاكيا معاناته في (المغرب) مثل (الجزائر) قبل ذلك وبعده، حيث سجل ذلك بقوله: «**كنت تعبت في السنة الماضية في المغرب من مرض وخسارة وضيق. ولم أر قط ما رأيت فيه من ضيق العيش والخسارة، والعياذ بالله، حتى ايقنت الهلاك، فقد وجدت من الزوجة مثل ذلك، ولم أرها فرحت بقدومي لأنها أيقنت أن اكثر المال ضاع لي، فلم يبق لها غرض في**»(٥).

والرحلة إحدى الوثائق الهامة عن الحيوية الثقافية التي شهدها القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) الحافل بأسماء لامعة، في الفقه والتاريخ والأدب وسواها رغم الفقر والتدهور الاقتصادي. وإن اقتصرت أخبارها على (المغرب) و(الجزائر) وحياته بينهما من دون سواهما، من أقطار عربية وإسلامية زارها مثل (مصر) و(تركيا).

وهي مع ذلك حافلة بالمعلومات المفيدة: سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا عن القطرين، وعن حياته أيضا الصعبة فيهما: اقتصاديا واجتماعيا في كل الظروف، وهذا مما يكفر عما أثقلت به الرحلة من حشو واستطراد، وشتات أخبار وحشود معلومات لا رابط بينها في مواضع كثيرة.

«القرن التاسع عشر شهد انحساراً في حركة الرحالة عن سابقه»

لكن الأسلوب عموما ميزته السلاسة، وهو في ذلك نادر ما يخضع للسجع والمحسنات البديعية، فتأتي تراكيبه بسيطة، مباشرة، وربما مبتذلة في مواضع بسقوطها في التعبير العامي، وهو ما يلفت النظر الى ملاحظة التباين في مستويات التعبير بين أجزاء الرحلة التى استغرق تحريرها خمس سنوات في ظروف مختلفة، كانت تمر فيها شهور على الكاتب من دون كتابة جملة واحدة في الرحلة، فتأتي العبارة واضحة سلسلة مشرقة في مواضع، ضعيفة غامضة ركيكة ثقيلة في بعض المواضع الأخرى، تعاني قلقا واضطرابا بين تعبير عربي صحيح وصياغة دارجة، عمادها كلمات عامية.

يلي رحلة (ابن حمادوش) نموذج ثان هو رحلة (الورتلاني) أي (الحسين بن محمد السعيد الشريف) المولود في بلدية (بني ورتلان) بولاية (سطيف): (١١٢٥ ـ ١١٩٣هـ/ ١٧١٣ ـ ١٧٧٩م) المعروفة باسمه (الرحلة الورتلانية) وبعنوانها أيضا «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار»(٦) وصفها (ابن أبي شنب) وصفا حدد ملامحها العامة الدالة في الوقت نفسه، مادة واسلوبا، حين قال إنها: «**أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر، وأعلق تأليف اشتهر بين البوادي والحواضر، لاشتماله على عوارف المعارف، وظرائف الطرائف، وأوابد العوائد وفرائد الفوائد ونسق الأوصاف الكاملة، وحل المسائل الشائكة، تارة راتعا في رياض الفقه والحديث والتوحيد، وتارة**

واردا حياض التفسير والتاريخ والتجويد، وآونة طامحا الى التصوف والنصح والوعظ باذلا في ذلك كله غاية الجهد ، فاصلا جمانه بمرجان الحكايات الأنيقة ومرصعا وشاحه بياقوت الأشعار الرقيقة»(٧).

وإن حفلت هذه الرحلة بكلام عن تنقله الى جهات مختلفة داخل (الجزائر) من غربها (تلمسان) الى شرقها (عنابة) ومن شمالها (دلس) و(بجاية) ومدينة (الجزائر) الى جنوبها (المسيلة) و(سيدي خالد) فإن الحديث تركز عن حجه، فقد ذكر أنه قصد (تونس) للدراسة، والانطلاق منها الى الحج لكنه عاد الى وطنه، ليكون هدف الرحلة: الحج والتعلم، انطلاقا من (الجزائر) نحو «حج وجهاد وزيارة وعلم وتعلم وإفادة واستفادة»(٨)، فكانت أول رحلة له سنة (١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) أما الثانية ففي سنة (١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م) بينما كانت الرحلة الثالثة سنة (١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م) فانتهى من ذلك تدوينا أو إملاء سنة (١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م) تجسيدا لما تفرق من تقاييد، كان يجمعها، في رحلته أو رحلاته، وقد وصف طريقه وصفا مفصلا، لخص مسارها الدكتور أبو القاسم سعد الله بقوله: **«مر الورتلاني في طريقه بعد أن ودّع وداعا حارا عائليا وشعبيا بقصر الطير، حيث آلاف الحجاج من جميع الطبقات والجهات، وقصد سيدي خالد وأولاد جلال وبسكرة ومنها الى سيدي عقبة فزريبة الوادي، فزريبة حامد، ثم توزر وقابس، وبعد ذلك تابع سيره على الساحل الليبي متوقفا بطرابلس وبرقة، وقد وصف الورتلاني هذه الأماكن كما وصف**

كتابات الرحالة تدوين للحياة الثقافية والفكرية والسياسية

مصر وأهلها وعلماءها وعاداتها، ومن مصر توجه الى الجزيرة العربية وتحدث عن ساحل البحر الأحمر وعن القرى والمدن.. كما تحدث كلما اقترب من مكة عن العيون والآبار والحياة السياسية والزراعية في المناطق التي مروا بها، وبالإضافة الى ذلك تحدث عن مكة أيام موسم الحج، وعن المدينة وحياتها، وعن العلماء الذين لقيهم، وكان يرغب في الإقامة بالمدينة غير أن أهله لم يتركوه يفعل فاضطر الى العودة معهم»(٩).

والرحلة عموما من أحسن ما أنتجه القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) لا بمادتها الجغرافية والتاريخية «وطابعها الفكري والأدبي فحسب، بل لما انعكس فيها أيضا من أوضاع مختلفة في الوطن العربي: اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية كذلك إضافة الى الجانب الديني(١٠).

يضاف الى هذه وسابقتها نموذج ثالث أخير هنا، هو (رحلة محمد الكبير)(١١) (......) باي الغرب الجزائري، من تأليف كاتبه ومستشاره (أحمد بن هطال التلمساني) المتوفي سنة (١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م) وهي خير خاتمة للقرن الثاني عشر (١٨م) وفاتحة للقرن الثالث عشر (١٩م). وقد كتب ابن هطال هذه الرحلة تنفيذا لرغبة (الباي) حين نهض هذا انطلاقا من (وهران) في حملة لإخضاع مناطق في الصحراء الجزائرية الى سلطة (الداي) فتولى (ابن هطال) تقييد الحوادث، في الذهاب وفي الإياب، فيعلن من البداية أن قيمة الناس مرتبطة بطاعة الباي (محمد الكبير) وهداياهم له، فسجل يوم الشروع في هذه الرحلة العسكرية باليوم،

كما تابع مراحلها مقدرا المسافات بين المدن والقرى بالساعات مشيا على الأقدام، وكثيرا ما كان يبدو في وصفه الزحف: زحف بطش ونهب، حتى وصل (الأغواط) كهدف أساسي، فخرج اليه مشائخها وعلماؤها «وبأيديهم صحيح البخاري رضي الله عنه طالبين الأمان على أنفسهم وأهليهم، وهم مذعنون بالطاعة قابلون أن يكونوا رعية»(١٢) ثم يعود في اتجاه (عين ماضي) المشاكسة أيضا، فيتوقف قرب (تاجموت) لاستراحة جنده، وانصرافه للصيد بعض الوقت، وحين يصبح يوما مرتحلا يصل (عين ماضي) «في ثلاث ساعات» فيتحدث المؤلف عما أصاب أهلها من فزع لسابقة لهم معه، فطمأنهم، حيث قدم عليه في الوقت نفسه مبعوثو رجال (الأغواط) الذين لحقوا به لتقديم ما تعهدوا به.

وبعدما استأنف سيره وقد شرع يقترب من (معسكر) عائدا الى (وهران) بدأ المصاحبون له في حملته من القبائل ينصرفون الى مداشرهم، وقبائلهم التي صحبوه منها، كما استقبل (الباي) في كل قبيلة يحل بها بالإكرام والضيافة، فيختم الكاتب ذلك في رحلته بقوله عن صاحبه «**وقد تم له ما أراده من الأشياء، ونال المحمدة التي استحق بها الاستعلاء على الثريا، فالقت عصاها واستقر بها النوى، كما قر عينا بالإياب المسافر، وكان دخوله يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الثاني قبل وقت العصر**»(١٣).

فالرحلة أساسا سياسية عسكرية، جسدت جانبا من سياسة لا تخلو من رعونة تعتمد العنف، والارتجال في القرارات، فنقلت وقائع، وأخبارا جغرافية وتاريخية وصورت أوضاعا اجتماعية وسياسية وأدبية.

نحا الكاتب في تحريرها نحوا تقريريا جعلها أقرب الى عرض حال عن الغزوة وما صحبها من عناء: في برد، وثلج، ورعب وفزع، ورغبة وطمع، لكن ذلك لا ينفي فقرات جيدة في الوصف غالبا ما اتسمت فيها الكلمات بالطلاوة، وإن لاذ الكاتب في بعضها بالسجع، كما نرى في وصف الإحساس بالنصر على المناوئين، وقد اشتاق المصاحبون في الحملة الى العودة لذويهم قرب جبال (العمور) فباتت «الناس تتعاطى كؤوس المسرة والبشرى، وتتذاكر ان منازلها قربت من الظهراء.. حيث برزت للناس أوطانها، وذهبت لغوبها وعناؤها»(١٤).

رحلة ابن هطال تميل الى الجانب العسكري والسياسي

وهكذا نرى في الأخير (رحلة محمد الكبير) باي (الغرب الجزائري) خير مدخل لرحلات القرن الثالث عشر الهجري (١٩م) وفيه نجد نماذج اختلفت مساراتها، وتعددت مقاصدها، وتباينت مستويات التعبير فيها، كما اختلفت أهمية أصحابها الفكرية والأدبية والسياسية والاجتماعية.

فهناك الرحلة التي اتخذت وجهتها (الحجاز) لأداء فريضة الحج، فهي رحلة حجازية وهناك الرحلة التي اتخذت طابعا جغرافيا تاريخيا استطلاعيا، وهناك الرحلة التي اكتسبت طابعا سياسيا في شكلها العام.

وعند هذه العناصر نتوقف مع النماذج التي نعالجها لرحّالي القرن الثالث عشر الهجري (١٩م).

رحلات القرن التاسع عشر

اولا: الرحلة الى الحج:

نموذجنا في الرحلة الى الحج

رحلة «أبو راس» ركزت على اللقاءات العلمية والفكرية مع العلماء الذين التقى بهم

رحلة كتبها (محمد أبوراس الناصر الجزائري) بعنوان «فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته»(١٥).

عاش أبوراس (١١٥٠ - ١٢٣٨هـ/ ١٧٣٦ - ١٨٢٢م) فقيرا معدما، عاني من شظف العيش في كل مراحل حياته في صباه، وشبابه، وكهولته، ومع ذلك أنجز اعمالا كثيرة في الفقه والتاريخ والأدب والأخبار والأنساب.

ولد في ريف (معسكر بالغرب الجزائري، ثم انتقل مع أبيه الى منطقة (متيجة) و(مجاجة) حين كان يمارس هذا الأب تعليم الصبيان القرآن الكريم، ورحل بعد ذلك الى (المغرب الأقصى) صحبة أخ له، ليعود الى (معسكر) ويتخذ من احد علمائها المقتدرين (عبد القادر المشرفي) شيخا له، كما يتخذ المدينة مستقرا له ويحذو حذو أستاذه، فلم يلبث حتى غدا واحدا من أشهر علماء المنطقة بتزكية من شيخه هذا. وسرعان ما بات له اسم وطني تجاوز حدود منطقته (معسكر) خصوصا بعد حجته، الأولي (١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م) والثانية (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م) وبعد تعرفه على جهات أخرى من وطنه (الجزائر) ووطنه العربي (المغرب) و(مصر) و(الحجاز) و(الشام) و(فلسطين). ثم كتب رحلته وهو في الثمانين من عمره، أي سنة (١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م) خمس سنوات فقط قبل وفاته سنة (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م).

رغم أن الرحلة عموما في صميم السيرة الذاتية لكن بامتداد عام في كل الاتجاهات، في الصلة بالمحيط والأوضاع الاجتماعية والتاريخية وسواها، غير أن حديث الكاتب عن سيرته الذاتية المحضة غطى معظم مادة الكتاب - الرحلة، في حديثه بباب كامل (الباب الأول) عن نشأته وبيئته، فعنونه بعبارة «ابتداء أمري» ثم حديثه في باب ثان: عن شيوخه وعلومه، ومذهبه. ثم حديثه في باب رابع عن مختلف الأسئلة العلمية الدينية التي وجهت اليه، وإجاباته عنها، بينما عقد الباب الخامس للحديث الموجز عن مؤلفاته «في عدة ما ألفت بين بسيط، ووسيط ووجيز» في علوم القرآن والفقه والتاريخ والأدب وسواها.

ولم يركز الحديث في رحلته إلا بالباب الثالث معنونا إياه هكذا «في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام»(١٦).

وهو في الوقت نفسه عنوان دقيق للمسار في الرحلة والقضايا التي شغلته وما كان يجتذب اهتمامه، فيكون محور تفكيره، ومجال العلاقات العامة والخاصة في رحلته.

فالمحطة الأولى في مسار الرحلة انطلاقا من (معسكر) كانت مدينة (الجزائر) التي لقي عالمها - كما يقول - «الفقيه المسمى الشيخ القاضي المفتي السيد محمد ابن جعدون» ثم قسنطينة وهو يكتبها (قسمطينة) ويورد في شكل استطراد مدينة (وهران) ثم (فاس) بالمغرب، ثم تأتي مرحلة (تونس) قال عنها إنها: «أم البلاد ومثوى الطارق والتلاد»(١٧) بمعالمها، وجامعها الأعظم (الزيتونة) ورجالها في الثقافة والعلوم الدينية منها خصوصا. تلتها مرحلة (مصر) «ركبت البحر الى مصر البلد الذي ليس لعمر ولا لزيد، والفرا الذي في جوفه كل الصيد»(١٨) فأثنى على البلد الذي

يتسع للجميع، من كل الفئات والطبقات، والعامر برجاله في الثقافة والسياسة والأدب، ومآثره ومعالمه، مثل (الأهرام) و(جامع ابن طولون) و(الأزهر). ثم تأتي مرحلة (مكة) المكرمة «ذات المكارم والعلى والعُرى التي لا بغيرها تقاس، لأنها (أول بيت وضع للناس) درة السلك النضيد وبيت المعاني اليه القصيد»(١٩) فذكر فضلها ومآثر علمائها واجتماعه بهم وأخذه عنهم ومنها ينتقل الى المدينة المنورة التي تشرفت بهجرة النبي ﷺ فكانت «نعم المهاد، ومبعث الجيوش والسرايا، للجهاد .. ولقيت بها علماء أجلاء من كل قطر ومصر، وكثيرا ما أقبلنا على ضريحه - ﷺ - وضريحي صاحبيه: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما»(٢٠) ثم يتحدث عن انتقاله الى (الشام) ومدن في (فلسطين) آخرها مدينة (العريش) التي قال عنها «فلم أجد بها عالما آنس اليه، ويكون التعويل عليه»(٢١).

بهذه الفقرة كانت خاتمة رحلته، فتحدث عن مرحلة الذهاب من غرب (الجزائر) حتى (فلسطين) مرورا (بتونس) و(القاهرة) و(مكة) و(المدينة) وسواها.

تحدث عن المدن التي زارها أو توقف بها قليلا أو طويلا في مرحلة الذهاب ، ولم يتحدث عن مرحلة الإياب ، كما لم يتحدث بشكل متميز عند أدائه مناسك الحج، ولا شعوره أثناء ذلك، بل بقي شعور مسلم في ظرف عادي جدا، فلم يبد في تعبيره صوَرَ تَوقٍ الى البقاع المقدسة، ولا حالة وجد وهو يسعى على الثرى في الأرض الطاهرة مؤديا الفريضة أو زائرا، ربما لأنه كتب الرحلة بعد أداء الحجة الثانية بنحو سبع سنوات، مما هو كفيل

«المعالم الحضارية والجمالية للمدن العربية كان لها حضورها البيِّن في سياق الرحلة»

بهبوط درجة الانفعال في حرارة اللقاء ودفء العاطفة الدينية فجاء الحديث عن مرحلة الحجاز حديثا عاما كحديثه عن معظم المدن التي حل بها انطلاقا من (الجزائر) وانتهاء بمدينة (العريش) في (فلسطين).

وبدت صور كل المدن التي مر بها أو زارها صورا إيجابية مع اختلاف في مستوى ذلك وطبيعته، باستثناء (العريش) التي طفت في صورة سلبية من زاوية النظر لدى الرحالة الذي يغدو رجال العلم ميزة أولى لكل مدينة، فإن خلت من العلماء فقد ضاع منها أهم ما في الحسن الذي يزين المدينة.

فإن لقي في (غزة) علماء وأمراء ناظروه وأكرموه، فاعترفوا بفضله فانه في (العريش) مر مرور (البخلاء) فلم يخصها إلا بسطر وكلمتين، لأنه لم يجد فيها عالما يأنس اليه.

وهنا نقطة مهمة في شخصية الرحالة واهتماماته، فهو منذ انطلق في رحلته كان أول أمر يفكر فيه حين يحل بقطر أو مدينة هو الاتصال برجال العلم والثقافة، فلم يستهوه كثيرا ذوو سلطان ولا مال، وتكبر سعادته كل ما اكتشف مستوى علميا رفيعا لدى علماء البلد، وتعظم تلك السعادة حين يجد نفسه منتصرا في جلسات المناظرة والنقاش، مجلا العلماء الذين يقدرون أهل الفضل والعلم بعيدا عن الغرور والخيلاء والتعصب للرأي أو الشخص أو الاتجاه والمذهب فقد رحب به علماء مدينة (الجزائر) وأكرموه، كما أمعنوا في الوقت نفسه في اختبار مستواه العلمي **«تمادوا وسألوني أسئلة صعاب [كذا] عظيمة فتفاوضنا فيها مفاوضة كبيرة الى قرب**

الفجر، وإن [كذا] كلما سددت عليهم بابا فتحوا لي آخر الى أن أظهرني الله عليهم. وسألوني بأجمعهم، ورفعوا قدري وبجّلوا أمري»(٢٢).

وعندما حل «قسنطينة» وتقاطر عليه علماء المدينة وفي مقدمتهم قاضي الجماعة يومئذ «الشيخ الونيسي» وحين نزل بمدينة «تونس» على شيخها ومفتيها الذي لا شيء عليه من نصوص الفتوى بمحجوب الشيخ السيد محمد بن المحجوب ذي العلم الغزير، والرأي الأثير كنت جالسا ـ يوما ـ معه فأتاني خصمان في حضانة، فقال لمن أراد نزعها من الحضانة: اثبت عليها أنها غير مأمونة، فقلت: إن الحاضنة إذا نوزعت في سلب شرط وادعت أنها متصفة به هي تثبته، لقول الشيخ خليل (واثبتها) فرجع الى قولي، فلله دره ما أنصفه. وصار يشاورني في نوازل ترفع اليه، وبث شكري في تونس يفوق ما أستحقه»(٢٣).

وهكذا احتل الحديث عن لقائه بعلماء الأقطار العربية التي مر بها المكانة الأولى الأساسية في الرحلة، وقد بدا الرجل في ذلك مبجلا مقدرا بين علماء من ذوي النفوس الكبيرة، بعيدا عن أشباه العلماء من ضعفاء النفوس، منتصرا في مناظراته العلمية الودية الطويلة، فيعيد الحديث عن ذلك أحيانا بصيغ متشابهة، فقد كرر تقريبا بشكل ما صيغة انتصاره على علماء مدينة (الجزائر) بصدد حديثه عن لقائه بعلماء (الزيتونة) في (تونس) حين قال: **«واجتمعت مع علماء بجامعها الأعظم فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا، وتشاجرنا، وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة، والمسائل المخفية، وقد أظهرني الله عليهم في ذلك كله، ثم سألوني عن أشياء صعاب فقهية، فأجبتهم عليها بما عندي من الانقال الرائعة، من غير توقف، ولا تلعثم، وأخبروا بذلك الاعتراض والجواب الذي حارت فيه أهل الصواب ذا المجد الذي تلقى بالقبول والاستحقاق.. حمودة باشا فبعث الى بسرعة.. ولما رآني فرح بي وأجلسني واكرمني برّد الله ضريحه واسكنه من الجنان بحبوحه**(٢٤).

فن الرحلة لون أدبي ذو طابع قصصي فيه فائدة للمؤرخ مثل الباحث في الأدب

فجعلته في النهاية امكاناته العلمية ومستواه الديني مسموع الرأي مقدرا، حتى آخر محطة، كما نرى في حديثه عن علماء (الشام) وهم يناقشون معه موضوع (الحبس) أو مسألته ـ بتعبيره ـ «فطال بحثنا فيها جدا، ثم انهم رجعوا لقولي ووافقوني، وانصفوني بعد الدلائل القاطعة والأجوبة الرائقة والمباحث الفائقة، وذلك شأن العلماء، ولما أردت السفر جمعوا لي دراهم كثيرة وزادا قدر الكفاية فخرجت، وودعوني وشيعوني»(٢٥).

وقد بدا (العلماء) في كل المراحل على مستوى رفيع من سعة الأفق، والمودة النامية من الرابطة العلمية والروحية، كما بدا هو طلعة، في معرفة الرجال، وأحوال البلد الثقافية، مثلما بدت كل الأقطار العربية متكاملة يسعى فيها الرحالة كمواطن من الدرجة الأولي، موضع احترام وتقدير، لا تختلف لديه (تونس) أو (مصر) و (الحجاز) و (الشام) عن (الجزائر) فكل قطر وطنه بفعل العوامل الجامعة، تاريخا ولغة ودينا وشعورا.

ورغم أن الرحلة بدت على مستوى مقبول عموما في قالب سردي أقرب الى التقرير في معظم

الفقرات، فإنها أيضا حفلت بكثير من الأخطاء النحوية، والاستطراد، ففي الصفحة السادسة والتسعين يتحدث عن مطالعاته على مدينة (قسنطينة) قبل الشروع في مرحلتها، بالصفحة الثامنة والتسعين، وبعد الشروع في الحديث عنها يستطرد للحديث عن مدينة (وهران): **«كنت مرة قصدت (وهران) وافدا على حضرة من ناب في مدحه لسان الحال عن لسان المقال.. السيد محمد باي بن عثمان أخلص الله جهاده»(٢٦) كما يستطرد للحديث عن مدينة (فاس) في (المغرب الأقصى) فيصفها بقوله: «ورحلت الى مدينة فاس محل العلم والإيناس والتقريب والتبعيد لأناس، وهي قبة الإسلام والسلم والاستلام المقام الأعلى والمثابة الفضلى، فهي أم قرى المغرب الوافرة، وخزائن المزائر والشهرة الساحرة، والأنباء المسافرة، ذات الأرجاء الدانية والقاصية والأطواد الراسخة الراسية والمباني الباهية، والأزهار الزاهية والمحاسن الشاهية»(٢٧).**

وهذا يرجع ـ كما سبق القول ـ الى أنه كتب الرحلة بعد سبع سنوات من حدوثها، فتتراجع لذلك من الذاكرة أشياء أو تنسحب، وتستدرج المناسبة أخرى، أو تتداخل عناصرها من باب توارد الخواطر والذكريات والمشاعر.

لكن الكاتب في كل ذلك يكتب مستمدا ـ عموما ـ تجربته وخبرته، ولا ينقل عن مصادر أو مراجع إلا استطرادا نادرا، كما نرى في الصفحة الثامنة والتسعين.

أما الأسلوب عموما فهو ينحو نحو الدقة العلمية، خصوصا في ثبت الأسماء والمناسبات والأماكن من دون تحييد للأسلوب الأدبي الذى يطل علينا في فقرات مختلفة عبر أجزاء الرحلة، كما نرى في مثل وصفه مدينة (فاس) وأناقتها وجمالها.. وتبقى هذه الرحلة شاهدا حيا عن أوضاع مختلفة، وعن طبيعة العلاقات بين أبناء الأمة العربية، وفي مقدمتهم: علماؤها، بتوادهم وتآزرهم، وشغفهم العلمي، وتنافسهم الشريف فيه، وبما يشغلهم من اهتمامات ثقافية عامة بطبيعتها وأسلوبها.

«مارس العرب الرحلة في جاهليتهم للتجارة بحثاً عن الماء والكلأ»

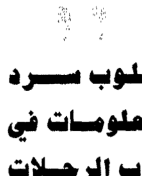
. كما هي صورة عن صاحبها، وقد بدا فقيرا يعاني ماديا، لكن ذا غني روحي وفكري زاخر، حتى ليكاد ينسيه تماما غناه العقلي فقره المادي، وهي سمة من سمات العلماء الأوفياء المخلصين لأفكارهم وضمائرهم، المتفانين في خدمة الثقافة بالإمكانات المتاحة والجهد المستطاع، فيزهر ذلك ويثمر ويكون العطاء أعظم في محيط صحي، خال من مكائد ضعفاء النفوس ومؤامراتهم.. وهي ان انطلقت رحلة للحج، فقد تراجعت المناسبة التي كان ينبغي أن تكون ظلالها مهيمنة على الموضوع، وافسحت المجال للحديث بالدرجة الأولى عن صلات انسانية حميمية عميقة ثرية بمادتها الثقافية وروحها الإنسانية في التواصل والمودة والمحبة.

ومن خلال ذلك أيضا أطلت صورة مشرقة للإنسان، والمدن العربية ذات الروعة والأناقة، بمعالمها الثقافية والحضارية وطبيعتها الزاهية وجمالها الساحر الأخاذ.

وفي هذا الإطار نفسه تندرج رحلة لتلميذ (أبي راس) وابن منطقته (معسكر) وهو (أبو حامد العربي المشرفي) المتوفي بين (١٣١١هـ/ ١٨٩٣م) أو (١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) وقد آثر الهجرة الى (المغرب الأقصى) بعد الاحتلال

الفرنسي، فقربه النظام في (المغرب) لثقافته ونسبه الشريف، فقام بأكثر من رحلة داخلية وخارجية ويبدو أن أهمها رحلته الى الحج سنة (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م) بعنوان «ذخيرة الأواخر والأول فيما ينتظم من أخبار الدول»(٢٨) وقد كتبها سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م) وفيها وصف كثيرا من المظاهر في البلدان التي مر بها، ابتداء من وطنه (الجزائر) مرورا بـ (مصر) ثم (الحجاز) فمدينة (اسطنبول).. فتحدث عن بلده وعلمائه، تحت وضع الاحتلال الفرنسي، كما وصف مدنا جزائرية ومصرية وسواها، مثلما وصف رجال علم وسياسة، فكان معجبا في هذا الصدد «بوالي مصر محمد علي الذي قال إنه اجتمع به سنة ١٢٦٥»(٢٩)

«للمقال صلة»



أسلوب سرد المعلومات في أدب الرحلات لا يخضع للسجع والمحسنات البديعية

الهوامش

(١) المسعودي، مروج الذهب. ج١، ص٣، موفم للنشر، سلسلة الأنيس، الجزائر ١٩٨٩م.

(٢) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول ص ١٦١، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٢م.

(٣) حققها وقدم لها الدكتور أبو القاسم سعد الله، نشر: المكتبة الوطنية ـ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣م.

(٤) عبد الرزاق بن حمادوش الجزائر، رحلة ابن حمادوش الجزائر، ص٣١.

(٥) المصدر السابق ص١١٥.

(٦) تحقيق وتقديم محمد بن أبي شنب، مطبعة بييرفونتانا الشرقية، الجزائر، (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م).

(٧) المصدر السابق ص:أ.

(٨) المصدر نفسه ص: ٦١٤.

(٩) الدكتور أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:٢، ص: ٤٠٩ ـ ٤١٠، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١م.

(١٠) الدكتور عمر بن قينة، أدب الرحلة في النثر الجزائرى الحديث، مخطوط، ص:٢٢.

(١١) تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة ١٩٦٩م.

(١٢) رحلة محمد الكبير، أحمد بن هطال التلمساني، ص:٥٣.

(١٣) المصدر نفسه : ص.١٠٠.

(١٤) المصدر نفسه: ص٨١.

(١٥) تحقيق وتعليق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ١٩٩٠م.

(١٦) محمد أبوراس الناصر الجزائري، فتح الاله ومنته، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، ص:١٧٩، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٩٠م.

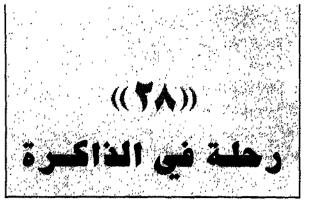
(١٧ ـ ٢٥) المصدر نفسه (ص٩١، ١٠٨، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ٩١، ١٠٩، ١١٥)

(٢٦) المصدر نفسه، ص: ١١٩ـ١٢٠.

(٢٧) المصدر نفسه، ص: ١٠٠ـ١٠١.

(٢٨) وهو عمل لا يزال مخطوطا في (الجزائر) و(المغرب) انظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج:٢، ص:١٨٣ـ١٨٤، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٦.

(٢٩) د. ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء ج:٢، ص: ١٨٤.





بقلم:
أ.د. محمد رجب البيومي
المنصورة

الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف

من منا لا يذكر كاتب اليوميات الرائعة بجريدة الأخبار، لقد كان نمطا أدبيا رائعا أعاد لهذه اليوميات وسامتها العذبة حين كان يكتبها عباس محمود العقاد واسماعيل مظهر وزكي عبد القادر وغيرهم من أفذاذ الأدباء، وقد أظهر الكاتبون تحت هذا العنوان أنهم لا يبدعون إلا إذا كانوا من رجال القلم ، أما أن يكون الكاتب موظفا بالجريدة، ويجد من واجبه الصحفي أن يكتب ليملأ الفراغ، فهذا ما هبط بمستوى اليوميات الى حد مؤسف!



محمد فهمي عبداللطيف

«كتبت عن السيد البدوي فجاءتني الوفود تلوم.. وأنا في حاجة لاسترضاء أهلي»

أجل كان محمد فهمي عبد اللطيف من رجال القلم بل من كبار رجاله، ومؤلفاته الأدبية الرصينة، وبحوثه التاريخية عن دولة الدراويش وأبي زيد الهلالى والفتوة الاسلامية وما كتبه تحت عنوان (فلاسفة وصعاليك) والفن الإلهي وموازين النقد الأدبى كل ذلك يضعه في الصف الأول بين الكرام الكاتبين، وحسبه أنه ظل إلى مدى ثلاثين عاما يكتب المقال السياسى بجريدة المصرى ثم بجريدة الأخبار، لكن بدون توقيع، وكذلك كان يكتب كثيرا من المقالات الأدبية في مجلة الرسالة بتوقيع (الجاحظ) ولكن القراء يعرفون جيدا أن الجاحظ هذا هو محمد فهمي عبد اللطيف.

(أول لقاء) :

كنت كتبت مقالا أدبيا عن شاعر البادية الكبير الاستاذ محمد عبد المطلب رحمه الله بمجلة الرسالة، وقلت فيه إنه رائد من رواد المسرح الشعرى سبق أمير الشعراء بما أبدع سنة ١٩١١م حين كتب تمثيليات شعرية عن ليلى العفيفة، وامرىء القيس، وهي محفوظة بدار الكتب ، وقد طبعت فصوله منها ببعض المجلات الأدبية. وما كاد مقالي يظهر للقراء حتى تعقبه الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف فذكر أنى خالفت الحقيقة الأدبية فيما ذكرت لأن شوقي قد بدأ بكتابة مسرحية على الكبير فى أواخر القرن التاسع عشر حين كان طالبا بفرنسا، ونشر فصولا منها إذ ذاك، ثم ترك الأدب التمثيلى حتى عاد إليه سنة ١٩٢٧، وإذن فقد سبق الشاعر محمد عبد المطلب في ريادته التمثيلية، على أن شوقى مسبوق فى هذا المجال لأن الشاعر اللبنانى خليل اليازجي وضع مسرحية تحت عنوان (المروءة والوفاء) قبل شوقى بعشرين عاما! وكانت مسرحية مبتدئة دون شك، متواضعة في نهجها المسرحى ولكنها أول مسرحية على كل حال.

قرأت مـا كتبـه الناقد، فـبادرت بشكره في مـجلة ـ الرسـالة ـ ثم سـمحت الظروف بمقابلته عرضـا في مجلس بجريدة البلاغ، فقدمت نفسي اليه فنهض مرحبا، وقال إن تعقيبي على نقده سيمنعه من تعقب مقـالاتي والرد عليهـا، لأنه تعقيب مـهذب عـفيف، وأنا أتضاءل أمـام الروح الأدبية النزيهة، قلت له ولكن هبني أخطأت فـهل تسكت؟ قـال: تلك طبيعتي.

ثم اعتدل إلى الوراء، وانطلق في الحـديث قـائلا، لي مـوقـفـان مـتـعـارضـان في هذا المجـال أذكـرهـمـا لك لأكـشـف لك عن نوازعي النفسية التي لا أملك عنها منصرفا.

(موقفان متعارضان)

أمـا الموقـف الأول، فـمـع أسـتاذي الكبـيـر أحـمـد يوسف نجـاتي أستـاذ الأدب بكليـتي دار العلوم واللغـة العربيـة، حيث نشر عدة أجزاء من كتاب (نفح الطيب) وعلق عليها تعليقا علميا يدل على سداد بصر، وسـعـة اطلاع، ولكن المحـقق مـهـمـا أتقن التـحـقيق، فسيفوته ما يجب أن يصحح من الأقـوال، فنشـرت نقـدا غـاضـبـا تشوبه لهجة التعالي، لأني كنت لا أزال في عـهد الطلب، ولم أفـهم ما يقال عن تواضع العلماء كما أفهمه الآن، وكـان الأسـتـاذ نجـاتي أستاذي بالكليـة، وكأني في سكرة الشـبـاب أردت أن أقـول لزمـلائي بالكلية إني أصحح أخطاء الأستاذ الكبير، وقد قرأ الزملاء ما كتبت وطاروا بـه الى الأسـتـاذ نجـاتي، فـصـرت أتحـاشـى لقـاءه، ولكني فوجئت برده المهذب النبيل يغمرني بلطفه ورقته، مع مناقشة موضوعية سلم فيـهـا ببعض مـا قلتُ وجادل في بعض آخـر عن إخـلاص للحقيقـة، فشعـرت بارتفاع خلقه الطيب، وكنت قد كتبتُ مقالا ثانيا عن بقـيـة مـا لاحظت من الأخطاء، فمزّقته لفوري، هذه طبيعتي مـهما كانت مواضع الخلاف.

أما الموقف الثاني فموقفي مع


علي الجارم


احمد شوقي

الشـاعـر الكبـيـر الاسـتـاذ علي الجارم حيث نظم قصيدة رنانة في مناسـبـة سـيـاسـيـة، وقـد قـرأت القـصـيـدة فلمـست فـيـهـا احـتـذاء واضـحـا لقـصـيـدة من وزنهـا وقـافيتها للشـاعر الكبير أبي تمام يمدح بها الخليفة المعتصم، فكتبت مـقـالا نقـديا بمجلة الرسـالة أقـرر هـذه الدعـوى بالدليل الواضح، والاسـتـشـهـاد الصـريح، ووعدت بتـتـمـة البـحث في العـدد القـادم، ولكن الاسـتـاذ الجـارم ثار ثورة عنيـفـة واتصل بالاسـتـاذ الزيات محـتجا على مـا كتبت، وغاضـبا أشـد الغـضب، دون أن يكتب عن النقـد سطرا واحـدا يعـارض مـا قلت، وذهبت بالمقال الثاني للرسالة فـأبى صـاحبها أن ينشره وقال إن الجـارم هائج مـانج، وأصـدقـاؤه بوزارة المعـارف قـد رجـوني أن أراعي خـــاطره، وهـم أيضـــا أصدقائي، فأنا مضطر.

سـمـعت كلام الزيات فـاتجـهت بالمقال الى جريدة يوميـة، ونشرته بهـا، مـوضـحـا مـا كـان من أمـر الجارم والزيات مـعـا، لأني لا أقبل العنف والاستعلاء.

هذان موقفان لي، أتحدث عنهما كما كانا، وإن خالفني الكثيرون في موقـفي الأول، لأني إنسـان قـبل أن أكون ناقدا .. ولي طبع يستعصي على التغيير.

(دولة الدراويش):

أصدر الاستاذ كتابا تاريخيا تحت عنوان (دولة الدراويش في مصر) متحدثا عن الولي الشهير (السـيـد البـدوي) وقـد رجـع الى مصـادر كثيرة لينتهي الى أن أكثر ما يقال في هذه الناحية مختلق لا حقيقة له، وقد صحب ظهور هذا الكتـاب دوي رنان ببعض المجـلات الدينية التي تستهوي قراءها بتأييد الكرامات، وتسجيل الخوارق، وفي الكاتبين من ترك الحقائق التاريخية الى السب والانتقاص، فكتبت مقالا هادئا، أناقش فيه ما قاله الناقدون بـالتي هي أحـسـن، ورأيت أن أعرضه على الاستاذ فهمي لأعرف وجـهـة نظره، ولكنه قـابلني بما لم أتوقـع، إذ أصـر إصـرارا شـديدا على عدم نشر مقالي، وقال أنت لا

تعرف ماذا قوبلت به في قريتي الصغيرة بالشرقية حيث ذهب العامة الى منزلنا وتحدث الناس بأنى (كفرت) وشق الأمر على أهلى فجاءتنى الوفود تلوم، وأنا لا أخشى النقد التاريخي، ولكن أقاربى يحاصروننى، وأنا فى حاجة الى استرضائهم، وأخشى أن تنشر مقالك، فيجيء من يرد عليه ويرمينى بالفسوق، فتزيد النار لهيبا حولى فى القرية، ويتحدث الناس هناك بما يؤلم أسرتى.

قلت: ما عهدتك تخشى النقد هكذا؟ فصاح الاستاذ: أى نقد هنا يارجب! المسألة مسألة قرية وأهل، وكرامة يظنونها تتحقق فى بعدى عن المناقشات الدينية، وإذن فمكره أخاك لا بطل!

ثم صفق بيده، وطلب لى تحية ثانية، وقال: لقد كتبت من قبل كتابا (عن أبى زيد الهلالى) فمزقت حقيقته الأسطورية ورجعت به الى حيّزه الضئيل في ساحة التاريخ، وهو حيز لا يجعله بطلا تاريخيا، وهو بطل شعبى، يهتم به الريفيون فى القرى، ويجلسون لقراءة القصص الشعبى الذى يتحدث عنه فى لذة وسرور، وقد ذاع كتابى فى القرية، وعرفوا أنى أنكرت البطولات الزائفة التى يخلعها رواة السيرة الشعبية عليه، ولكنهم لم يثوروا، ولم يتوجهوا إلى منزلنا لائمين، وذلك لأن أبا زيد الهلالى ليس شخصية دينية، أما السيد البدوى فشخصية مبجلة لديهم، وأنا لا أنكر مكانته كرجل، ولكنى أنكر أن يضيف إليه بعض الأدعياء أمورا لا تثبت في ميزان التاريخ!

قلت: سأطوى المقال آسفا، كيلا ينبعث الضجيج من جديد.

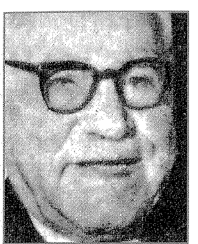
(طرفة ذات دلالة)

كان محمد عبد اللطيف بحكم اشتغاله بالصحافة قرابة نصف قرن ذا اتصال وثيق بكبار المشاهير من رجال السياسة والأدب والفن، وهو يعرف من تاريخ هؤلاء ما لو جمع لارتفع بأناس وانخفض بآخرين، يعرف ذلك عن عيان


خليل مطران

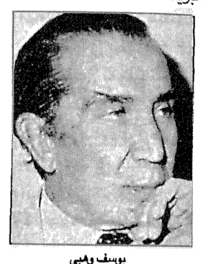
ومخالطه، وإذا فاض فى حديثه عن ذكرياته التاريخية فهو نبع متدفق لا يغيض.. أذكر من طرائفه ذات الدلالة الأليمة التى حدثنى بها عن الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم رحمه الله، أنه أفاض ذات مساء معى فى حديث عن منزلته الشعرية واكد أنه كان الثانى بعد شوقى فى مصر، وأن إقامته بدمنهور قد حجبته عن الاتصال المباشر بالساسة والصحافة فلم يأخذ حقه من التقدير.

قال الاستاذ فهمي: لقد أقامت السيدة هدى هانم الشعراوى مسابقة شعرية لأدباء الشباب فى موضوع وطنى، وتألفت لجنة التحكيم من كبار الشعراء إذ ذاك وهم خليل مطران وعلى الجارم وأحمد محرم، واجتمعت اللجنة وأصدرت قرارها وأقيم احتفال لتوزيع الجوائز المالية للفائزين من الأدباء وهى جوائز مغرية بالنسبة لقيمة الجنيهات فى هذا العهد، ثم رأت السيدة هدى الشعراوى أن تخص لجنة التحكيم بماداليات تقديرية لأنهم أرفع من أن ينالوا الجوائز المالية، ففرقت الى المادليات على الشعراء الكبار،


الزيات

وكان من حظى أن أجلس جوار الشاعر الكبير احمد محرم فلمحت فى وجهه دلائل الحسرة والألم، فقلت له فى همس: أخشى أن تكون مريضا يا سيدى، فقال صامتا: ماذا أصنع بالمادليا التقديرية يا أخى، وليس فى جيبى أجرة القطار الذى سيحملني إلى دمنهور، إن مطران والجارم يحمل كل منهما البكوية ويعيشان فى رخاء وهناءة، لقد كنت أتوقع مكافأة مالية للجنة التحكيم إذ قامت بعمل شاق لابد أن يؤجر، وهأنذا لا أجد ما أسافر به، وهنا قام الأستاذ فهمى الى حيث تجلس

السيدة هدى هانم الشعراوى، وأسرّ إليها ببعض ما سمع، فدهشت لما فاتها من أمر الاستاذ محرم، وأمرت سكرتيرها الخاص أن يضع خمسين جنيها فى مظروف يحمله فورا للشاعر الكبير، وفوجىء محرم بما صنع الاستاذ فهمى، فناداه مستفسرا، وقال أخشى أن تكون قد هتكت ما أستر، فقال أبدا والله، ولكن المال كان معدا من قبل ليصلك عن طريق البريد!!



يوسف وهبي

(مع يوسف وهبى)

قابلت الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ذات مساء بمقهى رضوان بالعتبة الخضراء، فوجدته مرحاً طروبا، وكأن ثروة هبطت عليه من السماء، ثم قال لى ستتناول معى طعام العشاء فى محل الكاشف الليلة وهو أقرب مطعم إلينا بالمقهى، قلت: لا أعلم أنك من ذوى الثراء والبذخ حتى أستجيب، قال، وهل العشاء يستدعى ثراء، هلمّ يا أخى وسأحدثك عن يوسف وهبى الذى هددنى بالتليفون عصر اليوم بأنه سيرفع قضية ضدى باسم الكرامة المصرية، فقلت له مستهزئا والله أنى أتعجل رفع هذه القضية، وأتمنى لو تعقد المحاكمة هذا المساء! فسألته: ما السبب فى هذا كله، قال لقد أصدر الأستاذ يوسف وهبى بيانا باعتباره نقيبا للممثلين يستعدى وزير الشئون الاجتماعية على الشركات الأجنبية التى أصدرت نسخا من أفلامها ناطقة باللغة العربية لأن عرض هذه الأفلام فى دور السينما المصرية سيضائل من كسب الأفلام المصرية، وحماية الفنانين بمصر من شأن الوزير، وقد انتقدت هذا الطلب المتعسف، لأنه يمنع منافسة الأفلام الجيدة باعتبارها خطرا على أفلامنا الضعيفة، وقلت إنى لا أدافع عن الأجنبى، بحال ولكن يجب على الأفلام المصرية أن ترتفع إلى مستوى الفن العالمى، لا أن تكون تهريجا وزيفا وإثارة جنسية ثم يطالب أصحابها بمنع القلم الجيد، ومثل يوسف وهبى فى ذلك مثل من يطالب من المؤلفين العرب منع ترجمات المؤلفات الغربية لأساطين أدباء أوربا كي لا تنافس مؤلفات طه حسين وتوفيق الحكيم! وهذا مالا يعقل بحال، وما كاد نقدى يذاع حتى ثار يوسف وهبى وكتب يقول إننى أخدم الشركات الأجنبية بما أدعو له، وينصحنى أن أرسل مقالى إليها، لتبعث لى بمكافأة سخية باعتبارى صديقا للاستعمار الأجنبي، وهو رد زائف يترك نقطة الخلاف إلى تدجيل غوغائى لا قيمة له، فسارعت بالرد المستنكر، وقلت إن ما قاله نقيب الممثلين شبيه بما يلقه على المسرح من تشنجات انفعالية تُضحك ولكنها لا تقنع، وانه أثبت أن إخوانه من الممثلين يتاجرون فى الفن ولا ينشدون ارتقاء الجمهور، والجمهور مضطر إلى التخلى عن موائدهم إذا وجد الزاد الدسم عند الآخرين! هذا ما قلته ولا أدرى من أين عرف يوسف وهبى رقم التليفون الخاص بى، ففتح ميكروفونه على، ليعلن أن الأمر سيرتفع الى القضاء متهما إيّاى بمناصرة الاستعمار! وكانت فكاهة بالنسبة إلىّ!

(رحيل وفراق):

ظللت أحتفظ للأستاذ فهمى بوثيق الود، وكنا نتقابل كثيرا لنتحدث عن الأدب والثقافة فى ارتياح، ثم قرأت النبأ الأليم عن رحيله، فعزّ علي أن يذهب هذا النابغة الأزهرى دون أن تُقام له حفلة تأبين، وكنت عميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة، فوجهت الدعوة إلى حفل تأبينى بمدرج الكلية، يحضره صفوة الأصدقاء والأدباء من عارفى قدر الراحل الكريم، وتحدد الموعد، وأعلن عنه فى الصحف، فأم الجمهور مدرج الكلية وجاءت أسرة الراحل ممثلة فى أبنائه الكرام وبنى أعمامه، وأفاض المتكلمون فى مآثر فهمى بحيث أخذ كل متحدث ناحية خاصة من نواحى نبوغه، ولو قدر لهذه الكلمات أن تجمع فى سفر خاص لكانت ترجمة رائعة لحياة الكاتب واتجاهاته الأدبية، وكانت جريدة الأخبار اليومية قد أرسلت مندوبها لينقل الى القراء خلاصة الحفل فى مكان بارز شغل حيزا مقبولا، وقد ذهبت أصداء الحفل، وبقيت ذكرى الأستاذ وضيئة مشرقة كأسلوبه المنير.

• دراسات في اللغة •

الفاء العربية.. م

يتفق علماء اللغات الساميه على أن اللغة الساميه الأم لم تكن تحتوى على الفونيم(١) /F/ (شفوي أسناني رخو مهموس) في نظامها الفونولوجي، بل احتوت على الفونيمات /p/ (شفوي شديد مهموس) و/b/ (شفوي شديد مجهور)، على أنه من المرجح أن الفونيمات الشفويه الرخوه /p/ Bilabial Fricatives و /b/ تباعا كانت موجوده بصورة فرعية ألوفونيه في محيطات صوتية محددة وخاصة عندما يتبعها صوت صامت أو عندما تقع بين صوائت ، وكان هذا يحدث خصوصا في الفرع الشمالي الغربي من اللغات الساميه كما هي الآراميه والعبرية(٢).

وعندما تفرعت اللغة السامية الأم الى لهجات وباتت تعرف باللغات السامية لاحقا حدث أثناء ذلك تغييرات صوتية، ففي الفرع الجنوبي والجنوبي الغربي متمثلا باللغات العربية والأثيوبية تحولت أل /p/ السامية الى /F/بينما بقيت كما هي في الفرعين الشمالي الشرقي متمثلا بالأكادية والفرع الشمالي الغربي متمثلا باللغات الانفة الذكر(٣). وخلص علماء اللغات السامية الى انه طالما أن أل /p/ موجودة في معظم اللغات السامية ومفقوده فقط في اللغات العربية والاثيوبية وأن هناك الفونيم /F/بدلا من أل /p/ في هاتين اللغتين فمن المنطقي الخروج باستنتاج فحواه هو أن هذه الفاء منقلبه أصلا عن /p/ . وهذا

القبائل العربية في جنوب الجزيرة العربية يعتمد عليها في البحث اللغوي التاريخي

الاستنتاج ينسجم في واقع الأمر مع البحث اللغوي التاريخي الذي يستخدم طريقة المقارنة Comparative Method في إعادة بناء النماذج المفقودة في اللغات البشرية، وفيما يلي أمثلة على ذلك:

السامية الأم : p̄u - patah

العربية : Fū (Fam) - Fatah .

الأكادية : P̄u - p̄itu.

العبرية : pe - p̲atah.

الآرامية : pum - patah.

فتحول ال /p/الى /F/ وهي عملية تحول الصوت الشديد الى رخو والتي تعرف بالعملية الإنسيابية Spiranti Zation هو أمر وارد في التحول الصوتي كما حصل عندما تحولت أل /p/في اللغات الهنديه - الاوروبية الى /F/ في اللغات الجرمانيه كالألمانية والانجليزية حسب ما قرره قانون جريم Grimm,s Law للتطور الصوتي(٤) كما في الكلمة التالية:

Pater - Father

(Latin) - (English)

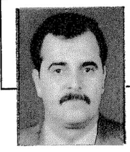
ولكن أليس من الممكن أن تكون اللغة السامية الأم قد احتوت على الفونيم /F/الى جانب أل /p/ثم اختفى الأخير من بعض اللغات السامية كالعربية؟

هذا احتمال وارد لأسباب منها:

أولا: أن اللغات الحامية

ـــــاضيها وحاضرها

د. عبدالله حمد
أستاذ علم اللغة العام
جامعة أم القرى - مكة المكرمة



كالمصرية القديمة والكوشية تحتوي على كلا الفونيمين أي /F/ و /p/(٥) ونظرا للعلاقة التاريخية التي تربط المجموعتين السامية والحاميه فإنه من الممكن أن تكون اللغة السامية الأم قد احتوت على الغونيم /F/ الى جانب أل /p/.

ثانيا: إن اللغة الاثيوبية(٦) التي تحتوي على الرمز الصامت /F/ورمزين كل منهما يمثل أل /p/ يعزز احتمال أن كلا الفونيمين كانا موجودين جنبا الى جنب في اللغة السامية الأم.

ثالثا: إنه من الثابت والمعروف أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية الى اللغة السامية الأم. فهي قد ورثت النظام الفونولوجي المعقد والواسع وظهرت فيه أصوات الحلق والأصوات المفخمة وغيرها بالإضافة الى الاعراب بينما اختفي كل هذا من اللغات السامية الأخرى(٧). يقول العالم اللغوي الالماني بيرجشداسر Bergstrasser عن العربية «أن اللغة العربية رغما لطول الزمان الماضي عليها، قبل بروزها في ميدان التاريخ قد حفظت الحروف الأصلية حفظا أتم من سائر اللغات السامية الأخرى(٨).

ومن الثابت في البحث اللغوي التاريخي ان اللغة الاكثر تعقداً تكون الأقرب للغة الأم. فمن المعتقد أن أصوات اللغة العربية هي أصوات أصلية وتعكس واقع اللغة السامية الأم.

ومما يعزز احتمال وجود أل /F/ الى جانب أل /p/في اللغة السامية الأم هو أنه في العربية تستعمل الباء بدلا من الفاء في لهجات بعض القبائل العربية وخاصة اليمانية، فلربما كانت الباء تلك هى ال /p/ يقال مثلا عكبت حولهم الطير أي عكفت(٩)، والخزب أي الخزف، والمصطبة أي المصطفة(١٠). وذكر ابن يعيش(١١) ظاهرة معاكسة أي الفاء تنطق كالباء في نحو «فور» تنطق «بور».

فالقبائل العربية في جنوب الجزيرة العربية تضم في جنباتها تراثا لغويا عربيا أصيلا يعتمد عليه في البحث اللغوي التاريخي العربي والسامي. يقول الاستاذ حمد الجاسر عن هذه المنطقة «ولهذا كان سكان جنوب الجزيرة، اليمن وما اتصل به من بلاد حضرموت وسروات الحجاز من الطائف الى سراة بنى سعد، فسراة بني الحارث، فسروات بني زهران وغامد وخشعم وبلقرن والحجر وعنز الى بلاد قحطان المعروفة قديما بـ «مذحج» فما اتصل بهذه السراه من الأودية كنجران الى رمال صيهد (الربع الخالي) حيث تنتشر في هذه الجهة قبائل الصيعر ومهره ومن دونهم بني مره من يام وغيرهم. هذه المناطق هي أصفى لغة وأبعد عن تأثير العجمه في كلام أهلها»(١٢).

وفي واقع الأمر فإن هذه المنطقة هي التي يرجح تاريخيا أن تكون موطن اللغة السامية الأم(١٣) فبناء على ما تقدم فإننا نرجح أن تكون أل /F/ وأل /p/قد كانتا موحدتين معا في اللغة السامية الأم ثم اختفت الأخيرة من اللغة العربية بينما اختفت الأولى من باقي اللغات السامية الأخري لأسباب قد تتضح مستقبلا إذا

تم العثور على أدلة لغوية كافية بهذا الخصوص.

كان الخليل بن احمد الفراهيدي أول عالم لغوي يقوم بوصف أصوات اللغة العربية بصورة جيدة نالت اعجاب الكثيرين في هذا العصر. أما بخصوص وصفه للفاء فإنه يقول أنها شفوية جامعا إياها مع الباء والميم في مجموعة واحدة(١٤). ولقد نقل محمد باكلا(١٥) أن الخليل وصف الفاء على أنها مجهورة وزاد على ذلك أنها شفوية اسنانية، ولا ندري كيف توصل هذا الباحث الى هذا الوصف عن الخليل. فالمقطوع فيه أن الفاء شفوية كما ورد ذلك في كتاب «العين» وكذلك كون الفاء صوت مجهور أمر مشكوك فيه وغير دقيق(١٦)، على أية حال فهناك احتمال أن تكون الفاء التي وصفها الخليل هي تلك التي ذكرها جان كانتينو(١٧) وهي الباء المفخمة حسب ما يرى أحد الباحثين(١٨) في هذا المجال ورمزها الفونولوجي هو /b/ فمن المعروف أن كانتينو قد افترض أن أصوات الباء فى اللغة السامية الأم ثلاثة وهي أل /b/، /b/و /p/ . وقد انفرد هذا اللغوي بهذا الإفتراض. إلا أننا نشكك في هذا الاحتمال كليا نظراً لما عرضه تلميذ الخليل في فترة وجيزة عن الأصوات العربية.

لقد تطابقت أراء سيبويه(١٩) وابن جني(٢٠) ومن جاء بعدهما من لغويين وقراء متخصصين في قراءة القرآن الكريم حول الفاء العربية. فالفاء صوت شفوي اسناني رخو مهموس. ولقد أشار كل من سيبوية وابن جني إلى وجود صوت غير مستحسن ومستهجن يستعمل في اللهجة المحلية في زمنهما وهو موجود كذلك في لغة العجم. وقد

سكان جنوب الجزيرة العربية أصفى لغة وأبعد عن تأثير العجمة في كلامهم

وصف هذا الصوت على أنه «الباء التي كالفاء» فهناك احتمالان لطبيعة هذا الصوت. فإما أن يكون أل /p/ أو أل /V/ أي شفوي اسناني رخو مجهور. فمن المرجح أن يكون هو صوت أل /p/ وذلك لأن الأعاجم يستعملون الفاء المجهورة بدلا من الواو وليس بدلا من الباء.

فالفاء العربية منذ وصفها سيبويه ومن تبعه بقيت على حالها ولم يطرأ عليها أي تغيير، فمن المسلمات في الدراسات الفونولوجية العربية المعاصرة(٢١) سواء المكتوبة بالعربية منها أو بالانجليزية أن الفاء هي صوت شفوي اسناني رخو مهموس Voiceless La- bio - dental Fricative. وهذا ينطبق على الفاء الموجوده في اللغة الفصحى وتلك الموجودة في العاميات العربية. ومما يجدر ذكره أن الفاء هذه قد تنطق مجهوره أي /V/ في بعض المواضع إذا سبقت صوتا مجهوراً كما في كلمة «يفزع»(٢٢). فالباحثون الذين قاموا بوصف العاميات العربية الحديثة وصفا تزامنيا Syn- chronic قرروا أن الفاء هي نفسها التي في الفصحي إلا باحثا واحداً معاصراً خرج علينا بجديد وغريب. ففي دراسة علمية ميدانية بعنوان «الأصوات اللغوية في لهجة صنعاء وصلتها بالعربية الفصحي» يزعم عبد الغفار هلال(٢٣) أن صوت الفاء في هذه اللهجة هو شفوي اسناني مجهور شديد أي Voiced La- bio - dental Stop .

إن هذا الوصف الفونولوجي للفاء الصنعائية يستوقف أي باحث لغوي مهتم بالعربية

وأصواتها فهو يثير الاستغراب فهو الأول من نوعه في الكتابات العربية بوصفه صوت الفاء على انه مجهور وشديد (آخذين بعين الاعتبار عدم دقة ما نقل عن وصف الخليل السالف الذكر). هذا الوصف الجديد للفاء ليس وصفا متسرعا وانطباعيا بل جاء كما يقول الباحث المذكور عبر «تجربة ميدانية عكفت على اجرائها عامين قضيتهما في صنعاء، وشافهت اخوتنا اليمنيين وتحدثت اليهم طويلا، وسجلت كثيراً من المحاورات معهم تسجيلا صوتيا.. والنتائج التي توصلت إليها.. وليدة مراس طويل ومعاناة شاقه وعمل جديد يصل بين ماضي العربية وحاضرها»(٢٤). هذا وقد اورد الباحث عدداً من الأمثلة التي تحتوى على الفاء المذكورة وهي:

افتهنت (استرحت)، فيسع (بسرعة)، فتوت (قطع من الخبز مع السمن أو الزبد) والفلاحشن (الاشياء الغير مهمة التي لا تفيد صاحبها).

إنه من المستبعد أن ينطبق هذا الوصف على هذه الفاء أو اي صوت للفاء في أية لهجة عربية حيثما وجدت وفي آية زاوية من الوطن العربي. ابتداء كيف يمكن القول أن صوت الفاء هو شديد. وإذا سلمنا أن الصوت الموصوف شديد فهو ليس فاء قطعا. إذ كيف يمكن حبس الهواء بالكامل في الفم ومن ثم إطلاقه فجاءه وليس تدريجيا ويكون الناتج هو صوت الفاء. هذا أمر لا يحدث في لغات العالم ولم تذكره المراجع الأساسية في الأصوات اللغوية(٢٥).

الفراهيدي.. أول من حدد أصوات اللغة العربية بدقة

إن هناك احتمالا أن يكون الباحث قد أخطأ في طبيعة ما سمع فبدلا من إدراكه أن ما سمع كان صوتا رخواً توهم أن الصوت المسموع هو صوت شديد، ولكن إذا قبلنا هذا الاحتمال فكيف لنا من ناحية أخرى قبول كون هذا الصوت مجهوراً. على أية حال نخلص الى القول أن هذا الوصف فيه خلط شديد وتناقض، فهو لا يتوافق مع ما تم تقريره لاحقا في الدراسات الفونولوجية المتعلقة بهذه اللهجة(٢٦)، ولكن برأينا يجب أن لا يغلق الموضوع حول الفاء في هذه اللهجة لأنها تمثل احدى أهم اللهجات العربية، واخيراً فإن المطلوب هو وصف فونولوجي تزامني جديد يكون له كلمة الفصل في هذا الموضوع.

الهوامش والمصادر

(١) يستعمل هذا المصطلح تبادليا مع مصطلح «الصوت» هنا. علما بأن الاثنين ليسا متطابقين دائما في الدراسات الفونولوجية كما هو معروف.

(٢) Gray, Louis (1971) Introduction to Semitic Comparative Linguistics New York: Columbia University Press

(٣) Moscati,s. et al. (1969) An Introduction To The Comparative Grammar of the Semitic Languages Wiesbaden: Otto Harrassowitz

(٤) Lehmann, W. (1973) Historical Linguistics. New York: Holt, Rinehart and Winston.

(٥) Moscati, S. et al

(٦) Dillmdnn, A. and C. Bezold (1907) Ethiopic Grammar.

London: G.A. Chrichton.

(٧) بروكلمان، كارل. فقه اللغات الساميه، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة الرياض - الرياض ١٩٧٧.

(٨) بير جشتراسر، غ. التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب. مطبعة الخانجي. القاهرة ١٩٨٢.

(٩) الفراهيدي، الخليل بن احمد. العين، تحقيق عبد الله درويش، مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٧.

(١٠) ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، حيدر أباد ١٩٢٥.

(١١) ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل للزمخشري، المطبعة الاميرية، القاهرة، بلا تاريخ.

(١٢) الجاسر، حمد، الصلة بين اللهجات واللغة، مجلة المنهل عدد ٥٠٤ ص ص ٤٢ - ٤٣ عام ١٩٩٣.

(١٣) Renan,Ernest. (1855) Histoire Generale et Systeme Compare des Langnes Semitiques. Paris

(١٤) الفراهيدي ، الخليل بن احمد. العين.

(١٥) Bakalla,M. (1984) "Some Phonetic Observations in Sibawaihi,s Book of Arabic Grammar" In

دراسات في اللغة

Bakallah. Arabic Culture. London: Kegan Paul International. pp. 25 - 45.

(١٦) تناقش الباحث مع د. سليمان العايد، استاذ اللغويات في كلية اللغة العربية - جامعة ام القرى حول هذا الأمر ووافق على عدم الدقة.

(١٧) كانتينو، جان. دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي. مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية - تونس ١٩٦٦.

(١٨) الحازمي، عليان، الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه، مجلة كلية اللغة العربية، السنة الثانية، العدد الثاني ص ص ٣٤٧ - ٣٦٦، ١٩٨٤.

(١٩) سيبويه، عمرو بن بشر، الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم - القاهرة ١٩٦٦.

(٢٠) ابن جني، أبو الفتح عثمان. سر صناعة الاعراب تحقيق مصطفى السقا وشركاه، مطبعة الحلبي - القاهرة ١٩٥٤.

(٢١) حسان ، تمام. مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٧٩.

Al - Ani, Salman (1970) Arabic Phonology. The Hague: Mouton

(٢٢) حسان ، تمام. مناهج البحث في اللغة.

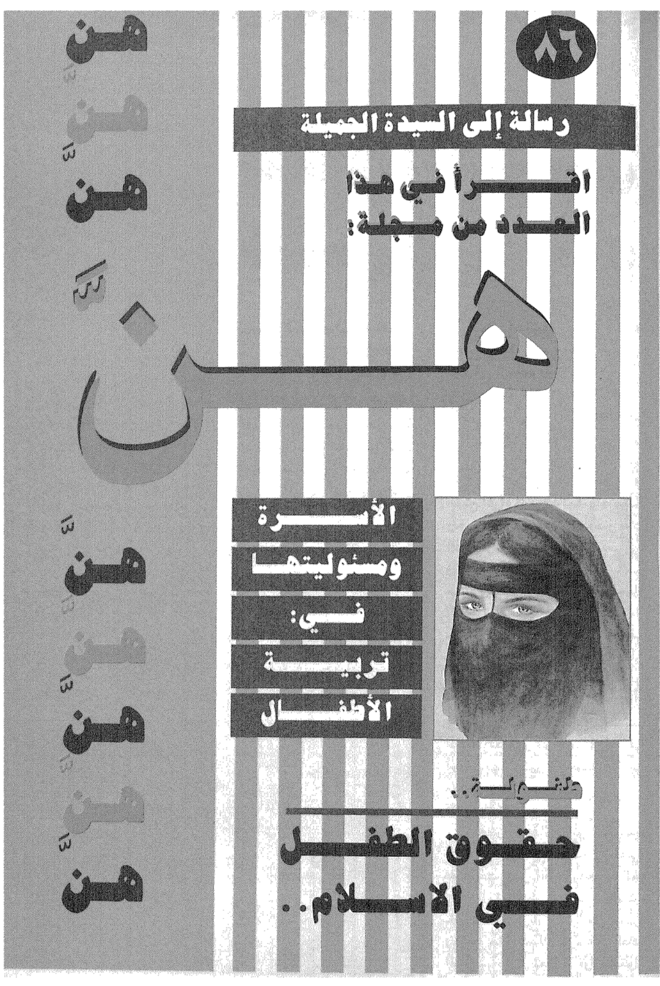
(٢٣) عبد الغفار ، هلال. الأصوات اللغوية في لهجة صنعاء وصلتها بالعربية الفصحي. مجلة كلية اللغة العربية. جامعة الامام محمد بن سعود عدد ٧ ، ص ص ٢٠٣ - ٢٦٧، ١٩٧٧.

(٢٤) المصدر السابق ص ٢٠٣ - ملاحظة هامشية.

(٢٥) Maddieson, Ian (1984) Patterns of Sounds. Cambridge: Cambridge University Press.

(٢٦) Qafisheh, Hamdi (1993). Major Phonological Processes in Sancani Arabic. Journal of king Saud University, vol. 5, Arts (1) PP. 39 ` 53.

العربية.. أقرب اللغات السامية إلى الأم..



٨٦
رسالة إلى السيدة الجميلة
اقـــرأ في هذا
العـدد من مـجلة:
هُنّ
الأســرة
ومسئوليتها
فــي:
تربيــة
الأطفـال
حقـوق الطفـل
في الاسـلام..
هن

حقوق الطفــل في الإســلام

محمد أحمد أبو صعيليك
الأردن

أولى الإسلام الطفل عناية فائقة، واعتبر تربيته من أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق الوالدين، تلك التربية التي تهدف الى إعداد الطفل للحياة إعداداً سليماً وتحقق له نمواً جسمياً ونفسياً وعقلياً متكاملاً ومتوازناً.

وما اهتمام الإسلام بتربية الطفل إلا لأنه أمانة أودعها الله في عنقي والديه، وكلفهما بحفظها وأداء حق الله تجاهها، فإذا ربي الوالدان أبناءهما تربية حسنة نابعة من تعاليم الإسلام يكونان قد أدّيا واجبيهما تجاه الله، وأرضيا ضميريهما.

والطفل عند ولادته يخرج الى الدنيا طاهراً ونقياً ومزوداً بالاستعدادات الفطرية لاكتساب الصفات الحسنة، ولكن للوالدين دور كبير في تربية الطفل وصقل شخصيته وإكسابه الصفات الحسنة أو السيئة، وهذا ما أكده الرسول ﷺ في قوله **«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»** متفق عليه.

إضافة الى ذلك فإن الطفل لبنة أساسية في صرح المجتمع الصغير «الأسرة» والأسرة لبنة أساسية في صرح المجتمع الكبير.

إن عناية الإسلام بالطفل ليست مقتصرة على فترة ما بعد الولادة، وإنما تشمل فترة ما قبل الولادة أيضا، وتتمثل تلك العناية في الحقوق التي شرعها الإسلام للطفل وجعلها واجباً دينياً يقوم به الوالدان تجاه أبنائهما ليكفلا لهم العيش السعيد والرعاية التامة، وليحققا لهم السعادة في الدارين: الدنيا والآخرة وفيما يلي استعراض لأبرز تلك الحقوق:

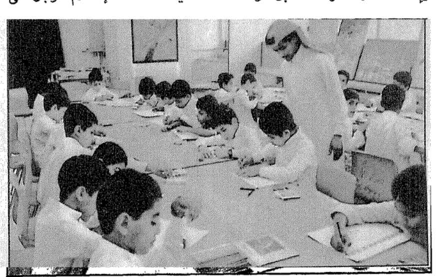
الأم الصالحة:

شرع الإسلام الزواج واعتبره أفضل وسيلة لإنجاب الأولاد والبنات، واستمرار الحياة، والحفاظ على الأنساب، ونظراً لما للزواج من أهمية فقد دعا الإسلام الرجل الى أن يحسن اختيار شريكة حياته، لأنها ستكون أم أولاده، ولها دور كبير في تربيتهم وتنشئتهم.

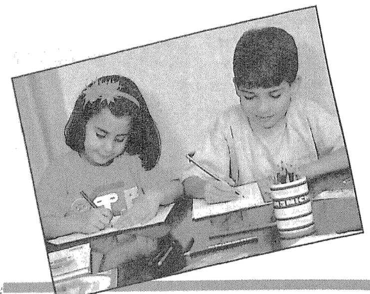
وقد أوجب الإسلام على الرجل أن يكون اختياره لشريكة حياته على أساس ديني قبل أي اعتبار دنيوي آخر كالمال والجاه والجمال والنسب، وهذا ما أكده الرسول ﷺ في قوله: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»** رواه البخاري، واختيار الرجل الزوجة الصالحة سبب رئيسي في استقرار الحياة الزوجية، وعامل مهم من عوامل حماية الطفل من الانحراف الخلقي والديني والاجتماعي، ولا سيما أن للأم دوراً كبيراً في التربية، فهي النبع الذي يزود الطفل بالغذاء والعطف والحنان، وعنها يكتسب الطفل الكثير من الصفات وفي أحضانها تتكون عواطفه، وتتربى ملكاته.

الحياة:

بعض الأطفال كانوا محرومين من حق الحياة في العصر الجاهلي، فقد كانت بعض القبائل العربية تلجأ إلى قتل الأطفال - وخاصة الإناث - خشية الفقر أو خوفاً من العار، وحينما جاء الإسلام حرّم هذه العادة السيئة، قال تعالى: **«ولا تقتلوا**



عاطفة الأمومة غرس زاهر في حياة الطفل



أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً» (الاسراء/٣١).

وقد كفل الإسلام حق الحياة للطفل منذ أن يخلق نطفة في رحم أمه، فقد حرّم الإجهاض واعتبره قتلا للنفس البشرية، ومنع إقامة حد الزنا على المرأة الحامل حتى تضع حملها وتقوم على رضاعة طفلها وحضانته.

الاسم الحسن:

دعا الإسلام الوالدين الى اختيار اسم حسن لطفلهما ينادى به بين الناس، ويميز به عن أترابه وأشقائه، ويجب أن يحمل هذا الاسم معنى محموداً أو صفة حسنة حتى تطمئن إليه النفس، ويرتاح إليه القلب.

وللاسم الحسن آثار إيجابية في نفسية الطفل، حيث يوقظ في نفسه ووجدانه المعاني السامية والمشاعر النبيلة، واحترام الذات، ويجنبه السخرية والاستهزاء(١).

وعلى العكس من ذلك تماماً نهى الإسلام الوالدين عن اختيار الأسماء القبيحة لأبنائهما، لما لذلك من آثار سلبية على شخصية الطفل، فالاسم القبيح يثير سخرية الناس من الطفل ويولد في نفس الطفل الخجل، ويجرح إحساسه، وقد يدفعه إلى كراهية من حوله، واعتزالهم، وانطوائه على نفسه.

وقد حبّذ الاسلام تسمية الأبناء بالأسماء التى تحمل معنى العبودية لله، أو بأسماء الأنبياء، يقول الرسول ﷺ **«تسمّوا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة»** (رواه أبو داود والنسائي).

وقد نهى الإسلام عن تسمية الأبناء بالأسماء القبيحة أو التى تحمل معنى العبودية لغير الله كعبد عوف وعبد مناف، وعبد الكعبة، ولذلك كان الرسول ﷺ يغير بعض الأسماء، فقد غيّر اسم عبد شمس الى عبد الرحمن، والعاصي الى عبد الله، وعاصية الى جميلة.

الرضاعة:

كفل الإسلام للطفل حق الرضاعة وجعله واجباً دينياً تقوم به الأم تجاه طفلها منذ ولادته حتى ينمو جسمه، قال تعالى: **«والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة»** (البقرة/٢٣٣).

ويعتبر الاسلام الأم أحقّ برضاعة طفلها من غيرها، لأن لبنها أفضل غذاء للطفل لما له من مميزات خاصة «فهو يحتوى على نسب متوازنة من غذاء الطفل، وهو يتلاءم واحتياجات الطفل في فترات الرضاعة المختلفة، وهو يحتوي على مواد بروتينية تكسب الطفل مناعة ضد بعض الأمراض التي تحصّنت منها الأم في الأشهر الأولى من الحمل»(٢).

وكفل الإسلام هذا الحق للطفل حتى في حال وقوع الطلاق بين الزوجين فقد أعطى الأم أولوية إرضاع طفلها، فإذا امتنعت الأم عن ذلك فعندئذ يرى الإسلام ضرورة إرسال الطفل الى مرضعة تتمتع بصحة جيدة وتتحلى بأخلاق حميدة، لتعوض الطفل النقص الناتج عن فقدانه أمه، ولتقوم برضاعته والعناية به على أكمل وجه.

ثبوت النسب:

«يعتبر الإسلام ثبوت النسب حقاً شرعياً للطفل ووالديه، فهو حق شرعي للطفل ليدفع به المذلة والضياع عن نفسه، وهو حق شرعي للأم لتدرأ به عن نفسها تهمة ارتكاب الفاحشة، وهو حق شرعي للأب ليحفظ نسله وولده من الضياع»(٣).

وصوناً للأنساب من الضياع شرع الإسلام «الزواج، وحرّم الزنا، ولثبوت النسب آثار إيجابية في نمو الطفل وتنشئته، فهو مدعاة إلى الاستقرار النفسي ووسيلة لإشباع حاجة الطفل من العطف والحنان من قبل والده، وعلى العكس من ذلك

تماماً فإن لضياع النسب آثاراً سلبية على نمو الطفل، فهو يجعل الطفل مضطرباً نفسياً لفقدانه عاطفة الأبوة، ويشعره بالنقص.

إضافة إلى ذلك فإن فقدان الطفل لهذا الحق يحرمه من بعض حقوقه الأخرى كالنفقة والميراث.

الحضانة:

ويقصد بها تربية الطفل ورعايته والقيام بأمر طعامه ولباسه ونظافته في المرحلة الأولى من عمره، لأن الطفل يكون عاجزا عن تدبير شؤون حياته في تلك المرحلة، ويحتاج الى من يرعاه ويتولى تربيته(٤)، والأم أحق الناس بحضانة طفلها، لأنها تتحمل المشاق والمتاعب من أجله، وتقوم بواجبها تجاهه على أكمل وجه «بدافع» من عاطفة الأمومة التى غرسها الله في قلبها.

وفي حال وقوع الطلاق، فإن الإسلام يعطي الأم أولوية حضانة طفلها ما لم تتزوج، فإذا تزوجت الأم من رجل آخر فلابد أن تتعرض تربية الطفل الى الإهمال نظراً لاشتغال أمه بواجباتها تجاه زوجها الجديد، لهذا دعا الإسلام إلى إرسال الطفل الى حاضنة.

طفولة

وإدراكاً من الإسلام ما للحاضنة من تأثير على شخصية الطفل وأخلاقه، فقد وضع شروطاً للحاضنة أبرزها: العقل والكفاية والتدين

الزواج سكينة واستمرارية لنبض الحياة

والخلو من الأمراض المعدية.

التربية الصحيحة والمعاملة الحسنة:

أوجب الإسلام على الوالدين تربية أبنائهما تربية حسنة نابعة من تعاليم الإسلام السمحة، تلك التربية التى تهدف الى ترسيخ الإيمان في نفوس الأطفال وتوجيههم توجيهاً سليماً لممارسة العبادات على شكلها الصحيح، كأن يُعلّم الأطفال كيفية أداء الصلوات المفروضة.

كذلك تهدف تلك التربية الى تنمية حبِّ التحلي بالأخلاق الحميدة في نفوس الأطفال كالصدق والأمانة والوفاء بالوعد.

دعا الإسلام الوالدين الى معاملة أبنائهما معاملة حسنة قائمة على العدل والمساواة، لما لذلك من تأثير كبير في شخصية الطفل، حيث إن إحاطة الوالدين طفلهما بالعطف والرحمة، وإدخالهما السرور على قلبه سببان رئيسان في نمو الطفل نمواً سليماً، وفي تفتح مداركه، وإذا فقد الطفل العطف من قبل والديه فإن صلته بهما ستصبح ضعيفة، مما يدفعه الى عدم الاكتراث بمن حوله، والميل الى العزلة والانطواء على نفسه.

وقد دعا الإسلام الوالدين الى مداعبة أطفالهما وملاطفتهم وإشباع حاجاتهم من العطف والحنان يقول الرسول ﷺ **«من كان له صبي فليتصابَّ له»** رواه ابن عساكر والسيوطي.

وعلى العكس من ذلك تماماً حذّر



الإســلام الوالدين من مـعـاملة أطفالهما معاملة قاسية لما لها من آثار سلبـيـة تنعكس على نفسـيـة الطفل، حيث يشعر بأنه منبوذ، مما يدفعه إلى أن يسلك سلوكاً عدوانياً.

وقـد حـذر الإسـلام الوالدين من التمييز بين أطفالهما في المعاملة، سـواء أكـان التمـيـيـز بين الذكـور والإناث، أم كان بين الذكور أنفسهم، كـأن يفـضل الوالدان أو أحـدهمـا الابن الأكبر على سائر أشقائه.

وللتمييز بين الأطفال في المعاملة آثار سلبية، قد تؤدي إلى انحراف السلوك النفسي للطفل، وتشعره بأنه منبـوذ مما يورث في نفـسـه حبَّ الاعـتـداء، أو يجـعله منطوياً على نفسـه، أو يولّد لديه الحـقـد على أشقائه.

ومن الأحـاديث النبـوية الشريفة التي تحـث الوالديـن علـى العـدل في مـعـاملة الأطفـال قـول الرسـول ﷺ (**مــن كـانت له أنثى فلم يئـدهـا ولم يهنهـا ولم يؤثر ولده عليـهـا أدخله الله الجنة**). رواه أبو داود.

وإذا كـان الإسـلام قـد نهى الوالدين عن التمـييز بين الأبناء في المعاملة فإنه ينهاهمـا عن التمـييز المادي بين الأبناء، فلا يجوز للأب أن يكتب كل ممتلكاته أو بعضها لأحد أبنائه ويحرم الباقين، وهذا ما أكده الرسـول ﷺ في قـوله: (**لا وصـيـة لوارث**) رواه الدارقطني.

النفقة :

تعتبر النفقة من أهم الحقوق التي شـرعـهـا الإسلام للطفل، وهي واجب الآباء تجاه الأبناء امـتـثـالاً لقوله تعالى: «**وعلى المولود له رزقهنَّ وكسوتُهُنَّ بالمعروف لا تُكلَّفُ نفس إلا وسعها**» (البقرة/ ٢٣٣).

فإذا كان المولود ذكراً وجبت نفقته على والده حـتـى يبلغ سن الرشـد ويصبح قادراً على الكسب وإذا كان المولود أنثى وجـبت نفـقـتـهـا على



والدها حتى تتزوج.

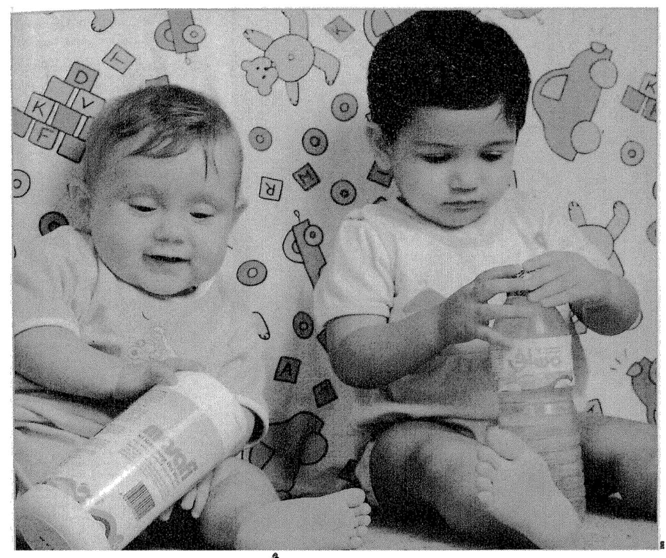
وفي حـال وفـاة الأب أو تقصيره عن النفقة على أبنائه لسوء حـالته المادية فإن الإسلام يلزم واحداً من ذوي القربى بالإنفاق عليهم شريطة أن يكون قـادراً علـى ذلك، وفي حال تقصير ذي القربى عـن ذلك أو عـدم توفـره، فـإن الدولة ستتـولى مسـؤولية النفقة على هؤلاء الأبناء حتى يصبحوا قادرين على الكسب.

وبعد :

فهذه أبرز الحقوق التى شرعها الإسـلام للطفل، والتي تبين مـدى اهتمـام الإسلام بالطفل في مراحل نموه المختلفة، وما تلك الحقوق إلا واجبات ملقاة على عاتق الوالدين كونهما مسؤولين مسؤولية تامة عن رعاية شؤون طفلهما، منذ أن يولد وحتى يصبح قادراً على الكسب.

والإسلام بتشريع هذه الحقوق يكون قـد وضع الأسس التي تكفل التربية الحسنة للطفل، تلك التربية التي تعتبر خير وسيلة لإعداد الجيل القادر على حـمـاية أمتـه والدفـاع عنها، والسير بها إلى برِّ الأمان والاطمئنان.

ومـن هـنـا يـجـب عـلـى الآباء والأمهات أن يحرصوا كل الحرص على أداء تلك الحقوق لأطفالهم، وأن يربوا أطفالهم تربية حسنة نابعة من تعاليم الإسلام، ليـحـقـقـوا لهم السـعـادة في الدارين: الدنيـا والآخرة.



تربية الأسرة ومسئولي

ما من شك في أن المنزل سيظل الوحدة الأساسية الأولى التي تُطبِّع الطفل بالآراء والقيم والمعتقدات السائدة في الأسرة والمجتمع ويبدو أثر المنزل على الطفل في نواح ثلاث:

أولا: في ناحية الوراثة البيولوجية:

التي تحدد الى حد ما الصفات التي يولد الطفل مزوداً بها كالصفات الجسمية والقدرات العقلية .. الخ.

ثانيا: من ناحية البيئة الثقافية للأسرة:

مثل الأفكار والقيم ومستويات الطموح التي يكون لها أكبر الأثر في تكوين الطفل بعد ذلك (وهذا ما يهمنا في هذا الموضوع وما نحن في حاجة بالغة الأهمية لمعرفته وإدراكه وكيفية التعامل معه).

ثالثا: ناحية الوضع الإقتصادي والاجتماعي للأسرة:

مثل الدور الذي يلعبه المنزل في النمو الجسمي والرعاية الطبية والفرص التي تتاح للطفل من الناحية التعليمية والمهنية .. الخ. وهذا لا يقل أهمية عن سابقه.

هذه النواحي الثلاثة تؤكد لنا أهمية الأسرة سواء بالنسبة لنمو الطفل أو المراهق. فالدور الذي يقوم به المنزل في عملية النمو النفسي يكون أكبر في الأعمار التي يعتمد فيها الطفل اعتماداً كليا على الأسرة (مرحلة الطفولة) ولكنه يقل تدريجيا كلما نمى الطفل وخضع لتأثير ظروف أخرى خارج نطاق المنزل. وقد تقوى هذه الظروف الأخرى أو تضعف الدور الذي يقوم به المنزل، ومما هو جدير بالذكر أن الجو النفسي للأسرة له أكبر الأثر في نمو المراهق.

فإذا أراد الإنسان أن ينمو طفله قوياً واستقلالياً ومتكيفاً مع الحياة فأول الأمور أن يمنحه شعورا بالأمن، فالشعور بالأمن يعطيه الثقة في والديه اللذين يعتمد عليهما ثم الثقة في نفسه كي يواجه الحياة ومسؤلياتها. وتعد الحاجة للحب واشعار الطفل بالأمن كبيرة في السن المبكرة من حياة الطفل.

إن من المؤسف حقاً ما يفعله بعض أولياء الأمور في تعاملهم وخاصة مع



ـــتها في تربيــة الأطفــال

سعيد بن عبدالله العلكمي
جامعـة الملـك سعـود - أبها

الاطفال. فنجد أن رب الأسرة يخرج من المنزل سـعـيـاً في طلب الرزق وتحمل أعباء المعيشة أو لقضاء أي عمل آخر فتواجهه بعض المشاكل في عمله، وعند عودته لا يكون لديه التفكير في كيفية التعامل مع الأطفال فيعود مزمجراً لا يريد أن يتحدث مع أحد وقد غاب عنه أن الأطفال في منتهى الحساسية، وقد يتأثرون بتصرفه. وأنهم على درجة كبيرة من الوعي فهم يدركون ما يحدث بين الوالدين من مشادات وقد تترك في أنفسهم الأثر السلبي مما يؤدي بهم الى عيشة القلق. وفقد الثقة في من حولهم فعلى أي أسرة أن تراعي الله عز وجل في التعامل مع الأطفال بكل جدية وأبوة حانية بعيداً عن الأساليب الخاطئة.

وهناك من يتجاهل أمور الطفل لا شعورياً فالوضع المثالي الذي ينبغي أن يكون عليه الوالدان هو أن يحلوا مشاكلهم بعيداً عن الأطفال.

ونحن في الغالب نعاني من مشكلتين في التربية:

الأولى التدليل: والتدليل الزائد عن الحد يجعل الطفل يتوقع المساعدة والإهتمام من الآخرين وأنه مركز اهتمام الجميع ومحور عطفهم ومثل هذه الاتجاهات تجعله يعرف حقوقه ولا يعرف واجباته والطفل اذا استمر والداه في تدليله فإنه قد يتطلب مثل هذا التدليل اذا دخل المدرسة واذا تعرض لأي ظرف ما.

الثانية القسوة: فقسوة الوالدين الزائدة تحرم هذا الطفل من أخذ مكانته في المجتمع وخاصة أن هناك بعض الأباء أو الأمهات قد يضربون أطفالهم ويهددونهم لأتفه الأسباب متجاهلين الأساليب السليمة في التربية وما لها من أثر طيب في التربية.



تربيــــة

مرحلة الطفولة مرتكز النمو النفسي للطفل

وأمور التربية لا تقام بهذين الحدين فلابد من الإصغاء الى الأطفال وإشعارهم بأهميتهم والجلوس معهم وفتح الصدور لهم والإبتسامة معهم واستشارتهم في بعض الأمور التي من خلالها نشعرهم بذاتهم ووجودهم بالإضافة الى تربيتهم على المساجد واعتيادها، وتعويدهم على الأدب والأخلاق الحميدة. كما انه من الواجب على الوالدين توفير وسائل اللعب للأطفال وخاصة المحببه لهم، فاللعب له فوائد عظيمة منها أنه يساعد على نمو أعضائهم ويتيح فرصة أفضل لنمو جهازهم العصبي كما ينمي لدى الأطفال روح الإبداع كما أنه يقرب للأطفال مفاهيم الآلات. وينمي مهاراتهم اليدويه فالطفل منذ عامه الثاني يحتاج الى مكان يلعب فيه كالغرفة مثلا حيث يكون جوها جيد التهوية وكذلك الاضاءة وتعويده على ترتيب أغراضه كما ينمي لديه القدره على النظام. ومن واجبات الوالدين ايضاً اتاحة الفرصة لأطفالهم بالحديث. حيث أن هذا ينمى لديهم لغة التعبير بالإضافة الى أنه من الواجب التحدث معهم بلغة سليمة ومساعدتهم في حل بعض مشاكلهم.

ومن الأمور المهمة التي أحب أن ألفت أو أنكِّر كل أم أو أب بها هو هذا الموقف وكيفية التصرف فيه:

فهو أحد المواقف الشائعة التي تثير القلق لدى الطفل وتحوله فيما بعد إلى عصابي وهو مجيء طفل جديد. فأول الحاجات أهمية عند الطفل هي الحاجة للأمن التي تحقق من خلال اشباع حاجته للحب فإذا ما رأى أن الحب ينتقل إلى آخر (المولود الجديد) يقع في حالة من الهلع والذعر ومن هنا تبدأ مظاهر الغيره والغضب كما يبدأ في الكفاح في سبيل حياته أو بدايتها، ومن البديهي أنه عندما يأتي مولود جديد فإن الطفل السابق له يشعر بالغيره ويتوقع أنه سوف يأخذ مكانته بالنسبة لوالديه وقد يصدر منه أي سلوك عدواني تجاه هذا المولود.

وان لم يصدر منه هذا فإنه على الأقل يقدم على هذا المولود ليقبله ومن هنا يخاف الوالدان على هذا المولود من اساءة أخيه السابق له والتي يعرفان أنها تحدث دون قصد فيمنعانه من الإقتراب من هذا المولود. ومن هنا يجب أن يدرك الوالدان أنهما اذا عاقبا ذلك الطفل أو منعاه من الإقتراب من ذلك المولود فكأنما قذفا به بعيداً عن اطار الأمان الذي كان يعيش فيه. وقد تجبره مخاوفه على أن يكون حسناً كوسيلة لإستعادة تقبل والديه له، ولكن الخوف المكبوت قد يظهر فيما بعد كقلق عصابي أو قد يظهر استياؤه ثانية فيما بعد في صورة سلوك عنيف ليحصل به على ما سبق أن فقده.

ومن هنا يجب على الأمهات ابلاغ اطفالهم بقدوم طفل جديد ولكن هذا لا يكفي بل يجب عليهن أن يمنحن الطفل القديم حباً ورعاية خاصتين بعد ولادة الطفل الجديد. وهنا يشعر الطفل بالأمن ويتوحد مع الأم ويبدأ في العناية بالوليد بسعادة كما يفعل كثير من الأطفال.



الحزن

الحزن

ترانيم

محمد الحافظ الروسي
المغرب/ تطوان

أين العيون التي أحببتُها؟ ومتى
تعود ضوءاً - كما عهدتُ - منفلتا؟
طوفانها مستجد والبريق خبا
والسحر طاغ ولو أن الضيا صمتا
تلومُني كُلَّ آن أو تعاتبني
وهي التي في جبيني بيرق نُحتا
يا نجمة من فؤادي تستقي مطراً
سُقياك قاتلتي فالحزن قد نبتا

الحزن سلطان قوم منهم كبدي
الحزن سوط على المحزون قد نكتا
فخاطبي أي جزء شئت من جسدي
ترين حزني بكل الحزن قد نصتا
أكل من يسكن القلب الذي أبقت
نبضاته يزعم الوردَ الذي نعتا
فهو الغُرور إذن، والشاريون دمي
يرون ذاك لطيفاً من فؤاد فتي



المرأة العربية عانت طويلا من الأزمات والحروب وتحملت الفقر والجهل.. ومع ذلك ظلت صامدة صابرة تؤدى دوراً فعالا فى خدمة قضايا وطنها.. وتحافظ على هويتها العربية.. ودينها الحنيف.

وفى السنوات الأخيرة شهدت صحوة كبيرة وحققت نجاحات كثيرة وتقلدت أعلى المناصب القيادية وكانت خير سفيرة لوطنها في الخارج لإنها حققت التوازن بين الانفتاح الفج في الغرب وبين التزامها بالمبادىء الإسلامية والعادات والتقاليد الشرقية، فحازت على أعجاب الغرب نفسه وأصبحت مثالا للمرأة العصرية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

والسيدة أسمهان بدير.. واحدة من السيدات اللاتى عشن في باريس سنوات طويلة ولكنها ظلت حريصة على عادات وتقاليد العرب المسلمين، وعملت على خدمة قضايا وطنها وبنات جنسها العربيات من خلال رئاستها للإتحاد النسائى العربي في باريس.. إلتقيناها عند زيارتها للقاهرة ودار معها هذا الحوار:

أسمهان بدير رئيسة الاتحاد النسائي العربي بباريس:

المرأة الغربية تحسد المرأة العربية على ما هي عليه

حاورتها هيام فتحي دربك

القاهـــرة

الحفاظ على الهوية العربية الاسلامية

*** متى أنشئ الإتحاد.. ولماذا ؟**

- .. تم تأسيس الإتحاد النسائى فى عام ١٩٨٠ بعضوية ٣ الاف امرأة من مختلف الأقطار العربية بالإضافة الى ٣٠٠ سيدة فرنسية مسلمة، أما الهدف من تأسيسه فهو.. تثقيف المرأة العربية والعمل على حفظ الهوية الإسلامية العربية خاصة بالنسبة لأسر المهاجرين وأولادهم الذين يولدون فى المهجر لأنه لابد للطفل الذى يعيش خارج وطنه أن يفهم أصول حضارته وتراثه العربى وغرس المبادىء العربية الاسلامية فيه حتى لا ينشأ على الثقافة الغربية وحدها فينفصل عن وطنه ودينه، ولهذا يقوم الإتحاد بتنظيم دورات تثقيفية للمرأة ليعرفها كيف تجذب أطفالها إلى حضارة ولغة وثقافة وتراث الوطن وأيضا نقوم بعرض مسرحيات للطفل تتناول قصص حياة الزعماء والأبطال أو القصص المستوحاه من التراث الشعبى والبيئة العربية ويقوم بتمثيلها الصغار أنفسهم، هذا الى جانب عقد الندوات الدينية باستمرار للأجابة على استفسارات الأمهات وكيفية مواجهة المشاكل التي تنشأ من التضارب بين العادات والتقاليد العربية وبين الحرية المطلقة التى يعيشها الطفل فى المجتمع الغربي وأثرها على سلوكه.. ويقوم الاتحاد أيضاً - والحديث مازال للسيدة أسمهان - بخدمة القضايا العربية خارج الوطن خاصة أثناء الأزمات القومية.. بالإضافة الى مساعدة المرأة أينما كانت لتخفيف متاعبها وحل مشاكلها في الغربة.

الغربية تحسد الشرقية

*** بما انك زرت معظم دول العالم**

وتعرفتي على المرأة فيها .. هل ثمة سمات معينه تنفرد بها المرأة العربية؟

ـ المرأة العربية تتصف بالتضحية والإيثار فهي على استعداد أن تضحى بحياتها فى سبيل بيتها وأولادها وهي قادرة على تحمل أعباء العمل ومسئولية الاولاد ومطالب الزوج وغيرها فى آن واحد، وهذه السمات لا تتوفر إلا في المرأة العربية فقط، والمرأة الغربية تشهد للعربية بهذه القدرة وتحسدها عليها وتتمنى أن تصبح مثلها فى أشياء كثيرة.

*** ما هى هذه الأشياء التي تتمنى المرأة الغربية أن تتمتع بها كالعربية؟**

ـ أهمها احترام زوجها لها وحرص الرجل الشرقي على بيته وأولاده ورعايتهم حتى نهاية عمره، كما أن المرأة الغربية تنظر الى الروابط الأسرية التي تجمع الأسر العربية بانبهار شديد لأنهم يعانون من تفكك أسرى ومجتمعى شديد.

*** اسمهان بدير .. أديبة وشاعرة ورسامة .. لها ثلاث دواوين شعرية بعنوان: «المحاره»، «تقاسيم على الجرح»، «مازال عالقا» ومن هنا يمكن سؤالها عن سبب اختفاء المرأة عن الساحة الأدبية؟**

ـ .. إن عدد الأديبات والشاعرات ضئيل جدا بالنسبة لعدد المرأة العربية ومقارنة بعدد الأدباء وهذا يرجع لأن الرجل يُهيَّ منذ صغره لان يكون كاتباً وأديباً من خلال الحرية التي يتمتع بها والتى تعطيه خبره وتجارب ورؤية أوسع للحياة وللأشياء بينما المرأة تعد منذ الصغر لتكون ربة بيت فقط وعادتنا تحرمها من التعبير عن أحاسيسها ومشاعرها عكس الرجل، فضلا عن أنانية الرجل وتحكمه في المرأة وغيرته من تفوقها فى أى مجال، والمسئولية تقع على المرأة فهى قليلة القراءة، لا تتعمق فى الثقافات المختلفة وانشغالها بأشياء بسيطة كالجمال والموضه، كل هذا يؤدى الى تأخرها عن الرجل وعليها مضاعفة الجهد حتى تتخطى هذه المرحلة التى تقف فيها على منتصف السلم.

الاتحاد النسائي العربي في باريس.. لحفظ الهوية العربية الاسلامية لأسر المهاجرين

*** هل لك طقوس معينة لحظة الإبداع؟**

ـ تنتابنى حالة لا شعورية .. حالة إلحاح شديد لا أستطيع أن أصفها وأحياناً يأتى التعبير عن هذه المشاعر من خلال قصيدة أو لوحة فنية.

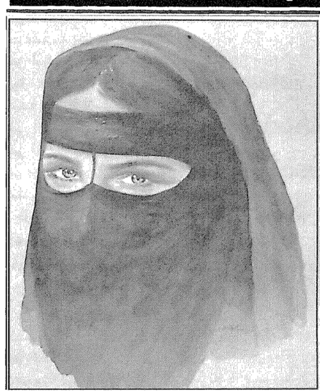
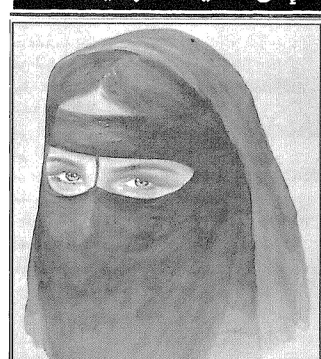
*** لحظات البوح والإبداع هل تصاب بالشيخوخة؟**

ـ الإبداع لا يصاب بالشيخوخة بل يتطور وينضج فكلما تقدم المبدع في السن كلما أصبح الابداع أكثر عمقا خاصة إذا استمر الأديب فى مواكبة روح العصر والاطلاع على كل ما هو جديد لأن الموهبة تضيع إن لم نصقلها بالقراءة والاطلاع والعمق الأدبي.

وأوصي المرأة التي تثق فى موهبتها الأدبية الا تهملها بل تحاول أن تفرض نفسها على الساحة الأدبية.

الفرنسيات.. اتخذن المسلمات في باريس قدوة لهن

المرأة العربية ينقصها كثرة القراءة والاطلاع

رسالة من ماني الموسوس إلى السيدة الجميلة



بقلم:
محمد عبدالواحد حجازي
مصر

* هو محمد بن سلام ويكنى أبا الحسن
* من أهل مصر
* شاعر لين الشعر رقيقه لم يقل شعراً إلا فى الغزل
* «مانى» لقب غلب عليه
* قدم بغداد وعاش بها
* شاعر عباسي

حبيبتى منُوسة :

باسم الحب الذى جمعنا وألف بين روحينا .. وباسم الحب الذى هو حياتنا وأقدس ما فى وجودنا ، إلا قرأت رسالتى هذه بتأن، وتمعن، وإنصاف. فإن لم تقرئيها بهذه الصفات فلن تستطيعى أن تقدرى مبلغ حبى لك، وشغفى بك وإخلاصي بك.

لقد سمعت من بعض الثقلاء، وهم كثيرون فى أيامنا هذه، من يقول إن منّوسة مطربة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، قد اغلقت بابها فى وجه الشاعر مانى الموسوس.. وأنها لم تعد تلقاه ، وأنها توشك أن تغرى به الأمير فيطرده من حضرته وبالتالى يحرمه من بره.. والحق أننى حين سمعت تلك الشائعات لم أصدقها ولم أعبأ بها فى أول الأمر.. غير أننى سمعتها من أكثر من واحد، وفي اكثر من مكان ومن ثم خشيت أن آتى إليك، فقلت في نفسى: لماذا يابن سلام لا تبعث إليها برسالة تشرح لها ما أنت ضائق به، وفى نفس الوقت تحدثها عن حبك لها فإن كانت الشائعة صحيحة فقد آذنت بالصدود المباشر وان كان الأمر على غير ذلك فسوف يظل الوصال قائما، وباب الحبيب مفتوحاً لا موصداً.. هل تذكرين يا منوسة ياحبيبتى أول لقاء تم بيننا؟ أعتقد أنك لن تنسيه، قد كان أجمل لقاء، وأعذب لقاء، وأسعد لقاء..

كنا فى حضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر، وبدأت تغنين بصوتك العذب الحنون والعيون والآذان معقودة بثغرك والأنغام تسرى منه فى شجي جميل، فان أول ما غنيت:

ولست بناس إذ غدو فتحملوا
دموعي على الخدين من شدة الوجد

وقولي قد زالت بعيني حمولهم
بوادر تحدى لا يكن آخر العهد.

قلت: أيأذن لى الأمير؟ قال: فبماذا؟ قلت: فيما أسمع. قال: نعم. فقلت لك أحسنتِ والله فإن رأيتِ أن تزيدى فى الشعر هذين البيتين:

وقمت أناجي القلب والدمع حائر
بمقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدني هذا الأمير بعدله
على ظالم قد لج فى الهجر والصد

فقال لى الأمير: من أى شيء استعديت يا مانى؟ فاستحيت وقلت: لا من ظالم أيها الأمير ولكن الطرب حرك شوقا كان كامنا فظهر.. ومن هنا أحببتك يا منوسة من أول نظرة.. أجل، من أول لحن.. ثم غنيت:

حجبوها عن الرياح لأني
قلت ياريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن
منعوها يوم الرياح الكلاما

فطرب الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر، فقلت: ما كان على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين البيتين:

فتنفست ثم قلت لطيفي
ويْك إن زرت طيفها إلماما
حيها بالسلام سراً وإلا
منعوها لشقوتى أن تناما

فقال الأمير: أحسنت يا مانى.. ثم غنيت:

يا خليلى ساعة لا تريما
وعلى ذى صبابة فاقيما
ما مررنا بقصر زينب إلا
فضح الدمع سرك المكتوما

فقلت وقد غمرتنى أشواق الهوى: لولا رهبة الأمير لأضفت الى هذين البيتين، بيتين لا يردان على سمع ذى لب فيصدران إلا عن استحسان. فقال الأمير: الرغبة فى حسن ما تأتى بــه حائلة دون كل رهبة، فهات ما عندك فقلت، والحق أننى ما كنت أصفك بل أناجيك فقد بهرنى جمالك وحسن صوتك:

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخر
بطرف لغادرته هشيما
وإذا ما تبسمت خلت ما يبدو
من الثغر لؤلؤا منظوما

فقال الأمير: أحسن الشعر ما كان مكسوا لحنا حسنا تغنى فيه منّوسة وأشباهها. فإن كسبت شعرك من الألحان مثل ما غنت قبله طاب. فقلت: ذاك إليها. فقال لى ابن طالوت: يا أبا الحسن، كيف هى عندك فى حسنها وجمالها وأدبها وغنائها؟ قلت: هي غاية ينتهى إليها الوصف. قال: قل فى ذلك شعرا؟..

والحق أن هذا السؤال كان تجسيدا لحبي لك وافتتاني بك وهيامى بسحر ألحانك..

فقلت يا منوسة يا من امتلكت قلبى وحياتى وكيانى:

وكيف صبر النفس عن غادة
تظلمها ان قلت طاووسه
وجرتها أن شبهتها بانة
فى جنة الفردوس مغروسة
وغير عدل إن عدلنا بها
لؤلؤة فى البحر منفوسه
جلت عن الوصف فما فكرة
تلحقها بالنعت محسوسه

حبيبتى منوسة :

استرجعى بخيالك، أجل ، بقلبك الزاكى تلك الذكريات فهل تجدين أن صاحبها ـ وقد خبرته بعد ذلك فى حبه وخلقه ـ ممن يستحقون أن يجنى عليهم بالجفاء وعذاب القلق وسهاد الحيرة؟ هل ذنبى أننى طوع قلبى فى هواه؟ يظهر هذا:

ذنبي إليه خضوعى حين أبصره
وطول شوقى اليه حين أذكره
وما جرحت بلحظ العين وجنته
إلا ومن كبدى يقتص محجره

ومع ذلك :

نفسى على بخله تفديه من قمر
وإن رمانى بذنب ليس يغفره
وعاذل باصطبار القلب يأمرنى
فقلت من أين لى قلب أصبره؟

أوراق زوجية

أبو عواد .. أم عمرو

٧٢٥ ـ ابو عواد :

أي أخيّة ٠٠ حاذري مصاحبة الساقطات٠٠ فانهن قد فشلن في الحياة ونبذهن المجتمع٠٠ ويحاولن تعميم فشلهن على الجميع غيرة وحسداً وانتقاماً من المجتمع الذى فى نظرهن لم يستطع أن يستوعب سقوطهن أو يغفر زلاّتهن٠

٧٢٥ ـ ام عمرو :

هذا صحيح فالصديق مرآة صديقه حتى وان لم يقلده او يحنو حنوه٠

٧٢٦ ـ ابو عواد :

الثناء في محله كالثواب للطالب المجد أو الطفل المبدع٠٠ ولكنه اذا تجاوز الحدود فقد قيمته وضل طريقه٠٠ وكذلك الثناء على مواقف حواء إلا أنها تستعذب كثرتها بلا مبرر حتى تفقدها معناها ومغزاها٠

٧٢٦ ـ ام عمرو :

الحاجة للتعزيز ضرورية لاستمرار العطاء للصغار والكبار سواء بسواء وقد تحتاج احياناً لإعطاء جرعات اكبر منها حتى تعيد للإنسان منا ثقته بنفسه ووقتها لن يكون بحاجة الى هذا الكم٠

٧٢٧ ـ أبو عواد :

أتمنى على كل متزوجة حين يستبد بها الغرور والعنجهية وتركب رأسها طالبة الطلاق٠٠ أن تتذكر أن المجتمع انما يحترم الصامدين فى ساحة الحياة لا الهاربين منها٠

٧٢٧ ـ ام عمرو :

الطلاق ليس حلاً إلا للحالات الميئوس منها والتلويح به اسلوب خاطىء يضر اكثر مما ينفع٠ ولا يجب اللجوء إليه بالإشارة او الطلب إلا عندما يقتنع طالبه بأنه لن يقبل غيره٠

٧٢٨ ـ ابو عواد:

ان الحماقة ٠٠ والحماقة وحدها ٠٠ ثم العناد والمكابرة هى السبب في هدم كيان الزوجين على رأس

قطبيه .. فكم من نادم ونادمة على خطأ حصل .. ووقت ضاع ولم يستطع أحدهما أن يكسب الآخر.

٧٢٨ ـ ام عمرو:

عندما نفهم نتسامح حتى ان كلمة «تسامح» في اللغة الانجليزية هي نفسها كلمة «فهم» يجب ان يحافظ الزوجان على قنوات الاتصال مفتوحة دائماً وعلى محطاته مستعده للإستقبال بما في ذلك محطة القلب.

٧٢٩ ـ ابو عواد:

اذا كانت الحضارة أو المدنية التي يدعون من أصولها أن أعيش أنا وزوجتي و ـ خادمه ـ و ـ كلب مدلل (وأنت بالكرامة) في (فيلا) لوحدنا ولنا حديقة.. ومسبح.. و.. و... وأمي أو أبي ينتظران دنو الأجل في احد بيوت العجزة والمسنين أو في بيت مهجور!!.. فسجلي في أعلى القائمة أن صاحب هذه السطور زعيم عصابة المتأخرين في هذه المعمورة وأول الداعين الى التخلف ومناهضة الحضارة والمتحضرين.

٧٢٩ ـ ام عمرو:

هذا الوصف للحضارة الذى يلخصها فى (فيلا وكلب مدلل وخادمة ومسبح) يصلح فقط للمسلسلات الأمريكية النهارية التى تستخدم للدعاية لأنواع الصابون.. إن الاقتناع بأن هذا الشكل يمثل احد أشكال الحضارة لا يزيد عن كونه، تزحلقاً على رغاوى صابون غسيل الحضارات الأخرى.

٧٣٠ ـ ابو عواد:

تخيلي ـ وهذا طبعا مستحيل !!!. لو أن زوجته الأولى حين عمد وتزوج عليها (حتى لو بدون سبب مقنع) ضاعفت من اهتمامها به وطاعتها له بل وحتى قدمت التنازلات والتضحيات من جانبها في سبيل سعادته مع الزوجة الجديدة!!.. (هو على كل حال مجرد تخيل)!! ـ انها بذلك ربما حملت زوجها على إعادة النظر في علاقته معها بل وربما حتى قرر انصافها.. بل لا استبعد أنه قد لا يجد هناك من حاجة الى وجود زوجة ثانية!!.. (واعتبرها كلها مجرد خيالات مهرج).. لأن اكثر النساء رزانة في مثل هذا الموقف تتصرف مهما كانت واعية وحكيمة بمنتهى الجهل والطيش!!).

٧٣٠ ـ ام عمرو:

إحساس الزوجة بالألم لاتخاذ زوجها، زوجة أخرى، ليس «جهلا ولا طيشا» ولكنه نوع من أنواع «الفعل المنعكس» وضعه الخالق فيها للمحافظة على زوجها وبيتها، مثلما نسحب أيدينا تلقائياً عند لمس موقد ساخن.. انه عاطفة تلقائية، طبيعية، لا يستطيع احد انكارها او تبديلها.. ولنتخيل ـ مجرد تخيل ـ أن الزوج في مثل هذه الحالة يدرك ما هو «الجهل والطيش».

٧٣١ ـ ابو عواد:

تمنيت على نبات هذا العصر لو يقتربن كثيرا من الشغالة وهي تقوم بالكثير من الأعمال بالمنزل لا بهدف مساعدتها.. بل على الأقل من قبيل العلم بالشيء.

٧٣١ ـ ام عمرو:

إذا كنا سنترك مهمة تربية بنات هذا العصر وإعدادهن للحياة للشغالات فلنقل جميعاً على الدنيا «السلام»!

٧٣٢ ـ ابو عواد:

عندما يمني الرجل نفسه بزوجة واعية.. تجتهد لاسعاده ويجتهد لإسعادها.. ثم يتبين له أن ثمة وصاية جديدة ستفرضها عليه امرأة!!.. فانه يدور بعكس عقارب الساعة!!.

٧٣٢ ـ ام عمرو:

اذا كان الزواج دخولا في وصاية امرأة جديدة فمن هى إذاً المرأة القديمة؟ هل هى ام هذا الزوج/ إذا كانت الوصاية الجديدة تعنى امتداد وصاية الأم بحدبها ورعايتها فما أسعده من زوج. وعلى كل الأحوال الزوجة الواعية هى نتاج اختيار زوج «واع».

٧٣٣ ـ ابو عواد:

انهم يتحدثون في مجالسهم عن سيدة قتلت زوجها بالساطور.. وأخرى قتلته مسموماً.. ولا يعرفون يا سيدتي كم من ضحية للنساء.. ماتت ـ قهراً ـ ولم يكتشف التشريح هوية ـ الجاني!!.

٧٣٣ ـ ام عمرو:

نعم ضحايا القهر كثيرون. وكل الدلائل والإحصاءات تؤكد أن غالبيتهم من النساء، والله أعلم.

٧٣٤ ـ ابو عواد:

نحن هنا نتحدث عن امرأة ليست في وظيفة.. وكل ما لديها طفل واحد.. فبأي عذر تبرر هذه الزوجة تعقيدها في شؤون بيتها وحق زوجها؟!.

٧٣٤ ـ ام عمرو:

نستطيع أن نصف سلوك إنسان. ولكننا لا نستطيع أن نبرره ألا بفهم الغاية من ورائه، إن أغلب هذه الحالات تعانى من الملل والرقابة لانعدام التعزيز الذي تحتاجه الزوجة من حين لآخر حتى تستطيع الإستمرار فى عطائها وهى تقضى أغلب أوقاتها مع طفل لا يملك القدرة على التفكير أو التواصل.

٧٣٥ ـ ابو عواد:

أهم في كثير من الأحيان.. كلما ذهبت لكي أبارك بالزواج لعريس جديد.. أن أهمس في أذنه فأقول.. لا تخدعك دموع ـ التماسيح!!.. فغداً تبكي.. ولا تجد من يكفكف لك دموعك.

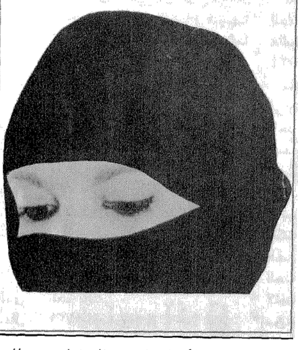
٧٣٥ ـ ام عمرو:

ومع نصيحة لا يغرنك بكاء التماسيح الموجهة للزوج الجديد من صديق مخلص يمكننا أن نضيف: «اذبح لها القطة من أول يوم» فكها «تسالى» لجلسات سامر الرجال.

ثقافة عربية

عمر بن أبي ربيعة .. بـ

قليلون من لا يعرفون الكثير عن الشاعر المتغزل عمر بن أبي ربيعة، وقليلون من لا يحفظون من شعره الذي صرف جله في وصف النساء، والتحدث عن جمالهن وكياستهن، حتى لا تكاد تختلف واحدة عن الأخرى في وصفه لها، لأنهن جميعاً من الطبقة الاجتماعية الراقية التي ينتمي هو إليها، مترفات



ولم يكن عمر من شعراء الفكر والخيال، وإنما هو شاعر الذكرى ومشاعر الأحاديث، فقد نشأ على الترف فارغاً وحوله الجواري والأرقاء يوفرون لديه من أسباب اللهو ما يمكن أن يتوفر لأمثاله من أبناء الأشراف الفارغين من متاعب الحياة، لذلك كان ميالا الى التحدث والسمر، وكان حلو

غنيات شريفات، منصرفات إلى القراءة والكتابة.. عمر بن أبي ربيعة لم يكن شاعراً ماجناً ، ولكن طبيعة حياته الأسرية المترفة، والظروف الاجتماعية التي كانت تحيط به جعلت منه هذا الشاعر المتغزل الذي تقبل النساء على سماع شعره فيهن، كما تقبل على لقائه ومجالسته ليصفهن فيصبحن بهذا الوصف من المشاهير، وهو وصف قل مثيله، لأنه لم يكن هناك شاعر يضاهي عمر بن أبي ربيعة في هذا المجال في تلك الفترة من نشوء الدولة الاسلامية، ولنقرأ هذين البيتين لنتعرف على أسلوبه وطريقته في الوصف:

وطافت بنا شمس عشاء ومن رأى من الناس شمساً بالعشاء تطوف
أبوأمها أوفي قريش بنمة وأعمامها، إما نسبت، ثقيف.

الحديث، يتكلم فيرضي ويصغي فيشوق.

سخر شاعريته للتحدث الى المرأة وعنها، وهو لا يقف من الخيال موقف سائر الشعراء، وإنما يقف أمام الواقع، وأمام الحادث والحديث، فيصف ما جرى، ويتحدث عن تفاصيله بدقة عجيبة، لانه يحفظ هذه التفاصيل ويحسن الحديث عنها.

● نوافذ على ثقافات العالم ● نوافذ على ثقافات العالم

● نهاوند عبدالله - جدة ●

بين الغزل وموسيقى الشعر

تميز ابن أبي ربيعة في شعره عن غيره بالحوار والقصص، وأيضاً بالأناشيد، والحوار عنده عمل فني متكامل قصد إليه قصداً وجعله قوام فنه الشعري، واختلف فيه عما عرف من حوار في الفن الشعري من العصر الجاهلي على يد امرئ القيس، فبسط فيه القول، وجعل له طلاوة ولباقة وبلاغة لم تجتمع لغيره:

قلت: من هذا، فقالت: بعض من
فتن الله بكم فيمن فتن
قلت: حقا ذا؟ فقالت قولة
أورثت في القلب هماً وشجن
يشهد الله على حبي لكم،
ودموعي شاهد لي والحزن
قلت: يا سيدتي عذبتني!
قالت : اللهم عذبني إذن

أما فنه القصصي فهو يأتي به في سياق شعره، حيث يروي الحدث، فيجعل القارئ يحس به وكأنه يجرى أمامه، ولكنه ليس الفن القصصي بمعناه العام الذي يتضمن بداية ونهاية وعقدة ودراما، وإنما هو الحديث المنظوم الذي يتفرد به من بين شعراء العربية، ويتميز بالدقة المتناهية:

بينما ينعتنني أبصرنني
دون قيد الميل يعدو بي الأغر
قالت الكبرى أتعرفن الفتى؟
قالت الوسطى: نعم هذا عمر!
قالت الصغرى وقد تيمتها
قد عرفناه، وهل يخفى القمر

إنها صورة شعرية حوارية مرسومة بأسلوب قصصي جميل يدهش العقل، وبعبارات تحرك المشاعر بصدقها وعفويتها.

وأناشيده أناشيد حب غناها ابن سريج والغريض مغنيا الشاعر، فأبدعا فيما غنيا من شعره مثل:

كتبت إليك من بلدي
كتاب موله كمد
يؤرقه لهيب الشوق
بين السحر والكبد
فيلمس قلبه بيد
ويمسح عينه بيد

ولأنه يتحرى في فنه الشعري الدقة الواقعية، تظهر النساء فيه بأخلاقهن واشاراتهن وحركاتهن وجمالهن، ويحاول أن يظهرهن وهن يطلبنه دائماً ويتحدثن عنه في غيابه، ويتغزلن به أكثر مما يتغزل هو بهن، ويلقين عليه النعوت الجميلة، والأوصاف المميزة.

من رسول ناصح يخبرنا
عن محب مستهام قد كتم
حبه، حتى تبلى جسمه
وبراه طول أحزان وهم

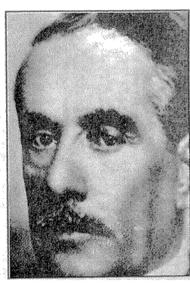
ولد عمر بن زبي ربيعة في المدينة المنورة سنة ٦٤٤م/ ٢٣هـ من أب اسمه بجير من بني مخزوم من أمنع بيوت قريش وأعظمها جاهاً وثروة ونفوذا، وأم اسمها مجد كانت سبية حضرمية أو حميرية، وكان جميلا، أنيقا في ملبسه وحياته، سهل المعاشرة، بطئ الغضب، ظريف اللسان، مليح النكتة والدعابة.. مات سنة ٧١١م/ ٩٣هـ، وأغلب الظن أنه مات من مرض في اليمن..

● نوافذ على ثقافات العالم ● نوافذ على ثقافات العالم

ثقافة ايطالية

جياكومو بوتشيني
الموسيقي الايطالي العميق

يقولون: إن الموسيقى غذاء للروح، نحتاجه في كل زمان ومكان، ولا شيء في الحياة مثل الموسيقى يوجد في كل شيء، فيمنح الحياة رونقاً وألقاً، ولا يختلف الأمر في ذلك سواء أكانت الموسيقى شرقية أم غربية أم ايقاعية أم منغمة، فهي أيا كانت تخترق حجب النفس الانسانية وتصل الى الأعماق.. جياكومو بوتشيني الموسيقي الايطالي العظيم الذي تتلمذ على يد أعظم الموسيقيين الايطاليين جيوزيبي فيردي سيد فن الاوبرا في ايطاليا، يمكن أن نطلق عليه أنه مؤسس أو مبتكر الأوبرا النفسية التي تعبر عن مشاعر الشخصيات داخل العمل الموسيقي وخارجه، والتي تضع المستمع والمشاهد في عمق الحدث عبر نقله وبهدوء تدريجي إلى هذا العمق، إذ كانت من ميزات بوتشيني أن يحاول في كل أعماله تهدئة العنف الذي يولد داخل الحدث بدلا من اثارته ودفعه الى السطح..



أنجز بوتشيني خلال حياته عدداً كبيراً من الاوبرات الهامة، من أبرزها «البوهيمية»، و«مدام باترغلاي» ، «توسكا» ، «نوراندوت»، «مانون ليسكو»، «فتاة الغرب»، وهي جميعاً ما تزال حتى اليوم تعتبر من الأعمال الموسيقية العظيمة التي تحظى بالاهتمام، لأنها تتسم بطابع مسرحي اوركسترالي يمكن القول إنه واحد من أسس العمل الاوبرالي عند بوتشيني.

بدأ بوتشيني الذي ولد عام ١٨٥٨ وتوفي في عام ١٩٢٤ حياته الموسيقية مصغياً لوالده الذي كان من عازفي الموسيقى البارزين استمع الى موسيقى اوبرا «عايدة» الفيردي، فتركت في نفسه أثرا ظهر في التطور الكبير الذي شهدته أعماله الموسيقية بعد ذلك، ولم يكن فيها متأثرا بفيروي بقدر ما كان مستفيداً من جماليات الابداع الفني عنده، وبالرغم من أن بعض النقاد يتهمه بأنه لا يجيد وضع النهايات الموسيقية المناسبة في لحظات القمة الدرامية في أعماله، إلا أن من يمعن جيداً في هذه الأعمال يدرك بسرعة أن طبيعته التي ترفض الصخب والعنف وتميل الى الهدوء وتظهره على أنه امتصاص للعنف والانفعال وخلق حالة سكونية يغلفها الحزن فتترك تأثيراً أعمق من ذلك التأثير الانفعالي.

جياكومو بوتشيني، بلا شك واحد من أعمدة الأوبرا العالمي الهامة.

● نوافذ على ثقافات العالم ● نوافذ على ثقافات العالم

ثقافة ألمانية

قصائد قصيرة من شعر: الفيلسوف الألماني «نيتشة»

سعادتي

حين تعبت من البحث.
تعلمت أن أقوم باكتشافات.
منذ أن أصبحت الريح صاحبتي.
صرت أبحر مع كل ريح.

####

الكتابة بالقدم

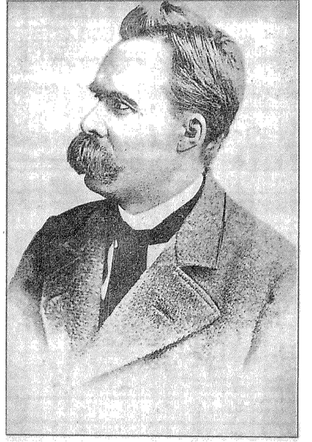
أنا لا اكتب باليد فقط.
قدمي هي أيضاً تريد أن تكتب.
حازمة وحرة وجسور.
تشرع في الجري ..
مرة عبر الحقول،
ومرة عبر الورق.

الحكيم يتكلم

غريب عن الشعب،
ومع ذلك أنا مفيد ونافع له
أمشي في طريقي،
مرة في الشمس،
ومرة في السحاب،
ومرة في العتمة،
ودائماً فوق الشعب.

لهب

نعم أنا أعرف أصلي ومنشأي.
وأنهما كما اللهب.
أتلف نفسي متأججا.
نوراً يتحول كل شيء أمسكه.
وفحماً كل ما أتركه.
مؤكدا أنني لهب.



● نوافذ على ثقافات العالم ● نوافذ على ثقافات العالم

كتب وتراث

قمنا في الحلقات السابقة باستعراض عدد من الميادين والمعلومات التي يتضمنها المعجم في مواده المختلفة، بحيث بدا لنا في عدد من مداخله اللفظية، وفي التعريفات المقابلة لها، أشبه بموسوعة ثقافية منه بمعجم مرادفات. وأفادنا هذا العرض في التعرف الى جوانب من الخلفية الثقافية واللغوية التي ينهض عليها «كتاب العين» بقدر ما أتاح لنا تبين «زمنيته المعرفية» هل يمكننا القول، بعد هذا الإستعراض، ما إذا كانت هذه الأصول اللغوية والثقافية «أصيلة» أم «مزيدة»: هل أضاف الشراح والنساخ على المادة الأصلية؟ هل نجد في هذه المادة معلومات لا ترقى الى معارف الخليل في عصره، بل الى عصور لاحقة عليه؟.

التحقق من تحقيق «كتاب العين» للفراهيدي (الحلقة الأخيرة)

د. شربل داغر - لبنان -

لا نقوى في هذه الدراسة على التوقف أمام هذه المعلومات: فهي واسعة تطاول ميادين عدة من المعارف والأخبار، من جهة، عدا أننا لا نستطيع دائماً، ولا نملك دائماً من المعلومات الموثقة عن معارف عصر الخليل، ما يمكننا من إجراء المقارنات والمقابلات التي ندعو اليها فنحن نشك في زيادة عبارة هنا او هناك في المعجم أضافها النساخ، مثل وقوعنا في مواضع محدودة في المعجم على عبارتي **«أهل الكوفة» و« أهل البصرة» في النحو، ذلك أن قيام هاتين المدرستين وتعينهما على هذه الشاكلة حصل بعد موت الخليل، لا في زمانه.**

نشك في هذه الزيادات، كما نشك في غيرها من سقطات المعجم في طبعته المحققة: فقد أفادتنا المصادر أن الخليل، على ما قال ابن سلام في «طبقات فحول الشعراء»، «استخرج من العروض، واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرج أحد، ولم يسبقه الى مثله سابق من العلماء كلهم».وأفادتنا المصادر أيضاً ان الأخفش زاد بحراً شعرياً واحداً، هو «المتدارك» على قائمة البحور الشعرية التي استخرجها الخليل، نتأكد من وجود هذه البحور في المعجم (ومن وجود غيرها في أمور العروض والقافية وخلافها مما يتصل بالشعر) إلا أننا لا نجد أثراً يذكر للبحور التالية: «الطويل» في مادة «طول» (٤٤٩/٧ ـ ٤٥١)، و«الكامل»في مادة «كمل» (٣٧٨/٥ ـ ٣٧٩)، و«السريع» في مادة «سرع» (٠٣٣/١ ـ ١٢٣)، و«الخفيف» في مادة «خف» (١٤٣/٤ ـ ١٤٤)،

و«المضارع» في مادة «ضرع» (١/٢٦٩ ـ ٢٧٠)، و«المقتضب» في مادة «قضب» (٥/٥٢ ـ ٥٣) وغيرها.

يمكننا أن نتساءل بالمقابل، عن غياب عدد من المعطيات عن الألحان والأنغام في المعجم المحقق، بعد أن أفادتنا المصادر عن مساهمات الخليل، بل عن وضعه مؤلفاً في هذا الميدان.

أهي زيادات وهفوات النساخ؟ يمكننا ان نثير السؤال هذا، إلا أن هذه الملاحظات لا تتصل ـ على قيمتها ـ بمراد المعجم الأساسي، وهو ضبط ألفاظ العربية « بحيث لا يخرج منها شيء»، حسب عبارة الخليل نفسه في تقديم معجمه، ولكن أهو معجمه حقاً؟.

لا يتواني عن طرح هذا السؤال علماء ودارسون، قدامى ومحدثون، منذ وصول نسخة «كتاب العين» الى البصرة في سنة ٢٤٨هـ، من دون أن تصل هذه التحقيقات ـ على قيمة بعضها ـ الى حل ناجز، إلا انه بدا لنا مفيداً قبل السعي في عملية الاجابة هذه، ان نتبين حدود المشكلة المطروحة، قبل تبدد الشكوك ـ وهي مصيبة وذات نفع في بعض الأحيان ـ أو لا تأخذ معها .. «كتاب العين» معها وبرمته.

يمكننا ان نتحدث عن هفوات وزيادات واخطاء مطبعية في طبعة «العين» المحققة ـ على الرغم من عمل المحققين المضني والثمين في التحقيق والتصحيح ـ من دون أن تغيب هذه المعايب من قيمة الكتاب المحقق بفضل جهود هذين العالمين، خاصة وأنهما أعادا إلينا هذا المعجم الفريد في أسبقيته، في غنى مواده اللغوية وفي طريقته المبتكرة في إحصاء العربية، ونحن لا نسوق هذا الكلام من باب التجامل او اللياقات الإجتماعية، بل لأننا وجدنا أن نقد «كتاب العين» على الرغم من وجاهته وجديته أحياناً بَلْبَلَ أكثر مما أوضح واقع المشكلة وحدودها.

انشغل القدامى والمحدثون بملاحظة بعض ظواهر التخليط في مواد المعجم أو الزيادات فيه، أكثر مما اشتغلوا على التحقق من مواده الأصيلة والنافعة اذا جاز القول، فلا تفتح كتاباً في النحو واللغة والمعاجم في العربية، إلا وتلقى القسم الغالب من المادة المخصصة لـ «كتاب العين مقتصراً على التشكيك به، وهو تشكيك يطيح بـ «إجمالي» الكتاب، اذا صح القول، لا ببعض بنوده وفقراته وحسب، على غرار ما فعله ابن جني، حين أنكر صدوره عن الفراهيدي، سارع الكثيرون الى ملاحظة هذه النقيصة أو تلك، غافلين في بعض الأحيان عن الحقيقة التالية، وهي ان مجمل المعاجم العربية اتخذت من «كتاب العين» في نسخه المتوفرة أساساً، أو صلباً تكونت حوله موادها المعجمية، فلا نفتح ورقة من «المخصص» أو من «تهذيب اللغة»، أو من «لسان العرب» وغيرها إلا ونقع على نقول من «كتاب العين».

ينكرونه وهو في أساس تآليفهم ! ولم يتأخر المحققان العراقيان عن القول في تقديمهما للطبعة المحققة: «ولكننا حين نتصفح «تهذيب اللغة» ونقابله بما في «كتاب العين» نعجب من أمر

قيام مدرستي الكوفة والبصرة في النحو كان بعد وفاة الخليل

«كتاب العين» منسوب في أضيق الاحتمالات في مادته اللغوية إلى جمع من العلماء

الرجل الذي حاول في غير ذكاء أن يجمع بين تحامله على الليث وغضه من شأنه، ونهب ما في كتابه، على حد زعمه، ليبني كتابه عليه، لقد كان «العين» بكل ما فيه من ترجمات وبيانات وتفسيرات أساس كتابه الذي لم يزد عليه إلا روايات ونقولا من غير الخليل، ولم يضف شيئاً على ما فعله الخليل الذي يسميه بالليث أو بابن المظفر إلا مفردات أهملها الخليل، أما ما كان يرد به على الليث، ويزعم أنه مصحف أو أنه غير معروف فأكثره مزاعم يبطلها مراجعة نصوص «العين» **وقد وضح لدينا في كثير من الأحيان أن الأزهري كان لا يتوانى عن النيل من «العين» او نسبة التخليط إليه ولو باطلا».**

أنكر هذا العالم أو ذاك ورود هذه العبارة أو تلك في «كتاب العين» إلا أن أحداً لم ينكر «عربية» هذا المؤلف، فقد تناولت الإنتقادات إمكان نسبة بعض الاجتهادات النحوية أو تلك في المعجم للمدرسة الكوفية لا للخليل، من دون أن يتوقف أحدهم للإشارة الى أن هذه الإجتهادات لا تقع خارج العربية بل في صلبها، وهي إجتهادات قد تثير شكوكا حول نسبتها الى الخليل (على الرغم من كون الاجتهادات الكوفية لم تكن بينة بعد في عهده، بحيث تنسب لها لا له) لا الى علم العربية على أية حال. كما أنكر هذا الدارس أو ذاك ورود نقول في «كتاب العين» عن أعراب لم يشافههم الخليل من دون أن ينكر عربية هذه النقول، فالغالب الأغلب من المواد التي شكَّ في نسبتها الى الخليل، هي عربية في نهاية المطاف، وهي مزامنة لعصره أو لاحقة عليه في عقدين أو خمسين عقداً في أوسع الإحتمالات.

نخرج من هذا القول الى الإستنتاج التالي، وهو أن «كتاب العين» موضوع في أصعب الاحتمالات، في العقد الخامس من القرن الثالث الهجري (متخذين من وصول نسخته الى البصرة في سنة ٢٤٨هـ مؤشراً زمنياً للتأليف)، وأنه منسوب في أضيق الإحتمالات، في مادته اللغوية الى جمع من العلماء العرب بالإضافة الى الخليل والليث.

هذا هو الحد التعريفي الأدنى لـ «كتاب العين»، ولكن ألا يسعنا الوصول الى حد تعريفي أعلى بعد مطالعتنا الناجزة لأجزائه الثمانية المطبوعة، فمثل هذا الحد يقصر مشكلة المعجم، في فترة زمنية لا تتعدى الثمانين عاماً (بين وفاة الخليل ووصول النسخة الى البصرة)، وفى عدد من العلماء الى جانب الخليل والليث، ولكن ألا نقوى على تعيين أشد للفترة الزمنية ولمشاركات العلماء في صياغته؟ هل يمكننا تعيين زمن تأليف «كتاب العين»؟.

تعيين زمن تأليف «كتاب العين»:

ان طرح السؤال قد يثير المشكلة تعقيداً: كيف لنا ان نعرف هذا الزمن إذا كنا مختلفين حول ظروف تأليفه، قد لا نقوى على الإجابة الأكيدة في هذا الشأن، غير أننا وقعنا في «كتاب العين» على مؤشر زمني يستحسن التوقف عنده، وهو التالي : «باب الغين والكاف وهو مهمل إلا الكاغد وهي خراسانية» (ص٤/٣٥٦)، المؤشر لافت في قيمته، ذلك أنه لا يعين لنا معرفة أهل خراسان بالورق، كما نقع في مادة «ورق» على المعطيات اللغوية التالية: «الورق: أدَمٌ رقاقٌ، منها ورق المصاحف، والواحدة من كل هذا ورقة، والوراقة: صنعة الوراق» (ص٥/٢٠٩) وهذه المادة اللغوية لافتة هي الأخرى في قيمتها، إذ تعين لنا وجود عبارة عربية لتسمية حوامل الكتابة، لا سيما المصاحف منها، ما يفيدنا في تبين معرفة المسلمين، لا في خراسان وحدها بل في المناطق العربية أيضاً بالورق، ماذا تفيدنا هذه المعطيات؟

إنها تعرض لنا معرفة قابلة للتعيين التاريخي، ذلك أنه ما أتيح للمسلمين التعرف الى مادة الكاغد وصناعته في بلدانهم قبل سنة ١٣٤هـ، إثر الواقعة الحربية التي جرت بين العرب بقيادة زياد بن صالح وبين أمراء الترك وحلفائهم الصينيين علي ضفاف نهر طراز، كما أفادت المراجع العربية والصينية، ففي هذه الواقعة وقع عدد من الأسرى الصينيين في أيدي العرب، وجيء بهم الى سمرقند حيث عملوا في صناعة «الكواغيد» على ما أفادنا صاحب «المسالك والممالك»، «ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند، فعم خيرها والارتفاق بها جميع البلدان في الآفاق» غير أن صناعة الورق وخلافه لم تقتصر على سمرقند بل تعدتها، مع قيام العهد العباسي، الى بغداد وغيرها، حيث أقام فيها أحد البرامكة أول معمل لصنع الورق، إن ورود هذه المعلومات في «كتاب العين» يقودنا الى القول،

الى تقديم الفرضية التالية: جرى تأليف هذا المعجم حتى جزئيه الرابع والخامس على الأقل بعد سنة ١٣٤ للهجرة على الأرجح.

ولكن لنعد الى الموضوع الأساسي، موضوع نسبة الكتاب الى الخليل فلقد تناولت «كتاب العين» كما أسلفنا القول، شكوك تتصل في نسبته: أهو للخليل وحده؟ أم للخليل مع الليث بهدي من الخليل وتوجيهه؟ أم لليث وحده (او جمع من العلماء)؟ هل وجدنا في الطبعة المحققة من المعطيات ما يساعدنا في مسعانا هذا؟.

تعدد الروايات حول نسبة الكتاب:

- فمنهم من نفى صلة الخليل به تماماً مثل ابن جني (-٣٩٢هـ) الذي قال: «وان كان للخليل فيها عمل، فانما هو أنه أومأ الى عمل هذا الكتاب ايماء، ولم يله بنفسه ولا قرره ولا حرره».

- ومنهم من قال ان الخليل وضع رسم الكتاب من دون حشوه بسبب الموت الذي عاجله، فأكمل الليث الكتاب، وقد ورد خبر هذا الزعم في الرواية التالية: قال ثعلب (-٢٩١هـ) **«انما وقع الغلط في كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه»**.

- ومنهم من قال ان الخليل وضع قسماً من الكتاب، ثم ما لبث الليث ان أكمله: قال الأزهري (-٣٧٠هـ): **«ولم أر خلافاً بين اللغويين ان التأسيس المجمل في أول كتاب العين لابى عبد الرحمن الخليل بن احمد، وان ابن المظفر اكمل الكتاب»**، ولهذه الرواية صيغة أخرى، بل «طريفة» ساقها ابن المعتز (- ٢٩٦هـ)، وتفيد ان زوجة الليث غارت من جارية اشتراها، فأغاظته باحراق نسخة العين الوحيدة التي كانت بحوزته، «فاستدرك النصف من حفظه، وجمع على النصف الباقي علماء أهل زمانه».

- ومنهم ايضاً من أكد نسبة هذا الكتاب للخليل، مثل ابن دريد (-٣٢١هـ): **وقد ألف ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي رضوان الله عليه كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، وعنى من سما الى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكل من بعده له تبع، أقر بذلك أم جحد»، فما يمكننا ان نقول في أمر هذه النسبة؟**

قلة من العلماء أخذت بموقف ابن جني الذي قصر دور الخليل في وضع «كتاب العين» على دور «ايماء»، ماذا يعني الايماء في هذه الحالة؟ أليس هو صيغة أكثر تخفيفاً مما هي عليه الصيغة الأخرى التي تقول بوجود فارق بين «رسم» المعجم (الذي خطه الخليل) و«حشوه» (الذي وضعه الليث)؟ **ما نتبينه واقعاً في هذه الصيغ المختلفة هو انها ليست سوى «تقديرات ظنية»** بل ... روائية أحياناً مع ابن المعتز.

يعود السبب الأساسي لاختلاف العلماء في أمر نسبته الى وصول الكتاب «المتأخر» الى البصرة، ما أثار الشكوك حوله، وما منع بالتالي من توفر «شهادات» تؤكد او تنفي اي تجلب ما يفيد من الاخبار والمعلومات عن وضع الكتاب، وأدى هذا الوصول المتأخر الى إحداث البلبلة من جهة، والى فتح باب .. الاجتهادات من جهة

الأزهري.. لا يتوانى عن النيل من العين

«إنما وقع الغلط في كتاب العين لأن الخليل رسمه.. ولم يحشه»

ثانية ولكن ألا توجد «شهادات» مجايلة للخليل أو لليث نفسه تؤكد او تنفي او تصحح هذه الصيغ او بعضها؟.

وصلت نسخة «العين» الى البصرة في ٢٤٨هـ، كما أسلفنا القول، اي بعد وفاة الخليل والليث، الا ان هذا لا يعني ان مجايلي الخليل او عددا من تلامذته لم يعرفوا هذا الكتاب، أفاد ابن النديم عن ابي بكر بن د ريد انه «كان سمع بهذا الكتاب» قبل وصوله الى البصرة، وانه كان موجوداً في «خراسان في خزائن الطاهريين» الى هذا ورد في «الفهرست» ايضاً خبر مفاده ان النضر بن شميل (ـ ٢٠٣هـ) وضع كتاباً موسوماً «المدخل الى كتاب العين» الا ان الأخبار متضاربة حول النضر، فهو أنكر في حديث مروي عنه معرفته بـ «كتاب العين»: سُئل عنه فأنكره «فقيل له: لعله ألفه بعدك، فقال: أو خرجت من البصرة حتى دفنت الخليل» فكيف وضع مدخلا لكتاب أنكره؟ نميل الى القول، بعد الأستاذ محمد حسين آل ياسين، بأن الخبر الأخير المروي عن النضر مختلق تماماً: «فكيف يسأل عن كتاب لا علم لأحد به حتى ذلك التاريخ؟» ولعل النضر عرف بوجوده حين أقام في خراسان، وفي مرو، حتى مات فيها في ٢٠٣هـ.

تناولت الشكوك النسخة التي وصلت البصرة، من دون ان يقوى احد من تلاميذ الخليل او من مجايليه ـ فيما عدا النضر بن شميل على الأرجح ـ على التدخل في هذا الجدال: وصلت النسخة في ٢٤٨هـ، وتوفي سيبويه في ١٨٠هـ، ومؤرج في ١٩٥هـ، والأخفش في ٢١٥هـ ألا تجلب إلينا طبعة «العين» المحققة شيئاً من الإجابة على هذا السؤال؟.

بدا لنا مفيداً التوقف أمام «الأسانيد» التي يعود اليها الخليل، والواردة في الطبعة المحققة للتأكد منها (خاصة وان الشكوك طاولتها في بعض الأحيان)، وتبين قيمتها، وتعيين جهد الخليل بالتالي في التاريخ اللغوي والمعجمي العربي. ماذا عن مراجعه اللغوية؟ عمن أخذ؟.

لا يتأخر الخليل في غير موضع من معجمه عن الإشارة الى أنه هو الذي جمع وقيد هذا المعنى أو ذاك، أو يفيد، على سبيل المثال، أن هذا المعنى يرد في كلام «العامة» أو ينفي أحياناً ما لم يبلغه: «(...) ولم أسمع منه فعلا». يورد أقوالاً عما كان يسمعه في البصرة، أو ما جمعه من بوادي الحجاز ونجد وتهامة.

إلى هذا، يتضمن المعجم في غير موضع من متن التعريفات أقوالاً أو أسانيد لغوية لعدد من الخلفاء والصحابة مثل: عمر بن الخطاب وعلى بن ابي طالب وزيد بن ثابت والحجاج بن يوسف وخالد بن صفوان وغيرهم. أو يعود إلى تفسيرات أو تعاليل لغوية أو معجمية للغويين ومفسرين مجايلين أو سابقين له مثل أبي الدقيش والحسن البصري ومالك بن نويرة ونصر بن سيار وابن عباس وأبي هريرة وابي بكر بن سيرين وأبي عمرو بن العلاء وسيبويه والأصمعي وغيرهم.. إذا كنا نتبين في قائمة الأسماء هذه عدداً من اللغويين المعروفين ما لا نحتاج للتعريف بهم، مثل ابن عباس، أول المفسرين، وأبي عمرو بن العلاء (٦٨ ـ ١٥٥هـ)، ونصر بن سيار (والد الليث) وغيرهم، فإننا نقع على عدد من الأعراب ممن أخذ عنهم الخليل أو غيره، سواء أكانوا في البصرة أم خارجها، من هؤلاء الأعراب نتعرف إلى:

ـ أبي الدقيش، وقد ذكره الخليل في مواضع عدة من معجمه، ويورد عنه في مادة «دقش» تفسيراً للقبه: «قلتُ لأبي الدقيش: ما الدَّقْشُ والدُّقَيْش؟ قال: لا أدري، قلت: فاكتنيتُ بكنية لا تدري؟ قال: إنما الكنى والأسماء علامات من شاء تسمى بما شاء لا قياس ولا حتم». وهو أبو الدقيش القناني الغنوي، من قدماء رواة البصرة، أخذ عنه النضر بن شميل وغيره، ولعله شاخ في أيام زيد وأصحابه، إذ يقول «دخلنا على أبي الدقيش وهو شاك، فقلنا له: كيف تجدك؟ قال: أجدني أجد ما لا أشتهي، وأشتهي مالا أجد ولقد أصبحت في شر زمان، وشرِّ أناس، من جاد لم يجد ، ومن وجد لم يجُدْ».

ـ أبو خيرة الأعرابي ، وهو نهشل بن زيد العدوي: نزل الحيرة، وعاد إليه عدد من علماء اللغة، ويعد مع أبي الدقيش والمنتجع وأبي مهدية (أبو مهدي، في بعض المصادر) من أوائل الأعراب وأشهرهم وأوثقهم في البصرة، وله كتاب «الحشرات» الذي نقل عنه وذكره ابن سيده في «المخصص»، وكتاب «الصفات» الذي ذكره احمد بن محمد أبو حامد الخرزنجي البشتي ضمن مراجعه في كتاب «التكملة» الذي أومأ إلى أنه أكمل به «كتاب العين» وله

أحاديث في طيور البادية، وأخباره واردة في غير كتاب قديم لا سيما احتكام عدد من العلماء له مثل أبي عمرو بن العلاء.

- أبو سعيد الضرير، وهو أحمد بن خالد البغدادي، وقد تأدب على عوسجة الذي استقدمه عبد الله بن طاهر، حسبما وردت أخباره في «معجم الأدباء».

إلا أننا نقع على عدد واسع من الأسماء مما لا نحسن التعرف إليهم في صورة مؤكدة:

- عرام: أهو عرام بن أصبغ السلمي، الذي ذكره القفطي على أنه من الأعراب الذين استقدمهم عبد الله بن طاهر إلى نيسابور، في «معجم الأدباء» وواضع كتاب «أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه»؟ لا نقوى جواباً عن هذا السؤال، ذلك أن الكتب القديمة تفيدنا عن نحوي اسمه عرام أيضاً، وهو أبو الفضل العباس بن محمد، إلا ان عدداً من الباحثين المحدثين، ممن درسوا «كتاب العين» مثل الشالقاني وياسين وغيرهما، يميل الى الإعتقاد بأن المقصود هو الأعرابي.

- مبتكر: أهو مبتكر الأعرابي الذي سكن خراسان، حسب ما ورد في كتاب «الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث» للباحث ياسين؟.

- أبو ليلى: أهو أبو ليلى الذي سكن في خراسان بدوره؟

- حماس : أهو الوارد في مسرد الاعراب الذي اعده الباحث ياسين؟

- موسى : أهو موسى السيلاني المعاصر لأنس بن مالك، حسب ما ورد ذلك في كتاب «الأعراب الرواة» للشالقاني؟

- شجاع : أهو شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي، وهو من رواة أبي عمرو بن العلاء؟

- حذيفة : أهو حذيفة بن غانم، أو الجهم، الصحابي وأحد كبار نسابي قريش؟

وماذا عن غيرهم مثل: أبو عبد الله والقاسم وأبو فردة والسدي ومزاحم وشريح والساجع وزائدة وغيرهم؟

علينا ان نؤكد، بداية، ان وقوف عدد من الباحثين القدامى والمحدثين امام مسألة ورود شواهد وتعاليل من تلاميذ الخليل، مثل الاصمعي وسيبويه وأبي عبيدة، ليست مقنعة كفاية. قيل الكثير عن سيبويه فيما لا نلقى غير شاهد واحد من أقواله في الطبعة المحققة وذلك في الصفحة ٢٠٠ من الجزء الأول، وهي النبذة التالية: «قال سيبويه: الكراع الماء الذي يكرع فيه»، أما النقول عن الأصمعي فهي لا تتعدى المرة الواحدة أيضاً في الصفحة ١٨٥ من الجزء الأول، وهي النبذة التالية: «قال الأصمعي: يقال: عقم الله رحمها عقماً ولا يقال: أعقمها، ويقال: عقُمت المرأة تعقمُ عقماً» أما النقول عن أبي عبيدة فهي ترد مرتين (٤/٢٤٥، و٥/٥٩)، وفي واحدة منها نقلا عن الحسن البصري، ان هذه النقول، القليلة في نهاية المطاف، تحصل بين أستاذ وتلاميذه، وهو أمر استغربه العديدون، ناسين من دون شك أننا نقع في كتب القدماء، كما في «مجالس العلماء» للزجاجي، على مناظرات بين الأستاذ وتلميذه، مثل التي جرت

الزوائد.. من عمل الليث باشارة من الخليل

الليث.. كان فريق عمل معجمي بادارة الخليل

بين الخليل وسيبويه وغيرهما، كما ينسون أيضاً ان علماء عديدين مثل أبي عمرو وغيره، كانوا لا يتأخرون عن النقل عن كراريس تلاميذهم، سيما وأن البعض منهم، مثل الأصمعي وأبي عبيدة، كان يرتب نقوله في كراسات خاصة، قال الأصمعي: «جئتُ الى أبي عمرو بن العلاء، فقال لي: من أين أقبلت يا أصمعي؟ قلت: جئتُ من المربد، قال: هات ما معك».

ولكن، اذا لم نجد صعوبة في ورود هذه النقول في «كتاب العين» فاننا لا نقف الموقف من نقول أخرى لعدد من الأعراب، الذين استقدمهم عبد الله بن طاهر الى نيسابور، ومنهم عرام بن الأصبغ السلمي، أو من سكنوا في خراسان مثل مبتكر، او من الأعراب من لم يعرفوا في البصرة مثل: أبي ليلى وزائدة وحماس وغيرهم.

ما يسترعي انتباهنا في هذه القائمة، بعد ان تبينا حقيقة النقول في «كتاب العين» هي الأسماء التالية: عرام، أبو ليلى وزائدة والضرير، فاذا كنا نجد في غير مجلد من المعجم نقولاً عن أبي الدقيش او عن أبي خيرة، فهو أمر طبيعي اذ انهما يعدان من أشهر الأعراب الذين عرفوا في عصر الخليل في البصرة، أما ان يتضمن المعجم نقولاً عدة من أعراب ما عاشوا في البصرة، بل في خراسان ونيسابور، فهو أمر يستدعي أكثر من سؤال.

فنحن نلاحظ ان الكتاب يتضمن نقولاً عن عرام تزيد عن ٥٠ مرة، وعن زائدة ما يزيد على ٥٤ مرة، وعن أبي ليلى ما يزيد على ٤٣ مرة، وعن الضرير ٣٣ مرة، لا بل تعد النقول عن هؤلاء، الى جانب الحسن البصري وأبي الدقيش وأبي خيرة، أقواها في «كتاب العين» هل يعني هذا ان الخليل شافههم في نيسابور او في خراسان؟ لا تؤكد المصادر مثل هذه الرواية أبداً، على الرغم من ورود خبر في ترجمته عن زيارة قام بها الى خراسان عند تلميذه الليث.

انتبهنا الى أمر آخر في توزع هذه النقول، وهي أنها لا تأتي متسقة، فنحن نلاحظ على سبيل المثال، ان النقول عن الحسن البصري، او أبي الدقيش، أو أبي خيرة (اي الذين عرفهم الخليل في البصرة) تتوزع في كيفية «متوازنة» اذا جاز القول بين أجزاء المعجم، فيما ترد النقول عن الأعراب في بلاد فارس قوية في أجزاء، ومعدومة في أجزاء أخرى: لا نقع على نقول أبي ليلى الا في الأجزاء: ١ و ٢ و ٨، وعلى نقول عرام في الجزئين ١و٢ وحسب. وقد يقول قائل: ان هذه الأجزاء (كما وردت في الطبعة المحققة) قد لا تناسب التوزيع القديم لأجزاء المعجم، ربما، إلا ان التقارب بين المواد التي وردت فيها نقول الأعرابيين أكيد في كل الأحوال، سيما وأن تتالي المواد في المعجم (مهما جرى تقسيمه) يخضع لـ «تقليب» ثابت ومعروف، هل يعكس هذا التقارب شيئاً من ظروف تأليف هذا المعجم؟ هل نجد في هذا التقارب إجابة ما على حيرة العلماء أمام ورود نقول عن أعراب لم يعرفهم الخليل ولم يشافههم.. فلليث «شهادة» قلما انتبه اليها الدارسون، وهي جديرة بأن تحضر في هذا السجال، بالإضافة الى كونها تقدم - على ما نعتقد - تفسيراً معقولاً للمصاعب التي عرفها «كتاب العين» لاحقاً عند العلماء والدارسين فما الشهادة هذه؟.

غير مصدر قديم يفيدنا عن صلة «الصحبة» التي جمعت الخليل بالليث، كما يفيدنا التلميذ في شهادته هذه شيئاً من الأسباب التي أدت الى وضع الخليل لكتابه: يقول الليث: «كنت أصير الى الخليل بن أحمد، فقال لي يوماً: لو ان انساناً قصد وألف حروف الف وباء وتاء وثاء على ما امثله، لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب، فتهيأ له أصل لا يخرج عنه شيء منه بتة، قال: فقلتُ له: وكيف يكون ذلك؟ قال: يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي، والخماسي، وانه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه، قال الليث: فجعلت أستفهمه ويصف لي ولا أقف على ما يصف فاختلفت اليه في هذا المعنى أياماً ثم اعتل وحججتُ فمازلت مشفقا عليه، وخشيت ان يموت في علته فيبطل ما كان يشرحه لي فرجعت من الحج، وصرت اليه فاذا هو قد ألف الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب»، كما يصف الليث، على ما أفادنا ابن النديم أيضاً طريقة الخليل في وضع معجمه: «فكان يملي عليّ ما يحفظ وما شك فيه يقول لي: سل عنه فاذا صح فاثبته، الى ان عملتُ الكتاب».. في رواية الليث معطيات عدة، لا تفيد وحسب عن «الأصل» النظري الذي أنشأ عليه الخليل معجمه، بل عن ملابسات وضعه وشروط تاليفه ايضا: وضع الخليل خطة المعجم كما أملى على

الليث ما حفظه وعرفه في مواد الكتاب، وما «شك فيه» دعا الليث الى ان «يسأل» عنه و«يثبته» **ألا تكون «الزوائد» (أي النقول التي تعود لأعراب ما عرفهم الخليل وما شافههم) من عمل الليث نفسه بإشارة من الخليل، بعد أن قيض الليث معرفتهم واللقاء بهم في نيسابور وخراسان؟.**

ربما هذا ما نميل الى ترجيحه، سيما وأن المعجم يجمع في غير مادة من مواده ما يؤكد أو ما يعزز مثل هذه الفرضية ففي غير مادة نراه يجمع بين عرام وابي ليلى المقيمين في بلاد فارس: «لم يعرفه (أي هذا اللفظ أو هذا المعنى) أبو ليلى، وعرفه عرام»، أو «لم يعرفه عرام ولا أبو ليلى»كما لو ان أحداً اي الليث على الأرجح يقترح عليهما ألفاظاً لـ «التثبت» منها، وفي الوقت عينه.

كما نقع أحياناً على «تصحيح» يورده زائدة، على سبيل المثال، فيؤكد مثلا: «قال زائدة: البُلعوم باطنُ العنق كله، وليس كما قال»، اي «يصحح» ما سبق ذكره في مادة «بلعم» نفسها، وهو التالي: «البلعوم: البياض الذي في جحفلة الحمار في طرف الأنف»، كما لو ان الليث عرض على زائدة ما سبق له ان جمعه، اي انه كان «يتثبت» من المعاني، كيف لا ونحن نجد في المعجم أيضاً إضافات تحقق منها الليث نفسه، حيث يقول في إحدى المواد على سبيل المثال: «قال الليث: سمعت هاتين بخراسان..» كما نقع في المعجم على إشارات عدة ولو مقتضبة تفيد عملية «التثبت» هذه: «رأيتهم يحكون ذلك»، «هذا ما سمعت» الى غير ذلك من العبارات التي تقدم لنا في صورة خفية ولكن أكيدة الليث: التلميذ العالم في آن، والوفي للخليل على أية حال **كما لو أن الليث كان وحده «فريق عمل معجمي» بتوجيه وإدارة الخليل! وكما لو أن الخليل لم يتوصل الى وضع أول طريقة علمية محكمة لوضع المعاجم (وهي نظرية «التقليب») في تاريخ اللغات وحسب، بل تنبه أيضاً الى ضرورة وضع المعاجم من قبل فريق عمل، لا من عالم واحد مهما بلغ شأوه..** «شهادة» الليث تفيد، اذن، ان الكتاب من وضع الخليل في رسمه وحشوه (على ان قسماً من حشوه ما جرى «إثباته» في المعجم الا بعد تثبت الليث منه عند العلماء) ونحن نوردها متسائلين: اذا لم تكن رواية الليث هذه صحيحة، فلماذا ينسب الى غيره (الخليل) ما قام به، ولو جزئياً ؟ أما كان له ان يتفاخر بهذا الصنيع النادر في تاريخ اللغة العربية؟

فاذا كانت ملابسات صنع هذا المعجم لم تتسم بالجلاء الناجز- وهي حالة كل كتب الخليل من دون استثناء، وغيرها من الكتب القديمة أيضاً - فان هذا لا يخفى، بل يقوي من حقيقة السعي، بل الطموح الذي قام عليه: وهو «احصاء» العربية، وفق طريقة منهجية محكمة وما كان لهذا المشروع ان يتحقق لولا علم الخليل الواسع في غير ميدان، واجتهاده في غير سبيل، ولولا سهر الليث عليه ومساعدته في حشو بعض مواده، والليث في ذلك أكثر من أجر، إذ حفظ لنا أول المعاجم العربية، و«الكتاب» الوحيد الأكيد الذي وصلنا للخليل.

«كتاب العين» تعددت الروايات في مدى نسبته للخليل بكامله

«ما نتبينه واقعاً في هذه الصيغ هو أنها ليست سوى تقديرات ظنية»

شذرات الذهب

١٨

د. أبو حسام
المنصورة

١٠٩ ـ الفخر بين الشعر والنثر:

من مزايا الشعر أن الشاعر يفخر كاذباً دون أن يلومه القارئ، إلا إذا كان الفخر ضرباً من الغلو المستحيل، أما الناثر ـ كاتباً أو عالما ـ فيؤاخذ على فخره، وإن كان في موضعه، لأن التواضع أولى وأجدر، وقد كان الفخر فى الجاهلية اعتزازا بالقبيلة لا بالشخص، وهو كذلك فى أكثر مناقضات الفرزدق وجرير، ثم أصبح ذاتياً يلجأ إليه بعض الشعراء تنفيساً عن حرمان، أو تعويضاً عن نقص، وليس كل الفاخرين من هؤلاء فى مستوى واحد، فمنهم من يكرر ويسفّ دون أن يستعين بخيال تصويرى يغفر ما يجنح إليه من شطط، ومنهم من يستعين بقدرته الفنية على الإبداع فيأتي بما يروق ويطيب، وعهد الشباب مجال الفخر المستطيل وفيه قال أبو العلاء المعرى:

وإنى وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

ثم جاء زمان الكهولة فتطامن واطمأن ، وتواضع كثيرا حين قال:

دعيت أبا العلاء وذاك مَيْنٌ
ولكن الصحيح أبو النزول

١١٠ ـ ابن سناء الملك :

ومن الفخر الكاذب الذي لا يطيقه السامع مهما تجلد، ما افتخر به ابن سناء الملك الشاعر الأيوبى الشهير، وقد رعاه القاضى الفاضل فمهد له سبيل الظهور، ولولاه لأبطأ به الزمن عن الذيوع، وقد توجه بأكثر من اربعين قصيدة، كما مدح رجال الدولة متطلعا راغبا، بل إنه مدح غريم القاضى الفاضل، وبالغ فى مدحه بعد موت القاضى ليدرك لديه ما كان يحظى به من قبل فى عهد أستاذه، ولعله خاف كيده فاضطر الى التزلف، متنكراً لعهده الأول، هذا الشاعر المادح لا يجد حرجاً من أن يقول:

ولو مد نحوى حادث الدهر طرفه
لحدثت نفسى أن أمد له يدا
وفرط احتقارى للأنام لأننى
أرى كل عار من حلى سؤددى سدى
وأظمأ إن أبدى لى الماء منّةً
ولو كان لى نهر المجرة موردا
ولو كان إدراك الهدى بتذلل
رأيت الهدى ألا أميل إلى الهدى
وإنك عبدى يا زمان وإننى
على الكره منى أن أرى لك سيدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى
لخرت جميعاً نحو وجهى سجدا
أرى الخلق دونى إذ أرانى فوقهم
ذكاء وعلماً واعتلاء وسؤددا

ولعمرى لقد افتخر فكشف عن غرور كاذب! فكأنه قال هجاء لا افتخارا ٠٠ وأين تذلله فى مدائحه المتوسلة، بل المتسولة؟

١١١ ـ أديب مغرور :

هذا عن الشعر، أما غرور الأدباء والعلماء فلا يطاق، وقد حققت لنا كتب التراجم أمثلة من هذا الغرور لا ندرى كيف وقعت، وقد يتطرق الشك الى صحتها، ولكن مترجماً كياقوت الذى أنقل عنه، لم يكن معروفا بالتزيد، وليس من المعقول أن يمدح الكثيرين بالتواضع ولين الجانب فيصدق، ثم يرمي القلة بالغرور والادعاء فيكذب، إذ لو كان التزيد مذهبه ما ركن إليه الباحثون، وقد قابل ياقوت أحد هؤلاء الأدعياء، وكان ذا مقام عال بين تلاميذه في آمد، ننقل عنه ما يدهش، لأن «شميم الحلّي» وهو هذا الذى نعنيه، قد قابل ياقوتاً بكبرياء المتغطرس، وقد سأله ياقوت كعهده بمن يلقاهم عن مؤلفاته فقال شميم:

«إن تصانيفى فى الأدب كثيرة، وذلك أن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم ورتبوها، أما أنا فكل ما عندى من نتاج أفكارى، وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب عارضته، فمن ذلك أن أبا تمام جمع أشعار العرب فى حماسته، وأنا جمعت حماسة من شعرى وحدى (ثم شنع أبا تمام وأخذ يسبه) ورأيت الناس

يجمعون على فضل أبي نواس في الخمريات فصنعت خمريات لو رآها أبو نواس لاستحيا!، كما أعجب القوم بخطب ابن نباته فدحضتها بخطب أخملت خطب ابن نباته! ثم تلا شعراً ركيكا ذكره ياقوت، فقال له مجاملا «أحسنت» فصاح في وجهه: ما عندك غير الاستحسان ! قلت فماذا أصنع؟ قال تقوم وترقص، لقد ابتليت ببهائم لا يفرقون بين الدر والبعر، والياقوت والحجر!.

قال ياقوت: ثم سألته عمن تقدم من العلماء، فلم يحسن الثناء على أحد، فلما ذكرت له المعرى نهرني، وقال: من ذلك الكلب الأعمى الذى يذكر في مجلسي، كم تسيء الأدب بين يدي؟ قلت يامولاى: ما أراك ترضى عن أحد فصاح: كيف أرضى عنهم، وليس لهم ما يرضيني، قلت، فما فيهم قط أحد جاء بما يرضيك؟ قال: لا أعلمه الا أن يكون المتنبي في مديحه خاصة، وابن نباته فى خطبه، والحريرى فى مقاماته.

ثم خلط فى الكلام: فقال ليس فى الوجود إلا خالقان، واحد فى السماء وواحد فى الأرض، فالذى فى السماء هو الله، والذى فى الأرض هو أنا!.

وهذا القول يدل على أن العقل كان غائبا دون نزاع ، هذا وما نعرفه من شعر شميم وخطبه فى درجة هاوية من الركاكة والاسفاف.

١١٢ ـ ملك النحاة :

يقول الأستاذ عبدالخالق عمر: إن ملك النحاة أبا نزار الحسن بن أبى الحسن الصافى من طراز شميم الحلى، وقد دفعنى هذا القول إلى مراجعة تاريخه، فوجدته قد ذهب من الغرور كل مذهب، وهو الذى أعطى نفسه لقب (ملك النحاة) وهو لقب لم ينله سيبويه ولا ابن هشام.

ومن ظريف ما يحكى عنه ـ هكذا قال ياقوت ـ إن نور الدين زنكى الملك العظيم خلع عليه حلّة سنية، فلبسها ومضى الى منزله، فرأى حلقة عظيمة وبها رجل يلاعب تيساً، ويمرنه على إشارات تعجب المشاهدين فلما وقف ملك النحاة في الحلقة، قال الرجل للتيس، هنا رجل عظيم القدر من أكمل الناس، وأعلم الناس، وأكرم الناس، فأرني إياه، فشق التيس الحلقة، ومضى حتى وصل الى ملك النحاة ووضع يده عليه، فلم يتمالك ملك النحاة، أن خلع حلة نور الدين ووهبها لصاحب التيس، فبلغ ذلك الملك المجاهد فاستدعاه قائلا: لقد استخففت بحلتنا حتى وهبتها لمن لا يستحق، فقال ملك النحاة: عذرى واضح يامولانا، لقد مكثت فى هذه المدينة زمنا طويلا وبها زيادة على مائة ألف تيس، فما عرف قدرى غير هذا التيس، فجازيته على ذلك، وكان نور الدين زنكى حليما رحيما فضحك وآثر السكوت.

كما كان ملك النحاة يستخف بمعاصريه من العلماء، ويقبح آراء السابقين، وكان إذا ذكر أحدهم قال: كلب من الكلاب! فقال له أحد السامعين فى حلقته! إذن أنت ملك الكلاب لا ملك النحاة، فاستشاط غضباً وقال: أخرجوا هذا الفضولي!.

وله فى النحو كتب كثيرة منها: «المسائل العشر، المتعبات فى النحو إلى يوم الحشر».

١١٣ ـ فى العصر الحديث :

أبدع العلامة أحمد تيمور كل الابداع فى ترجمة أديب من أدباء عصره هو أحمد أبو الفرج الدمنهوري، وقد ذكر من طرائفه نوادر رائعة أشير إلى بعضها موجزا فأقول:

كان على قلة إجادته فى شعره مفتوناً به، مبالغاً فى تقريظه وقت إنشاده، يمزج ذلك بإشارات وحركات تستظرف منه، ولا يكاد يقر لأحد بالتقدم عليه فى النظم، ولعمري لا أرى عبارة تفى بوصفه، ووصف حركاته عند الإنشاد، وقيامه وقعوده والتفاته، واستدعائه الحاضرين الى استماعه، فإنه كان إذا أراد إنشاد قصيدة من نظمه

بدأ أولا بتقريظها، ونبّه الحاضرين الى مواضع الإجادة منها، فإذا ألقوا بسمعهم إليه، أنشد المطلع، وسكت هنيهة كالمأخوذ من جودته، ثم التفت يمنة ويسره مستطلعا خبيئة رأيهم فيه، واستحلفهم بالله وبأنبيائه: هل طرق آذانهم مثله فى عمرهم، وهل تهيأ لشاعر قبله ما تهيأ له فيه من رشاقة المبنى، وغرابة المعنى، وتناسب الشطرين، ثم يمضى فى البيتين والثلاثة ويعود الى الصمت والتفكر، ويقول: سبحان المانح! كم ترك الأول للآخر وأمثال هذه الجمل التى اشتهرت عنه، وصارت من لوازمه، ثم يمضى فى الإنشاد حتى إذا مر بجناس أو تورية وثب من موضعه وتمايل طربا، وقال للحاضرين اسمعوا من الفتى العربى اللعوب، تف على المتنبى أين له السلامة والسهولة؟ وهكذا حتى يتم القصيدة، فإن رأى من السامعين استحساناً تمادى فى غلوائه وأعجب وأطرب وربما عارضه بعض من يحضر استجلاباً لطرائفه، واستئناسا بمحاورته، تصدر عنه النوادر، ومحاسن الأجوبة الحاضرة.

يقول أحمد تيمور: وكان أول اجتماعى به فى مجلس أحد الأعيان وأنا شاب يافع متعلق بالأدب وأهله، فرأيت عجباً، شيخاً قصيرا، دميم الوجه قد ذهبت إحدى عينيه، عليه جبة واسعة الأكمام وقد جلس فى زاوية من المكان يملى إحدى قصائده فكان منه من الوقوف عند كل بيت والإعجاب به، ما نبهنى إليه، ثم مر بيت كانت قافيته (معضدا) فوثب

شذرات الذهب

شذرات الذهب
شذرات الذهب
شذرات الذهب

من مكانه وقال انها تورية باسم الخليفة المعتضد بالله فلم يوافقه أحد فأقبل على الكاتب يشرح له حسن هذه التورية، وأنها لم تتهيأ له إلا بعد اعمال الفكر والروية فضجر الكاتب ورمى الدرج من يده.. وادعى مرة أنه نال نصيباً من اللغة وافراً، بحيث أصبح لا يشذ عنه شيء من مفرداتها، وتمادى فى هذه الدعوى وتبجح بها فى المجالس، وتصدر للإجابة على كل سؤال فيها، فتوالت عليه الأسئلة، وهو تخبط خبط عشواء لا يبالى، وصار الأدباء من أصحابه يرتجلون له ألفاظا يسألونه عنها، فيخترع لهم معانى يجيب بها وربما أحال تخرصا على كتب لغوية بعينها، ونظم له بعضهم بيتا كبيت الخنفشار (مالا وجود له) وسأله عن معناه فى جمع كبير من الأدباء وهو

ويخرنق الأقيال عاثت فالتثت
ورقاء تعترض الأكام بشيظم

فقال نعم: هذا بيت لعنترة، ذكره صاحب الأغانى، وهو يصف حمامة والخرنق شيء يشبه نسج العنكبوت وليس به، يكون بين أغصان الأشجار فيقول إن هذه الحمامة عاشت بين الأقيال أى الأشجار الكبيرة فاشتبكت قدماها بالخرنق، وهم بشرح الشيظم فقطعته أصوات الضحك من جوانب المجلس» هذا بعض ما جاء فى مقال أحمد تيمور وهو من روائعه البارعة.

١١٤ ـ زكى مبارك :

كدت أذكر الدكتور زكى مبارك بين من يفتخرون فى كل مناسبة بآثارهم، لولا أن الدكتور مبارك كان مجيدا حقا، وفى مؤلفاته ومقالاته ثروة غالية هى الآن بعض التراث الأدبى الحفيل، ويخيل الى ان اعجابه المتواصل بنبوغه، وحديثه المتكرر عن مؤلفاته صدى لشعور حزين نشأ من إهماله لدى المسئولين بالنسبة لقرنائه، فقد نال أعلى الدرجات العلمية شرقا وغربا، وسارت الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية بمقالاته الأدبية، وتحقيقاته العلمية وقصائده الشعرية! ثم أبعد إبعاداً عن التعليم الجامعى وكان مناط أمله، ومعقد رجائه، ومقدمات كتبه تتحدث بإفاضته عن مواهبه، مع موازنات يقيمها بينه وبين نظرائه من المعاصرين لترجح كفته عليهم جميعا! وهو والله معذور معذور.



مسابقة المنهل للنشاط الابداعي
«المسرحية ذات الفصل الواحد»

للعام ١٤١٤ - ١٤١٥هـ

ان المجلة إذ تشكر جميع المشاركين والمشاركات على اهتمامهم بهذه المسابقة وإسهامهم فيها تنوه - فى نفس الوقت - بمستوى الأعمال التي قدمت وما اتسم به كثير منها من جودة وإتقان وإن لم تصل بها المستوى الذى يؤهلها لنيل الجوائز. ومن هنا حجبت الجائزة الأولى، وتكررت الجائزة الثالثة. وقد اختيرت الأعمال الفائزة بناء على أسس فنية وموضوعية، أهمها:

١ - ثقافة الكاتب (أو الكاتبة) المسرحية والوعي بخصائص المسرح والاتجاهات السائدة فيه.
٢ - القدرة على تصور الشخصيات وإبراز أبعادها النفسية والاجتماعية والشكلية.
٣ - تطور الأحداث بشكل درامي ينأى عن التتابع السطحي والسرد المباشر.
٤ - عدم اعتماد الفكرة على «الوعظية» والمباشرة.
٥ - الأداء اللغوي من حيث السلامة وقوة التعبير والتركيز.

وهى لا شك أسس نعتقد أن كثيرا ممن يتصدون للكتابة المسرحية على وعى بها.

أما بالنسبة للمسرحيات التي لم تفز، على الرغم من حرص مؤلفى بعضها على التجاوب مع الأحداث الراهنة واستخدام احداث ونصوص وعبارات تراثية على مستوى جيد، فنود أولاً أن نهنئهم على هذا التوجه في اختيار ومعالجة موضوعاتهم، غير أننا نلفت الانتباه الى أن مثل تلك المعالجات قد تقع فى فخ «الوعظية» «والتدخل المباشر» من الكاتب وهو ما تنأى عنه المسرحية الناضجة. وإننا على يقين من أن الذين سوف يثابرون من هؤلاء مع الذين قدر لهم الفوز فى هذه المسابقة على متابعة التجارب المسرحية وإثراء ثقافتهم فيها سوف يكون لهم - بإذن الله - دور فى حمل راية المسرحية العربية الى آفاق أرحب، ومشارف أسمى.. هذا وستعمل المجلة على نشر المسرحيات الفائزة تباعا ان شاء الله.

نتيجة المسابقة:

أ - حجبت الجائزة الاولى: وقيمتها ١٥٠٠ ريال بالاضافة الى اشتراك مجانى لمدة عام.
ب - الجائزة الثانية: وقيمتها ١٠٠٠ ريال بالاضافة الى اشتراك مجانى لمدة عام - منحت الى/ **خالد حمدان** من مصر عن مسرحيته **«الخروج عن النص»**.
ج - الجائزة الثالثة: وقيمتها ٥٠٠ ريال بالاضافة الى اشتراك مجانى لمدة عام، تقرر منحها مكررة لكل من:

١ - **سعود بن حامد الحربي** من السعودية عن مسرحيته **«سقوط الاندلس»**.
٢ - **محمد مراح** من الجزائر عن مسرحيته **«صوت الشيخ»**.

والمنهل تتقدم بخالص الشكر لكل المشاركين فى هذه المسابقة على كريم تواصلهم - ونتمنى للجميع حظاً سعيداً..

الألف

* الأمية الثقافية: انحسار الفرد في داخل نفسه، فهو لا يتأمل ما حوله ولا يفكر فيما يحدث سواء له أو لغيره.
د. شكري عياد

الباء

* البث المباشر: ثقافة تتخطى حدود المكان بقوة وجبروت التكنولوجيا.
د. عبد الرحمن سعد العرابي

التاء

* التقدم: رقي منشود، وهدف مرموق، وغاية مرتجاة ليست من ورائها زيادة لمستزيد **د. عادل العوا**

الثاء

* الثقافة: عنصر الحياة وعصبها .. وعقل الأمة الذي تفكر به.
د. حياة محمد البسام

الجيم

* الجشع: اعتقاد مليء بالأخطاء، بأن الربح الفاحش والغلاء، هو أسرع طريق للثراء. **تميم الحكيم**

الحاء

* الحضارة الانسانية: وليدة الثقافة وثمرة من ثمراتها .. وكلما زاد نصيب الأمة من الثقافة، زاد نصيبها من الحضارة. **عبد الكريم نيازي**

الخاء

* الخير: أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك - **من أقوال العرب**

الدال

* الدراسات النقدية: اضافات تفسيرية لتبيان مواطن الابداع والجمال، أو مواقع الخطل والابتذال.. في نتاج الأديب.
د. عبد الله باشراحيل

الذال

* الذاكرة الميكانيكية: عاهة الشعر العربي، وهي تعليب الأشياء بحالتها الأولى.. وتجميدها في حرارات واطئة جداً. **نزار قباني**

الراء

* رسالة المرأة: بناء الأسرة، وإدارة المنزل، لاستمرار عمل الحياة في جو هادىء مريح.
حسن عبد الله آل الشيخ

الزاي

* الزواج: شريعة الهية لحكم سامية، ولمقاصد عالية.. من أهمها انجاب الذرية الصالحة التي تنفع دينها ودنياها، والشعور بالاستقرار النفسي والاجتماعي، وتبادل المودة والرحمة بين الزوجين.
الشيخ محمد سيد طنطاوي

السين

* السعادة: المسرة المتجددة.. والمسرة هذخ لا تأتي إلا بالتغيير الدائم، والتجدد المستمر، والتطور الى أرقى وأكمل معانيها وحوافزها، وأفتن مظاهر جمالها. **حمزة شحاته**

الشين

* الشعر: هو احتضان الزمن الطويل .. وهو الانسانية عبر التاريخ منذ صنع الانسان درويا لحياته -
محمد ابراهيم أبو سنة

الصاد

* الصبر: هو أفضل وسيلة من أجل حياة سعيدة وناجحة .. يمنحنا القدرة على مواجهة الصعاب.. والتصدي.. وتحمل المشاق..
فوزي خياط

الضاد

* ضمير الكاتب: هو المقياس الوحيد لاحترام الكاتب لقلمه وجمهوره
د. زهيرة البيلي

قام

الظاء

* الطموح : هو تخطي الحواجز والموانع بطرق مشروعة، وبعيداً عن المقولة البشعة (الغاية تبرر الوسيلة) .

عبد الله حسنين

* ظاهرة الشحاته: دليل عدم التركيز على الانتاج ، وانعدام العدالة الاجتماعية .

ابراهيم نافع

* العلم : دليل الإيمان، وإمام العمل ٠٠ وباب السعادة في الآخرة والأولى

د٠ يوسف القرضاوي

الغين

* الغزل : هو فن شعري راق ، يصدر عن احساس مرهف، ووجدان مضيء ، ونفس صافية، وشعور نبيل دفاق .

د٠ محمد العيد الخطراوي

* الفكر اللقيط : هو فكر بلا أصالة٠٠ أي قاعدة من الحس والتراكم التاريخي الثقافي والقومي .

حمد الزيد

القاف

* قمة الحب: هو الذي يدمج الشخصين في واحد ٠٠ ولا يلغي شخصيتهما . **د٠ زكي نجيب محمود**

* الكاتب الحق : هو الذي يتلمس أمراض أمته ومجتمعه، والأشياء المؤثرة بالسلب التي تصيب هذه الأمة٠٠ فيحاول أن يعالجها بمقدرته، وقلمه، يرتقي بها بمستوى رفيع من الفن والكتابة الجيدة.

عبد الله بن خميس .

اللام

* الليل: التوحد بالذات ٠٠ والنجوى المستفيضة، ثم السباحة فيما وراء الكون ٠٠ لا سيما في السحر.

يس الفيل

* المدينة : وحش كاسر تعج بالتجار والمحتالين ٠٠ متخمة بكتل الاسمنت والحديد ٠٠ وحتى نساؤها يعجبهن الزيف، ويغصن فيه حتى قمة رؤوسهن ٠٠ أما البديل لهذه المدن الكابوسية فهو الحلم٠٠ وهذه أيضاً لا توجد إلا في الكتب وفي رؤوس الشعراء.

اسماعيل الوريث

النون

* النفاق : سلوك مركب يرجع الى عدة عناصر خلقية ذميمة، يدخل فيها الجبن، وجحود الحق، والطمع في المنافع الدنيوية، والقدرة على المراوغة والحيلة ولبس الأقنعة المختلفة، وعمادها الكذب في القول والعمل.

الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني

* هبوط مستوى الحوار : دلالة على ضحالة المتحاورين، واسقاط للأمراض النفسية، وضعف في أدوات المحاورين العلمية.

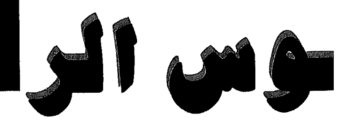
علوي طه الصافي

الواو

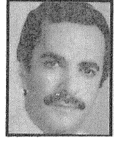
* الوفاء : درجة سامية من درجات الانسانية **مدحة عكاشى**

* اليهودية : ارهاب بقانون ٠٠ مواده من (التلمود) ٠٠ وخلاصته في (البروتوكولات).

محمد حسين زيدان







اعداد:

تميم الحكيم

بين الغ

مسك الختام

اللفظان لا يدخلان دائرة الترادف من أى باب ٠٠ في رأينا ٠٠ وعلى الرغم من أن المادة اللغوية واحدة٠٠ غ ر ب ٠٠ بيد أن في اعتقادنا ـ المصدرين يختلفان فى الدلالة٠٠ اختلافاً لا يفوت الأديب المدقق٠

وتظل قضية الترادف فى العربية ٠٠ تشغل البال ٠٠

فالجرى غير الركض والنور غير الضياء٠٠

كل لفظ يحمل دلالة تختلف بعض الشيء عن دلالة الآخر٠٠

كل كلمة تحمل ظلالا من المعنى لا تؤديها الأخرى:

وفي معاجم اللغة٠٠ غَرُبَ: بَعُدَ٠٠ والغُربة والغُرب: النزوح عن الوطن والاغتراب٠٠

قال المتلمس

ألا أبلغا أفناء سعد بن مالك
رسالة من قد صار في الغُرب جانبه

والاغتراب والتغرب كذلك ٠٠

تقول منه: تغرب واغترب، وقد غرّبه الدهر.. ورجل غرب وغريب: بعيد عن وطنه.. فمعاجم اللغة ٠٠ تجمع بين الاغتراب والغربة فى دلالة واحدة٠٠



نادر صلاح الدين - مصر

ربة.. والاغـــتراب

ولكن ‥ في رأينا ‥ الأمر يختلف ‥ فإذا كان الاغتراب يحمل ظلال المكانية ‥ ويدل عليها دلالة واضحة لا لبس فيها ولا شك‥

فحين يبعد المرء عن مكانه الأول‥ عن موطنه الذي أنجبه‥ نشأ فيه ‥ وتنسم نسيمه‥ شرب ماءه وأكل خيرات أرضه‥ حين يبعد‥ فهو مغترب وغرب وغريب ‥ أو فقد اغترب‥

وهكذا يظل حنينه الى موطنه الأول يرف بين جوانحه وتختلج به أحاسيسه ‥ ويضطرب به قلبه ‥ وحين الذكرى يرتعد كما ارتعد العصفور بلله القطر‥

و : **كم منزل في الأرض يألفه الفتى**
وحنينه أبداً لأول منزل

إذا كان الاغتراب كذلك ‥ فإن الغربة يختلف الأمر معها‥ الغربة ٠ لا شرط للمكان فيها‥ قد يحسها المرء في مكانه ‥ وبين أهله وناسه.

هو ذا الفجر فقومي ننصرف
عن بلاد ما لنا فيها صديق
ما عسى يرجو نبات يختلف
زهره عن كل ورد وشقيق

وجديد القلب أني يأتلف
مع قلوب كل ما فيها عتيق

ومفهوم الغربة نتلمسه في بيتي شاعرنا ‥ مقبل العيسى في سلاسة ورشاقة معهودتين في إبداعه.

تحلو الديار إذا كان المقيم بها
يوليك من حبه ما يذهب الحزنا
وترخص الدار إن كان المقيم بها
قلباً يجافيك أو يرضى لك المحنا

وباختصار ‥

فإن التخالف وعدم التآلف ‥ وفقد القدرة على التكيف فكرياً وسلوكياً‥ كل ذلك يدخل في ظلال دلالة الغربة لا الاغتراب.

ولكن ‥

في رأينا ‥ ونحن ذوو مكان واحد ‥ وتاريخ واحد‥ ونحن تجمعنا لغة واحدة ‥ وآمال واحدة‥ ونحن ‥ وهذا هو الأهم ‥ يؤلف بين قلوبنا دين واحد.

فلا مكان للفظين في قاموسنا الروحي‥ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ‥ فلا غربة واغتراب.

####

كل عام وأنتم بخير

الكشاف الببليوجرافي

لموضوعات المنهل للعام

١٤١٥هـ/ ٩٤-١٩٩٥م

المجلد: «٥٦»

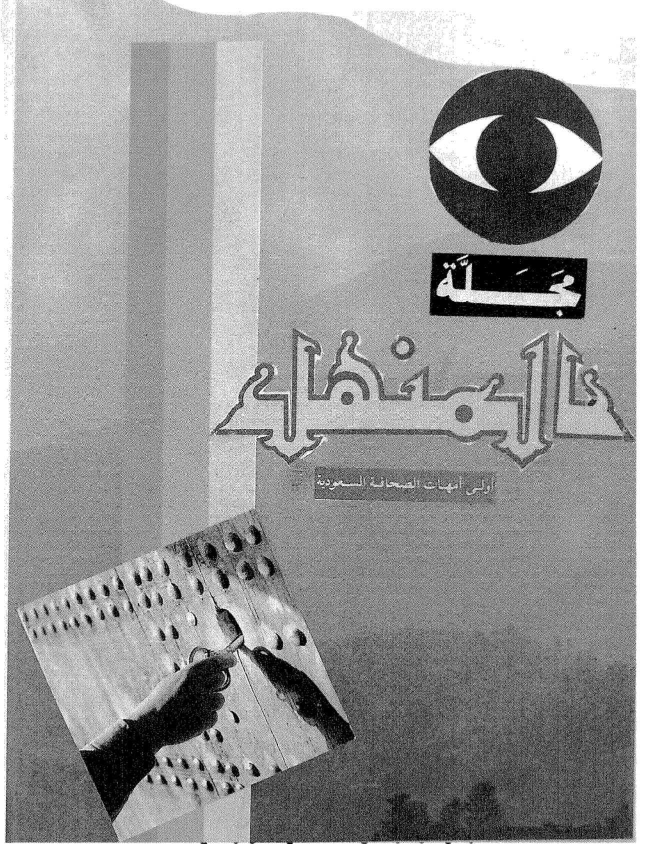
الموضـــوع	الكاتـب	١٤١٥هـ/٩٤/١٩٩٥م	ع	ص ص
## الأدب :				
ابن زيدون شاعر عذبه الحب وهزمته السياسة	د. ناول عبد الهادي	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	٦٨ ـ ٧١
رمضان في الادب العربي	بلقاسم برهومي	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	٢٧
سارق السرقات	د. احمد زكي منصور	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٦٠ ـ ١٦١
سرقة أدبية بالادلة	د. الصادقي العماري	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٦٢ ـ ١٦٣
السرقة الشعرية في عيون الشعراء	محمد عبد الرحيم التوزاني	صفر / يوليو	٥١٧	٣٤ ـ ٣٩
سيد قطب القاص	محمد سيد بركه	رجب شعبان/ ديسمبر يناير	٥٢٠	٦٦ ـ ٦٨
شاعرات عبد القيس	د. محمد عثمان الملا	ربيع أول/ اغسطس	٥١٨	٤٠ ـ ٤٤
عن المشيب قالوا	عبده علي الحازمي	رمضان شوال /فبراير مارس	٥٢١	١٤٦ ـ ١٤٧
اللغة الشعرية فى شعرنا المعاصر	محمد احمد القضاة	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٧٤ ـ ١٧٥
لغة الوجه فى الأدب الاندلسي	محمد بن يعيش	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	٦٤ ـ ٦٦
المعرفة والابداع الادبي	وفاء حصدمة	محرم / يونيو	٥١٦	١٥٠
من حجازيات باكثير المجهولة	د. محمد ابو بكر حميد	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٤٥
النظم والاسلوب العلمي عند شعراء الاحساء خلال ثلاثة قرون ١١/١٢/١٣هـ	خالد بن سعود الحليبي	ربيع اول/ اغسطس	٥١٨	٤٥ ـ ٤٧
* خواطر ادبية:				
بالانسان تبدأ	نبيه الانصاري	ربيع اول/ اغسطس	٥١٨	٣
بيننا كلمة	د. ثريا العريض	محرم / يونيو	٥١٦	٢٩
بيننا كلمة	د. ثريا العريض	صفر / يوليو	٥١٧	٢٩
بيننا كلمة	د. ثريا العريض	ربيع اول / اغسطس	٥١٨	٣٥
بيننا كلمة	د. ثريا العريض	رجب شعبان/ ديسمبر يناير	٥٢٠	٣١
بيننا كلمة	د. ثريا العريض	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	٣٩
بيننا كلمة	د. ثريا العريض	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	٥٩
خردة الثقافة	زهير الانصاري	رجب شعبان/ ديسمبر يناير	٥٢٠	١٧٤ ـ ١٧٥
دعوة مفتوحة	هند احمد هرساني	صفر / يوليو	٥١٧	١٥٠
الرافعي وكتابه اعجاز القرآن	جمعة سليم الحمدي	ربيع اول / اغسطس	٥١٨	٦٧ ـ ٦٨
رسالة للسيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	محرم / يونيو	٥١٦	١٥٦ ـ ١٥٨
رسالة للسيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	صفر / يوليو	٥١٧	١٦٠ ـ ١٦١
رسالة للسيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	ربيع اول / اغسطس	٥١٨	١٤٨ ـ ١٤٩
رسالة للسيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	رجب شعبان/ ديسمبر يناير	٥٢٠	١٥٤ ـ ١٥٥
رسالة للسيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٢٤ ـ ١٢٥
رسالة للسيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازي	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	١٤٢ ـ ١٤٣
روائع الطائف الرائدة عبر مواقف الأدباء الخالدة	عبد الله بن ناصر العويد	صفر / يوليو	٥١٧	٣٠ ـ ٣٣
روح الابداع	عبد المجيد جباري	صفر / يوليو	٥١٧	٨٢ ـ ٩٥
الشخص المناسب	أبو أمجد	محرم / يونيو	٥١٦	٩٤
كلمات أبقى من الحركات	وداد سكاكيني	رجب شعبان/ ديسمبر يناير	٥٢٠	١٥٠
المنهل رؤى مستقبلية	نبيه الانصاري	رجب شعبان / ديسمبر يناير	٥٢٠	٣
المنهل فى عامه الستين	نبيه الانصاري	محرم / يونيو	٥١٦	٣
النرجسية والشوفينية	سعد البواردي	محرم / يونيو	٥١٦	١٩٠ ـ ١٩١
نزعة التأمل	غادة عبد الله العمودي	رجب شعبان/ ديسمبر يناير	٥٢٠	١٤٦ ـ ١٤٩
ورقة ليلية	دنيا الامل اسماعيل	محرم / يونيو	٥١٦	١٥٣
* دراسات أدبية :				
اثر المذهب الواقعي الفرنسي والروسي على روايات جورج جسنج وجورج مور	د. عبيد خيري	صفر / يوليو	٥١٧	٥٠ ـ ٥٧

الموضوع	الكاتب	١٤١٥هـ/٩٤/١٩٩٥م	ع	ص ص
عبد القدوس الانصاري في ذكراه الثانية عشرة	عبد الكريم عبد الله نيازي	رجب شعبان / ديسمبر يناير	٥٢٠	٤٣ ـ ٥٢
علي حافظ الرائد الصحفي الاديب	التحرير	صفر / يوليو	٥١٧	٩٦
مصطفى السباعي العالم الفقيه المجاهد	د. مازن مطبقاني	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٣٨ ـ ١٤٠
موسى الرويلي ١٨٦٨ ـ ١٩٤٤	الدكتور سعد ابو ديه	صفر / يوليو	٥١٧	٦٠ ـ ٦١
من قراءاتي في الأدب العالمي (٩)	محمد احمد العقيلي	محرم / يونيو	٥١٦	٧٦ ـ ٧٩
من قراءاتي في الأدب العالمي (١٠)	محمد احمد العقيلي	صفر / يوليو	٥١٧	٦٢ ـ ٦٤
من قراءاتي في الأدب العالمي (١١)	محمد احمد العقيلي	ربيع اول / اغسطس	٥١٨	٤٨ ـ ٥٢
من قراءاتي في الأدب العالمي (١٢)	محمد احمد العقيلي	رجب شعبان / ديسمبر يناير	٥٢٠	٨٣ ـ ٨٤
من قراءاتي في الأدب العالمي (١٣)	محمد احمد العقيلي	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	٧٢ ـ ٧٣
## تربية وتعليم :				
الأسرة ومسئوليتها في تربية الاطفال	سعيد عبد الله العلكمى	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	١٣٦ ـ ١٣٨
حقوق الطفل في الاسلام	محمد احمد أبو صعيليك	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	١٣٢ ـ ١٣٥
دور الآلة المبرمجة في التربية وآفاق المستقبل	د. انور طاهر رضا	ربيع اول / اغسطس	٥١٨	١٣ ـ ١٧
طرق التدريس والتواصل الثقافي في ظل بني الاحمر في الاندلس	د. ابراهيم حركات	صفر / يوليو	٥١٧	٦٦ ـ ٧١
المدارس الدمشقية القديمة	ممدوح الزوبي	محرم / يونيو	٥١٦	١٢ ـ ١٧
## ثقافة عامة.				
بين الغربة والاغتراب	نادر صلاح الدين	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	١٦٤ ـ ١٦٥
ترى هل وعينا الدرس	نبيه الانصاري	صفر / يوليو	٥١٧	٣
شذرات الذهب (١٣)	د. ابو حسام	محرم / يونيو	٥١٦	١٢٠ ـ ١٢٣
شذرات الذهب (١٤)	د. ابو حسام	صفر / يوليو	٥١٧	٧٢ ـ ٧٥
شذرات الذهب (١٥)	د. ابو حسام	ربيع اول / أغسطس	٥١٨	١٣٦ ـ ١٣٩
شذرات الذهب (١٦)	د. ابو حسام	رجب شعبان/ ديسمبر يناير	٥٢٠	١٦٠ ـ ١٦٢
شذرات الذهب (١٧)	د. ابو حسام	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١١٤ ـ ١١٥
شذرات الذهب (١٨)	د. ابو حسام	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	١٥٨ ـ ١٦٠
العلم والتقنية بين السالب والموجب	حسني عايش	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	٤٧ ـ ٤٩
الغزو الثقافي المشكلة والحل	د. محمد محمد شتا	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	٤٠ ـ ٤٢
مهرجان الربيع ذاكرة الأجيال	يعقوب السيد حسنين	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	٤ ـ ١٧
نوافذ على ثقافات العالم	نهاوند عبد الله	محرم / يونيو	٥١٦	١٥٨ ـ ١٦١
نوافذ على ثقافات العالم	نهاوند عبد الله	صفر / يوليو	٥١٧	١٥٢ ـ ١٥٧
نوافذ على ثقافات العالم	نهاوند عبد الله	ربيع أول / اغسطس	٥١٨	١٥٠ ـ ١٥٣
نوافذ على ثقافات العالم	نهاوند عبد الله	رجب شعبان/ ديسمبر ويناير	٥٢٠	١٥٨ ـ ١٥٩
نوافذ على ثقافات الغالم	نهاوند عبد الله	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٢٨ ـ ١٢٩
نوافذ على ثقافات العالم	نهاوند عبد الله	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	١٤٦ ـ ١٤٩
نهاية التاريخ وفوكوياما	زهير محمد كتبي	ربيع أول / أغسطس	٥١٨	١٧٤ ـ ١٧٥
## آراء وتعليقات :				
قاموس الرأي	تميم الحكيم	محرم / يونيو	٥١٦	١٨٨ ـ ١٨٩
قاموس الرأي	تميم الحكيم	صفر / يوليو	٥١٧	١٧٢ ـ ١٧٣
قاموس الرأي	تميم الحكيم	ربيع أول / أغسطس	٥١٨	١٧٢ ـ ١٧٣
قاموس الرأي	تميم الحكيم	رجب شعبان / ديسمبر يناير	٥٢٠	١٧٢ ـ ١٧٣
قاموس الرأي	تميم الحكيم	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٧٢ ـ ١٧٣
قاموس الرأي	تميم الحكيم	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	١٦٢ ـ ١٦٣

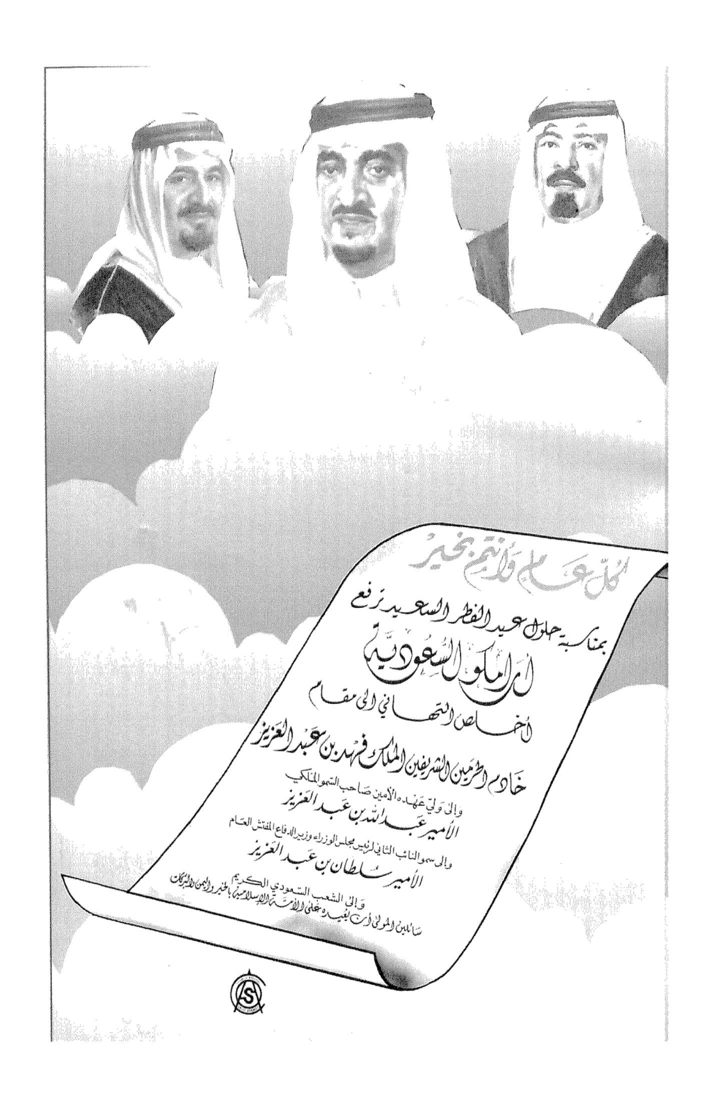
الموضـــوع	الكاتب	١٤١٥هـ/٩٤/١٩٩٥م	ع	ص ص
## خواطر اجتماعية				
الأم صديقة ابنتها	زينب أبو غنيمه	ربيع أول/ أغسطس	٥١٨	١٤٤ ـ ١٤٥
اوراق زوجية	أبو عواد ، أم عمرو	محرم / يونيو	٥١٦	١٥٤ ـ ١٥٥
اوراق زوجية	أبو عواد ، أم عمرو	صفر / يوليو	٥١٧	١٥٨ ـ ١٥٩
اوراق زوجية	أبو عواد ، أم عمرو	ربيع أول / أغسطس	٥١٨	١٤٦ ـ ١٤٧
اوراق زوجية	أبو عواد ، أم عمرو	رجب شعبان/ ديسمبر ويناير	٥٢٠	١٥٦ ـ ١٥٧
اوراق زوجية	أبو عواد ، أم عمرو	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٢٦ ـ ١٢٧
اوراق زوجية	أبو عواد ، أم عمرو	ذو القعدة ذو الحجة/ ابريل مايو	٥٢٢	١٤٤ ـ ١٤٥
السعادة	هند أحمد هرساني	ربيع اول / أغسطس	٥١٨	١٤٣
لماذا ينجح المتسلقون	احمد عبده محمود	رجب شعبان/ ديسمبر يناير	٥٢٠	١٤٢
المسحراتي النغم الجميل	خالد عزب	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	٩ ـ ١٣
النفاق الوظيفي	عبد الهادي بلاسي	ربيع اول/ اغسطس	٥١٨	٦٨
## الطب والعلوم :				
الازهار والأسماك مباراة في منح الجمال	حنان ابراهيم عبد الهادي	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١١٨ ـ ١٢٠
الأرملة السوداء	محمد فيض الله الحامدي	رجب شعبان/ ديسمبر يناير	٥٢٠	٩٨ ـ ١٠١
البروج السماوية وظواهرها الطبيعية	مهدى محمد السويدان	ربيع اول / اغسطس	٥١٨	١٣٠ ـ ١٣٥
البيئة والتلوث	محمد حمدى السنباطي	ربيع اول / اغسطس	٥١٨	٤ ـ ١٢
تشنج القولون عرض أم مرض	د. حسان شمسي باشا	صفر / يوليو	٥١٧	١٣٨ ـ ١٤١
العنب غذاء ودواء	د. ساميه محمد مصطفي	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٢٢ ـ ١٢٣
الكماة غذاء ودواء	د. محي الدين لبنيه	صفر / يوليو	٥١٧	١٤٤ ـ ١٤٧
الكهربائية وأجهزة قياسها	د. امل على المخزومي	رجب شعبان/ ديسمبر يناير	٥٢٠	١٠٢ ـ ١٠٥
مريض الروماتيزم فى شهر الصوم	د. حسان شمسي باشا	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	١٤ ـ ١٥
ملاحظات حول الأيسر والأشول	د. حسان المالح	صفر / يوليو	٥١٧	١٤٣
الهولوجرافيا في تخزين المعلومات السرية	د. خالد عقيل	صفر / يوليو	٥١٧	١٤١ ـ ١٤٣
## العمارة الاسلامية :				
الابتكارات المعمارية في المسجد الجامع بقرطبه وتأثيرها على العمارة الاسلامية في المغرب والاندلس	د. السيد عبد العزيز سالم	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٦٢ ـ ١٦٧
أثر العقيدة الاسلامية على عمارة المساجد	د. محمد الكحلاوي	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٣٠ ـ ١٥٠
أثر العوامل الطبيعية في النمو العمراني في مكة المكرمة	معراج نواب مرزا	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٧٠ ـ ١٧٥
الاحياء السكنية في المدينة الاسلامية	خالد عزب	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٩٠ ـ ٩٣
الاستحكامات طريق بالمدن الاسلامية	خالد عزب	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٣٠ ـ ٢٣٤
بغداد المدينة المدورة	فؤاد قزانجي	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٧٠ ـ ٢٧١
التحدي المعماري في المدينة الاسلامية	د.م. محمد سعيد فارسي	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٥٢ ـ ٥٨
التحكم في استعمالات الاراضي في المدينة الاسلامية	د. صالح علي الهذلول	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٧٤ ـ ٨١
تطور الخريطة المعمارية للقدس في العصور الاسلامية	التحرير	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٨٤ ـ ١٨٩
التكدس العمراني واثره على المدينة الاسلامية عبر العصور	د. محمد محمود الجهيني	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٨٢ ـ ٨٨
الجامع الاموي من اشهر العمائر الاسلامية في العالم	شيرين عزيز ابراهيم	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٥٢ ـ ١٥٤

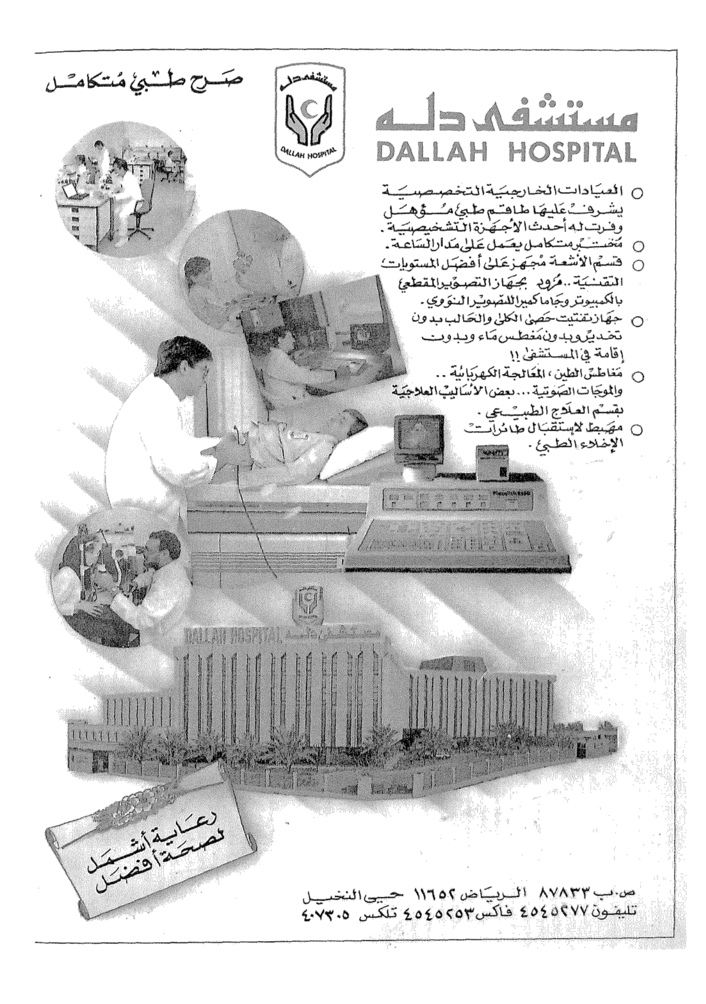
الموضـــوع	الكاتب	١٤١٥هـ/٩٤/١٩٩٥م	ع	ص ص
جماليات الاسطح في العمارة الاسلامية	د. يوسف خليفة عراب	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٠٦ ـ ١٢٠
جماليات الخط العربي في العمارة الاسلامية	د. حسن الباشا	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٢٢ ـ ١٢٨
الجوامع التركية من زاوية تطور الهندسة المعمارية	د. حقي اونكال ترجمة د. اور طاهر رضا	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٥٦ ـ ١٦٠
الحرمان الشريفان قمة معمارية خالدة	التحرير	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٤ ـ ١٧
الخصائص العمرانية والادارية لمدن الاندلس الاسلامية	د. محمد عبد الله الحماد	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٠٦ ـ ٢١٣
خوارزم الحضارة المنسية	التحرير	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٣٠٢ ـ ٣٠٥
راجستان ـ أجرا ـ (العمارة الاسلامية في الهند)	فاتن ابراهيم عبد الهادي	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٩٤ ـ ٢٩٥
سمرقند الاسلامية ـ عمارة وزخرفة	د. محمد محمود الجهيني	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٩٦ ـ ٣٠٠
صنعاء القديمة .. ولماذا الحفاظ والإحياء	د. يوسف محمد عبد الله	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٤٦ ـ ٢٥٣
طرابلس الغرب .. تاريخ وآثار	د. صلاح البهنسي	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٥٤ ـ ٢٦٣
العمارة الاسلامية عبر العصور	د. عفيف البهنسي	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٦٤ ـ ٧١
العمارة الاسلامية في المدينة المنورة	د. محمد عبد الرحمن الحصين	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٧٦ ـ ١٨٣
العمارة الاسلامية في منطقة البلقان في اوائل العصر العثماني	محمود السيد الدغيم	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٧٢ ـ ٢٨٩
العمارة الاسلامية .. لماذا؟	نبيه الانصاري	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٣
فاس ومراكش مدن لها تاريخ	البخلاحي امحند	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٦٤ ـ ٢٦٩
فنون المدجنين بأسبانيا في العمارة الزخرفية	د. عثمان اسماعيل	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢١٤ ـ ٢٢٨
مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة الحرمين المكي والمدني	التحرير	محرم / يونيو	٥١٦	٤ ـ ١١
مقدرات التشكيل المعماري الاسلامي	د. عبد الباقي ابراهيم	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٤٨ ـ ٥١
منارات الهدى	التحرير	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٨ ـ ٢٢
المنهج الاسلامي في تصميم العمارة	د. عبد القادر حمزة كوشك	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٤٤ ـ ٤٧
المنهاج في احياء التمدن الاسلامي	وليد عبد الله المنسي	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٤ ـ ٤٢
المدينة الاسلامية.. دراسة في المنظور الخلدوني	د. السعيد ريان	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٩٨ ـ ١٠٠
نماذج تطبيقية للفن المعماري في مدينتي القسطاط والقاهرة مع عناصر زخرفية	د. مصطفى عبد الله شيحه	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٩٠ ـ ٢٠٥
النمط المعماري في المدينة الاسلامية	م. رائف نجم	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٦٠ ـ ٦٣
النهضة الفنية والمعمارية في البنغال ابان الحكم الاسلامي	د. محمد يوسف صديق	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٢٩٠ ـ ٢٩٣
وحدة التجوار في المدينة المعاصرة	مركز الدراسات التخطيطية والعمارية بالقاهرة	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	٩٤ ـ ٩٦
وحدة الطابع الاسلامي للعمارة	د. ثروت عكاشة	الجمادان/ اكتوبر ونوفمبر	٥١٩	١٠٢ ـ ١٠٥
## الفنون:				
الألوان في العربية (الحلقة الأولى)	د. شربل داعر	محرم / يونيو	٥١٦	٤٨ ـ ٥٠
الألوان في العربية (الحلقة الاخيرة)	د. شربل داغر	صفر / يوليو	٥١٧	١٣٠ ـ ١٣٢
الالوان في القرآن الكريم	د. عبد الرازق حجاج محمد	رجب شعبان / ديسمبر يناير	٥٢٠	٢٢ ـ ٢٧
من جماليات الفن التشكيلي المعاصر	د. رمضان بسطاويسي	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	٨٨ ـ ٩٣
## كتب ومخطوطات				
أهمية الوثائق البردية الاسلامية في حياتنا الثقافية	د. سعيد مغاوري محمد	رمضان شوال/ فبراير مارس	٥٢١	٤٠ ـ ٤٣

{٦٠} عامــاً
مــن الاشعاع الفكري المتميز



المركز الرئيسي/ جدة ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٩٢٥ ت/ ٦٤٣٢١٢٤ - فاكس/ ٦٤٢٨٨٥٣


كل عام وأنتم بخير
بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد ترفع
آل الملوك السعودية
أخلص التهاني إلى مقام
خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز
والى ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي
الأمير عبد الله بن عبد العزيز
والى سمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع المفتش العام
الأمير سلطان بن عبد العزيز
والى الشعب السعودي الكريم
سائلين المولى أن يعيده على الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركات


صرح طبي متكامل
مستشفى دله
DALLAH HOSPITAL
مستشفى دله
DALLAH HOSPITAL
العيادات الخارجية التخصصية يشرف عليها طاقم طبي مؤهل وفرت له أحدث الأجهزة التشخيصية.
مختبر متكامل يعمل على مدار الساعة.
قسم الأشعة مجهز على أفضل المستويات التقنية.. مزود بجهاز التصوير المقطعي بالكمبيوتر وجاما كميرا للتصوير النووي.
جهاز تفتيت حصى الكلى والحالب بدون تخدير وبدون مغطس ماء وبدون إقامة في المستشفى!!
مغاطس الطين، المعالجة الكهربائية.. والموجات الصوتية... بعض الأساليب العلاجية بقسم العلاج الطبيعي.
مهبط لإستقبال طائرات الإخلاء الطبي.
DALLAH HOSPITAL
رعاية أشمل لصحة أفضل
ص.ب ٨٧٨٣٣ الرياض ١١٦٥٢ حي النخيل
تليفون ٤٥٤٥٩٧٧ فاكس ٤٥٤٥٢٥٣ تلكس ٤٠٧٣٠٥


Bibliotheca Alexandrina
0551617